

# المروية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

1937  
Volume 1

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57\_298** DU **11** MARS **1957** )



**MICROFILM ÉTABLI**

**PAR**

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION  
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE  
DE LA PRESSE**

**PARIS**

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.  
La Reproduction totale ou partielle est soumise à  
l'autorisation préalable des ayants droit et à  
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire  
du microfilm négatif.*

**© 1998 A.C.R.P.P.**

# **PROVENANCE DE LA COLLECTION**

**INSTITUT DU MONDE  
ARABE**

**Cote: 833 (051) RIW**

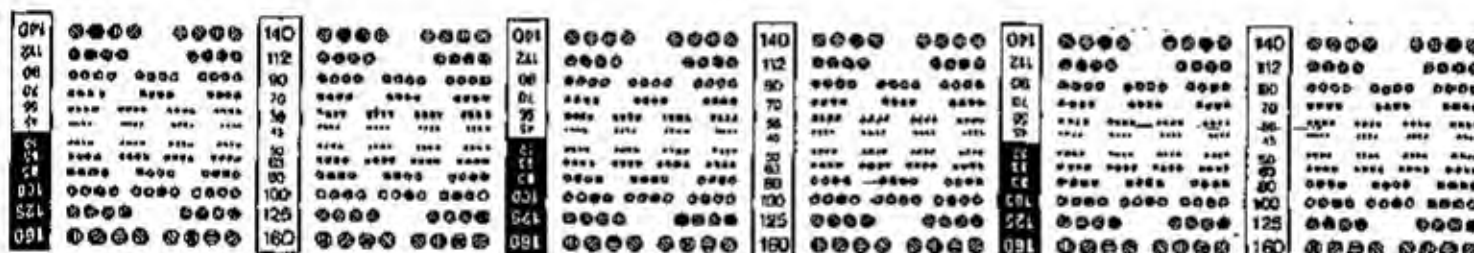


# ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9

A.C.R.P.P



MIRE ISO N° 1

NF Z 43-007

AFNOR

Cedex 7 - 92080 PARIS-LA-DÉFENSE

graphicom 330 57 70





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
أحمد حسن الزيات

مدل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقناً في أول كل شهر ونصف

العدد الأول ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٥٥ — أول فبراير سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

## الرواية.

إلى الذين ملكهم الجمال ولم يملكوا الأمانة عن آثاره ؛  
إلى الذين تيمهم الحب ولم يحسنوا العزف على قيثاره ؛  
إلى الذين شاقهم الأدب ولم يستطيعوا النفوذ إلى أسرارهم ؛  
إلى الذين اعتقلهم الهم ولم يجدوا الفكاك من إيساره ؛  
إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذه المجلة . وما هي إلا نفحة  
من الشعور الانساني الزهيف ، ولعة من البيان  
الروحي المشرق ، ستتلاقى عندها الأذواق السليمة ،  
وتتعارف عليها المشاعر الكريمة ، وتتألف منها  
عبقرية الشرق وعبقرية الغرب

والله وحده هو العليم بما نكاد في سبيلها وفي  
سبيل أختها من العناء والأثار والجهد . وفي سبيل  
الأدب كل أذى محتمل ؛ وفي حب العربية كل  
بذل يعوض ؛ وفي خدمة الوطن كل صعب يهون  
أحمد حسن الزيات



### فهرس العدد

صفحة	فهرس العدد
١	الرواية ... أحمد حسن الزيات ...
٢	ضوء القمر لموباسان ...
٦	أحمد حسن الزيات ...
١٣	الذي يضحك أخيراً ، يضحك كثيراً ...
١٩	الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ...
٢٧	ليونان من الحب لبلاسكويا يانيز ...
٣٢	الأستاذ عبد الرحمن صدقي ...
٣٩	ختصام الأستاذ محمود تيمور ...
٤٦	إلينورا لادجار ألن بو ...
٥٠	الاستاذ محمود الحفيف ...
٥٩	قتل رضوان كتحدا ...
٦٣	الأستاذ محمد فريد أبو حديد ...
٦٨	مجهود ضائع لمرجريت كندى ...
٧٠	الأديب أحمد فتحي مرسى ...
٧٣	جوليا أو هيلوين الجديدة لجان جاك روسو ...
٧٥	أحمد حسن الزيات ...
٧٨	يوميات نائب في الأرياف ...
٨٠	الأستاذ توفيق الحكيم ...
٨٣	اعتراقات في العصر لألفرد دي موسيه ...
٨٥	الأستاذ فلينكس فارس ...
٨٨	الأوديسة لهوميروس ...
٩٠	الأستاذ دريني خشبة ...
٩٢	مقالة جبل لأفرست ...



لنفسه مكان الله حتى يجد ، وغالباً ما كان يجد .  
فليس هو الذي يغتم في سورة من التقي الخاشع .  
بهذه الجملة : « مولاي ! لقد جلت مقاصدك عن  
عقول الناس ! » وإنما يقول : « أنا خادم الله فيجب  
أن أعرف علل تديره وحكم تصرفه ، إن لم  
يكن على وجه اليقين ، فعلى وجه الحدس والتخمين » .  
ففي رأيه أن كل شيء في الطبيعة إنما خلق على  
مقتضى نظام عجيب ومنطق مسلم ، ( لماذا ) و ( لأن )  
يتعادلان دائماً في ميزان عقله . فالفجر يزغ ليستيقظ  
الناس في مسرته وبهجته ؛ والنهار يضيء ليبتلع  
الثمر وينضج الحصيد ؛ والظلم يهيم لتحيا الأرض  
وترتوي الزروع ؛ والمساء يقبل ليأوي الناس إلى  
المضاجع ؛ والليل يحلواك ليلقوا بأنفسهم في  
أحضان السكرى ؛ والفصول الأربعة إنما تنطبق  
كل الانطباق على حاجات الزراعة . وهيئات  
أن تداخل القسيس لشدة في أن الطبيعة لا غرض  
لها ، وأن كل شيء إنما يخضع لضرورات  
الوقت والاقليم والمادة . ولكنه كان يكره المرأة ؛  
يكرهها من وراء وعيه ، ويحتقرها بحض غريزته .  
وكان كثيراً ما يردد قول المسيح : « أيها المرأة ،

للطبيب الفرنسي جي دومباسان

بقلم أحمد حسن الزيات

كان الأب مارنيان يحمل اسمه الحربي (١) عن  
جدارة . والأب مارنيان قسيس كبير (٢) متعصب  
ضاربي الجسم تأثر النفس ، إلا أنه مستقيم خبير .  
ثابت العقيدة لا يتذبذب ، صادق الإيمان  
لا يشك ، وهو يعتقد خالصاً أنه يعرف الله ويستطيع  
أسرار حكمته وأغراض مشيئته . كان إذا سار  
أحياناً بخطاه الواسعة في ممشى مسكنه الربيعي الصغير  
ونظر في الشيء بعد الشيء ، فقام في ذهنه هذا  
السؤال : « لماذا خلق الله هذا ؟ » ثم يبحث  
عنه الجواب ويلج في البحث ، متخذاً بفكره

(١) كانوا في الزمن القار يلقبون الجندي حين دعوته  
في الخدمة بـ « مارنيان » . ولما نزل لقب هذا القسيس إلى مدينة إيطالية  
تقع في الجنوب الشرقي من ميلانو . وقد انتصر فيها الفرنسيون  
على الحوشر سنة ١٨٥٩ وعلى النمسا سنة ١٨٥٨ .  
(٢) (Grand) أكبر . لقب كان يعطى للأولين المتازين  
في طبقتهم من المعلمين والكهنة والسادة الخ .



تعايش أمها في منزل صغير مجاوره فكان يخرج من كل الحرص على أن يجعل منها ذاهبة ، وليكنها كانت على طرفها رعناء ساخرة . كانت تضحك منه إذا وعظ ؛ فإذا غضب عليها قبلته بقوة ، ثم صغته إلى صدرها بشدة ، فيحاول هو مضطراً أن يتخلص من هذا العناق الذي يبعث فيه مع ذلك نشوة السرور العذب بأيقاظه شعور الأبوة الرائد في قرارة كل نفس

كان يحدثها عن الله ويسايرها جنباً إلى جنب في مسالك الحقول فتجمل حديثه دبر أذنها ، ثم ترسل نظرها في السماء والعشب والزهر وقد تراءت في عينها سعادة الحياة وزهرة العيش ؛ فإذا رأت فراشة تطير عدت وراءها فقنصتها ثم صاحت : « انظري أعماه ما أجملها ! إن نفسي تنازعني إلى تقبيلها ! »

هذه الحاجة إلى ( التقبيل ) البادية في لثمها هوام الطير وحب الشجر ، أزعجت القسيس وهاجت بلابل صدره ، لأنه رأى هنا كما رأى هناك هذا الحنو المتأصل الثابت الذي ينبت دائماً في قلب المرأة . وفي ذات يوم أقبلت امرأة سلون الكنيسة ، وهي مدبرة منزل القسيس ، تخبر الأب مارنيان في حيلة شديدة أن ابنة أخيه عاشقة . كانت القس يخلق لحيته ففجئته روع الخبر فبهت ووجم ، وترك الصابون على وجهه وأقام ساعة لا يتحرك ولا يطرف . فلما ذهب عنه الدهش وثاب إليه الرشد صاح في وجه المرأة قائلاً : « هذا غير صحيح ! إنك تكذبين يا ميلاني ! »

ولكن المرأة القروية وضعت يدها على قلبها وقالت : « لعني الله يا مولاي القس إذا قلت في ابنة أخيك الكذب . أقول لك إن لها عاشقاً تخرج إلى لقائه كل مساء بعد أن تنام عين أختك ؛ ولينها

هل بينك وبينك شركة ؟ » ثم بعقب على هذا بقوله : « كأن الخالق نفسه ساخط على هذا المخلوق ! »

وهي في رآيه الطفلة التي غشها الدنس اثنتي عشرة سنة كما زعم الشاعر ؛ وهي التي أغوت الإنسان الأول ولا تزال تواصل عملها المهلك في بنيه ؛ وهي الكائن الضعيف الخطر الذي يكدر صفو العالم في علن وخفية . وافقد كان يفيض روحها الجذاب أكثر مما يفيض جسدها المهلك ؛ وكان كثيراً ما ينسجم عليه حنان المرأة فيتغيط من عاطفة الحب التي تعتلج دائماً في نفسها ، وإن كان هو في حصن منيع من تأثيرها . وهو يرى أن الله لم يخلق المرأة إلا فتنة للرجل ومحنة . فهو جدير بأن يتقنها كما يتقن الشوك ، فلا يدنو منها إلا على حذر . ولعلها أشبه ما تكون بالفخ حين تبسط ذراعها وتفتح شفيتها للرجل . كان لا يتسع صدره إلا للراحيات ، لأنهن نذرن أنفسهن لله فاعتصمن برعايته . ومع ذلك كان يقسو عليهن لأنه لا ينفك يحس في صميم قلوبهن المغولة الضارعة ذلك الحنان الأبدي الذي يدرك وهو قسيس — أثره في نفسه . كان يحس ذلك الحنان في نظراتهن وهي أشد من نظرات الرهبان اخضلالاً بالدمع وابتهالا بالورع ، ويحسه في تجليهن الروحي وقد اختلطت به عواطف جنسهن ، ويحسده في نزعات حبهن إلى المسيح ؛ وذلك الحب يوغر صدره بالحنق لأنه يرى فيه حب المرأة وهوى الجسد . يحس ذلك الحنو الملعون في وداعتهن أنفسها ، وفي رخامة أصواتهن لدى الحديث ، وفي أطرافهن الفضيضة عند النظر ، وفي دفوعهن المستكينة حين يؤنبهن بقسوة على خطأ . كان إذا ما خرج من ديرهن نقض مسوحه واندفع بهزول كأنما يفر من خطر . وكان له بنت أخ



صفوفها المنظمة ترسم بالظلال على المشى أفنانها  
الرفيقة المخضرة ، على حين كانت شجرة زهر  
العسل المتساقطة على جدار منزله تسطع بالنفحات  
الليذبة الحلوة ، فتطيف في المساء الفاتر الزاهر نوعاً  
من الأرواح المطرة

أخذ القسيس يتنفس ملء رئتيه ، ويعب  
النسيم كما يعب السكير الخمر ؛ ثم مشى وثيد الخطو ،  
مأخوذ اللب ، مشترك الخاطر ، لا يكاد يجري على  
باله ذكر ابنة أخيه . فلما صار بين الحقول  
وقف يتأمل السهل كله وقد غمره سحر الليل البهى  
وأغرقه ضياء القمر اللطيف

وكانت الضفادع في كل لحظة ترسل في الفضاء  
أناشيدها القصيرة الأيقاع المدنية الصوت ،  
والبلابل البعيدة تضيف إلى ضوء القمر أغانيها  
التقطعة التي تهيج الأحلام وتحمض على القبل . ثم عاد  
الأب يمشى وقد أحس فجأة بقلبه ينسرق وبقوته  
تخور دون أن يعلم لماذا ، وود لو يجلس حيث كان  
فيتأمل جلال الله ويتعملى جمال صنعه !

وهناك على ضفة النهر قام صف عظيم من شجر  
الحور متعرج مع الساحل ينبعث من خلاله  
غمام رقيقة من الأصوات المختلفة ، وفوق الشاطئ  
الوعر ومن حوله انمقد بخار أبيض قد اخترقته أشعة  
البدر فلمع وتفضض ، ثم غطى مجرى الماء بما يشبه  
القطن الرقيق الشف

وقف القسيس مرة أخرى وقد تخلت قلبه  
رقة نامية لا تقاوم ، ثم تخالجه شك مرعب ،  
واستولى عليه قلق منهم ، ثم نشأ في خاطره سؤال  
من نوع ما كان يلقيه أحياناً على نفسه : « لماذا خلق  
الله هذا ؟ إذا كان الله قد جعل الليل لباساً ونعاساً  
فلا هو للشعور ولا للعمل ولا للذكر ، فلماذا جعله

ليلتين على ضفة النهر ؟ وتستطيع أن تراها  
بميناك إذا ما ذهبت هناك بين الساعة العاشرة  
ومنتصف الليل »

أمسك الرجل عن خلق ذقنه ، وأخذ يمشى  
ويُفتف في مشيه كدأبه في ساعات التأمل الخطير .  
ولما استأنف خلق لحيته جرح نفسه ثلاث مرات  
فيما بين أنفه وأذنه ؛ وظل طول يومه صامتاً متلداً  
وقد انتفخت أوداجه من الغيظ ، وانتسف لونه  
من الغضب . اجتمع فيه فزع القسيس أمام الحب  
القاهر ، إلى خلق الوالد ذى الخلق ، والوصى ذى  
الضمير تمكر به طفلة فتخذه وتسرقه . أضف إلى  
هذين وجوم الأنانية الذى يعترى الأهل حينما تعلمهم  
الفتاة أنها اختارت زوجها دون رأيهم وعلى رغمهم  
فرغ من عشاءه ثم حاول أن يتلهم قليلاً بالقراءة  
فلم يستطع ، وأحس بالغيظ تزداد فورته في صدره .

فلما دقت الساعة عشراً تناول عصاه ، وهى  
مراوة ثقيلة من شجر البلوط يستخدمها دائماً في  
جولاته الليلية كلما خرج إلى عيادة مريض .  
نظر وهو يتنعم إلى العصا الضخمة ، ثم أدارها في  
كفه القوية القروية دورات رحوية مهددة ؛ ثم  
رفعها فجأة ، وهو يحرق الأدم ، وأهوى بها على  
كرسي فخطمت مسنده . ثم فتح الباب وأراد  
الخروج ، ولكنه وقف على عتبة مشدوهاً من  
انطلاق ضوء القمر ، وهو ضوء لم يشهد مثله قبله  
أحد . وكان الله قد وهب الأب مارنيان فكراً  
وثاباً لا يهبه إلا الآباء السكنيسة ولأمراء القريش ،  
فوقف ذاهلاً متأثراً بجلال الليل الساجى وجمال  
القمر الشاحب !

كان كل شيء في حديقته الصغيرة غريقاً في  
الضوء اللطيف ، وكانت أشجارها المثمرة في

المختوضر ، وتحت قبة الشجر الخائض في الضباب  
اللامع ، شخصين يمشيان جنباً إلى جنب . كان  
شخص الفتى أطول من شخص الفتاة ، وكان الحبيب  
قد طوق بيده جيد الحبيبة ، وهو من حين إلى حين  
يقبلها فوق الجبين . فبعث محضر العاشقين الحياة  
فجأة في هذا النظر الهامد ، فكأنه لاشتماله عليهما  
وتماقعه بهما إطار صاغته يد الله خاصة لهذه الصورة  
كان العاشقان كأنهما كائن واحد ؛ وهذا  
الكائن الواحد هو الذي خلق الله له هذا الليل  
الساكن الساكن ، وقد أقبلنا نحو القسيس  
كأنهما الجواب الحى أرسله الله إليه عن سؤاله  
كان القسيس لا يرح وأفقاً وقد اشتد  
وجيب قلبه ، وزاد اضطراب شعوره ، ولم يبق  
لديه شك في أنه يشهد حدثاً من أحداث التوراة  
كغرام ( روت ) و ( بوز ) ، وأن ما يراه إنما هو  
قضاء لمشيئة الله أراد أن ينفذه في هذا الزخرف  
الفخم الذى تحدثت عنه الكتب المقدسة . ثم  
أخذت تدوى في رأسه آيات ( نشيد الأناشيد )  
بما فيها من صراخ الرغبة ونداء الجسد وحرقة  
الغزل . فلم يمالك أن قال لنفسه : « لعل الله قد  
خلق هذه الليالي ليجمعها لغرام الناس غلالة من  
الجمال الأعلى » ثم نكص على عقبيه أمام هذين  
العاشقين المتعانقين وكانا لا يزالان يمشيان !

تلك كانت ابنة أخيه وذلك كان حبيبها .  
ولكنه الآن قد سأل نفسه : ألم يكن على وشك  
أن يعصى الله ؟ أليس الله قد سمح بالحب مادام قد  
أحاطه بمثل هذا السنا الباهر ؟ ثم ولى مدبراً وهو  
ولهان خزيان كأنهما دخل معبد لا يحق له أن يدخله !

أحمد حسن الزيات

أبهى من النهار ، وألطف من المساء ، وأعذب من  
الفجر ؟ » ولماذا يشف هذا الكوكب الباطن  
الفرار حجب الظلمات فيكون أقرب إلى الشمر  
والسحر من الشمس ؟ وكأنه خلق رصيناً كتوماً  
ليضيء للناس أشياء هي أدق على النهار وأخفى ؟  
لماذا كان أبرع الطيور المغردة لا تسكن في الليل  
كما تسكن الطيور الأخرى ، وإنما تسجع بأغاريدها  
وسط الظلام المضطرب ؟ لماذا ضرب هذا النقاب  
الشفاف على وجه العالم ؟ لماذا يأخذ القلب هذا  
الارتجاف ، ويملك النفس هذا الانفعال ، ويمتري  
الجسم هذا الهمود ؟ لماذا تظهر هذه المفاتن المغرية  
مادام الناس ضاحكين في أسرهم لا يرونها ؟  
لن هذا الشهيد السحري الجليل وهذا الفيض  
الشعري الجميل الذى ينسكب من السماء على الأرض ؟



وحاول القسيس أن يجد لهذه الأسئلة أجوبة  
فلم يوفق ؛ ولكنه أبصر هنالك على جوائى المرج



لما جاءني رسول  
أختي برقعة منها يدعونا  
فيها - أمي وأنا - إلى

الذي يضحك والخيل، يضحك كثيرًا  
للاستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني

فقلت ببساطة :  
« أوه ... أظنه مدنا ... »  
سافر ليبحث مع شريكه  
أمر هذه الشركة الجديدة التي  
يريد أن يؤلفها .. إنك تعرفه ...  
لا يعترف بميد ، ولا يطبق أن  
يقعد بلا عمل »



فمررت أنها تكذب لتستر  
حماقة ، وكنت أعرف أن هذه  
كذبة لأنه أخبرني بما تم فالأمر  
مفروغ منه ، ولا حاجة به إلى  
سفر جديد ، ولكنها لم تكن  
تدري أنني أعرف هذا ، وإلا

قضاء العيد معها لأن زوجها  
سافر إلى الإسكندرية ، أدركت  
أن في الأمر شيئاً وأن خلافاً  
لا بد أن يكون قد شجر بينهما ؛  
ولكن دقة إحساسها بالواجب  
جلتها على البقاء في بيتها بدلاً  
من أن تخرج هي إلينا . ولم تفت  
أى دلالة هذه الدعوة فقد سألتني :  
« أظن أن شيئاً حدث ؟ »  
فقلت : « لا بد » ؛ فقلت : « أترى

للجأت إلى كذبة أخرى

وقضينا النهار على خير ما نستطيع ، وإذا بنا  
بعد العصر نتاق هذه البرقية :

« اصطدمت السيارة ومخطم وإصابتي خفيفة ،  
فهل تستطيعين أن تحضري ؟ سيكرن سيد بانتظارك  
بسيدي جابر »  
« خليل »

فدعونا جميعاً فقد كان من الواضح أن الحادثة  
أكبر مما زعم . ولم تستطع أختي أن تضبط نفسها  
فبكت ؛ وهمت أمي أن تزجرها عن البكاء ، فقلت  
لها : دعها فما خلق الدمع للناس عبثاً . فقامت  
ترتب لها أشياءها في الحقيبة ، وتضع معها ما قد  
يحتاج إليه زوجها مخافة أن تكون حقيبتها قد  
فقدت في الحادثة ، أو تركت مع السيارة المخطمة  
وقلت لأمي : « إذهبي معها وسألحق بكما غداً  
فاني مضطر إلى البقاء الليلة ، وأبرقوا إلي في الصباح  
بعد أن ترووه ليعلمن قلبي »

أن نسألها ؟ » فهزئت رأسي ؛ فليس أكفل بفساد  
الأمريين زوجين - في رأي - من الدخول بينهما  
وكان وجه أختي وحده كافياً للارتفاع بالظن  
إلى مرتبة اليقين . نعم كانت تبسم ، ولكن  
ابتناسها كان متكاملاً ، وكلامها أكثر مما ألفنا منها ،  
وحركاتها أسرع ؛ وكان لونها ممتعاً حتى لقد  
احتاجت إلى الأحمر لخديها وشفتيها . وكان الجو  
بارداً فاحتجنا إلى ما ندفأ به فجاءتنا بموقد صار الفحم  
فيه جراً ، لأنها تذكره مدفأة الكهرباء أو البترول  
لشدة تخفيف الكهرباء للجو ، والبترول له  
رائحة لا تطيقها

وسألتهما وأنا أتبسم : « وأن اللعين زوجك ؟ »  
وكان لا بد أن أسألها عنه وإلا كان اجتناب  
ذكره ولسياً بالغلظة إلى ما عسى أن يكون قد وقع  
بينهما . وما دامت هي لم تقبل شيئاً فقد يربكها أن  
تعلم أننا نعلم

نصنع الآن ؟ ... فكر ... فكر ... فقد ضاع  
عقلي ... فريدة ! من يدري في أيدي من من الأشرار  
ستقع الآن ؟ »

فقلت : « وأمي أيضاً معها ... رهينتان  
لا واحدة بإصاحبي » .

فقال : « رهينتان ... هل تعني أنك تعتقد ... »  
قلت : « بالطبع ... أي معنى لهذه البرقية غير  
ذلك ؟ . إنها شرك ... وليس المهم الآن حل اللغز  
بل السفر وراءها لانقاذها ... لننقذها من الوقوع  
في أيدي هؤلاء الأشرار كائنين من كانوا »

فقال : « صدقت ... قم بنا »

قلت : « سيارتك لا تصلح لهذا .. ألا تستطيع  
أن تجد لنا سيارة قوية ... تستعيرها من أي صديق ؟  
وفي هذه اللحظة أقبل أخى فتشهدت  
واستبشرت ، فقد كانت له سيارة جديدة من طراز  
هدسون تستطيع أن تطير بنا ، فدفعته إلى الباب  
وسبقته إلى السلم وأنا أناديه وأدعوه أن يسرع ورائي  
وكان أخى يكره السرعة فتوليت أنا القيادة  
وجلس هو وكرهه معه ورائنا ، وجلس خليل معي ،  
وكان لا بد من التمهّل حتى نخرج من المدينة  
وإلا عطلنا الشرطي ، وكنت كالجالس على الحجر  
ولكن ما حيلتي ؟ ... »

واجترأ شبرا بصد أن ضاع ربع ساعة ثم  
فسألت أخى : « هل الأنوار قوية ؟ » ولم تكن بي  
حاجة إلى السؤال ، فاني أنا السائق وأما مفتاح النور  
وفي وصى أن أجرب ، ولكن السؤال جاء دليلاً على  
مبلغ اضطرابي ... ودليل آخر على هذا الاضطراب  
هو أننا لم نجد أخى ما الحكاية فراح يكلم كل من  
ويقول له :

وودعتهما في المحطة وعدت إلى البيت - بيت  
أختي - حزينا كاسف البال موجع القلب ؛  
وجلس في البيت أفكر في هذا الحظ السيء ،  
وأسخط على خليل ، وأقول لنفسي : هل كان لا بد  
أن يصنع هذا الأحمق ما صنع ، وأن يعلن إلى زوجته  
الجفوة ليلة العيد ؟ ويروح يكسر عظامه أيضاً ويرج  
زوجته هذه الرجة الشنيعة ؟ . ولكنه إني فوق  
جزائه ... مسكين ! . ومن يدري ماذا جرى له ؟  
ولعله الآن مشف على الهلاك ، وإنها لقسوة أن  
ألومه . ثم انه كان مثال الزوج الصالح ، ولم تكن  
سيرته معها قط إلا سيرة المحب الذي لا يعبئ به  
الدنيا سوى زوجته ، فإذا ياترى جرى حتى كانت  
هذه الجفوة المشؤومة ... ؟

وإني الجالس أدخن سيجارة في أثر أخرى وبني  
ما يعلم الله من الحزن ، وإذا بخليل داخل كالقنبلة !  
فانتفضت واقفاً ، وحدثت في وجهه مذهولاً وفي  
مفتوح كالأبله . فلما رأيته كذلك وقف هو أيضاً  
وسألني أول ما سأل : « أين فريدة ؟ »

فأحسست أني سأسقط على الأرض فأنحططت  
على أقرب كرسي ، ورفعت يدي إلى رأسي . فأقبل  
على يهزني بعنف ويقول بصوت عال جداً : « أين  
فريدة ؟ ... قل ... انطق ... ماذا جرى ؟ »

فحاولت أن أتكلّم ، ولكن لساني وقف في  
حلقى فأشرت إلى البرقية المشؤومة وكانت مطوية  
على المنضدة ، فتناولها مستغرباً ، ولم يكذبقرأها  
حتى صرخ : « إيه ؟ »

فأفوجنت لساني وقلت : « ماذا تظن ؟ ... من  
أرسل هذه البرقية ؟ »

قال : « لا أدري ... ولكنها مضيية ... ماذا



السيارة كبيرة ومتينة وثابتة لا تقلبت بنا وقتلتنا .  
ولكن أخى خبير بالسيارات والذي لا يعرفه عنها  
لا يستحق أن يعرفه أحد . والحق أنها كانت سيارة  
أصيلة بل هي سيارة وكفى ، ولكن بالى لم يكن في  
ذلك الوقت إلى شيء من هذا ، بل إلى ما بقى من  
الوقت حتى يصل القطار إلى طنطا أو دمهور ،  
وإلى مبلغ الأمل في إدراكه قبل أن يبلغ سيدى جابر  
وتأدى إلى صوت أخى يقول : « هل تعلم  
ياروكسى أن اسماعيل مهمل (يعني) . . . أموافق  
أنت ؟ . هذا ما كنت أنتظر . . ولكنه ينقصك  
أن تعلم لماذا . . أتريد أن أسر إليك ياروكسى  
بالسبب . . إسمع إذن ولكن لا تخبره . . لقد أردت  
أن أستعير حقيبته الصغيرة . . أقول لك الحق  
ياروكسى . . بينى وبينك ياروكسى . . استعرتها  
فعلاً . . ولكنى وجدت أنه أهمل أن يضع فيها  
المفتاح ولهذا جئت إلى بيت الأخت لعل أجده  
فأخذ المفتاح . . أعرف ما تريد أن تقول فأناك  
ذكى . . بالطبع لم يكن ينتظر أن يعطينى المفتاح . .  
ولكنى كنت سأأخذه على كل حال . . أوه ! بطريقة  
من الطرق . . من غير أن يشعر بالطبع . . »

وقد هممت مرات أن أصبح به ولكنى  
كبحت نفسى فليس هذا وقت الاختلاف على  
الحقائب ، ولكنه غاظنى مع ذلك أنه أخذها وهو  
يعلم أن فيها أشياء ، فقد كنت أعددتها لرحلة  
قصيرة فلما جاء رسول أختى عدت وكان ما كان . .  
ونويت أن أغتم أول فرصة تسنح لاستردادها . .  
بطريقة من الطرق . . كما يقول . . والبادي أظلم  
ولم أكن أطمع أن أدرك القطار في طنطا فلم  
أستغرب أن أعرف أنه تركها قبل وصولنا بعشر

« روكسى . . إنه يسأل عن الأنوار هل هي  
قوية ؟ . كأنه لا يعلم . . لا بأس . . هل تظن أن  
من حقه أن ينتظر جواباً ؟ . . نعم . . الجواب  
تجصيل حاصل . . بالطبع . . الحق معك . . ثم إنه  
أرسل النور أمامه وهو يضىء إلى مسافة أميال . .  
أليس كذلك . . ؟ ولكن إلى أين بنا ياروكسى . . ؟  
نعم ؟ . . أتقول إن هذه هي الطريقة الأمريكية في  
الاستيلاء على السيارات واغتصابها من أصحابها  
الشرعيين ؟ . . إنها كذلك على التحقيق . .  
وإني أراك مصيباً دائماً في ملاحظاتك ياروكسى . .  
أوه ! . . تسعون ؟ . . روكسى . . إنه بخطب بنا  
الأرض . . فهل تظن أنهما ارتكبا جناية ؟ . .  
وهكذا وهكذا . . »

ولم أكن أستطيع أن أقول له شيئاً لأن عيني  
على الطريق . وكان خليل يساعده فينظر إلى عداد  
السرعة ويخبرنى بالرقم الذي ترتقى إليه ، وينظر في  
السماعة كلك فيطمئننى أو يزججنى ، وأخى ماض في  
هذره حتى بلغنا بها . ولم أدخلها بل آثرت أن  
أأخذ طريق سيارات النقل لأنه أقصر وإن كان  
غير ممهد ، واجتناباً للبطء الذى يضطر إليه في  
شوارع المدينة . وبعد أن اجتزنا (الكبرى) الجديد  
ثم جسر السكة الحديدية - أو المزلقان كما يسمونه -  
أطلقت للسيارة العنان ، فجعل خليل ينظر ويقول :  
« مائة . . مائة وخمسة . . وعشرة . .  
وعشرون . . وخمس وعشرون . . إمض  
إمض . . لا شيء . . هذه دجاجة . . »

فقال أخى : « أظنها ذهبت إلى جناتها - جنة  
الدجاج - قبل الأوان . أتراه سباقاً ياروكسى ؟ »  
وبلغت السرعة مائة وثلاثين كيلو ، فلولا أن

ولم نكد نفعل حتى دخل، فركبت - بلا تذكرة -  
وماذا يهم؟ وخلييل ورأى؟ ومشينا خلال  
الركبات حتى وجدنا أمي وأختي فأنحططت بجانبهما  
بلا كلام

ولو كان في رأسي ورأس خليل عقل لنزلنا  
بهما من القطار وعدنا بالسيارة على مهل، ولكننا  
لم نفكر في شيء حتى كان القطار في طريقه إلى  
سيدي جابر، فأدركنا أننا تعرضنا لغرامة فادحة  
لم يكن لها داع، وكان في الوسع اتقاؤها لو عنيينا  
بأن نخبر المفتش أو أحداً من رجال القطار أننا  
راكبون من هنا فقط وسندفع الأجر في القطار.  
على أن الثقة بأننا أنجبنا الفريستين هونت علينا  
الحسارة

وقلت لأختي: « هذا زوجك ... البرقية  
مزيفة فما الرأي الآن؟ »

ولكنها لم تكن في حال تسمح لها بإبداء رأي.  
وأى رأى هناك يمكن أن يشير به أحد؟ لقد  
ضاعت الفرصة الذهبية في دمنهور، ولو كنا أخبرنا  
أخي على الأقل لاستطاع أن يبرق إلى بوليس سيدي  
جابر بالموضوع، ولكن لا استمرار السفر في هذه  
الحالة معني، أما الآن ...

على أننا قلنا إن الفرصة لم تضيع وإن من الممكن  
إذا تركنا الاثنين تسيران أمامنا وحدهما وعيوننا  
عليهما أن نرى الذي سيتقدم لهما نائباً عن خليل،  
وقد نستطيع في ذلك الوقت أن نجعل البوليس  
يقبض عليه ... على كل حال لم يبق إلا هذا ...

ولكننا لم نجد في سيدي جابر غير الجمالين.  
ووقفنا بعيداً ووقفت الاثنين تنتظران أن يتقدم  
اليهما أحد - رجل أو امرأة - حتى (البوفيه)  
لم يكن فيه أحد. فقلنا لعله ينتظر في الشارع،

دقائق؛ واحتجنا إلى البنزين فضيعنا دقائق أخرى ثم  
استأنفنا السير بأقصى سرعة لنموض - سلقاً -  
التأخير الذي لا بد منه في كفر الزيات. واعتراى  
ما يشبه الحى فلم أعد أبالي كيف أقطع الطريق.  
وكنيت ربما صادفت مركبة، أو رجلاً على حمار  
أوجمل، فأمرق ولا أعنى نفسي باليمين والشمال. ولم  
يكن الطريق بعد كفر الزيات على خير ما يمكن أن  
يكون، ولكنى لم أحفل فلك ولم أترق بالسيارة؛  
وكان أخي يرى هذه السرعة الجنونية - فقد بلغنا  
أربعين بعد المائة وأصررنا عليها - فيقول لسكبه:  
« أنظر يا زوكسى ... إن الخبيث ينتقم مني  
- أعنى منا فانك شريكى في كل شيء - لأنى  
استعرت حقيبتى ... من أجلها يريد أن يفجعتنى في  
السيارة ... أى والله يا زوكسى ... فتعال نيك على  
ما كلفتنا من مال يضيع الآن في هذه السكة  
المنحوسة ... ثلثمائة وخمسون جنيهًا خرجت عنها  
من حر مالى ... وماذا يعنيه هو؟ بأخذها  
بلا استئذان، وينحىنى عن مجلسى فيها، ويردنى  
إلى الراء ... هل هذا يليق يا زوكسى؟ »

ولولا أن خليلًا صاح في هذه اللحظة:  
« القطار! القطار! سنسبقه يا اسماعيل!  
سنسبقه بالتأكييد! الحمد لله! » لضى أخى في  
هرائه. وكنا قد قاربنا دمنهور، فلما بلغنا مدخلها  
عاد أخى إلى الثروة، ولكنى لم أسمع شيئاً لأن أذنى  
كانت تطن. ودنونا من المحطة فوقفت وفتحت  
الباب وقلت لخليل: « إنزل ... بسرعة » فشرع  
يفتح الباب من ناحية وأخى يقول: « ألم أقل لك  
يا زوكسى إنه سباق ... بين السيارة والقطار؟ »  
ولم أسمع بعد ذلك شيئاً لأنى ذهبت أعدو إلى  
الرصيف الذى يقف عنده القطار



فأومأنا إليهما أن يخرجنا أمامنا ، فلم يكن حظنا خارج المحطة أحسن من داخلها . ولم تبق فائدة من التفرق فركبنا وهممنا بالمضي إلى الفندق ، ولكن خاطراً نخطر لي فجأة فنزلت وذهبت إلى مكتب التأجير وبعثت برفقة منه

وفي اليوم التالي كنا في مصر

ولكن هذا لم يكن كل شيء . وهنا يحسن أن أدع أخى يتكلم :

« لعله يعنيكما - يريد أختي وأمي - أن تعرفا كيف كانت عودتي البارحة بعد أن تركني هذان المخلوقان . لا فائدة من قولي انتظرت ، فان هذا القول لا يدل على شيء ، فقد تركني فجأة وذهب يعمدو كأني أجرب ، حتى محرك السيارة لم يمن بأن يقفه . ستقولون جميعاً إنه كان معذوراً ... فليكن فان الجدال عبث ، وستسمعون بأشياء أخرى أرجو أن يكون عذره فيها أوضح ... وكان معي روكني كما لا أحتاج أن أقول ، ولا أدري ماذا كنت أصنع لو لم يكن هذا الرفيق معي ؟ ... لعل كنت أجن أو يحدث لي شيء من هذا القبيل ... ماعلينا . هل أقول إن الأمر طال على وأنا قاعد في السيارة ؟ كلا ... وهل أقول إنني كنت ميتاً من الجوع ؟ ... كلا أيضاً ... وأختصر حكاية مملة فأقول : إنني نزلت من السيارة وسرت في الاتجاه الذي رأيتهما بقصدان اليه ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء ، فقد كان كلاهما دائراً كله على القطار وجوب سبقه ، وإن كان فيما عدا ذلك لا معنى له عندي . ولم أجدهما في المحطة كما تعلمون لأنهما شاءا أن يركبا القطار من غير أن يبعثا لي بكلمة ؛ وقد سمعتهما يقولان إنهما أدبا أجزا إلى ركوب مضاعفاً ، وهذا حسن وإن كان قليلاً ... ولكنه يبرد بعض الغيلة . وقد

وصفتهمما لكل من في المحطة فظن واحد أنهما هاربان من سجن ، واعتقد ثان أنهما مجنونان خطران ، واقتنعت أنا بأن لفائدة من البحث ، وأن أبي - رحمه الله - أخطأ حين رمانى بهذا المخلوق وزعمه أختا ، وأن أمي أخطأت أيضاً في ربطنا بهذا المخلوق الثاني الذي أخفوا أمره عني حتى خطف أختي فصار واجبي الآن بعد أن عرفت أنه أخفاه أنا عن الناس . ما علينا ... فلندع هذا التاريخ القديم ... أظنكم ستضحكون حين أقول إنني احتجت أن آكل وأن أطعم روكني ... وقد يسرهم أن تعلموا أنني أحب أن أنسى فترة هذا الأكل ، وأن أمحوها من تاريخ حياتي الحافل بالتضحيات في سبيل من لا يستحقون شيئاً ... ولكني هكذا دائماً ... كريم مفضل وجزائي من الناس بل ممن يرحون في إيراد نعمتي الجحود والكفران ... ما علينا أيضاً ...

وقلت لروكني : « تعال يا صاحبي فان هذا بلد لا يستحق أن يتشرف بوجودنا فيه ، فلترجع إلى بيتنا في مصر » وقد كنت أسلمت السيارة إليه وهي سليمة لا شيء بها ويشهد شريكه في المؤامرة أنها أقتدتكما ، ولكنني حين أردت أن أدير محركها أبي أن يتحرك ... ولا أطيل . قضيت نصف ساعة في هذا البرد حتى استطعت أن أقنعهما بالحركة والعودة إلى دفء البيت

وكانت السيارة كأنما ركبها قبلي ألف عفرية ، ولكنني صبرت وقلت : عوضى على الله ! وهذا جزاء من يكون له أخ كهذا ونسيب كهذا .. وأظن أن الفجر بدأ يطلع حينما بلغنا شبرا فتشهدت وتمهلت في السير ، وإذا بشرطي يستوقفني فوقفت ، فدار حتى صار إلى جانبي وقال وهو ينقر على الزجاج :

« تفضل ممي إلى السكر كول »

فقلت : « السكر كول ... ؟ »

قال : « نعم ، تفضل انزل »

فقلت : « ولكن لماذا ؟ . ماذا صنعت ؟ . »

إني لم أكن مسرعاً ، بل كنت أسير بسرعة خمسة أمتار في اليوم والليلة »

فقال بلهجة جافية : « انزل ولا تحوجني أن أجرك بالقوة »

فقلت لنفسى إن المكابرة والجدال عبث ؛

ولا شك أني سأجد رجلاً يفهم في مركز البوايس

وذهبت معه ، فقال : « اقمدها » فقدمت حيث

أشار وهم يتركي فتعلقت به وقلت : « ألا تسمح

من فضلك بأن تخبرني لماذا جئت بي إلى هنا ؟ »

فهرني بمنزلة فهويت إلى الكرسي وروكسي

بين يدي ...

ولم أر أحداً مستمعاً سواي ... وأخيراً جاء

شرطي آخر وجلس إلى مكتب وأخرج أوراقاً

وبدا يستعد للكتابة ، وسألني عن اسمي وعنواني

وموطلدي ، وعن السيارة ورقمها ؛ ثم سألني بنجبت :

« ماذا معك فيها ؟ »

فابتسمت وقد خيل إلى أنه ظنني من مهربي

المخدرات وقلت ببساطة : « ليس ممي سوى روكسي »

فقال : « إيه ؟ » قلت : « يعني الكلب اسمه

روكسي » فقال متهمكاً : « يا حبيبي يا خوي ... كان

عامل لي قمع ومعاك كلب ! . تعملوها وتخيلوا والله »

فلم أدر ماذا أقول له . وأعفاني هو من الكلام

فسألني : « هل معك مفتاح السيارة ؟ »

فناولته المفتاح فنادى شرطياً وطلب منه أن

يفتحها أمامي ، وأن يجيء بما يجده فيها فلم يجد

إلا الحقيبة ... اضحكوا ... اضحكوا ... لا بأس ...

ستجىء ساعة أثار فيها لنفسى ...

فلما جاءوه بالحقيبة ابتسم ابتسامة عريضة

جداً وتهد مرتاحاً وقل لي : « لا شيء ؟ . هه ؟ . »

طيب »

فابتسمت أنا أيضاً وقد صبح عندي أنه يحسبني

من المهريين وأيقنت بقرب الفرج

وشرع يسألني عن الحقيبة فقلت له : إنها

لأخي ، وذكرت اسم الأخ المحترم فأدهشني بأن سألني

هل أنا أعترف بأن الحقيبة لأسماعيل أفندي زفت

وقطران ؟ . فقلت بالطبع أنا معترف . . إنه أخي

فقال : « أخوك ؟ . أوافق أنت أنه أخوك ؟ »

فضحككت وقلت : « بالطبع واثق . . ولكن

ما هي الحكاية ؟ »

فقال : « أين المفتاح ؟ »

قلت : « معه . . لم أخذه منه » وهممت بأن

أقص عليه القصة ، ولكنني رأيت أنها مما لا يُصدق ،

فأقصرت . فقال : هل تستطيع أن تثبت شخصيتك ؟

فقلت : « بالطبع . . ماذا تظن . ؟ » ودفعت

يدي في جيبى لأخرج له أوراق السيارة ورخصة

القيادة وغير ذلك مما عسى أن يكون في جيبى ، فما

راعنى إلا أن الجيب خال ليس فيه قصاصة واحدة .

وأظن وجهي فضحني على الرغم من محاولتي أن

أتماسك وأتجملد ، فقد سألني بعد ذلك مباشرة عن

السيارة ولمن هي ، فأيقنت أنني وقعت وقلت له :

« إسمع . . إنك تطيل بلا داع . . لا بد أن يكون

قد حدث خطأ ، ومن سوء الحظ أنني نسيت

الأوراق كلها في البيت ، فاذا سمحت فأرسل ممي

شاويشاً أو عشرة إذا شئت إلى البيت لأحيئك

بكل ما يزيل الشك ويريح ضميرك »

فلم يبال بهذا الاقتراح المعقول وقال : « هل



أنت مصر على دعواك أنك أخو إسماعيل ؟ »  
 قلت : « الحقيقة أني مستعد للتبرؤ منه ،  
 ولكن إلى أن أفعل لا يسعني أن أنكر أنه أخي »  
 فقال : « إذا كنت أخاه فلماذا يبعث ببرقية  
 كهذه ؟ »

وناولنيها فقرأت فيها الحكم على :  
 وللرجل المذر لأنه إذا كان إسماعيل هذا أخي  
 فلماذا يطلب من البوليس أن يحجز السيارة رقم  
 كذا وفيها حقيبة صفتها كيت وكيت ؟ ؟ .  
 لا تعترض من فضلك . . لقد كانت عبارة البرقية  
 يفهم منها أنك تريد حجز السيارة أيضاً . ولا أكنم  
 أني لم أجد جواباً لهذا السؤال وأنى استحييت أن  
 أقول إنه مزاح بارد . .

وحررت ماذا أصنع ولم يفتح الله على بحيلة  
 تخرجني من هذا المأزق الثقيل ، وكان النهار قد  
 طلع ؛ ولكننا ما زلنا في البكور ولا يليق أن أزعج  
 الناس في مثل هذا الوقت ، فمدت إلى اقتراحى أن  
 يبعث مني من يشاء إلى البيت فرفض ؛ فسألته عن  
 الأمور من هو عسى أن يكون من معارفى ، فانهرنى  
 بغلظة ، فتساهلت وسألته عن المعاون أو غيره فلم يزد  
 على أن قال : « بلاش دوشة » فناشدته أن ينظر إلى  
 ثيابه وأن يفكر هل هذه ثياب مجرم أولص ؛ فقال  
 وهو يضحك : « إن بين الاصوص من هم أشد  
 أفاقه منك » فوضعت أصبى في الشق وأسألت  
 أمرى إلى الله

وختم المحضر على هذا — أى على أني لص  
 ولا شك ، وأن البوليس حاذق فعلم ولا شك . .  
 ولست ألوم البوليس فقد كانت كل القرائن ضدى .  
 وأشهد له أنه كان رقيقاً فقد سمح لى بأن أشتري  
 — أعنى أن يبعث من يشتري لى — شيئاً لطعامى

وطعام رو كسى ؛ ولا أنكر أنى شربت قهوة أيضاً  
 وإن كانت أشبه بمغلى الفول السودانى ، أو بماء  
 الوحل السخن . ولكن هذا لم يكن ذنب البوليس  
 وأخيراً فى الساعة الثامنة دخل ضابط علينا  
 فنظرت إليه ببلادة فقد فترت ويئست ، ولم أعد  
 أبالى ما يجرى لى ، ولكنى لم أكدارى وجهه حتى  
 انتفضت واقفاً وصحت به : « حمدى .. الحمد لله ..  
 أين المحقق ؟ »

فاستغرب وسألنى عن الحكاية فقصصتها عليه  
 فضحك ملء شديقه ... مدهش أن يضحك الناس  
 من هذه الفصول الباردة ... والباقي لا يحتاج إلى  
 كلام ... جئت إلى هنا ونمت ساعة أو اثنتين على  
 هذا الكرسي بتيابى ... ولكنه ينقصك يا حضرة  
 الأخ أن تفسر للبوليس مزاحك ... فقد صار الأمر  
 مزاحاً مع البوليس لا مئى ... »

فلما استطعنا أن نتكلم ونغالب الضحك قلت :  
 « هون عليك ... فانى أعرف ماذا أقول ... ولكنى  
 أرجو أن يكون ما حدث درساً لك »  
 فقال وفى عينيه نظرة خبيثة : « وأنا أرجو أن  
 يكون ما حدث لكم درساً كذلك »  
 فقال خليل : « ماذا تعنى ؟ »

فقال أخى : « أعنى أنكم لو لم تكونوا عمياً  
 لمرفم أن البرقية ليست لكم ... للجار ... رقم  
 ٢٢٣ وقد تشابه الرقمان على الساعى — الاثنان  
 والثلاثة — واتفق أن اسم الجار خليل أيضاً ،  
 واتفق أنكم عُمى لا تبصرون ، ولولا ذلك لقرأتم  
 الرقم واسم التى أرسلت إليها البرقية ... هذا  
 ما أعنى ... فقوموا كقروا عن سيئاتكم يا جهلة  
 ودعوني أضحك فقد أخذ الله لى بشأرى سلفاً »

ابراهيم عبد القادر المازنى

# لَوْنَاتُ جَمْرِ الْحُبِّ

للكاتب الإسباني بروسكو إبانيز

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

فيها لا يحصى عديده في  
مباريات السيف وصيد  
الحمام، كأس الشرف  
في سباق السيارات  
الأعظم بين باريس  
ونابولي، حتى لتظهر  
غرفة مكتبه يوماً بعد  
يوم بمظهر حجرة الأكل  
لكثرة ما يشاهد الانسان  
فيها من أكواب الشرف  
مصفوفة على المناضد

ويلحق به هذه  
الانتصارات في فن  
الألعاب والرياضة نصيب  
من جاء رجل العلم، لأنه  
في الآونة الحاضرة مهم  
بالطيران، فهو يحاق كل  
أسبوع أو ما يقرب من  
ذلك؛ وهو يقطب  
حاجبيه وعلى وجهه سمات  
الساج في الأفكار  
وغوامض الأسرار إذا  
ما تكلم متكلم في مجلسه  
عن مسائل الآلات

هذه القصة آية من آيات الكاتب الإسباني  
إبانيز، وهو واحد من أفذاذ الكتاب الفلافل الذين  
يفخر بهم العصر الحاضر، لترفعه عن التبذل الاباحي  
اتقياداً لأذواق العامة، ولعمق إحساسه بالحياة،  
وصدق تحليله لألوان العواطف الانسانية مهما دقت  
فروقها وخفيت مساربها، مع وضوح نظرت  
للأشياء، ودقة الملاحظة، والاحاطة بالموضوع من  
غير فضول؛ وهذا كله مفرغ في قالب أنيق المعرض  
حتى الأوصاف

وقراء الصحف لا شك ذاكرون أن إبانيز كان  
إلى جانب عبقريته القصصية كاتباً سياسياً ملتهب  
الحية شديد التهيج. وقد كابد النفي والأشغال  
الشاقة والسجن مرات عدة في سبيل أفكاره؛  
ومع هذا فإن بلدته ومسقط رأسه «بلنسية» ظلت  
على عهده وانتخبته للبرلمان ثمانى مرات. وقد طاف  
العالم ثم استقر أخيراً في باريس حيث التقط الذي  
يلتف حوله كارهو الملكية ودعاة الجمهورية الأسبان  
وقضى إبانيز في منفاه عام ١٩٢٨ أى قبيل  
إعلان الجمهورية الأسبانية. فلما أن قامت الجمهورية  
أعادوا رفاته على بارجة حريسة إلى أرض الوطن،  
واحتفلوا بدفنها احتفالاً وطنياً رائعاً

— ١ —  
ظل أهمل باريس  
كلهم، ممن يرتادون  
مشارب الشاي الراقصة،  
أو المشارب غير الراقصة،  
حيث يقنع المجتمعون فيها  
باغتيال الناس والخوض  
في شؤونهم، كل هؤلاء  
ظلوا يسمرون أسبوعاً  
كاملاً ويميدون ويميدون  
في موضوع زواج موريس  
دلفور، وريث مصانع  
دلفور وشركائه (ويبلغ  
رأس مالها من الملايين  
مائتين وخمسين) بالحسنة  
أوديت مرساك ابنة أخى  
علم من أعلام النواب.  
ولئن خفت اليوم اسمه  
فانه كان قبل هذا مرشحاً  
مرتين لرياسة الجمهورية  
وليس بالحدث النادر  
في الحياة الباريسية زواج  
ملك من ملوك الصناعة  
بأميرة من أميرات

وما يتعلق بها

وأما هي، فهي عند صواحبها «أوديت»، أوديت  
فريدة زمانها؛ وهي عند سائر الناس الأنسة مارساك،  
إسم شهير بارز في كل ما ترويه الأخبار عن الأناقة،  
في كل المنتديات الساهرة، وفي كل صحف الأزياء

الجمهورية، بل قلما يكون في هذا مؤونة حديث لدى  
نصف ساعة؛ إلا أن لهذين العروسين مكانة ممتازة؛  
أما هو فيتراءى كثيراً في أحلام النساء مثلاً  
فيه كل أشكال الأناقة وكل المعارف البشرية: كأس  
الشرف في أبهى مسابقات الخيل، وكأس الشرف



وفي أوئل عام ١٩١٤ انبعثت لعبة جديدة وقامت قيامتها بين العملية الغطارييف من أهل باريس والمواصم الأوربية والأمريكية التي تأتم بباريس كأنها منها بمثابة ضواحيها وأعمالها ، فكان أهل الاناقة يهزون أردافهم ليرقصوا « التانجو » وفي طليعة هذه الخلائق الممعة في رقص التانجو رقص موريس وأوديت

أما هو فقد اتصل سراً بأستاذ من أهالي الأرجنتين ، وآلى على نفسه ألا ترى عيناه النجلاوان أنوار المدينة إلا يوم يحذق هذا العلم الجديد مثلاً حذق غيره من المعلوم . وفي ذات ليلة من الليالي الزاهية قدم موريس ليحظى إعجاب القوم ، وهو تحت المصابيح الكهربائية في فندق من فنادق الشانزييزيه يحرك قدميه في حداثتهما اللامع العالي الكعب ، ويهز قوامه المهضوم المسبوك المحبوك في سترته المحكمة ، وينفض رأسه الجميل ، وشمره الجعد مرسل إلى الورا ككتلة وضيئة كطلاء اللك لأمعة

وأما هي فقد أثارت هذا الإعجاب نفسه في بقعة أخرى من الرقص ؛ وكما يحس الكوكبان قرب كل من الآخر فيتأثران ويتجاذبان ، كذلك يهفو موريس وأوديت كل منهما نحو الآخر ، ويتهافت عليه ، يحدوها باعث لا يقاوم من ائتلاف طبائعهما وتمازج نفسيهما فليس يفرق بينهما مفرق وهما من ذلك الحين يرقصان أحدهما للآخر .

وقد أصبحا لا يلقيان الانسجام المنشود بين ذراعي الغير . وكانا لا يخرجان بكلمة على الصمت الحافل بالأسرار أثناء الرقص المقدس ، بل قوة روحهما جماء منصرفة في رصانة وتفكير إلى حركة أقدامهما وإلى ثنى أعطافهما في اهتزازات موزونة متوافقة .

وكان مشاهير الخياطين من ذوي الفكر والابداع في شارع « دي لا پيه » يعتمدون على الأنسة مرساك في مستهل الحفلات الكبرى في الحياة الباريسية في رفع شأن ما تلبسه من مبتدعات قرأتهم الناشطة المتوقدة ، قالت قوامها الذي لا يضارعه قوام ليدع الفواني كاسفات من الغيرة متحسرات . هيفاء ، لا يزيد وزنها على الخمسين كيلو إلا قليلاً ؛ لها نحر بلغ غاية الحسن المنشود ترتسم في إهابه الرفاف عظمتا الترقوة الدقيقتان وكأنهما قاعدة أنيقة لعمود رقبتها المردة النحيلة ، ولوحنا كتفها مفصلتان للعيان كأنهما جناحان ناجمان ، وساقاها طويلتان مستويتان لا تسكاد تبين لها ريلة ، وهي تمرضهما في طمأنينة ومن دون أن تخشى الفواية والفتنة ، تحت حافة ثوبها الحريري القصير .

وخلاصة القول في قوامها أن كساءه من اللحم روعي في توزيعه التقدير ، بحيث لا يربو مقدار اللحم درهما عما يكفي لتلبس المروق وتلطيف الحاد من حنايا الأضالع والأوصال . فهو جسم يمكن نفعه بأنه « هوائي » ، أو بعبارة أخرى هو حجة ملء الفراغ في داخل الثياب اجتناباً للمشيه وحدها . وفي أعلى هذا السكيان الحى وجه جميل أطالته ذقن مديية ، تفر فيه حلقة صغيرة قرمزية هي فيها الدقيق البديع ؛ وتلمح لوزتان كبيرتان هما عيناها الدعجاوان ، وتهدل لثان على الأذنين كأنهما سالفتا محارب من محاربة الثيران الأسبان وقد صفقت غدائرهما مجتمعة في شكل البرج القائم تشبك فيه الخصل المصطنعة المارية بخصل الغانية . هي ربة الجمال المصري كما قد يتصورها ويمبدها واضع رسوم الأزياء في أحلامه العبقريه وخياله البدع

تطنى عليه نزوات الخيال والفارقات في طراز من  
الأثاث خليط من البيزنطية والفارسية وهو بعد  
رييب ميونيخ الألمانية

وكانت الأم دلفور متشحة دائماً بالسواد ،  
رصينة مفكرة كن عرف قيمة هذى الحياة ، وهي  
تشهد — من غير أن تبدو عليها بادية — ما تأتبه  
هذه الفتاة الوافدة في الزمن الأخير من ضروب  
الأهواء والبدوات المبتكرة : مهرجانات شرقية  
تقلب الدار الوادعة رأساً على عقب ؛ حفلات شاي  
راقصة ، والفتاة في غلائل من الكتان الرقيق  
شفافة ، منطبقة عليها من الضيق كالغمد ، موشاة  
بأزهار كبيرة الحجم بارزة الطرز ، تأسر بحامر  
جسمها وهزالها

ولما كان الابن مشغولاً بأوديت يعبدها ، فقد  
اجتهدت الأم أن تلمس العذر لكل أهواء كنتها  
الصغيرة وطفرات مزاجها . هي فتاة مسكينة !  
لقد نشأت من غير أم فعاشرت طليقة كالغلام

— ٢ —

وقامت الحرب . وكان من نوادر آثارها أن  
بدت أمارات الرعب في عيني الغانية سيدة قصر  
دلفور الجديدة ، فهي متسعة الحدقتين مرتاعة النظرة .  
أيمكن مثل هذا البلاء ! وفي الساعة التي يكون فيها  
المرء أشد ما يكون لهواً وانسياطاً

أما الحجة فقد لاح عليها أنها كبرت ، وأنها  
خرجت من انقباض حياتها وإعراضها عن العالم ،  
فاستقرت نظرتها — رصينة بطيئة على الأشخاص  
وعلى الأشياء ، كأنما هي تتعرفون من جديد .  
وهي في زمانها قد رأت الشيء الكثير ، وبادت  
أول ما بادلت من كلمات الحب رجل الصناعة دلفور

ولقد علما علم اليقين ان حرمة رقصهما أبد الدهر  
رهينة بأن يبقى مدى الحياة شريكين

وهكذا نما الحب بينهما ؛ وهكذا تم قرانهما .  
واستيقظت باريس بأسرها في ذات صباح قبل موعد  
يقظتها المعهود بساعتين لتشهد حفلة القران . وكان  
يزين الحفلة تشرىف عواهل الصناعة أجمعين ، وعدد  
لا يحصر له من رجالات السياسة أصـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ سـ  
العروس . ولم تخامر أحداً أدنى ريبة فيما يجمع شمل  
العروسين من وشائج صباية وغرام ، كأطيب وأوثق  
ماروته الأساطير بين الأنام

وقد سلك موديس مسلك العاشق الحق . فودع  
الوداع الذي ليس وزاءه عودة ترجى سائر عشيقاته  
على اختلافهن ، وكلهن من كاهنات الفنون الرفيعة :  
التمثيل والغناء والرقص . لقد انتهى عهد الجهالات  
وحسبه منذ اليوم امرأته الصبية ودراساته العلمية الجدية  
أما هي ، فما برحت تحب المغازلة كذى قبل ،  
جريا مع العادة ليس إلا ، ومن غير أن تسمح لأحد  
بالاجترار المقتحم . وما ذلك إلا ليزيد حافظ الاحساس  
بالخطر استمتاع زوجها بها

وقد جعلوا مقر هئائهم في قصر دلفور ، وهو  
بهاء نفخ شيده أول ممول من أصحاب الملايين في الأسرة  
على مقربة من حدائق مونسو ، في وسط مساكن  
أقرانه الأغنياء الموليين . وتطل واجهة القصر الخلفية  
على هذه الحدائق . وقد اعتكفت الأرملة دلفور في  
الطابق الأعلى بما بقي لها من أثاث البذخ القديم ،  
وتحاث عن بقية الدار لابنها وزوجة ابنها ليتسنى  
للعروس أن تشبع بلا عائق أهواءها في زينة البيت  
وزخرفته . فاذا هذا المنزل العاصر بالأثاث الأرجواني  
المذهب والمقاعد الفخمة من طراز نابليون الثالث ،



في عام ١٨٧٠ ، أثناء حصار باريس ، ثم شهدت  
وهي عروس صبية مأساة الحكم الثوري العاثر في  
فترة عمره القصير

ودعى نجلها للسفر إلى الميدان في حين بدأت  
امراته تعجب فيه بالرجل الجديد في حلة الضابط  
الرسمية المنسجمة عليه أجمل انسجام . والتي ضاعفت  
رشاقته الكاملة الرجولة . ولقد أحب أن يلتحق  
بالطيران ، إلا أن الطيران كان في طور الطفولة في  
أول نشوب الحرب ، فبقى في المدفعية بـ ~~تصغير~~ آفي  
القيام بالخدمة

ورغبت أوديت أيضاً في أن تؤدي منعمة  
لبلادها . وكانت صواحبها غاديات رائحات في  
المستشفيات . فصحت عزمها بحافز من حوافز  
الأريحية على التطوع ممرضة ، لأنها كانت شديدة  
الاعجاب بالحلة البيضاء ، والبرنس الأزرق ، وعصاية  
الرأس الناصعة . فهذا الرداء البسيط الجديد يلائم  
جمالها كل الملائمة . وكانت لفرط هيامها بالظهور  
في هذا الزي الأخير من الثياب تغادر المرضى أحياناً  
كثيرة للطواف في سيارتها متزهة في غاب بولونيا ،  
رافلة في الغلالة البيضاء المزدانة بالصليب الأحمر على  
الأردان وعلى الصدر

أما الارملة دلفور فكانت تقضى أيامها ولياليها  
في المستشفى من غير أن تخلع ثوبها الأسود السرمدي  
وليست تخلو الحرب أيضاً من متعها ومباهجها :  
فثمة حفلات الشاي المقصورة عليهن معشر النساء  
دون غيرهن ، بمعزل من الرجال ومحضرم المضايق ،  
إذ يرهبوهن بالمجاملات الفارغة . وهن جميعهن في  
هذه الحفلات متشحات بالثياب البيض كأنهن  
الخادومات في إدارات الحمامات ، ونظرات الحسد من

كل صوب تنمقد حولهن ممن لا يرتدين هذا الزي .  
وفي هذه الأثناء يتسليهن بمحوك ملابس مسرودة من  
أشغال الأبرة للجنود ، وهن مزهوات بما يبدو  
عليهن من قلة حذق هذه الأشغال ، شأنهن في ذلك  
شأن عليّة العقيلات شرعت خادمتهم في تلقيهن  
شيثاً من أشغال المنزل

وتتردد بينهن الأحاديث كلها من هذا القبيل :  
— إن زوجي يحارب في الألاس . والمسيو  
دلفور في أي الميادين هو ؟

وكان مقر المسيو دلفور في إحدى الجهات في  
ناحية البلجيك ؛ وكانت امراته تقص مغامراته  
وهي تدير حولها لحظ الخيلاء : لقد نوه به مرتين  
في النشرة العسكرية ! لقد أنعم عليه بوسام ! لقد  
منح شارة !

ولكن كان عدد الأبطال كوابل المطر . فيحز  
في نفس أوديت شيء من الامتناع والغضاضة ،  
وهي تسمع النساء الأخريات يذكرن عن أزواجهن  
مثل ما تذكر

آه ! ألا يسمعه التفوق ؟

وفي ذات يوم ربح قصر دلفور في حدائق  
مونسو بنوبات فظيعة من الانفجالات المصيبة  
والنحيب واصطفاق الأبواب وأزيز السيارات  
ووفود الأطباء . لقد جرح الملازم دلفور جروحاً  
خطيرة من انفجار قنبلة ؛ وأرادت أوديت أن تسافر  
على الفور لتسهر إلى جانب سرير زوجها ، لكن  
هذا مستحيل ! فاسودت الدنيا في ناظرها وودت  
لو تموت ، ذلك على حين يقيت الأم ناصبة القامة  
شاحبة ، ناضبة العينين ، تطرف بأجفانها وتمعض  
شفتيها .

ووردت الخطابات تلو الخطابات ، وكلها مكتوبة  
بغير خطه ، إلا أنها إملاؤه ، فقلقت الأم واستفهمت  
من أصدقاء المائلة الأقدمين ، وهم قوم من ذوى  
الرسالة فلا ريب يكتنون عنها بعض الخبر :  
— إن جروحه بليغة ، ولكن لا خطر عليه .  
تشجى ! المهم هو أن يعيش .

وفي ذات صباح هبت أوديت من فراشها ،  
وقد أيقظتها بفتة حركة اضطراب غير عادية في  
القصر ؛ فأزاحت ستار إحدى النوافذ ، فوق  
بصرها في خارج الباب الحديدى على سيارة مقفلة  
عليها إشارة الصليب الأحمر ، ثم تبينت بصعوبة من  
خلال طنف الزجاج المدود فوق الدرج الخارجى  
رهطاً من الناس صاعدين يحملون بين أيديهم شيئاً  
ملفوفاً محتاطون له بألف احتياط ، وكأنه قطعة من  
الأثاث يخشى عليها التلف ، فقفز قلبها في صدرها :  
موريس !

وأفرغت عليها بعض الثياب ، وانطلقت من  
غير أن تستكمل هندامها راكضة تنحدر في السلم ،  
إلى هو في الطابق الأدنى ، وحاول الخدم مذعورين  
راجفين منعها .

اقتحمت القاعة ، وفي الحال عرفت الرأس  
الموجع المسنود إلى وسائد الديوان  
هذا هو ، مشوهاً أفطع تشويه ، مخدّد الوجنتين  
بأخاديد متراكبة متشابكة من الندوب الزرقاء  
الكافية ... ولكنه هو .

لم تبق له غير عين واحدة . أما العين الأخرى  
فان موضعها تواريه عصابة سوداء بحجم محجرها  
الأجوف ؛ ثم سرحت أوديت طرفها في صدره ،  
صدره المستور تحت قميص سترته الزرقاء ، سترته

ولما عادت أوديت إلى الظهور في المجتمعات  
الخاصة داخلها شيء من الرضى ، فلم يعد اليوم بين  
صواحبها من تجرأ على الافتias لها . لقد جرح  
موريس ، وجرحه خطير ، والسكل مشفقون على  
ما صار إليه هذا الزوج الفتان الذى ابتلته الحرب  
هذا البلاء الشديد .

وهون الإعجاب المدام على أوديت جزعها  
فجملت تألف شيئاً فشيئاً فكرة هذه الجروح  
الغامضة . أية جروح هي يا ترى ؟ تخيلات زوجها  
أعرج بظلم ، في إحدى يديه عصا ويده الأخرى  
تتوكأ على ذراعها . ما أملحهما زوجين ! إن المستقبل  
ما فتىء يدخر لهما ساعات هناء طويلة . ولستوف ترعاه  
وتحبوه السعادة بحنان الأم الرؤوم ومناغة الحبيبة .

وفي أصيل ذات يوم في شارع رويال ، وقع  
بصرها على ملازم من الرتبة الثانية ، وهو جد يافع  
يكاد يكون غلاماً ، يسير إلى جنب خطيبته ،  
وأحد كمي سترته مهتل خاو . موريس هو الآخر  
فقد ذراعه ؛ هي موقنة بذلك ، وهذا هو السبب  
في أن خطابات المكنوبة على عجل ، الناطقة بسرور  
موجع ، هي دائماً إملاء وليست بخط يده ، ولكن  
ماذا يهم ؟ ستكون هي سبند زوجها ، وستنوب  
ذراعها عن ذراعه المفقودة ، فما يشوقها مثل رؤية  
طلعتة ، والتطلع إلى خيالها في صفاء عينيه ، والتملى  
بنظراته الحلوة المداعبة الساخرة في لطف . آه !  
ما أشد حبها إياه .

وكان صواحبها يتلقينها دائماً بمرددات نفس  
السؤال : « كيف حال الجريح ؟ » ، وهي تجيب  
راسخة اليقين : « في تحسن مطرد ، وهو قادم قريباً  
إلى باريس . »



الضابط القديمة . ولكن هنا تزلزلت المرأة وتخاذل  
جلدها كمن صدمته مفاجأة عظيمة - وما أشدها  
صدمة وأعنفها - فإذا بها قد صرخت ، أن جسده  
الجريح ينتهي هنا ، بغير ذراعين وبغير ساقين .  
ما هو إلا جذع أبتر ، بقي بفضل معجزات الجراحة  
خرقة ممزقة في نهايتها رأس حي  
وتغم الفم - الأسود من حريق اللحم - في  
ضراعة وذلة :

- أوديت ، أوديت !

كأنما يلمس الصفح عما هو رازح تحته  
من بلاء

ولكن كانت أوديت قد ولت مجفلة تدفع  
من طريقها الخدم المتجمعين أمام الباب ، وانطلقت  
على وجهها تركض في أطباق المنزل العليا لا تمي  
ما تفعل ، مولولة كأشد ما ولولت امرأة في مأساة  
إغريقية ، تصطدم بالآثاث والحيطان ، وتمزق  
شعرها المحلول ، وقد جن جنونها من دهشة وفزع  
واشمزاز

وهذا المخلوق المشوه المسوخ الخلقة زوجها !  
وواجب عليها البقاء إلى جانبه طول حياتها !

ولم يزل يئن في الطابق الأدنى ذلك الصوت  
الضارع الوجع مسترسلاً : أوديت ، أوديت !

واغمر ورقته بالدموع عينه الوحيدة . الكل  
يهربون ، حتى الخدم يتأملونه من بعيد ويحاول كل  
منهم الاختباء وراء زميله وهو متأفف على الحرب ،  
ومع ذلك يشرب بعنفه وعلى وجهه سيماء مبهمة  
من تطالع الفضول وانقباض النفور

وكان القوم يتجنبون لسه ، كأهم منه بأزاء  
كتلة غريبة تماهها الأنف ، بأزاء أخطبوط من

المائيات الرخوة بترت سواعده المتشعبة ، بأزاء مادة  
نخامية لا قوام لها لفظتها الحرب . هذا صاحب  
الملايين الذي كان شديد الحب للحياة ، أيا ظل أبد  
الدهر على هامش الحياة ! لقد أحدثت بليته فراغا  
حوله ، حتى كلبه المحبوب يئن على قيد خطوات منه  
يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، كأنما هو نهب دوافع  
تداول عليه دراكا ، من ولاء لسيده وفزع منه  
ولسوف يظل الحال مدى عمره على هذا  
النوال . . . آه حبذا للموت ! الموت العاجل ! وعلى  
حين نجاة تنحى جمع الخدم . هذا شخص يغشى  
القاعة ؛ ولح الجريح المشوه رأساً مجلاً بالمشيب  
يتقدم نحوه ، وأحس على وجنتيه الخدودتين بالجراح  
لس فم يتمسح بهما ، ويلثم لثمت الواله المصابة  
المسدلة على مقلته الجوفاء ، وأحس رشاش دم  
سخين يبل جيده ، وذراعين تطوقان في شغف  
وحركة عصبية بدنه الناقص المتكويين كأنهما  
تعللان طفلًا

وتصاعدت أنه :

- أماء !

- ولدي ! ولدي !

نسيمة : عهد الرحمن صدقي

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمتها أحمد محمد الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

وتنمها ١٥ قرشاً

# خِصَامُ

## للأسنان محمد تيمور

وحيزة . تعالى يا حبيبتي  
جلست « سلام »  
صامته بجوار أمها ، وروح  
الثورة ما زالت متأججة  
في صدرها . فاحتضنتها  
أمها وقبلتها . ثم قالت لها

وهي تحاول الابتسام :

— أريد أن نتفاهم يا حبيبتي .  
هل التفاهم حرام ؟ أتشكين في  
حبي لك يا « سلام » ورغبتي  
في إسماعك ؟  
— مطلقاً

— فاذا كنت قد اخترت  
« شوقي » زوجاً لك فلأنني  
وجدته أفضل شاب يليق بك .  
إنه شاب غني ، ذكي ، حائر لأرفع

الشهادات . ألا تعلمين أن فتيات كثيرات يتقاتلن  
عليه ، ويغترزن عودته بفارغ صبر ليتصبن له شباً كهني ؟  
— فلياً كلنه ... !

— لماذا تركه لمن ؟ لماذا ؟ وهل نجد  
أحسن منه ؟

— ومن قال لك إنني أبحث عن زوج ؟  
فنظرت إليها أمها نظرة جزع وألم ، وأخذت  
يدها وشدت عليها في تأثر ، وقالت في صوت  
مخنوق :

— لم هذا العناد يا « سلام » ؟ وإلى متى  
تحيين هذه الحياة المملة ؛ بعيدة عن المجتمعات ،  
بعيدة عن وسائل البهجة والسرة . أريدن تحطيم  
قلب أمك التي لم يبق لها في الدنيا سواك ؟ أليس

— أنت استدعيتني  
يا أماء ؟

— نعم يا « سلام » ؛  
استدعيتك فهلا حضرت  
لماذا ؟

فابتسمت « سلام »  
ابتسامة استخفاف وقالت :

— مطلقاً  
— ولكنني أؤكد لك أنك  
تعرفين ، ويسوؤني منك هذا  
التجاهل المصحوب بالازدراء .  
لو كنت مكانك لما وسعتني هذه  
الدنيا بأكلها ، ولكنني الآن  
على أحسن زينة وأزهي ملابس  
أستعد لقابلة خطيبي الجميل  
— خطيبي ؟

— لا تثيري غضبي يا « سلام » . اذهبي  
واخلمي ملابس الركوب . إنها ملابس زرية لا تليق  
لمثل هذه الظروف . اذهبي ورتبي شعرك وزيني  
نفسك

— ولكنني ذاهبة كما تعلمين لأقوم بنزهتي  
اليومية على ظهر فرسي « مبروكة »

— ألا يمكنك أن تتركي نزهتك يوماً واحداً ؛  
يوم عودة خطيبك من أوروبا بعد غيبة ستة أعوام ؟  
فلمعت عينا « سلام » ببريق الغضب . وقالت  
وهي تضرب قدمها بعصاها الصغيرة :

— لقد كررت على مسامعك يا أمي أنني لا أعرف  
لي خطيباً

— تعالى . تعالى اجلسي بجانب برهة . برهة





— أوه «سلام» كيف هي؟ ألا تزال تحية ضئيلة كالسمكة المقددة !

— السمكة المقددة ! ... إنها ملء العين والخطير . سمن على غسل ياسيدى !

— أنت تبالغين . ولكن خبرينى : أما زالت ترتدى ميدعتها الزرقاء المبرقشة بيقع الخبر ؟

— ما هذا الكلام ياسيدى ؟ إنك تتحدث عن الصغيرة «سلام» التى لم تكن تبلغ الرابعة عشرة بعد . أما الآن فهي غيرها بالأمس . إنها ترتدى الفساتين على آخر زى ، وترين نغمتها كعروس ليلة وُخلتِها ...

— وأين هي ؟

— خرجت راجبة فرسها لتتزهز نزهتها اليومية

— راجبة فرسها ؟ ! أمر مدهش للغاية ! — هناك ياسيدى ! ليس هذا كل شئ .

إنها تعزف على البيانو كأمر العازقات ، وتتكلم الفرنسية كالبلبل ، وتقرأ الجرائد ، وتفهم فى كل شئ

وسمع فى تلك الآونة ضهيل فرس ووقع حوافرها على أرض الحديقة الصلبة . فخرجت «تسفير» إلى النافذة ثم صاحت مهللة :

— إنها هي !

وأطل «شوق» من النافذة : وما كادت غيناء تقمان على «سلام» حتى صاح مدهوشاً :

— أهذا ممكن !

ونزل «شوق» ليستقبلها ، فراها تترجل بالقرب من الباب ، فتقدم نحوها ومد يده وهو يقول :

— هالو «سلام» كيف حالك ؟

فأجابته فى لهجة عادية بلا جماسة :

— الحمد لله . وأنت ؟

ودُهِش «شوق» من لهجتها ، ولكن راعته نبرات صوتها . وأخذ يتأملها طويلاً ، فإذا هي فى قوام ممشوق وحركات رشيقة وشمائل حلوة ، فيها طراوة ونجاذبية على الرغم مما يبدو عليها من إهمال .

وناولت «سلام» اللجام للسائس وأصدرت له أوامرها ، ثم سارت متجهة ناحية السلام و «شوق» سائر بجانبها صامتاً ، وقد أحسن على الفور بشئ يحيره ويتعجب فيها . وأخيراً تكلم فقال :

— يخيل إلى أن كل شئ على حاله فى هذا المنزل لم يتغير ، سوى أمر واحد هو ...

وظهرت الست «امثال» والدة «سلام» وكانت على أحسن هيئة ، مرتدية فستاناً منقوشاً منشى كأنه الورق المقوى . وشعرها يلعب من تأثير المكواة الحامية . تقدمت نحو «شوق» فى سهال ، وبسطت ذراعيها ، وقالت فى صوت متهدج :

— أهلاً وسهلاً بابننا العزيز . أهلاً وسهلاً بابننا الحبيب . إن يوم عودتك ليوم عيد لنا عظيم ! وطوقته بذراعيها وقبلت رأسه . وسمته يقول :

— إن سرورى برؤيتكم لا يقدر

ومسحت الست «امثال» عينيها الدامعتين

وقالت :

— لقد كنت أسأل عنك دائماً ولا يهدأ لى

بال حتى أطمئن عليك

وتأملته طويلاً وقالت :

— ماشاء الله ! ماشاء الله ! ربنا يحبنى لك

شبابك يا ابنى



ووقع بصرهما على « سلام » فأكفهر وجهها ،  
وقالت لها في لهجة نائرة مكتومة :  
— أبهذه الهيئة تقابلين زوارك ؟  
ثم التفتت سريماً إلى « شوق » وقالت :  
— لم تقصد « سلام » أن تظهر أمامك هكذا .  
لقد جمحت بها الفرس وضللتها فتأخرت في العودة  
على غير رغبة منها ، فلم تستطع أن تغير ملابسها ...  
فقال « سلام » في هدوء وهي تداعب  
عصاها :

— كلا يا أمي . لم تجمع بي الفرس ولم تضللي .  
فنظرت إليها أمها نظرة ملتهبة ولم تتكلم . وقال  
« شوق » وهو يبتسم :

— إن ركوب الجياد رياضة جميلة . واني أهواها

\*\*\*

اختفت « سلام » بعد هذه المقابلة ، ولم تظهر  
إلا وقت الغداء . وكانت ترتدي فستاناً عادياً غاية  
في السذاجة . ولم تمنن بزینتها . فثارت نائرة أمها ،  
ولكنها لم تستطع أن تتكلم . والتفت « شوق »  
نحو « سلام » وقال في لهجة مخلصه :

— لقد أحسنت اختيار هذا الفستان

يا « سلام » . إن لونه وتفصيله يشهدان بدوق سليم  
فأجابته في لهجة مؤدبة عليها مسحة الجفاء :

— أشكرك

وقالت « تسفير » العجوز :

— إنه من تفصيلها يا سيدي . ألا تعلم أن

« سلام » خياطة ماهرة ؟

فقال :

— لقد كانت وهي صغيرة تجيد تفصيل

البلاطى لقطعها ، وطالما خاطت لي أزراراً ساقطة

ورنقت فتوقاً في ملابسى  
ونظر إليها ، فابتسمت ابتسامة رسمية . وقالت  
تسفير :

— إنها كانت تفصل وتخييط جميع (مرايلها)  
فقال شوق :

— هذا صحيح . وعلى ذكر المرايل أذكر  
كيف أتيت مرة الحبر على واحدة فألتفتها  
تماماً ...

ألا تذكرين ذلك يا « سلام » ؟

فقال في لهجتها الرسمية :

— لا أذكر

— كان ذلك قبل سفرى بيضعة أيام ، عندما  
جئت تطلعين مساعدتى في حل بعض المسائل  
الحسابية ! فلم تجب . ثم حولت رأسها ناحية الباب  
وقالت للخادمة :

— متى تحضرين الأكل يا سيدي ؟

\*\*\*

بدأ الأكل وانتهى ، و « سلام » لم تفتح فيها  
إلا لتجيب بنعم أو لا ، أو غير ذلك من الكلمات  
الرسمية ، وكان كل ذلك مصحوباً بابتسامة مفتضبة  
أو إشارة مقتضبة . وكانت أمها تظلي كالرجل ،  
وطالما رمقتها بنظرة تأنيب حادة أو عتاب مر .  
أما « تسفير » . فقد باتت بفشل مروع في  
محاولتها إضحاك « سلام » أو تحريضها على الكلام .  
وقد أنقذ « شوق » الموقف بحديثه المسلى عن سفره  
وحياته في أوروبا وما اعتزم أن يفعله الآن

وترك الجميع حجرة المائدة . وذهب « شوق »

إلى الشرفة ليدخن سيجارة ؛ وانتحى ناحية في  
ركن بعيد ، وأخذ يفكر فيما مر عليه الساعة من

وعجب « شوقى » من أمر نفسه . إن اهتمامه بهذه الفتاة يزداد يوماً بعد يوم . لقد عرف مواعيدها فهو يراقبها ويستمتع بمراقبتها ويحدثها القصير المبتور كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وهو بجوار الباب كلما خرجت للركوب وكلما عادت . وهو تحت نافذة حجرتها يصنى فى شوق وحنين لأنغام البيان التى تعزفها . وهو فى الحديقة دقت زولها إليها عصرًا لتجمع الزهور . يسير جيئةً وذهاباً فى المشى الكبير وفى يده كتاب مطبق . ويبادلها التحية من بعيد أو من قريب . وكان أحب الأوقات إليه أن يذهب إلى مخبأ يطل على شرفة حجرتها حيث كانت تتمدد على مقعدها الطويل بعد خروجها من الحمام تجفف فى الشمس شعرها الأسود الطويل ، وقدماها العاريتان المشربتان بحمرة فاتنة تلمعان فى الضوء القوى . فكان يعجبه هذا المنظر الرائع ويشتهى أن يشبع عينيه منه طيلة العمر

وكانت « سلام » تعيش فى مملكة خاصة بها هى نفسها . لا أقارب ولا أصدقاء تزورهم أو يزورونها . أحب الأشياء إليها زهرة على ظهر قمرها فى الأماكن الطلقة الفسيحة غيطاناً كانت أو رمالاً ، أو كتاب تقضى الساعات تستمع إليه صامتة ، أو أمام « البيان » تفضى إليه ويفضى إليها بشكايات طوال . . .

هذا العالم الذى تعيش فيه « سلام » والذى يترأى للناس ضيقاً مملولاً أخذ يتكشف لشوقى عن دنيا واسعة ترخز بالكنوز ؛ ولكنها ظلت دنيا بعيدة المنال عنه

وكره « شوقى » هذا الغموض الغريب القائم بينه وبين « سلام » . فاستولت عليه فكرة خريشة اعترم تنفيذها مهما يكلفه الأمر نزل يوماً إلى الحديقة وكمن للفتاة . وبعد قليل

مشاهد ، وهو حائر لا يستطيع لها تفسيراً . وبينما كان على هذه الحال رأى « سلام » تدخل الشرفة . وما كادت عينها تقعان عليه حتى توقفت عن السير وتأهبت للعودة وهى تقول :  
— لا مؤاخذه !

وسار إليها « شوقى » وقادها إلى الطنف وقال لها فى عتاب :

— أزعجك مرأى إلى هذا الحد ؟

— أنت بلا شك متمب وتطلب الخلوة لتستريح !

— الحمد لله . هذه أول جملة طويلة أسمعها منك منذ حضورى

— ماذا تعنى ؟

— أتذكرين كيف كانت « سلام » الصغيرة تملأ المنزل كله بكلامها وضجيجها ؟ فابتسمت فى إهمال وقالت :

— إن « سلام » الصغيرة قد ماتت !

— ولكنها تعود إلينا أبهى وأعظم مما كانت . وأمسك يدها يداعبها فسحبها منه وخرجت . و « شوقى » ينظر إليها فى حيرة

\*\*\*

ومضى أسبوعان « وسلام » لم تغير مسلكها نحو « شوقى » كما أنها لم تبدل شيئاً من حياتها التى اعتادت أن تحياها . فلم تكن تطيل وقوفها معه . بل تقتصر على السلام وتبادل الكلمات القليلة . وكان يحس بأنها تتجنب مراءه بقدر المستطاع ، مع محافظتها على المظاهر فى أدب ولياقة . ولم تستطع أمها بعتابها تارة وتوبيخها تارة أخرى أن تحملها على تغيير مسلكها . فتركها وشأنها خشية أن تسوء العاقبة .



— ألم تدركي شيئاً من أمرى يا «سلام» ؟  
— ألم تكتشفي شيئاً مما يضطرم في قلبي نحوك ؟ فلم  
تجيب . وكانت تنظر أمامها ولا تتحرك .  
فقال :

— لماذا لا تجيبين ؟

وأراد أن ينال يدها ، فأبعدتها عنه وهي تقول  
في اصرار :

— دعني واخرج . قلت لك دعني واخرج !

فصمت برهة وهو متعجب متحير ، ثم قال :

— ألى هذا الحد تكرهينى يا سلام ؟

— أجل . أكرهك . أكرهك .

— ولماذا تكرهينى ؟

— لأنك أناني ، بطال ، قلبك من حجر ...

أندكر ليلة سفرك ؟

— اذكرها تكلم بعيد

— أما أنا فأذكر حوادثها كأنها حدثت

أمس . إن مشاهدتها محفورة في ذاكرتي

وصممت برهة تستعيد ذكريات الماضي ، ثم

قالت في لهجة أقل حدة من ذي قبل :

— ... كنت مشغولاً بترتيب أشتياك .

روح ويحيى ، وأنت تصفر مغتبطاً ، وكنت أتبعك

صامتة وأنظر إليك في بحس . فالتفت نحوى بفتة

وقلت في حدة : « أجلسي هنا ولا تتبعيني »

فجلست وأنا لا أفهم سبب حديثك ، وأجاسب

نفسي فيما يكون قد بدر منها فكان شيئاً في

غيبك ... كانت عيناى لا تفارقانك وأنت تزوج

ويحيى مشغولاً دائماً بأشتياك وحقايقك ، أسمع

صغرك فلا الروى الواحد وأنا صامتة . وطالت

جلستى ، وأوشكت أن تقفل الحقائق ، فسمعت

حارت وأخذت تقطف الزهور . وكان المكان خالياً  
بغير الصمت . وخرج « شوقى » من مخبئه ،  
وانسل إليها من الخلف فأمسك رأسها وأداره ناحيته  
بسرعة ، وطبع على فيها قبلة عميقة حارة . ثم  
تركها ...

فوقفت الفتاة برهة أمامه مصمومة لا تتحرك  
ولا تتكلم . ثم اجمرت بفتة وجهها واحتجنت عيناها  
وقالت وهي ترتعش :

— أيجزؤ على ذلك ؟

وتهدج صوتها وانحبس . ثم رآها ترفع يدها  
في وجهه . ولكنها أنزلتها ، واستندارت بسرعة  
وجرت منوب المنزل . ووقف « شوقى » يراقبها  
حتى اختفت . لقد رأى عيناها تلتمعان بوميض  
غريب لم يره من قبل . وجرى خلفها حتى وصل  
إلى حجرتها ، فوقف بجوار الباب يتسمع .  
فوجدتها قد ألقت بنفسها على السرير واندفعت تبكي  
في شدة وحرارة ؛ فصبر عليها حتى انتهت من  
البكاء ، ثم دخل الحجرة في خطوات بطيئة ، فرآها  
جالسة على السرير تحجفت بقايا دموعها . وما إن  
وقع بصرها عليه حتى أشارت له إلى الباب وقالت  
في حدة :

— اخرج !

فتقدم نحوها وقال في هدوء :

— ألا أستطيع أن أعلم سبب هذا الخصام ؟  
فصاحت :

— خصام ؟ أى خصام ؟ ...

— خصام أو حقام . سمع كاشانين

وجلس على مقعد بالقرب من السرير ، وقال  
في جنى وإخلاص وهو يحدق فيها بحديقاً عميقاً :

بغثة بدافع قوى يدفعني نحوك . فقفزت وتعلقت بك ، وقلت لك في سذاجة بريئة : « لماذا لا تأخذني معك ؟ »

فانظرت إلى في سخرية وغيظ ، ثم دفعتني بيدك ، وخرجت من الحجرة كالزوبعة . في تلك اللحظة شعرت لأول مرة بأن غشاوة كانت تغشى عيني وأنها أخذت تنقشع . فخرجت لأجرى إلى حجرة الفرش وجلست القرفصاء في ركن من أركانها ، ولم يخفني الظلام ؛ بل أنست به ، لأنني كنت في حاجة إلى الوحدة والتفكير . وأخذت أعرض حياتي معك على ضوء جديد ، فوجدتها غريبة جداً . . . أجل كانت غريبة جداً ، كنت أعتقد أنني لا أستطيع أن أعيش بدونك . كنت أنزل إلى الحديقة وانتظر عودتك من المدرسة . أعد الدقائق واللحظات ، فما أكاد ألمحك حتى أهرع إليك مهلة باشية فتستقبلني في جفاء ، وتلقى على تحيتك كما يلقي السيد تحيته على خادمه . ثم تعطيني محفظتك المكتظة بالكتب فأحملها لك راضية إلى حجرتك . . . وكنت أحب أن أحادثك لأسليك فتصدني وتشعري بأن حديثي سخيف لا يليق أن يسمعه شخص مثلك . وإذا حدثتني فحديثك دائماً عن شخصك وعن مشروعاتك وعن النجاح الذي ينتظرك . . . دائماً عن نفسك ، دائماً . . . وكنت أصني إليك في اهتمام وشغف ، ولا أمل حديثك . وأتصورك وقد غدوت عظيماً من العظماء ، كقائد منتصر أو كملك كبير ، ينظر الناس إليك نظرة الخشوع والاكبار ، وأنظر إليك أنا نظرة العبادة . وكنت أنتظر منك - في ذلك الوقت - بالرغم من ذلك ، شيئاً ، شيئاً واحداً . كلمة ، أو إشارة ،

أو ابتسامة ، تحمل المعنى الذي أطمع فيه . . . ولكن لم يلفظ لسانك بتلك الكلمة ، ولم تبد منك هذه الإشارة . . . وفي يوم رحيلك ذهبت إلى البهو مبكرة واختبأت خلف إحدى الستائر . وانتظرت هناك طويلاً ، وأنا أرتجف وقلبي يبق بشدة . . . ورأيتك أخيراً وحولك أهل المنزل تودعهم ويودعونك . وتذكر اسمهم اسماً اسماً ، ولم أسمعك تسأل عنى أو على الأقل تبعث إلى بتحيتك . وخرجت وأنت متهلل الوجه ، تصفر بذلك اللحن ذي الروى الواحد ؛ وخرج الجميع يتبعونك إلى الحديقة ، وأقفوا الباب ، فلم يعد في البهو سواي . فتركت غيبي وهرولت إلى حجرة الفرش ، وجبست نفسي فيها طول اليوم ، أذرف الدمع صامتة . . . من ذلك اليوم كرهتك وكرهت « الرجل » في شخصك . لقد كنت وقتئذ صغيرة جاهلة غبية ، يحق لك أن تقول ذلك . ولكن كان لي قلب ، وكانت لي أحلام ، فبدست ذلك القلب ، وحطمت هذه الأحلام . أما أنت فقد تجمع فيك كل شيء : ذكاء ، وعقل ، وعزيمة . ولكن كان يعوزك شيء واحد وهو في نظري كل شيء . . . فتمتم شوقي :

— . . . ولكن كان ذلك فيما مضى ، أما اليوم . . .

— لقد فات الأوان ، إن الهاوية التي بيننا سحيقة جداً ، ولا يمكن أن نتخطاها وصمتت ، و« شوقي » ينظر إليها ولا يتكلم ، وطال صمتها . وأخيراً قام « شوقي » وتناول يدها في سكون ، وطبع عليها قبلة عميقة ، ثم خرج بلا كلام !!

\*\*\*



- ومضت الأيام ولاحظ الناس على « شوقي »  
تغيراً كبيراً ! لقد قلّ كلامه ، وغاضت ابتسامته ،  
وكثر تفكيره ، وآثر الوحدة في حجراته أو في  
ركن ناء مختلف في الحديقة ، يقضى وقته يفكر في  
كآبة . وكان يتجنب جهد إمكانه مقابلة « سلام » ،  
فاذا اضطر إلى لقائها سلم عليها في أدب ، ولم يطل  
وقفه . أما هي فقد عجبت وازدادت انطواء على  
نفسها . وكانت عينها الواسعتان السوداوان  
قد أخذتا في الذبول وانطبعت عليهما آثار البكاء ،  
تنطقان بحيرة وقلق وبأس دفين !
- وفي ذات يوم من الأيام كان « شوقي » في  
حجراته يرتب أشياءه في حقائبه ، تساعد « تسفير »  
العجوز . وكان يعمل صامتاً ، ولا يجيب على أسئلة  
« تسفير » إلا في اقتضاب ، والمرأة حائرة حزينة ،  
وسمعا شوقي تقول :
- وإلى أين تسافر يا سيدي ؟
- خارج القطر
- أين ؟ ...
- لا أدري !
- ولماذا عدت إلينا إذن ؟
- العلم عند الله
- .... وفي الصباح المبكر تاهب المنزل لوداع  
« شوقي » ، وخرج الفتى إلى البهو وهو يحمل  
معطفه على يده . كان يسير متمهلاً ، ويسلم على من  
حوله في وداعة عليها مسحة الكآبة . وقبل أن  
يتخطى الباب وقف والتفت حوله يؤمل أن يرى  
شخصاً معيناً بين الحاضرين ، فلم يجده ، ووقع  
بصره فجأة على إحدى الستائر وكانت تهتز ، فأخذ  
يحقق فيها وقلبه يخفق أهو الهواء يحركها أم هوشى .  
آخر ... ؟ وطالت وقفته كما طال تحديقته في  
الستارة ، وقد تتابع خفقان قلبه ... ولكن  
الستارة سكنت ولم تعد تتحرك ... فحوّل وجهه  
نحو الباب وهو يوسع الخطى نأ
- محمود نيمور

أطبركا كتاب :

الشيخ عفا الله

وقصص أخرى

تأليف الأستاذ محمود نيمور

يطلب من جميع المكاتب الشهيرة وبالأخص من مكاتب القاهرة الآتية : النهضة بشارع  
المدابغ رقم ١٥ . الانجلو بشارع قصر النيل رقم ٣٣ . الوفد بشارع الفلكي رقم ٥٣ . دار النشر  
بشارع عابدين بجوار سينما رويال . وثمن النسخة خمسة قروش

كذلك أطبركا :

نشوء القصة وتطورها

ثمن النسخة قرش صاغ واحد

# الينورا

للكاتب الأمريكي إدجار آلان پو

بمكالم الأستاذ محمود الخفيف



لقد انحدرت من قوم أخص صفاتهم الخيال المشبوب والم عاطفة الملهبة، ولقد دعاني الناس بالمجنون! ولكن الناس لم يصلوا بعد إلى رأى فى الجنون. نعم إنهم لم يستطيعوا أن

يقرروا ما إذا كان الجنون هو الذكاء فى نسقه الأعلى أم إنه ليس من الذكاء فى شىء. لم يستطيعوا أن يقطعوا برأى فى القضية الآتية:

أليست كثرة أفكارنا المتميزة بالسمو، بل وجميع ما يتصف منها بالنضوج والعمق، إنما هى صادرة عن مرض فكرى أو حال غريبة من حالات

العقل تسمو وتعظم على حساب غيرها من ملكات التفكير؟ وإن هؤلاء الذين يحملون فى النهار خليقون أن يصلوا إلى أشياء تغيب عن لا يحملون إلا فى الليل؛ ففى رؤاهم الشاحبة تترأى لهم لمع من الخلود، حتى إذا ما استيقظوا سرت فى أجسامهم النشوة أن كانوا على حافة السر الأكبر!

وعلى هذا أقول إنى مجنون! أو على الأقل أسلم أن هناك ناحيتين فى وجودى الفكرى تتميز إحداهما من الأخرى؛ فأولاهما ناحية البصيرة التى لا تقبل الجدل، وتتصل بذكريات العهد الأول من حياتى، وأخرها ناحية الشك والغموض، وتتصل بالحاضر كما تتصل من الذكريات بما يكون

العهد الثانى من وجودى. وعلى ذلك فإذا حدثتك عن شىء من عهدي الأول فصدقه؛ أما عن العهد الثانى فأنت مخير بين أن تقابل ما أحدثك به عنه بما يستحق من الثقة، أو أن ترفضه رفضاً تاماً!

كانت تلك التى أحببتها فى صدر شبابهى والتى أتلو عليك من ذكريات غرامى بها ما أتلو فى هدوء ووضوح، الابنة الوحيدة لخالتى الوحيدة التى ودعت هذا العالم من زمن بعيد. وكانت ابنة خالتى هذه تدعى ألينورا؛ ولقد عشنا متلازمين فى وادٍ كثرت ألوان

زرعه، سميناه « وادى الألوان »، وما كانت تستطيع قدم غريبة أن تهتدى إلى مسالك هذا الوادى؛ ذلك لأنه كان يقع على ربوة عالية تحيط بها شعاب شاهقة كثيراً ما تحجب الشمس عن عدد من بقاعه. وفضلاً عن ذلك لم يكن ممراً لأحد حتى تشق الأقدام طريقاً فيه؛ وكثيراً ما كنا نضطر ونحن عائدان إلى منزلنا أن نفسح طريقنا بأيدينا بين الأغصان المشتبكة فى كثير من الشقة، كما كنا نطأ بأقدامنا آلاف الزهرات فننفضى على الكثير من معالم الجمال فى هذا الوادى... هكذا عشنا وحيدين سعيدين لا نعرف شيئاً عن الحياة وراء وادينا الجميل، أنا وخالتى وألينورا



الحال خمسة عشر ربيعاً قبل أن يعرف الحب طريقه إلى قلوبنا ، إلى أن كنا ذات مساء جالسين تحت هاتيك الأشجار ، وهناك تعانقنا ونظرنا إلى خيالينا



في « نهر السكون » . ولم تنفرج شفقتنا عن كلمة أثناء هذا العناق ، وظللنا صامتين بقية النهار إلا عبارات مضطربة خائرة عما كنا ننوي أن نفعله في الغد . وكأننا أخرجنا من النهر قوة خفية أشعلت في روحنا جذوة آباءنا الأولين ؛ فلقد أحسنا أن حدة العاطفة التي امتاز بها جنسنا على مر القرون مشفوعة بما عرفوا به أيضاً من قوة الخيال قد دب ديبها في نفسنا ؛ وسرعان ما بث ذلك في « وادي الألوان » روحاً جديدة .

رأينا يد التغيير تمتد إلى كل شيء هناك . فقد انبثقت زهرات بيضاء ناصعة في شكل النجوم على أغصان لم يكن يزينا زهر من قبل . وازدادت نضرة البسط الخضراء في أعيننا ، وكانت إذا

في هذا الوادي الحبيب يجري نهر ضيق عميق قد انحدر إليه من منبعه فوق هاتيك الجبال ؛ وكان لهذا النهر الجميل بريق غريب أشد لعاناً من كل شيء إلا عيني أليانورا ؛ وكان كثير المنعطفات ، إلا أنه كان يجري ساكناً وادعاً ، يشعر المرء على ضفتيه بميل قوى إلى السكينة والهدوء ؛ ومن أجل ذلك سميناها « نهر السكون » . وكانت تمتد على ضفتي هذا النهر ، وعلى ضفاف الغدران التي تنساب إليه بسط وثيرة من العشب النضير ، سالت في نواحيها الألوان التي تملأ الجو بعبيرها الفياح ، فمن زهرات صفراء فاقعة وساطعة ، إلى زهرات بيضاء يستوقف البصر بياضها ، إلى قرنفلات حمراء ملتهبة ، إلى ورود قرمزية رقيقة ، إلى محاجر بنفسجية باسمية ، إلى غير هذه وتلك من مؤلف الزهر وشتيته ، مما يزدان به الوادي ويبلغ به حداً بعيداً من الجمال العبقري ، ذلك الجمال الذي كان يتحدث إلى قلوبنا في صوت جمهوري عن الحب وعن عظمة الله الخالق الباري الصور .

وكانت تتناثر في أنحاء وادينا أشجار باسقات يجدها المرء هنا وهناك في بقاع من العشب الأخضر شبيهة بما يراه النائم من الجنات ، وكانت تجمع جذوعها بين سواد الأبنوس وبياض الفضة ، وكانت ناعمة ، ناعمة تفوق كل شيء في نعومتها إلا خدي أليانورا . ولولا ما كانت تراه العين في ذراها من الأوراق لأوحى إلى المرء خياله بأنها مجموعة من ثعابين سوريا الهائلة ، تؤدي في تمايلها واجب الخضوع إلى القوة المسيطرة عليها وهي الشمس !

في هذا الوادي الساحر كنت أتجول كل يوم أنا وأليانورا ، ويدها في يدي ، وقصينا على هذه

لقد أحست أن أجبيع النون يمس قلبها ، وأنها  
كبعض الزهرات الغضة في الوادى ما خلقت تامة  
الجمال ألا لتموت ! ولكن الرعب الذى يبعثه القبر  
كان يترأى لها فى فكرة كشفت لى عنها ذات  
مساء وقت الطَّفل على ضفة « نهر السكون » . كان  
يزعمها أن تفكر أننى حينما أوارى جثمانها فى « وادى  
الألوان » لابد أن أنصرف عن " هذا المكان الجميل ،  
ومن ثم فلا بد أن ينصرف حبي الذى أمتحها إياه  
الآن فى هيام وشدة إلى فتاة غيرها ممن يعشن  
خارج الوادى ، إلى فتاة عادية ممن يصادفهن المرء  
كل يوم فى هذه الدنيا

هناك ألقيت نفسي في لفحة وسرعة على قدمي  
الينورا وفهمت أمامها بقسم أشهدت الله عليه أنني  
لن أتزوج بعدها أية فتاة من بنات الأرض ، وأنني  
لن أظهر ما عشت ما يشعر بتغافلي عن ذكراها  
العزيرة ، أو ذكرى حبها الصادق القوي الذي  
غمرت قلبي به وجعلتني أعرف في ظله نعيم الحياة ؛  
ثم اتجهت ببصري ثانية إلى السماء وأشهدت على قولي  
الله المسيطر على ملكوت السموات والأرض . وإن  
اللعنة التي رضيت أن ينزلها علي إن أنا حنثت في  
عيني ، وصورة العذاب التي قبلت أن يحل بي ،  
ليبعثان في الأفئدة من الرعب والفرع ما لا أسمع  
معهما بتفصيل في هذا المقام . ثم نظرت إلى عيني  
الينورا اللامعتين ، فرأيت بريقهما يشتم مع كلماتي ،  
ثم رأيتها تتنفس الصعداء كما لو أنها ألفت عن  
صدرها عبثاً كاد يزهقها . ولم تلبث بعد ذلك أن  
أخذتها رعدة شديدة وتساوتل دمعها السخين . ولكنها  
قبلت عيني وصدقت دعواي . وايت شعري ماهي ؟  
ألم تكن طفلة غريبة ؟ يا لها من فتاة بريئة ! لقد

انطفأت الزهرات البيض لا تلبث أن تحمل محلهن  
عشرات من الزهرات الحمر المشتعلة ؛ وفضلاً عن  
ذلك فقد دبت الحياة في مسالك الوادى ، فلقد رأينا  
الطاووس فى موشيته العبقريه يختال فى حاشية من  
الطيور الجميلة ما كانت تقع عليها الأعين من قبل .  
ورأينا ماء النهر يزخر بالسمك الفضى اللون ، وقد  
انبعث منه خرير حلو ما تزال تعلو نغماته حتى تنتهى  
إلى هدهدة جميلة ، أكثر قداسة من أنعام قيثاره  
« أولوس » ، وأحلى غناء من كل صوت إلا صوت  
الينورا . وإذا رفعنا أبصارنا إلى السماء رأينا قوس  
الغمام الذى كنا نراه من قبل عظيم البعد ، قد اقترب  
منا حتى ارتكز من طرفه على قمم الشعاب المحيطة بنا  
فظللتنا ألوانه الجميلة وحولت ما كان يكتنف الجبال  
من كآبة قابضة إلى رواء بارع ، وصرنا حياله نشعر  
كما لو كان يحجزنا إلى الأبد فى بقعة من الجمال والعظمة  
كان جمال الينورا جمالا ملائكياً ؛ ولكنها  
كانت فتاة ساذجة بريئة ، فلم يتخذ ذلك الحب  
الذى أيقظ قلبها من الخديعة حجاباً يخفى قوته  
ويستر توقده . تبينت ذلك فى خلال حديثنا بين  
الأزهار فى « وادى الألوان » ، حينما كانت تشير  
إلى ما طراً على الوادى من تغيير

وأخيراً ، حدث أن أفضى بنا الحديث ذات يوم إلى الخاتمة المحزنة التي لا بد أن يصير إليها أهل الفناء . وكنا نجبس دموعنا أثباء ذلك الحديث ؛ ومنذ ذلك اليوم رأيتها تعاود الكلام في هذا الموضوع ، وصارت يَدْخُلُه في جميع أحاديثنا ، على نحو ما تراه في أغاني شاعر شيراز من تكرار الصور في كل عبارة يكسبها شكلاً أخذاً من الإيضاح والبيان .



جعلتها عباراتي تنظر حتى إلى الموت نظرة هدوء  
ويسر . ولقد أفضت إلى بعد ذلك بأيام ، وهي تخطو  
إلى الموت خطوات هادئة ، أنها جزاء وفاقاً لما فعلت  
ولما أخذت على نفسى العهد الذى أنلج خاطرها  
وطمان روحها ، ستعنى بي فى السماء حينما تسلم الروح ،  
وإذا سمح لها فستظهر لى فى جلاء بين أطيايف الليل .  
وإذا كان هذا فوق مقدور الأرواح فى جناتها فسوف  
تشرعنى بوجودها بمختلف الاشارات فأسمع تهدياتها  
فى رباح المساء ، أو أشعر بالهواء محملاً رائحة عير  
الملائكة ونفحات الفردوس . . . وفى مثل هاتيك  
الأحداث الحلوة تنفرج عنها شفتاها الجميلتان أسلمت  
روحها البريئة إلى بارى الحياة

\*\*\*

كان قوام حديثى حتى نهاية هذه المرحلة من  
تاريخ حياتى الاخلاص والصدق ، ولكنى حينما  
أجتاز ذلك السياج القائم فى طريقى ، ذلك السياج  
الذى كونه موت حبيبتي ؛ وحينما أخطو أول خطوة  
فى المرحلة الثانية أحس كأن ضباباً ينعقد أمام بصرى  
فيتركنى فى حيرة . لا أدري إن كان ما أتلو بعد  
من حديث سيجمل على التعقل أم سيجمل على  
الجنون ! ولكن دعنى آت بالحديث على سرده

تعاقبت السنون وئيدة الخطى طويلة المهل ،  
وما زلت مقيماً فى « وادى الألوان » ، ولكن يد  
التغير قد تناولت للمرة الثانية كل شئ هنالك ؛  
فلقد تناثرت تلك الزهرات الشبيهة بالنجوم ولم تعد  
تراها العين بعد ، ورغبت تلك البسط الخضراء عن  
لونى الساطع ، وانطفأت الزهرات المحر واحدة  
بعد واحدة وجلت مكانها زهرات شبيهة بالميون  
السود ، كانت تذوى فى بطاء ، ولم يكن يعلق بها

الندى ، واختفت الحياة من مسالك الوادى ، فلم  
نعد نرى الطاووس فى زاهى ألوانه ، اللهم إلا فى  
أويقات كانت تأخذه العين فيها كاسفاً حزيناً راحلاً  
عن الوادى إلى قم التلال تتبعه جماعات الطير  
اللواتى أتين معه قبل ذلك . واختفت من مجرى  
نهرنا تلك السمكات الذهبية الفضية التى كانت  
ترينه من قبل ، وأخذ يخفت ذلك الخريف الحلو الذى  
كانت تفوق غماغمه وهدده أغانيه من قبل فيثارة  
« أولوس » سحراً ، والذى كان صوته أكثر قداسة  
من كل صوت إلا صوت أليهورا ؛ أخذ يخفت ذلك  
الخريف حتى احتبس وعاد النهر إلى سالف سكونه ،  
وذاب قوس الغمام ، وتلاشت فى السموات ألوانه  
البهيجة التى طالما ظللتنا فى هذا الوادى

ولكن أليهورا صدقت وعدها ؛ فلطالما سمعتُ  
حفيف رهط الملائكة ؛ ولطالما استنشقت العبير  
المقدس فى أرجاء الوادى . وفى ساعات تأملاتى حينما  
كانت تتوانى نبضات قلبى ، كنت أتبين فى هسيس  
الرياح التى تمس جبينى تهدياتها التى وعدتني ؛ كما  
كنت أتبين فى كثير من الأحيان غمغمة تتناوح  
بها ربح المساء . وحدث ذات مرة ... آه ولكنها  
مرة واحدة ! حدث أن أققت من نومة عميقة  
كانها الموت ، على ضغط شفتين علويتين كانتا  
تلاصقان شفتي .

ولكن الفراغ الذى أحسسته فى قلبى أبى أن  
يمتلئ حتى على هذه الصورة ؛ وتآقت نفسى إلى  
الحب الذى أفعم من قبل ذلك القلب حتى طفع  
به . وأخيراً أصبح الوادى ينبعث ألم لفؤادى لما  
يشره من ذكريات أليهورا ، فتركته إلى غير رجعة ،  
وأنخذت طريقى إلى مضطرب من هذه الدنيا حيث

تزخر الحياة بالغرور والمتاعب والفوز !!

\*\*\*

ألفيت نفسي في مدينة غريبة ، كان كل شيء فيها جديراً بأن ينق من الذاكرة أحلامى الجميلة الى ورثتها من « وادى الألوان » ؛ فلقد أذهلنى وحير عطفى ما وقعت عليه عيناي من مظاهر العظمة والأبهة في ردهات البلاط ، وملأت نفسي قبعة السلاح ، واستوقف بصرى جمال النسوة ومفاتيهن ، ولكن روحى على الرغم من ذلك ظلت أمينة للعهد الذى قطعته والقسم الذى أدبته ؛ وزيادة على ذلك كان شبح أليانورا وكل ما يشعرنى بحضورها يملأ المكان حولى في سكون الليل ؛ ولكن ... على حين فجأة تلاشت كل هاتيك الرؤى وأظلمت الدنيا فى عيني ، ووقفت مشدوها أمام الفكرة اللذاعة التى ملكتنى . أمام العزم المرعب الذى ملك قيادى ؛ ذلك أنه وفدت على الحاشية الملكية المرحلة حيث كنت أعمل ، فتاة من بلاد نائية لم أعرفها ، فتاة استأثرت بلبى ، وأخذ سحرها بمجامع قلبى ، منذ اللحظة التى وقع فيها على شخصها بصرى ؛ فتاة لم أتردد ، ولم أحس بمشقة عند ما أحنيت رأسى لها فى أشد ما يكون عليه العاشق من حماس ، بل وفى أحط ما يتطلبه الحب من عبودية ؛ وأين ما شعرت به من عواطف نحو فتاة الوادى الصغيرة من هذا الهوى المشبوب وهذا الهيام الجامح ، وهذا التحنن الذى ينبض به قلبى حينما أرى روحى عبرات سيالة ، وأنا ملقى على قدمى « ارمنجارد » ؟ ومن هى « ارمنجارد » ؟ أليست ذلك المخلوق السماوى الذى يرق حتى عند الأثير ؟ آه ... يا حسنهما ! يا حسن ذلك الملاك الرفاف « ارمنجاد » . ما أظهرك

وما أعظم قداسك أيها الملاك ! إنها تملأ جوانب نفسى فلا أفكر فى سواها . وحينما ألقى نظرة على عينها النجلاوين ، وأرى مدى ما فى معناها من عمق ، لا أفكر إلا فيهما . وفيها لقد تزوجت غير خائف مما استزلته على نفسى من اللعنات ، ولم أشعر يوماً بشيء يزججنى لحنى فى يمينى . وحدث مرة - ولكن مرة واحدة فى سكون الليل ، أن تسربت إلى حجرتى خلال الستائر تلك التهديدات الناعمة التى هجرتنى ، وحولت نفسها إلى صوت جميل مألوف قائله :

« نم فى سلام ! فان روح الحب تحكم وتسيطر ؛ وإذا كنت تحمل فى قلبك اليوم تلك التى تدعى ارمنجارد ، فلقد غفر لك ما كان منك تجاه قسمك أمام أليانورا ، وأصبحت بريئاً من الأثم لأسباب سوف يكشف لك عنها حينما ترقى إلى السماء ! »  
محمود الحفيف

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً



في أرضنا هذه إذا كان  
في العالم أرواح ؟

والحق أن محاولة  
إقناع أمثال هؤلاء من  
أعسر الأمور ، فإن كل  
إنسان يستطيع أن يسأل

أسئلة معجزة من هذا النوع  
فلا يجد أحد جواباً عنها

ومن المستحسن بمسئد ذلك  
أن أوجه حديثي منذ الآن إلى  
من يصدقونه ، فإني رجل  
لا أطيق أن أكذب فيما شهدته  
بعضى ، ولا أحتمل أن يسخر  
أحد من القول الصادق

\*\*\*

اعتدت أن أذهب إلى

صديقي (على) في منزل قديم من المنازل الأثرية  
الموقوفة قد استأجره ليجمعه محترفاً يذهب إليه بين  
حين وحين لكي يخلو إلى التصوير ، لأنه كان  
مصوراً ماهراً لمناظر الطبيعة . وكان ذلك المنزل على  
ما قال لي ذلك الصديق سكنا في وقت من الأوقات  
للأمير رضوان بك الكبير أمير مصر وصاحب  
العمارات الأثرية ، وقطب دائرة الأدب والفن في  
أواسط القرن الثامن عشر

وكان رضوان في حياته الخاصة من أشد الأمراء  
ميلاً إلى الترف واللغو ، وكانت له قصور عدة جميل  
واحداً منها لمجالس لهوه وطربه ، يجلس في أمهاته  
الفخمة مع طائفة مختارة من الأدباء وأهل الفنون  
والموسيقيين ، فيقضي فيه ليالي كانت مضرب

قصة قصيرة

## مقتبسات من كتاب

للأستاذ محمد فريد أبو حديد



يمل أهل هذه الأيام  
ولا سيما الشباب منهم إلى  
التكذيب ؛ فهم إذا سمعوا  
شيئاً ووجدوه غريباً عن  
تصورهم أسرعوا إلى  
الاجابة قائلين : « هذا

كذب » والتكذيب لا يكلف  
الانسان شيئاً أكثر من أن  
يهز رأسه ويقول في تودة ووقار :  
« هذا غير معقول » وقد يقرن  
قوله هذا بابتسامة هادئة دليلاً  
على التسامح ، كأن العقل الانساني  
قد عرف كل شيء ، فإذا كان  
شيء غير معقول ، كان غير  
مقبول . والحقيقة أن العقل  
الانساني لم يدرك إلا أبسط ما في

الكون ، ولم يفهم إلا أقل ما في الخليفة . فأسرار  
الكون لا تزال بعيدة المنال عنه مستعصية عليه ؛ وما  
أحرأه أن يصدق وأن يتنازل قليلاً عن كبريائه وعناده ؛  
فإذا قال قائل مثلاً إن العالم مملوء بالجان لوى أهل هذا  
الزمان أعناقهم ونظروا إلى القائل شزراً . وقالوا  
متهانفين : « جان ! يقول صاحبنا هذا إن العالم مملوء  
بالجان ! كأنه قد رأى الجان بعينه ! »

ولوتأمل هؤلاء قليلاً لعلموا أنهم مخطئون ، فإن  
العين لا تبصر إلا بعض الموجودات ، فإذا هي لم  
تبصر شيئاً فليس عدم إبصارها دليلاً على عدم وجوده .  
وكذلك إذا قال أحد : « إن العالم مملوء بالأرواح »  
فإن من يسمعه من أهل هذا الزمان حري بأن يجيبه  
في سخرية وضاحك قائلاً : « أرواح ! ولم تبق الأرواح

الأمثال في الروعة والأبهة ؛ ولكن مؤامرات منافسيه وحساده اتخذت في قصوره سبيلاً خفية انتهت بإفساد بعض مماليكه عليه ، فخانه واحد منهم في قصره وضربه بطلق نارى أصاب ساقيه ، وكان سبباً في موته بعد قليل . ويقال إنه قد ضرب تلك الضربة في ذلك البيت الذى اتخذهُ صديقى لمختره ولوثت دماؤه أرضه في أثناء هربه من المؤمرين به وكان صديقى يحيط ذلك المحترف بغريب الأثاث ، ولا سيما ما كان منه على نسق أثاث العصور الماضية ؛ فكانت فيه أنواع مختلفة الأشكال والأعمار ؛ فقطع قديمة من الخشب المحروط (المشبك) ، وقطع من النحاس المسكفت ، وقطع من الأبنوس المطعم بالصدف والعاج ، كما كانت فيه كراسى قديمة من القش وأخرى من الخيزران ؛ وقد علق على الجدران قطعاً من تماثيل بعضها يمثل وجوها ، وبعضها بصور أجساماً ، وبعضها يمثل بعض الآثار الفنية من مخلفات اليونان والرومان ، ونصب بينها بعض لوحات من لوحاته تمثل الريف المصرى وحيوانه ، أو تمثل حداثى مصر ومناظر غيظانها ، وأدلى من السقف مصابيح من أنماط كانت مستعملة في الأزمان الغابرة في مختلف العصور . وكان أعجب ما علق على تلك الجدران بعض عظام للحيوان والإنسان بينها جمجمتان صفراوان تنظران إلى الجالسين كأنهما تقولان لهم : « لقد كنا كما تكونون » . وكنت أجد في اختلافى إلى ذلك المحترف شيئاً كثيراً من السرور : سرور من نوع خاص ، ليس كالسرور المعتاد الذى يهز النفس ويبعثها إلى المرح والضحك ، بل سرور يملأ النفس بشعور قوى من الارتياح يشوبه كثير من الميل إلى الجد

والاعتبار . ولعل هذا الشعور كان ناشئاً من جو المحترف ؛ فقد كان مكانه قديماً يشعر الداخل فيه أنه قد ولج بمض القرون الماضية . فاذا صعدت إلى سطحه رأيت حياى الجبل الشرقى المشرف على القاهرة وعليه القلعة العتيقة قلعة صلاح الدين تطلع كأنها تحدث عما شهدته من جليل الحوادث وعجيبها . فاذا نظرت حولى رأيت مأذن المساجد تشرف على الحى كما كانت تشرف من قرون ، ورأيت البيوت القديمة المهدمة ، وكأنها تقول : « رب يوم كنا فيه نمج بالحياة ونضطرب بالميل والمواطف ؛ فاذا نحن قد دكنا الزمان ، وعفى علينا البلى ، وأصبحت معالمنا أطلالاً وأكواما ! » . كان كل شيء حولى يحدث عن الماضى ، ولا يحيا فيه إلا ذكر الماضى . فكنت وأنا هناك أنسلخ من عصرى ومن الحياة الصاخبة حولى لأعيش حيناً مع أجيال الأجداد أجالسهم وأحادثهم وأناجيهم ، وكنت كلما التفت إلى الجدران ورأيت إحدى الجمجمتين المعلقين عليها خيل إلى أنها قد اكتست فصارت على عهدى ، إذ كانت آدمية حية ؛ وتصورت حيناً أنها تبسم إلى وتناجبنى بما كان من ملذاتها ومسراتها ، وحيناً أنها تقطب محوى وتساورنى بما كان من آلامها وشقاوتها . وكنت إذا ذهبت إلى ذلك المكان لا أبقى فيه إلا مادام النهار ؛ فاذا ما أقبل الليل أسرع بالخروج منه قبل أن يخيم الظلام عليه ؛ فلقد كنت فى الحق أخشى أن يظلمنى فيه الليل إذ كنت فى قرارة نفسى أفزع من جوه كما يفزع الإنسان من الليل فى جوار القبور . وذهبت مرة فى يوم من أيام الشتاء على دعوة



لم يكن لي معها مجال للتفكير ، وأنجلت الضجة عن اثنين يتحادثان ، وقد أقبلتا من وراء ستار من الديباج الأخضر رأيتني إلى يساري

ورأيت أحدهما شاباً صغير السن في نحو العشرين ، جميل الصورة ، أبيض الوجه ، أصفر الشعر ، يلبس عمامة مطرزة بوشى مذهب ، وعليه لباس غريب لا عهد لنا به اليوم ، فهو سراويل فضفاضة من الحرير الأحمر فوقها حزام أصفر عسجدي ؛ وقد لبس فوق ذلك كساء من الحرير الأبيض ضيق الأكمام عليه طراز من وشى مزركش بخيوط ذهبية . فكان في مجموع هيئته صورة لما تنقله إلينا أخبار التاريخ من صور عماليك الأمراء بمصر فيما مضى . وأما رفيقه فقد كان شيخاً يلبس ثوباً من الحرير المخطط الذي يلبسه اليوم أصحاب العمام ، وقد شد على وسطه حزاماً من الحرير الملون المنقوش ، وجعل على رأسه عمامة ساذجة بيضاء ؛ وكان يحمل في يده حقيبة صغيرة وطستاً من النحاس الأصفر مما كان مثله لا يزال مستعملاً عند الحلاقين منذ جيل . ولما اقترب الشخصان سمعت نجواهما

قال الشاب هامساً : سيحضر الأمير بمسد قليل فاستعد

قال الشيخ : لقد دعاني الأمير على غير عادته

قال الشاب : هو مجلس حافل

فسأل الشيخ هامساً : بقصر الأzbekية ؟

فهر الشاب رأسه علامة الإيجاب وقال :

سيحضر إليه هناك ندماؤه جبريل والقيمي وقاسم والادكاوي

فغمز الشيخ بعينه ، وتبسم قائلاً : ليسلة أنس من لياليه !

من صديقي ، وقضينا اليوم هناك حتى غروب الشمس . وكنت أشتغل في أثناء ذلك بكتابة قصة من التاريخ ، وكان صديقي منهمكاً في رسم ثور مصري قاعد إلى جنب مزود ، فلما أقبل الظلام تنهت إلى نفسي ونهت صديقي قائلاً له : « لقد آن أن نذهب » غير أنه تردد وقام إلى مصباح فأشعله وقال : « إنني أحب أن أبقى هنا إلى أن أنتهي من هذا الثور فقد طلبه مني أحد الأعيان ووعدت أن أرسله إليه في الغد ، ولا أملك أن أتطلق من موعدى ؛ فإذا قضيت مني جزءاً من الليل حتى أتمته كنت شاكرًا » . فلم أشأ أن أراجع صديقي في رجائه ، وكنت كذلك أحس من نفسي ميلاً إلى الكتابة ، فرأيت في البقاء هناك فرصة لإتمام ما بدأت كتابته ، فرضيت أن أبقى ، وأقبلت على ما كنت فيه ، وأقبل صديقي على إتمام صورة ثوره بحماسة وسرور . ثم تعبت من الكتابة بعد حين ؛ فاستلقيت في مكاني ، فاذا بي وقد استولى النعاس على فتمت ؛ ولم أدر كم بقيت على حالي تلك إلى أن تنهت على ضجة هائلة حولي فقممت مذعوراً ونظرت حولي فرأيت نوراً عجيباً ساطعاً من المصباح ورأيت المكان حولي على غير ما كنت أعهده ، فلقد كان مكسواً بأنواع الفراش والأثاث ، وعليه أنواع شتى من الستور والطنافس ، وصفت حوله الوسائد والمساند والزرابي ، وسمعت في المكان لغطاً كثيراً ، كأن أشخاصاً يتخاصمون فيه ، وكنت من دهشي لا أستطيع أن أذكر أين كنت ، ولا من أنا ، ونسيت ذكر صديقي ، ولم أملك نفسي مما دخلها من الروع . فجلست القرفصاء في الركن الذي كنت فيه وتملكني خشوع ، وعلتني رهبة

فتبسم الشاب وقال : لىالى رضوان كنتخدا المشهورة !

ثم اقترب منه وقال بحذر : والدواء ؟ هل أحضرته ؟

فسأل الشيخ باهتمام : هل يريده الليلة ؟

فهمس الشاب : لييلة أنس وفرح ؛ هل أحضرته معك ؟ الدواء ... ؟

فضحك الشيخ وأخرج من جيبه حُقا من الفضة ورفع نحوهُ قائلا : « ها هو ذا »

فتقدم الشاب نحوه وقد اتسعت عيناه وقال بشيء من اللفة : « أرني »

ثم مد يده اليه فأخذه بشيء يسير من القهر ثم فتحه وجعل يشمه

فاقترب الشيخ منه ، ومد اليه يده لاسترجاع الحُق قائلا : « حاذر ! »

قال الشاب : « لماذا أحاذر ؟ » ثم مد يده اليه بومي كأنه يريد أن يذوق منه

فقال الشيخ : « لا تذقه ، لا أسمح لك ، هذا ليس لك ؛ هات الحق »

فتبسم الشاب وقال : « لماذا تخاف على منه ؟ أهو سم ؟ »

فأجاب الشيخ مقطبا : « قبحك الله ! وهل أحمل السم ؟ »

فأعاده الشاب اليه وقال : « لا بأس ؛ استعد الآن ، سيأتي الأمير بعد قليل »

فأخذ الشيخ الحق وذهب به نحو منضدة فوضعه فوقها ، ثم أتجه نحو منضدة أخرى وجعل يرص عليها آلاته . وفيما هو مشغول في ذلك اقترب الشاب خلسة من الحق ، وأخرج من منطقتة ورقة مطوية ، ثم فتح الحق بخفة هجيبة ، ورعى فيه مادة

بيضاء مسحوقة سكبها من الورقة ؛ ثم أقفل الحق وبعد عنه وهو يغني أغنية قصيرة ، وجعل يساعد الشيخ على إعداد الماء وترتيب الزجاجات والماب وقد عراني وأنا أنظر إلى هذا شيء عظيم من الفزع ، ولكني لم أجرو على التحرك من مكاني بل ضغطت نفسي في ركني ، وجعلت ألتصق بالوسائد التي بجواري ، وأنكش بينها خوف أن يقع نظر أحدهما على

وقد عجبت إذ لاحظت أنهما وإن اتجها نحوى أحيانا يتجاهلان وجودي ، فداخاني من ذلك شيء من الاطمئنان وأفرخ روعي

وسمعت بعد حين حركة من تجاه الباب وصلصلة سلاح ، وأصواتا مختلطة ، وصباح صائح في الخارج يقول : « الأمير رضوان كنتخدا دام عزه ! » ثم فتح الباب وأقبل منه شخص بدين في ثياب زاهية تبرق بما فيها من الذهب ، وما يتخللها من الوشي ؛ وقد انعقدت على رأسه عمامة هي أشبه بالتاج بما عليها من الجوهر والوشي . ومنذ أقبل الرجل انحني الشاب المحناة عظيمة كما يركع الناس في الصلاة ، وحيا الشيخ تحية بالغة ؛ فعلمت أن ذلك هو الأمير الكبير الذي كان الرجلان يذكرانه في حديثهما .

ولم يلتفت ذلك الرجل إلى أحد ، بل ذهب إلى كرسي عال من الأبنوس المطعم بالصدف والعاج وجلس عليه ، فامتأ الكرسي به ، وترجع من ثقله ؛ ثم جعل الشيخ يحلق له رأسه ، ويسوى له من لحيته وشاربه ويضمخهما بالمطور والأدهان ؛ ولما فرغ من ذلك التفت اليه الأمير وقال له هامسا : « هل أحضرت الدواء ؟ »

فتبسم الشيخ وهز رأسه علامة الإيجاب وقال : « مولاي ! ها هو ذا »



فزاد اضطراب الفتى وقال وهو يلهث لا يكاد  
يبين كلماته :

« لا . لا أذوقه . ليذوقه هو . أظنه مسموماً .  
لماذا لا يذوقه هو ؟ إنه مسموم . »  
فصاح الشيخ حانقاً : « مسموم ! يا لك من  
لثيم وقح ! »

فقال الفتى : « إذن ذقه » والتفت نحو الأمير  
قائلاً : « لقد علمت أنه مسموم . قد دسه عدو  
الأمير عبد الرحمن كتنخدا — واتفق مع هذا الوغد  
على قتلك »

فقام الأمير ثاراً عند ما سمع هذا وقال للرجل :  
« ذقه . أو ذق هذا » وجرد سيفه الذي كان  
مدلى إلى جانبه

فتقدم الشيخ جريئاً إلى الحق ، وتناوله وهو  
ينظر إلى الفتى المضطرب وقال له بحنق :

« مسموم ؟ أنت لثيم كاذب منافق . هل أسم  
سيدي ؟ » ثم أخذ منه بإصبعه قطعة فابتلعها ، ثم  
أخرى ، ثم ثالثة . وقال :

« لم أكن أخاف إلا فعل هذا الدواء في وأنا  
رجل مسن . مسموم ؟ يا لك من منافق ! »

غير أن الدواء ما كاد يستقر في جوف الرجل  
حتى وضع يده على بطنه ونظر إلى الأمير وقال :  
« يا للعجب ! كأني ابتلعت كل أمواتي ،  
كأن أحشائي تنقطع »

ثم زاد به الألم فجعل يمصر بطنه ويأوى وجهه  
وارتمى وهو يتوجع ويصرخ ويستجير

فنظر الأمير إليه دهشاً وبقي صامتاً وهو ناظر  
إليه لحظة طويلة ، ثم انفرجت شفاته عن ابتسامة  
مرة وقال :

وأتجه نحو المنضدة التي كان عليها الحق فأحضره  
وقدمه إلى الأمير

فقال الأمير : « ومتى يؤخذ ؟ »

قال الشيخ : « قبل النوم بقليل ، بالخطات  
قصيرة ، فهو مؤكد وقوى »

فسأل الأمير : « أهو مجرب ؟ »

فقال الرجل : « مولاي ! عبدك ماهر في  
صناعته »

فنظر إليه الأمير وقال : « أحب أن تذوقه  
أولاً »

فقال الشيخ في صبيحة مكتومة : « أذوقه ؟ »  
قال الأمير : « نعم » ، ورفع حاجبيه متعجباً  
وهو ينظر إلى الشيخ المتردد . وقد رأيت الفتى  
عند ذلك يضطرب في مكانه ثم تمالك نفسه وتكاف  
الهدوء ، والأمير مشغول عنه بالنظر إلى الشيخ

فقال الشيخ في شيء من الارتباك : « ولكني .. »  
فقاطعه الأمير في شيء من الغضب قائلاً :  
« هل تخاف أن تذوقه ؟ »

فأسرع الشيخ معتذراً يقول : « مولاي ،  
لا أخاف شيئاً ولكني رجل شيخ »

فقال الأمير مستمراً في غضبه : « وما ذا ؟ »  
قال الشيخ : « ليس هذا لمثلي ؛ فليذوقه هذا  
الشاب وأنا ضامن سلامته بحياتي »

فتردد الأمير لحظة ، ثم نظر نحو الفتى وناداه  
قائلاً :

« تعال يا حسن . ذق من هذا »

فاضطرب الفتى وتردد لحظة ، ثم انفجر قائلاً :  
« مولاي ! »

فقال الأمير متعجباً : « ما ذا ؟ »

« كم أخذت أيها الخائن ثمنًا لخيانتك ؟ أ كنت تطمع أن تكون من الأمراء إذا أنت قتلتي ؟ أ كنت تأمل أن يمتد بك العمر مائة عام بعد هذه الشيخوخة لتنعم بثمار خيانتك ؟ ذق إذن طعم السم الذي كنت قد أعددت له »

ثم اقترب منه وركله برجله ركلة عنيفة قلبته على الأرض فبدا وجهه المحتقن المتقاص من الألم ، وكان منظراً بشعاً فظيماً

وحاول الشيخ الكلام فلم يستطع إلا حروفاً مقطعة يقذفها بين الآهات والأناث ، فلم أستطع أن أجمع منها إلا قوله :

« إنني الآن على شفا القبر فلا أكذب ... خذ مني كلمة صدق أمام الله الذي سألقاه بعد قليل ... لم أدرس لك السم بل قد دسه لك هذا المملوك الخائن الواقف وراءك ، فانه لم يقرب أحد من علبة الدواء إلا هو ، ولقد لمحتة يقترب منه وأنا أجهز عدتي ، ولكن القضاء غلب على فلم أفطن إلى قصده ... فاحذر هذا الغادر والله على قولي شهيد »

وما أتم الرجل كلامه حتى انقلب على بطنه ثم فارقه الحياة

ونظر الأمير نحو المملوك فلم يجده ، إذ كان قد اختفى مسرعاً كالأرنب عند ما سمع كلام الشيخ فالتفت نحو الباب وضفق صائحاً وهو غاضب ، غير أن الصدى وحده هو الذي أجاب تصفيقه وصياحه ، وتبع ذلك صمت مثل صمت الصخر في الليلة الهادئة . ورأيت وجه الأمير قد اربد واتسعت جودته وبدا عليه اضطراب عظيم ثم تتم قائلاً :

« عجيب ! إنني أحس حولي بنذر الشر »  
ثم خطا نحو الباب محتسباً ولم يكذب بيلغه حتى فتح فجأة ودوى في الحجرة انفجار عظيم ؛ وعلا

دخان غطى المكان حيناً ، ثم سمعت خبطة قوية على الأرض فنظرت وإذا بالأمير صريع إلى جنب الشيخ المسكين ، وقد قبض بيده اليمنى على ساقه وهو يئن ، وسمعت أصواتاً مغلطة في الخارج تتباعد كأنها تهرب وهي تكتم الصيحات ، ثم رأيت الأمير يتحرك ثقيلًا وهو قابض على ساقه ، وقام وهو يمرج فأخذ سيفه في يمينه وانكأ عليه كأنه عصا ، ثم سار في بطاء شديد والدم ينزف من ساقه غزيراً ويلوث الأرض ، وخرج من باب صغير في خاف الحجرة وهو يئن ويتوجع ويقول في سيره :

« لأقطعنك أرباً ... آه أيها الخائن ! آه إذا نجوت ... وهيئات لي النجاة ! »

ومضت مدة قصيرة بعد ذلك ، ثم سمعت أقداماً من وراء الباب الكبير تسير كأنها في حذر وخوف ، ثم فتمح الباب وظهر منه رأس الشاب ، وسمعت من خلفه صوتاً يسأله « هل مات ؟ »

فنظر الشاب حول الغرفة حيناً ثم صرخ فزعاً : « أين هو ؟ إنني لا أراه ، ويلنا ! لقد نجنا ! هلموا لنذكره قبل أن يفوتنا فيهلكنا » ، فاشتد اللغط وزادت الضجة واختلطت الأصوات ، ثم تباعدت الجلبة شيئاً فشيئاً حتى عاد السكون وخيم على المكان . وعمراني في أثناء ذلك خوف لا أستطيع أن أصفه ، ولم أدر ماذا صنعت . ثم غبت عن الوعي فلم أفق إلا على صوت داو شديد يهز القضاء ، فقممت ونظرت فيما حولي فرأيت نافذة الحجرة مفتوحة قد اقتحمها الهواء الشديد ، وسمعت المطر ينهمر كأنه أفواه الميازيب ، وكان البرق يلعب متعاقباً ، والرعد يقصف كأنما هو دوى المدافع في ميدان القتال

ورأيت صديقى داخلا إلى الحجرة عقب ذلك



وهو مسرع لهفان ينادى : « ماذا بك يا أخى ؟  
لقد سمعتك تصيح صيحة منككرة ، أبك شر ؟ »  
وكأننى كنت عند ذلك قد نسيث ذلك  
الصديق ، فما كدت أراه حتى قمت أنتفض من  
الخوف ، ولم أطمئن حتى اقتربت منه - ولما  
استطعت الكلام سألته : « ما معنى هذا ؟ »  
فقال : « لقد انتهيت من صورتي متأخرا »  
فقلت : « أية صورة ؟ »  
فقال : « لا بأس عليك . تعال اجلس . لقد  
رأيتك نائما فلم أحب أن أزججك فذهبت للنوم في  
الحجرة المجاورة ، وكان المطر لا يسمح لنا بالخروج  
على كل حال . ولكن لم أراك في مثل هذا  
الاضطراب والانعراج ؟ »

فنظرت إليه نظرة عتاب وقلت له :  
لقد كانت ليلة لا أظن أننى سوف أرى مثلها  
في سائر حياتى ، ثم جعلت أقص عليه ما رأيت  
وأنا ألثت من الاضطراب .  
ولكن ذلك الصديق كان من أولئك  
الشكاكين الجفاة الذين لا يرضون أن يصدقوا  
شيئا ، فلما أتممت له قصتي تضاحك وقال :  
« ليتك أخذتني معك في حلمك المعجيب  
لأشاركك في هذه التسلية البديعة »  
وأما أنا فلم أجده ميلا إلى محاورته ، ولكنى  
كنت فيما بعد لا أزوره في محترفه إلا في ضحوة  
النهار الواضح

محمد فريد أبو حديد

## كل من يريد الحج يجد

### في كل خطوة سلامة

من البيت إلى السويس طريق مرصوف وسكة حديد مريحة ، وفي السويس لوكاندة  
مصر المشهورة بكل أسباب الراحة ، وفي البحر زمزم وكوثر وفيهما أبداع مافي  
البواخر الضخمة من متاع . وفي أرض الحجاز الأمان الموفور والطرق الممهدة  
والسيارات ، وفيها أيضا لوكاندة مصر في جده وفي مكة ، وفيها كذلك شيء جديد  
لم يجده الحجاج في المواسم الماضية وهو تنظيم العملة المحلية حيث يجدون كل  
عشرين ريالاً سعودياً بجنه واحد ذهب سمرأ ثابتاً

اعتزموا الحج واغثموا مرة واحدة

واستزيدوا من فوائده للصحة والدين

من كل قلبه ، وبقدسها  
من أعماق نفسه ؛  
ولقد كان موتها هو  
الصدمة الوحيدة التي  
تلقاها (نك) في حياته .  
ثم قال أخيراً :

— إن زوجتي  
يجب أن تكون ملة

بكل شيء ، عالمة بواجباتها جد العلم ؛ يجب أن تكون  
مهذبة عاقلة ؛ يجب أن تكون سليمة الذوق حسنة  
الاختيار تخضع لأمرى ، وتنصاع لرغبتى ، ولا تدلى  
إلى برأيها إلا إذا سألتها ذلك . فقال صديقه (آلان)  
وكان جالساً بالقرب منه في لهجته التهكمية :

— الأفضل أن تكون صماء خرساء ... ثم  
استطرد (نك) كأن لم يسمع تهكم صديقه :

— يجب أن تكون جميلة الوجه باسمع الثغر ،  
تبذل ما في وسعها لأسماعى ؛ وبالطبع يجب أن  
تكون أيضاً متدينة متواضعة ... فصاح آلان :

— مسكينة هذه الفتاة ! مسكينة هذه الفتاة !  
— لقد أفرطت في الخمر أيها المجوز . لن  
تكون مسكينة قط ، بل ستكون أسعد فتاة على  
وجه البسيطة ... فقال كامرون :

— ليس هناك فتاة تجمع كل هذه الصفات  
يا (نك) ؛ وأؤكد لك أنك لن تجد بغيتك بين فتيات  
العالم ... اللهم إلا إذا أتيت بطفلة ورييتها كما يحب ...

— أصبت يا صديقى ... هذا ما سأفعله !  
— ماذا ! قالها كامرون في دهشة

— لقد فكرت في ذلك ملياً ، وأخيراً قر  
عزى على أن أبحث عن طفلة يتيمة أتوسم فيها  
الذكاء ، أرسلها إلى قصر سانت مارى لتنشأ في

# المجهول ضائع

للكاتبة الإنجليزية ميري كنزى  
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي

أيقن (نك كايثور)  
في ربيع الثالث  
والعشرين أنه لن يوفق  
في اختيار زوجة سالحة  
بعد أن رأى أصدقاءه  
يلقون بأنفسهم في هوة  
لا سبيل إلى النهوض  
منها

قال مرة لصديقه كميرون في ثورة من ثوراته  
على الزواج :

— إن ذلك الزواج العصري لا يخرج عن  
كونه موتاً محققاً — إن الرجل العاقل لا يمكنه  
أن يقف مكتوف اليدين إزاء امرأة تملى عليه

إرادتها . إن هؤلاء النساء العصريات مندفعات  
طائشات ... ولا أعلم لماذا يتهافت الرجال ويرتمون  
على أقدامهن ألهاء ضعفاء ؟ فغمغم صديقه قائلاً :

— سيأتى دورك يا صديقى ، وسنرى أنك  
أول من يتهافت عليهن

— لن ترى ذلك في حياتك يا كميرون  
— هذا صحيح ولكن لا تنس يا صديقى  
أنك رجل وهم رجال !

وأعقب ذلك برهة صامتة أطرق فيها (نك)  
برأسه مفكراً . إنه لا يمتدح أنه مثل هؤلاء الرجال ...  
إن كل أعماله وتصرفاته تدل على أنه مختلف عنهم

جد الاختلاف . لقد كان ممتازاً في جميع مراحل  
عيشته وأدوار حياته . لقد كان أرزن منهم في  
مدرسته ، وأذكى منهم في جامته ، وأعقل منهم  
في ميدان حياته ، وأرغد منهم في عيشته المنزلية .

لقد كان يملك قصراً في سانت مارى بضاحية  
شوبشير يعيش فيه مع أمه الشقيقة التي كان يعبدها



في أفكاره إلى أن استرعى نظره فجأة طفلة تبكي بالقرب منه

لقد كانت تبكي لأنها — كما قالت — فقدت شريطها الأزرق في الحديقة . وقبل أن تنتهي من وصف الشريط والمكان الذي سقط فيه . . . قال لك لنفسه :

— لقد وجدتها . . . لقد ظفرت بها أخيراً كانت جميلة الوجه ، ساحرة العينين ، لم يشوه رداء الملجأ الأصفر من جمالها الرائع . ولقد أصاب كايثور في شعرها الأصفر ، وفي عينيها الزرقاوين غاية مناه . . . ما اسمها يا ترى ؟ . . . « سالي كريجيان » إنه اسم ظريف ، وكم عمرها ؟ : ثلاث عشرة سنة . حسن ثم حسن ، أمامها الوقت الكافي لتتعلم . . . وهل هي ذكية ؟ أراد أن يتأكد من ذلك فقال :

— أتعلمين هنا ؟

— نعم ؛ « قالتها في تهديد عميق »

— وما الذي درست اليوم ؟

— لقد نسيت

وهنا أطرق كايثور في حزن ، ولكنه لم يكتب بهذا القدر من الأسئلة فقال :

— أتحفظين قواعد الرحمة السبع ؟

— نعم أحفظها . . . ثم أخذت في عدها على أصابعها في تودة وثبتت مما أدخل في روعه أنها على جانب غير قليل من الذكاء . . . ولكن ماذا عن الموسيقى والغناء ؟ أتراها تجيد الغناء ؟

أخذت تغني أمامه أغنية الصيف ، فبدأ صوتها عذبا جميلا ، وغناها موقعا ملحنا كأنه غناء البابل في هدأة السحر

— هذا جميل

وجلس كايثور معها على مقعد خشبي في الحديقة ثم أخذ يتحدثها عن الطبيعة ، ثم عن قصره في

كنف عمتي ( أليس ) وتحت رعايتي الفشاة التي أريدها . فقال آلان ضاحكا :

— إنني لم أسمع في حياتي بمثل هذه الفكرة . أتعني أنك ستسجنها في قصرك في سانت ماري ؟ — كلا . . . كلا ليس هذا ما أعني . لن تكون دائما في سانت ماري ؛ بل كثيرا ما سأرتاد وإياها مطالع الفن ودور الموسيقى حتى أذهب من طباعها وأرقق من ذوقها ، وأجعل منها تلك الفتاة التي تسمدني في حياتي . لن تتعلم شيئا لا أرغب فيه . ولن تحظى بمعرفة شيء لا أريده لها . فقاطعه آلان هازئا

— كفي كفي يا صديقي . . . أرجو أن تسمع لنا بالانصراف

\*\*\*

مضى نك يبحث عن ضالته غير عابئ بهزم أصدقائه وسخرية الناس منه . ولكن أتى له أن يجد طفلة يتيمة ؟ لقد كانت المربيات ينظرن إليه نظرة شك وارتياب رغم تماقهن على من يتبنى هؤلاء الأطفال . ولقد نما مرة إلى سمعه أن هناك امرأة في كدمستر تأوى الأطفال اليتامى ، فأسرع إليها ظاناً أنه سيعثر على ضالته المنشودة ، ولكن خاب ظنه فقد وجد أن أكبر الطفلات لا تتجاوز الخامسة من عمرها ؛ وهذا معناه أنه لن يتزوج حتى يبلغ الأربعين

واستأنف نك بحثه فلم يثبط الفشل المتواصل من عزمه ، ولم يكسر هزم الأصدقاء من رغبته . . . فقصده ذات يوم إلى ملجأ للأيتام في الضواحي بعد أن قدمه صديق له إلى مديرة الملجأ ، ودعته هذه بدورها لزيارته ؛ فلما وصل إلى الملجأ جلس ينتظرها في الحديقة . . . وكان المكان جميلا ، والحديقة رائعة التنسيق على الرغم من بساطتها . جلس نك يسبح

صغيرة من الزجاج مثبتة في أعلى البناء ، فغمغم قائلاً :  
— أظن أنه ليس هناك من يستطيع أن يتسلق  
هذا السور وهذا الزجاج منشور عليه ، فعلت وجهها  
غمامة من الحزن ، وأخيراً قالت في سرعة :  
— إذن دعنا نذهب الى سانت ماري ... إنني

لا أحتمل عقابهن !

— يجب أن نستأذن المديرة أولاً يا عزيزتي  
— إنها لن تدعني أذهب معك قط قبل أن  
تكتب الى والدي ووالدتي  
— الى من ؟ قلها في دهشة  
— الى والدي ووالدتي ... وهناك أسابيع  
طويلة قبل أن يصل الرد  
— ماذا ؟ ماذا ؟ ألك والد ووالدة ؟ ... إذن  
لست يتيمة !

— كلا ... أ كنت تمنقذ ذلك ؟  
— بالطبع كنت أعتقد ذلك ! ... وماذا  
تفعلين في ذلك الملجأ ؟  
— هذا غريب ! أ تدعو المدرسة ملجأ ؟  
— لست إذن بفقيرة ؟ فرفعت وجهها في  
كبرياء ثم قالت :

— فقيرة ! إنني خامسة أغنياء العالم — إن  
والدي تيودور كريجان المئري الأمريكي المعروف ...  
قالت ذلك في غضب مما جعله يغمغم معتذراً في طريقه  
الى الباب ... حقاً لقد قرأ أن المئري الأمريكي  
كريجان أرسل وحيدته الى إحدى مدارس إنجلترا  
خوفاً عليها من رجال المصابات في أمريكا ... وهنا  
أدرك كايثور خطأه ، فقد دخل هذه المدرسة  
ظناً منه أنها الملجأ الذي يقصده

\*\*\*

مضت بعد ذلك فترة من الزمن خلا فيها الى  
نفسه وانقطع عن العالم ، وجفا أصدقاؤه لما أوسعه

سانت ماري ، وعن جمال موقعه ، وعن ذلك النهر  
الذهبي الذي يجري من خلفه ، وعن روعة ما يحيط  
به من الحدائق وما يتخللها من زهر رائع الأفواف  
وما يكتنفها من مناظر الطبيعة التي تسحر العيون  
وتبهر النفوس

وأخيراً بعد هذا التمهيد الطويل سألها في هدوء  
عما إذا كانت ترغب في الذهاب لتقيم معه في  
سانت ماري . ولقد رأى نفسه متسرعاً في  
توجيه هذا السؤال قبل أن يقابل مديرة الملجأ  
ولكنه كان مشوقاً الى معرفة رأى فتاته الصغيرة .  
فسألته وقد بدت الدهشة في عينيها :

— أنقيم وحيدتين في ذلك القصر الكبير ؟  
— هناك أيضاً عمتي أليس ، وستحبك كثيراً  
— إنني لا أحب العمات . لقد كانت لي عممة  
كثيراً ما كانت تضربني على أذني . وفي تلك  
اللحظة طرق سمعها رنين الناقوس ، فقفزت  
الصغيرة في خوف قائلة :

— لقد انتهى الدرس وسـتـخرج المربيات  
فيجدنني هنا ويعاقبنني ... إنه ليس مسموحاً لنا  
بدخول الحديقة ... وأسرعت الى الباب الصغير  
الذي يصل الحديقة بـلـعب الأطفال ، ولكنه كان  
موصداً .. فصاحت في خوف :

— ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل الآن ؟ لقد كان هذا  
الباب مفتوحاً منذ هنيهة ! ... لماذا استبقيتني  
بجانبيك ؟

— لا تخافي يا عزيزتي ... لن أدعك تماقبن .  
سأقول لهن إنني استبقيتك

— كلا كلا ... يجب أن تساعدني على أن  
أنسلق الحائط الى الملعب ... هيا أسرع ! أسرع !  
وأشارت الى حجر كبير مثبت في جانب  
الحائط فصعد طائماً ، ولكنّه أبصر فوق السور قطعاً



تعمل كامبيرون في جلسته ، ومر آلان بيده على جبهته ، ثم وقفوا جميعاً عندما بلغت نهاية الدرج وأخذ كايثور يدها وعلى ثغره ابتسامة غر وناصر وقدمها الى صديقيه باسم « استرا » ثم أخبرها على المائدة أنها تنتمي إلى قبيلة نوريه وأن جدها وهبه إياها منذ سبع سنوات ؛ ثم قال :

— وبالطبع كانت لا تعرف إذ ذاك كلمة انجليزية ، وقد كان هذا جيلاً ، فقد أتاح لي فرصة تثقيفها بكل ما أحب ، وأظن أنها تتكلمها الآن كاحدى بنات إنجلترا

— بل أكثر من ذلك ... إنها تتكلم الآن أربع لغات أوربية ، فضلاً عن أنها تعرف قليلاً من اليونانية ، وشيثاً من اللاتينية . ولقد أتمت لها فرصة الاطلاع على زبدة الأدب الأوربي ، وخلاصة الأدب الشرقي . وأعقب ذلك برهة من الصمت ثم قال :

— إن لها ذوقاً حسناً في الاختيار ، وبالرغم من قرب عهدنا بالموسيقى تجيد العزف على البيانو والقيثار وسنسمعها سوياً بعد الغداء .....

وانتقلوا بعد تناول الغداء إلى غرفة الموسيقى حيث أسمعهم قطعة على القيثارة ، ثم أخذت تغني لهم أغنية نورية ، فبدت في نبراتها مسحة من الخشونة ، ولاح في صوتها شيء من الجفاء ، وغلب على وجهها طابع الجود الحسى ، ورائت على الغرفة هدأة عميقة ، والكل يصغون كأنهم تحت حلم مزعج لا سبيل إلى الخلاص منه . والحقيقة أنها كانت جلسة ممله للصديقين

ولما أقبل الليل وآوت أسترا إلى مخدعها خلا كايثور إلى صديقيه يستطلع رأيهما ... أما كامبيرون فخاف أن يصدم صديقه وغنم بكلمات التهئة ، وأما آلان فقال :

من هراء وسخرية ؛ إلا أنه بعد ستة أشهر من ذلك جرت على السنة أصدقائه إشاعة مؤداها أن كايثور عثر على الفتاة التي يرجوها في مقاطعة بروكس ، وأحضرها معه إلى إنجلترا ... ثم تفرق أصدقاؤه بعد ذلك ، فسافر كيرون إلى كينيا ورحل آلان إلى استراليا ، ثم انقضت سبع سنوات قبل أن يسمع أحدهما شيئاً عن كايثور ؛ ولكن شاء القدر أن يجتمعهما به بعد هذا العمر الطويل فعادا إلى إنجلترا سوياً ، وما علم كايثور بذلك حتى كتب اليهما يسألها زيارته في سانت ماري بعد هذا الغياب الطويل ، ليجدوا عهد الشباب الزاهر ، وليستعيدوا ذكريات الماضي السعيد ؛ فلبيا طلبه وهما أشد ما يكونان شوقاً لرؤيته ، وتشوقاً لمعرفة ما صنعه طوال هذه الفترة تلقتهما عمته ( أليس ) على باب القصر في بشر وترحيب ، فلما دخلاه أخذوا يجولان بعينيهما في نواحيه ، ويرسلان بصرهما في أرجائه وأبهاؤه ليريا ما عساه قد جد ... ولكن كل شيء كان على ما هو عليه من قبل ، حتى الزهور الصناعية الموضوعة على المائدة كانت هي بعينها التي اعتادت والدته كايثور أن تضعها قبل موتها

ولما جلسوا إلى المائدة أثار دهشتها أنها معدة لخمس أشخاص ! إن هذا المقعد الخامس يا ترى ؟ أهناك ضيف ثالث ... ولماذا بتلفت كايثور حوله كأنما يتوقع حضور أحد ؟

وأخيراً بعد برهة من الحيرة والتساؤل وقع نظرها عليها وهي تهبط الدرج ... لقد كانت طويلة كشجرة الحور ، سوداء كظلام الغابة ، ضيقة العينين يشع منهما بريق مخيف ، بارزة الخدين صغيرة الأسنان من غير تناسق ولا توافق ... وبالجملة لم تكن انجليزية الخلقة — من أين أتى بها يا ترى ؟ أمى أسبانية ؟ أم هى من الشرق ؟





- وأعقب ذلك فترة من الصمت ... والحقيقة أنها لم تخطر على باله ؛ ولكنه لم يشأ أن يقول لها ذلك . فقال :
- بالطبع يا سالى ... كنت أفكر أفيك ... ولكن ما الذى جعلك تنذرين زياتى الآن ؟
- إننى لم أكن فى إنجلترا بعد أن تركت المدرسة
- وأين كنت إذن ؟
- فى الخارج ... وقد راق لنا أن نقوم برحلة هذا الصيف فى ربوع إنجلترا ... فلما بلغنا (لادلاو) مساء أمس وجدت قصر سانت مارى على الخريطة فقصدت توأ إلى هنا
- راق لنا ! ... راق لنا ؟
- لوالدى ووالدى ... إننى لست بتيمة بعد ... أين النهر الذى حدثتني عنه ؟
- فقال مشيراً إلى ما وراء القصر ، فى هذه الجهة ... أترغبين فى رؤيته ؟
- أجل ... أعطنى قبعتك فان الشمس شديدة الحرارة
- ففعل طائماً ؛ وسارت معه فى صمت ... وبرغم أنه لم يرها إلا مرة واحدة من قبل فقد كان يشمر نحوها شعوراً خفياً مخالفاً جد المخالفة لذلك الذى يشعر به نحو استرا ... ولم يساوره مثل هذا الشعور من قبل إلا عند ما كان جالسا بجانب سالى فى حديقة المدرسة ، قال :
- ولكن حدثتني كيف قضيت هذه السنين الطويلة ؟
- فأخذت تسرد عليه مازارته من البلدان ، وما طافت به من الممالك ، إلى أن قالت أخيراً — وماذا عنك ؟ ... ألم تتزوج بعد ؟
- كلا ... نعم نعم إننى ... فقاطعته
- بخيل إلى أنك غير متأكد من ذلك
- إن الأمر لم ينته بعد ... ولكنه فى حكم المنتهى
- ألم تخاطبها فى ذلك ؟
- كلا ... أعنى نعم لقد ... ولكنها قاطعته وهى تشير بيدها جهة اليمين :
- ما هذه البوابة الجميلة ... دعنا نمر منها ولم يتكلم كايثور وهو يفتح لها البوابة ، ولكنها عادت تقول :
- يجب أن تحدثني عنها — أهي يتيمة ... ؟ يلوح لى أنك شديد العطف على اليتامى
- وجعل كايثور يتحدثها عن أسترا إلى أن قالت أخيراً :
- وهل هى موافقة على هذا الزواج ؟
- بالطبع إنها موافقة عليه
- إذن لماذا لم ينته الأمر بعد ؟
- إن أصدقائى يمارضون فى ذلك
- إذن هذا هو السبب ... ثم قالت وهى تنظر فى ساعتها :
- أظن أنه آن لى أن أعود ... ودارا على عقبهما وسارا تجاه الباب دون أن يلفظ أحدهما بكلمة واحدة ؛ وكانت سيارتهما واقفة فى جانب الطريق ، وكان مظهرها يدل على أنها حقاً خامسة أغنياء العالم ، قالت :
- لماذا لا نأتى لزيارتنا فى لادلاو وقبل أن يُقدّر كايثور معنى ما نطق به قال :
- الأفضل ألا أفعل . ولكنها قالت فى سرهة :
- إننا فى فندق « الثلاث ريشات »
- ثم انطلقت السيارة كالسهم المارق . وهنا فقط

أدرك كايثور أنه نسي قبعته

\*\*\*

جلست السيدة كريجانت في فندق الثلاث ريشات تنتظر ابنتها في شيء من القلق ، فقد كانت تخشى عليها من قيادة السيارة بنفسها . وأخيراً هتفت في سرور :

— شكراً لله ... فقد رأت سالي وهي مقبلة عليها من أعلى الدرج

— من أى مكان في العالم أتيت بهذه القبعة يا سالي ؟

— إنها قبعته

— إذن لقد قابلته

— نعم لقد قابلته . وأخذت تقص على أمها كل شيء ، فقد كانت لا تخفى عنها خبراً ثم قالت أخيراً :

— إنني أشعر بميل غريب إليه . ولا أعلم لماذا يملك على مشاعري

— ولكن ما الفائدة ما دام سيتزوج من هذه الفتاة التي تدعى ... ما اسمها ؟

— استرا ... ولكن لا يمكن أن أصدق ذلك ... لقد رأيته في الحديقة قبل أن أقبله تحدث

رجلاً ذا قميص أزرق وتمده بالزواج وقد عرفتها بعد ذلك من وصف كايثور ، أما الرجل فلم أتبين وجهه

وفي صباح اليوم التالي ظهر كايثور في فندق « الثلاث ريشات » ... لقد قال إنه جاء ليسترد

قبعته .. وكان الحزن بادياً على وجهه . ولما سألتها سالي عن السبب لم يحاول أن يكتمه عنها ...

والحقيقة أنه كان في حاجة إلى قلب يمطف عليه ... وقد وجدته في سالي . قال لها في حزن :

— لقد حطمت استرا اليوم كل ما بنيت من

الآمال ... على رغم كل ما بذلته في سبيل تثقيفها ، ورغم كل ماضيت به في سبيل إسعادها ، تريد اليوم أن تزوج من رجل آخر يدعى تويننج

وبدا في نبراته شيء من الألم الدفين ، ولاح في

صوته ما يخالجه من الحزن واليأس ، وظهر في عينيه ما تكتمهما من الدموع ... إنه ليبدو أليماً حقاً أن

يقضى حياته في تثقيف فتاة وتهذيبها وإعدادها لتكون زوجة لرجل آخر ... أخذت سالي تسرى

عنه وتخفف من وطأة حزنه ، ومن حدة ثورته ، ثم اقترحت أن يخرجها في نزهة قصيرة ولكن إلى أين ياترى ؟ ... قال كايثور :

— أشاهدت قلعة لدلاو الأثرية ؟

— أتعنى ذلك البناء القائم في خارج المدينة ؟

حسن ... انتظرنى حتى أحضر قبعتي ...

وخرجت سالي ولكنها لم تسمع بإحضار القبعة ؛ بل صعدت متباطئة وأخذت تقلم أظافرها

في تكاسل ، ثم أبدلت ثوبها ، وأكملت خطاباً لها ، وجلست صامتة ، وقد بدا السرور في عينها ...

وأخيراً أقبلت عليها أمها تقول :

— إن صديقك في انتظارك أكثر من ساعة

يا سالي ... إنك قاسية في معاملته

— ولكني سأزوج به

— أحقاً ما تقولين ؟

ونظرت الأم إلى ابنتها فرأت الجواب في عينها ، فضمتها إلى صدرها وقبلتها قبلة حارة

طويلة ... حقاً إن كايثور غير جدير بزواج خامسة أغنياء العالم ، ولكن أسرة كريجانت كانت من

الديوقراطية بحيث لم تكن تبحث عن الجاه والمال ، بل كانت تبحث عن سعادة بناتها

أحمد فني مرسى



## مقدمة المؤلف :

لا بد للعدن  
الكبيرة من مسارح ،  
وللشعوب الفاسدة من  
قصص . ولقد شاهدت  
أخلاق عصرى ثم  
قدمت هذه الرسائل  
إلى النشر ؛ وليتنى  
عشت في عصر تحملى  
آدابه على أن أقدمها  
إلى النار !

# مَجْلِسُ

## أَوْ

### هَيْلَوِيْزْ أَحْبَدِيْدَه

#### لِحَاكِمِ كَرْسُو

بِقَلَمِ أَحْمَدَ حَسَنَ الزِّيَّاتِ

أنت وصف الأمكنة  
قد ناله التحريف البالغ  
في مواضع كثيرة ، إما  
لأن الكاتب يريد أن  
يخدع القارى ، وإما  
لأن الواصف لا يعرف  
أكثر من ذلك  
ذلك كل ما أريد  
أن أقوله ؛ ولكل  
امرى أن يفهم الأمر  
على ما يشاء

لم يوضع هذا الكتاب ليسير في الناس لأنه  
لا يرضى إلا القليل منهم ؛ فالتأديبون من أهل الذوق  
سينفرون من أسلوبه ؛ والمتزمتون من ذوى الوقار  
سيفزعون من موضوعه ؛ والذين لا يمتقدون بالفضيلة  
سيرون ما فيه من العواطف خارجا عن الطبيعة .  
سيستخط البر والفاجر والفيلسوف ، وسيؤذى  
شعور الفتاة اللعوب ، ويسوء كرامة المرأة الصالحة ؛  
فليت شعري من يرضى إذن ؟ لعله لا يرضى سواي ؛  
ولكن الحق أن السخط عليه لن يقف عند حدود الوسط  
إذا أمضيت النية على قراءة هذه الرسائل فادّرع  
بالصبر على ما تجد فيها من أخطاء اللغة ، وشغشة  
الأسلوب ، ووضع الفكرة المطروقة في العبارة المنمقة .  
قل لنفسك قبل أن تقرأ : إن الذين كتبوها لم يكونوا  
فرنسيين ولا عبقرين ولا أكاديميين ولا فلاسفة ؛  
وإنما هم بين ريفي وأجنبي وأليف عزلة وحديث سن .  
وكلمهم أشبه بالأطفال الذين تصور لهم خيالاتهم الشاعرة  
أن من الفلسفة ما يهزون به من برى الحديث  
لم أخشى أن أجهر بما في نفسي ؟ إن هذا

أنا - وإن كنت أحمل هنا لقب الناشر - قد  
عملت بيدي في هذا الكتاب فلا أضمر نفسي  
فيه . فهل صنعته كله ؟ وهل هذه الرسائل بأمرها  
من نسج الخيال ؟ ماذا يهمكم من هذا أيها الناس ؟  
إنها عندكم ولا ريب حديث مفترى  
كل أمرى حر الخلال يجب عليه أن يعترف  
بما ينشر من الكتب ؛ فأنا أضع اسمي على رأس  
هذا الكتاب لا لأسجل ملكيته ، ولكن لأتحمل  
تبعته . فإذا كان فيه شرفالى مرجعه وعلى إيمه ، وإن  
كان فيه خير فلا أبتنى من ورائه شرفا ولا نباهة  
إذا كان هذا الكتاب كتاب سوء فأنا مجبر  
على استلحاقه والاعتراف به . ذلك لأنى لا أحب  
أن أظهر في عيون الناس خيرا مما أنا عليه في الواقع .  
أما حقيقة الوقائع التى تدور عليها حوادث  
القصة ، فأصرح بأنى ذهبت صارا إلى بلد  
الماشقين فلم يزد على سمي ذكر للبارون ديتانج  
ولا لابنته ، ولا للسادة : دى ورب ، واللورد إدوار  
بومستون ، ودى ولار . كذلك أنه القارى إلى

## الجزء الأول

### الرسالة الأولى

الى جوبيا

أشعر كل الشعور أن لا مناص يا آنستي من الهرب منك . ولقد كان من اللازم أن أنتظر أقل مما انتظرت ، أو بالحري كان ينبغي ألا أراك قط . ولكن ما العمل اليوم وكيف الخلاص ؟ لقد وعدتني الصداقة ؛ فانظري إلى اضطراري ، وفكري في حقيقة ما بي ، ثم أشيري علي

تعليم أني لم أدخل بيتكم إلا عن دعوة من السيدة والدتك . علمت أني تقبفت بعض مواهب

ثقافة محمودة ، قرأت من المفيد في بلد يعموه المعلمون أن تستخدم هذه المواهب في تربية ابنتها التي تعبدها . وأنا بدوري قد زهاني أن أزين هذا الجمال الطبيعي البالغ ببعض الأزهار ، فخرت على أن أتعهد بهذه العناية المخطرة دون أن أتسلف النظر إلى ما فيها من الخطر ، أو على الأقل دون أن أقف من خطرهما على حذر . لن أقول لك إنني بدأت أؤدى نعم جراتي ؛ فاني آمل ألا أذهل عن واجبي فأثقل عليك بحديث لا يليق بسمعك ولا يلتئم مع طبعك ، وأن أقصر عن الاحترام الذي يجب لخلقك وكمالك ،

كثير مما يجب لهتدك وجمالك . أنا إذا تأملت فعزائي على الأقل أني أتألم وحدي . لا أريد سعادة تتكلفها سعادتك

على أنني مع ذلك أراك كل يوم ، وأشعر أنك من غير قصد ولا فكر تضاعفين آلاماً لا تستطيعين أن تشتكيها ، ولا ينبغي لك أن تعلمها

من الحق أني أعلم الرأي الذي تملبه الفطنة في مثل هذه الحال لا الأمل ؛ ولو استطعت أن أوفق

الكتاب على لهجته الغوطية أقرب إلى نفع النساء من كتب الفلاسفة . بل لعله يفيد أولئك اللاتي لا زلن يحتفظن بأثارة من حب الصلاح والنزاهة وهن يحيين حياتهن المضطربة المهوشة . أما أثره في الفتيات فذلك أمر آخر ، إن الفتاة المغيبة لم تقرأ قصة قط ؛ ولقد وضعت لهذه القصة عنواناً بنبه القاريء وهو يفتحه إلى طبيعة الكتاب الذي يريد أن يقرأه . فالفتاة التي تجرؤ على أن تقرأ منه صفحة واحدة على الرغم من هذا العنوان هي فتاة خاسرة . وليس لها أن تعزو خسارتها إلى هذا الكتاب ، فإن الداء قد خاسرها من قبله . فن بدأت منهن القراءة فلتتمها ؛ فليس بعد ذلك في نفسها ما تحسره ، ولا في هذا الكتاب ما تحذره

إن الزاهد المتحنت إذا قرأ الجزء الأول من هذا الكتاب فامتعض ثم رماء وانفجر بالحنق على ناشره ، لا أعيب إصرافه ولا أشكو ظلمه ؛ ولو كنت مكانه لما فعلت غير ذلك . ولكنه إذا قرأه كله ثم جرؤ بعد ذلك أن يعذلي على نشره ، فليقل ذلك - إن شاء - لكل ذي سمع من الناس ما عداي ؛ فاني لا أستطيع أن أحمل نفسي على احترام مثل هذا الرجل

أذهبوا أيها الكرام الذين أحببت العيش فيهم وحدت الخلاط بهم أنتم أيها الذين واسوني على سبائب اللثام وشتائم الفجرة ! أذهبوا بعيداً قابحثوا عن أمثالكم . فروا من المدن فلن تجدوهم فيها . أذهبوا إلى الخلوات المتواضعة فأنسوا زوجين مخلصين تتوثق بينهما وبينكم الألفة ، ورجلاً ساذجاً حساساً يجد في طبيعته الميل لما أنتم عليه ، ومنعزلاً عن الناس متبرماً بالعالم يلومكم على أخطائكم وخطاياكم ثم يقول مع سؤلك في حنان وعطف : « هذه هي النفوس التي لا بد منها لنفسي ! »



أنا أسلم بأن المرء يستطيع أن يتخيلك أروع  
جمالاً من جمالك ، ولكن من المحال أن يتخيلك  
أجدر بالحب وأخلق بالرجل الفاضل مما أنت عليه  
أجرؤ أحياناً على أن أزعج وأزهي بأن الله  
جمل بين حسينا وذوقينا وعمرينا مطابقة خفية .  
فتنحن ما نزال في زهرة الصبي ، فيول الطبيعة فينا  
لا تتغير ، وأهواؤنا لا يبعد أن تتفق

لقد رأينا قبل أن نكتسى الزى الوحيد العتيد  
للعالم أن لنا طريقة واحدة في الحس والنظر ، فلم  
لا أجرؤ على أن أنخيل أن ذلك الانسجام الذي أراه  
بين أحكامنا هو بين قلوبنا كذلك ؟ إن من نظراتنا  
أحياناً ما يتلاقى ، وإن من زفراتنا ما يصعد في وقت  
واحد ، وإن من عبراتنا المواربة ...

آه يا جوليا ! لو أن هذا التوافق صادر عن  
بعيد .. لو أن الله سخر لنا .. جميع القوة البشرية ..  
آه عفواً ! لقد ضللت فحسبت رغائبي آمالاً . إن  
حرارة رغباتي أعارت موضوعها الأماكن الذي يعوزه  
إني أبصر في خيفة ورعب ما يتأهب له قلبي  
من العذاب والألم . لا أحاول أن أنمق ألمي ؛ ولو كان  
في وسمي أن أكرهه لكرهته . احكمي على عواطفني  
إن كانت نقية أو مشوبة بنوع المفو الذي طلبته  
منك . أغضضي إذا استطعت منبع السم الذي يحميني  
ويميتني ، فلا أبتني غير أن أحيأ أو أن أموت .  
أنا أضرع إلى قسوتك كما يضرع عاشق  
إلى رحمتك

أجل لقد وعدت . وأقسم لأبذل الجهد الجهميد  
في استرجاع ما غرب من عقلي ، وترسيب هذا الرقيق  
الولييد في قرارة نفسي . ولكن رحماك ! حولي  
عني هذه المين الوديمة التي تشع على الموت .  
واسترى عن عيني قسباتك وحركاتك وهيتتك  
وذراعيك وبديك وشعرك الأشقر . اخدعي غباوة

في هذه الفرصة بين الفطنة وبين الاعتبار المناسب  
لحلت نفسي على اتخاذها ؛ ولكن كيف أجد الوجه  
الوجيه لأن أترك بيتاً ربته هي نفسها التي فتحت  
لي فناءه ، وأعدت على آلاءه ، ورأت في بعض  
الفناء لأعز شيء عليها في العالم ؟ كيف أحرم  
ذلك الأم الحنون سرورها بأن تفجأ زوجها  
ذات يوم بتقدمك في الدروس ، وهي إنما أخفت  
عنه خبره لهذه الغاية ؟ أينبني أن أفارقها على هذا  
الوجه . المردول دون أن أقول لها شيئاً ؟ أيجب  
أن أصرح لها بموضوع اعتزالي ؟ أليس في هذا  
التصريح نفسه إهانة لها من رجل لا يجزله مقام  
أسرته ولا طبيعة ثروته أن بمقد أسباب رجائه بك ؟  
أنا لا أرى يا آنستي غير وسيلة واحدة للخروج

من المأزق الذي أنا فيه : تلك الوسيلة هي أن البد  
التي ألقني فيه تنتشلني منه . ليأتني من قبلك  
العذاب كما يأتيني الخطأ . فأشعري قلبك المرحمة لي  
واحظري على الوجود في محضرك . أطلني أهلك على  
كتابي . أغلق بابك من دوني . اطرديني على الوجه  
الذي تحبين ، فاني أحتمل كل شيء ولا أستطيع  
من قلقاء نفسي الفرار منك

أنت ، تطردينني ! أنا ، أهرب منك !  
ولماذا ؟ أمن الاجرام أن يكون المرء حساساً  
بالفضل ، وأن يحب ما يجب على كل امرئ أن  
يحبه ؟ لا يا جوليا ! إن جاذبيتك بهرت عيني ،  
وما كانت لتزبغ قلبي لولا الجاذبية الأقوى التي  
تحذيرها وتذكيها ؛ تلك الجاذبية هي اجتماع  
الحساسة القوية بالمذبذبة الصافية ؛ هي ذلك الرثاء  
الحنون لآلام الناس ؛ هي ذلك الذهن المستقيم وذلك  
الذوق السليم اللذان يستمدان نقاءهما من نقاء  
النفس ؛ هي على الجملة سحر العواطف ، وهو أقوى  
من سحر الشخص ، وذلك ما أعبدته فيك

نظراتي الرغبة . احبسى ذلك الصوت الآخاذ بالقاب  
فلا يسمعه سامع حتى يتأثر . كوني مخلوقة أخرى  
ليستطيع قلبي أن يُقنع إلى نفسه

أأقولها لك من غير مواربة ؟ إنك في الألعاب  
التي يقتضيها فراغ الأمسية ، ترسلين نفسك أمام  
جميع الناس على ألفية شديدة الأثر على النفس ،  
فلا تكونين ممي أشد احتشاماً واحتياطاً منك مع  
غيري . أقرب الأيام أمس ؛ كنت على وشك أن  
تتميني أن أقبلك عقاباً على مخالفة النظام في اللعب ،  
فقاومت مقاومة خفيفة ضعيفة ، ولكني لحسن  
الحظ تحاشيت أن أصر . ثم أدركت أن اضطرابي  
الذي كان يزيد ويزيد سيُشفى بي على الحسارة  
فأمسكت عن اللعب . آه لو كنت استطعت على  
الأقل أن أستمع بهذه القبلة على هواي ! إذن  
لكانت آخر أنفاسي وامت وأما أسعد الناس !

ناشدتك الله إلا ما تركت هذه الألعاب ،  
فقد تكون لها عواقب وخيمة . كلا يا جوليا ، كل  
إنسان له خطره : من الخطر الذي لا حيلة فيه إلى  
الخطر الذي لا وزن له . إني أضطرب كلما است  
يدي في اللعب يدك . ولا أدري كيف يتفق أن  
ألقاها دائماً ؛ فلم تكذب تقع على يدي حتى تستقاني  
رعدة ويمتدني ذهول . إن اللعب يمسنى بالحمى ،  
أو بالحري يصيبني بالهذيان ؛ فأنا لا أبصر ولا أشعر ،  
وفي هذه اللحظة المخبولة لا أدري ماذا أقول  
ولا كيف أفعل ولا أين أختفي !

وفي ساعة القراءة أجد ضرراً آخر : إذا رأيتك  
لحظة من غير أمك أو ابنة عمك نكّرت معارف  
وجهك فجأة ؛ ثم اتخذت هيئة الجد واصطنعت  
لهجة الفتور حتى يسلبني احترامى إياك ، وخوفى  
من عدم رضاك ، حضور البديهة وقوة الحكم ،  
فأغثهم في اضطراب ومشقة ببعض الكلمات من

درس لولا فطنتك وحكمتك لما استطعت أن تتبعيه .  
كذلك هذا التفاوت الذي تشكفينه في طبعك  
ومظهرك ينقلب مضرة على وعليك . إنك تؤذيني  
بهذا القلب ، ثم لا أستطيع أن أتصور الباعث  
الذي يخرجك عما عهدت فيك من رصانة العقل .  
هل لي أن أسألك لماذا تكونين لموباً مرحة في  
الجمع ، ووقورة محتشمة في الخلوة ؟ لقد كنت أرى  
أن الأمر يجب أن يسير على النقيض ، وأنت لا بد  
تصورين قسماً وجهك على نسبة عدد الحضور ؛  
ولكني أراك بدل أن تفعل ذلك تعاملينى على حال  
مطرده من التردد والاضطراب ، فتصطنعين اللهجة  
المتكلفة بيني وبينك ، واللهجة المنبسطة بيننا وبين  
الناس . ساوى بيني وبين غيري في حديثك

ووجهك ، ففعلت بذلك أكون أخف الماء وأقل لوعة  
إذا كانت الرحمة الطبيعية التي آثر الله بها  
النفوس النسبية الحرة تعطف قلبك على شقاء  
هذا البائس الذي تظهرين له بعض التجلة ، فان بعض  
التغيير في معاملتك إياه يخفف من ثقل مصابه ،  
ويعينه على احتمال صمته وعذابه . وإذا كانت  
حصانة صدره وخرج أمره لا يبلغان موضع الرأفة  
من نفسك فتريدين أن تتوسلى بالحق إلى إهلاكه ،  
فإنك تستطيعين أن تفعلين ولن تجيديه إلا صابراً  
لا يشكو ، وسأكتك لا يئن ؛ انه يؤثر أن يهلكه  
أمرك ، على أن تهلكه فورة طائشة تجعله أثماً في  
نظرك . وآخر القول أن لك أن تحكى في أمري  
وتتصرف في مصيري ، ولئى أن أقول لى واضح وجه  
المذرفى أن أربب فى نفسى هذا الأمل الجرىء ؛  
وإذا قرأت هذه الرسالة فقد فعلت كل ما أريد أن  
أطلبه منك ؛ على أننى لم أطلب شيئاً يجوز عليه  
الرفض حتى أخشاه

(الزبان)

(ينبع)





## يَوْمِي أَنَا فِي الْإِثْنَيْنِ

للاستاذ توفيق الحكيم

« لماذا أدون حياتي في يوميات ؟ لأنها حياة هنيئة ؟ كلا ! إن صاحب الحياة الهنيئة لا يدونها ، لأنها يحياها . لاني أعيش مع الجريمة في أصفاد واحدة . لأنها رفيق وزوجي أطلع وجهها في كل يوم ، ولا أستطيع أن أحادثها على أفراد . هنا في هذه اليوميات أملك الكلام عنها ، وعن نفسي ، وعن الكائنات جميعاً . أيتها الصفحات التي لن تنشر ! ما أنت إلا نافذة مفتوحة أطلق منها حريتي في ساعات الضيق ! »

١١ أكتوبر سنة . . .

أويت إلى فراشي البارحة مبكراً ؛ فلقد شعرت بالتهاب الحلق ، وهو مرض يزورني الآن من حين إلى حين . فعصبت على رقبتي خرقه من الصوف ، وعمرت بقطع من الجبن العتيق مصائد الفيرات الثلاث ، ونصبتها حول سريري كما تنصب الألغام الواقية حول سفينة من سفن الصليب الأحمر ، وأطفأت مصباح النفط وأغمضت عيني وأنا أسأل الله أن ينيم الغرائز البشرية في هذا « المركز » بضع ساعات ، فلا تحدث جناية تستوجب قيامي ليلاً وأنا على هذه الحال . فلم أكد أضع رأسي على المخدة حتى كنت حجراً ملقاً ، إلى أن حركني صوت الخفير يضرب الباب ضرباً شديداً ، ويتنادى خادمي صائحاً : « اصبح يادسوقي ! » فعلمت أن جناية وقعت ،

وأن الغرائز لم تنم لأنني أردت أنا أن أنام . فنهضت لوقتي وأشعلت المصباح ، ودخل على خادمي يفرك عينيه بيد ويقدم إليّ بالأخرى ( إشارة تلفونية ) ، فأدنيت الورقة من الضوء وقرأت : « الليلة : الساعة ٨ مساءً ، بينما كان المدعو قمر الدولة علوان ماشياً على الجسر بالقرب من « ديار » الناحية أطلق عليه عيار ناري من زراعة قصب ، والفاعل مجهول ، وبسؤال المصاب لم يعط منطقاً وحالته سيئة ، لزم الاخطار » « العمدة »

فقلت في نفسي : لا بأس ، تلك حادثة بسيطة تستغرق مني على الأكثر ساعتين ؛ فالضارب مجهول ، والمضروب لا يتكلم ولا يثرثر ، والشهود ولا ريب : الخفير النظامي الذي سمع صوت العيار فذهب إليه خائفاً متباطئاً فلم يجد بالطبع أحداً في انتظاره غير الجثة الطريجة ، والعمدة الذي سيزعم لي خالفاً بالطلاق أن الجاني ليس من أهل الناحية ، ثم أهل المجنى عليه الذين سيكتمون عني كل شيء

« وحياء رأس سعادة البك كان لا يسه ... » . ولم  
أر ضرورة للتحقيق في هذه المسألة ، فالأمر لا يخرج  
عن اثنتين : إما أن الخفير لا يعرف القميص من  
اللباس وهو شيء غير مستغرب ، وإما أن سعيد  
افندى قد عاد فخلع قميصه ونام من جديد ، وهو شيء  
أيضاً غير مستغرب . وما دمت أنا وحدى المسئول  
رسمياً عن التأخير ، فلا نفع إذن من صياحي مع  
سعيد افندى غير تصديق رأسي ، وأنا أحوج الناس  
إلى الراحة الليلة ، وإلى توفير الجهد والكلام للقضية  
الحقيقية التي من أجلها نتجشم ما نتجشم . ولم يلبث  
الفتور أن دب في أعضائي ، فاستندت رأسي إلى ركن  
السيارة وقلت لمن معي : « محل الحادث على بعد ثلاثين  
كيلومتراً ، فلا بأس من أن أنسى مسافة الطريق »  
وأغمضت عيني ، وتحركت سيارتنا وخلفها « البوكس  
فورد » وبه الكاتب والمعاون والباشجاويش  
والعساكر . وما كدنا نخرج إلى الطريق الزراعية  
حتى سمعنا صوت غناء في جوف الليل ، فأخرج  
المأمور رأسه من النافذة في الحال وصاح : يا حضرة  
المعاون ! نسينا الشيخ عصفور . ووقفت القافلة ؛  
وإذا الصوت يخرج واضحاً من دغل « بوس » على  
حافة غيط !

... ودمش عين الحبيبة يفرش على فدان ...  
فأسرع معاون منادياً : « اطلع يا شيخ  
عصفور . حادثة ! » فظهر ذلك الرجل العجيب  
الذي يهيم على وجهه بالليل والنهار ، لا يعرف النوم ،  
يعني عين الأغنية ، ويلفظ كلمات ، ويلقي بتنبؤات ،  
يصنى إليها الناس ؛ ذلك الرجل الذي لا يفرحه  
شيء مثل خروجه إلى الحوادث مع النيابة والبوليس ؛  
فهو يسمع عن بعد بوق « البوكس فورد » ويتبعه

ليشاروا لأنفسهم بأيديهم . فسألت خادمي عن الساعة  
وكتبت في ذيل الورقة : « وردت الساعة العاشرة ،  
وقائمون لضبط الواقعة » وقتت من فوري إلى ثيابي  
فارتديتها على عجل كما يصنع رجال المطافيء ، وأرسلت  
في طلب كاتب التحقيق وسيارة النيابة ، وأوفدت من  
يوقظ مساعدى الجديد وهو شاب رقيق الحاشية حديث  
عهد بالعمل ، كان قد أوصاني أن أستصجبه في الوقائع  
ليكتسب الخبرة والمران . ولم ألبث أن سمعت يبابى بوق  
سيارة المركز « البوكس فورد » بها المأمور ومعاون  
الأدارة وبعض الجنود . فنزلت إليهم فوجدت كل شيء  
قد أعد ولا ينقصنا الا كاتب التحقيق ، فلم أعجب .  
لأنى ما أبطأت يوماً في القيام إلى واقعة إلا كان السبب  
كاتب التحقيق ، في أى بلد كان ، وفي أى مركز .  
والتفت إلى الخفير وقلت : « أنت متأكد أنك  
ناديت سعيد افندى ؟ » فسمعت في الظلام صوت  
الحذاء الضخم يضرب الأرض ، ولحت يداً ترتفع  
بالتحية العسكرية فوق ( اللبدة ) الطويلة ذات الرقعة  
النحاسية ، وفما يتحرك تحت شارب أسود كبير  
كأنه ذنب القط : « لبس القميص قدامى يا سعادة  
البك ! » . ورأينا أن ننطلق بسياراتنا فنمر بمنزل  
الكاتب فنستصجبه . فركبت أنا ومساعدى  
والمأمور سيارة النيابة حتى بلغنا منزلاً قديماً في طرف  
البلدة . فصاح الخفير وكان قد تعلق بسلم السيارة  
ليدلنا على الطريق : « إنزل يا سعيد افندى . » فأطل  
السكائب من نافذة قصية وهو في جلباب النوم :  
« حادثة ؟ » فصاح الخفير : « حادثة ضرب نار » .  
وما أشمر عندئذ إلا بيد المأمور قد خرجت من  
نافذة السيارة ونزلت على قفا الخفير : « يا خفير  
يا ابن ... لبس القميص قدامك يا ابن ال ... » .



وانتهت على وقوف السيارة بعد زمن ليس بالقصير ،  
 ففتحت عيني فاذا نحن أمام ترعة . . . . . وإذا  
 « المدية » في انتظارنا لتنقلنا إلى الضفة الأخرى . فنزلنا  
 جميعاً وامتلاًبنا القارب كأننا غرقى في زورق النجاة ،  
 أو « أزيار » من الفخار في مركب بالصعيد .  
 وسارت بنا « المدية » حتى بلغت الشاطئ الآخر  
 ونحن لا نسمع في سكون الليل العميق غير سلاسلها  
 تضرب الماء ، ولا نرى من حلك الظلام شيئاً . ولم  
 تكد تظاً أقدامنا البر حتى سمعنا صهيل خيل ؛ وإذا  
 أمامنا « الركائب » من خيول « نقطة البوليس »  
 وحمير العمدة ، مهيأة لملنا إلى مكان الحادث . وآه  
 من الخيول ! لقد تقدم إلى أحد الجنود بجواد  
 مطهم إجلالا لقدرى . ورأيت هذا الحصان  
 يتبختر ويفحص الأرض بحوافره ، ولا يصبر على  
 الهدوء حتى أعتلى ظهره ، فعلمت أنى لا بحالة واقع  
 على الأرض . ولطالما كدت أقع من فوق تلك  
 الظهور اللاعبة التي لا يحكمها غير فارس بارع ،  
 لا راكب نائم . ولطالما فضلت عليها الحمير الهادئة ؛  
 غير أنى نظرت خلفي فاذا أكار القافلة قد امتطوا  
 الخيول ولم تبق الحمير إلا للأوباش ؛ فحجبت أن  
 أنزل عن جوادى وأن أحاذى في المرتبة الشيخ  
 عصفور ، وقد اعتلى حمراً أشهب وخزه بصولجانه  
 الأخضر فانطلق به في ذيل الجياد . أسلمت أمرى  
 لله ، وسرت في المقدمة قائداً مترمخاً من الخوف  
 والتعب ، إلى أن ظفر النوم بجفونى فلم أشعر بشيء .  
 وجأة وجدت جسمى قد طار من فوق الجواد  
 ووقع على عنقه ! فقد قفز الحصان في قناة ماء قفزة  
 شديدة خلعتنى من فوق ظهره خلعاً . فقلت :  
 « ما حسبناه لقيناها ! » وصحت بالخفير المحق بركابى :  
 « الحصان يا خفير ! الحصان ! » . فوقف الركب واختل

أينما ذهب كالكلب الذى يتبع سيده إلى الصيد .  
 لماذا كل هذا ؟ طالما سألت نفسى : ألا يكون لهذا  
 الرجل سر ؟ . ودنا الرجل من « البوكس » قائلاً  
 فى شبه احتجاج :

— كنتم طالعين من غيرى ... ؟

فأجابه الباشجاويش باسمًا :

— أبدأ ! لو كنا نعرف عنوانك لبلغناك  
 الإشارة

فقال الرجل :

— طيب . هات سيجارة

فغمزه الباشجاويش سريعاً وقال له فى صوت  
 خافض :

— اسكت ، يسمعك البك المأمور

فقال الشيخ عصفور :

— هات سيجارة يا حضرة الباشجاويش ،  
 لأنى أنا الليلة « باشخرمان »

وصعد الرجل إلى « البوكس فورد » كأنه  
 يصعد إلى « رولز رويس » بعد أن انتزع من  
 الدغل عوداً أخضر جملة فى يده كالصولجان .  
 وانطلقت السيارتان بين المزارع وقد نامت الطبيعة  
 وسكنت الأصوات ، إلا من نقيق الضفادع ، وهفيف  
 الحشرات ، وتغريد الشيخ عصفور المتصاعد من  
 جوف « البوكس » . وقد أغفيت أنا أيضاً إغفاءتى  
 التى اعتبتها كلما ركبت إلى واقعة ، إغفاءة متقطعة  
 لا تمنعنى أحياناً من سماع ما يدور حولى من الكلام .  
 وكان مساعدى إلى يسارى متيقظاً يبدو عليه العجب  
 ويريد أن يسأل عن كل شيء فيمنعه الخوف من  
 إزعاجى . فالتفت إلى المأمور بجواره ؛ وسرعان  
 ما اشتبك فى حديث طويل لم أع منه شيئاً كثيراً ،  
 فهو وحده الذى أنامنى النوم العميق طول الطريق ،

النظام ؛ وأوسع المأمور رجاله شتما وصفعا وأمرأ ونهيا . وأعادوني إلى ظهر جوادى وأنا أقول لأدارى خجلى : يظهر أن الحصان نام وهو ماش ، أو خاف من ثعلب فارتجفع . على كل حال أمسك اللجام يا خفير . فأمسك خفيران اللجام ومشيا بي رويدا رويدا مشية هادئة متزنة أعادت إلى نفسى هجوعها ، فلم أصبح إلا فى مكان الواقعة . وأبصرت ضوء المصابيح والمشاعل فى أيدي الأهالى المجتمعين حول المصاب . . . فطار التعب من رأسى كما تطير البوم من وكرها على الضوء المقرب . وأسرعت فى النزول من فوق صهوة الجواد وشققت طريقا بين الناس الذين هتفوا فى صوت خافت : « النيابة حضرت » . ودنوت من ذلك الجسم الممدد على الأرض ، وحدقت فى ذلك الوجه المعفر بالتراب والدم ، فعلمت أنه حقيقة لن يتكلم . وقد وجدت ملاحظ « النقطة » غارقا لأذنيه فى تحرير « محضره » الذى سأضرب به عرض الحائط ؛ فالنيابة متى حضرت بحثت كل شيء من جديد . وبأشرنا التحقيق مفتتحين بمحضر المعاينة ، فأمسك الكاتب ورقة وقلما ودنا منى فأملت عليه الديباجة المعروفة : « نحن فلان وكيل النيابة ومعنا فلان كاتب التحقيق . الليلة الساعة كذا وردت إلينا الإشارة التليفونية رقم كذا ونصها كذا . وعليه قمنا بسيارة إلى ناحية كذا ، فبلغناها ساعة افتتاح هذا المحضر الخ الخ . » ذلك أنى أحب دائما أن أعنى بتحرير « محضرى » وأن أجعله مرتباً ترتيباً منطقياً . والمحضر هو كل شيء فى نظر أولى الأمر : وهو وحده الشهادة الناطقة للنائب بالدقة والبراعة . أما ضبط الجانى فأمر لا يسأل عنه أحد . وبلى « الديباجة » وصف الأصابة والملابس والموضع الذى وجد فيه المجنى عليه

فما قصرنا . وأملت على الكاتب أوصاف ذلك الجرح النارى الذى رأينا ثقبه المتسع فى كتف المصاب . وقد حدث فيما أرى من « حشار » بندقية أطلقت على بعد غير كبير فهتكت اللحم وأزقت الدم . وقد وصفنا الوجه خير وصف . وهو لرجل قارب الأربعين وسيم قسيم : تلك الوسامة الريفية بما فيها من رجولة وصحة وقوة . ولم يفتنا ذكر وشم العصفور المرسوم فى أعلى صدغه ، ولا لون شارب الضارب إلى الصفرة ، والثياب أحصيناها من « الدفية » والجلباب الغزلى وكيس النقود الذى لم يمس ، إلى السروال « البفطة » الأبيض ذى التكة الحمراء . نعم ، لم ننس تكة اللباس ونوع نسيجها ، فان ذكر التفاصيل دليل على الدقة والعناية . هكذا تعلمنا التحقيق كابر عن كار ! وأذكر أنى تركت ذات مرة جريماً يعالج سكرات الموت ، وجعلت أصف سرواله وتكته و « بلغته » و « لبدته » ، فلما فرغت انحنيت على المصاب أسأله عن المعتدى عليه ، فاذا بالمصاب قد توفى . ولم ننس وصف المكان ، وهو طريق ضيق بين مزارع قصب على الجانبين . ولا عجب ، فان لكل نوع من الزرع محصوله من الجرائم : فمع ارتفاع الذرة والقصب يبدأ موسم « القتل بالعار » ، ومع اصفرار القمح والشعير يظهر الحريق « بالجاز والقوالح » ، ومع اخضرار القطن يكثر « التقليع والأتلاف » . وانهينا من الجريح المحتضر ، ولم يعد يهمنا أمره بعد أن ملأنا « محضرنا » بأوصافه ؛ فتركناه فى دمه تحت رعاية ضابط « النقطة » حتى يأتى لملئه إلى المستشفى رجال الأسعاف . وذهبنا إلى « دوار » العمدة حيث كانت فى انتظارنا القهوة . وآه من قهوة « العمدة » إلى أسميها دائما « الكلوروفر » ؛ فما من مرة



— عيارين يا سعادة البك  
— متأكد؟

— عيارين يا سعادة البك

هنا ثقل التحقيق وسماجة المهنة . أفهم أن يكذب المتهم ، فهو حقه الطبيعي ؛ وما أطمع قط أن يصدّقني متهم . ولكن الشاهد ، ماذا يحمله على أن يلقى على وجه الحقيقة كلفاً من التشكيك والتناقض ، لوجه الله تعالى ... ؟

ومضى التحقيق في شعاب مظلمة لا أمل معها في الوصول إلى شيء . فما من أحد يعرف الجاني ؛ وما من أحد يتهم أحداً ؛ وما من أهل للمضروب في هذا البلد غير أم عجوز مريضة كسيحة ضعيفة البصر لا تستطيع الكلام ، وغير زوجة ماتت منذ عامين وتركت طفلاً صغيراً لا يصلح للوقوف أمامنا في موقف السؤال . وما من أحد يدلي بتعليل معقول أو غير معقول لهذا الحادث . وما من أحد يعرف أن بين المصاب وبين إنسان على وجه البسيطة عداوة أدت إلى ارتكاب الجريمة . أهبط إذن شيطان من الجحيم فأطلق على الرجل العيار ؟ لا أحد يدرى . لقد وجدت ما حسبت . إني منذ قرأت « الإشارة » أدركت أن القضية ميتة . وهل أستطيع أنا « بتحقيقي » أن أبعث الحياة فيما لا حياة فيه ؟ إن لم يقبل على الشهود بالصدق ، وتعاوني الأهالي بالرغبة والاخلاص ، فأى « محضر » في الوجود يوصلني إلى التشرف مرة بمعرفة جان من الجناة ؟ وجاءت نوبة العمدة في الشهادة ، وحلف اليمين وبدأنا نلقى تلك الأسئلة التي لا تقدم ولا تؤخر ... وإذا بنفطيل يعلو من ركن الحجرة ويفعل على التحقيق . فالتفت فإذا المأمور قد « كوع » على « الكنية » ؛ ورأى العمدة هذه الالتفاتة مني ، فاستأذني واتجه إلى

إلا أحدثت عندي عكس المقصود من شربها ؛ ولست أدري العلة ؛ غير أنني سمعت ذات ليلة عمدة من هؤلاء العمدة يصيح في تابعه أمامنا : « هات يا ولد قهوة بن » ، ولم أفهم وقتذاك معنى لأضافة لفظ « البن » إلى « القهوة » ؛ أترى النص على البن « صراحة » جاء من قبيل التأكيد ، أم على سبيل التشريف والتكريم ؟ لست أعلم . إنما الذي علمته يومئذ واستوثقت منه أن هذا « اللفظ » الأخير وإن دخل في تركيب الجملة ، لم يدخل في تركيب القهوة . وجلسنا في « النظرة » على فرش من قطيفة ذهب وبرها ولونها ؛ ووضع الكاتب أوراقه على خوان أعرج ، تعلوه رخامة مكسورة ، ونشر المحضر « تحت » مصباح كبير له دوى وطنين قد جمع حوله هوام الليل ؛ وصحت : أطلب الشهود . فصاح الدأمر لصياحي : « اجمع الشهود يا حضرة معاون » . وارتع على مقعد رجب في ركن الحجرة ارتجاء أدركت معها أن ليس بمدى غير نفاس وغطيط . وجلس مساعدى على مقربة مني يرمق ما يجري بعيون فائرة ثم عن كسل بدأ يداعبها مداعبة النسيم للأوراق . وجاءوني بالخفير النظامي الذي سمع صوت العيار وهرع إلى مكان الجريمة أول من هرع . فلم يخيب ظني في شيء إلا في قوله إنه سمع عيارين ، مع أن الوارد في « الإشارة » عيار واحد ، والأصابة من عيار واحد ، وأقوال الحاضرين متفقة على أنه لم يدو في القرية سوى عيار واحد . ما حظ هذا الرجل من الكذب ؟ لست أدري . وتركنا جوهر القضية وانصرفنا إلى مسألة العيار والعيارين . فسألنا الجميع من جديد فأجابوا مجمعين : عيار واحد يا سعادة البك

— سمعت يا خفير ...





فأجاب في براءة الطفل وسذاجة الأبله :

— الولد في حضن البنت !

— أي بنت ؟

— البنت ، أخت المرحومة امراته

— بنت كبيرة ؟

— « عيَّلة »

فنظرت إلى المعاون وأمرته أن يحضر هذه البنت في الحال . ولم يمض قليل حتى بدت غادة في السادسة عشرة من عمرها ، لم ترعيني منذ وجودي في الريف أجمل منها وجهاً ولا أرشق قدماً ؛ وقفت بعتبة الباب في لباسها الأسود الطويل كأنها دمية من الأبنوس طعمت في موضع الوجه بالعاج . وقال لها العمدة مشجعاً :

— ادخلي يا « عروسه »

فتقدمت في حياء ، واضطربت خطواتها ، إذ لم تعرف بين يدي مَنْ من الجالسين يجب عليها الوقوف . فوجهها العمدة إلى فوقفت في وجهي ورفعت إلى رمشين ... ولأول مرة يرتج على في « التحقيق » فلم أدرك كيف أسأها ... ولم يرها الكاتب ، فقد كان موقفها خلف ظهره . فلما لحظ صمتي ظن بي تعباً ، فغمس القلم في الدواة ورفع رأسه إليها وهو يسأها :

— اسمك يا بنت ... ؟

فما إن وقع بصره عليها حتى حلق فيها ولم يمد إلى الورق . ونظرت حولى فوجدت مساعدى الناعس قد أفاق ونشط وأخذ يرمق الصبية بعينه الواسعتين ؛ ونقلت بصرى إلى المأمور فاذا به الساعة في غير حاجة إلى قهوة ولا إلى بن ؛ وزحف الشيخ عصفور حتى بلغ موطنى قديمى فألقى كالكلب ينظر إلى الفلاحة الحسناء فاغراها . حقاً إن للجمال

« مخالفة ؟ جنحة ؟ » فلما أخبرته أنها قضية

قتل صاح دهنشاً : « قضية قتل تحقق في عشر صفحات فقط ؟ قتل ! قتل رجل ! قتل نفس آدمية في عشر صفحات ؟ ! » فلما قلت له : « وإذا ضبطنا الجاني بهذه الصفحات القليلة » لم يعبأ بقولى ومضى يزن المحضر في ميزان كفه الدقيق : « من يصدق أن هذا محضر قتل رجل ؟ ! » فقلت له على الفور : « إن شاء الله في المرة القادمة نراعى الوزن ! »

مرّ بخاطري كل هذا وأنا مطرق صامت ... وإذا صوت الشيخ المعنوه يرتفع في القاعة منشداً :  
« فتش عن النسوان ،  
تعرف سبب الاحزان ،  
ورمش عين الحبيبة ،  
يفرش على فدان ... »

لم أغضب على الشيخ الذى امتن حرمه التحقيق بهذا التناء ، ولم أطرده خارج القاعة ، ولكنى تفكرت قليلاً في مغزى كلامه لو أن له مغزى ينفعنى ... كل ما يجوز الالتفات إليه كلمة « النسوان » ، والتفتيش لا عن المشبوهين بل عن النسوان . أى نسوان ؟ إنى لم أرقضية خلت من النسوان مثل قضيتنا هذه . فالمضروب يعيش وحيداً بعد أن ماتت زوجته ، ولا أحد معه غير أم عجوز كسحاء لا ينبغي أن تحسب في النساء . لا ريب أن هذا المصفور لا يعقل ما يقول . هذا الشيخ الأخضر من فصيلة البغاء لا شك ، يردد الألفاظ والأغاني دون أن يعنى بها شيئاً من الأشياء . لكن مهلاً ! إن للمجنى عليه طفلاً . فهل تلك الأم المقعدة المربضة هي التي تعنى بشأنه ؟ « تعال يا عمدة ... » وألقيت على العمدة هذا السؤال :

لهيبة ... ورأيت أن أملك سريعاً ناصية نفسي قبل أن ينكشف الأمر ، فقلت لصاحبة الجمال وأنا أكبر حج عيني حتى لا أنظر إليها :

— اسمك ؟

— ريم

لفظته في صوت ... هز نفسي كما تهز الوتر أنامل رقيقة ، فما شككت في أن صوتي سيتهدج إن ألقيت عليها سؤالاً آخر ، فترثت ؛ وبدت لي دقة الموقف وأيقنت ببطء التحقيق إذا قدر لي أن أقف كالداخخ بين السؤال والسؤال . فاستجمعت ما بقي عندي من شتات القوة والعزم وهيجمت بأسئلة لا أنتظر الجواب عنها إلا جملة ، وقلت لها تكلمي في كل هذا ... ولبثت أنظر ، فعلمت منها العجب العجيب ! إنها حتى الآن لا تعلم ما جرى للمجنى عليه ! فقد أيقظوها من النوم الساعة وجاءوا بها أمامي دون أن يذكرها شيئاً ؛ ولم أشأ أن أخبرها الآن بما وقع وقد آنست منها أشياء لا يدركها إلا مجرد الأحساس ...

سألتها : ألم يخطبها خاطب ؟ فكان الجواب : بلى ؛ آخر من تقدم إليها فتي جميل لم ترفضه ، ولكن زوج أختها وهو في مقام وليها تردد في القبول كما تردد دائماً في قبول الأيدي الكثيرة التي ارتفعت تدعوها كما ترتفع أيدي المؤمنين بالدعاء ! ... « أو تحقدن عليه من أجل هذا ؟ » . فكان الجواب كذلك : لا ، قالتها في نبرة حارة ؛ حرارة خاصة أدركتها كذلك بأحاساسي . « وهل كان بينك وبين الفتى الخطب اتصال ؟ » . نعم لقد اجتمعنا أمام الدار مرتين في لقاء برى . وقد علم أنها لا تكرهه زوجاً ، ولكنها تكره مخالفة وليها . وذلك الولي ما غايته من رد الخطابين

والطلاب ؟ أهو غلو منه في الحرص على هبتها ؟ أهو لا يجد الزوج الكفء ؟ إنها لا تعلم حقيقة سره . وإنها لتريد أن تعلم . وإن هذا ما يحيرها أحياناً ، وما ييكها . إنها تريد أن تعلم . تعلم ماذا ؟ ... لا شيء . لا تستطيع التعبير ... إن التعبير هبة لا يملكها كل الناس

وبعد فالتعبير يستوجب العلم بحقيقة الشهور الرابض في أعماق النفس ... وهذه الفتاة فيما يخيل إلى ذات نفس كدغل « البوص والقصب » لا يصل إلى قاعها من الضوء غير قطع كالدنانير تتراقص في ظلام القاع كلما تمايل القصب ... على أي حال قد بدأت قطع من الضوء تتساقط أيضاً بين سطور « المحضر » ، وبدأنا نضع أيدينا على عصب نابض من أعصاب القضية ، وهممت أن أطلب فنجاناً آخر من القهوة وقد طاب المجلس وحلا التحقيق . وإذا المعاون يسأل ملاحظ النقطة وقد ظهر بالباب :

— أحضر الأسعاف ونقل المضروب ؟

— من زمان !

فأدركت الصبية كل شيء ، فانطلقت من فمها صيحة كتمتها في الحال خجلاً منا ؛ غير أنني ما شككت في أن لها دويماً وانفجاراً داخل نفسها . وأردت أن أمضي في عملي لما وجدت أمامي غير فتاة تجيبني بكلام أبت لا شبع فيه ولا غنى . ورأيت أن أرجى التحقيق فقلت :

— استريحى ياريم ...

ونظرت إلى المأمور :

— الأحسن أن نكمل التحقيق الصبح

فأشار إلى النافذة ، فإذا النهار يدخل منها متلصصاً ، وقد خدعني عنه المصباح المضيء .



فاستويت على قدمي إذ ذكرت للفور أن جلسة الجنبح اليوم ، وقد فاتني أن أدبر الأمر من الليل حتى يخلفني فيها نائب من الزملاء ؛ فلا مفر لي إذن من العودة العاجلة حتى أحضر الجلسة في الميعاد .  
— يا حضرة المعاون ! هات البنت في « البوكس » ... !

وأقفلنا المحضر على أن نستأنف التحقيق بعد الجلسة في دار النيابة . وقفنا إلى « الركائب » فامتطيناهما عائدين .. والشيخ عصفور خلفنا يصيح ويلوح بعوده الأخضر في حركات التائر المتهتاج :  
— هي بعينها !  
والمأمور يجيبه :  
— اعقل ... !

— هي بعينها ، برمشها .. عرفتها ، برمشها .  
— اعقل يا شيخ عصفور ، وافطن لنفسك ، تقع من فوق الجحش !  
ودب التعب في أعضائي فأنحنيت على ظهر الحصان ، ولكن نسيم الصباح الرطب كان يضرب وجهي ضربات خفيفة كأنها لطبات مروحة في يد ماجة ظريفة ، فلم أفقد نشاطي وطفقت أفكر ، وإذا غناء المصفور يرتفع بغتة شديدا كأنه شيء قد انجلى مع قلبه :  
— ورمش عينها يفرش ..

ولم أسمع البقية ، بل سمعت شيئا سقط على الأرض فالتفتنا فألفينا الشيخ عصفور بأطماره على الأرض قد فرش ... فوقنا . وأسرع إليه الخفراء فحملوه إلى حماره ، فاستوى عليه وهو ينفض عن جسمه التراب صائحا مستأنفا :  
— ... على فدان ..

وسمعت المأمور ومساعدى يضحكان ضحكا صافيا .

ثم سمعت المأمور ينتهر المعتوه قائلا له : « افطن لنفسك . صاحبك غرقت في الرياح من سنتين ... » ولم يكن في عقلي وقتئذ غير صورة الفتاة في إطارها الأسود وسرها الذي لم أنفذ إليه بعد . إن سرها هو سر القضية . وإني أتدفعني إلى استجلاء الأمر رغبة لا شأن لها بالعمل . إني أيضا أريد أن أعلم . وسارت القافلة حتى بلغت مصرفا متسعا عميقا زاخرا بالماء ، ركبت عليه خشبة من جذوع النخل في عرض الذراع . وأراد الخفير أن يدفع في عجز حصاني ليجتاز بي المصرف على هذه الخشبة التي في ضيق الصراط فانتبهت وصحت :  
— أنت مجنون يا خفير ... أمر من هنا أنا والحصان ؟

فبدت على وجه الرجل دهشة :  
— سبق لك يا سعادة ( البك ) المرور من هنا بالليل أنت والحصان

فنظرت إلى الخشبة في شبه رعب :  
— أنا ؟ عدت بالليل المصرف من هنا على هذه الخشبة ؟ وكنت وقتها فوق الحصان ؟ مستحيل !  
— الطريق واسع يا بك والحصان عاقل ...  
ولم أرد أن أصغى إلى كلام الخفير أكثر من ذلك . فإذا كانت هذه الخشبة طريقا متسعا في نظر هذا الرجل فهو من غير شك سيجتاز الصراط في الآخرة راكبا جملا . أما عقل الحصان فإن ضمنه هو ، وهو ليس راكبه ، فما يحملني أنا الراكب على هذه الضمانة الخطرة ؟ وأسرعت فنزلت إلى الأرض واجتزت المصرف ماشيا على قدمي فوق الخشبة ، معتمدا على عصاي ...

( يبيع )  
توفيق الحكيم



مَنْ أَعْمَاقِ النُّفُوسِ

# اعتراف فتي العصر

للفريد رى موسيه

بقلم الأستاذ فليكن فارس

تمهيد

في مثل هذه السنة منذ قرن كامل كتب الفريد رى موسيه الأديب الخالد كتابه ( اعتراف فتي العصر ) ليصف الأدواء التي استحكمت بأبناء جيله بعد أن اجتاحت أوروبا بأسرها أعاصير الحروب ، ووقفت على أطلال عالم منسدر شبيهة بتمثرت أنماها وترزعزع إيمانها

ولقد رغب الى الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة التي تنير آفاق الشرق العربي بالحكمة ، وصاحب الرواية التي يختار لها من الأدب العالمي أصفاة مورداً لتثقيف المواطن الحائرة في النشء الجديد ، أن أترجم هذه التحفة الأدبية الخالدة ؛ فنزلت عند رأيه لأنه صادف هوى في نفسي ، إذ أنني أرى ما يراه الأستاذ الكبير من أن اعتراف فتي العصر هو خير ما يهدي للشبيبة العربية الواقفة على أطلال حضارتها القديمة متطلعة الى مستقبل مجهول ، حائرة بين تذكاراتها وآمالها .

عن الاسكندرية فليكن فارس

للمجلد الأول

الفصل الأول

لا يدون تاريخ حياته من لم يبتل الحياة ،  
فما أكتبه ليس تاريخاً لحياتي

\*\*\*

منيت في شرح الصبا بعملة نفسية تروعت لها  
ثلاثة أعوام ، وهأنذا أسرد ما تحملته منها  
ولو أنني كنت المصاب وحدى بهذه العلة  
لاخترت كتابها ، ولكن الكثيرين يشكون الداء  
الذي أشكو . فالي هؤلاء أوجه رسالتي ؛ وسواء  
استوقفهم بياني أو مروا به غافلين ، فإن هذا البيان  
سينهش ما أطبقت النوايب عليه مني كما ينهش  
الثعلب رجله ليتحركها للفتح وينجو بنفسه

## الفصل الثاني

في إبان الحروب الامبراطورية ، بينما كان الآباء  
والاخوة في بلاد الألمان ، قذفت الأمهات المضطربات  
هذا الوجود بسلالة شاحبة عنيفة مستعرة الأحشاء ،  
تلك سلالة تمخضت الحياة بها بين معركتين ،  
وربيت في المدارس على دوى الطبول ، فكان إذ  
ذاك ألوف من الأولاد يحدج بعضهم البعض الآخر



وكان أبناء ذلك العصر ينشقون الحياة تحت تلك السماء الصافية الأديم حيث لمت الأبحار وتموجت الأنوار منمكسة على الفولاذ ، وماجهاات تلك الشبيبة أنها ممددة للمجازر ، ولكنها كانت تعتقد أن (مورات) أرفع من أن يناله الموت ، وكانت رأت أن الامبراطور يمر بين كرات المدافع ويقطع أحد المعابر هازئاً بنفثات البنادق فداخها الشك في انسانيته وحسبته من أبناء الخلود

وما كان ملك الموت ليلقى الذعر في روع هذه الشبيبة وهو متشح برداء البهاء والجلال تتصاعد منه أبخرة النجيع كأنه بشير الأمل لا نذير الفناء وكأنه ، وقد حصده بمنجمله حقولاً من السنابل الخضراء ، استمد منها الفتوة فلاح غض الإهاب ناضر الشباب

لقد أصبحت الشيخوخة وهما من الأوهام ، واستحالت المعهود كما استحالت النعوش أيضاً دروعا نخلت فرنسا ممن يدب على أرضها من العاجزين فلم يبق على تلك الأرض إلا إنصاف آلهة أو أشلاء أموات

وقف يوما هذا الامبراطور الذي حسبه الناس خالداً على أكمة أشرف منها على سبعة شعوب تتناحر ، وما كان يدري أيمتد حكمه إلى آخر العالم أم يقف عند نصف العالم ، فرّ به عزرائيل وبلمسة من طرف جناحه دفع به إلى عباب الأوقيانوس الفسيح

وبلغ دوى سقوطه آذان الدول المنطرفة على أسرة الاحتضار فجلست تقاوم أوجاعها ومدد الملوك راحاتهم المتقلصة فاقتسموا أوروبا ، واتخذوا من وشاح القيصر مرقعات يستترون بها

شزراً وهم يمرتنون على القوة عضلاتهم الضعيفة . وكان الآباء الملطخون بالدماء يلوحون للأبناء من حين إلى حين فيرفعونهم لحظة إلى صدورهم المحلاة بالذهب ثم يتركونهم إلى الأرض ، ويعودون إلى صهوات الجياد

ولم يكن في فرنسا غير رجل واحد يتمتع بالحياة ، أما الباقون فكانوا يجتهدون أن يملأوا صدورهم من الهواء الذي كان ينشقه ذلك الرجل ثم يفر به إلى الناس ؛ وكانت البلاد تقدم له كل سنة ثلثمائة ألف من شبانها جزية فرضت للقيصر ليتمكن وهو يجرها كالساعة ورائه من بلوغ الأبحار التي بطمح إليها ، بل ذلك هو الركب الذي كان يحتاج إليه ليجتاز الدنيا متجهاً إلى الوادي الحقيق حيث ترمى على جزيرة قفراء تحت أغصان الصفصاف الباكي

وما مرت في التاريخ ليالٍ ساهدة كالليالي التي مرت في عهد هذا الرجل ، وما شوهد في أي زمن من الأزمان مثل هذا العدد الغفير من الأسهات ينتجين متفجعات باكيات على الأسوار والحصون ؛ وما أصنى الناس برهة إلى من يتحدثون عن الموت إصفاءهم في تلك الأزمان ، ومع ذلك لم يشهد التاريخ مثل ما تجلى في ذلك العهد من سرور ومن قوة حياة ، وما أوقدت موسيقى الحروب من حماس في كل القلوب ؛ وما لمت في فرنسا شمسٌ كذلك الشمس التي جففت على الأرض أنهاراً من الدماء ؛ وكان الناس يصفونها بشموس أوستراتز ويمتقدون أن الله انما يشرقها لخدمة ذلك الرجل ؛ خير أنه هو كان يطلقها من أفواه مدافعه المرعدة فلا تنفقد من نيرانها النجوم إلا في اليوم التالي لمباركه .

الحزوب للحروب ، وراودت أحلامهم طوال خمس عشرة سنة ثلوج موسكو وثمس الأهرام . وما كانوا خرجوا من مدائنهم ، ولكن قيل لهم إن أبواب كل من هذه المدائن تقود الى عاصمة من عواصم أوروبا . لقد كان العالم بأسره مأثلاً في خيال تلك الشبيبة ، ولكنها كانت تجيل أبصارها على الأرض والسماء والطرق فتراها كلها مقفرة خالية ، ولا تسمع إلا رنين أجراس الكنائس تقررع الهواء من بعيد

واجتازت الحقول أشباح ماحلة تنخطر على مهل ساحبة أردانها السود

وطرقت الأشباح أبواباً أخرى لتبرز للسكان أوراقاً أخلقها الزمان ، وتأمرهم باخلاء منازلهم . وانفجرت الحدود المقفلة عن رهط المهاجرين الذين هرعوا الى فرنسا ولم تزل على وجوههم آثار ما نزل بهم من الخوف منذ عشرين سنة . وساد الصخب وعلا الضجيج ، فدهش العالم لمبنة واحدة تستجلب مثل هذا العدد الغفير من الغربان وجلس ملك فرنسا على عرشه وهو يقاب

نظره في رياش قصره خشية أن يكون قد تبقى عليها أثر من شارات الأجداد البائدة ، فتألب حوله رهط المائتين عمد بعضهم يد الاستجداء فينفجهم بالمال ويقدم البعض الآخر له صليباً فينحني مقبلاً هذا الصليب

وناجاه البعض بالمدح والاطراء فأشار الى مثل هؤلاء بالذهاب الى القاعة الكبرى حيث تتكفل الأصداء بأذاعة مجد الملك العظيم ... وزحف آخرون عند أقدام العرش عارضين ما أخلق الزمان من أردبتهم وقد نزعوا عنها شارات العهد البائد ،

يواصل المسافر السير بالسرى ويقترحم الحر والقر ووجهته مقر عياله دون أن يشعر بثقل السهد أو يبالي بما يحدق به من أخطار إلى أن يستقر بين أهله ويجلس أمام الموقد ؛ حينئذ يحل عليه التعب فلا يجد في عضلاته من القوة ما يستعين به على الزحف إلى مرقدته ؛ وما كانت فرنسا حينذاك إلا مثل هذا المسافر حين مات قيصرها فترملت ، شمعت فجأة بما أثخنها من جراح ، فسقطت لاتى واستغرقت في نومها حتى حسبها ملوكها الشيوخ ميتة فطرحوا عليها الأكفان البيضاء

ورجع الجيش القديم فلولا أرهقها العياء وعلا المشيب مفارقها ، فمادت الأنوار تشع حزينة في باحات القصور المقفرة

حينئذ أقبل رجال الامبراطورية الذين جاؤوا الأفطار وملأوها دماً على نساءهم الشاجبات ، وقبلوهن متحدتين عن الغرام القديم ، وتحولوا إلى مياه الندران ينظرون فيها الى وجوههم وقد خدتها الهرم فتذكروا أبنائهم وهم يقتربون الى الحين الذي يذكر الانسان فيه من يغمض له أحفانه

وخرج الأبناء من المدارس ، وإذا لم يجدوا لا سيوفا ولا دروعاً ولا فرساناً ، أجالوا الطرف مفتشين عن آباءهم ، فقبل لهم إن الحرب قد انقضى عهداها ، لأن القيصر قد مات ، وأن صورتي ولنكتن وبلوخر معلقتان على جدران السفارات ، وقد كتب تحت كل منهما : (نَحْنُ الصَّالِحُونَ)

في ذلك الحين ربضت على أطلال العالم القديم شبيبة تتنازعها المموم

وكان كل هؤلاء الشبان نقطا من الدماء المحرقة التي غمرت وجه الأرض . ولدوا في أحضان



السحرية ، ولكنهم شاهدوا وهم عائدون إلى مساكنهم ثلاث جثث لثلاثة شبان تجرأوا على التلغظ بكلمة الحرية ؛ فرت على الشفاه ابتسامة ملؤها الأمل

وارتقى المنابر بعد ذلك خطباء آخرون فتكلموا عن مساوى الحروب وأخطار الانتفاض ، وأفاضوا بذكر المطامع وتكاليفها قائلين إن الحروب مذابح والمعارك مجازر . وتكلموا تكررآ وتكلموا طويلاً حتى تمرّت النفوس من أمانها كما تمرى أشجار الخريف من أوراقها ، فكان السامعون يمدّون أيديهم إلى جباههم يتلمّسونها كما يتلمّس المحموم موضع شعوره وهو بقيق من غيبوبته

وقال البعض لقد سقط الامبراطور لأنه أرهق الشعب ، وقال آخرون — إن الشعب أراد الملكية بل الحرية ، بل سيادة العقل ، بل سيادة الدين ، بل الدستور الانكليزي ، بل الحكم المطلق . فارتفع بين هؤلاء المفترضين صوت قائلاً — لا ، لم يرد الشعب شيئاً ، إن ما أراداه الشعب هو أن يرتاح ( يتبع ) فليكس فارس

### قصص اجتماعية

مترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

مجموعة من القصص الرفيع الشائق لثمانية من أعلام الأدب الفرنسي م : بورجيه . كوييه . أناتول فرانس . موباسان . تيريه . مارسيل برينفو . دي بانفيل . جان لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق . في ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب ثمنه ١٠ قروش ويباع مؤقتاً بـ ٦ قروش بخضم ٤٠٪ عدا البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه ويطلب من إدارة الرسالة ، ولجنة التأليف والترجمة وجميع المكاتب

فكان الملك يأمر هؤلاء الخونة بالخلع السنية ... وكانت الشبيبة تشهد هذه المهازل متوقعة ظهور خيال القيصر على شواطئ ( كان ) ليرسل عاصفته الكاسحة على هذه الحشرات

تعثرت الآمال وطال السكون ، فلم تلج في الآفاق غير الزنايق الصفراء شارة الملكية المتحركة وسأل الفتيان عن الأجداد فقيل لهم : اعتنقوا الكهنوت

وسألوا عن الأمانى فقيل لهم : اعتنقوا الكهنوت

وسألوا عن الحب والقوة والحياة فقيل لهم : صيروا كهنة

واعتلى المنبر في ذلك الزمن رجل يحمل عقد اتفاق بين الملك والشعب ، فقال : جميلة هي العظمة والمطامع والحروب ؛ ولكن هنالك ما هو أجل منها جميعاً : هنالك الحرية

فرفع الفتيان رؤوسهم وتذكروا أجدادهم الذين تكلموا هم أيضاً عن الحرية ، وعادت إلى مخيلتهم تلك الدمى الرخامية التي كانوا يرونها في زوايا بيوت آبائهم ، وقد تدلت شعورها ونقشت على قواعدها تواريخ رومانية

وتذكروا أيضاً أنهم شاهدوا أجدادهم في ليلة سمر يهزون رؤوسهم ويذكرون معارك تفجرت فيها الدماء بما يفيض عن النهر الذي أساله الامبراطور . لذلك دوت كلمة الحرية في آذان هؤلاء الفتيان بصوت نبضت له قلوبهم كأنهم يصغون في آن واحد إلى صوتين : أحدهما صوت الذكرى البعيدة المروعة ، وثانيهما صوت الأمل المنشود يتراجع من مستقبل أبعد من الماضي

هزت كلمة الحرية هؤلاء الفتيان بنشوتها



# الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة:

هذه هي القصيدة الثانية الخالدة، والملحمة المعجزة الكبرى، للشاعر اليوناني الأعظم هوميروس، تقدمها لقراء الرواية، كما قدمنا أختها (الألياذة) لقراء الرسالة من قبل. وستكون ترجمتنا للأوديسية كترجمتنا للألياذة أي ترجمة تلخيص؛ فقد وردت في ثنايا القصيدة تنف أسطورية لاصبر لجمهرة القراء على اللام بها. ومن أجل ذلك آثرنا إظهار الصور الهوميرية الرائعة التي اشتملت عليها الملحمة دون الحواشي المربكة التي تتلف روعة هذه الصور.

هذا، والأوديسية مرتبطة بالألياذة ارتباطاً هيناً بحيث لا يحول بين من لم يقرأ الألياذة وبين هذه الترجمة، وسنجهتد في شرح النقط (القليلة) التي تقتضي العود إلى الألياذة.

\*\*\*

نصير

لم تكن حرب طروادة معركة بين طائفتين من الناس فحسب، بل كانت كذلك حرباً عواناً بين طائفتين من الآلهة: أحدهما - وفي مقدمتها

مينرفا (باللاتينا) - تؤيد اليونانيين؛ والأخرى - وفي مقدمتها أبولو ونبتيون (پوسيدون) - تؤيد الطرواديين. وقد تناولت الألياذة ذاك الصراع الطويل المائل الذي نشب بين الطائفتين تحت أسوار طروادة، والذي انتهى بانحسار الطرواديين، وغلبة اليونانيين، وحرق طروادة وتخریبها. أما الأوديسية فتقتصر على عُنُقِي واحدة من عُنُقِيَات تلك الحرب، ألا وهي عودة البطل العظيم (أوديسيوس) <sup>(١)</sup> إلى مملكته إيثاكا بعد مجازفات جمة وعُقَبَات كثيرة اقتحمها جميعاً بعد طول الجلد والصبر الجميل، واحتمال أذى (نبتيون) رب البحار وألد أعداء أوديسيوس. ولقد ظلت ملحمتا هوميروس (الألياذة والأوديسية) الممين الذي لا ينضب لجميع شعراء اليونان؛ فكاهم اتخذوا منها موضوعات دراماتهم، وكاهم كانوا ينظرون إليها كمنهاجهم الأعلى الذي لا مثل لهم فوقه.

(١) Odysseus أو أوليسيز Ulysses كما سميناه في الألياذة



والآثم ، ممزقين في دار الغربة كل ممزق ، يتجشمون  
المصائب والأهوال ، ويتخبطون بين موج كالجبال ،  
ويخلصون من بحر إلى بحر ، ومن روع إلى روع .  
فاذا أرسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا ، أفرعهم  
فيها غير الذي رجوا ...

ولقد رقت قلوب الآلهة ، وودوا لو أدركوا  
برحمتهم أوديسيوس ... إلا نيتيون الجبار ، رب  
البحار ، الذي يضرر للبطل في أعماقه كل كراهة  
وكل بغضاء ، وآلى أن يصب على رأسه كل تلك  
الآرزاء ...

وحدث أن كان نيتيون في حرب مع الأثيوبيين  
فانهزها الآلهة فرصة سانحة ، وعقدوا مجلس الأولمب  
في ذروة جبل إيدا ، وتفضل الآله الأكبر ،  
زيوس<sup>(١)</sup> ، فافتتح الجلسة بكلمة خاصة توجع فيها  
لما يلقاه بنو الانسان من صروف الحداث ، واستطرد  
فذكر مأساة أجا ممنون المسكين وما لقيه على يدي  
زوجه وعشيقتها الأثيم إيجستوس<sup>(٢)</sup> من غدر وغيلة ،  
ثم أمحى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين  
يقولون إن كل ما يصيبهم من خير وضر هو من  
عند الآلهة ، وما هو إلا من عند أنفسهم ... ولكن  
لا يفهمون !

ثم نهضت ميثرا ربة الحكمة ، ذات العينين  
الزبرجديتين ، فأيدت ما قال أبوها سيد الآلهة ،  
وأثنت عليه ، ثم ذكرت أوديسيوس ... « ذلك  
التعس المسكين الذي تخبطه وصحبه البحر ،  
وقضى عليه - دون أقرانه جميعاً - أن يشقى هذا  
الشقاء الطويل ، عند عروس الماء الفاتنة كاليسو

(١) Zeus أو Jove أو Jupiter

(٢) عرضنا كل ذلك في الرسالة في المجلد الثاني من  
السنة الرابعة

ولقد نلخصنا لقراء الرسالة درامات إسخيلوس  
وإحدى درامات سوفوكليس ، ورأينا كيف كان  
هوميروس رائدهما جميعاً كما كان رائد أقرانهم من  
قبل ومن بعد : بندار وهسيود ويوريبيدز ...

— ١ —

أنشد يا هوميروس !  
وظل في فم الأبد قيثارته المُرِنّة ، ونابته  
الطرب ، وعوده الآن ، ونغمته الحلوة الحنون !  
أنشد يا شاعر المُصنّر الخالي  
وحل في الأسماع موسيقى مدوِّية ، وفي الميون  
دموعاً جارية ، وفي القلوب رحمة ومحبّة ؛ وانفج  
عرائس الشعر من لدنك سلطاناً ، وحكمة وبياناً ،  
ومريراً وصولجاناً

تغن يا شاعر أولمب !  
ولترسل من جنتك نعمةً تنتظم الأفلاك ،  
ورنةً تجلجل في الأفق ، وآهةً ترزل قلوب الجبارين !

\*\*\*

سقطت اليوم<sup>(١)</sup> ونزع المغير بخيله ورجله .  
فتما لي يا عرائس الفنون فافتقدى أوديسيوس في  
ذلك البحر اللجج يذرعه ؛ موجة تلبسه وموجة  
تخلعه ، لا يعرف لملكته ساحلا فيرسو عليه ،  
ولا شاطئاً فيقصد إليه ... يخبط في اليم على غير  
هدى ، ويرسل عينيه في الماء والسماء على غير  
بصيرة ... زرقة متصلة في المُلو والسفل ، وتبيه  
لانها في يخبط في أحشائه أسطول السادة المنتصرين ...  
والأقدار وحدها تعلم لم ضل أوديسيوس  
بجنوده في ذلك العباب ، وقد عاد كل أقرانه إلى  
هيلاس بمد طول النأي وشحط الدار ، إلا هو

(١) Ilium هي طروادة

إلى مولاهما أن ينفذ ولده هرمن إلى جزيرة أوجيجيا ، فيأمر هرمنوس النصار كاليسو أن تعد مركباً عظيماً لأوديسيوس ورفاقه ليعودوا عليه إلى أوطانهم ؛ ثم ذكرت أنها ستمضي من فورها إلى إيثاكا حيث العشاق المأقنين يحاصرون قصر ينلوب ، وحيث ابن أوديسيوس المنكود ، تليماك ، يشهد خراب مملكة أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكناً لصغر سنه ... « إني سألهب إحساسه ، وأفتح عينيه على ما ينبغي ... سأجعله يخرج من هذه العزلة المعيبة ليعتد عن والده ، فإنه لم يعد طفلاً بعد ... »

وانطلقت ميثرا فربطت نعلها السحريتين على قدميها الجليتين ، وحملت رمحها العظيم الذي تقطر المذايا من سنانها ، ووضعت قاجها المربع على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقها للريح ، حيث كانت بعد لحظة على مقربة من قصر أوديسيوس ، فهبطت من السماء إلى الأرض ؛ وفي لحظة انقلبت فأنخذت شكل آدميين ، وتخاليت في جثمان الأمير منتس<sup>(١)</sup> وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع العشاق المجانين من من أجل ولية ، وتلفتت بمنة ويسرة ، ورأت الفتى السادر السام الحزين تليماك ، وقد تمعدت فوق جبينه هموم ... وهموم ، وتفصنت ملء أساريره آلام ... وآلام

وما هو إلا أن لحما تليماك حتى أخذه من هيتها شيء عظيم ... فهب للقائها مسرعاً ، ثم مد لها يده مصافحاً وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(١) يروى أن منتس كان بحاراً غنياً وكان يحمل هوميروس في رحلته الواسعة من غير أنير ، ولذلك كافأه هوميروس بخلد اسمه بذكره هكذا في الأوديسيه

في جزيرة أوجيجيا ، ثمانية أعوام أوزيد . ما ذنبه ؟ ما جريره ؟ لماذا ينفى هذا العبد الصالح في أقصى الأرض يا أبي ؟ إنه خير عبادك أجمعين . أذكر كم ضحى الأنحيات باسمك ، وقدم القرابين من أجلك ، وحارب أعداءك ، وجاهد شائريك ! لقد نعي إلى أن كاليسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسيه وطنه إيثاكا ... باللؤلؤ ! كيف يا أبته ! وهذه الزوجة الناعسة ينلوب ؟ ! ينلوب المحزونة الرزاة ! ينلوب التي صبرت وصابت طوال هذه السنين على ما كثرها الدهر به من بعد زوجها ؛ ينلوب التي لحافظت على طهرها وإخلاصها ؛ أنظلي هكذا سجيناً في قصرها المنيف الباذخ ، ويظل هذا القصر محاصراً بعشاقها المجانين من أمراء الأقاليم ؟ ! أبي ! يا سيد الأولب ! ألا تدرك برحمتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه ليدود هذه الكلاب التي ولت في حوضه وكادت تخوض في عرضه ؟ تداركه يا أبي ؛ تداركه بمعطفة واحدة منك ، وإنك على إنقاذه لقوى مكين »

واستجاب لها سيد الأولب ، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛ لكنه ذكرها برب البحار نيتيون ، وذكرها بما بينه وبين البطل من تراث وثرات ، « سببها هذه الفعلة الجنونية التي فعلها أوديسيوس بواحد من السيكلويس<sup>(١)</sup> ، أبناء نيتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التي كان بنعم بوساطتها بزينة الحياة ... إطمئني يا بُنية وقرى عيناً ... إننا نحن الأعلون ، وسيرى نيتيون أنه لن يغاب الآلهة مجتمعة أبداً ... »

وشاعت الغبطة في أعطاف ميثرا ، وتضرعت (١) سيأتي ذكر ذلك في الكتاب العاشر من الأوديسيه



ولكن ... أواه ! ... أين هو ! أين أوديسيوس العظيم الذى انتظمت عنا أخباره ويئسنا من عوده إلى دياره . ولكن حدثنى بربك من أنت ؟ ومن أى الأقاليم قدمت ؟ ومن رجال البحر الذين أقوا مراسيهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيما خلا من الزمان من أصدقاء أبي وأحبائه ؟ »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين :

« ليهداً بالك يا بني ، فاني مجيبك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير ( جزيرة الطافيين ) البحارين ، وسليل انخيايوس الكبير . ولقد أبجرتنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المعدن الثمين ، وسفائننا ملقاة مراسيها بالقرب من غابات ( نيوس ) . ولقد كنا وما تزال من أحب ضيفان أليك وأودهم إلى قواده ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وببيته من لأواء إستوحينا آلهتنا نخبرتنا أنه لابد عائد إلى وطنه سالماً غانماً ، وأنه لابد منتقم من هؤلاء النجار الأشرار ... ولكن خبرنى بأربابك ، أفى الحق أنك لآنت ابن أوديسيوس العظيم ؟ إن ملاعك تشبه ملاحه ، وإنك لقريب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذى يشع من عينيك هو نفسه الذى كان يشع من عيني أوديسيوس ، يا للآلهة ! كم سمعت إلى أليك قبل أن يشدر حاله إلى طروادة ! فهل يقدر لى أن أسمر إليه مرة أخرى ؟ إننى من من وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرني ... ما أشوقنى إليه ! ما أشوقنى إليه ! ... »

وشاع بارق من الأمل فى نفس تليماك فقال :

« وبحك أيها الصديق ! إننى أنا ابن أوديسيوس ما فى

« مرحباً مرحباً بالغريب المكرم ! هلم فشارك فى ذلك القصرى ، ولنتحدث بعدها فيما أقدمك إلينا . مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً ! ... » وإدلف نحو الصالة المزخرفة وتبعته مينرفا ، وفى يمتاها زعجها الجبار الذى يقدح من سنانة الشرر ؛ حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذى أسندت إليه مئات الرماح ، والذى كان أوديسيوس يسند إليه رماحه وعدة حربه ، تناول تليماك الرمح وأسندته بمد جهده ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح المشاق الفاسقين . وتقدم نحو أريكة وثيرة منعزلة ، وسأل مينرفا فاستوت عليها ، وكأمانة بما من من أن يستمع إليهما أحد ... وأقبلت جارية فينانة رائمة تحمل طستاً وإبريقاً من الذهب ، فصبت الماء على يدي الضيف ويدي تليماك ؛ ثم مضت فأحضرت مائدة نسقت عليها الورود والرياحين ، ونشط النادل<sup>(١)</sup> يحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوى ، فباتى بها ملأى ويمضى بها فارغة ... والندمان<sup>(٢)</sup> فيما بين ذلك يجذب الزق<sup>(٣)</sup> إليه ويسقى ... ثم يسقى ... وشرع العشاق المجرمون بدورهم بيلتهمون ما لذ لهم وطاب من آكال وشراب ... حتى إذا انتهوا شرع فيمبوس نايه وانطلق يغنى

وانتهز تليماك فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم فسأل الضيف قائلاً :

« يا أعز الأصدقاء ! أرايت إلى أولئك الفساق ، لو أن رب البيت هنا كانوا يلهون لهوهم هذا أو يفسقون فسقهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الحرب ، منهم إلى ذاك الطرب ؛

(١) النادل خادم المائدة

(٢) الندمان ساقى الشراب

(٣) الزق قرية الخمر





سلفت قد استطاع أن يصل منه إلى بقعة هي في مستوى عيني ، وليس بين تلك البقعة وبين القمة إلا مقدار ما بين عيني وقمة رأسي . أما ارتفاع الجبل الحقيقي فيبلغ تسعة وعشرين ألف قدم ، وما بقي منه يتحدى مغاليبه يبلغ الألف فحسب ، بل إنه في الواقع دون الألف بقليل

وسياتي عاجلاً أو آجلاً اليوم الذي يرق فيه الانسان قمة ذلك الهرم الساخر من قدرته . وليس ما يتساءل عنه الآن هو إمكان صعوده ، وإنما سؤاله هو : « متى يكون ذلك الصعود ؟ »

ويرجع تسمية أعلى جبال العالم باسمه هذا ، إلى « سير جورج إفرست » ، الرجل الذي حدد موضعه وقاس ارتفاعه ، وهو على بعد منه ؛ وما كان يمكن قبل أن يدنو منه أحد ، فلقد ظل الكثيرون من بوابل المتسلقين زماناً يرجون الوصول إلى قاعدته ليروا ماذا يستطيعون فعله حيال هذا الجبل الشاهق . ولن يتيسر الوصول إلى تلك القاعدة إلا عن طريقين ، أحدهما يخترق قرية « نيبال » والآخر يخترق قرية « تبت » ؛ ولكن حكام كلا القريتين كانوا يأبون أن يسمحوا لأحد بالوصول إلى الجبل . ذلك أنه عندهم بمثابة « أولبوس » عند الأغريق ، أعني أنه مقر آلهتهم ، ومن أجل هذا ظلوا زمناً مصممين على منع الدنو منه

ولقد قام « سير جورج إفرست » بتحديد ارتفاعه عام ١٨٤١ . وبعد ذلك بثماني سنوات سوياً برهنت حكومة تبيت على مقدار ما تمكنه من شعور المؤدة نحو بريطانيا ، بأن سمحت بما كانت تأباه من قبل



إذا قدر للانسان أن يصل إلى قمة إفرست ، فإنه بذلك يضيف نصراً عظيماً إلى سالف انتصاراته على الطبيعة . وليت شعري ما عسى أن تجيء به الأيام في أمر تلك المحاولة الهائلة ؟ على أن الانسان الآن من تلك القمة الشاهقة على قاب قوسين ، أجل ليس ثمة الآن من مسافة بين البقعة التي وصل إليها الانسان أخيراً وبين تلك القمة التي تعتبر أعلى مكان في كوكبنا هذا ، إلا بقدر ما تسميه جولة يسيرة . ومن هاتيك البقعة تبدأ المحاولة الكبرى أو يبدأ الامتحان العظيم ، فإن تلك الجولة اليسيرة طالما قهرت الانسان وردته ، وظلت قمة إفرست على قربها من الانسان قريباً يتحداه ويضايقه ، لم تظأها إلى اليوم قدم بشرية !

ومن الصعب أن تتبين مدى قرب الانسان من النجاح في تلك المحاولة ، ولكن فلا تحاول أن أجور الموضوع لذهنك بعض التصوير

هأنذا رجل يبلغ طول ستة أقدام ، فهل في وسعك أن تتخيل نموذجاً صغيراً لهذا الجبل في نفس الطول ؟ إذا استطعت أن تمثل في خاطرك هذا الجبل الصغير فاعلم أن الانسان في عدة محاولات

ولكن مع أن التسلق لا يبدأ فعلاً إلا في أول مايو ، فإن ما يسبق ذلك من أهبة يبدأ قبل عدة شهور . فلا بد أن يبحث عن قائد ؛ ثم لا بد أن يتخير ذلك القائد من الرجال من يصحبه ؛ وهو في ذلك لا يبحث عن مهرة التسلقين فحسب ، بل تراه يبحث عن تقارب قوى احتمالهم حتى يواصلوا السير جماعة ، فإن الصمود إلى مثل ما ينتوون ارتقاءه من المرتفعات يفقد المرء أثره ، ويشيع الهياج والاضطراب في أعصابه

ولن يقتصر الأمر على ذلك ، بل لا بد من أعداد أطنان من المؤن وشتى الأدوات وإرسالها جميعاً إلى الهند ، ثم يلتقي الرجال ومعهم متاعهم عند « دراچيلنج » ؛ وهناك يستأجر المحالون من الوطنيين وما تطلبه الحملة من حيوانات ؛ ومن ثم تسير القافلة الطويلة قاصدة الجبل مخترقة السهول الرملية تارة ، ومتسلقة الشعاب المعترضة تارة أخرى !

وعند ما تبلغ القافلة إلى قاعدة أفرست نجد نفسها على بعد هائل من مستوى سطح البحر ،



ينشأ المعسكر الأول - أو معسكر القاعدة كما

على أن أولى الحملات التي أرسلت على هذا الجبل لم تقع إلا عام ١٩٢١ ، وكانت وجهتها في الحقيقة معرفة ما إذا كان من الممكن تسلقه . ومن البديهي أنهم لو وجدوا ذلك يسيراً فما كان هناك من الأوامر ما يحول بينهم وبين السير إلى القمة ، ولكن الفرض الأساسي للحملة كان معرفة مدى ما يمكن الوصول إليه

ويقع جبل أفرست على بعد ثمانين ميلاً من « دراچيلنج » أقرب مكان إليه في الهند . ولقد أظهرت المناظير القريبة أن من الممكن تسلقه . على أنه حتى ذلك اليوم لم يتعد أي رجل من البيض في قربه من الجبل أكثر من أربعين ميلاً . ومن المسلم أن ما يقف عليه المرء من المعلومات عند سفحه أضعاف ما يستطيع الوصول إليه على ذلك البعد ؛ ولكن البعثة على الرغم من ذلك وصلت إلى تيجتين كلتاها على جانب عظيم من الأهمية : أولاهما أنه إذا كان من الممكن تسلق الجبل فلن يكون ذلك إلا من جهة واحدة ؛ والثانية أن كل محاولة لا بد أن يتقرر نجاحها في الفترة ما بين أول مايو ومنتصف يونيو . وعلة ذلك أنه لا يستطيع أي إنسان الصمود على جوانب ذلك الجبل في معظم شهور السنة نظراً للأحوال المناخية القاسية ؛ حتى إذا كان مايو تحسنت تلك الأحوال بعض الشيء ، ولكن ذلك التحسن لا يدوم طويلاً ، ففي منتصف يونيو يبدأ تهطل الأمطار الموسمية على الهند ، وإن يقف أمر تلك الأمطار عند ما يصحبها من رداءة الجو ، بل إن الثلج في ذلك الوقت يأخذ في الزحف من مكانه وذلك هو الموت



يسمونه - على مدى خمسمائة وستة عشر ألف قدم من سطح البحر

ومن تلك القاعدة الأساسية تأخذ القافلة في الضمود ، وتراها تقيم المعسكرات على مسافات كلما قطعت مرحلة في طريقها الرهيب ، ويكون السير بطيئاً متدرجاً في الخفة حتى يعود الرجال مقابلة تلك الرياح العنيفة . وفي آخر مايو ينشأ المعسكر الرابع عند ما يسمى بالمقدمة الشمالية وهي إحدى الشعاب التي تربط أفرست بغيره من سلاسل الجبال ؛ ويكون ذلك المعسكر على ارتفاع ثلاثة وعشرين ألف قدم وإذا تم بناء المعسكرات وضع فيها من المؤن ما يرجع اليه عند الحاجة ، كما أنه يترك فيها بعض الرجال ، حتى يكون هناك من الحمالين من يقوم على طول المسافة متنقلين أحياناً من معسكر إلى آخر ، ومعنى ذلك أن يكون هناك طريق معبد آمن يربط تلك المعسكرات بعضها ببعض ؛ ويقوم البيض بتعبيد هذا الطريق وشق ممرات ومسالك في التلج عند المنحدرات الوعرة ، والاستعانة بالحبال عند الحاجة .

ويكون كلا المعسكرين الخامس والسادس مركزاً للهجوم . وإقامة هذين المعسكرين من أصعب وأشق الأعمال ، فإن جانب الجبل في تلك المنطقة أشبه بسقف النزل ، ولذلك ينسدر أن تجد مكاناً لأقامة خيمة واحدة . ناهيك عما يكتنف المكان من ربح عاصف عاتية تلذع الأجسام لذعاً ألماً ، فضلاً عن ذلك الزمهرير الذي يصل درجة من الشدة بحيث لو أجات يدك برهة في عمل من الأعمال وهي عارية من القفاز لا بد أن يقف الدم

في عروقها متجمداً ؛ وإذا زلت قدمك قيد شبر فهناك الموت ينتظرك في قرار سحيق ؛ ومع كل هاتيك الأحوال كثيراً ما يتضارب الحمالون من أجل ذلك الامتياز : امتياز حمل الأثقال بين المعسكرات . ولا غرابة بعد ذلك أن يسميهم المتسلقون من البيض « بالعمور »

ولكل قائد حملة خطته في تعبئتها والسير بها . وهأنذا أعرض عليك فكرة عامة مما يغلب حدوثه في تلك الخطط . يتقدم رجالان من البيض ومعهم ما يطلبون من الحمالين حتى يصير الجميع على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، وهناك يبنون المعسكر الخامس ويحيطون عنده رحلهم ، ليريحوا أجسامهم المكدودة فترة مما نالها من نصب . وفي اليوم التالي يستأنفون تصعيدهم حتى يبلغوا علو سبعة وعشرين ألف قدم أو نحو ذلك ، وهناك يبنون المعسكر السادس ، فيأوي إليه الأيضان ويرسلان الحمالين ثانية إلى المعسكر الرابع ، وبذلك يبقى الخامس خالياً ، فيسير إليه اثنان آخران من البيض ويستقران فيه حيث يجدان الكثير من المؤونة ووسائل الراحة .

وفي صباح اليوم الثالث يخرج الرجال الأولان من المعسكر السادس ميممين القمة ، فإذا لحقهم الفشل عادوا إلى المعسكر الخامس ، وبذلك يبقى السادس خالياً فيسير إليه صاحباً المعسكر الخامس ، ويبيطان فيه ليلتهما . حتى إذا نفث الصبح ، إن كان ثمة من أصباح ، يما شطر القمة في دورها وفي أثناء ذلك يكون الاثنان الأولان في طريقهما إلى المعسكرات السفلى ليرسلا غيرها من البيض كي

يستقرا مكانهما في المعسكر الخامس على استعداد للزحف

هذه الطريقة بتوفر المتسلقون الجدد على التوالي . وإذا كان للثنتين الأولين شرف البدء في تلك المحاولة العظيمة ، فكثيراً ما يصيب من يليهما حظاً أوفر من النجاح ، وذلك لزيادة اعتيادهم تلك الظروف الجوية الرعبة

وصلت أولى الحملات التي أعدت للهجوم على القمة إلى قاعدة أفرست في أول مايو عام ١٩٢٢ وهي السنة التالية للسنة التي وصلت فيها بمئة الكشاف والدراسة . ولكن الثلج قصم أعوادهم وأوهن عزيمتهم وقضى على مجهوداتهم بالفشل . سار هؤلاء الأبطال أول الأمر حتى استطاعوا أن يبنوا المعسكر الخامس على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، ومن تلك البقعة استطاع بعضهم أن يرقوا إلى سبعة وعشرين ألفاً ، ولكن المواصف الثلجية المروعة كانت لا تفتأ تهدد الخيام بل لم يقتصر خطر الثلج على خيامهم فوصل إليهم في جوالق نومهم ! إلا أنهم على الرغم من ذلك عقدوا النية على مواصلة الزحف ، وتقلب عزيمتهم المصمم فترة على أهوال الثلج ، وما زالوا يكافحون منتصرين حتى اليوم السابع من شهر يونيو ، وهنا أنتابتهم كارثة جعلت مواصلة الزحف في عداد المستحيل ، فلقد جرف هيار ثلجي سبعة من الحمالين وهوى بهم إلى الموت معجائين ! وربما كان البيض يرغبون أن يضحوا بحياتهم بعد ذلك ، ولكنهم لم يجدوا لأنفسهم الحق في أن يسألوا بقية البواسل من الحمالين أن يتبعوهم ؛ وهؤلاء لن يكون لهم نصيب من الفخر إذا قدر للحملة النجاح

وفي عام ١٩٢٤ وصلت حملة أخرى إلى قاعدة ذلك الجبل ، ولكن الثلج مالبث أن رمى رجالها بقذائفه واستمر يحطر وإبلاً عنيفاً من لدنه ، فبدل أن يصلوا إلى المعسكر الثالث في يومين أو ثلاثة ، وصلوا إليه في أسبوعين ! وكانت درجة الجو يومئذ ثلاثاً وخمسين تحت درجة التجمد ! ومن أجل ذلك اضطر الحمالون وهم على ما هم عليه من بسالة أن يستقروا في أماكنهم متلاصقين لا يكادون يستطيعون حراكاً ، حتى تحسن الجو نوعاً فوصل الجميع إلى العقدة الشمالية ؛ ولكن الثلج لج في عناده ورمم بأكثر مما رماهم به من قبل ، وراح عدد من الحمالين ضحية بطشه وجبروته ، وقال البيض كثير من النصب والأعياء من جراء محاولاتهم إنقاذ هؤلاء البائسين ، ولذلك اضطروا إلى أن يرجعوا من حيث أتوا ليستعيدوا قوتهم ويجددوا عدتهم عند سفح الجبل !

وأخيراً بعد عدة محاولات استطاعت تلك الحملة أن تقيم خيمة لمعسكرها على ارتفاع ثمانمائة وستة وعشرين ألف قدم ، وهو أعلى معسكر أقيم حتى ذلك اليوم . ونام في ذلك المعسكر رجلان من البيض هما « نورتون » و « سمر فيل » ، وفي صبيحة اليوم الرابع من يونيو توجهوا نحو القمة فوصلا إلى علو ثمانية وعشرين ألف قدم ، ولكن « سمر فيل » توقف وتقطعت به الأسباب إذ كان يشكو مرضاً في حلقه ؛ وعول زميله الباسل على الزحف وحده فوصل إلى علو ثمانية وعشرين ألفاً ومائة وستة وعشرين قدماً ، ولكنه ما لبث أن أرغم على الرجوع . وفي تلك الليلة أفقده الثلج بصره !



عاصفة شديدة على الاحتماء بحميمهم حتى اليوم  
المشرين من ذلك الشهر ، وفي تلك المدة نفذ جميع  
ما كان بالمعسكر من مؤن ، وعلى ذلك فبدلاً من أن  
تواتهم القدرة على الصعود عقب هدوء العاصفة ،  
نرى أول عمل يقومون به هو تموين المعسكر من  
جديد ، وزادهم نكداً ما علموه على لسان من  
أرسلوا الى المعسكرات السفلى من مرض أحد  
المهرة المتسلقين

ولسنا في حاجة بعد ذلك أن نأتى على كل  
ما حدث من المحاولات للوصول الى القمة ،  
وحسبك أن تعلم أن « جوجاز » أصيب بتجمد  
عينيه ، كما تراكم الثلج على أهداب الرجال فجمدها ؛  
على أنهم استطاعوا رغم الصعوبات الهائلة أن  
يقيموا المعسكرين : الخامس والسادس ، ولكن  
لم يتسن لأحد أن يصل الى أبعد مما وصل اليه  
« نورتون » عام ١٩٢٤ ؛ وما لبثت الأمطار الموسمية  
أن أرسلت سيولها ، وأخذ الثلج ينهار كتلاً  
هائلة ، فاضطرت حملة عام ١٩٣٣ أن ترجع مهزومة  
كسابقاتها

والآن بعد ثلاثة أعوام تصرح « تيب » ،  
بالرحف من جديد ، وهناك في المعسكرات السفلى  
يقيم مستر « رتلدج » ورجاله يستمعون الى ما يحمله  
اليهم جهاز اللاسلكي من الهند من أنباء الجو  
وحالاته ويتطلعون الى القمة في لهفة مقدرين  
ومؤملين ...

فباليث شمري ماذا تجبؤه لهم الآلهة هذه  
المرّة ؟

« عائز »

عن الانجليزية

( طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر )

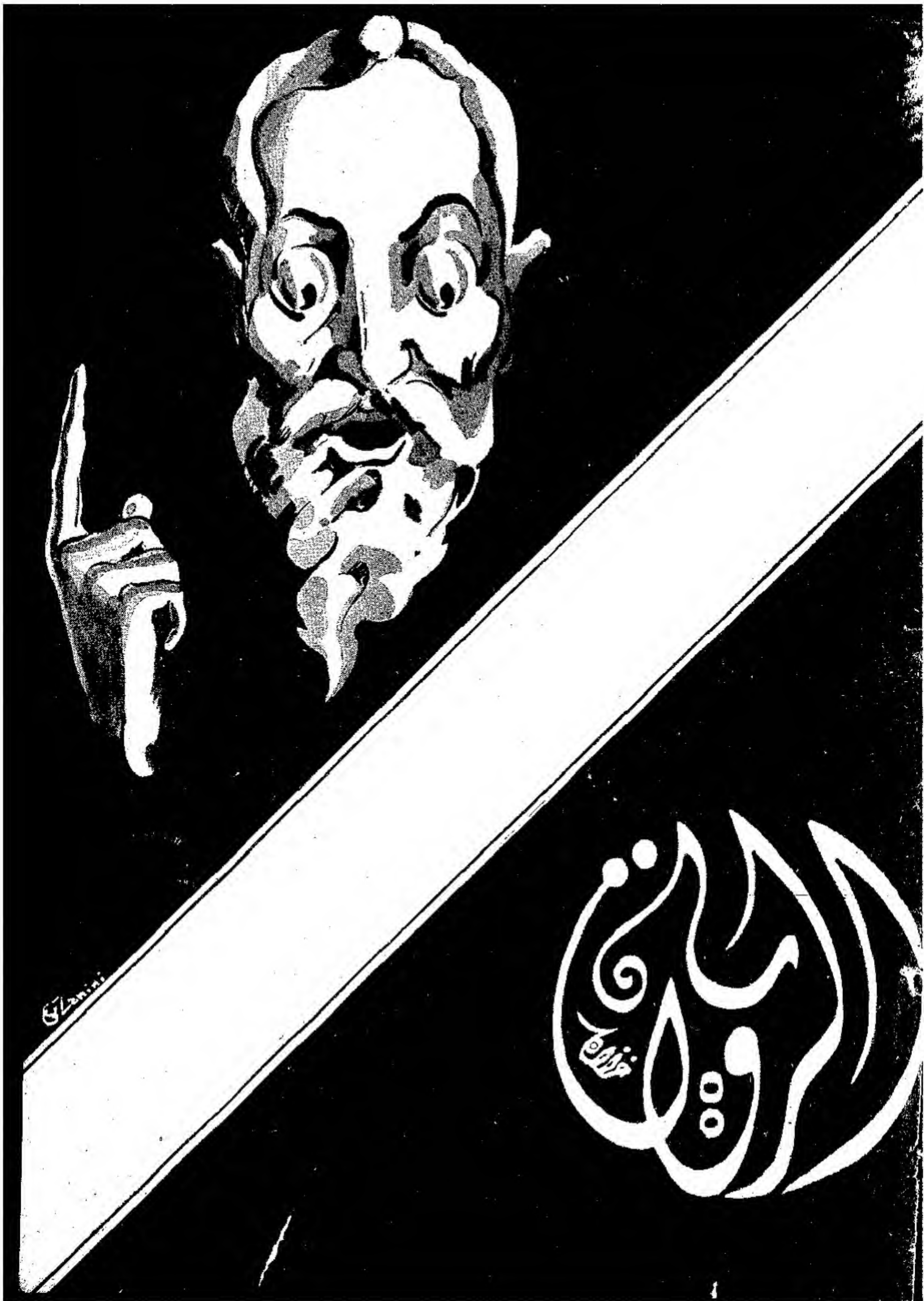
وفي تلك الأثناء كان « مالوري » أحد المتسلقين  
في طريقة على جانب الجبل يريد القمة ، وكان  
فالوزي ، هذا أحد أعضاء البعثة التي قامت بأعمال  
الكشف عام ١٩٢١ ، ولقد اشترك أيضاً في محاولة  
الوصول الى القمة عام ١٩٢٢ ، فكانت إذاً تلك  
المحاولة التي نحن بصددتها ثالث محاولاته . ولقد  
زاده اليأس قوة ومضاء ، فعول على السير فأما الى  
قمة الجبل وإما الى هاوية الموت ! ولقد وصل وصديقه  
« ارفين » الى المعسكر السادس وأقاما هناك ليلة ؛  
وفي الصباح التالي سارا نحو القمة ويعلم الله وحده  
ماذا كان أمرهما إذ لم تقع عليهما عين بعد ! وكانت  
تلك المأساة المخيفة خاتمة الحملة الثانية ، وبعدها  
انقطعت المحاولات تسع سنين

ولا بد أن تكون حكومة « تيب » قد رأت  
من تلك المآسى أن الآلهة في تلك القمة المستعصية  
إنما كانوا يتزلون القصاص المعادل بمن كانوا يحاولون  
الدنو من عرشهم ، وعلى ذلك رفضت تلك الحكومة  
السماح مدة بمحاولة جديدة ، حتى عادت في النهاية  
فسمحت بها في خريف عام ١٩٣٢ . وسرعان  
ما بدأت أعمال التهيئة والاستعداد ، وفي السابغ  
عشر من إبريل عام ١٩٣٣ ، أقيم معسكر القاعدة  
من جديد

وفي هذه المرة لم تواجه الحملة الثلج فحسب بل  
واجهت المرض أيضاً ، فتلقت كل المرض من عزائم  
القائمين بها ، وكان المدد الأقل من هؤلاء الرجال  
من يصلح حقاً لذلك العمل الهائل . وأول نتيجة  
لذلك أنهم لم ينشئوا المعسكر الرابع الا بعد شهر ،  
أي في اليوم الخامس عشر من مايو ، ثم أرغمهم







احمد حسن الزيات

١ ثمن العدد الواحد

تلفون ۰۲۳۹۰ ، ۵۳۴۵۵

بَحْدَ السُّبُوحَةِ مُلَقَّبُهَا وَالْقَدِيمِ

نصبر، مؤقناً فی أول كل شهر وفي نصفه

العدد الثاني

المسكن الحقيق بين هذه

السر او بل العصيره ، يرقى ملاهي في المجد الواسع .

# La parure

بِقَلَمِ أَحْمَدَ حَسَنَ الزِّيَّاتِ

الرغيد ، ولاوسيلة

العمومية

کری ایمین من دعاوی و د حایر اید باوریه النظریه



وتدهش كما كان يرجو زوجها رمت الدعوة على  
المائدة في غضب وسخط وهي تقول :  
- ماذا تريد أن أصنع بهذه ؟

- ولكني ظننت يا عزيزتي أنك تسرين بهذا .  
إنك لا تخرجين أبداً ؛ وهذه فرصة جميلة ،  
حقاً جميلة ! ولقد احتملت في سبيل الحصول على  
هذه البطاقة مالا تتصورين من الجهد والشقة . كل  
الناس يرغبون فيها كل الرغبة ، ويسعون لها كل  
السعى . وهم لا يعطون الموظفين منها إلا بقدر  
سترين هناك العالم الرسمي كله

فنظرت إليه نظرة الغضب ثم انفجرت قائلة :  
ماذا تريد أن أضع على جسمي في هذه الحفلة ؟  
لم يكن الزوج قد فسر في هذا ، ولكنه أجاب في  
خفوت وغمغمة :

عندك الثوب الذي تذهبين به إلى المسرح .  
إنه على ما أرى ملائم كل الملائمة ...

ثم أخذته الدهش والتوى عليه الكلام حين  
رأى زوجه تبكي ، وأبصر دموعين غليظتين تنحدران  
من زاويتي عينيها إلى زاويتي فمها ؛ وقال في غممة :  
ماذا بك ؟ ماذا بك ؟

فتحاملت على نفسها بالجهد العنيف وأجابته  
بصوت هادئ وهي تمسح الدمع على خديها :

لا شيء ، غير أنني لا أملك ما أزين به ، ولذلك  
لا أستطيع الذهاب إلى هذه الحفلة ؛ فأعطت هذه

البطاقة زميلاً من زملائك تكون امرأته أحسن  
مني جهازاً وأنتم أهبة . فابتأس الزوج وقال : لننظر  
في الأمر يا ماتيلا كم تكلفنا الزينة البسيطة الملائمة  
التي تفنيك في مثل هذه المناسبة ؟ ففكرت بضع ثوان  
تحرر الجساب وتتحري المبلغ الذي إذا طلبته لا يثير  
دهش الموظف الصغير ، ولا يوجب رفض الزوج  
المقتصد ، ثم أجابت جواب المتردد :

لا أعرف ذلك على وجه الدقة ، وأظن أربعمائة

وكانت تحمل بالبهو الفخيم بغشيه الديباج القديم ،  
وبالأثاث الدقيق يحمله الرياش الكريم ، وبالصالون  
الأنيق المطري يجعل لأحاديث المصر مع أخص الأصدقاء  
وأنبه الكبراء والأدباء ، ممن يشتهي النساء استقبالهم  
ولما جلست إلى العشاء على المائدة المستديرة  
والخوان المردد أمام زوجها ، وقد رفع غطاء الحساء  
وقال في وجه منبسط ولهجة راضية : « الله !  
ما أطيب هذا اللحم ! إنني لم أر أشهى منه ولا ألد ،  
كانت هي تفكر في الأعشية الناعمة الجامعة ، وفي  
الأدوات الفضية اللامعة ، وفي نسائج الوشي زين الجدر  
بصور الأعلام البارزة في التاريخ ، والأطياف الغريبة  
في غابة من غاب عبقر ! . كانت تفكر في الألوان  
الشهية تقدم في الصحاف المجدية ، وفي الملاحظات  
الغزلة الحماسة تسمع في بسمة كبسمة أبي الهول ،  
وهي تأكل لحم السمك المورّد ، أو الدراج السمن  
لم تكن تملك زينة ولا حلية ولا شيئاً مما تتبرج  
به المرأة ، وهي لا تحب إلا ذلك ، ولا تظن نفسها  
خلقت لغير ذلك . وطالما ودت أن تكون موضع  
الاعجاب والغبطة ، ومنتجع العيون والأفئدة . وقد  
كان لها صديقة غنية من رفيقات الدراسة فكانت  
تكره أن تزورها ، لأن الألم المعض كان يرافقها  
وهي عائدة . وربما ظلت الأيام الطوال تسفح الدموع  
الغزار إجابة لدواعي الأسف واليأس والحزن

\*\*\*

ففي ذات مساء عاد زوجها وعلى وجهه سمة  
الجلال ، وفي يده غلاف عربيض ، فقال :  
خذني هاك شيئاً لك . ثم فض الغلاف بقوة  
وأخرج منه بطاقة مطبوعة كتب فيها :

« وزير المعارف العمومية وعقيلته يرجوان  
السيد (لوازيل) وعقيلته أن يشرفاهما بحضور الحفلة  
الساهرة التي ستقام في ديوان الوزارة يوم الاثنين  
١٨ يناير » . ولكنها بدل أن تنبسط وتفتبط

فراك تبلى الى هذه الغاية !

اصفر وجهه قليلاً ، لأنه كان قد ادخر هذا المبلغ  
بتمامه ليشتري به بندقية يصطاد بها في الصيف مع  
بعض الأصدقاء في سهل (ننتير) ، ومع ذلك قال لامرأته :  
ليكن ! سأعطيك أربع مائة فرانك ؛ فاجتهدي  
أن يكون لك منها ثوب جميل

\*\*\*

دنا يوم الحفل  
وزينة السيدة  
لوازيل قد  
هيئت ؛ ولكنها  
لا تزال كما يظهر  
حزينة مهمومة  
قائمة . فقال لها  
زوجها ذات ليلة :  
ماذا تجدين ؟  
إنك منذ ثلاثة  
أيام في حال  
غريبة . . .  
فأجابته : إني  
ليحزنني ألا  
تكون لي حامية .  
فلا أملك مما  
يتجلى به النساء



الأشياء هواناً وضراعة أن تظهر في محضر الأغنياء ،  
يمظهر الفقراء . ولكن زوجها صاح بها قائلاً :  
ما أشد غباءك ! اذهبي إلى صديقتك السيدة فورستيه  
فاستميري منها بعض الحلوى ، فإن يديك من قديم  
الصداقة ووثيق العلاقة ما يتسع لمثل ذلك  
فصاحت صبيحة الفرح وقالت : هذا صحيح !

ومن العجب أنه  
لم يجر على بالي  
وفي صبيحة  
الغد ذهبت إلى  
صديقتها قصت  
عليها ما همها  
وغمها ، فلم تكذب  
تسمع شكواها  
حتى أسرع  
إلى خزانتها  
فأخرجت منها  
صندوقاً عريضاً  
وفتحته ، ثم  
قدمته إلى السيدة  
لوازيل وهي  
تقول : اختاري  
يا عزيزتي  
فوقع بصرها

أول ما وقع على الأساور ، ثم على عقد من اللؤلؤ ،  
ثم على صليب بندق من الذهب قد رسمته بالحجارة  
يد صناع . فغربت على نفسها الحلوى في المرأة ، ثم  
أخذتها حيرة فلم تقطع العزم على ما تأخذ وما تدع ،  
فقالت لصديقتها : ألم يمد لديك شيء آخر ؟  
فأجابتها : بلى ! ابجي . فاني لا أعرف ماذا يعجبك  
وعلى حين بقتة وجدت في علبة من الديبا

شيئاً من معدن أو حجر ؛ وسأكون أحقر من في  
الحفل زبناً وهيئة ، وأرى من الخير ألا أذهب إلى  
هذه الأمسية . فمقب على قولها بقوله :  
تتحلين بالزهور الطبيعية . ذلك أجل شيء  
وأطرفه في هذا الفصل . وبشرة فرنكات تبناعين  
وردتين أو ثلاثاً من أندر أنواع الورد . فلم يند هذا  
الكلام على كبدها القريحة وقالت : كلا ، فإن أشد



فقد بصيبيك البرد . وسأطلب عربية . ولكنها  
تصامت عن كلامه وانحدرت مسرعة على السلم .  
فلما صارا في الشارع لم يجدوا مركبة فشيئا ، وكل  
أبصارا على البعد حوذيًا صليحًا به فلا يقف

أخذوا سبيلهما إلى (السين) هابطين قانطين  
بقرقفان من البرد ، فوجدا بعد لأي على رصيفه  
مركبة عتيقة من تلك المراكب التي تسير وهي  
نائمة ، ثم لا ترى في باريس إلا تحت الليل كأنما تخزي  
أن تظهر مهماتها في وضع النهار . ركبها إلى دارها  
في شارع (النهداء) ودخلها حزينين : أمها في الأثر  
تتحسر على انقضاء ما كانت فيه ؛ وأما هو فلأنه يتذكر  
أن من واجبه أن يكون في الوزارة الساعة العاشرة  
نضت عن كتفها ، أمام المرأة ، الثياب التي  
تدثر بها حتى تنظر إلى نفسها وهي في مجدها  
مرة أخيرة . ولم تكذب جميل اللحظ في جيبها حتى  
صاحت صيحة منكرة : إنها لم تجد على نحرها تلك  
القلادة !! فأقبل عليها زوجها في نصف ثيابه  
يسألها ماذا أصابها ، فالتفتت إليه هالمة تقول :  
أنا . . . أنا . . . لا أجد قلادة السيدة فورستيه !  
فانفض قائما بصيح وقد هفا قلبه من الجزع  
— ماذا ؟ كيف ؟ لا يمكن أن يكون هذا !

وطفقا يبحثان في ثنایا الثوب ، وفي طوايا  
المطف ، وفي جيوب هذا وذاك ، وفي كل مكان هنا  
وهناك ، فلم يجداها . فقال الزوج للزوجة : أنت  
على يقين من أن القلادة كانت في عنقك ساعة تركت  
الرقص ؟ فأجابته : نعم ، ولقد لمستها بيدي وأنا  
في دهايز الوزارة . فقال لها : ولكنك لو كنت  
فقدتها ونحن في الشارع لكنا سمعنا وقعها حين  
سقطت ؛ فلا بد أن تكون في المركبة . فقالت له :  
نعم . هذا جائز . فهل تذكر رقم المركبة ؟ فأجابها :  
كلا وأنت ؟ ألم تلحظها ؟ فقالت : كلا .  
فرنا إليها ورنث إليه وكلاهما لا يملك فؤاده من

الأسود قلادة فاخرة من الماس ، نجف قلبها  
خفوق الرغبة الملحة ؛ ثم تناولتها بيد مضطربة  
وتقلدتها على ثوبها المجهز فاذا هي على ما صورت في  
الخيال ، وما قدّرت في الأمل . فسألت صديقتها في  
تردد وقلق : أأستطيعين أن تعيريني هذه القلادة ؟  
لا شيء إلا هذه القلادة ! فأجابتها صديقتها : نعم  
ولاشك . فأهوت على نحرها تقبله في حمية وطرب  
ثم وات مسرعة بهذا الكنز

\*\*\*

أقيمت الحفلة الساهرة ونجحت السيدة لوازيل  
فكانت أبداع من حضرها من النساء رشاقة ولباقة  
وبهجة . تدفقت في السرور متأثرة متألفة فاسترعت  
الأنظار وتصبّت القلوب ، فتسابق الرجال وبخاصة  
موظفو مجلس الوزراء إلى السؤال عنها والتعرف إليها  
والرقص معها . حتى الوزير نفسه فقد ألقى إليها باله  
كانت ترقص في نشوة من الغبطة وفورة من  
اللذة ، وقد انجى من ذهنها كل شيء فلم تعد تفكر  
إلا في انتصار جمالها ، وفي مجد انتصارها ، وفي  
ظل رقيق من ظلال السعادة بسطته عليها التحيات  
التي قدمت إليها ، والاعجاب الذي اثنال عليها ،  
والرغبات التي تيقظت فيها ، والفوز الكامل الذي  
يهيج بسحره فؤاد المرأة

تركت الحفل زهاء الساعة الرابعة من الصباح ،  
وكان زوجها منذ تنصف الليل قد غلبه النوم فأخذ  
مراقده في بهو صغير خلا من الناس هو وثلاثة من  
المدعوين كان نساؤهم لا يزلن يقصفن في نشاط ومرح .  
فلما همت هي وهو بالانصراف ألقى على كتفها الثياب  
التي أحضرها للخروج ، وهي ثياب متواضعة مبتذلة  
تتناقر بحقارتها مع أناقة ما تلبس من زينة المرقص .  
وقد شمرت هي بذلك فأرادت أن تتسلل حتى  
لا يلمحها النساء الأخروهن يرتدين معاطف الفراء  
الفاخر . غير أن زوجها اعتاقها قائلاً : انتظري ؛

يعود هو فيشتريها منها بأربعة وثلاثين ألف فرنك إذا ما وجد القلادة الأولى قبل آخر فبراير كان لوازيل يملك ثمانية عشر ألف فرنك تركها له أبوه ، فلامنص من أن يقترض الباقي ، يقترض ألفاً من هذا وخمسة مئة من ذلك ، وخمس ليرات من هنا وثلاثاً من هناك ، كتب على نفسه الصكوك المخرجة ، وأخذ على ذمته المهور المخربة ، وتردد على كل مراب ، واختلف إلى كل مقرض

عمرض آخره عمره للخطر ، وغامر بمضائه وهو لا يضمن الوفاء بما أذم ؛ وفي حال يرجف لها القاب فرقا مما يتجرعه من هموم المستقبل ، وما يتوقه من بؤس العيش ، وما يخشاه من حرمان الجسم ولوعة القلب ، ذهب يشتري القلادة الجديدة ويضع على منضدة الجوهري ستة وثلاثين ألف فرنك !

ولما أخذت السيدة فورستيه الحلية من السيدة لوازيل قالت لها في هيئة غاضبة ولهجة جانبية : لقد كان ينبغي أن تردى قبل ذلك ، فقد كنت في حاجة إليها ثم رفعت العلبة من دون أن تفتحها ، فكففت بذلك صديقتها ما كانت تخشاه . فلقد كانت تقول لنفسها : ماذا عسى أن تظن السيدة فورستيه إذا لحظت أن القلادة غير القلادة ؟ ألا تحسبني لصة ؟

\*\*\*

ذاقت السيدة لوازيل عيش الموزين المير الخشن ، وحملت نصيبها من ذلك دفعة واحدة في بسالة وقوة كان لا بد من قضاء هذا الدين الفادح وسنة قضيه . استغنت عن الخادم ، وانتقلت من المنزل ، واستأجرت غرفة على أحد السطوح ، وزاوت الأعمال الغليظة في البيت ، وباشرت الأمور البغيضة في المطبخ ، ففسلت الأطباق ، وأتلفت أطاغرها الوردية في صدا القمدور ودسم الأواني ، ( وصبت ) القدر من الأبيضة والأقمصة والخرق ونشرتها على الجبل ؛ ثم هبطت الشارع في كل صباح لتصعد بالماء وتقف

الجزع . وأخيراً مضى لوازيل فلبس ثيابه وقال : سأرجع في الطريق التي قطعناها على الأقدام فلعل أجدها . ثم خرج وترك امرأته في ثياب السهرة ، وقد تطرحت من الخور على أحد المقاعد ، لا تشتهي النوم ، ولا تطلب الدفء ، ولا تملك الفكر . ثم عاد في الساعة السابعة من غير أن يجد شيئاً . وما لبث أن ارتد إلى دائرة الشرطة يسجل المفقود ، ثم إلى إدارات الصحف يملأ المكافأة ، ثم إلى شركة العربات الصغيرة ينشد الركبة ، ثم إلى كل مكان يهديه إليه بصيص من الأمل

وكانت هي تنتظر طول النهار على حالها الأليمة من الذهول والوله . وفي المساء عاد لوازيل ساهم الوجه كاسف البال لأنه لم يكتشف شيئاً . ولما أعياء الأمر قال لزوجته : لا بد أن تكتبي إلى صديقتك تخبرينها أن مشبك القلادة انكسر وأنتك بسبيل أن تصاحبه . ذلك بمطينا المهلة لتتخذ تديراً آخر . فكتبت ما أملاه عليها

\*\*\*

وفي آخر الأسبوع وقفت آملها على شفا اليأس ، فأعلن لوازيل أن لا بد من وسيلة لشترى قلادة بدل القلادة

وفي صباح الغد أخذت علبة الحلية وذهبت بها إلى الجوهري الذي كتب اسمه عليها فسألاه عنها . فقال بعد أن رجع إلى سجلاته : لست أنا يا سيدتي الذي صنع القلادة ، وإنما صنعت هذه العلبة فقط . فذهبا يضطربان في سوق الجواهر ينتقلان من صائغ إلى صائغ فيسألان ويبحثان حتى وجدا آخر الأمر في دكان من دكاكين ( الباليه رويال ) قلادة من الماس تشبه في نظرها القلادة المفقودة كل الشبه . كان ثمنها أربعين ألف فرنك ولكن الجوهري رضى أن ينزل عنها بستة وثلاثين ألفاً . فرجوا منه الأبيضة من أحد قبل ثلاثة أيام ، وشرطا عليه أن



دنت السيدة لوازيل من صديقتها القديمة  
وقالت لها : عمى صباحا يا جان !  
ولكن صديقتها أنكرتها ، وأدعت أنها تسمع  
امرأة من عرض الطريق تحييها بهذه الألفه ، وتناديها  
من غير كلفة ، فقالت مغفمة :  
ولكن ... سيدتى ... لا بد أن يكون هذا الأمر  
قد اشتبه عليك . فقالت لها : كلا ! أنا ما تليد لوازيل  
فصاحت السيدة صيحة الدهش وقالت : أوه !  
صديقتى المسكينة ما تليد ! لشد ما تغيرت بعدى !  
فقالت : نعم ! لقد كابدت برحاء الهموم ، وعانيت  
بأساء العيش منذ غبت عنك ، وذلك كله بسببك  
— بحبى ؟ وكيف ذلك ؟  
— إنك تذكرين ولا شك تلك القلادة  
الماسية التى أعمرتني إياها يوم حفلة الوزارة  
— نعم ، وبعد ؟  
— إننى أضعها  
— وكيف أضعها وقد رددتها إلى ؟  
— لقد رددت إليك قلادة أخرى تشبهها كل  
الشبه . وهامى تلك عشرة أعوام قضيناها فى أداء  
ثمنها . وليس ذلك باليسير علينا كما تعلمين ، فاليه  
خالية والمورد ناضب والجهد قليل . وقد انتهى  
الأمر والحمد لله ، وأصبحت على هذه الشدة راضية  
منقطعة . فقالت السيدة فورستيه فى تودة وبطاء :  
— أتقولين إنك اشتريت قلادة من الماس  
بدل قلادتي ؟

— نعم ، ألم تلاحظي ذلك ؟ هه ؟ إنها لا تختلف عنها  
فى شيء وكانت شفتاها قد افترتا عن ابتسامة تم على  
الكبر والسذاجة . ولكن السيدة فورستيه أخذت  
يديها فى يديها وقالت لها فى لهجة الاشفاق والمعجب :  
— مسكينة يا صديقتى ما تليدا ! إن قلادتي  
كانت كاذبة ! وما كان ثمنها يزيد على خمسمائة فرنك !  
الزيات

عند كل طبقة تتنفس الصعداء من التعب ، ولبست  
لباس السوق واختلفت إلى الفا كهنى والبدال  
والقصاب وعلى زراعها السلة فتساوم وتقاوم وتدفع  
الغبين من كل بارة من نقودها القليلة . فاذا نصرم الشهر  
وجب عليها أن توفى ضكا ، وتجدد ضكا ، وتطلب مهلة  
وكان الزوج يشتغل فى المساء بتبيض الحساب  
لتاجر ، وفى الليل ينسخ صوراً من بعض الأصول  
كل صفحة بربع فرنك

ودأب الزوجان على هذه الحال عشرينين ؛ وفى  
نهاية هذه المدة كان قد أديا الدين كله بسمعه الفاحش  
وربحه المركب

وكانت السيدة لوازيل قد أخلفت جيداً لها  
وبدت فى رأسها رواعى المشيب . وكان من طول  
قيامها بشئون المنزل الفقير أن أصبحت قوية غليظة  
جافية . تكاد لا تراها إلا شعناء الشعر ، حمراء اليد ،  
مقلوبة الثوب ، ترفع صوتها فى الكلام ، وتفسل  
أرضى الغرف بالماء الغمر ؛ ولكنك تراها فى بعض  
أوقاتها تجلس إلى النافذة حين يجلس زوجها الى  
المكتب ، فتفكر فى تلك الأمسية الداهية ، فى تلك  
الحفلة الماهرة التى كانت هى فيها موى القلوب ومراد  
الأمين . ما الذى كان يحدث وأن هذه الحلية لم تفقد ؟  
من يدري ؟ من يدري ؟ إن الحياة غريبة الأطوار  
سريعة القلب ! وإن موتك أو حياتك قد يكونان  
رهنًا بأحقر الأشياء !

\*\*\*

وفى ذات أحد من الآحاد بينما كانت ما تليدا ترفه  
عن نفسها عناء الأسبوع فى رياض الشاتلزيه وقع  
بصرها فجأة على السيدة فورستيه ومعها طفل تنزهه  
وتروضه . وكانت لا تزال رقافة البشرة رائقة  
الحسن فتانة الملامح ، فاعتراها لدى مراها اضطراب  
وقلق . أتذهب إليها فتكلمها ؟ نعم ! ولم لا ؟ لقد أدت  
الآن كل ما عليها ، فلم لا تفضى بكل شيء إليها ؟

فرقين ، وتبدلي من الجانبين  
على أذنيها الممزقتين من  
أسفل ، نتيجة حمل قوط  
ثقيل في أيام شبابها ،  
وكانت جاراتها  
يجلسن دائماً على الأبواب  
ولا يبرهنها اهتماماً ،

## لَيْسَتْنِي مَا وَلَدْتُهُ

للكاتب البريطاني لويجي بيرانزو  
بقلم الدكتور حسن صادق

— هل (نفاروزا)

هنا ؟

— نعم . اطرق

الباب بقوة

طرقت (ماراجرازيا)

الباب فلم يجبه أحد ،

فجلست القرفصاء على

الدرجات المؤدية إلى عتبة الباب

كانت هذه المرأة الرزاة تقضي أكثر وقتها في  
ذلك المكان ، نائمة نائمة ، وبأكية في السكون الشامل  
نائمة أخرى . وكان السابلة يمرون بها من حين إلى  
آخر ، فيلقون في حجيرها قطعة زهيدة من المال  
أو كسرة من الخبز ، فيقطعون عليها نومها الهادي  
أو بكاءها الأليم . وفي تلك الحال تقبل المال أو الخبز  
وترسم على صدرها إشارة الصليب ثم تعود ثانية إلى  
النوم أو إلى البكاء والأنين

عليها أسمال بالية تهتك من كل جانب ،  
أفسدها العرق وأقذار الطرق وذهب بلونها الزمن .  
وكانت تغدو في هذه الثياب المتداعية وتروح ،  
لا تعرف الخلاص منها بوجه ولا حيلة . وكان وجهها  
الشاحب المعروق قد انتشرت على صفحته التجاعيد  
حتى أصبح لا يرى منه غيرها ، وجفونها الحمر  
قد شرقت من طول البكاء ، ولكن عينيها احتفظتا  
بالصفاء المستبهم الذي يمثل الطفولة العارية من  
الذاكرة ولا يتلاءم مع هذه التجاعيد وتلك الجفون  
الحمر . وكان الذباب الذي يهيم في الفضاء من حولها  
يستطيب عينيها فلا تشمر به ولا تطارده ، لأنها  
تمسبة غارقة في همومها طيلة الوقت . ولم يبق في رأسها  
إلا القليل من الشعر المشعث قد انفرد من الوسط

ويقضين الوقت كله في أما كنهن يرتفن الملابس  
أو يهين البقول للطبخ أو يطرزن ، ولا يكففن  
عن الكلام وهن منهكات في أعمالهن أمام بيوتهن  
المنخفضة التي لا ينفذ إليها النور ولا الهواء إلا من  
خلال الأبواب . وكانت هذه البيوت الوبيثة  
تستخدم أيضاً حظائر للحيوان ، وأرضها مصنوعة  
من الأحجار الناتئة كأرض الطريق . وإذا وج  
إنسان داراً من هذه الدور ، رأى في أحد الأركان  
حماراً أو بغلاً يتوجع من جرح أو مرض ، وفي  
ركن آخر فراشاً حقيراً تتراكم من حوله أنواع  
مختلفة من الخضر وغلة الحقل ، كل نوع على شكل  
ناووس يستخدم مقعداً للزائرين ، ثم كرسيتين  
أو ثلاثة من القش ، ثم آلات الزراعة مبثرة على  
الأرض ، وعلى الجدر التي اسودت من كثرة الدخان  
الذي يتصاعد إليها بعض صور زهيدة الثمن لا تمت  
إلى الفن بأية صلة . ويرى السائر في طريق القرية  
التي يختلط فيها الدخان الكثيف بالرائحة البغيضة  
المتصاعدة من حظائر الحيوان ، أطفالاً يلعبون قد  
سغمت جلودهم أشعة الشمس ، بعضهم طارى الجسد  
كما ولدته أمه ، والبعض الآخر متمتر بقميص واحد  
كثير الفتوق

\*\*\*









— لأنهما تتحرقان شوقاً إلى رؤيتكما مرة أخرى على الأقل ... فتمجّاتهما ننفاروزا وهي تقول : « استمرى ، استمرى ... إنك كتبت لها هذه الكلمات ثلاثين مرة على الأقل ! »  
— أ كُتبي على كل حال . إنها الحقيقة يا عزيزتي ، وأنت ترين جيداً مبالغ ألى ... أ كُتبي : ولدى العزيزين ...

— أمن جديد ؟  
— كلا ... سأملئ شيئاً آخر ... لقد فكرت في ذلك الليل كله . إسمي : ولدى العزيزين ، أمكا المسكينة تمداً وتقسّم لكما ... أ كُتبي ما أملئ ... تمداً وتقسّم لكما أمام الله أنكما إذا رجعتما إلى (فارنيا) فأنها تهب لكما بيتها وهي على قيد الحياة وهنا انفجرت ننفاروزا ضاحكة وقالت : « بيتك الحالي ؟ وماذا يصنعان به وهما الآن في خفض من العيش ؟ ماذا يصنعان بمجرده الأربعة المصنوعة من القش والطين ؟ »

— أ كُتبي على كل حال : أربعة أحجار في الوطن خير من مملكة في ناحية أخرى ... أ كُتبي — كتبت ما أملت . هل تريدان إضافة شيء آخر إلى الخطاب ؟

— نعم ! أمكا المسكينة أدركها الشقاء وهي تقضض من قسوة البرد ، وتروم شراء ثوب ولا تستطيع ، فجودا عليها بخمس ليرات على الأقل ... فقالت ننفاروزا : وهي تجفف البداد وتضع الورقة في الغلاف : « قول جميل . لقد كتبت كل شيء »

— هل وضحت جيداً هذه الجملة : جودا عليها بخمس ليرات ؟  
— وضحت كل شيء

— بعض الناس  
— يا للخزي ! أنا ؟ أبنائي ؟ أما ألى ...  
فقاطعتها إحدى النساء بقولها : « ما هذا الانفعال ؟ دعيتها تقول ! ألا ترين أنها تمزح ؟ »  
وضحكت ننفاروزا طويلاً ثم أرادت أن تكفر عن مزاحها الأليم فقالت لماراجازيا بصوت رقيق : « تكلمي يا جدة واطلبي مني كل ما تريدن »  
مدت مارا جرازيا يدها المرتعشة إلى وسطها وأخرجت من حزامها ورقة وغلافاً وقدمتهما إلى ننفاروزا في ضراعة وقالت :

— أنتفضلين على بالكتابة مرة أخرى ؟  
— نأى خطاب أ كُتبه !  
— نعم إذا شئت وتكرمت

عبست ننفاروزا وضاحت بهذا الطلب ، ولكنها أدركت أنها لن تجد السبيل إلى الخلاص من إلحاح العجوز ، فدعتها إلى بيتها ، ولم يكن هذا البيت يمثل البيوت الحقيرة التي تجاوره ؛ وكانت غرفته كبيرة مظلمة قليلاً حين يكون الباب مغلقاً ، ولا ينفذ إليها النور إلا خلال كوة ذات قضبان حديدية في أعلى الباب ، وأرضها مصنوعة من الآجر وفيها سرير من خديد وصوان للملابس ومنضدة صغيرة سطحها من الرخام الأبيض . وهذا كل ما استطاعت ننفاروزا الحصول عليه من ربحها كدائكة في الريف

تناولت القلم ووضعت الورقة على الرخام واستعدت للكتابة وهي واقفة وقالت :  
— تكلمي وأسرعى

— أ كُتبي : ولدى العزيزين ، لم تعد عيتاي تقويان على البكاء ... كتبت ننفاروزا ما أملت عليها وهي تنهد تنهدة التعب والملل ، وواصلت العجوز الاملاء :







الى عتبة الباب في انتظار طلوع النهار

وعند بزوغ الفجر ، استيقظ الطبيب كمادته  
للقيام بزيارة المرضى . ولما فتح الباب سقطت  
ماراجرازيا الى الخلف عند قدميه لأنها كانت  
مستغرقة في النوم وقد أسندت ظهرها الى الباب  
عجب أشد العجب وقال : « أوه ! لقد أسأت  
الى نفسك جد الاساءة » فأجابت وهي تحاول  
النهوض : « ساحنى يا سيدى »

— هل قضيت الليل في مكانك هذا ؟

— نعم يا سيدى . اطمئن بالآ فقد ألفت ذلك .  
كيف أستطيع أن أواشى نفسى وأنسى خيانة هذه  
المرأة الخبيثة ؟ سأقتلها يا سيدى . كان في استطاعتها  
أن ترفض الكتابة في صراحة وأن تقول إن طلبي  
يبحث في نفسها الضيق والملل فأذهب الى شخص  
آخر ... أذهب الى رجل طيب القلب مثلك ...

— نعم . انتظرينى هنا قليلا . سأزور المرأة  
التي خدعتك ثم أعود لكتابة الخطاب

وسار متجها نحو الطريق الذى عينته له المعجوز  
في المساء السابق ، وشاءت له المصادفة أن يقابل  
نفاروزا خارجة من بيتها في تلك الساعة دون أن  
يمرفها ، ويسألها عن عنوانها . فأجابت وهي  
تضحك وقد احمر وجهها : « إني أنا نفاروزا  
يا سيدى الطبيب » ثم دعتة الى دخول البيت

إنها رأت هذا الطبيب الشاب الجميل يجتاز  
الزقاق الذى تقيم فيه كثيرا من المرات ، ولكنها  
لم تتعرف إليه لأنها كانت في أكمل صحة ولم تجرؤ  
على إدعاء المرض ؛ فلما رأته يسأل عنها من تلقاء  
نفسه ليتحدث إليها ، ظهر على وجهها أمارات  
السرور المشوب بالدهشة الشديدة . ولما رأته  
مضطربا عابسا وعرفت الغرض من هذه الزيارة ،

انحنى عليه قليلا في خلاعة ساحرة دون أن تعلم  
السبب الحقيقى للألم الذى عنده . ولما استقر به  
المقام ، طفق يتحدث وهي تصنى إليه ، ثم قالت في  
لهجة الجزع ، وقد أغمضت عينيها الكحيلتين  
الخلابتين « عفواً يا سيدى الطبيب . أترعج نفسك  
إلى هذا الحد من ، أجل هذه المعجوز المجنونة ؟  
الناس جميعاً هنا يعرفونها ولا يقلق أحد منهم نفسه  
من جرائمها . سل من تشاء . سسيقول لك جميع  
الناس إنها مجنونة ، مجنونة حقاً منذ أن رحل  
ولداها إلى أمريكا ، وقد مضى على ذلك أربعة عشر  
عاماً . إنها لا تريد أن تصدق أنهما نسيها كما  
هو الواقع والحقيقة . وهي مصرة على الكتابة  
اليهما دائماً ؛ تريد أن ترسل إليهما في كل يوم  
خطاباً ، ولكي أدخل على نفسها الابتهاج ، كنت  
أنظاهم بكتابة ما تريد ، وكان المهاجرون إلى أمريكا  
يظهرون لها أنهم سيحملون رسائلها إلى ولديها ،  
فتظل المرأة غارقة في غرورها . وإذا كنا نجاريها  
ونجيبها دائماً إلى ما تطلب ، فإن حياتنا تصبح  
نكدة صعبة الاحتمال . أنظر إلى يا عزيزى ، إني  
أنا أيضاً قد هجرنى زوجى . وهل تعرف القحة التي  
كشفت بها عن خبث طويته ؟ إنه أرسل إلى صورته  
مع خلية أمريكية ، وأخبرني أن أطلعك عليها فتري  
رأسه إلى جانب رأسها ، ويده في يدها هكذا ...  
أتسمع ؟ هات يدك .... هكذا ، وهما يسمان  
استخفافاً بالذين يطعمون على صورتهم ! وأقسم لك  
أنى ضحكت كثيراً حين تسلمت الصورة . آه !  
يا سيدى الطبيب ، إن الانسان يبكي الذين يرحلون  
ولا يرى لحال الذين يبقون ! لقد بكيت أيضاً ؛  
وهذا أمر طبيعى في الأيام الأولى ، ولكنى ثبت من  
بعدها إلى عقلي ... والآن أعيش في أحسن حال .





— وأين والدك ؟

— في الحقل

وكانت أم الصبي جالسة على مقعد حجري أمام البيت تمشط شعر ابنتها الكبرى وهي في الثانية عشرة من عمرها ، وكانت جالسة على مقعد حجري آخر وظهرها إلى أمها ، وفي حجرها طفل رضيع . وكان أمامها طفل آخر يلعب في الأرض وسط الدجاج والديكة . فقال الطبيب المرأة « أريد أن أتحدث إلى روكو . إني طبيب القرية الجديد » لم تحر المرأة جواباً لأنها اضطربت ولم تفهم السبب الذي من أجله يريد الطبيب أن يتحدث إلى زوجها . ثم أصلحت قميصها الخشن ونهضت لتقدم إلى الطبيب مقعداً ؛ ولكنه رفض الجلوس وانحنى على الطفل الذي يلعب في الأرض ، مداعباً ، وجرى الصبي الكبير إلى الحقل لينادي أباه

وبعد لحظات سمع وقع أقدام ثقيلة ، ولح من بين أشجار التين الكثيفة روكو يسير نحو البيت مقوس الظهر والساقين ، ويده في وسطه كعادة الفلاحين في تلك الجهة . وكان زرى الهيئة دميم الخلق واسع الفم غليظ الشفتين مصفر الوجه ، شوه الوجنتين ، وكانت عيناه غائرتين ينبعث منهما بريق لا تطمئن إليه النفس

رفع هذا الرجل يده إلى رأسه ورفع قبمته إلى الخلف علامة التحية وقال للطبيب :

— أقبل يدك يا سيدي . ما الذي أستطيع أدائه ؟

— جئت لأخاطبك في شأن أمك

فاضطرب روكو وسأله في لهفة :

— أليست في صحة تامة ؟

— اطمئن من هذه الناحية . ولكن الشيخوخة أدركتها كما تعلم وتفتقر إلى العناية ... وكلما أسهب الطبيب في الكلام عازداً اضطراب روكو ثم قال :

— سيدي الطبيب ، إني خاضع لك في كل ما تحكم به . ولكن إذا كنت قد حضرت خصيصاً لتخاطبني في شأن أمي ، فإني أستاذك في الانصراف إلى عملي

— انتظر ، إني أعرف أنك رجل مجد ، وقيل لي إنك على النقيض من ...

— ادخل البيت يا سيدي الطبيب ؛ إنه بيت فقراء ولكنك طبيب ، وقد رأيت كثيراً من أمثاله . أريد أن أريك الفراش المعد دائماً لهذه العجوز الطيبة القلب ؛ إنها أمي ولا أستطيع أن أطلق عليها اسماً آخر ، ها هي ذى امرأتى وهام أولاء أولادي ، إنهم يقرون أنني كنت أمرهم دائماً بخدمتها واحترامها ، كما يخدمون ويحترمون العذراء المقدسة . الأم مقدسة أيضاً يا سيدي الطبيب ؛ لم أهملها يا سيدي ولكنها تفرغني بالخرى أيام الناس وتجعلهم يظنون بي ... من يدري ؟ ربيت يا سيدي عند أقرباء أبي ونشأت بينهم ، وما كان ينبغي لي أن أحترمها كأهم لأنها كانت تعاملني بقسوة وخشونة ، ولكني مع ذلك أحترمها دائماً وأشفق عليها . ولما رحل ولداها إلى أمريكا ، رجوت منها أن تقيم معي وأن تكون سيدة البيت ، ولكنها رفضت رجائي وفضلت الاستجداء في الطارق وإغراق في العار ؛ وأقسم لك أنني إذا رأيت أحد ولديها قد عاد إلى فارنيا فإني سأقتله انتقاماً لنفسي من هذا العار ومن الآلام التي تحماتها طيلة أربعة عشر عاماً ؛ سأقتله



ثم التفت إلى المرأة وأولادها وقال : « فلتكن مشيئة الله ! »

\*\*\*

عاد الطبيب إلى بيته وهو يفكر في تفسير هذه الحال الغريبة التي آلت قلبه ؛ وكانت مارا جرازيا جالسة على عتبة الباب ، فدعاها إلى الدخول وقال لها بصوت فيه رنة الخشونة : « لقد تحدثت إلى ابنك في بيت العمود . لماذا أخفيت عني أن لك ولداً آخر ؟ »

فنظرت إليه المرأة دهشة ، وعبثت يدها المرتعشة بشعرها قليلاً ، ثم قالت :

— آه ! يا سيدي الطبيب ! العرق البارد يتصبب من جبينى كلما خاطبني أحد في شأن هذا الابن . أشفق على ، ولا تذكره أُمّى بعد ذلك !  
— لماذا ؟ ما الذى تأخذينه عليه ؟ تكلمى  
— فى الحق يا سيدي أنه لم يسىء إلى ... كان يجرى خلقي فى احترام ... ولكن ... انظر كيف أرتعد حين أتكلم عنه ؟ آه ! استمع ، يا سيدي الطبيب ، إنه ليس ابنى

فلما سمع ذلك فقد كل صبر وصاح قائلاً :  
« كيف ؟ ماذا تقولين ؟ أنت بلهاء أو مجنونة ! ألسنت أنت التى حملته وولده ؟ »

نكست العجوز رأسها وقالت :

— نعم يا سيدي ، ولكنى بريئة من البله والجنون ... لن أتألم من بعد ذلك إن شاء الله ... وقعت أشياء يا سيدي لا تعرفها لأنك صغير السن ، ولكن أنا غارقة فى الألم من عهد بعيد إلى اليوم ... وقد رأيت فى ذلك العهد أشياء لا تستطيع أن تتصورها

يا سيدي ، وإني أجهرلك بذلك أمام زوجي وأولادى . وهنا مسح روكوفه بذراعه وهو يرتعد وقد صعد الدم إلى عينيه الغائرتين ، وكان الطبيب يصغى إليه ويحدق ببصره فيه ، ثم قال له :

— ولكن لماذا ترفض أمك الإقامة معك ! لأنك تكره أخويك من غير شك

— أكرههما ؟ نعم أكرههما الآن فقط من أجل الآلام التى تسببها لأمهما ولى أنا أيضاً ، ولكن لما كانا فى القرية ، كنت أحبهما وأحترمهما كشقيقتين أكبر منى سنًا . أماهما فعلى العكس من ذلك كان يجرى فى عروقهما دم قاييل ! إسمع يا سيدي . كانا لا يعملان شيئاً ، وكنت أنا أعمل للجميع ؛ وكانا يترددان على بيتى ويقولان إن الخبز يعوزهما وأن أمهما نامت طاوية ، فأعطيهما ما عندى من الطعام ، وقد ارتطما فى حمأة الدعارة فتزوجا من امرأتين لهما سيرة قذرة ، ولكنى مع ذلك كنت أعطيتهما ما يريدان . ولما سافرا إلى أمريكا ودعتهما وتمنيت لهما الخير كله . سل امرأتى بتبئك يا سيدي

فقال الطبيب بصوت خافت حتى لكانه يخاطب نفسه :

— ولكن لماذا إذن ... ؟  
— لماذا ؟ لأن أُمّى تقول إنى لست ولدها  
— كيف هذا ؟

— سيدي الطبيب ، سلها تشرح لك ، أما أنا فليس عندى من الوقت ما يكفى ، والرجل فى انتظارى للعمل

قال هذا وابتعد مقوس الظهر والساقين ويده فى وسطه كما جاء ؛ وشيعة الطبيب بنظره لحظة ،

وكان المسكين يخفي يديه اشمزازاً من كل من ارغم على فعله... آه يا سيدي الطبيب ، لقد جند دمي في عروقي حين رأيته على هذه الصورة : صرخت قائلة عند رؤيته رحمه الله « نينو ، ما ذا فعات ؟ » ولكنه عجز عن الكلام وجلس أمام الموقد صامتاً وهو يخفي يديه تحت ثيابه وينظر إلى الأرض بعيني أبله أو مجنون . وبعد وقت طويل قال : « الموت أفضل ! » : ظل مختبئاً ثلاثة أيام ، ثم خرج في اليوم الرابع . كنا فقراء يا سيدي ولا بد من العمل ... خرج ليعمل ، ولم يعد في المساء . انتظرت طويلاً ثم أدركت كل شيء ، وقلت لنفسي مع ذلك لأدفع عني الخوف « من يدري ؟ لعالم لم يقتلوه . ربما أخذوه فقط كأول مرة ! » علمت بعد مضي ستة أيام أن كولا كاميزي يقيم مع عصبته في (مونتالوزا) . ذهبت إلى تلك الناحية كالمجنونة في يوم شديد الرياح إلى درجة عجيبة ، هل رأيت الهواء يا سيدي ؟ في ذلك اليوم كان الانسان يستطيع أن يراه ، فيجعله يعتقد أن أرواح الذين قتلوا تصرخ طالبة من الله والناس الانتقام ! أسلمت نفسي الى هذه الرياح ، وكبدي قريحة وقلبي ممزق مندب ، فحملتني . استغرقت على الأكثر ساعة في الوصول الى الكهف . كان به فناء كبير محاط بالأسوار ينفذ اليه الانسان من باب صغير يصعب العبور عليه . تناوت حجراً لأطرق به الباب ... لم يفتح أحد فعاودت الكرة بشدة ، ففتح الباب ورأيت ... آه يا هول ما رأيت ! توقفت ماراجرازياً عن الكلام وقد استولى عليها الرعب الشديد ، وتقلصت أصابعها وخذلها الصوت فمجزت عن متابعة الكلام . وبعد لحظات قالت :

— تكلمي ، ماذا رأيت ؟

— أشياء هائلة مخيفة ، لم تكن أنت في ذلك العهد قد ولدت ... رأيت هذه الأشياء بهاتين العينين اللتين لم تنيا عن البكاء طوال أعوام كثيرة . هل سمعت إلى أحد يتكلم عن رجل يدعى كانا باردو ؟

— غاريبالدي ؟

— نعم ، هذا هو الاسم الصحيح . وهو الرجل الذي قدم هذه البلاد وأثار المدن والريف على قوانين الانسان وقوانين الله ! أسمعت إلى أحد يتكلم عنه !

— نعم . نعم تكلمي . ما شأن غاريبالدي في هذا الموضوع ؟

— أعلم أن هذا الرجل أصدر أوامره عند قدومه بفتح أبواب السجون جميعاً ، فخرج منها أسوأ اللصوص وأفظع القتلة وأخطر المجرمين ، وكان من بينهم رجل ، هو أكثرهم فظاعة ، يدعى (كولا كاميزي) كان رئيس عصابة تقتل الناس كأنهم ذباب . وتجد في سفك الدماء أكبر لذة . وكان هذا الرئيس يقتل ويقول : إني أجرب الذخيرة أو أجرب رمي البندقية . أقام في الريف على مقربة منا وكان يقتل الرجال الذين يرفضون الانضمام الى عصبته أو يأبون الخضوع لأمره ... كنت متزوجة في ذلك الوقت ، وقد مضى على زواجي بضعة أعوام وكان عندي ولدان يقيمان الآن في أمريكا . وكان زوجي المسكين يعمل في أرض (بوزيتو) فر به كولا كاميزي وأخذه قسراً ؛ وبعد يومين عاد الى زوجي صاحب الوجه كالوتي حتى كدت أنكره ... لم يستطع الكلام وكانت عيناه ممتلئتين بكل ما شاهد ،



— في اليد ... في اليد ... هؤلاء القتل ...  
توقفت ثانية وحركت يديها كمن يدفع عن  
نفسه شيئاً . فقال الطبيب :  
— حسن . وبعد ؟

— كانوا يلعبون في الفناء بكرات ... هي رؤوس  
رجال ... ملوثة بالطين ... كانوا يحسكونها من  
الشعر ... وكان رأس زوجي في يد كولا كاميزي  
نفسه ... عرضها السفاح لنظري فصرخت صرخة  
حسبتها من رقت صدري . صرخة جعلت السفاكين  
يضطربون ويرتعدون ... ضفط كولا ميزي على  
عنقي ليرغمني على الصمت ، ولكن أحد رجاله  
انقض عليه فجأة ، ثم تشجع أربعة أو خمسة من  
زملائه وألقوا بأنفسهم على رئيسهم ... لقد تنبهوا  
من غفلتهم ووضعوا حدا لطغيان هذا الشيطان .  
وكم كان فرحي عظيماً حين كنت أرى هذا الكلب  
يختنق أمام عيني بأبدي رجاله .

سكنت المعجوز وهي تلهث من شدة الهياج ،  
وحقق فيها الطبيب وبنت على وجهه أمارات  
الشفقة والرعب والسخط ، ثم تغلب على ما في نفسه  
وفكر طويلاً فلم يستطع أن يستخاض مما سمع أية  
صلة بين قصة المرأة وابنها روكو ، فسألها الوضع  
فقالت :

— انتظر حتى أستريح قليلاً ... الرجل الأول  
الذي انقض على رئيس العصابة ودافع عني كان  
يدي ماركو

فصاح الطبيب قائلاً : « آه ! أذن روكو ... »  
— ولده ... فكر قليلاً يا سيدي الطبيب .  
هل كنت أستطيع أن أكون امرأة هذا الرجل  
بعد الذي رأيت ؟ ! راودني عن نفسي وأراد  
اغتنابي ... احتجزني عنده ثلاثة أشهر مقيدة

مكممة الفم لأنني كنت أصرخ وأعضه . وفي نهاية  
الأشهر الثلاثة ، استطاعت العدالة أن تقبض عليه  
وترسله إلى السجن ، فمات فيه ... ولكنني كنت  
حاملًا ... آه ! يا سيدي ، أقسم لك أنني كنت أشعر  
بأحشائي تتمزق ، وبأنني أحمل في بطني غولاً ...  
واعتقدت أنني لن أستطيع رؤيته أو حمله بين ذراعي .  
وكلاً كنت أفكر في أنني سأرضعه ، كنت أصرخ  
كأمرأة أصابها الجنون . كان أحب إلي أن أموت أثناء  
الوضع ، أمي رحم الله روحها ، ساعدتني وجنبتني  
رؤيته ، واستودعته عقب وضعه مباشرة ، أقرباء  
أبيه ، فقاموا بتربيته . والآن ، أعرفت يا سيدي  
لماذا أقول إنه ليس ابني ؟ آه ! ليتني ما ولدته !  
ليتني مت قبل أن أحمله !

ظل الطبيب لحظات عارفاً في خواطره ثم قال :  
— ولكن ولدك نفسه لم يسيء إليك

— هذا حق يا سيدي ، وإنني لم أنطق بكلمة

واحدة تسيء إليه ، ولكن ماذا أصنع ؟ لا أستطيع  
رؤيته ، حتى من بعيد ! إنه صورة أبيه تماماً ، وجهه  
وهيئته وصوته . إنني حين ألحج أرتعد ويغمر العرق  
البارد جبينني ! إنه ليس مني ... كيف أصنع !

سكنت ومسحت عينيها بظهر يدها اليمنى ، ثم  
خشيت أن يغادر المهاجرون القرية دون أن يتسلموا  
منها خطاباً لولديها . فاستجمعت شجاعتها وقالت  
للطبيب الساج في أفكاره :

— أحسن إلى يا سيدي كما وعدتني

فتنبه الطبيب وقال : « اني على أتم استعداد »

فدنت المعجوز من المنضدة وشرعت تملي على

الطبيب بصوت تخنقه العبرات :

— ولدي العزيزين ...

ترجمة حسن صادق

لخفيف أجسامها الصدفية  
على الرمال في هذه الأوعية  
كالضرب على أعصابي  
دراكا لا ينقطع

وفي هذه الشرفة  
قص على كرمهوت قصة  
سام أبرص نادر عثر

## لقد كشفنا لنسكن

TROP SAVOIR

لفرنسيس دوبر

بقلم الدكتور محمد الراجحي

كان جان كرمهوت  
المولندي مولماً بجمع  
الأنواع النادرة من «سام»  
أبرص (١) وكثيراً  
ما كان يتحدث عن طباع  
هذه الحشرات وعاداتها  
حديث العالم المحيط غير

جاهل شيئاً عن الألف والسبعائة نوع المعروفة منها  
وكنت لا أعرف عن سام أبرص غير أنه  
دويبة يتصصّف ذنبها إذا أخذها الإنسان منه ؛  
يئد أن كرمهوت قرر لي أن هذا الذنب إن هو  
إلا وسيلة من وسائل الدفاع عن الحشرة ؛ فإذا  
ما طارد الأبرص ثعبان أو عدو آخر يريد اتهامه  
أمكنه من ذنبه ثم تركه يتلوى به وانخلع منه وأسرع  
فاحتجر بين الشقوق لا يفادها حتى ينشأ له ذيل  
آخر يحمل منه سلاحه الطبيعي

\*\*\*

نزلت ضيفاً على جان كرمهوت في مشواه بمدينة  
باسوروين على ستين ميلاً من (سويسرا باجا) بجزيرة  
جاوة . وكان السكان هادئاً جميلاً يبتعث الخيال الشاعر  
ويطل منه الناظر على القردة في أشجارها تتقاذف  
وتتواثب ، وعلى غمام طائر من أسراب الفراش  
كأنه سحابة ذهبية تحجب الشمس مرة وتنفرج  
لها مرة

وكنت أكثر الوقت في شرفة المنزل لا أتحول  
عنها إلا لضرورة ، إذ كان كرمهوت قد جمع في داره  
قراءة خمسمائة حشرة مكفوفة في أوعيتها ، فكان

(١) هو الذي يسميه العامة (البرص) وسام أبرص  
كلمة واحدة مبنية على فتح الجزأين تكمة عصر ولكتنا  
اقتصرنّا على أحد جزأيهما للتخفيف

عليه هو وصديقه ريشارد مرل وسماه باسمه

\*\*\*

كان ريشارد هذا أنجليزياً فارغ القامة وثيق  
التركيب أحمر الوجه عريض الجبهة بارد الطبع .  
تزوج وهو في السادسة والأربعين امرأة تصغره  
بأثنتين وعشرين سنة ؛ فاضرة بضة كالزهرة ، لها  
عينان زرقاوان تدلان على دلالة . . . وتنبت منهما  
جاذبية قوية لا تدفع ، وكأنما تقول لمن ينظر إليها  
من الرجال : « إن زوجي غائب غيبة طويلة للصيد  
وقد تركني وحدي في هذا الشباب وهذا الجمال ؛  
أفريضيك أن أكون وحدي . . . ؟ »

ولنعد إلى قصة الأبرص . قال محدثي : إن مرل  
رآه فأهوى إليه وانتزع من بين الحشائش ، وما كاد  
يجمع يده عليه حتى صرخ : لقد لدغني في أصبعي  
قال فنظرت فإذا إصبعه دامية يغور فيها الجرح ،  
غير أنه لم يكن خطراً لأن سم هذه الدويبة لا يقتل  
الإنسان . فضعدت له جرحه ثم جلسنا نتأمل  
صيدنا . ولأول نظرة تبين لنا أن هذا الأبرص مما  
لا يعثر عليه إلا في الندرة

\*\*\*

كان ذلك في الساعة الثانية بعد الظهر فلم  
تنقض ساعة بعدها حتى أنكرت وجه مرل ، فقد



الآن وتلك الحالة؟ قال : كما هي  
قلت : فيحسن بك أن تطالع أفكار هؤلاء  
الجمالين فقد رأيتهم يتناجون فيما بينهم وأحسب  
لهم شأنًا . فخدق النظر في الجمالين ثم شخص  
بصره لا يطرّف ، وقال بصوت برّده الدم في  
عروقي : إنهم يأترون بنا ليقتلونا  
فتناهضت فزعًا فأمسك بي وقال : لا ينبغي  
أن يعرفوا أننا اطلعنا على سرهم . قلت أوافق أنت  
مما تقول؟

قال : كوثوقي من تفكيرك في تلك الحسنة

\*\*\*

ثم استفاق مرل من تلك الغشية فتلون وجهه  
ورجع النبض إلى حالته الطبيعية وزال ما اعتراه من  
لدغة الأبرص فتهد تنهدًا طويلًا ثم قال : عجيب  
أن يفكر هؤلاء الشياطين في قتلنا . فأجبتة وأنا  
أنكاف الضحك : عجيب حقًا ولكن ترى كيف  
يقتالوننا؟

قال : لا أدري فقد انجابت عني تلك الغشية ؛  
ولقد كنت أرى كل شيء واضحًا بيننا ؛ وكانت عيني  
في طوبتك فعلمت علمك حتى ما وسوست به من  
أنك عند رجوعك إلى سنغافورة ....

قلت : حسبك فاقد كان ذلك ولكن الذي  
بنا الآن هو أن نعرف ما ذا يريد بنا الجمالون ؟

\*\*\*

جلسنا أمام الأبرص وهو يرمقنا بعينيه وأفضنا  
في أمر تلك الخارقة العجيبة وتعليلها فانهينا إلى أنها  
كثيرها من مميزات العلم ، وهي ليست أعجب من  
تلك السادة التي جربها علماء أمريكا في المجرمين  
فأخذتهم عن وعيهم حتى أقروا وهم لا يشعرون ،

انكفأ لونه وتغير وأصبح كالشمع ، فأنزمت  
أجس نبضه فاذا هو يضرب ثلاثين ومائة كالذي  
أومته الرض ؛ بيد أن الذي أدهشني أنه لم يهن ولم  
يضعف ولم يتغير بل زاد قوة ونشاطًا ، وأحس  
نشوة كأنه شارب ثمل . ثم رأيتة وقد انطلق لسانه  
كالذي أخذت فيه الخمر مأخذها فحسبته يهذي .  
وقال فيما قال :

أتعرف يا كرمهوت أنه قد كشف عن بصرى  
الآن ، فأنا أطلع أفكارك وأفكار هؤلاء الجمالين  
الثلاثة الذين معنا ؟

فقلت وقد أيقنت أن به مس الخبيث :

لا ريب في ذلك إن كان مكرًا مما تمكر ،  
أو مزاحًا مما تمزح

قال : ليس بي مكر ولا دُعابة ، ولكنه ما أقول  
لك ؛ أفأخبرك بما في نفسك الآن ؟

فابتسمت سخرية به ، وقلت له : إن كان هذا  
من لدغة الأبرص ؛ فقد وقعت لنا عجيبة العجائب ،  
ولكن ما الذي يكشف لك مني ؟

فأغمض عيني به كالذي يجمع فكره ثم قال :  
إنك تفكر الساعة يا كرمهوت في تلك الخادم  
التي رأيناها بالحانة في سنغافورة

فذهلت مما أسمع إذ لم يمد ما في نفسي ، وخجأت  
مما اطلع عليه من شأن . وكانت أشعة الشمس  
الفضية وهي تتناثر من غصون الشجر قد نهت في  
مخيلتي أشعة مثاها من حسن تلك الحسنة . ولكني  
على ذلك رأيت أن أثبت فقلت لمرل : أحسبك  
مجنونًا فما فكرت فيها قط

ولكنه نظر إلى خجلي نظرة كانت ردًا .  
فسأته بمد هنيهة وقد أغنى قليلًا : كيف أنت

ثلاثة الجمالين هجوم رجل واحد ، فتأقبتهم بالرمحاض  
فقتلنا منهم اثنين وفر الثالث

وفي صبيحة تلك الليلة حملنا القليل من خشبنا  
والضروري من المتاع والزاد وعمنا شطار النهر .  
وقال مرل وهو يحمل ذلك الأبرص العجيب : هل  
تعتقد يا كرمهوت أن في الامكان قراءة أفكار أي  
الناس ممن نعرف ومن لا نعرف ؟

قلت : كلا بل الذين تعرفهم دون غيرهم فسكت  
ونكس بصره كالفكر ومشينا حتى إذا توقدت  
الشمس في الظهيرة ولفح الهواء جلسنا لطعامنا  
وتروحنا ساعة ، ثم حزمنا أمتعتنا ، وبينما كنت  
أنفقد ما سمعت مرل يصرخ وهو قابض على الأبرص  
بيديه : فقلت ويحك ماذا تصنع ! قال : ليست هذه  
غلطتي ولكن الحيوان قد ندأ فأمسكته

ونظرت فرأيت أنه قد انكفأ لونه ثم اعتراه  
ما اعتراه من قبل ثم شع في عينيه ذلك البريق  
الغريب ، قلت : هل لدغك مرة أخرى ؟ فأوما أن  
نعم ؛ فانتزعت الأبرص وألقيته في صندوقه

ولم أكن فطنت لما أراد مرل من سؤاله  
فارتعدت من هول الحقيقة التي ظهرت لي ؛ فهو  
قد استلغ الأبرص هذه المرة ليطالع من بعيد على  
أفكار شخص يعرفه حق المعرفة ، ولكنه لم يفكر  
فيه بالأمن ... وكنا على عشرين ميلاً من النهر  
ولم نجد ظهراً ولا إنساناً يحمل عنا فإذا هو صانع  
إذا اطلع على ريبة .. في تلك الأفكار الخبوء وراء  
العينين الجميلتين ... عيني زوجته التي تركها مبدولة  
الحذر في سنفافوره ... ؟

ولم ألبث إلا يسيراً حتى رأيته قد وثب قائماً  
وهو يرجف ويضطرب ، ومر يمدو نحو النهر

وسكت ظاهر الرجل منهم وتكلم باطنه . إن هذه  
السادة تبطل عمل الكتمان كالخمر ....

ولما كانت حواس الانسان تسجل الأشياء  
عادة من تلقاء نفسها بإرادته وبغير إرادته ، في وعي  
وبغير وعي ، فإن سم هذا الأبرص يهيج ولا شك  
قوة التسجيل هذه الى وقت محدود ، وينشط العقل  
الباطن فيصفو المخ وينكشف له كل ما سجلته  
الحواس . فلا جرم كانت حواس مرل قد سجلت  
أشياء كثيرة فيما يختص بهؤلاء الجمالين ، ولكن  
طمس عليها انشغال مخه بأشياء أخرى

ثم قلت : أما أنا فأعتقد أن هذا السم يهيج  
القوى الباطنة فيكشف للانسان ما تسجله طبيعته  
الحيوانية ، فهو يحمل الروح الغريزية فوق العقل .  
وعلى كل حال فلسنا الآن في السم والسام ولكن في  
التنبه للجمالين هذه الليلة

\*\*\*

كانت الليلة مُلتَجَّةً بظلامها سواد على  
سواد ؛ وكانت السماء ضريرة النجم ، والفساة  
ساكنة كأنها تتوقع أمراً فهي تحبس أنفاسها ،  
والحيوان كله صامت كأنما يترصد كل لكل .

فحملنا يتناوب الليل ، أحرس وقتاً ويحرس مرل  
وقتاً فلما كنت في نوبتي شعرت بدخول الجمالين ..  
لم أسمع لهم حساً فإن جريان الدم في أذني ربما عاقهما  
عن ارهاق السمع . ولكن دلني عليهم اقشمرار  
بدني ونفور الشميرات الدقيقة الحس ؛ فددت  
يدي وأيقظت مرل

وكان أحد الجمالين في زحفه على الأرض قد  
مس رماد النار وهي كابية تحته ، فانبعثت منه آهة  
لم يتمكن من ردها . وفي هذه اللحظة نهجم علينا



فناديته : أمتعتك يا مرل ؟ فاستدار بنظر إلى بعيني  
مجنون في وجه قاتل ، وصاح بي : ماذا تريد ؟  
قلت : خذ عني أمتعتك أو احمل على الأقل  
هذه الحشرات

قال : ليأخذك الشيطان أنت وحشراتك . ثم  
طار على وجهه في الغابة ، فأمرعت أحمل ما خف  
ومى الأبرص ، وجعلت أعدو خلفه وهو منطلق  
يصيح ويلعن جميع النساء من ذوات العيون الزرق ...

\*\*\*

الحر شديد كاللظى ، والأبجرة الخائفة تتنفس  
من جوف الغابة ، والنبات المتعلق يلتف بساق ،  
فيجاذبي وأجاذبه ، ودود العلق يتزاحف على  
جسمي ويندس بين ثيابي ، والذباب يتناولني بلغمه ،  
والعرق يتحدّر من جيني فيكاد يغشى على بصري  
وأنا في ذلك أعدو أشدّ المدو لألحق بالرجل . فبعد  
لأني أدركت أثره وسمعت حسيته فجعلت أصبح  
به أن يقف أو يتمهل وهو لا يلتفت إلي ولا يسمع  
إلا صوت دمه يريد أن يغسل شرفه بالدم ، فقد اطلع  
على أفكار زوجته التي تركها وحدها ، واستمر  
هذا مني ومنه إلى الليل فكنت أجن مثله ...

\*\*\*

أقبلت على الأماني والأحلام ، فتوهمتني  
أصبحت من أهل الثراء ، ثم من ذوى الملايين إذ  
أبيع « لدقات الكشف » بالتمن العالي لكل زوج  
غيور ... ورأيتني في قصرى الجليل أملك ما أملك  
وأنفق ما أنفق وأنال ما أنال وسوف وسوف ...  
حقاً لقد كنت مجنوناً مثل صاحبي فان الحرارة  
والأبجرة ودود العلق والذباب قد ملأت رأسي  
ضباباً ...

وأظلم الليل وبلغنا النهر ، وكنت أخشى أن

يقذف مرل نفسه فيه ليعبره سباحة إلى بنجارون  
وفي النهر التماسيح ... غير أنه ثبت على الشاطئ  
فأدركته فاذا هو ممزق الثياب أشعث أغبر متنفخ  
الوجه مخدش الأديم كأنه وحش في إنسان .  
فأعطيته ما يتبلّغ به وسقيته جرعة من الكحول ،  
وسألته أن ينام ، ولكن أنى له النوم وقد رأى  
ما رأى من أمر زوجته ... وخشيت إن أنا نمت  
أو غفلت أن يسلبني الأبرص وفيه ثروتي وأحلامي  
وشهرتي التي تملأ الدنيا . فخطمت أعصابي في  
مدافعة النوم وبت هالكا تعباً وسهراً وخشية ،  
وعلى الظلام بهوميه ، وحولنا الأفاعي بسمومها .  
وأطرق مرل لا يشكلم إذ كان في نفسه كلام آخر  
ووردت على الأحلام بعد الأحلام ، فاذا أنا

قد نمت آخر الليل وصرعتني الحمى

ولما سطع الفجر أبصرنا زورقا فلوّح لهم مرل ،  
فلما دنا منا صرخ في النوتية أن يحملوه ، فراهم  
منظره الخيف وحسبوه قاتلاً قد جنى الجناية ويريد  
الفرار فترددوا هنيهة ، ثم قبلوا بعد أن شرط لهم  
حكمهم في الأجر

ومسح الصبح على وجهي بنسيمه البارد فرد  
إلى عقلي فتناسيت أحلامي وجعلت أتلف بمرل  
وأديره عن خواطره ، وأوهمت أن سم الأبرص قد  
هاج فيه مثل الحمى بهذيانها وليس له أن يقطع  
باليقين في مثل هذه الحالة . ولكنه كان في أشد  
اليقين كأنما رأى رأي العين

ولما بلغنا فُرصة النهر كانت الباخرة الهولندية  
المسافرة إلى سنغافورة قد تحرّكت ، فصرخ مرل  
بصوت كالرعد يأمر ربانها أن يقف كأن له عليه  
حق الأمر ، فأدار الربان ظهره ولم يعبأ به ، فلم تكن  
إلا طرفة العين حتى قضا ما بقى عليه من الثياب ثم

وطار الى ذلك المأوى ، وتعلق بفروع النبات المتساقطة على جدرانها حتى بلغ الى النافذة ، فأطل منها ، وكان قد استعار مسدساً من أحد أصدقائه في الطريق فصوب به وأطلقه ثلاثاً ثم هبط الى الأرض واختفى وجاء الشرطة فاقتحموا المكان ، فاذا بزوجة رجل مضرجة بدمائها وفي كتفها رصاصتان ، وقد اختبأت تحت السرير شاب أسمر اللون مررت الرصاصة الثالثة على صدره فحدثته ولم تؤذ . فنقلوا المرأة الجريح الى المستشفى وأطلقوا صاحبها

\*\*\*

وسكت محدثي مرة أخرى لينظر الى القرد الأذن ، وكان قد رجع من مطاردة غريمه وأخذ يهمهم لأنثاه بصوت بأمر وينهي ، وهي في ذلك تطأطأ رأسها مدعنة . . فقطعت عليه وقالت له : وماذا فعلت بالأبرص بعد ذلك ؟

فطافت على شفثيه ابتسامة خفيفة وقال : مكثت في بنجرمازان ثلاثة أشهر جمعت فيها أنواعاً أخرى من الحشرات ، ثم أخذني الحنين الى وطني امستردام وإلى أطمعنها الشهية والجمعة اللذيذة التي عُرفت بها . فجمعت أمتعتي ووضعت الأبرص في صندوق أنجذته له . وكنت قد كتبت

عنه وعن خواصه في المجلات العلمية الأوربية ، ونشرت له صوراً عدة ، فاشتغل العلماء بالحديث عنه في برلين ولندن وينا وغيرها وياتوا يرتقبون أوبتي

ورسست الباخرة الى مرسيليا ، فتعاشيت طوال الرحلة الاختلاط بالسافرين ، إذ سئمت معاشره الناس ؛ بيد أن رجلاً من الظرفاء كان قد عاش طويلاً في أنقرة مع امرأته الفرنسية جعل يتسبب لمعرفتي حتى اتصلت بالأسباب بيني وبينه ،

رعى بنفسه في الماء وجعل يسبح إلى الباخرة والتماسيح تتجه إليه وتدنو منه ، وقد ضج الناس وصاحوا وأجلبوا ، وكنت أتوقع بين الثانية والثانية أن يكون قد غاص به تمساح ، ولكن يظهر أن وجهه الوحشي وجسمه الضخم المحدث قد جعلاً منه حيواناً يخيف الناس . . . فكانت تحوم حوله ولا تناله . ورق له الریان ، فأمر بالقاء الحبال فاجتذبه البحارة ، فلما صار على الباخرة هتف بي أن ادفع ما شرطنا لأصحاب الزورق ولك وحدك هذه الحشرة الملونة . . .

\*\*\*

وسكت محدثي ، فقد رأينا على بعض الأشجار القريبة من المنزل قرداً أذن يضرب أنثاه ومن حولها اصطفت جماعة القردة كالنظارة وقد خلوا بين الزوجين ، وكان القرد الهرم يضربها ضرباً مبرحاً على رأسها وهي تصرخ وتتلوى من الألم ؛ فلما طال ذلك وثب قرد فتى فدخل بينهما يريد حماية الأنثى فانقض عليه الآخر وأقبل يطارده من شجرة إلى شجرة حتى غابا جميعاً عن الأبصار

ثم تابع كرمهوت حديثه فقال : لم أر مرل بعد ذلك اليوم غير أنني لقيت ربان الباخرة الهولندية بعد أوبته فسألته عن خبره فقال :

أنتك لأنت الذي بعث إلى بهذا المجنون القاتل ؟ فقلت : المجنون القاتل . . . قال : نعم لقد كان مجنوناً وأوشك أن يصير قاتلاً ، فانه ما وطئت قدماء الأرض حتى هزول في لباسه البحري القديم الذي أعرناه إياه فاستقل عربة الى داره فلم يجد بها زوجته ، فاستدل الجيران قانباة أحدهم أنه واجدها إذا شاء في منزل عيته ، وهو من تلك المنازل التي تتخذ للفجور . فجن جنونه



قلت : كلا . بل أعرف هذه السيدة  
ثم قصصت عليه كل ما وقع . وكان الرجل  
الذي قتل في الباخرة هو ذاته ذلك الذي أفسد  
زوجة مرل . وقد عثرنا بين أوراقه على رسائل منها  
تدعوه فيها أن يلحق بها في إنجلترا . فمثل الدور  
نفسه في الباخرة مع زوجة صديقي الآخر ... وكان  
الأبرص هو الذي كشفه أيضا هذه المرة

ولما علموا علم هذا الحيوان العجيب نزلوا معي  
إلى مقصورتى . وحرك الطبيب شفتيه بكلمات لم  
أفهمها ، وفجأة انتزع مروحة من سعف النخل  
كانت على الحائط ومدّها نحو السرير فافتحص  
الحيوان فيها وقذف به من السكوة إلى البحر

ونجى كل ذلك في مثل طرفة العين ، فلم  
أملك غير الصيحة وانتفضت من الغضب ورميت  
بنفسي على الطبيب أريد خنقه ، فخال بيني وبينه  
الربان ، وجعلت أرعد من الغيظ ، والربان يتلطف  
بى ويهدئ منى ، ويزعم أن الطبيب ما أهلك  
الأبرص ولكن أهلك الشر

وانقطعت فى مقصورتى ، وقد خابت جميع  
آمالى ، فلا مال ولا شهرة ولا علم ولا كرامة ،  
ولن أجد بعد اليوم حيوانا من هذا النوع النادر  
كلا ، لن أجد ...

\*\*\*

انكأ كرمهوت برأسه على كرسية ثم أغمض  
عينيه بعد أن انتهى من القصة واسترسل فى خياله  
أما أنا فجعلت أفكر فيما صنع الطبيب ... لقد  
حرم العلماء شيئا من الزيادة فى العلم ، ولكنها  
بعضها زيادة فى الشر ...

أما والله لو تكاشف الناس بالحقائق لقتلتهم  
الحقائق . محمد الرافعى

فتخاذهنا الحديث وكان رجلاً واسع العلم فذاكرنى  
وذاكرته ، وقد أولع بأبحاثى وقرأ مقالاتى الأخيرة  
وكان يعرف شيئا كثيرا عن الثعابين ، ودرس  
العنكبوت دراسة خاصة

وأفضى بنا الحديث يوما إلى ذلك الأبرص  
وخواصه العجيبة ، فقصصت عليه قصة مرل فقال  
لولا أنك ممن يمتدح قوله لعدتها من الأكاذيب .  
ثم جعل يعنى به أكثر منى ، فكان يمضى الساعات  
الطوال فى الاشراف عليه وتأمله ومراقبة حركاته

\*\*\*

وصرنا على مسافة يوم من مدينة عدن ، فاشتدت  
فى الليل وطأة الحر ، فتركت حجرى وصعدت  
إلى ظهر الباخرة واستلقيت تحت النجوم ونمت  
ملء عيني ، فأنى لأغسط فى نوى إذ نبهنى طلق  
نارى أعقبه صياح ، وصرخ أحد البحارة : أن قد  
وقع رجل فى الماء . فنادت الباخرة وأنزلوا قارباً من  
قوارب النجاة إلى البحر ، ولكنهم لم يعثروا على جثة  
صديقى ... نعم صديقى فقد انتحر غرقاً بعد أن  
قتل أحد المسافرين الذين ركبوا من سنغافورة ، إذ  
رآه خارجاً من مقصورة زوجته فرماه بالرصاص

لم يلب لي البقاء على ظهر الباخرة فأنحدرت  
إلى مقصورتى وما كدت أفتح بابها حتى رأيت  
منظراً أجدت له فى موضى ، فقد كان صندوق  
الأبرص مفتوحاً ملقى على السرير ، ورأيت أنه وهو  
يدب على اللحاف ... فأدركت حينئذ من الذى  
أخرجته من صندوقه ... وأغلقت الباب وخففت  
لمقابلة الربان فأصبته فى حجرة القتل ومعه الطبيب  
يفحصان أوراقه . وما كدت أنظر حتى شذت ،  
إذ لمحت بين الأوراق صورة جميلة لزوجة مرل  
فالتفت نحو الربان وقال : هل تعرف هذا الرجل ؟

## الهاتف

للاستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

الرشد من أعماله ، فألحقه  
بمساعديه الكثيرين ،  
وما لبث أن صار يعتقد  
عليه في تعقب الأخبار  
وتقصي الحقائق

ورأى المدير أن سعيداً ينظر إلى الكتاب  
الذي بين يديه فمسح جبينه المريض بأنامله ثم قال :  
« على فكرة ... هل عندكم في « الأحوال »  
ملفات خاصة بتراجم المشهورين ؟ »  
ثم كأنما تذكر أمراً فقال : « متى أسست  
جريدة الأحوال ؟ »

فقال سعيد « بعد الحرب العظمى ... سنة  
١٩١٩ — أو ١٩٢٠ »

فقال المدير : « إذن لا فائدة ... »  
فقال سعيد « هل تسمح لي أن أسأل ما هي  
الحكاية لعل أستطيع أن أساعد ؟ »

فقال المدير : « الحقيقة أنها مسألة غريبة ...  
كنت أمس أقرأ كتاباً لعبد القادر التميمي وهو  
كاتب مصري وشاعر أيضاً وإن كان شعوره قد  
ضاع باهماله أو على الأصح لأنه هو أبي أن ينشره  
لأنه كان يستضعفه ولا يرى رأى الناس فيه ، وقد  
كان مشهوراً منذ أربعين سنة ، ثم اختفى فجأة ،  
ولا يدري أحد أهو حي فيرجى أم ميت فيبكي ...  
وقد رجعت اليوم إلى المستدرك ( وأشار بيده إلى  
الكتاب الذي بين يديه ) وهو كما تعلم الجزء الرابع  
من كتاب الأعلام للزركلي ، فوجدت فيه نبذة  
عن الرجل فيها تاريخ ميلاده وأسماء كتبه إلى آخر  
ذلك وليس فيها تاريخ لوفاة ؛ والمفهوم من هذا  
بداية أنه كان حياً حينما صدر الجزء الرابع من

— ١ —

دخل « سعيد المبداني »  
على مدير دار الكتب  
— حين أذن له — وهو  
يحكي وينشر الجريدة التي

كانت مطوية تحت إبطه وقال وهو يقدمها له :  
« هل قرأت هذا يا بك ؟ .. إن الحملة واضحة  
التلفيق ، ولهذا جئت وفي مرجوى أن أظفر منك  
بيان للرد عليها »

فتناولها منه المدير وألقاها على طرف المكتب  
ولم يكتم خبره وهو يقول : « تفضل . تفضل . إن  
كل ما يعنى رواد الدار هو أن يجدوا ما يطلبون  
— كل ما يطلبون — فيها وأن يهتدوا إليه بسرعة  
وسهولة وبغير عناء أو تضيق وقت ؛ ومتى كان  
هذا حاصلًا فلست أبالي ما تكتب الصحف أو يقول  
غيرها ؛ وهذا حسبي وحسبك بيانا . فاذا قنعت  
به فذاك ، وإلا فأمرى إلى الله فما أستطيع أن أضيق  
وقتي في الكلام الفارغ »

وكان أمامه وهو يقول هذا كتاب ضخم  
وضع بين صفحتين فيه قلماً أحمر غليظاً ، وكان  
ينظر إلى إحدى الصفحتين ويشير بأصبعه إلى  
سطور فيها كأنما يتلو منها ما ينطق به ؛ بل لقد  
خيل إلى سعيد أن الأمر كذلك ، ولكنه هز رأسه  
كأنما يريد أن يطرد هذا الخاطر ، فقد استأذن من  
غير أن يبين الغرض من المقابلة . وكان سعيد من  
أحدث خريجي كلية الآداب بالجامعة المصرية ومن  
أنشطهم وأشدهم إقبالاً على التحصيل والاطلاع  
ونزوعاً إلى الاستقلال والعمل الحر ، وخال فيه  
صاحب جريدة « الأحوال » الخير من لحاته ، وآنس



عن مصر وخلف أسرته بها وترك لها كل ما جمع من مال ، وكان ابنه قد كبر وصار ذا عمل يكسب منه رزقه ، ولم يرجع الأب بعد ذلك ولكن من المحقق أنه لم يموت وإن كانت أخباره قد انقطعت ... نعم أذكر هذا ... »

فقال المدير : « أوافق أنت من ذلك ؟ »  
قال سميد : « كل الثقة ... ولكن أين هو ؟ لا يدري أحد »

قال المدير : ولكنه - إذا كان لا يزال حياً - لا بد أن يكون الآن قد جاوز الثمانين ... انتظر ... ولد ... ولد ... نعم ... سنة ١٨٥٠ فهو الآن في السادسة والثمانين من عمره ... هل تظن ؟ . ولكن ... السادسة والثمانين ؟ ... يا الله ... أنظن ؟ ... إني لا أكاد أصدق ... لقد كان معروفا عنه أنه مسرف في إنفاق حياته ... لا يبالي أعاش أم مات ... فكيف يمكن ؟ ... »

فقال سميد : « مثل هؤلاء الذين لا يباليون أعاشوا أم ماتوا هم الذين يعمررون »

فقال المدير وهو شارد : ربما ... ربما ... ولكن ٨٦ سنة ؟ ... هذا عمر ... هذا ... »

فنهض سميد ومد يده إلى المدير وقال : « سأعني بالبحث ، وإذا وفقت إلى شيء فساخبرك »  
فناولته المدير يده وهو يقول كالحدث نفسه : « ٨٦ سنة ؟ أما لو كان حياً ؟ ولكن كيف يمكن ؟ كيف يمكن ؟ »

— ٢ —

مضى شهران على هذا الحديث لم يسمع في خلالها كلمة من سميد ولم يكف هو أثناءهما عن البحث والتقصي - عبثا - فأقصر يائسا وصرف

أعلامه - أعني المستدرك - ولعل صاحب الأعلام لم يقف على تاريخ لوفاته إذا كان قد مات ولكنه كان حينئذ خليقا أن يذكر تاريخا تقريبا لوفاته على عادته . لهذا أرجح أن الرجل كان حيا وقت صدور الكتاب . ولكن المسألة تبقى مع ذلك بلا حل ... فهل هو لا يزال حيا ؟ أم تراه مات ؟ وأين ؟ هذه هي المسألة ... ولست أعتقد أن في وسعك أن تساعدني ولكن أدر المسألة في خاطرك عسى أن تهتدي إلى شيء فتخبرني ... إذا سمحت ولك الشكر »

ونهض وافقا إذاذا بانتهاء المقابلة . ولكن سميدا كان مطرقا وكان يفكر جبينه بأصابه ، فلم ير المدير يقف فعاد ذاك إلى مقعده على مهل ، وقد جال بذهنه أن لعل هذا الشاب يعرف شيئا يستحق أن يصنى إليه . وتنبه سميد ورفع رأسه وقال وعينه على السقف :

« عبيد القادر التميمي ؟ أي نعم ! أذكر هذا الاسم ... وإن كنت لم أقرأ له شيئا ... قرأت عنه ولكن لم أقرأ له ... وسمعت من أستاذنا في الجامعة أن الناس في عصره كانوا في حيرة من أمره ، وكان أكثرهم لا يعرف له جدا من هزل ... وكان يتهم بكل شيء ... كل شيء حتى نفسه ... وكان أسلوبه جديدا في بابه فأخذ الناس على غيرة وأكثر مقلدوه ولكنهم أخفقوا فأقصروا ... »

وهنا تامل المدير فسا كانت به حاجة إلى من يصف له الرجل وإنما كانت حاجته إلى من يدلّه عليه وعلى مكان قبره

ومضى سميد في كلامه غير عابئ بضجر المدير فقال : « نعم ... وأذكر أن أستاذنا قال : إنه رحل

سيجارة ويضعها في الطبق وينساها ويروح يشعل غيرها حتى اجتمع في الطبق أربع سيجار بعضها أقصر من بعض وهو ذاهل عنها جميعاً ، وإنه ليهم بأشمال الخامسة وإذا بالخدام - فقد كان في بيته - ينبئه أن « سعيد أفندي الميداني » قد حضر ، فيقول له بالهفة : « أدخله .. أدخله » ويسبقه هو إلى الباب ويدخل سعيد أفندي ويده في يد جميل بك وهو يقول : « نعم وجدته ... في غرفة في ربيع قديم في أعتق أحياء هذه المدينة ... أو هو من أعتقها ... »

فيقول جميل بك : « وكيف وجدته ؟ »  
فيقول سعيد أفندي : « أوه ... هذه حكاية طويلة ... وليس المهم كيف وجدته ، بل المهم أني وجدته ... ويمكنني أن أقول لك إنني استعنت بابنه وقد كان اعتقاده أنه مات لا محالة ولكنني زعزعت له هذا الاعتقاد بعنف بل بقسوة ... هل تعلم أن ابنه أحيل على المعاش منذ سنتين وأن له حفيذة تزوجت وولدت بنتاً ... ؟ »  
فيقول جميل بك : « ليس عجيباً أن يستفيد ابنه أن أباه مات وشبع موتاً ... ولكن كيف وجدته ؟ »

فيقول سعيد مرة أخرى : « لقد قلت لك إن هذه حكاية طويلة »

فيقول جميل بك : « إنما أعني كيف حاله ؟ »  
فيقول سعيد : « حاله ... وماذا تنتظر أن يكون حال رجل قارب التسعين وأقدمه شيخوخته المالية عن العمل ؟ . فقر وضعف وعمش ... حال لا يعلم بها إلا الله »  
« ولكن كيف يعيش ... ؟ »

نفسه أسفاً عن عبد القادر التيمي . وكان جميل بك - أو إذا شئت اسمه كاملاً جميل بك أحمد القناوي - مخلصاً عطوفاً رقيق القلب وقد شق عليه جداً أن يحدث في القرن العشرين أن يختفي أديب مشهور وأن تنقطع أخباره نحواً من أربعين سنة فتتساه الدنيا التي كان يسرها ويملاؤها حبوراً وجذلاً ولا تعود تعرف عنه حتى أبسط ما ينبغي أن يعرف ... أهو حي أم تراه مات ... وكان جميل بك يرى أن هذه فاجعة انسانية لأنه لم يكن يشك في أن اختفاء هذا الأديب وانقطاع أخباره سببهما يأس عميق أخذ بالكليتين ... وهو مع ذلك الذي يرفه بكتابته عن الناس وينمش نفوسهم ويغذيها بفكاهته ويفيض على حياتهم البشر والنور كما تفعل الشمس . ولم يسمه إلا أن يعجب لاختفاء رجل مشهور في عالم لا يكاد يختلف فيه شيء في هذا العصر ؛ ورجح عنده لهذا أن الرجل لا بد أن يكون قد لقي حتفه في أول مراحل هجرته - إذا صح أن تسمى هجرة - ولا يبعد أن يكون قد تنكر وانقأ ألا يحمل معه ما يدل على حقيقة ، وأخاف به حينئذ أن يكون قد دفن حيناً اتفق بالامن الجديد الذي تنكر به .. وهن جميل بك كتفه ومط شففيه ، ثم زفر زفرة طويلة وقال : « إيه ! لا حول ولا قوة إلا بالله »

وشرع يشعل سيجارة وإذا بالتلفون يدق إلى جانبه فتناول الساعة متثاقلاً وقال : « نعم » ولكنه ما عثم أن اعتدل في جلسته وصاح : « إيه ؟ . ماذا تقول ؟ »

ولكن الذي خاطبه اكتفى بما قال ، فوضع جميل بك الساعة وقام يتمشى بسرعة ويشعل



طريقك ، وقد تظنه يهذى ولكنه ليس هذياناً بل  
كر الذهن الى الوراء فجأة بغير انذار ... ولما قالت  
له إنك تبحث عنه ضحك وقال : هل يريد أن يلقني  
ويضعني على رف ... وقال عن كتبه لما عرض  
ذكرها أن خيرها ما لم يكتبه ... ولا تزال أسنانه  
باقية . وقد قال لي إن متانتها وسلامتها من الآفات هما  
السبب في بقاءه حياً الى الآن ... ولما قلت له إن  
من واجبه أن يعلى مذكراته على بعضهم صاح بي :  
« أعوذ بالله يا شيخ ! حرام عليك .. اتق الله  
في يا بني »

فسأل جميل بك : « وماذا كان يعمل كل  
هذه السنين الطويلة ؟ »

« أوه كل شيء ... قال لي إنه لم يمش لنفسه  
ساعة واحدة أيام كان يشتغل بالأدب . وأن كل  
ما كان يرى نفسه تشبهه كان يرى أنه محروم منه .  
وكان مما يثقل على نفسه جداً أنه لا يرى نفسه  
يفعل إلا ما يكره ، فهو لا يحب المجالس التي يكثر  
فيها الناس ولا يرتاح الى أحاديثها ولا يفتبط بالزوار ،  
ويحب أن يشعر أن بيته حصن منيع لا يقتحم ،  
ويود ألا يجالس الا الذين يصطفاهم من الاخوان  
وبأنس بهم ويطعمهم اليهم ، ولكنه كان يجد  
— لسبب خارج عن ارادته بل ضد ارادته — انه  
يعيش كما يعيش الناس ، ويفعل ما يستثقل ، ويحرم  
ما يحب ؛ وقد كبر في ظنه أنه سيظل حياته هكذا ؛  
ولم يستطع أن يروض نفسه على السكون الى هذه  
الحياة أو أن يوطنها على احتمال هذا التقيد الذي  
لا يعرف ماذا يفرضه عليه ، وشق عليه أن يظل  
هكذا — يعرف أنه حر ولا ينعم مع ذلك بحرية ؛  
فكره هذه الحرية الظاهرية ومل السخط على نفسه

« كان يستعين به طابعو الكتب القديمة  
لضبطها وهم يجهلون حقيقة أنه يسعى نفسه  
عبد القادر ناجي ... أليس اسماً غريباً ؟ إن اختياره  
له شيء بثقته بالله وبحسن المال على كل حال ...  
لقد أدهشني منه أنه لا يزال يتسم للدنيا ويؤمن  
بحسن حظه في الحياة على الرغم مما هو فيه من  
الفاقة الشديدة ... ولكن من يدري ؟ لعله قد  
خرف فهو لا يقدر سوء ما هو فيه »  
فسأله جميل بك : « ألا يعرف أن ابنه  
موجود ؟ »

فقال سعيد : « يعرف ... ولكنه أبي أن  
يذهب إليه حين عاد من رحلاته لأنه استكبر أن  
يجعل نفسه حميلة عليه وخشى أن يأنف ابنه من  
الانتساب إليه إذا وقف على حاله الزرية »  
« وهل قابل ابنه ؟ »

« بالطبع ... وقال له حين رآه ... من يصدق  
أنك ابني ! إني أبدو أصغر منك على كل حال .  
يمكنك دائماً أن تنسى أني ما زلت على قيد الحياة ،  
فما أشك في أن عثورك على حيا صدمة لك بعد أن  
وطنت نفسك على موتى . وأحسب أن بعثي الآن  
قد خيب أملك في ... كذلك قال لابنه ... مدهش  
أن ذهنه لا يزال حافظاً لقوته ... قال لابنه في جملة  
ما قال إني لما كبرت كنت أقول لو عاش أبي لما  
عاشرتي لأنني أستنكف أن أكون فرعاً وأحب أن  
أشعر أني أنا أصل مستقل بنفسه عما عداه وعمما  
غداه ونما ... ولكن ذهنه يشرد أحياناً فيخاطب  
فلا تفهم كلامه لأنه يكر راجعاً في كلامه إلى  
ذكرياته الطويلة في حياته الحافلة من غير أن يشمرك  
بالانتقال أو الرجعة فتحس أنك تهت وضللت

ابنه . . . وقد أطلال النظر إلى البذلة الأنيقة التي يلبسها ابنه ثم ألقي نظرة على الجلباب البسيط الذي يرتديه هو ، وأشار بيده المeroقة إلى الثوبين وقال : « لا لا لا لا . . . دعني لشأني فإنه غير شأنك » ولم يزد بعد ذلك على الابتسام كلما ألح عليه ابنه في القيام معه . . .

فقال جميل بك : « والآن ألا نستطيع أن نصنع شيئاً لهذا الرجل الذي كشفنا عنه ؟ ... إن رجال الآثار يملأون الدنيا ضوضاء كلما وقعوا على حجر قديم أفلا ينبغي أن ننبه الناس إلى حقيقة هذا الرجل الذي لا يزال حياً وإن كان محسوباً في أهل القرون الخالية ؟ »

فقال سعيد : « بالطبع نستطيع . . . يمكن مثلاً أن نقيم احتفالاً كبيراً في أكبر الفنادق ندعو إليه رجال الأدب والعلم والفنون والصحافة وطائفة من كبار الرجال ونقدم إليهم صاحبنا ... غرامة الموضوع نفسه كفيلة وحدها بالنجاح الحفلة . . . »  
فهمز جميل بك رأسه وقال : « لاشك . . . ولكن صاحبنا لا يبالى هذا . . . ولا فائدة له منه على كل حال . . . وأنا أخشى إذا دعونا إلى الاكتتاب أن لا نفوز بشيء يستحق الذكر فنكون قد أهنتنا الرجل بلا داع . . . ثم من يدري ؟ فقد يأبى هذا وذاك . . . »

فقال سعيد وهو ينهض : « أقول لك . . . دع هذا لي . . . والله الموفق »

— ٣ —

لم يكن الأستاذ عبد القادر التميمي يبرح بيته ، وكان يجلس طوال النهار على سريره الضيق تحت النافذة ويطل منها ولا يكاد يحول عينه عنها . ولم

فود لو أنه مقيد حقيقة بإرادة غيره ليتسنى له على الأقل أن ينحى باللائمة على هذه الإرادة الخارجية ويجعلها غرضاً لذمه وطعنه . ولهذا فر من مصر والتحق بشركة أجنبيته للملاحة وركب على بواخرها البحار وأقام في الموانئ منسجوباً لها ، ثم ترك ذلك وعمل وكيلاً تجارياً يجوب المدن ويذرع الأرض داعياً مرغباً ، ثم انقلب مدرساً للغة العربية في بلاد الأفغان حتى أقعدته الشيخوخة ولم تقمده في الحقيقة ، ولكن الناس كانوا يرون أن سنه علت فهم يزهدون فيه من أجل ذلك ويؤثرون من هم أدنى منه سناً ؛ وكان قد جمع مالا في رحلاته الكثيرة فصار ينفق من رأس ماله حتى قارب النفاذ فعاد ، إلى مصر فدخلها ومعه نحو تسعين جنياً قال لي وهو يضحك أنه حدث نفسه أنه ينبغي أن يموت بعد أن تنفذ فما له رزق سواها ، ولكنه كان يخرج ويتردد على المكاتب التجارية فأنس به أصحابها وأدر كوا أنه عالم وأن في وسعهم أن يستغلوه فكان يضبط لهم الكتب القديمة التي يبيعون طبعها ؛ وساعده ذلك على إطالة عمره ، فقد أغناه ذلك عن الانفاق من رأس ماله أو ما بقي منه ، ومعنى ذلك عنده أن عمره طال لأنه يحسب عمره بما لديه من المال ، فعلى حسب كثرته أو قلته يكون ما بقي له في الدنيا من السنين . . . فهل رأيت أعجب من هذا ؟ »  
فأطرق جميل بك شيئاً فشيئاً ثم رفع رأسه وقال : « لاشك أن الأمر عجيب ، ولكن ألم يأخذه ابنه بعد أن اهتدى إليه ؟ ... »

فقال سعيد : « أوه . . . إن الرجل شاذ كما تعرف ، وقد أبى كل الآباء أن يذهب إلى بيت ابنه لأن هذا خليف أن يحدث في رأيه اضطراباً لا داعي له في حياة



ورجال الدولة أيضاً ... فنفرغ من الأمر كله في ساعة »

قال : « ساعة ؟ .. يا حفيظ ... »

قال : « هذا أهون من أن تظل كل يوم وكل ساعة معرضاً لحضورهم إلى هنا وإزعاجك ... فكر ... »

قال : « صدقت ... ولكن ... حفلة ؟ ... حفلة ؟ ... إن هذا صعب ... »

قال : « لماذا ؟ . أين الصعوبة ؟ . ما عليك إلا أن تحضر وتجلس معهم ساعة أو بعض ساعة ثم تنصرف جميعاً وكفى الله المؤمنين القتال »  
فأطرق الرجل قليلاً ثم قال : « ولكني لا أريد أن أختصر حياتي ... إنني أستطيع أن أعيش ... دعني أنظر ... »

فما لجه سعيد حتى صرفه عن التفكير فيما تكلفه الحفلة من النفقات للثياب ، فقد كان هذا هو الذي يفكر فيه ويستثقله خوفاً على عمره

ولكن الشكل لم يحل مع ذلك فقد كان ابنه — على بك — فقد صار بيكا — عبد القادر التميمي — في حيرة شديدة من أمره من جراء عناد أبيه ، فانه — أي على بك — رجل ذو مركز ومقام في المجتمع ، وقد زوج ابنته منذ عهد قريب لرجل له مركز ومقام في المجتمع أيضاً ، وليس يليق أن يكون أبوه — أي أبو على بك — هذا الرجل اليرث الهيئة الزرى اللباس الرقيق الحال الساكن في غرفة حقيرة في ربيع عتيق — أو جديد إذا أمكن أن يكون هناك ربيع جديد — وقد استطاع أن يربح لقاء بنيه ونسيبه لهذا الأب الذي جاء من حيث لم يكن يحتسب ، فقد زعم لهم أن العثور عليه

يكن يرى شيئاً في الحقيقة إلا أشكال المباني القريبة وذلك لضعف بصره ، ولكنه لم يكن ينظر ليرى شيئاً ولا كان يعنى بأن يرى أو أن تأخذ عينه المناظر وإنما كان يحدق كالذاهل ، وكانت أسارير وجهه المتجمد تنبسط أو تعمق الأخاديد التي حفرها الزمن فيخبل إلى الناظر إليه أن هذا وقع ما يشاهده ، ولكن الحقيقة كانت على خلاف ذلك ونقيضه فما كان يبصر شيئاً وإنما كان يدير عينه في قلبه أي في ماضيه فيبدو عليه السرور أو الألم أو غير ذلك كما يبدو على وجه من يشاهد قصة معروضة في دار من دور السينما . وكان سعيد يزوره كل يوم مرة — وأحياناً مرتين — في اليوم ويصنئ إليه أكثر الوقت وهو يهضب ويسح بذكرياته التي لا آخر لها . وقال له مرة :

« ما رأيك يا أستاذ ؟ . إن خبر عودتك قد شاغ وذاع بين الأدباء ورجال الصحف وكاهن متلف على رؤيتك »

فقال بإيجاز : « فليتلهفوا »

فقال سعيد : « ولكنهم لا بد أن يصلوا إليك في النهاية .. كما وصلت أنا .. ولا سبيل إلى صدم » فتجهم الرجل وقال : « ولكن يجب أن يمنعوا ... إن المكان لا يليق .. ما العمل ؟ . أشر ... »

قال : « اسمع مني وأطعني ... خير ما يمكن أن نصنع هو أن يروك كلهم دفعة واحدة »

قال : « ولكن كيف يتسنى ذلك ؟ . هذا مستحيل »

قال : « كلا ... الضرورة تفتق الحيلة ... وقد رأى المجنون بك أن خير ما يصنع هو أن يقيموا حفلة يدعون إليها الأدباء والعلماء ورجال الصحف

يريدون أن يحتفوا ببعثه ، فانه يحسن بسعيد أن يحمل إليهم ما جاء به من الثياب على مشجب ويقول لهم إن هذا ما يطلبون وهو كل ما يستحقون أن يروا ولم يقل هذه الألفاظ بعينها ولا ما يقرب منها بل قال بما هو أعنف ، وكان صوته متهدجا ، وكلامه منقطعاً ، وكانت لحيته الطويلة البكثة تضطرب ، وأسنانه تصطك ، فلم يجد سعيد بداً من السكوت والكف عن الأحاح عليه بعد أن وضحت له قلة جدواه ، وسأل الله في سره الستر والسلامة في هذه الليلة

وخرج من الغرفة - سعيد في ثيابه الأفرنجية التي يلبسها الأفندية من أمثاله ، والأستاذ التميمي في جلباب فضفاض وجبة قديمة وحذاء أصفر صارت الرقع فيه أكثر من الأصل ، فكانه « مركوب أبي القاسم » وطربوش مصرى سوى أنه طرى وعليه لفة كانت في الأصل مزركشة فأصبحت ألوانها حائلة باهتة

وكان سعيد قد جاء في مركبة وتركها تنتظر في الطريق أمام الباب ، فأحاط بها غلمان الحارة - هذا ينط على السلم ، وذلك يعبث بالغطاء ويطويه وينشره ويكرر ذلك عدة مرات ، والسائق يصيح بهم أن يكفوا ويلعن الساعة التي دخل فيها هذه الحارة ، ويفرق بصوته ليزجرهم ويخيفهم فينفذون متضاحكين ثم يمودون إلى رأس أمرهم ، حتى كاد عقل السائق يطير . فلما ركب الرجلان راح الغلمان يبحرون وراء المركبة ويتعلقون بها من خلفها ويصيحون ويضوضون ، والسائق يلوح لهم بالسوط ويضرب به ظهر الغطاء حتى خرج إلى الطريق العام

أو الاهتمام إليه أحدث له رجة عصبية يحسن معها اتقاء أزعاجه إلى حين ، ولكن الصحف بدأت تكتب وتفيض ولا سبيل إلى كبج الصحف أو صرفها عن الموضوع ، فما كل يوم يختفى أديب كانت له شهرة واسعة ثم يظهر بعد أربعين سنة . وقد حرص جميل بك وسعيد أفندي على إخفاء مسكن الرجل ولكن الصحف لا يسمها أن تصبر على ذلك ، ومن حقها أن تعرف أين يسكن أو يقيم وإلا كانت معذورة إذا هي استرايت في الأمر كله . أضف إلى ذلك أن حفلة ستقام ويشهدا مئات من الخلق ؛ وقد كانت فكرة الحفلة هي التي أعانت جميل بك على اقناع الصحف بالصبر والانتظار وجعلت الموضوع شيقاً وخليقاً أن يجد القراء فيه مثل لذة الأساطير . ولكن هذا لا يمكن أن يدوم ولا يفر آخر الأمر من كشف الحقيقة كلها ، فما العمل ... ؟ لهذا لجأ إلى سعيد وجميل بك ورجا منهما أن ينقذاه ويحوّلا دون الفضيحة التي يجزع منها ولا يعرف له قدرة على احتمالها . فاتفق الثلاثة أن يحملوا الرجل ظهر يوم الحفلة بعد أن يلبسوه بذلة إلى بيت ابنه ومن هناك يذهبون به إلى الحفلة في المساء

— ٤ —

وجاء يوم الاحتفال فذهب إليه سعيد بعد الظهر ومعه ثياب أراد أن يلبسه إياها فأبى واستكبر وغضب أيضاً ، وقال إنه ليست به حاجة إلى ثياب ولا إلى أحد من الناس ، وإنه لا يريد أن يحضر هذه الحفلة أو يرى وجه إنسان ، وإنه ماعيب ثيابه على كل حال ؟ . أليس قد قابل بها الناس في مصر وفلسطين والشام والحجاز والأفغان والعراق وإيران ؟ فإذا كانت لا تكفي هؤلاء المعجبين به والذين



ابنه وراءهم ، ولكن الناس لم يسيروا الابن أدنى التفات ، وإنما كانت عيونهم على هذا الرجل المحرم ذى الثياب العتيقة واللحية البيضاء والجبين المقطب والعين الثابتة للماعة وإن كانت لا ترى إلا قليلا . وكان قد ثقل عليه ما رأى من ابنه فألى ليرجعن الى غرفته . وعرض جميل بك المدعويين على الأستاذ بأسمائهم فصاحوه واحداً بعد واحد حتى كاد ينخلع ذراعه ، وإن كانوا جميعاً قد ترفقوا به ، وحرصوا على الاكتفاء بلمس راحته . ولم يبد عليهم ما خشيه ابنه من الاشتزاز أو الاستخفاف حين تقع عيونهم على ما هو فيه من الملهل

وأدبرت ألوان الطعام فكان الأستاذ يسأل عما يعرض عليه ما اسمه وكيف يصنع ، ولا يتناول إلا بقدر . وكان المدعوون في أول الأمر يحدجونه بعيونهم ويُسَيِّرُونَهُ النظر ، ولكنهم ما لبثوا أن انصرفوا الى الطعام والحديث . ولكل شيء آخر . — انتهى الأكل ، وبدأت الخطب والقصائد ، والأستاذ مطرق كأنه يصغى ، وكان يهز رأسه من حين الى حين كمن سره شيء — أو ما يسمع

وانتهى هذا أيضا على طوله ، فهمس جميل بك في أذن الأستاذ : « ألا تحب أن تتفضل بكلمة ترد بها عليهم ؟ »

فقال الأستاذ مُسْتَغْرِباً : « أنا ؟ ... أقول كلمة ؟ أرد على ماذا ؟ ... إني ... الحقيقة أني لم أكن مصفياً .. لم يكن بالي اليهم »

فدعز جميل بك — فما كان يتوقع هذا — ، وقال : « ولكن يا أستاذ لابد من كلمة . لانستطيع أن نقول لهم إنك لم تكن مصفياً الى كلامهم ... أرجو يا أستاذ ... كلمة شكر قصيرة ... القليل منك كثير »

ولا تطيل . ولا نحاول أن نصف لقاء الرجل بأحفاده ، فقد خاب أمل الأمرة كلها حين رآه أعضاؤها ، وأخذت عيونهم الفاحصة قدم الثياب وراثتها . وكان ابنه أعظمهم خيبة أمل ، وأشدهم قلقاً واضطراباً ، ولا سيما حين عرف إصرار أبيه على هذه الثياب الوضيعة المخجلة حتى لأشفق عليه سعيد أفندي أن يفليج فراح يحاور الأستاذ التميمي ويداوره مرة أخرى عسى أن يهديه الله ، ولكن الرجل كان جبلاً لا يتزعزع ، ولما قال : « أنا كما أنا . فمن كان يقبلني على علاقي فأهلاً به وإلا فاني أرجع الى غرفتي ، فما طلبت أن أجيء ولا أردت أن يعرف ابني أو سواء أني على قيد الحياة »

« امسك سعيد أفندي وأقصر » وكانت الحفلة في فندق من أكبر فنادق المدينة وفي أوسع قاعاتها ، وقد دعى اليها — أو على الأصح اشترك فيها — نحو مائتين من رجال الأدب والعلم والصحافة والحكم والوجاهة . وكان أكثرهم قد بكر وجاء قبل الموعد . وجاء غير المدعويين — أو المشتركين — كثيرون وقفوا بحيث يرون الداخلين ؛ واحتشد جمهور غفير على الرصيف ليروا هذا الأديب الذي بعث بعد أربعين سنة ، والذي دأبت الصحف عدة أيام متوالية على

الكتابة عنه . واستمد المصورون لاستقباله وتصويره في القاعة الكبرى بالآلاتهم ومصاييحهم القوية

ثم أقبل أحد الشبان يعدو وقال : « جاء الأستاذ » فساد السكون وانقطع حتى الهمس ، وتعلقت الأنفاس ، واشترأبت الأعناق ، واتجهت العيون الى الباب لرؤية هذا الذي كأنما قام من القبر . ودخل الأستاذ في الثياب التي أبى سواها ، وقد أخذ بذراعيه جميل بك وسعيد أفندي ، وأقبل

وجد بالتجربة الطويلة أن من العسير أن يهرب المرء في هذه الدنيا من الناس — ومن الأدب والأدباء وعشاق الأدب على الخصوص — المخلصين والتركليين والذين يظنون يوحون إلى نفوسهم أنهم يحبون الأدب حتى يؤمنوا بذلك ... كلا لا سبيل إلى الهرب ... وطالب الفرار لا بد له من الجري الطويل والذهاب إلى أبعد مما كانت الحاجة تدعو إليه قبل نصف قرن . وهو يتكلم عن خبرة فيجب أن يصدقوه ، بل إن وجوده الليلة بينهم دليل مادي على تعذر الهرب في هذا الزمان الذي امتد به العمر إليه ... وكيف يهرب الانسان ؟ . إلى أى مكان يذهب وكل مكان فيه ناس ؟ . وقد صار الناس أكثر والاتصال بينهم أسرع وأسهل ... ومن أى مكان يهرب ؟ إن الهرب الصحيح مستحيل ... وقد يستطيع المرء أن يعيش في الصين ، ولكنه لا يستطيع أن ينكر أو ينسى أن القاهرة والاسكندرية ودمشق والقدس موجودة .. والهرب من الزمان أصعب ... نعم يتوهم المرء أنه يعيش لا في الحاضر بل في المستقبل والمستقبل ، ويروح يعزى نفسه عما هو كأنما يزعم أنه سيكون ، ويذهب يعمل ليقاب الدنيا ويجعلها كما ينبغي أن تكون « إني أؤكد لكم أنى أعرف هذا ، فقد فعلته — أعنى توهمته — وعشت في سكرة طويلة ونشوة مستمرة وحلم دائم بما سيكون » وقال لهم : إن هذا كله عبث في عبث ، وأؤكد لهم أنه لا مسوغ على الإطلاق لأن يفترض الانسان أن للجنس الانساني مستقبلاً — هذا أولاً — وثانياً أن مانسى له ونلح في طلبه أو تمنيه قد يكون مستحيل التحقيق . وهب تحقيقه ميسوراً فقد يتبين أنه ليس

فهو الأستاذ كتفه وقال « إن هذا غريب !! لقد كنت أفكر في ... ليلة قضيتها في كهف ... فقال جميل بك مقاطعاً : « فيما بعد ... بعد الحفلة نسمع ما كنت تفكر فيه ... لا بد أنه كان شيئاً غريباً ... ولكن الآن ... أرجو يا أستاذ » فالتفت إليه وقال : « ماذا قلت أنهم كانوا يقولون ؟ إني لم أكن مصفياً »

فقال جميل بك : « كانوا يثنون عليك ويمدحونك ويذكرون كتبك العديدة ويصفون ما فيها ... كلام كثير يصعب أن ألخصه لك الآن . أنا أيضاً قلت كلمة ولكنك لم تسمع مع الأسف ... نهايته ... لا بد من الرد فاصنع معروفا »

وكان سعيد — حلال العضلات — قد أدرك وهو في مكانه أن في الأمر شيئاً ، تخف إلى جميل فلما عرف المسألة انحنى على الأستاذ وهمس في أذنه : « إن هؤلاء الناس خاليقون أن يتوهموا أننا ضحكنا عليهم أو أننا مخدوعون وأنت لست الأستاذ التميعي وإنما أنت رجل غيره ينتحل اسمه فقم قل كلمة وإلا ... » ولم يتمها ، فقد نهض الأستاذ معبساً ورفع رأسه كأنما يحاول أن يقيم ما قوسه الزمن ، وكانت لحيته تضطرب وشفته تحتلج وكفاه لا تثبتان على المائدة التي وقف معتمداً عليها ، وظل هكذا نحو دقيقة كان من الواضح في أثنائها أنه يعالج نفسه ليردها إلى السكون ويحاول أن يضبط أعصابه ، وبقي بها إلى الاتزان ، ثم فتح فمه وقال بصوت خافت :

« أيها السادة » وسكت شيئاً وثبت حملاقه ، فكانه تمثال نصب في مكانه ، ثم ابتسم فجأة وبدأ يتكلم بلا توقف ، ولم يشكرهم كما رجا منه جميل بك ، بل قال لهم في صراحة سررت فريقتاً وساءت آخرتي إنه



كأنما أراد أن ينتقم لنفسه ، أو أن يبغضها اليهم  
ليتركوه بعد ذلك في سلام ... ولم يطق البعض  
المقام ، أو طوله ، فتسلل خارجا وتبعه غيره ، وغيره ،  
حتى لم يبق إلا دون النصف .

ولكل شيء آخر ... عاد الأستاذ الى غرفته  
لا إلى بيت ابنه واستلقى على فراشه بثيابه ، فقد  
أضناه الكلام والوقوف أكثر من ساعة ونصف ساعة  
وفي الصباح جمع ثيابه وأشياءه وانتقل الى  
ربيع آخر

وجاء سعيد بصحف الصباح وفيها وصف الحفلة  
التي ظلت أياما تدعو لها وتروج وفي صدر أكثرها  
خطبته التي عنى سعيد بتدوينها ؛ فلم يجد الأستاذ  
وأعياء أن يعرف أين ذهب ، فأسرع الى ابنه على  
بك يخبره ويسأله ما العمل ؟ فقال على بك وهو  
يرسل الدخان في الهواء : « أظن أن الواجب أن  
نحترم إرادته ونعفيه من الأثقال عليه »

أيهاهم عبد القادر المازني

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً

بما يسيفه أو يرتاح إليه أو يرضى به الجنس الانساني .  
وسألهم هل هم يعتقدون أن الانسان ينشد السعادة ؟  
ولو كانت السعادة الدائمة الخالدة التي لا تزول  
ولا تتغير ممكنة ألا يستفظمها الانسان ويفرق من  
تحقيقها ؟ على أن التفكير في المستقبل والسمي له  
لا ينعمان أن الحاضر موجود وأنه مؤثر بوجوده ...  
وهناك مهرب آخر ، إذ يتعلق المرء بالمثل العليا  
وصور الكمال ، ولكن اللجوء إلى الخيال لا ينفى  
الحقائق المحيطة بالانسان ... وانتهى الى أن المهرب  
الوحيد الصحيح لا يكون في الحياة ، وهذا لا يعد  
مهرباً لأن المرء لا يشعر به ولا ينعم بأدراكه . إنه  
استطاع الهرب ، ولو كان هذا مهرباً حقيقياً للرجاء  
إليه . وابتسم وقال إنه يرجو ألا يلجئوه الى هذا  
الذي ليس مهرباً ...

واستطرد بطريقة ما إلى كتبه وما يلقى من  
التكريم من أجهلها ، فقال : انه واثق أن أكثر  
الموجودين لم يسمموا باسمه ولم يكونوا يعلمون أن له  
كتباً ، وأن الذين قرأوها فهموا منها غير ما أراد .  
وقد يكون هذا عيبه هو كما قد يكون عيبهم هم ،  
ولكنه الواقع على كل حال . والمجتمع لا ينتظم أمره  
إلا بالجمالة ، وهي شيء حسن في ذاته ولكنه هو  
فرغ من ذلك كله وأخرجته سنه من المجتمع وأعفته  
من ضروراته ؛ وهو ليس من هذا الزمن فيحسن أن  
يرتد ويتراجع الى ما أخرجوه منه ، لأنه ليس إلا قطعة  
متخلقة من زمن سابق ، ولا شك أنهم أدركوا  
غلطهم حين خرجوا به الى زمانهم ...

وظل يهضب على هذا النحو الذي لم يكن  
منتظراً ولا كان في حساب أحد ؛ وطال الأحرار فل  
الناس ، وأحس هو الهمس فلم يترفق بالذين ضجروا

# قلب الحبل

مسألة القصص الرباطي

بقلم الأستاذ محمد الحفيظ

سمع جوجليلو  
رنين الجرس مؤذناً  
بدخول شخص ، كما  
سمع حديثاً في البهو ،  
ولكنه لم يتحرك .  
ومن عسى أن يكون

الشقاء ؛ لقد نجحت  
أمه فيما ذهبت إليه ،  
ولقد قدم هو لها جبل  
عليه من الكسل عن  
مقاومة أغراضها ، كما  
خذلت عزمته فلم

يستطع أن يتولى بنفسه شؤون نفسه ، وكان قليل الثقة  
بكفايته أو بمقدرته على تنفيذ شيء ، وراحت الأم  
تنصح له حينما رآته مقبلاً على مواجهة الحياة ؛ وكثيراً  
ما ابتدرته بقولها : اتخذ يا بني من (إيرين) زوجاً لك .  
إنها الزوجة التي خلقت لك ، بل إنها المرأة الوحيدة  
التي تستطيع أن تجعلها شريكة حياتك . نعم إنها  
ليست فارهة الجمال ولكنها جادة مجدة ... كذلك  
ليست بالثرية وإن لم تكن فقيرة ، وأظنك لا يمكن  
أن تربي في زواجك إلى المال . إنها ستحفظ لك  
بيتاً طيباً وتعنى بتربية أطفالك ؛ وما عسى أن تطلب  
فوق ذلك ؟ إن مما لا يحمد لك أن تشايخ خيالك  
وأحلامك إلى ذلك الشيء الذي تسميه ... »

على أنه في الواقع لم يشايخ أحلاماً أو يسار  
خيالاً قط . وقد تزوج من إيرين ليرضى بذلك أمه .  
ثم أخذ يوطن نفسه على أن يألف هذا الضرب من  
السعادة التي أشارت إليها

ولكنها كانت سعادة قاترة مصفارة كادية ؛ على  
أن أمه كانت تعلم حق العلم ماذا تعنى بقولها حينما  
أشارت إلى الخيال والأحلام ، فكان حلم جوجليلو  
هو ابنة عمته آن ، وقد تزوجت تلك العممة من رجل  
غني من رجال الأعمال . وكان جوجليلو يتردد  
على منزل عمته وهو غلام ، ولكنه حينما طر شاربه  
حالت بينه وبين ذهابه إلى حيث كانت تقيم آن

ذلك الشخص ؟ أهو صبي الصيدلي ؟ أهو الخباز ؟  
أم هي الخادمة ... ؟ إنه ليعرف تفاصيل حياته البسيطة  
المملولة معرفة خبرة ووثوق وهو في حجرة عالية ،  
حجرة دراسته يسمع من الأصوات كل يوم ما يستدل  
به على ما يجري حوله من شؤون الحياة ؛ ولقد ألف  
تلك الأصوات الرتيبة ألفة تامة ، حتى إن ما حدث  
في ذلك اليوم من أمور جديدة قد أخذ في ذهنه  
صورة ما ألف من قبل كأنه رآه بالأمس ، ولذلك لم  
يثر في نفسه اهتماماً خاصاً . فهناك الصيدلي مثلاً ،  
وهو رجل حديث مقدمه والله الحمد فلا يدرى من  
الأمور شيئاً ، ولن يستطيع أن يحجز الأمور عن  
وجهتها . وراح صاحبنا يحدث نفسه : « ستأتي  
هنا بعد برهة السنيورا أكاردي ثم يأتي الطبيب ؛  
وبعد ذلك بتزايد غمز الجرس فترة ، ثم في ساعة  
أو ساعتين ينتهي كل شيء كأن لم يكن هناك شيء »  
ولكي يهذهد لهفته ، فتح كتاباً وحول إليه  
بصره ، منصرفاً عن النظر إلى حديقته الصغيرة  
التي جدد الربيع خضرتها يومئذ ؛ وكانت حجرة  
دراسته كحياته محدودة متواضعة ، ولقد أتجه فكره  
وهو يقرأ إلى تلك الحياة

تزوج في الخامسة والعشرين وهو الآن في  
الثلاثين ... خمسة أعوام من الوجود الذي لا يميزه  
شيء ، خمسة أعوام لا هي إلى السعادة ولا هي إلى



الوجود بأنفس جديدة هي التي زادت حيوية ونشاطا  
أتيت سريعا على قدر ما استطعت ... ما حالها؟  
بخير ... هون عليك لا تضطرب ، لو كنت مكانك  
لخرجت من المنزل برهة أو جلست هادئا في حجرتي .  
سأعود إليك بعد ساعة أو ساعتين وأطلعك على  
جالية الأمر »

وابتسم الطبيب ثم دخل حجرة الريضة ورجع  
صاحبه الى حجرته . وقد فكر بعد برهة في الخروج  
من المنزل ، ولكن دافعا خفيا لم يتبينه ، دافعا  
مكونا من الخوف من جهة ، ومن توقع ما يسر من  
جهة أخرى ، أقعده عن الخروج ؛ فلبث في مكانه  
مفكرا ، ولكن أفكاره القديمة لم تلبث أن عاودته ؛  
وكان عجبا أن تعاوده في الساعة التي يرى فيها وجوده  
يتصل بالمستقبل في حياة وليده المنتظر ، فتقذف به  
في أعماق الماضي خطوة بعد خطوة

وما كان الماضي غير آن ... آن دائما ... آن واسمها  
وذاتها وكل ما يمت بصلة اليها

لقد رآها مرات بعد زواجه ، ووجد أنها  
لم تتزوج حتى ذلك الوقت احتفاظا بحريتها ،  
كما اعتاد أن يسميها تقول ذلك ضاحكة . وهي  
الآن في السابعة والعشرين لا تزال كما عهدتها من  
قبل مرحلة مرهقة . وكانت تزور بيته بين حين  
 وآخر حيث اتصلت أسباب المودة بينها وبين  
إيرين ؛ على أنها لم تكن تكثر من الحديث معه وكان  
قصارى ما تبديه نحوه من اللطافة ابتسامة أو اثنتين ،  
ثم تمد يدها اليه فتضاحه مصافحة الأصدقاء وتنطلق  
في سبيلها

وكان يمتدح جوجيليمو أن أمه أخطأت التقدير ،

وساوس عتمته ، وما كان بين المنزلين من فرق كبير  
في الثراء . نعم كان حلم جوجيليمو هو تلك الفتاة  
الجميلة الطويلة المشوقة القصد التي ينبعث العطر  
دائما من ثيابها ، ذلك الحلم الذي جاهدت أمه في  
تبسيده ... « وماذا كانت تنتظر آن من رجل  
مثله ؟ تتزوج منه !! يا إله الناس إنها تنظر الى ما هو  
أبعد من ذلك ... تحبه ؟ ألم يتبين أنها كانت أبدا  
تتمتع نفسها دون أن تميره التفاتة أو تتجه لحظة  
بفكرها إليه ؟ »

وكانت تلك الكلمات كفيلة بالقضاء على حلمه  
الجميل . وهكذا تزوج من إيرين ؛ والآن بعد سنين  
من السعادة الهزيلة الفاترة ترى إيرين موشكة أن  
تنجب غلاما . ولم يقابل جوجيليمو ذلك أول الأمر  
بكثير من الحساس إذ رأى الزمن يأتي له بشخص  
آخر يحول بينه وبين الأحلام ، ولكنه أحس  
بقلبه يمتلئ بالغبطة كلما تصرمت الشهور . ولد ؟  
وما الولد ! أليس هو الشيء الوحيد الذي يعلل  
وجودنا ؟ ثم إنه يرى فيه خير منحة بعد ما لاقاه  
في ماضي أيامه من أشجان وآلام ، وأحسن عوض  
عما فقد من الحب والسعادة

نهض من مكانه هذه المرة وترك حجرته وألقى  
نفسه في المر ؛ وهناك سطعت في أنفه رائحة العقاقير  
المنبعثة من حجرة زوجته ؛ ولو أنه أنصت لسمع  
أنينها ، ولكن صوتا قويا هادئا قطع عليه تيار  
فكره فجأة ... « هانذا أتيت ، هانذا » وكان  
ذلك هو الطبيب رفيق صباه الذي كثيرا ما تردد على  
منزله . كان يدينا مرحا مشبع الوجه من التجربة .  
ولعل وظيفته هذه التي كانت تنحصر في إمداد

« أنت في حاجة الى شيء ؟ هل أستطيع أن أجعل من وجودي فائدة لك ؟ »

وجاء دوره الآن ليحيب ، فان دائرة صمغها قد اتسعت حتى تركتهما حائرين ؛ وخيل الى كليهما كأنه يستمع الى صوت الآخر ، وكأنما عادت اليهما ذكرى عبارات قيلت من قبل ولكنها نسيت الآن أو إمتلا بها الفكر ، ولكن لم يتحرك قط بها اللسان

وأخيراً قطع جوجليمو هذا السكون فجأة بسؤال غريب ، ظهر أكثر غرابة لصدوره من شخص خجول مثله ؛ ولقد كان وقعه على آن كقبلة لم يحسن أدائها

« أنت جميلة كاملة يا آن ... لماذا لم تتزوجي حتى الآن ؟ »

ولقد التهب خداهما من الخجل ، بل لقد ظهر وجههما كله والجزء العاري من عنقها تحت الفراء مشبوب الحمرة ، ولكنها حاولت أن تبسم لتخفي تلك السحابة التي أظلمت في عينيها

« فيم تفكر الآن يا جوجليمو ؟ لقد بقيت عذراء لأنه ... لأنني لم أجد أحداً يخطبني ... »

وضحك جوجليمو بدوره ضحكة من قلبه . لم تجدى أحداً ؟ يا عجباً ! إن وراءها من عشاق الشباب ما يفوق عددهم عدد من يتوددون الى جميع فتيات المدينة مجتمعات

« من أنبأك هذا ؟ »

« أنبأني به أمي »

« إن أمك لم تدر من أمر هذه المسألة شيئاً ... ولكن إذا فلنقل إنني أقسمت قسمي » وأخذت

اذ لم تكن آن كما اتضح له في شيء مما تصوره من الزهو والكبرياء . ولكنها في الحق لم تكن امرأة عاطفة

هل زاد عدد الناس في الردهة ؟ لقد سمع جوجليمو صوت شخص يكلم الخادمة في همس . ولقد جعله هذا الصوت ينتفض في مكانه ، ثم فتح باب حجراته وظهرت له رأس لطيف

« انها أنا يا جوجليمو ، أأذن لي بالدخول ؟ ونظر جوجليمو الى القمطر في اختلاجة غريبة لم يستطع اخفاءها ، وكأنما كان يجب أن يغيب أفكاره في ذلك القمطر ، فلقد كانت اختلاجة عينه كاختلاجة من يرى متلبساً بجرعة ! ولكن آن تقدمت نحوه في هدوء وهون

« لقد جئت لأسأل ما حال ايرين الآن »

وبدا على جوجليمو أنه شارد اللب الى حد أنها نظرت اليه نظرة عطف قائلة :

« جوجليمو أيها المسكين ما أراك الاحزان ... ! »

ورد صاحبها مغمماً : « لا . فالطبيب عندها » ولم تلبث أن التفت في رأسه فجأة أفكاره حول هذه الأنسة التي يراها الآن تظهر اهتمامها بأمر عمت بصلة الى الحب والحياة ، فزادته تلك الأفكار ارتباكاً واختلس نظرة الى جسم آن البض الجميل ، ذلك الجسم الذي رآه قدهي أحسن تهئية لجمال الأجنة « إجلسي لدى برهة يا آن ... فاني أحمد لك بحيثك الساعة ! »

وسمعت لصوته نبرات غريبة ، وتغير تغيراً عجيباً كما تتغير الموسيقى بتغيير اللحن . ونظرت اليه آن في دهش وظلت صامتة برهة ثم سألته :



اليه كأنه يرى الواقع شاخصاً أمامه يسأله : « ألا تفهم » ؟

لا . إنه لم يفهم . لقد أسلم قياده بالأمس ورضي أن يفقده ضلال أمه . وهكذا ألقي نفسه على شفا منحددر لم يجد بداً من النزول الى قراره . والآن يرى الماضي في ضوءه الحقيقي . ويرى الآن أنه حينما كان يكتر من الذهاب ليرى أن كان وجهها يتهلل بشراً وفرحاً ، وأنه حينما كان يغيب عنها كانت ترى مكتئبة لذلك . وأعقب ذلك مرضها ؛ ثم توالى السنون التي أغفل فيها أمرها ، فلم تر بداً من أن ترفض في عناد أن تتزوج من غيره . . . . . ولكن لم ظلت ساكنة لا تخبره عن شيء ؟ أكان في ذلك جرح لكبريائها أم هل كانت تخشى المذلة لا . إنها لم تفكر في شيء من هذا ..

والآن ؟ هذا البوح المبالغت ... واحمرار وجهها من الخجل ... ويدها المرتعدة ... ألا إنها لا تزال تحبه ... وحدثته نفسه قائلة « لا ليس هذا ممكناً » ولكن قلبه كان ينبض بين جنبيه بما يؤكد الفريزة . كان ذلك كذلك ؛ كان ذلك كذلك ...

وبينا هو كذلك إذ دوت في أرجاء المنزل صرخة ألم قطعت عليه تيار أفكاره وأعادته ثانية الى حقائق الحياة ، الى الواقع الذي لا يشوبه خيال ؛ ففي تلك اللحظة أوشك أن يولد له غلام ، وهو قطعة منه تمتد بها حياته في سجل الوجود وتتصل بالمستقبل ، فوجب كيف يحزن على ما فات من سعادة الحب بينما هو مقبل على رؤية ابن له . وأي سبوز أعظم من أن يرى المرء فلذة من كبده بين يديه ؟ ولكن آن ... آن

آن تضحك ثانية ولكنه كان ضحكا تخالطه الحيرة « قنبا ؟ ولسكنا حينما كنا صغيرين نلعب معاً

كنت دائماً ترين أن الشخص الآخر ... »

« ولكن المرء يقسم بعد ذلك »

« ومتى كان قسمك ؟ »

« لا أذكر ذلك تماماً ... وإنما أظنه منذ

خمس أعوام أو ستة ... »

« حينما تزوجت أنا ... أتعنين ذلك ؟ »

وهنا صمتت الفتاة ، وبدت عليها أمارات الارتباك وعضت على شفتيها ، إذ تبينت أن ما فاهت به هو الغباء بعينه

آه . نعم . أذكر أنك كنت مريضة تلك

السنة ... ولم يكن يعلم أحد ما حقيقة الأمر ...

أذكر ذلك - كنت وإيرين في سويسرا ...

وسمت بذلك بعد حين ... « فهل » وتساءل باسم

« فهل كان عزمك وقسمك يومئذ ؟ »

« إلى اللقاء يا جوجليلو ... إلى ذاهبة

وسأجىء ثانية ... أرجو أن تدعوني « بالتليفون »

وتخبرني ما يكون من أمر إيرين »

« نعم سأخبرك . ألا تصالحيني ؟ »

« ها هي يدي إذا »

مدت اليه يدها فمزها مطبلاً ذلك على غير

إرادته . ما ذاك ؟ لم كانت يدها هكذا ترتعد ؟

ولما شد عليها بعد ذلك أكثر خيل إليه وقد

خالجه شعور مبالغت كما لو أنها أسلمت نفسها إليه

منهزمة ...

ألقي نفسه وحيداً ، ولكن المعجب والرعب

استوليا عليه مما جرؤ على قوله أو التفكير فيه ، وخيل

سعادة قلبه من الحب . سينغير كل شيء وسيتجدد كل شيء . نعم سيحل محل تلك السعادة الهزيلة الفاترة سعادة رائعة فاضرة ، سعادة تحقق كل ما تصبو نفسه إليه . إذا ماتت إيرين فسينتخذ أن زوجها له . ليس أمامه إلا أن يختار الآن . ومن ذا يلومه ؟ أليس يسير وفق قوانين الحياة ، وما تقتضيه غريزة النوع الانساني ؟

وصاح جوجليمو متأوهاً : « يا إله السماء ! »  
وحدثه قلبه ملحاً : « انك لا تحب زوجك .  
وإذا بقيت فسوف تمضي السنون وأنت تعيش مع امرأة لا ترى للحياة معنى إلى جانبها . ففكر مرة ثانية كيف فقدت المرأة الأخرى ... وكيف كان ذلك نتيجة جهلك وضعفك ... هيا ... هيا كلمتان ... انطق ... أرى الأمر هكذا صعباً ؟  
انطق أيها الأحقق الفبي وقل : « نج الوليد »  
ولكنه رفع رأسه ، وعلى وجهه صفرة مخيفة ووجه الخطاب إلى الطبيب قائلاً في ثبات :  
« نج الأم »

الطبيب

الجميلة الساحرة ؟ إن طيفها عملاً ناظريه ، وسحرها يشيع في نفسه . يا له من موقف ! إنه يرى نفسه بين سعادتين : سعادة أفلتت منه وصارت من تراث الماضي وذكرياته ، وسعادة توشك أن تحيط به ، فيمتلئ قلبه بهجة . ولكن ... ولكن ألا يمكن أن يكون منهما مزيج فتكمل أحدهما الأخرى ؟  
نادى الطبيب جوجليمو ووقف أمامه مصفراً مضطرباً ، وقفز جوجليمو متسائلاً في لهفة :

« ماذا حدث ؟ هل في الأمر شيء ؟ أجيبني ! »  
« نعم ، يؤلمني أن أجيبك أن الخطر محقق بها . فلقد طرأت مضاعفات من حيث لا أدري ، ولكن لا يزال هناك أمل ، أمل يتناخص فيما تستطيع الجراحة أن تفعل . لقد رأيت الواجب يقضي على أن أخبرك ... »

تخبر جوجليمو وفكر في زوجه ، تلك المرأة المسكينة التي تجود بحياتها في عذاب وألم ، وأردف الطبيب قائلاً :

« هل لك أنت تجيبني عما أسألك عنه ؟ إن ضميرك هو الذي يريك الآن ماذا يجب أن تفعل إذا كان لا يمكنني إلا إنقاذ أحدهما : الأم أو الوليد . فمن تختار ؟ »

« ماذا ؟ » « ماذا تقول ؟ » هكذا راح جوجليمو يتساءل صارخاً وعلى وجهه صفرة كصفرة الموت فقال الطبيب : « تلك هي الحقيقة ، فلا يستطيع العلم أن ينجي الاثنين معاً ؛ فاما الأم وإما الوليد . ففكر برهة ثم أخبرني ... »

« نظر جوجليمو نظرة فرأى حياته الجديدة جليلة أمامه ، تلك الحياة التي ساقها إليه القدر : ولد هو أم له في الحياة وغايته من الوجود ، ثم آن وهي

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد هسمة الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً



قبلة اللقاء . فجعلت  
تجوس الصفوف طرداً  
وعكساً في كل ناحية ،  
وتسائل العائدين ، فما  
نقع أحد غلتها بنياً عن  
زوجها المحبوب . . .  
وهاهم أولاء قد  
انصرفوا . فارتعت على

الأرض تمزق شمرها  
وتتمرغ مشدوهة هاذية  
فبادرت أمها إليها :  
« لك الله ! ماذا دهاك  
يا بنيقي المسكينة ؟ » وضممتها  
إلى صدرها

— آه يا أماء ، يا أماء ،

لقد مات ! مات ! عفاءً  
على الدنيا وعلى كل شيء .  
لارحمة عند الله . يا للويل !

## لَيْلَانُورَا

قصة مدونة من أساطير القصص الشعرى  
للكاتب الألماني برجر  
بمعلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

هذا ضرب من القصص الشعرى ، تدار موضوعاته  
على الأسطورة العجيبة أو الواقعة الرائعة ، ويجرى  
نظمه على نسق من التقطيع والترديد ، فيزيح المعاني  
والصور قوة على قوة من التعبيق والتوكيد  
والشعراء الألمان في هذا المجال لا يسبقهم سابق ،  
ولا يلحق بهم لاحق . فلهم فيه وخدم قصب السبق  
وفضل التبريز

وهذه القطعة من أروع الأمثلة في هذا الباب ،  
ولا يدانيها غير أمثالها في شعر جوة وشيلر ، ولها  
شهرة كبرى في الأدب العالمي ، وقد ترجمت إلى كل  
اللغات عدة مرات ، وأوحت إلى أعلام الرسامين  
بدائع اللوحات ، وللكبار الموسيقيين أقوى الألحان

في مطلع الفجر  
هبت « لينورا » آبهة  
من أحلام خمرجة ،  
وهي تسائل نفسها :  
« ولهم ، يا زوجي !  
أترى صرعى الردى  
ونفذيك سهم القضاء ،  
أومال بك الهوى نخت

ميثاقى وأخفرت عهدى ؟  
أترى تطول غيبتك إلى  
أبعد من هذا ! »

فانه في ليلة العرس  
نفسها ارتحل الزوج في  
ركاب الملك فردريك إلى  
ميدان القتال عند مدينة  
براغ ، ولم يظالمها بخبر  
عن صحته من ذلك الحين  
ولكن الخصمين الملك

والأمبراطورة تولاهما الكلال من هذه المعارك  
الدامية ، وسكنت نائرتهم رويداً ، وفي آخر الأمر  
عقدا الصلح . وارتد كلا الجيشين عائدين إلى  
الأوطان بين نفخ الأبواق ورنات الصنوج ،  
متوجين بالأكاليل من أوراق الشجر الناضرة

وماجت الطرقات والجسور من كل حدب  
بأفواج لا ينقطع فيضها من الشباب والشيب  
يهرعون إلى لقيائهم ، وكم هتف أبناء زوجات عند  
رؤية عائلهم : أن الحمد لله . وترامت كل خطيبة بين  
ذراعي خطيبها تغمغم : مرحباً بك ! إلا « لينورا »  
— وأأسفاه ! فقد انتظرت طويلاً في غير طائل

يا ويلتاه !

— كان الله في عونك وعفا عنك ! يا بنيقي ،  
إضرعى إلى رب السموات . الخير فيما يفعله . وإن يمنع  
عنا غوثه

— آه يا أماء ، يا أماء ! إنك واهمة . إن الله  
تخلي عني . وهل أغنى ما أسلفت من صلوات ! فماذا  
هى مغنية اليوم عني ؟

— اللهم رحماك ! من يعرف الله معرفة اليقين  
يوقن أنه لا يتخطى عن عبادته . وإن سر القربان  
المقدس ما مسح عنك أوجاعك كلها بأذنه

— آه يا أماء ! أنى لقربان أن يرد الحياة إلى الموتى ؟

— ماذا ! ولهم ! أهو أنت ؟ في هذه الساعة  
التأخرة من الليل ! لقد كنت ساهرة أبكي ...  
وأأسفاه ! شدم تأملت ... ومن أين أنت رأت  
راكباً جوادك ؟

— نحن لا نمتطي الجواد إلا في منتصف الليل .  
وإني قادم من أقاصى بوهيميا . وهذا غلة وصولي  
إليك متأخراً لأمضى بك معي  
— ولكن ، يا ولهم ! ألا تدخل هنا أولاً ،  
فأنتى أسمع الريح تصفر في الغابة ...

— دعى الريح تصفر في الغابة يا صديقتى الحسنة .  
فماذا يعنيننا من صفير الريح . إن جوادى يفحص  
الأرض بحوافره ، والمهماز يرن في شاكليه ؛ وليس  
في الامكان بقائى هنا . هيا البسى نملك يا لينورا ،  
وتعالى اركبى رديفتى على صهوة الجواد ، فإن أماننا  
مائة فرسخ نقطعها قبل أن نبلغ إلى مقرنا  
— واأسفاه ! كيف تريد أن تقطع الليلة مائة  
فرسخ لنبلغ إلى مقرنا ؟ إسمع ، هذه دقات الناقوس  
تؤذن أيضاً بانتصاف الليل

— واهاً ! واهاً ! القمر مشرق وضاح ...  
وما أسرعنا في السرى نحن الأشباح . وإني أراهن  
أن سأصل بك الليلة

— خبرنى إذا أين مقرك ، وكيف فراش عرسك ؟  
— بعيد . جد بعيد من هنا ... ساكن ، رطب ،  
ضيق ، يتكون من ستة ألواح كبار واثنين أصغر حجماً  
— وهل فيه متسع لى ؟

— لنا معاً ؟ فتعالى يا لينورا . إركبى رديفتى  
على صهوة الجواد ؛ فإني وليلة العرس مهياة ،  
والمدعوون في انتظارنا

فلبست الصبية نعلها ، وبادرت بالخروج ،  
وقفزت على ردف الجواد ، ولقت ذراعين لها في  
بياض السوسن حول الفارس الذى تحبه ؛ وانطلق

— مهلاً يا بئيتى . فما يدريك ؟ لعله خان ودك  
وعقد أواصر الألفة بفتاة غيرك فانسيه ، وأعرضي  
عن ذكره . هلمى ! لن يحسن الله عقباه . وسيكون  
مثواه جهنم وبئس المصير

— آه ، يا أماء ، يا أماء ، من مات فقد مات .  
ومن فقدناه فقد فقدناه أبد الدهر . فلم يبق لى غير  
الردى موردأ . ليتنى لم أولد ولم أكن شيئاً ! يا شعله  
حياتى انطفئ ، انطفئ في ظلمات العدم الرهيبه .  
فلا رحمة عند الله . أواه ، ما أتعسنى !

— اللهم رحماك ! لا تحاسب ابنتى على ما فرط  
منها . إنها لا تسمى ما تقول . فلا تحصبه عليها ذنوباً  
وآثاماً . وأنت يا بئيتى ، تنافى هموم الأرض واذكرى  
الله ونعيم السماء . فما يزال زوج في السموات

— آه يا أماء ، ما النعيم ؟ يا أماء ، ما الجحيم ؟  
النعيم حيثما كان ولهم ، والجحيم حيث لا يكون .  
انطفئ يا شعله حياتى في ظلمات العدم الرهيبه .  
فلا رحمة عند الله . أواه ، ما أتعسنى !

وهكذا كانت سورة اليأس الجامح تمزق قلبها  
وتفري روحها . فهي تقسح في العناية الآلهية  
وتنسى عليها . وما زال هذا حالها ، تدق صدرها  
تفجئاً وارتباعاً ، وتقلب كفيها توجعاً والتباعد ،  
إلى أن جنحت الشمس المغيب ، ودلفت النجوم  
الزواهر في قبة الفلك

ولكن ... أى حس هذا في جنح الليل خارج  
المنزل ؟ طق ! طق ! طق ! لكانه وقع سنايك  
جواد ... ثم كأن فارساً يترجل عنه فتسمع صلصلة  
سلاحه ... وهو ذا يصعد درج السلم ... صه ،  
صه ... الجرس يرن رنيناً رفيقاً ... ثم صوت رفيق  
يقول من خلال الباب :

— هيا ! هيا ! افتحى يا صديقتى الحسنة ! أساهرة  
أنت أم نائمة ؟ ومستغرقة في قرحة أم شرقة بالدموع ؟



— أخائفة أنت يا حبيبتي ؟ القمر مشرق  
وضاح ... مرحى ! كذا تكون سرعة الأشباح  
أتخافين أشباح الموتى ؟

— أواه ، مالك وللموتى ؟ دعهم فى سلام  
— أنظرى ! أنظرى ! أترين الى جانب هاتيك  
المشائق أشباحاً تتحرك وهى فى رقة الهواء بهضضها  
نور القمر ويديها للعيان ؟ انها ترقص حول عجلة  
التعذيب . إنه أيها الأنجاس الناكيد ! تعالوا اتبعونى  
ولترقصوا فى حفلة عرسى ... إننا ذاهبون إلى ولية  
العرس الزاهرة

فاندفع الرهط كله وراءهم ، ولتدافعهم مثل  
خشخشة الريح فى الورق الجاف ، وانطلق الجواد  
ينهب الأرض نهباً ... والجواد والفارس تسكاد  
تنقطع أنفاسهما ، والحصى يقدح الشرر تحتها  
واها ! ما أسرع تطاير كل شيء ، كل ما يجلوه  
ضوء القمر من حولهم ! ... ما أسرع انسياب  
السما والنجوم من فوق رؤوسهم !

— أخائفة أنت يا حبيبتي ؟ القمر مشرق  
وضاح ... مرحى ! كذا تكون سرعة الأشباح ...  
— آه يا ربى ! مالك وللموتى ، دعهم فى سلام  
— تجلدا يا جوادى الأسحى ! كأنى بالديك  
يصيح مؤذناً بوشك انبلاج النور ، وعماً قليل  
تكون الساعة الرملية قد أفرغت ما فيها ... انى لأحس  
نسبات الصباح ... الوحى الوحى يا جوادى ! ...  
لقد أشرفنا ، لقد أشرفنا على غاية رحلتنا ...  
سينكشف لك فراش عرسنا ... ما أسرع  
الأشباح ... لقد وصلنا

واندفع — مطلقاً العنان لجواده — الى باب  
حديدي كبير ، وقرعه بمذبة سوطه قرعة خفيفة  
فانفضت المزاليج وانفتح الباب على مصراعيه  
بصر صرياً . وانطلق الجواد كالشهاب حاملاً

الجواد ركضاً ينهب الأرض نهباً . ودوى وقع  
سنابكه . وكان الجواد والفارس تسكاد تنقطع  
أنفاسهما ، والحصى يقدح الشرر تحتها  
واها ! ما أسرع تطاير المروج والأحراج  
والمزارع بمنة ويسرة أثناء كرها ، وما أشد قعقة  
الجسور تحتها !

— أخائفة أنت يا حبيبتي ؟ القمر مشرق  
وضاح ... مرحى ، كذا تكون سرعة الأشباح  
أتخافين أشباح الموتى ؟

— لا ... ولكن مالك وللموتى ؟ دعهم فى  
سلام ... ترى ما هذه الضوضاء وهذه الأناشيد ؟  
والى أين تتجه تلك الأسراب من الغربان ، ...  
هاتيك دقات ناقوس ، وهذه أناشيد جنازة  
— إنه ميت عندنا يراد دفنه

واقتربت الجنازة وتعال الأناشيد مرردة  
الأصداء كالنقيق الأجرى فى جنبات المغايض  
والمستنقعات

— عليكم بعد منتصف الليل أن تدفنوا الجثة  
مشيعة بالنواح والأناشيد المعولة . أما أنا فذهاب  
زوجتى ، وإنى أدعوكم جميعاً الى ولية العرس .  
تعال أيها المرتل ، أنت وفرقتك . تقدموا واصدحوا  
بترنيمة الزفاف . وأنت أيها الكاهن لتبارك زواجنا  
عندئذ انقطع النواح والأناشيد ... واختفى  
النعش ، وسار مشيعو الجنازة وراء المروسين تلبية  
للدعوة ... مرحى ! مرحى ! إنهم ليلحقون الجواد  
عن كشب . وانطلق الجواد ركضاً ينهب الأرض  
نهباً ، ودوى وقع سنابكه ... والجواد والفارس تسكاد  
تنقطع أنفاسهما ، والحصى يقدح الشرر تحتها  
واها ! ما أسرع تطاير المروج والأحراج  
والمزارع بمنة ويسرة أثناء كرها ، وما أسرع تطاير  
القرى والساكن والمدن !



## يَوْمَ تَنَاوَيْتُ فِي الْأَرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

[تابع ما نشر في العدد الماضي]

١٢ أكتوبر ...

لما عدنا كان ميعاد الجلسة قد حان . ودنت  
سياراتنا من المحكمة فشاهدنا الأهالي يبابها مكدسين  
كالذباب . وكان مساعدى قد خر إلى جوارى  
صريع الكرى ، ولم يهمنى أمره ، ولم يدر بخلدى  
قط أن أدعوه وهو على هذه الحال من التعب الى  
مشاهدة الجلسة بجوارى كما شهد التحقيق . إنه لم  
يمتد بعد وصل الليل بالنهار . وحسبه هذه السهرة  
المتعة ؛ فلا ترفقن به فى أول عهده بالخدمة .  
وما إن مررنا بالمحكمة حتى أمرت السائق بالوقوف ،

وأوصيته أن يعضى بالساعد إلى منزله ، وحيث  
المأمور ونزلت أشق طريقاً بين أكوام الرجال  
والنساء والأطفال . ودخلت حجرة المداولة فوجدت  
القاضى فى الانتظار . وما كدت أرى وجه القاضى  
حتى وجعت ؛ فى المحكمة قاضيان يتناوبان العمل ،  
أحدهما يقيم فى القاهرة ولا يأتى إلا يوم الجلسة فى  
أول قطار ، ويسرع فى نظر القضايا حتى يلحق قطار  
الحادية عشرة الذى يعود إلى القاهرة . ومهما زادت

صاحبه بين قبور متكاثرة تتبدى تحت ضوء القمر  
فى كل ناحية

هنا ، يا للهول ! وقعت فى التو واللحظة آية  
مرعبة : تساقطت عباءنا الفارس إرباً إرباً كالعن  
المحروق . ولم تبق من هامته إلا ججمة معروقة ؛  
وحال جسمه هيكلاً عظيماً محتقياً ساعة رملية  
ومعتقلاً منجلاً

وشب الجواد الأسحم حنقاً ونفث شرراً .  
وعلى حين بغتة ساخ وغاب فى أعماق الأرض ؛

وتصوّبت من أجزاء الفضاء صيحات وصيحات ؛  
وتصعدت من القبور تحت أطباق الثرى أنات وأنات  
نخفق قلب لينورا خفقة انتقلت بها من الحياة  
إلى الموت

فتحلقت الأرواح تحت ضوء القمر حولها ،  
ورقصوا وهم ينشدون : « الصبر ! الصبر ! مهما  
هاض الألم قلبك وصدغ كبذك ، فلا تمبى فى حق  
رب السموات أبداً . ها أنت ذى قد أسلمت جسمك  
عفا الله عن نفسك »  
عبد الرحمن صدقى



والتهمون بذلك فجعلوا كل همهم الهروب من صاحب السمر المرتفع والالتجاء إلى صاحب السمر المناسب . وطالما تبرم هذا القاضي وشكا من ازدياد عمله يوماً عن يوم دون أن يدري العلة . فكنت أقول في نفسي : « إرفع أسماكك تر ما يسرك » ، وبدأ المحضر ينادى أسماء التهمين من ورقة في يده . وقزمان افندى المحضر رجل مسن أبيض الشعر والشاربين ذو منظر وهيئة يليقان برئيس محكمة عليا ؛ وهو إذا نادى تعاضم في حركاته وإشاراته وصوته ، والتفت إلى الحاجب بالباب الثفافة الأمر الناهي ، فيردد الحاجب الاسم خارج قاعة الجلسة كما تلقاه من المحضر ، ولكن في مد وغن ونغمة كنغمة الباعة المتجولين . وقد لاحظ ذلك أحد القضاة مرة فقال له : « أنت يا شعبان قاعد تنادي على قضايا جنح ومخالفات ، أو على بطاطة وبلع أمهات ؟ » فأجابه الحاجب : « جنح ومخالفات أو بلع أمهات ؛ كله أكل عيش »

« ومثل أول المخالفين أمام القاضي الفارق في الأوراق ؛ فرفع القاضي رأسه ووضع منظاره السميك على أنفه ، وقال للمائل بين يديه :

— أنت يا رجل خالفت لأئحة السلخانات بأن

أجريت ذبح خروف خارج السلخانة

— يا سيدى القاضي ، الخروف ... ذبحناه ،

ولا مؤاخذه ، في ليلة حظ «عقبال عندك» بمناسبة

طهور الولد

— غرامة عشرين « قرش » . غيره ...

فنادى المحضر . ونادى ثم نادى ... مخالفات

متتابعة كلها من ذلك النوع الذى مضى الحكم فيه ...

وقد تركت القاضي يحكم وجمعات أروح عن نفسي

القضايا. وبلغ عددها ثلث هذا القطار لم يفت القاضي يوماً قط . أما القاضي الثانى فهو رجل ذو وسواس ، وهو بمعد يقيم مع أسرته في دائرة المركز ، فهو يبطن في نظر القضايا خشية العجلة والغلط ؛ ولعله أيضاً يريد شغل وقته وتسليته بغيره في هذا الريف ؛ وليس أمامه قطار يحرص على ميماده ؛ فهو من الصباح يجلس إلى المنصة وكأنه قطعة منها سميت فيها فلا ينفصل عنها إلا قبيل العصر . ويستأنف الجلسة في أكثر الأحيان عند المساء . وكانت تذيبني جلسته من العذاب ، فهي الحبس بعينه . وكأنا قضى على أن أربط إلى منصتي لأبدي حراكاً طول النهار ، وقد وضع حول عنقي وتحت أبطى ذلك الوسام الأهر الأخضر كأنه الغل . أهو انتقام إلهي لهؤلاء الأبرياء الذين دفعت بهم إلى الحبس دون أن أقصد ؟ أترى أخطاء المهنة تقع تبعاتها علينا فنندفع ثمنها في الحياة دون أن نعرف ؟

وجمت لرؤية القاضي إذ أدركت أنى وقت في جلسة لا ترحم بعد ليلة كلها عمل . ولست أدري ما الذى طمس ذاكرتي فحسبت خطأ أن اليوم نوبة ذلك القاضي السريع

\*\*\*

دخلت الجلسة ؛ وكان أول ما فعلت أن نظرت في « الرول » فإذا أمامنا سيمون مخالفة وأربعون جنحة . عدد والحمد لله كفيل أن يجلسنا بلا حراك مع هذا القاضي طول اليوم . على أن القضايا دائماً عند هذا القاضي أكثر منها عند القاضي الآخر ؛ والسبب بسيط : إن القاضي الموسوس لا يحكم في المخالفة بأكثر من غرامة عشرين قرشاً ، بينما الآخر يرفع سمر الغرامة إلى خمسين . وعلم المخالفون

القانون ١. فأشاح القاضي بوجهه عنى وأطرق قليلا  
وهز رأسه ثم قال فى سرعة من يزيج عن كاهله حملا :

— غرامة عشرين ١. غيره

فنادى المحضر اسم امرأة ، فحضرت مومس ريفية  
قد زججت حاجبها بعود ثقاب ، وطأت وجنتيها  
بذلك الأحمر الفاقع الذى تطلّى به صناديق الدخان ،  
« السمسون » . وصورت بالوشم صورة قلب يخترقه  
سهم على ذراعها العارية ، ووضعت فى معصمها  
أساور و« غوايش » من المعدن ومن الزجاج الملون .  
فنظر إليها القاضي وقال :

— أنت متهمة بأنك وقفت أمام باب منزلك

فوضعت يدها فى خصرها وصاحت :

— هو يا روى من وقف قدام باب بيته

كفر ؟ !

— وقوفك فيه اغراء للجمهور

— بحسرة وندامة علينا . وحياء دقن القاضي

عمرنا ما وقعت عيننا على جمهور ، ولا مر من قدام

منزلنا « ادلعدي » جمهور

— غرامة عشرين ... غيره

فصاح قزمان أفندي باسم المخالف التالى فظهر رجل  
كهل من المزارعين يبدو من زرقة « شال » عمامته  
« الزهرة » ومن جلبابه الكشمير وعباءته الجوخ  
الأميرال وحذائه « اللستيك » الفاقع فى صفرة ،  
أنه على جانب من اليسار واستواء الحال . فما ان  
مثل حتى ابتدره القاضي :

— انت يا شيخ ، أنت متهم بأنك لم تسجل

كليك فى الميعاد القانونى

فنتحنج الرجل وهز رأسه وتتم كأنه يستغفر

ويسترجع :

بمشاهدة الأهالى الحاضرين فى الجلسة ... وقد ملأوا  
المقاعد و « الدكك » وفاض فيضهم على الأرض  
والمرات ... فجلسوا القرفصاء كأنهم الماشية يرفعون  
عيونهم الخاشعة إلى القاضي وهو ينطق بالحكم كأنه  
راع فى يده عصا . وضاق ذرع القاضي بذلك اللون  
المتكرر من المخالفات فصاح :

— فهمونى الحكاية ! الجلسة كلها خرفان

خارج السلخانة ١. وحلق فى الناس بعينين كالحصتين  
خاف المنظار الراقص على طرف أنفه ، ولم يفتن  
أحد ولا هو نفسه لما فى هذه العبارة من تعريض .  
ومضى المحضر ينادى وقد تغير قليلا نوع المخالفة  
ودخلنا فى نوع جديد ، فقد قال القاضي للمخالف  
الذى حضر :

— أنت يا رجل متهم بأنك غسلت ملابسك

فى التربة

— يا سمادة القاضي ربنا يعلى صرايتك ! تحكم

على بغرامة لأنى غسلت ملابسى ؟

— لأنك غسلتها فى التربة

— وأغسلها « فين » ؟

فتردد القاضي وتفكر ولم يستطع جوابا . ذلك  
أنه يعرف أن هؤلاء المساكين لا يملكون فى تلك  
القرى أحواضا يصب فيها الماء القطر الصافى من  
الأنابيب ، فهم قد تركوا طول حياتهم يعيشون  
كالسائمة ، ومع ذلك يطلب إليهم أن يخضعوا إلى  
قانون قد استورد من الخارج على أحدث طراز ،  
والتفت القاضي إلى وقال :

— النيابة ..

— النيابة ليس من شأنها أن تبحث أين يغسل

هذا الرجل ملابسه ، ولكن ما بعينها هو تطبيق



أنا حلفت ووقع مني يمين أن البنية ما يقل مهرها  
عن العشرين بنتو ...

فرفع القاضي رأسه وثبت منظاره ونظروا إليها صامخاً:

— تعالى كليني هنا ، أنا القاضي ، العضة  
حصلت منك ؟ قولي نعم أو لا ، كلمة واحدة

— عضة ؟ حد الله ! أنا صحيح قبيحة ، لكن  
كله إلا العض

فصاح القاضي في المحضر : « هات الشاهد »

فحضر المجنى عليه وقد لف بنصره في رباط صفي ،

فسأله القاضي عن اسمه وصناعته وحلفه اليمين أن

لا يقول غير الحق واستوضحه الأمر . فقال الرجل :

— أنا يا حضرة القاضي لا لي في الطور ولا

في الطحين . والقصة وما فيها إني كنت واسطة خير

وسكت . كأنه قد أبان وأفصح عن سر القضية .

فخلق فيه القاضي وهو يكظم غيظه ، ثم انتهره

وأمره أن يقص ما حدث بالتفصيل ؛ فبسط الرجل

الأمر قائلاً : إن لهذه التهمة ابنة تدعى « ست أبوها »

خطبها فلاح يدعى « السيد حريشة » وعرض

مهرها قدره خمسة عشر بنتو فلم تقبل أمها بغير

العشرين ، ووقف الأمر عند هذا الحد إلى أن جاء

ذات يوم شقيق الخاطب وهو صبي صغير يطلق

عليه اسم « الزنجير » فذهب من تلقاء نفسه إلى

أهل العروس وأبلغهم كذبا أن الخاطب قد قبل

الشرط ؛ ثم رجع إلى أخيه وأخبره أن أهل البنت

قد رضوا النزول بالمهر كما عرض ، وكان من أثر

عبث هذا الصبي ومكره بالطرفين أن حدد يوم

لقراءة الفاتحة في بيت العروس ، وانتدب الخاطب

الشيخ عمارة هذا والشيخ فرج ليكونا شاهديه .

وتقابل الجميع وذبح والد البنت أوزة ، وما كاد

— عشنا وشفنا الكلاب تتسجل « زى  
الأطيان » وتبقى لها حيثة !

— غرامة عشرين ... غيره

ومضت الأحكام في جميع المخالفات على هذا

النحو ولم أر واحداً من المخالفين قد بدا عليه أن

يؤمن بحقيقة ما ارتكب . إنما هو غرم وقع عليهم

من السماء كما تقع المصائب ، وأتأوه يؤدونها ؛ لأن

القانون يقول إنهم يجب عليهم أن يؤدوها ؛ ولطالما

سألت نفسي عن معنى هذه المحاكمة ، أنستطيع أن

نسمى هذا القضاء رادعاً والمذنب لا يدرك مطلقاً

أنه مذنب ؟ وفرغنا من المخالفات وصاح المحضر :

« قضايا الجنج » ونظر في ورقة « الرول » ونادى

« أم السعد بنت إبراهيم الجرف » فظهرت فلاحه

عجوز تدب في القاعة حتى بلغت المنصة ووقفت بين

يدى قزمان أفندي المحضر . فوجهها إلى القاضي

فوقفت تنظر إليه بصر ضعيف ثم لم تلبث أن

تحولت عنه وعادت إلى الوقوف بين يدى المحضر

المهرم . وسألها القاضي ووجهه في الورق :

— اسمك ؟

— محسوبتك أم السعد

قالتها وكأنها توجه الخطاب إلى المحضر فغمزها

قزمان أفندي ووجهها إلى المنصة مرة أخرى وسألها

القاضي :

— صنعتك ؟

— صنعتي حرمة

— أنت متهمة أنك عضضت أصبع الشيخ

حسن عمارة

فتركت المنصة ووجهت الكلام إلى المحضر

— وحياة هيبتك وشيبتك إني ما عبت أبداً .

وغرقت في مقعدى وقد عبث النوم بأجفاني ،  
ومضى وقت لست أدري مقداره ، وإذا صوت  
القاضى يصيح بى : « النياية ! طلبات النياية . »  
فتفتحت عينين حمراوين لا يبدو فيهما غير طلب  
النوم ، فأخبرنى القاضى أنه اطلع الآن على تقرير  
الطبيب الشرعى فاذا الاصابة قد تخلف عنها عاهة  
مستدعاة هى فقد « السلامية » الوسطى للبصر ؛  
فاعتدلت فى مقعدى وطلبت فى الحال الحكم بعدم  
الاختصاص . فالتفت القاضى الى المعجوز قائلا :

— الواقعة أصبحت جناية من اختصاص  
محكمة الجنايات

فلم يبد على المرأة أنها فهمت الفارق ؛ فالعضة  
فى نظرها هى ما زالت العضة ، فما الذى حولها من  
جناية الى جناية ؟ آه من هذا القانون الذى لا يمكن  
أن يفهم كنهه هؤلاء المساكين

ونوديت القضية التالية فاذا هى شجار بالمراوات  
وقع بين والد « ست أبوها » وبين أهل الزوج  
( البسيد حريشة ) فلقد تم الزواج بين الطرفين آخر  
الأمس . وبمث الزوج بعض أهله ومعهم جل لاستلام  
المروس من بيت أبيها . فقابلهم الأب محتداً صارخاً  
فى وجوههم : « جل » ؟ بقى تخرج بنتى على جل !  
أبدأ . لا بد من « الكومبيل »

وتجادل الطرفان فيمن يدفع ثمن هذه البدعة  
التي رماها بهم تطور العصر . وأدى الجدل الى  
رفع العصي وإسالة بعض قطرات من الدماء لامناص  
مها فى مثل هذه الظروف . وانتهى الأمر بأن  
أخرج أحد الساعين فى الخير ريالاً من جيبه  
واستأجر سيارة من تلك السيارات التي تمر بالطرق  
الزراعية : وحكم القاضى فى هذه القضية ثم صاح :  
— « انتهينا من الفرح » و « الدخلة »

الطعام يهيا . ويقدم الى الضيوف حتى ذكر المهر .  
وظهرت الأكدوبة وإذا الموقف لم يتغير ؛ واحتدم  
الجدال بين الطرفين . وصاحت أم البنت تولول فى  
صحن الدار : يا مصيبتنا الكبيرة ، يا شماتة الأعادى !  
والنبي ما أسلم بنتى بأقل من عشرين . وخرجت  
المرأة فى وسط الرجال كالمجنونة تدافع عن حق ابنتها  
وتخشى أن ينهى الرجال الأمر فيما بينهم بما لا ترضى ؛  
وهزت الشيخ حسن الأريحية فلم يضع يده فى  
طعام وقام الى المرأة يداورها ويحاورها ويقنعها .  
بينما مد زميله الشيخ فرج يده الى الأوزة وجعل  
ينهش منها نهشا دون أن يدخل فى النزاع المحتدم .  
ويظهر أن التحمس من الجانبين قد جاوز حد الكلام  
وإذا الشيخ حسن يرى يده لا فى طبق الأوز  
ولكن فى فم المعجوز ؛ فصرخ صرخة داوية :  
وانقلبت الدار شر منقلب ، واختلط الحابل بالنابل ،  
وجذب الشيخ حسن رفيقه ، فانتزعه من أمام  
الطعام انزاعاً وخرج به وهو يحرق الأرم : فهذا  
الرفيق لم يقل كلمة وحظى بالأكل ، وهو الذى  
تحمس قد خرج من الوليمة بجوعه ، وقد أكلت  
المعجوز أصبعه ...

واسترسل المجنى عليه فى الكلام . وجأة  
أخذت القاضى خلجة ، وتيقظ وسواسه فقاطع  
المتكلم وقال كالمخاطب لنفسه : « يا ترى أنا حلفت  
الشاهد اليمين ... » والتفت الى قائلاً : « يا حضرة  
وكيل النياية . أنا حلفت الشاهد اليمين ؟؟ » فجعلت  
أندكر ... ولم يستطع القاضى طرد الشك فصاح :  
« احاف يا رجل : والله العظيم أقول الحق » فخاف  
الرجل ، فصاح به القاضى : « اذكر أقوالك من  
أولها »

فعلت أننا لن ننتهى ، وبلغ الضيق أننى وتشاءبت



على خير ! ... غيره !

فنادى المحضر بصوته الممتلئ « قضايا المحاميس »  
وذكر أسماء من الأسماء ، فدوت صلصلة السلاسل  
ونهب من بين لابسى الخيش رجل فك الحارس  
قيده . ونهب من بين المحامين أفندي ذو بطن  
كانها القرية المملوءة وقال : « حاضر مع المتهم »  
« فقلت في نفسي » تلك قضية لها محام لن يتركنا  
قبل أن يفرغ في رؤوسنا ماشاء بحجة حرية الدفاع .  
فلأغمض غيبي منذ الآن فرأسي أحوج ما يكون  
الى الراحة بعد شهر الليل . وسمعت القاضي يقول  
للمحبوس :

— أنت متهم بأنك سرقت « وابور غاز » ...  
— أنا صحيح لقيت الوابور قدام باب الدكان .  
لكن لا سرقت ولا نهب ...

فالتفت القاضي الى المحضر قائلاً : « هات  
الشاهد » فحضر رجل على رأسه لبدة بيضاء وعلى  
منكببيه « دفيّة » ، فخاف اليمين وقال انه أشعل  
« وابور الغاز » ليهيئ الشاي لبعض « الزبائن » الجالسين  
داخل الحانوت . فهو بدال ريق صغير يبيع السكر  
والبن والشاي والتبغ ويجمع لديه أحياناً بعض  
الناس كأنهم في شبه مقهى ولقد وضع الوابور  
مشتعلاً عند عتبة الباب في الطريق ودخل المحضر  
الابريق وما إن عاد حتى رأى المتهم قد حمل الوابور  
بناره وجرى به . وجعل الشاهد يسهب ويستشهد  
بمن حضر ومن جرى معه خلف السارق ، والقاضي  
مطرق وقد علمت من هيئته أنه يفكر في شيء آخر .  
ونجاة نظر الى وقال كالمخاطب لنفسه : « أنا حلفت  
الشاهد اليمين ؟ » فما تمالك أن صحت في ضيق :  
« سبحان الله ! ! أنا سمعت الشاهد حلف » فقال  
لى القاضي : « أنت متأكد ؟ » فشمرت أن روحي

تفارقني فهمت : « تحب أني أحلف لك أنه حلف ؟ »  
فاطمأن القاضي بعض الاطمئنان وأصغى الى بقية  
الشهود في صمت وانتباه . ولم يطق المتهم صبراً  
فنهض بغتة كالستغيث :

— يا حضرة القاضي ! في الدنيا « حرامى »  
يسرق « وابور جاز » بناره ؟ !

فأسكته القاضي بأشارة من يده قائلاً :  
— تسألنى أنا ؟ ! أنا عمرى ما اشتغلت  
« حرامى » . ونظر الى منصة الدفاع ، فقام المحامى عن  
المتهم يصيح قائلاً : « يا حضرة الرئيس ! نحن لم  
نصادف واپور ، ولا رأينا واپور ، ولا مررنا في طريق  
به واپور .. والقضية ملفقة من ألفها الى يائها ... »  
وأراد المحامى ان ينطلق في هذا الكلام وأن يصول  
ويجول . ولكن القاضي قاطعه :

— حاكم يا استاذ . المتهم نفسه معترف بأنه  
صحيح لقي الوابور قدام باب الدكان ! فضرب الأستاذ  
وجه المنصة بقبضته وقال :

— هذا سوء دفاع من موكلى  
فأجاب القاضي في هدوء :

— غرض حضرتك أنى أصدق حسن دفاعك  
وأ كذب الحقيقة التى نطق بها موكلك أمامنا جميعاً !  
فاحتج المحامى ورفع عقيرته وقد بدالى أن كل  
همه أن يجعل صوته فى الجلسة ، وأن يتصبب عرقه  
فيمسحه بمنديله وينظر الى « زبونه » كأنما يريه  
الجهد الذى يتكبده من أجله والعناية التى يبذلها فى  
سبيله . وكان التعب والضيق والحيس بلا حراك أمام  
منصتى قد صيرنى شخصاً لا يبي ولا يفهم ما يدور  
حوله فأخفيت وجهى فى ملف من ملفات القضايا  
واستسلمت للنعاس

( يتبع ) توفيق الحكيم



من أعماق النفوس



## استغفاني في العصر

للفريد رى موسى

بسلام الأستاذ فليكس فارس

[تابع ما نشر في العدد الماضي]

وكانت عوامل ثلاثة تتنازع عواطف الشبيبة حينذاك : ماضٍ منقضٍ لم يزل يرتجف ظلّه على الأطلال حيث ثوت قوات الأثرة وعصور العنف ، ومستقبلٌ منفرج الأفق بعيدُ المجال لا يلوح منه غير أوائل ذرات النور ، ومدى بين هذين الحدين أشبه بالمحيط الفاصل بين العالم القديم والعالم الجديد : مدى مضطرب كالبحر الزاخر تنلاعب به المواصف فيهدد بالفرق كل ما يحمل ولا يلوح عليه إلا بعض البواخر الجريئة تجتازه صاحبة من حين إلى حين في مثل هذه المفاوز كان على أبناء العصر أن يهتدوا ؛ وتلك هي المشاهد التي كانت تنتصب أمام فتیان ملء إهابهم العزم والقوة ، وهم أبناء الامبراطورية وأحفاد الثورة . أما الماضي فما كانوا ليرتضوا به ، وما يتحكم الانسان في عقيدته ، ولكنهم عشقوا المستقبل عشقاً شبيهاً بشغف ييكاليون عاهل صور القديمة بشبح فاتنة من عالم الجن ، فكان المستقبل في بصيرتهم كدمية من رخام هاموا بها قباتوا بتوقعون تورد عروقها بدم الحياة . وهكذا لم يكن لهؤلاء الفتیان إلا زمانهم تسوده روح العصر ، ملاك غسق لا ينفصل عن النهار ولا يتصل

بالليل ، وقد شهدوا هذا الملك مقتعداً كومة من العظام متلفعاً برداء أنانيته ، وأعضاؤه ترتجف من لفحات الصقيع

فشعروا بنفصة الموت عند ملاح لهم هذا الشبح نصفه مومياء ونصفه جنين ، فاقترنوا منه والروع يعلأ قلوبهم كما يقترب الساح من مومياء ابنة أحد أشراف سارقانديان في ستراسبورغ حيث تعرض محطة بحلي خطبتها . وما يتالك من يشاهد هيكل هذه الطفلة من الارتعاش وقد تحلت يدها الممتعة بخاتم العرس وانتثر رماد رأسها على أزاهر الليمون البيضاء

وكان نابليون يمروره على العالم قد زرع كل ما فيه ، كالعاصفة تجتاح الغابات فتهد بأسقامات أدواحها وتغادرها واجمة في صمت رهيب . وكان الملوك قد شعروا بتيجانهم تميد فدوا اليها أيديهم فلم تعثر إلا على شعورهم وقد وقفها الذعر على رؤوسهم



ففعل بهم ما فعله فولتير بالكتب المقدسة  
وسمعت الدنيا بعد ذلك ضجة هائلة ، هي صوت  
صخرة القديسة هيلانة تسقط على العالم القديم .  
ولاحت نجمة التفكير في السماء بأشعتها الباردة كوشاح  
آلهة الليل فغمرت بها الدنيا كأنها الكفن المروع  
وكانت أوروبا قد رأت من قبل عدداً رفيراً آمن  
بمقتون الأشراف ويهددون الكهنة ويتآمرون على  
الملوك ، ولكنها ما عرفت ابتسامة الاحتقار قبل  
أن مر الامبراطور وتوارى عن العيان ، فكان إذا  
اخترق الجمع شريف أو كاهن أو عاهل يهز الفلاحون  
رؤوسهم متذكّرين ما شهدوا من موارك ويقولون :  
لقد نظرناهم في غير هذا الزمن وفي غير هذا المكان  
وقد كانت وجوههم على غير ما نراه اليوم  
وإذا ما ذكر أحد العروش والهيكل كانوا  
يقولون : إنها عوارض من خشب سمناها نحن  
ثم اقتلعناها

وحينما كان الخطباء يقولون : لقد رجعت عن  
غوايتك أيها الشعب ، فدعوت إليك ملوكك  
وكهنتك ، كان الشعب يجيب قائلاً : « نحن لم  
ندعهم ، وما دعاهم إلا هؤلاء المتشدقون »  
وإذا قيل للشعب : ( عد إلى الطاعة والسكون ،  
افلح الأرض واخضع ) كان الشعب ينتفض  
وتتهرك السيوف في أغمارها وقد علاها الصدا في  
زوايا الأكواخ

ولكن الخطباء كانوا يضيفون إلى كل هذا  
قولهم : ( عد إلى السكون أيها الشعب فقد أضناك  
الجهاد بلا جدوى ، ولا تطلب الاعتداء وليس من  
يعتدى عليك )

فكان الشعب يرتضى بهذا القول ؛ أما الشبيبة  
فما كانت لترضى به  
لأرب في أن الانسان تتنازعه قوتان مجهولتان

وكان بابا رومة قد قطع ثلاثمائة فرسخ ليبارك  
الامبراطور ويضع التاج على مفرقه ، فلم يتورع  
هذا الامبراطور من اختطاف التاج من يده  
وهكذا كان كل شيء قد ارتعش في غابة أوروبا  
القديعة المروعة ، وعقب السكون هذه العاصفة  
الموجاء

يقال : إذا ما صادف السائر كلباً هائجاً فتابع  
السير برباطة جأش وبخطوات متزنة دون تردد ،  
لا يلبث الكلب أن ينبس بهدير مخنف ثم ينصرف ؛  
ولكن إذا بدرت من عابر الطريق بادرة تدل على  
خوفه فأخل بانتظام خطواته مسرعاً بخطوة واحدة  
فان الكلب يتأثره مستأسداً ، وإذا ما نشب فيه  
أنيابه فانه لا يقف حتى يفترسه

لقد رأت أوروبا أكثر من ملك ظهرت منه  
بادرة الخوف في تاريخها أمام شعبه فذهب فريسة  
لهذا الشعب ، ولكن مثل هذه الكارثة لم تكن  
تقع على الملوك جملة في آن واحد ، لذلك سقط الملوك  
على التتالي ولم تسقط الجلالة الملكية . ولكن أمام  
نابوليون ارتعشت الجلالة الملكية نفسها ، فبدرت  
منها البادرة التي تؤدي إلى الهلاك . وما ارتعشت  
جلالة الملك وحدها حينذاك بل ارتعش معها الدين  
والشرف وكل سلطة إلهية وبشرية

ولما مات نابليون استعادت السلطات الإلهية  
والبشرية روعها ، ولكنها لم تجد في الشعب من  
يعتقد بها بعد

إن في معرفة ما يمكن أن يقع خطراً ، لأن الفكر  
يتجاوز الأماكن بافتراضاته ؛ وليس القول بإمكان وقوع  
أمر كالقول إنه وقع فعلاً ، وما التأكيد إلا أول  
عضة للكلب المستأسد

سلم يكن نابليون العاتي إلا آخر شرارة من نار  
الاستبداد ، فقد أعدم الملوك لينسج أعلى منوالهم

بالأفكار الانسكازية فاكنتسح الحزن كل ما كان  
من دلائل المرح القديم

ولعل العناية كانت تمهد بذلك طرقها الجديدة  
فظهر الملاك المبشر بالمجتمع المنتظر ملقياً في قلوب  
النساء بذور الحرية التي ستطالب المرأة بها في  
آتي الزمان

وانشق الرجال عن النساء في المجتمعات  
الباريسية : فلبست النساء البياض كالمبرانس ، وانتشج  
الرجال بالسواد كالأيتام ؛ وتبادل الفتيان لفتات  
العداء . وما هذا الثوب الأسود الذي يلبسه رجال  
عصرنا إلا دليل انقلاب مريع ، لأنهم ما لبسوه قبل  
أن تساقطت شارات الشرف فتمزقت الأزياء القديمة  
وتناثرت أزهار الأثواب المزركشة على الحضيض ؛  
فكان الإنسان بعد أن تحكّم بعقله وهدم ما كان يفتربه  
من الآمال ، وقف متشجّحاً بالسواد ليمتلق كلمات التعزية  
على المفقود . وسادت عادات طلاب العلم وأرباب  
الفن تطورات نشأت من التطور العام ، بعد أن  
كانت تلك العادات مجلى الحرية الحقيقية ،  
ومسرات الشباب النقية . انفصل الرجال عن النساء  
فاصلت بينهما الاحتقار نصلاً لا شقاء لجراحه . فقد  
الرجل حب المرأة فاندفع إلى الكؤوس ليستعويض  
ما فقد ، ونظر الناس إلى الحب نظراً إلى الدين  
والمجد فأروا كل ذلك أوهاماً تلاشت مع الزمان  
القديم

وغصت اللواخير بالرجال ، فأصبحت الفتاة  
مهملة بعد أن كانت تغذى الشبيبة بحبها الطاهر  
السامى ، وعند ما احتاجت إلى غذاء ورداء باعت  
نفسها . فيا للشقاء ويا للعار ! . لقد أهمل الشاب  
الفتاة ، وكان في وسعه أن يستنير وإياها بأشعة شمس  
الله وأن يقاسمها لقمته مأدومة بعرق جبينه ، ولكنه  
تركها وسار إلى مزابيل الانسانية ليجد هنالك تلك

تصليان داخله حرباً عواناً إلى آخر حياته ، فأحداها  
تبحث وتسبر المستقبل بسكون متحسبة تستنبط  
أحكامها من العبر ، والأخرى تتحفز للوثوب إلى  
المستقبل منجذبة إلى ما لا تعلم ؛ وعندما تسود  
الإنسان عاطفته يتبعها العقل منذراً باكياً ؛ وإذ يقف  
الإنسان مجيئاً لدعوة العقل ، تهتف الأهواء قائلة :  
( وأنا هل يجب أن أموت ) ؟ .

وابتداء الأسى يختمر في القلوب الفتية ، إذ  
حكم ملوك الأرض على الشبان بالراحة والسكون  
وقذفوهم بأشد الأمراض أوجاعاً : بالبطالة والضجر ،  
فأحسوا باضمحلال الأمواج التي كانوا أعدوا  
لمصارعتها سواعدهم القوية . وسادت المسكنة على  
هؤلاء المصارعين الذين كانوا مرخوا أعضاءهم بمشاك  
بالزيت . فاندفع الأغنياء منهم إلى ميادين الفحشاء ،  
والتوسطوا الحال وخضعوا للقضاء وتحولوا إلى  
الكهنوت والجنديّة ، أما الفقراء فلم يجدوا سوى  
الحماس البارد فارتعوا فيه بالأقوال الجوفاء كما يرتعى  
المجادف بنفسه في البحر الذي لا ساحل له : بحر  
الابتلاء بالجدل بعيداً عن العمل .

وبما أن الضمف البشرى يقود الناس إلى  
الاجتماع والتعاون ، لم يلبث هؤلاء الشبان أن  
اجتمعوا فوجدت السياسة مرعاهما الخصب بينهم .  
وهكذا كانت الشبيبة تخرج من مصارعة حراس  
المجلس التشريعي لتتجه إلى المسارح حيث تشاهد  
(تالما) لا بساقبة تشبه قبة الأمباطور ، أو تسير  
إلى المدافن لتحتمل بمأتم نائب من الأحرار ، لتعود  
أخيراً إلى مساكنها كل مساء شاعرة بفراغ حياتها  
وعيث محاولاتها

وما كانت حياة المجتمع الداخلية بأقل بؤساً  
من الحياة الخارجية ، فساد الناس الأسى والجود ،  
وتسلط الرياء على العادات ، وأصبح الدين مشوباً



الواسعة ؟ ألم تلهمك الروح وأنت المتصوف المعتقد  
بوحدة الوجود ما يعينك على سكب قليل من العسل  
في تلك الكؤوس الرائعة التي نحسها للأجيال ،  
وقد كانت ابتسامة واحدة منك كافية لاستمواء  
النحل فتنزل بجنيها على شفيتك

وأنت يا برون ! ألم تكن عائشا تحت سماء  
إيطاليا الجميلة ؟ ألم تكن تنأجى أمواج الادرياتيک  
والى جنبك المرأة التي أحبيت ؟  
أما الذى أوجه اليك هذه الكلمات الآن ،  
وما أنا إلا فتى ضعيف تحمل من الحياة ما لم تتحمله  
أنت من مصائبها وآلامها ، إننى أو من بالأمل  
وأبارك الله

وما هبت زعازع الأفكار الانكليزية والألمانية  
على رؤوسنا حتى سادنا الاشمزاز برهة ثم عقبه  
الاختلاج الربيع . لا شيء يحول أملاح المواطن  
الى بارود منفجر كالتلاعب فى مواطن الشك  
بالمبادئ العامة . وكان جوته برأسه الجبار قد  
اعتصر كل ما فى الثمرة المحرمة من خلاصة ، نفيل  
للناس أن من لم يقرأ جوته لا يعرف من الحياة  
أشياء . ويل لهؤلاء الناس ! لقد انفجرت أفكارهم  
بعلامسة أفكار جوته ، فتناثرت ذرات تائهة فى  
مهاوى الشكوك

وساد الجحود تلك الأزمنة ، فأنكر الناس كل  
ما على الأرض وكل ما فى السماء . وما الجحود  
إلا آمال عازرات تدور بها الأحزان ، فكان  
الانسانية كانت قد تراخت عزائمها فدخلت طور  
الاحتضار ، فأنحنى عليها المفكرون يحسون مواضع  
انباضها ليتحققوا موتها

وكانت شبيبة فرنسا شبيهة بذلك الجندى الذى  
أجاب من سأله : بهم تؤمن ؟ فقال إننى أو من بذاتى .  
فنجيب من يورد هذا السؤال عليها : إننى لا أو من بشيء

الفتاة نفسها مثقلة بالهموم شاحبة مضمضة يجول  
على قفها الجوع ويرعى قلبها الابتذال

فى ذلك الزمان ظهر شاعران هما أعظم عباقرة  
العصر بعد نابليون تخصصا حياتهما لجمع ما تبدد فى  
الأرض من مبادئ الشقاء والآلام ، فكتب  
جوته عميد الأدب الجديد ( آلام فرتر ) واصفاً الوله  
الذى يقود الى الانتحار ؛ ثم عاد فرسم فى ( فوست )  
أعظم صورة تمثل الشر والشقاء . واجتاحت  
كتاباته فرنسا كلها وهو جالس فى بيته تحوطه  
السعادة وتخدمه الثروة ، فكان يرسل اليها رشاش  
قلعه الأسود وعلى شفتيه ابتسامة الأب لبنيه . . .  
وجاء برون من جهته يرفع صوت الحروب  
والفجائع ، كأنه لم يجد من حل لسر الوجود غير  
كلمة العدم المروع

عفوا أيها الشعراء العظماء ! أنتم الآن ذرات  
رماد بفتش القبور ، أنتم فى عداد أنصاف الآلهة  
أيها الشعراء ؛ وما أنا إلا فتى بضنيه العذاب ،  
ولكننى وأنا أسطر هذه الكلمات لأمتلك  
نفسى من إرسال اللعنة عليكما

لماذا لم تتغنيا بمطر الأزهار ، وأنشيد الطبيعة ،  
وبالأمل والحب ، وبالكروم ، وشعاع الشمس ،  
وبأنوار الشفق وروعة الجمال ؟ لقد عرفتما كنه  
الحياة ، ورأيتما الدنيا تتداعى فبكيكما على الأطلال ،  
وأرسلتما أنين البائسين . لقد ذقتما خيانة الخليلات ،  
وجفاء الأصدقاء ، واحتقار أبناء الوطن ، فدارت  
بكما أشباح الموت وشعرتما بمقاء القلب . لقد كان  
كل منكما جباراً من جبابرة الأحزان . ولكن قل  
أنت يا جوته ! أما سمعت أذنك صوتاً واحداً يؤامس  
الحزين فى هدير الأحراج المقدسة فى بلادك ؟ أذا  
تمكنت وأنت من يعرف أن الشعر صنو الفلسفة  
من العثور على زهرة السلوان فى هذه الطبيعة

في آفاق آسيا . وكان شاتوبريان قد قبض على  
صولجان إمارة الشعر ، فلف اليأس برداء أسفاره  
ورفعه كالصنم على هيكل تتعالى حوله عبققات البخور  
فأمنحت شبيبة فرنسا على قواها المكيونة يائسة  
تكرع كأس الآلام حتى الثمالة ، وملاّت الأقطار  
نفثات الأقلام المضللة بأدب لا لون له ، فكانه رشاش  
من دم آسن يرسل لتغذية مسوخ الحياة  
ومن له أن يصف ما كانت عليه المدارس في  
ذلك الزمان ؟ لقد كان الشك يسود الرجال ؛ أما الشبيبة  
فقد كانت اجتازت مرحلة الشك واستقرت على  
البحرود . وكان الشعراء يتفننون بالخيبة وعثرات  
الآمال . وكان الشبان يتركون مقاعد المدارس  
ويواجهون الحياة بحياة تطفح بالبشر وعلى لسانهم  
لعنة الكفر . وكان الطبع الفرنسي المائل إلى المرح ينيل  
الأدمغة مفاعاة تحتمل الأفكار الانكازية والألمانية ؛  
غير أن القلوب لم تكن منيعة لتحتمل النضال في  
الأوجاع فذبلت وأمنحت على ذاتها كأنها أزاهر  
مقصوفة

وهكذا انجبه مبدأ الموت إلى الاحشاء منسرباً  
إليها بهدوء من الأدمغة ، فأنسكروا الخير بعد أن كنا  
نؤمن بالشر ، وبلغ اليأس مرحلته الأخيرة فاستقر  
على الشعور الميت . وجلس أبناء الخامسة عشرة  
تحت ظلال الأشجار المزهرة يتجاذبون من  
الأحاديث ما يهز أشجار فرسايل الهرمة  
طوبى لمن لم تدركهم هذه الأزمنة فنزلوا إلى  
المساوية وهم يتطلعون إلى السماء ؛ إن من حالات  
الحياة ما يصدع القلوب بالشقاء فلا تجد هذه القلوب  
ما يفرج كربها إلا إرسال اللعنات والتجديف  
وقف ملحد أمام السماء وقبض على ساعته متحدياً  
صاعقة الموت ، وقد منح ربّه مهلة ربع ساعة ،  
وبات ينتظر . إنها لفترة ملؤها أشد غضب وأفظع

وانشطر المجتمع إلى فئتين : فئة النفوس  
المضطربة المتوجمة النائرة إلى المثل العليا ، فكان  
أبنائها يحنون الرأس ويكون متلفعين بأحلامهم  
المؤلة كأنهم مقصبة تمايل على مستنقع من الشقاء .  
أما الفئة الثانية فكانت مؤلفة من رجال المساة  
والشهوات يقفون بلا مبالاة على ركاب الملاذ  
ولا هم لهم غير إحصاء الأموال التي حشدتها أطعمهم .  
وما كان يتصاعد من هذا المجتمع المؤلف من الفريقين  
سوى زفرة وضحكة : تلك أرسلها الروح ، وهذه  
يقذفها الجسد . وكانت الروح تقول في زفرتها :  
— إن الدين يتداعى ، وهذه سحب السماء أصبحت  
غيوماً تتساقط أمطاراً . لقد فقدنا الأمل وحرماننا  
حتى قطعة من الخشب الأسود نرفعها صليلاً لنمد  
أيدي الضراعة نحوها . لقد تلفعت نجمة الصبح  
بالغيوم الكثيفة على مطلع الفجر ، فكان الشفق  
يقبض عليها ليصيدها عن الارتفاع ، وكأنها شمس  
الشقاء ألقت الثورة عليها براقع الدماء

لقد فنى الحب واضمحلت الأجداد ، فما أحلك  
الظلام في هذا الليل المتراى بأطرافه على الأرض ؛  
ولسوف ندرك الموت قبل أن يتداركنا نور الصباح  
أما الأجساد فكانت تقول في ضحكتها : — لقد  
وجد الإنسان للتمتع بحواسه ولديه من القطع  
الصفراء والبيضاء ما يقيس به حق تمتعه بالتكريم .  
وما الحياة إلا الطعام والشراب والرقاد ؛ أما العلاقات  
الاجتماعية ، فهي المودة القائمة على استقرار المال ؛  
وقد تجد صديقاً تدفع المواقف به إلى هذه التضحية .  
ومنها صلات القربى وهي نافعة للحصول على الميراث .  
ومنها الحب ، وما الحب إلا رياضة بدنية . وليست  
اللذة العقلية إلا نوعاً من الفرور والكبرياء .  
وهكذا كان اليأس يتمشى بخطواته الواسعة ذارعاً  
أرض أوروبا كأنه الطاعون ينتشر من نهر الكانج



أيام جهادهم ومحنهم كانت قد امتدت حالت إلى ضربات قاضيات عندما صارت القوة إلى أيديهم قال مونتسكيو: « لا يسمي وأنا أفكر بحالة الشعب وهو رازح تحت استبداد الكهنوت اليوناني إلا أن يخطر ببال أولئك العبدان الذين أتى هرودوت على ذكرهم ، وهم من كانوا يخضون اللبن لاستخراج زبدته ، وكان أسياهم يقتلمون أعينهم كيلا يتلمهاوا بالمشاهد عن متابعة العمل دون انقطاع . وهكذا كان الكهنة في روما يمنعون النور عن كل مبصر ، فلم يكن يقرر القيام بحرب أو عقد هدنة أو قرض أو الاتيان بأى عمل دون أن تنظر الرهينة فيه أولاً ، إن القلم ليسكل دون وصف الأضرار التي تنجم عن هذه الأعمال »

على أن مونتسكيو كان يوسمه أن يتم كلامه قائلاً : ( إذا كانت المسيحية قد هدمت العروش ، فانها أحيت الشعوب . إذا كانت قد فتحت للبربر أبواب القسطنطينية ، فانها قد فتحت أيضاً أبواب الأكواخ باسم المسيح . وما كان بالأمر الضروري أن تحتفظ روما بمجدها المتداعي وهي المومياء المحنطة بمطر نيرون والكفنة بوشاح نيباريوس وقد رعى أحشائها ذود الفساد

إنما عمل المسيحية ، أيها السياسيون ، كان يتجه « إلى إدخال السلام على قلوب الفقراء البائسين ، وإلى إخراج الأمل من أحشاء المومياء الفاسدة قوة حية تمضد كل مظلوم ، وذلك ما قامت به المسيحية على أنقاض روما ، ولكن ماذا فعل خلفاء هادى روما بعد مرور السنين ؟ إنهم لبثوا ينظرون إلى الفقير رهقه الغنى ، وإلى القوى يستبد بالضعيف ، ويسمونه يقول : ( إن الأقوياء سيسحقوننى على الأرض ، غير أننى سأقف في جوههم عند ما سيحاولون دخول السماء فاشكروهم إلى الله )

لذة ، إنما لقحة بدايتها تنافى اليأس تحتك بقوات السماء . وهل كان ذلك الرجل إلا مخلوقاً شقياً يتململ تحت الأرجل التي تركله ؟ وهل كان صوته إلا نداءً هائلاً تدفع به المحن والآلام ؟ بمن يدري ؟ لعل هذا التحدى الموجه إلى السماء كان في عين من ينفذ إلى خفايا القلوب نوعاً من الصلاة ...

وما كانت الشبيبة إلا كهذا الجاحد تفتح لقواها المكبوتة منافذ الفرج باليأس . إن من لا يجد أمامه ما يشغل به قواه ليتخذ تسلياً له من التجديف فيتهكم على الدين والمجد والحب وعلى كل ما في العالم ، تلك الوسيلة هي السبيل الذي يتبعه الإنسان ليخادع نفسه فيتهكم عليها وهو يجتد على كل شيء

يلد للمرء أن يضع نفسه في مصاف الأشقياء حين يحكمه الضجر فيندفع إلى الفحشاء لأنها أول ما يخطر على بال الماظرين ، وهي الآلة التي تتلمسها الأعصاب الهائجة لتشد بها على نفسها تسكيناً لاختلاجها

وكان الأغنياء يقولون : لا حقيقة إلا بالثروة وأما ما سواها فأحلام . فلنتمتع بالثروة ولنمت

وكان متوسطو الحال يقولون : لا حقيقة إلا بالسوان ، وأما ما بقى فأحلام . فلنسل ولنمت . أما الفقراء فكانوا يقولون : لا حقيقة إلا في العذاب ، وأما ما سواها فأحلام ، فلنجدف ولنمت إنه لوصف صريع قد يحسبه البعض مبالغاً ، وما أنا إذ أورده مندفع بالعداء للإنسانية ، فهو وصف للواقع ، وهذا هو البرهان

كل من طالع التاريخ وسبر غور الأسباب التي أدت إلى سقوط إمبراطورية روما ، لا بد له أن يرى ما انبعث عن المسيحيين من قوات دمرتها تدميراً . فإن العظمة التي مجلت في هؤلاء المؤمنين

هكذا صبر هؤلاء المؤمنون فيما مضى ، ولكن أعداء المسيح وقفوا وصاحوا بالفقير قائلين : إنك صابر تتوقع ظهور العدل ، والعدل لا وجود له . إنك تنتظر البعث لتخلص من الظلم في الخلود وليس من خلود . أنت تدخر دموع أطفالك ونواح امرأتك لتحملها إلى أقدام عرش الله بعد موتك ، وما بعد الموت من حياة ، فان الله غير موجود ) وعند ما سمع الفقير هذا جفف أجفانه وقال لاهلأته أن تكف عن النواح ، ونادى بأولاده ليقف معهم على الخرق الباليه كالثور الهائج ، وصرخ في وجه الغني قائلا :

( ما أنت إلا رجل أيها الظالم . )

ثم التفت إلى الكاهن ، وقال له : « لقد كذبت أيها المعزى »

وهذا ما كان يقصده أعداء المسيح ، ولعلمهم حسبوا أنهم يسمعون الفقير بارساله على سبيل المطالبة بالحرية

ولكن إذا فهم هذا البائس أن الأغنياء يسلبونه حقه وأن الكهنة يتاجرون بجهله ، إذا ما عرف أن للناس حقاً واحداً في الحياة وأن الفقر هو الكفر بعينه ، فان إيمانه لينحصر حينئذ بقوة ساعده فيهتف قائلاً : لأصلي الأغنياء حرباً عواناً . إن اللذات للجميع على السواء ، إن الأرض لى أنا أيضاً ما دامت السماء خاوية خالية

أيها المفكرون الذين تقودون الفقير الى هذا الموقف ، أية كلمة تدخرونها للشقائه إذا هو اقتحم المترك فسقط مغلوباً على أمره ؟

لقد يكون حبكم للانسانية المذبذبة قد أهاب بكم الى المناداة بهذه المبادئ ، ولقد ينجى بكم يوم يبارككم الناس فيه ، أما اليوم فلا يسمعون أن

نرسل البركة إليكم

لقد كانت الغنى يقول للفقير فيما مضى : لى الأرض ، فيجيبه الفقير : أما أنا فلى السماء . فبأي كلمة سيجيب الفقير الغنى الآن ؟

ان علل هذا العصر كلها قد نشأت عن سببين ، فان الشعب الذى مر على ثورتى سنة ١٧٩٣ و ١٨١٤ قد خرج منهما مجرحين . كل ما كان قد زال ، وكل ما سيكون ليس كائناً بحد . هذان هما السببان ، فمن البعث أن نفتش عن ثالث لهما

ما حالنا الا حال رجل تداعى مسكنه الى الحضيض وقد بعثر أنقاضه ليقوم ببناء جديد . ثمر الرجل عن ساعد الجد وبدأ العمل وهو منتظر ورود الحجارة البيضاء الجديدة لرفع البناء ، واسكن قبل له ان الحجارة البيضاء الجديدة بعيدة المنال ، فعليه أن يصاح الحجارة السوداء القديمة . وسطا الدهول على هذا العامل الذى لا يريد أن يرفع بيته بواد أخاقتها الدهر وموهتها الأيام بالسواد ، ولكن ما العمل والمحجر عميق ولا أدوات لديه لاستخراج الحجارة منه

وقف المتفرجون حوله وقالوا له : استخرج الحجارة من حين الى حين واشتغل على مهل وتكاثر النصائح تبذل لهذا الرجل وهو واقف تحت سماء الله . لقد تهدم بيته القديم ولا بيت جديد له ، فهو عرضة للحر والقر ، لا يعلم أين يعمل وأين يرتاح وأين يأكل وأين ينام وأين يحيا وأين يموت ، وهو متعب مضطرب ، وأطفاله سيكون فى أمرتهم فى العراء

ومن أشبه بهذا الرجل منا ؟

أى بنى القرون المقبلة ! إنكم ستنحنون فى زمانكم على المحارث تمزق أحشاء الأرض فتبتسم





# الأولاد لبيس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

[تابع ما نشر في العدد الماضي]

لسهاماً مسمومة مسمومة سقاها أبي بعد إذ رقص  
أن يُسمِّمها إيلوس بن مرمريس<sup>(١)</sup>... وهو  
لو صوبها إلى أولئك المقاتليك لأبادهم... يا رحمتا له !  
إن أحداً غير — الآلهة — لا يعلم إن كان ما يزال  
حيّاً يرزق أو هو قد ابتلعه اليم أو عاجلته المنون...  
تلياك ! يا ابن أعز الناس على ! لصغ لي وع الذي  
أقول : إنك لست طفلاً بعد ! فلم لا تشمر عن  
(١) أورد هنا هوميروس أسطورة لاداعي لذكرها

وانتال الحنان في قم مبرقا ، إذ هي تجيب  
الفتى المحزون :

« ويح لك أيها الفتى ! رحمتا لك يا بني الصغير !  
أواه ! لو أن أباك هنا اليوم ليدود أولئك المناكيد !  
وحق السماء لو أنهم رأوه وهو يلعب رحببه  
أو يداعب سهامه لأجفلوا وولوا مدبرين ! إن له

الشكر لله، أيها الأحرار، لأنه أوجدكم في عصر الحصاد.  
افتكروا فينا نحن الراحلين وتذكروا أن ماتتمتعون  
به من عناء وسلام قد كلفنا كثيراً من الشقاء  
ترحموا علينا أكثر مما تترحمون على سائر  
من تقدموكم في مراحل الأجيال، لأننا نحملنا أوجاع  
أجدادكم دون أن تتمتع بما كان لهم من عزاء...  
فليكس فارس

لكم بمروجها ونباتها أما بارة بالعاملين تغني لهم  
وهي تجر برود الأنوار في الصباح. في تلك الأزمنة  
سيكل العرق جبينكم بالفرح والخبور، وإذا  
تسرحون أنظاركم على الآفاق الواسعة، فانكم لن  
تجدوا في حقول الانسانية إلا السنابل تتماوج  
متساوية قد رصبتها الأزهار

في ذلك الحين، عند ما ترفعون رؤوسكم لتؤدوا

وعلى الآلهة فلتشكل ! » -

وحين انتهت مینرفا من هذا الحديث ، حدجها تليماك وقال : « أيها الصديق حبا ، ويا أبر الأوفياء سمعا ! لقد أيقظت في ضميرك أنت أحييته . فألف شكران لك ... أبدأ لن أنسى كلمتك : أنا ابن أوديسيوس ! فلأبحث عن أوديسيوس » وحاول الفتى أن يقدم لمجدته هدية سنية تكون تذكرا هذا اللقاء ، ولكن مینرفا شكرته وأبت أن تأخذ شيئا « فاذا نجحت في مسعاك يا بني فسوف أعود وسوف أقبل أية هدية منك ! »

ثم انطلقت ربة الحكمة ، ذات العينين الزبرجديتين . ولشد ما ذهل الفتى ووقف مسبوها مشدوها حين رأى هذا الأمير (منتس) ينتفض انتفاضة هائلة فيكون نورا فشمعا يضرب الهواء بجناحيه ثم يعلو ويعلو ... فيكون في السماء وينيب عن ناظريه !!

ولم يحس الفتى يوما بما أحس به الساعة من هذه الذكريات الملحة على فؤاده تهيج فيه الشوق إلى لقاء أبيه ، وجدد الثقة عنده وأكدها فيه يقينه أن إلهما يساعده ، هو هذا الضيف الذي أرسل جناحيه وغاب في السماء

وانطلق تليماك حيث جلس الفساق يستمعون إلى أغاني فيميوس ، وحيث وجد أمه في الشرفة العليا تستمع هي الأخرى إلى تلك الأغاني بين قيامها من وراء ستار صفيق وتبكي ... وتسال فيميوس أن يتغنى غير هذا الغناء غناء لا يشير ذكريات شجوها وشجنها ... وتثور النخوة في قلب الفتى فيصيح بأمه : « علام العويل يا أماء ؟

ساعد الجد وتبحث بنفسك عن أبيك ! لم ترضى أن يطلع شرف بيتك هؤلاء الفجار ؟ لم لا تكلمهم بنفسك في أمر أمك ؟ ولم لا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك ليطلبوا إليه يد ابنته إن شاءوا ؟ أليس أبوها أليق لهذا الشأن من كل رجل سواء مادام أوديسيوس لم يثوب ؟ لم يربضون هنا كسباع الفلاة يوهون ثروتك ويأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس مما ترك أبوك ؟ إستمع لسا أقول يا تليماك ! نبيء القوم فليجتمعوا لك ، ولتسمعهم كلمتك ، ولتصارح أمك إن هي أرادت منهم بملا فلتنصرف إلى بيت أبيها فهو أولى بهذا الأمر من كل أحد . ثم انهض أنت يا ابن أوديسيوس ! فابحث عن أوديسيوس . أعد ما استطعت من سفين وزاد ، وميرة وعتاد ، ولتبجر على بركة الآلهة ، فلتذهب أولاً إلى (يلوس) حيث الحكيم الباسل نسطور ، ثم إلى إسبارطة حيث صاحب هذه الداهية منالايوس<sup>(١)</sup> ... ألق بقلبك إلى هذين فسائلهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على خبر ... ولتكن لك أسوة في الفتى الجريء المقدام أورست الذي قتل قاتلي أبيه<sup>(٢)</sup> ، وفيهم أمه ... بوركت يا أورست !! بوركت يا أورست ! هلم يا تليماك فقد تعود بأبيك حيا فيرد الشرف والمجد إلى هذا البيت ؛ وقد تعود به ميتا فترفع ذكره ، وتقيم قبره ، وتخلد في المالمين أثره ! والآن ، فلا نهض أنا إلى رجالي وسفني . لقد بعدت طويلا عنهم ... وكلني يقين يا بني أن تقدر نصيحتي

(١) زوج هيلين أخت بيلوب والتي كانت سبب حرب طروادة

(٢) أجاممنون



حين تخلعه على السماء ... غير أن أمره إليكم اليوم  
إن كان قد قضى أوديسيوس ... أما أنا ... فلا أريد  
إلا أن أكون سيد هذا القصر ... ولا غرو ...  
فان هذا من حق ! »

وأجابه يوريماخوس : « إن من حقك أن تقول  
ما تشاء يا أخانا تليماخوس ... أما ملك إيثاكا فالسما  
وحدها تؤتية من تشاء . ولكن قل لنا بربك من  
هذا الضيف الذي كان معك الساعة ؟ هل من قبل  
أيك أقبل ؟ أم إن له عليكم كدينا ؟ إن أحدا منا  
لم يلقه ولم يره ، ولكننا لمناه من بعد ، عليه سيما  
النجابة والجلال . من أين أقبل يا تليماخوس وفيما  
قدم ؟ ... »

وأصلح تليماك من شأنه وقال : « أيها السيد  
يوريماخوس ! إن يقيني أن أبي قد انتهى ... ولن  
تقربني هذه الكلمات المسولة التي يتشدد بها  
المنجمون ... أما هذا الضيف ... ف... هو من  
أصدقاء أبي طبعاً ، وقد أقبل لمجرد الضيافة ، وهو  
الأمير منتس أمير البحارين وسيد تافوس ، وابن  
سيد هذا الزمان ، الملك الشجاع أنخيالوس . »

قالها تليماخوس وهو أعرف الناس بضيفه ؛  
ثم انثنى كل إلى مخيمه ، وانثنى تليماك إلى مخدعه  
بالطابق العلوى . حيث كانت ممرضة يوريكليا  
تنتظره ، وتوقد له الشموع والشرج . يا لها من  
أنثى طيبة تخلص لمولاها وتحنو عليه ... لسرعان  
ما خلع ملابسه فمطرتها وحفظتها ! ... ولسرعان  
ما هيأت له فراشه الوثير ...

وقضى تليماك ليلة نابغة ممتلئة بالهواجس  
والأفكار

وماوقوفك هذا الموقف تسترقين الفناء ؟ وما اعتراضك  
على المغنى ؟ دعيه يتغنى ما يشاء ، فلقد غدونا سخرية  
القضاء وهزؤ القادر . ولقد ذهب أوديسيوس  
وفهبت معه كرامة هذا البيت ، وإني لصاحبها  
بعده ... فادخلي ولبدخلي معك قيانك ولتقمن جميعاً  
بشؤون المنزل ، ولتسخرين إلى مفزلك ومنسجك ،  
ودعي كل ما عدا ذلك للرجال ... لي ... لي أنا  
وحدى : سيد هذا القصر ! »

وأثرت مقالة الابن في نفس أمه ، فاثنت مع  
قيانها إلى مخدعها بالطابق العلوى ، حتى إذا خلت  
إلى نفسها ذرفت من الدمع على أوديسيوس ما شاء  
لها حزنها أن تذرف . أما تليماك فقد انطلق وسط  
القوم ونادى بأعلى صوته : « أيها الفساق ! يا عشاق  
أمي ! خذوا في لهركم ، وتمتعوا قليلاً أو كثيراً ،  
فاذا كان الغد فاجتمعوا في الساحة الكبرى ، فان  
لي كلاماً معكم ... سأطلب إليكم أن تشدوا رحالكم  
من هنا ، أتسمعون ! لقد طالما أنلفتم لنا زادا  
وعتاداً ... ألا فلتلتمسوا الزاد والعتاد من عند  
أنفسكم ؛ ولتقيموا أفراحكم وولائمكم في غير هذا  
المكان ؛ فان أيتهم فاني مستمين بالآلهة عليكم ،  
ولتقتص منكم السماء بما جرحتم ... »

وما كاد يفرغ من قائلته حتى عضوا على أصابعهم  
لمفاجأتهم بهذا الكلام الحسن الذي لم يمتادوه .  
ونهض أنتينوس من مجلسه وقال : « تليماخوس !  
لقد حق لك أن تخاطبنا بهذه الشجاعة ، ولكن ...  
يا لشؤم اليوم الذي تتوجك السماء ملكاً فيه على  
إيثاكا ... عرش آبائك وأجدادك ! »

ويجيب تليماك : « ليس أحب إلى من الملك

## تليماك يجادل العشاق

ويجهر بأهتاه أبيه

مقدمة ما تقدم



مينرقا

من شأنه ، وتقلد سيفه<sup>(١)</sup> ، ثم انقل مختالاً ،  
كأحد آلهة الأولمب من باب مخدعه ، وجعل  
يقاب عيني في هذه الخيام المضروبة التي تملأ خديقة  
القصر ، والتي يشوى فيها أولئك الفجار الاشرار  
عشاق بنلوب ؛ وتلبث قليلا وفي القلب لظى ، وفي  
الفس كاوم ؛ ثم صاح بالأفهبوا مسرعين ، وأخذوا  
ينسبلون الى الردهة الكبرى ، حتى إذا انتظم  
عقدهم والتأم شملهم تقدم هو متهدجا نحو عرش  
أبيه ، وفي يمينه رمح ظامي الى تلك الدماء النجسة  
التي تتدفق في عروق الذئاب ، وعن جانبيه كلباه  
الضاريان يتهديان وفي عيني كل منهما جمرتان . وكانت  
مينرقا نفسها تضفي على الشاب سماء النبل ، وترقرق  
فوق ناصيته أمواها من العظمة والمجد ، لتقذف منه

« بعد سقوط طروادة عاد كل أبطال الأغريق  
الى أوطانهم ما عدا البطل العظيم أوديسيوس الذي  
ضل طريقه في البحر ولبت ستين طويلا يحبط في اليم  
على غير هدى وكانت زوجته بنلوب أخت هباين من  
أجل الغادات اليونانيات فطعم أمراء البلاد المتاخمة  
في التزوج منها ، ولكنها رفضتهم جميعاً ثم لجأت الى  
الحيلة معهم حينما لجأوا هم الى الفطرسه وأقبلوا بفضهم  
وقضيضهم ، فسكروا في حدائق قصر أوديسيوس  
وردهاته ليضطروها أن تختار منهم زوجاً لها . ذلك  
أنها اصطفت لنفسها منسجاً وراحت تعمل عليه  
ووعدهم أنها حين تفرغ من نسجها فاتها ستختار  
منهم بعلاها . ولكن هذه الحال لم ترض مينرقا رة  
الحكمة ونصيرة أوديسيوس . فسألت أباه كبير الآلهة  
أن يساعد هذا البطل وأن يتأذن فيأمر بعودته الى  
وطنه . وكان أوديسيوس في هذه الآونة عند عروس  
الماء كاليسو التي أغرمت به واقتنت بقوة فأبقتة لديها  
وراحت تراوده عن نفسه ؛ فأرسل كبير الآلهة ولده  
هرمز الى هذه العروس بأمرها بأعداد سفينة يبحر  
البطل عليها الى بلاده — أما مينرقا فاتها ذهبت بنفسها  
الى تليماك ابن أوديسيوس — في صورة أمير من أمراء  
البحر يدعى منتس ، وهناك أكلت مع الفتى ثم حرصته على  
طرده العشاق المحرمين من قصر أبيه ، وبعد أن فرغت  
من حديثها معه حولت نفسها الى نسر عظم وضربت  
الهواء بجناحيها وغابت في السماء ، فتأكد الفتى أن  
الذي كان يكلمه ليس أمير البحر منتس ، ولكنه إله  
عظيم أقبل ليدله يد المساعدة في البحث عن أبيه —  
وقد خاطب تليماك العشاق فطلب إليهم أن يجتمعوا في  
الغد في الردهة الكبرى ليطلب منهم أن يغادروا القصر  
وأن يذهبوا الى جده فيخطبوا إليه ابنه بنلوب إن  
أرادوا ، ثم ذهب ليسترخ في مخدعه الى الصباح »

موهت أوروا<sup>(١)</sup> ، ابنة الفجر الوردية مشرق  
الآفق ، فهب ابن أوديسيوس من مرقدته ، وأصلح

(١) ربة الفجر في الميثولوجية اليونانية وإحدى تابعات  
أبوللو وهادية عربته — الشمس — عند ما تبرز من  
بواب المشرق

(١) في الأصل ( صفيحتنه ) وهي السيف العريض  
القصير Fauichion



الرجب في قلوب أعدائه ، حتى لبهزم أن يروا في  
تليماك ذاك الضرغام المختال

وما كاد الفتى يستوى على عرش آبائه الصيد ،  
وأجداده الصناديد ، حتى نهض شيخ يحمل فوق  
كاهله السنين الثقيل ، وتشتمل في رأسه شبيبة  
التجاريب وجلائل الفمال . وكان هو إيجيتوس  
بمينه . . . إيجيتوس المسكين الذي بعث بولده  
أنتيفوس في أسطول عظيم وجند لجب ، ليشارك  
في حرب اليوم مع أوديسيوس ، فنازل وناضل ،  
وكر وفر ، وجال وصال ، وصمد وانتصر . . .  
ولكنه . . . وأسفاه . . . لم يعد إلى أوطانه في  
العائدين ، بل سحب أوديسيوس في رحلته المشؤمة  
وراء البحار حيث أكله السيكاوب الوحش فيمن  
أكل (١) . وقف إيجيتوس بين أبناء له ثلاثة ،  
أحدهم من عشاق بنلوب ، ثم قال :

« أيها الرفاق ! يا أبناء إيثاكا النبلاء ! إنها  
أول مرة منذ بارح أوديسيوس بفلات أكبادنا  
ندعى فنجتمع مثل هذا الاجتماع . فتذ الذي دعا  
إليه ، وماذا ببتنى ؟ أنفحة من نفحات الشباب ،  
أم زفرة من زفرات الشيب ، أم خبر من جيشنا  
المهلك يبشر بموؤ أحد ؟ لينهض باركته السماء  
فيحدثنا عما دعانا إليه »

وتناول تليماك صولجانه من قواصه ، وتقدم حتى  
كان في وسط القوم ، وجهر فقال :

« أنا أيها السيد الوقور صاحب هذه الدعوة !  
أنا . . . تليماخوس بن أوديسيوس ، صاحب هذه  
الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل . . . لقد دعوتكم  
لأنشكروا إليكم بشي وحزني . . . لا لأزف إليكم

(١) سيأتي ذكر ذلك في الكتاب التاسع

بشريات الجيش المفقود الذي لا يعلم مصائرهم !  
لازيوس ! لقد فقدت والدي ، ووالد الأيتاكيين  
جميعا ، ثم أنا اليوم حبيس هذه الدار ، أسير هؤلاء  
المشاق (١) الذين يطعمون في الزواج من أمي ، غير  
متقين في عرضي إلا ، ولا راعين لأبي ذمة ،  
يذبحون النسم (٢) ، ويريفون (٣) الزاد ، ويماقرون  
ابنة العنب ، ولا يبالون أن يهلك الزرع والضرع ،  
ما داموا يبيتون ويطونهم ملاي ، ويبيت غيرهم على  
الطوى . . . لقد استباحوا هنا كل شيء ، مادام  
لا أوديسيوس هنا فيردعهم ، ولا حول لي فأغل  
أيديهم ، ولا ضائر فيصيخوا إلى قولي ، وبرحوا  
ضعفي ، ويذهبوا من فورهم إلى جدي فيخطبوا إليه  
ابنته إن أرادت أحدهم بملا ، فهو بها أولى وبشأنها  
أحق . . . إنكم ضعفاء أيها الأيتاكيون الأوفياء . . .  
ولو استطعتم لرددتهم غنى غائلتهم . . . فلقد طفع  
السكريل ، وحزب الشر ، وعم الأذى . . . والآن ،  
أوجه إليهم قولي . . . ولن أستحي أن أصارحكم  
مرة أخرى أيها المشاق . . . اخجلوا إذن ! ولتصبغ  
الفضيلة وجناتكم بحمرة الحياء ! أذكروا ما عسى  
أن يمسركم به جيرانكم ! واخشوا قارعة تحمل عليكم  
من أربابكم . . . واتقوا يوم تلقونهم تودون لوتلة فتكم  
الصواعق . . . يا قوم ! أستحلفكم بسيد الأواب !  
بربة المدالة ثيميس ، إلا ما تركتموني أقضي البقية  
الباقية من أيامي في شقوتي وحدي ! هل أجرم أبي  
مرة مع أحد منكم فأنتم اليوم تأخذوني بجريرته ؟

(١) يلاحظ القاري أن الاجتماع كان عاما ولم يكن  
قاصرا على المشاق فقط ، بل ضم جمهورا من أهل إيثاكا  
كذلك

(٢) الماشية

(٣) يذمون

فيم إذن مقامكم هنا ؟ وفيم إذن تذهبون بثروتي أبديد ؟ وفيم إذن تستنزفون آخر قطرة من خمرى دون مقابل ؟ ! اذهبوا ! اذهبوا ، ودعوا تالياخوس البائس يحز في نفسه أشجانه ، ونبرى اصطباره بلواه ! ! »

ودق الأرض بصولجانه ، وانفجر بيكي ، وكأنا انهمرت دموعه في نفوس القوم ، فوجوا وجوماً شديداً ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة . حتى نهض أنتينوس آخر الأمر فقال :

« لله بيانك يا تالياخوس ! لقد كنت مصقماً حقاً ! ولكنك لم تصب كبدا الحقيقة حين قصرت علينا كل اللوم ، حين لا ملوم إلا أمك ! لقد خدعتنا جميعاً طوال سنوات ثلاث كادت أن تم أربعة ، إذ رسائلها تترى علينا ، تُجبي في نفوسنا الآمال ، وتذكي فينا الأمانى ! لقد كانت وعودها تترادف كالبروق الخُلب ، وتترامى كالسراب المضل ! لقد اتخذت لها منسجاً وطفقت تعمل عليه وهي تغرربنا ، وتقول : « أيها الاغريق : لقد قضى أوديسيوس ما في ذلك ريب ، وكلكم تطعمون أن تفوزوا بزوجته ، ولكن أبا ليرتيس رجل شيخ ، وهو يدب بخطى وثيدة إلى حافة القبر ، أفليس أخلاقى وبكم أن تنتظروا حتى أنسج له هذا الثوب ، لتسكون منه أكفانه ، وحتى لا أكون مضغة في فم الاغريقيات إن تركته برغم ثوته الطائلة وليس له كفن يضم رفاقه » . ولقد أجبنا سؤالها وتلبثنا طويلاً ، نرجو لو تفرغ من نسج هذا الكفن ، بيد أنها كانت تنقض بالليل ما تنسجه بالنهار ، وهكذا دواليك ، ظلت تخادعنا تلك السنين الثلاث ، حتى فضحت سرها إحدى وصيفاتها ، إذ حدثتنا به ، واستطعننا أن نضبطها

وهي تنقض غزلها أنكاثا في ضوء المشاعل ، في جنح الليل ، فأجبرناها على إتمامه بالرغم منها ... هذه هي الحقيقة يا قوم ! والآن ! فلترسل أمك أيها الفتى إلى أبيها ، وليختر لها من بيننا بعلا ، أو فلتختر هي لها بعلا ... أما إذا عكفت على ختلها بنا ، فلتثق أن شيئاً منه لم يمد يجوز علينا ، مهما ظنت أنها أحذق من تيرو ، أو أكيس من ألكمينا ، أو أبرع من ميسينية<sup>(١)</sup> ... حسبها ما خدعتنا ! وإنا نقاسمك يا تليماك أننا لن نبرح عاكفين على ما شكوت ، من ذبح لنعمك ، وإراغة لزادك ، ومماقرة لخمرك ، حتى تختار لنفسها ؛ أو ... فليمن فزع هذه الدار ، ولينضب معين خيرها . »

وشاعت الكبرياء في كل جارحة من جوارح تالياخوس فقال :

« أنتينوس ! ماذا أصابك ؟ ! كيف تسألني أن أقهر أمي التي غذتني ونشأتني على غير ما ترضاه ؟ كيف أطردها من قصر بعلا الذي لا يعلم غير الله إن كان حياً أو ميتاً ؟ لبئس ما أجزيها به ، ولشد ما أغضب أبي وأثير غضب الآلهة على إن فعلته ! ! إنها استدعو إيرينس<sup>(٢)</sup> كي تنتقم لها مني ، وستنصب على لعنات الناس جميعاً ؟ ! ويحك أيها الرجل ! أن أقولها أبداً ... بل اذهبوا أنتم فسلوها ما شئتم ؛ فاما أجابت طلبتكم ، وإلا فانصرفوا غير ماجورين ... اذهبوا .... فأولوا ولائكم في غير هذا القصر ، وأريفوا من زادكم ، وأنفقوا مما تحبون ! ! أما إن رأيتم أنه أحلى لكم أن تأكلوا مال غيركم ، فاني سأهتف أبداً بالآلهة أن تقتص لي منكم ، فهي بحيلة بكم ! ... »

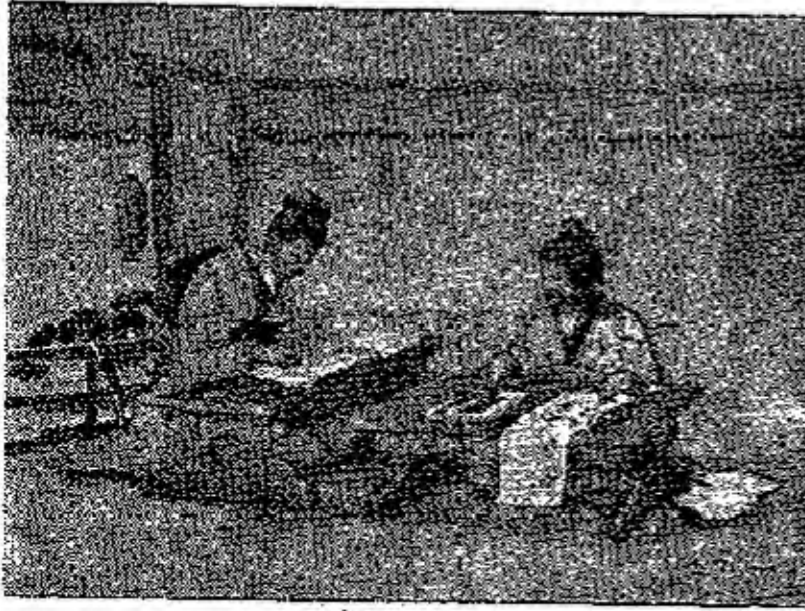
وربني خشي

(يجمع)

(١) من ربات الفنون



ولا نصبح ، فهي تنشأ وترعرع وعلى ثغرها ابتسامة هادئة تقابل بها كل إنسان والفتاة اليابانية في المدرسة تدرس الأخلاق قبل أن تدرس العلم ؛ فإذا دخلت المدرسة نراها تنحني لأستاذها حتى تسكاد تلمس الأرض بأنفها ، — وهذه أقصى درجة للتبجيل والا كبار في اليابان — فيرد الأستاذ التحية بأحسن منها ، ثم تجلس الطفلات في مقاعدهن ، ويفتحن الكتب ، ويبدأن الدرس



درس في الكتبة

والكتب في اليابان غريبة في كل شيء ، فإن تثير دهشتك في غرابة حروفها فحسب ، بل إنك إذا أردت أن تمر على أول صفحة في الكتاب وجدتها الأخيرة فيه ؛ وإذا رغبت في قراءته فانك تقرأه من آخره إلى أوله ، لا من أوله إلى آخره ؛ وإذا حدثتك نفسك بتتبع كلمات سطر من السطور ، فانك تراها تبدأ في أعلى الصفحة وتنتهي في أسفلها ، أي أن الكتابة في اليابان لا تبدأ من اليمين أو الشمال كما في سائر اللغات ، بل تبدأ من أعلى إلى أسفل

وتدرس الطفلة اليابانية في المدرسة ما تدرسه الطفلة الغربية من المواد المختلفة ، فضلاً عن أنها



من أفق إلى أفق

موريات في السرد القصص

## فتاة اليابان

ترجمة الأديب أحمد فتحي مري

إن كلمة « الطاعة » التي لها حظ كبير من حياة الرجل الياباني ، هي كل حياة الفتاة اليابانية ؛ فالفتاة اليابانية تتلقن واجباتها في سن مبكرة من الطفولة . وفي اليابان كتاب عتيق تستظهره اليابانيات ، ولا يخلو منه منزل ما ، اسمه « الدراسة العالية للمرأة » ، ويشمل مجموعة من التقاليد والواجبات ، والمثل العليا للأخلاق . وقوام هذا الكتاب « الطاعة » ؛ فنراه يقول إن على الفتاة اليابانية ثلاثة واجبات في الطاعة : ففي مرحلتها الأولى وهي فتاة يجب أن تمثل لأوامر والدها ، وفي مرحلتها الثانية وهي متزوجة يجب أن تنصاع لرغبة زوجها ، وفي الثالثة وهي أرملة يجب أن تخضع لأرادة ابنها الأكبر

يجتاز الفتاة اليابانية مرحلة الطفولة في سرور ومرح ، بين رعاية والديها ، وعناية أهلها . وهي دائماً هادئة الطبع ، رزينة النفس ، حتى في لعبها ؛ فإذا غضبت لا تمول ولا تبكي ، وإذا فرحت لا تنضح







وثيابها الجميلة وتستقبل حياة شاقة جديدة لا عهد لها بها من قبل ... وإذا كان الزوج يعيش مع والديه فان من الشرف للعروس أن تلبى طلباتهما ، وتنصاع لرغباتهما ، وتنزل على إرادتهما ، وهما بدورهما يعطفان عليها كل العطف ، فلسنا نلمس في اليابان أثراً لذلك التناحر الذي يحدث عادة في سائر الممالك بين الأم وكنيتها ، فان الأم اليابانية التي جبلت على الطاعة ، وانطيمت على الحنان وصفاء القلب لا ترى في زوجة ابنها سوى ابنة ثانية لها قضى الله أن تستريح على يديها من عناء الأعمال ؛ فهي تنظر إليها دائماً نظرة الأم الشقيقة لابنتها البرة وقد بلغ من وقار الزوجة اليابانية لزوجها أنها عادة تشوه وجهها ، وتسود أسنانها ، حتى لا تلفت نظر غيره . وعلى رغم أن هذه العادة انقرضت في اليابان ولا سيما بين الطبقات العليا التي تأثرت كثيراً بالجانب الغربي ، إلا أن المتجول في ربوع اليابان كثيراً ما يرى هؤلاء النساء ذوات الأسنان السوداء في كثير من جهاتها .

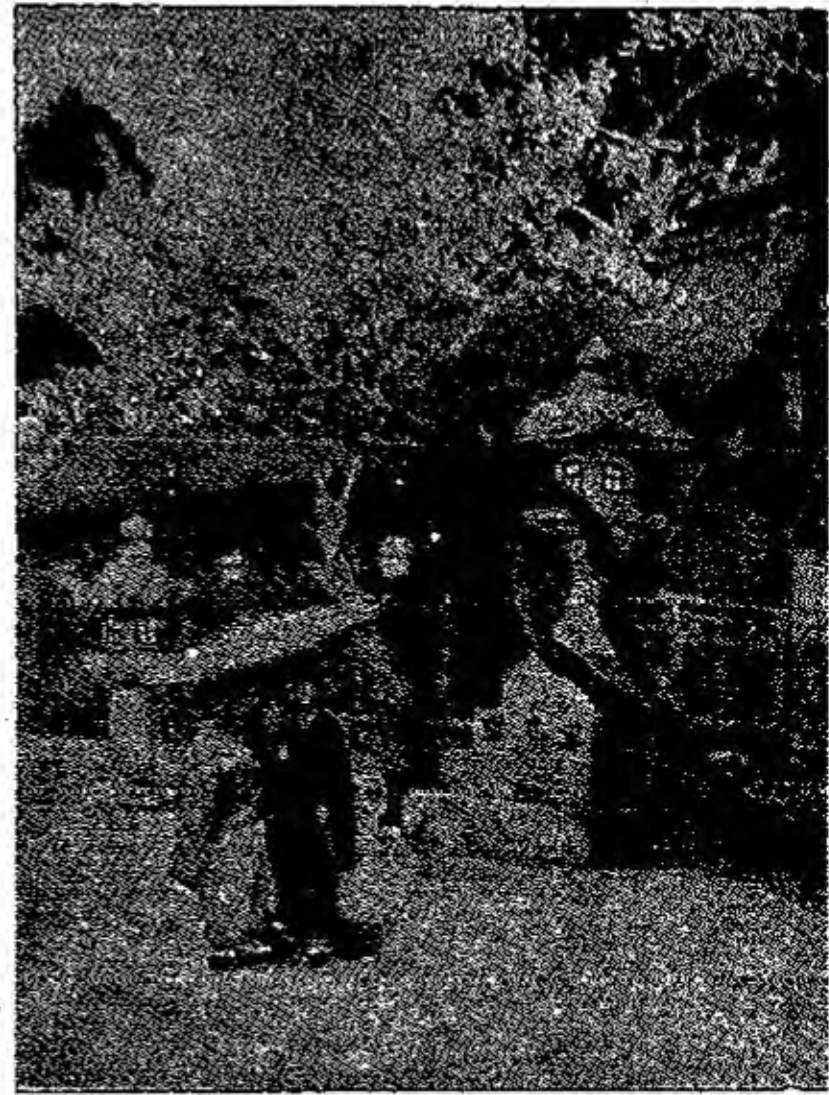
وإذا فقدت اليابانية زوجها فأنها تظهر عليه حزنها العميق وأساها البالغ ، فتراها تحلق رأسها ، وترتدى الداكن من الثياب ، وتبدو في منظر كئيب حزين . والمثل الياباني يشبه لنا الأرملة اليابانية بالغراب ، والزوجة اليابانية بالحمامة ، والفتاة اليابانية بطير من طيور الجنة ما

(عن الانجليزية) أحمد قنصى مرسى

#### اعذار

حال ضيق الوقت وعوادي الأشغال عن نشر شيء من (هيلوز الجديدة) في هذا العدد ، فأرجأ تأمل العدد المقبل فنرجو من قرائنا المغفرة

العشرين من عمرها - دون زواج - إلا الفتاة العائرة الحظ ، وعندئذ تنقطع عن كل شيء آخر إلى خدمة زوجها ، وتتجه بكليتها إلى حياة الجسد والنشاط ، فتنبذ الثياب الزاهية الملونة ، وتعاف الملابس الفضفاضة المزينة ، وترتدى ثوباً أبيض شفافاً تتجلى فيه كل معاني البساطة

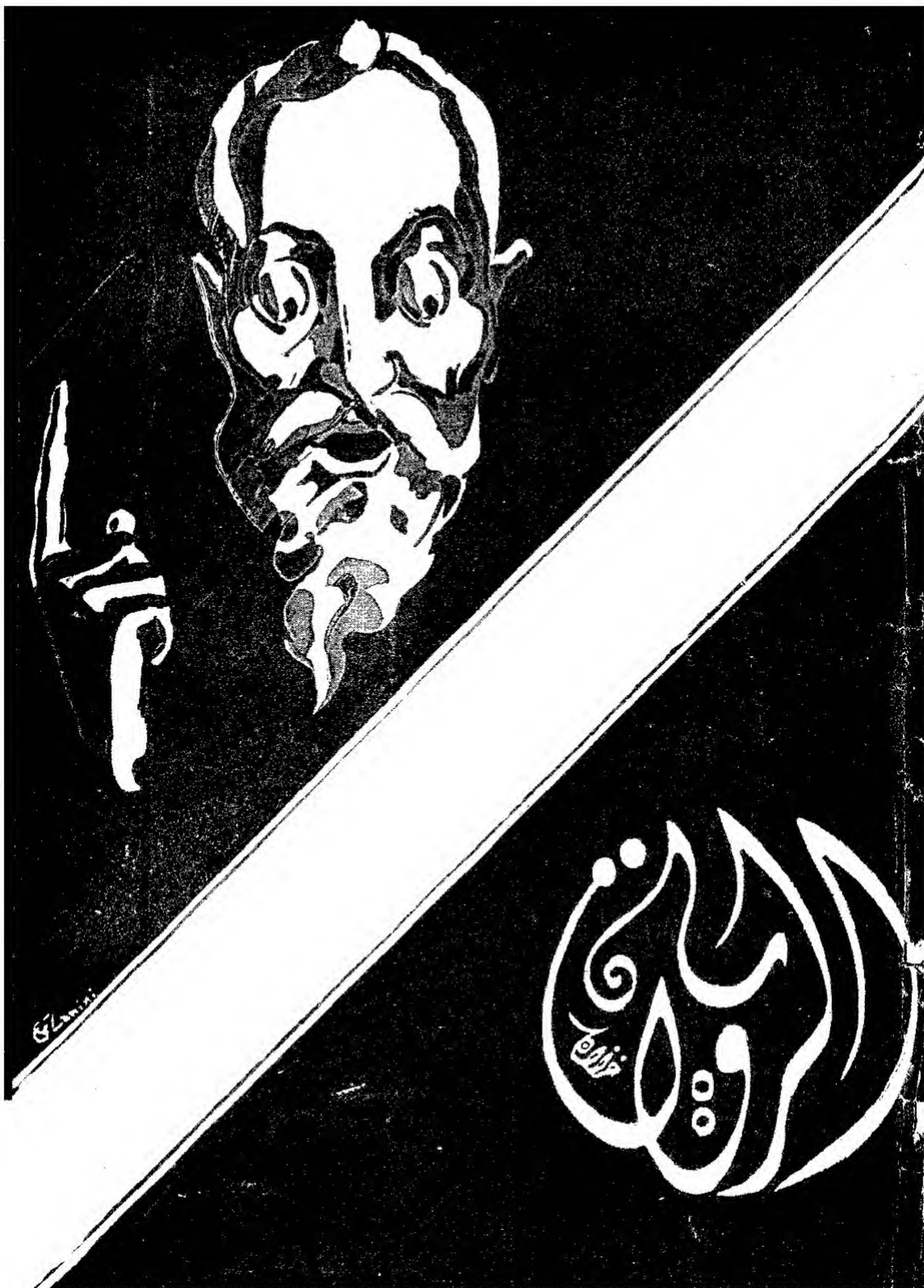


البيت الياباني

ويتم الزواج في اليابان ، دون جلبة ولا ضجة ، كغيرها من الأمم ، فليست هناك هذه الأفراح العامة ، ولا تلك التقاليد الدينية ، وكل ما هنالك أن الزوج وعروسه يشتركان في شرب ثلاث كؤوس من الشراب الوطني الياباني المصنوع من الرز (الساكي) Saké فينال كل منهما رشفة من كل كأس ، ويعتبر اشتراكهما في شرب هذه الكؤوس بمثابة بدء اقتسامها حياتهما المقبلة وهنا يجب على العروس أن تودع أيامها السعيدة











الليل قسوة نوحى





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الزيت

مجلة أسبوعية للقصص والبرق

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثالث ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ - ١ مارس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



## فهرس العدد

صفحة	
١٣٨	ولد ... .. لحي دي موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات ...
١٤٧	تفيدة ... .. أقصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ..
١٥٥	أرملة ... .. أقصوصة فرنسية ... بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي ...
١٥٩	الأس في الحب ... .. لأنوربه بلزك ... بقلم الأستاذ محمود الحفيف ...
١٦٤	هدو ... .. أقصوصة إيطالية ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
١٦٨	جوليا أو هيلوز الجديدة ... .. لجان جاك روسو ... بقلم أحمد حسن الزيات ...
١٧١	المستر بكوك ورفاقه ... .. لشارلز ديكنز ... بقلم «عائد» ...
١٧٦	الصيني ... .. أقصوصة واقعية إنجليزية ... بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى ...
١٨٥	يوميات نائب في الأرياف ... .. صوراً مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...
١٩١	اعترافات فتى العصر ... .. لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
١٩٦	الأوذيسة ... .. لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشبة ...





موباسان

وقف عضو الشيوخ  
ورشف رشفة من هذا  
الغمام اللاقح الطافي ،  
وأخذ يدمن النظر في  
الشجرة الماشقة وهي

للكاتب القصصى جى دى موباسان

بقلم احمد حسن الزيات

تتألق تألق الشمس وترسل بذورها في الجو ، ثم قال :  
« حينما يفكر المرء في أن هذه الذرات التي يدركها  
الشم ولا يدركها البصر ، ستخلق بعض الموجودات  
على عشرات الفراسخ من هذا المكان ، وسترعى  
ألياف الشجرات الأنثى وتمير ماءها فتنتج كائنات  
ذات جذور تنشأ من بذرة كما نشأنا ، ويدركها  
الفناء كما يدركنا ، ويخلفها على الأرض خلف منها  
كما يخلفنا ! ... ثم جمد الشيخ أمام الشجرة المشرقة  
وأرجها الشذى المحيى ينبث منها كلما اهتز النسيم ،  
وعاد يقول : « آه يا صديقي ! لو طُلب إليك أن  
تحتسب حساب أطفالك لا ارتبكت ! دونك مثلاً  
هذه الشجرة : إنها تنسل بسهولة ، ثم تتخلى عن  
نسلها من غير ندم ، ثم لا تشغل بالها به بعد ذلك »  
فقال عضو الأكاديمية : « إنا نصنع نسلنا مثل  
ما تصنع هذه الشجرة نسلها يا صديقي » فقال عضو  
الشيوخ : « نعم لا أنكر أننا نتخلى عنه في بعض  
الأحوال ولكننا نمرقه ، وفي ذلك سموٌ نوعنا  
على غيره » . فهز الآخر رأسه وقال :

ليس هذا الذى عنيت يا صديقي . إنك لا تجد  
في الناس رجلاً ليس له أولاد مجهولون ممن يسمونهم

كان الصديقان الجيمان يتنزهان في الروضة  
الفينانة الزهرة والريبع البهيج الطلق يزخر في  
جنباتها بالحياة . كان أحدهما عضواً في مجلس  
الشيوخ ، وكان الآخر عضواً في الأكاديمية  
الفرنسية ، وكان كلاهما وقور النفس رزين الطبع  
يصدر عنهما الرأي أو الحكم مدعماً بالدليل  
مؤيداً بالحجة ، ولكن في شموخ وأبهة ، شأن  
رجال الوجاهة والشهرة . تحدثا أولاً في السياسة ،  
فتبادلا القول في بعض الأسماء ، لا في بعض الآراء ؛  
وحديث الشخصيات في موضوع السياسة يتغلب  
دائماً على حديث العقل ؛ ثم أثارا بعض الذكريات  
وصمت كل منهما ، وظلا يسيران جنباً إلى جنب  
وقد استرخت مفاصلهما على فتور الهواء

وكان في الروضة المطار حوض من القرنفل  
الأصفر ينفج بالعير اللطيف الأرج ، وكومة من  
الزهر النضير تفض على النسيم نوافج المسك ، وشجرة  
من شجر الأبنوس مكسوة بالعناقيد الصفر تذر  
ذرونها في الهواء ، وهو أشبه شئ بدخان من  
النضار أو بمساحيق المطار ؛ تفوح منه رائحة  
المسل ويحمل بذور الشجرة العطرة إلى أطباق الفضاء

أبناء المعارضة<sup>(١)</sup>، ولد لهم من غير حساب، كما تنتج هذه الشجرة من غير وعي

لو رُحنا نعد النساء اللاتي وصلنا الأسباب بهن لشق على الحاسب أن يحصى الأبناء، كما يشق على هذه الشجرة أن تحصى الخلفة»

إذا تذكر المرء من خالط من النساء في المقابلات المعارضة والساعات الذاهبة أمكنه أن يعد منهن مائتين أو ثلاثمائة، ولا تستطيع أن تزعم يا صديق أن هذا العدد يخلو من واحدة على الأقل قد اشتملت على ولد، ولا تستطيع أن تنفي أن لك على بلاط السكك أو في أعماق السجون ابناً شريداً يسرق ويقتل الأخيار من أمثالنا، أو بنتاً تراول البغاء في أحد المواخير، أو تعالج الطبخ في أحد البيوت إذا كان الحظ قد أسعفها ففصلها عن أمها

ولا يغرب عن بالك فضلاً عن ذلك أن كل امرأة ممن نسمين (عموميات) لها ولد أو ولدان لا يعرف لها أب، ينتزعهما من حضنها من شاء بعشرة فرنكات أو عشرين. كل مهنة يقدر فيها أربابها الأرباح والخسائر، وهؤلاء الأطفال هم «خسائر» هذه المهنة

من هم الوالدون؟ أنت - أنا - نحن جميعاً - نحن معشر الذين يدعونهم المهديين. هؤلاء الأطفال هم نتائج مادنا البهيجة، وأماسينا اللاهية، وساطاتنا الغافلة، التي يفتشى فيها الجسد فيدفعنا إلى الغامرة

إن لصوص النهار ورواد الليل وأخذان الجرعة هم أطفالنا، ومن الخير لنا أن نكون آباءهم، فإن

(١) أولاد السفاح

هؤلاء الأوباش المجرمين يلدون أيضاً !! إن لي من هذا الأمر نصيباً عجيباً سأقصه عليك في حادثة شنيعة لا تزال تجر في نفسي وتثقل على ضميري إنها تبكيت لا يفتر، وندم لا ينقطع، وارتباب لا ينجلي

وقع في نفسي وأنا في الخامسة والعشرين من عمري أن أقطع المراحل مشياً إلى «بريتانيا» مع صديق من أصدقائي هو مستشار الدولة اليوم. فبعد خمس عشرة يوماً أو عشرين من السير العنيف قطعنا فيها (الكوت دنور) وقسمنا من (فينستير) بلغنا (دورنيز) ومن هناك وصلنا إلى رأس (راز) الموحش عن خليج (تريباسيه) وقضينا الليل في قرية من قراها ينتهي اسمها على ما أذكر بأرف. ولما تنفس الصبح وجدت صديق قد تحال به السفر فلزم السرير. وأقول السرير بحكم العادة، أما الواقع فإن فراشنا لم يكن إلا حزمتين من القش على أن إقامة المريض في هذا المكان مستحيلة، فأكرهت صديق على أن ينهض، ثم استأنفنا السير حتى دخلنا (أوديرن) في الساعة الرابعة أو الخامسة من المساء. وفي الغد ظهرت عليه دلائل الصحة فسرنا، حتى إذا ملكنا الطريق اعتراه مرض ثقيل فلم نبأخ (بون لايبه) إلا بشق الأنفس. وفي هذه البلدة وجدنا فندقاً على الأقل فنام صديقي، وعاده الطبيب فقرر أن ما به حمى شديدة، ولكنه لم يتبين طبيعتها بعد

هل تعرف (بون لايبه)؟ كلا. إنها أعرق البلاد أصلاً في بريتانيا، تجمع فيها ما تميز به هذا القطر من عادات وأخلاق وأساطير. ولا تزال إلى اليوم كما هي لم تتطور ولم تتغير؛ وأقول (إلى





هذا الاقليم في الثامنة عشرة عليهما نضرة الجمل  
وغضاضة الصبي ، وقد لبستا لبسة هذا الاقليم :  
صدار ضيق من الجوخ على الصدر ، وقناع من  
نسيج الفضة على الرأس ، وصفحة عريضة مربعة  
على كل صدغ

كانت الساعة السادسة من المساء توشك أن  
تحين ، فجلست إلى المائدة أتمشى وصاحب الفندق  
نفسه هو الذي تقدم إلى خدمتي ، فأجري القدر  
المحتوم على لساني هذا السؤال :

— أتعرف المالكين القدماء لهذا الفندق ؟ لقد  
قضيت فيه اثني عشر يوماً منذ ثلاثين سنة ، فأنا  
أحدثك عن شيء بعيد . فأجاب الرجل قائلاً :

— لقد كانوا أهلي ياسيدي  
فقصصت عليه كيف عاقني مرض صدقي عن  
السفر وعقاني هذه المدة ... فلم يدعني الرجل أتم  
الحديث وقال :

— أوه ! إنني أذكر ذلك جيداً . لقد كنت  
يومئذ في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من  
عمرى . لقد كنت تنام في الغرفة القصوى وصاحبك  
ينام في الغرفة التي اتخذتها لنفسى على الشارع »  
وفي هذه اللحظة لا قبلها جرى على خاطري  
ذكرى الخادمة الصغيرة فسألته :

أتذكر تلك الخادمة الرشيقة التي كانت يومئذ  
عند أبيك ؟ وقد كان لها ، إذا لم تخني الذاكرة ،  
عينان جميلتان وأسنان فضيلة عذبة ؟ فقال :

« نعم ياسيدي ، لقد ماتت بحمى النفاس بعد  
ذلك بزمان » ثم أشار بيده نحو الفناء ، وكان فيه  
رجل ضئيل أعرج يعمل في روث الاصطبل ، وقال :

( هذا ولدها )

طوبل صامت ؛ صراع الجسم للجسم على نحو  
ما يفعل المصارعون من أهل الرياضة ؛ فالأذرع  
مبسوطة مقبوضة ملتوية ، والنفاس مطرود مهور  
لاهث ، والجلد محمر يتصبب منه العرق . أوه ! كانت  
تدافع مستبسة ، وتقارع مستقتلة ، وكنا نصطدم  
مرة بعد مرة بكرسي أو حاجز أو منضدة ، فنسكن  
برهة ونحن مشتبهان مخافة أن توقف هذه الجلبة بعض  
الناس ، ثم نعود إلى الصراع هجوماً مني ودفاعاً  
منها . وأخيراً خذلتها قواها فسقطت منسركة خائرة  
لم تسكد تنهض حتى فزعت إلى الباب فرفعت  
رتاجه وولت مدبرة . لم ألقها في الأيام التالية إلا  
نادراً ؛ فكانت تتحاشى أن أدنو منها . ثم تماثل  
العليل وأبل فأخذنا نتأهب لاستئناف السفر . وفي  
ليلة الرحيل رأيتهما بعد موهن من الليل تدخل  
غرفتي حافية في قميص النوم فألقت نفسها بين  
ذراعي وحضنتني بقوة وشغف ، ثم باتت تقباني  
وتلاطفني باكية معولة حتى الصباح ، فلم تدع شيئاً  
بما تنطوي عليه العاشقة البسكة من إشارات الحنان  
ودلالات اليأس إلا بذلته

مرت ثمانية أيام على هذا الحادث المألوف في مثل  
هذه الحال فنسيته ؛ وانقضت ثلاثون سنة لم يخطر  
فيها ببالي ، ولم أعد في خلالها إلى « لون لابييه »  
وفي سنة ١٨٧٦ رجعت إليها عرضاً وانفاقاً ،  
فقد كنت أجول في بريتانيا ذلك العام أجمع  
الوثائق وأتصور المشاهد لكتاب أوافه

كل شيء في هذا البلد على ما عهدته ؛ فالحصن  
لا يزال على المدخل مخوضاً بجدران الغبرة في  
الغدير ، والفندق باق كما كان إلا أنه ترمم  
واستحدث . فلما دخلته استقبلني فتاتان من أهل





رغبة ملحة في أن ألقى الرجل لأرى هل فيه ملامح  
مشتركة بينه وبينى

لحقبت به وهو ذاهب إلى الكنيسة ، فقد كان  
ذلك يوم أحد ، فنفحته مائة صلبي وجعلت  
أجسه يميني وأفرسه في اضطراب وقلق ؛ فأخذ  
يضحك ضحكة قبيحة ، ثم ضاق ذرعه من طول ماصوبت  
النظر فيه وصعدته ، فانطلق مسرعاً بعد أن دمدم  
بكلمة لا يكاد يظهر لها جرس عبر بها عن  
شكره ولا شك

قضيت النهار كما قضيت الليل في هم وقلق ؛  
فلما اقترب المساء دعوت صاحب الفندق وقلت  
له في حيلة ولباقة ولطف : إني أهتم بهذا  
المخلوق البائس الذي أغفله كل إنسان ، وأعوزه  
كل شيء ، وأريد أن أفيدته فائدة . ولكن الرجل  
أجابني بلهجة المعترض المخالف قائلاً :

« أوه ! لا تفكر في ذلك ياسيدي . إنه أقل من  
لا شيء ، ولا يصلح لشيء ؛ وإنك لا تجني مما تصنعه  
معه إلا الامتناس والكراهة . أنا أستخدمه  
في كس الأصطبل وهذا كل ما يستطيع  
عمله ، وجزاؤه على ذلك أن أطعمه ، أما النوم  
فهو ينام مع الخيول ، وليس يلزمه بعد ذلك  
شيء . فإذا كان لديك سروال قديم فاخلمه عليه ،  
وستجده بعد ثمانية أيام خرقاً وهلهيل » فلم  
ألح فيما اقترحت مبالغة في الحيلة والحذر

عاد الصعلوك المسكين في المساء يتخلى في  
مشيته من السكر ويعربد ، فقد شرب حتى طافح ؛  
ثم كاد أن يشعل النار في البيت ، وقتل حصاناً  
بضربة فأس ، وفي النهاية نام في الوحل تحت

حينئذ أخذ قلبي يشتد وجيبه ويسرع نبضه ،  
وشمرت أن اساقى ينمقد ، وأن صوتي يختنق ،  
وتفرست في هذا الغليظ الجافي وقد بدا شعره  
الكثيف الأصفر أقدر شكلاً من الزبلة ؛ وضايقته  
نظراتي فكف عن الضحك وأدار وجهه  
ثم انصرف

كنت كل يوم أنقل خطاي الوانية على طول النهر  
الصغير ، والفكر المعض في هذا الموضوع لا يبرح  
خاطري . ولكن ماذا يغني التفكير ؟ ليس هناك  
ما يجلو الشك ويكشف الحقيقة . وكنت أقضي  
الساعات بعد الساعات أوازن في موضوع أبوتى  
من الأسباب الموجبة والسالبة ، والوجوه  
الموافقة والمخالفة . ثم أستغرق في فروض مشكلة  
معضلة تعودني على استمرار إلى موقفي الأول من  
الارتباب الشنيع ، ثم إلى ما هو أشنع من ذلك  
وهو الاعتقاد بأن هذا الرجل ابني

لم أستطع الغداء ، فأويت إلى غرفتي وأخذت  
أراود النعاس طويلاً ، حتى أخذني نوم مضطرب  
تزججه الأحلام المفزعة والرؤى المخيفة . رأيت فيما  
يرى النائم أن هذا الوبش القذر كان يسخر مني  
فيدعوني : ( بابا ) ، ثم تحول إلى كلب عقور وهجم  
على ساقى بنابه فلم أتح منه إلا بجهد . فافتنى أثرى ،  
وكان يتكلم ويسب بدل أن ينبس ؛ ثم مثل بين يدي  
زملائي أعضاء الأكاديمية وهم مجتمعون ليفصلوا في  
أمر أبوتى له ، وقد صاح أحدهم بهم : « هذا أمر  
لا شبهة فيه . أنظروا كيف يشبهه ! » ، وفي الحق  
أنى لاحظت في هذا الشيخ مشابهة منى . ثم  
استيقظت وهذه الفكرة عالقة بذهني ، فقامت بنفسى



لم أستطع أن أبقى طويلا مخافة أن ترجمني  
الظنون وتطير من حولي الشبهة ، فرحات والقلب  
مصدوع والفكر شارد ، بعد أن تركت في يد صاحب  
الفندق بعض المال ينفقه على خادمه البائس ليرفه  
عن نفسه ، ويخفف عنه عذاب مرضه وبؤسه  
ومنذ ست سنين أعيش مع هذه الفكرة  
معذب النفس ، مفدوح الضمير ، لا أستقر على  
شك ، ولا أطمئن إلى يقين

وفي كل سنة تقودني إلى ( بون لايبه ) قوة  
قاهرة

وفي كل سنة أحكم على نفسي بهذا العذاب  
الآليم فأرى هذا الشقي يرتطم في ردة الاضطراب ،  
وأنجيل أن فيه مشابهة مني ، وأحاول عبثا تغيير حاله  
وإصلاح أمره

وفي كل سنة أرجع إلى هنا وأنا أشد مما كنت  
ارتيايا وعذابا وحيرة !

حاولت أن أتقنه فكان مظالم البصيرة  
لا يفقه ولا يدرك !

ثم حاولت أن أنفّس عنه بعض كُرب العيش  
فكان سخييف العقل ينفق كل ما يُعطاه في الخمر ،  
حتى إذا صفرت راحته باع في سبيلها ثوبه

ثم حاولت ببذل المال أن أرقق عليه قلب سيده  
ليؤويه إلى ظله ، ويرضخ له من فضله ، حتى  
دخل الفندق العجيب فقال يحجّني بالرأي المعقول  
والمنطق المفهم : « كل ما تقدمه إليه يا سيدي  
لا يعود عليه إلا بالأذى والخسر . يجب أن يعتقل  
اعتقال الأسير ، لأنه متى ظفر ببعض الوقت أو

الطر الهاطل بفضل إحساني وكرمي !  
وفي الصباح جاء الفندق برجو مني ألا أعطيه  
نقودا بعد ، فان الشراب يهيج فيه الشر ويذهب  
به كل مذهب . ولو وجد في جيبه صليدين  
لما أنفقهما إلا في الخمر . ثم قال الرجل : « إن  
إعطائه النقود معناه القضاء عليه » ؛ ولم يحصل  
في يديه شيء منها قط إلا بضعة سنتيمات يرميها  
إليه بعض المسافرين فلا يعرف لها وجهة ولا غاية  
إلا الحانة !



قضيت في غرفتي ساعات وفي يدي كتاب  
مفتوح أظاهر بالقراءة فيه ، ولكنني كنت أديم  
النظر في هذا الخشن الفليظ ابني ! ابني ! وأبذل  
الجهود في أن أكتشف في ملامحه وجوارحه  
بعض المشابهة مني ، فكان من طول البحث وكثرة  
التقصي أن وجدت فيه وفي خطوطا متشابهة  
على الجهة وفي أضل الأنف ؛ فافتنمت بأن هناك  
مشابهة يخفيها اختلاف اللباس وذوائب الرجل

ولكن يدي لم تمن يد القذرة الكريهة قط

\*\*\*

ثم سكت رجل الأدب وعضو الأكاديمية ،  
وتكلم رجل السياسة وعضو الشيوخ قال :  
« نعم ! يجب علينا حقاً أن نمنى أكثر مما عنينا  
بالأطفال الذين لا آباء لهم »

\*\*\*

وهبت نفحة من الريح على شجرة الأبنوس  
الوريفة الصفراء فحركت عناقيدها ، ثم غلقت  
الكهلين الصديقين بغمامة من ذرورها المعطري  
الدقيق فاستنشقا ملء رئتيهما أنفاساً طويلة  
ثم ختم عضو الشيوخ المحترم الحديث بقوله :  
« ما أجل أن يكون الإنسان في سن الخامسة  
والعشرين وإن ولد أولاداً كهذا ! ! »

الزبات

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرأتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

بعض المال انقلب شريراً لا يقام لسبيله . وإذا  
شدت عمل الخير فلن نعدم الوسيلة إليه . اذهب  
إلى ملجأ اللقطاء فاختر من بينهم طفلاً يساوى  
تعبك ويكافئ إحسانك »

ماذا تقول في هذا ؟ إذا تركت هذا الرجل  
يصل بظنونه إلى الشبهة التي تلوع قلبي وتكدر  
حياتي انقلب خبيثاً ولا شك يستغنى بالتهديد ،  
وبعرضي للخطر ، ويلقيني إلى التهلكة . سيصبح  
بى : ( بابا ) فى اليقظة ، كما صاح بى الآخر : ( بابا )  
فى الحلم

ثم قت فى نفسى : لقد قتلت الأم وأضعت  
هذا المخلوق الهزيل المضارع ؛ تلك الدودة التي  
نشأت فى الاصطبل ودرجت فى الوحل ؛ ذلك  
الرجل الذى لو ربي تربية غيره ، لكان اليوم  
رجلاً مثل غيره

إنك لا تستطيع يا صديق أن تتصور الشعور  
الغريب البهم الملح الذى يستولى على وأنا أمام هذا  
الرجل أفكر فى أنه نسل منى ، وأنه وإياى  
مرتبطان بالوشائج الخاصة التي تربط الولد بأبيه ،  
وأنه بفضل قانون الوراثة الغريب هو ( أنا ) بدمه  
وبلحمه ويألف شئ آخر ، وأنه يشاركنى فى كل  
خصيصة من خصائصى حتى فى جرائم الأدواء  
ومناشئ الأهواء ومنازع الخلق

أنا أظمأ دائماً إلى رؤيته ، ورؤيته تمزق أحشائى  
وتزيد همى ! فأنا أراء بنظري من النافذة ساعات  
وساعات وهو يعمل فى أرواث البهائم فأردد فى  
نفسى هذا الهتاف : « هذا ولدى ! » ، ثم أشعر  
فى بعض الأحوال برغبة شديدة فى أن أعانقه ،



# رسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر ، وتربط الشرق بالغرب  
على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية  
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية  
الرسالة تصور مظاهر العبقرية للأمة العربية  
الرسالة تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية  
الرسالة تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق  
الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الدافلي سنو فرسا ، والخارجى ما يساوى منها مصرى ،  
وللبطرد العربية مخصم ٢٠ ٪

## قصة مصرية

## نفسيكة

د. سنان إبراهيم عبدالقادر الحارثي

بالأعباء كلها اقتصاداً في  
النفقة ؛ فكانت هي تطبخ  
الطعام ، وتكنس الغرف ،  
وترتب الأثاث ، وتخييط لنا  
الثياب ، وتصنع كل شيء ، إلا  
أن تخرج لتشتري الأشياء  
التي نحتاج إليها لطعامنا ؛

فقد كان رجل من أتباع أقاربنا الذين يقيمون في  
أجنحة أخرى من هذا البيت الكبير يقوم لنا  
بذلك . وكانت عمه أبي معنا ، ولكنها كانت  
عجوزاً ناهزت المائة ، وكانت تجلس وساقها  
ممدودتان أمامها ، ورأسها مستند إلى وسادة ،  
ولاسها لا يمل الدوران ؛ وكان كلامها هذياناً فكانت  
أضحك منها أحياناً ؛ ثم أمل ذلك فأتركها لهدرها  
الذي لا ينقطع

وكنت إذا شعرت بالشوق إلى مكالة أحد  
أنحدر إلى فناء البيت ؛ وكانت فيه غرف كهيرة  
يقم فيها أتباع الشيخ قريبنا ويحيون الليل بقراءة  
الأوراد . وكانت هناك أيضاً مبخرة ومصلي فحكيت  
إذا رأيت الشيخ مقبلاً أندس بين المصلين وأدوج  
أقف وأركع وأسجد كما أراهم يفعلون . ولكن  
هؤلاء كانوا يرونني صبيحاً صغيراً فينظرون إلى  
ويبتسمون . — لأن أفواههم مشغولة بالتمتمة —  
ولكن لا يكلمونني . غير أنه كان هناك في أكبر غرفة  
في الفناء رجل ليس من الأتباع ، ولا هو يعنيه  
أمرهم أو يشاركونهم فيما يصنعون . ولا أدري إلى  
هذه الساعة كيف سكن هذه الغرفة ؛ فما كان يعطي  
الشيخ شيئاً ، وكان الشيخ يستنكف أن يؤجر  
بيته أو بعضه . وكان هذا الرجل يصنع أضرار

نشأت في بيت لم أكن أجد فيه من يكلمني  
لا لقلة في أهله ، ولا لبكم بعقد السنهم ، بل لأن  
مشاغلهم كانت تصرفهم عني . فهذه جدتي  
— لأبي — كانت لا تفارق السجادة — أو الفرو  
على الأصح — وفي يدها السبحة التي لا أذكر أن  
الخييط الذي ينظم حباتها انقطع ، وشفاتها لا تكفان  
عن الحركة والتمتمة بما لا أعرف من الأدعية والصلوات  
على النبي . وما أكثر — وأطول — ما كنت أقعد أمامها  
محدقاً في هاتين الشفتين الدائبتين دؤوب الليل والنهار .

وكانت ربما التفتت إلى فتبسم وتدينني منها وتمسح  
لي رأسي ثم تبسط يديها بالدعاء إلى الله بصوت يبريه  
الضعف وتبعده الحسرة ويهدجه الألم والأسف لما صرنا  
إليه بعد وفاة أبي . ثم تربت على كتفي وتميل على وجهي  
الصغير بفمها الأدرد وتقبلي فتخرج شفاتها صوتاً  
كهذا : « مق » . وتلك أمي لا تزال مصروفة عنا بشئون  
البيت من طبخ وغسل وكنس ونفض ، ومن حمام  
تسقيه وتطعمه ودجاجات لا تنفك تجس حوصلاتها ،  
أو تصبمها لترى فيها أم ليس فيها بيض ، أو تنف  
ريشها . وكثيراً ما كنت أقف أنظر إليها وهي  
تتناول فراخ الحمام وترققها أي تمج في مناقيرها  
الماء والحب . ولا آخر لعمل السيدة في البيت .  
ولم يكن لنا في ذلك الوقت خادمة ؛ وكانت أمي تنهض



الطرايش ؛ فكان يطيب لي أن أجلس إليه  
ألاحظه وأحادثه ، أو أستمع إلى حديثه وقصصه ؛  
وكان يحادثني كأني رجل كبير لا طفل صغير ، وكان  
يبرم خيوط الحرير المصبوغة ويفتلها ويعد أطرافها  
ويجمع كل بضعة خيوط معاً ثم يثنى ويربطها ، ثم  
يدقها على قلب من القوالب التي تتخذ لكي  
الطرايش . وكانت لهذه الخيوط رائحة لا أزال  
أذكرها ، وإنى لأجدها الآن في أنفي وأنا أكتب  
ذلك . وقد علمني صناعته فكان يدع لي الخيوط  
فأفتلها وأرتبها وأعد أطرافها وأفل مثل ما أراه  
يفعل بالمدق على القالب . ثم يعود إلى فينظر فيما  
صنعت ويصلح لي أخطائي أو يثنى على حذقي . وكان  
يكل إلي ذلك كلما قام لأعداد طعامه أو خرج  
لشرائه . وفي وسمي أن أقول بلا مبالغة أني قلما  
تمشيت إلا معه ؛ فكانت أصعد فأجىء بطماي  
وأضيفه إلى ما عنده ، فناكل معاً . ولكني لم  
أكن أصنع هذا إلا إذا كان عندنا طعام يليق أن  
يقدم إلى غريب ؛ أما إذا كان فولاً أو عدساً أو ما هو  
من هذا القبيل فقد كنت أخرج فأشتري زيتونات  
وشيثاً من الجبن « والحلاوة الطحينية » وأعود بها  
إليه فيؤنبنى على فماتي وينهاني عن العود إلى ذلك ،  
فأصارحه بأن طعامنا اللينة فول أو عدس وأنى  
لا أحبه ، فكان يحدث أن يقول لي إنه يحب هذا  
الطعام ويرجو مني أن أصعد وأجيئه بشيء منه  
فأستغرب ولكني أطيع . فلا عجب إذا كنت قد  
أحببته وألفته . ولم يكن أغرب من هذه الصداقة  
بين رجل جاوز الأربعين وطفل في التاسعة من  
عمره . وقد ألفني كما ألفته وتعلق بي كما تعلق به ،  
فكان يناديني إذا أبطأت عليه فأستبطن النزول على

الدرج وأركب الدرازين لأن الترحاق عليه أسرع  
وكانت له بذت أخت تزوره من حين إلى حين .  
رأيتها أول مرة في ليلة شتوية كثيرة المطر شديدة  
البرد ، وكنت ألب في الحارة ، فلما أخذ المطر ينهمر  
فجأة ذهبت أعدو إلى البيت . ولحيت وأنا أجرى  
ضوءاً في غرفة صديقي فاشتبهت أن أخبره أن السماء  
تطر وأن الريح تمصف . ودخلت الغرفة ثم وقفت  
على العتبة فما رأيت المصباح المألوف وإنما رأيت ناراً  
موقدة ؛ وكانت ألسنة اللهب عالية فرأيت أول  
مارأيت كفاً بدت لي كأنها - ولسان النار من  
ورائها - مرجان شفاف . وطالعتي محيا فتاة  
صغيرة على هذا الضوء المضطرب فرأيت شمراً  
أسود يتوهج هنا وهناك ، وضفيري في طرفيهما  
خيوط من الصوف نسج عليها الشعر استراحتا  
على جانبي الصدر ، وأنفا في عرينيه نتوء قليل وفي  
مارنه لين وفي أرنبته انثناء إلى فوق ، وعينين  
ضيقتين طويلتين مائلتين بعض الميل ؛ وكانت الحدقتان  
تلمعان كأنهما تطلان من شقين وفي نظرتيهما من  
وراء الأهداب الوطفاء معاني الرضى التام والسكون  
العميق والاعتباط الذي لا سبيل إلى العبارة عنه .  
وكانت هذه المعاني على الفم أيضاً ، وكانت الشفتان  
رفيقتين وفي العليا منهما ثلثة بينة وهنة دقيقة ثابتة  
في وسطها ، وكانت عليهما ابتسامة أبلغ في العبارة  
عن السرور من الضحك المججل ، وكان خط  
الشفقتين موازياً ليل العينين ؛ وقد خيل لي وأنا أنظر  
إلى هذه الابتسامة المرتسمة على الشفتين المتلاصقتين  
كأنهما هي معلقة على ما تفضن على جانبي الفم ؛  
وكانت صحيفة الوجه عريضة عند الوجنتين ولكنها  
تنتهي بذقن دقيق . وفي الديباجة حسن وفي الحدين

كانت لطيفتها هادئة وحالها بادي الوثاقة كما ينبغي أن تكون الحياة

وكنيت أسألها أحياناً وأنا لا أجدر كلاماً أقوله لها غير ذلك: «هل تلعبين الجبل؟» .. ولا أصغى الى جوابها بل أروح أفكر في جمالها وأعجب له . وأسأل نفسي مستغرباً: «ما ذا وراء هذه العيب يا ترى؟ لماذا أراها سعيدة دائماً بلا سبب أعرفه؟» وأستهي أن أسألها عن ذلك ، ولكنني آنس من نفسي حيناً فأسكت

ومضت الأيام وتماقبت السنون وكبرت وعرفت الأدب والقراءة ، فصار كل ما أقرأه عن الحب في شعر الشعراء وفي وصف الروائيين يدور حول ذكرياتي القليلة منها ، وابتسامتها الساكنة ووجهها الجميل وسعادتها الهادئة . وكان زملائي في المدارس يذكرون مغامراتهم ويتحدثون بها ويباهون ، وكنيت أنا أسمع وأسكت وأتمزى بأن هذا الذي يلهجون به ليس من الحب في قليل أو كثير ، وأقول لنفسي إنني أعرف ما لا يعرفون — وأعرف ما أعرف بالتجربة . ومع ذلك لم يخل هذا الصدر من أيام مما يسمونه المغامرات ولكنها لم تكن كثيرة أو باعثة على الرضى . بل كانت على النقيض سبباً في السخط على نفسي واحتقارها فكأليت لأنصرفن عن هذا العبث . وأقيت على الدرس والتحصيل ، واشتغلت بالشؤون العامة فصرت أحضر جمعيات الخطابة . بل ألفت مع إخوان لي جمعية للخطابة ؛ وعزيت بقراءة الصحف فكنت على صغري أقرأ كل يوم ثلاث جرائد سياسية ، وكنا جميعاً من أنصار مصطفى كامل وعشاقه في ذلك الزمان

ري وأسالة وبضاعة ، أما العنق فطويل مستدير ، وأما الذراعان — وكانا معتمدين على الركبتين — فمستدقان

وقفت أحدى في هذا الوجه الذي أضاءته لي النار المضطربة الخفاقة اللعنان ؛ وخيل إلى وأنا أنظر أني لم أرقط أجمل ولا أبرع من هذا الحسن . وراعى على الخصوص ما على الوجه من آيات السرور الباطن ، فالفيتني أتساءل : ما ذا ترى يسرها وهي قاعدة وحدها تدفأ .. ومن أين جاءت يا ترى هذه السعادة التي تومض بها عيناها وتثني بها هاتان الشفتان الصامتان ... وأحسست أن أنفاسي أسرع وأن الدموع تجول في عيني ، فقد كانت الفتاة جميلة وكانت الروعة قد غمرت صدري — بل ملأ قلبي الخوف كأنما أنا أشهد الحياة نفسها لا إنساناً فانياً مثلي . وارتفع لسان النار فجأة وخفق ضوءها على محياها البتسم ، فخيّل إلى أن الدم يجري كالجنون تحت جلدها الرقيق . وكانت هي ساكنة لا تتحرك ولا تزيها ابتسامتها الهادئة المرتسمة على عينيها الضيقتين المائلتين وفيها المطبق الشفتين . نعم . كانت الحياة نفسها تنظر إلى من عينيها .. وبينيها زأيتها بعد ذلك مرة أو مرتين في نحو عام . وعلمت من صديق — خالها — أنها يتيمة وأنها تقيم مع عمها وتزور خالها أحياناً — وأكثر ما تكون الزيارة في الصباح حين أكون أنا في المدرسة ، ولكنها لا تبقى معه إلا ساعة أو بعض ساعة . وقد حاولت أن أكلها ولكنني كنت أستحي أن أطيل الوقوف معها أو الجلوس إليها ، وكانت هي تحديق في وجهي ولا تطرف حين تكلمني ولا أذكر ماذا كانت تقول ، وإنما أذكر كيف



— فحمد الدم في عروقي ، فقد تذكرت المسدس فجأة ، ولم أستطع من فرط الجزع أن أدعو الله أن ينقذني ، وكان الاعداء عقوبة من يحمل سلاحا كهذا بلا ترخيص — أو هكذا أعلنوا — ولكن الله سلم فرد الرجل الدرج ، وكان زملاؤه قد عادوا خفا وانصرف وهو يتسم ، ولعله كان يمتدح أن تكليفه تفتيش هذا البيت سخافة مطبقة

وما كادوا يذهبون حتى أسرع إلى المسدس فقدفت به في بستان مجاور لبيتنا وتشهدت . ولم أطق البقاء في البيت بعد ذلك من فرط الاضطراب فخرجت أتمشى على غير هدى ، وإذا بي في بعض الطريق — طريق حدائق القبة — ألتقي بفتاتي القديمة ... عرفتني على الرغم من طول الزمن ... وعرفتني هي كذلك ولم تنكرني ، فصحت بها كالأبله « تفيدة ... أنت ... »

فابتسمت لي ابتسامتها القديمة الهادئة ولم ترد ، فقلت لها « من أين وإلى أين » قالت « إلى البيت » فشيت معها إليه . وكان شقة في عمارة عند « المحمدى » فدعيتني ، إلى الدخول فلم أتردد ، فانا صديقان قديمان . ولم أرف في بيتها غيرها فلم استغرب فانها بتيمة ، ولكنني لم أعرف من أين جاءت بهذا الأثاث الحسن وإن كان قليلا وعلى قدر الحاجة . واتفقت معها على يوم نخرج فيه للتنزه في القناطر أو حديقة الحيوانات فهزت رأسها أن نعم فتركها ولم أسألها عن حالها وكيف تعيش

والتقينا في الموعد المضروب ، وكان النساء يتقنن في ذلك الوقت ولا يخرجن إلا في الندرة القليلة بوجوههن سافرة ، فركبنا عربة يجرها جوادان هزيلان ومضينا إلى حديقة الحيوانات ،

ثم جاءت الحرب العظمى فشغلنا بأنبائها ، وبالاختلاف على نتائجها المحتملة وبالخوف على أنفسنا من الجواسيس والاعتقالات التي كنا لانا منها ، ولا نستطيع أن نعرف الطريق إلى اتقاها ، ولكن يوما من أيام تلك الحرب أذكره ولا أنساه . وكان لي صديق داره قريبة من داري ولم يكن معه أحد في بيته ، وكان السهر محرما بعد الساعة التاسعة ، فكنت أفضي عنده السهرة في الأغلب ولا سيما في الصيف فأراني يوما مسدسا ورصاصات ، فحملنا نتدرب على إطلاقها ونزى بها باب الحمام ، ولم تكن نخشى أن يسمنا أحد لأن البيت كان بعيدا عن العمار . ثم افترقنا . واتفق أن زارني بعد ذلك ونسى عندي مسدسه ولا أدري كيف كان يجتريء على خله معه . فوضعت المسدس في درج المكتب ونسيت فيه وتكدست فوقه الأوراق على الأيام . فحدث يوما أن جاءني صديق وثيق الصلة بالسلطة العسكرية ، وأخبرني أن يبقى سيفتش الليلة ، فشكرته ولم أعر الأمر أكثرانا لأنه ليس في بيتي ما أخشى على نفسي منه . فلما كان العشاء جاء ضابط انجليزى ومعه من المصريين ضباط وجنود ، فدخلوا المكتب أول ما دخلوا ، ورأى الانجليزى الكتب الكثيرة على رفوفها ، فأقبل عليها يتأملها ، فألفاها كلها كتب أدب ، فحمل يلقها وينظر إلى ، ثم سألني عن عملي فقلت « مدرس » فاطمان واعتقد مما رأى أنى رجل مأمون الجانب وأرسل المصريين يفتشون بقية البيت ووقف هو معي في غرفة المكتب ، ثم دنا من المكتب وجعل يقلب ما عليه من الأوراق المنتشرة بغير احتفال ، ثم فتح درجا وألقى عليه نظرة ثم رده وشهد الدرج الثاني — ولم تكن الأدراج مفاتيح

والأيام ما أقنعني أنها ليست الفتاة التي أحببتها في صغري وإنما لأكثر ولا أقل من امرأة كغيرها من النساء . ولا أدري الآن وأنا أكتب هذه السطور أى شيء كنت أحسبها قبل أن أتبين أنها ليست سوى امرأة ، ولكن الذي أدريه أنى ظلمات أحبها على الرغم من ذلك وأنى جمعات أحاول أن أقنع نفسي بأنها كما كنت أنصورها — على الأقل في حقيقةها الكامنة ، ولكن حين أقدم لها تغير فلم يعد فيه تعلق بخيال بل صار حباً لامرأة معينة . وليس في هذا ما يدعو إلى العجب فإن الرجل يحب المرأة لأنها امرأة ، ولأن فيها من بواثب الأغراء ما يكفى لإثارة الرغبة فيها والتعلق بها ، ولكن هذا شيء لم أكن قد تعلمته في تلك الأيام فرزقني الله في شخص « تقييدة » معلماً لا يفتر ولا يتردد ولا يترفق بالمثل العليا وصور الكمال وغير ذلك من الأفلاطونيات السخيفة . وكان أول ما تعلمته — أو من أول ذلك — أن من الممكن أن يحب الرجل حباً عميقاً طاغياً امرأة لا يحترمها ولا يرى لها ضربة ولا ينطوى لها على إكبار أو مودة أو صداقة ، ولا يستطيع أن يتفاهم معها ويشركها في نفسه وخواطره وآماله وخوافه وعواطفه .. امرأة لا يرى فيها إلا أنثى منحلة .. بل امرأة يشعر بالشقاء وهو إلى جانبها وبالملل والضجر من قربها وحديثها .. نعم تعلمت ذلك .. وكان هذا لما تعلمته شيئاً فشيئاً يبدو لي مدهشاً ويخيل إلى أن الحال فيه مقلوب والآية معكوسة ، ولكني الآن أضحك من نفسي وأسألتها : ولم لا يعشق الرجل بالله امرأة كهذه ؟ .. وأين تراني كنت أعيش يومئذ فلم أر أن كثيرين من الرجال يعشقون نساء ليست لهن أية مزية ..

وجاسياً على دكة منعزلة ، وقضينا أكثر الوقت صامتين ، ثم فتحت في حديثها عن الزمن الماضي وحبني الصبياني لها وكيف طال عمر الحب وامتد إلى الحاضر فلم ترد على أن تبسمت — كمعادتها — وقالت « لا أدري لماذا أرى الناس يجنون بي » فأحسست أن لوحاً كبيراً من الثلج يوضع على قلبي . . . الناس يجنون بها . . . الناس . . . إذن هناك مجنون . . . أو مجانين بها غيري . . . ودار رأسي وذهبت أسائل نفسي عنها كيف تعيش . . . ولم يخطر هذا من قبل ولكنه خطر الآن . . . نعم كيف تعيش هذه التي يجن بها الناس . . . وأين وكيف ترى هؤلاء المجانين كلهم . . . لابد أنهم كثير . . . فمن أين يجيئون : . . . إني أنا صديق صباها فلا عجب إذا كنت أعرفها . . . ولكن غيري . . .

وقطع على هذه الخواطر المزجة سوداني في ثياب الردنجوت . وكان كهلاً ولكنه يمشي معتدل القامة كالرمح فدنا منها وحيها باسمها وسألها عن حالها وعينه تومض ، فردت عليه برزانة وسكون ومن غير أن تفارقها ابتسامتها المطبوعة ؛ ولم يطل الوقوف ففضي عنا وقد عرفت منها أنه ضابط في الجيش وأنه الآن فيما يسمى الاستيداع وإن بيته في العباسية — قرب « الحمدي » فلم أقل شيئاً ولكني قلق — أو على الأصح زدت قلقاً وصرت أناجي نفسي بأن لمسل هذه طريقة حياتها . . .

وتعددت المقابلات بيننا والخروج إلى الحدائق العامة وكنت أعود بها إلى بيتها في الليل فتدعوني إلى مقام قليل فألبي ونذهب نتحدث كأننا رجلان لا رجل وامرأة ؛ فرأيت منها شيئاً فشيئاً وعلى



وأنها لا تصلح لي ولا أصلح لها لأنها لا تفهمني  
ولا أنا أيضاً مع الأسف أستطيع أن أفهم هذه  
الطبيعة المسادية التي يكون فيها الجمال ستاراً لكل  
ما هو منحط ...

وكانت تدعوني كل ليلة الى دخول بيتها حين  
تمود إليه ، وكنت ألبى في بعض الأحيان فأقعد معها  
كالصنم من شدة الكبح فلا تلبث أن تتشاءب  
فأقوم وأنصرف فلا تمنى بأن ترافقني الى الباب  
فيسوءني ذلك ولكني أراجع نفسي وأقول أنه ليس  
بيننا كلمة فأننا صديقان قديمان . فقالت لي ليلة وقد  
دوننا من البيت : « لا تفضب إذا لم أدعك الى  
الدخول » فسألتها بوقاحة : « هل هناك غيري ؟ »  
فلم يسؤها ذلك ولم يظهر عليها الامتعاض منه ،  
وقالت بابتسامتها الهادئة : « يخيل الى أنك لا تحب  
الوجود معي في البيت ... شاعر ... تحب الرياض  
والدساتين والماء والسماء والنجوم ... أليس  
كذلك ؟ » فضحكت وإن كنت لم يفتني ما في  
كلامها من التهمك والزراية وحدثت نفسي أن هذه  
دعوة صريحة لا يلبق أن أغضى عنها مخافة أن  
يودي الاعضاء الى القطيعة والجفوة .. وكانت هذه  
مغالطة مني لنفسي فقد كنت أنا أريد ذلك ولكني  
كنت أصرف عنه نفسي وأفطمعها بجهدٍ فقلت :  
لها : « بل سأدخل الليلة - إذا سمحت بالطبع -  
وسترين أنني أحب بيتك كما أحبك ... وإنني آنس  
بك فيه أنسى بك في الرياض وفي الزورق السابح  
على وجه الماء ... »

قالت : « صحيح ... »

وأحدثت من فبرة صوتها أنها ارتاحت الى  
كلامي وأنها استقرت في الوقت نفسه .

نساء هن في الحقيقة كوم عظيم من صنوف  
الانحطاط ... ونساء يحبين رجالاً ساقطين منحطين  
لا يساوي الواحد منهم ملء أذنه نخالة ... ولكني  
كنت في ذلك الوقت أعتقد أن الحب شيء سام  
جداً وأنه سساوي لا ينبغي أن يخالطه إلا الاعجاب  
والعبادة

وكانت كل لحظة أقضيها مع تفيذة تزيدني إيقاناً  
بأنها عاجزة عن السمو بنفسها الى المرتبة التي وضعها  
فيها في حدائتي ، وكان يزجني وينغص عيشي ويسود  
الذبا في عيني هذا التباين بين الواقع والصورة  
القديمة التي احتفظت لها بها في نفسي ... وتغير  
حيي لها كما قات واشتهيتها وصبوت إليها ولكن  
هذا التحول لم يعفني من التنقيص والمذاب . وقد  
كنت أخجل مما صرت أحسه لها وأعنف نفسي  
على ذلك وأزجرها عنه . وكانت هي ترى ضيطي  
لنفسي ورياضتها لها على العفة وتعلقى بخيالاتي  
وسخافاتي وأوهامي فتمتمض وتظهر لي التأفف  
والتهرم ولا تكتمني الضجر الذي يثيره حديثي ولها  
المذر فقد كنت أرتفع بالكلام عن طبقتها وأزكها  
على الأرض واذهب أحلق في أجواء لا تستطيع  
أن نذهب ورأى فيها . وكنت أنشدها ما أقوله  
فيها من الشعر فيسرهما أنها وجدت شاعراً يحبها  
كل هذا الحب ويتغنى باسمها وأن يقرأ الناس  
ما يقوله فيها وما يصف به وجده لها ، ولماها  
كانت ترى في هذا إعلاناً ... ولكنها لم تكن  
تفهم ما أنظم أو تقدره ؛ وكثيراً ما كانت تمط  
شفيتها ساخرة . ويا زعما قالت لي : « ألا تستطيع  
أن تقول كلاماً حسناً ؟ » فأهز رأسي وأقول لنفسي  
إنني وقعت وقعة سوداء وأنني يجب أن أصدغنها

ودخلنا وأغلقت الباب وراءها كما دأبت فلم  
أهلها بل طوقتها بذراعي في الدهليز وقبلتها .. على  
خدها فأدارت وجهها ومنحتني فمها ..

وكنيت أسخط على نفسي بمد كل ليلة وأرميها  
- نفسي - بالانحطاط ، ولكنني ألقت ذلك فصار  
الامر عادة كالتدخين وغيره مما يمتاده المرء ويتأفف  
منه ويود لو كب عنه مع ذلك ولا يكلف نفسه  
جهد المقاومة وعناءها . وبقينا هكذا زمناً غير قصير  
وعرفت أن لها أصدقاء غير قليلين فقد كنا نقيم  
في الطريق فيومثون اليها بالسلام فتبتسم لهم ولكنهم  
كانوا لا يدنون منها ولا يكلمونها كما فعل الضابط  
السوداني في حديقة الحيوان . ولم أكن أعياً بذلك  
فقد كنت أرى أنني منفرد بها وإن كنت لا أعلم  
ماذا تصنع في غيابي ، فما كان يسعني أن أظل معها  
كل ساعة . وكنيت أروض نفسي على الاطمئنان  
والثقة لحاجتي إليهما لا لأني واجد ما يدعوني الى  
الثقة والاطمئنان . والمرء في تجربته للحياة يضطر  
الى خداع نفسه ومغالطتها في الحقائق - أو  
ما يمتد أنه الحقيقة ليستريح قليلاً . ويتصور كيف  
تكون حياة من لا يزال فأنحاً عينه متربصاً مترصداً  
ليحيط بالعيوب والمخازي ، ومن لا ينفك يستمع الى  
ما يهمس به في أذنه سوء الظن الطبيعي .. وكثيراً  
ما يكون المرء على حق في سوء ظنه . ولكن المرء  
يعرف بالتجربة أن وساوس الظنون تنفي كل راحة  
وتحيل الحياة جحيماً . ويضنيه التعب فيطلب الراحة  
ويعرف من تجربته للناس أن الناس سواسية فينتهي  
بأن يقول لنفسه إنه ليس موكلًا باصلاح الكون  
وأن الأولى به أن يريح نفسه ويمضيها من العناء الباطل .  
وماذا كان يعينني من أمرها في غيابي وأنا قد أيقنت

من زمن طويل قبل هذا أنها غير تلك التي كنت  
أحلم بها وأنها ليست إلا امرأة عادية جداً لا أكثر  
ولا أقل ... وهبني اطلمت على ما كانت تخفي عني  
فهل يزيدني هذا علماً بها ومعرفة لحقيقتها ؟ كلا ..  
ولم يكن هذا المنطق يقنعني أو يريحني ولكنني  
كان المنطق الذي اضطررت إليه وسكنت على  
رغمي . على أن الأمر لم يطل فقد جاء يوم اعتذرت  
لي فيه بأنها مسافرة فاستغربت ، فما أعرف لها من  
تسافر إليه ، ولكنني سكت ولم أقل شيئاً . ورأيتها  
بعد أيام فسألتها عن رحلتها ورجوت أن تكون  
كما أشتيها لها ، فقالت بضجر متكلف لم يخف على :  
« أوه أبداً .. كانت رحلة مملة ... إنك تعرف  
هؤلاء الفلاحين وكيف يعيشون . ليس في حياتهم  
أي تسلية »

ومضت أيام فمادت تعتذر من التخلف عن  
لقائي لأنها مدعوة في بيت صاحبة لها ، فلم أجادل  
وتركتها . وتكرر بعد ذلك الاعتذار وتوالى انقطاعها  
عني ، وكنيت أحياناً أقسم أن أهمها وأبقى أياماً  
لا أسأل عنها لأعرف أعادت أم هي لا تزال مع  
هؤلاء الذين ظهروا فجأة في حياتها ولم أسمع بهم  
مرة واحدة قبل ذلك كل هذه الشهور . وأحياناً  
كنت أضعف فأذهب إلى بيتها فتفتح لي وتلقاني  
كأنها كانت ممي قبل ساعة ولا تسألني لماذا غبت  
ولا لماذا كنت أصنع وكيف كنت أقضي الوقت .  
لا .. لا شيء من هذا على الإطلاق فأشعر بالغصة  
ولكنني أكنتم الألم ..

وقلت لها مرة وقد همت بالاعتذار من  
الاضطرار إلى إرجاء لقائي : « لماذا تكذبين علي ؟ »  
فلم أر أن حدثني أو ألقاها بالوقعة اغضبتها ،



ثم ارجع فأقول : إن المسألة ليست مسألة تعليم أو ثقافة وإن كان التعليم يهذب ، وأن هناك أميات كثيرات هن جميعاً أرفع منها وأسمى وأشرف وأعظم فطنة واحد ذكاء ، وأن العبرة بالطباع والمعامل على الفطرة ..

وانقضى النهار في هذه المواجهات أو المواجهات وأقبل الليل ومعه البرد فاحتجت أن أقوم وأن أتمشى لأشعر بالدفء فرحت أتمشى في الحارة وبيدي على يديها وأنا في حيازة الظلام فسمعت بعد قليل صوت باب يفتح ويفلق فدنوت على أطراف أصابعي فإذا هو بابها وإذا الخارج منه هو الضابط السوداني وكاد يختفي في الظلام ، ولكن الباب فتح مرة أخرى وخرج منه صوت كهذا « هسسسس » فوقف الرجل وتلفت ثم كر راجعاً ووقف أمام الباب ، وكنت على مسافة مترين منه فأدبرت ظهري إليه ولويت عنقي لأكون أقدر على السماع فسمعتها تقول له :

« الساعة الثالثة تماماً . فاني أخشى أن يجيء ذلك الثقيل للسؤال عني .. »  
فشيت ولم أقف لأسمع رده  
إبراهيم عبد القادر المازني

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

وكأني كنت أحييها وأثنى عليها فقالت : « إنك ظريف » ظريف ... أهذا ما يجيب به حين اتهمها بالكذب وأرمي باللفظ الجارح في وجهها ..

وكنا قد دخلنا في الشتاء وكنت أعرف أنها لا تحب أن تكون في غير يديها بعد العشاء على الأكثر ، فذهبت إلى قهوة قريبة من مدخل الحارة وقعدت عليها من الظهر لأرى ما يكون . وانحدرت الشمس وأنا لا أرى شيئاً ؛ نعم رأيت ناساً كثيرين راكبين أو ماشين وباعة متجولين ومركبات الخيل ولكنني لم أرها تدخل أو تخرج . وكانت نفسي لا تفتأ تنازعني أن أنهض منصرفاً وكنت أحدثها بأن من السخافة والحماقة أن أتعيب نفسي بهذه الجلسة المضنية لأعرف ما أعرف . وهل في الأمر سر ... أليست قد ملتني ونبت بي وجفتني واعتاضت مني سواي كأنما من كان هذا السوي .. وما حاجتي إلى علم ما أعلم ... ولماذا أحقر نفسي وأمرغ وجهي في التراب وأضعه عند قدمي امرأة سوء كهذه .. وأهم بالنهوض ولكنني أحس كأني قد سموت إلى الكرسي أو لصقت به ، ويتجسد وهي حتى لا تلتفت كأنما أريد أن أرى المنامير أو الغراء أو غير ذلك مما ربطني بالكرسي وألزمه فأنما لا أقدر أن أنهض عنه ، ويضحكني أمرى أحياناً ثم تغلبني السكابة والحزن — على نفسي وعليها — ثم أراني غضبت وثرث وهاجت نذمتي على هذه المستهجرة التي لا تبالى ولا تدرك ثم أراجع نفسي فأسألها : « ماذا تريدن منها أن تبالى ؟ أمن العدل أن أطلبها — أو أتوقع منها — أن تحفل باللاتدرك ... » واستسخرت من نفسي أن أروح أنتظر من هذه العامية — على الرغم من أنها تعلمت شيئاً — أن ترتفع بنفسها إلى حيث ارتفعت أنا ،





فتألفوا إلى سماع الخبر ، وأبت العمه ذلك عليهم ، فما زالوا بها حتى رضيت في آخر الأمر : « كثيرًا ما سمعتموني أحدث عن أسرة سائيز ، وقد انقضت اليوم جميعًا ، ولقد عرفت الثلاثة الرجال الآخر من هذا البيت ، والثلاثة ماتوا ميتة واحدة وهذه شعرات الأخير ، وكان في الثالثة عشرة من عمره حين انتحر من أجل . لقد يبدو لكم الخبر غريبًا ، أليس كذلك ؟ »

آه . لقد كانوا معشرًا عجيبًا من المجانين ، إن شئتم هذه التسمية ، ولكن مجانين ظرفاء ، مجانين غرام . فهم جميعًا — أبًا عن جد — أصحاب عواطف عارمة جامحة ، تدفعهم من كيانهم كله دوافع قوية إلى أبعد السباحات وإلى التفاني وفرط التعمس ، بل تذهب بهم إلى حد ارتكاب الجرائم ؛ وهذا منهم بمقام فرط التدين في بمض النفوس . وشنتان في الطيبة والمزاج بين أهل العبادة وبين رواد المجالس أزيار النساء . وكان يتردد في أوساطهم وبين ذوي رحمتهم قولهم : « عاشق عشق بنى سائيز » ، وحسبك أن تراهم فتجد هذا على سبيلهم . فكلهم شعره ذو خصل منسدلة على الجبين ولحيته جمدة وعيناه واسمتان ينفذ شمعاهما في نفسك فيبلاك ويشغل خاطرك دون أن تعرف لذلك سببًا وكان جد الفلام — الذي رأيتم في أصبعي تذكاره الوحيد — له مقامرات عدة ومبارزات وسبي واستباحة للحريم . وقد هام بعدها وهو في نحو الخامسة والستين بأبنة مؤاجر ضياعه . وإلى لأذكرها . وكانت شقراء شاحبة اللون ، حسنة السميت والشاردة ، تتسكلم منتددة وفي صوتها لين وترطيب ، ونظرتها جلوه غاية في الحلاوة كأنها نظرة العذراء في صور الرسامين . فأخذها السيد الكهل عنده ، وسرعان ما أصبح متيا بها لا يطبق البمسد عنها لحظة . وكانت ابنته وامرأة ابنه

المقيمتان في القصر تجدان الأمر طبيعياً لطول ما قر الحب في تقاليد الأسرة . فالوضوح ما دام محوره المشق فليس فيه ما تنكرانه وتمتجهان منه . وإذا دار الحديث أمامهما عن هوى قامت الموانع دون قضاء لباياته ، أو عاشقين فسند ما بينهما أو وقائع الانتقام من الخيانة أو نقض العهد ، قالتا معاً في لهجة شجية : « له الله ! أو (لها الله ! ) لشد ما قد تألم ولا ريب حتى بلغ الأمر هذا المبالغ » ثم لم تزيدا على ذلك . وإنهما لفرقان لما آسى الحب ، ولا تنقمان قط على أصحابها ولو أجرهما

إلا أنه في ذات خريف كان بين المدعوبين للصيد شاب في عنفوان الشباب ، هو المسيو دي جراديل قاخطف الفتاة . وظل المسيو سائيز هادئاً كأن لم يحدث شيء . وإذا هم يصبحون ذات يوم فيجدونه مشنوقاً بمرقد الكلاب وهي حوله وقد مات ابنه مثل هذه الميتة في فندق بياريس في أثناء رحلته سنة ١٨٤١ ، على أثر خيانة إحدى مغنيات الأوبرا له . وترك بعده ولداً في الثانية عشرة وأرملة هي أخت أمي . وجاءت السيدة ومعهما الصغير للمقام عندنا بأرضنا في بريتون . وكنت وقتئذ قد بلغت سبعة عشر ربيعاً — ولا يسعكم أن تتصوروا كيف كان هذا الصغير سائيز مدهشاً باكر النضوج قبل الأوان . وإنه ليخيل إلى المرء أن جميع ملكات أسلافه من رقة عاطفة وسباحات نفس جائشة قد اجتمعت فيه ونزلت به ، بهذا العقب الأخير . وكان على الدوام حالماً يتمشى وحيداً ساعات كاملة في ممشي رحيب بين أشجار الدردار ممتد من القصر إلى الغابة . وكنت أقرب من نافذتي هذا الصبي الرقيق الوجدان وهو يسير وقور الخطى ويداه خلف ظهره مطرقاً إلى الأرض ، وأحياناً يتوقف ويرفع طرفه كأنه يرى ويدرك ويحس أشياء ليست لمن كان في سنه







نخيل إلى أنى رأيت ما رأيت كله في هذيان حلم  
فطبيع . فغمغمت : « وهو ، هو ، جونتران ؟ » .  
فلم يجبنى أحد . إنها الحقيقة  
ولم أجرؤ على طلب رؤيته . وطلبت إليهم خصلة  
طويلة من شعره الأشقر . وهذى ... هذى ... هي ...  
ومدت العانس يدها الراجفة بحركة القائط  
القطوع الرجا وأخرجت منديلها ومخاط مرات  
ومسحت عينها الدامعتين واستأنفت تقول :  
« ونقضت الخطوبة دون إبداء السبب ... وبقيت ...  
بقيت طوال العمر ... أرملة ... أرملة هذا الصبي  
ابن الثلاثة عشر ربيعاً » . ثم مال رأسها على صدرها  
وبكت طويلاً بدموع الذكرى  
ولما انصرف المدعوون إلى حجراتهم للرقاد ،  
مال صياد غليظ الجسم قد أفسدت عليه الحكاية صفوه  
إلى أذن جاره هامساً : ألا ترى رقة الوجدان إلى  
هذا الحد بلاء وشتر بلاء ! عبد الرحمن صرقي

طولا -- ودعاني باسمي ، اسمي الأول ، « جنشيف ! »  
بنغمة حلوة جميلة رقيقة شماتتى منها قشعريرة سرت  
من فرعى إلى أخمص قدمي

-- فغمغمت : « لارجع ، لارجع إلى الدار » . فلم ينس  
بكلمة وسار في إثرى ، فلما هممنا بصعود درج السلم  
استوقفنى : « أتعرفين ، إذا هجرتنى فأنى قاتل نفسى »  
فعلت هذه المرة أننى تماديت حيث لا يجب  
التمادى وتكلفت معه التحفظ . ولما أن كتب ذات  
يوم يمتب على أحيته : « أنت اليوم أكبر من عبث  
المزاح وأصغر من جد الحب . وإنى فى الانتظار » .  
وحسبتنى بهذا قد أبرأت ذمتى

وفى الخريف عهدوا به إلى مدرسة داخلية .  
فلما عاد فى الصيف التالى كنت مخطوبة . فأدرك الأمر  
فى الحال ، والتزم مدى ثمانية أيام هيئة المفكر الفارق فى  
التفكير . فأهمنى ذلك وساورنى منه قلق شديد

وفى صبيحة اليوم التاسع استيقظت من نوى  
فوقعت عيناى على رقعة صغيرة مرسوسة من تحت  
الباب . ففتناوتها وفتحتها وقرأت فيها : « لقد  
هجرتنى ، وأنت تعلمين ما قلته لك . لقد قضيت  
فى بالوت . وإنى لأحب ألا يعثر بى أحد غيرك ،  
فتعالى إلى الروض فى نفس الموضع الذى قلت لك  
فيه أنى أهواك وتطلبنى فى الفضاء »

فكدت أن أجن . وأمرعت بارتداء ثيابى  
وهرولت على عجل أجرى وأجرى وأكاد أتساقط  
إعياء إلى المسكان المعين . وإذا قبعته الصغيرة المدرسية  
ملقاة على الأرض فى الوحل ، فقد كانت الليلة  
مطيرة . ورفعت طرفى فأبصرت شيئاً معلقاً يترجع  
بين الورق ، وكان يوم ريح ، ريح شديدة

ولا أدرى بعد ذلك ما صنعت . لقد صرخت  
أول الأمر ولا زيب ، ولما نى سقطت بعدها مغشياً  
على ، ثم عدت هائمة على وجهى إلى القصر .  
وثبت إلى الرشد فى فراشى وأمى إلى جانبي

# اليسير في الحب

للكاتب الفرنسي بلزاك بقلم الاستاذ محمود الخفيف

وكان أنجلو فقير الحال ؛ ولقد ذاق هذا النحات الفذ آلام الفاقة ، وخبر شقاء العيش ، وأدرك مبلغ ما يضعه الفقر في طريق الحياة من صماب وعوائق ؛ عاش عيشة ضنكا ، يقنع باليسير من الطعام ، ويحجل من إعوازه وإملاقه ، ولا يستغل مواهبه إلا في أشد حالات اليأس ؛ وكما كان يود أن تتاح له الحياة الهادئة الساكنة التي بعدها أحسن حياة لهؤلاء الذين تمتلئ رؤوسهم .

أنى ذلك الايطالى الحبي ذات يوم إلى الحاشية في أحسن حاله ؛ ولقد عقد حياء الشباب لسانه كما حال سوء طالعته دون أن يسأل الملك أجز عمله . ولما رأى الملك من هندامه ما رأى ظنه رافها ناعما لا يعوزه شئ . ولقد اعتاد رجال الحاشية كما اعتادت الأوانس أن يظهروا إعجابهم بسحر بنانه ، كما كانوا يمجنون بشخصه . ولكنه مع ذلك كان لا يصل إلى يده شئ من المال .

وكان الجميع ، وعلى الأخص النساء ، برونه غنيا بما وهبته الطبيعة من سمات الجمال . من أجل ذلك حسبوه بشبابه وشعره الطويل الفاحم وعينييه اللامعتين من ذوى الثراء ؛ ولم يخطر لهم الكسب في بال ، بينما هم يفكرون في تلك الأشياء وفيما وراءها . ولقد كانوا في زعمهم محقين ، إذ طالما أتاحت مثل هانيك الصفات للكثيرين من سفلة الحاشية أن

عندما اعتزم الملك هنرى الثامن تزيين قلعة « امبواز » ، جاب إلى تلك القلعة عدداً من مهرة الصناع ، فن مشاهير النحاتين إلى أساطين النقش والزخرفة إلى غير هؤلاء وهؤلاء من أعظم الفنانين ورجال المهارة ؛ ولقد زين هؤلاء ردهات القلعة بآيات فنونهم . بيد أن الإهمال قد شوه ما أبدعت أيديهم من زمان بعيد .

وكان ذلك العمل يومئذ حديث الحاشية وشغلها إذ كان الملك كما هو معروف ، يهتم بأن يرى بنفسه مبلغ ما تجود به قرائح هؤلاء الرجال .

وكان بين هؤلاء الفنانين شاب إيطالى يدعى أنجلو كابارا ؛ وهو رجل مشهور المقام ، وثيق الكفاءة ، حتى لقد كان على الرغم من حداثة سنه يبدأ أقرانه جميعاً في النحت والحفر . ولقد دهش الناس يومئذ أن رأوا رجلاً مثله في ربيع حياته الباكر ، يصل إلى مثل ما وصل إليه من نبوغ . حقا كان ذلك عجيباً ، إذ لم يكن يبدو على محيا ذلك اليافع إلا اليسير من تلك الشعرات التي تشير في الرجال إلى اكتمال رجولتهم واستوائهم .

ملك هذا الفتى الايطالى قلوب الأوانس وشفقهن حبا ، إذ كن يرينه جيلاً ساحراً كالللم كما كن يرمقنه حزينا كاسفاً كالطائر الجليل نوى في عشه يندب موت إلفه .



ينعموا بالضياء الواسعة والمال والجاه .

وكان أنجلو على الرغم من مظهره الذي أفاضه عليه شبابه ، لا يتجاوز العشرين من سنى حياته ، ولم يك على حدائته غمرا ؛ وكان كبير الوءاء ، يمتلى رأسه بالشمر ، وفضلاً عن ذلك كان من ذوى الخيال البالغ السمو . ومع أنه كان قليل الثقة بنفسه شأنه فى ذلك شأن غيره من مساكين الناس وتمسائهم ، كان يدهش لنجاح الأغفال الجهلاء . ولقد كان يتوهم أنه قد ركب فى فطرته بمض الخطأ ، فهو نافص إما فى جسمه أو فى عقله . على أنه أسر تلك الأفكار فى نفسه ؛ كلا ! بل لقد كان يشكو حاله فى ضوء النجوم إلى الأطياف الحائمة وإلى بارى السموات ، وإلى الشيطان ، وإلى كل ما يحيط به !

كان فى مثل تلك اللحظات يرمض الألم نفسه أن حباه القدر مثل ذلك القلب المتوقد الذى ما كان يشك أن النساء يتقين قطعة الحديد المحماة ! ولكنه كان يقول فى نفسه إن هذا القلب هو الذى يعرف الحب حقاً ، فاذا ما أحب غادة فأى حب ذلك الذى كان يفيضه قلبه ! وأى إعزاز ذلك الذى كان يحيطها به طول حياته ! وأى إخلاص ذلك الذى كان يربط شخصه بشخصها ! أجل ! لو أتيح له الحب ، فانه يخدم حبيبة نفسه بكل ما يملك من عاطفة ، ويكون أبداً رهن إشارتها ، يشكر من دواعى السرور وأساليب التسلية ما يدفع به ما عساه أن يمقده لهم حولها من سحب خفيفة ، أيام يفضى السماء سواد الغمام .

كان يمتل له خياله أحياناً فتساء يجعلها مهورى فؤاده ، فيروح يلقى فى الخيال نفسه على قدميها ، ثم يضمها إليه ويطبع على وجنتيها من القبلات ماشاء له الهوى ويطوى بساعده خصرها ؛ وفى

عمله هذا من الحقيقة بقدر ما فى خيال السجين وهو يتمطى بجسده على العشب الأخضر الذى يترأى لعينه خلال قضبان سجنه ؛ وفى لحظة عناقته يطلب إليها الصفح والمغفرة ، ثم يذهله عن نفسه حدة شعوره ، فيعمم فى عناق خلياته حتى ابوشك أن يقطع عليها أنفاسها ، وينقلب على الرغم من تحشمه ووفاره جريئاً لهجاً ، فيعض بأسنانه طرف فراشه فى حدة وانفعال باحثاً عن فتاته الخيالية ؛ وهكذا يرى نفسه شجاعاً فى عزلته ، بينما تراه يستولى عليه الخجل فى غده إذا سر فى طريقه بأحدى الفتيات ! على أن تلك الأحلام الجميلة : أحلام الحب كثيراً ما كانت تحفره إلى العمل فيقبل على نهجته فيصور به وجوهاً جميلة ، ويبرز صدوراً ناهدة ، عليها من فاكهة الحب ما يتحلب لمراها ريق الناظرين ، هذا فضلاً عما كان يلد خياله من فنون الجلال وصوره . وكان النسوة يدلين بأرائهن عن تلك الآثار ومن مأخوذات بجمال مبدعها كابارا الفتى . وكان كابارا يحدجن من أعلى إلى أسفل ، وهو يقسم جهد أيمانه أن مدت إحداهن إليه أصابعها صرة ليقبلها ، ليصلن منها إلى ما تشتهى نفسه وجاءته ذات يوم إحدى أوائلك النسوة المدلات بسمو درجتهن ؛ جاءت بمفردها تسأل الشاب الايطالى ماذا ينجله ، وتستفهمه ألا تستطيع واحدة من نساء البلاط أن تجمل منه حديث بحاليس ورجل « صالونات » ، ثم دعت فى رقة وظرف الى أن يزورها فى بهوها تلك الليلة .

ورش أنجلو على جسده ماوسمه من العطور واشترى قبعة من القطيفة بطرزاها شريط مزدوج من الحرير ، كما استعار من صديق له عباءة واسمة الردينين ، وحلة تزينها الخيوط ، وسروال من الحرير ، واتخذ سبيله إلى منزل مضيقة ؛ وصعد السلم بقدمين

استخلص من تلك المقدمات بعض النتائج البهيجة السارة عقد النية على أن يطلب إليها كاهنة ساذجة ما يشتهي من حظوة ، ثم صمم أن يقتل أى شخص يعترض طريقه ؛ يقتل الزوج أو المرأة ، أو يقتل نفسه ، فذلك خير عنده من أن يسمح لأحد من أن يفوت عليه ساعة استمتاعه التى يتوخاها . حقاً لقد ذهب الحب بعقله ، وصار من جنونه أنه يعتقد أن الحياة رهان صغير فى ميدان الحب ، ما دام أن يوماً واحداً من أيامه يعدل ألف حياة !

أخذ الايطالى الصغير منحته وراح يسوى تماثيله ، ولكنه كان يفكر فيما كان من أمر تلك الليلة ، ولذلك فكّم شوه من أنوف كان يفكر فى سواها ؛ ولما فطن إلى ذلك نفّض من العمل يده ، ورش المطور على ملابسه وانطلق إلى خيلته يستمع إلى أحاديث المنيب ، وهو يؤمل أن يحول كلماتها إلى حقائق . ولكنه حينما وجد نفسه بين يدي ملكته سيطر عليه جلالها النسوى ؛ وأحس كابارا المسكين وهو ذلك الأسد فى الشارع بأنه من النعاج وهو يحجج فريسته

ولكنه على الرغم من ذلك حينما ألح عليه الرغبة لم يحجم عن تطويقها بذراعه ، ثم استجمع قوته واغتصب منها قبلة . وكان ذلك الاغتصاب مدعاة سرور لنفسه ، فمادة النساء أن يعدن فيتمسكن بحق المنع والذود عن أنفسهن إذا جدن بقبلة ، ولكنهن إذا أرغمن على منحها أو إذا سلبها لا يسمعن إلا التسليم بعدها بألف من مثلهما ؛ وذلك يفسر لنا السبب فى أن الكثيرات منهن يأبينها إلا اغتصاباً ، ولقد استطاع ذلك الايطالى أن ينال من تلك القبلات عدداً ، وخيل إليه أن الأمور سائرة كما يحب ، لولا أن صرخت تلك السيدة التى كانت من قبل ضنيئة قاتلة : « زوجى .... » . ولم يك ثمة غير الرحيل فقد عاد

خفيفتين يلمع الأمل فى مقاليته ، ولكنه لا يدري ماذا يفعل حيال قلبه ، وقد كان يثب فى صدره ويخفق فى عنف وسرعة ! كذلك كان يتساقط العرق على ظهره كانت السيدة وافرة الحظ من الجمال ، وكان كابارا لا ريب يفتن إلى ذلك ، فهو فى فنه ملم بتكوين الذراعين ، خبير بما يحمد الجسد ويبرز جماله ، عليم بما يحيط بالأنثى من سر يذبح فى جسدها السحر ، إلى غير ذلك من خفايا الجمال وخبيثاته . ولقد رأى صاحبتة ترضى بتكوينها أدق قواعد الفن ؛ وفضلاً عن فتنة ملامحها ورشاقة قوامها ، كان لها صوت تضطرب له النفس من أعماقها ، صوت يضرم جذوة القلب ، والعقل وجميع الحواس . وجملة القول لقد كانت تلك الغادة تبعث بجمالها فى خيال المرء من أطياف الحب الساحرة مالا تفكر فيه ؛ وتلك هى خاصة أولئك النسوة اللعينات !

وجدها النحات جالسة على مقعدها إلى جانب الموقد ، ومرعان ما بدأت الحديث فى يسر ، ولو أن صاحبها لم يجد لديه جواباً غير لا أو نعم . خذلته حنجورته فلم تقو على لفظ ، وخانه عقله فلم يجد بفكرة ؛ وظن يمتع نفسه بأطالة النظر إلى تلك الحسناء والاصغاء إلى صوتها ، تلك السعادة التى ما كان يحجم عن شرائها بضرب رأسه إلى جانب الموقد ؛ وكانت صاحبتة تلعب أمام عينيه كالفراشة الجيلة فى ضوء الشمس . وعند منتصف الليل غادر النحات الصغير المنزل تشبع بالسعادة نفسه ؛ ذلك أنه فى أعجابه الصامت قد ألغى نفسه وعشيقته يسلكان فى هون طريق الحب الزاهر

وفكر وهو سائر فى طريقه ، فراح يقول لنفسه : إذا سمحت سبيدة نبيلة له أن يجلس إلى جانبها هكذا أربع ساعات من الليل ، فما يظن هناك أبة صعبة فى أن تسمح له بذلك بقية الليل ، ولما



ساعتئذ ذلك السيد من لعبة التنس؛ وخرج النحات  
تشيعة غادته بنظرة حارة، إذ بوغمت ساعة نشوتها !  
وظل نصيب الفتى الإيطالى من عشيقته على  
هذا النحو لا يتغير زهاء شهر؛ لا يكاد يصل إلى  
حافة ما يريد حتى يحضر الزوج . وكان حضوره  
أبداً فى تلك اللحظة التى تقع بين المنع وبين الملاطفة  
التي تعقبه ، ويريد بها النساء أن يلفن من وقع  
إبائهن . وهن بذلك إنما يجدون الحب ويزدنه قوة  
على قوة !  
وأخيراً نفذ صبر ذلك الفتى ، فأراد ذات ليلة  
أن يختصر الطريق إلى غايته ، فتخطى إليها ضروب  
اللزلة فى جرأة وسرعة ليتم له الظفر قبل مباغتته ،  
ولكن غادته وقد قرأت فى عينيه ما انتوى  
تذكرت له بعض التنكر والتوت عليه بعض  
الاتواء ! أخذت أول الأمر تتظاهر بالغيرة لتمهد  
السبيل للطعن فى الحب وإعلان سخطها عليه ؛ ثم  
عادت فأطفت قليلاً من غضب صاحبها بندى قبلة ؛  
واستأثرت بعد ذلك بالكلام ، وراحت تؤنب  
عشيقتها وتعلن إليه أنها تحب ممن تهواه أن يكون  
خيراً وأن يظل مطيعاً لمشيئتها ، وإلا فإن تضع  
بين يديه حياتها وروحها . كما راحت تفهمه أن  
رغبته فى نيل وطره تدل على أنه ينظر إلى الحب  
نظرة وضعية فما أسرها قرباناً . ولذلك ترى  
نفسها أكثر شجاعة منه ، لأنها وقد أحبت أكثر  
مما يحبها قد ضحت أكثر مما يضحي . وكانت  
تجيب على اعتراضه بقولها : « الزم الصمت أيها  
السيد » ؛ تلقى فيها فى لهجة الملكة ومظهرها . وفى  
بعض الأحيان كانت تقابل تقريع كآبارا ولومه بنظرة  
غاضبة ، إلى أن صارحته قائلة : « إن لم ترخص نفسك  
على أن تكون كما أحب ، فلن أهبك حبى بعد اليوم »  
ورأى الإيطالى أن حبها لم يكن حباً نبيلاً ؛  
وإنما كان حباً لا يستمتع به العاشق ، كمال البخيل

لا يستمتع به وإن فاضت به خزائنه ؛ ورأى تلك  
السيدة تلهو بأن تدعه حول السياج يثب ويقفز  
هنا وهناك ويمتدح نفسه مالك كل شيء ، إلا أن  
يقرب من حديقة الحب  
بلغ من حنق كآبارا مما صار إليه أمره أن  
أصبح وحشياً لا يحجم عن قتل أى إنسان ؛ ولذلك  
جمع بعض من يثق بهم من رفاقه ، ووكل إليهم  
مهاجمة الزوج وهو فى طريقه إلى منزله ، بعد أن  
يفرغ من لعب التنس مع الملك . وانطلق إلى غادته  
فى تلك الساعة التى يحلو فيها لقاء العاشقين وتطيب  
المغازلة والمداعبة . ولقد كان حظه من ذلك وافرأ  
تلك الليلة ، لم يدع وسيلة من وسائل اللهو والازاح  
إلا أداها فى حماسة وأناقاة . أجل ، لم يحرم سوى  
تلك المتعة التى يتحاشى الكتاب عادة ذكرها ،  
لما يرونه من شناعة أمرها . واتجه انجولو إلى  
خدياته على حين غفلة قائلاً لها :  
« يا غادى الغائنة ، أتجيبيننى أكثر مما تحبين  
أى شيء ؟ »  
ولما كانت الكلمات لا تكلفها شيئاً أجابت  
قائلة : « نعم » فقال :  
— « هذا حسن ، إذن فلتكونى لى فعلاً كما  
أنت لى قولاً » فقالت له :  
— « ولكن زوجى عائد بعد برهة » فقال :  
— « أذلك هو السبب الوحيد ؟ » فقالت :  
— « نعم » فقال لها :  
— « قد وضعت فى الطريق بعض أصدقائى ،  
وسيمترضونه ولا يطلقونه حتى أغادر المنزل وأرفع  
شمعة فى هذه النافذة ؛ فإذا رفع إلى الملك شكواه  
فسيدافعون عن ذنبهم بأنهم حسبوا أنفسهم  
يمارحون صديقاً من طبقهم »  
— « آه يا عزيزى ! دعنى أنا كد من أن  
كل إنسان هنا نائم فى مضجعه »

البلاط ، يا صاحبة القلب الشقي ... إنك إذن  
تحبين وجهك أكثر مما تحبين عشيقك »  
عندئذ شاعت في وجهها الصفرة ، ورفعت  
ذلك الوجه ، وفطنت في تلك اللحظة إلى أن مكرها  
قد أفسد عليها حبها . أما أنجلو فقد خش خدّها  
بسيفه وفر هارباً من المدينة كلها . ودخل الزوج  
فألقي إمرأته وقد نال خدّها الأيسر ما فاله ، ولكنها  
لم تنبس بكلمة على الرغم مما كانت تعاني من ألم . لقد  
أحبت كابارا أكثر مما تحب الحياة نفسها ؛ ولكن  
الزوج أصر على أن يعرف من فعل هذا بإمرأته .  
وأبحه نظره إلى كابارا ، وقد حامت الشبهة حوله ،  
فرفع أمره إلى الملك ، وأمر الملك فجئ بذلك  
الاطال وسيق إلى الاعداء في « بلوا »

وفي غداة اليوم الذي عين لتنفيذ الحكم  
تقدمت سيدة نبيلة ، وقد خفرتها رغبة شديدة إلى  
محاولة انقاذ ذلك الشجاع الذي رأت فيه عاشقاً  
كافضل وأكمل ما يكون العاشق . توسلت تلك  
السيدة إلى الملك أن يهبه لها ، فقبل توسلتها في غير  
عناء . ولكن كابارا أعلن أنه لن يعرف امرأة ، ولن  
يدين لامرأة غير تلك السيدة التي تيمته . ولذلك  
رأى أن يلتحق بالكنيسة ، ومن ثم أصبح كاردينالاً  
وعالماً من كبار العلماء . واعتاد أن يقول في شيخوخته  
إنه عاش ماعاش من سنى حياته على ذكرى تلك اللذات  
التي ذاقها في ساعات زوانه ، إذ كان يلقي على  
يديه غادته أحسن ضروب المعاملة وأسوأها معاً .  
على أن هناك من يقولون إنه لم يلتحق بالكنيسة  
وأنه نجح بعد ذلك في تهيئة حياة هادئة مرضية مع  
تلك التي ملكت قلبه . ولكن لا أصدق هذا  
القول ، لأن كابارا كان رجل عاطفة يعرف حق  
المعرفة قوانين الحب المقدسة

المخفف

ثم نهضت فأمرعت إلى النافذة ورفعت يدها  
الشعلة ! ولكن كابارا لم يكدرها تفعل ذلك  
حتى وثب فاطفاها ، واستل سيفه ، وواجه  
تلك المرأة التي تبين في عينها روح الازدراء  
وخبيث النية وقال :

— لست أريد قتلك أيتها السيدة ، ولكنني  
أريد أن أشوه جمال هذا الوجه ، بحيث لا نستطيعين  
بعد ذلك أن تلعبى بأفئدة هؤلاء الفتيان الذين  
تضيعين حياتهم . لقد عملت على خديعتي بأساليب  
مخجلة ، وتبين لي أنك امرأة لا تعرف معنى الاحترام .  
يجب أن تتعلمي أن القبلة لا تنقع غلة عاشق ، وأن  
الفم الذي ذاق طعم القبلة لا ينفك يطلب ما بعدها .  
لقد كنت سبباً في شقائي ، وستظل حياتي أبداً  
بعد اليوم تمسة مظلمة ، والآن أريد أن أجعلك  
تتذكرين إلى الأبد موتى ، ذلك الموت الذي هيأت  
أنت أسبابه . سوف لا تقفين بعد ذلك أمام المرأة  
الإلترين وجهي إلى جانب وجهك »

رفع بالسيف يده ليقطع به صفحة خدّها  
النضر ، ذلك الخد الذي مازال يحمل آثار قبلاته ،  
فصاحت به المرأة قائلة : « تبأ لك من شقي ! » فقال لها :  
— « كفى عن الكلام ... لقد أخبرتنى  
أنك تحبينني أكثر مما تحبين أى شيء ، والآن  
تجيشين بحديث آخر ... ظلت ترفعينني كل  
ليلة درجة نحو السماء ، حتى رأيتك تلقينني بضربة  
واحدة في الجحيم ، وتظنين أن ثيابك تحول بينك  
وبين نعمة عاشق غاضب ... كلا ! »

وأجابت الغادة وقد استولى عليها الدهش  
لرأى ذلك العاشق الذي يلهب غضباً قائلة :

« آه ! أنجلو ! حبيب قلبي ! إني لك . »  
ولكنه تراجع إلى الوراء ثلاث خطوات ،  
وأجابها بقوله : « أيتها المرأة ... أنت يا امرأة



من الأدب الإيطالي

عليه

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

وقالت وهي تبسم في رقة وقد  
طرحته وراءها كل تهكماته :  
« أنصرف .. سالفيتي ...  
سالفيتي القانوني الشاب ؟  
إن أمه كانت هنا اليوم ؛  
أفهمت ما أعني ... ؟ »  
فقاطعتها الزوج في جفاء  
وقال : « لا ، أنا لا أعرفه »

« إنك تذكره تماما ! القانوني الشاب ! إنه  
يبدو أنيقا رقيقاً ! »  
« أنا لا أذكره »

وفي الحق لقد كان بيترو يعرف الشاب ،  
ولسكن أي قوة على الأرض تستطيع أن تنتزع من  
بين شفتي هذا العنيد اعترافاً ؟

فقالت الزوجة في رقة : « لا بأس فأنا موقنة  
بأنك ستذكره حين تراه . لقد أسهبت أمه في وصف  
ابنتنا إيلينا بصفات الجمال والكمال والبرقة والأنوثة  
و... ثم راحت تطلبها زوجها لابنها الشاب في رجاء  
واستعطف فوافقت ؛ وسيزورك زوجها بعد ... »  
« وافقت ؟ أحقاً ما تقولين ؟ »

وصاحت المرأة : « بيترو ! أي زواج خير من  
هذا الزواج ؟ وإيلينا تهوى الفتى ... »

وانتفض الرجل كمن منه طائف من الشيطان  
يرعد ويزارها نجا مضطرباً « وكيف ؟ وكيف ؟  
استطاعت الفتاة أن تغرم بهذا الشاب ؟ أين تلاقيا ؟  
أريد أن أعرف ... وأنت ... أنت التي لا تعرفين  
معنى الأمومة ، كيف تركت لها العنان لتندفع في  
طريقها طائشة ؟ هيه ! نعم ! لقد سمحت لابنتك  
أن تحب رجلاً لا أعرفه ! لعلمها تراسلاً أيضاً ! ولعلك  
كنت واسطة بينهما ! لقد تمت القصة وعلى عيني  
ستار كثيف أسود !

كان جالساً في حجرة المطالعة الى نضد بجوار  
النافذة شارد اللب ، مشقت الخاطر ، يحس في  
الفضاء الترابي أمامه لا يُثبت شيئاً ولا يحققه ،  
وقد اضطربت في رأسه خواطر .. خواطر سوداء  
يريد أن يطردها بما ينفثه من دخان سجائره . كان  
كذلك حين نادته زوجته من خلف الباب « بيترو  
بيترو ؛ أأستطيع الدخول ؟ » ثم .. ثم دقعت الباب  
في رفق وهي تقول : « أرجو أن تمرني سميك  
قليلاً ، سأقص عليك خبراً هاماً » وتقدمت في  
هدوء وهي تلوح بمنديلهما تطرد به سحب الدخان  
المتكاثفة هنا وهناك : لقد أفرطت في التدخين يا بيترو ،  
وهو يهدئ من كيانه . لماذا تجلس صامتاً في الظلام ؟  
وكان ثوبها الحريري الجميل يحف حفيفاً خفيفاً ،  
وقرطها الماسي يشع نورا ؛ وكانت هي تبدو أنيقة  
جذابة لأن هذا اليوم هو يوم الاستقبال ...

وزفر الزوج زفرة عميقة ثم نظر الى زوجته  
وهو يبسم في تهكم ويقول : « لماذا رتبت شعرك بمثل  
ما أرى وقد جاوزت سن الفتاة ؟ » فاضطربت شفاتها  
وقالت : « إن شعري لا يلبث أن يشعث ، ولكن  
لأبد للمرء أن يبدو أنيقاً حين ينتظر قدوم الزائر » ،  
وفي لهجة السخرية قال : « حقاً . إن هذا اليوم عظيم .  
إن التواقيس لا تنفك ترن رنينها الغذب ... »

واقتربت الزوجة رويداً رويداً من زوجها

في أمر. وساد صمت رهيب حين علم الجميع أن أعصاب الأب تضطرب ، فأمسك فرنسكو عن المزف على البيان ، وتركت لوشيانا لعبتها ، وصمت بيبينو الصغير عن استذكار دروسه ، حتى الخادم المسكينة ، خفت من وطئها وهي تمد المائدة لللاتر عج سيندها ... وعلى المائدة جلس الجميع في سكون ، وبدأت إيلينا قلقة جزعة ، وقد سيطر عليها اليأس ، واضطربت الشوكة في يدها فسقطت ، وفي سداجة الطفل التقطها بيبينو وهو يبسم ، ثم انفجر ضاحكا ؛ وضحكت لوشيانا ، ثم فرنسكو ، حتى الأم الحزينة افتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة . وغاز الزوج ما رأى ، فأراد أن يحمد هذه الزوجة في خشونة وغلظة ، فنظر إلى زوجته ومن عينيه يتطارشواظ يتقد وقال : « أعدى ملابسي ، سأسافر غداً إلى قريتنا ... قريتنا فالكونيتو » ، وذعرت الزوجة وتردد نظرها حائراً بين الزوج المحنق وبين الفتاة وهي تتلقى الصدمة القوية . وأدرك الجميع ما أراد الأب ، فاطرقوا في جزن إلا بيبينو الصغير ، فقد لمت عيناه بالفرح ... فرح التلميذ الصغير ينتظر الأجازة ... فأشار إليه الأب : « أمسرور أنت لأنني ذاهب ... ؟ » فأرتمد الطفل وقال : « لا ، لا يا أبي ، حقاً لا ! »

وانطلق الأب والزوجة تقول له في صوت ضعيف : « أعود قريباً ؟ لا بد أن تفكر في هذا الأمر » فقال : « أي أمر ؟ » قالت : « زواج إيلينا ! إن ذهابك معناه الرفض والتحدى معاً . إن سعادة ابنتك فوق كل عمل في فالكونيتو » ولكنه كان في ثورته يبدو عنيداً فقال : « لا جرم أن المرأة حين تفكر في الحب تراه فوق كل عمل وإن كان عظيماً ! » لم يكن العمل هو الذي دفع الزوج إلى القرية ولم تكن الرغبة ، وإنما كانت النفس الشريرة التي

واضطربت المرأة ، وخارت قوتها ، وطار عنها ثباتها ؛ فغطت وجهها بيديها تخفي بعض خجلها ، وتستتر ضعفها النسوي المنسكب من عينها ، ثم راحت تنزع الكلمات من بين شفثيها انتزاعاً : « لا لا يا بيترو ، لقد ظننت أني أحمل إليك بشرى ، لماذا أنت كذلك ؟ لماذا ؟ ماذا اقترعنا ، وأي غربة في ذلك ؟ شابان راق كل منهما في نظر صاحبه فتعلق أحدهما الآخر وأحبته ، وبادله الآخر حباً بحب وغراماً بغرام ؛ أليس هذا ما كان بيننا يا بيترو ؟ أنت ظالم ... »

وكان الرجل ظالماً ، وبدأ في جلسته مهموماً مضطرباً ، وقد تدلى رأسه كأن فيه ثقل جبيل ، وكانت أفسكاره تضطرم اضطراماً ، وأحس كأنما يمانى الماء ممضاً ، وحين كبج جراح غضبه ارتد هذا في جسمه فتوراً واستخذاء ، واستيقظ ضميره يخزه وخزات شديدة تؤله ، كما ألمته أعصابه المضطربة من قبل . نعم لقد أحب سليليا وهام بها ، فسى إليها وقد اختارها لنفسه ، ثم ثم فاز بها بعد طويل عناء . إنها قصة غرام قديم ... قديم منذ نصف وعشرين سنة ؛ ولكن الحقيقة لا تهرم ، وعلى رغم أن العقد الثالث من عمر سليليا قد انقرب منذ زمان إلا أنها لا تزال جذابة جميلة . أما هو ... وهو يحبو للخمسين يبدو للعين كمن جاوز السبعين ؛ أما قلبه فما برح شاباً يؤمن بالحب ، ويحبوه بما في رأسه ويده معاً ، لذلك ... لذلك كان الرجل ظالماً

وحين تراءى له في خياله كل ذلك تقارظته الهموم فصاح : « سليليا ، أعصابي ... دعي هذا الأمر الآن ... » وكفكت المرأة عبرات الخيبة في صمت ، ثم انطلقت إلى ابنتها حزينة كثيفة يتحدثها الحديث كله ، وتقف في طريقها إلى أبيها الناثر خشية أن يقع



شيء ، وراحت أعصابه تضطرب فما يقوى على ضبطها . ماذا جنت زوجته وهي رقيقة عذبة الحديث عطوفة رحيمة طيبة ؟ وماذا جنى هؤلاء الأطفال الأبرياء ليرى هو الهفوة الهينة منهم كبيرة لا يكفر عنها إلا العقاب الشديد ؟ ثم ماذا في هذه الأعصاب الفاتية المضطربة ؟ لقد كانت رسول الشؤم والظلام في هذه الدار وأهلها آمنون »

هذه هي النهاية ... !

وطلعت أيام الشباب في خياله تذكره قصة الماضي .. فرأى أسرته جميعاً تنهد فرقاً من ذكر أعصاب الأب المضطربة ، تلك الأعصاب الظالملة التي وقفت سداً منيعاً في سبيل زواج كبرى بناته ، والتي أرغمت الصغرى على أن تتخذ فخاراً وقد سيطر عليه الشك ؛ ثم هي أخرجت أكبر أبنائه من الدار لا يملك صديقاً يسد به الرميح ، وببيرو .. بيرو نفسه قاسي وبلات ما منته به هذه الأعصاب الظالملة . لقد كانوا يكرهون الأب ويعتونه ، لما يرون فيه من الظلم والأنانية ، وكان بيرو نفسه يقول : « آه ، لو أن لي ولداً فقسوت عليه مثل هذا لخنقت نفسي بيدي هاتين ... » أما الآن ... أما الآن فقد رأى له ما يضطرب في خواطر أبنائه هو جميعاً ، وأحس بما يضررون له من المقت والكراهية ...

ليتة يستطيع أن يطرح عن نفسه ذلك كله ليرجع إليهم وادعاً هادئاً رقيقاً .... وشغلاته الفكرة وتصرفت أيام .

\*\*\*

ووافته الزوجة وهي تقول : « ما كنت لأجرؤ على المجيء ، ولكن ... أنت مريض ... أنت مريض حقاً » ثم راحت تبكي في صمت وكان هذا الصراع النفساني قد أنهك الرجل

فيه هي التي أرادته على أن يسىء إلى أهله ... وصاحت الزوجة : « بيرو ، لا تذهب ... » غير أن الرجل اندفع لا يلقى على شيء حتى إذا كان لدى الباب التفت إلى ورائه فرأى ... رأى أبنائه في إطراق حزين ، وصمت مؤلم ، وما هم أحد ليودعه ، فقال له ضميره : « رأيت ... رأيت أسرتك المحبوبة كيف تتركهم عبيداً أذلاء ؟ »

وعند انبثاق الفجر كان الزوج في طريقه إلى القرية

\*\*\*

جلس بيرو وحيداً إزاء المدفأة في بيت قديم له بالقرية ، وخیاله عند الجماعة الذين خافهم هناك في المدينة ؛ وبدت نفسه رقيقاً له يتحدث : « كأني أسمع الزوجة تقول لابنتها : أمغتبطة أنت يا إيلينا ؟ فتنتطوي الابنة على أم ، ونفسها تضطرم أسى ولوعة . وكأني بالأولاد من حولها يمرحون ويقولون : ما أجل المسكان حين يرتفع عنه هو ... هذا السكابوس هذا السكابوس هو أنت ... أنت الذي لا يحبك أحد ، ولا يسر لمراك طفلاً ... أنت الشبح الخيف ... انهم يكرهونك ويعتونك ... عجيب هذا ؟ كيف مرت الأيام وأنت تورث الفكرة في أذهانهم عن جهل منك وغفلة ؟

لقد كان وحيداً ، ولكنه كان هادئاً يستطيع أن يشعر نفسه الأخطاء التي ارتكبها ؛ ويستطيع أن يرى بعيني عقله ثمار القسوة والغلظة وهي مرة كريهة . واستيقظ ضميره مرة أخرى يؤنبه بكلمات لاذعة قاسية ، وحكم هو على نفسه حين نشر على عينيه تاريخ أعوام مضت . لقد كان إلى عهد قريب هادئ الطبع ، حلو الشائل ، رقيق العاطفة ، طيب القلب ؛ وحين أحس مصباح الحياة ينطفئ أمام عينيه لس هو الظلام في كل







# محوليات

## أو

### هيلويزا الجديدة

#### لجان جاك روسو

#### بقلم أحمد حسن الزيات

### الرسالة الثانية

#### الى هوليا

ما كان أشد حقي ويزق في رسالتي الأولى يا آنستي ! لقد كنت أرجو أن أنفّس بها عن صدي السكظوم وقلبي المغموم ، فإذا بي أعرض نفسي من جرائها لسخطك ! وأشق الأمور كلها على أن أفعل ما يفضيك أو ما لا يبعجيك . إن سكوتك وفطورك وانقباضك هي الدلائل المنيرة بالمصيبة ؛ وإذا كنت قد أحبت بعض رجائي ، فذلك لأنه أبلغ في عقابي وجزائي . فأنتك « حين جعلك الحب واعية بقظة ، سترت شعرك الأشقر وحبست فيك نظراتك العذبة » (١)

لقد كففت أمام الناس عن تبسطك البريء الذي جعلني الجنون على الشكوى منه ، ولأنك ازددت قسوة على فيما بيني وبينك ، فتعادات شدتك اللبقة في إقبالك وصدورك

(١) من شعر متباست

ليتك تعلمين بما يشعني هذا الفتور من لوعة القلب ؛ إذن لعرفت أنني جوزيت شر الجزاء وعوقبت أشد العقوبة . آه ! لو أن لي رجعة إلى الماضي فأحول بينك وبين تلك الرسالة المشنومة ! فأني لو لم أكتب الأولى لما كتبت الثانية ؛ ولو لم أضطر إلى كتابة هذه الرسالة لكنت بنجوة من مظنة الاساءة إليك مرة أخرى . إلى أريد أن أصلح خطأي لأن أضاعفه . أيتبني أن أقول إن نفسي أركبتني الفرور وموتيت على الباطل حتى أسرّي من غضبك ؟ أيتبني أن أحتج لنفسي بأن ما أحمل لك في قلبي هوشى غير الحب ؟ أنا ؟ أجتري هذه الجرأة ، وأقترى هذه الفرية ؟ وهل الكذب الفاجر خلاق بالقلب الذي تملكينه وتعمرينه ؟ لتكن عاقبة جرائي أن أكون بائساً إذا لم يكن من ذلك بد ، ذلك أولى من أن أكون بسببها كاذباً أو جباناً ، فإن الجناية التي اجترحها قلبي ، لا يتبني أن يحجبها قلبي

أنا أشعر سلفاً بفداحة غضبك ، ولسكني





ومسقة سم منذ اليوم شعائره بين حبك وبين  
الفضيلة ؛ ومحال أن يدنس الهيكل الذي تعبد فيه  
جوليا بنار أخرى

البطاقة الأولى من جوليا

لا ترجح الرأي الذي يجعل ابتعادك ضرورة ؛  
إن القلب الورع يستطيع أن يكبح هواه أو يسكت ؛  
ولعله ينقلب مخشياً مهيباً . ولكن أنت ...  
أنت تستطيع أن تبقى

الجواب

لقد سكت طويلاً حتى حماني فتورك على الكلام .  
إذا استطاع المرء كبح هواه ابتغاء الفضيلة ، فإن  
يستطيع مطلقاً أن يتحمل احتقار من يحب .  
لا بد من السفر

البطاقة الثانية من جوليا

لا يا سيدي . إن رجلاً كالذي تظاهرت بأن  
تكونه فأحس ما أحسست ، وجروء على أن يقول لي  
ما قلت ، لا يسافر بعد ذلك . إنه سيعمل أكثر  
مما عمل

الجواب

أنا لم أظاهر إلا بهوى معتدل في قلب يأس .  
فدأ ستكونين راضية ، ومهما قلت في ذلك فلا أقل  
من أن أسافر

البطاقة الثالثة من جوليا

يا للأبله ! إذا كانت حياتي عزيزة عليك ! فأخش  
أن تعتدي على حياتك . أنا الآن مأسورة محصورة  
فلا أستطيع أن أكلك ولا أن أكتب اليك  
حتى الغد ؛ فانتظر

الزيات

( يتبع )

الخوف من أمل ، لأنني إما أن أكون قد أخطأت ،  
وإما أن تكون سعادتك أغزر على من سعادتي

على أنني حين ثبتت إلى نفسي ، تبين لي أنني  
جرت في الحكم على قاي ، وعلمت بعد أن قضى  
الأمر أن الذي حسبت أنه هذياناً يزول ، إنما هو كلمة  
القدر في مصيري وحياتي

إن اشتداد حزنك هو الذي أشعرتني باشتداد  
حبي . لا ، أبداً ؛ إن وميض عينيك وإشراق لونك  
وبراعة ذهنك وكل ما كان لهجتك الماضية من  
جمال وسحر ، كل أولئك لا يستطيع أن يحدث مثل  
ذلك الأثر الذي يحدثه في نفسي ضعفك . لا يخامرك  
الشك في ذلك يا جوليا ! فأنك لو استطعت أن ترى  
الضرم الذي أورتته في نفسي أيام الضنى الثمانية  
لسالت شؤونك أسي مما جررت به على من الأذى  
والألم . لقد أصبح ذلك الألم عياء لا يرجى برؤه ؛  
وإنني لأشعر أن هذه النار التي تصليني وتذويني لن  
يخبو أوارها إلا في القبر . لا بأس . إن من عجز عن  
أن يجعل نفسه سعيدة ، لا يعمجز عن أن يجعلها  
على الأقل خليفة بالسعادة . وسأعلم كيف أحملك على  
أن تحترمي رجلاً لم تفضل عليه بجواب . أنا حديث  
السن ، وفي مقدوري أن أنال يوماً ما ذلك الخطر  
الذي لست كفؤاً له اليوم . وفي خلال ذلك يجب  
أن أرد عليك السكنينة التي فقدتها أنا إلى الأبد .  
إن من العدل أن أكابد وحدي عقوبة الجريمة التي  
اقترفت أنا وحدي

وداعاً يا جوليا . عودي إلى هدوئك وغبطتك ،  
وابسطي ما تفضن من جبهتك ، فلن ترى وجهي  
بعد اليوم . ولكن ثقي إن الحب القوي النقي الذي  
يغرم أنفاسي لا تخمد وقده ما حيت ؛ وأن القلب  
الذي يغمره مثل هذا الحب لن يذل ولن يهون ؛





ووجهه شديد التجهم ، وظلت ملاحه وهو يكتب على ما هي عليه من صرامة ، ولذلك أثبت في دفتره تلك الحقيقة غير منقوصة

وأردف مستر بكويك متسائلاً كي يصل إلى غيرها من الحقائق والمعلومات « وما مقدار الوقت الذي يقتضيه في العمل في كل مرة تأتون به إليه ؟ » فأجاب الرجل : « من أسبوعين إلى ثلاثة »

وصاح مستر بكويك في دهش : « أسابيع ! » وسرعان ما برز دفتره ثانية من صدره

واستطرد الرجل في فتور : « أنا أرسله إلى منزل في حي بنتنول » في غير فترة العمل ، ولكننا قلنا نرسله إلى مكان راحته بسبب ضعفه

وصاح مستر بكويك وقد ذهبت الحيرة بعقله كل مذهب : « بسبب ضعفه ! »

واستمر الخوذي يقول : « أنه دائماً يسقط على الأرض كلما حل من العربية ، ولكننا إذا شددناه إلى العربية نحكم ربطه ونقعمر الحبال والسيور فلا يستطيع بذلك أن يسقط ، ولقد أخذنا المجلات من حجم كبير ، ولذلك فهي تدفعه إذا ما تحرك ولا ندع له مجالاً للتواني ، وإذا فلا بد له أن يتابع سيره ، اذ لا حيلة له في ذلك »

وأثبت مستر بكويك عبارة الرجل بمخادفيرها في دفتره ، ليقدمها إلى النادي شاهداً فذاً على القسوة في دنيا الخيل . وما كاد ينتهي من كتابة ملاحظته حتى وصات العربية إلى « جولد كرش » ، فوثب الخوذي إلى الأرض ونزل مستر بكويك ، والتف حول العربية كل من مستر توبمان ومستر سندجراس ومستر ونكل وأخذوا يحبون رئيسهم الأسمى وكانوا ينتظرون مقدمه في شوق

وخاطب مستر بكويك الخوذي قائلاً : « هذا أجرك » ومد إليه يده بذلك « الشلن » الذي أعده

للخروج ؛ ومن أجل ذلك فسرعان ما فرغ مستر بكويك من حلق ذقنه وارتداء ملابسه واحتساء قهوته ، وخرج بعد منبهة وحقيبتيه في يده ، ومنظاره (تلسكوب) في جيب معطفه ، ودفتره في جيب صدره ، فكان على تمام الأبهة لأن يتلقى أي حادث يراه مستر بكويك جديراً بأن يدون ، وما هي إلا ساعة حتى كان مستر بكويك في ساحة سان مارتن وصاح مستر بكويك قائلاً : « عربية »

وتقدم إليه رجل مجيئاً إياه : « أنا آتيك بما طلبت أيها السيد » ، وكان هذا الرجل غريب الشكل حقاً ، كان صنفاً عجيباً من أصناف الآدميين يرتدى معطفاً من الخيش عليه ميدعة من هذا القماش ويحيط بعنقه شريط من النحاس يحمل رقمه ، كما لو كان قطعة من الآثار النادرة رقت لتوضع في ثبتها . وكان هذا الرجل سقاء الخيل في تلك الساحة فنادى قائلاً : « هيا ... العربية الأولى ... » وأتجه إلى مستر بكويك مخاطباً إياه : لك ما طلبت أيها السيد . وما كادت تتقدم العربية الأولى من ذلك الخان حيث دخن مستر بكويك غليونه الأول ، حتى قذف بنفسه وحقيبتيه في جوفها ، وأمر الخوذي أن يذهب به إلى « جولد كرش » وأدار الخوذي رأسه إلى صاحبه السقاء قائلاً في نجر خفي : « ان ذلك لا يساوي أكثر من شلن ياتوم » وسأل المستر بكويك الخوذي ماسحاً أنفه بتلك القطعة من النقود التي أعدها ليدفعها أجر ركوبه : « كم عمر هذا الحصان يا صاحبي ؟ »

وأجاب الخوذي وهو ينظر إلى مستر بكويك نظرة الدهش والحيرة : « عمره اثنتان وأربعون سنة » وأسرع مستر بكويك إلى دفتره متمماً : « ماذا ؟ » « ماذا تقول ؟ » وأنقص الرجل عدد السنين الذي قاه به أولاً ، ووجه مستر بكويك نظراته إلى الرجل





يرتدى حلة خضراء ، ظهر فجأة في تلك الساحة  
ورد عليه الجمع قائلين : « هؤلاء مخبرون »  
وأرعد مستر بكوك قائلاً « لسنا كما يدعون » ،  
وكان لقوله هذا نفعة مؤثرة حتى لتتخذ سبيلها إلى  
أى قلب لا يلين لماطفة

أما هذا القادم فقد شق بمرقبه طريقاً له في  
هذا الجمع ، وراح يتساءل موجهاً قوله إلى مستر  
بكوك : « لستم كما يقولون إذا ؟ » « لستم كما  
يقولون ؟ » وأوضح له ذلك الرجل المثقف حقيقة  
الأمر ، فتقدم وجذب مستر بكوك في شبه قهر  
ليخرجه من زحمة الناس ، وانتهر الحوذي وصرفه  
عنه ، وسار إلى خان هناك يتبعه مستر بكوك  
ورفاقه ، وجاسوا يشربون ويطعمون

وبينما كان رفاق مستر بكوك يقدمون لذلك  
الشخص شكرانهم ، أخذ رئيسهم يلقى نظرات  
فاحصة على هندام الرجل ومظهره

كان طوله وسطاً ولكن نحول جسمه وطول  
ساقيه جملاً يبدو أطول مما كان ؛ وكانت حلته  
الخضراء ملبساً أنيقاً شائعاً في أيام سالفة ، بيد أنها  
كانت كما يظهر في جلاء تزين رجلاً أقصر قامته  
منه ، فإن رديها الحائل اللون اللطخين لا يكادان  
يصلان إلى رصفيه ، وقد أحكمت الأزرار سدها حتى  
العنق مما جعلها توشك أن تنقد من خاف ؛  
ولم تك تتبين العين حول عنقه قميصاً ، إذ لم يك ثمة  
شيء سوى قطعة رثة من القماش تحلى جيده ، وكانت  
تتناثر هنا وهناك في مرواله الأسود الضيق رقع  
واضحة تنهض دليلاً على قدم عهده . ولقد ربط هذا  
السروال ربطاً محكمًا في نهاية ساقيه فوق حذائه  
البالي ليخفي جورباً أبيض قدراً ، تراءى للأعين  
على الرغم من ذلك ، وكان شعره الأسود ينساب  
في خصل تغدلى على جانبي قبعته القديمة المتفضنة ،

وكان وجهه مبروقاً هزيباً ، ولكن حالاً غريبة  
لا توصف من الرضاء وعدم المبالاة وضبط النفس  
كانت تغلب على صفات ذلك الرجل

ذلك هو الشخص الذي راح يحملق فيه مستر  
بكوك خلال منظاره وكان قد استعاده لحسن حفظه ،  
ولما أن فرغ رفاقه من تحياتهم ، أخذ هو بدوره يقدم  
إليه أحر شكره على ما كان من مساعدته ؛ ورد ذلك  
الشخص في عبارات متقطعة : « دعك من هذا —  
كفى — لا تزد . . إنه ولد شقي ذلك الحوذي . .  
كان يحسن توجيه لكاته . . . ولكني لو كنت ...  
وقطع عليه عباراته سائق العربى المسافرة إلى  
« ورشستر » إذ أعلن اليهم أن عربته على أهبة  
الرحيل ، ونهض ذلك الشخص واقفاً واستأذن  
الجماعة قائلاً : « تلك عربتي ... احتجرت فيها مكاناً  
أترك لكم دفع ثمن الشراب والماء ... أرائى في  
حاجة إلى صرف . . فضة رديئة ... » ثم حياهم  
بهز رأسه تحية من يعرفهم حق المعرفة . واتفق  
أن كان مستر بكوك ورفاقه قد اعزموا أن يجملوا  
« ورشستر » محط رحالهم الأول في سفرهم هذا ،  
فأخبروا الرجل بذلك ، ثم وافقوا على أن يتخذوا  
مقاعدهم في مؤخر العربى حيث يستطيعون أن  
يجلسوا معاً جميعاً

وساروا إلى العربى وأخذ الرجل بيد مستر  
بكوك في غير مبالاة قائلاً : « هيا ... هيا ... اصعد »  
وقد أراد بذلك أن يقلل من أهمية هذا الرئيس ،  
وينال من وقاره وتحشمه بطريقة ملهوسة . وسأل  
السائق الرجل : « هل من متاع أيها السيد ؟ »

— من ؟ أنا ؟ ليس سوى هذه الحزمة الملفوفة  
في الورق البنى ، فقد أرسلت بطريق الماء متاعى  
الثقيل — صناديق كبيرة ثقيلة ... كالمنازل في  
حجمها ... ثقيلة ، ثقيلة جداً !

وتساءل مستر سند جرابي : - أشهدت  
ذلك المنظر الفخم أيها السيد ؟

— « نعم ... رأيتُه رأى العين ... أطلقت  
رصاصة ... ثم أطلقتُ فكرة ... اندفعت الى  
حانة خمر ... أثبتتها ... عدت ثانية ... أزيز ...  
عزيف ... فكرة أخرى ... حانة الخمر ثانية ...  
قلم وجِر ... عدت ثانية ... طعن ... ضرب ...  
ساعة مشهورة يا سيدي » ثم اتجه الرجل بغتة الى  
مستردنكل سائلاً أياه : « أنت رجل صيد وطرْد  
أفها السيد ؟ »

— « بعض هذا أيها السيد »  
— « أن هذا الطرد أمر جميل ... هل لديك  
كلاب أيها السيد ؟ »

— « لا ... ليس لدى منها شيء بعد »  
— « آه ... ينبغي أن يكون لديك عدد من كلاب

الصيد ... حيوانات ظريفة ... مخلوقات عاقلة ...  
ذات يوم كلبي ... اسمه بونتو ... غريزة مدهشة .  
خرجت للصيد يوماً ... خطوت لأجتاز سباحاً .  
أطلقت من فمي صغيراً ... النكلب لا يتحرك ...  
صغير ثانية ... بونتو لا يقدم ... واذف لا يتحرك  
هتفت به بونتو ! بونتو ! لا يريد أن يتحرك .

واقف في مكانه ينظر إلى لوحة .... رفعت بصرى  
فرايت عبارة مخطوطة « لدى حراس الصيد أوامر  
أن يطلقوا النار على أى كلب يجتاز السياج » ،  
لم يشأ أن يجتازه ... كلب مدهش .... كلب ثمين  
حقاً كلبى هذا ... » ، وتكلم مستر بكوك قائلاً :  
« هذا شاهد عجيب ، هل تأذن لى أن أسجل هذا  
مذكرة عنه ؟ »

— « أسمع ولا ريب... لا ريب أيها السيد...  
مائة قصة عن هذا الحيوان إذا شئت »  
(يتبع) (عائد)



# الصِّدِّيقُ

قصة واقعية نالت الجائزة في مسابقة القصص  
الواقعية في مجلّة (تروستوري) الانجليزية

بقلم أحمد فتيحي مرسي

وقد قدمني إلى صديق  
لها يدرس في كلية الهندسة ،  
يدعى جون بارت ، وقد  
صادف هوى في نفسى  
فتعلقته ، إلا أن هذه الصلة  
لم تدم طويلا ، فقد قدمنى  
بدوره إلى صديق آخر كان  
له أبعاد الأثر في حياتى ، إذ  
قلب نظامها رأساً على عقب ،

فطالما كان يحدثنى جون عن صديق له اسمه هارى لى ،  
كثيراً ما كان يصفه بالذكاء وينعته بالجد فيقول :  
— أنفذ قريحة عرفتها ياروز ... حتى ليخيل  
إلى أنها تكبره بسنين عدة

وأصدقك القول أنى لم أحاول التعرف إلى ذلك  
الصديق الجديد ، فقد كان فى جون كل ما آمله من  
حياتى ، وكل ما أتمناه من عيشى ... وأخيراً شاء  
القدر أن يجمعنى بهارى ... وكان ذلك فى الربيع  
الباكر ، وكنت قد صحبت رث ليرى إلى قاعة  
المحاضرات ، وكانت قد غصت بالمدعوين ، فلم يبق  
لنا مكان ما . فجأة أخذت عيناى جون بارت ،  
وهو ينحنى لنا نصف الخناء ويدعونا للجلوس فى  
المقعد اللذين أخلاهما هو وزميله قائلان :

— سأستند إلى الحائط مع هارى قليلاً  
ومضت برهة قبل أن أجول بعينى لأرى  
هارى ، ولكن وقع نظرى عليه أخيراً ، وكانت  
نظراته كلها منصوبة إلى ؛ وقد سرت فى جسدى  
رعدة خفيفة ، عندما سرحت الطرف فى وجهه  
قليلاً فاذأ به صينى الخلقه ...  
وكان هارى أقصر قامه من جون ، ولكنه

كان والداى بمارضان أشد المعارضة فى إتمام  
دراستى وإكمال ثقافتى فى الجامعة ، فعندما أعربت  
لهما عن رغبتى فى الالتحاق بتلك الكلية القريبة  
من المنزل ، وقفأمامى حجر عثرة فى سبيل تحقيق  
هذه الأمنية !

ولقد كانت منظر الفتيان والفتيات وهم فى  
طريقهم إلى الجامعة يبعث فى نفسى الحسد ،  
ويؤجج بين جوانحى نيران الغيرة . وطالما قالت  
لى والدتى وأنا جالسة إلى النافذة :  
— إنى لا أحتمل أن أراك تذهبين إلى مثل  
هذا المكان ياروز ، فكم هو حافل بالغرباء ، وكم  
هو غاص بمن لا أخلاق لهم !

وكان والدى لا يقل عن والدتى اصراراً ، على  
الرغم من أنه كان يحرص على ألا يفضب وحيدته ،  
ولكن الالتحاق كان من طباعى ، فلم أزل بهما حتى  
جباهما ينزلان على رغبتى ، وينصاعان لأرادتى  
التحقت بالجامعة ، وسرعان ما توثقت  
عزى الصداقة بينى وبين زميلة مريحة ، من الأراضى  
الوسطى تدعى رث ليرى ، وكانت تدرس بكلية  
العلوم بالجامعة

لا يخلو من سمات الجمال . فما كان أجمل وجهه الهادئ  
وأروع ابتسامته الساحرة !

وتوثقت الصلة وكثر التلاقى ؛ على أن ذلك  
لم يكن يشغله قط غن استيعاب دروسه ، ومراجعة  
بحوثه ، فكثيرا ما كان يحدثني عن آماله الواسعة  
وآرايه البعيدة ... كان يأمل أن يكون استاذًا في  
جامعة بكين في القريب العاجل

وكثر خروجنا إلى الرياض الناضرة ، وارتدادنا  
المروج الزاهرة ، بين حديثه العذب وسمره الممتع ...  
ولقد حدثني مرة عن شجرة تفاح كثيرا ما أخذ  
مجلسه تحت أفيائها المديدة ، وفي ظلالها الظليلة ،  
فسرنا إليها والقمر يرسل أشعته الفضية إلى السهل  
فتفضض أرجاءه وتشيب نواصيه ... وإن أنس  
لا أنس تلك الجلسة الهادئة تحت أفنان شجرة  
التفاح وبين أغصانها المتهدلة ... جالس كل منا  
يتأمل الآخر في ضوء القمر المرسل ، وأخيرا افتر  
نفره عن ابتسامة هادئة ثم قال :

— إنك مثل زهرة التفاح ياروز ، جمالا  
وروعة وسحرا

ومضت الأيام تتبع الأيام ، والشهور تقفو أثر  
الشهور ، وكل منا لا يزيد إلا تعلقا بالآخر ، وتشوقا  
للقياه ، إلى أن كانت ليلة مقمرة من ليالي الصيف ،  
خرجنا فيها معاً نتمشى في ذلك الطريق الضيق  
خلف بناء الجامعة ، وإذا بهاري يضع يديه على كتفي  
فجأة قائلاً :

— روز .... إن حياتنا الآن تبدو كما لو كنا  
في زورق ، وسط بحر رهو تهدهدنا أمواجه في  
لين ، وبين زيج رخاء تدفنا خفقاتها في رفق ؛ أفترى  
يسير بنا الزورق إلى النهاية .... أم ينقلب الحال ،

كان مفتول المضل ، قوي الساعدين ، وكان مستنداً  
إلى الحائط ، وهو ينظر إلى كأنما يريد أن يلهمني  
ينظراته ، فمراني الخجل وأدرت وجهي إلى الجهة  
الأخرى ، ولكنني وجدت في نفسي شعوراً غريباً  
يدعوني إلى التحديق في وجهه ثانية ، وكان كلما  
يلتقي النظران أحس بشعور من الرهبة يسيطر على  
نفسي ويملك على مشاعري

وعندما انفرط عقد الحفل ، كنت أود أن  
أهرب من ذلك الاحساس المتسلط على قلبي ،  
ولكن جون ورفيقه كانا في انتظارنا فلم أتمكن من  
الافلات . وكانت رث قد عرفت هاري من قبل  
فلم يبد عليها أي اهتمام ، أما أنا فقد صحبتته إلى المنزل  
وقد حدثني هاري في الطريق عن المحاضرة ،  
وكان طريف القول ، جذاب الحديث ، دافع  
الحجة ، يجمع إلى ذلك بساطة في التعبير ، وهدوء  
في النفس ؛ وهنا فقط أدركت صحة قول جون بارت  
« إن قريحته تكبره بسنين عدة »

ولما بلغنا المنزل دعاني إلى نزهة خلوية بين  
الرياض ظهر اليوم التالي ترويحاً للنفس من عناء  
الأعمال ، واستجماً للفكر من النصب والملال ،  
فقبلت دعوته وانصرفت شاكرة

وعندما قابلني هاري ظهر اليوم التالي حمل إلى  
باقة من الزهر ، يفوح منها شذا المطر ، ويبدو  
عليها جمال التنسيق ؛ ثم قدمها إلى قائلاً :

— إنك زهرة ناضرة كهذه الزهور ياروز  
ومنذ تلك النزهة أصبحت أرى شخصية  
هاري تتسلط على نفسي كل التسلط ؛ وكنت أعزو  
ذلك في أول الأمر إلى اختلاف جنسنا ، وتباين  
مشريننا ، وتباعد وطنينا ، على الرغم من أنه كان



أطار صوابها ، فانتقل بها والدي إلى مقاطعة  
ديفونشير وطننا الأول لتتناسي الحادث ، وتغفى  
عن ذكرياته المؤلمة

وقد ولد لنا طفلنا الأول في شهر إبريل ، وكان  
السقام قد بلغ بي مبلغاً كنت أخال معه أني أنأرجع  
بين الحياة والموت ؛ وكانت تعني بأمرى مع هارى  
ممرضة تسهر على ، وترعى مضجعى

وفي اليوم الرابع بدأت أستروح نسيمات الحياة  
وأردد أنفاس العافية ، فزال عني السقام وثاب إلى

الرشد ، فرحت  
أجول ببصرى في  
أرجاء الغرفة .  
فاذا كل شيء على  
حاله وإذا بهارى  
واقف بجانب  
السرير ينظر إلى فى  
عطف ... وسمعت  
صوت الطبيب  
يقول :

— لقد زال  
عنها كل شيء الآن .

فبان السرور فى هارى وصاح :

— لملك تشمرين الآن بيمض التحسن ياروز .  
أترغبين فى رؤية طفلنا العزيز ؟ إنه فى خير صحة وأتم  
عافية ... ثم ذهب وعاد بعد برهة يحمل الصغير فى  
لفافته ، ووضع بين ذراعى لحظة ، ثم رفعه قليلاً  
لأتبين وجهه فحمد الدم فى عروقى ... ليس هذا  
طفلى قط ... ما هذه الخلقة الغريبة ... وما هاتان  
العينان الضيقتان ... وما هذا الأنف الأثنى ...

فيضطرب البحر الهادى وتثور الريح الساكنة ،  
فتنتهى الرحلة النهائية ؛ وتنقطع السفرة السعيدة ،  
وأدركت فى الحال ما يرمى إليه فقلت :

— ستسير إلى النهاية يا هارى ... إننى لا أعبأ  
باللجة وإن أزيدت ، ولا أحفل بالريح وإن عصفت ،  
ولا أخشى شيئاً ما دمت فى جوارك

— روزا إننى أحبك ... وسأحبك دائماً وإن  
فرقت بيننا يد الدهر ، وفصمت عرانا مشيئة  
القدر ... إن هذا يعزأ على نفسى ولكنى يجب أن

أذهب . إن الحوائل  
دون الزواج عديدة  
ياروز ، ولكن حبي  
لك لن يفنى ماتماق  
الجديدان ...

ولكن ذهابه  
كان فيه تحطيم قلبى ،  
وعدم الزواج كان  
فيه تحطيم أمالى ،  
فأبيت عليه ذلك ،  
وأخيراً قر عزمنى  
على الزواج معها  
كلفتنا المجازفة

ولم يمض شهر على ذلك حتى كنا زوجين هائنين  
بضمنا منزل صغير على مقربة من الجامعة ، أفردنا  
فيه أنفسنا عن العالم ، وأخلدنا إلى عيشة الأمن  
والسكينة

وربما كان زواجى صاعقة انقضت على والدى ،  
فدارت بعقليهما ، خاصة وقد علما أنه شرقي الولد ،  
صينى الأصل . وقد بلغت الصدمة من والدتى مبلغاً



— أريد أمي ... أريد أمي ... فأسمع جواب  
هارى كأنه صادر من غور بعيد :

— سمعاً يا عزيزتى ، سأرسل فى طلبها اليوم  
وبعد أيام حضر والداى من ( ديفونشير ) ،  
ومضت أسابيع قبل أن أجد فى نفسى القدرة على  
السفر ... وأخيراً ثابت إلى بعض عافيتى فأخذنا  
أهبتنا ، وأعدنا عدتنا ، وجعلنا الشمال وجهتنا  
ونزلت بأرض الميلاد ، مجرى الصبا وملعبه ،  
فجددت أيام الطفولة المرحية ، وليلى الشباب السعيدة ،  
وحرصت على ألا تعود بي الذكريات إلى الخلف ،  
أو يأخذنى الحنين إلى السالف

ومضى على ذلك عامان ، وأما سعيدة هائلة  
المعيش ، إلى أن كان يوم وقعت فى يدى بحلة  
الجامعة ، ولا أعلم من أرسلها إلى ، ولكنى أرجح  
أن تكون صدقتى « رث ليرى » ... فجلست  
أتصفحها إلى أن وقع نظرى فجأة على هذه الجملة التى  
غيبضت الدم من وجهى :

« نأسف الجامعة كل الأسف لوفاة الأستاذ  
هارى لى ، الأستاذ بجامعة بكين بالصين ، وخريج  
الجامعة بعد حياة قصيرة قضاها فى خدمة العلم »  
فعلت وجهى غمامة من الحزن ، وتساءلت  
الدموع على خدى ... وأصدقك القول أن موت  
هارى لى لم يكن شيئاً بجانب شيء آخر ... ذلك هو  
الطفل ... ماذا جد من أمره ؟ ... وما مصيره اليوم ؟  
الموت دون شك

\*\*\*

وأقبل الربيع ، فصحبت والدى فى رحلة إلى  
جزائر الماديرا ، وهناك التقيت بجيرالد كبلاو ،  
وهو شاب إنجليزى يكبرنى ببضع سنوات ، ويشغل

وما هذا الشعر الملتوى ؟ كلا كلا ... إن فى الأمر  
لخطأ ما ... ليس هذا الدميم طفلى ... ثم صحت فى رعب :  
— خذه عني بعيداً أيها الرجل ! هذا فظيع .  
ليس هذا ولدى ... خذه عني بعيداً ! فبان الألم فى  
وجه هارى ورفع الطفل عني فى رفق

إننى لم أحلم يوماً أن يكون طفلنا كهذا الطفل  
الدميم ... وثقل على الداء من أثر الصدمة ،  
وعمرتني رجفة سريعة من أعلى رأسى إلى أخمص  
قدمي ، فأمرعت إلى الممرضة ، وأخذت تسرى  
عني وتخفف من لوعتي ... أما هارى فكان جامداً  
كالتمثال ، وبين يديه الطفل ؛ وكان وجهه شاحباً ،  
وعيناه غارتين حزينتين ... فى لحظة واحدة تغير  
الحال وتبدل الأمر ، وأصبح ذلك الرجل وولده  
بغيبضين إلى كل البغض ، حتى إننى لم أطق النظر  
إليهما ، فصحت :

— اذهب عني بعيداً أيها الرجل ... إننى  
أمتلك من كل قلبي ... اذهب عني بعيداً إننى  
لا أطيق أن أراك حيالاً ، لا أنت — ولا طفلك  
الدميم ...  
وأخذتني ثورة من الغضب ، فأمرعت الممرضة  
إليه قائلة :

— الأفضل أن تذهب الآن يا مستر لى ، إنها  
لا تبنى ما تقول الآن  
ولكنى كنت أعي ما أقوله تماماً ، ولقد  
رأيت هارى ينكص على عقبيه تجاه الباب ، ثم  
أخذنى الاغماء وعاودتني الغشية ... ومضى على  
ذلك أيام وأنا لا أكاد أعي ما يدور حولى ، وما  
يجرى بجانبى . وكل ما أذكر الآن أننى كنت  
أردد دائماً :



وبلغنا شنغهاي فقابلنا « ولارد كاين » وهو  
صديق قديم لجيرالد ، وكانت معه زوجته وأخوها  
السيد جورج بايلي ، فدعونا للإقامة معهم في منزلهم  
الرفي في الضواحي ريثما ينجز جيرالد أعماله ويعود  
إلينا في نهاية الأسبوع . فلبينا الدعوة وكان المنزل  
صغيراً جميلاً ، تحيط به الحدائق من كل صوب ،  
وتلطف به مروج السهول ، ويجري من تحته نهر  
رائق الماء عذب المورد

وعلى الرغم من كل ذلك فاني كنت أؤثر  
سكني المدينة ؛ ففيها تأنس نفسي ، ويسكن قلبي ،  
وابتعد عن تلك المشاهد المؤثرة ... فطالما كنت  
أرقب الصينيين صاعدين إلى ذروة التل ، أو هابطين  
إلى قرارة السهل ، وقد أضناهم الجوع ولفوا بطونهم  
من الطوى . وكان يقول لي خادمنا يوتنج :  
— إنهم جوعاس يا سيدتي ... يبحثون عما  
يتلفون به ...

وخرجنا ذات يوم لزيارة ذلك المعبود العتيق  
القائم على ضفة النهر فقال يوتنج ... إنه غاص  
بالكهوف والمخابئ ... التي سيأجأ إليها هؤلاء  
الجوعاس عندما يقومون بشورتهم ليتحرزوا بها من  
أعدائهم

وقد قابلنا أحد هؤلاء الجوعاس عند ضفة النهر  
فسألنا عما إذا كنا إنجليزاً ، وأخذت آن  
تضحك منه وتحدث معه برهة ثم سألته عن اسمه  
فقال : واه بو

\*\*\*

وفي صباح اليوم التالي بينما كنت في حديقة  
المنزل ، وقع نظري فجأة على واه بو وزميل له  
يحدثان في وجهي بفضول عجيب فلما رأاني واه بو

في تجارة الآلات ، فراءه جمالي ، وعلقته جبالي ،  
ورأيت منه ما رأي مني ، فأنست إليه ، وألفت  
صحبته ... ولم يمض على ذلك ثلاثة أسابيع حتى كنا  
زوجين . وكان والدي قد أسر إليه بزواجي السابق  
وأخبره أن الرجل قد مات ، ولكنه لم ينبس أمامه  
ببنت شفة عن أصله ولا عن موطنه

ومضى علينا زمن رفت فيه علينا ظلال  
الأمن ورفرفت فوقنا أجنحة السعادة ، إلى أن  
رزقنا الله طفلة أسميناها آن روز ، تجمع إلى رائع  
قسائمها ، وجميل ملامحها ، صهبة شمري ، وصفاء  
عيني أبيها

وكان اتساع أعمال جيرالد يتطلب منه طول  
التجوال ، ودوام الترحال ، ولم أتمكن من  
استصحابه في أسفاره ، حالما كانت آن صغيرة ؛  
فلما شبت وترعرعت ، كنت أتركها تحت عين  
الربية ، حتى نعود من سفراتنا

ولما بلغت آن السابعة من عمرها ، أدركت  
والدي المغيبة ، ولم تلبث والدي أن لحقت به بعد  
بضع سنوات

\*\*\*

ومضت الأيام إثر الأيام ، والسنين تلو السنين  
إلى أن كان يوم من أيام الصيف ، أخبرني فيه جيرالد  
أن أعماله تضطره إلى السفر إلى شنغهاي لإنجاز  
بعض مهام الشركة في الصين ، وزاد على ذلك أن مدير  
الشركة رجا منه أن تزامن كريمة ماري وحيدتنا آن  
في رحلتها

وبعد أيام كنا في طريقنا . وكانت ماري تكبر  
آن بعدة سنين ، ولكنهما تألفا تألف الأخوات  
وتعلقت كل منهما صاحبتها

ابتسم وأشار إلى زميله قائلاً :

— صديقي لي هانج ياسيدتي

وكانت عينا لي هانج الضيقتان مصوبتين إلى كأنهما قطعتان سوداوان من الزجاج ... وهنا أحسست بالوحشة ... وبدأت تتمثل أمامي مخاوف الصين ، وهممت بالنكوص على عقبي إلى المنزل ، فقد كانت عينا لي هانج كأبرتين استقرتا في فؤادي . سرعان ما تحول هو وصديقه ومضيا لسبيلهما فعدت إلى المنزل أجز ساقى جراً

وقد رأيته مرة أخرى مع جورج بابلي فقال لي باسم :

— يقال إن لي هانج هذا نصف انجليزى

— نصف انجليزى ؟

— أجل ... فقد كان والده أستاذاً في جامعة بكين ... ومات وهو طفل ... فنشأ بائساً طريداً ... وأحسست في هذه اللحظة أن الأرض تدور من حولي ، وأن رأسي يثقل على رويداً رويداً ؛ فاستأذنت وقصدت غرفتي فلم أتم تلك الليلة ، ولم يطرق الكرى جفني ، فتنازعني الهموم ، ونخالجني الوسوس ... ما أشقاني ... لقد جنيت عليه ... يا إلهي أهذا جزاء ما قدمت يداي ؟ ... أترى سقتني إلى هنا ليقتلني مبرح الألم ولأنال صادم الجزاء ؟

وخرجت إلى ضفة النهر ، حين تنفس الصبح أنشد النسيان على ضفافه النضيرة . ولشد ما كانت دهشتي عندما وجدت نفسي أمام لي هانج وجهاً لوجه ... ولقد أربعني منظره ، وأخافتني عيناه فهتفت في صوت مخنوق :

— إذهب ... إذهب غنى بعيداً ... فقال

في هدوء :

— إنني لست كلباً ياسيدتي فأطرد كما تطرد

الكلاب ...

فقلت وأنا أغالب الدمع :

— إذن ، إذن ما الذي تريد مني ؟ ...

فقال في سكوت :

— لا شيء ياسيدتي ... إلا أن أخبرك أنني

أحتقر كل الانجليز ، ولوددت والله لو كانت رقابهم طوع عيني ... إذن لما أبقيت عليهم

ثم استدار على عقبيه دون أن ينبس ببنت

شفة ، ومضى لسبيله على ضفة النهر وأنا جامدة في

مكاني أنا بعه بنظري وهو يبتعد عني رويداً .. رويداً

وإذا بنظري يقع فجأة على ستة رجال يمثلون

أمامه في هنية وجلال لم أثبت معرفة أحداً منهم

سوى راه بو . وقد رأيت ( لي ) يتحدث معهم

لحظة ثم يوميء لهم بطرف البنان إلى آن وماري

وكاتنا تتضاحكان على ضفة النهر ، وقد جالس يوج

على كئيب منهما ، وأسرع الرجال تلبية لأوامر

زعيمهم فأحاطوا بالفتاتين ... وانتبه يوج فأمرع

إليهما فلطمه أحد الرجال ... وسمعت في هذه

اللحظة صوت لي هانج قائلاً :

— هيا ... هيا اسرعوا بهما

وألجم الخوف لساني ، وأسقط في يدي ،

وحاولت الصياح ، فلم أسمع صيحتي ، وأخيراً

أسرعت إلى هانج متوسلة :

— لي هانج ... لا تفعل ذلك ... رفقاً بي ...

لا تفعل ذلك يا هانج . فتوقف عن السير لحظة ثم

نظر إلى وكانت عيناه كميون الموتى شاخصة

لا تتحرك ، جامدة لا تطرف ... ثم قال :

— غداً سيمود زوجك من شبنغهاي ...

خذني منه الفدية ... وسأرسل لك راء بو غداً



الأخت البارة ، فأخذت تسرى عني ، وتطمأنني  
على الفتاتين ، ثم قالت إن أخاها خرج للبحث عنهما  
وفي ظهر اليوم التالي وصل جيرالد والسيد  
كلين ... وكان يونج قد طلع عليهما بجالية الخبر ،  
فتطير جيرالد وجزع كلين ، ورفض الانتظار  
ريثما يصل رسول هانج ، فخرجنا جميعاً ووجهتنا .

ذلك المبد الذي  
أخذ هؤلاء  
الأشرار حصناً  
يتحصنون به ،  
وملجأً بشحززون  
فيه من غارة  
الغير وهجوم  
العادي ... وبلغنا  
المبد . وما إن  
توغلنا في مماشيه  
المظلمة وفي مسالكه  
الداجية ، حتى أحاط  
بنا فجأة ستة رجال ،  
ولكني دفعتهم في  
شدة وشققت طريق  
إلى لي هانج سائلة :

أين هـا يا هانج ... أين الفتاتان ؟

وفي تلك اللحظة برز (وامبو) بين مسخور  
المبد وهو يحجز بذراعيه الفتاتين فأسرع إليه  
أحد الرجال ليعينه على إعادتهما إلى غبائها ، فتملك  
جيرالد الغضب وطار له ، وفقد صوابه ، فقبض  
على مسدسه وصوبه إلى ذلك الرجل ، ثم أطلق  
عليه النار ، فأرداه قتيلاً يتضرع بدمائه

ووصلت السيدة كلين على صوت صراخ  
الفتيات وعويلهن ... فأسرعت إليهما ، ولكن  
الرجال وقفوا في سبيلها فصاحت فيهم :  
— سيكون الموت جزاءكم على هذا أيها  
المجرمون  
وكانت آن تناديني وهي تصرخ بأكية بين حين

وآخر ... فطار  
صوابي وألقيت  
بنفسي على هانج  
فدفعني بيده قائلاً :  
— تنجني عني  
أيتها المرأة ...  
جهزي المال غداً  
فتعاد إليك الفتاتان  
— هانج .. !  
أصغ إلى ... لحظة  
واحدة يا هانج ...  
فدفعني ثانية ؛  
ولكني تشبثت به  
قائلة :

— هانج ! لا  
يمكن أن تفعل

ذلك ... إني أمك يا هانج ... إنها أختك هذه  
التي بين يدي الرجال ... هانج ...  
وأخذني الدهول ... ودارت بي الأرض  
الفضاء . ثم سقطت مفشياً على

\*\*\*

عند ما أفقت من الانغماء كنت راقدة على  
السريـر وبجانبـي السيدة كلين التي كانت لي نعم



تحت أقدامه بعد أن لقي حتفه في سبيل انقاذ حياته  
على الرغم من أنه أساء إليه

ونسيت هذه اللحظة كل شيء في العالم، إلا  
هاتين العينين الوادعتين اللتين تنظران إلى في حزن،  
والا ذلك الوجه الشاحب الذي أذبله الموت وملأه  
الأسى، فركمت بجانبه ورفعت رأسه على ذراعي  
فابتسم هامساً في كلمات متقطعة:

— عفواً يا سيدتي ... لقد ... كان عملاً  
جنونياً ... إنني ... لم أسئ ... إليهما ... ولكن  
حقاً ما كانت أقسانى أن أفرق بين الأم وفلذة  
كبدها ... عفواً يا سيدتي إنني لست ... جديراً ...  
أن تسميني ... بيدك ... الكريمة ...

وشعرت في هذه اللحظة أن قلبي يكاد يقطع  
الأسى، ويفريه الحزن، ورفعت رأسي إلى جيرالد، فجثا  
بجانبي، وكان شاحب الوجه غائر العينين، فقلت له:  
— جيرالد ... لقد أنقذ هذا الفتى حياتك ...  
أفلا تشيعه بكلمة شكر تخفف عن نفسه ألم الجرح  
ووطأة الموت ...

ثم اندفعت أقول في حزن:  
— جيرالد ... لن أكتملك شيئاً ... إنه ابني  
يا جيرالد ... ابن (هارى لى)، فارتفع حاجبا جيرالد  
من الدهشة، وانسمت حدقتاه ...

حقاً لقد كان من القسوة أن أجابه بهذه الحقيقة  
المؤلة في ذلك الظرف المصيب ... وقال في تردد:  
— أ كان ... أ كان هارى لى صينياً؟

— أجل ... وكان رجلاً كريماً  
وفي تلك اللحظة رأيت شفقي هانج الذابتين  
تهمسان في ألم:

— كم أنت .. كريمة .. يا سيدتي .. إن والدي

ثم جي وطمس الحركة بين جيرالد وكلين وبين  
الصينيين، وظل القتال سجّالاً إلى أن تغلب العدد  
على القوة، فاستسلم جيرالد، ولطف من كبريائه،  
وخفف من غلوائه، ووقف مغيطاً محنقاً ... وهو  
ينظر إليهم شزراً ... والتقت عيناي بعيني هانج  
وكانتا تشعان بريق الحزن والمطف ثم قلت:

— أتوسل اليك يا هانج لا تمسهما بسوء  
وهنا لم يطق جيرالد أن يراني أتوسل إلى ذلك  
الرجل فقال:

— أتوسلين إلى ذلك المجرم ياروز؟ ثم اندفع  
إلى هانج في غضب ولطمه لكمة قوية. فابتسم هانج  
ولم يتعامل في جلسته، ولم تنفرج شفاه عن كلمة ما،  
بل ظل جامداً هادئاً ... وشهد الرجال ما حل  
بزعيمهم، فلأثم الغضب، وأخذتهم الحمية، فصوب  
أحدهم مسدسه إلى جيرالد، وهم بإطلاق النار،  
ولكن هانج كان أسرع منه، فألقى بنفسه في طريق  
الطالق، واعترضه بصدرة قبل أن يصل إلى جيرالد،  
فنفذت الرصاصة في أضلعه، واستقرت في قلبه  
وسقط لى هانج فالتف حوله الرجال، ونظرت

إليه فاذا الأمل يملأ عينيه وهو يحدق في وجهي في  
صمت ... ثم غمغم إلى رجاله بضع كلمات لا تخلو  
من لهجة الأمر، فانطلق منهم اثنان، ثم عادا بعد  
برهة قصيرة ومعهما الفتاتان ... واندفعت إلى آن  
تطوقني بذراعيها ... ووقع بصرى من فوق كتفها  
بجأة على هانج وهو يحاول أن يدير رأسه في ألم  
لينظر إلى ... وكان الأمل قد أذبل جفنيه، وأطفأ  
بريق عينيه، وغمر وجهه فبدأ ساهماً حزيناً

وإلى هذه اللحظة لم يكن يعلم جيرالد شيئاً عن  
حقيقة هذا الشاب الكريم الذي يلفظ أنفاسه



تعلمى أننى قمت بما ترغبين . . . انه يرقد الآن  
بجوار والده

— شكراً لك يا جبرالد

\*\*\*

وعندما الى الوطن العزيز ، ومضت الأيام تتبع  
الأيام ، والشهور ترسم خطى الشهور ، الى أن كان  
يوم أدهشتنى فيه أن بقولها :

والدتى . . . ان شبح لى هانج لا يزال مائلاً فى  
خاطرى . . . لقد سمعت والدى يقول : ( يجب أن  
ننساه ) . ولكن لماذا ننساه ؟ أليس هو الذى أنقذ  
حياته ؟ لقد كان نبيلاً حقاً يا والدتى . فعندما أخذونا  
اليه أكرم وفادتنا ، وكثيراً ما كان يجلس الى قائلاً :  
أختى الصغيرة . . كم أنت جميلة كزهرة التفاح !  
ولما جن الليل تنحى لنا عن مرقده وافترش  
هو الأرض . . كم أنا حزينة عليه يا والدتى . . . وكم  
أحاول نسيانه فلا يسعدنى القلب !

فنظرت اليها فى عطف . . . ثم قلت لها وأنا  
أغالب الدمع :

— حقاً يا آن . . . لقد كان شاباً نبيلاً ؟  
أحمد فنى مرسى

## قصص اجتماعية

مترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله عثمان

مجموعة من القصص الرفيع الشائق لثمانية من أعلام  
الأدب الفرنسى هم : بورجيه . كوييه . أناتول فرانس .  
موباسان . تيريه . مارسيل بريفو . دى بانفيل . جان  
لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .  
فى ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب  
ثمنه ١٠ قروش ويباع مؤقتاً بـ ٦ قروش بخضم ٤٠٪  
عدا البريد . وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه  
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب

يرقد فى بكين . . وأود أن . . أرقد فى جواره . .  
فقلت له :

— سيكون لك ذلك يا هانج

ونسى جبرالد كل شىء إلا أنه فى حضرة  
شاب يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديه ، بعد أن  
نجاه من الهلاك ؛ فأنحنى عليه فى رفق ، وأخذ  
يمسح عنه العرق المتصبب من جبهته

وخفضت بصرى فاذا عينا هانج الحزينتان  
لا تحولان عن وجهى ، وكأنها سهام مسددة إلى  
صميم قواذى . . . يا إلهى لماذا أتيت من أقصى  
العالم إلى هنا ؟ . . . ألتشهد الأم الجاحدة مصرع  
ابنها الطريد . . . أم ليلفظ الابن أنفاسه الأخيرة  
بين ذراعى أمه . . . هاتان الذراعان الجاحدتان اللتان  
نبذناه طفلاً ، ونحتاه وليداً

ومررت بيدي على جبهته الباردة . . . فابتسم  
قائلاً فى صوت خافت :

— سيدتى الكريمة . . .

ثم أطبق شفتيه الذابلتين ، وأغمض عينيه  
الصافيتين ، ومال برأسه الشاحب الى الخلف  
وقام جبرالد فرفعه من بين ذراعى ، فقلت له  
وأنا أغالب الدمع :

— يجب أن يرقد ذلك الفتى بجانب أبيه  
يا جبرالد

— سأعمل على ذلك يا روز

وعندما إلى المنزل ، وأنا ذاهلة تماماً عما حولى ،  
لأعنى شيئاً ، ولأدرك قولاً ، وبعد أيام أعددتنا عدتنا  
وأخذنا أهبتنا ، وعدنا إلى شينغهاى ، ثم قصصنا  
لترأى الى الباخرة ، فلما وطأتها أقدامنا نظر الى  
جبرالد قائلاً :

— روز . . . قبل أن تغادر الصين . . يجب أن



## يَوْمَاتِي أَنَا فِي الْإِرْيَافِ

للاستاذ توفيق الحكيم

(تابع)

١٣ أكتوبر ...

انتهت الجلسة عند العصر ، وقد خرجت منها محطم الأعصاب . وما كدت أفترق عن القاضي حتى وجدت في وجهي أحد المساكر يحمل أكداساً من « نماذج » تنفيذ الأحكام ، يقدمها إلى للتوقيع . فوضعت إمضائي دون وعي على هذه الأوراق التي ليس لها آخر . وإمضائي الآن لا يمت بصلة الشبه إلى اسمي . فقد أصبح مع السرعة وكثرة التوقيع خطأ أو خطين أقيهما حينما اتفق . وما إن فرغت من ذلك وقد تصبب مني العرق حتى سمعت من يضرب الأسفلت بحذاءه ويرفع كفه بالسلام :

— التحقيق ينتظر فوق في قضية ضرب النار ! ولكن للقوة آدمية حدوداً . ولم أتبلغ بلقمة ولم أطرح جسمي على فراش منذ . . منذ أمس الأول . فما تمالكت أن قلت :

— ضرب نار في عينك ؟ لو كنا عسكرياً في الخنادق ، أو في حرب الدردنيل لرأفوا بحالنا وخافوا على صحتنا ...

لكن ما ذنب الخفير أوجه إليه هذا الكلام ؟ فتركته وسرت في طريقي ، وصعدت إلى مكنتي

في الطابق الثاني فألفيت بيابه الفتاة « ريم » منتظرة مع الحراس وعلى مقربة منها الشيخ عصفور بعوده الأخضر ؛ ولست أدري ماذا ينتظر مع المنتظرين ؟ وأنعمت قليلاً مرأى الفتاة كما يتمتع العشب الذابل بقطرات الندى . ودخلت حجرتي فرأيت المأمور والمعاون وكاتب التحقيق جالسين في نشاط المستيقظ من نوم مريح ، فعلت أنهم آتون الساعة من منازلهم ، وأنهم الآن على استعداد لقتل الوقت في هذه القضية ، فذلك خير من لعب « الطاولة » في النادي أو مص القصب أمام الأجزاء . أما أنا فأنسان لا يصلح الآن لشيء إلا للرقاد سبع ساعات متواليات . فأعلنت الحاضرين برغبتي في تأجيل التحقيق إلى الغد ، فأذعنوا . ولكن بدا مشكل لم يظن إليه أحد : هذه الفتاة أين تبست ليلتها ؟ إنها الآن على مسافة بعيدة من قريتها . وليس من الرأي أن تمود لتأتي مع الصباح . فقد يتصل بها بعض من يعينهم أمر القضية من الأهالي والشهود فيلقنونها ما لا يستقيم مع الصدق والحق ،



وهي لا تعرف أحداً في هذا المركز ولا أهل لها به .  
هنا صاحب الأمور كمن وجد الحل السعيد الموفق :

— المسألة بسيطة . البنات تنام في بيتي  
للمصباح . فالتفتنا إليه جميعاً في شبه ذعر ؛ ثم  
تمالكنا أنفسنا ، ولست أدري كيف دب  
فيما نحن الحاضرين نفس الشعور في نفس الوقت .  
حتى الشيخ عصفور ، وقد زحف خلفي ودلف إلى  
الحجرة ، ظهر في عينيه القلق . وكان الموقف دقيقاً .  
إن أي اعتراض منا معناه الريبة في سلوك حضرة  
المأمور ؛ ومن جهة أخرى إذا سلمناه هذا الحمل  
الوديع فإن الله وحده هو المنجي . فهذا المأمور قد  
شاعت له شائعة أنه استملح ذات يوم فلاحه  
دخات عليه بشكوى ، وأراد أن يختلي بها ، فأمر  
عسكره وخفراءه أن يدخلوا سجن المركز ويحلقوا  
ذقون المساجين . فلما دخلوا أغلق عليهم الباب من  
الخارج وحبسهم ساعة انفرد خلالها بالمرأة .  
تذكرت ذلك وقلت في نفسي : إذا ساءت الأمور  
وتخرجت فأى عبء يوقر ضميري أنا وكيل النيابة  
الذي دفع بيده هذه التفاحة اليانعة إلى هذه  
الأنياب التي يسيل منها اللعاب ؟ ! العجيب أن  
الحاضرين كلهم قد أطارقوا ووجهوا كمن قد أيقن  
وقدر أنها أكلت ومضغت وانتهى الأمر ؛ وأراد  
المأمور أن يدخل علينا الاطمئنان فقال :

أنا عرضي أنها تكون في محل أمين بين  
زوجتي وأولادي

ولم أجد بداً من الازعان . وتركت المسكن  
وانصرفت إلى منزلي . وتناولت شيئاً من الطعام  
على عجل . ثم أويت إلى فراشي واستغرقت في نوم  
لم أصبح منه إلا عند منتصف الليل . قمت عطشان  
فشربت جرعة من « القلة » الفخار بالنافذة .  
وتذكرت الفتاة وتخيلتها في بيت صاحبنا فنفر

من رأسي النوم . وتمنيت لو يقع الآن حادث أقوم  
له ومي الأمور . ولكن الحوادث كالقطط إذا  
ناديتها رفضت المجيء وإذا طردتها جاءت تتمسح  
بالأقدام . ولم أجند ما أصنع . وخالجتني ريب  
وشكوك . وطال الليل في نظري وسمج وتمنيت  
طلوع النهار . وأردت أن أشغل فكري بتدوين  
يومياتي فجمد القلم في يدي . ووقع بصري على  
أكوام من قضايا الجنج والمخالفات والموارض من  
« إيراد » اليومين السابقين أرسلها إلى كاتب  
الجدول لقراءتها وتقييدها ووصف المهمة وتقديمها  
إلى الجلسات . فلم آنس عندي ميلاً إلى العمل .  
فأبجعت إلى النافذة وفتحتها واستنشقت هواء الليل  
الرطب ، ونظرت إلى النجوم تشرف على هذا  
السكون الشامل في هذا الريف النائم ، كأنها عيون  
ساهرة مطلعة على خفايا الأشياء ...

فجأة خطرت لي أن أرتدى ثيابي وأن أنزل إلى  
الطريق وأرود حول منزل المأمور . ما هذا الجنون ؟  
أنا أفعل ذلك ؟ وإذا (ضبطني) خفير الدرك ؟ إنه قد  
يعرف شخصي فيعتذر . ولكنه سيخبر الناس  
ويشيع الخبر وتكون الفضيحة . لا مفر إذن من  
انتظار الصباح وما يأتي به ...

على أن الله لطف بي آخر الأمر فأرسل إلي  
إشارة تليفونية ، طالعها في الحال فإذا هي واقعة  
نافهة مما لا تقوم لمثلها بالليل :

« ... بمرور قطار البضاعة نمرة ٢٠٩ خط  
الدلتا الضيقة عند الكيلو ١٧ أثناء عمل مناورة  
وجد مسمار حدادي على الشريط . والحادثة بفعل  
فاعل مجهول ... الخ الخ » . وقد أشر المأمور في  
ذيل الإشارة بانتداب حضرة معاون الإدارة للانتقال  
وإخطار البك وكيل النيابة للعلم . ومعنى ذلك أنه  
لن يقوم ولا يريد لي أن أقوم . ولكن كيف أضيع

ولم أعقب على كلامه بحرف ، ولم أنبس طول الطريق بكلمة حتى بلغنا السكيلو ١٧ ، ووجدنا أعمال الدريسة وقطار البضاعة وسائقه . وقدم إلينا فالكب العمدة السمار ، وأشار إلى عربة محملة بأكياس من القطن كادت تخرج عن القضيب ، فتناولت السمار بين أصابعي وجملت أخصه ، والمأمور خافى بقول باسمك :  
 — « كان العطش جى فين ، لما الوابور وقع انكسر ! » ، فعلمت أنه يهزل ، وأنه يشير إلى تلك الأغنية التي كانت شائعة منذ ثلاثين عاماً يوم كانت شفيقة القبطية تجلس على عرش الطرب . وسمع السائق تلك العبارة وحماها محل الجد فتقدم بقول :  
 \* — لا حصل كسر ولا وقوع يا فندم ! وأنا ساعة الحادثة كنت جنب القرملة ، وربطت في الحال ...

ومضى يسرد آراءه قائلاً إن أهل هذه المنطقة بسطاء العقول ولعاهم من أصلاب تلك القرية التي « عرمت » القطار في أول ظهوره وقدمت إليه الطعام والشراب ، ولا يبعد أن يكون أحد هؤلاء الأهلالي قد دفعه العبط أو حب الاستطلاع أن يضع هذا السمار على الخط الحديدى ليرى ما يصنع القطار ، وكيف يتصرف ، وكيف يقع على جنبه أو على وجهه . وتقدم عامل دريسة فقال : إن المسألة ليست مسألة بساطة أو بلاهة . إنما هو انتقام من الشركة ، فالأهلالي في هذه الجهة يمشون على استخراج الحصى من الجبل ونقله على الخير والجمال وبئمه للمقاولين ، فجاءت شركة سكة حديد الدلتا الانجليزية فمدت هذا الخط حديثاً إلى الجبل وخصت نفسها بهذا المورد وانتزعت بذلك حتى هذا الحصى من أفواه هؤلاء الجياع المساكين ، وسواء كان هذا هو السبب أو ذاك فإن الفاعل هنا أيضاً غير معروف ولا ينتظر معرفته . وقد انتهينا من الأمر بأن

هذه الفرصة التي هبطت من السماء ؟ ليس أحب إلى الليلة من أن ألقى راحتي وراحة حضرة المأمور . وارتديت في الحال ثيابي وأمرت باحضار السيارة ومررت بمنزل صاحبنا . وأطلقت عليه من يوسع بابه طرقا ويخبره بانتقالى . فأطل الرجل من نافذته صائحاً :  
 — مسمار صغير تقوم له كلنا بالليل !

فأخرجت رأسي من نافذة السيارة :  
 — لو كانت إبرة . ما دامت الحادثة بفعل فاعل أصبحت جنانية . لاحظ أنها جنانية تمطيل قطار ، أخطر جنانية في الدنيا . لابد من حضورك يا حضرة المأمور  
 — أنا ... أنا انتدبت معاون الادارة  
 — لابد من حضورك شخصياً  
 — الليلة .. مستحيل .. أنا الليلة .. تعبان ..  
 — كلنا في التعب سواء ؛ لكن الواجب

يحتم علينا . . . !  
 فأطرق المأمور لحظة مفكراً في ضيق وامتعاض ، ورأى غريمتي واستماتني ، وخشى أن يعارضني في أمر متعلق بالعمل ، فأذن وطلب إلى الانتظار هنيئة حتى يرتدى ثيابه ، ونزل وجلس إلى جانبي في السيارة وهو ينقخ من الغيظ . وتنهيت إلى غيبة الشيخ عصفور . إذ على الرغم من صوت البوق لم يبد له أثر ؛ وكان فكر المأمور مشغولاً هذه المرة ، فلم يفتن لغياب الشيخ ، فلقد مضى في إطراره برهة ثم قال :

— أى نعم ! الواجب يحتم علينا . . . لكن  
 يعنى . . . مسمار ! ؟ فأغمضت عيني حتى لا ينتظر منى جواباً ، فاستطرد :

— الله يسميه بالخير وكيل النيابة سالفك . كان يسأل في قضية القتل شاهدين لا غير ويقفل محضره ويميل على : « هو القاتل أبونا والـ أخونا ؟ قم نبيل ريقنا بكاس » !



— التحقيق انتهى ؟  
 — من زمان !  
 فنظر إلى المائدة التي لم يوضع عليها شيء بعد  
 ثم نظر إلى :  
 — جميع الشهود أعطوا أقوالهم ؟  
 — جميعهم  
 — ولا شاهد واحد فاضل . . ؟  
 — ولا ربع شاهد  
 فتركني وخرج سريعا ثم عاد بعد قليل يجذب  
 أحسد الأهالي من « حرامه » ودفعه أمامي دفعا  
 وأشار إليه وقال :  
 — شاهد مهم قوى ، عنده أقوال  
 فأبدت ارتياحي في قيمة كلام هذا الرجل  
 ورغبتني في الاكتفاء عن سألت من شهود . ولكن  
 الأمور ألح في الرجاء أن أصني إلى هذا الشاهد فأن  
 لديه معلومات ذات أهمية عظيمة . فنشرت ورق  
 من جديد وما كدت أبدأ في إلقاء السؤال ، حتى  
 برز العمدة وخلفه خدمه يضمنون الطعام على المائدة .  
 وارتفع صوت سيد الدار يدعونا إلى الفطور .  
 فاعتذرت بضعف صحتي وامسأكي عن الأكل عادة  
 في الصباح . فانطلق من فم العمدة قسم غليظ .  
 وتواطأ في الحال مع الأمور على حملي من مكاني حملا .  
 وإذا بي أجد نفسي في صدر المائدة . فأذعنت ،  
 وجعلت أنظر ساعة إلى هؤلاء المخلوقات وبينهم  
 الأمور بأكلون وينهشون ويزددون وقد انشغلوا  
 بأنفسهم فلم يفتنوا حتى إلى قلة أكلتي . وقت من  
 بينهم متسللا بعد قليل وجلست في مكاني الأول  
 أنتظر تارة وأتصفح محضري تارة إلى أن فرغوا من  
 أمر بطونهم وأتوا على مافوق الخوان وقاموا بمسحون  
 أيديهم في غطاء المائدة الذي لم ير وجه الصابون  
 منذ عامين ، وأقبل على الأمور يتجشأ ويقول :

وضمنا المسار داخل « حرز » وختمنا عليه بالشمع  
 الأحمر وأرفقناه بالأوراق ... إلى آخر هذا الكلام  
 الرسمي الذي هو كل بضاعتنا ، وكان الندي قد  
 تساقط على رؤوسنا فرآى الأمور فتح المحضر في  
 « دوار » العمدة ، فسألت عن المسافة بيننا وبينه ،  
 فرد نائبه قائلاً :

— « فركة كمب » يا حضرة البك !

فصدقناه ، وسرنا على أقدامنا حتى كادت  
 مفاصلنا تتخلع ، وما وصلنا حتى أذن الفجر في  
 زاوية الناحية ، وتركنا الأمور « يسبح » لنائب  
 العمدة على « فركة » السكمب ، وانهمكت في فتح  
 المحضر وسؤال الشهود حتى فرغت منهم جميعاً ،  
 وأردت أن أختم محضري ، وإذا بي أرى حركة  
 نصب مائدة واعداد طعام وحضرة الأمور قائماً  
 قاعداً ينظر في الخوان ويدخل ويخرج دون أن أعلم  
 ما يشغله من الأمر ، وأخيراً سمعته يقول للعمدة في  
 ناحية :

— اسمع يا عمدة ! البك الوكيل لا يحب الخرفان  
 على الصبح ولا الديوك ولا حاجة أبداً ، ولكن لا بأس  
 من كم زغولة مدفونة في الأرز ، والقراقيش إياها  
 والفطير المشلتت ؛ وإن كان عليه كم كتكوت محرماني  
 ضرر ، واللبن الرائب طبعاً شيء مفيد للصحة . ولا  
 بأس من كم بيضة مقلية في القشدة ، كفاية ، إياك  
 يا عمدة تعمل حاجة زيادة ، البك الوكيل أكلته  
 ضعيفة . إن كان عندك عسل نحل بشمعه فلا بأس .  
 قرصين جبنه ضاقي لا مانع ، طبق كمك وغريبة ..  
 الفرض حاجات خفيفة لطيفة وانت سيد العارفين !  
 أطرقت لهذا الكلام واحمر وجهي ولم أدر ما  
 أصنع . ورأيت الخير في أن أسرع بالانصراف .  
 فطلبت أوراقاً على عجل . ولكن عين الأمور  
 لحظتني وأدرك غرضي . فجاءني مسرعاً يسألني :

— أظن نرجع ما دام التحقيق انتهى  
فأشرت إلى الشاهد الذي كان جاءني به وقد  
نسيه فيما يظهر :  
— لما نسأل الشاهد المهم !  
فأجاب المأمور من فوره :  
— لا مهم ولا حاجة  
وتركني وانجبه إلى الفلاح وقال له :  
— أنت يا ولد عندك معلومات ؟  
فأجاب الفلاح :  
— « لَع »

أى لا ، فالتفت إلى المأمور قائلاً :

— جحش الله في برسيمه ! لا عنده معلومات  
ولا يحزنون . قم بنا يا سمادة البك نرجع بلدنا !  
ونهضنا عائدين ، وقد ارتفعت الشمس . ولم نكد  
نبالغ دار المركز حتى أقبل علينا « البلوكامين »  
يحمل إشارة من المستشفى الأميري أن المصاب « قر  
الدولة علوان » قد أفاق من غيبوبته الآن ويمكن  
استجوابه ، فأسرعنا إلى المستشفى لا نلوي على شيء ،  
خشية أن يعود المصاب إلى الأغماء أو سوء الحال  
فلا نستطيع أبداً أن نستخلص من بين شفتيه  
سر الحادث

ودخلنا المستشفى وسألنا عن « الحكيمباشي »  
فقال لنا إنه في قاعة العمليات ، فسرنا في الردهة  
الموصلة إليها ، فقابلتنا تلك الأسرة الصغيرة والمحفات  
التي تجرى على عجلات فوق الأسفلت كأنها عربات  
الحالين في المحطات الكبرى ، ورأينا تلك المباخر  
وأدوات التعقيم تدفع على بكر ويتصاعد منها البخار ،  
والمرضون في هرج ومرج بأرديتهم البيضاء  
يدفعون تلك العجلات التي تحمل أجساماً في طريق  
الفناء ، يدخلون بها تلك القاعة الرهيبة ويخرجون  
دون أن يبدو على وجوههم أثر اهتمام لموت أو

حياة ، فوقفت قليلاً وقد شرد خاطري ، وخاصرتني  
إحساس من يقف في المحطة بين القطار . نعم ،  
أو لست الساعة في تلك المحطة التي يسافر منها  
المريض إلى العالم الآخر ؟ وحانت مني التفاته إلى  
باب المستشفى الكبير ورأيت المسكري المكلف  
بالحراسة يطرد زرافات النساء المجتمعات في ثيابهن  
السودو « طرحهن » الزرق وأصواتهن التي يقطعها  
عويل القلق . فعلمت أنه سيأتي إليهن بجثة بعد  
قليل . فأنهم في كل يوم يلقون خارج أسوار هذا  
المكان بجثة أو جثتين ليفترسها الحزن الرابض  
بالباب ذو الناب الأزرق في لون « النيلة » والمخالب  
المعفر بالطين والتراب

وفتح باب قاعة العمليات وخرج ممرض يحمل  
دلواً فيه دم سائل ومتجمد وقطع من اللحم كأنها  
أحشاء خروف ، فنظرت في ذلك ، فقال لي الرجل  
إن هذا خرج من بطن امرأة هي الساعة فوق  
المشرحة تحت البنج ، فجمدت في موقعي . وبادر  
المأمور وطلب باسمي مقابلة الحكيمباشي في الحال .  
فذهب الممرض وعاد يفتح لنا باب قاعة العمليات ،  
فتجلدت ودخلت وخلفي من كان معي ، فقاباني  
الحكيمباشي بابتسامة وهو مازال منحنيًا في معطفه  
الأبيض على شيء فوق المشرحة وقد شمر عن ذراعيه  
وفي يده أداة كأنها « الكاشة » وحوله رهنط من  
أصدقائه غير الأطباء عرفت منهم بعض الأعيان في  
ملابسهم العادية . فدنوت ونظرت إلى الذي بين  
يديه فإذا هو جسم فتاة قد شق بطنها شقاً طويلاً  
من الصدر حتى أسفل البطن ، وإذا « الكاشة »  
في يده تجمع الجلد الذي انشق وتخيطة بشيء كأنه  
السامير الصغيرة ، والطبيب يفعل ذلك في سرعة  
غريبة وهو يثرثر مع ضيوفه مازحاً ضاحكاً كأنه  
« حاو » يفاخر بخفة يده ومهارة صنمته . ونظرت



علينا تشخيصات طبية لم أحفل بها الساعة وقلت :  
- الغرض ، يمكننا استجوابه حالاً ؟

فأجاب الطبيب في صوت خافت :

- أظن مع الاختصار الكلى

ثم دنا من المصاب وناداه في هدوء ففتح قليلاً  
عينين ذهب بريقهما وكأنهما لا يريان شيئاً ولا يثبتان  
على شيء بعينه . فاقتربت من الرجل وسألته :

- يا قمر الدولة ! من ضربك ؟

فلم يجب . فاعدت عليه السؤال ففتح شففيه  
ولم يقل شيئاً . فألححت عليه فبذل جهداً طاهراً  
وقال كلمة واحدة :

- ريم !

فدهشت قليلاً . والتفت يمنة ويسره فوجدت  
المأمور وسكرتير التحقيق شأنهما شأني في الاهتمام  
بالأمر والعجب له . فنظرت في وجه المصاب وقلت :

- وضع غرضك يا قمر !

فلم يجب

- قصدك أن ريم هي نفسها ...

فلم يبد حراكاً ...

- يا قمر ، يا علوان . تكلم . لا بد أن تتكلم .

كلمة واحدة . الضارب ؟ من الضارب ؟

ولكننا نطلب المستحيل . فقد أغمض عينيه  
وقد تفقد جبينه عرقاً . فجذبني الحكيمباشي من  
يدى بعيدا وقال :

- كفاية !

فنظرت الى المأمور يائساً :

- كفاية !

وهل ظفرنا نحن بشيء ؟ لقد كان موقفنا  
عند دخولنا أوضح منه الآن . إنها كلمة لفظها هذا  
الغم الجاف بعد جهد ، ليته لم يلفظها ...

( يتبع )  
نوفيس الحكيم

في وجه البنت الشاحب وهي كاليتة ، ثم إلى جلدة  
بطنها وقد رشقت بالمسامير في صف طويل كأشجار  
جلدة حساء في يد الاسكافي ؛ فشعرت بدوار في  
رأسي وخفت أن أسقط ، فاعتمدت على جانب  
المشرحة . ولحظ الطبيب اصفرار وجهي فترك  
المریضة وحده في وجهي قلقاً . فأسرعت وخرجت  
من القاعة وأنا أقول له في صوت لم يخرج إلا نصفه  
من حلق :

- منتظرك يا دكتور بعد العملية

وسألني المأمور عما بي فلم أستطع التعليل . إلى  
قد شاهدت كثيراً من عمليات التشريح ، وطالما  
رأيت جثثاً تقطع أمامي وبطوناً تبقر فلم أتأثر .  
ولكنها كانت أجساداً لا حياة فيها ؛ أتراني شديد  
التأثر لمرآي الأجسام الحية تعامل معاملة الجثث ؟  
أم أنها فضلة من رائحة البنج عبق بها جو قاعة  
العمليات فبلغت خياشيمي إذ دنوت من جسم الفتاة ؟  
وأعادني الهواء الطلق خارج القاعة الى نشاطي  
وجلسنا ننظر في مكتب الحكيمباشي ، ونشرب  
قهوة طلبها لنا « الباشتمرجي » . الى أن حضر  
رئيس الدار فقادنا مرحباً الى « عنبر » المصاب  
وجلسنا معه خلال ممرات ازدحمت بالأسرة إذ  
لم تكف « المنابر » لأبواء هذا القدو من التمساء .  
ورأيتا المرضى الناقهين من أصحاب « الزعابيب »  
الزرقاء يتناولون في نهم حساءهم في أوانٍ صغيرة  
من « الألومنيوم » ، وينظرون إلينا ومعنا  
الحكيمباشي كما ينظر القردة في حديقة الحيوانات  
الى الحراس مع كبار الزائرين

ووصلنا الى سرير « قمر الدولة » ، فوجدناه  
ممدداً لا يتحرك . ونزع الحكيمباشي من رأس  
السرير تلك الرقعة التي يدون فيها تطورات مرضه وقرأ



## استغفار في العصر

للفريد دي موسى

بقتل الأستاذ فليكس فانس

(تابع)

### الفصل الثالث

سأفص الحوادث التي أصبت فيها أولاً بداء

العصر :

بعد أن مررت الساخر في ليلة راقصة ، جلست إلى مائدة مع أصحابي ، وقد ارتدوا أنحر ملابسهم ، والقاعة تنفس بالشبيبة الفضة تشع مرحاً وجالاً ، وعلى جانبنا موائد عديدة تحمل أنحر الطعام والشراب ، تغمرها الأنوار وتكلمها الأزهار ، والموسيقى تملأ القاعة بصخب الأنغام ؛ وكانت على المقعد المقابل لمقعدى الخليفة الرائعة الجمال التي أقمها معبوداً لقلبي

وكنت وقتئذ في التاسع عشر من ربيع الحياة ، وما كنت عرفت شقاء ولا ابتليت بداء ، وكنت أنوفاً لا أعرف المصانعة وفؤادي طافح بالآمال

وفعلت الخيرة فعلها في عروقي ، فبدأ كل ما حولي كأنه موسوم بطابع المرأة التي أحب . ففي مثل هذه النشوة تلوح الدنيا للعاشق جوهرية

تتألق باسم المحبوب من كل جهاتها ، فيكاد النمل يقبل كل من يتسم له ، إذ يشعر بأنه أخ لسكل مخلوق في الوجود

وكانت خليلتي قد ضربت لي موعداً للاجتماع بها بعد انقضاء السمر ، فكنت أرفع الكأس إلى شفقي ولحاظي تغور في أحداقها

وأدرت ظهري للمائدة لأنناول طبقاً فسقطت الشوكة عنها ، وحين انحني لأرفعها عن الأرض مزجماً الفطاء المتدلى ، رأيت قدم خليلتي مشتبكة بقدم الشاب القاعد بقربها ، وكانت الساق على الساق تشد إحداها الأخرى

جلست بكل هدوء ، وطلبت شوكة غير التي سقطت وعدت إلى تناول طعامي ، وكانت خليلتي والشاب محتفظين بالسكون التام ، فلا ينظر أحدهما إلى الآخر ولا يتحدثن ؛ بل كان الشاب متكئاً على المائدة ، وقد أدار وجهه إلى جارة له كانت تربه



وما كانت أصابع رجلى تلمس الأرض لشدة  
تشنج أعصابى . وصرت على ساعة وأنا على هذه  
الحالة من الهياج والجنون ، وكانت هذه أول نوبة  
غضب شعرت بها فى حياتى

وكان الرجل الذى باغته مع خلياتى من أعز  
الأصدقاء على ، فذهبت إليه فى اليوم التالى  
وقد استصحبته شاباً يتهن المحاماة اسمه (ديجنه) ؛  
فأخذ خصمى لنفسه شاهداً آخر وتوجهنا جميعاً  
ومعنا الأسلحة النارية إلى غابة فنسين ؛ وكنت  
أثناء الطريق أتحاشى توجيه الخطاب إلى خصمى  
أو الاقتراب منه ، كيلا أندفع إلى شتمه أو ضربه  
إذ لم يكن من موجب لهذا الاعتداء ما دام القانون  
يجيز لنا الاشتباك بمركبة منظمة ؛ ولكننى ما كنت  
أملك نظراتى من التوجه إليه ، وكان هذا الشاب  
من أصدقاء الصبي ، وقد تبادلنا الولاء طوال  
السنين ، وما كان يجهل علاقتى بخليأتى ، وقد كان  
صرح لى مراراً بأنه شديد الاحترام لمثل هذه  
العلاقات ، وأنه لا يقدم على مزاحمة صديق له حتى  
ولو برح العشق به . وكانت ثقى شديدة بهذا  
الصديق ، وقد لا أكون صاحبة يداً بمثل الولاء  
الذى كنت أضمره له . وحدثت ملياً فى الرجل  
الذى سمعته يتكلم عن الصداقة كأنه أحد الأبطال  
الأقدمين ، ثم رأيت به بعد ذلك يتمتع بخليأتى ؛ فإذا  
هو فى عيني أول مسخ أصادفه فى حياتى ؛ فكنت  
أثبت النظر فيه لأرى كيف تكون المسوخ ، وكان  
يخيل إلى أننى لم أرقط هذا الرجل الذى عرفته  
وهو فى العاشرة من عمره ، فمرت بنا الأيام من ذلك  
العهد بوثق روابط الولاء بيننا ، وإننى لأورد هنا  
تشبيهاً ينطبق على حالى :

عقدتها وأساورها ؛ وكانت خلياتى جامدة ، وقد  
شخص بصرها وتراخت على مقعدها ، وما انقطعت  
لحظة عن مرافقتها إلى نهاية الطعام ، فلم تبدر منها  
بادرة تنم عن حالها

وعند ما قدم الخادم الحلوى ، زحافت المنشفة  
وانحنيت لأخذها عن الأرض فرأيت الساتين وهما  
لم يزالا يتشادان مترابطتين ، وكنت وعدت خلياتى  
أن أرافقها بمد الطعام إلى منزلها ، وما كان ما يحول  
دون ذلك ، وهى أرملة وليس لها إلا صهر طاعن  
فى السن يرافقها أحياناً إلى المجتمعات ؛ وبوصولنا  
إلى الدهليز أمام المخرج وقفت وقالت : ( هيا بنا  
يا أوكثاف ) ، فقهقهت ضاحكا ، وخرجت دون  
أن أفوه بكلمة

اندفعت إلى الشارع ؛ وبعد أن مشيت  
خطوات جلست على قارعة الطريق واجماً كأننى  
أصبت بالعمه من خيانة هذه المرأة التى لم تثر غيرتى  
يوماً ولا نهت شكوكى ، وما كان الذى رأيت لترك  
فى أقل ريب ، فأصبحت لذلك كمن فوجئ بضربة  
فأس على أم رأسه . وصرت الساعات وأنا جالس  
على الحجر تمر بذهنى أمور لم أكن لأذكر منها  
شيئاً فيما بعد . غير أننى رأيت شهاباً ينزلق فى السماء  
فرفمت قبعتى مسلماً عليه ، والشعراء يرون فى كل  
شهاب هاو عالماً يندثر

ورجعت بكل سكون إلى منزلى ، وأنا لا أعى  
وبدأت أخلع أثوابى ، ثم انطرحت على سريرى ،  
وما ألقيت رأسى على الوسادة حتى استوائت على  
فكرة الانتقام ، فانتفضت وجلست ، وقد توترت  
عضلاتى فأصبحت كقطعة من خشب . قفزت  
إلى الأرض ومددت ذراعى وبدأت أصرخ ،

إن في رواية إسبانية معروفة مشهد شخص من حجر يرسله المعدل الآسهي ليتناول طعام العشاء مع رجل عاهر ، فيتجلد هذا الرجل كيلا يلمح جلسته اضطرابه ، ولكن الجليس يتقدم لمصاحفته ، وعندما يقبض على يده يشعر الرجل بصقيع الموت ويرتمش حتى يفقد شعوره

ولقد كنت طول حياتي كلما تكشف لي صديق أو خلية عن غدر وخديعة أشعر بما لا أجد له شيئاً سوى مصافحة يد النمل ، فكأنني كنت أقبض حقيقة على يد من رخام تشعري بصقيع الحقيقة الروعة

تلك هي مصافحة اليد الباردة . ولكم طرقت بابي والأسفاه — ولكم نزل الزجل الحجري في ضيافتي فتناوانا العشاء معاً !

وتمت المدمات فوقفت من خصمي موقفه مني وتقدم كل منا يبطء نحو الآخر ؛ وأطلق هو النار أولاً فأصابني في ساعدي الأيمن ، فتناولت السلاح بيدي اليسرى ، ولكن خائنتني القوى فجثيت راكماً على ركبة واحدة . وعندئذ رأيت خصمي يتقدم إلى بسرعة وقد امتنع لونه وبدأت عليه دلائل الاضطراب الشديد ، وتراكم الشاهدان فأبعدهما هو وقبض على يدي الجريحة وقد صرف بأسنانه واختنق صوته فرأيت الألم يرسم على وجهه بأشد مما كنت أشعر به

فصحت به : اذهب عني ، اذهب إليها وامسح يدك بقطاء فراشها . وبقينا كأننا على صدر كل منا حجراً

ونفقت إلى عربة حيث عابثني طيب فوجد أن الجرح غير خطر لأن الرصاصة كانت استقرت

بمبدأ عن العظم ؛ غير أنني كنت أتأمل إلى درجة جمعت كل محاولة لتضميد الجرح مستحيلة . وعند ما تحركت العربة المسير رأيت يد خصمي قابضة على عارضة الباب وهي ترتجف ؛ وكنت أشعر أنه مخلص في ندمه ، ولكنني لم أكن بخالة تمكنني من التغلب على ثورة أعصابي لمنحه الغفران

ولما وصات إلى مسكني كان قد نزع من دي ما يكفي لهدئة دوران الغضب ، وكان أشد على من آلام جرحي . استلقيت على فراشي مرتاحاً وتناولت من الماء كأساً لم أشعر بلذته في أية كأس شربتها في حياتي

وبعد برهة شعرت بنار الحمى فتساقطت دموعي وتسلط الأسى على ، لا لتحول خيلتي عني بل لأقدامها على خداعي . وهل يسهل على أن أدرك السبب الذي يحفز امرأة لا يقيدها واجب ولا غاية بادية إلى مخادعة رجل وهي تحب سواء

وكنت أعلن استغرابي هذا لديجته عشر مرات في اليوم فأقول له :

— لو أنني كنت زوجاً لهذه المرأة ، أو لو كنت أبذل المال لها لكانت أفهم سبب خيانتها . فما الذي كان يصدها يا ترى عن إعلان انتهاء حبها لي ؟ وما الذي دعاها إلى خيانتني ؟

وما كنت أتصور وقوع الكذب في الغرام . كنت لم أزل في شرح الشباب في ذلك الزمن ؛ غير أنني أعترف بقصوري حتى الآن عن إدراك هذا السر . ولقد كنت كلما أحبيت امرأة أعلن لها حبي ، وكلما شعرت بزوال الحب أعلنه أيضاً ، إذ كنت أعتقد أن مثل هذه الأمور لا سيطرة لأرادتنا عليها ، وأن لا جريمة إلا في الكذب



أما ديجنه فما كان يجيب على كل هذا إلا بقوله : إنها لشقية . فعذني ألا تنظر إلى وجهها فيما بعد

و كنت أقسم له باتباع نصيحته . وقد أشار على فضلاً عن عدم مقابلتها ألا أكتب إليها حتى ولو بقصد توبيخها ، وألا أجابها إذا هي كتبت إلي . وما ترددت في وعده بما أراد وأنا مندهش بل متألم لمرارة نفسي لافتراضه إمكان مخالفتي لهذه الخطة الرشيدة

ولكنني ما تمكنت من النهوض من فراشي ومبارحة غرفتي حتى هرعت إلى منزل خيلاتي فرأيتها وحدها على مقعد في غرفتها وقد ظهر التعب على ملامحها والاهمال في ترتيب أثوابها . فاندفعت أشبعها لوماً وتقريماً ، وقد بلغ مني اليأس أقصاه . فكنت أصرخ بملء صوتي ودموعي تتساقط بغزارة ، وخنقني الزفير فانطرحت على السرير وأنا أقول : لقد كنت تعلمين أن خيانتك تقضى على أيتها الخائنة الشقية ؛ فهل لذت لك هذه الجناية ؟ وما هو ذنبى إليك يا ترى ؟

أما هي فانطرحت على تمانقني قائلة : لقد اندفعت بالرغم مني لأن ذلك الشاب كان قد أسكرني على المسائدة ؛ ولكنني لم أستسلم إليه ، بل كل ما وقع هو أنني تراخيت في ساعة ضلال . ولقد أكون أخطأت ولكنني لم أرتكب جرماً . إنني أقدر الضرر الفادح الذي أنزلته بك ، ولكنني أطمع في عفوك ، فإذا أنت منعمته عني فتلتي

وما ادخرت شيئاً من دموع التوبة الصادقة ولا من فصاحة الألم توصلاً لتعزيتي ، وارتعت على ركبتيهما في وسط القاعة وقد امتنع لونها وتفتق

ثوبها وتهدل شعرها ، فرأيت فيها من الجمال ما لم أراه من قبل ، فارتعشت كرهاً واشتمت آييناً كانت الشهوة تنور في دمي

خرجت من لدنها وقد تحطمت قواي وصممت على ألا أقابلها أبداً ، ولكنني رجعت إليها قبل مضي ربع ساعة وأنا مندفع بقوة خفي كنهها علي ، وقد تسلطت على شهوة التمتع بهذه المرأة مرة أخيرة لأشرب على جسدها الرائع الجمال كل ما ذرفت من مرير الدموع ولأنتحر بعد ذلك

كنت أكرهها وأعبدتها ؛ كنت أشعر أن غرامها يوردي الهلاك ، وأشعر أيضاً أنني لا أقوى على الحياة بدونها . صعدت إلى غرفتها بسرعة الهمم المنطلق دون أن التفت إلى الخدم في طريقي ، ودفعت باب غرفتها فجأة فرأيتها جالسة إلى المرأة وقد تحملت بجميع جواهرها ، وكانت وصيفتها واقفة وراءها تمشط شعرها ، فخيل لي أنني أشهد حليماً ، إذ امتنع على أن أتصور أن المرأة التي أراها أمامي هي المرأة نفسها التي كانت منذ هنيهة ساقطة على الأرض تحت وقر آلامها

تججرت كالتمثال مكاني ، وعند ما سمعت انفتاح الباب التفتت وقالت قبل أن تراني : أهذا أنت ؟ ؟

وكانت تنتظر خصمي ليذهب بها إلى مرقص . وإذا عرفتي قطبت حاجبيها وتبرمت . وتراجعت قاصداً الانسحاب ، ولكنني رأيت رقبتها الناعمة وقد عقص عليها شعرها وربط عليه مشط من اللاس ، والتفت فوفة خصلتان ركزتا بسنبلتين من الفضة ، ولأج كنفها وعنقها بأنصع بياض ؛ فكان شعرها المعقوص مرتفعاً لينة أسد تهزأ

وقلت لها :

— ليكن ما تريدن ، ولكنني أقسم بالله الذي  
برأنا ، وبروح أبي أني سأقتلك وأنتخر بعدك —  
وأخذت خنجرأ كان على رف الموقد ودسسته  
تحت الوسادة فابتسمت وقبلتني قائلة : — مالك  
ولهذه الحفاة يا أوكثاف ؟ تعال إلي ! إياك ترهق  
نفسك وأنت محموم ، أعطني هذا الخنجر

ولما رأيت أنها تحاول أخذه قلت لها :

— إصني إلي ، إني لا أعرف من أنت ولا أية  
مهزلة تمثلين ؟ أما أنا فليس من المهازل ما أفعل .  
لقد بلغ حبي إياك أقصى حد يصل إليه حب إنسان  
على الأرض فكان ذلك لشقائي وموتي ، فاعلمي أني  
لم أزل أنفاني في هواك . تقولين إنك تحبينني أيضاً  
فأنا أطاوعك في رغبتك ، وأقسم بأقدس ما في  
الكون بأنني إذا ما اندججت بك هذا المساء فلن  
يلمسك أحد سواي غداً . سأمتع بك أمام الله  
إذا ما رضيت ، ولكنني سأقتلك قبل انفلاق الصباح  
وارتجيت على الأرض مرتعشاً ، فرأيتهما تاتي  
معطفها على كتفها بسرعة وتولي الأدبار

وعند ما أخبرت (ديجنه) بهذه الحادثة قال لي :  
ولماذا رددتها ؟ إنها جميلة حقاً . فهل بلغ كرهك  
لها إلى هذا الحد ؟

فأجبته : أما زح أنت ؟ وهل لهذه المرأة أن  
تكون خليلتي بعد الآن ؟ وهل تعتقد أن بإمكانني أن  
أشترك فيها مع سواي ؟ أفلا تذكر أنها أقرت  
بتمتع غيري بها ؟ فهل بعد ذلك تريد أن أنسى  
وأستبقى حبي لها وأمتع بها أيضاً ؟

( يبيع ) فليكس فارس

بالمشهد الدليل الذي وقفت عنده منذ هنيهة .

وجت لحظة ثم تقدمت فجأة إلى هذه المرأة  
وأزلات بقبضتي ضربة قاسية على رقبتها فلم تصرخ  
بل سقطت إلى الأمام مرتمية على يديها . وعندئذ  
أسرعت بالانصراف

وما إن وصلت إلى منزلي حتى عاودتني الحى بشدة ،  
فلزمت الفراش وقد نكأ جرحي فألمني كثيراً .  
وجاء ديجنه لميادتي فأطلعته على ما جرى ؛ وبعد أن  
أصنى إلى بكل هدوء أخذ يتمشى في الغرفة كمن  
عزم على أمر يتردد في تنفيذه . وأخيراً وقف أمامي  
وأطلق ضحكة عالية وقال :

— أهذه المرأة أولى خليلاتك ؟

فقلت : — لا بل هي الأخيرة

وعند منتصف الليل بينما كنت مستغرقاً في  
نومي المضطرب خيل إلي أنني أسمع نهداً عميقاً ، وإذا  
فتحت عيني رأيت خليلتي واقفة قرب سريري وقد  
شبكت يديها على صدرها كأنها شبح من العالم  
الثاني ، فما ملكت روحي فصرخت حاسباً أن ما أراه  
خيال جسمه دماغى المحموم ، فنهضت مذعوراً  
وهربت إلى زاوية الغرفة ولكنها تبعتنى وقالت :  
أنا هي . وضعتني إليها فصحت بها : — ماذا تطلبين ؟  
دعيني وشأني وإلا قتلتك

فقلت : — لك أن تقتلني فاني خنتك  
وكذبت عليك ، وما أنا إلا شقية حقيرة ، ولكنني  
لا أطيق الحياة بدونك

ونظرت إليها فإذا هي مجسم الجمال ، وقد  
ارتعشت أعضاؤها واشتعلت عيناها بنيران الشهوة ؛  
وكان عنقها عارياً وشفتاها تحترقان ، فطوقتها بذراعي





هوميروس

النبأ، وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه،  
ويذيقهم ضعف ما صنعوا، ولن يجديهم أن يتوبوا  
أو يتقدموا.. ليأتينكم نبؤه بعد حين !»  
وسخر القوم واستهزأوا به، وقام يوريماك  
برجه بهذه الكلمات :

« انقلب إلى دارك أيها المجوز الحرف ! هلم  
إلى أحفادك الكسالى فتنبأ لهم بما ينبغي أن يأخذوا  
حذرهم منه ! لقد قصف المنون غصن أوديسيوس  
القينان . فليته قصف غصنك كذلك ! طير !! ها  
إن الطير طالما يستنسر في سماء إيثاكا ؟ إن أكر  
الظن أنك تطمع في منحة من ابن مولاك تليماك ..  
ولكن اصغ إلى ! لتكن لك منحة منا إن تنبأت له  
عما يكاد يذهب بك وبه من بطشتنا إن لم يختار  
نفسه ! أسمع ! لقد نصحناله أن يرسل أمه إلى  
بيت أبيها ليختار لها الكف الذي ترضى ، فلم  
يتصيح . وأنا أرسلها كلمة صريحة في غير مين أننا لن  
نبرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخير ( حتى



# الأولاد ليسوا

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

وما كاد يفرغ تليماك من مقالته حتى أرسل  
سيد الأولب نسرين عظيمين طغقا يضربان الهواء  
بخوافيهما، ثم جملا يدومان فوق الملاء، ويقدران  
الشرر من أعينهما ... نذيرى ردى، وصيحة  
منون . ثم انطلقا نحو المدينة وغابا في ظلام البعد  
وشده القوم، وربمت أفئدة العشاق، وأخذوا  
يتخافتون ... ثم نهض فيهم القديس هاليتير بن  
نسلور المعروف بورعه وصدق نبوءته، فقال :  
« أيها الناس ! يا أبناء إيثاكا ! اسمعوا وعوا !  
ليحذر العشاق المعاميد ما ينجي لهم الغيب من شر  
أوشك أن ينقذ على رؤوسهم ! إن أوديسيوس حي  
يرزق، وإنه عائد يومًا إلى وطنه، بل إنه يجد السير إلى  
هنا ! وإنه ليحمل الموت الأجر إلى خصومه، والخير  
الآخضر إلى مواطنيه ! أنا هاليتير، قديسكم الذي  
لا يكذب قد أنبأه قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك

« اسمعوا إلى يا أهل إيثاكا ! ما لكم اليوم قد نسيتم آلاء ملككم أوديسيوس عليكم ، وهو الذي كان يرعاكم كأب ، ويفدق عليكم من فيضه العميم ؟ ما لكم قد تقاعستم دون هؤلاء العشاق الذين يذهبون بخير مولاهم ويأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قلُّ وأنتم كُثُر ، آمنين مطمئنين ، لا يرهبون أوبة مفاجئة من البطل الشريد ... ؟ »

وهاجت كلمة الرجل كوامن العشاق فذهب أحدهم وهو ليوكريتوس ، يقول :

« زويدك يا منظور ! أيها الثرثرة المسجول ! كيف تجرؤ أيها الرجل فتثير الشعب على العشاق وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم يا منظور ؟ إذن فأبشر بعجزهم دون ما ابتغيت ، وثق أن ملك إيثاكا نفسه لن يستطيع معهم شيئاً إذا حاول إخراجهم من بيته هذا ، إذا قدر له يوماً أن يعود ؛ إنه إذا فعل فسيدوق وبال أمره ، وإن تنال منا حماقاتك ولا نبوءات هاليتير ، وبنلوب نفسها لن تفسر بأوبة أوديسيوس ؛ ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه لن يضيرنا أن يذهب تليماخوس فيذرع البحر باحثاً عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء ... »

وتفرق القوم ، وأصرع العشاق إلى خيامهم ، وانقلب تليماك إلى سيف البحر ، حيث وقف فوق صخرة فائقة يناجي مينرفا :

« أيها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة مينرفا ! يا من كنت أمس ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت ؛ أصلي لك ، أنا تليماخوس التمس ، وأبتهل أن تباركيني وتسددي خطواتي ، وتكوني رائدي الأمين في عباب هذا البحر ، وأن تشدي أزرى وتكوني مني إلباً على هؤلاء الفساق المرائيين ،

تخضع بنلوب ) فنمضي مأجورين . . وثق ، أيها الشيخ المهيب الخرف أن نبوءاتك لن تفرغنا ، بل هي تضاعف سخطنا عليك ، وبغضاءنا لك ... ألا ما أطيب الإقامة هنا ؟ لتزدد بنلوب عناداً ، فانا لا نزداد إلا جلاداً .. »

ونفض تليماك فقال :

« على رسلك يا يوريماخوس ! وعلى رسلكم أيها العشاق جميعاً ... لقد أرسلتها كلمة حق فلم تستمعوا لها ! أبدأ لن أضرع إليكم مرة أخرى ... الآلهة بيني وبينكم ، والأغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم ؛ غير أن لي طلبة إليكم حبذا لو أنلتهموني إياها ... فهل تسمحون لي بمركب وعشرين بحاراً فأقلع من فوري هذا إلى ييلوس ثم إلى أسبرطة ، عسى أن أسمع خبراً عن أبي ، أو ألتقف نبوءة من سيد الأولمب الذي بيده ملكوت كل شيء ... إني إذا علمت أن أبي ما يزال حياً فقد أوفق في العثور عليه ولو بعد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فاني عائد إلى إيثاكا فقيم له نصيباً يتفق وهذا المجد الباذخ والذكر التليد ، ثم يكون لي مطلق الحرية في منح أحدكم يد أي فتكون زوجة المخلصة إلى الأبد ، بمد أن أتم لأبي كل المراسيم الجنائزية ، لتقر روحه المظيعة ، وتسكن إلى ربها في ظلال هيدز <sup>(١)</sup> »

وكان في المجتمعين رجل تبدو عليه مخايل النبل ، وتنقد في رأسه جمرات الشيب ، تهالك على نفسه حين وقف ينافح عن تليماك ، فإذا هو الشيخ منظور ، الذي كان أوديسيوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره إلى طروادة ، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما ... قال منظور :

(١) إسم الدار الآخرة في الميثولوجيا



وأفديك ، .. لكن لتمض الآن فلتعتمد للرحلة ما هو  
حسبها من زاد وعتاد ، ونخبة أولى بأس من  
رجالك الأقوياء ، وسأنتقي أنا نفسي أشدهم مراساً  
وأصدقهم عزيمه .. .. إمض على بركة الآلهة ...  
إمض ... لا وقت لدينا فنضيئه ... هلم ... »  
وسكنت مينرقا ... ولكن حرارة كلماتها  
أشرفت بالآمال في نفس تليماك ، فذهب وقلبه  
يخفق بألم أمنية ... الى القصر ... حيث رأى  
المشاق يُذبحون ويمدون نار الشواء ، وحيث قفز  
أنتينوس للقائه ساخرًا مستهزئًا :

تليماك ! ناشدتك الآلهة إلا ما شاركتنا غداءنا  
واطرحت بفضائك هنيئة ! هلم ! تحس من هذه  
البحر قرقفاً أيها الصديق . لا تشغلك أمر الرحلة ..  
فقد أمرنا أن يمد لك الآخيون سفينة عظيمة  
وقدراً من الزاد كبيراً ، وعصبة من الرجال أولى  
قوة .. وستبحر قريباً فتذرع البحار وراء أبيك .  
هلم ... هلم ... »

ولكن تليماك عبس عبوسة قاتمة وقال :  
« أنتينوس ! إليك عني فما أستطيع مشاركة  
خصومي السفلة غداءهم ، ولا لي قلب فأشرب  
النخب من يدك ! لا بورك لكم هذا الدبح الذي  
لا يحمل لكم ، والذي استبحتموه من غير حق ، إذ  
أنا طفل أحب .. أجل ! لأستمعجان لكم الخراب  
ولأسمع في حتفكم ، ولأذهبن إلى بيالوس فانتصر  
إذ عزني النصر في إيثاكا ! أيها الذئاب ! حتى  
سفائني وعتادي تنكرونها على ! »

وكان اللئيم قد أمسك بيمين تليماك كالمصافح  
المستهزئ ، ولكن تليماك جذبها ساخطاً ، وترك  
الكلاب تغمزه وتلمزه ، وتستهزئ بهذا المون

وأن تشرقي في ظلمات رحلتى البعيدة ، وأن تحلى  
أمنًا وسلامًا على ... يا مينرقا ، يا مينرقا ، آمين  
ياربة العدالة ... »



واستجابات مينرقا ، وأقبلت في سورة الأمين  
منطور حتى كانت قبالة تليماك ، ثم شرعت تنكلمه  
كلمات هن أروح من أنفاس الفجر ، وأندى من  
نسبات الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

« السلام عليك يا تليماخوس ! السلام عليك  
حين تثبت أنك ابن أوديسيوس وفرع دوحته  
الوارف ، وحين تبدو فيك بدوات من حوله  
وطوله وقوة بأسه ، وحين تفلح على بركة السماء  
وفي عناية الآلهة ورعاية سيد الأولب ؛ في رحلة  
لن تكون عبثاً ... أنت ابن أبيك يا تليماك ... أتى  
بك من بنلوب ... وآية ذلك هذه الروح القلقة  
التي تشيع فيك من أجله ، وهذا الجبروت الذي  
هو نفحة منه ، وذاك الصوت الجبار الذي يتلجلج  
في فك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد  
الذي هو قبس من ذهنه العظيم ... بشراك يا تليماك !  
لا يحزنك خيال أعدائك فقد أوشك القضاء أن  
ينقض على رؤوسهم فيحط بهم ... أنا ... أنا  
هذا الشيخ المهدم ، صديق أبيك وأمينه منطور ،  
سأكون معك ، وسأخدمك ، وأمهرك عليك ،

اليوم رفات سحيق في رمس عميق في بلد لانعرفه !  
أتسافر يا تليماك ليأتى بك هؤلاء الذئاب ، وقد  
يسلطون عليك من يفتالك ، ثم يستصفون كل مالك  
بعد ذلك ؟ حاشاك يا بنى ! لتبق معنا نحن الذين  
أحببناك واصطفيناك ! فيم تذر عباب هذا البحر  
ولا رحاء لك في مطمح ، ولا ثقة لك فى شيء ؟  
وأجاب تليماك فى رفق :

« رويدك أنت يا ربيبة ! إني لم أعزم شيئاً من  
تلقاء نفسى ... إنها السماء هى التى توحى إلى !  
ولكنى أستحلفك بكل أربابك ألا تقصى شيئاً مما  
اعتزمته على أى إلا بعد احد عشر يوماً أو اثني  
عشر يوماً ... فانها لو علمت بسفرى لأظلمت فى  
عينها مباحج الحياة وذهبت نفسها على حشرات »  
وأقسمت يوريكليا بكل أربابها ، وانثنت تمى  
دنان الخمر وأحمل الدقيق

أما مينرفا ! أما ربة العدالة والحكمة الخالدة ،  
ذات العينين الزبرجديتين ، فقد بعثت شطر البحر  
وقصدت الى المرفأ ، حيث لقيت نوميون بن  
فرونيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه  
المنشئات ، فأعد لها واحدة من خياريها .  
وما كادت ذكاه تدخل فى خدر الأفق ، وما كاد  
الشفق يبكى فيصبغ بدموعه جبين السماء حتى كان  
الملاحون قد هبأوا القلوع ونشروا الشراع ،  
وخبروا مجاذيفهم وأحضروا عددهم ، وتزودوا  
من السلاح ؛ وكانت مينرفا نفسها تستعجبهم ،  
فسرعان أن نهادت السفينة فى جوفها ، ورقصت  
نشوى فوق هامات الشبح

وذهبت مينرفا ، فى صورة منظور وفى طيلسانة  
فأشرفت على عصبة العشاق ؛ وتمتمت بكلمات

الذى يرجوه من بيلوس ، وتلك الجحافل التى يأمل  
أن يجردها عليهم من أسيرطه ... « ومن يدري ؟  
فقد يهتدى إلى إيفير المثمرة ، فيجد فى أعشابها  
بقلة يدس لنا منها فى كؤوسنا فتربحه منا ... »  
... بل من يدري ؟ فلقد يبتلعه اليم كما ابتلع  
أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! إنا  
إذن نقسم هذا المتاع وتلك المضياح ، ثم نهر أحدنا  
الذى تختاره ينلoup بملا لها ، غادة هيلاس بهذا  
القصر النيف ! ... »

تركهم تليماك ، ومضى قدماً الى غرفة أبيه  
بالتابق العلوى ، حيث كنوزه التى لا تقدر ، من  
عدة للحرب وذهب مدخر ، وخمر ممتقة وروح  
أذفر ، وخز وديباج ودُرّ وجوهر ، ومغافر  
أعدت لليوم المنتظر ... يوم يعود أوديسيوس  
فيظفر وبقهر ، ويظهر بيته من ذاك النفر ...

ووجد عندها حارسها يوريكليا فصباح بها :  
« ربيبة ! يوريكليا ! هيا ! صي من خمر فى  
زقاق ! من مدامتك التى ادخرتها لأبى ... لا ...  
لا ... ليس من صفوتها يا ربيبة ، احتفظى بصفوتها  
له ، املئ اثنى عشر دينا ، وهبى عشرين  
جوالقاً من دقيق ، هيا ... أعدىها كلها لتحمل  
إلى سفينتى بعد أن تنام الملاكه ... لا يعلم أحد  
بأمر رحلتى إلى بيلوس وأسيرطه ... حتى ولا أبى !  
سأرحل ثمة ... سأسمع أخبار أبى ... »

وصمت تليماك هنيهة ... واستعبرت ربيبتها  
يوريكليا ، وأرسلت هذه الكلمات على أجنحة من  
الحنان ، وفى شقائق من الرحمة :

« رويدك يا بنى ! أى سفر وأى نوى ! ؟ لقد  
انتهى أوديسيوس وانتهى معه كل شيء ! وهو



فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب النسيم ملء جفونهم ، وكانت الكؤوس ما تزال تغمقه في أيديهم ، فسقطت عن غير عمد لتسقى الأرض من تحتهم شراباً !

وطفقوا تحت طائف الكرى ، بنسجون إلى خيامهم . . .

وأدلفت مينراً نحو القصر ، لتلقى تليماك :  
« تليماك ! هلم ! البدار ! أنت هنا وكل رفاقك في الفلك المشحون ينتظرونك ! هلم ! يجب ألا نضيع وقتنا سدى »

ونفض تليماك ! وسارت مينراً ، وسار هو في أثرها حتى كانا عند سيف البحر ، وحتى أشرفا على السفينة .

« مرحباً يا رفاق ! هلموا فاحملوا هذه الدنانير »

وتلك الأبحار إلى السفينة ! لا أحد يعلم أمر رحلتنا حتى ولا أمي ! فقط ربيتي »

وامتثل الملاحون أمر سيدهم ، ثم تقدمت مينراً فركبت السفينة ومن ورأها ابن أوديسيوس وجاست هي عند الدفة ، ونشط البحارة فهاؤوا المركب ، وحدثت المغرب ربة المداله بعينها الزوجيتين فهبت النسيم رُخاءً ، ورقصت تحتها الأمواج من طرب ، وانتصب تليماك واقفاً يحث رجاله : واضطرب الماء تحت حيزوم السفينة واضطرب ، وصب القوم دنانير من الخمر مقدمة للآلهة وقرباناً ، ونحية لمينراً لا تبعد !

واحلولك الليل وتدجى غيبه : ثم انجاب ظلامه عن فجر مبين !

( يتبع )

دربني فمشبه

## بنك مصر

يساعدكم على الادخار من أقرب وأضمن الوجهه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التوفير المحسوب والضمان الموفور

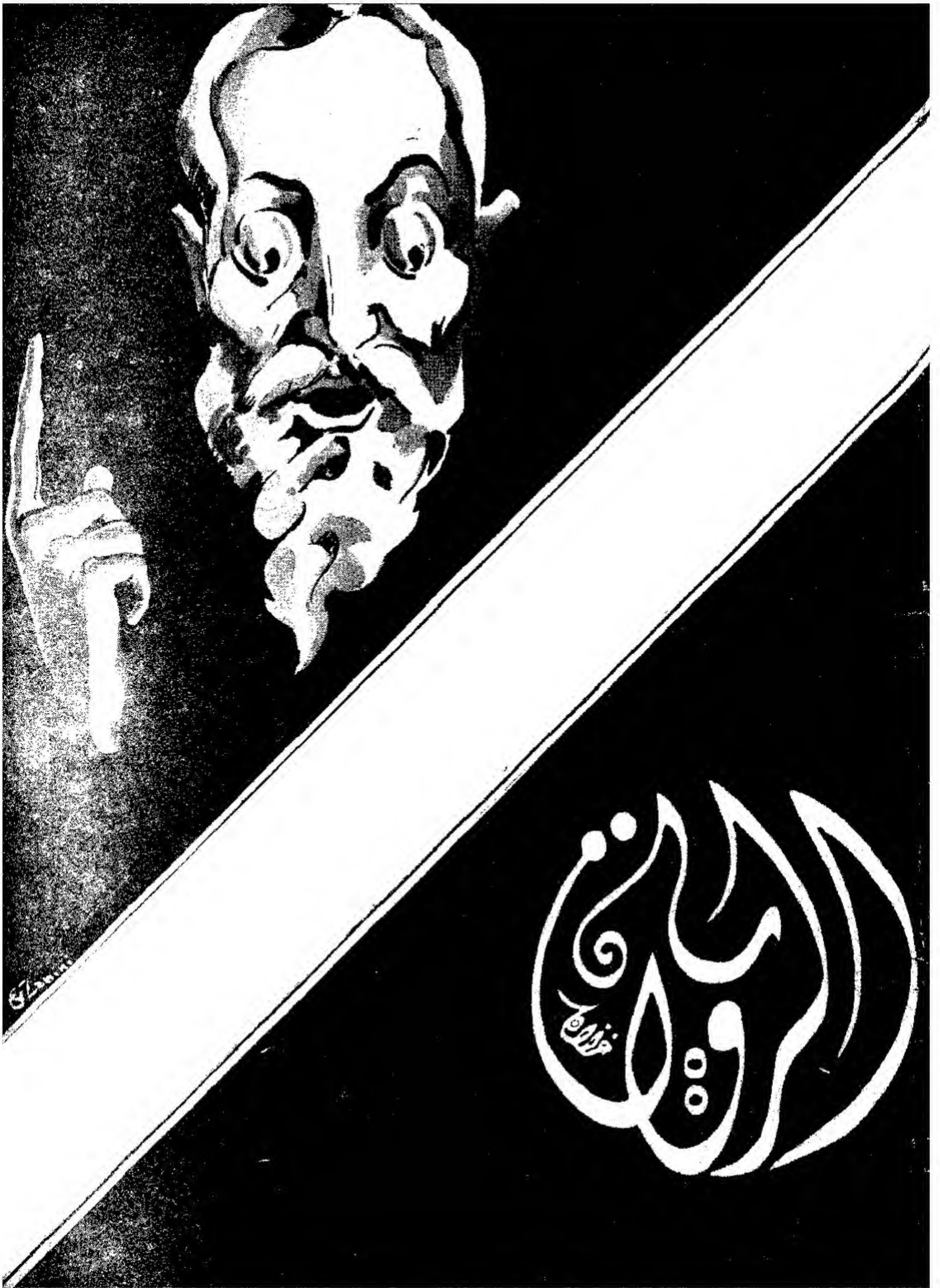
خابروا قسم التقسيط رأساً بمركز البنك الرئيسى

بالقاهرة ، وفروعه بالأقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون











الشجر

الصویر





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الجمهورية

مجلة أسبوعية للقصص والبرق

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢ محرم سنة ١٣٥٦ - ١٥ مارس سنة ١٩٣٧

العدد الرابع

وكان الشتاء في عامنا  
المنصرم قارساً شديداً  
الزمهرير ، فكانت الحاجة  
إلى التطلق والانبساط  
في شهر مايو أشبه بالنشوة  
التي تغمر وبألمها التي  
تفيض

في ذات صباح من  
أصباح الربيع تيقظت فإذا  
بي ألمح من النافذة

بساط السماء الأزرق ممدوداً على سطوح المنازل  
المجاورة ، وقد اشتعلت الشمس في سرتة  
وحواشيه ؛ وكانت العصافير الناشبة في الشبايبك  
تفرد وتسرف في التغريد ، وانحادات في جميع  
طبقات البيت يغنين ويبالغن في التريد ،  
وضجة الحبور والرح تصعد من الشارع إلى ،  
تخرجت والفكر جذلان مشرق أهيم في المدينة

## فصل السبع

للقصص الفرنسي جي دي موباسان

بقلم احمد حسن الزيات

حينما تقبل أوائل الأيام الجميلة فتستيقظ الأرض ،  
وتخضوضر الحقول ، وينبعث النسيم القاتر العاطر  
فينفج الجسوم ويملأ الصدور حتى كأنما يخلص إلى  
الأفئدة ، تخالج أنفسنا رغبات غير واضحة لسعادة  
غير محدودة ، فنتوق إلى الجريان ، ونصبو إلى  
الجولان ، ونسعى إلى المغامرة ، ونهفو إلى  
ارتشاف الربيع



ثم انتهى في أسفل الجيد إلى زغب دقيق رقيق أصهب  
تكاد لا تراه ، ولكنك تحس في نفسك رغبة  
ملحة في أن ترسل عليه غمراً من القبل

التفت الفتاة إلى إجابة لألحاح نظري ؛ ثم كسرت  
طرفها فجأة ، ولاح على وجهها قطوب خفيف أشبه  
بالابتسام البادي ، أخفى زاوية فيها بعض الخفاء ،

ولكنه أظهر ثانية

ذلك الزغب الناعم

الشاحب الذي

ذهبت الشمس قليلاً

كان النهر

الهادي ينفرج

ما بين ضفتيه ،

والجو الضاحك

تنتشر فيه سكينه

الدفء ، والقضاء

المشرق تزخر به

غممة الحياة .

فرقت جارتى

بصرها ثانية إلى ،

وفي هذه المرة كما

بدأ لي من مراقبتها

كانت بسمتها

صريحة قاطعة . وكانت في هذا الوضع رائعة

قائمة حتى كشفت في نظرها المختلس الهارب ألف

شيء كانت مجهولة : كشفت فيه أغواراً لم تدرك .

فيها كل ما نرغب من الحنان ، وكل ما نطلب من

الشعر ، وكل ما نبني من السعادة ؛ فتملكتني رغبة

جنونية في أن أفتح ذراعي فأحملها إلى مكان آخر ثم

أهمس في أذنها بشعر الهوى وموسيقى الغزل

لا أعرف لي وجهها ولا غاية ؛ وكانت بسمات السرور

تتألق في وجوه المارين ، وفسحات السعادة تهتز في

أجواء الربيع . وكأنما هبت على المدينة نفحة سارية

من الحب ، فالفتيات اللاتي يمشين في زينة الصباح

وفي عيونهن حنان مكتوم ، وفي مشيتهن رشاقة

رخوة ، كن يبعثن في قلبي اضطراباً ومشغلة

بلغت ضفة

(السين) ولا

أعرف كيف ولا

أدرى لماذا ؛ فلما

رأيت البواخر تجري

نحو (سيرينس)

نازعتني نفسي إلى

أن أجوس خلال

الغاب فركبت

إحداها

وكان ظهر

الباخرة (موش)

مغطى بالمسافرين

فما تجد موضعاً

لقدم ، لأن أشعة

الربيع الأولى

لاندع إنساناً قابلاً

في مسكنه ؛ وكان كل راكب عليها قد استخفه

النشاط فهو يذهب ويحيى ويضطرم في نفسه ويتحدث

إلى جاره . وكان جوارى لفتاة صغيرة لا شك أنها

عاملة . هي باريسية الأناقة بارعة الظرف ، لها

رأس لطيف التكوين أشقر اللون ، قد استوى

شعره خيلاً على الصدغين ، ثم تحدد وتجمد قصار كأنه

ضوء متموج ؛ ثم انحدر إلى الأذن ، وسال على العنق ،



مات عليها وهممت أن أفتح في لانسكلم وإذا  
بيد تلمس كتنفي ، فالتفت مبعوثاً فرأيت رجلاً عادى  
الهيئة متوسط العمر ينظر إلى في حزن ويقول في  
جد : « أريد أن أكلك في أمر » فبدت على وجهي  
جهومة لم تخف عليه لأنه قال : « إن الأمر جد »  
فنهضت من مجلسي وتبعته حتى انتبذني  
مكاناً في الطرف الآخر من السفينة ثم أنشأ يقول :  
« حينما يدنو الشتاء يا سيدي بقره ومطره وثلجه  
يقول لك طبيبك كل يوم : « لا تهمل تدفئة  
قدميك ، واحذر البرد والزكام وذات الرئة وذات  
الجنب » فتحسب ألف حساب وتتخذ ألف حيلة :  
تكتسى القميص الصوف ، وترتدى المعطف  
الثقيل ، وتنتعل الحذاء الغليظ ، ثم لا يمنعك  
ذلك من أن تقضي شهرين في السرير . ولكن  
حينما يعود الربيع بنضرة عوده ، وبهجة وروده ،  
ونسيمه الفاتر الذي يرخي المفصل ، ونفسه  
العاطر الذي يبلبل الصدر ، لا تجد من يقول  
لك : « حذار من الحب يا سيدي ! إنه يتعبك  
في كل مكان ، ويترصدك في كل حين . كل حيلة  
منصوبة ، وكل أسلحته مشحونة ، وكل غدراثة  
مهيأة ! حذار من الحب ! حذار من الحب ! إنه  
أشد خطراً من الزكام وذات الرئة وذات الجنب .  
إنه لا يشفق ولا يرحم ، ومن طبعه أن يحمل ضحاياه  
على أن يأتوا من السخف والحق ما لا علاج له  
ولا حيلة فيه » أجل يا سيدي ! إن من رأي أن  
تكتب الحكومة في كل عام بالخط الغليظ على  
الجدران هذا الاعلان : « عار الربيع ، فاهمذروا أيتها  
الفرنسيون من الحب » كما يكتبون على أبواب المنازل  
المدهونة : « احذروا من الدهان ! » وما دامت  
الحكومة لم تفعل فاني أقوم مقامها في ذلك وأقول  
لك : « احذر من الحب ، فإنه يهم أن ينشب فيك

مخالبه ، ومن واجبي أن أنبهك إليه كما ينبه  
الروسيون المار إذا قرص أنفه البرد فيبس »  
لبثت دهشاً مبهوتاً أمام هذا الرجل الغريب ،  
ثم اتخذت هيئة الوقار ، وتكلفت لهجة الجد ،  
وقلت له : أراك تدخل ياسيدي فيما لا يعنيك »  
فتحرك حركة عنيفة ثم قال : « أوه ! سيدي !  
سيدي ! إذا رأيت إنساناً يشرف على النرق فهل  
يجوز أن أدعه يفرق ؟ إستمع قصتي فستعرف بعدها  
لماذا جرؤت على أن أكلك على هذا الوجه :  
« كان ذلك في مثل هذا الفصل من العام الماضي ،  
ويجب أن تعلم يا سيدي أولاً أنني موظف بوزارة  
البحرية ، ورؤساؤنا العسكريون يتخذون من  
نشاراتهم وشرائطهم حجة على أن يعاملونا معاملة  
مهيبة ! آه لو كان كل الرؤساء ملكيين ! ما علينا !  
فلمحت من شبك مكتبي طرفاً أزرق صغيراً من  
حاشية الأفق يطير فيه السنونو ، فقام بنفسي  
أن أرقص في وسط دفاتري وأضاييري . واشتدت  
رغبتي في الحرية حتى ذهبت على الكره مني إلى  
قردي أو رئيسي ، وهو رجل ضئيل الجسم نرق  
الطبع لا يتسار عن وجهه الغضب لحظة ، فلقت له :  
إني مريض ، فصاح في وجهي وقال : أنا لا أصدق  
ذلك ، إذهب عني . أنتظن أن العمل يمشي على أمثالك  
من الموظفين ؟ » لم أذهب إلى المكتب كما أراد ،  
وإنما ذهبت إلى السين كما أردت ؛ وكان جو ذلك  
اليوم بكجو هذا اليوم ، فركبت الباخرة ( موش )  
لأجول جولة في ضاحية ( سان كلو ) . آه يا سيدي  
ما كان أحق رئيسي أن يحول بيني وبين الخروج !  
لقد خيل إلى أن مشاعري وجسمي مدتها حرارة  
الشمس ، فأنا أحب كل شيء : أحب الباخرة والنهر  
والشجر والمنازل والجيران وكل ما في الطبيعة من  
صامت وناطق . لقد كنت أتوق إلى أن أعانق أي



شيء كائنًا ما كان . ذلك هو الحب الذي كان يدبر حيله وينصب شراكه

وفي ( التروكادير ) على حين بفتنة صعدت إلى الباخرة فتاة في يدها صرة وجلست أمامي . لقد كانت فتاة المحاسن يا سيدي ، ومن العجيب أن النساء يظهرن في أيام الربيع أحسن وأجمل ، إذ تبدو عليهن الجهارة والفتنة وشيء خاص لا أدريه كأنه شرب النبيذ بعد أكل الجبن

نظرت إليها ونظرت إلى ؛ وكان ذلك حينًا بعد حين كما فعلت صاحبتيك . وأخيرًا خيل إلى من طول ما أدمننا النظر أنسا تعارفنا ، وأن ذلك التعارف يجرى أن أناقها الحديث ، فكلمتها ، فأجبت على كلامي ؛ وكانت لطيفة الروح ، طليبة الحديث ، فأطربتنى يا سيدي وأسكرتنى

وفي ( سان كلو ) نزلت ونزلت ، وكان الذي معها عملاً مطلوباً لبعض الناس فذهبت تسلمه . فلما رجعت كانت الباخرة قد رجعت . فاخذت أمشي بجانبها وعذوبة الهواء تنتزع مني ومنها زفرات تتصعد ، فقلت لها : إن الجو في الغابات يكون أروع وأمتع . فقالت . أي نعم ، فقلت لها : أتخمين أن نجول هناك جولة ؟ فنقدتني خلسة بنظرها السريع كأنما كانت تقدر في رأيها كم أساوي ، ثم نزلت على اقتراحى بعد تردد قليل

ها نحن ذان نسير جنباً إلى جنب وسط الأدواح والشجر ، ولا يزال تحت الأوراق بعض الجليد ، والعشب الطويل الكثيف ذو الخضرة اللامعة يغرق في ضوء الشمس ، ويشرق علباين من الحشرات تنحباب وتتعاشق أيضاً . وكانت الطيور تسجع في كل مكان ؛ فاخذت صاحبتى تركض وتنب تشوى من صفاء الهواء ووضاءة الربيع ؛ وجعلت أنا كذلك أتبعها فأعدو كما تمعدو ، وأطفر كما تطفر .

والمرء يا سيدي يعود بهيماً خالصاً في بعض أحيائه . ثم غنت وهي ثائرة المشاعر مستطارة اللب ألف أغنية : منها الرفيف ومنها الوضع ؛ وفي هذه اللحظة كانت هذه الأغاني وتلك في مسمى سواء في براءة الشعر وسمو اللحن . فأنفعلت أشد الانفعال وكدت أبكي من فرط التأثر

أدركها التعب بعد قليل فقعدت على منحدر معشوشب ، وقعدت أنا بجانبها وتناولت يديها الصغيرتين ، فحرك شفقتي عليها ما وجدت على أناملها من آثار وخز الابة ، فقلت : هذه هي العلامات المقدسة للعمل . فقالت : آه يا سيدي ! أتدري ماذا تدل عليه العلامات المقدسة للعمل ؟ إنها تدل على المصنع الصاخب بلغو الزميلات ، والسمع الملوث بأفحش الهمسات ، والذهن المدنس بأفندرا الحكايات ، والعفاف المثلوم ، والمرض المكلوم ، وفضول الأحاديث السخيفة ، وغثاثة الأفكار الضعيفة ، وشقاوة الحياة اليومية ، وعلى كل ما نتخلق به المرأة العامة العاملة من ضيق الفكر ، وهجر الحديث ، ووقاحة التبذل

ثم حلق كل منا في عين صاحبه طويلاً . آه ! ما أقوى عين المرأة ! ولشد ما تقن وتغزو وتملك وتسيطر ! ما أعظم هذه العين وأملأها بالوعود والأحلام والأسرار ! لقد قالوا : إن العين مرآة القلب . وما أبعد هذا القول عن الصديق يا سيدي ! فان المرء لو اطلع من العين على دخيلة النفس لأبصر رشده وأقلع عن هواه ؛ فلا تصدق !

نار تأري وجن جنوني ، فهممت أن أضربها إلى صدرى فقالت : دع عنك هذا ولتسقط الخالب ! حينئذ جثوت على قدميها ، وفتحت قاي بين يديها ، ثم أخذت أريق على ركبتيها كل ما كان يكظمه من الحنان وبكري من الحب . فدهشت لاضطرابي

اسمع ما ذا حدث :

« وحدثها لا تفتر طول النهار عن السباب والشتم . ثم هي لا تفهم قولاً ولا تعرف علماً . ثرثرة فياضة تصم الآذان ، وغناء متصل يصدع الرئس . تشاجر الفحام واللحام ، وتقص على البوابة دخائل البيت ، وتفشى إلى خادمة الجيران أسرار الفراش ، وتفدح زوجها بالمطالب الباطلة ، وتدفع في صدره بالحكايات السخيفة ، والاعتقادات الباطلة ، والآراء الفائلة ، والأحكام المسرفة ، حتى أكاد أبكي ياسيدى من القنوط والخيبة كلما تحدثت إليها »

ثم غلب الرجل الانفعال والوجد فصمت ؛ وأدركنى على هذا المسكين الساذج رقة ، فأردت أن أجيب عن كلامه بشيء ، ولكن الباخرة كانت قد وقفت على مرفأ فى سان كلو

نهضت الفتاة التي غزت فؤادى ومرت بجانبى وهي خارجة ، فألقت على نظرة عن عرض ، وبسمة عن دلال ، ثم نزلت ، ففهمت أن أثب وراءها ، ولكن جارى أمسك بكى ، فحاولت أن أتخلص منه بحركة عنيفة فتشبث بطرف سترتى وجذبني إلى الوراء وهو يقول بصوت لفت إلينا الراكبين : لن تذهب ! لن تذهب ! فتضاحك من حولنا الناس ولبثت فى مكانى جامداً محقق الصدر ، لا أجرؤ على شيء أمام الهزم والفضيحة ، حتى عادت الباخرة ؛ وبقيت الفتاة

على الرصيف تشيعنى بالنظر الحزين الخائب وصاحبى إلى جانبى يفرك يديه ويهمس فى أذنى قائلاً :

« تالله ، لقد أسديت إليك يداً لا ينقضى شكرها أبداً الدهراً » الزيات

وانقلابى ونظرت إلى عن معرض وكأنما تقول فى نفسها : « آه ! هكذا ينبغي أن يكون العيش بك والهيمنة عليك يا صاحبى ، وسترى ! » والرجال فى الحب ياسيدى مرحاء سذج ، والنساء فيه ناجرات حواذق

لقد كنت وقتئذ أستطيع الاستيلاء عليها مافى ذلك شك . ولقد أدركت هذا الخطأ بعد . ولكننى ما كنت أريد الجسد ولا أنشد اللذة . إنما كنت ابنى حنان المرأة المخلصة ، وجمال المثل الأعلى

فلما فرغت من بث نجواى وإعلان هواى نهضنا فعدنا إلى سان كلو ولم أفارقها إلا فى باريس . وكانت لدى عودتنا كاسفة البال ساهمة الوجه فسألتهما عن سبب ذلك فقالت : هذا نهار من النهسر التى لا تشرق فى حياة المرء إلا قليلاً » نفحق قلبى حتى كاد ينشق صدرى من شدة خفوقه

لقيتها فى الأحد التالى ، وفى الأحد الذى بعده ، وفى سائر أيام الآحاد . فذهبت بها إلى بوجيفال ، وسان جرمان ، وميزون لافاييت ، وبواسى . وغشيننا كل مكان من أمكنة العاصمة يرتاده الحب ويتردد فيه الغزل . وكانت الساكرة لا تألو جهداً فى إذكاء هواى واضرام شوقى ، حتى فقدت صوابى فلم تمض ثلاثة أشهر حتى تزوجتها

وهل يفعل

غير ذلك ياسيدى موظف يعيش وحده من غير امرأة ولا مرشد ؟ لقد حدثته نفسه أن الحياة مع الزوجة ستكون سعيدة رغيدة . ولكن





# العقد الضائع

أقصوصة مصرية

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

الحظ ألفينا الطريق غاصاً  
بالسيارات فتمجبنا أولاً  
ثم تذكرنا أن هذا يوم  
الأحد فلا عجب إذا كان  
الكثيرون قد أقبلوا  
على السويس ليقضوا  
اليوم فيه .

وقطعنا بضعة عشرات  
من الكيلومترات في  
سلام وفي ضحك أيضاً ،

ثم بلغنا أول مرتقى في طريقنا فأشرت على ابن عمي  
بأن يضع ناقل السرعة في المحل الثاني ففعل فوقفت  
السيارة في منتصف الانحدار . وكنا لا نزال مكاننا  
حين وقف المحرك للمرة العاشرة . فاقترحت عليه أن  
يكف عن العمل وأن يضطجع ويشعل سيجاره .  
ولكنه هز رأسه وقال : « هل أرجع بها  
القهقري ثم أبدأ من جديد ؟ »  
فقلت له : « كلا ... إنني أفضل لسخافتي أن  
أواجه الموت » .

وقالت أختي : « هل نستطيع أن ندفعها  
بأيدينا حتى نبليغ ذروة هذا المرتفع ... » .

قلت : « كلا ... إن زنتها لا تقل عن طنين »  
وقال ابن عمي : « لن أسألك عن السبب في  
وقوفها كلما حاولت أن أحملها عن السير فاني أعرف  
جوابك ، ولكنني أؤكد لك أنني أضع ناقل السرعة  
في مكانه بأقصى مايسع إنساناً من الترفق والبطء ...  
وإذا كنت تريد أن تعرف رأيي فهو أن السيارة  
قد أصابها تلف » .

قلت : « سيصيدها التلف على التحقيق إذا  
ظلمت تحاول أن تدير المحرك ثم توقفه ... فستنفد

رجعنا من السويس على عجل - أختي وزوجها  
وأنا - وكنا نقضي فيها أياماً فتلقينا نبأ من خدمتنا  
القديمة الأمينة « فرحة » بأن ابن عمدة قريتنا قادم  
وسيتزل علينا ضيفاً إجابة لدعوة قديعة نسيناها ،  
فأسرعنا فأقبلنا على الحقائق نحشوها حشواً بلا  
عناية بترتيب لنكون في البيت قبل أن يصل .  
ومضى ابن عمي - زوج أختي - فجاء بالسيارة .  
وكنت قد هضت ساقى قبل ذلك بيوم فلم يبق مفر  
من أن يسوق هو السيارة وإن كان لا يحب ذلك  
ولم يتلق فيه إلا بضعة دروس قليلة . وكان الأحجى  
أن نستأجر رجلاً لهذا ولكننا كنا نحصر على  
ألا يكون معنا غريب يأخذ بوجوده الطريق على  
حريتنا في الكلام والضحك واللهو . وقد غربت  
نفسى بأن طريق السويس سهل والحركة فيه قليلة  
فلا داعي للخوف . وفي وسعه أن يخطيء كما يشاء  
فإن يضره أو يضرنا ذلك وإن كان يخشى أن يعطلنا  
ويضيع وقتنا .

وجلسنا إلى جانبه وجلست أختي على المقعد  
الخلفي وطعأنتها بأنى وأنا معه سأكون السائق  
الحقيق وأنه لن يفعل إلا ما أمره . ولكننا لسوء

من المرتفعات وصار الطريق بعد ذلك سهلاً منبسطة  
فشكرناه ؛ وليكن أى شكر يمكن أن يفى بحسن  
صنيعه ومروءته .

\*\*\*

وجاء الصيف ، وكان مساء ، ثم كان صباح .  
ولم يكن النهار قد ارتفع ولا كانت الشمس  
قد علت لما دخلت على «فرحة» توقظني قبل موعدى  
المألوف بساعتين وتخبّرني أن أختى تصبح على  
وتدعوني إليها في غرفتها . وقد عجبت وحق لي أن  
أعجب فما أعرف موجباً لأزعاجي في مثل هذه الساعة  
المبكرة - السابعة من فضلك - ومع أختى زوجها  
فما حاجتها الى ... وقد حاولت أن أهمل هذه الدعوة  
ولكن «فرحة» أثبت أن تمضى عني وتدعني أستأنف  
النوم فتمطيت وفركت عيني وتساءلت وقلت لها :  
« ماذا هناك يا فرحة ؟ ... »

فقلت بلهجتها الهادئة المطمئنة وصوتها المنزّل  
النبرات الذي لا أذكر أنه ارتفع عن هذه الطبقة مرة  
واحدة في عشرين عاماً قضتها معنا منذ كانت طفلة :  
« أظن أن الأمر يستدعي وجودك » .

وفرحة عاقلة ذكية وحريصة دقيقة العبارة ،  
وقد ربّاهما أبى مع أختى وعنى بتعليمهما أيضاً وجعل  
لها حصّة في الوقف الذي وقفه قبيل وفاته ، وكانت  
هذه مفاجأة سارة لنا فقد أحببنا فرحة حب الأخت  
وكانت هي - وما زالت - ربة البيت . ولأسنا  
نعاملها معاملة الخدم وإنما نعدها واحدة منا : لها  
علينا مثل الذي لنا عليها . وحسبك منها أنها  
ما أخذت في حياتها معنا أجراً على خدمة ، وأنها  
بعد وفاة أينا لم نحاسبنا قط على ريع حصتها وإن  
كنا نودعه البنك باسمها ، فإذا أرادت ثوباً أو خاتماً  
أو غير ذلك طلبت ذلك منا كما يمكن أن تطلبه أختى  
منى أو من زوجها . فإذا كانت تقول الآن إن

الكهرباء وتحتاج كلها أردت إدارة المحرك أن  
تنزل وتدير المحرك بالمنفيللا ... وقد ينفعك هذا  
فينغريك بالتفكير قليلاً .

فصاح بي : « تظن أنى لم أفكر ... أنتوهم أنى  
لا أفكر الآن ... إن رأسى يكاد ينفجر من فرط  
التفكير ... »

فضحكت أختى فصاح بها : « نعم اخشى ...  
أنظري إلى الجانب المضحك ... ولم لا ... قد يطير  
عقلي ، ولكن هل يجوز أن يمنعك هذا من  
المضحك ؟ »

وداس برجله الزريريد أن يدير المحرك ...  
ووقفت السيارة مرات أخرى لا أذكر عددها ،  
فاضطجع وأغمض عيني وراح يقول : « لا فائدة ...  
قضى الأمر ... وأنا واثق أنه كتب علينا أن نبقى  
هنا إلى الأبد ... ومن يدري ... ربما كان في  
الطريق مارد في يده سيف مسلول ... والسيارة  
تراه وإن كنا نحن لا نبصره ... من العبث أن  
يقاوم المرء القضاء والقدر ... كلا ... لا تتكلموا  
فانى أوتر أن أقضى نحبي في سلام وبغير ضجة ... »  
وفي هذه اللحظة وقفت إلى جانبنا سيارة ونزل  
منها رجل لم نكد نبصره حتى أيقنا أنه الإنجليزي ،  
وحقق هو ظننا فقال لنا بلفته : « هل أستطيع أن  
أساعدكم » .

فشرحت له الأمر وعرفته خطبنا فابتسم وهم  
بكلام ، ولكن ابن عمى قال له : « امض عنا ...  
اذهب ... وحدك ... إن أمامنا مارد وقد حذر  
السيارة من المضي ، ففهمت عنه ... كان صريحاً  
جداً فيما قاله لها ... اذهب وأرجو لك السلامة »  
فابتسم الرجل ودعاه الى النزول واتخذ مكانه  
وصعد بنا الى رأس التل ، ولم يكتف بذلك بل ظل  
معنا - على مسافة منا ... وراءنا - حتى فرغنا



لى غرفة من أجل شخيرة . . شخيرة . . ليتك  
ترين نفسك فى المرأة وأنت ناعمة . . إذن لرأيت  
كيف ترمين اللحاف وتضربين برجلك هنا ويديك  
هناك . . كالأطفال بلا أدنى فرق . . لقد تزوجت  
طفلة حين تزوجتك . . تقول شخيرة . . مثل  
هذا الطعن القبيح على سيدها وتاج رأسها هل يليق  
يا فرحة ؟ »

فابتسمت فرحة ولم تقل شيئاً وماذا عساها  
تقول وشخيرة يزعم الجيزان حتى لقد جلا السكان  
عن هذا الحى وخربت بيوت أصحاب العمار فيه  
وقرت ضجة الضحك أخيراً — ولكل شىء  
آخر — فقلت : « ماذا كان شرلوك هولمز خليقاً  
أن يصنع فى مثل هذه الحالة . . »

فصاح بى ابن عمى : « دع الفلسفة من فضلك . .  
الأمر واضح . . البيت موصد من كل ناحية والمنافذ  
كلها مسدودة فالذى أخذ العقد لم يجرى من الخارج  
وإنما هو ولا شك واحد ممن فى البيت . . . »  
فصيحنا جميعاً — ما عدا فرحة فأنها مؤدبة —  
« برافو . . برافو . . »

فلم يعبأ بنا ومضى يقول : « الجديد علينا هو  
ابن العمدة فهو السارق »  
فلم نطق بهذا وصحنا به جميعاً — حتى فرحة  
وإن كانت مؤدبة —

فلم ينهزم وقال وهو يمود إلى الجالوس على الحشية :  
« لا بأس . . ولا داعى للصياح . . المسألة بسيطة . .  
إذا لم يكن هو اللص فمن عسى أن يكون غيره . . ؟ »  
فقلت : « أنت مثلاً . . لم لا . . »  
فقهقه : فقلت : « ألا يمكن أن تكون قد  
أخذته لتضعه فى مكان أمين ثم نسيته كما دتلك ؟ .  
إنك هكذا وأنت تعرف ما يكلفنا نسيانك . . قم  
انظر أين وضعت العقد . . واذا كر الاسفنجة . . »

الأمر يستدعى وجودى فقد صار القيام لا بد منه .  
ودخلت على أختى وورأتى فرحة ، فألفيتها  
مستلقية على السرير فى منامة قرصية مزركشة ،  
ومعتمدة بكوعها على وسادة وثيرة مربعة محشوة  
بريش النعام ، وخدها على راحتها ، ويسراها على  
نخدها ، وبين أصبعيها سيجارة ، وكان منظرها فاتناً  
فأنها جميلة ممشوقة ؛ وكانت هذه الرقعة تبرز خطوط  
جسمها الرشيق وبراعة الانحناءات فيه . وكان  
زوجها قاعداً على حشية فوق السجادة فنظرت  
منها إليه وقلت : « لا عجب أن تدللها . . لست  
بإنسان إذا لم تفعل . . »

فابتسمت مسرورة ، وأدنتنى منها وقبلتنى .  
وقالت : « اجلس هنا . . الى جانبي على السرير . .  
وأنت يا فرحة . . قصى عليهم الحكاية . . »  
فأراحت فرحة أناملها على شبك السرير ،  
وأشارت بيدها الأخرى الى منضدة صغيرة قريبة  
وقالت : « قبل أن أترك الغرفة وضعت يدي عقدها  
(وأشارت الى أختى) على هذه المنضدة ، وفى الصباح  
دخلت عليها فلم أجده . وسألته عنه فقلت إنه فى  
مكانه ، فذهبت الى البك (تعنى زوجها) فان فرحة  
مؤدبة) وسألته فجعل يضحك ويتجسس عنقه ويقول  
إنه ليس هنا . . هذه هى الحكاية »

فقلت متمالها كلامها : « نجثم بشرلوك هولمز  
ليحل اللغز ويهتدى إلى السروق ويضع يده على  
الاص . . أشكر لكم هذه الثقة العظيمة »

فقلت أختى وهى تضحك : « العفو . . الواقع  
أن كل ما أذكره هو أنى قمت بالليل وغبت عن  
الغرفة دقائق ومررت فى عودتى بغرفة هذا الزوج  
الصالح ، ولكن شخيرة كان عالياً فهربت »

فنهض ابن عمى محتجاً وقال وهو يتمشى :  
« شخيرة . . هل تريد أن تقولى إنك أفردت

ولا أحتاج أن أقول إننا استقبلنا يومنا مكتئبين  
مهمومين محزونين ؛ فإن للعقد قيمته الذاتية  
والمعنوية ، وقد كنا نتكلف المرح ونبدى صفحة  
البشر ونلقى الأمر بما يشبه الاستخفاف ، لأننا  
اعتدنا أن نواجه الأمور على هذا النحو ، وربنا أبوانا  
على الجلد وضبط الاحساس . أما أحمد فكان  
بطبيعته هزلاً يركب الحياة بالدغابة والبشاشة  
والعبث ، وقد أحببنا وأحببناه وأنس بنا وأنسنا به ،  
فماش معنا وآثر بيتنا على بيت أبويه وانتهى الأمر  
بما كان لابد أن ينتهي به - أي أن يتزوج أختي -  
ولست أعرف أسرة أخرى تعيش هذه العيشة  
السعيدة الرغيدة ، وحسبك أن المسال موفور وأن  
الطباع رضية والأمزجة متطابقة

\*\*\*

ومن عادة أحمد أن يغنى وهو في الحمام . ولست  
أعنى أنه يغنى الأصوات الشائعة ، وإنما أعنى أنه  
وهو في الحمام يصف كل ما يعمل ويرفع الصوت  
بالغناء بهذا الوصف ، فإذا كنت على مقربة من الحمام  
لم يسمعك إلا أن تسمعه يقول - أو يغنى على  
الأصح - « أين الاسفنجية يا سيدي ... لابد أن  
تكون هذه الزوجة المهمة قد ضيعتها ... ومن يدري  
يا حبيبي ... فلعلها خبأتها عمداً ... آه يا روجي ...  
وأين الكبريت ... أظنني نسيت ... هذا خازوق  
يا حبيبي ... وكيف أسخن الماء الآن ... يا لعنة  
الله انزلى رأس الذي اخترع التدفئة بالغاز ... آه  
يا عيني ... والله وحسة ... نجد الكبريت فلا نجد  
القرش الذي نضمه في الثقب لينطلق الغاز ...  
ويسخن الماء فلا نجد الاسفنجية ... واجد كل  
ذلك وأنام في الحوض وبدأ الشعور بالراحة وإذا  
بالغاز قد فرغ ... وأخذ الماء يبرد ... ويجب أن  
أخرج من الحوض لأضع قرشاً آخر في الثقب ...

٢

قبل أن تعترض وتحتج . . قم من فضلك »  
وقالت أختي وهي تعمدل في مجلسها : « يا سليم ..  
إني لم أخطئ حين أزججتك . . كلا . . وأنا الآن  
واقفة أن ابن العم قد نسي أين وضعه . . »  
فصاح بها محتجاً : « ولكني ياستي لم أدخل  
غرفتك . . ودعتك - أعني قبلتك ولا مؤاخذه  
يا سي سليم فإن هذه عادة الأزواج - ثم لم أعد ..  
فكيف يمكن أن أكون قد أخذه ؟ »  
فقالت وهي تقف : « تذكر ... حاول أن  
تذكر ... »

وزدت أنا على قولها : « جرب مرة واحدة  
أن تكلف هذا الرأس عملاً ... لا تخف أن  
تتمب ... »

ففضى عنا إلى الباب وهو يقول : « إني ذاهب  
إلى الحمام ... »

\*\*\*

وهنا ينبغي أن أقول إن العقد الذي ظاب مما  
ورثناه عن أمي وهو من اللؤلؤ النفيس ، وكانت  
حباته نحو مائتين وأكثرها من الكبار في حجم  
الفولة ، وقد رأينا أن نجعل منه عقدين : واحد أصغيراً  
أعطيناه لفرحة ، وبقي الآخر لأختي ، فقد كانت  
إذا لبسته تلفه صفوفاً على بحرها الجميل فأثرت  
التخفيف . على أن الأمر لا محل فيه للتخمين فقد  
قالت فرحة إنها وضعت على المنضدة وفرحة صادقة ،  
ثم إن ذاكرتها لا تخونها أو تعابها كما تعاب ابن  
عمي - أحمد - ذاكرته . ولم يكن أسخف من  
قوله - وإن كان يمزح على عادته - إن ابن العمدة  
- حسن - هو الوحيد الذي تتجه إليه التهمة  
فإن حسناً هذا من سراءة الناس وهو فوق ذلك من  
أقرباء أحمد الأدنين ، وقد ذكرت ذلك لأريك إلى  
أي حد يذهب أحمد في مزاحه



وأبحث عن الكبريت ... والكبريت مبلول ...  
 معلوم ياسيدي ... أو الكبريت فرغ ... طبيبي  
 أصبح ... ومن يسمع ... ألبس البرنس وأخرج  
 لأجىء بكبريت ... خازوق آخر يا حبيبي ... لقد  
 نسيت الفـاز مفتوحاً ... فالحمام كله غاز ...  
 وسـتختنق يا ولد إذا لم تفتح النافذة ... افتح  
 ياسيدي وابد ... وحوح يا حبيبي من البرد ...  
 الذى سمي هذا حماماً كان ولا شك ابن حرام ... »  
 وهكذا إلى غير نهاية ... ومن تحصيل الحاصل  
 أن أقول إننا اعتدنا أن نقف قرب الحمام كلما دخل  
 فيه أحمد لنعرف ما يجرى له فيه فنقع على الأرض  
 من كثرة الضحك . ولا بد أن يحدث له شيء  
 لا يحدث لسواه لأنه كما أسلفت سريع النسيان :  
 ينسى أين وضع الأسفنجة ، وأنه رى الكبريت  
 في الحوض ، وينسى أنه نسي أن يجيء معه بقروش  
 ليضمها في الثقب فإنه يبقى في الحوض ساعة  
 أو ساعتين وهكذا . ولولا أنه نساء لما بثناه عامدين  
 لنضحك ولكنه أغنانا عن ذلك

وكان حسن قد استيقظ ونهض ليلحق بنا  
 ويجلس معنا فالفانا عند الحمام واقفين وإن كانت المقاعد  
 في الدهليز خيا بيده فأشرنا إليه أن اسكت . ورآنا  
 نبتسم وأحسن من هيئتنا أننا نتسمع فشى على أطراف  
 أصابعه ووقف معنا يصغى أيضاً وكان أحمد يقول :  
 « قالوا العقد ضاع ... قال ضاع ... كلام فارغ  
 يا حبيبي ... والله ما أخذه إلا هذا الحرامي الذى  
 نزل في ضيافتنا ... بالطبع سرقه ... في عمر أمه  
 ما رأت مثله ... الأقارب عقارب ياسيدي ... ضاع  
 العقد يا ستي ... أنا المسكين يا حبيبتي ... هات لى  
 عقد غيره ياسيدي ... طبعاً يا ماما ... من يدري ...  
 لعل للعقد لم يضع ... أبوه ياسيدي ... لم يضع ...  
 الأرجح ... والمقول أن يكون في الدولاب ...

أخفته الزوجة الصالحة لأشترى لها عقداً سواه ...  
 النسوان ملاعين ياروحى ... قالوا العقد ضاع ...  
 ضاع فين بالله يا أهل القونطة ... لا ياستى العقد في  
 الدولاب ... والغرض مرض ... »

وكان يبدى ويبعد في هذه المعاني ؛ فأما حسن  
 فلم يفهم وكان ينظر منى إلى أختى ، وكان يرانا  
 نضحك فيتكلف الضحك مثلنا ، وأما أختى  
 فضحكت أولاً ثم لما سمعته يتهمها بأنها خبات  
 العقد لتطالبه بحيلة تجهمت فشددت على ذرائعها  
 فنظرت إلى مبتسمة وهزت رأسها وعاد إلى وجهها  
 الاشراف ، ولكنها لم يسمعها إلا أن تقول لنا ونحن  
 نمضى عن الحمام قبل أن يخرج هو علينا « شف ...  
 ينسى أين وضع العقد ثم يدعى أنى خباته .. طيب .. »  
 وقال حسن : « ألا تقولون ما هى الحكاية »  
 فضحكت وقالت : « الحكاية باختصار أن  
 أختى لا تجد عقدها ... وأحمد يتهمك بسرقة  
 العقد .. لقد سمعته بأذنك .. والآن أفهمت ؟ »

وكانت هذه صدمة فان معرفة حسن بأحمد  
 يسيرة ، وإن كان من أقاربه الأذنين ، ولكنه  
 احتمل هذه الصدمة ، وأسرعنا نحن فعرفناه  
 بأساليب قريبه فضحك معنا ، ولكنه مع ذلك صار  
 يطرق من حين إلى حين كأنما يحدث نفسه بشيء  
 وخرج أحمد أخيراً ، ودخل علينا وفي يده  
 صحيفة يتأملها وينظر إلى الصور التى فيها فكانت  
 له عناية بقراءة الصحف ، وجلس إلى المائدة وأدار  
 عينه فيما عليها ثم سأل : « ماذا أعددت لنا يا امرأة ؟ »  
 فاغتصمت أختى هذه الفرصة وصاحت به :  
 « ألا تنتظر حتى يستعد الباكون للأكل ... ماهذه  
 الشراة ... ثم كيف تزعم أنى أخفيت العقد  
 لتشترى لى سواه ؟ »

فقال ببطء : « الجواب على السؤال الأول

أعلم من أول الأمر أن لا فائدة . . . قلت لكم مائة مرة إن هذه الزوجة تعرف أين يوجد العقد . . . نعم هي خبائه »

فصاحت به : « ألا يمكن أن تسكت . . . » فقال : « أسكت ! وكيف تحمليننا بكل هذه المشاق من أجل خرزات ؟ . . . »

ولم يتمها فقد هجنا به احتجاجاً على وصف حبات اللؤلؤ بأنها خرزات

ولما قرت الضجة قالت أختي : « اسمعوا . . . إني لم أعد أظيق البقاء هذا النهار في البيت فلنذهب إلى أي مكان آخر ولننغد هناك . . . »

وكان هذا اقتراحاً حسناً ، فإن بقاءنا في البيت كان خليقاً بأن يغرينا باستئناف البحث مرة أخرى فنشقى على غير جدوى . فمن الخير أن نخرج وأن نقضي النهار في مكان آخر ثم نعود . . . ومن يدرى فقد نجد العقد تحت عيوننا حين نعود كما يحدث كثيراً . وما زلت أذكر كيف كنت مرة أبحث عن قلبي وكانت أختي مني ، فلما تعبنا جالسنا على الكرامى وهمت بأن أخرج سيجارة ، وإذا بالقلم بين أصابعي . . . ومن الغريب أن أختي لم تبه في يدي كما لم أره . . . وقد ذكرت أختي بهذه الحكاية أو الحادثة وفي مرجوى أن أبعث في نفسها الأمل فلا تقضي النهار يائسة مكتئبة في سرها وإن كانت تتشجع وتتجلد ولا تبدى جزءاً

وقمت إلى حماتي على حين راح غيري يلبس الثياب استعداداً للخروج . وكان طبيعياً أن يفرغوا من شأنهم قبلي ، وأن يستبطئوني فاني في حركة دائمة في الحمام وهم لا يصنعون شيئاً بعد أن لبسوا الثياب ووقفوا ينتظرون ، وليس أشد على المضطرب القلق من الانتظار . فأقبلوا على باب الحمام يدقون عليه بأيديهم وينقرون بأصابعهم ويدعونني أن أسرع ،

بالنفي . . . النفي البات . . . أما الشطر الثاني من السؤال فأوان الرد عليه يكون بعد الأكل ، فانه يحتاج إلى عقل ، والعقل يذهب به الجوع »

فصاحت به : « ولكن كيف نجرؤ ؟ . . . » فقال بهدوء : « من الغريب أني جئت هنا لا أكل لا لأتكلّم . . . نعم الأكل أولاً يا امرأة » فقالت : « هل عنيت بالبحث في ثيابك ؟ . . . بالطبع لم تمن . . . »

فالتفت إلى حسن وقال : « شف يا حسن . . . شف . . . احذر يا بني أن تتزوج . . . لا غدر لك وقد رأيت بعينك ما تصنع الزوجات ببعولتهن » فقال حسن : « أظن أني سأزوج . . . وعلى فكرة كيف تسمح لنفسك أن تهمني بالسرقة ؟ » فرفع أحمد يديه إلى السماء ثم التفت إلى حسن وقال : « وأنت أيضاً . . . لم يبق لي عيش في هذا البيت . . . فلأرحل » ونهض وقال : « يا امرأة إني في المكتب »

\*\*\*

لم ندع مكاناً في البيت إلا بحثنا فيه ، ولا ثوبا في خزانة أحمد إلا نفصناه وقلبنا جيوبه - حتى السجاجيد رفعناها ونظرنا تحتها . . . حتى الستائر نحيناها وأجلنا عيوننا فيما وراءها وفيها أيضا مخافة أن يكون جبل العقد قد علق بشيء منها . فلم نجد لا عقدا ولا حبة من عقد فيئسنا وحل الا كتبنا محل البشر ، فقد كنا إلى ما قبل ذلك نعتقد أن العقد موجود في مكان ما ولكن أعيننا لا تراه . وقد أعدنا البحث مرة وأخرى لظننا أو توهمنا أننا نخطئناه بعيوننا ونحن نديرها كما هي المائدة في حالة الاضطراب . ولم يكن أحمد يغمينا من مزاحه في خلال هذا البحث المتعب ، فلما كففتنا قال وهو يضطجع ويشعل سيجارته : « لا فائدة . . . لقد كنت



وكان أحمد يتخذ من باب الحمام طبلة  
وأخيراً خرجت فما يمكن أن تكون لمستحم  
راحة أولدة وعلى باب من يصيحون به ويسمعونه  
ما يكره ، فلحقوا بي في غرفتي ، ولكنني أخرجتهم  
منها بجهد ، فاني مستعد أن أحتمل كل شيء إلا أن  
يحيط بي هؤلاء الصائحون الصاخبون وأنا ألبس ؛  
على أني أسرعت وعجلت لآتي شر هجومهم على  
كرة أخرى ، وكانت ساق لا تزال أحسها ثقيلة  
مما أصابها في السويس وهاضها وإن كانت لا تؤلني ،  
فلما صرت اليهم في الردهة وقفت هنيئة أدعكها  
لأليها فسألني أختي : « ألا تزال تؤلك ؟ »  
فقلت : « كلا ، لا ألم ولكنني أحسها ثقيلة »  
فقال ابن عمي : « كلك ثقيل يا أختي .. تعال »  
فقلت : « ولكنني حقيقة أشعر أنها أثقل  
مما كانت أمس »

فقلت أختي : « طبيعي هذا من الجهد الذي  
تسكفته اليوم في البحث »

فاقتنعت ونزلنا الى الباب ، وكان ابن عمي قد  
جاء بالسيارة قبل ذلك وتركها أمام الباب ، فجلست  
أختي ومعهما حسن على المقعد الخلفي ، واتخذ أحمد  
مكان القيادة ، وقلت له وأنا أفتح الباب الآخر  
لأجلس الى جانيه : « لعل درس الأمس نفعلك ،  
فلا تكرر أخطائك المعتادة »

فزام أولاً ثم قال : « ولكن إذا كنتم تريدون  
أن أشرفكم بتولي القيادة العامة ، أفلا يحسن أن  
أعرف الى أين يراد مني أن أحملكم ؟ »

فقلت أختي : « أوه ... الى أي مكان ...  
الى القناطر الخيرية إذا شئت ... أو الى حديقة  
الأورمان ... أو ... أي مكان تحب »

قال حسن : « الى القناطر إذن ... اركب يا هذا  
أم تريد أن أنزل وأحملك ؟ »

وكان الركوب يحوجني أن أحمل ساق يدي  
لأن ثنيها كان يؤلني في موضع الركبة ، فجلست على  
المقعد ووجهي الى الباب وملت على ساق وهي ممدودة  
لأحملها وأدور بها وأدخلها في السيارة ثم ارتدلت  
ضاحكا ، فسألني أختي عن الخبر فقال لها زوجها :  
« دعيه .. إنه يحلم .. لا يزال نائما .. لاشك أن الحلم  
لذيذ ... ألا ترين ... أعني ألا تسمعين ... »

فمسحت أولا الدموع التي ترقرت في عيني  
من فرط الضحك ، ثم مسحت بطني التي سارت  
توجعني ... ثم نهدت وقلت : « آخ ... مسألة  
ظريفة جدا ... »

فقلت أختي : « ولكن ما هي الحكاية ...  
أتظن أن من اللائق أن نقف ساعة أمام الباب ؟ »  
قلت : « أظن أن الواجب أن ندخل .. نعود  
الى البيت دقائق قبل أن نخرج الى رحلتنا ... »  
فنهضت أختي عن مقعدها قليلاً وزحفت الى  
الأمام مقدار شبر ، ووضعت كفها البضة على  
كتفي وقالت : « لا تعذبني ... انطق »

قلت : « لا حاجة بي الى الكلام ... خذي »  
وانحنيت فأخرجت العقيد المفقود من طية  
البنطلون عند حرقه ورفعته الى عينها وقالت :  
« لقد كنت أظن أن ساق اليوم أسوأ مما  
كانت أمس لأنني أحسها أثقل ... فالآن عرفت  
السبب ولكنني لا أعرف كيف سقط المقعد في  
طية البنطلون ... »

ولا أزال الى الآن أجهل كيف أمكن أن  
يحدث هذا ، وإنما الذي أعرفه أن أختي فرحت  
وأن ابن عمي حاول أن يركبني بعينه المألوف ، فوضعت  
كفها على فم فقبل أصابعها ثم عضها فصرخت  
فقال : « هذا جزاء من يدافع عن السراق والمصوص  
والخونة »  
ابراهيم عبد القادر المازني

# ماتت

## أقصوصة انجليزية

بقلم الأديب أحمد عبد العظيم شحانة

— ألا ترى يا صديقي

الغيوم فوقنا تتلبد ؟ ..

ثم السماء هي الأخرى

توشك أن تثلجنا ...

أليس الرأي عندك أن

نؤوب ؟ ..

وظل الربان في موقفه

يتطلع إلى زميله وهو

مطرق ذاهل حتى رفع

رأسه من بين كفيه في

تؤدة وعناء ، وطفق يرقى يبصره الزائع إلى السماء

رويداً رويداً ، ثم ما لبث أن استرده وقد انتشر

على شفثيه بسمة طفيفة ساخرة وهو يلقى جوابه

الوجيز :

— لا . لا إخالها تفعل ...

ثم عمد إلى راحتيه فأسلم إليهما رأسه المكدود

وعاد السكون الحاد فالتأم فوق رأسيهما من جديد ..

لم يكن توني ملاحاً خبيراً ، وكنث أحنو عليه

حنو الاخوة لأب أمي — أعزها الله وأكرم

مثواها — حملته إلى مقرنا ووضعته بيننا رضيعاً

يتما فارقة أبواه وخلفاه وحيداً ، فدب مبتأ وجري

مجرانا حتى إذا ما بلغ مبلغ الرجل فتش عن ذويه

فما وجد لهم أثراً ولا لنفسه موثلاً غير موثلاً ، فارتضى

عشرتنا وأطمأن إلى جوارنا ... وكنث في هذه

الاثناء يافماً حلوا القسبات أملس الشمر فاحمه ، رحيب

ما بين المنكبين مستوى العود فارعه ، وكان توني على

تقيض ضاويًا نحيلًا مكفأ اللون لا يفيق قط من

أحزانه ، صموتا أبداً من غير سبب أو علة ظاهرة ...

يكند بدنه ويفلو — متلذذاً مرثاحاً — في تمنيته

ونحشيمه صنوف التمذيب والارهاق ...

... لو أنك ترفقت قليلاً في سيرك ، ولم تك

مسرع الخطو وأنت تطوى حافة الميناء منذ عشرة

أحوال قضت للحظت زورقاً فضى اللون جذاباً

يحمله النهر — في فحمة الليل — فوق صدره الثائر

المرتبجف ، وقد توارى من صفع الرياح القاسية في

ناحية قاصية خاف سد منيع قائم بين الأمواج ...

فاذا ما الفجر انبثق وجرى نسيمه الوافي

الرقيق ، انفلت الزورق من قيده ودلف إلى عرض

النهر هادئاً وادعاً ينساب كالثعبان ... يغمره سحر

الفجر وجلاله ويلفه صمت رهيب متصل ... وفي

سويحات الظهيرة ، وقد احمرت عين السماء وعم

الضجيج ودبت الحركة ... هنالك يتراءى من وراء

الأفق البعيد شراعه الناصع الرقيق مقبلاً بهادى

في فتور وعناء ، وقد أنقض ظهر الزورق الرشيق

أكوام السمك القاعة ذات البريق ...

وتوقف الربان فوق رأس الزورق بين الأمواج

الوادعة ذات صباح منصوب الصدر صرغ الهامة

يرنو إلى السماء ويجميل عينيه في أنحائها برهة موجزة

لا ينشب بعدها أن يتحول عنها قائلاً لرقيقه المطرق

الكئيب :



بابنا الصغير فألقيت يدي على مقبضه ، ولكنني  
دفعت دفعا هينا رفيقا حتى لا يسمعي صديقي ...  
كنت أبنى أن أجاه إلا أنني ما كدت أخطو أول  
خطوة حتى وقع بصري على فتاة رقيقة فائنة  
ما كادت تلمحني في مكاني حتى بادرت إلي قائلة  
في لطف ودعة : هاندي ياسيدي ... أستطيع أن  
أقضى لك حاجة ؟

عراني وجوم شديد وتولتني وقتئذ الحيرة ،  
فعمدت إلى لساني استحثه واستنهض همه نخذلني  
الثرثار ولم ينبس بغير هذه الكلمات القليلة ألقى  
بها من مكانه ، ثم عاوده جموده وتصلبه : نعم ...  
خدمات كثيرة يا آنسة ... وما كدت أفرغ من  
إلقائها حتى رنّ بفتة من وراء الحجرات صوت رخيم  
بدد السكون الخيم وملأ أذني كما ملأ جو الغرفة ..  
وتبينت هذا الصوت جيدا فاذا به ... يا عجبا !  
إنه صوت توني ! توني يغني ... توني الكتيب  
المنقبض ... تلك لعمري إحدى المعجزات ...  
وهفت نفسي إلى رؤية هذا المنظر العجيب  
ودرت على عقبي أحاول المدو إليه قبل أن يرتد  
إليه حزنه ، إلا أنني والحق أقول ألقيت نفسي عاجزا  
وأطرافي جامدة لا تقبل الحركة ، وأحسست رغبة  
وجنوحا قويا للبقاء ، فلبثت في مكاني أجيل عيني  
في قوامها الساحر المشوق .. في خديها الناعمين ..  
في فمها القرمزي الدقيق .. في ساقها المتلائمين ..  
في ...

— سيدى ما حاجتك ؟

ووجدت لساني فقلت : ولكن خبريني أيها  
الآنسة الصغيرة ماذا تفعلين هنا ؟  
فأجابتنى وقد غطي الدهش صفحة وجهها الجميل :

وكنت لا أملك وإياه من متاع الدنيا شيئا غير  
هذا الزورق الذي يسمى كل يوم مع الشمس ،  
وحانوت ضئيل حرج نبيع به السمك الذي نصيد ..  
وكنّ لم يمد يوما غرفتين باردتين عاريتين تقومان  
خلف الحانوت بقليل ..

وأحسست يوما أن صدري يضيق وأن قلبي  
ينقبض ، فشيت إلى الفضاء الواسع الذي يحاصر  
مسكننا ألتبس الراحة والهدوء ، غير أنني ما كدت  
أنقل فيه بعض الخطى حتى أظلم الكون في عيني  
وأحسست أن الأرض تميد تحت قدمي .. وبدرت  
منى حينئذ صرخة دوى بها الفضاء ... وألقيت  
ببصري إلى الأرض في لطفة وسرعة ، فاذا الدم  
يتصبب من قدمي حارا غزيرا .

لقد قيل لي يومئذ إن مسمارا حادا منتصباً ،  
هو الذي وطئته قدمك شبه المارية ، فكان هذا  
الدم القاني الذي روعك ... ولكنني في الواقع  
لم آبه لشيء مما وقع إلا عند ما أبصرت القبيح يوما  
يطوق فوهة الجرح من كل جانب ... عندئذ  
تسرب إلى الخوف ، ولم أجد إذ ذاك بدا من أن  
أهرع إلى المستشفى ... وهناك في طريقى بدا لي  
طيف صديقي وحيدا صامتا ينهض بأعباء عملينا  
النامسة المضنية والعرق يتفصد من بدنه الناحل  
الهزبل ... لقد أخذتني الشفقة به فأهيمت عليه  
أوصيه أن يترفق بنفسه وأن يشرك معه من يقوم  
مقامي حتى تخين أوبتي ...

وانصرفت أسابيع قلائل أنفقتها جميعاً تحت  
سقف المستشفى حتى اندملت قدمي وقاربت  
الشفاء عندئذ رأيت أن أفارق محبسي فشخصت  
إلى مقرنا من غير أن أعلم صديقي ... وأدركت

— إننى أبيعك ... أنت أو غيرك من هذا السمك ... أنا ماريا ، أما أنت فأجهلك ويخيفنى منك صمتك ونظراتك ..

— ولكن هببى كتمتك حقيقة أمرى فهزت كتفها الصغيرين ومدت شفها الدقيقة قائلة :

— وماذا يضيرنى يا سيدى ؟ بل لبتك تفعل قالت ذلك واتخذت سبيلها إلى بعض الآنية تتناولها واحدة فواحدة وتنفض الغبار عنها ثم تردّها إلى مواضعها ، ووقفت أنا أرقبها عن كשב . كانت رائحة ساحرة .. وجسدها ناعجا مغريا يشف عنه ثوبها الحريري المحبوك ... وسنعت فى رأسى فكرة : لا بد أن تكون هذه غانية أتى بها صديق لثامو معه . وكان السكون حولنا صررفا والأبواب كلها مؤصدة . بيدت أطرافى واشتدت ضربات قلبى والتهبت رأسى ثم شبت النار فى كيانى وما أسرع شوبها فى كيان الملاح !

دنوت منها وجسمى يضطرب اضطرابا شديدا فارتدت إلى الوراء مذعورة ، وكادت تولبى ظهرها فاحتوتها ذراعى المدودتان وتلقاها صدرى الملهب ... وعالجت الفرار ولكنى استبقيتها ؛ ولم أشعر إذ ذاك بذراعى وهى تنساب منى وتطوق جسمها اللين الدافئ وتضمه إلى وهى تدفنى عنها دهشة خائفة : سيدى ما هذا ؟ .. قف .. تمهل .. إننى لست عرضة للبيع سيدى .. — ولكنى لم أسمع لقولها بل حدثت فى عينيها الصافيتين الخائفتين وشعرها البعث على عجاها الوضىء ... لقد طار عنى صوابى وتلاشى الكون من أمام عيني فأهويت بعمى على نغرها — كالمجنون — أغمره بالقبيل وانشق

أنفاسها الدفينة المذاب ... واضطرب جسمنا باللتصقان وانتبهت مذعورا عند ما اخترق أذنى صوت من أقصى الغرفة ... لم أك أقدر أن ثالثا معنا يشهد كل ما جرى منا .. كان جامدا كالتمثال يتعصب منه الغم والألم ، ولم أدر لم كان بصوب إلينا هذا النظر المروع المخيف . وأخذ يتقدم نحوى متكفأ السرور وهتف فى صوت متهدج تلوح فيه رنة الأسى العميق :

— هانت ذا أخيرا يا جيم ! كيف أجذك الآن ؟ كيف حال قدمك ؟ ولكنك لم تنبئنى بموعد قدومك إنه جيم يا ماريا صديق وشريكى وأمسك عن الكلام هنية وطفق يمسح جبينه بيده ويقبض على فكيه ، ثم عاد ينظر إلى مستأنفا قوله : ( صديقى .. أريدك وحيدا .. فى مكان خلى . أريد أن ألقى إليك سرا )

وأمسك بذراعى وكان طبيعيا ألا أحجم أو امتنع عليه ، فاستسلمت له وأنحدرنا إلى الطريق ومضينا فيها جنباً إلى جنب صامتين واجين لاأحدثه ولا يحدثنى ...

وقف تونى عن السير فجأة ، فالتفت إليه فابتدرنى ضارعا مستعظفا :

— ألسن تعلم يا صديقى أننى قضيت العمر حزينا كاسف البال موجع القلب : حتى قبض الله لى ماريا ؟ كم أحبها يا صديقى ... لقد بعثت فى الحياة .. بددت عنى الهموم . تصور أننى أصبحت كلفا بالفتاء ! دعها لى يربك ولا تصرفها عنى ... إنك جميل ؛ وإن شئت سى إليك كل النساء ؛ أما أنا خلقت سبي ووجهى دميم ، لا أفوز إلا بسخرهن لقد مست كلماته منى موضع الألم فأقبلت عليه



— عفوآ يا تونى ! إني ما قصدت إلى إبدائك

قط ولكن ...

— ولكن هيا بنا ولننس ما قد سلف

لكننى كنت على يقين من أن تونى ان يغيب عنه مما مضى شيء ... وانطلقنا عائدين وسبقنى هو إلى الدخول فتلفتت إليه ماربا ثم أنشأت تضحك ملء شديها وأقول : « تونى ... إنك تبدو مضحكا للغاية » ونظرت إليه فإذا لونه يزداد انتقاا ... هي إذن لا تضمر له الحب ... فلو كانت تفعل ما سخرت منه ولا اتخذت شفتيه الغليظتين الداميتين هزوا ! . كانت لظمة أخرى عنيفة تاقاها البأس ومضى على وجهه حتى داراه باب المدع ، وأقت أنا في مكاني وقد رأيت رأيا خلته كفيلا بأن يرد إلينا هباءا المفقود . لم أكن متماسكا بل أحسست كأن ماء باردا يجري في عروقي عندما تذايتها فدنيت مني تسألني في صوت لين رقيق عما أظلم ؛ بيد أنني أخذت أقص عليها كل ما دار بيني وبين صديقي وهي تنصت لي والابتسامة على ثغرها تتسع شيئا فشيئا ، حتى إذا ما فرغت من حديثي أطلقت ضحكة خافتة : — إني لست فتاة ولا فتاة غيره يا سيدى . وهب انى سأعشق يوما فتق أن من أعشقه سيكون رجلا قويا لا شبحا هزبلا . وكان طبيعيا أن يخلص إلى الزهو فأجيب بقوى وبنيانى ولكننى تأهبت لأنيها بما انمقدت عليه نيتى

ماريا ... لقد ارفض عني الألم وأصبحت على النهوض بعمل قادرا ، نخير لنا ولك أن تطرق عملا غير هذا !

كان لكلماتي عليها وقع شديد فلبثت على أثرها مبهوثة شاخصة ، ثم اندفعت نحوى

أحاول الترقيه عنه :

— كم أنت طيب القلب يا تونى ! إن ماريا هذه ليست لي ولا لك ... سلتى عن هذا الضرب من بنات حواء ... إنها امرأة الجميع . . ما كدت أتم كلمتى هذه حتى فوجئت بلكمة قوية قاسية أطارت صوابى وطوحت رأسى إلى الوراء ، وكدت أسقط على أثرها لولا أن تمالككت قليلا وفتحت عيني دهشا متعجبا فالفيت صديقي يرغى ويزبد ويتأهب للسكى ثانية ، فأسرعت إلى وجهي أعطى صفحته بقبضتي وما خطر لي حينئذ أن الظمة ألمى أن لكمة من يدي قد تؤدي به إلى التهلكة ، فصحت به وأنا أراجع إلى الوراء أن كف يا تونى ولا تكن غيبا ، ولكن قبضته خلصت إلى واستقرت في بطني ..

لقد صورت لي شدة الألم أن جسمي قد ارتفع عن وجه الأرض فهجمت عليه من غير وعى وضربته ضربة دار على أثرها ثم هوى بجسمه الضئيل تحت قدمي

وتهاقت الناس مسرعين من كل حذب وانجنيت بقامتى المديدة على صديقي الممدد الصريع واحتملته بين ذراعى كالطفل ومضيت به إلى صيدلية قريبة ... وسألني الصيدلانى وهو يهرول مسرعا من وراء قواريره وزجاجاته : « ماذا حدث .. ماذا جرى له ؟ » ولكننى لم أستطع جوابه فقد كان حاقا جافا وكنت في شغل عنه أصلى من أجل صديقي وأضرع إلى الله أن يفتح تونى عينيه وأن أرى الحياة تسرى في كيانه ... وحقق الله رجائى عندما قرب الصيدلانى يده حاملة إلى أنف صديقي زجاجة صغيرة فاهتز رأسه ثم فتح عينيه الوادعتين برفق فقات له :

وأمسكت بذراعى قائلة:

— جم... أبطاوعك فؤادك أن تحرم فتاة  
مثل رزقها؟! لقد قضيت وقتاً طويلاً مشردة  
ساعبة حتى وفقت إليه... بربك لا تذرنى أرحل  
وشرعت تبكى وتتنحب؛ ولم أك فى حياتى  
قد شهدت امرأة بين يدى تبكى فلا محجب إن بدا  
منى الضمف والخور حيال دمعها المذار...

مضت الأيام مضياً بطيئاً ثقيلاً، ومضى كل  
منا يعمل عمله فى صمت وهدوء، وأخذ تونى  
منذ ذلك اليوم يتجنب لقاء ماريما، وأخذت أغشى  
معها قاعات اللوح كلما هوى قرص الشمس وأظلمنا  
الدمجى.

وانبثق نور الفجر ذات يوم فولينا وجهينا  
شطر الميناء... ووقفت فوق صدر الزورق منفرج  
الساقين متقبض الصدر يتملكنى شعور مبهم ثقيل،  
وتحدثنى نفسى بشر مستطير... كان الضباب أمام  
أبصارنا منمقداً كثيفاً، والزورق من تحت أقدامنا  
قلماً مضطرباً يتقاذفه الموج الثائر المصطخب، والريح  
تملاً الفضاء زئيراً خفيفاً مزيجاً، وطففت ببصرى  
أبحث عن تونى فألفيته فى قاع الزورق يحدجنى  
بنظرات مفرعة ويمرر يده برفق فوق خنجره،  
فاشتد رعبى وانفجرت صارخاً بين هدير الأمواج  
وزئير الريح:

تونى.. لا بد لنا من المودة... هيا اطو  
الشباك.

وامتثل تونى على الفور وطفق يجذبها فى تودة  
ويكدسها تحت قدميه وهو ثابت هادئ وجعلت  
أترقب فراغه بلهفة وشوق حتى أسرع بتوجيه  
الزورق صوب الجنوب، ولكنه ما كاد يأتى على

آخر الشباك حتى أحسست أن قلبى قد فارق موضعه  
وانقضضت عليه أحاول القبض على ذراعيه:

— تونى لا تفعل... رد الشباك ثانية ولا ترفعها.  
أنظر إن بها (القائمة) إنها فال مبي، سيملك  
ولا ريب أحداً يا صديق.

لكنه وكأنه لم يفقه قولى ظل يضم الشبكة  
إليه والسمكة الرهيبة تدنو منا شيئاً قشياً.

— تونى... لا تكن نزقا... ستجر علينا  
الكوارث... ستسوق إلينا الوبلات.

أصم تونى أذنيه وتركبى فى مكافى، وانطلق  
مسرعاً نحو كومة الحراب فاستل منها واحدة وعاد  
فصوبها إلى السمكة الهائلة، فلما أصابها شدها بجبل  
غليظ إلى الزورق وتركها تتخبط وتتملص وتضرب  
الماء تريد النجاة...

وقصدت السكان مستسلماً ونظرى لا يفارق تونى  
وهو يلوح بخطاف غليظ فى يده حتى بلغ مرتبط  
السمكة فأخذ يربطها به... وارتفعت أيماننا فى هذه  
اللحظة جبال من الموج هائلة فانصرفت عيني إلى  
الزورق وعندما نلت إلى وراء وجد الدم فى عروقى...  
كان تونى على قيد أقدام منى بشع الهيئة مخيف  
المنظر يقهقه والخطاف فى يده يضطرب:

— تونى ماذا جرى لك؟... وصحت مرتاعاً:  
تونى هل جننت؟

فأجابنى فى صوت مختنق مرتعش كمشرجة  
الموتى:

— أجل... أجل... منذ شهر ثلاثة والنار  
تأكل منى... وأنت قرير العين ماريما.

كان صوته يقرع أذنى كالطبول نخلت السكان  
ورحت أترجع وهو يلحق بى حتى ارتطمت



قدمي بحافة الزورق .

— توني ... كيف أقسم لك أني ما كنت أشعر  
بأنك تعذب .

وجف حلقى وأخذ العرق يتصبب من جبينى  
برغم برد الشتاء : — أريد قتلى ؟ ...

— ليتنى أقوى ... سأموت معك ... سيطوبنا  
اليم ... سنصعد الى أمنا فى السماء .

وحانت منى التفاتة الى النهر فصرخت فيه  
مذعوراً :

— توني ... انتبه ... حاذر .

ولكن كان الحبل قد التف حول ساقه فانزعه  
( الوحش القاتم ) وحمله معه الى اليم وهو ينظر الى  
مستغيثاً تمتد منه اليدان ...

« وارحمناه له ! » قلها وهو يغيب بين الأمواج .  
« دعه يهلك ... لن يلومك أحد ... لقد أراد  
لك الموت ... فليلق جزاءه » .

وسكنت الريح قليلاً فشعرت أن هاتفاً يهتف  
باسمى بصوت كأنما ينحدر من علياء السماء ... لقد  
خيل إلى أن أمى تطل من بين السحب وتصبح به :  
ولدى ... ولدى ... أتقذ أخاك .

وابتدرت المياه مسرعاً ومضيت أشقها بذراعى  
وهي تنهش جسمى نهشاً حتى رأيت صديقى بين  
معترك الأمواج يتخبط ويتشبث فاندفعت نحوه  
صائحاً : « توني ... توني ... لا ترحل ... لأننى آت »  
وطفقت أسبح وأرد الموج عني وألطمه بكلتا يدي  
ولكن ... دون جدوى ! كان توني قد ذهب ...  
كانت ماريا واقفة لدى الباب عند ما طرقت  
بقدمي ، فلما أبصرتنى وجيداً مشعث الرأس ممهياً  
سألتنى وقد انتقع لونها : أين توني ؟

— لقد التهمه اليم ...

وارتميت على مقعد قريب ثم انفجرت باكياً ...  
وإني لسكذلك إذ شعرت بيد تربت على كنفى ،  
فرفعت وجهى فاذا بها قائمة فوق رأسى يفتقر ثمرها  
عن ابتسامة بغيضة ... لقد بدا لي وجهها حينذاك  
بشعاً منكراً .

ونار فى صدرى الغيظ والمقت الشديد فصاحت  
بها :

— هيا اخرجى من بينى ... لا أطيق أن أراك  
بعد الآن ... إننى أكرهك .

— جِمْ !!!

— هيا قبل أن أحطم رأسك بهذا المقعد ...  
وعدت أدراجى الى الطريق وجملت أهيم على  
وجهى ذاهلاً مشرد العقل والساعات تتدفق على فلم  
أفنى حتى كان الليل قد ولى مدبراً وصدر النهار  
يملو رويداً رويداً ...

يوم جديد ... وأمسكت بين أهداب عيني  
دمعة مترققة ... أين أنت يا توني ؟ ... فى غور  
الماء وحيداً ممدداً بين الضخور يحيم عليه الهدوء  
والصمت كمادته ... أحمد عبد العظيم سخانة

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد هسمة الزيات

وهي قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

# المرأة الشاعرة

Imaginative Woman

للمصمى الانجليزى ترماس هاررى  
بمقام الأديب نظمى خليل

للشعر فحسب ، بل وللحياة  
أيضاً . فكانت إذا ما خلت  
إلى نفسها تفكر في ذلك  
الزوج وفي ثروته الطائلة ،  
وفي قيمة هذه الثروة لها .  
وكانت في كل مرة تعود بعد  
ذلك التفكير الطويل بالآلم  
والاشفاق على هذا الزوج  
الذى لم يعرف قط ذلك الجو  
الشعرى الجميل ، جو

المواطف والخيال الذى كانت تطلق فيه مشاعرها  
المكبوتة وأحلامها المذنبه تحلق في ساعات خلوتها  
وهدوئها

سار الزوجان حتى أتيا منزلاً صغيراً يشرف  
على البحر ، وقد أحيط بحديقة شجرها فينانة ؛  
فاستقبلتهما صاحبة المنزل وأخذت تحدثهما عن  
ظروفها السيئة وعن موت زوجها المفاجئ ، وعن  
وسائل الراحة التى تعدها لكل من يقيم فى منزلها .  
فأعجبت مسز مارشمل بالمنزل ، ولكنها أرادت استئجار  
كل الغرف ، فخاب أمل المرأة فى كسب هؤلاء  
الضيوف ، إذ كان هناك غرفتان يشغلهما شاب  
رقيق الجانب طيب القلب كريم الخلق لا تود أن  
يتركها ، ولكنها تهمت قائلة : لا بأس ربما يخل  
لكما هاتين الغرفتين بضعة أسابيع . وقبل أن يفرغ  
الضيوفان من تناول الشاي أخبرتهما السيدة أن  
صاحبها الشاب قد رضى أن يخلى لهما الغرفتين مدة  
ثلاثة أسابيع . فقال السيد مارشمل :

« إنه شاب كريم حقاً ، ولكننا لا نريد أن  
نزعجه فى مسكنه »

انتهى « ولیم مارشمل » من البحث عن  
مسكنه الصيفى فى إقليم « سولنتس » فى جنوب  
« ويسكس » ثم عاد إلى الفندق حيث كانت زوجته  
وأطفاله فى انتظاره بعد أن قضوا سحابة اليوم فى  
اللدو واللعب . وكانت الأم منصرفة إلى قراءة الشعر  
كماداتها ، فلم تكدر تراه حتى ألقت بالكتاب جانباً  
وأفاقت من ذلك الحلم الجميل الذى كانت غارقة فيه  
وقالت : إني أود أن تكون قد وفقت هذه المرة إلى  
منزل ملائم فقد ضقت ذرعاً من طول مكثنا فى هذا  
الفندق . فأجابها زوجها : إن المدينة مزدحمة والغرف  
ضيقة وأخشى ألا نجد فيها ما نريد . هل لك أن  
تصحبينى إلى ذلك المنزل الذى رأيته اليوم ؟ ثم خرجا  
مما تاركين أطفالهما الثلاثة فى رعاية المربية

لقد كان هذان الزوجان مختلفين فى المزاج  
والمشرب ، فقد قضى الزوج حياته فى صناعة الأسلحة  
ونشأ فى جو صناعى بحت ، بعيداً عن جو العاطفة  
والخيال الذى عاشت فيه زوجته الشاعرة ، فلم يكن  
غريباً من امرأة رقيقة خيالية مثل « إلا » أن تراح  
إلى أعمال رجل مثل « مارشمل » . إنها ليست عدوة



في ذلك الجو المكتئب المكفهر الذي أصبحت تشعر فيه أنها آلة للنسل وأداة للتسلية وتشاء الظروف أن يقترن اسم هذه السيدة باسم هذا الشاعر الشاب في إحدى المجلات الكبرى عقب فاجمة مؤلة اهتزت لها عواطفها الشاعرة فأوحت إليهما في وقت واحد بقصيدتين متحدتين في الروح والعاطفة كأنهما فاضتا من ينبع واحد، حتى أن مدير المجلة قد نشرهما في صفحة واحدة متمججاً لذلك الاتفاق الغريب

ومنذ ذلك الوقت أخذت «إلا» أو «جون إيفي» كما كانت تسمى نفسها تهتم بكل ما ينشر في الصحف بامضاء روبرت ترو. لقد اتخذت ذلك الاسم لترضى رغبة كامنة في نفسها، وحتى لا يرتاب الناس في صدق إيجاءاتها إذا علموا أن هذه المواطن الجياشة والشاعر القوية تفيض من قلب امرأة عادية هي زوج لأحد تجار الأسلحة وأم لثلاثة أطفال.

أما أشعار روبرت ترو فلم تكن تحمل طابع الشعر الحديث، بل كانت فرجة لقاب مكلوم بائس قد ضاق بالحياة أو ضاقت هي به فلم يعد يميز فيها بين أحسن الطبائع البشرية وبين أرقاها. فكانت تلك السيدة إذا ما قرأت أشعاره تشعر بخيبة أليمة تمز في نفسها لأنها لا تستطيع أن تحلق في ذلك الجو السامى الذي يضرب فيه بجناحيه القويين.

ثم مضت بضعة أشهر نشر خلالها روبرت أول دواوينه الشعرية فكان باكورة طيبة استقبلها الشعب بشيء من التقدير مكنه من أن يكسب نفقات الطبع، فأغرى هذا النجاح المتواضع جون إيفي على أن تجمع مقطوعاتها الشعرية المنتشرة في كتاب واحد مؤلة في أن تصادف بعض ما ظفر

فأجابه صاحبة المنزل قائلة: لا إزعاج ولا إقلاق فهو شاب غريب الأطوار تراه دائماً حالاً مطرقاً حزبناً يحب الوحدة ويتمشق الهدوء، وهو يحرص على البقاء هنا في فصل الربيع الباسم حيث لا أنيس له إلا البحر؛ أما الآن فإنه ذاهب إلى إحدى الجزر القريبة كما يفعل كل عام تبديلاً للهواء. وفي اليوم التالي كانت أميرة السيد مارشمل تقيم في ذلك المنزل الجديد. ثم مضى الرجل إلى البحر يرتاض على شاطئه الجميل، وانصرف الأطفال إلى اللعب في الخلاء، وبقيت «إلا» وحيدة تلهو بما عسى أن تجده من كتب وآثار في غرفة ذلك الشاب. فقد رأت رفوفاً من الكتب الغريبة النادرة قد تكسدت بعضها فوق بعض في نظام خاص يدل على أن صاحبها لم يفكر قط في أن يداً غريبة ستمتد إليها. فقالت: سأأخذ هذه الغرفة لنفسى إذ يظهر لي أن صاحبها مغرم باقتناء الكتب. هل يمكنني أن أقرأ بعضاً منها يا مسز هوبر؟

— نعم، إنه أديب ناشئ وشاعر واعد، له دخل يسير يكفيه تكاليف الحياة، ولكنه لا يشق له طريقاً في المجتمع

— أهو شاعر حقاً؟ لم أعرف هذا قبل الآن. ثم تناولات كتاباً قرأت اسمه في الصفحة الأولى فصاحت متمججة: «يا للمصادفة! إني أعرف اسمه حق المعرفة: «روبرت ترو» كذلك أعرف أشعاره. أهذه هي غرفته؟ وهل هو حقاً الذي أخرجناه منها؟ ثم أخذت تفكر في ذلك الاتفاق الغريب.

لقد كان والدها أحد رجال الأدب البارزين فنظمت في الأيام الأخيرة بعض القصائد أودعتها عواطفها الحزينة وأسفها على تلك الحياة الأولى، حياة الحلم والزهر؛ حياة المرح والشباب التي ضاعت جميعها

في الهزيع الأخير من الليل أن ظل بقية الليلة يقطع  
الغرفة جيئة وذهوباً ، فأطار النوم من عيني ولكنى  
مع ذلك لم أضق به ولم أغضبه

كان هذا فائحة الحديث عن ذلك الأديب  
الواعد الذي أخذ يصعد مدارج الشهرة في وثبات  
واسعة موفقة .

وفي ذات يوم جاءتها صاحبة المنزل تلفت نظرها  
الى شيء لم تنتبه إليه وهو آثار للكتابة بالقلم  
الرصاص قد نقشت على ورق الحائط خلف الستائر  
بالقرب من مكان الرأس ، فلم تستطع مسز مارشمل  
أن تحبس شعور الدهشة والرغبة ، فاندفعت الى  
الغرفة ، وانحنى برأسها الجميل حتى كادت تلمس  
الجدار . ثم أخذت مسز هوبر تشرح لها في أسلوب  
المرأة المتمكنة من علمها الواقعة على جميع ما يحيط  
بها فقالت :

إن هذه الكلمات هي خواطره الأولى التي  
تهفو بعقله وهو نائم في فراشه ينقشها هنا خوفاً  
من أن ينساها . لقد رأيت كثيراً من هذه الآثار  
منشورة بعد ذلك في الصحف ولكن هذه الأسماء  
لم تنشر بعد

فاحمر وجهها دون أن تدرك السبب وشعرت  
برغبة قوية خفية في أن تخلو الى نفسها . ولم تكذب  
المرأة تنصرف الى قضاء حاجة لها حتى أسرع  
مسز مارشمل الى غرفة الشاعر وأخذت تلو هذه  
الأشعار في صوت موسيقى جميل حتى سكوت  
أذانها وشالت بها أفكارها الى السموات العلى  
كانت الطبيعة في ذلك اليوم قاضية نائرة ، فلم  
يرد مسز مارشمل أن تصاحبه الى البحر الهاجج الزبد .  
أما هي فقد أخذت تضيق بتلك الحياة الرتيبة الثابتة ،  
وتنفر من ذلك الجو المألوف الثقيل ، إذ لم يعد

به روبرت من الاقبال والتشجيع ، ولكنها عادت  
بصفقة المغبون ، فلم يتصد أحد لكتابها بالنقد  
أو التقريظ ، بل لم يفكر أحد أن يعاق عليه أو أن  
يشير إليه ولو في إحدى الصحف اليومية .

ولكنها لم تفكر كثيراً فيما أصابها ، فسرطان  
ما حطت بها أفكارها من عالم الشعر والأدب الى  
عالم الحياة والمنزل ، فقد أحست بمجنين يضطرب في  
أحشائها فانصرفت عن الأدب وتأهبت لاستقبال  
ذلك الضيف الجديد .

جالت هذه الأفكار في خاطر تلك المرأة التي  
وجدت نفسها أخيراً وعلى غير انتظار في غرفة ذلك  
الشاب الذي ارتبطت به برباط روى وثيق ، فهضت  
عن كرسيها وأخذت تجول في أنحاء الغرفة تتفرس  
في كل ما تراه ، ثم دعت مسز هوبر تستفسر منها  
عن ذلك الشاعر الشاب فقالت :

— وهل يقيم هنا منذ زمن طويل ؟

— نعم . منذ عامين تقريباً وهو يحتفظ بهاتين  
الغرفتين حتى في أيام سفره ، فإن جو هذا المكان  
يلأم صدره . وهو يقضى وقته في القراءة والكتابة  
لا يقابل أحداً ؛ وهو مع ذلك طيب القلب حلو  
الحديث يتمنى كل من يعرفه أن يصادقه . إنك  
لا تصادفين أمثال هذا الشاب كل يوم

— في طيبة القلب ورقة المشاعر !

— نعم . حتى أنني كثيراً ما أغريه على الخروج  
من عزلته ، فيقوم برحلات قصيرة إلى باريس  
أو النرويج ، ثم يعود يشكرني لأنه ذاق طعم  
السعادة بسببي

— إنه رقيق الإحساس لا شك

— أجل وإن بدا في بعض الأحيان غريباً ، فقد  
حدث مرة بعد أن انتهى من نظم إحدى قصائده



فاجر وجهها خجلا وأسرت الى خلعتها ، ثم  
قالت لقد رأيته مصادفة هنا فارتديتها لأسرتى عن  
نفسى ألم الوحدة . ماذا أعمل مادمت بعيداً عني دائماً ؟  
بعيداً دائماً ؟ حسن ! . . .

فلما جاء الليل ذهبت الى مسر هو بر تغدّى  
شعورها بالحديث عن ذلك الشاعر البعيد . فقالت  
صاحبة المنزل : إنك تلهين كثيراً لسماع قصته .  
لقد أرسل إلى خطابا اليوم يخبرني أنه سيأتى غدا  
لحاجته الى بعض الكتب

— هل يمكننى أن أبقى هنا عند مجيئه ؟  
— نعم يمكنك أن تقابليه إذا أردت ذلك  
فشعرت يارتياح خفى عند سماعها هذا الكلام  
ومضت الى فراشها تفكر فى هذا اللقاء المرقوب  
وفى صباح اليوم التالى قال لها زوجها : لقد كنت  
أفكر يا (إلا) فيما حدثتني عنه من أنى أتركك  
وحيدة دون أنيس . قد تكونين على حق فى هذا ،  
ولكن الجو اليوم صحو ، والبحر رهو ، والنسيم  
رخو ، فهل لك أن تصحبينى الى تزهة قصيرة ؟ ولأول  
مرة شعرت (إلا) بعدم رغبتها فى تلبية هذا  
الطلب ، ولكنها لم تعلن رفضها . ثم اقتربت ساعة  
الخروج فأخذت تستعد لها ، ولكنها ما لبثت أن  
توقفت عن المضي فى اللبس ، فان الرغبة فى لقاء  
ذلك الشاعر المجهول كانت قد جرفت بعيداً سائر  
الرغبات الأخرى ، فقالت فى نفسها : (إنى لا أستطيع  
الخروج الآن) وأخبرت زوجها بذلك ، فضى وحده  
كان المنزل هادئاً فى ذلك اليوم ، فقد خرج  
الأطفال الى الخلاء يلعبون ويمرحون ولم تعد تسمع  
إلا صوت أمواج البحر تداعب الشاطئ فرحة  
بذلك اليوم المشمس الجميل . لقد سمعت الباب يقرع  
ولكنها لم تر أحداً ، فلما نفذ صبرها نادى مسر

ركوب البحر ولا السير مع الشاطئ ، متأبطة ذراع  
زوجها شيئاً بجانب تلك اللذة القوية التى أخذت  
تشمربها كلما أوت الى غرفة ذلك الشاعر المجهول .  
لقد قرأت أشعاره كلها فاستظهرتها ، ثم حاولت  
أن تعارضها ولكنها عادت ودموع الفشل تفرق  
فى عينيها . وهكذا عاشت تلك المرأة المسكينة  
مغمورة بتلك المشاعر المعذبة التى أوحى بها اليها  
غرفة ذلك الشاب الذى لم تره قط

لم يعد قلب تلك المرأة يغنى على أوتار الحب  
الأول ، ولم يعد زوجها ينظر اليها أكثر من رفيق  
أو صديق ، ولكن قلبها كان لا يزال عامراً بالحب ،  
جياشاً بالمواطف التى تتطلب غذاء وإلا ذابت  
وماتت . وأخيراً وجدت ذلك الغذاء فى ذلك  
الاتفاق الذى لم تكن تحلم به

عثر الأطفال يوماً على بعض ملابس ذلك  
الشاعر فأسرعت مسر هو بر ووضعها فى الصندوق  
كما كانت . أما الأم فقد شعرت بشيء غريب  
كتمته فى نفسها حتى تحين الفرصة ، وسرعات  
ما حانت ، فقد خرجت مسر هو بر الى قضاء بعض  
حاجاتها ، وخرج الأطفال يلعبون كما دأبهم كل  
يوم ، فأسرعت الأم الى الصندوق وأخرجت منه  
حلة جميلة فارتدتها ، ووضعت قبعتها المسالية فوق  
رأسها . ثم أخذت تخطر فى مشيتها تسأل نفسها :  
ألا توحى لى هذه الملابس بما أوحى اليه من روائع  
الفن ؟ لقد طالما خفق قلبه تحت هذه السترة ،  
وطالما تفتح ذهنه الجبار عن روائع الشعر وفوقه  
هذه القبة ؟ ثم ما لبثت أن شعرت بضعفها بجانبه  
فمادت والدموع تكاد تطفر من عينيها ، ولكنها  
لم تكدر تصل الى الصندوق حتى رأت زوجها أمامها  
فصاح : ما هذا الجنون ؟

لم تظهر كذلك . لقد كانت قادمة على تلك المرحلة التي تعتقد فيها المرأة أن الحب الأخير أقوى من الحب الأول . وفي تلك اللحظة جاءها نبأ من زوجها يخبرها أنه سيقضي ليلته في زهرة بحرية مع بعض أصدقائه . فقامت إلى المائدة وتناولت العشاء مع أطفالها ثم أمضوا جميعاً وقتاً على الشاطئ وهي لا تفكر إلا في تلك الصورة المختبئة وكأنها تتوقع أمراً مخيفاً

ثم عادت إلى المنزل ذاهلة عن نفسها ولكنها لم تجرؤ على إخراج الصورة حتى نام الأطفال وشمرت بالوحدة والهدوء . ولكنها بالرغم من ذلك لم تستطع أن تدنو من الصورة حتى ترضى تلك الرغبة الدفينة في نفسها ، فارتدت أنفخ ثيابها وقامت إلى الأطار وأخرجت منه الصورة ووضعتها أمامها على المكتب . لقد كانت صورة قوية رائمة ، وكان الشاعر لا يسأق بعة عالية تاتي ظلالاً رقيقة على جبينه . أما العينان اللتان وصفتها صاحبة المنزل فقد كانتا تشعان الماء وبؤساً

نظرت إلى الصورة طويلاً ثم تمتعت في صوت هادي رقيق : « وهل أنت الذي كشف نوره القوى نوري هذه المدة الطويلة ؟ » ثم غابت في تفكير عميق حتى اغمر رقت عيناها بالدموع ، ولمست شفتاها الصورة ، ثم مالبت أن ضحكت ضحكة عصبية ومسحت الدموع من مآقيها ، وأخذت تفكر في نفسها كيف أن امرأة هي زوج لرجل وأم لأطفال ثلاثة تسمح لنفسها أن تنظر إلى شخص غريب في مثل هذه الحالة المريبة ؟

لا . إنه لم يكن غريباً . لقد عرفت أفكاره وعواطفه كما عرفت أفكارها وعواطفها ، فقد كانت نفس العواطف والأفكار التي كان يضطرب بها قلبها

هو بر وسألها عن الطارق ، فأجابها : إنه أحد الأشخاص يسأل عن سكن . لقد نسيت أن أخبرك أن روبرت قد اعتذر عن المجيء اليوم لعدم حاجته القوية إلى المكتب . فران الحزن على قلب ( إلا ) وبقيت وقتاً طويلاً نهباً لشقى الانفعالات حتى أنها لم تستطع أن تقرأ أغنيته الحزينة : (الأرواح العديدة) . إذ كان الحزن قد جفف ينابيع فرحها

— مسز هو بر . هل لديك صورة لـ . . . ذلك الشاب الذي يقطن هنا ؟

وكان الخجل قد عقد لسانها عن ذكر اسمه — لماذا ؟ نعم . في داخل ذلك الأطار الجليل المعلق في غرفتك

— ليس هنا إلا صورة للدوق والدوقة — نعم . إنها في داخل ذلك الأطار نفسه . لقد اشتريته خصيصاً لصورته ولكنه جاءني قبل السفر وقال : « إخفي صورتي عن أعين هؤلاء الغرباء الذين سيقومون هنا فاني لا أود أن يتطلعوا إلى صورتي » ولذلك أخفيت صورته مؤقتاً تحت صورة الدوق . يمكنك أن تريها إذا أردت فإنه لا يفض ; فلو أنه عرف أن الشخص الذي سيقوم في غرفته امرأة جميلة جذابة مثلك لكان حرياً ألا يفكر في إخفاء صورته — وهل هو رشيق ؟

— إنه رشيق في نظري وإن لم يبد كذلك في نظر بعض الناس . ولكنني أعتقد أنه شخص قوى يأمر كل من يراه ، ففي عينيه بريق الذكاء ، وفي بدنه روح المبقرى الثائر

— كم يبلغ من العمر ؟ — إنه يكبرك بسبع سنوات . أي أنه حوالي الثانية والثلاثين

والحقيقة أن ( إلا ) كانت فوق الثلاثين وإن



له برنامج آخر . لقد تعبت اليوم ولكنى مضطر أن استيقظ الساعة السادسة . سوف لا أوقظك . فرفعت إليه عينيها بينما كانت يدها تمن في إخفاء الصورة تحت الوسادة . فأنحني عليها وقال : أحقاً لست مريضة ؟

— كلا . ولكنى كاسفة البال فقط  
— لا بأس

ثم انحني عليها ثانية وطبع فوق جبينها قبله وفي الساعة السادسة استيقظ مارشمل وهو يتنهد ويتنهد بهذه الكلمات : لست أدري أى شيء كان يحنى هذه الليلة

فرفعت (إلا) عينيها فرأت صورة روبرت في يده

— حسن . لقد قضى على  
— أمستيقظة أنت أم نائمة ؟  
— ماذا تعنى ؟  
— أرى صورة هنا  
— أظنها لأحد أصدقاء صاحبة المنزل  
— إنى أعجب كيف جاءت هنا  
— لقد رأيتها أمس فرمما وقعت من يدي هنا  
— إنه صديقك إذن  
— إنه رجل ذكى وشاعر واعد وهو الذى يقطن هاتين الغرفتين ولكنى لم أراه

— كيف عرفت هذا ما دمت لم تريه ؟  
— مسز هوبر أخبرتنى ذلك عندما أعطتنى هذه الصورة

— حسن . يجب أن أتركك الآن . إنى لا أستطيع أن أصحبك معى . راقبى الأطفال جيداً حتى لا يبعدوا كثيراً عن المنزل

وما كاد مستر مارشمل يترك المنزل حتى أسرع زوجته إلى مسز هوبر تسألها عن موعد حضور

والتي تفقدتها في زوجها فلم تجدها . « إنه أقرب الناس إلى نفسى وإن لم تقع عليه عيني » . ثم ألقت بالكتاب والصورة على منضدة صغيرة بجانب السرير وأخذت تستعيد بعض أشرطة الوجدانية ثم ما لبثت أن أمسكت الصورة في يدها وأخذت تنظر فيها وهي نائمة . ثم التفتت إلى الأشرطة المكتوبة بالقلم الرصاص على الحائط . لقد كانت جملاً وسطوراً كأنها مذكرات « شبلى » . ثم شعرت أن أنفاسه الحارة القوية تصافح خديها وكأنها منبعثة من تلك الجدران التي طالما أحاطت برأسه كما تحيط برأسها الآن لا بد أن يكون قد وضع يده هكذا وهو ممسك بالقلم . نعم . إن الكتابة مائلة مما يدل على أن الكاتب قد مد ذراعه هكذا . « إن الصور أكثر حقيقة من الانسان فهي غذاء الأبدية » هذه هي الأفكار التي خطرت في ذهنه في سكون الليل العميق عندما انطلقت روحه في سماء الفكر لا تخشى نقداً ولا تنهاب إنساناً ؛ ولا شك أن هذه الكلمات قد كتبها في عجلة على ضوء القمر الخافت أو نور الصباح الخافت أو بصيص الفجر الأدكن . ثم تدلى شعرها حيث كان يضع ذراعه وهو ينسجل تلك الأفكار الشاردة

لقد كانت نائمة على شففى الشاعر محاولة أن تتقمص روحه وتشم أنفاسه خلال ذرات الأثير وبينما هي غارقة في بحار هذه التأملات العذبة المليحة إذ سمعت وقع أقدام على السلم فلم تكذب تصحو من أحلامها حتى رأت زوجها أمامها يقول : معذرة ، هل بك صداع ؟ أخشى أن أكون قد أزعجتك فأخفت الصورة في حجرة غريزية سريعة وقالت : بابى من صداع . كيف جئت الآن ؟ فقال : خفت أن أناخر إلى الغد الذى أعددت

يذكر فيه أنه وإن لم يقرأ هذا الاسم «جون إيفي» من قبل فسيمنى بكل ما تنشره بعد ذلك . وبالرغم من هذا فقد رأت إلا في هذا الخطاب القصير معنى آخر ، فقد كتب إليها روبرت بنفسه وفي تلك الغرفة التي كانت تجلس فيها

ثم أخذت ترسل إليه من حين إلى آخر بأجود ما تسمح به قريحتها الفياضة لتسأله رأيها فيه ، ولكنها لم تتلق مقه رأياً ، فعزت هذا إلى أن روبرت يكتب إليها ظاناً أنها أحد منافسيه من جنسه

لقد كان روبرت صديقاً حميماً لصاحب إحدى المجلات الأسبوعية الكبرى ، وكان ذلك الناشر صديقاً مخلصاً لزوجها فكتبت إليه تدعوه لزيارتها وأن يصحب معه صديقه روبرت

كان الشتاء قد انتهى وانقطع المطر ، وأخذت الأزهار تتفتح ، والطيور تشدو فوق الأشجار ، واتسحت الأرض برداء الربيع

وفي اليوم الموعد في الساعة الخامسة سمعت قرعاً بالباب فهولت إليه ولكن هالما أن وجدت صاحب المجلة واقفاً وحده فسألته :

— أين روبرت ؟

فأجابها : إني آسف كثيراً لعدم مجيء روبرت . إنه غريب الأطوار كما تعرفين . لقد وعدني أنه سيحضر ثم عاد فاعتذر

— وعلى ذلك فهو لا يأتي اليوم

— نعم وقد أوصاني أن أعتذر إليك

— متى تركته ؟

— الآن على باب منزلك

— ماذا ؟ وهل مر بمنزلي ؟

لقد تحدثنا معاً بالباب ثم انصرف وهو في حالة نفسية غريبة . فقد أخرجه عن نفسه مقال نشرته

روبرت . فعلمت منها أنه سيأتي في نهاية الأسبوع ثم عاد مارشمل قبل الغروب وأخذ يقرأ الرسائل التي جاءت أخيراً ، وفجأة قرر الرحيل بعد ثلاثة أيام — ألا يمكننا أن نبقى هنا أسبوعاً آخر ؟ إني أحب هذا المكان

— ولست أجد فيه ما يغري بالبقاء

— إذن أبقى أنا والأطفال

وما الفائدة ؟ إني مضطر إلى العودة ثانية لأصحبكم إلى المنزل . وعلى كل فليدرك ثلاثة أيام أخرى

ولكن «إلا» رأت أنها مقضى عليها إذا لم تر روبرت ، فبذلت آخر جهدها فعلت أن الشاعر بقيم في إحدى الجزر القريبة منها فذهبت إليها ولستكنها لم تستطع أن تهتدي إليه ، فعادت كاسفة البال مهمومة النفس وقد أصبحت الدنيا في نظرها أضيق من كفة الحابل

ولكن السرور ما لبث أن انبعث في قلبها فأبار جوانبه القاعة . فقد عاد زوجها وغير رأيه وسمح لها بالبقاء حتى نهاية الأسبوع

ولكن الأسبوع قد مضى وروبرت لم يأت .

وفي صبيحة يوم السبت ، كانت مسر مارشمل وأولادها في طريقهم إلى المحطة . لقد كان الطريق مقفرًا ثقيلًا والجو خانقًا مكتئبًا يبعث الضيق والضجر ولستكنها بقيت بالرغم من ذلك تنظر إلى البحر وإلى

الجزر المتناثرة فيه حتى غابت جميعها عن عينها ، فأخذ قلبها المثقل المهموم يتلهف إلى حيث بقيم الحبيب . عادت إلى منزل زوجها الرقيق الجميل جسماً بدون قلب كأنها قبر متحرك . وأخيراً كتبت إلى روبرت تبثه إعجابها وتسأله رأيها في بعض مقطوعاتها الشعرية التي أرسلتها إليه ، ثم انتظرت الرد ، فسرعان ما جاءها بما كانت تخشاه ، إذ جاءها خطاب مقتضب



إحدى صوف المساء ، نال فيه كاتبه منه كثيراً ،  
وعا قرأته

— لا . إنه ليس جديراً بالتفكير فيه . فهو كثيره  
من مئات المقالات التي ينشرها أصحاب العقول  
القديمة الضيقة . إن موطن الضعف في روبرت أنه  
يهتم كثيراً بما يكتب عنه . . . ولكن كان واجباً  
عليه أن يعرف أن هناك من يعطف عليه ويعجب به  
— نعم . نعم . لقد وصلته عدة رسائل من إيفي

— أَيْحِبُّ إِيَّيْ؟ هَلْ قَالَ هَذَا؟

— إني لا أعتقد أنه أعجب به يوما

— ولا بشعره ؟

- 12 -

وأخيرا أيقنت تلك المرأة المسكينة أن شعرها  
لم يستطع أن يرضى معبودها العظيم فذهبت إلى  
حيث ينام أطفالها وهجمت عليهم تشبههم لها  
وضمها

أما الناصر فقد أدرك أنها لم ترد بدعوته إلا  
لقاء صاحبه ، فأنصرف . وفي اليوم التالي نشرت  
إحدى صحف الصباح الخبر الآتي :

اشعار شاعر

انتحر مستر روبرت ترو الذي عرفه الجمهور منذ سنوات شاعرا مطبوعا ، وأديبا موهوبا في منزله في سوانتس بطلق ناري . إن الجمهور ليس في حاجة الى تذكره بديوانه الشعرى « أغاني المرأة المجهولة » الذي نشره في العام الفأثت ، والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية

انتحر عقب قراءته مقالاً عنيفاً تناوله فيه كاتبه  
بالتقد والتجريح ، ثم نشر هذا الخطاب الذي كان قد  
أعدّه لأحد أصدقائه وهو :

« عزيزي : قبل أن يصلك خطابي هذا أكون قد وضعت نهاية لتلك الضجة التي تارت حولي . لن أنقل عليك بسرر الأسباب التي حملتني على هذا ، ولكني أؤكد لك أنها وجيهة مقنعة . ربما لو كانت لي أم أو أخت أو صديقة لما فكرت في أن أقطع مجرى حياتي هكذا . لقد طالما حامت بتلك المخلوقة المنشودة التي استوحيتها ديواني الأخير ، ولكن هذا الحلم لم يتحقق ؛ وأرى لزما على أن أذكر ذلك حتى لا أخرج أية امرأة قد يظن أنها السبب في هذه المأساة »

\*\*\*

قرأت (إلا) هذا الخطاب وهي في ذهول عن نفسها ثم أسرع إلى فرائعها وانكفأت على وجهها تبكي وتنتحب ثم أخذت تنبتم : « أو اه لو عرفني قبل ذلك ، أو لو قابلته مرة واحدة ! لو أمررت يدي على جبينه الساخن ثم قبلته ، إذن لكنت أذيقه ظم الحب وأشعره بالخيلة ، ولكنت أريه استعدادي للتضحية من أجله ، ولكن القدر لم يهيء لي هذا ولم يفتح لي أن أنعم في جنته

ثم قامت لساعتها وكتبت إلى صاحبة المنزل  
تطلب خصلة من شعر رأسه ، وسرعان ما جاءها  
الرد يحمل خصلة الشعر ومكان المقبرة  
وفي أحد الأيام لاحظ زوجها أنها تخفي شيئا  
في صدرها فصاح : ما هذا . أخصلة شعر ؟

فتمت قائلة : لقد مات

— من؟

- لا اذکر اسمہ

— حسن . ثم مضى الى عمله حيث اتفق أن  
قرأ خبر انتحار ذلك الشاعر . وسرعان ما تذكر

ولم يمض على هذا الحديث ستة أسابيع حتى كانت (إلا) ماقناة في فرائثها لا تستطيع حراكا . وقد ذبل جسمها وجفت بناييع الحياة فيها . وفي الساعة الأخيرة قالت : « وليم . إني أريد أن أعترف لك بكل شيء . إنك تعرف تاريخ زيارتنا لسولنتس ، لا أستطيع أن أخبرك كيف نسيتك ، ولكني كنت في حالة سيئة ، لقد ظننتك دوني كفاءة وعقلاً بينما كان فوقى قوة وذكاء . فأردت أن أبحث عن شخص يفهمنى ...

ولكنها لم تستطع أن تزيد حرفاً على هذا فانتفضت انتفاضة سريعة كانت القاضية

لم يكن الزوج كغيره من الأزواج سريع الغيرة كثير الشك فلم يحاول قط أن يدفعها إلى الاعتراف بعلاقتها برجل مات

وفي نهاية العام الثانى بعد هذه الحادثة بينما كان مستر مارشيل يبحث عن أوراق زوجته ليحرقها قبل أن يقتن بزوجه الثانية رأى خصلة الشعر ، وصورة الشاعر ، وخطاب صاحبة المنزل ، وقد كتب عليه التاريخ بخط زوجته . فنهض مسرعاً وأحضر ابنه الصغير الذى كان السبب فى وفاة أمه ووضعها على ركبتيه ، وأمسك بخصلة الشعر وأخذ يقارنها بشعر الطفل ، ثم وضع الصورة على المنضدة وأخذ يفحصها ويقارن بينها وبين قسبات وجه الطفل ، وكأن الطبيعة الماكرة قد شاءت أن تجعل الشبه قوياً . فصاح :

تمسألى . لقد خانتنى فى هذا الطفل . دعنى أرى التاريخ : الأسبوع الأول من أغسطس ... الثالث من مايو ... نعم ... نعم ... وأخيراً صباح : اذهب أيها الحيوان إنك لا تنتسب إلى

تظمى خليل

حديث زوجه عنه والصورة وخصلة الشعر أيضاً . وفى أحد الأيام هبت (إلا) مضطربة مهمومة فكتبت ورقة صغيرة الى زوجها تخبره أنها ذاهبة الى مكان بعيد قد يستغرق منها يوماً ، ثم انطلقت كالريح الى المقبرة . فلما جاء زوجها همست فى أذنه الخادمة أن سيدتها لم تكن فى حالة هادئة فى الأيام الأخيرة ، وأنها تخشى أن تكون قد انتحرت ، ولكن الزوج كان عارفاً بمكانها ، فأسرع تواء إلى المقبرة وهناك فى غسق الليل أخذ يتلمس طريقه على يرى شبح زوجه ، وأخيراً لمح بصيصاً من النور يشع من بعيد ، فسار اليه وسط أكوام من الصخور والرجام فرأى زوجه حانية فوق القبر فقال :

ما هذا ؟ أتركين أطفالك وتأتين هذا الطيش ؟ إني لا أغار من هذا التعس فقد أنهى الموت ما بينى وبينه . ثم أمسك بذراعها وخرج بها من المقبرة حيث أخذ أول قطار دون أن تنطق الزوجة ببنت شفة

مضت على هذه الحادثة بضعة شهور ولم يجرؤ أحد أن يكلم الآخر

أما إلا فقد كانت عليها ترددات سوء بعد سوء حتى جاء يوم المخاض فقالت :

— إني لا أعتقد أنى سأنجو هذه المرة — فقال زوجها : أوه . ما هذا المبعث ، لماذا لا تكون هذه المرة كسابقاتها ؟ فقالت :

— إني أشعر أنى سأموت ، وسأترك فراغاً فى قلوب أبنائى . فقال :

— وأنا ؟ فقالت :

— إنك ستجد من يخلفنى . فقال :

— ألا تزالين تفكرين فى صديقك الشاعر ؟

فلم تجبه





## يَوْمِي أَنَا فِي الْإِثْنَيْنِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

(تابع)

١٤ أكتوبر ...

تركت الأمور يذهب إلى شأنه . وعدت إلى مكنتي بدار النيابة . وعلم المساعد بعودتي فحضر وهو كالشوق إلى رؤيتي . ولكنه عاتبني على إغفالي إياه في واقعة الليل . فتنهت إلى أني حقيقة نسيت كل النسيان . إن اهتامي باصطحاب الأمور تلك الليلة قد ألهاني ولا شك عن كل شيء آخر . ومع ذلك فهي حادثة تافهة لم يستفد منها غير بطن حضرة الأمور . ولم يقع ضررها إلا على جيب حضرة العمدة . آه لهؤلاء العمدة ! لشد ما أرتى لحالهم ! وظهر « فراش » المحكمة الحاج خميس . فطلبت إليه كوباً من الشاي الخفيف . والتفت إلى مساعدي فأقبل على يحدثني كمن يتحدث لجرد الحديث ، وكأنني به جوعان كلام . إن الوحدة قد كادت تقتله أثناء غيبتي عنه . لقد سئم الريف . إنه لا يجد هنا قهوة واحدة يليق أن يدخلها مثله . اللهم إلا دكان ذلك البدال الرومي « طنناش » ، وضمت أمامه مائدتان من الخشب وكريسيان من القش . وقد أطلق عليه الأهالي اسم « الحمار » . وحتى هذا الرومي قد ارتدي جلباباً كجلباب الفلاحين فلم يعد شيء ينم على

أنه « أفرنجي » غير لون العينين والشعر . أين يتنزه ؟ وأين ينفق وقته ؟ هذا الشاب الذي جاء من العاصمة منذ أيام حيث الأنوار والملاهي والضجيج ؟ إنه الآن لا يكاد يرى غير مبان قليلة أكثرها مهديم . وغير هذه « الجحور » المسقفة بحطب القطن والذرة يأوي إليها الفلاحون . إنها في لونها الأغبر الأسمر لون الطين والسماد وفضلات البهائم ، وفي تكدمها وتجمعهما « كفوراً » و « عزباً » ، يمتد على بسيط المزارع ، لكانها هي نفسها قطمان من الماشية مرسل في الفيضان . هذه القطمان من البيوت التي تعيش في بطونها ديدان من الفلاحين الساكنين هي كل ما تقع العين عليه في هذه البقاع . ويزيد في كربه هذا السكون الذي يهبط على البلدة منذ الغروب . فلا يسمع بعدئذ غير خوار الجاموس ونبح الكلاب ونهيق الحمير ونحيب السواق والشواذيف والكباسات ، وأصوات بعض الأعيمة النارية يطلقها في جوف الليل الخفراء المخصوصيون

أن أزيده بياناً ليزداد حرصاً ، ولكن الحاج نخيس دخل حاملاً كوباً لم يكده يقع نظري عليه حتى صحت :  
- ما تسقيني أحسن خبر « كوبيه »  
وتخلص !

- صل على النبي ياسيدنا البك ! أنا بقى لى  
عشرين سنة فراش محكمة . وورد على أصف  
الاهالى والموظفين . تصدق بالله ! ما ينفع فى المحاكم  
إلا شاي مُرّ طعم « الفورنيه » !

فترددت قليلاً ثم لم أجد مناصاً وفلت :  
- شاي المحاكم وشغل المحاكم كله مُرّ  
والسلام ، هات . ا . ووضع الرجل الكوب  
الزجاجى أمامى وانصرف . وما كدت أرشف رشفة  
حتى فتح الباب ودخل عبد المقصود أفندى رئيس  
القلم الجنائى بروحه الذى لا أستخف له ظلاً وقال :  
- عندنا من نوع التلبس أربع قضايا .  
- هات !

فذهب وأرسل إلى « المسكرى القادم بالمحضر »  
والمقبوض عليهم . وأخذنا نطالع الأوراق قبل أن  
نستدعى أمامنا المتهمين . وجعلت من نصيبى ثلاث  
قضايا . واستصغرت ملفاً أثبت عليه نظرة سريمة  
وأعطيته مساعدى وأنا أقول له : « سرقة كوز  
ذرة . لن نعتز لك على أسهل من مثل هذه  
السرقه . سل هذا المخلوق فستجده معترفاً فى أمان  
الله ! » . وبدأ الاضطراب قليلاً على المساعد : فهذه  
أول مرة يستجوب فيها متهماً . وتناول من يدي  
المحضر . وجعل يقرؤه كلمة كلمة . ويعيد قراءة هذه  
« القسم » التى لم ترد على الخمس . وفرغت أنا من  
أمر نصيبى البالغ أضعاف ما عنده وهو بازال  
منهمكا فى إعداد مانخصات وافية ، ومانخصات  
للمانخصات ، وأسئلة معدة إعداداً كأنها قنابل

أو النظاميون أحياناً إرهاباً للغير أو تشجيعاً  
لأنفسهم . إن مساعدى يريد دواء لهذا الضيق .  
وهل من دواء للريف غير الزواج أو السير المروج  
أو المطالعة وتحرير المذكرات كما أفعل أنا كلما وجدت  
إلى ذلك سبيلاً ؟ وفسكر صاحبي فى الاختلاف إلى  
النادى . إنه لا يعلم شيئاً عن نادى هذا المركز . إنه  
اسم يطلق على حجرة فى منزل عتيق يصعد إليها بسلام  
من خشب . وهى قضاء بمصباح غازى أى « كلوب »  
وهذا « الكلوب » هو وحده الشيء الجدير  
بالاحترام فى الحجرة . أما أهل النادى فهم بالطبع  
رجال الادارة وطبيب المركز وبعض الأعيان  
والموظفين وصاحب الاجزاخانة . ولا يشغل هؤلاء  
فى ذلك المكان غير لعب الورق و « الطاولة »  
واغتياب الناس . فهل يليق بمثل النائب العام فى  
هذا المركز أن يندس فى هذه الزمرة ! لقد قلت  
لمساعدى أنى « شخصياً » أفضل أن يكون عضو  
النيابة بعيداً عن كل هذا إذا كان يريد أن يجعله  
الجميع . وأنا لن أنسى ذلك اليوم الذى دعانى فيه  
رجال الادارة إلى حفلة عشاء فى ذلك النادى مع  
القاضى المقيم تكريماً لزميل لهم منقول . ولم أستطع  
الاعتذار فذهبت . وإذا زجاجات الوسكى على المائدة  
بجوار الطعام . وقد ملأوا كأسى وكأس القاضى .  
ولم يفتن القاضى لنفسه فشرب وأكثرت ، وجعل  
يثرثر ويضحك حيث لا موضع للكلام والضحك .  
وعندئذ مال على الأمور وقد سكر هو أيضاً وألقى فى  
أذنى صاحكا : « البك القاضى فقد وقاره ! » فلم  
أرد أن أسمع أكثر من ذلك . فانسلت منصرفاً إلى  
بيتى فى هدوء دون أن يشعر بي هؤلاء المتخبطون فى  
كوؤوسهم . منذ ذلك اليوم وأنا لا أضع قدماً فى  
هذا النادى . واقتنع مساعدى بكلامى . وأردت



وجه الشاب وتردد، ثم تجلده ونظر الى التهم وسأله :

— أنت سرقت كوز الذرة ؟

فأجاب الشيخ لفوره من جوف مقروح :

— من جوعى .

فنظر المساعد الى وقال فى لهجة الانتصار :

« اعترف التهم بالسرقة » !

فقال الرجل فى بساطة :

— ومن قال لى نا كر ؟ أنا صحيح من جوعى

نزلت فى غيظ من الغيطان سحبت لى كوز ...

ووقف القلم فى يد المساعد ، ولم يعرف ماذا

يسأل بعد ذلك . والتفت إلى يستنجدنى ، فنظرت

الى الرجل سائلاً :

— سين ، يا رجل لماذا لا تشتغل ؟

— جيم ، يا حضرة البك هات لى الشغل وعيب

على إن كنت أتأخر . لكن الفقير منا يوم يلقى ،

وعشرة ما يلقى غير الجوع

— أنت فى نظر القانون متهم بالسرقة

— القانون يا جناب البك على عيننا ورأسنا .

لكن بعنى القانون عنده نظر ويعرف أنى لحم ودم

ومطلوب لى أكل

— لك ضامن يضمنك ؟

— أنا واحد على باب الله

— تدفع كفالة ؟

— كنت أكلت بها

— إذا دفعت يا رجل خمسين قرشاً ضمان مالى

يفرج عنك فوراً

— خمسين قرشاً ، وحياة راسك أنا ما وقعت عيبي

على صنف النقدية من مدة شهرين . التمريفة تسييت

شكله ، ما أعرف إن كان لحد الساعة ( مخروم ) من

وسطه والا سدّوه

ستلقى فى صدر سارق « كوز الذرة » . فكتمت

ضحكى . أنا أيضاً فى مستهل حياتى القضائية كنت

أفعل فعله . ولقد قسا على القدر أشد مما قسا على

هذا الشاب فنكبتى بقضية تزوير معقدة كانت هى

أول عهدي بالتحقيق . ولست أنسى اضطرابى

وقتئذ وقد مثل أمامى التهم المزور بطول باعه وذلاقة

لسانه واعتياده الثول أمام القضاة . فذهبت الأسئلة

المجهزة من رأسى ، ولم أدر ما أقول . وانتظر الرجل

واقفاً فى هدوء أن أفتح فى أو يفتح الله على بسؤال ،

وتصعب منى شبه عرق وأنا أرى التهم أحسن منى

حالا وأربط جأشاً وأقوى امتلا كالأمه . وخيل

إلى أنه يسخر منى فى دخيلة نفسه . وكان كاتب

التحقيق رجلاً قديماً ذا مران طويل صادف فى حياته

ولاشك عشرات من المساعدين الجدد أمثالى . عرف

مابى فأسرع يعاونى ويلقننى ما ينبئ أن أبدأ به

من أسئلة وأنا أتقبل منه المعاونة بأنفة وكبرياء دون

أن أظهر له حاجتى الى تدخله . وأمثال هذا السكرتير

المهرم من ذوى الحق المغموط والفضل المجهول كثيرون ؛

وقد سمعت أحدهم يقول لى مشيراً إلى بعض من

كبار رجال القضاء : « علمناهم الشغل ومشوا

وارتفعوا وبقوا قضاة ومستشارين ، والواحد منا

واقف فى مطرحه لا يكبر ولا يصغر » زى جحش

السبخ » ! تذكرت كل هذا وأنا أنظر الى وجه

مساعدى . ورأيت أن أتمهد خُطاه الأولى بنفسى ،

فطلبت إليه أن ينجى جانبا هذه الملخصات ، وأن

يضغط بأصبعه على الجرس . ففعل وظهر الحاجب

بالباب ؛ فأمرته باحضار التهم الأول ، فدخل فلاح

كهل قد برز من صدره شعر أزرق أشيب كأنه شعر

صبغ مسن ؛ وقلت للمساعد أن يوجه إليه ما يحضره

من أسئلة ولا يخاف ، وأنا أعينه إذا توقف ، فاحمر

وسراويل ، وكذلك أنواع من الأحذية الجلدية لحساب متجر في القاهرة من المتاجر الشهيرة ، وكانت تحتاز ليلاً بكل هذا جسر التربة المحاذية لدائر الناحية ، فسقط منها في الماء كيس كبير مغمم بألوان الملابس ، ولبت الكيس في أعماق التربة حتى انخفض منسوبها وانحسر الماء عن البضاعة ، فهرعت تلك البلدة العارية الى ذلك الكنز الذي لا يشابه كل الكنوز . وتساقطت الأيدي الى الكيس الرافد في الطين تجذب من بطنه ما تصل اليه ، فان كان سروالا من الصوف لبس في الحال فوق الجلباب الأزرق وإن كان معطفا من الجوخ دخل فيه الرجل ( بحرامه ) . وإن كان حذاء لامعا وضع في الأقدام بغير جوارب . ومضت البلدة تجري في الطرقات فرحة مهللة : « الكساوى في البحر ، الكساوى في البحر ... » ، الى أن رأهم رجال الحفظ واستكثروا عليهم النعمة واستغربوا أمرها واستكشفوا سرها ...

ورأيت أن أسألهم أول الأمر جملة ، عانى أظفر منهم باعتراف ييسر على مهمتى . فألقيت عليهم نظرة شاملة :

— سرقم الملابس ؟

فأجابني من بينهم صوت عميق رزين :

— أبدا والله ما سرقنا ولا نعرف السرقة ؛ البحر رمى علينا الكيس ، وكل واحد منا طال نصيبه

فقلت للرجل من فوري :

— نصيبه ؟ هو الكيس ملك البحر والا

له أصحاب خواجات ؟

فأجاب الرجل في صوته العميق الهادئ :

— راح من بالنأ أن له أصحاب يا حضرة البك

فنظرت الى مساعدى وأملت عليه نص القرار — « يحبس المتهم احتياطياً أربعة أيام ويجدد له ويعمل له فيش وتشبيه » . اسجبه يا عسكري ! فقبل الرجل كفه وجهها وظهراً حامداً ربه : — وماله . الحبس كويس . تلقى فيه على الأقل لقمة مضمونة . السلام عايبتكم !

وخرج الرجل يدب وقد وضع في معصميه القيد . واطمأن مساعدى واستراح باله بذهاب متهمه ، وطلبت القضية التالية . فظهر العسكري ومعه آخر وفتح باب مكتبي على مصراعيه ، وجذبا الى داخل الحجرة أكثر من ثلاثين رجلاً وامرأة وولداً قد شدوا في حبال من الليف ، إذ لم يجدوا في المركز لسكل هذا العدد قيوداً حديدية . فما تمالك أن صحت لمنظرهم :

— الله أكبر ! مواشى طالعة سوق السبت ؟

حل الحبال يا عسكري !

فقال الحارس وهو يحمل بأسنانه عقدة حبل :

— فتشنا يا سمادة البك بيوتهم وجدنا فيها

المنوعات . وباقي غيرهم من أهل الناحية تحت التفتيش والقبض بمعرفة حضرة الملاحظ وأورطة الهجاة !

فأدرت بصرى في هؤلاء الأدميين . واستعدت

في تخيلتى ما قرأته الساعة عن تهمتهم في الأوراق التي أمانى وقلت :

— ممنوعات !

فاستدرك الحارس :

— اللبوسات يا فندم

نعم . إن ما قرأت الساعة هو أن سيارة كبيرة

كانت تحمل أكياساً ضخمة مملوءة بمختلف

الملابس القطنية والصوفية من معاطف وستر



ففعّل وهو يلحن بصوت خافت هذا الجاموس الأبيض الذى لا ينبغي إدخاله حجرات الحكومة . وحانت منى التفاتة إلى مساعدى فوجدته مطرقاً مفكراً . فداخلى حب استطلاع أن أعرف ما بنفسه الآن . أترأه قد تأثر لشيء . أترى دقة الحس ورقة الشعور التى جاء بها كما جئنا كلنا فى مبدأ عملنا الحكومى بالريف ما زالت حية أم أنها فى طريق الموت ... ولكن طرقة عصا شديدة ضربت الباب عرفت فيها ضربة الأمور . ودخل صاحبنا بلهث ويصيح :

— البنت ريم ...

— مالها ؟

قلتها رغماً عني فى لفحة . فاستراح الأمور على كرسى وأنا أنتظر الكلام من فمه يصير نافذ . غير أنه نظر إلى الحاجب بالباب :

— إسقنى وحياة عينيك !

وأخرج منديله الحرير الصناعى من كمه ومسح وجهه ورأسه وأنا على أحر من الجمر . وأخيراً التفت إلى وقال :

— اختفت !

فنظرت إليه ملياً :

— تتكلم جد !

— هربت مع الشيخ كلب !

— الشيخ عصفور ؟

— نهاره اسود !

— والعمل ؟

— أمرت فرقة المهجاة أن تقوم فى الحال فتفتى الأثر فى جميع الطرق الزراعية ...

وجلسنا فى صمت . وقد شرد فكر كل منا ...  
نوفيس الحكيم

ربنا يعمل صراحتك ؟ إرأف بحال الفلاحين الساكنين !  
— المسألة مسألة قانون . والقانون صريح : إن كل من وجد شيئاً مملوكاً للغير وحفظه بنية امتلاكه يعامل معاملة السارق . فهمتم ؟

— فهمنا يا حضرة البك . لكن ... بقى ...  
الكساوى كانت قدام نظرنا ورمأها البحر علينا والواحد منا من غير مؤاخذه عريان ...

— أنت يا رجل فاكر الدنيا قوضى ، وإلا فيه قانون وحكومة ! ويظهر أن الرجل لم يستطع صبراً فقال :

— بقى هى الحكومة لا منها ولا كفاية شرها ؟ لا كستنا ولا تركتنا ننكس !

— أنا مضطر أن أحبسكم

— يا جناب البك . أنتم قشتم دورنا وسحبتم الكساوى منا ، والعيال الفرحانة عادت تبكى ، ورجلنا لأصلنا لالنا ولا علينا . يبقى الحبس له لزوم ؟

— أفرج عنكم بضمن مالى

— مالى ؟ الفلاحين عرايا يا حضرة النايب !

— تفضلوا من غير مطرود ! دماغى وجمعنى والمناقشة مع أمثالكم ضياع وقت . القانون صريح وأنا تمقيد بنصوص أشد من الحبال الموضوعة فى أيديكم . المسألة عندى قبل كل شيء مسألة قانون . « يحبس المتهمون كلهم احتياطياً أربعة أيام ويجدد لهم ويعمل لهم فيش وتشبيهه » اسحبهم يا عسكري ! نخرجوا جميعاً فى صف طويل وفى ذيلهم رجل يقول هامساً :

— يحبسونا لأن ربنا كسانا !

وهذا المكان . ولكن رائحة كريهة انتشرت فى الحجرة . فناديت الحاجب وأمرته بفتح النوافذ .

من قصص الحديث

# حَبْلُ الْإِنْسَانِ

للكاتب الإنجليزي كاترين رينولد

بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي

أعدائها ، بل وهبته  
للعالم أجمع . وقد أذيع  
اكتشافه في الآفاق على  
موجات الأثير من مراكز  
الاذاعة في لندن بخمسة  
عشر لساناً . وكانت  
الحديث الدائر على الأفواه  
أن ستونهم أكبر محب  
للإنسانية وأعظم معضد

للسلام على الرغم من مهاجمة صحف النازي له في ألمانيا ،  
فقد كانت ترى أنه كان من الواجب أن يذكر  
فضل وطنه عليه ، ويخصه بهذا الاكتشاف الجليل .  
ولقد دعاني ستونهم ظهر ذلك اليوم في جملة  
من الأصداقاء والعلماء فابتدت  
دعوته وأسرعت إليه

وكان بيتر ستونهم مديد  
القامة ، أشيب الرأس — على  
الرغم من أنه لم يوغل بعد في  
الشيخوخة — أزرق العينين ،  
صافي المقلتين ، يبدو قهتما  
أثر الحزن والتفكير العميق ...  
قال أحد المدعويين :

— إنه يبدو عجيباً حقاً أن  
ستونهم الذي افتن في اختراع  
المهلكات ، وتمادى في ابتداء عدد الموت إبان  
الحرب ، هو عينه ستونهم الذي ينال اليوم جائزة  
نوبل كأول خادم للسلام العام . فاطرق ستونهم  
لحظة ثم قال :

— هذا عجيب حقاً ... ولكن لا تنس

كانت سونيا الحنناء ، وبيتر ستونهم ، وذلك الذي  
يدعونه نيكولي ، تتشبع أماًى من لحظة للحظة ،  
وتتمثل في خاطري من حين لآخر وكنت إخال  
أنى أسمهم يتناقلون الحديث ، ويتساجلون القول ،  
وأنا جالس أرهف الأذن لحديث  
ألفون جنتنر الذي كان يروى  
قصتهم على كئيب منى

ولقد عدت إلى منزلى ظهر  
ذلك اليوم الذى نال فيه بيتر  
ستونهم جائزة نوبل للسلام ،  
وتناقلت اسمه الأفواه ، ولهجت  
بذكره الألسن ، وكان رأى  
السائد فى العالم أنه منجى  
الإنسانية ، ومنقذ العالم من  
ويلات الحروب



ومنذ شهور قلائل أعلن ستونهم على ملا من  
العالم أنه وفق إلى اكتشاف على جليل ، يحمى  
العالم من الغاز السام على اختلاف أنواعه ، وتمدد  
حالته ؛ ولم يخص بهذا الاكتشاف الجليل دولة  
من العالم تتدبر به ضد غيرها ، وتتحرز به من



يا صديقي أن « الديناميت » و « البارود » وغيرها من المفرقات كانت من إنتاج قريحة القريد نوبل نفسه الذي يتقدم اليوم بجائزته إلى محبي السلام العام ... فقال آخر

— وعلى ذكر هذا أقول : لماذا اختار الدكتور ستونهم لفظ « سونيافين » اسماً لاكتشافه على ما فيه من غرابة ؟ فر ستونهم بيده على جبهته ثم قال :

— حقاً إنه اسم غريب ولكنه بقية ذكرى في نفسي ، وحلم سعيد كان مصيره الزوال ، كباقي الأحلام ...

— حلم ! هذا عجيب ! أيعني الدكتور أن هذا الاسم أضغاث أحلام في ليلة ما ؟

— ليلة ما ! كلا يا صديقي فقد استغرق حلمي عامين ... والآن يا صاحبي دع هذا جانباً فانه يثير في نفسي ذكريات أليمة

وانتقل الحديث من هذا الاسم الغريب ، ومن ذلك الحلم الذي استغرق عامين إلى نواح متعددة ، وشجون مختلفة ، حتى انفرط عقد الحفل ومضى كل لسبيله

عدت إلى منزلي ، فوجدت البارون الفون جنتنر في انتظاري ، ولما علم أنني كنت في ضيافة بيتر ستونهم ... سألني :

— وكيف كان يبدو ستونهم ؟

فضحكت وقلت :

— على خير حال يا صديقي ... اللهم إلا عند ما سأله أحدهم عن سبب اختياره لفظ سونيافين اسماً لاكتشافه الجديد ... فقال في دهشة وعجب :

— يا إلهي ! أسأله عن ذلك ؟ ... كان ينبغي ألا ينحوضوا به إلى تلك الذكرى المؤلمة ... إنني على الرغم من كوني أقرب أصدقائه لا أجرو أن

أجرى أمامه مثل هذا الحديث

— حقاً إنك أقرب أصدقائه ... وأظنك تعلم عن هذا الرجل ما خفي عنا ؛ فما الذي دعاه بعد أن أورد جيوش العالم موارد التهلكة ، بما ابتدعه من مهلكات ، أن يجعها عليهم اليوم برذاً وسلاماً ؟ وما الذي حدها إلى اختيار هذا الاسم العجيب الذي حير الأذهان ؟

— حسن يا صديقي ... سأخبرك بذلك ، وإنها لقصة عجيبة أنت أول من يحظى باستماعها ... أجل سأحدثك الآن عن ستونهم ، وعن سونيا ، وعن ذلك الرجل الخالي من الروح الذي يدعونه نيكولي . فقلت في دهشة :

— الخالي من الروح ؟ ولكن لكل الرجال أرواح يا فون جنتنر

— مهلاً مهلاً ... لا تتسرع يا صديقي واعتدل البارون في جلسته ، ثم أخذ يسرد على قصته فقال :

عرفت الدكتور بيتر ستونهم لأول مرة خلال الحرب الأخيرة ، وكان كوكباً زاهراً في عالم الاختراع ؛ وقد بدأ حياته بالاشتغال بالنظريات الرياضية ، ثم تعلق علم الطبيعة ، وشفق بالكيمياء فكانت خفاياها وأسرارها ككتاب مفتوح يتهدى منه آراءه ، ويستوحى أفكاره ، ويمرور الزمن وتعاثب الأيام تمكنت بيننا أواصر الصداقة ، وتوثقت عرى المحبة ، وكثيراً ما كان يحدثني عن مطامحه وآرائه وعن بحوثه الطويلة في الجهد والطاقة ، وكثيراً ما ردد على مسمى قوله :

— إن حرب المستقبل لن تكون قط حرباً بين جيوش ، بل ستكون الآلات عدتها ، والعالم عدتها ... فأجيب مداعباً

— لن أجاريك في رأيك هذا ، حتى تخترع

لنا إنسانا يستطيع أن يفكر

— هذا ما أرجو تحقيقه يا فون جنتنر

— وماذا عساك تصنع بهذا الانسان إذا وفقك الله إلى إبراز ما في مخيلتك ؟

— الحرب يا عزيزي دون شك . . . إن العالم ما زال يعتمد على الانسان في الحرب على الرغم مما يفقد من الجيوش ، وبرغم ما في الانسان من غرائز الخوف والهرب . . . إنى آخذ أهبتي للحرب المقبلة وسأملأ بهذا الانسان وأمثاله ساحات الوغى ، وسأزودهم بأشمة الموت عوضاً عن القنابل والبنادق . فقلت ضاحكاً :

— إنك سفاك دماء يا بيدر . أتبنى أن تكتسح العالم وتسحق جيوشه بما تسميه علما واختراعا ؟  
— إنى أرى أن العالم لم يتقدم قيد شمرة ، ما دام الانسان يلعب دورا هاما في الحروب . . . وسأعمل من الآن على تحقيق ما أرى في ضوء تلك النتيجة التي وصل اليها اينشتاين سنة ١٨٠٥ « إن المادة يمكن تحويلها إلى طاقة ، وإن الطاقة يمكن تحويلها إلى مادة » ، وأغلب الظن أن الشمس هي مصدر الطاقة والحركة ، ومبعث النشاط الانساني ؛ وليس هذا عجيبا فالهنود يعبدونها من قديم . . . وربما أدركوا أنها سر تلك الحياة . ومحور تفكيرى الآن الذى أدور حوله هو أن الشمس مبعث الحركة ، وأن أشعتها هي مصدر النشاط الانساني

وربما انتهت الحرب قبل أن يوفق بيدر في إبراز فكرته إلى العالم ولكنه كان دائب البحث ، دائم العمل ، يصل ليله بنهاره في دراسة أشعة الشمس . وليس بمسير أنت يأتى العالم بأشعة الشمس لفحصها في معمله ، فقد تمكن نيوتن من اكتشاف جهازه « البكتروسكوب » الذى يمكن الانسان من دراسة الأشعة وفحصها فحصاً دقيقاً

كما يفحص الطبيب مكروب الداء تحت منظاره

وسافر ستونهم فجأة إلى باريس لمواصلة دراسته مع العالم الفرنسى « جورج رابيه ليمتر » ثم عاد بعد سنتين وملاء برديه الزهو بشيئين أولهما : الانسان الذى اخترعه ، وثانيهما : زوجته الحسنة الروسية سونيا ، قال :

— وستمعجب بها يا فون جنتنر . . . لقد قابلتها في باريس . . . إنها إحدى نبيلات روسيا اللواتى هاجرن إبان الثورة ، وضحك ثم قال :

— ولذلك سترأها الليلة نائمة على الثورة والفلاحين . . . وسترى أيضاً آلتى التى ستمعجب بها كثيراً وأصدقك القول أنى رأيت تلك الليلة ما عجبت منه كل المعجب : رأيت ذلك الانسان الذى تحركه الأشعة بدل الكهرباء ، ورأيت سونيا ستونهم وكانت سمراء الوجه رشيقه القوام ، تجمع إلى جمال وجهها رقة في الحديث ، وظرفاً في القول وقد طرقتنا في الحديث شعاباً شتى وشجوناً عديدة إلى أن مال بنا إلى الكلام عن روسيا وثورتها فالتفت عينا سونيا وقالت دون ريث ولا روية — هؤلاء الفلاحون . . . لعنة الله عليهم . . .

لقد هدموا في أمسية مائة من الصروح المشيدة والبروج المردة ما بناه أسلافنا في دهور طويلة . . . لقد قتلوا أبى . . . وما نجوت من برائهم إلا بشق النفس . . . ويمكنك أن تفهم الآن لماذا لا يأخذنى العجب والزهو بأننى روسية . . . ولماذا ترانى دائماً نائمة ساخطة على هؤلاء الفلاحين . . . لقد كانت لنا أراض واسعة ، وسهول مديدة ، وكنا نملك الآلاف المؤلفة من هؤلاء الفلاحين ، فصفرت راحتنا ، وخلا وطابنا

وقد استرعى خاطرى قولها : « كنا نملك



في انداع وخشوع ، ثم امتدت يد بيتر إلى زر آخر  
ففاض في الغرفة نور أزرق قائم يقبض النفس  
فهاضت قوى ذلك الواقع أمامنا ، واسترخت  
مفاصله ، وجلس في مقعده كما يجلس ابن السبعين  
وهو يئوئ تحت أعباء السنين .



ومضيت أتقرس وجه ذلك الانسان ،  
وأنا مشئت النفس مشرد اللب إلى أن جذبني بيتر  
من يدي قائلاً :

— أرايت كيف يحسن إنسان تكاليف الحياة  
ونظم المجتمع ... إنه يتحرك بالأشعة كما رأيت ،  
وهذه الأشعة هي المؤثر الخارجى الذى يدفعه إلى  
التفكير كما تدفع الانسان مؤثراته الخارجيه من  
جوع وخوف وفرح وغيرها . . . ولقد أسميته  
« نيكولى » ولما رأيت فيه بعض مشابه من الفلاحين  
الروس ابتعت له هذه الملابس الروسية ... إنه  
الآن يفكر بمقل الفلاح الروسى ، على الرغم من أن  
تفكيره لم يزل فى مرحلة البداءة » ، وأطرق بيتر  
قليلاً ثم استطرد فى شرحه :

— ولقد زودته بمركز عصبي يقابل المخ فى

الفلاحين » إذن فسونيا من هذا النوع الذى يملك  
الرجال ؛ ولا شك أنها تحس الآن من أعماقها أنها  
تملك بيتر ستونهم ، فان يصبح بيتر ستونهم من  
الآن ملكاً للعالم كما كان من قبل  
وحادت سونيا بمجرى الحديث عن روسيا  
فقالت :

— لقد حدثنى بيتر عنك كثيراً يا فون جنتر ،  
وأخبرنى أنك قلت له إنك لن توافقه فى آرائه  
حتى يخترع إنساناً يفكر .

— هذا حق ... إن كان بيتر قد صنع مثل  
هذا الانسان فستصبح الدنيا تحت قدميه ... فضحك  
بيتر قائلاً :

— إننا لم ننته بعد يا فون جنتر ... ولكن  
انهض بنا لنرى ماتم .

وكان العمل فى الجناح الخلفى من المنزل ،  
فسرنا بصحبة بيتر فى عمر ضيق ، يبعث الرهبة فى  
النفس ، ويرسل القلق إلى القلب ، حتى بلغنا باباً أثقلته  
الحدائد ، وناء بما حمله من الرُجج . . . فقلت ضاحكاً :

— ما هذا ؟ ... أتخشى أن يسلبك اللصوص  
صاحبك يا بيتر  
كلا يا صديقى ... بل أخشى أن يمل ضيافتنا  
فيهجرنا .

\*\*\*

وعالج بيتر الباب حتى فتحه فوجدنا الغرفة ،  
وكان الظلام يحلل أركانها ، ويغشى جنباتها ،  
فضغط بيتر أحد الأزرار الكهربائية ، فغمر الغرفة  
نور زامٍ ساطع يعشى العيون ، ويبهز الأبصار ،  
ولكنه لم يُثر من عجبى ، قدر ما أثار ذلك الجالس  
على المقعد فى وسط الغرفة . وما إن لمح ناظرى ،  
حتى هب واقفاً فى ريث وثودة ، كما يقوم الانسان  
العادى ، ثم أخنى هامته الحديدية معلناً تحيته

ما جد من أمر نيكولى ، وكانت تملأ عينيه المذخبة  
والمعجب ، ويتملكه زهو الأبوة المنجية بالولد  
الذكي النجيب .

وكانت شمس الطفّل لا تزال تاتي على السكون  
وميضاً من شعاعها عند ما ولجنا غرفة نيكولى ففتح  
بيتر النافذة قائلاً :

— لو اعتمدنا فقط على أشعة الشمس لنبعث  
الحياة في أوصال « نيكولى » لرأينا يموت في الليل  
ويبعث في النهار ، ولكن رأيت استدامة لنشاطه ،  
وبقياً على حياته ، أن ألجأ إلى توليد أشعة الشمس  
في المعمل ... ولكن انظر ... وأشار إلى نيكولى  
وكانت أشعة الشفق الحمراء قد بدأت تغمر  
الغرفة ، وتفيض في أرجائها ، فرأينا نيكولى يقوم في  
تؤدة حتى يستقيم ، ثم يرفع ذراعه اليمنى حتى توازي  
كتفه ، ثم يستدير على عقبيه حتى يواجه الشمس  
الغاربة . فقال بيتر هامساً :

— « رأيت ... » ، ثم استطرد قائلاً ... « الآن  
عند ما تهبط الشمس الغاربة عن الأفق ... وتغيب  
على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ، وينقطع  
شعاعها عن نيكولى تهمد حياته وتحمد حركته .  
وكان الليل قد أخذ ينشر سجوفه الفاجحة  
وبرخي مسوحه المظلمة على السكون ، فأنزل نيكولى  
ذراعه ، وعاد إلى مقعده ، ثم جلس في صمت  
وحزن ... فقال بيتر :

— إنني لم أحاول بعدُ تحليل هذه الظاهرة  
العجيبة ... لماذا يرفع « نيكولى » ذراعه ويواجه  
الشمس الغاربة في خشوع وخضوع ... فالتفت  
عينا سونيا . ثم قالت في صوت مضطرب :

— هذه عادة الفلاحين في روسيا ، فعند  
ما ترسل الشمس الغاربة نظرتها الأخيرة إلى  
السكون ، يولون وجوههم شطرها رافعين الأذرع ،

الانسان العادي ، فان منح الانسان يقوم في الجسم  
بمثابة مركز رئيسي تعاونه أعصاب مصدرة وأعصاب  
موردة ، فشأنك إذا قرّبت يدك من مدفأة ساخنة  
سحلت الأعصاب الموردة إلى المخ : أن ارفع يدك ،  
فيصدر المخ أمره عن طريق الأعصاب المصدرة إلى  
اليدين برفعها ، وترفع يدك دون أن تحس بهذه الدورة  
العصبية .

فالشمع الأبيض الساطع يؤثر في مركز نيكولى  
العصبي فيجعله يقوم ويحيي ، والشمع الأزرق يؤثر فيه  
تأثيراً مخالفاً فيجعله ينحني ويحس ... وكما أن هناك  
مواد تجذب الحديد ، فهناك أيضاً مواد تؤثر في  
الأشعة وتجذبها ، ومنها صنعت مركز نيكولى  
العصبي . واستطرد بيتر قائلاً :

— وسيكون نيكولى وأمثاله من الملايين عمدة  
الحرب المقبلة ، فلن يقف في طريقهم إنسان ، ولن  
يقتل في عضدهم قتال ، أو يغفل من غريبتهم سيف .  
— وتسابقت إلى خاطري صور عدة ،  
وتزاحمت في مخيلتي مشاهد كثيرة عن ذلك الرجل  
وأمثاله ، وهم يدخلون إلى المدن ، وقد سقطت  
تحت ربتهم ، ووقعت في قبضتهم ، فأخذوا  
يحطمون ما صادف طريقهم من عوائق ، ويصرعون  
ما اعترض سبيلهم من جيوش ... فقلت :

— هذا حسن ، ولكن ماذا جنت عليك تلك  
الأرواح البريئة التي تزهقها بما كشفه علمك ،  
وأنتجتة قريحتك ... فرفع بيتر كتفيه قائلاً :

— وما قيمة الأرواح يا صديقي إذا هي وقفت  
في سبيل العلم ؟

\*\*\*

ومضت الأيام تتبع الأيام ، والشهور تترسم  
خطى الشهور ، إلى أن كان يوم قاتاني فيه بيتر  
مشرق الوجه ، منبسطة الأسارير ، ودعاني لمشاهدة



— المجد والشهرة ؟... تلك أحلام يا صديقي...  
لن ينال المجد والشهرة سوى نيكولى... أما نحن  
فسنصبح في زوايا النسيان بعد أن أنفقنا في خلقه  
مئة سبانا، وأخلقنا جيدة شبابنا، حتى أصبحنا  
نخطو إلى الهزال والسقام، كلما يخطو إلى السكال  
والتمام

وأطرفت قليلاً ثم رفعت رأسها كمن خطر له  
خاطر ثم قالت في سرعة :

— فون جنتنر... إن نيكولى أسير في غرفته،  
وأرى أنه لا بد محطم ذلك الباب ومحطمتنا أيضاً  
إذا تقدم به العلم قليلاً :

— ولكن كيف يحطم سادته وأولياء نعمته ؟  
— كما حطم الفلاحون الروس سادتهم وأولياء  
نعمتهم



وهنا أدركت أن سونيا ورثت عن أسلافها  
من النبلاء ذلك السكر المتأصل في نفوسهم للفلاحين،  
وأنه قد دخل في روعها أن نيكولى فلاح روسي...  
فنهضت قائلاً :

مبتهمين إلى الله... ونيكولى فلاح روسي ؟ فلا غرو  
أن يقفوا أثر قومه...

وكان وجهها شاحباً، وعيناها ذابلتين يبدو  
فيهما ما يسيطر على نفسها من الرهبة، وما يرمض  
قالبها من الألم « ورأى بيتر ذلك فقال مرقها عنها :

— سرّى عنك يا عزيزتى... إنك لست  
روسية بعد... وأما هذا الانسان فما هو إلا آلة  
صماء خرساء... فقالت متوسلة :

— ألا تفسدو عنه هذه الثياب يا بيتر... إنه  
يبدو فيها كالفلاحين الذين كنا نملكهم يوماً ما،  
فضحك بيتر ولسكنه لم يخاف عنه الثياب،  
وأظن أن تلك الأمسية كانت بدء كراهية سونيا  
لنيكولى وسخطها عليه... لقد كانت تعتقد أنها  
تملك بيتر وحدها دون شريك، ولكنها اليوم  
ترى لها شريكاً أشد، وخصماً ألد، يفرق بينهما،  
ويحول دونهما.

\*\*\*

ومضت بضعة أسابيع لم أر في خلاها بيتر إلى  
أن قصدت ذات يوم لزيارته، فوجدت سونيا  
وحيدة في المنزل، وكانت تبدو كالزهرة الذابلة،  
فلانضرة في القسمات، ولا وضاعة في الوجه، ولا برق  
في العينين، وجلسنا نتحدث عن العلم وعن بيتر  
إلى أن قلت :

— وماذا جد من أمر نيكولى ؟ أترأى في طريق  
التقدم ؟

— نيكولى ؟... لا تجرأ ما بي ذكر ذلك  
الاسم... لقد أصبحت أبقضه من كل قلبي...  
ألا تعلم أن بيتر يقضى معه آفاء الليل وأطراف النهار  
دون أن يخرج من غرفته و... فقاطعتها قائلاً :

— ولكنني قريباً ما يتمه وينال به المجد والشهرة.  
فقالت مرعدة :

متزن الجرس متسق النبرات ، وقد عرفت فيه  
صوت بيتر يقول :

— ومن هو ذلك الرجل الخالي من الروح ؟  
فأسرعت إليه قائلاً :

— بيتر... إن سونيا لا يمكنها أن تصبر أكثر  
من ذلك ... إنها تعتقد أن نيكولي يقف حجر عثرة  
بينكما ، أخبرها أنه ليس إلا لعبة يتسل بها عقلك ،

وآلة تنلها بها

يداك ... فمر بيتر

بيده على جبهته ثم

تقدم لسونيا قائلاً :

— سونيا ...

إنني لست لأحد

سواك ، وما صنعت

تلك الآلة إلا لأخلد

اسمك بجوار اسمي ،

والأجعلك مراهقة

بأعمالي ؛ وإن لفظة

منك لتجملني أحطامه

مخطئاً

وأشرق وجهه

سونيا ، وبان الرضا

في عينيها ، وبدت

كن ألقى عن نفسه عبثاً ثقيلاً آده وبهره ...

وتحولت فجأة إلى نيكولي حتى لست صدره ، وكان

لا يزال رافعاً ذراعه ، فصاحت به :

— ما الذي يجعلني أخافك أيها الانسان الآلي ؟

إنك فلاح ونحن النبلاء لا نخشى الفلاحين . إنك

خادم لنا وللعبة في كفننا .... إنني لا أخافك ولا

أرهبك فأنت عاجز عن أن تمسني بسوء ...

— سونيا ... هيا بنا إلى غرفة نيكولي ...  
سأريك أنه ليس إلا آلة بسيطة يمكن الطفل أن  
يحركها ... هيا ...

— اقنعي بذلك يا قون جنتير ... اجعاني  
أعتقد ذلك ... اجعاني أعتقد أن نيكولي ليس إنساناً  
وأخذت بيدها إلى العمل ، وكان نيكولي جالساً  
كمادته في ملابسه الروسية ، وكان يبدو عليه أنه أقرب

إلى الانسانية من

ذئ قبل ، ونظرت

فاذا سونيا ترمقه

من خوف . فقلت

لها وأنا أشير إليه :

— بضع مئات

من الأرطال

الحديدية ! هذا

كل ما في الآلة

— هذا كل

ما في الآلة ! كلا

يا سيدي ...

وأسرعت إلى

النافذة ففتحتها ،

وكانت الشمس قد

أذنت بالغروب

ففاضت في الغرفة أشعة الشفق فقام نيكولي كمادته ،

مولياً وجهه شطر النافذة رافعاً ذراعه اليمنى ... فقلت

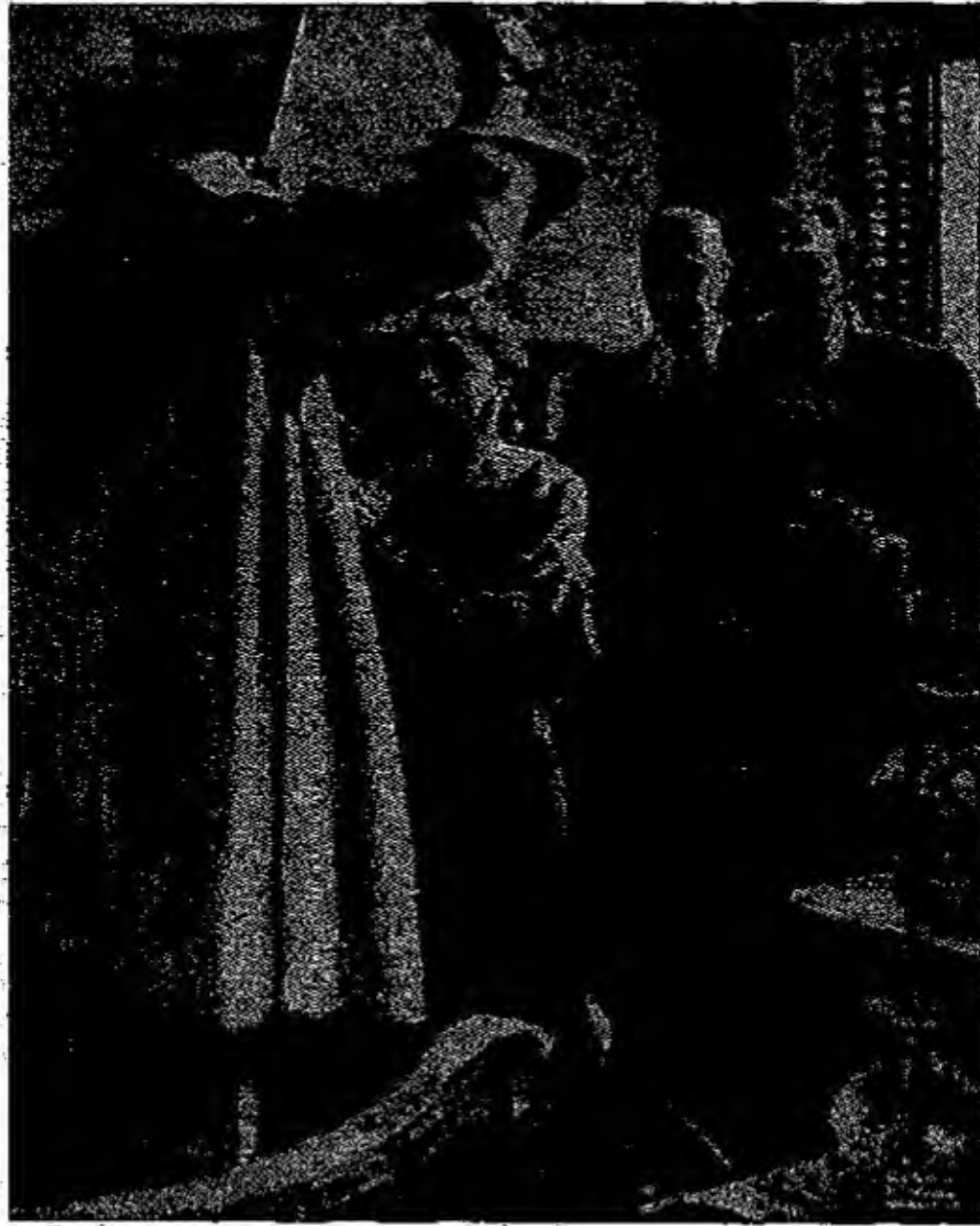
— هذا عمل آلي محض ... ثم استطرذت

ضاحكاً :

— سونيا أنتخشين رجلاً خالياً من الروح ...

خالياً من الشمور

وارتفع في تلك اللحظة صوت من أقصى الغرفة





وفي طرفة عين ، ودون إنذار أو تحذير سقطت  
تلك الذراع الحديدية الثقيلة على رأس سونيا ، كما  
يسقط الحجر على بيضة الطائر فيهبها تهشياً

\*\*\*

ووقف كل منا في مكانه مشدوهاً من هول  
الحادث ، ومضت برهة قبل أن نجتمع أشنات عقليتنا  
وعلق بصرى نيكول ، فرأيت به يجلس في هدأة  
وسكينة... وصعد في رأسي ذلك السؤال فجأة . « لماذا  
أسقط نيكول ذراعه في تلك اللحظة ؟ » وجأة  
تذكرت أن الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت  
على مدى ثلاثة وتسعين مايونام من الأميال ، وأن الظلام  
عاد يُرخي سدوله وينشر مطارفه السود على الآفاق  
ونظرت الى بيتر وكان وجهه الشاحب  
كوجوه الموتى ، جامداً لا يتحرك ، شاخصاً  
لا يطرف . واستدار على عقبيه فجأة دون أن ينبس  
ببنت شفة ، وخرج من الغرفة ثم عاد بعد قليل  
وبين يديه قضيب ثقيل انهال به على نيكول فخطم  
رأسه ، وهشم أوصاله حتى ملأت أرض الغرفة .  
وكانت سونيا تسبح في بركة من الدماء ، فتقدمت  
الى جثتها ونقلتها الى غرفة أخرى ثم عدت الى بيتر  
وكان مستغرقاً في ذهوله ، وما رأي حتى قال درن  
أن يمي ما يقول :

-- فون جنتنر... أكان نيكول آلة حقاً...  
أم كان إنساناً يعقل ما يفعل ؟ أتراني خلقت فلاحاً  
روسياً يخقد على النبلاء وتفيض نفسه بالانتقام ؟  
— هذا توهم يا صديقي... إنك لم تبتدع إلا آلة  
كان موت سونيا خطأ منها .

فنظر إلى بوجهه الساهم الحزين ثم قال :

— فون جنتنر... إنني لم أقدر قبل الآن تلك

الصلة الروحية التي تربط الناس ببعضهم... وأظنك  
تعلم مبلغ حبي لسونيا ، والآن وقد قضت نحبها  
فاني أحس أني قضيت معها نحيبي...

لقد أزهقت آلاقي إبان الحرب من الأرواح  
البريئة ما يعجز عن حصره البيان... وكل روح  
من تلك الأرواح... لا بد أن كان هناك من يألم لها  
ألى الآن على سونيا

وأطرق قليلاً ثم رفع رأسه قائلاً في حزن :  
— لقد كان العلم في يدي أداة لأهلاك العالم  
وتدمير الأرض ، فلم لا أجعله أداة لأسعاد العالم  
وخدمة الانسان ؟

— يمكنك أن تعمل على ذلك يا بيتر... ولقد  
وهبك الله قريحة هي خير من يخدم العالم إن  
شاءت ، فأجاب في ألم :

— حقاً... حقاً... سأعمل على ذلك يا ثون  
جنتنر ، سأصلح ما قدمت يداي ، سأسو جراح  
العالم ، وأدرا عنه ويل الحرب...

\*\*\*

واستقام الفون جنتنر واقفاً ، وسار إلى الشرفة  
في خطوات متزنة ، وكانت الشمس قد هبطت عن  
الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين مايونام من  
الأميال ، وبدأ الليل ينشر ذوائبه الفاحمة ويرخي  
نقابه الأسود على الأفق ، فاستدار الفون جنتنر  
إلى قائلاً :

— لقد كنت تريد أن تعرف لماذا يؤثر  
ستونهم الآن خدمة السلام العام... ولماذا اختار  
اسم سونيا فين اسماً لغازه الجديد...

— « حسن... لقد أخبرتك »

أحمد فتحي مرسى

# المستر بكوك وفراقه

للقصص الانجليزية شارلز ديكنز

(تابع ما نشر في العدد الماضي)



شارلز ديكنز

وكانت صفات تلك الفتاة ومفاتها قد تركت  
أثراً عميقاً في نفس مستر توبمان فسأل الرجل :  
« هل السيدة في إنجلترا الآن أيها السيد ؟ »  
- « لقد ماتت أيها السيد ... ماتت »  
وعندئذ وضع الرجل على عينه خرقه صغيرة  
قدرة كانت بقايا منديل قديم وأتم كلامه قائلاً :  
« لم تشعر بتهدم هيكلها ... وذهبت فريسة »  
وسأل سندجراس ذو النفس الشاعرة : « وماذا  
كان من أمر والدها ؟ »  
- « حزن وشقاء ... اختفى فجأة ... حديث

واتجه الرجل على حين غفلة إلى مستر توبمان  
قائلاً : « فتاة جميلة أيها السيد » ، وكان مستر  
توبمان بصوب نظراته في مظهر لا يتفق ومبادئ  
تلك الجماعة ، جماعة بكوك ، إلى عادة في الطريق .  
وأجاب توبمان بقوله : « جداً »

- ليست فتياتنا من الجمال كفتيات أسبانيا  
مخلوقات نبيلة .. شعر أشقر ... عيون دعج ...  
قدود رشيقة ... مخلوقات حلوة ... جميلة  
وتساءل مستر توبمان : « هل زرت أسبانيا  
أيها السيد ؟ »

وأجابه ذلك الشخص قائلاً : « قضيت هنالك  
عصراً »

فسأله مستر توبمان : « هل ثمة من انتصارات  
أيها السيد ؟ »

- انتصارات آلاف ... دون بولارد  
فزعيج .... جراندز .... بنته الوحيدة ...  
دونا كرسيتينا ... مخلوقة جميلة ... تحبني حب  
الجنون ... أب حقود . ابنة عزيزة النفس ورجل  
انجليزي وجيه ... دونا كرسيتينا في ياس ... مم .  
مضخة صغيرة المعدة في حقيبتى ... عملية فاجحة ...  
بولارد المعجوز في سرور غالب ... يوافق على  
زواجنا ... أيد مشتبكة وفيض من الدمع ... قصة  
مؤثرة ... جداً »



هل يبقى في الفندق ؟ وأجاب الرجل بأنه لا يعتزم البقاء . ثم اتجه مستر ونسكل إلى مستر بكوك وتميم بعض كلمات ، ثم سرت همسة من فم مستر بكوك إلى اذن مستر سندجراس ، ثم من مستر سندجراس إلى مستر توبمان ، وأخيراً اهتزت الرؤوس كلها بإيماءة موافقة ، فخطب مستر بكوك ذلك الغريب بقوله : « لقد أوليتنا اليوم صنيعاً جميلاً أيها السيد ، فهل تسمح لنا أن نتقدم بدليل بسيط على ما نكنه لك من شكران ؟ إنا نرجو منك أن تشرف مائدتنا اليوم » « مع فائق السرور ... ولتكن دجاجة ومرق وما يقدم معها ... على أنى لا أقترح ... ومتى يكون ذلك ... ؟ »

وأجاب مستر بكوك : نحن الآن قبيل الساعة الثالثة ، فهل يلائمك أن يكون الأكل عند الخامسة ؟ .

... يلائمني ذلك تماماً ... عند تمام الخامسة ... وإذن فلتعنوا بأنفسكم حتى ذلك الوقت ... وانطلق الرجل بعد أن رفع قبعته قليلاً عن رأسه وأعادها في فتور ؛ وكانت تبرز إلى النصف من جيب سراويله تلك الحزمة الملفوفة بالورق البني اللون ، وكان سريع الخطو خفيف المشية ، ورأوه ينمط في الشارع المجاور

واتجه مستر بكوك إلى رفاقه قائلاً : « يظهر في جلاء أنه رجل كثير الأسفار والتجوال في الممالك ، وأنه دقيق للملاحظة وثيق الخبرة بطبائع الناس والأشياء »

وأجاب مستر سندجراس : « كم يشوقني أن أرى ما جمته ! »

وقال مستر ونسكل : « وأنا كم أود لو أنى رأيت ذلك الكلب »

المدينة كلها ... بحث في كل جهة ... لا طائل ... يقف انفجار الماء بفتة من النافورة في الساحة الكبرى ... أسابيع تنصرم .... الماء لا ينبعث عمال لتطهيرها ... نزح الماء الراكد ... وجه حماري رأسه إلى أسفل في فوهة النافورة ... أخرجوه ... تلعب المياه متدفقة من النافورة كما لم يكن هناك شيء »

ولقد بلغ التأثير بمستر سندجراس مبلغاً عظيماً فقال : « هل تسمح لي أيها السيد أن أثبت في دفترى تلك المأساة الصغيرة ؟ »

— « اسمح لك لا ريب أيها السيد ... خمسون غيرها إن شئت أن تسمع ... حياة غريبة . تاريخ عجيب ليس تاريخاً فذاً ... ولكنه وحيد في بابه » وظل الرجل يقص من تاريخه عليهم وهو يتناول بين الفينة والفينة كأساً من الخمر ، حتى بلغت العربية قنطرة روشستر ، عندئذ كانت صفحات كل من مستر بكوك ومستر سندجراس قد امتلأت بما اختاره من مخاطراته

ولاحت لأعين السفر قلعة قديمة ، فصاح مستر سندجراس بكل ما وسمه من حماسة شعرية اتصف بها « يا لها من أطلال فاخرة ! »

ورفع مستر بكوك منظاره المقرب إلى عينيه فانطلق لسانه قائلاً : « ما أعظمها موضع دراسة لمن يعنى بالآثار ! »

وقال الرجل : « آه ... مكان جميل ... قلعة فاخرة ... حوائط عابسة ... أقواس متداعية ... برج ... مهديم وهناك كنيسة قديمة أيضاً ... برت سلمها أقدام الحجيج ... وهكذا ظل الرجل يهذي بمثل تلك العبارات حتى بلغت العربية فندق « بول » فنزلوا ؛ وهناك سأل مسترونسكل ذلك الرجل

ولم يقل مستر توبمان شيئاً ، ولكنه كان يفكر في دونا كرسيتينا وفي النافورة ، ومن ثم فقد امتلأت عيناه بالدموع

وبعد أن احتجز هؤلاء غرفة جلوس لهم ، وخبروا غرف نومهم ، وأمسروا بأعداد ما رغبوا من طعام ، خرجوا من الفندق يلقون نظرة على المدينة وما يحاورها

وإنا لا نجد فيما أثبت مستر بكوك في دفتره عن المدينة وما حولها ، ما يشعر بأن ما تركه مظهرها من أثر في نفسه يختلف في شيء عما كتبه غيره ممن زاروا تلك الجهة ، ومن السهل أن نوجز وصفه فيما يلي :

« يتبين لي أن أهم ما تنتجته هذه المدينة وجاراتها ، هو الجند والبحارة واليهود والطباشير والجبري والضباط وعمال المواني ، وأن ما يمرض عادة للبيع في شوارعها العامة لا يعدو الواردات البحرية والتفاح والسماك الطرى والجندى . وتقع الأعين في تلك الشوارع على مظهر بهيج حتى ، يكون مبعثه في الغالب صرح الجند وزياتهم إذ يتجمعون . ولعمري أن مما يبهج نفس كل امرئ سخرى اليد يحب معايشرة الأصدقاء ، أن يرى هؤلاء الرجال الفطاري يروج بعضهم في بعض ، بفعل ذلك الفيض الجسمي ، ترسله حمية الأجسام والأرواح ؛ ويتجلى ذلك على الأخص ، إذا ذكرنا ، أن السير في إثر هؤلاء ومشاركتهم في مزاحهم ، يهيء متعة رخيصة بريئة للعامة ، فليس هناك من مظاهر الانبساط ما يفوق انبساط نفوسهم ورقتها . حدث قبل مجيئي بيوم أن أهين أحدهم إهانة بالغة في حانة عامة ، فلقد أبت ساقية الخمر أن تعطيه من خمرها زيادة على ما أخذ ؛ فكان جوابه على ذلك أن استل

خنجره ، وجرح الفتاة في كتفها ، وهو ما فعل ذلك إلا على سبيل المداعبة فحسب . ومع ذلك فقد كان هذا الفتى الظريف أول من حضر إلى الحانة في الصباح التالي ، حيث أعرب عن استعداده لتتامي الحادث كأن لم يكن هناك شيء .

واستمر مستر بكوك يصف المدينة قائلاً : ويخيل إلى أن التبغ يستهلك في هذه المدينة بكثرة هائلة ، وأن تلك الرائحة التي تملأ شوارعها ليستسيغها ويستمرئها أولئك الذين اشتد ولوعهم بالتدخين . ولقد يأخذ السائح الغريب على المدينة وضواحيها ما يراه من قذارتها ، تلك القذارة التي تعد أظهر صفاتها ؛ بيد أن هؤلاء الذين يرون في تلك القذارة علامة الحركة ودليل النجاح التجاري ، يرتاحون ، لا ريب ، إلى ذلك المظهر . وحضر ذلك الغريب عند الساعة الخامسة وهو الموعد الذي حددوه . وما هي إلا برهة حتى أحضر الطعام . ولم تك مع الرجل تلك الحزمة الملفوفة في الورق البني ، ولكنه لم يغير شيئاً من هندامه ، بيد أنه عاد أكثر ثرثرة ، إن كان هذا ممكناً

فلما رفع الغلام غطاء أحد الأطباق تساءل الرجل : « ما هذا ؟ »

وأجاب الغلام : « هذا سمك طرى يا سيدي » — « سمك طرى . آه ... سمك عظيم ... يرد كله من لندن ... أصحاب عربات الرحيل يأتون بولائم سياسية ... عربات نقل ملأى بالسمك الطرى ... عدد من السلالات ... قوم ماكرون . كأس من الخمر يا سيدي »

وأجاب مستر بكوك قائلاً : « بكل سرور » وشرب الرجل من تلك الخمر أولاً مع مستر بكوك ، ثم مع مستر سند جراس ، ثم مع مستر



الغلام تاركاً الجماعة يستمتعون براحة نينك الساعتين  
اللتين تعقبان الغداء

وقال الرجل الغريب : « عفوا وممذرة أيها  
السيد ... بقيت زجاجة ... أدرها ... وجهة  
الشمس ... أدبروا الكؤوس واشربوها حتى الثمالة »  
ثم أفرغ كأسه وكان قد ملأها منذ دقيقتين ، وعاد  
فلاؤه في هيئة من اعتاد ذلك الفعل

وأدبرت كؤوس الراح وطابت مقادير جديدة ،  
وأخذ الغريب يتحدث وجماعة بكوك ينصتون .  
وكانت الرغبة في رؤية الحفلة تلح على مستر توبمان  
بين لحظة وأخرى ؛ وأثرب وجهه مستر بكوك بتلك  
الصبغة ، وشاعت فيه تلك الحرارة التي يبعثها  
الاحساس العميق بالأخاء ومحبة الرفاق ، وأخذ  
النماس كلاماً من مستر دنكل ومستر سندجراس  
فناما ملء جفونهما

وقال الغريب : « بدأ الحفل في الطابق العلوي .  
اسمع أصوات الجمع ... تجتبر القيثارات ... ثم  
العود ... لقد بدأوا ... » ولقد دلت الأصوات  
المختلفة التي وصلت إلى أسفل البناء أن هؤلاء  
الراقصين قد بدأوا الشوط الأول  
وعاد مستر توبمان يقول : « كم أتمنى أن أشهد  
الحفل ! »

وعاد الغريب قائلاً : « وأنا أيضاً كم أتمنى ذلك .  
لعن الله ذلك المتاع الثقيل ... كتلة ضخمة ...  
ليس لدى من الملابس ما أرتديه لأذهب إلى البهو ...  
موقف نكد ... أليس كذلك ؟ »

وكان الاحسان والخير العام في مقدمة المظاهر  
الرئيسية في مبدأ جماعة بكوك ؛ ولم يكن ثمة فيهم  
من هو أشد ظهوراً في إخلاصه لهذا المبدأ من مستر

توبمان ، ثم مع مستر دنكل ؛ وأخيراً مع الرفاق  
مجتمعين ، كل ذلك في مثل ما يتكلم من سرعة !  
وراح يسأل خادم الفندق قائلاً : « جلبة شديدة  
على السلم يا غلام ... مقاعد صاعدة إلى أعلى ، نجارون  
يهبطون إلى أسفل ... مصابيح ... كؤوس ...  
قيثارات ... فيم كل هذا ... ؟ »

— « للرقص يا سيدي »

— « اجتماع ؟ »

— « كلا يا سيدي ، ليس هو اجتماعاً يا سيدي ،  
هو حفل من أجل عمل من أعمال البر يا سيدي »  
وسأل مستر توبمان ذلك الغريب في شوق :  
« أوجد كثير من الغانيات في هذه المدينة ؟ هل  
لك علم بذلك أيها السيد ؟ »

— شيء فاخر ... مراكز رئيسي . كنت  
أيها السيد ... كل امرئ يعرف كنت .. تفاح ..  
برقوق ... خمر ... نساء ... كأس من الخمر  
يا سيدي .

وأجابه مستر توبمان بقوله : « مع عظيم السرور  
يا سيدي » ثم ملأ الرجل كأسه وأفرغها

ثم استأنف مستر توبمان حديث الرقص قائلاً :  
« كم أتمنى لو أتيح لي الذهاب إلى ذلك المكان !  
كم أتمنى ! »

وتدخل الغلام بقوله : « تباع التذاكر في الحانة  
أيها السيد ، وثمن الواحدة نصف جنيه »

وأعرب مستر توبمان ثانية عن رغبته الشديدة  
في مشاهدة ذلك الحفل ، ولكنه لما لم يجد أي رد  
في عيني مستر سندجراس ، ولا في حلقه مستر  
بكوك الفارغة ، أكب في لذة عظيمة على الشراب  
والحلوى وقد وضعا إذ ذاك على المائدة . وانسحب

الى النعاس ، قد أخذت تدب الى حواس مستر بكوك . وكان هذا السيد ، قد تقاب في تلك الدرجات التي تسبق عادة الخمود الذي يتلو الأكل وما يلحق به . أخذ يهبط من قمة الانتشاء الى أعماق البؤس ، ويصعد من أعماق البؤس الى قمة الانتشاء ، فكان بذلك كصباح الغاز في الشارع . لم تكذب تهب الريح على فوهته حتى كان كالمصباح ، انبعث منه أول الأمر وهج شديد اللعان ، ثم ما لبث أن خفت حتى لتحسبه قد انطفأ ، وما هي إلا برهة حتى انبثق نوره ثانية ليلتمع لحظة ثم عاد فارتش ذلك النور واضطرب حتى انطفأ في النهاية . ومال رأسه فاستند الى صدره . ولم يك ثمة شيء مما تستدل به الآذان على وجود ذلك الرجل العظيم ، سوى ذلك الشخير المتتابع ، تقطعه بين آونة وأخرى حشرة طفيفة .

وكانت قد اشتدت في تلك الآونة رغبة مستر توبمان في أن يشهد بهو الرقص ويرى لأول مرة مقدار ما يتركه جمال غادات كذبت من أثر في نفسه . كذلك اشتدت رغبته في أن يصطحب معه ذلك الغريب ، فهو لم يسبق له علم بتلك الخفيات ولا بساكنيتها . على حين يخيل إليه أن ذلك الغريب يعرفها كأنه عاش فيها منذ نعومة أظفاره .

وكان مستر ونكل ينفذ في نومه ، وكان صديقه مستر توبمان يعرف معرفة خبرة ووثوق مما شاهده من أمر صاحبه في مثل تلك الأحوال أنه إذا استيقظ من نوم كهذا ، فما يكون ذلك حتى في الأحوال العادية إلا لكي يلقى بنفسه على سريره . وصاح ذلك الغريب الذي لم يعرف التعب برفيقه قائلاً : « إملأ كأسك وأدر الخمر » .

وفعل مستر توبمان ما طلب إليه . وكانت تلك

ترامى توبمان . وإنك لتجد فيما أثبت في سجل الجماعة من مواقف ذلك الرجل الفند ما لا يسهل تصديقه ؛ وفي تلك المواقف ترى هذا الرجل يفدق مبراته على بقية الأعضاء ويمد إليهم يد المساعدة

وقال مستر توبمان لذلك الغريب : « إنه لما يسعدني أن أعطيك من ملابس ما بقي بفرضك ، ولكنك تبدو نحيفاً على حين أني ... »

— « إنك بدبن ... باخوس إله الخمر الشاب ازداد بدانة ... قطع أردانه ... ترجل من فوق برمبل ... يرتدى سترة ضيقة من الصوف تلتصق بجسمه ... ها ... ها ... أدر كؤوس الراح »

وليت شعري هل امتعض مستر توبمان بهوض الامتماض لتلك اللهجة التي طلب بها إليه ذلك الرجل أن يدير الخمر التي ما لبث أن عبها ، أم أنه وقد رأى عضواً من أعضاء جماعة بكوك يشبه بياخوس المترجل ، قد أحس في ذلك تشهيراً به وتعريضاً شنيعاً ؟ ذلك أمر لم يتبين بمقد ناول الغريب الخمر وتكاف السعال مرتين ، ووجهه إلى الرجل نظرات صارمة حادة استمرت عدة ثوان ، ولكنه لما رأى من ثبات ذلك الرجل وهدوئه ما رأى على الرغم من تلك النظرات لم يربدأ من أن يستردها شيئاً فشيئاً وأن يعود به إلى حديث الرقص فقال :

« أردت ياسيدي أن أقول إنه إذا كانت ملابسك لا تلائمك لشدة وسعتها ، فإن ملابس صديق مستر ونكل ربما كانت مناسبة » .

وقاس الرجل بعينه ملابس مستر ونكل وانبسط أسارير وجهه وهو يقول : « إنها عين ما أريد » وتلفت مستر توبمان نحوه ، فرأى أن الخمر التي ساقط صديقه مستر سندجراس ومستر ونكل



الحرفين (P. C.) على الجانبين <sup>(١)</sup> . وتسائل ذلك الغريب « P. C. ؟ ماذا ... منظر غريب ... صورة ذلك الرئيس و P. C. ماذا تعنون بدينك الحرفين ؟ أتريدون بهما « Pebular Coat » <sup>(٢)</sup> ؟ وراح مستر توبمان يشرح للرجل في امتعاض شديد وفي زهو وترفع ذلك اللغز الخفي

وأخذ ذلك الغريب يقول وهو يدور على عقبيه ليرى نفسه في المرآة : « تبدو قصيرة عند الوسط ... أشبه بستره رجل البريد العام ... حلال غريبة تلك الحلال ... صنعت بلا قياس ... تجيء معكوسة ... وتلك من غفلات القدر التي لا تفهم ... كل من طالت جسومهم تكون حللهم قصيرة ، وكل من قصرت أجسامهم تكون حللهم طويلة »

وفي أثناء تلك الثثرة ، أصاح الرجل وضع ملابسه ، وأعلى الأصح ملابس مستر ونكل ، وسار في صحبته مستر توبمان ، فصعدا السلم إلى بهو الرقص وسألها الرجل الواقف بالباب « ما اسمكما أيها السيدان ؟ » . وهم مستر توبمان أن يتقدم ليسمع الرجل القابح فخال صاحبه بينه وبين ما أراد

« لا تذكر أسماء قط ... » ثم همس في أذن مستر توبمان بقوله : « لا قيمة للأسماء ... غير المعروفة ... أسماء حسنة جداً في ذاتها ولكنها ليست عظيمة ... أسماء لها قيمتها في جمع صغير ، ولكنها لا يقام لها وزن في حفل عام ... قل : رجلاً من لندن ... غريبان من ذوى المسكنة ... أى شيء » .

وفتح الباب على مصراعيه وتقدم مستر توبمان وذلك الغريب فدخلا بهو الرقص ( يتبع )

(١) هما في الإنجليزية الحرفان الأولان من تلك العبارة نادى بكوك (Pickwick Club) (٢) حلة خاصة

الكأس الأخيرة كأنها حافظ جعله بمقد النية على تنفيذ ما اعتزم . ثم أتجه الى صاحبه قائلاً : —

« تقع الحجرة التي سينام فيها مستر ونكل داخل حجرتي ، وأنا لا أستطيع إذا أيقظته الآن أن أفهمه ماذا أريد منه ؛ ولكنني أعرف أن عنده حلة كاملة في حقيبته ، فإذا فرضنا أنك ارتديتها وذهبت بها الى البهو ، ثم خلعتها بعد عودتنا ، فاني أستطيع أن أضعها في مكانها دون أن أزججه الآن أو أقلقها »

« فكرة صائبة ... حيلة فائقة ... موقف نكد لأمين ... أربع عشرة حلة في ذلك المتاع الثقيل وأراني مضطراً أن ألبس ثياب رجل آخر ... فكرة حسنة جداً ، تلك الفكرة ... جداً »

وقال مستر توبمان : « يجب أن نشتري تذكارنا »

— « أمر لا يحتاج أن نقسم الجنيه قسمين ... دعنا نقترع من يدفع للآخرين ... ألقى الجنيه على المائدة ... لفه كما تلف المغزل بأصابعك ... أنا أقول إنك ستجد الوجه الذي رسمت عليه المرأة ... المرأة ... المرأة ... المرأة الساحرة »

وألقى الجنيه على المائدة وظهر منه الوجه الذي طبع عليه الفارس وقد سماه الرجل بالمرأة من باب التظرف ودق مستر توبمان الجرس واشتري التذكار وطلب إلى الفارس مصباحاً أو شمماً يذهب به إلى الحجرة ؛ وبعد ربع ساعة كان ذلك الغريب يخطر في حلة مستر ونكل

وبينما كان الرجل ينظر إلى ثيابه في المرآة قال مستر توبمان : « إنها حلة جديدة ، وهي أول حلة صنعت لحمل زرار نادينا » . ثم وجه نظر الرجل إلى ذلك الزرار الكبير المذهب الذي طبعته في وسطه صورة وجه مستر بكوك ثم كل من دينك

# سيرة الخيال الهول

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرنسي مورييس رستان

بترجمة الأستاذ خليل هنداوي

ومتكلم وقد غرق القوم  
في ثورة حادة من الجدل ،  
والنساء قاتعات يتحدثن ،  
وهناك متفرجة حسناء  
تتحدث مع الأمير »

منظر ومهد

المتفرجة الحسناء ، الأمير ،  
المتفرجون والمتفرجات ، وفي  
المقدمة زوج فنصل الانجليز ،  
وصديق الشاعر ثم مارسيللوس  
ثم أرجانتى فالدير فالشاعر

المتفرجة الحسناء — كان ينبغي أن يبدأ

الساعة الثامنة ؟

الأمير — لتتحدث يا عزيزتي متأملين الأنوار

الساطعة

المتفرجة — ( شاكة ) أبلغ من العبقرية

هذا الحد ؟

الأمير — هكذا يقال

المتفرجة — ( المتفرجة تهجى دون إنباء عنوان

القطعة الجديدة على الورقة )

أبو الهول : كيف كانت مسرحيته الأخيرة ؟

الأمير — أجريئة ؟

المتفرجة — فوق ما يتصور

الأمير — أبلغت جرأة لا يستطيع إخمادها .

فكرى في أن ليس فيها مكان ناء ، على أننا هنا

جالسون في مكان ملائم كل الملازمة

المتفرجة — وماذا يقولون عن القطعة بالاجمال ؟

الأمير — لا أدري ( بصوت منخفض ) يتكلمون

عنها كثيراً بالسوء ! ينبغي أن يتحدث عن

ضعف القطع قبل تمثيلها خشية أن يكون بعدها ...

متفرجة أخرى — أنظروا الدوقة ، كانت

الشخصيات

١ — ياديس إيجلانو : شاعر فني إيطالي

٢ — مارسيللوس : شقيقه

٣ — أرجانتى : مدير المسرح

٤ — الأمير

٥ — صديق الشاعر

٦ — الحاسد

٧ — الدوق لوجانو

٨ — فتي عاشق مصري

٩ — أبو الهول

١٠ — إيزابيلا موتي : ممثلة إيطالية

١١ — فتاة مصرية

١٢ — سانتيا : أخت الشاعر

١٣ — فتاة عاشقة مصرية

١٤ — الحسناء المتفرجة

١٥ — الكانتيلي

( تجري حوادث المسرحية في إيطاليا ثم تنتقل إلى مصر الحالية )

## الفصل الأول

الجزء : أمسية تمثيل في روما في المسرح الكبير  
الحالي وقد ظهر قسم من البهو تشرف فيه المقاعد  
الأمامية واللوج المواجه للفصل ، الستار لا يزال  
مرخى ، هذا مساء يتكرر فيه تمثيل مسرحية  
« أبي الهول » للشاعر الإيطالي « بارييس إيجلانو »  
وخلال ذلك يكون المتفرجون بين قاعد وقائم



الأمير - (بهزة) بدور أبي الهول ، لاريب !

أخرى - إنها لغريبة الأطوار

المتفرجة الحسنة - إنها تنزه قرداً !

الأمير - كأنما تريد أن تظهر ببحث كيف

تقبض دوماً على القرد الذي يدعى رجلاً

المتفرجة - إن لها حفلات راقصة أشدها

من مواطن الفحش والعريضة

أخرى - على أنها تؤثر على كل شيء قبس

أنوار الشموع

الكانتيللى - وهل أنت على ثقة بأنه عشيقها ؟

متفرج - من ؟

الكانتيللى - وهل عندك شك في ذلك ؟ هو

باريس إيجلانو . وهذا سبب الفهم الآخذة

في النمو

أخرى - إنها لا تمثل إلا الأدوار التي

تخرج منه

أخرى - وطالما اعترفت بذلك من قبل

متفرجة - ولكنها يارفيقتي كانت مخاطبة

في فينيس في شهر يونيو الأخير - بلهجة المفرد

أمام أصحاب الزوارق

أخرى - لو شئت لأصبحت شهيرة الاسم غدا

أخرى - إن لها كلاباً سلوقية ، وتخرج

شبه عارية

الأمير - ليس هذا بالرائع كشئ غريب ،

فاصفحوا عنها عاجلاً لجمالها ، واصفحوا عنها سريعاً

لظرفها الذي يتلأأ حولها حيث خطرت ، في ذلك

النهار ، في القصر . . .

المتفرجة - في « السوفونيسيا » . .

الأمير - نزلت شاحبة الوجه بعشية تغبطها

عليها « بياتريس » وتحسدها « لورا » نظراً إليها

بالأمس بردائها الأزرق ، وفي هذا المساء برداء

حالك اللون ، لونه الغريب يبرى بالسواد ، وانظروا

قربنة القنصل ( تظهر يتبعها شخصان )

مدعو - أهي جميلة ؟

الأمير - كزنبقة تهوى عليها أنظار الرجال ،

تستوى وتنسكب على أصابعها ذات الخواتم البراقة

متفرجة - ( بسخرية ) كل هذا - دائماً -

من أجل باريس إيجلانو !

حسود - يا لحظه !

الأمير - وهل أنت آسف على ذلك ؟

الحسود - إنني أنتظر . يجب أن ينتهي ذلك

يوماً : الكل ينتهي من نساء ، من مجد ، إيزابيلا

موتي ، إن في خوزته كل شيء

الأمير - ولكن ليس لك إلا أن تعمل عمله ،

قابلق القلوب فهزها . إن هذا ليس بعسير

الحسود - أنظر ! لا مقعد فارغ ! إنه ترك

المدينة تأتي إليه سعيًا ، والناس كلهم منتشرون

إزاء الستار

الأمير - ولكني لأراك في المقدمة ،

وأجدك مولياً ظهرك للستار

الحسود - ذلك خير !

الأمير - ماذا تنتظر أيها العسل الرقيق

الملس !

الحسود - أرجو أن أرى رواية أخ من

إخواننا يصفر لها الناس صفير استهجان !

امرأة - ما هذا التخلف !

أخرى - يجب أن تكون « إيزابيلاموتي »

سبب هذا التخلف ؛ ومعها يتكرر دائماً هذا

التخلف

أخرى - وبأي دور تقوم ؟

الصديق - إنه كثير الايمان بنفسه وذلك ما يبعث على القلق... ثم ما ذا تقولون؟ إنها ليست من المرح على شيء. آه لو يهجر هذه الأنواع من وجهها عبقريته إلى مواضيع أكثر وجاهة. لو فعل ذلك لضمن له الفوز دون شك. قلت له ذلك مراراً، وأعدت عليه القول تكررراً فلم يذعن. على أن عندي مواضيع المسرح كثيرة. وما عليه إلا أن يكتب ويتوجه إلى الناس بما يفهمونه: فمن حب متواضع، ومن مفاجآت، ومن لحظات روحية، أو من ضحك يؤول القليل منه إلى بكاء؛ وأخيراً النموذج الذي ينطوى على كل شيء مما يعاد تمثيله مئات المرات. ولكنه بأبي الاذعان لرأيي، والشعب مهما ارتقى لا يزال مفتقراً إلى أن نسائه؛ أما أن نقص عليه تاريخه فهذا كثير. أما مسرحياته فلا بطل لها سواء، وفي هذه المرة أيضاً...

فتى - ( يذعن منه )

هل تعرف القطعة؟ وما مأخذك عليها؟

الصديق - كآبتها

امرأة - ( بسخرية ) حقاً؟

الصديق - لقد أراد - وأضحكني منه

ذلك - أن يعالج أكبر مسألة في الوجود، وهي

مسألة الموت. والمسرح ينفر من مثل هذا. ولقد

يهين شعباً من يريد أن يحمله على التفكير. المسرح

يفتقر إلى عمل، وخصومة وسارتين. ولا يستطيع

أحد أن يؤلف قطعة بقلبه وحده

امرأة - من يدري؟

الصديق - العمل المسرحي هو الشرط الأول:

أنتقون بي؟ إنه ناقضني: وبدلاً من أن يعمد إلى

رواية جديدة لبث يطمئنا ما يرضى عنه مقياسه

الخاص جاعلاً من المسرح مكان اعتراف، معتقداً

بمـين تلونت، ونظر بعضنا بعضاً، وقد غشيت وجوهنا كذلك صفرة. كم كانت جميلة! تخيل الينا أن وجهها الذي فاض منه الدم رخام شفاف فهمس أحدها: إنها «ديانا». وقال الآخر: «إنها آريانا» وهكذا كانت تمشي الأسماء حولها وتعالى وتنخفض كأكليل متوهج، وللجمال أسماء متعددة، أما هو فواحد!

الكانتيللي - ( متكئة على مقعدها تقرأ العنوان بدون اكتراث على صفحة البرنامج ) أبو الهول؟ إلى أحب هذا العنوان؟ إنه يمثل في النواويس القديمة، السماء الزرقاء، الصحراء... هل تعرف مصر؟ ( يضيئ صوتها في الضوضاء )

الأمير - ( وقد لمح متراججديداً ) وهذا صديق جيم للشاعر...

المتفرجة - هذا الأشقر!

الأمير - إنه سيحدثنا منه عن سوء الذي نريده

المتفرجة - صديقه؟

الأمير - حقاً؛ إليكم هذا القانون: إذا كان لنا من يفيضنا فهم أخلاؤنا. لنناده...

صديق الشاعر - ( عائداً ) أنت؟

الأمير - ( يقدمه للحساء ) صديق للشاعر

الصديق - سترون أن الشاهد الأول هو خير المشاهد

الأمير - أحقاً؟

الصديق - ( متنهداً ) والثاني

الأمير - تنهدتك فيها تبه، وهل أنت

وائق بالفوز مع ذلك؟

الصديق - أريد أن أؤمن به ولكن ( بتنهدة

ثانية )

الأمير - وهذه فيها قلق...



إنك لا تفكر إلا في المال من حيث لا يفكر  
إلا في الفن .

الحسود — ( مخاطباً المتفرجات اللاتي يسألن عنه )  
شقيق المؤلف :

مارسيللوس — ولا ينظر إلا إلى الجمال العميق  
البعيد الغور . المجد عندكم مجد مدح الناس و إعجابهم  
ودعواتهم وأوسمتهم ، ولكن المجد — عند قلبه  
الذي يجهل دموعكم — هو ملاكة مختالة تخطر حافية .  
إن ما يريده ليس بذلك الفوز الزائل الذي يهتز له  
ضحكا جلاسا المواقع الأولى ، ولكن ما يريده  
هو الشعور القوي المنيف بخفقات القلوب تجيب  
خفقات قلبه بسمو ورفعة ، وهو إنما يهرب عن  
النفس الانسانية إذ يهرب عن نفسه ، ويرى أن  
تحقيق الظفر للقطعة يوجب عليه أن يحررها بقلبه ،  
كل ما يتكرونها يتكروه ذوق متصنع متكاف على  
أن أكبر أثر هو تضحية كبيرة !  
( ينسحب )

الصديق — ( هازأ كئيباً ) إنه وهم باطل ينتهي  
بالحرق السرى . لن نتحدث عنه بعد ثمانية أيام .

الحسود — إن مارسيللوس أخوه —

آخر — ولهذا يتجشم مثونة الذود عنه  
كراهب فتى يتأثر حين يشتم ربه

الأمير — إن له صيحات حسنة

متفرجة — وله عينان جميلتان ؛ وقد زاد  
عنه بشدة

الصديق — يمثل هذه الحماقات يحشو العجبون  
به أذنيه

الفن ! الجمال ! كل هذا لا يساوي قطعة قد

أحسن حبكها تمثل عاماً  
( ثلاث ضربات )

أنه يجب قبل كل شيء أن يحيا في مسرح حياته . إنه  
أنخدع وسيرى سأم الشعب منه . وإني لاني يقين  
من أن هذا ليس بنتاج مسرحي !

( مارسيللوس ايجلانو يدنو رويداً رويداً وقد شعر انهم  
يتكلمون عن أخيه ، ورجاء قابل هذا الصديق )

مارسيللوس : هذا أنت لا تنطق بلهجة واحدة  
الصديق : ليكن ؛ إن له لبراءة ، ولكن  
بإمكانه أن يكون أكثر فوزاً

مارسيللوس — ( بمجلة ) الفوز ! هذه هي كلمة  
طرحتها ، إنه ليحصل عليه لأنه لم يتجرعنه كثيراً ،  
على أنني ما كنت لأحقر الفوز من أجل إرضاء  
رغبة ، لأن — هنالك — فوزاً وفوزاً ؛ ولقد  
نظرت آثاراً كثيرة قوبلت بصغير الاستهزاء ،  
أو بتصفيق الإعجاب ، ولكن أحداً لم يخدع  
في قيمتها ...

الصديق — ولكن ...

مارسيللوس — لنقف عند هذه الكلمة ،  
كلمة الفوز ، فكما كانت الكبرياء مصونة كان  
الفوز أكبر ، فالشاعر ، بالرغم عن نفسه يستحي  
من الضحكة الرنانة الناشئة عن حركة رائعة منه ،  
فهو إذا لم ينفمس إلا في نفسه ولم يتخذ للتحليق  
إلا أجنحته ، ولم يفكر في الناظرين إليه من أبناء  
الأرض ، إذا لم يفكر إلا في تحليقه وحالة نفسه التي  
يمبر عنها ، وإذا لم يعد يرى — بعد انتهائه من  
الصعود — إلا القمم ، فإن كبرياءه — اذذاك —  
كبرياءه المشرقة تستطيع أن تنتخب حظها وأن  
تشكلم بلهجة عالية قائلة : ليقبل إلى المجد فانا  
لا أرحل نحوه ...

الصديق — أجل ! إنني أعلم ...

مارسيللوس — صه ! أيها المفسر الرأى !

الحسنة - آه ثلاث ضربات ... لنفزع إلى مقاعدنا !

( يشق الستار لمدير المسرح )

الجماعة - أخطاب ؟ ما هذا ؟ المدير ذاته ؟ ولكنهم ضربوا ثلاثاً ، ليتكلم ! ولنتنظر !

المدير - معذرة يا سادتي وسـيـداتي ، لا أستطيع التـكـلم إذا قاطعتوني

الجماعة - كفى ...

المدير - إن مأساة الشاعر الكبير لن تقدر على تمثيلها هذا المساء

الجماعة - ماذا تقول ؟

المدير - إسموني قليلاً واعتصموا بصبركم ! الجماعة - نريد « سر أبي الهول » ، هما ذهب الأمر

المدير - إسموني ، إسموني بلطف ! لن تقدر على تمثيلها لأن صاحبها حال دون ذلك

الجماعة - المؤلف ... لا يمكن ذلك

المدير - المؤلف نفسه تقع فيها

الجماعة - المؤلف ... المؤلف ... كفى ...

أيها الكذاب ! أيها اللص ! أيها الأثيم !

المدير - إسموني قليلاً ؛ وأنا وافقت على إرجاء تمثيلها لبوادير القلق التي رأيتها تنشى وجهه ، وإنكم لتشفقون عليه كما اشفت أنا . إنه المؤلف ؛ وإنه أيضاً الصديق الذي أحبه

الجماعة - آه

المدير - إن روايته الأولى مثلت هنا على هذا المسرح ، وقد كانت حافزة لأعجاب القوم ، ولم يزل في أثناء الستار وأطوانه تصفيق نثار . السنما مدينين له بكثير من الساعات الطويلة ؟ فلنسمح له بها عن هذا التردد ، إن حبك أيتها المدينة وهاتفك وإعجابك

وقلبك الرحب جعله صعباً مع نفسه إلى مثل هذا الحد ، ألا تجدون في إحجامه عن تقديم القطعة ؛ ألا تحسون في شكه وقلقه كل هذا الثمن الذي أنجزه لكم أيها السامعون ! يجدر بنا أن نؤمن به في اللحظة التي يشك فيها من نفسه . وهذا حقه الجماعة - كان ينبغي عليه أن يعلمنا من قبل ...

ليأت إذا ... ليطلع علينا !

( يظهر باريس إيجلاًو خلف المدير ... صفيح وصراخ ... )

باريس - ( بصوت شديد وعلى وجهه صفرة )

هأنذا يا شعب روما ! يا نقاده ويا كتابه ، يا رساميه وفنانيه ورجاله ! ويا أصدقائي البعثين في هذا الخضم الواسع ، هأنذا إذا شئتم أن تصفروا لي ...

الجماعة - ما هذه المجازفة ؟

باريس - يجب أن آتي ، لا يفر أحد من هذا المكان غيري ! أنا ألفت الرواية وأنا حلت دون تمثيلها ، وإذا أردتم عرفان السبب فاصفروا لي !

الجماعة - كفى ... لماذا ؟

باريس - جيئت بنفسى معترفاً ، اسمع لي أيها الشعب الذي أحبه ! ألم أقاسمكم بالقدر الكافي أعشار فؤادي لقاء ترحيب - منكم بي - أقل هزء وسخرية .

الجماعة - ذروه يتكلم !

باريس - ألم أحبكم - بدون انقطاع - عهداً ووفيتها ، ووعداً وأنجزتها ؟ ألم أطلب اليكم الكبرياء التي تتمسكون بها ؟ اسمعوا لي : إن الرواية روايتي ، قد أودعتها كل همسات حياتي ، وفصلت لها جناحين من تنهداتي

الجماعة - حسن !



باريس - قضيت ثلاثة أعوام منكبا خلالها على نظمها ، وقد صبغت أوراقها بدم غير منظور ، ثم كانت إعادة تلاوتها على أوراق تجمدت ، ثم جاء عهد تزيينها ، ثم تنالت لحظات الشك والريبة . وقد وجدت كل مساء خلال استسلامي لأحلامي أن هذا الأثر القلق الذي كنت أعبدته أخذ يتلاشى ، وكلما وافت المأساة وقتها المحتوم أصبح حلمها الذي انتهت به قاسييا عندي ، وأصبحت أشعر في ساعة يأسى العنيد أن عرضها عليكم وتقديمها اليكم ضرب من المحال .

الجماعة - إنه لمعتوه .

باريس - لا ، لست بمجنون ولا بى عته ، اصغوا إلى . أؤكد لكم أنكم موافقون على رأيي ، وتدركون كيف التهمني « أبو الهول » . إنى أنزلت في هذه القطعة الغريبة قلبي ، قلبي كله ، معتقدا بأن الشاعر الذي لا يضع قلبه في عمله يأتي عمله ناقصا . ما كنت لأشك في هذا من قبل ، ولكنني فهمت بعد لآي أى حد بلغ إغراقى ! ورأيت أن ستارا خفيا يجب أن يحيط بالشهد حينما ينطوى على حياة إنسانية

الجماعة - الرواية : الرواية

باريس - ( بنهول ) إنها لن تمثل !

( الهياج يزداد ) إننى أبصرتها - كما تراهى لى -

تنهض من تحت قدى ، ورأيتها تولد وتحيا بوجهها الحقيقي . وأدركت أن تقديمها اليكم يعد جريمة .

وقد فهمت الممثلة التي تقوم بها ذلك : وغلب ترددى العنيف على نفسها . افهمنى أنت أيها الشعب

وأسكت قليلا حب الاطلاع في نفسك عارفا بأنى كنت دائما تلك القيثاره التي كانت ترجع

أنشودتك القائمة ، وكنت الصدفة الواحدة التي

تتهامس فيها أمواجك

( بصمت ، ذقيقة باديا عليه التأثير مودعا شعبه )

إننى راحل ! وهذا وداعى أردده في هذا

المساء : فلا روما ولا سماءها يستطيعان أن يلحجانى .

وداعا أيتها الأصداء المتجاوبة من هذا الناووس

الشهير ! أريد أن أرى « أبو الهول الحقيقى » في مصر

حقيقة . لن تسمع - أيها الشعب - بعد اليوم

اسمى ولا أناى .

أقول وداعا . . .

الجماعة - كفى . . . الرواية يريد أن نراها . . .

هات أبو الهول .

باريس - ليس من حق انسان أن يحطم

بالقهر نفسا ! لا لا : لن تروا منها شيئا برغم

إلحاحكم ! إننى صمت - أقول - صمت إلا أنى

أريد ذلك ، وازدريت الكتابة وتنحيت عنها

لأستطيع الخوض في لجج الحياة ، وجئت لكي أحطم

قيثارتى أمامكم ! إننى لن أكتب شيئا بعد اليوم !

الجماعة - القطعة . . . ولتذهب أنى ذهبت . . .

يريد أن نراها .

باريس - ( قاذفا باضبارة من الورق ) إليكم

القطعة . . .

الجماعة - آه

باريس - هذه هى روايتكم التي أضعتها

بكبريائى وكآبى ، وهذه هى النسخة الوحيدة

الباقية في الوجود . أنظروها وتروحووا من بعيد

ريح أبياتها التي لن تعرفوها . وداعا ! يا قفص الف

من الأشبال من غير حديد ولا شباك . . . إذا أردتم

قلبي فدونكم قطعاً منه وفلذا بمزقة . . .

( يمزق الأوراق ويقذف بها وجوه السامعين )

( يهبط الستار )

( الفصل الثانى في العدد القادم ) خليل هند اوى



## اعتراف في العصر

للأفندي موسى

بقلم الأستاذ فليكن فارس

(تابع)

بها كل مذهب ، لما جاءت إليك مقتحمة صدودك  
وهي تعلم أنها مجرمة وقد اعترفت بجرمها .  
لا ريب في أنك ستأسف على هذه الليلة لأنك  
لن تقع بعد على مثلها .

وكان ديجنه يقول هذا بكل ما فيه من قوة  
العقيدة وبرود الاختبار ، فكنت وأنا استمع إليه  
أحس بارتعاش في جميع أعضائي وبحافز يهيب لي  
إلى الذهاب لمقابلة عشيقتي أو الكتابة لاستقدامها  
إليّ ، ولكنني لم أكن قادراً على النهوض من  
فراشي ، فوفرت على نفسي التعرض لشاهدتها  
تنتظر خصمي ، أو لأرى بابها موصداً عليه وعالها ،  
ولكنني كنت قادراً على توجيه رسالة إليها ،  
فكنت أفكر بالرغم مني فيما سأخاطبها به .

وما بارحني ديجنه حتى شعرت باضطراب شديد  
دفعني إلى التفكير في وضع حد لهذه الحالة مهما كلفني

إذا كان هذا هو الحب عندك ، فأنتي أشفق عليك .  
فقال (ديجنه) إنه ما أحب إلا نساء المواقير فهو  
لا يدقق في مثل هذه الأمور . وأضاف إلى ذلك  
قوله : إنك لم تزل فتية ، يا أوكتاف ، وتريد  
الحصول على أشياء كثيرة تنطبق على ما تقوم ،  
ولكن هذه الأشياء لا وجود لها ، فانك تعتقد  
بالحب ، بل بنوع غريب من الحب ؛ ولعل لك  
ما يجعلك قادراً على الشعور به ، غير أنني لا أعتناه لك .  
إنك ستتمتع بخليلات غير هذه الخلية يا صديقي ،  
فتأسف لما فعلت الليلة الماضية ، إذ لا ريب في أن  
هذه المرأة كانت تحبك عند ما جاءت إليك ، وقد  
لا تحبك في هذه الساعة ، ولعلها الآن بين ذراعي  
رجل آخر ؛ غير أنها في تلك الليلة وفي هذه الغرفة  
كانت مولجة بك ، فإذا كان يهكم من الدنيا ؟ لقد  
أفقدت نفسك ليلة من ليالي العمر وسوف يشجيك  
ذكرها لأنها مضت ولن تعود

إن المرأة تغتفر كل إساءة ، ولكنها لا تنسى  
ذنب من تهرع إليه فيردها ، ولو أن الغرام لم يذهب



اختيار مسلك لي ، وإذ لم يقف ذوق عند واحد منها ، أطلقت لخيالي العنان ، فشعرت فجأة كأن الأرض تميد بي ، وكأنني لست القوة الخفية الصماء التي تدفع بهذه الكرة في الأجواء ، نخيل إلى أنها ترتفع نحو السماء وأنا عليها كواقف على مركب يمر عبر العباب ، وتراءت لي شجرة الحور كسارية لهذا المركب ، فتراجعت عن مستندى ومددت ذراعي هاتفا : أية أهمية لمسافر لا يمضي إلا حيناً من الزمن على هذا المركب ؟ فما هو الإنسان ؟ ما هي هذه النقطة السوداء على ظهر هذه العائمة النائية في الأثير ؟ أفليس حسبي في الحياة أن أكون إنساناً ؟ لا ، إنني أريد أن أصبح رجلاً له صفته الخاصة وطابعه الخاص

ذلك ما تمنيته أمام الطبيعة ، فكان رجائي الأول وأنا ابن أربعة عشر ربيعاً ، ومنذ ذلك الزمن لم أقم بأى عمل إلا إطاعة لأمر أبي ، ولكنني ما تمكنت يوماً من التغلب على طبيعتي المتمردة . لم تكن حربي إذن بنت كسلي ، بل كانت بنت عزمي وإرادتي ؛ وكنت أحب جميع ما خلق الله ولا أحب ما صنع الناس إلا يسيراً ؛ وما كنت أعرف من الحياة سوى الحب ومن العالم غير معشوقتي ، فاكتفيت بما عرفت

خرجت من المدرسة ، فعمشت واعتقدت بملء الاخلاص أن هذا الحب سيسود حياتي بأسرها ، وهذا الاعتقاد أزال كل ما سواه من تفكيري

وكنْتُ أعيش منعزلاً فاقضى أيامي لدى عشيقتي ، وكان الله شيء عندي أن أذهب بها إلى الحقول أيام الصيف فأنوسد المروج الناضرة إلى جنبها ، إذ كنت أجد في مشاهد الطبيعة الرائعة أشد مجدد

الأمس ، وبعد نزاع عنيف تغلب الاشمزاز فيه على الحب ، كتبت إلى عشيقتي أنني لن أراها بعد ، وطلبت منها ألا تحضر إلي . إذا كانت تتحاشى أن أوسد بابي في وجهها

قرعت الجرس وسلمت الكتاب إلى خادمي لا يصله هلا إبطاء إلى البريد ، ولكنه ما كاد يغلق الباب حتى ناديته فلم يسمع صوتي ، وما تجاسرت أن أدعوه ثانية ، فسترت وجهي بيدي واستسلمت لليأس العميق

## الفصل الرابع

وعند بزوغ الشمس في اليوم التالي ، كان أول ما خطر لي مناجاة نفسي بما يمكن لي أن أفعله بعد الآن

لم يكن لي مهنة ، وما كنت أتعاطى عملاً ، لأنني كنت درست الطب والحقوق وبقيت متردداً بين احتراف إحدى هاتين المهنيتين ، ثم اشتغلت ستة أشهر في إحدى الحرف غير أنني لم أوفق إلى العمل بدقة ، فتداركت أمرى بالاستعفاء قبل أن أطرد . وكنت درست كثيراً ، غير أن علومي كانت سطحية ؛ وكنت أنسى العلم بالسهولة التي أتلقنه بها

وكان استقلالي أعز شيء علي بعد الحب ، وقد تمسكت حربي منذ نعومة أظفاري

وكان والدي يخاطبني يوماً بشأن مستقبلتي عارضاً علي مسالك عديدة للعمل فاتسكأت على عارضة النافذة وحسدت في شجرة من الحور ممشوقة تتمايل في الحديقة مع الهواء وأخذت أفكر في

أن إغراقى فى تأثرى كان يحول كل إعجابى إلى آخر  
شاعر عرفته ويدفعنى إلى كره سائر الشعراء .  
وثابت على هذا النهج حتى أنشأت من نفسى  
مستودعاً للماديات ؛ وكنت اغترفت من كل حديث  
مجهول حتى بشمت فإذا أنا طلل بال عليه شيء لم يزل  
فى مهب العاصف ، هو أمل هذا القلب فى طفولته .

ذلك هو أمل الذى سلم من كل وصمة ومن كل  
فساد وسكب الحب فيه كل قوى الحياة ، فإذا  
الخيانة تصيبه بالجرح القاتل ، ومكر العشيقة يرميه  
بأحد سهم وهو يطير فى أرفع أجوائه

وكنت أشعر أن فى نفسى شيئاً يتشنج فى  
استرخائه كأنه طير جريح يحتضر . إن المجتمع الذى  
ينزل الدواهي بأفراده لشبيه بالآفة الهندية التى  
تستقر فى الأعشاب الشافية للسمات ، فأنت كثير  
ما تجد قرب الأدوية التى تسببها أنجح علاج لها ،  
فالرجل الذى يتبع نظاماً ينطبق على حالة المجتمع فى  
حياته فيعين وقتاً لأعماله ووقتاً لزياراته وميماً  
لممارسة الحب .. لا يتعرض لأى خطر إذا هو فقد  
من يهوى لأنه أخذ فى أعماله وتفكيره نظاماً  
وترتيباً كصفوف الجنود المهيأة للكفاح ، فإذا سقط  
جندى منها انكمش الصف وقام آخر مكانه فلا  
يشعر أحد بفراغ ذلك المكان

أما أنا ، فما كان لى ما ألتجأ إليه منذ أصبحت  
وحدى ، فكنت أقف أمام الطبيعة وهى أمى التى  
أحب فأراها تتسع حولي وتزداد فراغاً ، ولو أمكننى  
أن أنسى عشيقتى كل النسيان لكنت نجوت

كثير من الناس يجدون الشفاء على أهون سبيل  
لأنهم يصعدون للخيانة متغلبين على الحب الجريح  
ولكن أنى لابن التاسعة عشرة أن يقتبس هذه

للقوى ، وفى أيام الشتاء كنت أذهب بها من مرقص  
إلى آخر . وهكذا كانت تمر أيام حياتى متتابعة  
دون أن أقوم بأى عمل

كانت جميع أفكارى متجهة إلى العشيقة التى  
خدعتنى ، لذلك رأيتنى عندما انتهت خداعها كأنى  
أحيا ولا أفكر لى

لا أجد ما أصور به حالتى النفسية سوى  
تشبيهها بحالة مساكن هذه الأيام حيث تجد الرياض  
مؤلفاً من طراز جميع البلدان وجميع الأزمان ، فنحن  
فى عصر لا طراز له لأننا لم نضع طابع زماننا على  
مساكننا ولا على حدائقنا ولا على أى شيء لنا .  
فأنت لتصادف فى الشوارع رجالاً أطلقوا الحام على  
طراز عصر هنرى الثالث كما ترى رجالاً حلقوا  
الذقون وآخرين أرخوا شعورهم على زى أيام رفايل  
وسوام أرخوا على طراز زمن المسيح

وهكذا يخيل إليك أن مساكن الأغنياء  
معارض فنون ، إذ تجد فيها الطراز القديم وطراز  
عصر النهضة وعصر لويس الثالث عشر . فلدينا  
من كل عصر أشياء ولا شيء لدينا من عصرنا ؛  
وما شوهدت مثل هذه الحال فى أى زمن من قبل  
فنحن نذهب مذهب المتخبرين فنأخذ من كل ما  
نجد : هذا الجمال ، وهذا المواقف ، للراحة وآخر  
لقدمة ، وآخر لما فيه من القبح .. وهكذا نميش على  
أناقض كأن العالم قد اقترب من الزوال

على مثل هذا كان تفكيرى . كنت طالعت  
كثيراً وتعلمت الرسم وحفظت أشياء تراكت فى  
دماغى بلا ترتيب فكان رأسى كالسفنجة متضخماً  
على فراغه

وعشقت جميع الشعراء واحداً بعد واحد ؛ غير



فكنت أزفر قائلاً : — إن أترك سيمحي ، أيها  
الجرح الدامي الحبيب فأى بلسم سأسكب عليك  
وما كان ترايد كرمي لهذه المرأة ليزيل تذكاريها  
من كياني فكانه بقي يتمشي مع دمي في عروقي  
كنت ألعنهم ثم أحلم بها . ومن له أن يقاوم  
الأحلام وأن يحكم عقله في تذكارات قوامها  
لحم ودم ؟

عندما قتل مكبيت دوكان هتف قائلاً : إن  
مياه المحيط لن تغسل يدي ؛ وأنا أيضاً كنت أرى  
أن مياه البحار كلها لن تغسل جراحي  
وصارحت ديجنه بحالتي فقلت له : دعني  
وشأني ، إنني عندما أستسلم للكري أرى أمامها  
ملقي على وسادتي

ما كنت أحميا إلا من أجل هذه المرأة ، فما  
كنت أرتاب بها حتى ولو ارتبت بنفسى . فاذا  
ما لعنتها فكأنني أجد كل شيء ، وإذا ما فقدتها  
فكأنني أرى الوجود بأسره مندثراً خالياً

وقبعت في منزلي منقطعاً عن الناس ، إذ كنت  
أحسب العالم ينص بالمسوخ والحيوانات المفترسة ؛  
وكنت أقول لسكل من يحاول تسليتي : إن ما تقوله  
حق ، ولكن كن واثقاً من أنني لن أتبع نصحك  
وكنت أستند إلى النافذة وأقول لنفسي :

سوف تأتي ، لا ريب في أنها قادمة إلي ، لقد دارت  
بمنطف الشارع . إنني أحس باقترابها مني . إنها  
لا تستطيع أن تحيا بدوني كما لا أستطيع أنا أن أحميا  
بدونها . ماذا عساني قائلاً لها وبأى وجه استقبلها ؟  
وبينما أكون مستغرقاً في هذه النجوى كان  
خداعها يفاجئ تذكاري فأهتف قائلاً : لا ، لا أريد  
أن تجيء ، لا أريد أن تقترب مني ، فاني أقتلها

الطريقة في حبه وهو يجهل كل شيء ويشتهي كل  
شيء وهو الشاعر بنمو جرائم الشهوات كلها في  
نفسه . هل لمثل هذا الفتى أن تساوره الشكوك ،  
وهو كيفما التفت يمينا أو شمالاً أو على نظره على  
الآفاق يسمع هاتفا يدعو إلى الشهوة والأحلام ؛ وما  
من حقيقة يمكنها أن تتسلط على القلب في فتوته .  
كل شيء ينبت الأزهار للشباب حتى المقد المتصلبة  
في أغصان السندبانة الهرمة . ولو كان للفتى ألف  
ذراع لدبها إلى الفضاء حتى إذا التفت على عشيقته  
أصبح هذا الفضاء في نظره مليئاً عامراً

وما كنت أحسب أن في العالم من عمل سوى  
الحب ، وعندما كان أحد الناس يخاطبني عن غير  
الحب ؛ كنت أدير ظهري واتزم السكوت  
وكان ولهي بمحبوبي ولها وحشياً ألقى على حياتي  
طابع الرهينة والنسك

ولأوردن حادثة واحدة تثبت ما صورت  
من حالتي :

كانت محبوبتي أعطتني ذخيرة ضمنها رسمها  
المصغر ، وكنت أحمل هذه الذخيرة على مخفي قابي  
أسوة بكثير من الرجال ولكنني وجدت يوماً عند  
أحد الباعة سلسلة خديدية علقت في طرفها دائرة  
على ظهرها نتوءات شائكة فابتعتها وربطت الذخيرة  
عليها وحماتها مديراً النتوءات لجهة صدري فكانت  
تفرز في جلدي فأشمر من ألمها بلذة غريبة ، وكثيراً  
ما كنت أضغط عليها بكفي مستزبداً لذتي وآلامي ...  
وما كنت لأجهل ما في عملي من جنون ،  
ولكن هل من جنون لا يقدم الحب عليه ؟ وعندما  
كعرفت بخيانة حبيبتي ، خلعت هذه الذخيرة عني  
ويعلم الله ما كان عذابي عندما تحررت من قساوتها

العظمى ، أما فعلت ما وجب على فعله ؟ أما طردتها  
من هنا ؟ فهل لك ما تقوله بمسد ؟ أما الباقي  
فلا شأن لأحد فيه سوى . أليس للتيزان إذا  
جرحت في الصراع أن تذهب بالنصل المغمدة في  
كتفها إلى زاوية لتموت ؟

قل لي بربك ، إلى أين أذهب ، ومن من هؤلاء  
الذسوة اللواتي تسوقهن الصدف إليك . أنت تشير  
إلى السماء الصافية والأشجار الباسقة والمساكن  
العالية ، وإلى رجال يعربدون ويسكرون ويفنون ،  
وإلى نساء راقصات وخيول تتراكم في السباق ؟  
وما كل ما تشير إليه هو الحياة ، بل هو صخب  
الحياة ، اذهب عني ودعني وشأني

فليكس فارس

(ينبع)

وما كنت سمعت عنها شيئا بعد أن أرسلت  
لها كتابي الأخير فكنت أتساءل : ما تفعل الآن ،  
أتراها مشغولة بمشق سوى ، فما على إذن إلا أن  
أعشق سواها

ولكنني كنت أسمع صوتاً يهتف بي من الأبعاد  
قائلاً : ألك أن تحب سوى أنت ؟ لعلك جئت .  
أذلك ممكن لشخصين سادها الحب فتعانقا واتحدا ؟  
أنت لم تعد أنت بعد وأنا لم أعد أنا

وكان ديجنه يقول لي : متى تسلم هذه  
المرأة أيها الجبان ؟ أفترى في فقدك أيها خسارة  
لا تعوض ؟ وهل كان عشقها لك اللذة الوحيدة  
في الدنيا ؟ اتخذ لك عشيقاً أخرى، ولينته الأمر

فكنت أقول له : لا ، ليس فقدى لها بالخسارة

نحن نشترى منكم قطنكم ونعيده إليكم

فأنتم الراجحون في الحالتين

شركة مصر للغزل والنسيج

تمدكم بكافة المنسوجات القطنية

قطن مصر .. صنع مصر .. فخر مصر

إنها إحدى مؤسسات بنك مصر





هوميروس

برزت ذكاء من لجة المشرق فصبغت  
آرادها (١) الذهبية جبين الأفق النحاسي ، وسلبت  
الأضواء الجميلة لتهدى إلى السبيل السوى ، وألقت  
السفينة مراسيها تلقاء بيلوس ، مدينة نايوس (٢) ؛  
حيث وجدوا القوم على الشاطئ ، يقربون القرايين  
باسم بوسيدون ، ذى الشعر اللازوردى ، وقد  
جلسوا فى صفوف تسعة ، وفى كل صف خمسمائة  
شيخ عتيد . وذبحت كل فئة قرايينها : تسعة عجول  
سمان ذوات خوار ، فأكلوا الحوايا (٣) ، وضخوا  
بالسواعد والأنفاذ ؛ ثم أقبل تليماك وبين يديه  
مينرقا تهادى وتقول :

« تليماخوس ! تشجع يا بنى ، ولا تجعل  
للاستحياء سبيلا إلى نفسك ، وتقدم إلى أمير هذه  
البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار

(١) أشعة الشمس

(٢) نايوس هو ابن بوسيدون (نبتيون) إله البحار  
والد أعداء أوديسيوس

(٣) الأمعاء وما إليها



# الأولاد نبيس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

فى بيلوس . . .  
تليماك يسائل نسطور عن أبيه

مقدمة ما تقدم

« انتهت حرب طروادة وعاد القادة الاغريق  
جميعاً إلى اليونان ما عدا أوديسيوس فإنه لم يعد ،  
وكانت حرب شعواء بينه وبين إله البحار بوسيدون  
الذى أضل طريقه فى البحر لخصومة قديمة بينهما .  
وكانت الربة مينرقا من أنصار أوديسيوس ، فذهبت  
إلى إيثاكا ، مدينة أوديسيوس ، لتحض ابنه تليماك على  
البحث عن أبيه ولتحرضه على طرد عشاق أمه ينلوپ  
من قصره . ذلك أن طول غياب أوديسيوس أطمع  
هؤلاء فى جمال الملكة فأرادها كل منهم زوجة له ،  
ولسكنها احتالت عليهم حتى استطاعت أن تجمعهم فى  
قصرها لتضرب بعضهم ببعض ريثما يعود زوجها  
ويخلصها منهم . ولقيت مينرقا الفتى تليماك وأحضرت  
له سفينة مجهزة بكل ما تحتاج إليه رحلة طويلة محفوفة  
بالأخطار ثم أقلمت هى معه فى صورة أحد أمراء البحر  
( منتور ) إلى بيلوس ليسائل أميرها نسطور عن أبيه  
الذى كان يزاوله فى حرب طروادة

عن أبيك ، وقد يجلو لك الشكوك التي تخامرک ،  
وثق أنه لن يخفى عليك من أمره خافية ، فقد  
تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس .  
ويقول تليماك :

« أواه يا منتور ! ما أحسبني أقوى على لقاء  
الرجل ، وأنا من تعرف من قلة الشأن ورقة الحال أنا  
الفتى الحدث . أتى لي بلقاء الشيخ ذي التجارب ؟ »  
وتجيبه ذات المينين الزبرجديتين :

« لا عليك يا بني ! إن هي إلا كلمات تقولها  
وعلى الله قصد السبيل ! ! العالم كله يعرف أنك  
نشأت في ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ! »

ودلفت مينرثا ، ودلف في إثرها تليماك ، حتى  
كانا في وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم  
بين أبنائه ، وحيث اشتغل أهله بالشواء ، وهب  
الجميع للقاءهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ،  
بزرستراتوس ، فصاحفهما هاشا ، وتلقاهما باشا ،  
وأجلسهما فوق الفراء المبتوث إلى جنب أبيه ،  
وأخيه الأصغر تراسميديس ، وقدم لكل مضغة  
من حوية ، ثم كأساً ذهبية من خمر معتقة ، تذوقها  
قبل أن يحكي بها ، ثم قال مخاطباً مينرثا :

« مرحباً بك أيها الضيف المكرم ! لقد  
شرفت في عيد نيتيون ، فحبذا لو أفرغت باسمه مافي  
هذه الكأس من خمر صلاة له وزكاة ! وحبذا لو  
أشركت في التقديم زميلك ، فما أحسبه إلا محباً  
للآلهة ، خائباً لها »

وتبسمت مينرثا ، وتناولت الكأس في وقار  
وأرسلت هذه الصلاة باسم رب البحار :

« نيتيون العظيم تقدس اسمك ، وأحاط باليابسة  
ملكوتك .. يا منقذ الضالين ومغيث المتضرعين ،

أدرك باطفك التائبين إليك ، ونجهم من دأمانك  
ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ،  
وتقبل من جميع أهل بيلوس أضيائهم ، ثم تفضل  
يا مولاي فسدد خطي تليماخوس وخطاي إلى ما أقمنا  
فوق هذا المركب الشاحب من أجله .. آمين آمين !!! »  
وتناول تليماخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ  
ما فيها ، وتتم بصلاة قصيرة ؛ وما كاد يفرغ حتى  
تفرق المدعوون من أهل بيلوس طاعمين شاكرين ،  
إلا مينرثا وصاحبها ، وإلا نسطور وولديه .... ثم  
قال نسطور :

« أما وقد فرغنا من غدائنا فإذا أيها الواقدون  
من أنتم ، ومن أين حاكم هذا البحر ؟ أتجار أنتم ؟  
أم قرصان تملأون الشيطان ذعراً وفزعاً ؟ »

واستجمع تليماك شجاعته ، ونفخت فيه مينرثا  
من روحها ، وتكلم فقال :

« على هيتك يا ابن نيلوس العظيم ، يا غر  
هيلاس ؛ إني أنا ابن صديقك وصفيك أوديسسوس  
سمعت إليك من أقصى الأرض أسألك عن أبي !  
أبي ! صفيك وخليلك الذي صال معك تحت أسوار  
إليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أبنائه اليوم  
شيئاً ! لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين  
جميعاً وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه .... أين رقد ؟  
وأنى ثوى ؟ وأيان قرت رفته إن كان قد شالت  
نعامته ، أو مضى على وجهه في الأرض إن كان  
ما يزال حياً .. إن الآلهة نفسها لا تشاء أن تدلنا  
من أخباره على أثر . ولشد ما أخشى أن يكون قد  
ثوى هناك ... هناك ... في أعرق مملكة نيتيون ،  
مع الجيلة أمفريت<sup>(١)</sup> . لذلك سمعت إليك يا غر

(١) ملكة البحار وزوجة نيتيون



أأنتك حقاً لولد أوديسيوس؟ أجل ! إنك بملاحك  
وقسماتك غصن دوحته ، وإنك بكلماتك المذاب  
عُسلوج أرومته ! أوّه ، أوديسيوس ! يارفيق  
الشباب وحبیب القلب ! لشد ما تمتلج في النفس  
تلك الخاتمة الهائلة التي قضاهما على الأرجيف<sup>(١)</sup>  
سيد الأولب ، غب انتصارهم ، وقبيل أوبتهم !  
لقد حنقت مينرقا على ولدي أربوس إذ تنازعا فقال  
قاتل منهما نضحي لربة المعدالة عند سيف البحر  
تلقاء اليوم ، ولكن الآخر أبي وأبحر على أن يقدم  
لها القرايين في أرجوس ! يا للتميسيين ! أجامنون  
البائس ومنالايوس المسكين ! إنهما لم يصليا لينرقا  
خفاق بهما غضبها ، وعبثا حاولا بعد ذلك أن  
يترضياها ! إختلف الاخوان ونام الجند حتى مطلع  
الفجر ، ثم ألق نصف الأسطول في موج ثائر  
مصطخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجاممنون ،  
وما هي إلا سويقات حتى هدا اليم ونام الموج ؛  
وبلغنا تندوس فذبحنا الأضحيات باسم الآلهة ،  
وسبحنا لرب البحار نيتيون فتطامن العباب ؛  
ولسكنا ما كنا ندرى ما تنسجه يد (جوف)<sup>(٢)</sup> حولنا  
بل لم يكن يخاصرنا أقل شك في وصولنا إلى الوطن  
سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت نمة ، ونشب  
بين القادة نزاع في الرأي : هل يقلعون من تندوس ،  
أو يتلبثون بها حتى تنجلي العاصفة التي شرعت  
تهب في عنفوان وشدة ؟ وهنا ، آثر ملاحوا أيبك  
أن يعودوا أدراجهم بسفائنهم إلى طروادة ، وذلك  
بجمالة للقائد العام . بيد أني لم أر هذا الرأي ، بل  
فررت من العاصفة بسفائني إلى جزيرة لسبوس ،

هلاس كما تحدثني عن أبي ، وكما تذكر لي بعض  
ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدت ، أو تقص  
على ما عسى أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك  
التي تجوب هذه البحار . قل . تحدث يا نسطور ،  
ولا تخف عني شيئاً ... قل .. إني أستحلفك بكل  
ما كان يفتديكم به في ساحة اليوم أن تقص على  
أبناءه . لقد كان يحبك ويملك ويوقرك ، فاجز  
ابنه بعض ذلك »

وكانما رأى نسطور حلماً لذيذاً فقال :

« ويحك أيها الصديق الشاب ! ما أروع  
ما هجئت ذكريات الساخي المغم بالأشجان !  
ذكريات الذادة السادة والمغاوير الصناديد ، الذين  
سقطوا تحت أسوار اليوم العتيدة فأرووا ثرى  
الميدان بدمائهم ، وسطروا آية المجد بمهجهم !  
إيه أخيلوس يا سليل الآلهة ؛ وبتروكلوس يامعجز  
الانداد والأقران ؛ وأجاكس ! ! أجاكس الذي  
كان أمة وحده ! لقد رقدوا جميعاً تحت قلاع  
بريام الجبار الشيخ ! ورقد معهم ولدي ! آه  
يا ولدي ! أواه يا قطعة قاي وفلذة كبدي وثمره حياتي  
وسؤددى ! يا أشجع الشجعان يا أنتيلوخوس !  
أية قصة وأية مأساة ؟ ! يارعاك الله أيها الشاب  
المحزون ! أنى لي أن أقص عليك أحداث سنين  
تسع كانت هوماً متصلة وأحزاناً فاجمة وآلاماً  
تتسمّر في جميع القلوب ! ؟ أى لسان ذرب  
يقص فلا يمل ، وأى مقول رطب يحكى وما يمي ؟  
ألا لو أنك أمتت تسمع الأعوام الطوال فما أحسب  
القصة تنتهى ! القصة التي لم تجد فيها شجاعة  
الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحيلته ، وطول  
أناته وحمته ! ولكن حدثني بربك أيها الشاب :

(١) جنود أرجوس لمحدى مقاطعات اليونان

(٢) زيوس أو جوبيتر كما يسميه الرومان وهو كبير الآلهة

لقد نفذ اصطباري وكنت حيلتي ... فماذا أعمل ؟  
وقال نسطور : « أيها الصديق ، لقد أذكرت  
منى غافلاً ... ويحك تليماخوس ! لقد تناقل الناس  
ما كان من حماقة هذه الطغمة التي تستبيح عرض  
أوديسيوس ، وتستنزف ثروته ... ولكن ، من  
يدري ؟ هل أمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شأقتهم ،  
ويدبل منهم ، وتكون له الكرة عليهم ؟ لقد كان  
أبوك العظيم حبيب ميزرقا وصفها ، وهي لا بد آخذة  
بناصرك كما أخذت بناصره من قبل ، وهي لا بد  
مدركتك وشيكاً ، وحائلة بين أعدائك وأعداء  
أبيك ، وبين هذه الزيجة المجرمة . »

ويجب تليماك :

« ألا من يدري ؟ إنه لا أمل لي في ذلك قط !  
آه أيتها الأحاسيس الغريبة التي تجيش في قلبي !  
الآلهة فقط هي القادرة على تحقيقك بمعجزة ! »

وهنا ، حدجته ميزرقا بنظرة هائلة من عينيها  
الزبرجديتين ، وقالت له :

« تليماخوس ! أية كلمة هائلة زل بها لسانك ؟  
ما أيسر على الآلهة أن تقول المستحيل كن فيكون !  
أنا نفسي كم تجشمت أهوالاً في أسفاري ثم عدت  
بمناية أربابي سالماً إلى أرض الوطن ! بل كم من  
أناس ظنوا أنهم نجوا من الموت في يم غشيم بموج  
كالظلل ، فلما وصلوا إلى البر حاقت بهم منايهم كما  
حاقت به منيته أجامنون ، حين خر صريعاً بيد  
إيجستوس الأثيم ؛ والملكة <sup>(١)</sup> الفادرة الفاجرة  
الزئيم ، حقاً ، إن الآلهة لا تعلم أن تحول بين المرء  
وبين المنون ما دام قد جاء أجله ، مهما يكن حبيبها  
وأعز عبادها عليها . »

(١) كليتمسترا

ولحق بنا ديوميدي ثم منالايوس في إثره ؛ وأرسلنا  
نمة ؛ وانتظرنا إذناً من السماء ، أو قل بارقة من  
الآلهة ، نطلع بعدها . وكانت العاصفة تشتد وترقص  
فوقنا ومن تحت أساطيلنا ، فلم نبدأ من المجازفة ،  
وإلا تكسرت جواربنا على الصخور وفوق  
الأواذي ، ... يا للهول ! لقد بلغت قلوبنا الحناجر  
قبل أن نصل إلى جيرستوس ! حمدا لك يا نيتون  
وثناء عليك ؛ وقل أن نذبح باسمك ألف قربان من  
كل عجل جسد وكبش حنيد ! ولقد فاز ديوميدي  
فوصل بمجنوده سالماً إلى أرجوس ، وكذلك فاز  
الجبارة الميرميدون ، جنود أخيل ، بقيادة شبله  
العظيم نيوبتوليموس ، فوصلوا إلى أوطانهم غانمين ،  
ووصل من بعدهم فيلوكتيتيس ... كذلك  
وصل أجامنون وليته لم يصل ! لا ريب أنك سمعت  
بما حاق به ! لقد قتله المجرم إيجستوس <sup>(١)</sup> ، ولكنه  
دفع روحه نمتاً لفعلاته ؛ إن الميث لم يطب لابن  
أجاممنون حتى تار لأبيه ، فانقض كالصاعقة على  
قاتله وغاله بيده ! يا للفخار أيها الصديق الشاب  
حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك في سجل  
الخالدين ! ... »

وشاع العُجب في نفس تليماك ، فقال :

« وبك نسطور ! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق  
السماء ، وستتغنى الأجيال القادمة بقصته ، وسيرويه  
الخلف عن السلف . كم ذا وددت لو مكنت لي الآلهة  
في أعناق هذه المصيبة الفاجرة من المشاق الآثمين  
الذين يدلون على بدمهم وعددهم ، والذين يقذفون  
في وجهي بالاهانة تلي الأهانة ... وأأسفاه !  
ليت شعري لم لا تؤيد الآلهة حقى على باطلهم ؟ »

(١) شرحنا ذلك في درامات إسخيوس في الرسالة



وعبس تليماك عبوسة خفيفة ، وقال :

« مهما يكن الأمر فلندع هذا الآن يا منتور !  
لأننى لا أمل لى مطلقاً فى عودة أبى ، ولكنها أفضية  
من السماء ومقادير أن أذرع وراءه البحار ، وأن  
أعود فأسائل نحر اليونان نسطور ، اللبيب الأريب  
الذى حكم كما هو مأثور أجيالاً ثلاثة ، والذى يتألق  
فى عينيه سناء الآلهة ... أعود فأسأله كيف قتل  
أجاممنون ؟ وكيف تهباً لا يجستوس أن يقتله ، وهو  
من هو أعلا منه نسباً وأعز حسباً وأشرف قدراً ،  
وأين كان منالايوس الملك شقيق أجاممنون ؟ ألم  
يكن قد عاد يعد إلى أرض الوطن ؟ أم كان ما يزال  
يطوى الآفاق فشجع ذلك إيجستوس ونفخ فى  
قلبه ؟ »

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب  
فانى قاص عليك نبأ ما لم يأتك به علم ... قاله لو لم  
يقتل إيجستوس قبل عودة منالايوس ، ما أقيم على  
رفاته جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى بدنه  
النجس لكلاب البرية وطير الفلاة تنوشه وتمزقه  
وتفتذى به ، جزاء فماته الشنماء ، وجرمه الذميم  
وخطيئته التى لا تغتفر . اصمخ إلى ... لقد أناب  
منالايوس عنه حارساً أميناً يسهر على أمور المملكة  
ويكون فى خدمة الملكة ... ذاك هو أتريدس  
الحكيم ، الذى تغفله إيجستوس ، واتصل بمولاه  
سراً وهو لا يدري ، واستطاع أن يدبر معها هذه  
المؤامرة الشنيعة التى انتهت بنفى الحارس الأمين ثم  
قتله فى برية موحشة غالبته فيها السباع الضارية  
والأوابد<sup>(١)</sup> الكاسرة ، حتى إذا خلا لها الجو  
أسست له الملكة القيادة لحكم وساد وطنى واستبد

(١) الوحوش

وسلط على العباد أعواماً سبعة طوالاً ... كل هذا  
والسما ساهرة لا تغفل ، فقد عاد أورست ابن الملك  
الغائب ، وابن الملكة الفاجرة ، فأنقذ عرض أبيه  
وقتل الوحش اللثيم الذى دنس شرف الملكة ،  
ولطخ بالوحل هذا المجد الأثيل ، ثم قتل أمه ...  
أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف البؤساء يحتفلون  
بهذا النصر ويصلون للآلهة التى أنقذتهم من ذاك  
الشر ... وبينما هم فى أفراحهم وانشرائحهم إذا بالملك  
العظيم يصل بأساطيله بعد رحلة طويلة مخوفة  
بالمخاطر .. فلقد أبحرنا (أنا ومنالايوس) من طروادة  
معا ، وما كدنا نباع صنيوم<sup>(١)</sup> ، أول مرافق أثينا ،  
حتى وقع مالم يكن لنا بحسبان ... ذلك أن رب الشمس  
أبوللو غال بسهامه التى لا تطيش ربان الأسطول  
العظيم ، فرونتيس ، فاضطر الملك أن يلقى مراسيه  
حتى يصل على صديقه ويقم الشغار على جثمانه ؛  
ثم أقلع ، وما كاد ، حتى اضطرب البحر ، وفغرت  
اللاجج أفواهاها ، وتدافع الموج حول الأسطول  
كالجبال ، وعم الجو ، وغامت السماء ، وانقضت  
الصواعق فانشعب الأسطول وتفرقت سفائنه ،  
وانشطرت وحداته ، فبعضها شرق وبعضها غرب  
وبعضها يعم شطر سيدون عند كريت ، وبعضها  
اتجه برغمه نحو شطآن مصر ، وبعضها غاص إلى  
الأعماق ، وخمس فقط ... وصلت بعد طول الجهد  
إلى هنا ... »

« بنى ... أيها الصديق الشاب ... أخلق بك  
أن تذهب من فورك إلى منالايوس فتسأله عن  
أبيك ، فلقد لقي الأهوال فى البحر ، ولا ريب أنه  
سمع بكثير مما جرى فيه من مختلف الأمم فى رحلته

(١) sunium

كوكون ، ولتأذن فتمنحه عربية وزوجاً من صافنات جياذك ليلحق بنا ثمة ، يصحبه أحد أبنائك ، مادمت قد عرفت فيه ابناً لأعز أحيائك وأوفى أصدقائك »

ثم حدثت المعجزة . . . فانه ما كادت مينرفا تتم كلامها ، حتى انتفضت انتفاضة هائلة ، وتحوّلت من صورة منتور أمير البحر إلى نسر عظيم مهوب اللفتات ، ما عثم أن ضرب الهواء بخافيتيه ، حتى حلق في السماء ، وغاب في لانهايتها ، بين دهش القوم ، وشديد حيرتهم .

وتناول نسطور العظيم يد تليماك ، وظل يقاب فيه بصره ، ثم قال :

« أيها الصديق ؛ أشد ما عظمت منزلتك ، وسما مكانك . حتى لتكون في رعاية الآلهة وعناية السماء ؛ هذه دون أي ريب ابنة سيد الأولب — الكريمة مينرفا — التي ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس كما وقرت أباك »

« ولكن أنت ؛ أنت يا مليكة المعدالة ؛ ضرعت إليك أن تتلطف بنا جميعاً ؛ أمنيحني بركاتك . . . أنا وأبنائي وشعبي . . . اكتبني أسماءهم في الخالدين ، وسنصلي لك ونذبح باسمك بقرة ؛ لا ذلول تسير الأرض ولا تسقى الحرث ؛ مُسَلِّمة لا شية فيها ؛ منضورة بالورد ، محلاة القرنين بالذهب »

وقبلت مينرفا صلاته ، ولبت دعاءه ، ونهض وفي إثره أبنائوه وأحفاده ، وفتحت أبواب القصر وتقدمت ندمانة الشراب فقدمت إليه كأساً من خمر لها نسب من عهد آدم فأفرغها في الأرض تحية لمينرفا ، واقتدى به ملؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تليماك إلى

المشثومة . . . هلم . . . إنطلق إليه . . . وإن لم تسمعك سفينتك فاني بمدك بكل ما تحتاج من مركب البر أو البحر ، وها هم رجالى معك أينما توجهت ، بل ها هم أبنائي ، ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى منالايوس ، فان عنده الخبر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد نشّر ظلامه فوق الطبيعة النهوكة الخامدة فنهضت ابنة زيوس العظيم ، مينرفا الخالدة ، وهي ما تزال في صورة منتور أمير البحر وطيلسانه ، فقالت : « سرحى يا نخر هيلاس ؛ لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا ألسن القرابين<sup>(١)</sup> وأريقوا الخمر باسم الآلهة ، وباسم نيتيون قبل كل شيء . . . »

وانتشر الولدان بين المدعوين يصبون الساء على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الخمرية المقدسة لأربابهم ، ثم تفرقوا شيعاً ، ونهض تليماك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يرافق ؛ أنما ضيقتي ، فكيف تبينتان في سفينتكما تحت ظل الليل وهذا بيتي فيه كين لسكا وفراش وثير ، وفيه والحمد للآلهة ، خير كثير ، وهؤلاء أبنائي سمدار كما وهم ثمة طوع السكا »

وشكرت مينرفا الملك عطفه ثم قالت : « بورك أنت أيها الملك ، لينيقي تليماك هنا ، ولأمض أنا إلى البحر لأسهر على صوالح مركبي ، ولأطمئن بحارتي ، فكاهم أتراب تليماك ، وكاهم متطوعون لخدمته وفاء وحباً ، وليس يجمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن نقلع صبيحة الغد إلى

(١) كان من التقاليد الشائعة أيام هوميروس أن تقطع ألسن القرابين وتحرق باسم الآلهة لينصرف الجمع



مخدع وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه  
يزستراتوس فقام معه ، ثم ذهب حيث وجد الملكة  
في انتظاره

ونشرت أورورا<sup>(١)</sup> غلاتها الذهبية في مشرق  
الآفق ، فاستوى نسطور على عرشه الرمرى المتألق  
عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه نيلوس يجلس  
كآله للنظر في صوالح المباد ، وأقبل بنوه الستة  
وهمهم تليماك الذى جلس إلى جنب أبيهم وتحدث  
إليهم نسطور فقال :

« هلموا يا بني ، لنذبح القربان المقدس باسم  
مينرقا الكريمة التى باركت حَفَلَنَا أمس ؛  
لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً<sup>(٢)</sup> سميناً ،  
وليذهب آخر فيدعو رجال تليماخوس — إلا  
اثنين — من السفينة ؛ وليمض ثالث فليأت بالصناع  
الفنان ( ايرسيوس ) ليجلل قرني القربان بالذهب  
ولييق الآخرين هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من  
النساء ليكسبن الوليمة بهجة ورواء »

وأطاع أبنائوه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل  
الملاحون الأمناء ، ثم قدم الفنان ليفطى قرني البهيمة  
بالذهب ... ثم ... وافت مينرقا ... مينرقا نفسها  
لتشهد الطقوس التى تقام باسمها ... ، وبدأ الفنان  
عمله ، فأخذ يرقق صفائح الذهب ويثبتها بمهارة  
في القرنين الصغيرين . وتقدم أريتوس بن نسطور  
وفى إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفى الأخرى  
سلة من أنخر أنواع الكعك ، وتقدم ابنته الثانى  
تراسيميدوفى يده شاطور كبير ليذبح الثور ووقف

(١) ربة الفجر وحادية عربة أبوللو حين يركب الشمس  
سمند العروق

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقرة مسلة

قبالته يرسيوس يتلقى الدم فى وعاء كبير . ونهض  
نسطور الأب فسبح وصلى أمام نار كبيرة  
مضرة ، وتتم باسم مينرقا ، وقذف فى اللظى  
بكمكتين كبيرتين ، وبناصية القربان ، وبقدر قليل  
من الماء المقدس . وإذا انتهى الجميع من صلاتهم  
شمر تراسيميد عن ساعده وجزر القربان ، وانكب  
الجميع يجهزون ، وكانت يوريديس الجميلة المفتان  
تمنى أشد عناية بالفخذين ، فسترتهما بشوب غال  
من الديباج ، وكان نسطور نفسه ينثر الخمر المقدسة  
والمطور والأرواح . . . وهكذا أخذ الجميع فى  
شغلهم ، وشرعوا يلقون فى الجمر بالحوايا ، وشرعت  
پوليكاست تنثر البهار والتوابل . . . وتهادى  
تليماخوس بعد هذا فاستوى إلى جنب الملك ،  
وانتصب الولدان والنسدى بصبون الخمر ، وبدأ  
الكل بأكلون هنيئاً ويشربون مريئاً

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت  
الصفافات الجياد لرحيل تليماخوس وأحضر القواص  
عربة كبيرة مثقلة بكل ما يحتاج الرحلة من زاد  
وعتاد

وأخذ تليماك مكانه من العربة الأولى ، واستوى  
إلى جانبه ييزستراتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم  
سلم تليماك وودع ، وشكر وأثنى ، وجذب عنان  
الخيول فانطلقت نهب الركب ، وتبعت عن پيلوس  
وتطوى الزمان

وبلغوا ، مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث  
تلقاهم رب البيت بالبشر والترحاب ، وباتوا عنده ،  
حتى أيقظتهم أوروا المشرقة . فواصلوا رحلتهم إلى  
أسبرطة

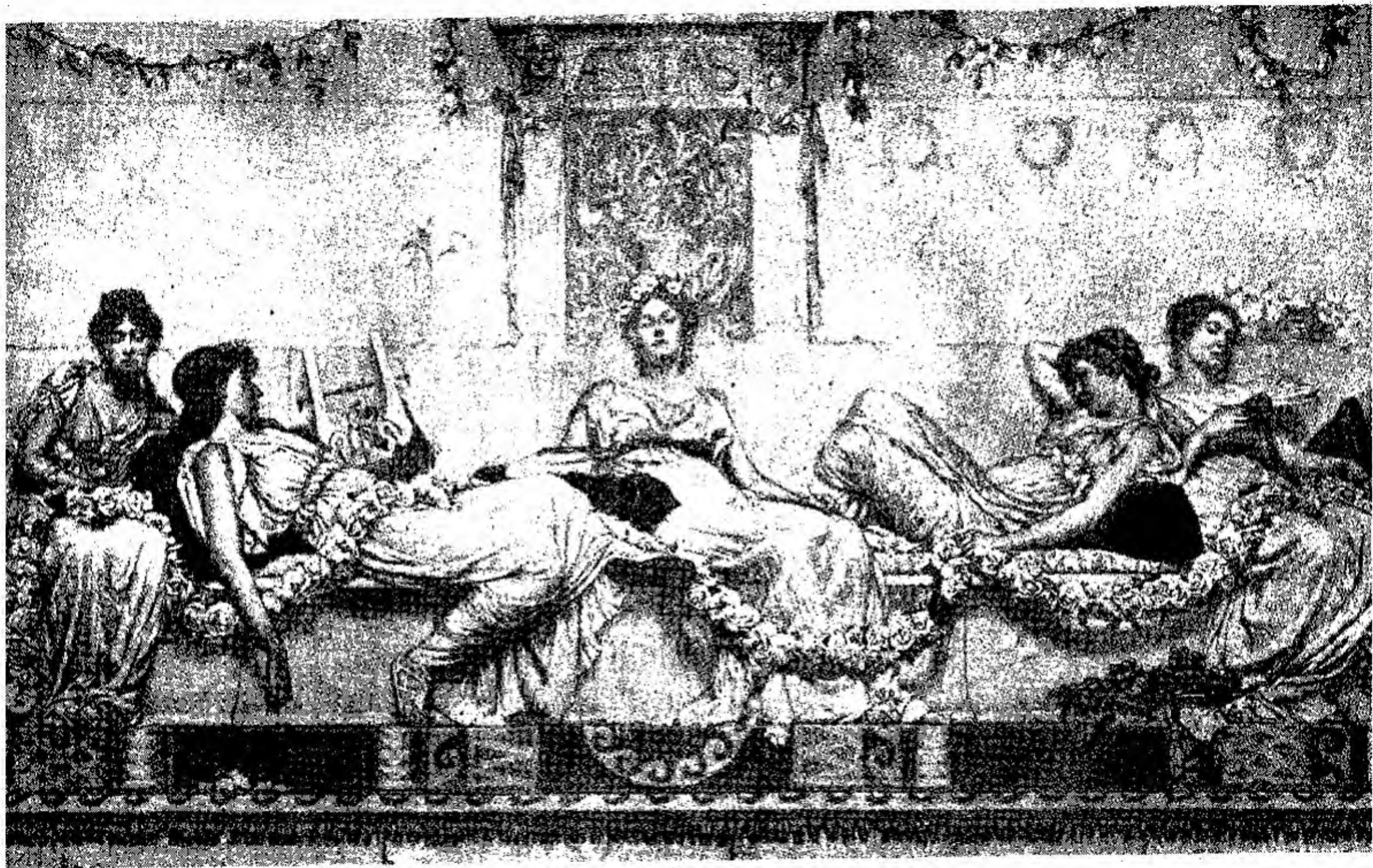
دسبى مشبه

( يتبع )









النحاس - للمصور الانكليزي ر. ستفنس





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الخامس ١٩ محرم سنة ١٣٥٦ - ١ أبريل سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

## الرواية

رغب إلينا كثير من أصدقاء الرواية أنهم يفضلون أن تقتصر على نشر الأقاصيص القصيرة ، فان تسلسل القصص الطويلة يثقل نشاط القارئ ويزهق جاذبية الحديث . وفي هذه الرغبة المشيئة لاشك سداد ووجاهة . غير أن الفن القصصي كله أوجله في هذه المطولات الرائعة ، فاذا أغفلناها لهذه الأسباب قطعنا عن الأدب العربي الرافد الأغزر ، وخرجنا بالرواية عن الغرض الأجل . لذلك سنحاول التوفيق بين رغبة القارئ وغرض الرواية بأن نقطع هذه السلاسل فلا نبقى منها إلا الاعترافات والمذكرات ، لأن موضوعاتها تكاد أن تستقل ، وإلا الأوديسة ، فان أناشيدها توشك أن تنتهي ؛ ثم ننشر من حين إلى حين قصة من بدائع القصص الطويلة كاملة في عدد واحد . وبذلك تساهم الرواية مساهمة صحيحة في تغذية القارئ العربي والأدب العربي بما راع وخلد من الفن القصصي الصحيح

## فهرس العدد

صفحة	
٢٦٦	الوصية لجى دى موباسان ...
...	بقلم أحمد حسن الزيات ...
٢٧٠	الدكان أقصوصة مصرية ...
...	بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ...
٢٨٢	غرام الشعراء أقصوصة فرنسية : ف . ف
٢٨٥	يوميات نائب في الأرياف صور مصرية ...
...	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...
٢٩٠	خليفة للكاتب الفرنسي أندريه كورتيس
...	بقلم الدكتور محمد الرافعي ...
٢٩٧	الصمت للكاتب الروسي ليونيد أندرييف
...	بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي ...
٣٠٧	الحذاء المشثوم للكاتبة الإيطالية جرازيا دليدا
...	بقلم الأستاذ كامل محمود خبيب ...
٣١١	اعترافات في العصر لألفريد دي موسيه ...
...	بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
٣١٨	الأوديسة لهوميروس ...
...	بقلم الأستاذ دريني خشبة ...
٣٢٤	سر أبي الهول لموريس رستان ...
...	بقلم الأستاذ خليل هندواي ...





عرفت الفتى (رنيته دي برنيقال) شاباً عظيم البسطة لطيف العشرة ، تغشى وجهه سحابة رقيقة من الحزن تكاد لا تنقشع ؛ وهو شديد التشاؤم ، صريح التشكيك ، لا ذع النقد ، بارع السخرية من نفاق الناس ولؤم العالم ؛ يقول وكثيراً ما يقول : « إن الناس ليس فيهم صالح ؛ وإذا كان فيهم غفّة فهي بالإضافة إلى ما فيهم من الدعارة »

كان له أخوان من آل (كورسيل) لا يجمعه وإياهما ظل ، فكنت أظنه من رجل آخر غير أبيهما ، نظراً لاختلاف اسمه عن اسميهما ؛ وقد اضطربت الألسنة في مناسبات كثيرة بأن حادثاً غريباً وقع في هذه الأسرة ، ولكنها لم تفصل الخبر ولم تقص الحادث . وحبب إلى هذا الشاب كرم شتائله فتوثقت بيننا أسباب الألفة ، واتصت زيارات المودة

ففي ذات مساء سألته عرضاً وأنا أتمشى على مائدة أمّا وهو من غير ثالث : « أولدت على فراش أمك الأول أم على فراشها الثاني ؟ » فانتسّف وجهه قليلاً ثم تضرّج ، وبقي لحظة لا يتكلم وقد بدت على محياه ربكة ظاهرة ؛ ثم ابتسم ابتسامته الساهمة المذبة وقال : « إذا كنت يا صديق تنبسط للحديث وتنشط لسماعه ، فسأقص عليك من نبأ مولدى ومحمدى

ما تستغربه . وعهدى بك رجلاً ذكياً فلا أخشى أن يؤذى صداقتك هذا الحديث ؛ وإذا تأثرت به وتأملت منه فلن أحرص بمعد اليوم على أن يكون لي منك صديق

إن أمى - عقيلة كورسيل - كانت امرأة حديثة السن حيية الطبع خافضة الجناح ، خطب زوجها منها المال ، وتزوج منها الثروة ؛ فكانت حياتها معه حياة الشهيد المذب . هذه الفتاة الودود الجرود الرقيقة عامها ذلك الفلاح الجلف الذى كان يجب أن يكون أبى ، معاملة جافية قاسية من غير هوادة ولا رحمة لم يكد ينقضى شهر واحد على زواجهما حتى كان يعايش خادمة من الخدم ؛ وكان يتخذ فضلاً عن تلك نساء مستأجرى ضرعته وبناتهم حظايا وخلائل ؛ ولم يمنعه ذلك من أن يكون له من زوجته ولدان ، وقد كان الناس يمدونهم - وأنا فيهم - ثلاثة - كانت أمى تعتمص بالسكوت وتلوذ بالصبر وتعيش في هذا البيت الصاحب اللاعب كما تعيش الفيران الصغيرة التى تسرق الخطى وراء الأثاث ، وتختاس الأنظار بين الفُرش

كانت تنظر إلى القوم وهى مزروية مخفية راجفة بعين ثاقبة قلقة كأنها عين الفيزع ، فلا تستقر فى

لا بلاطفانها ولا بحفلائها؛ وقد تمودا أن يراها في البيت من سقط المتاع، وأن يعاملاها بمعاملة الخدم وقد كنت أنا الوحيد من بين أبنائها الذي بادلها حباً بحب وإخلاصاً بإخلاص.

ثم توفيت وأنا في الثامنة عشرة من عمري. ولا بد أن أقول لك لتستطيع فهم ما يلي عن الحديث: إن زوجها كان متهوراً بحكم شرعي يجعل لها الحق في استقلالها بإدارة أموالها، فكان لها بفضل حيلة القانون وذكاء المسجل، أن توصي بما تشاء لمن تشاء. أبلغنا بعد وفاتها أنها تركت عند هذا المسجل

وصية، ثم دعينا إلى محضر قضها وقراءتها. لا أزال أذكر ذلك كأنه حدث أمس: كان منظر أعظم ألم، مبهكاً مضحكاً، مفاجئاً مدهشاً، أحده تمرد بعد الموت، واحتجاج من جوف القبر، وصوت الحرية اليائس ينبعث رهيباً من خلال الناووس المقفل، يحمل شكوى هذه الفقيدة الشهيدة التي أشقتها أخلاق الناس وسحقها تقاليد المجتمع. كان الرجل الذي بطن نفسه أبي دميوناً لحماً كأنه جزار؛ وكان أخوای فتیین قویین أحدهما في الثانية والعشرين والآخر بصغره بستانين؛ وكان ثلاثهم ينتظرون مطعمين على المقاعد. أما السيد بورنيقال، وقد دعي أيضاً إلى شهود هذه الجلسة، فقد دخل وأخذ مكانه خلفي؛ وكان في ردنجه الضيقة صاحب اللون كاسف البال يعضض شاربه الذي أخذ يشتهب؛ فلا جرم أنه كان يتوقع ما سيحدث. أغلق المسجل الباب بالقفل والرماع وشرح بفض أماننا الغلاف المحتوم بالشمع الأحمر وهو مجهل ما يحتويه، ثم أخذ يقرأ:

\*\*\*

محجرتها ولا تطمئن. على أنها كانت رائعة الحسن، بارعة الظرف، شقراء الشعر، في شقرتها لون من الشبهة، ومعنى من الحياء، كأنما لوحت شفرها مخاوفها المستمرة.

وكان من بين الأصدقاء المختلفين إلى قصر السيد كورسيل ضابط قديم من ضباط الفرسان أرمل مرهوب الجانب، رقيق القلب، حاد الطبع، إذا أزعج أمراً لم يثنه عنه شيء؛ ذلك هو السيد برنيقال الذي أحمل اسمه. كان رجلاً مديد القامة، مجذول الخناق، خفيف البدن، أسود السبلتين، غليظ الشارب، يشبهني كثيراً وأشبهه. يقرأ كما يقرأ الأدباء، ولا يفكر كما يفكر أهل طبقة. كانت جدته الملياً صديقة لجان جاك روسو، فكانما ورث عنه شيئاً من طريق هذه العلاقة. حفظ كتابيه (المقد الاجتماعي) و (هيلويز الجديدة) عن ظهر قلب، ودرس سائر كتبه الفلسفية التي مهدت عن بعد لهذا الانقلاب الذي حدث لعاداتنا الباطلة وآرائنا الفائلة وآدابنا السخيفة.

أحب أمي وأحبته كما يظهر، وظلت هذه العلاقة سرّاً مكتوماً لا يطير في جنباتها ظن، ولا تحوم حولها شبهة. ورأت هذه المرأة المسكينة الحزينة نفسها مفروكة متروكة، فتعلقت بأسباب هذا الرجل تعلق اليائس، واتخذت في معاملتها طريقته في التفكير، ونظريته في العاطفة الحرة، وجراته في الحب المستقل؛ ولكنها كانت من الحياء والخفر بحيث لا تجرؤ على أن ترفع صوتها بالكلام، فظلت هذه الأهواء والآراء في قلبها المغلق مكظومة مركومة مركزة.

وكان أخوای كأيهما قاسيين عليها،



أحدًا ؛ فأنا بعد أن مت أطرح عن نفسي هذا  
الحجل المنافق وأجرؤ على أن أصر بفكري  
وأجهر بسرى

« إذن أوصى بما إلى الذي جعل لي القانون حق  
التصرف به لما شقي المحبوب ( بيير جرميه سيمون  
دي بورنيقال ) ليؤول من بعده إلى ولدي وولده رنيه  
وإني بين يدي الله رب العالمين وأحكم الحاكمين  
أعلن أني كنت ألعن السماء وأرجم الأرض لو لم  
يتح لي هذا الحبيب الصادق الخالص ، فأذوق من  
شفتيه الود المصفق والحب الموثق والحنان  
المطوف ؛ وأفهم بين ذراعيه أن الله خلق الناس  
ليجتمعوا على الحب ، ويأثفوا على الصفاء ، ويتعاونوا  
على الشدة ، ويتضح بعضهم حسرات بعض  
بالعزاء والدمع

« إن ولدي الكبيرين أبوها السيد دي كورسيل ،  
وأما ولدي رنيه فأبوه السيد دي بورنيقال ، وإني  
أسأل الله رب البشر ومصرف القدر أن يضع الوالد  
والولد فوق ظنون الناس وأوهام المجتمع ، وأن  
يؤلف قلوبهم ما على الحب مدى الحياة ، وأن يعطفهما  
على وأنا في القبر »

( ماتيلد دي كروا كسيلوس )

فلما فرغ المسجل من قراءة الوصية نهض  
السيد دي كورسيل وصاح : « هذه ولا ريب  
وصية امرأة مجنونة ! » فتقدم السيد دي بورنيقال  
وقال بصوت قوى حاسم :

« أنا - سيمون دي بورنيقال - أعلن أن  
هذه الوصية ليس فيها إلا الحق المبين والصدق  
الحض ، وأنا مستعد أن أثبت ما فيها بما تحت  
يدي من الرسائل »

أمسك صديقي عن الكلام فجأة ؛ ثم قام إلى  
درج في مكتبه فأخرج منه قرطاساً قديماً فنشره  
ثم قبله طويلاً ودفعه إلى وهو يقول : « هذه هي  
وصية أمي المحبوبة فاقراً » فقرأتها فإذا فيها :

« أنا - آن كاترين جنيفيف ماتيلد دي  
كروا كسيلوس ، الزوجة الشرعية لجان ليوبولد  
يوسف جونتران دي كورسيل - أعلن وأنا صحيحة  
الجسم سليمة العقل إرادتي الأخيرة

« استغفر الله أولاً ، وولدي العزيز رنيه  
ثانياً ، من العمل الذي أريد أن آتيه . وفي  
اعتقادي أن ولدي من كبر النفس وسمو العاطفة  
بحيث يفهم حقيقة أمرى ، ويقبل واضح عذري .  
لقد قضيت حياتي بائسة معذبة . كان زواجي مسألة  
حسابية مالية ، فلا غرو أن تكون حياتي الزوجية  
سلسلة من الانكار والاحتقار والضميم . يمنف على  
زوجي من غير رحمة ، ويختلني من غير هدنة ؛ فأنا  
أغترف ما فرط منه إلى ، ولكنني لا أعترف بأن له  
دينًا على

« وولداي الكبيران لم يحباني ولم يدلاني  
قط . كانا قليلا ما يعاملاني معاملة الولد للأم  
لقد كنت لهما ما ينبغي أن أكون في حياتي ،  
فأست مدينة لهما بشيء بعد مماتي

« إن علائق الدم لا تتوثق بغير المودة الدائمة  
الملازمة في كل يوم ، وأما الولد المعقوق فهو أبعد  
من الغريب . وهو مجرم لأن الولد لا ينبغي له أن  
يستخف بأمه

« لقد كنت أمام الناس أضطرب خجلاً وأنفزع  
وجلاً من قوانينهم الباغية وعاداتهم الجافية وأحكامهم  
المعية ، ولكنني أمام الله لا أخشى شيئاً ولا أهرب

## عدد الرسالة الممتاز

سيصدر يوم الاثنين المقبل عدد الرسالة  
الهجري الممتاز في ثمانين صفحة مدبجا بأقلام  
أقطاب البيان وأعلام الفكر في مصر وسائر  
الأقطار العربية ، وإليك بعض أسمائهم مرتبة  
على حروف الهجاء :

الدكتور ابراهيم بيوى مذكور  
الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني  
» ابراهيم مصطفى  
الدكتور أبو الملا عفيفي  
الأستاذ أحمد أمين  
» أمين الخولي  
» توفيق الحكيم  
الدكتور حسن ابراهيم حسن  
» شخت

الأستاذ عباس محمود العقاد  
» عبد الرحمن صدقي  
» عبد القادر المغربي  
» عبد الحميد العبادي  
الدكتور عبد الوهاب عزام  
الأستاذ علي الطنطاوي

» فخري أبو السمود  
» قدرى حافظ طوقان  
» محمد أحمد النمر اوى  
» محمد سعيد العريان  
» محمد عبد الله عنان  
الدكتور محمد عوض محمد  
الأستاذ محمد فريد أبو حديد  
» محمود غنيم

حيثئذ مشى السيد دى كورسبل الزوج إلى  
السيد دى بورنيقال الحبيب ، فما شككت في أنهما  
سيتقاتلان . وقف أحدهما للآخر ؛ هذا ريبيل  
وذلك هنرييل ، وكلاهما وافى الشطاط يتهور بالكلام  
ويتسمر بالفضيل . قال زوج أى لحبيبها وهو يتزغم  
ويزمجر :

« يا لك من شقى شرير ! »

فرد عليه الآخر بالهجته وغلظته : « سنتلاقى  
في غير هذا المكان يا سيدى . ولقد كنت أود قبل  
اليوم أن أطمك وأمحدك ، لولا أنني آثرت سلام  
هذه المرأة التي أشقبتها بخيانتك ، وعذبتها بقساوتك »  
ثم التفت إلى وقال : « إنك ولدى ، فهل تريد  
أن تقبلى ؟ إننى لا أملك الحق الذي يساعدنى على  
أخذك ، ولكنى أملكه إذا شئت فجئت ملى »  
فصاحته من غير أن أجيب ؛ ثم خرجنا معاً وأنا  
أسوأ حالاً من المجنون

وبعد يومين قتل أبى زوج أى في مبارزة ؛  
فلزم أخواى الصمت اتقاء لمار الفضيحة وسوء  
السمعة ؛ ونزلت لهما عن نصف ماركته أى فقبلاه .  
وتسميت باسم أبى الحقيقى ، ورميت للقانون ذلك  
الاسم الذي نحلى إياه وليس لى به صلة . ومنذ  
خمس سنين توفى السيد دى بورنيقال فحزنت عليه  
حزناً شديداً حتى لم أملك العزاء عن فقده إلى اليوم

\*\*\*

قال ذلك صديقى الشاب ثم نهض فخطا إلى حتى  
وقف بين يدى وقال : « هيه ! أليس من رأيك أن  
وصية أى هى أجل وأنبى ما تستطيع امرأة أن  
تعمله ؟ » فبسطت إليه يديّ اللتين وأجبتة :  
« بلى يا صديق ! ذلك شىء لا ريب فيه »

الزبات



# الدكان

للاستاذ عبد الفتاح المازني



على ذلك فأقبلت على السيارة تريد أن تأخذ منها حقيبتها وقبعها وإذا بصوت يقول لها :  
« اسمحي لي . . »

فالتفتت مذعورة فما سمعت وقع قدميه وهو مقبل عليها ، ولا رآته وإن كانت قد دارت بعينها في المكان ونفضته قبل أن تنوى الرجوع إلى « الكشك » . ولم يسألها الرجل شيئاً ولم ينظر إليها بل انطرح على الرمل بثيابه الأنيقة بعد أن أتى طربوشه في السيارة وراح يحرف الرمل بيديه من خلف العجلة وقدامها . ولما فرغ من ذلك ووسع للعجلة نهض ومشى مطرقاً ينظر إلى الأرض كأنما يبحث عن شيء ، ثم انحنى وتناول حجراً كبيراً ولوحاً من « الصاخ » وعاد بهما فوضع الحجر خلف العجلة واللوح امامها وتحتها ليكون دورانها عليه لا على الرمل ، ثم نهض مرة أخرى وقال :  
« أظن هذا يكفي . . فلنجرب على كل حال » .  
فقلت : « أشكرك . . لا أدري ماذا كنت أصنع لو لم تنجذني ؟ »

فأشار بيده وقال : « أجلى الشكر حتى أستحقه . . إن العجلة المسكينة لا تزال غائصة فلتنقذها أولاً » .

ومضى إلى آخر السيارة وقال : « أدري

وقفت « جلييلة » حائرة لا تدري ماذا تصنع ، فقد انفرت إحدى العجلتين الخلفيتين في الرمل وأبت أن تخرج منه وعجز المحرك عن جذبها ، بل كانت العجلة تزداد غوصاً كلما حاولت نزاعها ، وكانت الشمس قد مالت إلى المغرب ولم يبد أحد في الأفق ، وكان « الكشك » الذي وقفت عنده منذ لحظة تشرب « الكازوزة » يبعد مسافة كيلو ونصف أو اثنين ، فليتها ما جاوزته إلى هذا المكان القفر . . . ولكنها أرادت أن ترى الطيارة الشراعية من مكان قريب ، والأرض بعد « الكشك » غير ممهدة ، ولكن عناء السير فيها محتمل ولا خوف من الفوص ، وقد طوفت من قبل في أرجاء هذا الفضاء الرحيب فهي تعرف صلابة الأرض ولا تخشى رخاوتها . غير أن الحظ خانها في هذه المرة فأكادت تقف بالسيارة وتنأى عنها قليلاً ثم ترجع حتى ألقت العجلة قد غاب نصفها في الرمال الخائنة ، وكان تلاميذ الطيران الشراعي بعيدين عنها بعد « الكشك » ؛ فهل تترك السيارة وتمود أذراجها إلى الكشك لتتمسك من صاحبها المعونة وتسأله أن يدعو إلى نجدها ؟ بعض خفرائه ؟ لم يبق من هذا مفر على ما يظهر وإلا صار خطبها أدهى بعد الغروب . وصح عزيمتها

المحرك وسيرى بها وسأدفعها أنا من الخلف «  
فعلت وخرجت السيارة ثم وقفت على مسافة  
أمتار ونزلت منها متهلة الوجه فصاح بها : « لماذا  
وقفت ؟ . هل حدث شيء ؟ »  
قالت : « لا ... إنما جئت لأشكرك ... »  
ففرك يديه ومد يمينه إليها وقال : « آه صحيح .  
صار الشكر الآن واجباً . أليس كذلك ؟ . »  
فضحكت وسرها منه أنه لا يبدو عليه أنه  
يريد شكراً وأنه كان ينتظر منها أن تمغى عنه  
بلا كلام  
وقالت وهي تبسم له - في عينيه - :  
« ألا تريد أن أشكرك ؟ »  
فقال وهو ينفذ الرمل عن ثيابه : « كلا ...  
إنه دين قديم أؤديه ... بعضه على الأقل »  
ففاضت الابتسامة وقالت مستغربة : « دين ؟ .  
لي أنا ؟ . ولكني لا أذكر ... أتى أعرفك ...  
لا مؤاخذه ! »  
قال : « صدقيني حين أقول لك إنه يسرني أن  
أراك ناسبة ... إنها ذكرى خليقة ألا تثير في  
نفسك إلا الامتناع والنفور بل المقت ...  
فالحمد لله »  
فدنت منه مقدار خطوة وقالت : « ولكن  
أرجو أن تريحني ... هل تعرفني ؟ »  
قال : « أعرفك ... أظن ذلك ... وإن كنت  
لا أكتمك أتى نسيت اسمك ... انتظري ( ورفع  
كفه الكبيرة الفليضة الى جبينه ) اسمك ياسق ...  
غريب ! ! تبقى الصورة كل هذه الأعوام ويذهب  
الاسم ... أوه جما ... جما ... وجدته ! وجدته ! .  
جليلة ... أليس كذلك ؟ »

فصاحت : « نعم . نعم . ولكني آسفة لأنني  
لا أذكرك أبداً ... لا صورتك ولا اسمك »  
فقال بابتسام : « انهما جديران منك بالنسيان »  
فألحت عليه أن يذكر اسمه فقال : « هذا لغز  
سأترك لك حله وأنت عائدة »  
فابتسمت وقالت : « ألا تخشى أن أشغل به  
عن الطريق وما فيه فتحدث لي حادثة ؟ »  
فقال : « صحيح . صحيح . إذن لم يبق مفر  
من التضحية ... سأخسر ما صرت جديراً به من  
الشكر وأسترد سخطك القديم »  
فسأله وهي تضحك : « هل كنت قطيعاً  
إلى هذا الحد ؟ »  
فقال : « ستعرفين مبلغ فظاقتي حين تعرفين  
اسمي . . مراد الباروني »  
فأطرقت وقالت على مهل : « مراد . . .  
الباروني ؟ ( وهزت رأسها ) كلا . . إن ذا كرتي  
لا يحتاج فيها شيء . . آسفة »  
فقال وهو يضحك بدوره : « أما أنا فان  
ذكراك يقشعر لها بدني فما أستطيع أن أنسى أنك  
صببت على ملء قرتين من الماء في الشتاء . .  
سلطت على خرطوم الحديقة وأطلقت على ماء . .  
أهذه ذكرى تنسى ؟ . أأنت معذوراً إذا ظلت  
متذكراً . . ؟ »  
فدنت منه وقالت بصوت خافت كالهمس :  
« مراد ؟ . . صحيح ! ! »  
فقال : « وكنت ظالمة لي . . »  
فقالت : « كلا ... لقد تذكرت الآن ...  
لقد وضعت لي دودة ميتة في قفاي ... الحق أنك  
كنت فظيلاً »



وجدت لي عملاً . . . في تجارة رابحة والحمد لله . . .  
وأنت ؟ »

قالت : « أوه . . . كبرت مثلك ... »

فقاطعها وقال : « كلا . . . إنك لم تتغيري ...  
لو كان هنا دود لما خطر لي وأنا أنظر إليك إلا أننا  
مازلنا طفلين ولهممت بأن أضع لك واحدة في  
قفاك »

فضحكت وقالت : « لقد صرت بهذا جداً ...  
لم يبق شيء من ذلك الطفل اللعين ... غريب ...  
أعني أن تلتق هنا هكذا بعد كل هذه السنين ...  
ماذا كنت تصنع ؟ . أعني هنا »  
قال : « أتمنى ... للرياضة »

فتنهبت وقالت : « إذن لا أقل من أن أحملك  
معي في السيارة »

وقال وهو يركب معها مسروراً : « ما قولك ؟  
نحتفل بهذا اللقاء الذي لم يكن لي ولا لك في حساب  
بالعشاء نتناوله في محل الحاتي . . . هه ؟ »

فابتسمت لنفسها في مراة السيارة وأصاحت  
شمرها الذي عبث به النسيم ثم التفتت إليه وهزت  
رأسها أن نعم ؛ ثم انطلقت تحطاف بسيارتها الأرض

\*\*\*

ولم يكن في جليلة خفة أو طيش ولكنها  
كانت فتاة وحيدة مدللة ورثت عن أبيها شدة  
القلب واستقلال الطبع ، وعن أمها سرعة الاجابة  
إلى دواعي الخير . وقد مات أبوها قبل سنوات فلم  
يبق لأبها سواها ولم تهمل تربيتها ولكنها كان  
ينقصها حزم زوجها وحكمته ، فألقت لها حباها على  
غاربها وهي تحسب أنها لا تعد وما كان يصنع أبوها .

فأشار بيده إشارة المستنكر : « لالا لالا ...  
هذا كان سوء تفاهم . . . أعني أني كنت فرغت من  
اللعب بالدودة وظننت أنك قد يسرك أن تأخذها  
لتلمي بها ، ولكني أخطأت فوضعتها لك في  
قفاك بدلاً من يدك ... بل كان الخطأ منك لا مني ،  
فقد جعلت تجرين خائفة وأنا أجري وراءك فلم  
يسمني إلا أن أتركها لك في حيث تيسر لي ذلك  
فالأذنب لك يا جليلة »

فقالت جليلة وهي تضحك : « أنذكر كيف  
كنت تصبح بأعلى صوت كلما رأيتني ؟ وكيف  
كنت تجزي ورأني وتدب برجليك كلما أدركتني  
فتزيدني رعباً ؟ »

فقال : « نعم أذكر ذلك ... أذكر كل شيء ...  
إنه كل ما بقي لي منك ... لقد كنت أصبح وأدب  
لأخفي عنك حبي لك »

فقالت : « غريب ... أكنت تحبني ؟ ...  
لقد كان نجاحك تاماً إذن في إخفاء هذا الحب »  
ونظرت إلى وجهه الذي لوحته الشمس ،  
وشعره الذي ظهر فيه الشيب هنا وهناك وأخذت  
الصورة القديمة تسترد ألوانها وتبرز معالمها شيئاً  
فشيئاً ثم قالت : « لقد كبرت جداً ... طولاً  
وعرضاً ... وتغيرت أيضاً ... من الذي يراك  
الآن فيذكر بك ذلك الطفل الشقي الذي كان يسود  
عيشي ويرعبني كلما ظهر لي خاة من وراء شجرة ...  
أو من تحت الأرض فيما كان يخيل إلي ؟ ... ماذا  
صنعت بنفسك كل هذه السنين ؟ »

فقال : « أوه ماذا يصنع الناس بنفوسهم ؟  
يكبرون ويقعون على عمل يشغلون به . . . أنا أيضاً

الراسخان كالرمانتين الصغيرتين ، وتكاد من فرط البراعة في انسجام الثوب على الصدر ترى الخلتين ترفعان الثوب ، وتبصر استدارة السرة وحسن اللحوق فيما حولها . وكانت مجدولة الساقين لا عظيمة المضلة ولا مضطربتها ولا عرقوب لها . وجمال الساق في المرأة بشير بحسن القوام . وكانت تكره الأحذية العالية الكموب نفوراً من بروز الفضذين . على أن هذا كله ما أكثر من يشاركنها فيه . ولو اقتصر الأمر على التكوين المادي لما كانت لها مزية تنفرد بها ، ولكن أنوثتها كانت قوية الجذب شديدة الاغراء فلولا استقلالها وشخصيتها لما استطاعت أن تنجو من المعاطب

\*\*\*

وقال مراد وهو عاكف على البيان الذي قدمه إليه الخادم : « معذرة فاني أنضور جوعاً ... لم آكل في نهاري شيئاً ... ماذا تريدن ؟ . كباب ؟ . لحم رأس ؟ . حمام ؟ . إني أرى الخافى عنده كل ما يؤكل ... لا الكباب وحده ... ما قولك ؟ »

فأثرت الكباب وقالت : « إن هذا فنه الذي يمتاز به فيحسن أن أقصر عليه » -

وكانا جالسين في آخر القاعة ووجهها هي إلى الباب ووجهه إلى الناس . وشغلا برهة بالأكل وذكرات الطفولة فقال لها وهو يضطجع : « أتذكرين يوم تحدثتك أن تتساقى النخلة ... ( فهزت رأسها ) لقد كنت لا تطيقين التحدى ... فهل أنت ما زلت كذلك . ؟ »

فوضعت الشوكة على الطبق ونظرت إليه وسأله : « ماذا تعني ؟ »

قال بابتسام : « أعني أن وراءك ... بعد مائتين

على أن الفتاة لم يكن فيها سوء ولم تتم الحرية شراً وإنما أكدت استقلالها وأورثتها تمرداً صريحاً على كل قيد من القيود التي يفرضها العرف حتى على الفتاة الحديثة . وكانت أمها وبعض أهلها يشق عليهم ذلك أحياناً فتقول لهم : إني لأفعل سوءاً ولا أسيء أدبي ولا أتوقع على أحد ولا قيمة لخروجي وحدي أو مرافقة أصحابي وصواحي إلى السينما أو غيرها لأنني أستطيع بسهولة وبلا عناء أن أحافظ على نفسي . فكانت أمها تسكت ولا تقول شيئاً لعلمها أن الكلام لا خير فيه

ولم تكن جارية بارعة الحسن ولكن صوتهما كانت له حلاوة التفريد ، وكانت نظرتها الحاملة تفعل فعلين يبدوان متناقضين - تنعش القلب وتفتت الجسم ، فاذا أدامت إليك كرة الطرف - على عاداتها إذا سرها منك عمل أو قول - شاع الرضى في نفسك وفاضت بالسرور ودار رأسك وأحسست بالخدر في أعضائك . وكانت أقرب إلى القصر منها إلى الطول ، وإلى الامتلاء منها إلى النحافة والهزال ، وقد حمتها كثرة الحركة والولع بالمشي في الهواء الطلق وفضام النفس عن الآكال الدسمة الثقيلة أن تصبح كأنها أكداساً من اللحم تلح على روحها ؛ وكانت سمراء ولكن سمرة مشربة حمرة لا كدرة فيها ولا نمش . وكان شعرها جمداً وأنيباً وحنفاً ، وكانت تفرقه وترسله إلى الوراء وتعقصه وتأتي أن تعقصه . وكانت أنيقة بلا تكلف ، ولم تكن رقيقة الحال أو مضطرة إلى حسن التدبير والاقتصاد فقد ترك لها أبوها الحازم ثروة كافية ولكنها كانت تؤثر أن تصنع ثيابها بيديها فتجىء محبوكة التفصيل على قدها الجميل يبرز من تحتها ثدياها الناهدان



عليه عشرين قرية من الماء في الشتاء ؟؟ »  
فقلت ببساطة : « إني أحب زكي ... وأنت  
لا تعرفه ... بالطبع ليس في كوني معك هنا ما ينبغي  
أن يسوءه ، ولكنه لا يعرف أنك هذا الصديق ؟  
كل ما يعرفه أنه خطيبي ... وأني - كما قال لي  
مراراً - طائشة ... مندفة ... »

فقال مراد : « اشربي القهوة ... لا تفسدي  
على نفسك الليلة ... ستشرحين له كل شيء ...  
فيعود حملاً ودبماً ويعتذر اليك من هذه النظرات  
الحامية ... »

فشربت القهوة ولكنها كانت ساهمة ، فقد  
كانت تحب « زكي » هذا وكانت تكره الاضطراب  
الى الشرح وتستثقل أن تحتاج حتى الى ما يشبه  
الاعتذار .

وقال مراد : « لقد قام الرجلان ... خطيبك  
وصاحبه ... »

فقلت : « يحسن أن تقوم إذن ... فسيودع  
صاحبه ولا شك ويقف في انتظاري ... أشكرك  
يا مراد ... نهيتني الى أنه خرج ... فلألحق به .  
ونخرجاً . وودعها مراد بعد أن عرفت منه  
عنوانه وعرف منها عنوانها وألح عليها أن تتصل به  
إذا جد أمر من جراء لقائهما الليلة .

\*\*\*

وقالت جليلة لزكي : « معي سيارتي فلا حاجة  
الى تاكس . »

فدخل فيها واضطجع ثم قال : « من هذا  
الرجل الذي كان معك ؟ »

فقضت عليه ما وقع لها عند المطار : فقاطعتها  
وقال : كيف تكلمين رجلاً غريباً ؟ ... إن هذا  
كثير ... »

اثنتين ... رجلين أحدهما يحدق في ظهرك ...  
لا يحتاجني شك في أنك تحسبن وقع نظرتي على  
جسمك ... انها نظرة جامية ... كاوية ... انتظري  
قليلاً وسأدعو الخادم ليجيئنا بالقهوة فأدري وجهك  
حين يقبل وانظري ... »

ففعلت ثم اعتدلت في جلستها وقد علا وجهها  
الاصفرار ، فأكب مراد على بقية الفاكهة وتشاغل  
بها عما رأى في وجهها من دلائل التغير . ولم  
تفت جليلة هذه الكياسة منه ووقع من نفسها  
اتقاؤه الفضول فتماسكت وضبطت صوتها وهي  
تقول : « لقد تغيرت جداً ... من كان يظن أن  
ذلك الطفل الخبيث الذي كان يتعقبني وينتصص حياتي  
يصبح هذا الرجل الوديع الظريف الكيس ؟  
أعرف من هذا يا مراد الذي يكونني بنظراته ؟ ...  
إنه خطيبي زكي ... أفهمت الآن ؟ »

فقال بهدوء وبصوت متزن التبرات : « خطيبك ..  
زكي ... هذه أخبار ... أظن أن من واجبي أن  
أقدم لك التهنئات . »

ولكنها أحست من نبرات صوته على الرغم من  
اتزانها أن هذا الخبر لم يسره فقالت : « لا داعي  
للعجب ... ثم إن الزواج مسألة عادية جداً على كل  
حال ... أو كما يمكن أن تقول أنت ... هو شر  
يصيب كل إنسان ... عاجلاً أو آجلاً ... متى  
يصيبك يا مراد ؟ ... »

فقال : « أنا ؟ ... لا أدري ... صاحبك ...  
أعني خطيبك لا يزال محملاً في ظهرك ... فهل  
تستطيعين أن تنهضي وتذهبي إليه وتقولي له بكل  
هدوء إن لك حقاً في أن تتناولي المشاء مع صديق  
قديم مثلي وضع في طفولته دودة في ظهرك ، وصيبت

قالت : « ولكنه ليس غريباً ... لقد نشأنا  
معاً ... في حي واحد ... » .  
فنفخ وقال : « ولكنك لم تكوني تعرفين أنه  
هو صديق طفولتك ... » .  
فقالت بلهجة المستغرب : « هل كنت تريد  
أن أتقبل منونته ولا أشكره على الأقل ؟ ... » .  
فترك هذا وقال : « ولماذا تخرجين الى هذا  
المكان وحدك ؟ »  
قالت : لأنك مشغول عني بأعمالك الكثيرة  
التي لا تدع وقتاً لمرافقتي ... ومع ذلك أى بأس  
هناك ؟ » .  
قال : « بأس ... بأس ... هذا الذى حدث  
لك من غوص العجلة أليس بأساً ؟ » .  
قالت : « لا تكن متعنثاً ... إن السيارات  
يمكن أن يحصل لها أى شئ فى أى مكان فى الدنيا » .  
فترك هذا أيضاً وقال : « ولكن تأنين معه  
الى الحاتى ... ماذا يقول الناس ؟ » .  
فقالت : « إذا كان الحاتى مكاناً لا يليق أن  
يدخله الشريف ... » .  
فقاطعها بسرعة وقال : « لست أقول هذا ...  
الأمر على العكس ... » .  
قالت : « إذن انهيئنا ... » .  
فسكت فما رأى حجة له تنهض . وساء ذلك  
فقد كان شديد الاعتداد بنفسه ، وكان عظيم الطموح  
واسع الأمل فى المنازل الملحوظة فلم يسره أن الفتاة  
التي سيتزوجها تقرر حجته بأقوى منها ، وأحس  
أن فى هذا تنقصاً له وغضاً من مقامه وسقوطاً لهيبته  
ولكن الكلام خانه فأثر السكوت على مضض .  
وكان زكى - أو إذا أردت اسمه كله زكى الدين

حمد - من أصل تركى أو شركسى - سيان -  
وكان يطمع أن يبلغ بماله الموروث حيث لم يستطع  
أن يبلغ بالكفاية الشخصية ، وكان أمه الذى  
لا ينفك يحلم به فى اليقظة والنسائم أن يصبح  
يوماً من أعضاء البرلمان ، ومن أجل هذا كان  
يتقرب الى الزعماء السياسيين بوسائل شتى ، وكان  
يعنيه جداً أن يحسن رأيهم فيه وظهرهم به ، وكان  
يحرص على المركز المأمول ويحيط نفسه سلفاً بكل  
مظاهر الآبهة والسمت والوقار وينظر الى الأمور كله  
كأنه واقع ، وينتظر من الناس أن يعدوه كذلك ، بل  
أن يبالغوا ويروحووا يعدون بصبرهم الى المستقبل وأن  
يخالوه كما يتخيل نفسه فيه وزيراً أو رئيس وزارة .  
وقال جليلة وهو يودعها على باب بيتها : « أرجو  
يا جليلة ألا تعرضينى لكلام الناس ، واذكرى أن  
لى مركزاً يجب أن أحافظ عليه » .  
فسحبت يدها من يده وقد آلمها كلامه وأحست  
أن مهمماً وقع فى قلبها . وكانت حساسة وذكية .  
ولم يكن يخفى عليها أن ليس له مركز سوى ما يفيد  
الفنى ، ولم تكن هى تحتاج منه الى مال فان مالها  
كثير . وكانت تدرك أن ما يسميه « مركزه »  
جانب ضعف فيه ولكنها تغض عن ذلك لحبها له ؛  
غير أنها لم تكن تتوقع أن يتهمها بأنها تنسب الى  
هذا المركز - وإن كان موهوماً - فضلاً عما  
تنطوى عليه عبارته من التعريض بها بعد أن شرحت  
له الأمر كله ولم تخف عنه شيئاً . وماذا تخفى وليس  
فى الأمر ما يستدعى الكتمان ؟  
وقالت له وهي تهتم بالدخول : « ليلتك سعيدة »  
فسألها : « متى نلتقى غداً ... »  
فأطرقت شيئاً ثم رفعت رأسها وألقت إليه



ابتسامه ساخرة وقالت : « غداً ؟ لا ... إني على موعد مع مراد ... » .

ودخلت . وتركته واقفاً وفيه مفتوح .

ولم يكن ثم موعد ولا شبهه ؛ وإنما قالت ما قالت مدفوعة اليه بضجرتها وألمها .

\*\*\*

ولم تحاول أن تلتقي بمراد في اليوم التالي فقد كانت تدرك أن هذا لا يكون منها إلا خرقاً وحماسة فلزمت بيتها الى المساء ثم خرجت في سيارتها على عادتها وجالت بها جولة قصيرة ثم ردت بعض الزيارات وعادت فلزمت غرفتها ، وكان الألم لا يزال يحز في نفسها فساء نومها واضطرب . وذهب يوم وجاء يوم ولكنها أحست ثقلاً في جسمها وفجوراً فبقيت في فراشها وأوصت أمها أن تمنع أن يزجها أحد - حتى ولا زكي - فشعرت الأم أن في الأمر شيئاً ، ولكنها حدثت نفسها أنه خلاف لا يلبث أن يزول . وجاء زكي يسأل عن خطيبته فمرفت الأم أنه لم يلقها منذ يومين ، فأظهرت تعجبها وزلت فقالت إنها كانت تحسب أنها لا تخرج إلا للقائه ، وزل زكي أيضاً فقال لها إن جليلة خفيفة وإن خفتها تسيء الى مركزه ، وإنه كلمها في ذلك ففضبت ولجت فيما نهاها عنه ، فهو يرجوها أن تكبحها قليلاً فلا يليق أن تترك هكذا حبها على غاربها . وعرفت جليلة هذا الذي دار بين أمها وبين خطيبها فدهشت له ولكنها لم تفضب ولم تثر بل كان من الغريب أنها أحست كأنها وضع لها في مكان القاب قطعة من الثلج .

وجاء العصر فركبت سيارتها وخرجت بها الى مصر الجديدة . وكان كل منهما أن تكون هي

وحدها وأن تدور دورة في الهواء الطلق وتمشي قليلاً عسى أن ينفعها ذلك فيعفيها من الشعور بالانتقاض والفتور . وإنها لفي بعض الطريق إذا بها ترى مراداً يمشي بسرعة كأنها يريد أن يدرك موعداً ، فوقفت وأشارت إليه وقد أحست أن جسمها قد صار أخف مما كان . فجاءها يعدو فسألته : الى أين ؟ ... »

فلم يجب عن هذا السؤال ولم يلق إليها تحية بل ركب وهو يقول : « أروانا نلتقي في هذه الأيام ؟ حسن هذا ... أليس كذلك ؟ » .

فأعدها ما في وجهه من البشر وقالت ضاحكة : « غريب هذا ... تمضي سنوات لا نلتقي فيها مرة واحدة وفي أربعة أيام نلتقي مرتين » ،

فقال : « لا تغلطي يا فتاتي ... ليست هذه مصادفة » .

فنظرت اليه مستغربة وسألته : « ليست مصادفة ... ؟ »

فقال وعلى فيه ابتسامته الوضيئة التي لا تفارقه « كلا ... ليست مصادفة ... إنها إرادتي سلطتها عليك فجذبتك الى حيث أنا ... نعم » .

فماد إليها إشراق وجهها واطمأنت وقالت : « أوه ... آه ... إرادتك ؟ . طبعاً »

فقال : « لا تمزحي ... إني أتكلم جاداً » فرمت اليه نظرة سريعة فألفته لا يزال يبتسم فحولت وجهها الى الطريق وقالت : « هذا بديع .. تكلم ... إن أذن لك »

قال : « نعم ... إرادتي ... لم أزل منذ عشر سنين أربي هذه الارادة فهل تستغربين أنها بلغت من القوة هذا الشأو ! . بالطبع لا ... وأنت أول

تتمشي ... ودعى السيارة فان يخطفها أحد»  
وقطعا مسافة وهما صامتتان ثم وقف والتفت  
إليها وقال : « اسمي يا جلييلة ... إني أعتمد على  
ما تحولني صداقتي القديمة من الحق في الصراحة؛  
عشرون قرية من الماء تجعل لي هذا الحق ... أريد  
أن أقول إني تحاشيت في مقابلتنا الأولى أن  
أكشفك بما أضمر لك من الحب كل هذه السنين  
الطويلة ... لأنك قلت عرضاً إنك مخطوبة ...  
ولكن وجه المسألة تغير اليوم بمد أن سمعت منك  
ما قال هذا البغل »

فقاطعتة ضاحكة : « اذكر أنه خطيبي ...  
لا يزال خطيبي ... وأنى قلت لك إني أحبه »  
فقال : « لم يمد هذا يعني ... لست أطول  
أن أصرفك عنه ... كلا ... ولكنه لم يبق لي بد  
من أن أقول لك إني أحبك ، وأنى أحبك منذ  
كنت طفلة وكنت أعابثك وأكابذك وأصرخ في  
وجهك ... وكان هذا مظهر حبى الصبيان ...  
أما الآن فان مظهره أنى مستعد أن أذهب إلى  
خطيبك هذا وأخنقه بيدي هاتين ... »  
فقال ضاحكة : « لقد توهمت لحظة أنك  
صرت أرق »

فقال : « كلا ... أنا كما كنت ... واسمى  
ولا تقاطعي وإلا بحثت عن دودة ووضعتها لك في  
قفاك ... إذا حدث يوماً أن صار الدكان للابحار  
فأخبرني ... »

فقال : « لغة التاجر أيضاً ... ولكنى  
سأستعيرها منك ... ثق أنك مفضل عندي على  
كل مستأجر لهذا الدكان إذا خلا يوماً من الأيام.  
لم يكن يخطر لي أن هذا ما تنطوى عليه لي ... ومن

من ينبغي أن يكون من تلاميذى المؤمنين بي ...  
من حوارى ... هه ... وسأفتح بك العهد  
الجديد ... »

وبلغا آخر الطريق إلى المطار من ورائه جلسا  
على سلم السيارة وأخرج مراد سيجارة وذهب  
يدخن في صمت ، فلما طال ذلك التفت إليه وقالت :  
« إنك لا تسألني ماذا حدث »

فلم يحول وجهه إليها وأدرك من كلامها أن  
شيئاً لا بد أن يكون قد حدث ، ولم يشأ أن يتطفل  
عليها بالسؤال فاكتمى بأن يقول : « إن أذى لك ...  
أعمرناك السمع »

فقال : « إنك قليل الفضول »  
قال : « لأنى مشغول عنه بما في نفسى ...  
الدكان غاصة ... لا تحتمل زيادة »

قالت : « لغة التاجر ... اسمع ... غضب  
زكى ... أوه ... غضب جداً ... لم يقل شيئاً  
كثيراً ... كل ما قاله أنى خفيفة طياشة وأنى  
أسىء بسلوكى إلى مركزه »

فانتفض مراد واقفاً وقد تجهم وجهه ورمى  
السيجارة ثم التفت إليها وقال بلهجة صارمة :  
« من يكون زكى هذا ... »

وكبح نفسه عن الاسترسال ورد لسانه بجهد ،  
وضبط أعصابه وعاد إلى مكانه من السلم والتفت إليها  
وقال وقد وسعه أن يبتسم مرة أخرى : « معذرة  
ليس لي حق ... قولى إنك صفحت عني »

فسرها منه أنه غضب لها وفارت نفسه  
بالسخط على خطيبتها من أجلها فقالت له بركة  
« أشكرك ... إننا صديقان قديمان ... »

فقال لها وهو ينهض مرة أخرى : « قوى



فتاة مثلها فكتم حبه وطواه في صدره ، وسأل الله المعونة على احتمال اليأس الحاضر ؛ وهو ظرف كيس لبق دائم البشر واسع الإدراك رحيب الأفق حلو الفكاهة . وزكى الغنى الذى لا يزال مهموماً بمر كزه التخيل ، والذى لا يتقى في سبيل الحرص عليه أن يجرح قلب فتاة ، ويتهمها بالخفة والطيش في سلوكها ، وبأن سيرتها توشك أن تسيء الى مركزه الموهوم هذا . وقد أحبته ... هذا صحيح . ولكن عينها فتحت فهي تراه الآن على حقيقته ، وليس يسمها إلا أن تفكر في حياتها معه كيف تكون إذا كان كل ما يباليه في الدنيا هو هذا المركز .. ولكنها خطيبته وقد قبلت أن تكون زوجته ... فما العمل الآن ؟

وسألت نفسها ... أى الرجلين أحب إليها ؟ وحيروا الجواب ... فهل هذا الذى تشمر به لمراد حب ؟ . إن يكن هذا فهو هادىء جداً ... أما زكى فان الدكان كما قالت لمراد مزحومة ... صحيح أنها مزحومة بما لا قيمة له — كما ظهر الآن — ولكنها مزحومة ... فهل تخلو يوماً ؟ . هذه هي المسألة ... وإلى أن تخلو لا سبيل الى شيء ...

ولو أن زكى ذهب إليها في ذلك الوقت ولاطفها وتألّفها وضاحكها ومازحها واعتذر إليها ، ولو كانت هي في رأيه المخطئة ، لعادت المياه إلى مجاريها كما يقولون ولا ارتفعت قيمة ما في الدكان وارتدت إليه نفاسته ، ولكنه أراد أن يلقيها درساً فأعرض أياماً وجفاها وانقطع عن زيارتها ، ولم يكفه ذلك بل أرسل إليها خادمة تبلغها بحياته وتسألها باسمه عن صحتها ، وأوصاها أن تخلق مناسبة لتقول لها إن سيدها يكثر في هذه الأيام من زيارة بيت خالته

التي تتصور أن وضع الديدان في قفاها يكون علامة حب ؟ ولكنك كنت دائماً غريباً ... على كل حال ... المسألة المهمة أن الدكان مزحوم ... ليس خالياً ... خرجت أستبضع فامتلاً ... صحيح أنه امتلاً بأشياء لا قيمة لها ... ولكنى لم أكن أعرف أن ما غص به عديم القيمة ... المهم أنه ممتلئ ... وأظنك تدرك أنه مادام مملوءاً فلا مكان هناك لجديد ... يجب الصبر حتى أخليه مما فيه ... هذا يحتاج الى وقت ... ومن يدري ؟ ربما كان الاخلاء أصعب من الملء ... ولكنك تفهم وتعذر ... فقال ببساطة وهدوء : « لا بأس .. لا بأس .. إن ذكاني أيضاً مزحوم ... ولكنه مزحوم بالنفيس الغالى ... ولست أريد أن أخليه ... لا أستطيع أن أخليه حتى لو أردت ... وهيهات أن أريد أو أستطيع ... إنه مكتظ منذ خمس عشرة سنة . وسيظل مكتظاً طول العمر ... وقد عرفت أن مفتاحه ممك ... في يدك ... فادخلي حينما تشائين وعسى أن تشأى ... عدينى أن تحتلى مكانك من الدكان بعد أن تفرغى من أمر دكانك ... وفي أثناء ذلك نبقى كما كنا دائماً ... صديقين حميمين »

\*\*\*

ولم يسع جليلة إلا أن تفكر في أمر الرجلين : مراد الرجل الذى تعرفه منذ الطفولة والذى كان يسود عيشها بمحبته لأن هذا كان تعبيره الخاص عن حبه لها ، وقد ظل بعد ذلك يحبها ، ولكنه أحجم عن طلب يدها لرقه حاله بالقياس إليها ، وقد صار تاجراً ، ولكنه لم يثر لأنه لا يرجع إلا الكفاية ، ومن هنا إحجامه الى الآن عن خطوبتها كما حدثها ؛ وقد زاد على ذلك أنه كان لا يتصور أن ترضى به

— وكانت لها بنت في مثل سن جلييلة — ليثير غيرتها وإشفاقها من أن يطير المصفور من يدها فأفلح ولكن في استثارة نغمتها عليه ، فقالت لنفسها إن رجلاً يهينها ويعرض بها ويرميها بأن سلوكها من شأنه أن يسيء إلى سمعتها وأن يضر بمركره ، ثم لا يجعل هذا بينه وبينها بل يفضي به إلى أمها ، ثم لا يكفيه هذا بل يحفوها ، ثم يترقى في تعمد الاساءة إليها فيرسل إليها خادمة تبلغها أنه انصرف عنها إلى سواها — مثل هذا الرجل خير له ولها أن ينبت ما بينهما ..

\*\*\*

على أنها لم تتعجل وإن كان غرضها قد صبح على الفراق فقد كانت شديدة الثقة بنفسها والاعتداد باستقلالها وإرادتها الحرة ، فلم تر ما يدعو إلى المجلة بعد أن انتوت أن تفصم العروة واستوى عندها أن يكون ذلك يوم انتهت إلى هذا العزم وأن يكون بعده بأيام أو أسابيع ، فقد كانت واثقة أنه ما من شيء يستطيع أن يحولها عنه . وصار عجبها أن الدكان خلا بسرعة مما كان ينص به . ولم تكن تاتي في تلك الأيام مراداً لأنها أرادت أن تختبر نفسها ونجسها لتعرف ما تنطوي عليه له ، فأدهشها أنها تحس وحشة وأنها تشتهي أن تكون معه وأن تستعيد ما تشرب به في مجلسه من سكينته النفس واطمئنان القلب والرضى الهادى . وزاد شوقها إليه أنها كتبت الأمر كله عن أمها فلم يكن هناك من تبثه ما في نفسها ، ولو كان مراد إلى جانبها لكان خليقاً أن يفهم ويمدح ويمطف وأن يسرى عنها بفكاهته التي لا تخونه ، وأن يمدحها بقوة التي تجعله لا ينسى أن يضحك وهو يفجع في أمه الذي عاش

به سنين وسنين .. وتعجبت لسرعة استيلاء مراد على هواها فما لقيته إلا مرتين بمد طول الانقطاع والغبية . فهل هذا هو الحب الذي يقال عنه إنه يكون من أول نظرة ؟ .. أم تراها كانت تحبه منذ عرفته وهي لا تدري ، وكان حبها له راقداً كامناً ينتظر فرصة للظهور لا شك أنها كانت تحبه . كذلك قالت لنفسها وهي راقدة على سريرها بعد الغداء . نعم كان يقسو عليها ويركبها بالمزاح المتعب ، وكان يختبئ لها وراء الأشجار ثم يفاجئها بصرخة ترعبها فيضحك ويقهقه . وكان يجري وراءها حتى تنقطع أنفاسها وتقع من الأعياء .. فيحملها ولكنه لا يرحمها ولا يترفق بها بل يروح بقرصها وبعضها فتصرخ وتصيح وهو يضحك ولا يبالي ... ولم تستطع أن تنتقم منه إلا مرة واحدة حين أرسلت عليه خرطوم الماء فأغرقته فجعل ينتفض من البرد ، ولكنه كان يضحك مع ذلك ولم يسخط عليها ولم ينطق بكلمة تشي بالألم أو النقمة أو الغضب ، بل احتمل ذلك . ولما رقى له قلبها وأقبلت عليه بالاعتذار إليه وطلب الصفح منه لم ينس دعايته وعيبه ، ونبحها كما يفعل السكب « وَوَّ .. وَوَّ » ففرغت فما كانت تتوقع شيئاً من ذلك ، ومضت عنه مغتظة مخنقة معتقدة أنه شر صبي في الحارة ؛ وكان هو يقهقه وينطوي من شدة الضحك غير عابىء بالماء والبرد ، فيأله ما أقواه .. ومع ذلك كانت لا تلعب إلا معه ، وإذا أقبل عليها غيره من الصبية نفرت ... نعم لا شك أنها كانت تؤثره ... وإساذ لا تقول إنها كانت تحبه ؟ صحيح أنها لم تكن تعرف ما الحب ولكنها تعرف الآن فقد صارت خبيرة مجربة فلماذا لا تسمى الشيء باسمه الصحيح ؟



قامتقع لونه ولكنه تجلد وقال : « متى إن شاء الله ؟ لست أطمع أن أدعى ولكنى أريد أن أحتفل بليلة الجلوة وبسرورك فيها . وحدى »  
فسألته بنحيث : « وحدك ؟ »

فقال : « نعم . إن يكون منى سوى خواطرى »  
وأدار وجهه إلى الباب ليخفق زفرة يملو بها صدره ثم التفت إليها وقال : « متى يكون هذا ؟ »  
فرفعت إليه وجهاً مشرقاً ونظرت إليه نظرتها الحاملة وقالت : « متى تريد أن يكون ؟ »  
فقطب وقال : « ليه ؟ »

فأعادت سؤالها : « متى تريد أن يكون ؟ »  
فحدق في وجهها - في عينيها - ثم صاح وقد فطن إلى ما تعنى وانحنى عليها فرفمها بيديه عن الكرسي غير عابىء بالعمال والزبائن وأهوى على فخما بالثلاث ثم ردها إلى الكرسي وصاح بأحد رجاله :  
« إذهب . إذهب . حالا . حالا »

فوقف الرجل كالآبله لا يفهم ، ولا يدري أين يريد منه أن يذهب فصاح به :  
« هات المأذون .. ألا تعرف المأذون يا أبله ؟ »  
إذهب .. حالا .. »

فوقفت جلييلة وأقبلت عليه تسأله : « ماذا تعنى ؟ .. ماذا تريد أن تصنع ؟ »

فقال : « ماذا أعنى ؟ .. ياله من سؤال ! .. نعمقد العقدة ! .. هنا .. حالا .. في الدكان .. هذا ما أعنى .. رجالى وزبائنى شهودى .. شهود سعادتى لقد كان التجار في الزمن السالف يجيئون برجال يقفون على أبواب الدكاكين ويدعون السارة أن يدخلوا ويزينون لهم البضاعة .. وقد انقضى ذلك الزمن وحلت الاعلانات في الصحف محل هؤلاء

وارتدت من الماضى إلى الحاضر وذكرت كيف غاصت عجبتها في الرمل ووقفت حائرة وإذا به يظهر كأنما شق الأرض وخرج منها - كما كان يفعل وهو صبي - وينطرح على الأرض بلا كلام أو سؤال ولا يبالي ما يصيب ثيابه ، ويجرف الرمل بيديه الكبيرتين ويحمل الحجارة ؟ يفعل كل ذلك ولا يرفع عينه إلى .. ثم بعرفنى فيتلطف في تذكري بنفسه . ويتظاهر بنسيان اسمى وهو منقوش محفور في قلبه .. وتنازعه نفسه أن يفضى إلى بحبه فيشير إليه من بعيد في معرض الكلام على ذكريات الحداثة . ويعرف أنى مخطوبة فيفقد كل أمل ولكنه يتجلد ويتكلف الابتسام ويعضى في مؤانستى بحديثه كأنما لم ينهد كيانه ولم يتقوض بنيانه . وهل أنسى كيف تار وانتفض حين رويت له ما أهاننى به زكى ؟ لقد كانت وثبته تلك حسبي دليلاً على عمق ما يجن لى من الحب . ومع ذلك أبت له الكياسة والأدب إلا أن يكبح نفسه ويردها عن النيل من زكى مخافة أن أكره ذلك منه ..

وظلت تناجى نفسها على هذا النحو ولا تكتحل عينها بغمض حتى كان العصر فقامت ولبست ثياب الخروج واستقلت سيارتها الصغيرة إلى دكان مراد فأقبل عليها يرحب بها فقالت له :  
« أنت أولى من الغريب »

فابتسم وقال : « آه .. أهو ذاك ؟ »  
قالت : « نعم . أريد شيئاً من الحرير .. قطعاً كثيرة . ألوانها شتى . الوقت ضيق . »  
فقال : « الوقت ! لست فأها شيئاً . »  
قالت : « ألا تعرف أن المروس تحتاج إلى ثياب كثيرة ؟ »

الطيارة ، فإذا يمنع أن نتزوج في الدكان ، فقالت إنه فرق ساعة ، والمسافة إلى البيت لا تستغرق زمناً ، فأبى أيضاً ، وقال إنه يخاف عليها أن تطير وتتسرب في الهواء . . . . . كلا . . . لا بد أن يكون المقد هنا

وراقها هذا الجنون وأرهف خيالها فرضيت وتزوجا في دكان

وقالت له وهما خارجان : « نسيت أن أقول لك إنى وجدت أن الدكان لم يكن خالياً قط . . . كان مافيه مخزونا من أيام العبي ، فلما أدت عيني فيه عرفت ولهذا جئت »

فقبلها على باب الدكان

ولم يستح الرجل

إبراهيم عبد القادر المازني

المنادين ولكنى اليوم سأقف بالباب وأدعو الناس . . كل الناس أن يدخلوا لا يشتروا بل ليشاركوني في سعادتي . . لماذا لم يجيء المأذون . . إذهب أنت وراءه واستعجله »

وفرحت جليلة بهذا الجنون وخجلت أيضاً — أفرحها أن عقله استطير من فرط الجذل ، وأخجلها أن كل هؤلاء الناس من العمال والزبائن يرونها ، وأن عيونهم جميعاً عليها ، وأنهم يفحصونها ليعرفوا سر هذا السحر الذي ذهب بلب الرجل الذي ألفوا منه الرزاة والسكينة والظرف والعقل . . ولم تكن تقدر أن يفعل ذلك وأرادت أن تستمع له فأبى ، فاقترحت أن يذهبا بالمأذون إلى البيت فأبى أيضاً ، وقال إن فاساً في هذا الزمان يتزوجون في

## بنك مصر

يساعدكم على الادخار من أقرب وأضمن الوجوه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التخفيض المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمركز البنك الرئيسى .

بالقاهرة . وفروعه بالأقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون



# غرام الشعراء

## اقصصة فرنسية

نصبت الشاعر محاسن الأميرة فأحبها  
روح شاعريته القدسية ؛ ورأت الأميرة فيه  
ما بهر غرورها فاستسلمت لغرامه ، وتراجع  
سائر العشاق بذلة الانكسار أمام الشاعر الثرى  
الجميل ، وكان اسمه سعيداً<sup>(١)</sup> وله صديق اسمه  
جميل فكتب سعيد إلى جميل يقول :

« لقد رضيت بي زوجاً ، فما أسعدني بهواها !  
وإنني لأشك أحياناً في سعادتي فأحسبني واحداً .  
وهل لثل هذه الآلهة أن تحب رجلاً يموت ؟  
ولكنني أعود إلى رشدي فأسأل نفسي عما دفعها  
إلى التسليم بقبولي زوجها لها إذا كانت لا تحبني  
لا أراني مضطراً إلى أن أقول لك ، وأنت الصديق  
الوفى العارف بما في سريري ، إنه لا مطمع لي في  
الحياة الا امتلاك قلب امرأة بكل ما في كلمة الامتلاك  
من معنى السيادة المطلقة ، تتربع في قلب لا وهن فيه  
ولا شرك ولا ضلال . أريد روحاً أبادها روحي  
وحياة واحدة في جسدين . ذلك حلم الخلود أطمح  
إلى تحقيقه على هذه الأرض الفانية . إن الله لم  
يخلق الجمال عبثاً ، فانه وضع في إهاب الأميرة المثير  
للنيران قلباً يحترق هو نفسه بها . إنني أشكر الله  
لأنه أنالني ما اشتيت »

وورد الجواب بهذه الكلمة :

« احذر ، فانك شاعر »

وكانت حفلة زفاف جلالتها روعة الجمال ولعت  
فيها بروق المال  
اهتزت المدينة لهتاف الفرح ، وسار العروسان  
تحف بهما الأبحار ونوا كبهما العز على طريق  
السعادة والهناء

(١) ترجمت الأسماء بما يقابلها في العربية

كانت فتاة أسعدتها الحظ وأسعدتها الجمال ،  
ولدت من أبوين أحدهما الثروة وثانيهما الجمال ،  
فكان الله أوجدتها فتنة للعالمين ، تلعب بألباب  
الشعراء تارة ، وتارة تلعب بقلوب الطامعين  
وكان اسمها مشتقاً من مصدر النصر فدعاها  
الناس بالأميرة لأنها حكمت لآسفين إله الجمال  
وإله المال

انتهت للناس صنما يعبدونه العاقل والجاهل ،  
رجل العواطف ورجل الأطماع ، فترنحت أعطافها  
من يسكرة الدلال ، وأصبحت تطالع المألأ من عل  
فتستصغر كل العاشقين

إن رجلاً يسعدده الحظ بامتلاك قلب الأميرة  
ليتسنى فيه عرشين ويمتلك به سعادتين

مرت السنون والأميرة تحسب الدمع خلقة  
في مآقي الناظرين إليها ؛ ولولا قوة في الكون  
تستخر المال والجمال لكان قد قضى على الأميرة أن  
تغادر الدنيا بوحداية جمالها لا تشرك به أحداً من  
الناس ، وما تلك القوة إلا الحافز الطبيعي لا يتعمد  
عليه إلا المتظاهرون بتذليله وهم في ادعائهم كاذبون  
وكان في المدينة شاب ولد كما ولدت الأميرة  
من مصدرى المال والجمال ، غير أن إله الشعراء  
كان قد نفخ في روح الجنين خلسة فجاء الطفل  
يحمل إلى الدنيا جذوة الالهام

خلدي ، وعرفت ما أحب وما أكره ، فأمرتني  
بمثال أحلامي

\*\*\*

ما أنمس قلب الشاعر ! بل كما أبعد هيام  
الشعراء عن أهواء الناس ! إن في بعض النفوس  
المشتعلة بلهب الأبد غراماً يستنزل العاطفة من عالم  
التجرد ، وما وجدت هذه النفوس في الأرض  
إلا لتشتق ، لأنها تطلب كوتر السماء من كبؤوس  
التراب : تريد حياة من الموت ، وتجرداً من المركب  
المنحل .

وكان الشاعر يجثو أمام أميرة مداعباً أوتار  
قيثاره فيستنطقها أجل الأنعام ، ولكن الأميرة  
كانت ترفع يدها إلى جبينها وتشكو الصداق ؛  
كان يأخذ الشاعر أروع القصائد ويتلوها على  
مسامع أميرة فلا تلبث أن تحول الحديث إلى بحث  
أنواع الطعام وما يصعب هضمه منها

كان يبدأ حديثه معها قائلاً : أفلا ترين  
يا حياة الفؤاد أن ... فتقاطعه شاكية حرارة الجو  
وطفق اليأس يرادو بجلد الشاعر

وتقدمت الأميرة يوماً إلى عابدها قائلة : يا سيدي  
العزير

فاتنفض الشاعر وقال في نفسه : لقد جاءت  
تبادلني حباً بحب ، وقلبا بقلب

فقال : ليس جمال الحياة في ...

فقاطعته وقالت : في الأعياد والمراقص واستقبال  
الأصدقاء . أما حان الزمن للقيام بما يوجبه مقامنا  
الاجتماعي ؟ إنك ستدعو قريباً أهل المدينة لوليمة  
كبرى يعقبها الرقص إلى الصباح ، أليس هذا  
ما تريد يا سيدي ؟

تحت أغصان الربيع أمام الطبيعة الموشاة بحللتها  
بالسندسية كان سعيد يناجي عروسه بروح شاعر ،  
وإذا قال لها : ألا تسمعين حفيف أجنحة السعادة  
حولنا ، تنهدت تنهداً غميقاً حسببه الشاعر صدى  
لنبرات إلهامه

وقضى المروسان شهر العسل في قصر من  
قصور الريف ؛ وما مرت أيام بعده حتى أخذت  
الأميرة تشمر بالضجر في هذه الحياة الهادئة .  
فأصبحت تنعب من السير في ظلال الأشجار ،  
وتحاذر الجلوس على المروج المزهرة خشية أن تنالها  
رطوبة من الأرض أو لفحة من الهواء

وكان أمير الشعر يدعو أميرة الجمال لترافقه إلى  
ممشى القصر القديم حيث يعرض جمالها الرائع على  
البدر المتطلع من بين الأزهار الراقصة على أغصانها ،  
ولكن الأميرة كانت تعلم أنها تخاف لفتات البدر  
وهو الماشق الأبدى بلفح الجباه بنظراته فيورثها  
الصداق

وعجزت حيلة سعيد عن إبداع ما يعيد الابتسام  
للجمال العابس ، فقرر العودة إلى المدينة

وقال الشاعر في نفسه : لقد يكون قصر الريف  
قد أثر برياشه البسيط على روح إلهامي فلا فودنها  
إلى قصر أجدادي حيث الزخارف الرائعة والرياش  
الفخم ، ولا فرق إذا سكن ملاك الجمال كوخاً في  
الحقول أو قصرآ في المدينة ؛ ولن يتمكن صخب  
المجتمع من إقلاق راحتنا وهي تجد في الدنيا ، وأنا  
أجد فيها الحياة

وتفقدت الأميرة غرف القصر وقاعاته وعلى  
شفتيها ابتسامة الرضى ، فهتف الشاعر لها وناجى  
آلهة إلهامه قائلاً : لقد فهمت أميرتي ما يدور في



وسقطت صاعقة المسادة على رأس ابن الشر  
فأنحني منكسراً وفي عينيه دموع وفي قلبه نار  
وكتب سعيد إلى جميل يقول :

« ليس بين الناس من يفوق شقاؤه شقاؤى ،  
إن أميرتى لا تفهمنى »

لقد لاحت على وجهها ليلة الرقص بوار  
انبساط وسعادة ما رأيت عليه مثلاً ليلة زفافنا .  
عرفت طبيعة هذه الأميرة ، فهي عاشقة صاف  
وغرور ، فيها كبرياء وليس فيها عظمة ، في صدرها  
أطماع وليس فيه قلب

تقدمت إليها وهي سكرى بانتصار جمالها فقات  
لها همساً : أنت ياسيدتى زهرة بلا عطر . أنت  
امرأة بلا قلب ، وقلب بلا غرام

فلم تفارق الابتسامة شفيتها ، فكأننى لم أقل  
لها ما قلت . ثم تنازلت وحدقت فى قائلة : صدقت ،  
أيها السيد ، أنا الزهرة التى تسلب الطبيعة روعة  
جمالها ، وتنشق من النشر أريجها دون أن تجود  
بمطرها على أحد ...

ومرت أمامى ورأسها يشمخ كبرياء وتوارت  
بين الراقصين كأنها القمر الضاحك بين النجوم ،  
ولكننى أذكر أنها زودتنى بنظرة حسيرة لم أتمكن  
من إدراك مغزاها

أذرف مى دموعاً على نفسى ، فأنا أتمس الناس  
وورد جواب الصديق هكذا :

« تذكر ما قلت لك ، فقد تأيد حكى »  
ووقفت أمام قصر الشاعر عربية تجللها رهبة  
الموت

نزل السائق عن مقعده وضرب باب القصر ،

وكانت الشمس تودع الأرض وقد شحب وجهها  
المحترق . خرج الخدم وتقدموا إلى العربية فوجدوا  
فيها مولاهم مضر جاً بدمه ، وفي صدره خنجر وبين  
أصابعه ورقة خط عليها : « ايرحمى الله ، فما هى  
الجانية على »

وانطرحت الأميرة على جثة زوجها وقد ربت  
لهذا الشهيد الهائل ؛ وعند ما ألصقت شفيتها بجبينه  
البارد كانت تنادى نفسها قائلة :

للزهرة أن تنور فى الروض مكتومة الأريج ،  
فإنها إن لم تحى الصدور لا توقف نبضان القلوب ؛  
أما المرأة الجامدة المغرورة التى حرمت نفحة الحب  
فهي بليدة على نفسها وخطر على الناس . لعن الله  
يوماً جئت فيه الحياة بما لا يجدى ، وأنا محرومة  
من روح الحياة . إذا ما تلاشتى الحب فى قلب المرأة  
فإنه ليستحيل إلى سُمٍّ زعاف يسرى فى عروق كل  
من يمد لها يداً . وبلى لعاشق الزهرة البشرية التى  
لا عطر فيها

ومر جميل على قبر سعيد ليبيكه فرأى قرب  
اللحد زهرة نبتت بين حجرين حمراء ناضرة تمايل  
مع النسيم . جثا الصديق الوفى وصلى فارتفع عبير  
الاخلاص من روحه ، وبقيت الزهرة كاتمة أريجها  
وهي شاحخة برأسها تباهى بجمالها

وجالت بين أجفان الصديق الوفى دموعاً محرقة  
فقال :

لعل المرأة التى لا تحب قد استحالَتْ إلى زهرة  
لا تجود بالعبير على قبر الشاعر ، ليكون هذا القبر  
كمن نوى فيه مكلاً بحب الجلال محروماً من  
جمال الحب

ف . ف



## يَوْمِيَّانَا فِي الْإِكْرَافِ

للأستاذ توفيق الحكيم

(تابع)

١٥ أكتوبر . . .

لم يمكث الأمور عندى طويلاً ، فقد ذهب سريماً ، وانقطعت عني أخباره ؛ وطلبت كثيراً بالتليفون في المركز فلم يدر أحد أين مقره . كل ما عرفوه عنه أنه خرج في « البوكس فورد » مع معاون ولم يعد ، وانتظرته طول نهاري لأعرف منه . . . ؟ ولكن النهار انقضى وغربت الشمس وعيل صبري ، فشيت بنفسي إلى المركز فلم أفر بطائل ؛ وقال لي قائل : لعله عرج على النادي فهذا ميعاد جلوسه فيه . فما ترددت ، وتوجهت إلى النادي فاستقبلني أعضاء دهشين أول الأمر ، ثم هرعوا يقدمون إلى الكرسي « السليم » الوحيد في تلك الحجرة زيادة في الاحتفال بي . فسألت عن الأمور فقالوا إنهم لم يروه وأنهم يعجبون لغيابه عن النادي حتى هذه الساعة . فلما علموا مني أنه خرج من الصباح مع معاون في « البوكس » ولم يعد صاحوا جميعاً ، من فم واحد :

— لا حول ولا قوة إلا بالله !

وصاح صوت من بينهم :

— ضمنا وضاعت فلوسنا والموض على الله !  
ولم أفطن إلى مرادهم في مبدأ أمرى ، ولكن

التفاته حانت مني إلى المائدة والورق المطروح عليها في انتظار اللاعبين . ففهمت للفور وتذكرت ما قيل لي من أن الأمور لم يعرف الخسارة قط في هذا النادي ، وأنه اعتاد في أوائل كل شهر أن يربح كل مباريات الموظفين ثم يظل طول الشهر يقرضهم ما يحتاجون إليه للأكل والمعاش حتى لا يموتوا جوعاً إلى أن يقبضوا ، فيلاعبهم من جديد ويأخذ مرتباتهم الجديدة ويقرضهم ما يعيشون به طول الشهر ، وهكذا دواليك . وقد اعتادوا هذه الحياة ورضوا بها ، وهم يعززون أنفسهم بقولهم : « سواء أكانت النقود في جيبنا أم في جيب حفرة الأمور فالنتيجة واحدة . . . » شيء واحد يقاتلهم ويخيفهم أشد الخوف ، هو خروج المأمور بأموال البلدة « للملاعبة » مركز آخر . فالأمور يضجر أحياناً من ملاعبة هؤلاء الفلاسين وقد تجردوا ، فينتخب تارة نفرأ من خيرة اللاعبين وينتقلون لمنازلة المركز المجاور كما تنتقل فرق كرة القدم . . . وتارة يخف المأمور بمفرده أو مع معاون ، إلى



مكسر صابغ شعره . لكن المركز كله بالخفر  
والمسكر تحت أمرنا ، يضرب لنا سلام . قامت  
امرأة القاضي ونزلت فلبست لها الوسام الأحمر  
عهدة الحكومة فوق الفستان البعبي المسوخ  
وطلمت تقول لها : « قطع لسانك وأنته سفينة !  
أنتم صبيح مالكم إمارة إلا على خفيرين مغفلين ،  
لكن من في البلد كلها يقدر يحبس ويشنق ويقول :  
حكمت المحكمة غيرنا ؟ »

ولقد أحسست شيئاً من الحرج في استماعي إلى  
هذا الكلام ، فما إن فرغت من شرب القهوة  
حتى وضعت الفنجان على المائدة في هدوء ونهضت في  
الحال مسلماً مودعاً وانصرفت

سرت في الطريق إلى منزلي أفكر . ولقد  
تمهلت في خطاي ، إذ لم أجد في نفسي رغبة إلى  
الاحتباس بين جدوان أربعة مع أكداش من الشكاوي  
المتأخرة أضع أنفي في تراب ملفاتها . وإن رأسي  
بعد لمشغول بغياب الأمور ، أترأه قد وجدها ؟ ..  
أين ذهب بها إذن ؟ والشيخ عصفور ماذا جرى  
له ؟ العجيب في الأمر أن يستطيع هذا المصفور  
أن يختطف هذه الزبقة ونحن عنه غافلون ! الحقيقة  
أننا لم نفطن إليه . لقد استطاع أن يختطفها من  
يد الأمور في خفة ومهارة . نعم ، من يد حضرة  
الأمور لا من يدي أنا . ولكن الأعجب من هذا  
أن تطيعه الفتاة وتذهب معه راضية . فهو من غير  
شك لم يكرهها ولم يحملها قوة واقتدارا . ما سر هذا  
التأثير وهذا النفوذ العجيب وهو لا يكاد يعرفها  
ولم يكن بينهما لقاء طويل ؟ أترأه قد أغراها بالهروب ؟  
ولكن ما الذي يدعوها إلى الهروب ؟ أمى مجرمة ؟  
أهذا الجلال الرائع يجرم ! أم نحن المجرمون إذ نظن  
السوء بالجمال ! إن من المسير على نفسي أن أتصور

تأقرب بلدة يلعب « حورين » ويرجع ، وتارة يستقبلون  
في ناديهم « منتخباً » قادمًا من بلاد أخرى . هنا  
في مثل هذه المقارعات الحامية الوطيس بين بلدة  
وبلدة يتعرض للخطر جيب الأمور أعني مرتبات  
المركز . . . .

على أنني لم ألبث أن أدخلت الاطمئنان على  
قلوبهم بقولي لهم إن الأمور قد ذهب في غالب  
الظن لعمل يتعلق بقضية تشغل بالنا . فهدأوا  
وجلسوا لحظة ساكنين أدباً واحتشاماً ، ثم أخذوا  
يتحدثون ويثرثرون قليلاً أثناء شرب القهوة ، إلى  
أن قال أحدهم في نبرة الترحيب :

— ربنا عوضنا خير بتشريف البك النايب ،  
لأن حضرة القاضي انقطع عن النادي من زمن ...  
بسبب سوء التفاهم . . . فنظرت إلى المتكلم وقد  
بدا في عيني المتسائلة مادعاه إلى الاسترسال :  
— أي نعم ، سوء التفاهم بينه وبين البك  
الأمور

وأمن في الثروة فقال :

— المسألة أصلها خلاف بين السيدات مع  
بعض . الست حرم القاضي واقعة مع الست حرم  
الأمور

فأطرقت صامتا ، وظن الحاضرون أن بي  
رغبة إلى الاصغاء .. فانطلق أحدهم يقول :

— آخر أخبار أنهم ظلموا بعض فوق الأسطح  
ونزلوا في بعض « روح » من النوع « النظيف » ،  
امرأة الأمور إغاظة في صاحبها راحت لبست سترة  
زوجها الرسمية بالتاج « والضبورة » وغطت رأسها  
من غير مؤاخذه « بالطرحة أم تتر » وقالت لها  
بالصوت العالي : « أنتم حواليكم إلا قلة القيمة !  
لا يمشي وراكم إلا حاجب « ربابيكيا » نص عمر

أو أنه على الأقل قد اطلع على سر الفتاة وغاض  
بميينه البراقطين في بحار نفسها العميقة المظلمة . ولكن  
هل يفضي هذا الشيخ اليينا بشيء ؟ إنه هو نفسه سر  
مغلق ، ولست أدري أهو حقاً أبه أم خلف هذا  
الوجه الساذج ...؟؟ وكنت قد بلغت المركز .  
ورأيت يبابه « البوكس فورد » فعلمت أن المأمور  
قد عاد ، فأمرعت واقتحمت عليه حجرتي فألفيته  
ماتق على « الكنبه » وقد خلع طربوشه وأمسك  
القلة الفخار يجرع منها والعرق يتصبب من جبينه  
فلم يكذبني حتى صاح :

— المسألة وحياتك فيها شغل سحر ! لا بد  
أن الشيخ الكلب سحر البنت . تصور أننا من  
الصبح لغاية ساعة تاريخه ما تركنا في دائرة المركز  
غيط ذرة ولا زراعة قصب ولا ساقية ولا طاحونة  
ولا كفر ولا دوار ولا ترعة ولا أرض ولا سما  
ولا طريق زراعي ولا جهنم حرا إلا قابنها وفتشناها  
شبر شبر . لو كانوا انقلبوا طير على الشجر أو سمك  
في البحر كنا وجدناهم . لكن المصيبة أنهم ...  
فما عمالكت أن قاطعته :

— المصيبة أنهم على بعد خطوة من هنا  
يا حضرة المأمور !!

فوضع المأمور « القلة » على الأرض ونظر إلى  
فاغرا فاه :

— إيه ؟

فقلت في شيء من الحدة :

— طير إيه وسمك إيه !! الرجل والبنت قدام  
باب المستشفى من ساعتها .

— المستشفى الأميري . ١٢

— قم يا شيخ قل لواحد عسكري يروح  
بناديهم من هناك ، بلاش أمور ...  
ولم أتم بقية عبارتي ، فقد نهض المأمور فرحا

الجمال غير مقترن بالفضيلة . الجمال الحق والفضيلة  
الحق شيء واحد . ولكن المصائب قمر الدولة عندما  
سئل عن الضارب فاه بكلمة واحدة ما زال جرسها  
الباهت يرن في أذني : « ريم » ! ولكن ما بال  
الفتاة صرخت وذهلت إذ علمت بالجناية أول مرة ؟  
أهو تصنع وتمثيل ؟ لقد خلعت آهتها قلبي خلعا في  
تلك الليلة . وما أشك في أن المأمور وهو على الأقل  
ذو خبرة بالقرويات قد تأثر مثلما تأثرت . فان كان  
مكر مثل هذه البنية الرقيقة يجوز على أمثالنا  
فأحرى بنا أن نوضع في مرابط البقر لا أن نوضع  
أمامنا نفوس الناس نستطلع مجاهلها ونستكشف  
أسرارها . وألهتني هذه الخواطر وجملتني قدماي  
من دون قصد إلى المستشفى وصررت يبابه الكبير  
ووقعت عيني اللاهية على ذلك النظر المعتاد  
من الأهالي والنساء والصبيان الجالسين القرفصاء  
فلم أحفل بهم . ولكني لم أكّد فأذدر هذا الجمع  
حتى وقفت دهشاً . فلقد لمحت تحت الجدار على  
بعد قصبة من الناس الشيخ عصفور جالسا  
إلى الأرض وهو مطرق ينكت التراب بطرف  
عوده ويجواره الفتاة وقد أسندت رأسها إلى  
الحائط نعباً وإعياء أو كآبة وحزناً . فهمت كل  
شيء . إنها جاءت المستشفى تسأل عن حال المريض .  
وإنها اتخذت من الشيخ الأخضر دليلاً وصاحباً  
ومميناً ، وكان ينبغي لكائنا أن يتجه في بحثه إلى  
هذه الجهة القريبة . ولكن ما العمل الآن ؟ إني  
بمفردي ؛ ولا سلطة لي بغير رجال الحفظ ألقى اليهم  
بالأمر . لا بد إذن من الذهاب من فوري إلى دار  
المركز لأبث أحد المساكر يأتي بهما . وأسهرت  
في السير قبل أن يعلم برؤيتي لهما فيهربا خوفاً مني .  
وابتعدت عن المكان وأنا أقول في نفسي : « لاشك  
أن الشيخ عصفور يعلم الآن كل أسرار القضية .



قبل أن يسمع مني . وضاح بصوت جليجل في صحن المركز :

— يا شوايش عبد النبي !

نجاء من ناحية الاسطبلات رجل عملاق في قميص وسراويل بيضاء ورفع يده بالسلام وقال :

— أفندم سعادة البك !

— قم حالا مع نفرين للمستشفى الأميري ومعكم قيد حديد ...

فتردد الرجل وقال مقاطعاً :

— « أودة التبن » مفتوحة يا سعادة البك والأنفار جارين العليق والفرش للخيول ...

فصاح فيه الأمور :

— يا حصان نفذ الأوامر ! إن شا الله عن الخيل ما باتوا في ليلتهم . قلت لك قم في الحال

— حاضر يا أفندم !

وتركت الأمور يفهم مرؤوسه ما يتبع . وانصرفت إلى مكنتي بعد أن أوصيت الأمور أن يلحق بي مع المقبوض عليهما . فأنا لا أحب مطلقاً التحقيق في دار المركز وهي ليست داري . قرب المركز هو الأمور . ولا أرضي لنفسى أن أكون في كنفه أثناء عملي . خصوصاً في هذه القضية وأمام هذه البنية . وذهبت على عجل وأرسلت من يستدعي كاتب التحقيق . ولم يعض قلبل حتى كنت في حجرتي جالساً إلى مكنتي أطيل النظر إلى الباب نافذ الصبر منتظراً قدوم الفتاة كأنه موعد لقاء

وسمعت نقرأ على باب الحجرة . ودخل الأمور يسألني للفرور عن المطالوبين فأجبت أني لم أر أحداً بعد . فجلس وهو يقول إنه أرسل من يأتي بهما . وجعل ينظر هو أيضاً إلى الباب ويفتل شاربيه . وجاء كاتب بأوراقه ونشرها أمامي . واستعد كل

منا . وإذا بجلبة ترتفع في الردهة وصوت أقدام ثقيلة وصلصلة حديد ، وطرق الباب علينا ، ثم فتح وألقى بيننا الشيخ عصفور وحده مكبل اليدين وخلفه الباشجاويش يحمل له عوده الطويل . فوقع في نفسى قلق . وشمرت بوقع مثله في نفس الأمور . فقد ابتدر الباشجاويش صائحاً :

— والبنت . ١١

— وجدنا الرجل وحده فقيضنا عليه يا أفندم

— وحده . ١١٢

قالها الأمور كما قلتها أنا في نفس الوقت ، وقد اختلط في نفسينا الأسف بالمعجب والغضب . وخرج الأمور عن طوره فنهض وصرخ في وجه الشيخ عصفور قائلاً :

— البنت . ١٢

فلم يبد الرجل حراكاً . وأجاب في هدوء رصين :

— بنت مين ؟

فنظر إليه الأمور نظرة شرراء وقال :

— إئت يا رجل شارب حشيش . ! ؟ شغل الحشيش أنا أفهمه طيب !

وأراد أن يلكمه بقبضته القوية فمنعته من ذلك ، وأمرت الشيخ أن يدنو مني فدنا فسألته في رفق :

— ريم كانت معك ؟

فأجابني الرجل من غير تردد :

— أبداً

فأدركت أن عين الرجل البراقة قد لمحتني عند مروري بباب المستشفى ، وفهم بذلك أنه ماسيكون فأخفي الفتاة في الحال ، أو أن الأمر غير ذلك وأن عيني هي التي خانتني فلم تكن ريم إلى جانبه ، وأن خيالي السابح في جو هذه الفتاة قد ألقى صورته

وأثوابها على امرأة أخرى من الفلاحات المنتظرات  
بالباب . كل هذا جائز ، ولكن أين ذهبت ريم ؟  
ولماذا أنهم بصري ولا أنهم هذا الشيخ المخايل ؟ ومن  
هو أولاً هذا الرجل ؟ وصحت فيه من فوري قائلاً :  
— تعال يا رجل انت !

— محسوبك .

— من أنت ؟

فنظر إلى الرجل نظرة من لم يفهم السؤال .  
فألقيت عليه العبارة من جديد في شدة وقوة ،  
فقال :

— أنا ... أنا عصفور ، ألقط الحسب فوق  
التراب ، وأعبد الرب تحت التراب !  
— تكلم جد يا رجل . اسمك ؟  
— عصفور .

وأشار إلى يديه وفيها القيود وصاح :  
— أطلقوني ! من حب النبي يطلقني ...  
فأمرت المسكر بفك القيد من يديه ، وسألته  
في صرامة :

— صنعتك ؟

فتردد الشيخ قليلاً وسكت لحظة ، ثم لفظ  
آهة من أعماق قلبه ورجع برأسه إلى الوراء ،  
وجمدت عيناه كأنهما تنظران إلى شيء لا وجود له  
في عالم الحس والحقيقة ورفع عقيرته بالغناء :

« أنا كنت صياد

وصيد السمك غيّه

نزلت بحر السمك

أصطاد لي بنّيه

وعجبنى شكل السمك

في البحر حوألينه

واحد بياض شفتشي

والثانية بلطيه ... »

فقاطعه الأمور ضاحكاً :

— مفهوم ، مفهوم ! والى غرقت في الرياح  
من سنتين كانت البياض والآن البلطية . ؟ ؟  
فلم يجبه الشيخ ولم يلتفت اليه ومضى يغنى :

« واحد بياض شفتشي

والثانية بلطيه

والثالثة من بدعها

سحرت مرا كبيّه »

وتنهى في العبارة الأخيرة وأخذ صوته فيها نبرة  
عجيبة ذات معنى ارتجفت له قليلاً ، ونظرت من  
طرف خفي إلى المأمور فرأيت أنه قد اختلجت عيناه ،  
ولكنه تجلد وتحمّل وقال للرجل :  
— ومن هم المراكبية ؟ ! !

فأطرق الرجل وصمت صمتاً عميقاً . ولست  
أدرى أهو أيضاً خيال مني أو حقيقة ما اعتراني  
من شعور بأن هذا الشيخ قد فهم ... وأنه قد  
أدرك ما بنا منذ اللحظة الأولى ... »

( يتبع )  
نوفيس الحكيم

## قصص اجتماعية

مترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله عمار

مجموعة من القصص الرفيع الشائق لثمانية من أعلام  
الأدب الفرنسي هم : بورجيه . كوييه . أناتول فرانس .  
موباسان . تيريه . مارسيل برينو . دي بانفيل . جان  
لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .  
في ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب  
ثمنه ١٠ قروش ويباع مؤقتاً بـ ٦ قروش بخم ٤٠٪  
عند البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه  
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب





وأطل الغلام من النافذة مرة أخرى فأبصر حملاً صغيراً قد أذهله منظر السيارة فثبت في موقفه حائراً دهشاً ... وأعجب الطفل بمنظره فصاح :  
— ألا ترين هذا الحمل الوديع يا أمي ؟ ألا يمكننا أخذه معنا ؟

فضمته أمه إلى صدرها وجعات تقبله وتحنو عليه ؛ وانفجر الأستاذ لاماس من الغيظ فأعمل محرك السيارة واندفع بها فجأة ، فلم تكدر تنبث حتى وثب له أحد الرعاة وأكرهه على الوقوف ؛ ثم صرخ فيه مزجراً مهدداً وأراه على ضوء مصباحه جثة الحمل ، وقد فرسته السيارة ودقت أضلاعه ، وكان الدم ينهمر من فمه الصغير ...

— وارفع جان ماري وفزع لهذا المنظر المرعب وجعل يصيح وقد لاذ بأمه ، وأخفى رأسه في صدرها :

— يا للشقي ... يا للشقي ! لقد قتل الحمل ... لقد قتل الحمل !

فأخذت أمه تسكن روعه على حين ارتفع صوت لاماس وقد اشتد الجدل بينه وبين الراعي في ثمن الفريسة المسكينة .. وبعد حجاج ولجاج أخرج الرجل ورقة مالية ورمى بها في غضب إلى صاحب القطيع ، ثم رمى الطفل وأمه بنظرة المنسخط ، وانطلق بالسيارة لا يلوي ...

غابت الشمس وأظلم الليل ولف الطريق في سواده ؛ فأنكشف على طرف الأفق نور يزهر في العتمة وهو يتحرك فيملو وينخفض كالنذير ليألف إليه أنظار السابلة ؛ فما إن اقترب منه الأستاذ لاماس حتى أوقف سيارته ثم مد عينيه في ضوء مصباحها الوهاج فاذا سواد عريض من قطعان الغنم تتابع في سيرها مقبلة كاللوج يدفع بعضه بعضاً ، وسطع له الضوء على مثل البحر من الصوف ، وملأت مسامعه الضججة من ثغائها ورنين جلاجلها النحاسية وقمقة أظلالها على أرض الطريق ... ثم أخذ الرعاة يزجرونها وينعقون بها يستحثونها للسير حتى حاذت السيارة فتبعثرت حولها وجعلت تحتك بها فملأت الجو من ربح أصوافها الكريهة ونشرت عليه سحابة من غبارها الخانق ...

وعندئذ انحدر جان ماري من حجر أمه ودنا من نافذة السيارة ففتحها ، وأخذ يلفو ويهال ويهتف :

— الخراف ... الخراف ... إنها ولاشك مقبلة من جبال الألب ، جبال الثلوج والذئاب ... أترينها بالغة خطيرتها الليلة يا أماء ؟

فصاح به لاماس وله زئير :

— هلا عقلت أيها الأحمق الصغير ... فمالك ولهذا ؟

معها خريطة الطريق فأمرت ابنها أن يردّها الى  
السيارة ؛ فلما نزل الطفل ، وقع في أذنيه صوت  
صديقه مالميسيه ، وهو طفل أبله ، وكان يحدث  
لاماس فيسأله هذا الأخير :

— ماذا قالت لك ؟ تكلم وأوضح

فأجاب مالميسيه وهو يقطع ألفاظه :

— لقد أمرتني « ميون » أن أنتظر هناك  
لأبلغك أنه لم يأت اليوم أحد

— إذن قل لها إنى سأراها غداً في الساعة  
الخامسة

فانتظر جان ماري حتى خرج الغلام ثم دخل  
فصاح به لاماس :

— ويحك ! ما الذى جاء بك ؟

فكان جوابه أن رى بالخريطة في السيارة ،  
وانسل راجعاً ولم يتكلم

\*\*\*

جلس الأستاذ لاماس يأكل طعامه ، وكان  
موزع الفكر ، وحمل يراعى زوجته بنظرات  
كنظرات الأعداء ، وهى غافلة عنه إذ كانت  
كعادتها منذ شهرين ، تهيم في عالم الخيال تهنئاً  
بسمادتها ؛ وكان جان ماري يراقبه فيلاحظ منه تلك  
النظرات التي تهدد سمادة أمه ، فيرتاع لها ويود  
لو صرخ في وجهه : « أيها القاتل ... أيها القاتل »  
وكان من عادة لاماس وهو مدرس علم التاريخ  
في الليسيه بمدينة أورانج ، أن يذهب الى تلك  
المدينة لألقاء دروسه بعد الظهر من أيام الاثنين  
والاربعاء والجمعة . أما يوم الثلاثاء فيقضيه هناك  
في إعطاء الدروس الخاصة . فوالذى عاقه عن السفر  
اليوم مع أنه يوم الثلاثاء ؟ لقد كشف زوجته بنية  
أن يخرج وإياها الى متنزه فلم تستجب له وذهبت

وكان الراعي قد أمام ذلك الحمل القليل على يديه  
كالطفل الصغير فانثني عنقه وتدلّى رأسه في  
مسكنة وذبول ... وانطبع هذا المنظر الخفيف  
الهائل في خيال الأم وزاده هولاً نظرها الى طفلها ،  
فجملت تضمه إليها وتهدهده وهو ينشيج في بكائه ؛  
وضاق الأستاذ لاماس فصرخ :

— أما آن لك أن تسكت أيها اللعين !

فكانت الصرخة كالضرب ...

وسكت الطفل وأخذ يفكر ... إنه لا يحب  
هذا الرجل العاقي وهو غريب عنه ، ولم يكن ليقول  
له « يا أبى » لولا ضراعة أمه إليه ... كلا إنه لا يحبه  
ولقد أصبح ينفقه أشد المقت ويمده قاتلاً ككل  
قاتل ... ألم تكن في قلبه رحمة ؟ ألم يكن يستطيع  
الانتظار حتى تجوز الغم ؟ ولم هذا الغضب ، ولم  
هذه القسوة ، ولم هذا النظر الشزر ؟ ألا صبراً  
صبراً ... فهو لم يبلغ السابعة بعد ... ولكنه  
سوف يشب شبابه ، وسوف ينتقم ما ينتقم لذلك  
الحمل ثم ... وأخذت الأفكار تموج في رأسه  
وتضطرب وخيل إليه أنه هو تلك الفريسة ، وأن  
السيارة مندفة إليه تحطم أضلاعه وتدق به مضه  
في بعض ، فصاح من رعبه :

— يا للوحش ... يا للوحش !

وانحنى عليه أمه متفزعاً وسأله عما به ،  
فأجابها لعله كان يحلم ...

وانطلقت السيارة تحت الليل البارد حتى إذا  
بلغت نهر الرون عبرته وانحدرت الى نهاية الرصفة ،  
وهناك منزل لاماس ، فقال هذا الأخير لامرأته :

— اصعدى أنت فأعدى العشاء وسأدخل

السيارة في حظيرتها

وصعدت المرأة في السلم ثم ذكرت أنها تركت



ستقضي الليل بجانب ذلك الرجل ذي العينين  
المبدوتين؟

وثب من سريره وفتح الباب، ثم صعد السلم  
يسرق خطاه حذراً أن يسمع خفق قدميه، ومضى  
يقترّب من حجرتيهما، وكان الضوء يتخايل من  
أسفل الباب

وأنصت فلم يسمع حساً، فراه هذا السكون...  
إنه خائف، ولقد ارتجف... يا الهي! أما من كلمة  
في فم أو في فمها؟ كلمة واحدة يسمعهما فيسكن إليها  
وشق سمعه صوت أمه وهي تقول في حدة:

— ألم يأن لك أن تخبرني ماذا بك يا شكتوريان؟  
فأجابها لاماس إنه ليس بشيء، ثم أطفأ النور  
وعند ذلك اطمان جان ماري على أمه فارتد إلى  
غرفته؛ بيد أن الأبرق استولى عليه فلم يجد النوم  
إليه سبيلاً؛ فأخذ يفكر في صديقه ما ليسيه وفيما  
أرسلته به الموضع المعجوز... ولماذا انتظر في  
(الجراج) ولم يلق الرجل في المنزل؟

ثم أشفقت ملائكة النوم على هذا العقل الصغير  
من الحمى التي انتابته، فتنفست على وجهه، فأخذ  
الكري بأجفانه وفام... وارتفع في الخارج هدير  
مياه النهر وهي تتلاطم على صفتة الصخرية، ورفرت  
في الفضاء روح الحمل المقتول...

\*\*\*

وفي الغداة ذهب جان إلى المدرسة فجلس غائب  
الفكر مهموماً، تلقى أمامه الدروس فلا يصني إليها  
ولا يفقه منها شيئاً... ولما انتهت الدراسة أوفض  
إلى الميدان الذي تعود أن يقابل فيه صديقه ما ليسيه  
فالتمس حتى وجده ثم ألطفه بشيء خصه به، وجعل  
يتسقطه ليكشفه عن سره حتى أفضى به إليه ثم  
تواطأ معاً على الكتمان

وأسرع جان بعد ذلك إلى المنزل فكان فيه

على خلاف عاداتها إلى المدرسة، فصحبت ابنها عند  
خروجه وجملت ذلك عذراً تعتذر به، فغضب  
الرجل وقال: إن هذا عذر سخيف... لكن لماذا  
قال ذلك؟ آه... إن جان ماري قد بدأ يفهم...  
فبالقرب من المدرسة يقع منزل والدته الأول...  
منزلها الذي ولدت فيه وورثته عن أهلها وعاشت  
فيه مع أبيه قبل أن يُقتل في حادثة الطائرة... إنه  
يذكر هذا المنزل... لقد كانوا ينزلون منه في طبقته  
العليا، وأبت أمه أن تؤجره بعد وفاة أبيه،  
وراعمت في ذلك زوجها الجديد لاماس؛ فجاء  
هذا بالمعجوز الدميعة «ميون» وهي رطّره،  
فأسكنها في الطبقة الأرضية نكابة بامرأته...

نعم إن جان ماري بدأ يفهم... فليس من ريب  
أن أمه انما تعمدت اليوم أن تمر بذلك المنزل لحاجة  
قلها إلى الذكرى... ولكن لماذا يغضب لاماس؟  
أليس هذا من حقها؟ ولماذا يرامقها بتلك النظرات  
المبدوة؟ إنه يكائدها منذ شهرين... فلا جرم  
أصبحت تندم على زواجها منه وإن كانت في حاجة  
إلى هذا الزواج لراحة حالها... ولكن جان ماري  
لن يكشفها بما يعلم اشفاقاً عليها... أنه رجل، وإن  
من واجبه أن يحميها من ذلك الشق السفاح...  
الذي قتل الحمل...

وجمع تحت المائدة قبضتيه الصغيرتين يهدد بهما  
الرجل ويتوعده...

\*\*\*

أرقدت الأم ابنها في سريره، وطبعت قبلتها  
على جبينه فأمسك بها وقال:  
— إني أخاف عليك يا أماء... أفلا تبقيين  
معي يا طفاتي الصغيرة؟

نخفت من جأشه وخرجت من الغرفة بعد  
أن أوصته بالنوم. ولكن أنسى له أن يهجع وأمه

وبهذا كان دائم التردد على منزلها . وكان الجميع يتهزأون به ويسخرون منه إلا صديقه جان ماري فبينهما الطفولة والصداقة

والتقى هذان الطفلان كما اتعدا في الصباح ثم سارا الى دار ماليسيه وتربصا حتى دقت الساعة الخامسة فاسرعا الى موعد الأستاذ لاماس في منزل ظئره المعجوز ، وانسلا اليه من باب خافي عهد بفتحائه الى ماليسيه لأطعام الدواجن ، ورأيا وسمعا ...

\*\*\*

جلسوا للعشاء ، وكان جان ماري صرخبكا يود لو أسرعوا في الطعام مخافة أن يدرك لاماس شيئا من أمره ، أو يستريب به ، أو يسأله سؤالا ينكشف فيه ... غير أن الأستاذ كان لاهيا بشأه وبالأفكار التي تذهب وتجيء في رأسه . أما والدته فكانت كعادتها شاردة الفكر تلتقي في الخيال برجل قد عرف جان اسمه منذ ساعتين فقط ...

وفرغوا من الطعام وأوى جان الى فراشه ولم يحاول في هذه المرة استبقاء أمه الى جانبه ، فالخطر لا يزال بعيدا ولا يزال في الوقت سمة ؛ ثم هو في حاجة الى أن يتدبر ما رآه وما سمعه في منزل الظئر المعجوز ...

كان يكمن في الغرفة المجاورة ، وجعل يوصووص من ثقب في الباب ، فرأى لاماس يدخل فيجلس بجانب المعجوز ؛ وحدثته فيما حدثته به أنها تسمع في كل ثلاثاء ديب خطوات في الطبقة العليا ، وأنه قد تبين لها أنها خطوات رجل وامرأة ... أما أمس فلم تسمع شيئا وقد أبلغته ذلك في لسان ماليسيه فأوما لاماس برأسه وجعل يحدق في نيران الموقد كما كان يحدق في الموضع الذي سقطت فيه الثبنة ، وكما كان يرامق زوجته بالأمس ...

لوقته المعلوم ؛ ثم جاءت أمه في عقبه وكانت قد خرجت تبتاع شيئا من الفاكهة ، فوضعت ما تحمل وأخذت تداعب ابنها وهو ينظر إليها في إعجاب .. لقد كانت جميلة في تلك الساعة فخرجت وجنتاها وشع السرور من عينيها ، وتهيدات خصل من شعرها الأسود الفاحم على جبينها المشرق الوضيء . وأرادت أن تسوى شعرها فتناولات مثبنتها (١) وفتحتها لتخرج منها المشط ولكنها ندت من يدها وانقلب ما فيها ، فلحظ جان بين أشياءها مفتاحا وخطابا غفلا من المنوان ، قد علق به الغبار كأنما التقط من الأرض ... فأهوى ليأخذه ولكن أمه أسرعت فاخطفته وغيبته في حقيبتها وقد زاد احمرار وجهها

وفي تلك اللحظة انشق باب الغرفة وخرج منه لاماس متشمئسا مبتدلا تمججه العين ، فقال لزوجته في لهجة الرتاب :

— هل خرجت اليوم يا أنى ؟

وأجابته :

— كانت الخادمة مشغولة بأعداد الطعام فخرجت اشتري الفاكهة .... إني ذاهبة لأغير ملابسى فراجعة بمد هنيئة

وأخذت ترتقي السلم وقد حلق لاماس في الموضع الذي سقطت فيه الثبنة ...

\*\*\*

كان ماليسيه في العاشرة من عمره ، وهو يتيم قد كفله خاله ، فكان الجيران يمتحنونه في أعمالهم بشيء من الطعام أو قليل من المال

ولما كانت الرضع « ميمون » مقعدة لا تقوى على الحراك فقد استأجرته هي أيضا في حاجاتها .

(١) الثبنة حقيبة يد المرأة



جملت الأيام تمر ووجهه يزداد في كل يوم  
شحوباً ، وتفرض جبينه من القطوب والفكر ،  
ولم تلاحظ أمه هذا التغير الذي طرأ عليه فقد  
شغلها عنه سمادتها وأحلامها ، وكانت تخرج كل  
صباح ... إنها هي لاتعلم ولا تحذر ، ولكن جان  
ماري موجود يتأهب ليوم الثلاثاء ...

\*\*\*

وجاء اليوم الموعود فكان ما ليسيه صديق جان  
متكئاً الى دراجته على مقربة من مناجم الفحم ،  
وليث يتربح خروج دويناس حتى رآه مقبلاً  
فأمرع اليه وقال له في كلامه المتقطع :

— أصرتنى عقيلة الأستاذ لاماس أن أحمل  
اليك رسالتها فهي تريد ألا تلقاها اليوم وأن تبقى هنا  
عجب دويناس وحر في هذه الرسالة وفي  
الغرض منها . ألم تجد غير هذا الأبله فتأتمنه على  
السر ؟ وما بالها لم تكتب اليه بذلك ، وقد فعلت  
هذا من قبل ، يوم الثلاثاء الماضي ؟

ومنعته بلاهة الغلام أن يستقصي منه ، فألقى  
اليه بقطعة من النقد واكتفى بسؤاله : أهي مريضة ؟  
فهز الغلام رأسه بعلامة النفي ، أوما بها وهو  
يعتلى الدراجة ثم اندفع يدرج في الطريق وقد  
اطمأنت نفسه إذ وفق فيما عهد اليه

والتقى عند الظهر بجان ماري فأخبره بما صنع ؛  
وتهلل جان وسره نفاذ تذييره المحكم ... ثم وعد  
الغلام أن يجزيه عشرة فرنكات إن هو كتم السر  
وتقشمت سحابة وجهه فتلونت وجنتاه  
ولامت عيناه ، ورنّت في صوته نفثات القلب المطمئن  
الواثق ... إنه سيذهب الآن فيتحدث الى أمه  
ويكاشفها

ها هي ذي خارجة من غرفتها وقد تهيأت

إنها والله نظرات بغلي بها الدم في عروق جان  
ماري المسكين فيقزع في فراشه كلما تمثّلها ...  
وترى من هو كسافييه دويناس الذي جاء  
اسمه في حديثهما ؟ كسافييه ... كسافييه ؟ آه !  
لقد تذكره الآن ... فهو شاب مهندس جبل المنظر  
حسن الشكل ، يعمل في مناجم الفحم بالمدينة ؛  
وقد عرفته أمه في السنة الماضية على شاطئ البحر ،  
وكانت تستر اذا خرجت معه وتحاذر أن يراها  
زوجها فلم يرها . أما « ميون » فمعجوز مقعدة  
لا تبرح مكانها ، فكيف سقط لها هذا الخبر ، ومن  
أين لها أن كسافييه هو الرجل الذي يجتمع بأمه في  
الطبقة العليا كل ثلاثاء ! لهم يظنون ظناً فقط ...  
ولكن لاماس كان يقول للمعجوز ويكرر هذا  
القول :

— إني واثق من أنه هو بعينه . أنه هو بعينه  
الرجل

وكذلك صر في الحديث نبأ خروج أمه في  
الأيام الأخيرة كل صباح وتلقيها الرسائل تدس لها  
تحت الباب ... ثم قال لاماس

— سوف أأخذ مفتاحاً آخر لهذا الباب ،  
وسوف أنصبّ عليهما انصباباً في الثلاثاء القادم  
وسترين كيف يكون الانتقام ...

الانتقام ... يا إلهي ! إن حياة أمه كالمعلقة في  
خيوط دقيق ... ماهذه الحى ؟ إنه يهدى ... هاهوذا  
لاماس ينصب عليه انصباباً ليأخذه فيقتله ...

ثم أخذ يصيح في فراشه ففزعت أمه وأسرعت  
إليه ، ولكنه استمسك ولم يفض إليها بشيء إذ  
لا يجب في رأيه أن تعرف هذه العزيزة ما يتهددها  
بحشية أن يفضحها اضطرابها ... وهو وحده سوف  
يحميها ويعنمها

واستلّ جان ماري المفتاح من موضعه فدخله في جيبه وانطلق معلناً أنه ذاهب الى المدرسة ؛ غير أنه ما كاد يبتعد عن الدار حتى تحول الى مكان الموعد في منزل أمه فصعد الى الطبقة العليا وأغلق عليه الباب ...

لقد كان هذا المنزل موحشاً كالقبر ، فهو مغلق النوافذ بملاء الظلام وقد ركذ فيه الهواء وتلخّص إذمازجته رائحة الغبار المتراكم وقد تندّى بالرطوبة ارتعب الطفل وانخلع قلبه وأخذ يرتجف ... ولكن أيتخف وقد أشرف على نهاية تديره المحكم ؟ كلا ... إن ما يخشاه على نفسه لا يعد شيئاً في جنب ما يخشاه على أمه .

ودخل إلى البهو فجلس في ركن منه وأخذ يتلّى بالتفكير في المعجوز ميون تحت السقف الذي هو عليه ... كيف هي الآن ؟ إنها تمد عنقها الهزيل وترفع وجهها اللميم إلى السقف ، وترهف أذنيها لاستراق السمع ... ولكنها سوف يجعل من هذه الداهية ومن رضيعها لاماس أضحوكة أو أضحوكتين ...

وكان ينظر في ساعته بين الوقت والوقت على ضوء شعاع ضئيل ينفذ من صدع في نافذة ، فلما حانت الساعة الثالثة ، وهي ساعة الموعد بين أمه وصاحبها ، نهض واقفاً وأنشأ يسير في الغرفة ذهاباً وجيئة وهو يشد وطأته كالرجل ، ثم جعل يحرك الأثاث ويرجه رجا ليبلغ الصوت إلى مسمي المعجوز ... لا شك أنها مستطارة من الفرح ، مطمئنة إلى ما تقوله للأستاذ لاماس إذ تقول له « إنهما هنا » ؛ ولا شك أنه سيثب في السلم كالجنون ويفتح الباب بالمفتاح الذي اصطلمه ، ثم يقتحم البهو كالوحش الضاري ، وعند ذلك ... ؟ عند ذلك

للموعد وأبدعت زينتها ... ما أجملها ... ويا لها من مسكينة ! فهو سيحرمها مقابلة صديقها اليوم ... ولكن أليس هذا الحرمان عطاءً ؟ يوم واحد ثم تقابله بعد ذلك كل يوم ... إنه سيكشفها غداً ويفضي إليها بكل ما عانى في سبيلها ، وستمده بطلها العظيم وتمجّب به وتقبله كثيراً ... يا لها من سمادة ! إنه سعيد ، إنه سعيد ...

\*\*\*

جلسا يا كلان فقال جان لأمه وقد حوّل نظره عنها :

— لقيت اليوم صديق مالميسيه في رجوعي من المدرسة وكنت قد أعمرته دراجتي فأخبرني أنه صادف أثناء زهرته هذا السيد الذي تعرفينه ... أتذكرين ؟ هذا الذي قابلناه على شاطئ البحر ... ؟ فاختنق صوت الأم وغمغمت : — وماذا قال له ؟

قال له : « إني على جناح السفر الى بلدة سالون فبلغ ذلك لعقيلة لاماس »

ولم تشأ الأم أن تفيض أو تسكر من الأسئلة ، فان كل سؤال يحرك ظناً وكل ظن يبعث ريبة ، فسكتت ورفعت يدها من الطعام ، وانقلبت سحنتها فأصبحت كالنجم الساطع تغشاه السحاب ثم قطع جان ماري هذا السكوت فقال لأمه : — هل لك في زيارة عمتي الآنسة ريزون اليوم ؟ لقد تصرّمت الأيام ولم تذهبي إليها ...

وسرت الأم لهذه الفكرة التي خطرت كالوحي ، فهي لم تذهب منذ زمن طويل لزيارة تلك العائس ... وسيهون ذلك عليها ملل الانتظار الى القدي ؛ وفي الغد تقابل صديقها في المناجم

\*\*\*



جان ماري وستذهب لزيارتها ... أما غدا فان لم تتلق رسالة من دويديناس فأنها سوف ... ولكن ما هذا الصوت ؟ ما هذه الجلبة ؟ ما هذا الصباح ؟ أزاحت الستارة عن نافذتها ... فما هذا ؟ رجل مخفور مقبوض عليه ، حوله نساء يكيين ويتصايخن ويلعنن بكل لعنة ويرمينه بكل مسببة ! ولكن هذا زوجها ! وما هذا الذي خلفه ؟ يا الهى ... يا الهى ...

واندفعت تهبط السلم في غيروي فرأت بالباب رجلاً من أهل المدينة يحمل على يديه جثة هامدة يسيل منها الدم ؛ وقد اثنتى عنقها وتدلّى رأسها في مسكنة وذبول ... فصرخت ووقعت مفشياً عليها ، وتمثل لها الراعى وقد رفع الحمل المقتول على يديه وهو يلعن صاحب السيارة والسيارة بتعمد ...

محمد الرافعي

يضمق إذ يرى جان ماري ا فيبتسم له هذا باشاً في وجهه وينبئه في سذاجة الطفولة أنه اعتاد المجيء إلى هذه الدار في هذه الطبقة في مثل هذا اليوم من كل أسبوع ليلعب في منزل أبيه ... وبعد ذلك ... ؟ وبعد ذلك لا يرتاب لاماس إذا أخبرته المعجوز أنها تسمع خطوات في الطبقة العليا ... إن جان ماري لم يتمد السابعة من عمره ، ولكنه يعتقد في نفسه القوة والحكمة والدهاء ... وفشّق له دهاؤه أن يتكلم بصوت مرتفع إذ ربما كانت المعجوز تسمعهما يتكلمان أحياناً ... وطفق يمشي ويتكلم حتى نال منه التعب فاستلقى على مقعد وسكت ... أما يسكتان هما أيضاً بعد الفراغ من حديثهما ... ؟

وكان المقعد الذي يجلس عليه في ركن مظلم بحيث لا يراه لاماس عند دخوله ، فسيضطرمكرها إلى فتح النافذة لأطلاق الضوء ، وعند ذلك ... ؟ ولكن أوه ... إنه يسمع ديب خطوات على السلم ... ها هي ذي تنوقف ! لا شك أن لاماس يتسمع خلف الباب ... ألا إنه قد جاء وقت العمل ... وعليه الآن أن يتكلم ويرفع صوته ... ولكن ما صوته يتجشّج ! إن هو إلا صوت خافت ينبعث من ركن الغرفة المظلم كالهمس ... وفتّح الباب واستمر الهمس ... فأدرك لاماس « أنهما في لذهما ولم ينتبها إليه » وابتهج ابتهاج الوحش بالقنينة يراها غافلة عنه وهو يدب إليها ؛ وأخذته نشوة الانتقام ، فأفرغ رصاص مسدسه على مصدر الصوت ...

\*\*\*

وقفت الأم أمام المرأة تحكم وضع قبعتها قبل الذهاب إلى الأنسة ريزون ، فقد أعجبها رأى

كتابانه جديريانه

الموجبات

المحادثات

(١) فرنسي وإنجليزي وعربي (٢) فرنسي وعربي مع نصير النطق  
باللغة الأستانية مجزومة لم يخرج التجارة إعلينا بليرين  
وغيرهم القسم الأول والى بلاد المحفوظات العمومية بالقاهرة  
كله همداد وروس عمالية لا تحتاج إلى ترجمة الأولى يأخذ  
أبيك عن طريق القارية ، والثاني يتقلب بك على  
أحضان البنطس ، بكل منهما ٨٨ توضع غارانيا ، مغروران ،  
محادثات ، رسائل ، سنوات يتلاقون تلك جميع الصبابة ،  
ليس في غنى عن أحد مما طالعها أو راغب .

بتابع جميع الكتابات وتمنه ٦٦ مبدلاً

وبالبريد ٦٨ مليا طوابع يريد لكل واحد منهما



# الضمت

للكاتب الروسي ليونيد اندرييف

بِقلم الأستاذ عبد الرحمن صديقي

— ما أقسا كما كليكما !

قالت ذلك بصوت  
وئيد مع التشديد أبلغ  
التشديد على « كليكما » .

وقد تقلص وجهها المنتفخ  
المتحزن بأمارات من الألم  
والعنت ، وكأنها أرادت  
أن تفصح بسببها  
وأمارات محباها عن مبلغ  
ماتعاني من قسوة القوم :  
زوجها وابنتها

وأرسل الأب إجناتي  
ضحكة ونهض . ثم أطبق  
كتابه وخلع عدساته  
ودسها في علبتها وأطال  
التفكير مكتئبا وقد

القصة الروسية من أحق القصص بالعناية ، وذلك  
للطابع الذي انفردت به ، وللإنسانية العالية التي تشمل  
عليها ، ولأنها طبيعية صادقة ، ولتأثيرها العميق  
واستثارتهما للعواطف ، وأخيراً لما فيها من الدلالة على  
نفسية الشعب الروسي

وصاحبنا ليونيد اندرييف من أقرب القصاصين  
الروس الكبار عهداً إلينا . وهو ينظر إلى الأشياء  
على نحو خاص به ، ويصورها بلمسات قوية من ريشته  
المتفحطة تظهر النور والظل بأكثر أحجامهما وأبلغ  
تباينهما

وفي كل قصة من قصصه فكرة مجردة يحرك حولها  
الأشخاص والحوادث ، وهو مع هوله يحفظ التوازن  
ويشعر بأنه ليس في الدنيا شئ بحث ولا خير محض  
وأندرييف كمعظم معاصريه من القصاصين  
والكتاب نشأ من طبقة الشعب وعرف الضيق والجوع  
وابتلى بالكآبة والأسى . وقد تخرج في القانون  
واشتغل أول أمره بالرسم ثم بالصعانة ، ولكنه  
لم يكد ينصر على الناس قصة « الضمت » حتى كانت  
له منها نباهة الذكر والشهرة الدائمة . وهي مثال رائع  
على طريقتة في كتابة القصة

— ١ —

في ليلة من ليالي أيار  
مقمرة إخمائية ، والبلابل  
في القمراء تلعلع شادية  
مشجية ، أقبلت أولجا  
ستبانوفنا على زوجها  
الأب إجناتي وهو جالس  
إلى مكتبته . وكانت  
أسارير وجهها ناطقة  
بألم الحزن وأوجعه ،  
والسراج في يدها مهتز  
مرتجف . فلما دانت لمست  
براحتها منكبه وقالت  
مختنقة الصوت مجهشة :  
— أبتاه ، لنصعد

إلى ابنتنا فيروتشكا !

استرسلت على صدره أجمل استرسال لحية جثة  
وخطها المشيب ، وكانت تعلو وتهبط في هواة  
مع أنفاسه المتلججة العميقة

وبعد هنيهة قال : « حسن . نذهب »

فهبّت أولجا واقفة . وقالت تناشده بصوت

فتجههم الأب إجناتي وقطب حاجبيه من فوق  
عدساته دون أن يلتفت إليها . وظل شاخصاً بيضره  
في الفضاء طويلاً حتى أسقط في يدها ، فقلبت  
كفها الأخرى تقلب الموموم الجزع ، وتهالكت  
على أريكته خفيفة هناك وقالت :



متوجس متزلزل : « وإنما رجائي اليك يا أبتاه ألا تمنعها . أنت تعرف طباعها »

وكانت غرفة فيروتشكا على سطح المنزل ، والدرج المؤدى إليها خشبي ضيق ؛ فكان ينيخ ويصر تحت أقدام الأب إجناني وخطاه الثقيلة ، وقد اضطر الرجل لطول قامته وعظم جرمه أن ينحني حتى لا تصطدم هامته بسقف السلم ، وكانت زوجته تتقدمه في ثوبها الأبيض فلمس ردفها وجهه فانقبضت أساريره وعبس متمللاً متبرماً . وولج الغرفة وهو على تمام اليقين بأنهما في حديثهما مع فيرا ابنتهما لن يخرجاً بطائل

وقالت فيرا : « يا لله ! هذان أنما ؟ » ورفعت إلى عينيها ذراعاً عارية وبقيت ذراعها الأخرى على اللحاف الصيفي الأبيض بحيث يتعذر التمييز بينهما لفرط بياض ذراعها وشفوف لونها وبرودة مجسمها فابتدرتها الأم بنسائها : « فيروتشكا ! » وخنقتها المبرة فصكتت . وقال الأب إجناني وهو يجاهد للتأطيف من جفاء صوته وخشونته :

— فيرا ! خبرينا ماذا بك ؟

فظلت فيروتشكا صامتة

وعاود الأب إجناني خطابه : « فيرا ! أترين أمك وأنا غير أهل لنا جاتنا بأمرك والاستراحة البنا بذات صدرك ؟ ألسنا نحبك ؟ وهل لك من هم أقرب إليك وأمس بك منا ؟ بئى إلينا شجوك وصدقيني أنا الشيخ المحرب أنك واجدة بعدها بعض الراحة ، وكذلك نحن . انظري إلى أمك المعجوز وكيف عذابها ... فيروتشكا ... وأنا — وهنا تهـدج صوته كأنما انشعب شيء فيه شطرين — وأنا ، أيهون على ، تحسبينه يهون ؟ سر كائن لست أبصرك نهـب لوعة ... ولكن ماهي ؟ وأنا ، أبوك ، على جهل بها ، أصبح هذا ؟

ولكن فيروتشكا ما برحت صامتة . وحيالها الأب إجناني يوالى مسح لحيته في تحفظ ظاهر كأنما يخشى أن تنالها بالنتف أصابعه المضطربة من حيث لا يشعر . ومضى في حديثه يقول :

— خالفت مشيئتي وذهبت إلى بتروغراد —

فهل اعنتك على مخالفتك ؟ أكنت يوماً عليك بالمال ضئيلاً ؟ أتقولين اني لم أك برأ بك حدباً عليك ؟ إذن ، لم لا تتكلمين ؟ انظري ، أى خير أصبت من بتروغراد !

وانقطع الأب إجناني عن الكلام فجأة ، وتمثل كالعميان لحاظه بناءً من الجرانيت هائل رهيب ، حافل بأخطار راصدة كامنة ، مكتظ بخناق غريبة أطوارهم ، جاسية مشاعريهم . وهنا ذهبت فيروتشكا وحيدة ضعيفة ، وهنا كان تلفها وضباعها ، فجاشت في نفس الأب إجناني نقمة على تلك المدينة الهائلة الغامضة ، تشوبها النعمة على ابنته ، وهي ما فتئت صامتة ، صامتة في تشبث وعناد أما فيروتشكا فأجابته بجفاء وهي مطبقة جفنيها :

— لا دخل ألبته لبتروغراد فيما أنا فيه . على أنه لا شيء بي ، والأولى أن تذهباً للنوم ، فالساعة متأخرة .

فأنت الأم : فيروتشكا ! إطمئني إلى سريرتك يا بنيتي !

فقاطعتها فيروتشكا نافذة الصبر : كفى يا أمي ! وجلس الأب إجناني على مقعد وجعل يضحك ، ثم قال متهمكاً : « حسن والله ! ليس في الأمر شيء بعد هذا كله ؟

فأجابت فيروتشكا بلمحة حادة : وقد أقامت صعدتها واستوفزت في فراشها :

— أبت ! أنت تعلم حي لك ولأمي ، ولسكني إنما أشعر بخمود شديد ، وسيزول هذا كله ..

فإنها في ذلك المساء ألقت بنفسها تحت عجلات  
القطار فشطرها نصفين

\*\*\*

وقام الأب إجناتي نفسه بدفنها ، ولم تشهد  
زوجته حفلة الصلاة عليها في الكنيسة ، لأن نني  
فيروتشكا كان صدمة لها أصابتها بالفالج . ففقدت  
كل حراك لقدميها وذراعيها ولسانها . فبقيت  
طريحة في غرفة محجوبة الضوء ، وعلى مقربة منها  
تدق الأجراس في القباب معولة نادية ، وإنها  
لتسمع موكب الجناز خارجا من الكنيسة وتسمع  
المرتلين ينشدون في مرورهم أمام المنزل ؛ ولقد همت  
لترفع يدها وترسم إشارة الصليب فلم تطاوعها  
يدها . وأرادت أن تقول : « الوداع يا فيروتشكا »  
ولكن لسانها لصب في فمها هامداً مورداً ثقيلًا .  
وهكذا كانت طريحة بلا حراك حتى ليحسبها الرائي  
هاجمة في ثقلة الكرى لولا عيناها المفتوحتان

وشهد صلاة الجناز في الكنيسة جمع حافل من  
معارف الأب إجناتي والغرباء عنه . وكلهم مترحم  
على فيروتشكا متوجع لمصرعها ، وهم في نفس  
الوقت يتتبعون حركات الأب إجناتي ونبرات  
صوته ليستدلوا بها على حزن عميق وجوى لا عجز .  
إذ كانوا في قرارة نفوسهم لا يحبون القس لثاني  
خلقه من عنجهية وعجرفة ، ولشدته وصرامته مع  
التائبين المنيبين على يديه ، فضلا عن أنه حسود  
جشع لا تفوته فرصة يتقاضى فيها هذا أو ذاك من  
أهل دائرته أكثر من حقه . فالكل هنا يودون  
التشفي برؤيته متألما كسيرا ، ويودون أن يروا  
إقراره على نفسه بأن مصرع الفتاة يركبه منه إثم  
مضاعف ، باعتباره أبافظا غليظ الطبع ، وبصفته  
قساً ظهر محجزة عن وقاية لحمه ودمه وفلذة كبده من  
الخطيئة . ولذلك أمعنوا في ملاحظته والتطلع إليه ،

والحق أنه أول لسكا الذهاب للنوم ، وإنى لراغبة  
فيه أيضا . غداً أو في حين آخر ، سيكون لنا  
متسع للحديث

فهب الأب إجناتي دفعة حتى ارتج مقعده  
وصدم الحائط وراءه ، وأخذ بذراع زوجته قائلاً :  
« لنذهب »

فأنت هذه : « فيروتشكا . . . ! »

فصاح بها الأب إجناتي : قلت لك فلنذهب .  
وإذا كانت قد نسيت الله ، فهل تنساها مثلها ! ولماذا !  
واجتذبيها للخروج في شيء من العنوة والقسر .  
وكانت وهما يهبطان السلم تجر أقدامها جراً يزداد  
تثاقلاً وتراخياً . وغمغمت في همسة مغضبة : أفمنك !  
أنت أيها القس الذي جعلتها كذلك ، وعنك دون  
سواك أخذت هذا الطبع . وإنك لمستول عنه .  
آه ياربى ، ما أتعسنى !

وجملت تولول واكفة الدم مطروفة الجفن حتى  
لم تعد تتبين مواقع خطاها ، بل كانت تاركة قدميها تهبط  
الدرج كأنما تتساقط إلى هاوية ترغب في التردى فيها  
ومن ذلك الحين صحت عزيمة الأب إجناتي ألا  
يكلم ابنته . وكأنما لم تظن الابنة إلى هذا التغير  
منه ، وظلت كمهددا تضطجع آونة في غرفتها  
وآونة تعمد إلى الخروج . وكانت كثيراً ما تمسح  
بالراحتين عينيها كأن عليهما غشاوة . ولكن صمت  
الأب وابنته كان يشغل على الأم ويكرهها ، فباتت  
وهي بالأمس المولمة بالمزاح والضحك أبعد أهل  
الأرض عنهما ، فتراها ذاهلة منقبضة لا تكاد  
تعرف ماذا تقول أو ماذا تفعل

قلنا إن فيروتشكا تخرج أحياناً للتمشي والتنزه  
فحدث بعد أسبوع من المقابلة الآنفة الذكر أن  
خرجت خروجها المعتاد كل مساء . وشاء القدر  
ألا يراها أبواها من بعد حية بينهما رائحة أو غادية ،



نظيف مرتب والمقاعد الكبيرة مسرولة في أغطيها  
البيضاء كأنها الموتى في أكفانها . وفي إحدى  
النوافذ قفص معلق ولكنه خاو وبابه مفتوح .  
وحين ذاك نادى الأب إجناتي : « نستاسيا ! » فبدأ  
له أن صوته أجش ، وأحسن أنه يسيء صنعا بعيد  
جنازة ابنته أن يرفع الصوت الى هذا الحد في تلك  
الحجرات الهادئة ، فعاود النداء بصوت أكثر  
تلطفًا وخفوتًا : « نستاسيا ! أين الكناري ؟ »  
فأقبلت الطاهية وأنفها من كثرة النحيب

منتفخ وارم ولونه قانٍ كالجزر  
وأجابت بحفاء : — لا أدري . لقد طار  
قطب الأب إجناتي حاجبيه مضطربًا ،  
وصاح بها : « وكيف تركته يطير ؟ »  
فأجهشت تبكي وتمسح دموعها بذوائب المنديل  
المصوب به رأسها . وقالت :  
— إنه الروح الجميلة العزيزة لسيدتي الصغيرة  
الراحلة ، فكيف لي بحبسه ؟

وخيل الى الأب إجناتي نفسه أن الكناري  
الصغير الفاقع اللون السعيد الذي كان دأبه التفريد  
شاخًا برأسه قد كان حقيقة روح فيروتشكا ، وأنه  
لو لم يطر الكناري لما صح القول بموت فيروتشكا ،  
فاشتدت على الطاهية نغمته وصرخ بها :

— اغربي عن وجهي !  
ولما لم تبادر توا الى الباب زاد قائلاً : « مجنونة ! »

— ٢ —

ومنذ يوم الجنازة والصمت مخيم على البيت .  
وليس المراد بالصمت هنا السكون ، فان السكون  
إنما هو عدم الجلبة . وأما هنا فالصمت معناه  
أن الذين التزموا الصمت لا جرم في مقدورهم  
الكلام إذا شاءوا . وهذا ما يقع في نفس الأب  
إجناتي حين يلج غرفة زوجته فيلاقي نظرتها

ولكنه وقد آنس أن أنظارهم الى كاهله العريض  
الضامع يلتمسون انحناءه تحت وقر الفادحة — لم  
يأل جهدا في نصب قامته وإقامة صعدته . فكان  
في تلك الساعة أقل تفكيرًا في الابنة الفقيدة منه  
في صيانة كرامته

فألمع كرزوف : « قس صعدت على الغمز قناته  
وصاب على المعجم عوده » وكرزوف هذا تجاردين  
القس بشمن بعض الأطر . ولقد شفع ملاحظته  
بنفصنة بالرأس الى جهته

وعلى هذه الحال من رباطة الجأش واستقامة  
الشطاط سار الأب إجناتي الى المدفن ، وعلى هذه  
الحال نفسها عاد منه ، حتى إذا كان عند باب غرفة  
زوجته انحنى كاهله قليلاً ، ولعل هذا راجع الى أن  
ارتفاع الباب دون قامته . ولما كان قادمًا من وضح  
النور لم يتبين وجه زوجته عند دخوله عليها ،  
فلما أن تبينه وجدها هادئة ، وأنه لا دمع في عينيها ؛  
وليس بهما نقمة ولا حزن . فهما خرساوان  
صامتات صمت ألم وعناد ، وكذلك جسمها  
البدن المتراخي المرتكن الى حاجز الفراش  
فسألها : والآن ، ماذا ؟ كيف حالك ؟

ولكن شفيتها خرساوان وعينيها صامتتان .  
فوضع الأب إجناتي راحته على جبينها ؛ فإذا هو  
خصر رطب ، ولم يبد من أولجاستبناثنا أدنى دلالة  
على أنها أحست لمسته . فلما أن رفع راحته عن  
جبينها كانت عيناان غائرتان سوداوان تشخصان اليه  
دون أن يطرف لهما هذب ، وتكاد تكون الحديقة  
منهما كلها فاحمة بسبب تعدد انسانيهما ، ولم يكن  
فيهما حزن ولا نقمة

فغمغم الأب إجناتي ، وقد بردت أطرافه  
وارتعدت فرائصه : « حسن ، أنا ذاهب الى غرفتي »  
واجتاز قاعة الاستقبال حيث كل شيء كعهده

في المنزل حتى ليخيل أن في الامكان سماعه . واستمرت الحال على هذا النوال فوق في نفس الأب اجناتى أنه يسمع الصمت .

وكان الأب اجناتى في كل صباح بعد القران المقدس يقصد الى قاعة الجلوس فيأخذ بصره في لوحة واحدة قص الكناري الخاوي وسائر الآثار في ترتيبه المهود . فيجلس في أحد المقاعد الكبيرة ويطبق جفنيه ويستمع الى صمت المنزل . وكان أمراً عجيباً . فالقفص صامت في وداعة ولطف . والأسى والدموع والضحك الطاعن الفقيد جميعاً يأنسها الرجل في هذا الصمت . وكان صمت الزوجة مع قيام الجدران دونه لا يزال عنيداً ثقيلاً عليه كالرصاص - ومرعباً ، مرعباً حتى ليأخذه برد المقرر في أشد الأيام حارة قيظ . أما الابنة فكان صمتها لا آخر له ، بارداً كالقبر ، خامساً كالوت . ثم كان الصمت كأنما يشق بنفسه ، وكأنما يتهاف على التحول الى نطق ، لولا أن شيئاً له قوة الآلة وجودها يمسكه عن الحراك ويمده كامتداد السلك . وإذا السلك من مكان بعيد لا يعرفه على وجه التحديد يهتز ويصدر عنه صوت ناعم خافت جنون فتحفز الأب اجناتى الرغبة نشوبها الرهبة على تسقط بادرة هذا الصوت فيشد بكفيه على جانبي المقعد ويعد رأسه متسمماً مترقباً بلوغ الصوت اليه ، ولكن الصوت ينقطع وينطوى في غمرة الصمت وهنا يهتف الأب اجناتى وقد ركب الغضب : « عبث باطل وأضغاث أحلام » . ويهب من مقعده مديد الشطاط ناصب القامة كعمده على الدوام .

وكانت نافذة القاعة تشرف على ساحة السوق السابحة في ضح الشمس . والساحة مرصوفة بحجارة مصقولة الأطراف ممردة . وفي الناحية الأخرى

الشاحصة ثقيلة حتى كأنما استجبال هواء الغرفة رصاصاً يهرق رأسه وينقض ظهره . وهذا ما يقع في نفسه حين يتأمل معزف ابنته الذي انطبع عليه صوتها ، وحين يتأمل كتبها وصورتها - وهي صورة مرسومة بالألوان جاءت بها معها من يتروغراد . ولقد نحا في نظره الى صورتها نحواً خاصاً .

فهو يتطلع أول الأمر الى جيدها حيث مسقط الضوء في الصورة فيخيل إليه أن عليه خدشاً كالذي كان على جيد فيروتشكا الميتة ، وإنه لفي حيرة من أمر هذا الخدش ومنشئه ، وفي كل مرة يميل الفكر للاهتمام الى سببه وعلته . فلو أن القطار هو الذي صدمها في هذا الموضع لهشم رأسها بأكله ، ورأس فيرا الميتة سليم كل السلامة .

أترى بعضهم داس عليها بقدمه وهم يحملون الجثة الى المنزل ، أم أنه أثر ظفر خدشها من غير قصد ؟

ولكن إطالة التفكير في تفصيل مصرعها كان يشق على الأب اجناتى وروعه ، فيتحول عندها الى تأمل عينيها في الصورة ، وهما سوداوان بجلاوان أهدابهما الوطفاء تلقى تحتها ظلاً وريفاً فيزداد بياض المقلتين نصوعاً وتبدو عيناها كأنما يحوطهما إطاران كالأطر السود المجللة بالحداد . وقد جعل لها الرسام المجهول - وهو لا شك من الفنانين الموهوبين - معنى غريباً يخيل الى الرأي أن بين هاتين العينين وبين ما تقمان عليه غشاء رقيقاً شفيفاً فهي تذكرنا بغطاء معزف البيانواللامع السوادتعلاه من غبار الصيف غشاوة خفيفة لا تكاد تبين ، وهي على خفائها تكمد من لآلء الخشب المجلو . وكان الأب اجناتى حينما وضع الصورة تنابه عيناها غير ناظقتين بل هما أبداً صامتتان . وبان الصمت



واذ ذاك يهب الأب اجناتى من فراشه ، ويبسط يديه مضمومتين معا في توسل وضراعة مناديا : « فيروتشكا ! » .

ولا من يجيب الا الصمت .

وفي ذات مساء قصد الأب اجناتى إلى غرفة أولجا استبائنا زوجها بعد انقطاعه عنها زهاء أسبوع وجلس عند فراشها وهو مشيح بوجهه عن ناظرها الشاخصين الفاجمين ، وقال :

— أيتها الأم ! أريد التحدث معك عن فيروتشكا . أتسمعين ؟

ولكن ناظرها صامتان . فرفع الأب اجناتى عقيرته ، واشتد — مثل شدته مع المعترفين — في خطابها :

— أعرف أنك تعدلنى المتسبب في مصرع فيروتشكا . ولكن ، مهلاً ! أكنت أقل منك حباً لها ؟ إنك لغريبة الرأي — لقد كنت متشدداً ، فهل حال ذلك بينها وبين ما شئت ؟ لقد تغاضيت عما لى عليها وأنا أبوها من حق الاعتبار ، فطأطأت صاغراً حين ارتحلت — غير حافلة باستئصال لعنتى — إلى هناك ، وأنت — أيتها الأم — ألم تضرعى إليها باكية تناشدينها البقاء ، حتى أمرتك أن تكفى ؟ أمستول أنا عن أنها ولدت قاسية القلب ؟ ألم أعلمها ما ينبى علمه عن الله والطاعة والحب ؟

والقى الأب اجناتى لمحة على ناظرى زوجته الشاخصين ثم أشاح مستأنفاً :

— ماذا كنت صانماً معها وقد أوصدت دونى مغاليق صدرها وأبت الكشف لى عن شجوها . أكنت أمرها ؟ لقد أمرتها . أكنت أستعطفها ؟ لقد استعطفتها . ماذا ؟ أترين أنه كان على أن آخر على قدمى الصبية الخرعوب راكماً وأنتحب كالمرأة المجوز ؟ ما الذى قام بعقلها ، ومن أين أصابها

سور حجيرى ممدود لا نوافذ له لأحد مخازن البضاعة . وكانت فى الركن مركبة وافقة كأنها نصب من الطين قائم ، وكان غير مفهوم سبب وقوفها هناك دواماً مع أن الساعات الطويلة تنقضى ولا يظهر عابر واحد فى هذه الطريق .

كان على الأب اجناتى خارج البيت أن يتحدث الى الكثيرين : مع مدوسيه من رجال الدين ، ومع السكان فى دائرة الكنسية أثناء قيامه بفرائضه ، وأحياناً مع مغارفه يحاورهم فيها هو مأثور ومستحب . ولكنه حين يؤوب ويحتويه غرفته كان يخليل إليه أنه قضى سحابة نهاره صامتاً . وذلك لأنه ما كان ليتحدث الى واحد من هؤلاء عن المسألة التى هى عنده أم المسائل وأهمها والتى تهيج كل ليلة بلابله وتامج خاطره : فيم ميتة فيروتشكا ؟

وقد أبى الأب اجناتى التسليم بينه وبين نفسه باستحالة حل هذه المعضلة ولم يزل على اعتقاده بإمكان كشفها وجلاء غامضها .

فكان يحى لياليه مسهداً تعاوده كل ليلة ذكرى اللحظة التى وقف فيها وزوجته فى جوف الليل الى فراش فيروتشكا وهو يستعطفها ويسوق اليها الرجاء أن « تكلمى ! » . فاذا بلغت به الذكري الى هذه الكلمة تمثلت له بقية الشهد على خلاف ما وقع . ولقد حفظت عيناه المغمضتان فى ظلالهما صورة حية لا لبس بها من تلك الليلة ، فهما تتمثلان فى جلاء فيروتشكا تستوفز فى فراشها وتقول مبتسمة ...

ولكن ماذا قالت ؟

إن تلك الكلمة التى لم تلفظها ، والتى بها جلاء المعضلة كلها ، تلك الكلمة تتخيل له قريية ، جرد دانية . فلو أنه يرهف سمعه ويسكت خفقان قلبه ، إذن — إذن لسمعها على أنها كانت فى الوقت نفسه نازحة نائية بلا حد ولا أمل .

انبعثت من الألواح المكتسية بها الجدران ومن  
الأثاث وسائر ما بالغرفة زيج كريج العطن والانهلال  
وكانت القمراء تتخلل زجاج النافذة وتنسبط  
على أرض الغرفة كشرائط وضاء ، وكانت المناضد  
بطلائها الأبيض الناصع تمكسها فينير أركان الغرفة  
منها نور كليل شمسماني . ويبدو الفراش الأبيض  
النظيف وعليه وسادتان كبيرى وصغرى كأنه شبح  
من عالم الأطياف . وفتح الأب إجناتى النافذة  
فاندفع الى داخل الغرفة تيار من الهواء النقي ،  
يستروح السائف فى أردانه تراب النهر المجاور وعبق  
الزيفونة الزهرة ، ويحمل الى المتسمع المصنى نشيداً  
خفيضاً لعله لقوم فى قارب على النهر يجدفون ، وفى  
تجديفهم ينشدون

وخطا الأب إجناتى عارى القدمين كأنه الطيف  
لا يحدث صوتاً ، ودنا من الفراش الخاوى وخرَّ  
مكباً على وجهه فوق الوسائد يضمها — حيث  
لا محالة كانت تضع فيروتشكا وجهها

وظل على هذه الحال طويلاً . وتعالى النشيد فى  
الخارج ، ثم أخذ ينخفض حتى لم يعد مسموعاً ،  
والأب إجناتى لا يزال فى مكانه ، وشمره المرسل  
مشعث مهدل على كتفيه وعلى الفراش  
ودلف القمر فى مسراه ، فأظلمت الغرفة

واحولكت ، ورفع الأب إجناتى رأسه ونادى  
بصوت أفرغ فيه كل حبه الذى أطال كبته وكظمه  
بلاث ولا تصرح . وكان وهو ينادى ينصت  
لما يقول ، وكأن المنصت ليس هو وإنما هى فيرا  
— فيرا ، يا ابنتى ! أتدركين معنى ابنتى ؟

يا بنيتى ! مهجتى ! دى ! حياتى !  
هذا أبوك ، أبوك الشيخ المسكين وقد علاه  
الشيب وخذلاته القوى

وانتفض منكباء وسرت الرجفة فى جنبانه

ما أصابها ، لست أدرى . يا لها ابنة عاقلة لاقلب لها !  
ودق الأب إجناتى على ركبتيه بجمع يديه  
— لقد تجردت من الحب — هو ذاك . وأنا  
على علم بما كانت تصفنى به : مستبد غشوم . وأنت  
كانت تحبك ، أليس كذلك ؟ أنت التى بكيت ،  
و ... تذلت ؟

وضحك الأب إجناتى ضحكة خافتة  
— تحبك ! بلى والله ، وترويحاً عنك لقد  
اختارت هذه الميتة ميتة شنيعة شائنة ! فانت على  
الفضض والحصى المفروشة به السكة الحديدية ،  
ماتت على الأقدار — كالكلب جدلتة رفسة  
بالذمل على خطمه

وغغم الأب إجناتى بصوت هامس أبح :  
— ما أشد خزي ! إنه ليتولانى الخزى إذا  
خرجت الى الطريق ! ليتولانى إذا خرجت من  
المحراب ، ليتولانى أمام الله ! يا لك ابنة قاسية خسيصة !  
إنك لتستحقين اللعنة فى قبرك

وألقى الأب إجناتى على زوجته نظرة ثانية ،  
فاذا هى مغشى عليها ، ولم تفق من غشيتها إلا بعد  
ساعات . ولما أفاقت كانت عينها صامتتين ليس  
فيهما ما يدل على أنها فقهت مقال الأب إجناتى لها  
أو لم تفقه منه شيئاً

وفى تلك الليلة ، وكانت من ليالى تموز مقمرة  
ساجية دافئة يخيم السكون عليها ، قام الأب إجناتى  
يدب على أطراف قدميه حتى لا تسمعه الزوجة  
ولا ممرضتها ، وصعد السلم إلى غرفة فيروتشكا .  
وكانت نافذتها من عهد وفاة ابنته لم تفتح فكان فى  
جوها حرارة وجفاف تشوبهما رائحة احتراق  
خفيفة من حديد السقف المستهدف طوال النهار  
لوقدة الشمس . وكان إحساس الوحشة والأقواء  
نجماً على الغرفة التى طالت غيبة الانسان عنها ، وقد



— تكلمي !

فكان جوابه الصمت

في اليوم التالي تناول الأب إجناتي غداءه على انفراد مبكراً ، ثم أخذ سمته إلى المدفن لأول مرة بعد وفاة ابنته . وكان المدفن موصداً مهجوراً لا تحس فيه نائمة ، حتى لكان النهار القائط في هدوئه ليلة مشمسة . على أن الأب إجناتي كدأ به نصب قامته مجاهداً ، وأدار بصره من جانب لآخر بحفوة وصرامة ، وهو يزعم أنه كمهده بنفسه . ولم يفتن إلى التخاذل الطارئ الفظيع يفت في ساقيه وإلى لحيته المسترسلة قد اشتعلت شديداً كأنما أصابها صقيع هتون . وكانت الطريق إلى المدفن طويلة مستقيمة آخذة في ارتفاع لطيف المرتقى ، وفي نهايتها باب المدفن من خشب الزيزفون يظله سقف أبيض ملتصع ، فكانه فم مغفور الشدين على الدوام محلولك وعلى حافته أنياب قواطع لوامع

وكان قبر قيرا موعلاً في جوف المدفن بعد نهاية الممرات المفروشة بالحصى . فكان على الأب إجناتي أن يجوس طويلاً في مسالك ضيقة على محاذة الكتبان المتعرجة الناتئة بين حشائش مهمة مهجورة من الجميع منسية . وكان يلتقي هنا وهناك بنصب متداعية ، لونها حائل مخضر من القدم ، وحواجز منهاره مهتمة ، وصفائح من الحجارة ثقال ضخام ملقاة تبهظ صدر الثرى كأن بها عليه حقد كنف الشيخ بأسرا متجهما

وعلى مقربة من إحدى هذه الصفائح ، كان قبر قيرا . وكان المدر المعشوشب عليه مصفراً ذابلاً على حدائه عهده في حين كل ما حوله يانع ناضر . وكانت هناك دوحتان متشابكتان ، وخيلة ممتدة من شجيرات البندق وارفة الظلال تبسط أفنانها المتأودة بأوراقها المخشوشنة الوبراء على القبر

الضليع من فرعه إلى أخمصه . ثم همس متهدجا في لين وترفق كأنما يناغي طفلة :

— أبوك الشيخ المسكين يسألك . نعم يا قيرا إنه يستمطفك ، إنه ليبيكي ، ولم يكن من شأنه البكاء قط ، إن أملك يا بنيتي ولوعتك ، يحزان في نفسي كما لو كانا بي . بل أشد وأنكى

وهز الأب إجناتي رأسه :

— أشد وأنكى ، يا قيرا . وما الموت عندي ، أنا الشيخ ؟ ولكن أنت . .

آه لو علمت ما كان من رقتك ، ولطافة بنييتك ومبلغ إشفائك وتهيبك !

أثد كرين إذ وخزت أصبعك ونضج منها الدم فطافقت تصرخين . نعم يا بنيتي !

وكنيت تحبينني حقاً ، وتشغفين بي جبا ، أعلم ذلك . وكنيت في كل صباح تقبلين يدي .

تكلمي عن هذا الذي يحزنك — فأتى بهاتين اليدين خائف حزنك . إنهما ما برحنا قويتين ، هاتين اليدين ، يا قيرا

واهتزت خصائل شعره

— تكلمي !

وشخص بعينيه إلى الحائط ، وبسط يديه ، وصاح :

— تكلمي !

ولكن الغرفة صامتة . ثم طرقها على بعد سحيق أصداء مديدة ومقتضبة من صفير قاطرة عابرة فأدار الأب إجناتي عينين اتسع حلقهما كأن قد تمثل له شبح الجنة مبتورة الاشلاء . ثم نهض من ركوعه على مهل متسانداً ، ورفع إلى رأسه بحركة المذهول يداً مشنجة منفرجة الأشاجع ممدودة الأصابع . ومضى الأب إجناتي إلى الباب ، وفي خروجه همس في حدة :

وزنّاع من رهبة صمتهم وبرده ، كل هؤلاء  
أيضاً يقومون

وخلع الأب إجناتى قبعتة السوداء العريضة  
الحاشية ، ومسح بيده على ذوائبه المشمّعة ، وهمس  
منادياً :

— قيرا !

وأخذ القلق أن يكون بمسمع منه غريب :  
فاعلى الضريح وتطلع من فوق الصليبان . فلم يكن  
على القرب أحد ، فأعاد النداء رافعاً صوته :

— قيرا !

وكان صوته صوت الأب إجناتى المهود من  
قديم جافاً آمراً ، وكان عجيباً أن نداء بهذه القوة  
يبقى بغير جواب !

— قيرا !

ومضى الصوت ينادى عالياً ملحاً ، ولما أن  
سكت لحظة ، خُيل إليه أن جواباً غامضاً دوى  
من تحت أطباق الترى . فتلفت الأب إجناتى  
حواليه مرة ثانية ، ورفع مسترسل لته عن أذنيه  
والصقهما على المدر المخشوشن الشائك فوق القبر ،  
ونادى :

— قيرا ! تكلمى !

فأحس الأب إجناتى في فزع أن شيئاً له برودة  
القبر قد نفذ الى أذنه وجد له عقسه ، وأن قيرا  
تكلمت — ولكن كلامها هو ذلك الصمت  
الطويل نفسه ، وظل يزداد الصمت روعة وهولاً .  
ولما أن رفع الأب إجناتى رأسه من الأرض  
مجاهداً ، ووجهه شاحب كوجه الميت ، خيل إليه  
أن الهواء يهتز وينبض بصمت مرئى ، كأن ريحاً  
صرصرأ تارت على ذاك العيلم المخوف ، وأن الصمت  
ليزهرق أنفاسه ويخنقه ، ولا تزال موجاته الناجية  
متقلبة في رأسه جيئة وذهاباً فيقف لها شمره

نجاس الأب إجناتى على ضريح تجاه ضريح  
ابنته وهو يتنهد بين الفينة والأخرى . وجمل  
يتلفت حواليه ، وألقى نظرة على صحراء السماء  
الصفاه ، وكان قرص الشمس المنقذ معلقاً في مكانه  
جامداً بغير حراك . وعندها فقط أحست في نفسه  
عمق ذلك السكون الذى لا سكون مثله يخيم  
على مدفن ، والريح هامة لا تهفو لها نسمة تعبت  
بالأوراق الجافة الميتة . وقام في خاطر الأب إجناتى  
مرة أخرى أن هذا ليس بالسكون ولكنه الصمت ،  
وفاضن الصمت وطم حتى بلغ أسوار المدفن نفسها  
وتسورها متثاقلاً وغمر المدينة . وأما آخره فهناك  
في هاتين المينين السوداوين الشاخستين المصرتين  
في تمنّت وعناد على الصمت

هن الأب إجناتى كتفيه ، وقد سرت البرودة  
فيهما . وسرح نظره على قبر قيرا . وطال تأمله  
لعيّدان الحشائش القصيرة المصوحة وقد صار  
انتراعها من منابتها في بعض الرياض الفيحاء  
الضاحية فلم ينهياً لها تأصل ولا ترعرع في هذه  
التربة الجديدة . ولقد عز على الأب إجناتى إقناع  
نفسه بأن هنا تحت هذه الحشائش على بعد بضعة  
أشبار منه ترقد قيرا ، وبداله أن تدانى الشقة الى  
هذا الحد أمر غير معقول ، وإنه ليخامر نفسه منه  
حيرة وتوجس غريب . اذ كيف أن هذه التى تعود  
التفكير فيها على أنها طويت في ظلام الأبدية  
السحيقة طى الأبد تكون هنا قريبة ! وكيف يعقل  
مع هذا أنها تلاشت من الوجود ولن تعود !

وخيل إلى الأب إجناتى أنه لو ندس بكلمة ،  
بالكلمة التى يكاد يحسها على شفّية ، أو أنه لو أوماً  
بشارته ، لأقبلت عليه من القبر ، ووقفت أمامه  
ممشوقة القد جميلة كعده بها ، ثم إنها لا تقوم  
وحدها ، بل إن المولى أجمعين الذين نحس بهم



من ملاقة هذا الرجل طالما عليك بمنظره الأشعث  
الآبد، راكضا، واثيا، ملوحا بذراعيه - حين  
تبين وجهه ممسوخ السحنة مجنونها، وتسمع  
حشرجة أنفاسه تتدافع بصوت أجش من فيه المفغور  
وانتهى الأب اجناتى وهو فى أقصى سرعته  
الى الرحبة الصغيرة التى تقوم فى آخرها كنيسة  
المدفن متظامنة مخصصة. وكان على مقعد طويل عند  
مدخلها شيخ مهوم يلوح كالحاج من بعيد، وإلى  
مقربة منه امرأتان عجوزان من المتسولات فى شجار  
وصيال تتشاحنان وتتباهلان

ولما بلغ الأب اجناتى منزله، كان الليل قد دجا  
والمصباح قد أسرج فى غرفة أولجا استبانفنا، فأقبل  
عليها دون أن يبدل ثيابه أو ينزع قبعته الممزقة  
التربة وتراعى على أقدام زوجته راكما وانتحب :  
- أيتها الأم - أولجا - رحماك رقى لحالى  
أ كاد أفقد صوابى

وصدم بحافة المائدة رأسه وانتحب نحيباً  
صاخبا وجيما، شأن الكظيم ينتحب لأول مرة؛  
ثم رفع رأسه على يقين من أنه بعد قليل تظهر  
المعجزة فتتكلم زوجته وترق لحاله  
- يا زوجتى العزيزة

وتهافت بكل جسمه الضخم ضارعا اليها  
مستعطفا إياها. فالتقى بالنظرة الشاحصة من عينيها  
السوداوين. ولم يكن فيهما رحمة ولا رقمة. ربما  
تكون زوجته قد صفحت عنه ورقت لحاله، ولكن  
عينيها لا رحمة فيهما ولا مغفرة. اتهمتا على حالهما  
خرساوان صامتتان

\*\*\*

والبيت كله فى وحشة صامت

عبد الرحمن صدقي

أشعث مستطاراً، ولا تزال منكسرة على صدره  
فيئن ويتأوه من وقع صدماتها. واقد ظل مرتمد  
الفرائص يقلب ألحاظاً عصبية خاطفة من ناحية  
أخرى، ثم قام متحاملاً فى اثناد وبطء، وعانى  
أشد الجهد وأنكاه ليرفع قامته ويرد الى بدنه  
المرتجف مشية الكبرياء المهدودة، وقد أفاج بعد  
لأى، وأخذ بنفض التراب عن ركبتيه متمهلاً  
متروياً، ولبس القبعة، ورسم إشارة الصايب ثلاثاً  
على القبر، ثم دلف بخطوات متساوية ثابتة، غير  
أن طرق المدفن ومعاله اختلطت عليه فضل السبيل  
فوقف عند مفترق المسالك جامداً فى مكانه  
يضحك :

- ضللت السبيل !

وطالت وقفته برهة ثم عرج من غير تفكير  
الى اليسار. وذلك أنه ما كان ليطبق الوقوف هنا  
جامداً ينتظر. وتبعه الصمت على الأثر. وهذا هو  
الصمت يخرج من اللحود المشوشة، وتتنفس  
عنه الصلبان الداكنة المتجهمه، ويتصاعد نفحات  
دقيقة خائفة من مسام الأرض المتشعبة جثثاً ورماما  
والأب اجناتى يضاعف خطاه مسرعاً، وقد سدر  
بصره وذهل عن نفسه، فهو يطوف بالمسالك بعينها  
المرّة بعد الأخرى، واثبا فوق القبور، متمثراً  
بالحواجز، يهوى بكفه على الأكاليل من الصفيح  
شائكة فيتمزق قماشها الرقيق الناعم فى يديه. ولقد  
ذهل عن كل تفكير الا فكرة واحدة وهى الخروج  
من هذا المكان. فاندفع من ناحية الى أخرى،  
وأخيراً انطلق يعدو فى سكون، شبحاً مديد القامة  
لا تكاد تتعرفه فى برنسه الخافق وراءه، وشعره  
المتهدل المرسل فى الهواء

وان رؤية ميت قائم من القبر لأخف هولاً



فالحب والاطمئنان يغمران قلوبنا وحياتنا . وأنت  
ياسيدار ؛ أنت فينوس هرموزا ؛ أنت ثرائى  
وأنت ملكتى ... »

\*\*\*

وفي صباح يوم من أيام الشتاء ، أحس إيليا  
وهو في مكانه من حجرة الانتظار ، حيث يجلس  
دائماً ؛ أحس أن بدأ قوة تجذبه في عذف ، وسمع صوتاً  
خشناً يناديه : « أسرع ! لقد كنت في (تيرانوف) »  
وعملك هناك يعالج مرضاً مخطراً ... » هذا صوت  
سائق ينهيه إلى أمر ، ولكنه ما كان ليسابه بعض  
هدوئه . لقد أرسل أنه خفيفة خافتة ، ثم قال يحدث  
نفسه : « سأشر هذا الخبر المحزن على عيني زوجتي »  
لم تضطرب الزوجة لما سمعت ، ولم تحزن ، ولم  
تفرع من مكانها وهي جالسة أمام باب الدار تلتمس  
الدفء من أشعة الشمس ، وقد ارتدت خير  
ملابسها ، وانتعلت ، وربت شعرها في دقة وأناقة ؛  
غير أن ملابسها وحذاءها وقد عبثت بها يد البلى ،  
ووجهها وقد شحب وتغضن وذوى جلاله ، وعينها  
وهما مضطربان وقد خبا ضوءهما وانطفأ بريقهما ؛ كانت  
كلها ترسم سطوراً واضحة في تاريخ فاقتهما وعوزهما  
ومن أقصى المكان ارتفعت ضجة تشبه ما يسمعه  
إيليا دائماً في المحكمة : فهؤلاء أصحاب الدار  
يتنازعون فيما بينهم أمراً ؛ وهذا الندى - وهو  
جزء من الدار - قد ضم جماعة يلعبون الورق  
ويعزحون في ضجة وصخب ؛ والزوجة لا يعنيتها

ضائق سبل الحياة بالفتى إيليا كراى فهو لا يجد  
عملاً ، وهو لا يدري كيف يزجى هذا الفراغ العريض  
الذى وقع فيه على حين فجأة ، إلا أن يقضى شطراً  
من نهاره في حجرة الانتظار بالمحكمة ، واضعاً  
كراسة على ركبته يثبت فيها ما توافيه به قريحته  
من أشمار يناجى بها زوجته الحبيبة . لقد كان  
الضجيج يملأ بازائه والجوع تقاطر من هنا ومن  
هناك : فقيرات النساء يتخاضعن على درجهم مات ضئيلة  
كانما يتنازعن أقطار الأرض جميعاً ؛ وقائلو الزور  
يسرون في هدوء وأناة يتفنون شيئاً ؛ وصغار الحمامين  
يتدفمون هنا وهنا يفتشون عن صيد جديد ؛ هذا  
وإيليا جالس في هدوئه ، في زاوية الحجرة ، يكتب  
إلى زوجته بعض الشعر وكأنه لا يحس بما حوله شيئاً :  
« أنا أستطيع أن أرى الحياة بمعنى عقلى ،  
فكل ما يدور في العالم مقدر قبل أن يكون . أنا  
شاعر وفيلسوف ، فليس شيء في الحياة يثير في  
الدهشة لأننى أعلم أن الأيام تملأ بالمرء مرة وتسفل  
به أخرى . لا تقنطى - يا عزيزتى - فلربما تذكرنا  
عمى أغسطينو ... أغسطينو الذى طرد زوجته  
وحرمها ماله ؛ لعله يذكركنا يوماً فنذهب إلى شاطئ  
البحر معاً ، نشهد القوارب تضطرب بين الأمواج  
الهائجة ، ونحن نسير ذراعاً في ذراع كأننا عروسان  
في شهر العسل . على أننا - الآن - سميدان ،

ملحوظة : كتبت هذه القصة بقلم الكاتبة الإيطالية  
جرازيا دليدا ، وقد أخطأ الخطاط فجعلها الكاتب



فالشمس تتألق كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية في رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نسبات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو في طريقه تراءت له الزهور الرقافة — زهور الربيع الجميلة — تنفث من عطرها الشذى في روحه النشاط ، وتذكي في أعصابه القوة ؛ ثم . . . ثم انحدرت الشمس الى مغربها ، فاستحوالت حرارتها المنعشة الى برد قارس تحمله نسبات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تتنديان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخائنه رزائنه الفلسفية حين بدا لعينيه أنه لا يستطيع أن يصلح حذاءه أو أن يجد غيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء الممزق معاً . وتمثل له ما يلاقيه من مهانة واحتقار حين يبدو في دار عمه رث الملابس ، زرى الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وعار زوجته حين يلج دار عمه في مثل حذاءه . لا بد أن يجد حذاء ؛ ولكن كيف ؟ إنه هو لا يدري . . . وبعد فترة كان يسير في شوارع القرية المهجورة المظلمة الندية وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفي ناحية من ساحة فندق هناك صغير يشع نوراً ذهبياً قوياً جذب إيليا اليه . . . جذب لينام ليائه في حجرة قدرة ، حيث ينام عاملان فقيران ؛ وقد كان غطيظ أحدهما يستلب إيليا من أفكاره ومن نومه معاً . استلقى الرجل على فراشه وما في رأسه غير صورة نمل جديد تتراءى له أينما هفا خياله ؛ في الشارع ، في الحقل ، في زاوية الحجرة ، في صندوق في الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تحور أحياءها الى أخرى بالية تنم عن الفقر والفاقة . . . وظل إيليا تفزعه الريح العاصفة ، والغطيظ المدوي في أرجاء الحجرة ؛ والساعات تمر . وتماق

ما يدور حولها . أما هو — هو إيليا — الزوج الماشق فقد وقف بإزاء زوجته يداعب شعرها في رفق وتحبب ويقول : « أفتعلمين ما أنا صانع ؟ سأذهب . . . » قالت الزوجة : « إلى أين ؟ » قال : « إلى أين ؟ لعلك لم تمي شيئاً مما قلت ؛ إلى عمي أغسطينو طبعاً ؛ ما أجل ما أرى في هذا اليوم . . . » قالها وقد كتم في نفسه أموراً استشعرتها الزوجة المسكيننة فراحت تمدق في حذاءه الممزق من قفا أعيت على الاسكاف ، ثم قالت : « وأين لك بالمال تستعين به على السفر ؟ » قال الزوج في ثبات : « إن ممي ما يكفيني ، لا يشغلني هذا . إن كل ما في الكون يلد الحياة والجمال لو أن في النفس الهدوء والدعة . إن ما يهم المرء حقاً هو أن يحب الناس ويحسن معاملتهم . لقد شغلني هذا كل ساعات الصباح . . . أفتردين أن تقرأي ؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها في حجرها وهو يبسم . . . ثم انطلق وما خلف من شيء سوى هذه القصاصة . . .

انطلق ماشياً لأنه لا يملك سوى ثلاث ليرات ؛ وكانت فلسفته قد أوحى إليه ألا يتخبط بين هذا وهذا ، يقترض ، فيضيع وقته فيما لا غناء فيه . . . هذا نوع من الرياضة تعود منذ زمان ؛ وما كان شيء ما أن ينزع عنه رزائنه أو يحول بينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو ، وهو رجل سيار . لقد سار في نشاط وخواطره معاقة بحذاءه دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق ..

\*\*\*

بلغ إيليا (أوروسي) — وهي قرية في طريقه — ولم يحدث ما يكر صفوه ؛ فالطريق ممهد لاجب ، والطبيعة جميلة تحنو عليه لتنسيه بهض متاعبه . لقد كانت رحلة ممتعة ، في ناحية من الأرض سحرية ،

بصره بنجم يتألق في السماء كأنه يسبح بين أمواج البحر المضطربة ؛ وخياله عند زوجته وهو جالس اليها ينشر على عينيها بمض أشعاره الرقيقة الطليقة ، وعند الحياة الناعمة التي يحياها الى جانبها لو ظفر بما يملك عمه ...

وانتفض الرجل من فراشه بعد لأي وهو يضطرب ، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يسأله فوجده ثقيلًا واسمًا فتركه الى حذاء الرجل الآخر ؛ غير أنه لم يجد شيئًا ، وطن في مسمعيه صوت أقدام تدب خارج الحجرة فاضطرب ووقف في مكانه وقد سيطر عليه الحزن والفزع ؛ وبدأ له خسته فحزن ... حزن حزن القلب يستشعر الخطر المحقق ؛ وحين انمحي الصوت داف هو إلى الخارج ليرى ... ليرى الردهة خالية الا من بصيص من نور ، وإلا من قطعة تحك جسمها في الجدار ، والا من حذاء بازاء القطعة ، بدا في عيني الرجل جيبًا ... فانطلق إليه يخبئه في ثنايا معطفه ، ثم اندفع الى الشارع في هدأة الليل وسكونه . لقد غادر الفندق لم يشعر به أحد ، ثم أسرع ... وتراعى له وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء تتساقط رويداً رويداً لتفتقر في هذه اللحظة ، فقال : « يا هجيا ! أكل شيء في الطبيعة والآنسان يريد أن ينهد ... ؟ » وظل يحدث نفسه هذا الحديث وهو يحب في الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الداكن ومضت نصف ساعة جالس بعدها ليلبس الحذاء المسروق . لقد بدا عليه السرور والفرح - بادي الأمر - غير أنه ما لبث أن استشعر الحسرة تفجؤه وتكاد تعصف به ، فراح يحدث نفسه : « ماذا يكون لو أنهم تبعوني ؟ سيقتلوني لاشك . ماذا تقول زوجتي إذن ؟ ستقول : ماذا صنعت يا إيليا ؟ أفتسرق حذاء ؟ أي فرق بينك وبين من

يسرق مليون ليرة ، أيها السارق ؟ واضطربت الفكرة في رأسه : « مليون ليرة ! أين هي ؟ أين أجدها ؟ لو وجدتها لاختطفتها لأني ولا ألباطاً ... ! » ثم تمطى وهو يبسم هذه الخاطرة ، ومد رجله وحرك أصابعه في الحذاء الجديد . يا عجبا ! لقد رانت على نفسه سحابة سوداء من السكابة مرة أخرى ، وشعر بقدميه تتقدان ، وبأصابعه تحتاج كأنها تنفر من هذا الحذاء المسروق ! لقد سار في طريقه متكاسلاً ، ومتأبطاً حذاه ليستطيع أن يلبسه إذا تبعه أحد ؛ ثم اضطرب وتوزعته الأفكار السود ؛ فهو يلتفت الى وراء بين الفينة والفينة ليرى من عساه يتبعه ...

وانبثق الفجر كأنه شيطان مارد يحدجه بعينين فيهما البغض والازدراء ؛ يطل عليه وقد قنعتة سحابة دكناء من الضباب ليبحث في نفسه الفزع والرعب ، واينذره بالفضيحة والويل ؛ وهؤلاء الناس - عما قريب - ينسلون الى القرية ، مارين به ، وحين يسمعون قصة الحذاء المسروق يقول قائمهم : « نعم ، لقد رأينا رجلاً هناك يسير مضطرباً ، وقد تأبط حزمة يخبئها تحت معطفه ... »

ورأى - وهو يسير - فلاحاً يسير الهوائي ، في طريقه الى القرية ، فحبل اليه أنه يحدد فيه السخرية والتهمك

ثم ... ثم انحسر الظلام عن نهاري حزين كالح ؛ وقد نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل الشاهق والبحر المضطرب ؛ والغربان تمر به وهي تنفق نعيها المشؤوم ؛ وقد انطوى الجمال الذي أحسه بالأمس في هذه الناحية ؛ وبدأ له الحياة عابسة تبعث في النفس الألم والضيق ، ودوت في أذنيه أصوات تفرعه من مكانه لأنه رأى فيها



يوماً كاملاً لا يطعم شيئاً ، فأحس بأعصابه تتراخي ومشى الهوينى يترشح كأنه عود ذائب تمصّف به الرياح الهوج ، وولج الفندق ثانية وكأنه في حلم ، وعلى شفّتيه كلمة الاعتراف ؛ غير أنه وجد المكان هادئاً كأن شيئاً ذا بال لم يكن ، ومرّ فماتلق به بعصر ، ولم تحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه في لجة من النوم العميق الهادئ ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالي . وحين هم من مرقده اشترى رغيفاً بما بقي معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو في ناظري إيليا — مرة أخرى — جميلاً ، والوادي كأنه يبسم في رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبعث منه القوة والنشوة ، وهو يندفع في سيره بفور نشاط وأحياة على رغم هذا الحذاء الممزق الذي تموج فيه قدماء ، وهو — هو هذا الحذاء — كان يوقظ الرحمة والشفقة في قلوب الذين يرونه فيمنحونه بعض الخبز والابن يتباغ بهما

وبلغ دار عمه وقد أجهده السير وأضناه التعب ، ولكن الأمل كان يشرق في عينيه فيدفعه الى الأمام ... لقد مات عمه منذ ساعات قليلة ، وراحت الخادم تنظر اليه في دهشة وهي تعجب : « أنت ابن أخيه حقاً ؟ لماذا لم تسرع الى هنا ؟ » ولكنه وقف صامتاً ، فاندفعت هي تقول : « لقد أرسل اليك منذ ثلاثة أيام وأنتظر ... أنتظر طويلاً وهو يذكرك ، ثم بدا له أنك نسيتَه ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يقصم عوده أوصى بكل ما يملك الى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا الى داره يحمل الى زوجته الحبيبة الى نفسه خيبة الرّجاء وضيفة الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئاً ...

طاهر محمد مرهيب

أصوات الذين من خلفه يقصّون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القديم الممزق بالحذاء الذي سرقه ، وألقى به في ناحية ثم انطلق ...

لقد ألقى بعض همّه حين ألقى الحذاء المسروق ، ولكنه ما يزال في اضطرابه ، وخياله ما يفتأ بصوره أشياء ! فهذان العاملان اللذان قضى معهما ليلته ، على أثره يطلبانه بعد أن وجدا الحذاء الملقى ... سيُلبّيهما . ثم يدفعان به الى المحكمة ، وهناك ... وهناك ... وتراعى له جماعة يعذبونه ويمذبونه حتى يعترف ...

ماذا تقول زوجته حين يتراعى إليها الخبر ؟ وتأججت الفكرة برأسه بؤرثها الاجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تتنازعها الخواطر المظلمة كما تتناوح الرياح الشديدة العاصفة سحابة في كبد السماء ؛ ورجع الى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام في هذه المتاهة ، يضرب في الأرض ، ويفقد الراحة والطمانينة في وقت معاً ؛ ثم هو لا يطلب إلا سراباً أو أملاً كالسراب ، ومن يدري ؟ لعله لا يستطيع أن يأتي بالحجة القاطعة تثبت بها أن أغسطينو هو عمه ... ورغم هذا فهو قد ألصق بنفسه عاراً لا يفسل .

\*\*\*

نكص الرجل على عقبيه ممتلئ العقل ، مأخوذ اللب ، يحدق في الحذاء الملقى في ذهول وبلاهة ، أفيواريه التراب ؟ إنه إن فعل فثا غيّير من الحقيقة التي في رأسه ! أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وتردد إيليا حيناً ، ثم هوى الى الحذاء يخفيه تحت طيات معطفه ، وارتد الى القرية لا يستطيع أن يهبطها إلا أن يسدل الليل أستاره ، لقد غبر

من أعماق النفوس



اَشْرَافُ فِتْيِ الْعَصْرِ

الإقرب إلى موسى

بِقَلَمِ الْأُسْتَاذِ فُلَيْكُسْ وَنَارِسْ

(تابع)

## الفصل الخامس

وعندما رأى ويحجته أن لا دواء لياسى وأننى  
أرد كل نصح وأقبع فى دارى أدرك خطورة الموقف  
فجاءنى فى إحدى الليالى ودلائل الاهتمام بادية على  
وجهه فذكر عشيقتى بلهجة المزدرى ، وأسرف  
فى التقرير بوجهه إلى كل امرأة مجاريا حوافز عقيدته ؛  
وكنت منطرحا على فراشى فجلست وأسندت رأسى  
إلى كفى وأصغيت بكل انتباه لأقواله

وكانت ليلة ، بدأت تهب فيها الرياح فتسمعك  
أنين المدفين ، وكان المطر يضرب برشاشه زجاج  
النوافذ ثم ينقطع فجأة فتحسب الطبيعة قد فقدت  
الحياة في فترات السكون

في مثل هذه الساعات يحكم الألم جميع الكائنات  
فتهتز الأشجار كأنها تتلوى في أوجاعها وتمحن  
رؤوسها حزينة عاجزة وتهرع أطيار الحقول إلى  
صغيرات الأشجار متزاحمة على الملجأ الأمين

لقد كان لي بالأمس حبيبة وكان لي صديق ،  
فخانتني الحبيبة وصرعتني الصديق فالتفاني على فراش ،  
الأوجاع ، فأصبحت وفي رأسي من الاضطراب ما لا  
أهتدي معه إلى حقيقة حالي ، فكنت أحسب أن  
ما صر بي لم يكن سوى حلم مروع وأني سأجد  
سمادتي المفقودة إذا ما فتحت عيني لأنوار الصباح ،  
ثم أعود فأرى حياتي بأمرها حلماً طائشاً ساخراً  
يتكشف لي بفتة عما استتر فيه من خداع وأكاذيب  
وكان دبحه جالساً على مقربة مني وقد أثار  
أشعة المصباح وجهه فلاح أمارات الجذبة عليه  
بالرغم من استمراره على الابتسام كمادة

وما كان ديجنه بالرغم من صلابته وجوده إلا  
الرجل المحاصر المطوف ؛ غير أن الاختبار كان قد  
نال منه وأسقطت الحادثات طرته ، وما جهل هذا  
الصديق الحياة فانه خبرها وأسالت كثيرًا من  
دموعه ؛ غير أنه ادرع الصبر فاستحجرت آلامه  
وبات يتوقع الموت  
وقال ديجنه :

— إني وقد نفذت ما انطوت عليه سريرتك  
أراك تعتقد بالحب كما تصوره القصصيون والشعراء  
فأنت إذن تصدق ما يقال لا ما يقع في هذه الحياة .  
لقد ضللت السبيل السوي في تفكيرك ، فان أعمنت  
في السير وقفت بوجهك المصائب والويلات  
وهل يصور الشعراء الحب إلا كما يجسم النحاتون  
الجمال ، وكما يندع الموسيقيون الأنغام ؟  
إن أرباب الفنون وقد دقت أعصابهم ووهبوا



عقلك لشعورك أن تتصور ماهية الانهيار؟ أم يمكنك أن تدرك ما لا يحيد وأنت ولدت في الأمس وغداً ستموت؟

أقد جن "الكثيرون في كل أنحاء العالم أمام هذا المدي الفسيح ، وما نشأت الأديان إلا من الاستغراق في التفكير في أسرارهِ . ما قطع كاتون عنقه ، وما استسلم المسيحيون للأسود والبروتستانت للكاثوليك إلا لأدراك المطلق المتعالي عن كل حصر وتحديد

إن جميع شعوب الأرض يبسطون الأ كف نحو هذا المدي الفسيح قاصدين الارتقاء إليه . وفقد الرشد يطمح إلى امتلاك السماء ، أما الماقل فيكتفي بالعجاب والخشوع ويرتمي جاثياً على ركبتيه كالبجاء جاح شوقه

إذا كان فسيح المدي يمجز إدراكنا فكيف نتوصل به إلى نيل الكمال وقد حتم علينا ألا نتجه إليه في أي شيء وألا نتطلبه من أي شيء ، لا في المحبة ولا في الجمال ولا في السعادة ولا في الفضيلة ، ولتكننا مع ذلك ملزمون أن نتوق إليه لنبلغ في المحبة والجمال والسعادة ما يمكن لنا أن نناله اقترض ، يا أوكتاف ، أن في غرفتك لوحة من ريشة رفائيل ، لوحة تحسبها سالمة من كل عيب ، فاقتربت منها يوماً مدققاً فيها فوجدت في رسم أحد أشخاصها خطأ فاضحاً كمضو مكسور أو عضلة نافرة من مركزها الطبيعي — كما يقال عن إحدى العضلات في ساعد مصارع — فانك تشعرك بالكدر ولا ريب ، ولكنك لا ترمي بلوحتك إلى لهيب الوقد من أجل هذا العيب بل تكتفي بأن

الحس المرهف يختارون أنقى عناصر الحياة وأبدع رسوم المادة وأزوع ما في الطبيعة من نبرات قيل إنه كان في أثينا عدد كبير من الغانيات الغائيات فعمد براكستيل إلى تصويرهن الواحدة بعد الأخرى ، ثم استعرض مجموعته مستبهماً عيوبها ومستنبطاً منها مثلاً كاملاً جامعاً للمحاسن على أنواعها هو رسم الزهرة آلهة الجمال وعلى هذه الوتيرة جرى أول إنسان أوجد آلة للموسيقى مقبلاً قواعد وأحوالها ، فانه ما وضع الأنغام إلا بعد أن تنصت طويلاً إلى تغريد البلابل وحفيف الفصون

وهكذا أوجد الشعراء أيضاً الأسماء السرية التي صرت على شفاه البشر من جيل إلى جيل ، كدنديس وكلوبه وهيرو ولياندر وبيرام وتيسبه تلك أسماء لم يبدعها الشعراء إلا بعد أن ابتلوا الحياة وعرفوا من المحبة سريتها وبطيتها في الزوال ، وبعد أن شهدوا إلى أية درجة من الهوس يبلغ الهيام أحياناً منقياً الطبيعة البشرية من أدرانها فاذا أنت فتشت في الواقع عن مثل هذا الحب المطلق الثابت فكانت تفتش في ميادين الجماهير عن نساء يضارعن الزهرة في روعة جمالها ، أو كأنك تكاف بلبلاً لإنشاد أجل مقطوعات بيتوفن لإيقاعاً ليس الكمال من هذا الوجود ؛ وكفى الذكاء البشري أنه فاز بتصوره ؛ فاذا ما طمع في الحصول عليه رمت به شهوته إلى الخبل والجنون

افتح نافذة غرفتك ، يا أوكتاف ، وتطلع ، إذا تشرف منها على مدى لانهاية لهفتشعمر أن لا حد لهذه الآفاق ؟ ولكن هل لك بالرغم من تصديق

تقول - إنها غير كاملة وإن في أقسامها الأخرى ما يشير إلى العجائب

إن في العالم نساء زردن طبيعتن وما في عواطفهن من الاخلاص عن اتخاذ عشيقين في زمن واحد . ولقد خيل اليك أن عشيقتك من هذه الفئة ، ولقد كان خيراً لك لو أنها منها . ولكنك تحققت خيانتها فهل في ذلك ما يدعوك إلى احتقارها والاساءة إليها وإلى الاعتقاد بأنها تستحق حقدك وتغمتك ؟

افترض يا أوكثاف أن عشيقتك لم يخذلك وأنها لا تزال تحبك دون سواك ، أفلا ترى حتى في هذه الحالة أن حبها بعيد جد البعد عن الكمال وهو حب بشري حقير يتحكم فيه خبث هذا العالم وأضاليله ؟ أفنتكر أن هذه المرأة قد استسلمت قبل ما نلتها أنت إلى رجل ورجال وأن غيرك سينالها بمدك أيضاً ؟

ارجع إلى رشذك ، إن ما يدفعك إلى اليأس الآن إنما هو اعتقادك بكمال كنت حليت به من تحب فإذا هي ساقطة لا حلية لها

ولكنك إذا ما رأيت اعتقادك على حقيقته وانضح لك أنه توهم واغترار بشري تدرك أن لا فرق بين السقوط دركة وبين التدهور دركتين على شفير العيوب البشرية

إنك لن تستطيع أن تنكر أن حبيبته قد نالها غيرك قبلك وسينالها غيرك بمدك أيضاً . ولكنك ستقول لي إنك لا تهتم لهذا ما دام حبها . أما أنا فأقول لك إذا كان سواك قد تمتع بها فما يهمك أن يكون وقع ذلك في الأمس أو منذ سنتين ؟

وبما أن سواك سيتمتع بها بمدك ، فما يهمك وقوع ذلك في هذا المساء أو بعد سنتين . إذا كانت هذه المرأة لن تحبك إلا إلى حين فما يهمك أن قصر حبها على ليلة أو ظال إلى سنتين

أست رجلاً يا أوكثاف ! أفلا ترى الأوراق تتساقط عن أغصانها والشمس تشرق فتغرب ؟ أفلا تسمع نبضات ساعة الزمان في كل خفقة من خفقات فؤادك ؟ فأى فرق لدينا إذا بين غرام سنة وغرام ساعة من الزمان ؟ أفليس مجنوناً من يتطلع من نافذة تقدرها الكف ليرى المدى الذي لا نهاية له أنت تلعب المرأة التي تحبك عامين دون أن تخونك بالمرأة الشريفة ، ولعل لديك مقياساً خاصاً تعرف منه ما تقتضيه قبيلات الرجال من الزمن لتجف على شفاه النساء

إنك لتجد فرقاً كبيراً بين المرأة التي تستسلم للحصول على المال وبين من تستسلم طلباً للذة ، تجد مثل هذا الفرق أيضاً بين من تبذل نفسها لإجابة لداعي الكبرياء ومن تبذلها في سبيل إخلاصها ؛ إن بين من تشتري من النساء من تقدر لها ثمنك يزيد على ثمن سواها ، وبين اللواتي تطلب فيهن تمتع حواسك من تنال ثقتك دون سواها ، وبين من يدفعك الغرور إلى نيلها من تباها بالظفر بها بأكثر مما تباها بامتلاك أخرى سواها ، وبين من تخلص لمن أنت من تهها ثلث قلبك في حين أنك لا تهب الأخرى سوى ربه ، وتهب غيرها نصف هذا القلب ، وذلك تبعاً لما تقدره لأحدها من التهذيب والعادات وما تراه لها من كرامة الأصل وروعة الجمال واعتدال المزاج ، وتبعاً للظروف الطارئة أيضاً . ولما يقوله



الكأس هي الكوثر الذي تشربه . وهكذا ان  
تفجع اذا ما رأيت هذه الكأس محطمة أمامك  
في إحدى الليالي ، وما المرأة الا وعاء من مصنعة  
الخزاف سريع سقوطه وسريع تحطمه

وجه شكرك لله لأنه سمح لك بأن تلمح السماء ،  
فلا يخدعك في جوانحك خفقان تحسبه خفوق  
جناح ، فان الأطيوار نفسها لا يمكنها أن تحترق  
السحاب وفي الأعلى طبقات لا هواء فيها . أفا  
رأيت القنبرة ترتفع حلقة إلى مسارح الضباب وهي  
تفرد لترقى بعد خلقها ميتة إلى أخايد الحقول  
أكرع من الحب ما يكرعه الشارب المعتدل ،  
وإياك أن تصبح سكيراً

إذا كانت عشيقتك أمينة مخصصة ، فأحبها  
من أجل أمانتها وإخلاصها ؛ وإذا لم تكن فيها  
هذه الصفات وكانت فتية جميلة ، فأحبها من أجل  
فتونها وجمالها ؛ وإذا لم يكن لها من مزية سوى  
الملاحة وخفة الروح ، فأحبها من أجل ذلك  
أيضاً ؛ وإذا لم يكن لها شيء من جميع هذه الصفات  
ولها تعلقها بك فلا تمنع حبك عنها ، فما يجد الرجل  
في كل مساء امرأة تتمشقه

وإذا ما عرفت أن لك مزاحماً في حب من  
تهوى فلا تشد ناصيتك ولا تملن أنك ستنتحرج .  
إن غرورك يخدعك فيخيل إليك أن حبيبته  
تخونك بالتصاقها بسواك ، غير أنك إذا عكست  
نظريتك المكذوبة فقامت في نفسك إن حبيبته  
تخون مزاحمك بالتصاقها بك ، فأنت لترى النصر  
في جنبك لا في جنبه :

إياك أن ترسم لنفسك خطة تلزم سلوكها ،

الناس وبخسب تأثير الساعة ، وما تناوات من  
مشروب مع عشائك

إن النساء يستسلمن إليك أيها الصديق لا  
لسبب الا لأنك في شرح الشباب المتقد ، ولأن  
استدارة وجهك لا عيب فيها ، ولأن شعرك مسرح  
باعثناء ، ولكنك لا تصافك بهذه الصفات لا تعرف  
من هي المرأة

إن أول ما ترى الطبيعة إليه إنما هو استبقاء  
النوع ، لأن الحياة أينما تجلت من قمم الراسيات الى  
قعر البحار تفزع من الموت وتنفر من الفناء ،  
وما فرض الله هذا الناموس إلا استبقاء خلقه  
فوضع اللذة العظمى في الاتصال الجنسي بين الأحياء  
إن النخيل يرتعش غراماً عندما يرسل الى أنثاه  
ذرات الحياة تحملها جارفات الرياح . وإذا قاومت  
الوعل أنثاه فانه لا يني ينطعها حتى يبقرها .  
والحماسة تنتفض تحت جناحي زوجها كأرق  
المشيقات احساساً

وهكذا الرجل ، عندما يضم رفيقته بين ذراعيه  
أمام عظمة هذا الوجود يشعر بالشرارة الآلهية التي  
خلق منها تهب مشتغلة في صميم فؤاده

أيها الصديق ، إذا ما ضممت إلى صدرك امرأة  
ملؤها الصحة والجمال وشعرت بسكرة الغرام تفجر  
الدمع من مآقيك وبالخلود في صميم فؤادك يدفع  
إلى شفقتك بالقسم تفره زفراً بثبات حبك إلى  
الأبد ، فلا تكبح جراح نفسك حتى ولو كانت  
المرأة التي تضم بين ذراعيك من بنات المواقير .  
ولكن حذار ! ألا تميز بين الحمرة التي تكررهما  
والثمل الذي يسود مشاعرك منها ؟ ولا تحسبن

أنفسهم آلات حرث و زرع . فليس هنالك شعور  
مستعارة ولا أصباغ ولا أدهن ؛ غير أن العشق  
عندهم سليم من الجرب فلا يخيل لهم أنهم في إقترانهم  
يكشفون عالماً جديداً . وإذا كانت نساؤهم محرومات  
من الحس الزهف في الشهوة فانهن سليمات من  
العلل ؛ وإذا ما خشنت ملابس أيديهن فان خشونتها  
لم تنطرق إلى قلوبهن

لقد ذهبت الحضارة مذاهب لا تأتلف والنظم  
الطبيعية ، فان المذراء الكاعب سجيئة وراء الأقفال  
وهي المخلوقة للشمس والهواء الطلق ، ومن حقها أن  
تشهد مصارعة الشباب كما كانت تشهدا بنات  
لا سيديمونيا ترجع حرة وتحب مختارة ، ولكن  
سجنها لا يحول دون تطرق العشق إليها ، فانها  
تجد الفساد في وقوفها أمام مرآتها فيدب إليها  
النحول من جمودها ويذوي في سكون الليالي جمالها  
المختنق متشوقاً إلى الهواء إلى أن يأتي يوم تسحب  
فيه من سجنها فجأة وهي لا تعرف شيئاً ولا تحب  
شيئاً وتشتهي كل شيء . وتتولى إحدى المعجائز  
تعليمها بالقاء كلمة سفينة في أذنها ، ثم تؤخذ بعد هذا  
الدرس لتلقى على فراش رجل مجهول يغتصبها اغتصاباً  
ذلك هو الزواج أو بالأحرى ذلك هو منشأ  
الأسرة المتمدينة ...

وتغر الشهور فاذا بالفتاة تقذف إلى الوجود  
بطفلها ، وإذا بشعرها يتساقط وبصدرها يتدلى  
فوق جسم شوهته التجاعيد

لقد فقدت هذه المسكينة جمال العاشقات قبل  
أن تعشق ، فهي لا تعرف لماذا حبلى ولماذا أصبحت  
أمًا ...

فلا تقل إنك تريد حباً مطلقاً لا شرك فيه لأنك  
إذا ما قلت بهذا المبدأ ستتضطر ، وأنت إنسان  
متقلب بالطبع ، أن تستدرك خطأك فتضيف إلى  
قولك كلمة ( على قدر المستطاع )

كن راضياً بالزمان كما يجيء ، وبالهواء كما يهب ،  
وبالمرأة على ما هي عليه

إن المرأة الأسبانية وهي من الطراز الأول في  
النسوية ، تحب بلا شرك ، فقلها مخلص مضطرم  
ولكنها تخفي خنجراً تحت أثوابها فوق هذا  
القلب . والاطالبة تتقد شهوة ولكنها تفتش عن  
عريض المنكبين وتقدر قدر عشيقها كما يأخذ الخياط  
قياس زبائنه . والانكليزية متحمسة تستسلم للكآبة  
ولكنها باردة متمجرفة . والألمانية رقيقة الشعور  
ولكنها باهتة جامدة . أما الفرنسية فأنها ظريفة  
رشيقة ولكنها أكذب من الشيطان

لا تلق على المرأة تبعة ما هي عليه ، لأننا نحن  
أوجدناها في حالتها بتشويهنها في كل ساحة  
ما أوجدته الطبيعة فيها . وما الطبيعة بغافلة في  
عملها فانها تمد المذراء للعشق حتى إذا خرج الولد  
من أحشائها تساقط شعرها وهبط نهدها واحتفظ  
جسمها بآثار جراحه ، فالمرأة لم تخلق إلا لتكون  
أماً ، ولقد يعتمد الرجل عنها بعد أن تكون أدت  
مهمتها فيستنفره الجمال المفقود ولكن طفله يتعلق  
بأذياله ويشده إلى مسكنه باكيًا . هذي هي الأسرة  
وذلك هو الناموس الطبيعي وما يهتدى إلى السبيل  
السوى من تحول عنه

إن فضيلة أهل القرى قائمة على أن المرأة في  
مجتمعهم إنما هي آلة للتوليد والارضاع ، كما أنهم هم



تلقين هذا الفتى ما تلقنته هي من الحياة ، فتقضي عليه بالألا يحب طوال عمره

هذه هي المرأة كما أردناها ، وما عشيقاتنا إلا من هذا الطراز . ولكننا نمضي ممهون ، أطيب الأوقات . فإذا كنت ذا حزم ولا ثقة برجولتك ، فاتبع ما أشير به عليك . استسلم بلا وجل لتيار الحياة . تتمتع ببسات الحانات والمواخير وبسيدات الهبوت والقصور . كن ثابتاً ومتقلباً . كن حزيناً ومرحاً في وقت واحد ، ولا تبال أخدعك المرأة أم حفظت عهدك ، ما دمت واثقاً من أنها أولئك حبها

إذا كنت رجلاً عادياً لا هنية لك ، فكن محتسباً في اختيارك . وعلى كل لا تضع نصب عينيك أية صفة من الصفات التي تتمنى وجودها في عشيقاتك أما إذا كنت ضعيفاً وفي فطرتك صفات السود لا مزاي السيد ؛ وإذا كنت تشعر أن في جذورك اندفاعاً إلى التغلغل حيث تثر بحفنة من تراب ، فالأجدر بك أن تتخذ عدتك المقاومة لأنك إذا ما استسلمت لضعفك ، فلا تتوقع نمو فروعك حيث علقت أصولك ، لأنك ستجف كالنبته العلية لا تورق أغصانها ولا تنور أزهارها ، فينسرب نسغ حياتك إلى الجذوع القريبة وتبقى أوراقك كأوراق الصفصاف باهتة متراخية صفراء . وعندئذ لن تجد ما يرويك غير دموعك وما يغذيك سوى قطع قلبك

أما إذا كنت متحمساً تؤمن بالأحلام وتطامح إلى تحقيقها فإني أقول لك بكل صراحة : ان الحب وهم لا حقيقة له

يقدم الطفل لهذه المرأة ويقال لها : أنت الآن أم ، فتجيب قائلة : لست أمّا . إذهبوا بهذا الطفل إلى مريض فما في تدبي لبن له

وهل يدر اللبن صدر مثل هذا الصدر المقتصب ؟ ويؤيد الزوج هذا الرأي معلناً أن تعلق الطفل بأمه ينفره منها

تجلس هذه المرأة على سرير مخاضها الدامي فيوثي بالأطالس وتبذل العناية لشفائها من داء أمومتها ، وما يمر الشهر حتى تراها تجوب السارح وتنتقل من مرقص إلى مرقص ، ويرسل الطفل إلى مريض في إحدى القرى ، أما الزوج فيدخل إلى المواخير تحت جنح الظلام

ويدور بالمرأة عشرات الشبان يتدفق بينهم بكلمات الحب والاخلاص والوله والعناق الدائم فتسمع من أفواههم كل ما كان يدور في خلدها فلا تلبث أن تختار أحدهم لتضمه إلى صدرها . ويندفع هذا المختار إلى تدنيسها ثم يتحول عنها ليداعب الحظ في مؤسسات القراطيس المالية

قضى الأمر فليس لهذه المرأة أن تعود أدراجها ، تستخرط في البكاء ليلة ثم ترى أحداً منها حمراء مما ذرفت من دموغ ، فتتخذ عشيقاً آخر تسلو به همها فيسلها الثاني إلى ثالث إلى أن تبلغ الثلاثين أو تتجاوزها ، فيدب الفساد قاضياً فيها حتى على الأشمئزاز ، وتصادف في ليلة من ليالي جموحها يافماً يتدفق الجمال من حياه وتبدل طرته السوداء على إشراق جيده ، ترسل عيناه شرارات الحياة وتتحقق في فؤاده الأمانى العذاب ، فترى فيه خيال شبابه وتذكر ما تحمات من شقاء ، فتسارع إلى

وما أنا بمنكر عليك صحة مذهبك في الحب  
لأنه عبارة عن أن يهب الانسان جسده وروحه  
معا ، بل هو اندغام شخصين في ذات واحدة تتمشى  
تحت الشمس وتجول في الحقول الزهرة تلتف  
بأربعة معاصم وتفكر برأسين وتشمر بقلبين  
ما الحب الا ايمان وعقيدة بوجود السعادة على  
هذه الأرض

ما الحب الا المثلث المتألق بالنور على قبة هيكل  
الوجود ، فاذا أنت أحببت مشيت حراً تحت قبة  
هذا المعبود والى جنبك المرأة التي لا يفوتها ادراك  
سر خشوعك عند وقوفك لفكرة تخطر لك أو عند  
زهرة تلمحها فتتوجه بنظرة استغراق الى هذا  
المثلث السماوي

إن خير ما في الوجود هو أن يتمتع الانسان  
ببذل ما أعطى له من قوة ، لذلك كانت العبقرية  
أروع ما يستهوى النفوس ، ولكن اذا ما ضاعف  
الانسان هذه القوة بضمه فكراً الى فكره وعاطفة  
الى عاطفته فانه ليباغ السعادة العظمى وفيها يتناهى  
ما وهب الله للناس في هذه الحياة ، لذلك كانت  
الحبة أفضل من العبقرية

تلك هي الحبة فقل لي الآن اذا كانت هذه  
العاطفة العليا هي ما نسميه حبة في قلوب نساءنا  
وكيف يكون حبهن حباً وما الحبة في نظرهن  
إلا الخروج مقنعات من بيوتهن وتوجيه الرسائل  
السرية والسير بذعر على رؤوس الأقدام وإنشاء  
الدسائس وبذل التهكم ورشق اللعازل الفواتر  
وارسال تهديدات المذارى وارتداء الأثواب النفيسة  
وخلع هذه الأثواب أخيراً وراء الأقفال لاذلال

مُزاحم وخيانة زوج والنكابة بمشييق  
أجل ما المحبة في نظر نساءنا إلا التناهي  
بالأكاذيب كما يتلهى الأطفال بلعبة الكين تلك  
هي فحشاء القلب وهي أقبح من الدعارة الرومانية ،  
وذلك هو المسخ المولود سفاحاً من الفضيلة والزيلة ،  
تلك هي مهزلة الحياة التي تمثل بالهمس والغمز حيث  
يتجلى كل شيء صغيراً لا شكل له في رشاقته فكأنه  
تمثال صيني خلقة من عجائب المخلوقات ؛ تلك هي  
الجنة تتحكم في الجمال والقبح وفي كل ما هو  
سماوي وجهنمي في الأرض ؛ تلك هي الأظلال  
التي لا حقيقة لها ، بل هي رمة المظالم تتداعى من  
كل هيكل أقامه الله في الحياة  
هذا ما قاله ديجنه فتعالت أممي نبراته اللاذعة

تحت جنح الظلام  
( يتبع )

فليكس فارس

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً





هوميروس



# الأولاد لبيس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

## في أسيرطة

العشاق يتآمرون

مقدمة ما تقدم

« سقطت طروادة وعاد كل المحاربين من اليونان إلا أوديسيوس فطمع أمراء الأقاليم المجاورة في زوجته الجميلة بنلوب وحاصروا بيتها ، وأحزن ذلك إلهة الحكمة مينرقا — أو باللا أثينا — فخرست ابنه تليماك على أن يقف في وجه العشاق ، وأن يجر إلى بيلاوس ليسأل أميرها نسطور عن أبيه وأبحرت هي معه في صورة أمير البحر منتور وهو لا يدري أنه هي ... وأكرم نسطور وفادة تليماك وقص عليه ما كان بعد سقوط طروادة وأرسله معزراً مكرماً إلى أسيرطة بعد أن أيقن أن منتور أمير البحر الذي يصحب تليماك إن هو إلا مينرقا . وقد ذهب تليماك مع أكبر أبناء نسطور إلى أسيرطة ليسأل ملكها منالايوس — زوج هيلين التي كانت سبباً في حرب طروادة — عن أبيه »

وصل الركب إلى أسيرطة بعد أن غور في

وهادها وأتجد ، وانطلق تليماك وصاحبه من فورهما إلى باب منالايوس الملك حيث وجدا ، لحسن الطالع ، وجوها مسفرة ، وجواهر مستبشرة ، وموسيقى تصدح ؛ ومنشدون يرددون أناشيدهم ويرسلون أغنياتهم ، ووليمة ملكية حافلة اجتمع لها الملك وأبنائه وخلصائه ونداماه ، يأكلون ويشربون ويسمرون ويتطربون ... ماذا ؟ لقد اجتمع القوم من كل حدب ، وأقبلوا من كل صوب ، يحفلون بابني الملك : بابنه الذي زوجته أبوه من أجل غادات أسيرطة وأكثرهن وسامة وقسامة وفتنة ، ابنة ألكتور العظيم — ثم بابنته — المفتان اللعوب الطروب التي رزقها على كبر من هيلين ، والتي نافست بجمالها ودلها هرميون ابنة فينوس

وما كادا يجاوزان الوصيد حتى لمحهما إتيون ، كبير أمناء الملك ، فانطلق إلى مولاه وحدهما عنهما ... « إن لهما لمهابة وإن عليهما لرواء ، فهل

إلا عن قصر سيد الأولب في شعاف جبل إيدا ١١  
أية ثروة وأى كنز ١٢

وسمعه منالايوس الملك فقال :

« بنى ! لا تقرن أحدا منا - نحن بنى الموتي -  
الى سيد الأولب ! وأنت على حق حين ترى أن لا أحد  
يملك ما أملك أنا من أذخار وكنوز ، فقد سحبت  
في أقصى الأرض سنين عدداً ، وجمعت الدرر  
الفوالى من كل فج ... من كريت وقبرس وقينيقية  
ومصر ، ومن أثيوبيا وإرمي ... ومن صيدا  
ولوبيه ... ورؤوس الشاء والوعل هذه ... الوعل  
الوحشى السأم ... والشاء التى تمدنا بخيرها بغير  
حساب ... لقد طوفت فى الآفاق وتركيت فى كل  
منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأكم آباؤكم بذكر  
منالايوس الملك الذى دك المعقل وهدم القصور ...  
ما أنس لا أنس هذا القصر العتيد الذى جمعت  
عاليه ساقله بما فيه من أذخار وقنى ، وددت لو كان  
فى قصرى شئ منها ، وود الأغر يق لو حصلوا فى  
بلادهم جميعاً على بعضها ! هناك ! هناك تحت أسوار  
طروادة يا صاح ! يا ويح نفسى ! يارحمتنا للأصدقاء  
الأحباء الأغراء الذين ناموا نومة ! ! لشد ما أسلى  
النفس عنهم بالتأسى ؟ لشد ما يندلع الأسى فى قلبى  
عليهم جميعاً ، ولا سيما صفى وخبلى وأعر أودائى  
على ... أوديسيوس !! أوديسيوس الكريم ! ليت  
شغرى يا صديق فيم شطت بك النوى وطال عليك  
الأمم ؟ أحي ترزق ؟ أم تويت فى بطحاء بلقع ؟  
يا ويح لك ، ولأبيك الشيخ ، وزوجك المتاعة ،  
وابنك المحزون اليتيم تليماخوس ، الذى غادرته فى  
المهد ما بلغ الفطام ، الى حومة الوعى وحلبة  
الحمام ... »

يأذن لهما مولاي أم يامر فتردهما من حيث أقبلتا ؟  
وأوما الملك برأسه الكبير الذى يزيد فى وقاره  
وحسن سمته شعره الذهبى ، وأمر إتيون أن يذهب  
اليهما ، يسير بين أيديهما إليه ... » إذ كيف يرد  
عن طعامى الغرباء ، وقد طعمنا طويلاً زاد الغرباء  
ودعا إليه إتيون طائفة من الخدم وذهب الى  
الوافدين الكريمين فحياً وسلم ، وحل الأجم وأناخ  
البهم ، ومضى بهما الى داخل القصر من طريق  
يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى  
ازدانت بأحسن زينة ، وقبة العرش التى تلالأت  
فى الأنوار الوضاء والسرج الوهاجة ... ثم لقيتهما  
فتيات من عذارى القصر فقدنهما الى الحمامات  
المرمية الباذخة فاغتسلا وتضمخا ولبسا ثياباً  
ملكة ثم ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهش الملك لهما وبش ، وأجلسهما الى جانبه  
على مقعدين وثيرين ، وهما فى دهش من ذاك المنظر  
العجب . وأقبلت فتاة فصبت على أيديهما الماء ،  
وذهبت فأحضرت مائدة رائمة منسقة ، عليها قدر  
غير قليل من أنجر الأشربات وأشهى الآكال ،  
ووقف خادم آخر يقدم طبقاً بعد طبق ، وكأساً  
من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيما بين ذلك  
يبالغ فى إيناسه لهما والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى  
يفرغا من طعامهما فيخبرانه عن أمرهما ، وكان يتلطف  
فيقدم لهما قطعاً من شوائه بيده .

وسار تليماك صاحبه فقال :

« ينزستراتوس يا صديق ! ما أجل وما أنعم  
وما أروع ؟ ! هذا الحفل الباهر يتألق فى الذهب  
والفضة والعاج والكهرمان ودروع النحاس !  
أبدأ ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن



روحه ، في ثيابه من الهم »  
وانتهز ابن نسطور الفرصة فقال :  
« حقاً أيها الملك إنه هو ! ولكنه خجول حيي ،  
ولقد أوشك حياؤه أن يمنعه من لقائك ، وقد هاج  
تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، فاني ابن  
نسطور صديقك الآخر ، وقد أمرني أبي أن أصحب  
تليماخوس إلى هنا عسى أن يسمع خبراً عن أبيه  
الذي ذهب يذرع الأرض ، ولا يعلم أحد أيا ن قد  
ذهب . . . وهاك ابنه المكلوب يجتر أشجانه ،  
وتطحن فؤاده أحزانه . »  
وشده البطل - ذو الشعر الكهرماني -  
فقال :

« يا للآلهة ! أهكذا أفاجا بلقاء ولدي ! أنت ؟  
أنت ابن أوديسيوس الذي شقي طويلاً بسبي ،  
وبذل نفسه من أجل ، وما يزال يناضل الولايات من  
جرائي ؟ كرامة وحباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت  
أنك تسمى للقائي لشدت لك مدينة في أرجوس تنيه  
على المدائن وتزهي على القرى ! ورفعت لك عماد  
قصر منيف طالما كنت أخاله يؤويننا جميعاً فنسعد  
سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ومن بعد . . . ولتذ ،  
أنا وأبوك وأنت ، وجميع أهلي وأهله ، ذكريات  
الماضي المترع . . . آه يا أوديسيوس ! لقد طاشت  
الأحلام وذابت الأمانى ، وقست عليك السماء . . .  
فحرمتك كل شيء ، حتى الأوبة إلى أرض  
الوطن ! »

وأثارت كلمات الملك شجون القوم ، فبكى  
تليماخوس ، وأذرفت الملكة ، وانبعجس الدمع من  
عيني بيزستراتوس حين ذكرت طروادة فأذكرته  
قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : « حسبك أيها

ولم يملك الفتى دموعه حين سمع هذا الهاتف  
باسم والده فنشج نشيجاً مؤلماً ، ثم استخرط في  
البكاء ، وطفق يذرى شئونه في طرف ثوبه . . .  
بين دهشة منالايوس وحيرته ، وذهول الحاضرين .  
وانمقد لسان الملك فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى  
أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم ينظرون إلى هذا  
الرشا الذي يتثنى مياساً في ظلال من الفتنة كأنه  
ديانا ربة القوس الذهبية . . .

واستوت على عرشها المنضد ، الذي أصلحته  
يدا أدرستا وعناية أكليپ ، ثم أحضرت الطرف  
والهدايا والهي . . . فهذه سلة من الفضة المزخرفة  
بالتصاوير هدية من ألكندرا زوج پوليب أمير  
طيبة ، عروس المدائن المصرية ؛ وتلك عشر يدّر  
من النضار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان  
من الابريز . . . يقدمها كلها ملك أسبرطة إلى زوجه  
البارعة الرائعة الهيفاء . . . ونظرت هيلين إلى  
الضييقين الغريبين ، وسألت زوجهما :

« ملكي ! نشدتك الآلهة أن تخبرني من  
هذان ؟ إن أحدهما شديد الشبه بطفل أوديسيوس . . .  
الصغير تليماخوس . . . الذي تركه أبوه صبيّاً في المهد  
من جراء حرب إليوم المشثومة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك يا هيلين ، لقد دار  
بفخلي ما دار بخلدك من أمر هذا الفتى ! ألا ما أشبه  
الساقين والساعدين وتفتر العينين واسترسال  
التمتين <sup>(١)</sup> بما كان لأوديسيوس ؟ ! لقد ذكرت  
ما قامى صاحبي من أجل وفي سبيلي تحت أسوار  
إليوم ، فسرعان ما رأيت الشاب يبكي ويبكى ويبالغ  
في البكاء ، ثم يغلبه حزنه فيخفي وجهه ، وفيه  
(٢) ألة الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن

لقد أزرى بي أن أفر راغمة فأهجر فراثنى الطهور  
وطفتني اليافعة إلى بلاد قاصية لاناقة لي فيها ولا  
جل ... »

وأعذرَها الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :  
« أبداً ما رأيت أثبت جأشاً ولا أربط قلباً  
من أوديسيوس ؛ وإن أنس لا أنس يوم الروع  
الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر ، ثم دبر  
هذه الحيلة العجيبة ، حيلة الحصان الهولة الذي قهر  
الساطروادة في يوم أو بعض يوم ، وقد عيينا بها  
السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس<sup>(١)</sup>  
الصناديد ، وكثت أنا — سقى الله الشباب —  
واحداً منهم ، فما أنسى قط حين أقبَلت في  
عصبة ذوى أيد من مذاويد الطرواديين ( إذ هتف  
بهم هاتف إن الحصان يحمل لهم شراً ويطوى  
لقريتهم تبوراً ) فجعلت أنت تنادين بأسماء الفرسان  
اليونانيين واحداً بعد واحد لئلا ترى هل اختبأ منا  
بداخله أحد كما تنبأ بذلك التنبؤون . قال الله لقد  
كدت أرد عليك نداءك حينما هتفت باسمي ؛ وقال الله  
لقد أوشك زمبلي ديوميديد رد عليك هو الآخر ،  
لولا أن فطن أوديسيوس فحذرنا وحبس ألسنتنا  
الشقشقة التي كادت توردها موارد الهلاك ، لو أن  
أحدنا منا خدع فنبس بينت شفة ... واحتراباً !!!  
لقد صمتنا جميعاً ولسكنك عاودت ، فما كدت  
تهتفين باسم أنتيكولوس ، حتى أوشك المجنون أن  
يلبي ، لولا أن كتم أوديسيوس أنفاسه بكلمات يديه ،  
حتى لكاد يزهرق روحه !!! ولم يُعَفِّه حتى أيقنا  
أنك عدت أدراجك ، وعاد معك القوم المنكرون »  
ثم كان المزيج الأخير من الليل ، فتلطَّف

الملك ! لقد تذاكرنا ، أنا وصاحبي ، جلائل أعمالك  
فمررنا فيك المليك الأجل ، والمقدام البطل ، ولكن  
ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد ظالت يد الردى أخى وابن  
أُمى وأبى في سبيلك كذلك ! ألا تذكر ؟ أنتيلوخوس !  
البطل المغوار والفارس الكرار الذى لم تكتحل  
عيناي برؤيته ! أوه يا ابن أودودا القادر ، شلت  
يداك بما فتكت بأخى ! ... »

وتمطف الملك فطيَّب ابن نسطور بكلمات  
عاليات ، وأمر الندمان فصب الماء على أيديهم جميعاً  
ثم أخذوا في آكلهم ، وصبت هيلين قطرات من  
طيب مُذهَّب الأحزان في كأس تليماك ، وكأس  
صاحبه ، لا يعرف من يذوقها إلى الأسى من سبيل .  
وهي قطرات عجيبة أهدتها الملكة ، زوجة (ذون)  
الأميرة المصرية يولندامنا ، وكم في مصر من سحر  
مبين !

وتكلمت هيلين ، فذكرت ما كان من  
أوديسيوس يوم التقى الجمعان عند اليوم ، وكيف  
استطاع أن يتسلل مستخفياً في ثياب شحاذ إلى  
داخل المدينة العتيقة ، وكيف قابلهما في حجرة  
باريس ليطلعهما على خطة اليونانيين ، وما كان من  
رجائه إياها ألا تفضحه عند أعدائه حتى يمودسالمًا  
إلى مفسكره ونخيمه ، وأنها برت فلم تنبئ أحداً  
بوجوده .. ثم رأت أن تتنصل من فضيحة فرارها  
مع باريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغمها  
لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها ( لما  
وعدت به باريس من أنها ستهبه أجمل قادات  
هيلاس إذا هو قضى لها بالتفاحة<sup>(١)</sup> ) . « واخجلتنا !

(١) الألياذة — قضى باريس بالتفاحة لفينوس وحرَمَ  
منها منيرفا وحيرا وذلك سبب عداتهما للطرواديين

(١) اسم يونان القديمة



ينافس بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء . . .  
من أجل زوجه ١١ يا للعار ! إنهم استباحوا كل  
شيء . . . كل نعمته وكل شأنه ، ولم يمتنعوا آخر  
الأمر عن عرضه . انى أستجيرك يا مولاي وأضرع  
اليك أن تخبرني عما تعلم من أمر أبي ؟ هل قضى  
تحت أسوار إليوم ؟ أم غالته يد المنون في ركن  
آخر من أركان الأرض ؟ لقد كان خليلك وصفيك  
وآثر أصدقائك ، وأعز أودائك عليك ، فبكل  
آلاء ذلك عندك أستحلفك أن تصدقني . . . ماذا  
تعرف من أخباره ، وماذا عسيت سمعت من  
أنبائه ؟ »

وتنفس الملك تنفسة عميقة وقال :

« يا أرباب الأولمب ! أبلغت حقارة نفوسهم  
أن يفضحوا أوديسيوس في عرضه ؟ ألا ياءوا  
بما صنعوا ! ألا ما أشبههم بهذه الوعدة التي أجاهها  
الخاض فولدت في عرين الأسد ، فلما عاد الأسد  
إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفارها (١) !  
حنانيك يا آلهة زيوس ! مينرغا ! أبوللو (٢) ! أين  
هو فيبطش الجبارين كما بطش بغيوميليد العسقي من  
قبل ؟ تالله لقد اقتربت ساعتهم وأزفت آزفتهم . . .  
فطب نفساً يا بني ؟ إني منبيك بما علمته عن أبيك  
من ( بروتوس ) راعي الأعماق ، وكاهن الأغوار  
ضلت بنا الفلك بما نسينا من التضحية باسم  
الآلهة ، فبلغنا شطآن مصر ، ورسونا عند جزيرة  
فاروس ، بحيث كان في مقدورنا أن نروى من  
كوثر هذه البلاد التي تجري من تحتها الأنهار ،

(١) جمع غفر وهو ولد الوعل

(٢) كان أبوللو من خصوم اليونانيين في حرب  
طروادة ولذا يدهشنا هذا الدعاء

تليماخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخذ كل  
نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأشارت هيلين إلى  
وصيفاتها فأمرعن الى مخادع الأضياف ، فأصاحن  
فرشها ، وأعددن الملاحف والوسائد والحشايا ، ثم  
نهض أمين الملك ، ونهض في إثره يزا ستراتوس  
وتليماخوس ، حتى كان كل في مخدعه ، وحتى اطمأن  
كل في سريرته ، وناما . . . في . . . سمور وفي  
قائم وفي سنجاب

وتهاويل غير ذاك من الر

قم ومن سندس ومن زرياب (١)

ونهض الملك والملكة كذلك فدخلوا القصر ،

واستسلما لأطيب الرقاد

\*\*\*

وذراً قرن أورورا ، ربة الفجر ، في المشرق  
الوردى ، فهب الملك وأصلح شأنه ، ورف بازئه  
الأشهب فوقف على غاربه ، ثم مضى الى مجلسه  
حيث لقي تليماك في انتظاره ، فحيا وجلس وبدأ  
حديثه فقال :

« أى بني ! تليماخوس ! أيها البطل وسليل  
البطل ! فيم شددت رحلك الى هنا ؟ الى رحاب  
ليسيديمون (٢) في فلوات البر وسروات البحر ؟  
الأمر عام ، أم لشأن يخصك ويتعلق بشخصك ؟ »  
وأجاب تليماك : « مولاي الملك ! منالايوس  
العظيم ! لقد جئت أتحسس خبراً عن أبي وأقبات  
أحدث عن أعدائه الذين آووا الى بيته فما يريمون  
يستزفون غلته ، ويهلكون حرثه ، ثم هم مع ذاك

(١) الشعر لابن الرومي لم نجد أحسن منه في ترجمة  
أبيات هومر

(٢) من أسماء أسبرطة

تتغفله فتقبض عليه. وتشدد وثاقه ، فإنه يقفك على أبعاد هذا اليم ، والطريق السوى الذى ينتهى بك سالماً غائماً الى بلادك . بل ربما — إذا طلبت اليه ذلك — وقفك على كل ما حصل فى بيتك من خير أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأنى أعرف أنك صفى السماء وجيب الآلهة .

غير أنى لم أدر كيف تستطيع أيدى بنى الموتى أن تقبض على هذا الآله البحرى الكريم ؛ ولم أخف عليها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت لها أنه ربما ولى دبرة إذا شعر منى بهذه المحاولة فلا أستطيع لقاءه بعدها أبداً . بيد أنها طمأنتنى ، وذكرت أن أباه يخرج من الأعماق فى الظهيرة إلى جون قريب حيث يستلقى برهة وسط قطمان كثيفة من عجول البحر ، من ذرارى هاليسودنا الجميلة ، تأتى هى الأخرى فى أثره لتنام نمة . . . « فإذا كانت هذه الساعة فأنى سأقودك بنفسى إلى

هناك ، وليكن معك من رجالك ثلاثة هم أشجعهم وأكثرهم قوة ، وسأدلكم على منعرج آمن تنظرون به حتى يكون قد غلبه السكرى ، ثم تنقضون عليه فتكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهبك بشيء أبداً ؛ إنه سيكون نارة شيلارابيا ، وقارة سيكون ناراً ترى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ، وأخرى يكون أفعوانا هائلاً ينفث السم . . . ولكن خذوه أخذاً شديداً ولا تقتلوه فتهلكوا . . . فإنه إن آنس فيكم قوة عادية تنفض إلى صورته الأولى التى رأبتموه عليها ، ثم ترونه بعد ذلك أسلس قياده ، وهذا وتطامن . . . فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ، فدعوا وثاقه وأطلقوا سراحه وسلوه ما شئتم ، فإنه يجيبكم عما تسألون . »

( يتبع )

دربى غشبه

ثم لبثنا ثمة عشرين يوماً لا تجرى بنا ريح ، ولا يرفه عنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ الزاد ، وظننا أنه المهاد ، لولا أن رثت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثاً أى غوث ، كنت أجلس وحدى فى منعرج بأحد أطراف الجزيرة ، وكان بقية صحبى وأكثر الملاحون يرتادون البناء بشصوصهم<sup>(١)</sup> عسى أن يحصلوا على سمك طرى يكون غذاءً لنا ، إذ برزت عروس الماء ( إيدوتيا ) الجميلة ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ، وتهادت حتى كانت تلقانى ، ثم جلست بجانبى ، وحدثتنى فقالت : « أيها النازح الغريب ! أكبر الظن أنك مذهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو أن طائفاً من الجنون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء السرمدى حيث لصقت بأرض هذه الجزيرة فما تنوى مضياً ، ولا تلتمس مخرجاً ، ولو هلك كل أصحابك ! »

ولم أبال أنى شذت ، فسألتها قائلاً : حسبك ياربة ! إنى ما لصقت بأرض هذه الجزيرة بأمرى ، ولا أقت فيها بمرضاى ، بل كانت ذلك قدراً على مقدوراً ؛ ولكن أخبرى بحقك إذ الآلهة تعلم كل شيء — من من أرباب السماء يحبسنى هنا ؟ . . . وهل مقدورى أن أرتد إلى وطنى فوق غوارب هذا اليم المضطرب ؟ . . . »

وقالت عروس الماء : « أيها النازح الغريب ! سأندبك فأصدقك ! إنك الآن مقيم بشطآن مصر التى تقع تحت إشراف أبى ، پروتيوس ، سيد الأعماق ، ورب المياه المصرية ، والمتصل برطايا نبتيون فى أغوار هذا البحر ، فإذا استطعت أن

(١) الشص حديدة عفاء يهاد بها السمك ( السنارة )



بلى ! ليس الجمال في  
المكاتب ، إنما الجمال في  
ظل القدم ، في الظل  
اليوناني ، وفي الأم التي  
يكن إيقاعها وأوزانها  
تحت الأرض ، حيث  
تؤلف كل اثنتي عشرة  
خطوة في الليل بيتاً من  
الشعر

# سنتا إلى الهولك

مشرحة شعرية في أربعة فصول

للشاعر الفرنسي مورييس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوي

## الفصل الثاني

« قصر باريس إيجلانو في الجزيرة على ضفاف النيل ،  
القصر خال من كل شيء ، لا مكتبة ولا كتاب ، هناك  
أزهار في آنيها ، تمثال صغير في إحدى الزوايا ،  
وفي الأعماق شرفة تطل على الصحراء كأنها تطل على  
بستان من الرمال الذهبية المتوهجة . والزمن بشفق ! »

### المشهد الأول

باريس ( على مقعد ممدود ) وسانتيا شقيقة إزاءه  
سانتيا - الجو جميل والفصل بهي . . .  
باريس - المحي هذه اللمعات البيض البعيدة  
سانتيا - هذه ممفيس كما تعلم وينابيعها التي  
تجري كأنها تجري من الأحلام  
( يرى قرويات حاملات جرارهن )

باريس - روما ! إن تمائلك لا تبلغ مثل هذه  
الروعة ! أراهن - وهن عشرين - كأن الحياة تكاد  
تدب فيهن . سانتيا ! ليس الجمال في أطواء الكتب .  
لا تمثل الكتب شيئاً ؛ إنها ليست إلا لحداً !  
سانتيا - أو بعض شيء ندى يرشف !

باريس - ( يرى النسوة كأنها يؤلفن صفاً من  
الجمال لا يتفصل عن المبون ) أليس هذا جميلاً حقاً ؟

سانتيا - إننا غادرنا من أجلك الحداثق  
المؤرجة بالياسمين كالأزهار الندية ، وقد هجرت  
الكتابة يا باريس ! فلماذا لم تعد تكتب شيئاً ؟  
( يشير باريس بيده )

لاحق لك في الصمت ، إنني أسمع مكتبة إلهاماتك ،  
التي تتجري عن كلماتك . أنت لا تستطيع أن تبقى  
هذا العنديل صامتاً . ألا تود أن تكتب شيئاً ؟  
باريس - أبداً !

سانتيا - وهذه الأبيات ، وهذه الأغاني  
الحادة المشوشة التي تنتهد في نفسك ؟

باريس - سأصرفها عني ! بل سأطردها  
كأنها أفاق متشرد ! على أني في بعض خطراتي  
لا أكتفك أنني أسممها صارخة شاكية راجية أن  
تبقى وأن تحيا . يرجوني نهدي قائلاً : ضعني في  
كتابك ؛ وألمى الفتى يهتف بي : « خلدي » ؛ وخفوق  
قلبي يصيح : « دعني أبقى » . مع أن كآبات مساء  
شاكية ، لأنها أضاعت أجنحتها ، تود أن تبقى خالدة  
سانتيا - إنها الجريمة . . .

باريس - ذلك حسن ! على أني في الحقيقة  
أعبد وأقدر هذه الآثار الرائعة المعجبة التي لم أقم بها  
سانتيا - أتبكي ؟

كسرت قيثارتى وأصبحت لا آسف على شيء .  
أقول لك : ما يهمنى كل ذلك ؟ وهل الشجرة التى  
عانت يونيو تفكر فى ما تنثر من أوراقها فى  
الخريف ؟ إننى أحب هذه العزلة التى أحيا فيها الآن .  
قد بلغنا الجزيرة ليلاً كغرباء راحلين ؛ أنت  
ومارسيلوس وأما ، لم نجد من ينقل متاعنا إلا هذا  
الفتى المصرى ؛ وكانت لكل هذه الميول المحدودة  
هيئة عينيك . لا صحف ولا جلبة ، ولا فتيان  
ولا مصورون . كل هؤلاء لم يشقوا سبيلاً إلى  
الصحراء ولم يجدوا منفذاً إليها ؛ فهذه النخلة  
المهمة لا تعرف أشعاري ، وأبو الهول الجبار يسخر  
- فى أعماق الليالى المصرية - من هؤلاء المفسرين  
أخاى الحياة ، الجاهلين أحجيتهم العجيبة ولغزهم  
الغريب ، وإنى لأراني مفتوناً بهذه الظلمات الجديدة ،  
وبهذه الغبطة التى لا تجعل منى رجلاً مشهوراً . . .  
ماعسانى أقول ؟ إن اسمى - هنا - شيء  
مجهول ، ولا شيء من كل الجلبة التى قامت حوله  
بلغ هذا المكان . كذلك الزهو الانسانى يتلاشى  
ويشعر بصغاره وحقارته على أقدام الأهرام . لا أحد  
يعلم اسمى ، ولا أحد ينى كلمة من كل ما صنعتته

( يفتح الباب وتدخل فتاة مصرية وتمثل أمامها  
كأنها رمز خفى من رموز المدينة )

الفتاة - الشاعر يجلسون .

### المشهد الثانى

الفتاة - ( بتردد ) :

الشاعر يجلسون

سانتيا - ولكن . . .

الفتاة - هذا هو ياسيدتى

باريس - إنك واهمة

الفتاة - ولكنى جزت المدينة بحجابى الملمب

لأحظى برؤيته ، والبيت الصغير الذى تحرسه نخلة

باريس - ماذا تريد منى ؟ بلى ؟ . . . إننى  
أذرف الدمع تهاناً بلا انقطاع . لقد كنت قبلاً  
أعبر فى قصائدى الأولى عن فتوى ، ولقد كان  
صرافى الزمان فى الليل مشرقاً ، أما اليوم  
- يا سانتيا التمس - ماعسانى أصنع فى شعرى ؟  
وأغنى - الدهشة قد فقدت رقتها وأصبح أجملها  
ما طفح بالدموع

سانتيا - إذا شدا العندليب فى شدوه رنة البكاء

باريس - فى الآلام الكبيرة لا يستطيع الغناء .

سانتيا - ألا تجد نفسك - خلال سكينتها -

أسفة على سماء إيطاليا وعلى ذلك المساء العائى الذى  
نثرت فيه روايتك على الشعب الهامج

باريس - لا آسف على شيء

سانتيا - ولا على القطعة الممزقة : ذلك الأثر

الذى لم يعد يجدى شيئاً . قطعه الممزقة صنعت  
المدينة جماء ، ولم يبق منه إلا نسخة واحدة . إننى  
فكرت فيه وفكرت فى تلك المرق المتناثرة فى  
الليل . هذا فؤادك يا باريس ، فؤادك الكئيب  
الزاهق مرقته فى كل ورقة تطير . ألا تأسف على  
ذلك اليوم المقطوب ؟

باريس - لا ، وصنعت فى ذلك اليوم ما أصنعه

دائماً ، لأننى ما كتبت لحظة إلا ظارحاً فؤادى

على الناس . إننى غير آسف على شيء

سانتيا - ولكن ألا تأسف على صوت

إيزابيلا ؟ ألا تأسف على ذلك الكيان الملمب الذى

بنظرة واحدة منه عرف أن يصنعك ، إنها يا باريس

كانت إلهة فنك ؛ فهل تستطيع أن تفر من

صوتها ومن نظرتها كل دهرك ؟ وهل نسيت أنك

أصبحت تصنع أجل أشعارك لتشدو بها ؟

باريس - تلك كانت القيثارة التى يفتش عنها

فؤادى ، واليوم أصبحت غير محتاج إليها . لقد



لأنك مرققتها ، أنت باريس إيجلانو الذى أعبدته  
 باريس — احمل قلبك فاني أحطمه  
 الفتاة — ولكنى رأيتك  
 باريس — شاعر كبير بالقرب منك ؛ هذا هو  
 أنا ! فلتوقن نفسك الطامحة ؛ هذا ما كنت تتمنينه  
 الفتاة — إذا كانت نفسك تريد فى كل آن  
 الهزء والسخرية ، فلا تفسد تلك الصورة التى  
 أحفظها لك ، فكل ما أنا مدينة لك به من بهاء نور ،  
 وقم عالية ، وكل ما أودعته فى صدرى من أحلام ،  
 ومثل أعلى ، وعظمة وجلال  
 باريس — أ كاذب وأضاليل !  
 الفتاة — المثل الأعلى !  
 باريس — إن هو الا قناع عتيق مزوق !  
 الفتاة — لقد كان غذاؤك لى خيراً من  
 الشهد والخبز  
 باريس — أسكتى ! لقد كنت كاذباً  
 الفتاة — واسكت أنت ، وليكن الآن  
 ما كان بجنوح ذوقك إلى الأسرار ، فانت رفعت  
 قلوبنا بأنيثتك وبكائك  
 باريس — إنه لحد فارغ ؛ بل ليته كان لحداً !  
 إنه ليس بلحد ، وهل العندليب الذى يبت شجواه  
 على الأغصان ينادى موسيقياً لينقل دموعه ، وذلك  
 الشقاء الأليم — بعد أن يبلغ القمة — ألا يسكت  
 إلى الأبد ؟ لا ؛ اننا لم نقل شيئاً عن حفظنا المشثوم ،  
 ومن هذه المسائدة الدامية لم يبق لك إلا البقايا  
 الفتاة — اننى سأقنع بهذا اللحد الفارغ ...  
 ولكن ماذا ! ان باريس إيجلانو حى يرزق ؛ فما  
 يهمنى الليل والسكون الكدرى ؟ انه حى ؛ انه فى  
 صدر الحياة ، لن تكون الأرض خالية فارغة  
 ( وتخرج وهو ينكب على الطاولة كأنه مجذوب  
 يفكر سري ، يفتح درجاً وينظر فى صورة ثم يضعها  
 أمامه ، ويكتب ... وتخرج سائتياً )

سوداء اجتذبنى كأنه معبد فى الطبيعة ، لأن لنا  
 قلوباً إن لم يكن لنا وجوه  
 باريس — خطأ !  
 الفتاة — نحن اللواتى نظل وراء أقنعة السكابة  
 حتى فى النهار يأتى إلينا « الغرب » مع نسائم البحر  
 باريس — ولكنه لا يحيا هنا  
 الفتاة — تخطر صورته بين جوانحي دائماً ،  
 صورته المحبوبة ، صورة هذا الذى يبكي عليه أشد  
 بكاء . بلى ! أهواه ؛ وكل قصيدة من قصائده المتهبة  
 تقدر أن تعبر عن نفسى بلهجة أوضح من لهجتي .  
 إننى أنطق مع أبياته ، وأحس مع ذكرياته ، وأتألم  
 لهثافه ، وأحب مع تنهداته  
 باريس — ولكنه مات  
 الفتاة — ( بلهفة ) مات ! يا إلهى ! ليس ذلك  
 ممكناً  
 باريس — مات ؛ ولى الفخر بمعرفته ؛ لقد  
 كان لى صديقاً  
 الفتاة — مات ...  
 باريس — أنت تبكين ...  
 الفتاة — أحس أن الوجود كله أمسى محدوداً  
 باريس — ( مخنطفاً الصورة من بين يديها )  
 وهذه الصورة ...  
 الفتاة — أصونها وأقدسها منذ عامين  
 باريس — أنظري ما أنا صانع بها  
 ( يمزقها ) والآن فابكى أيضاً !  
 الفتاة — إلهى ...  
 باريس — ابكى الآن على شيء ؛ ابكى على  
 صورة ...  
 الفتاة — ( مضعدة بصرها قليلاً فى وجه باريس )  
 هذا هو أنت ؛ فهمت الآن ، لا أحد يقدر على  
 أن يأتى بهذا التجديف الشيطاني ... أنت إيجلانو

### المشهد الثالث

باريس - ( منفرداً )

لا لا ... لا أستطيع

( قوة غريبة تدفعه الى الكتابة )

هذه هي المرة الأولى من بعد فصول فارغة وشهور خالية . لماذا ، لماذا ، لماذا يا إلهي ؟ هذا الموكب القديم ؟ الكلمات ؟ وأية كلمات تجديني نفماً ؟

نفيتك عنى عشرين مرة أيتها النجمة المسماة من عالم الآلهة ، لا أريد هبتك على ، ولا أريد أن اميل إليك . في هذا المكان المنعزل لا أحد يشير إلى أنك تنزلين على الأرض

لا كتاب عندي لا شيء ... الهواء ... الفضاء ... الريح ! ومارسيللوس وحده يتلو « فرجيل » حالماً . ولا يدل هذا البيت على أنه بيت شاعر ، وإنما يدل على واحة نفس قلقة ، التهمها قلقها

بلى ! هذا هو العنوان الوحيد الذي خلدها في الوجود ، وهذه صناعتى الوحيدة ، إننى قلق ... فلماذا لا تزالين تمودين نفسى وتهيجينى أيتها الآلهة التى أكره زيارتها فى كل أصباحى ؟ ولماذا توسوسين للنفس بأبيات جديدة ؟ لا أود أن أكتب شيئاً ؛ أفهمت ؟ إن فكرتى الجميمة تذهب إلى أبعد من عالم الكلمات ، وأنا غادرت كل عالم التعبير والألفاظ ( يكتب باملأ غير منظور )

« يا أبا الهول الأعظم ، يا وثن العدم ! الذى تدعونى إليك بعيداً عن العالم ! الصحراء هي أوقيانوسك ، والكواكب هي أحداقك !

تبدولى كأنك علامة ساطعة !  
خلال أعماق الأعصار والأعمار

أنت الذى شهدت صرعة الآلهة وشعبت مع الغيوم

هذه غيوم !

الأبدية هي البساط الذى تسحب عليه مخالبك ، وغذاؤك - حين تطلب الغذاء - أحلامنا ( يتم الكتابة ، فيدخل مارسيللوس شاحب الوجه ، يدنو من باريس وباريس مازال يكتب كالمنجذوب بهذا الوحي . ينظره مارسيللوس وفجأة يطرح باريس ما كتبه على الأرض حيث يرى مارسيللوس )

### المشهد الرابع

باريس - مارسيللوس !

مارسيللوس - ماذا توارى عنى ؟

باريس - لا شيء

مارسيللوس - أشعراً ؟

باريس - ( ناظراً فى مكان بعيد حيث يبدو أبوالهول كفارق فى الضباب المذهب )

ذاك من أجله ، لا من أجل هذا العالم القائم . اليكها ! ها هي ذى مطروحة على الأرض !

مارسيللوس - أنعمها عن أخيك أيضاً ؟

باريس - وما عسى يجدى ذلك ؟ إنك تدرى الشحوب الذى تقنع به وجهانا !

مارسيللوس - ولكن ...

باريس - ( يتناول منه كتاباً ) :

فرجيل ، دائماً !

مارسيللوس - أتلوه باستمرار ، إننى أعود

دائماً إلى طريق النور حيث فتح « فرجيل »

أجفانى . يخيل إلى أنه ينادى : « أنت مارسيللوس »

والشفق المذهب مغمور بالسلام الهادئ ، يطفو

عليه صفاء وخشوع ، أعود دائماً إلى بيته العظيم

القائل « ستغدو مثل مارسيللوس » فهل يا ترى

أحول يوماً ذلك الجوال الذى اختلسه الزمان من



مشمله ؟ وهل أموت قبل أن أستنفذ فكري ؟  
قبل أن أضوي من الحياة وقبل أن أجد « قرعياً »  
يحملني في النهاية خالداً ؟

باريس — ولماذا تشكك عن الموت ؟

مارسيللوس — أتعلم لماذا أحلم به ؟

إني إذا احتضرت قبلك على هذه الرمال المحرقة ،  
وإذا قدر لي أن أكون السابق وأنت اللاحق ،  
وإذا قدر أن يكون للأصغر أمر إرشادك إلى الطريق  
في هذه الظلمات حيث ينهزم آخر فشل ، إذا قدر  
لك يا أخي البكر أن تقتني أنت قبس مشعل لنزل  
في مثنواك ، فأقسم لي بأنك تقناول القيثارة المهملة  
المحطم قطعاً على الشاطئ بقلب شجاع . أقسم لي  
بأنك تجعلني خالداً في شعرك . إن جزع الموت  
يخف على وقعه إذا جثتني خلاله وإذا قدمت واضعاً  
على الحدى إكليلاً من الفار ... أقسم !

باريس — ( بابتسامة )

إني مقسم لك ... ولكن لماذا يساورك هذا  
الشك في نصيبنا ؟ إننا سنموت معاً في يوم لا يزال  
بعيداً ، نموت كهلين هادئين عارفين سره الأكبر  
مارسيللوس — ( منهداً )

إنني في ريب من ذلك ؛ إنني لا أجد طريقاً  
أمام قدمي الفتيتين ... ويخيل إلي أن كل شيء منته  
أو محدود ، ولكن هذا ليس له جمال غريب ؟  
جماله بالآزى على هذه الأرض الصفراء التي طرحنا  
عليها القدر ، لا نرى من كل شيء إلا شبحاً ومعبراً ،  
لا نكتهل ولا نتألم ولا نحب . نرى كل شيء بعيداً  
دون أن نألفه أو نأنس به . غير متروحين الا وردة  
الغد !

أخي ! ليس هذا القدر بقبيح ، أقسم لك  
على ذلك

يقول البيت الناقص : « ستغدو أنت

كمارسيللوس » وإن حظه كله يتمثل في ذلك الغد  
( يتعد قليلاً وباريس يهز كتفيه باسماً ثم يعود  
مارسيللوس على أثره )

مارسيللوس — نسيت أن أذكرك شيئاً عظيماً .  
على قيد خطوتين مني في الطريق أتعلم أني لمحت  
« إزاييلا موتي » ؟

باريس — ( بدعشة )

إزاييلا موتي ...

مارسيللوس — هي ذاتها

باريس — إلهي !

مارسيللوس — لم تكن وحيدة ، كان يتبعها  
أرجنتي وجدتها هيلين

باريس — إن هذا الجنون : لا أستطيع أن  
أراها ... لا ! لا أستطيع ... إن الشاعر قد انتحرف في  
نفسه ، وإنني أظرد كل ما يحدثني الماضي عنه بأسان عذب  
إزاييلا ... إنه اسم غدا بعيداً عني ... إنها  
هي التي فررت منها فراري من القدر

( يقرع باب الحديقة )

مارسيللوس — آه هم أنفسهم

باريس — لالا ؛ لماذا ضعفت ؟ إن قاتي يذود  
عني إزاء الفن إلى الأبد ... لتدخل ...

( مارسيللوس ينطلق ليفتح الباب ويقف لحظة جامداً )  
نعم ! لتدخل ! لقد كنت أخاف قبلاً ، والآن

يتراءى لي كل شيء إزاء أبي الهول بخاراً متلاشياً .  
إذهب إلى لقائهما ، ولتأت ولتعلم أن كل شيء

— حيث بقيم أبو الهول — سحاب عابر ! إنها  
أصبحت — عندي — لا شيء

إزاييلا — ( صائحة )

باريس !

( تمتد يداها ثم تسقطان على فراغ )

هذا الذي كان يكتب لي قبلاً

( يتبع )

فيليب هندراوي











التعشيق





صاحب المجلة ومديرها  
رئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
الغزة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الزيت

مجلة أسبوعية للقصص والبرق

نصدره مؤقناً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الأولى

٤ صفر سنة ١٣٥٦ - ١٥ أبريل سنة ١٩٣٧

العدد السادس

من أحسن القصص



## فهرس العدد

صفحة	
٣٣٠	الحامي ... لحي دي موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات
٣٣٤	هتاف الهاوية ... أفصوصة فرنسية ... بقلم ف . ف
٣٣٦	كيف كنت عمأ ... أفصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٣٤١	مبارزة .. لتقولا تيشوف ... بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي
٣٤٥	من القاتل ... لأندريه وارنود ... بقلم الدكتور محمد الرافعي
٣٥١	في سبيل الزوجة ... لتوماس هاردي ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٣٥٧	يوميات نائب في الأرياف ... صبور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٣٦٣	الساحر .. لتشيرلوكوف ... بقلم الأديب نظمي خليل
٣٧١	صيد السمك ... للسكاتبه الانجليزية سرفلد ... بقلم الأديب حسن حبشي
٣٧٤	اعتراقات فتى العصر ... لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس
٣٨٠	الأوذيسية ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشبة
٣٨٥	سر أبي الهول ... لموريس رستان ... بقلم الأستاذ خليل هندأوى



الأمين ، يؤدي كل سخرة ، ويلبي كل طلب ،  
ويتنقل نفسه للنائب في كل ما جل وقل من  
غير كافة ولا حرج

ثم اتفق في إحدى المغامرات البرلمانية  
أن صار هذا النائب وزيرا ، فلم تمض ستة  
أشهر على ذلك حتى عين جان مارين مستشارا  
في مجلس الدولة

\*\*\*

أصاب الرجل أول ما أصابه فكة من الصلف  
والكبر طاش بها ليه وغاب فيها صوابه ، فكان  
يجوب الشوارع ولذته أن يظهر  
للناس ، كأنهم يستطيعون أن  
يعرفوا المنصب الذي صار إليه ،  
بمجرد أن تقع أبصارهم عليه .  
وكان يتصيد المناسبات ويترصده  
الفرص ليقول لصاحب الخانوت  
وبائع الصحف وسائق المركبة :  
أنا - ومنصبى مستشار  
في مجلس الدولة - . . .

ثم شعر بعد ذلك بالحاجة  
الملحة إلى أن يحمي غيره ، كأنما  
اقتضاه ذلك الشموخ كرامة  
المنصب ، وضرورة المهنة ،  
وواجب القادر الكريم . فقدم  
سنده وعونه إلى كل امرئ في  
كل أمر ، وبسط عنانه في ذلك

حتى عفا على حاجة المحتاج وسؤال السائل . كان  
إذا لمح في الشارع وجها يعرفه دلف إليه في لهفة  
وهشاشة ؛ ثم تناول يديه وسأله عن صحته وحاله ،

## الحكاشي

للكاتب القصصى جى دى موباسان  
بترجم احمد حسن الزيات

لم يكن جان مارين يقدر في حلمه ولا في وهمه  
أنه سيكون يوماً على هذه الثروة وفي هذه المنزلة  
وهو ابن محضر من محضرى الأقاليم . أرسله أبوه

إلى الحى اللاتينى يدرس الحقوق  
كما يدرسها كثير مثله ، فكان  
حليماً من أحلاس مشارب  
البيرة يغشاها واحدا بعد  
واحد ، حتى اتصلت أسبابه  
بطائفة من الطلبة الرغائين الذين  
يستفرغون أحاديث السياسة  
وهم يتماطون أكوام البيرة .  
واشتد إعجابه بتخليطهم وولوعه  
بخلاتهم ، فطلبهم في كل  
مجلس ، ونبههم إلى كل قهوة ،  
حتى كان يؤدي عنهم ثمن  
ما يشربون إذا كان في كيسه  
فضل . ثم عالج المحاماة فلم يفرز  
في قضية من القضايا التي  
دافع عنها



موباسان

وفي ذات صباح قرأ في إحدى الصحف أن  
رفيقاً من رفاق الحى اللاتينى انتخب عضواً في  
مجلس النواب ، فأصبح له الظل الملائم والكلمة

وقال له قبل أن يسمع الجواب عن سؤاله :

تعرف أنني مستشار الدولة ، وستجدني إن شاء الله عند حاجتك ؛ فعول على بما شئت في غير ضيق ولا تخرج والمرء في مثل منصبى طويل الباع عريض القدرة ثم يعمل بكل من يقابله هذه المقابلة ، ويسائله هذه المسألة ، إلى القهوة القريبة ، فيطلب قهوا ودواة وورقا من أوراق الرسائل « ورقة واحدة ، يا غلام ، فاني أريد أن أكتب كتاب توصية »

كان يكتب في اليوم الواحد من عشرة كتب إلى خمسين كتاباً في التوصية ، فلم يدع قهوة في العاصمة إلا كتب فيها ، ولا موظفاً في الحكومة إلا كتب إليه ، وكان بذلك رخي الصدور موفور السعادة

\*\*\*

ففي صباح يوم من الأيام كان في طريقه إلى مجلس الدولة فأمرت السماء ، فراودته نفسه أن يركب مركبة ولكنه لم يفعل ، وأثر أن يبلغ مكتبه على قدميه . ولكن الغيث انسكب مدراراً فشرقت به الطرق وغرقت فيه الأفاريز ، فاضطر السيد مارين أن يلوذ منه بأحد الأبواب ؛ وكان قد لجأ إليه قبله قسيس شاع المشيب في رأسه ولحيته . والسيد مارين كان بكره رجال الاكليروس ، فلما صار مستشاراً أصبح يحبهم ، لأن أحد الكرادلة جاء في أدب واحترام فاستفتاه في مسألة عويصة كان المطر لا يزال ينهمر غزيراً ، فدفع بالرجلين إلى مأوى البواب يتقيان به البلل ، وكان في طبع السيد مارين حافز يشبه الحكمة يغريه دائماً بالكلام ليرفع من شأنه ويدل على نفسه ، فقال :

— هذا يوم فظيع يا سيدي القس

فأنحني القسيس الشيخ وقال :

— نعم يا سيدي ، وهو أظف على من يقدم إلى

باريس يقضى فيها بضعة أيام

— آه ! أنت من الأقاليم ؟

— نعم يا سيدي وما أنا في باريس غير عابر ...

— لا جرم أن هذا الوابل المتهون يشغل على نفس

العابر الذي يريد أن يقضى في العاصمة بضعة أيام ؟

أما نحن معشر الموظفين الذين لا يرحلون طول العام فلا نكاد نعبأ به ولا نفكر فيه

لم يجب القسيس وإنما أخذ ينظر إلى الشارع

وقد خف هطول المطر ، ثم شرع لجأة يشمر

مسوحه عن ساقيه يريد أن يعبر الطريق كما يفعل

النساء حين يردن عبور الجدول . فلما رآه السيد

مارين يريد الانطلاق صاح به :

ستبل نفسك يا سيدي القس ، فتمهل قليلاً فقد

أوشكت السماء أن تقلع

فوقف الشيخ المتردد وهو يقول :

— أنا يا سيدي على حد عجلة ؛ وإن عندي

موعداً لا سبيل عنه ولا وقت له

فتبين في وجه السيد مارين الكدر ، وقال

للقسيس : إنك ستعبر الطريق لا محالة . ولكن ،

هل أستطيع أن أسألك إلى أي الأحياء تريد أن

تذهب ؟ فتردد الخوري ثم قال :

— إني ذاهب إلى جهة ( الباليه رويال )

— إذن أستطيع ، إذا سمحت يا سيدي ، أن

أقيك البلل بمطريتي ، فاني ذاهب إلى مجلس الدولة

وأنا مستشار فيه

فرفع الشيخ القسيس إليه أنفه وجلى فيه بصره ،

ثم قال : قبلى يا سيدي ، وأشكرك جزيل الشكر

حينئذ أخذ بذراعه ومشى يحمله ويسدده

ويرشده وينصحه :

« خذ حذرك يا سيدي القس من هذا المسيل .



اتق على الأخص عجلات المركبات ؛ إنها ترشك أحياناً من قدمك إلى رأسك . اجعل بالك لطريات المارين فلا شيء أخطر على المين من أطراف حديدتها ؛ والنساء على الخصوص أشق على السائرين في ذلك ، فانهن لا يحفلن بشيء ولا يلتفتن إلى أحد ، وقد يغرسن في حر وجهك أطراف مظلاتهن أو مطرياتهن . وهن يمشين لا يباليين كأنهن يملكن المدينة ، فهن يحكمن على الافريز وفي الشارع . وفي رأي أن تربيتهن مهمة أو مغفلة .

ثم جعل المستشار الناصح بضحك والخورى الشيخ صامت لا يجيب ؛ انما كان يسير محنى القامة يتحسس في عناية وحذر موضع خطوه حتى لا يلوث نعله ولا ثوبه

استأنف السيد مارين الحديث قال :  
إنك قدمت إلى باريس لتلهو فيها قليلا ولا شك . فقال له القسيس في سذاجة :  
كلا ، إنما قدمت في عمل

— آه ! وهل هو عمل مهم ؟ وهل لي أن أسألك عن موضوعه ؟ إذا رأيت أنى أنفمك بنافعة فاني طوع أمرك  
بدا على الخورى الارتباك ونم حاله عن القلق فقال مغمما :

أوه ؟ إنها مسألة صغيرة شخصية ؛ هي مشكلة نافهة مع ... مع مطرائي ، إنها لا تعنيك ... مسألة داخلية من ... من ... نوع اكليروسي فبادره السيد مارين بقوله : ولكن مجلس الدولة هو الذى يقضى في مثل هذه الأمور . فاعتمد على في شأنك . فقال القسيس :

نعم ياسيدى وأنا ذاهب إلى هذا المجلس . إنك طبيب القلب جم المروءة . إن مسألتى بين أيدي السادة لوريير ، وسافون ، وبتيبا

فقال السيد مارين في اهتمام ولهفة :  
— ولكنهم ياسيدى القس من صفوة أصدقائى ومن خيرة زملائى . وكلهم ظريف الطبع عذب الخلق . فاحمل على من أمرك ما تحب . وسأ كتب إلى ثلاثتهم كتب التوصية بك لا آلوهم فيها تأكيدا ولا شفاعة . فأقبل القسيس يشكرو ويعتذرو ويتضرع والسيد مارين يقول له في غبطة وزهو :

إن من حقك أن تفخر بمثل هذا الحظ الناهض ياسيدى القس ؛ وسترى أن قضيتك بفضل ستسير من غير حائل ولا شاغل فلما بلغا دار المجلس صعد السيد مارين إلى مكتبه وقدم إليه كرسيه أمام المدفأة وجلس هو على مكتبه وطفق يكتب :

« زميلي العزيز ! ... اسمح لي أن أوصيك خيرا برجل فاضل من رجال الدين ومن أوفرهم كرامة وأكثرهم جدارة هو القسيس ... » ثم قطع الكتابة وسأل :  
— اسمك من فضلك ؟

— القسيس سانتور  
فعاد السيد مارين يكتب :  
« القسيس سانتور ، وهو في حاجة إلى جميل عطفك ونيل عونك في مسألة صغيرة سيحدثك عنها : أنا سعيد بهذه الفرصة التي سمحت لي بزميلي العزيز أن ... »

ثم ختم الكتاب بالتحية المعروفة ...  
ولما حرر ثلاثة الكتب وطواها ألقاها إلى صنيعته ومحبيه فأخذها ومضى وهو ياهج بالثناء ويلهث بالشكر

\*\*\*

أتم السيد مارين عمله ، ثم انقلب إلى بيته ، فقضى نهاره رخي البال ، ونام ليلة قرير الجفن ، ثم استيقظ صباحه منشرح الصدر ، فدعا بصحيف

الصباح فكان أول ما وقع في يده صحيفة انقلابية (راديكالية) وكان أول ما قرأ فيها هذا الخبر :  
« اكليروسنا وموظفونا »

لا تكاد سينتات الا كليروس تنفد على الاحصاء : هذا قسيس يدعى سانتور قد ثبت عليه بالدليل القاطع أنه ائتمر بالحكومة القاعة ، وأنه اقترف طائفة من المنكرات نصون القلم عن ذكرها ؛ وقد اتهم فضلاً عن ذلك بأنه يسوعى قديم تقمص ثوب قسيس ناشئ . ثم عزله مطرانه لأسباب يؤكد الرايون أنها مخزية . وقد استدعى إلى باريس ليحاسب على هذا السلوك ، فاهتدى إلى مدافع وارى الزناد حديد الفؤاد في مستشار يدعى مارين لم يتحرج في أن يوصى بهذا الشرير الفاسق جميع الموظفين الجمهوريين من زملائه . نسجل هذا الخبر المريب ، ليرى معالى الوزير رأيه في موقف هذا المستشار الغريب . . . »

لم يكد السيد مارين بأق على آخر هذا الخبر الصاعق حتى وثب فارتدى ثيابه وذهب يمدو موطأ إلى زميله (بتيبيا) . فلما رآه الزميل صاح به :  
— ويحك ! أبلغ بك الجنون أن توصى بهذا المؤتمر المجوز ؟

فأجابه مارين وهو من الجزع لا يملك قلبه ولا يجد لسانه :

— حاشا ! حاشا ! رويدك ! لقد خدعت !  
تظاهر هذا الخبيث بالورع والنبيل حتى خدعنى .. خدعنى بنذالة ؛ فأرجو أن تحكم عليه بعصامة . لاناخذك به رافة . . . أما أنا فسا كُتب . قل لى إلى من ينبئ أن أكتب لأسأله أن يحكم عليه ؟ أنا ذاهب إلى النائب العموى . . . ثم إلى رئيس الأساقفة .. نعم إلى رئيس الأساقفة . . .

ثم جلس فجأة إلى مكتب السيد (بتيبيا) وأخذ يكتب :

مولاي . أتشرف بأن أرفع إلى عظمتكم أنى وقعت ضحية لدسائس وأكاذيب نسجها قسيس يدعى سنتور ثم فاجأ بها سلامة نيتى . وما زال يدور من وراء خديمتى حتى حملنى على أن أكتب . . . .  
ولما أمضى الكتاب وغلفه التفت إلى زميله وقال له :

أرأيت يا عزيزى ؟ عساك أن تتخذ مما حدث لى درساً وعبرة . إياك أن تكتب كتاب توصية بأحد ! أسمعته ؟  
(الزيات)

الى كل كاتب عربى فى مصر وفى غير مصر :

## المباراة القصصية للرواية

تشجيعاً للقصص العربى تفتتح (الرواية) مبارياتها السنوية فيه بهذه المباراة :

## مباراة فى الأقصوصة

جائزتها خمسة عشر جنياً مصرياً يوزعها المحكمون على الفائزين الأول والثانى

## الشروط

- ١ - أن تكون الأقصوصة شرقية الموضوع
- ٢ - » » » » بليغة الأسلوب
- ٣ - » » » » نبيلة الغرض
- ٤ - ألا تزيد على عشر صفحات من (الرواية)
- ٥ - ألا يتأخر موعد إرسالها إلى (الرواية)

عن آخر مايو سنة ١٩٣٧

لجنة التحكيم سنعلن عنها فيما بعد



# هتاف الهاوية

اقصاصة فرنسية

واهتزت الصخور وفتحت الهاوية فاهاً ، فتساقطت الجنود فيها في أقل من لحظة ، وتراجع من بقي إلى الوراء وهم يسمعون صراخ رفاقهم يصعد من الهاوية بأنين يفتت الأكباد . وساد السكوت بمديره ، فرجعت الوديان صدى هويل الشجعان ، وقد تواروا عن الأبصار في ظلام هاوية لا قرار لها

ومرت الساعات وقد عاد كل من الفريقين إلى معسكره واهى القوى ، وقد خارت المزائم أمام هذه الكارثة ، وتضعض الرأي في إنقاذ ضحايا الهاوية وعند الساعة التاسعة قبل الظهر دخل معسكر الفرنسيين رسول من قبل (ولنجتون) وطالب المثول أمام المارشال ناي ، وكان هذا منفرداً في مضربه غارقاً في لجج التفكير يتقطع قلبه حزناً . فتقدم الرسول ووقف بين يديه وقدم إليه رسالة من مولاه ، فأخذها من يده وتلاها كأنه مستفيق من حلم عميق ثم نادى أحد القواد وقال له :

— أعد فرقتك لتسير معي إلى الجبل

وما مضت دقائق معدودة حتى كانت الفرقة تتسلق الجبل بقيادة المارشال . فلما وصلوا إلى القمة رأوا ولنكتون في انتظارهم وحوله قواد جيشه ، وكلهم واجون . فقال ولنكتون لـ ناي :

— إنك مهم ولا ريب بأمر الشجعان الذين ابتلعهم هاوية الكوبا هذا الصباح . وأنت تعلم أن العداء يقف عند الكوارث ؛ فلنتعاون لعل بين رجالك ورجالي أحياء يمكن إنقاذهم من هذه الليثة الشنماء وتقدم ناي إلى ولنجتون وصاحفه قائلاً :

— كان علينا أن نفكر في هذا الأمر دون تأخير ، ولكن الاضطراب جمد دمي ، وهذه هي المرة الأولى في حياتي التي أشعر بها برعشة الخوف وتقدم الجمع إلى فوهة الهاوية ، وكانت الشمس المحرقة تمكس أشعتها على الصخور البيضاء ، والهواء

كانت الجيوش الانكليزية معسكرة على قمة جبل الكوبا متحصنة في مركز منيع ، لا تحسب للحملة الفرنسية حساباً ، وكانت هذه الحملة تدور بقاعدة الجبل ولا يعلم قوادها كيف يتدبرون الأمر ، حتى رأى القائد الأكبر ( ناي ) أن يجمع الجيوش وينظمها ليقذف بها الجبل المنيع . ودوت الوديان بصوت النفير المعلن الهجوم ، فاندفعت الكتائب تتسلق الصخور كأنها محمولة على أجنحة ترفعها رفعا في الهواء

وما مضت ساعة حتى كانت عساكر ناي وعددها أربعة آلاف مقاتل تحديق بالانكليز على قمة الجبل ، فذعر الجيش الرابط لهذا الهجوم المفاجيء فأصلوا الهاجين من مدافعهم ناراً حامية ردتهم لأول وهلة على أعقابهم ، فلم يعد يرى على تلك المرتفعات الممانعة الغيوم إلا أشلاء تتطاير في الجو ، ولم يعد يسمع إلا الأنين يخفقه إرعاد البارود يعقد بدخانه الكثيف قباًبا تسمى العيون . وكان كلما أبادت المدافع صفاً من صفوف الفرنسيين يتقدم غيره من ورائه ليتقبل الموت . ونفدت الذخيرة ، فصمتت المدافع ، وبدأ الدخان ينقشع عن الموقع ، فخشى الانكليز ارتداد الأعداء عليهم فعادوا أدراجهم مدبرين

وارتفع صوت المارشال ناي هاتفاً بجنوده :

— هيا إلى الأمام !

فترا كضت الكتائب لاحقة بالأعداء معملة فيهم السيف حتى بلغوا منحدر الجبل للجهة الثانية ، فارتجفت الأرض تحت أقدام المتراجعين والهاجين

هذه الوهاد العميقة نخلص منه رجالنا ؟  
وتقدم القس الى فوهة الهاوية ، ثم تراجع وقد  
كلل جبينه العرق وامتنع لونه ، فقال أحد القواد :  
لقد زلزلت الأرض فجأة تحت أقدام الجنود  
فتدحرجوا في هذه الهاوية  
وقال ناى : لقد سقط أربعمائة من شجعانى في

هذه الحفرة  
وقال ولنكتون : وألف من شجعانى ابتلعهم  
هذه الحفرة أيضاً

وعلق الجمع الانظار على شفتى القس منتظرين  
ارشاده ، فاذا هو يسقط جائئاً ونهمر من عينيه  
الدموع وهو يتمم بصلوات الأموات  
وكان الجنود أرخوا من الجبال اربعمائة متر ولم  
يبق لديهم منها سوى عشرة أمتار ، فاذا بصوت  
ضعيف كأنه الهمس خارج من القاع يقول : أرخوا  
الجبال أيضاً

وأرخت الأمتار الباقية وربط الجبل في  
نتوء من الصخر ، فخرج من الهاوية صوت يقول :  
لا يمكننى أن أتقدم بعد ، إننى أسمع صراخاً  
وعصفت الريح في القاع فانقطع الصوت  
متلاشياً في الهدير

وتقدم السارشال ناى الى الشفير ونادى بأعلى  
صوته : أيها الشجاع ! ماذا تسمع ؟

وساد السكوت ، والرعب يملأ النفوس ، ورفع  
الكاهن يده وبارك ، فانكشفت الرؤوس بخشوع  
وجنا الجنود مصلين وهم ينتظرون الصوت الأخير  
وكان الشجاع المدلى بطرف الجبال لم يعد يقوى  
على رفع صوته لشدة البرد في القاع العميق ، فدفع  
حشرة أخيرة أوصلت هذه الكلمات إلى الشفير :  
« أسمعهم ينادون : فليحى الأمبراطور ... »

( ف . ف )

البارد يتصاعد من القاع السحيق . وأحنى القائدان  
الكبيران رأسيهما ، فعلا وجههما الاصفرار ، إذ  
وقفت أنظارهما في القمر البعيد النور على لبد الظلام  
وقال المارشال : يجب أن ندلى أحد الجنود  
ليرى ما حل برفاقه . والتفت إلى أحد القواد قائلاً :  
أحضر الجبال واثنى برجل

وخرج من الصفوف جندي فرنسى طويل  
القامة ، وهو يتسم مفتخراً بالتضحية في سبيل  
إخوانه ، نخلع سترته ، وربط وسطه بطرف الجبل  
الطويل ؛ وبعد أن رفع يده بالسلام أمام المارشال وضع  
رجليه على فوهة الهاوية ، وبدأ الجنود يرخون الجبل ،  
وعندئذ تقدم أحد الجنود الانكاز طالباً النزول  
إلى الهاوية أيضاً ، فقال ناى ولنكتون : لا يرسل  
في مثل هذه المهمة عدوان ، فقد يشتبكان في  
المنحدر بمراك يحول دون بلوغنا النتيجة التى نتوقعها  
فأطرق ولنكتون وتراجع الجندي الانكازي  
إلى صفه . وكان الجنود يصلون الجبل بجبل آخر ،  
وبثالث ورابع ، حتى شعروا بوقوف الجذب من  
الأعماق . فنادوا جميعهم بصوت واحد :

— ماذا ترى ؟

فأجابهم صوت الهاوية كأنه صدى بعيد :  
لا أرى شيئاً ، أرخوا الجبال أيضاً  
واستمر الجند على إرسال الجبال وقد خفت قوة  
الجذب ، فاستدل القواد أن الشجاع يسير على مهل بين  
الصخور متلمساً سبيله على مفاوز لم تظأها أرجل بشر  
وما مضت دقائق حتى أصبحت الجبال تلوح  
في الفضاء كأنها لا تحمل شيئاً ، فوجم ولنكتون  
وقال : أحضروا القس الذى وجدناه هذا الصباح  
على سفح الجبل فلعله يعرف منفذاً لأخراج رجالنا منه  
ومثل القس أمام القائدين فقال له ولنكتون :  
أنت من أبناء هذه البلاد ، فهلا تعرف منفذاً بين





جداً ولكن احذر أن تفاضلها «  
فسألتها : « هل سأكون عمها هي أيضاً ؟ »  
فضحكت وقالت : « ستكون عمنا اليوم ...  
واحذر أن تغلط »  
« ولكن سأغلط على التحقيق . إن العمومة  
حادث جديد في حياتي ، فإذا أخطأت في تمثيل الدور  
فلا عجب .... لم أندرب عليه قط .... هل قلت  
خطيبها ... أم حبيبها ؟ »  
قالت : « باسلام ... وما الفرق ... ؟ شيء  
غريب »  
قلت : « صحيح لا فرق ... ولكن عمك ؟  
كيف يمكن ألا أغلط ... ثم إنها مهمة صعبة ....  
لا أشعر أنني سأرتاح إليها »  
فقلت بدلال سلبني كل قدرة على المقاومة :  
« كن ظريفاً ... كالعادة »  
فضحكت مسروراً وقلت : هل يسمح لي أن  
أكون عمّاً ظريفاً ؟ »  
قالت : « لا مانع . ولكن احذر أن تفاضلها »  
قلت : « لقد شوقتني إليها ... أغريبتني بها . فهل  
هي حقيقة ظريفة ؟ ... أعني تستحق أن أرضى من  
أجلها وفي سبيلها أن أكون عمّاً ؟ »  
قالت : « جدا ... موت ... »  
قلت : « يا حفيظ يارب ... والآن يا بنت الأخ

« كن ملاكا ... »  
« بغير جناحين ؟ »  
« وافتح البوابة »  
« آه ... أفتح البوابة لتخرج السيارة »  
« كيف عرفت ؟ »  
« بكائي ... ألم أقل لك إنني ذكي ؟ »  
فرمت إلى نظرة من عين ساجية ثم قالت  
بابتسام تعالج أن تمنع أن ينقلب قهقهة عالية :  
« كن ملاكا ... »  
فوقع في روعي من ابتسامتها أن في الأمر ما لا  
يدخل في طوق الملائكة ، فزمت ولم أقل شيئاً ،  
وغالبت هي الضحك ثم قالت :  
« وكن اليوم عمي »  
« عم ... عم ... عمك ... يا خير ... ! »  
قالت : « اسمع ... إن لي صديقة تريد أن  
تخرج للقاء خطيبها ، ولكن أباه لا يدعها تخرج  
وحدها ، وقد اتفقت معها على أن أمر بها لتذهب  
إلى السينما ... فهل فهمت لماذا أريد منك أن تكون  
اليوم عمي ؟ »  
فقلت وأنا أتوجع : « فهمت أنني سأذهب  
إلى سينما لم تسكن لي على بال ، وأني سأمثل دوراً لا  
أرتاح ... من هذه الفتاة ؟ »  
قالت - كأن هذا جواب السؤال - « جميلة

الله في عمره الى زمن غير زمنه ... » وقلت له :  
أرجو ألا تكون درجات السلم كثيرة ... قالت  
السلام تعبني ... جداً ...

فطمأنني الرجل وأكده لي أن الدرجات ثلاث  
فقط - ودار وعدّها - وأشار الى حجرة ، وأومأ  
الى أن أدخل ، فإذا فيها فتاتان - التي جعلتني عمها  
والأخرى التي سأكون عمها - أعني التي تريد أن  
تخرج لتلقى حبيبها أو خطيبها ... سيان كما قالت  
صاحبتى ... وحدثت في وجهها وأنا أسلم عليها  
وأطلت النظر اليها وأبقيت يدها في يدي ، وأنا  
أسألها عن صحتها ، وأثنى على بيتها وأذم لها الطريق اليه  
وكانت كفها رخصة ووجهها حلواً سمحاً  
وعيناها واسمتين ولونها صافياً وقدما رشيقاً

وجلس الرجل الى جانبي بحديثي  
ويرحب « بالعم » ، وجاءت خادمة « بالمشوراء »  
فاعتذرت وقلت إن معدني لا تهضمها وإني أظن  
أني شحنت ، فقال الرجل : « العفو » وقالت  
صاحبتى : « صحيح ... معدته ضعيفة ... والطبيب  
ينهاه دائماً عن أكل شيء بين الوجبتين » ، وجاءت  
القهوة وناولوني فنجاناً ، فصبت القهوة من الفنجانة  
في الطبق ، كما رأيت بعض الشيوخ يفعلون ، وكان  
هذا أبرع ما وفقت إليه في أدائي لدور العم .  
وكانت صاحبتى تغالب الضحك بمجهود ، ثم تنظر الى  
وتمض شفتيها محذرة من الغلط ، ثم سألتني الرجل  
عن السينما التي اخترتها ، فقلت له : « ياسيدي لقد  
ألحت هذه البنت الملمونة (والعمومة تسمح بهذه  
اللعنات) أن آخذها الى السينما مع صديقة لها  
فاعترضت لأنني لا أكتفك أني لا أطمئن إلى  
الصداقة بين البنات ، ولكنني أحمداً الله ... حمدته  
وشكرته لما رأيته ... شعرت بالاطمئنان فإني يمكن  
أن تكون بنتك إلا فتاة متهذبة ... (وهنا شكرني

العزير - وإن كنت لأعرف لك أخاً ولا أختاً -  
تفضلني وبخلي عن القيادة ... »

قالت : « لماذا ؟ ... إني أحب أن أقود  
السيارة ... هل أخطأت ؟ ... »

فتركت سؤالها بلا جواب ، وقات باهجة  
الأعمام : اسمي الكلام يا بنت ... »

فضحكت ومالت بالسيارة الى الرصيف وتخلت  
لي عن مقعد السائق

وبلغنا البيت - لا أدري كيف ولا من أين  
فقد أطاررت صوابي كثرة التعاريج وضيق الحارات ،  
ولكن البيت كان في فضاء رحيب وإن كان غير  
نظيف ، ونزات هي وبقيت أنا في السيارة . ومضت  
دقائق وأنا أفكر في عمها وفي الفتاة التي ستقول لي  
« يا عمي » ، وفي كيف أطيق الصبر على هذه  
العمومة ، وإذا بغتي يقول لي : « اتفضل يا عمي »  
فصحت به - فقد فاجأني - « إيه ؟ ... » وكان  
مؤدباً مهذباً ووسياً قسماً فحدثت نفسي أن الفتاة  
التي استدعوني عمها لا بد أن تكون جميلة - إذا  
اطرد القياس ، وتهدت لأنني سأكون عمها أيضاً ...  
وللعمومة قيودها ، ولا بد من الاحتشام ... فلا حول  
ولا قوة إلا بالله !

وقال الفتى : « تفضل حتى تلبس أختي »  
فشكرته وأغلقت أبواب السيارة فقد كان  
الأطفال كثيرين في الحارة ، والأطفال ملاعين  
يعبثون بكل شيء كما كنت أفعل لما كنت طفلاً ،  
ومشيت وراية الى بيت حديث البناء ، فاستقبلاني  
وراء الباب رجل وقور ظننته أول الأمر من  
السكان ، ولكنه مديده الى وقال - كما قال الفتى -  
« تفضل » ، فقلت لنفسي : « إن تمثيل دور العم  
ينبغي أن يبدأ هنا ... حالا ... فان هذا الرجل  
الطيب لا بد أن يكون هو الأب السني الذي مد



واستغفر الله كما لا أحتاج أن أقول) فرأيت أن أختار شريطاً غير غرامى . . آثرت شريطاً من الأشرطة البوليسية . . . وهى كلام فارغ ، ولكنها خير وأسلم عاقبة من الأشرطة الفرامية ، وأظن أنك توافقنى . . أليس كذلك ؟

فوافق وشكر وأكد لى أنه تشرف بمعرفتى ، ولا أكنتم القارىء أنى خجلت منه فى هذه اللحظة وأن نفسى حدثتني أن أصارحه بالحقيقة من أولها إلى آخرها ، ولم يصدقنى عن ذلك إلا التخرج من الزج بنفسى فى مأزق آخر لا يسهل الخروج منه ، وإذا صارحته بأنى لست عمماً ولا قريباً فماذا يكون موقفى . . بل ماذا يكون موقفى صاحبتي التى جاءت بى إلى هنا وادعت أنى عمها . . ثم إنى أريد أن أرى هذا الحبيب أو الخطيب - سبان - الذى تريد أن تلقاه وتحتال هى وصاحبتهما على هذا النحو المخرج - لى - لتلقاه ؟ وقد أستطيع أن أصنع خيراً إذا رأيته فإن لى لفراصة .

وأخيراً نهضنا ، وركب معنا الفتى - أعنى أخاه - فاحتفظت أمامه بمقتضيات العمومة على فرط ثقلاها حتى تركنا حيث يريد ، وكانت الفتاتان على المقعد الخلفى ، فلما نزل الفتى وأمنت أن يسمعنى قلت لهما وأنا أمضى بالسيارة على غير هدى : « هل أتقنت دور العم ؟ » ، فضحكت الفتاتان ، فخيّل لى لحظة أن الفتاة التى جئنا بها تعرف أنى لست عمماً ولا ابن عم ولكن صاحبتي قالت شيئاً فهمت منه أنها تريد أن أمضى فى تمثيل الدور فسخرت وقلت : « والآن إلى أين بنا » ، فقالت الفتاة الجديدة : « إلى . . من فضلك . . أعنى إذا سمحت » ، وقالت الأخرى - صاحبتي - « بالطبع . . . إن عمى سبور . . » ، وضحكنا من هذا العم « الاسبور » ، ومن حقهما أن يضحكا . .

ودرنا نبحث عن بيت الخطيب - أو هكذا ظننت ، ولكن الحقيقة أننا صرنا به ، وأن الفتاة رأته فى الشرفة غير أنها خجلت أن تدعو عمها إلى الوقوف وتنزل ، وأحسست أن جوالسيارة لا يخلو من ركود ، فوقفت فى بعض الطريق وانجهت إلى الفتاة وسألتها : « هل عرفت البيت ؟ . وهل رأيت فيه صاحبك ؟ » فهزت رأسها أن نعم واضطرم وجهها - حياء على ما أظن - وتولت صاحبتي الكلام والابضاح ، فقلت لها : « حسن . ابقيا أنما هنا وسأزل إليه »

ولما وقعت عيني عليه وهو واقف فى الشرفة ومعه أخته أشرت إليه أن ينزل فلم يفهم ، فصاحت به : « تعال . . أبوه انت . . »

وسلم مرتبكا وقال : « أفندم » فقلت بمنف : « لا أفندم ولا يحزنون . . . كيف تكلف الفتاة أن تقطع إليك الكرة الأرضية ولا تجشم نفسك عناء السعى إليها ؟ . . . ثم إن أباه لا يمكن أن يقبل »

فقاطعتى وقال بلهفة : « هل يعرف . . . » قلت : « اسمع . . هذه العلاقة يجب أن تكون رسمية علنية وإلا فالواجب أن تنقطع . . الآن » وقال بصوت خافت : « بالطبع »

فالتفت إليه وقلت بصرامة : « بالطبع ماذا . . . ؟ تقطع ؟ . . أو تستمر على وجه القبول ؟ »

قال : « تستمر بالطبع . . . إنى أريد أن أتزوجها »

فوقفت وسألته : « وماذا يمكنك ؟ . إن الزواج ليس من وسائله هذه المقابلات السرية التى لا يعلم بها والدها . . . والآن تعال وأطعنى . . » ومضيت به إلى السيارة وكان يمشى مطأطأ

قلت : « لا شيء ... اطمئني ... ولكن  
أطيعيني بلا سؤال أو تردد »  
وأنا رجل لا أحب التلصص ولا أطيع البلاد .  
ولا صبر لي على التلوي واللف والدوران . ولعاني  
عظيم بأن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين  
نقطتين . والذي يصنعه غيري في يوم أصنعه أنا في  
لحظة لأن أعصابي لا تحتمل البطء . لذلك مضيت  
إلى بيت الرجل وكانت كل من الفتاتين تسألني :  
« إلى أين من هنا ؟ » وكانتا أول الأمر تتعجبان  
وتضحكان ثم وجتا لما دنوت من البيت وانتقي كل  
شك في أني أقصد إليه

وقلت للشاب وأنا أنزل وأجره : « تعال أعرفك  
بأبيها ، فما أستطيع أن أستضحك معها بغير ذلك ...  
أعني بغير اذنه ... أنفهم ؟ »  
وكانت لهجتي صارمة أو قل انها كانت حازمة  
وان خلت من العنف ، فسار معي . وجاء الرجل  
مستغرباً عودتنا قبل موعد انتهاء السينما فقلت له  
بلا تمهيد : « هذا الشاب يريد أن يكون نسيبك ...  
يحب بنتك هذه ... وأنا أعلم أن هذه مفاجأة ...  
ولكني لا أدعوك الى تزويجه الآن ... إنما رأيت  
من واجبي أن أخبرك ... وسيمطيك اسمه وعنوانه  
ويحدثك عن نفسه وأهله وأصله وفصله فيما بعد ...  
فاذا وافقت ورأيت أهلاً لذلك فهنئاً لك وله وللبنات  
والافارمه ... وقد أخبرتك بهذا ... فاجأتك به  
لأنني لا أستطيع أن أدعه يصحبنا الى السينما بغير  
علمك وإذنك ... فهل تسمح له بذلك ؟ »

وتشهدت لما سمعت الرجل - هذا الرجل  
الوقور الطيب - ياذن لي في ذلك ويشكرني أيضاً ...  
تالله ما أطيعه ! ...

وعدنا الى السيارة فركبناها في صمت ففقدت  
بهت الشاب واستعصى عليه الكلام . وله العذر .

الرأس . وأحسب أني نغصت عليه هذا اللقاء ،  
ولكني لم أكن أستطيع غير ذلك فقد كانت  
صورة الأب الوقور الطيب الذي لا تخالجه ريبة  
مائلة أمام عيني ، وقد ترك لي ابنته مطمئناً الى وممتداً  
بعد الله على . ولو كنت لم أدخل بيته ولم أروجه  
ولم يأمنني على فتاته لما أحسست أن علي تبعة . وشق  
علي أن يكافها هذا الفتى أن تذهب اليه في آخر  
الدنيا ، وهو قاعد في بيته لا يتحرك ولا يسمي ، ولا  
يبالي ما تتحمل الفتاة في سبيله من عناء وما تغريها  
به الرغبة في لقائه من احتيال وكذب وخداع .  
فنبوت أن أحسم الأمر

وهم بالركوب فحذبه من كتفه ، ونأيت به قليلاً  
وسألته : « الى أين أولاً ؟ ... قل لي ماذا تفوي أن  
تصنع ؟ إني لا أريد أن أضايبك ولكن هذه الفتاة  
الساذجة في ذمتي فهل تستطيع أن تكون رجلاً ؟ »  
فانقد وجهه وتلمثم ثم استطاع بجهد أن يقول  
لي إنه رجل شريف وإنه لا يبني بها سوءاً وسألني  
وقد وجد لسانه : « هل حضرتك ... »  
فقاطمته قائلاً : « لا يعينيك من أنا ... تعال ...  
يكفيك أني قد وثقت بك ... تعال »

فسره هذا . وهل هو إلا طفل ؟ ... وإني  
لا كون حماراً غيبياً بليداً إذا لم أستطع أن أستولي  
على زمامه ... والتفت إلى صاحبتى ونحن راجعون  
بالسيارة وقلت : « وأنت أيضاً ستطيعين عمك  
فألت على وقالت : « إيه ؟ » قلت : « لا شيء ...  
لقد شئت أن أكون لك اليوم عمّاً . فاستنكرت  
أن أكونه في أول الأمر ولكن الدور حلالي ...  
أعجبني ... فأنا الآن عم حقيقي ... سأظل عمّاً  
ظريفاً ... ولكني عم على كل حال فلا تنسى هذا »  
فسألني بصوت خفيض : « ماذا جرى ؟  
طمئني ... »



ولكنه جنون أثمر خيرا  
وقالت الخطيبة ونحن خارجون : « عمى ...  
لا تركنا »

فتغايبت وقلت : « هل سأظل عما لك أيضا  
الى الأبد ... »  
فجذبت ذراعى وقالت بلهجة المستعطف :  
« لا تركنا ... فاهم »

قلت : « سمعت . وفهمت . وأطمت . »  
قالت صاحبتى : « أما إنك لم ... »  
فلم أقل شيئا وفتحت أبواب السيارة وأشرت  
اليهم بكنتا يدي وقلت : « بيتك . بيتك . بيتك »  
كما يقال للدجاج

وتمشينا جميعا فى بيت الرجل الطيب . ولكنى  
قبل أن أتناول شيئا من طعامه قلت له :  
« سأقول لك شيئا . لست عما لهذه الفتاة .  
هى صديقة وجارة . أعرف أهلها جميعا من زمان  
طويل . وقد ألفت أن تدعوني عمها . حكم العادة  
فقط . وأنا أكره هذه العمومة ، ولذلك أدخلها  
أمامك ، وأرجو أن تعيننى على التخلص منها . فما  
قولك ... ؟ »

وكانت يداى على ركبتى فى انتظار حكمه ،  
فأحسست راحتين عليهما فالتفت فإذا الفتاتان  
تنظران إلى بابتسامة الرضى والسرور ، فرددت عيني  
الى الرجل استعجله الحكم فقال : « تفضل ياسيدى  
تفضل »

فتشهدت ورفعت يدي الى المائدة لآكل وإذا  
بالخطيبة تنهض وتميل على عنق وتقبلى  
كلاهما . إنها فتاة لا تستحي ... أبدا ... أبدا  
إبراهيم عبد القادر المازنى

ودخلنا السينما فجلست بين الفتاتين وجلس الشاب  
على يمين صاحبتى التى جمعتها خطيبته برضاه أو على  
الرغم منه ، لا أدري ، فعلم ذلك عند الله ؛ وكانت  
الفتاتان لا تعرفان شيئا مما حدث لأنهما لم يدخلوا  
البيت معنا ولم نقل لهما شيئا فى السيارة فلت على  
صاحبتى وقلت لها : « الآن تستطيعين أن تهنتى ...  
ما اسمها ؟ . لقد صارت خطيبته حقا وصدقا ...  
لا كذبا يا ملعونة ... »

فراحت تثرثر وتسالنى : « ايه ... ماذا تقول ...  
ماذا حدث ... كيف كان هذا ... ماذا صنعت حين  
دخلت البيت ... ؟ »

فوضعت كفى على فمها . وكيف بالله كنت  
أستطيع أن أصد هذا الطوفان من الأسئلة بغير  
ذلك ؟ وقد وقف الطوفان ، ولكن اللعينة عضتني  
فكدت أصرخ لولا أننا فى سينما . وتصبرت  
وتجلدت واتجهت الى الشاب وقلت له وأنا أمد  
كفى الموضوعة : « بسها ... إذا كنت مسرورا »  
فباسها - بطنا وظهرا - مرة وثانية وثالثة .  
فاستحييت وانتزعتها منه ، وحولت وجهى الى  
صاحبتى وذهبت أحدثها بما كان ، وإنى لكذلك  
وإذا بالفتاة الأخرى تجذبني اليها وتدير وجهى الى  
وجهها وتطوقني بذراعيها وتقبل خدي ... أى والله  
ولا تستحي ... فدهشت ونظرت اليها ... ثم  
حولت وجهى عنها . فقد كانت الدموع على خديها  
وأعترف أنى لم أر شيئا من الشريط ... نعم  
نظرت ولكنى لم أفهم ... لم يكن بلى الى ما أرى  
وكنيت أفكر فى هذه الفتاة وفى مصيرها مع  
فتاها لولم يلهمنى الله أن أكون مجنونا وأن أصنع  
ما صنعت وهل يفعل هذا سوى مجنون ؟



كان ذلك في بكرة الصباح

و « فلاديمير كلادينوف » فتى وسيم ، مديد القامة ، في الثانية والعشرين من عمره ، كالفلسان مظهرأ ، له وجه ملبح وشعر وحف أشقر ، يرتدى حلة الضباط ، وينتعل نعال الركوب الطويلة ؛ وكان واقفاً في صرح معشوشب كساه متساقط الجليد ، وهو شاخص الى ضابط آخر ، وذلك الآخر رجل أسبل الشاربين ، بأثن الطول ، محمر الوجه ، وكان مواجهاً له على مسافة ثلاثين قدماً وهو يرفع على مهل يده حاملة في قبضتها مسدساً يسدده الى فلاديمير

وكان فلاديمير واضعاً ذراعيه متشابكين على صدره ، حاملاً كذلك في إحدى كفيه مسدساً ، وهو ينتظر - انتظار من لا يبالي - طلقة النار يطلقها عليه خصمه . وكان وجهه الناضر الصبيح وإن غشيته مسحة من شحوب تتوقد الشجاعة فيه ويعلموه ابتسام المستخف . وكان موقفه الخطر ، وما يبدو على غريته من تصميم مبرم لا رحمة فيه ، وشدة الانتباه من جانب الشهود الواقفين صفاً واحداً بلا حس ولا حراك ، كل هذه مجتمعة جعلتها لحظة بالغة الهول ، غامضة الكنه ، رهيبة

الوقع . إنها مسألة شرف يجب هنا القضاء فيها . وكان الجميع شاعرين بجلالها . وعلى قدر بعمد من إدراك ما هم صانعون كانت اللحظة تزداد رهبة على رهبة

وانطلقت رصاصة . وسرت في فرائص الجميع رعدة . وأرخى فلاديمير ذراعيه ، وثني ركبتيه ، وخر في مكانه . وهو على الثلج لقي ، وقد نفذت الرصاصة في رأسه ، منطرح ، وذراعه متباعدتان ، وشعره ووجهه ومتوسد الثلج تحت رأسه ، يكأها مضرجة بالدم . وهروا إليه الشهود فاحتملوه . وفحصه الطبيب فقرر وفاته . وأنحلت مشيكة الشرف وانفض أمرها . ولم يبق إلا إبلاغ الخبر الى الفرقة التي يتبعها الضابط ، وإبلاغ النمي بقدر ما يمكن من التلطف والتحرز الى الأم التي أصبحت من بعده وحيدة في الدنيا . فان الفتى القليل وحيدها . وهي لم تخطر قبل المبارزة في بال أحد . أما الآن فالكل يفكرون ويطيحون التفكير . فالكل يعرفونها ويحبونها ويدركون أنه لا بد من التقديم لهذا النبأ الفظيع عندها والتمهيد قبل إلقائه والتدرج في مساقه . وفي النهاية وقع الاختيار على « إيفان جوليوبنسكو » بوصف أنه أصاحهم جميعاً



اتبليغ الخبر للأم وتهوين الخطب جهد المستطاع

\*\*\*

كانت « بلاجيا بتروفنا » قد استيقظت ساعتئذ من نومها . وكانت تجهز لنفسها شاي الصباح ، حين دخل الى غرفتها « إيفان جوليوبنسكو » مكتئباً مرتبكاً

وهبت السيدة المعجوز للالاقة ضيفها قائلة :  
« لقد جئت في الأوان والشاي مجهز يا إيفان ! »  
ثم أردفت : « إنك قادم لا محالة لترى فلاديمير ! »  
فغمغم « جوليوبنسكو » مجفلاً : « لا ... إنما كنت ماراً ... »

— أنت لا بد عاذره ، إنه لا يزال نائماً لقد قضى سحابة الليلة الماضية يذرع غرفته جيئة وذهاباً . وقد أوصيت الخادمة ألا توقظه ، فان اليوم عطلة بمناسبة العيد . ولكن لعلك آت في مهمة مستعجلة ؟

— كلا ، وإنما عرجت عليكم في ضروري لحظة ...

— إن شئت رؤيته أمرت بإيقاظه

— كلا ، كلا لا تكلف نفسك

ولكن بيلاجيا بتروفنا كانت معتقدة أنه قادم ليرى ابنها في أمر من الأمور . فخرجت وهي تتعمق بينها وبين نفسها

وجمل « جوليوبنسكو » يذهب ويجيء مضطرباً ، ويقلب كفيه ، وهو لا يدري كيف يبلغها الخبر الفظيع . لقد أزفت اللحظة الحاسمة ، ولكنه لم يعد مالسكا لنفسه بل ملكه الروع فهو يلعن الخط الذي ورطه شر مورط في الأمر كله واستهات « بيلاجيا بتروفنا » وهي تدخل

الغرفة مخاطبة زائرها سليمة السريرة طيبة الذخيرة :

— وبعد ! فكيف لامرئ أن يشق فيكم أيها الشبان ؟ هأنذا أحاذر أن أحدث أدنى حس للأفداح وأطباقتها ، واستسبحك في عدم إيقاظ لابني ، فإذا هو قد مضى منذ برهة طويلة ولم يخلف أثراً ! ولكن ، لم لا تجلس وتشرب قدحاً من الشاي ؟ لقد أهملتنا شر الإهمال في هذه الأيام الأخيرة وابتسمت كأنما تبسم عن سرور مخامر ، وزادت بصوت خافت :

— كانت الأخبار كثيرة عندنا في تلك الآونة ، وما أحسب أن فلاديمير استطاع كتبها . ولا بد أنه أفضى بها اليك كافة بخفايرها ليومنا هذا . إن ابني فلاديمير مستقيم الطبع مفتوح القلب . والليلة البارحة دارت بخلدني الظنون مع ما بها من إثم ! إذا كان فلاديمير ابني يذرع الغرفة طيلة ليلته فعمناه أنه يفكر في « لينوتشكا » صباً بها ، مشوقاً إليها . وإن من مألوف عادته وديدنه إذا ذرع الغرفة الليل طوله أن يمضي لا محالة في الغداة . آه يا إيفان لا أتمنى شيئاً على الله إلا أن يرزقني من لدنه هذه الفرحة يقربها عيني في هرمي . وما ذا تطلبه امرأة عجوزاً أكثر من هذا ؟ وليس لي غيرها أمنية وبشري ؛ وإنه ليخيل الي أن ليس ثمة سؤال أرتجيه بعد إذ يتزوج فلاديمير ولينوتشكا . إن في ذلك لفبطة لي وأياماً غبطة ، وسعادة ما بعد سعادة . ومالي سوى فلاديمير من حاجة . وليس شيء أحب الي من هناعته

وكان من شدة تأثير السيدة المعجوز أن جعلت تكفكف الدمع قد اغرورقت به عينها واسترسلت تتحدث إليه : « أو تذكر ؟ »

« إن لك عندي تحية ، لقد كتبت لينوتشكا فيما كتبت له لي توصيني بأن أبلغ تحياتها إلى إيفان ، وأن أرجوه المحي ، مع فلاديمير لزيارتها ؛ فأنت ترى بنفسك يا إيفان مودتها لك ! لا وليم الله ، يظهر أنني لا أستطيع الاستئثار بهذا وحدي . لابد من إطلاعك على الخطاب ، ولتظن أن أنت لنفسك مبلغ ما فيه من محبة وعذوبة

وعاودت بيلاجيا بتروفنا البحث عن حزمة الخطابات في جيبها وسحبت منها طرسا رقيق الورق مقرمط الكتابة ، ونشرته أمام إيفان جوليوبنك وقد زاد وجهه اكفهرارا ، وحاول إيفان أن يدفع عنه القرطاس المدود ، ولكن بيلاجيا بتروفنا كانت قد أنشأت تقرأه :

( عزيزتي بيلاجيا بتروفنا — متى بين الأوان الذي أخطبك فيه بغير هذا فأدعوك بيا أي العزيزة المحبة ! إنني أرقب ذلك اليوم متلهفة ، وإن أملى لعظيم بقرب حلوله حتى لست أحب دعوتك من الآن باسم غير يا أي — )

ورفعت بيلاجيا بتروفنا رأسها ، وتوقفت عن التلاوة ، ونظرت إلى جوليوبنك بعيين تملأها العبرات وقالت : « أرى يا إيفان ! » . ولكنها رأت جوليوبنك يعضض شاربيه بناجديه ، وأن عينيه هو أيضاً مغرورقتان . فقامت وأقبلت عليه ، ووضعت يدها الزمعة على شعره ، وقبسلته في هيئة فوق جبينه ، هامسة من شدة التأثر : « شكرا يا إيفان ! لقد كنت دائما أعتقد أنك وفلاديمير أقرب إلى الآخرين الشقيقين منك إلى مجرد صديقين . لا تؤاخذاني . إنني سعيدة أيما سعادة . والحمد لله سبحانه ! »

لم تكن الأمور في البداية جارية على أحسن حال ، سواء فيما بينهما أو فيما يتعلق بالمال . فأنكم معشر الشبان الضباط غير مسموح لكم حتى الزواج من غير مال مرصود . حسن ، لقد تم الآن إعداد كل شيء : حصص على الخمة الآلاف روبية اللازمة لفلاديمير . وفي الامكان ذهابهما إلى المحراب لعقد الزواج غدا غدا . أجل ، وقد كتبت لي لينوتشكا خطاباً ما أطفه . إن قاي جذلان مبتهج

وأخرجت « بيلاجيا بتروفنا » — وهي مسترسلة في كلامها — خطاباً من جيبها ، وأظهرته لجوليوبنكو ثم أعادته : « انها لفتاة محببة ! وناهيك من طيبة نفسها !

وجلس إيفان جوليوبنكو ينصت إلى كلامها وهو على مثل الجمر . وقد أراد أن يقطع عليها هذا الفيض من الأحاديث ، ويقول لها إن كل شيء قد انتهى ، وأن فلاديمير ابنها مات وأصبح في خبر كان ، وأنه بعد ساعة واحدة لن يبق لها شيء من هذه الآمال الزاهية . ولكنه أنصت إليها والتزم الصمت ، ونظر إلى وجهها الطيب اللطيف فأخذ منه الاشفاق عليها وإذا حركة تشنج تأخذ بكظمه وأخيراً سأله السيدة المعجوز : « ولكن ، مالي أراك اليوم متجهما ؟ ما بالك ، إن وجهك يبدو مكفهرا كامدا كالليل !

وود إيفان لو يقول : « نعم ! وسيكون وجهك كذلك حين أخبرك الخبر ! » ولكنه لم يبلغها شيئاً ، واستعاض من ذلك بأن أشاح بوجهه وجعل يقتل شاربيه

ولم تلحظ بيلاجيا بتروفنا شيئاً ، واستطردت وهي في أفكارها مستفرقة :



ضروب البطولة وسائر ما يسمونه مسائل الشرف على اختلاف ألوانها . وأخيراً هب من مجلسه وهو موطن النفس على التصريح أو الفرار . وأقبل ، فتناول — معجلاً ومن غير كلام — يد بيلاجيا بتروفنا وأمحنى يائسها ، فأخفى بذلك وجهه عنها ، وإذا سيل من الدمع السخين المدرار ينهمر فوقها . ثم انتزع نفسه وانطلق لا يلوى على شيء ، وتناول عند الباب معطفه الكثيف وخرج من البيت دون أن يقول كلمة

وتطلعت بيلاجيا بتروفنا وراءه مندهشة ، وقالت في نفسها : « لاشك أنه أيضاً عاشق ، مسكين ، كان الله في عونته . إيه ! إنها لوعة الضبا تلوعهم — ومن بعدها سعادة »

ثم سرعان ما نسيته ، وغاب أمره عن بالها ، واستغرقت العجوز في أحلامها بالسعادة تتراءى لها محققة كاملة !

عبد الرحمن صرقي

استدراك

جاء في ( مذكرات نائب في الأرياف ) المنشورة في هذا العدد أن مدة المعارضة أربعة أيام والصواب ثلاثة

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً

وقاضت الدموع على خديها . واشتد بإيفان جوليو بنكو اضطرابه وارتباك ، ولم يسمع إلا أن يأخذ بين راحتيه يدها الباردة المروقة ويكب عليها تقبيلًا . وكان مختنقا بالمبرات فلم يستطع أن يلفظ حرفًا . ولكن هذه الفورة من الحب الأموى أشمرت بالتبكي الشديد ، حتى لقد آثر أن لو كان هو الصريع على الساحة وقد نفذت الرصاصة في دماغه ، فذاك أهون عليه من سماع عبارات الحمد له وامتداح صداقته وخالص أخوته تجرى على لسان هذه المرأة وهي بمد هنية قصيرة سيتضح لها حقيقة الواقع وجلية الأمر . وماذا ترتأى فيه وقتئذ ؟ ألم يقف — وهو الصديق وفي حكم الشقيق — ساكنا جامدًا حين كان المسدس مسددًا إلى فلاديمير ؟ أليس هذا الشقيق نفسه هو الذي قاس المسافة بين الفريقين ، وهو الذي حشأ المسدسين ؟ كل هذا صنعه بنفسه ، وقد صنعه وهو يعي ما يصنع ؛ وهاك الصديق بل الشقيق يجلس الآن صامتًا ولا يتقدم حتى هنا للقيام بواجبه

إنه جزع خائف . يحترق في هذه اللحظة نفسه دون أن يستطيع مغالبتها ليقول ولو كلمة واحدة . وإن إحساساً غريباً بالتناقض يخرج صدره ويذهب روحه ، فهو في كرب واختناق . والوقت يمر سراعاً ؛ إنه يعلم بمروره ، وكلما زاد به علماً وهت غريمته ولم يقو على حرمان بيلاجيا بتروفنا مما بقي لها من لحظات سعيدة أخيرة . فإذا هو قائل لها ؟ وكيف يقدم للخبر ويهيئها لسماعه ؟ لقد حار إيفان جوليا بنكو في أمره وأسقط في يده

لقد انفسح له الوقت هنا ليلعن في سره جميع المبارزات وجميع المشاحنات وكل ضرب من

# من القتاتل



بقتل الدكتور محمد الراجحي

لأندرية وادنود

اعلموا واحدة من صواحيه غارت عليه أو نعتت منه أو نكثت عهدا ؛ أو لا فمشيق واحدة منهم أراد أن يريجه من طريقه .. عرفت كل هذه التفاصيل من الخادم وأنا أتناول فطوري ، إذ كنت في فندق المحطة وقد بت فيه متخلفاً أنتظر القطار المحلي الذي يبرح في

الصباح قرية بوفيليه ودخل أحد الشرطة إلى الفندق فجعل يتجري أسماء المسافرين الذين وصلوا بالأمس ؛ ثم تقدم إلى في شأني وشأن أوراق ؛ ثم سألني كيف قضيت الوقت منذ طرأت على هذه الناحية ؛ وبعد أن تثبت من قولي حيائي ومغضى لسبيله . فقلت للخادم :

— ما أحسبه يشق عليه

أن يضع يده على القاتل والبلدة من صغرها تسكاد تسلمه لمن يبحث عنه . . . قال : لا يكون هذا رأيك يا سيدي ، فالقرية يمر بها غرباء كثيرون . . . وهب القاتل من أهلها فلا ريب أنه قد تدبر واحتاط وفكر وقدر ، وما يكون مثل هذا المجرم الذي يقتل هذا العملاق

أصبح الناس في قرية بوفيليه الصغيرة وعليهم الضباب ومعه الريح الباردة تسفع الوجوه ، وبين الضباب والريح يطير الخبز المزعج : أن قتل مسيو فينيه برصاصة وقعت في عنقه ! وعثروا على جثته في أرباض القرية ، بين أسوار الحدائق على مقربة من النهر . وكانت العاصفة

والطار وظلام الليل ستر على القتل والقاتل ، فلم ير أحد ولم يسمع

ومسيو فينيه هذا عملاق معصوب الخلق ، مفتول العضل ، غليظ الألواح ، طويل عريض قد ناهز الأربعين ، يعيش في سعة من غلة أرضه ويلهو أكثر وقته بالصيد ، وفي سائر الوقت يختلف إلى الأندية والحانات

ويعرفه أهل قريته فاجراً صاحب نساء وغزل ، فحديثه وحديثهن على كل شقة ؛ ولم يلقه الليل إلا على امرأة يخادنها أو يحتظيها ؛ وهن إليه أشد ميلاً ، فله المال وفيه القوة ، وإلى ذلك ظرف وجمال وصباية ورقة حديث فمن الذي قتل مسو فينيه ؟





كبيرة فأوفدته إلى بلدة بكسيول القريبة من هنا في عمل من أعمالها يستغرق سنين عدداً. فلما جاء إلى هذه البلدة أخذ بجبال طبيعتها وسحر مناظرها فابتاع منزلاً ريفياً سكن فيه مع زوجته الجميلة، تحوطهما سعادة الحب؛ أولاده كان يتوهم ذلك.. وتصرفت الشهور وتبعها السنون وهو ناعم بحياته الجديدة، مسحور بالجمالين في الطبيعة وفي زوجته «مشلين». وكان واثقاً من حبها مطمئناً إلى وفائها، حتى ألقى إليه ذات يوم كتاب غفل من التوقيع ينهبه فيه كاتبه إلى أن يفتح عينه على زوجته... فسخر من الكاتب وكتابه، وانطلق إلى داره وما يشك أنه سيطالع امرأته ببث بضحكها ويضحك

وخطر له وهو يفتح باب الحديقة أن يحكم الدعابة فيجعلها رواية ذات فصائل؛ فإذا انفجر من الغيظ في الفصل الأول وهو يمتد الرية، انفجر من الضحك في الفصل الثاني وهو يطمئن إلى الحب... فلبس وجه الغيظ والحنق ودخل على زوجته دخول الموتور في عرضه وكرامته وقال لها: — أما الآن فقد برح الخفاء وانكشف المستور وتحقق الظن ونطقت الرية... تباً لك من خائنة غادرة تبثذل عرضها وتخون زوجها. هلم فأسألي الله أن يرحمك إن كان يرحم الفاجرة؛ فاني قانك لاحالة

\*\*\*

وتابع الرجل حديثه لي فقال:

لم أكن — علم الله — أريد غير المزح والدعابة وما كان يخطر لي قط أن يحدث ما حدث... فما سمعت المرأة ما سمعت ورأت ما رأت، حتى انقلبت عيناها وزاغ بصرها وانكفأ لونها وتهارب دمها، وارتعدت واضطربت ومادت ووقعت باكية على قدمي...

إلا غارماً شديد البأس يرهبه الناس فلن يظهر اسمه على لسان أحد. وأى الناس يريد لنفسه القتل؟ وخرجت أسراً في الجموع المضطربة أذهب هنا وهناك إلى أن يحين الوقت، ثم توجهت إلى المحطة وجمعت أتصفح الوجوه أبحث عن شخص جمعي به القطار أمس وقضينا معاً شطراً من الليل. وكان هو أيضاً قد طرأ على البلدة وتخلف ينتظر القطار المحلي، فتواعدنا أن نلتقي في المحطة

\*\*\*

وكان صاحبي هذا رجلاً قد علاه المشيب فأبيض شعره الخشن، وسطع بياضه على وجهه قد لوحته الشمس فاسمر واحمر. وكان قصير القامة صلب العضل، قويا مجتهداً، عصبي المزاج يطير من عينيه مثل الشرر إذا حدق إليك..

ولم يكن حديثنا في القطار إلا تحية وردّها؛ وقد تخلف مثلي في بوقيابيه، فما إن وطئت قدماً أرض الرصيف حتى أمرع إلى عربة الأمتعة ومعه الجمالون ينزلون متاعه وأثقاله وهو شيء كثير عجيب مختلف، يجمع أنواعاً عدة من فسائل شجر الورد إلى صناديق ضخمة تضم ألواحاً من الرمر المصقول أجيداً نحتها في باريين

ودنوت من الرجل، وكان القطار يهم أن يتحرك ولما يفرغ الجمالون من عملهم، فالتفت حقيقتي وعملت معهم في إزال ما بقي، فشكرني ودعاني للمساء معه

وتلافينا في مطعم اشهر باجادة أظعمته فما يغوت الغريب أن يختلف إليه. وجلسنا لطعامنا وبدأ يتحدثني حديثه، فكانت قصة من أعجب القصص..

\*\*\*

تزوج شبنك هذا وهو في الأربعين من عمره بفتاة تقارب العشرين. وكان مهندساً في شركة

إن قمة فيزون بعيدة لا يمكن بلوغها إلا بالسيارة ؟  
فإن كان الخبر صحيحاً فعادة زوجتي كلما أرادت  
السيارة أن تسألني هل أنا في حاجة إليها ؟  
إذن فلا تنتظر

وجلست معها للغداء وكان لم يكن بي شيء ؟  
وأشرفنا على الفراغ من الأكل ولم تسألني فهدأت  
وكدت أطير فرحاً ، وجعلت في نفسي ألين التهمة  
وأهلها ، وأنا في ذلك إذ قالت مشاين في تردد :

— أحتاج الى السيارة اليوم يا عزيزي ؟ فاني  
أريدها لنزهة قصيرة في الجبل

وكان كلامها كالصاعقة انقضت على ، فاحتبس  
لساني ورأيتني أختنق ؛ غير أنني تماسكت مرة  
أخرى لآتني الى النهاية . فقلت لها وأنا أنتزع  
الكلام انتزاعاً :

— ألا ترين أن الجو اليوم ليس جو النزهة  
في الجبل ؟

فعبست وقالت بحفاء :

— ولكنني أريد التنزه اليوم

وكنيت مستطعماً أن أمنعها إذا زعمت لها أنني  
في حاجة الى السيارة ، أو قلت إنها ممطرة ، أو اعتلت  
بعملة ما . . . ولكن قلبي كاد يتمزق بالشك ،  
وأردت اليقين واليقين في خروجها ، فتركبتها  
لشأنها وقلت خذها فليست في حاجة اليها

وأسرعت الى محل العمل فسألت عن قارنك  
فقل لي إنه قد خرج في سيارة ولن يعود بعد ظهر

اليوم . . . فطار لي وتحققت من مصيبتني ، ولم أملك  
الصبر حتى ألتمس سيارة تحملني وتقذف بي على  
الخائن والخائنة ، فعمدت الى « موتوسكل » كان  
لأحد العمال فطرت به

فلما وافيت الفندق رميته ومضيت خذراً ألوذ  
بكل ما يواريني . وكنت الى تلك اللحظة أراجع

فوقفت مشدوهاً لا أكاد أصدق ما رأيت  
لولا أنني أرى . . . ثم أعماني الحب وأشفقت عليها  
وظننت ما بها مما يحدثه الرعب ، وقلت : لعلها  
حسبتني قد جننت . . . فضممتها الى صدرى وقبلتها  
وجعلت أهدى روعها وأعتذر إليها حتى سكن ما بها  
ولما طابت نفسها انفجرت ضاحكا وقلت  
لها : هذا هو الفصل الثاني من الرواية الهزلية . . .  
ثم حدثتها بالخبر وأقرأتها الكتاب ، فطوقتني  
بذراعيها وتملقت بي وقالت وهي تقبلني :

— ما كان أبعدك من الرحمة ! لقد حسبتك  
جننت . . . فلأن أظن بك الجنون أقرب من أن  
أظن أنك ترناب في

\*\*\*

ومرت الأيام وكنت أشهد حبها بتضاعف كما  
تكفر النائبة عن خطيئة تريد أن تمحوها من  
ذاكرة محبتها . . . وحات ذلك الكتاب على محمله من  
حسن الظن ، فقلت : لعله من ما جن يعيث بي ،  
أو عدو يكيد لي ، أو عامل طردته فيريد أن ينتقم  
مني بتخريب سعادتي . . . غير أنني لم أطمئن الى ذلك  
وساورتني الظنون الأخرى ، ولم أر من الحكمة  
أن تعلم زوجتي بما تخالجي من الشك ؛ فجعلت  
أجنس عليها وأستقصي أخبار من تتصل بهم ؛  
حتى كان يوم تلقيت فيه رسالة أخرى لا توقع  
عليها ، وهذا نصها :

« إن زوجتك على موعد من كبير المهندسين ،  
وأنت تعرف أنه السيد « قارنك » ، وستوافيه اليوم  
في الساعة الثالثة على قمة فيزون بفندق الخنزير البري  
حيث يلتقي العشاق . . . »

فما قرأت هذه الرسالة حتى دارت بي الأرض  
وغلى دمي وجن جنوني فعممت أن أذهب الى دار  
المهندس فأبطش به . ولكنني تماسكت وجعلت أتدبر :



قد هلك كل من أرسلتهم الشركة إليها ، فهي تضن  
أن تبعث بي إلى الموت  
وما علمت الشركة أن الموت هو الذي أريد .  
فقبلت العمل وسافرت دون أن أرجع إلى بكسيول  
لأرى زوجتي ، إذ لم يكن أبغض إليّ من أن أراها  
ووهبتها المنزل ونزلت لها عن حصة من مرتبي  
تدفعها الشركة إليها ؛ غير أنني أشرت ألا تعلم ولا يعلم  
أحد بالمكان الذي سافرت إليه ، وأن يغيّر اسمي  
في دفاتر الشركة حتى لا تعلم ولا يعلم أحد . وتركت  
بلادي كأني مودع العالم ، فلا هم لي إلا أن أموت  
في أفريقيا فينساقي الجميع ...

\*\*\*

ونشبت الحرب غير أنني لم أغامر فيها لشدة  
احتياجهم إليّ ، فلقد كان الزنوج يهاجمونا كل  
يوم ، ولولا مدافعنا الرشاشة لما كنا جميعا  
وجيل الزمن يمر وكأنه لا يمر عليّ ، إذ لم يكن لي  
شيء جديد . ولم أعد إلى بلادي وآثرت أن أهلك  
كما يهلك الانسان في الصحراء . وانقطعت عن  
العالم وانقطعت أخبار العالم عني ، فلم أكتب لأحد  
ولم يكتب إليّ أحد ؛ واستحجر قلبي من هول  
المصائب ، ورأيتني كالوحش الذي لا يفهم الموت  
حين نمت إلى الشركة ذات يوم زوجتي الخائنة ...  
وكان صباح وكان مساء ، وتقاب الظلام  
والنور ، حتى مررت يوماً بمحصى تنزل فيه مريّة  
من الجند يقودها ضابط عاش في باريس قبل  
الحرب ؛ فجلسنا نتحدث ونستعيد العالم ، وما كان  
أشدّ دهشتي حين علمت منه أنه كان عاملاً في إدارة  
الشركة ...

وترامى بنا الحديث عن رجل ، رجل من  
الرؤساء ، فقال لي :  
— هل عرفت قارنك ؟

نفسى وأزعم أن زوجتي قد ذهبت إلى جهة أخرى  
وأني لن أجد أحداً ، وسأجلس في الفندق لكأس  
أو كأسين ثم أعود إلى داري مطمئناً جالس عند قدمي  
زوجتي وأعتذر إليها كما اعتذرت في المرة الأولى ...  
وما بلغت هذه الخاطرة من تفكير حتى  
كنت بحذاء الفندق وكأنه يقول لي أنظر أنظر ...  
أبصرت زوجتي ، وقد جلست إلى قارنك  
وأمامها الشراب ... فانقضت عليها كالنور . أما  
هي فوهمت مغشياً عليها ، وأما هو فانتفض وقد  
اكفهر وجهه وتلعثم لسانه وأخذ يتمتم ، يحاول  
أن يتكلم ... فلم أمهله ولم أسمع له ، بل صفعته على  
وجهه ثم انطلقت أعدو كالجنون وظرت بالموتوسكل

\*\*\*

كان ذلك قبل الحرب العظمى ، وكانت  
العادات يومئذ غير العادات ، والشرف غير الشرف ،  
فما وصلت البلدة حتى التمت زميلين لي فطلبت  
اليهما أن يكونا شاهدي في مبارزة قارنك .  
وأجمعت على قتله إذ كان حذقي في الضرب بالسيف  
لا يقل عن مهارتي في الرمي بالرصاص  
ثم أقيمت في محل عملي وأبيت أن أرى زوجتي  
أو تراني . فكتبت إليّ تضرع أن آذن لها ففتطالعتني  
بالخبر على جاليتها فان الأمر غير ما ظننت ، وإنما هو  
شأن آخر ستثبته بالبرهان القاطع ، و ... وهنا  
مزقت الرسالة ولم أستوف قراءتها ، وأبيت عليها  
مناسأت

ووقعت المبارزة وتضاربنا بالسيف ؛ فما كانت  
إلا هزيمة ثم أغمدت سيفي في صدر الخائن فسقط  
ميتاً ولم ينطق بكلمة ولا حرف

وعدت ساعتى إلى باريس فكتبت إلى الشركة  
ألتحق عملاً آخر . وجاءني الرد أن لا عمل إلا في  
ناحية بعيدة من بلاد أفريقيا ... وفي هذه الناحية

ثم اختللت أعصابي وأصبحت خطراً على أتباعي ،  
ولست أدري ماذا كان يحدث لو لم ترحمي الطبيعة هناك  
فتضربني بالحمى التي أرجعتني إلى هنا ... ولم تقناني  
الحمى فقد كانت لي قوة أقوى منها ، وهي رغبتي  
في التكفير عن الذنب

وبحثت فعلمت أن ثارنك قريباً هو ابن أخته ،  
وقد ذلّ بعد غر ، وافتقر بعد غنى ، فنزلت له عن  
أكثر ما جمعت من المال

أما زوجتي المسكينة فلم تترك أحداً تربطه بها  
آصرة ، فجعلت هي أن أعيش ما بقي من العمر في  
ذكرها ، أتمذب بها كما عذبتها ... فاستغفرت  
من العمل وجئت أريد بكسيول التي دُقنت فيها ،  
ومى مارأيت من غراس الورد على أنواءه ، ومن  
هذه الأحجار الغالية ، وهي من تحت مثال عظيم في  
باريس ، وهو آت بنفسه على أثرى ليقم البناء على  
القبر ، فيجعله أثراً خالداً مذكوراً من آثار الفن ،  
وإلى جانبها سأقضي بقية مدتي ، وإلى جانبها سأدفن

\*\*\*

وحان المطم أن يغلق أبوابه ، نخرجنا وكان  
المطر ينهمر ، وجعلنا نلتصق الطريق حتى بلغنا  
المحطة وبها مقهى يظل مفتوحاً إلى الصباح ، وأبى  
صديقي إلا أن يدخل إليه ، فهو على سنه ما زال  
بظماً إلى الخمر ؛ ولم يكن احتجز لنفسه غرفة يأوي  
إليها في الفندق ، وتركته يتأبل سكرأ وانطلقت  
وحدى .

\*\*\*

قلت في أول القصة إنني توجهت إلى المحطة  
وجعلت أتصفح الوجوه أبحث عن شخص ، فهو  
صاحبي شمباك ، وقد التسته فلم أجده ، وانتظرت  
فلم يجي ، إلى أن تحرك القطار فوثبت إليه

فحدثت فيه أحسبه يهزأ بي ... ولكنني  
تذكرت أني قد غيرت اسمي فن البعيد أن يعرف  
من أنا ؛ وكأنما أراد أن يذكرني ، فقال :

— ألا تذكر ثارنك الذي قتله زميل له في  
المبارزة ؟

قلت — فما قصة هذه المبارزة ؟

قال — لقد ذهب ثارنك ضحية خطأ شنيع .

— أي خطأ ويحك ؟ ألم يكن خليلاً لزوجته قاتله ؟

-- كلا كلا ... لم يكن في قدرته أن يكونه ...

ولقد اطلعت على الملف الخاص به عند ما كنت  
أعمل في إدارة الشركة ؛ فهذا البائس أظهر من  
الطفل الرضيع إذ خذلتته الطبيعة فلا يصاح  
لا امرأة ... لا تلك ولا غيرها ولكني ...

إنني أعرف ما تريد أن تقول ... نعم إن  
الرجل فاجأ مع زوجته على حال ظنها مربية ، غير  
أنهما لم يكونا في مجلس غرام ، بل اجتمعا لشأن  
آخر ... فقد كانت هذه الزوجة تضرعت إلى  
ثارنك وألحت عليه أن يسمي في الانعام على  
زوجها بنوط الشرف ، وسمي ثارنك وكتب إلى  
الشركة أيضاً ، وقد رأيت كتابه بعيني رأسي ،  
وكان طلبه قريباً من الاجابة ، وبشروه بذلك ،  
وذهبت الزوجة إليه تتلقى البشرى ، ولكن الزوج  
الآبله تحرش به ولم يسمع منه ، ثم قتله ولم يسمع من  
زوجته ، ثم رحل إلى حيث لا يعلم أحد أين رحل ...

\*\*\*

قال محدثي :

هذا ما قصه الضابط ... وكدت والله أموت

حسرة ونداما ، وكدت أجن من هول ما صنعت ،

وتمزق قلبي أشد وأوجع مما قاسيت من قبل ، فلم

أطق العيش وحاولت الانتحار فخيل بيني وبينه ،



كانت تهيم به هيام الجنون فتأتى في سيارتها الصغيرة بين الوقت والوقت للخلوة به في فندق من الفنادق ثم تدفع للفندق ما كان يجب أن يدفعه هو ...

وجعل ثينيه يلعن زوج هذه المرأة فقد كان أبله مفعلاً ؛ إتهم رئيسه بزوجه فدعاه للمبارزة وقتله ثم نأى فلا يعلم أحد أين هو . وقد ترك زوجته منزلاً وجصة كبيرة من مرتبه ، فكان ثينيه هو الذى يستمتع بالمال والدار والزوجة ، ساخراً هو وعشيقة من المغفل ... الى أن هلكت المرأة

وهنا سكت ثينيه عن الكلام وكان السكر قد نال منه ، فغمم الرجل الشيخ بكلمات لم تفقهها الفتاة ؛ بيد أنها رأت وجهه كوجه النمر من الخلق والغيظ

وبعد ذلك أخذ ثينيه يغنى ويعربد فأخرجهم صاحب المقهى . وسأل الشيخ صديقه أن يصحبه في نزهة ، وأبت الفتاة وألحت على ثينيه أن يعود الى مشواه ، فأغضبه الحاحها فلطمها لطمه ألقتها الى الأرض . وما كادت تنهض حتى أبصرتهما يبتعدان الى ناحية النهر ...

\*\*\*

فالتقت الصحيفة من يدي وقد عرفت من القاتل ... وتحزنت على صديقى النفس صاحب غراس الورد وأحجار المرمر المصقول ... فلا بد أن يكون قد أزهق نفسه وانتهى القاتل والقتيل ... وقبل أن أغادر قرية بوقلييه تحدثت الى محطة بكسيول فعلمت أنه لم يأت إليهم أحد يسأل عن المرمر وغراس الورد ، وقد ذوى الغراس فانقلب حطياً ...

وأنت يا فبر زوجة شمباك ... ؟؟

محمد الرافعى

وبلقنا بكسيول وفيها ينزلون ما جاء به صديق من غراس الورد وأحجار القبر ، وأنزلها القطار ومضى بي

وقضيت عملى ورجعت بعد أيام ، فاضطرت الى التخلف مرة أخرى في بوقلييه ، فنزات حيث كنت نازلاً وسألت الخادم :  
— هل عثروا على القاتل ؟

فقال : انهم قبضوا على فتاة ولكنهم لم يقبضوا على دليل يثبت جنايتها . وأن هذه الفتاة أقرت أن القاتل رجل غريب كان معها هو والقتيل ، ووصفته بأوصافه ، فبحثت الشرطة في جميع الفنادق وانصلوا بكل من نزلوا بها تلك الليلة فلم يهتدوا إليه ولا الى من يعرفه . ولعله لم يقض ليلته في الفندق ... ولكن ما الذى يدعو هذا الغريب لقتل ثينيه ؟ لا أظنها إلا حيلة تريد الفتاة أن تتخذ بها الشرطة ... وأى ذلك كان فأبامك الجريدة المحلية وقد اقتضت الخبر من أوله الى آخره

وتناولت الجريدة وقرأت ما شهدت به الفتاة فإذا هى تقول إنها كانت صدرا من الليل مع ثينيه تماقره الخمر حتى ثملا . فلما انتصف الليل وأغلقت الحانة ذهبا الى مقهى المحطة ؛ ودخل الى المكان رجل علاه المشيب ، أثمر الوجه مشرب بحمرة ، قوى الجسم ، قصير القامة ؛ وكان يترنح من شدة السكر . فتجاذب هو وثنيه الحديث وخاضا فيه ، وزعم أنه قادم من باريس ووجهته الى بكسيول وأخذ ثينيه كمادته يشقهق الحديث بأخبار النساء من حظايا وعشيقاته ، وقال ان اسم بكسيول يذكره بأيام الطالب إذ كان فى السابعة عشرة من عمره ، وكان يومئذ قد اتخذ أول خليلاته وهى زوجة مهندس تدعى مشلين ... وازدهى بأنها



- ١ -

في أمسية يوم من أيام الآحاد ، وقد ابتدأ الظلام ينشر سحجوفه على مدينة هارنبول ، كان فناء كنيسة سان جيمس يثلاً ، وتسقط فيه أضواء الشموع ؛ والقس في محرابه يحذر الناس ويمظهم ... ثم وقف - وقد انتهت الصلاة - في خشوع وذلة ، وراح الجمع ينسلون رويداً رويداً .

كان المكان هادئاً صامتاً لا يرتفع فيه إلا هدير الأمواج الصاخبة تصفع الشاطئ في شدة حيناً وفي آين ، وإلا صوت أقدام رجل ينطلق إلى باب الكنيسة يريد أن يفتحه لينصرف المصلون ؛ وحين شارب الرجل على الباب ارتفع المزلاج من الخارج ودلف رجل في لباس البحار ... ثم انطلق على مهل حتى وقف بازاء المحراب ، والقس يحذره بنظرات فيها الغضب والحنق على فضوله ؛ غير أن البحار قال في هدوء : « لا تؤاخذني بما فعلت يا سيدى ، فلقد جئت لأحمد الله على أن أنقذني من الفرق حين تحطم مركبى ؛ هذا واجب أريد أن أؤديه إن وجدت منك الرضا » ، وصمت الراهب حيناً ثم قال : « لا مانع ؛ وكان يجدر بك أن تجيء في بدء الصلاة ، والآن سنصلى معاً صلاة النجاة من الفرق » ، وانطلق القس بتلو الصلاة والبحار

يردها بعده كلمة كلمة ، وقد ركع وضم يديه إلى صدره في خضوع ، والجمع من حوله خشع ينظرون .

وحين تمت الصلاة انصرف الناس وقد عرفوا في الشاب البحار شادراك جوليف الذي رحل عن وطنه الأول هارنبول ... رحل عنه إلى نيوفوند لاند ، حين مات أبواه .

وانطلق البحار يحدث هذا وذاك ، ويقص عليهم قصة حياته منذ ركب البحر ...

وعلى قيد خطوات منه فتاتان : أما إحداهما فضئيلة ضامرة رقيقة ، وأما الثانية فتويلة فارعة ؛ جذبه إليهما بمض ما بدا عليهما من رقة وخفة ونشاط ، فقال لحدثه : « من الفتاتان ؟ » قال له صاحبه : « أما القصيرة فهي إميلي هانتج ، وأما الطويلة فهي جيوآنا فليبارد » ، قال : « نعم لقد ذكرتهما ... » ثم أمرع ؛ وحين حاذاهما قال : « إميلي ، ألا تذكرين ... ؟ » قالت الفتاة : « هذا ما أظنه يا مستر جوليف ! » وحدثت فيه الثانية ، فقال : « لا أستطيع أن أذكر الآنسة جيوآنا غير أنني أعرف عنها الكثير »

وساروا جميعاً والبحار يحدثهما حديث ماضيه ، وهما تنصتان في شغف ولذة ، وبلغوا - بعد حين - دار إميلي ، فتركتهما هذه ليسيرا جنباً



واختلجت هذه الأفكار في رأسها فكتبت الى صاحبها تقطع ما اتصل بينهما ، وانطلقت الى صاحبها تريد أن ترى أثر الخبر في نفسها ، وفي يدها كتابها الى شادراك لتقرأه على صديقتها قبل أن ترسله .

دخلت جوانا فلم تجد إميلي في الدكان فجاست تنتظر ... ونظرت فاذا شاب يحديق في بعض السكتب من خلال الزجاج ... إنه هو ، هو شادراك جاء ليجلس الى إميلي ، وهو الآن يجيل بصره فيما حوله على يجدها وحدها ؛ وأنفت جوانا من أن تجلس الى صاحبها تحت سمع إميلي وبصرها فانفلتت تتوارى خلف سجف لنرى وتسمع ، ولتستطيع أن تنسل من الباب الخلفي متى أرادت ... وبدا لمينها ما ارتسم على وجه شادراك من سمات الألم والحزن حين دخل فلم يجد إميلي ؛ وهم أن يخرج غير أن شبح إميلي كان قد بدله فتريث . وحين رآه هي فزعت كأنها تريد أن تنكص على عقبيه ، فقال شادراك : « لا ... لا ترجمي ، ما الذي يفزعك يا إميلي ؟ » قالت : « لا شيء ياربان جوليف ، لا شيء سوى أنك فجأتني فاضطربت » وكان صوتها يضطرب كأنه يحدث عن بعض ما في قلبها من يأس وألم . ورأى الشاب ذلك فقال وهو يبسم : « لقد عرجت عليك في طريق ... » قالت وهي تقفز ليكون النضد بينهما « لعلك تريد بعض الورق ! » قال : « لا ، لا ، يا إميلي ؛ لماذا تقفزين هناك ؟ لماذا تبتمدين عني ؟ أفأصبحت تبغضيني ؟ » قالت وما يزال الاضطراب في ألفاظها : « لا ، أنا لا أكرهك ، وكيف أفعل ؟ » قال : « تعالى إذن هنا نتحدث كصديقين » ... وجلست إليه وعلى فمها ابتسامة رقيقة ، وانطلق هو يتحدث : « ها أنت ذي يا عزيزتي ... » فقاطعته : « لا تقل هذا ، أيها الربان ؛ إن هذه كلمات يجب

الى جنب حتى دار جوانا ... وحين رأى شادراك نفسه وحيداً ارتد الى دار إميلي ... إنها تعيش مع أبيها ، وهي تدير دكاناً صغيراً للسكتب ، تسد بما تربحه منه نفرة لا يسدها راتب أبيها الضئيل ... وداف الى الدار ليجد الأب وابنته يشربان الشاي ، فتناول قدحاً آخر ؛ وأخذ يتحدث مع حديث البحر ومفاجآته ، والفتاة تحس أن هذا الشاب يجذبها إليه رويداً رويداً ؛ ومضى أسبوع توثقت فيه بينهما عرى الصداقة

وتلأل القمر - ذات ليلة - ليعث في نفس البحار الشاب النشوة والطرب ؛ فانطلق يستمتع بالهدوء والبحر والقمر ، ويستروح نسبات الحياة النائمة ... ورأى فتاة تسير على بعد ظنها إميلي فانطلق في إثرها ، وحين صار بحذاءها وجدها جوانا فحياها وسار الى جانبها ، وهي تدفعه عنها برفق خشية غضب إميلي ، غير أنه أصم أذنيه عن كلماتها وراح يتحدثها ...

ماذا قال لها وماذا قالت ؟ ماذا كان منها وماذا كان منه ؟ لم يسح شادراك بشيء من ذلك ، ولكنه أصبح يهفو نحوها ويهمل إميلي قليلاً قليلاً . وطارت إشاعة محمل في ثناياها عزم البحار الشاب على الزواج من جوانا دون إميلي . ودوت الإشاعة لتبعث في نفس الأولى الأمل الحلو ، وفي قلب الثانية اليأس والخيبة ... وبدا لجوانا أن تنطلق الى صاحبها تكذب الخبر وتقول لها إنها ستدفع الشاب عنها في رفق ولين ...

لم يكن شادراك هو كل أمل جوانا ، فهي لا تستشعر حبه في قلبها ، وهي لا ترى فيه رجلاً لأنه فقير ، ثم هي جذابة جميلة ناعمة ، تأسر القلوب وتسيطر على الأفتدة ؛ غير أنها أعجبت بلباقة البخار وظرفه ، وكانت ولوعاً بالزواج ...

لا تستطيع أن تجلس إليك . ولقد أحست هي في خطابك صفة قوية قاسية هدمت كيانها « وأفاضت الأم فيما قالت ، وكان البحار الشاب رقيق القلب ، سليم الطوية ، فصدق حديث الأم المفترى ، وألقى بين يديها قياده وهو يقول : « وبلى ! لقد قسوت حقاً ؛ والآن فلها هي الخيار »

وفي الصباح التالي جاءه خطاب من جوانا تطلب إليه أن يوافيها الى الملتقى ... وقالت له وهما يسيران ذراعاً في ذراع : « الآن رجعت المياه الى مجاريها ، وكان خطابك غلطة من غلطات الشباب أليس كذلك ؟ » قال وهو يبسم : « بلى ... » وتصرمت أيام ... طلما بمسدها على العالم عروسين ...

- ٢ -

وكرهت الزوجة أن ترى زوجها يركب البحر فيخلفها نصف زوجة ، ويتركها وحيدة وقد ماتت أمها ، ثم هي لا تأمن غدر الأمواج ، فراحت تحبب اليه البقاء الى جانبها ليقوما معاً بعمل فيه الأمن والرجح

واطمأن الزوج لحديث زوجته ، فأنشأ دكاناً للبدالة ، وبذل قصارى جهده ليفوز من دكانه بمقيم ؛ غير أن جملة بفنون التجارة كان عقبة كأداء . ودار الفلك دورات ، وهو هو ، حيث كان منذ سنوات ، لم يفد شيئاً سوى ولدين أشرفا في دجى حياته ، وأحبتهما الأم حباً أنساها ما كانت تحبوه به زوجها من الحب ، وشب الطفلان على شاطئ البحر فيهما الفراحة والقوة والنشاط ، لكنها لا تستطيع أن تنشئهما كما صور لها خيالها ، وبدأت لها الحقيقة مرة لذاعة

\*\*\*

أن تكون لشخص واحد ليس غير » . قال : « لقد أدركت ما تعنين ؛ وإنني أقسم أنه ما جال في خاطري يوماً أنك تفكرين في ... أنا أشعر بميل إلى جوانا ، وأعلم أنها لا تحمل لي في قلبها شيئاً من الحب ، وما كان بيننا سوى الصداقة ؛ وأنت تعلمين أن البحار حين يهبط أرضاً يكون أعشى كالخفاش ، فهو يريد امرأة تسلس له وتنقاد ثم لا يعنيه ما وراء ذلك . ولقد أحبتك وسكنت إليك - بادىء الأمر - ولستك انزويت عني فأحسست كأنك تدفعينني عن نفسك في رفق ، فانطلقت إلى جوانا ... » قالت وهي ترتجف : « كفى ، كفى ؛ فأنت ستزوج من جوانا في الشهر القادم ، وإنه من العار ... » قال وقد أمسك بذراعها يضمها إليه : « إمبلي ... عزيزتي إمبلي ... إنه هو أنت ... أنت وحدك التي أحب ، وأنت التي سأزوجها . إن أمل جوانا أن تتزوج من رجل غري غنى . إنها لا تصلح لي ... » وكانت جوانا من خلف الستر تحتاج وتضطرب وقد فجأها حديث شادراك فأزعجها وآلمها ، فانطلقت وفي قلبها الحقد والكراهية لصاحبها إمبلي ... انطلقت إلى دارها تمزق الخطاب الذي كتبته إليه وفي رأسها خاطرة تضطرم : لقد عزمت على ألا تدع البحار الشاب يفلت فيكون هو سعادة إمبلي وشقاءها في وقت مما ...

وطربت إمبلي لحديث الشاب فقامت تودعه وفي عينيها عبرات الشكر والسرور وسيطرت الفكرة على شادراك فسكتب إلى جوانا يكشف لها عن بمض ما ظنه قد خفي عليها ، وطلب اليها أن تكتب له ، ثم انتظر ... انتظر طويلاً فلم يظفر منها بكلمة ، وأمضه الانتظار ، فانطلق اليها ... وقالت له أمها : « إنها مريضة



السعادة لابنيك ! » قال : « لقد كنت أستطيع لو أنني انطلقت إلى عملي .. عملي الذي أحببته ... إلى البحر ... »

ونحركات أطباع الزوجة في صدرها فقالت : « أفترى النجاح هناك ؟ » قال : « نعم » قالت : « أفترى أن تذهب ؟ » قال : « ما أريده للذة في نفسي فأنا أجد اللذة هنا إلى جانبك وإلى جانب أولادي غير أنك تريدني الثراء ، وهذا طريقه . » قالت : « ومتى تعود ؟ » قال : « من يدري ؟ » وفي الصباح لبس شادراك ملابس البحار وانطلق إلى البحر ... إلى نيو فوندلاند ...

\*\*\*

وترعرع الطفلان ، وانطلقا إلى الميناء يعملان بأجر زهيد ، وأمهما جالسة إلى نفسها تحدثها : « لاضر ، فهما يكسبان ما نسد به عوزنا ، سيكونان في السابعة عشرة والثامنة عشرة حين يرجع أبوها يحمل إليهما المال ، وبه يبلغان ما بلغ أبناء إميلي من الرفاهية والعلم ... »

وانقضت الأيام ، وحانت عودة شادراك ولكنه لم يأت ... غير أن ذلك لم يزعج الزوجة ولم يقلقها فهي تعلم أن المركب شرعى وأنه لا ضرر إن لم يصل في ميعاده ... وانطوت أيام ...

وعاد الرجل وعلى وجهه سمات الفرح باللقيا بعد الفراق الطويل ، وعلامات الفوز بما يرضى به زوجته ؛ وراح يضم زوجته في شغف وحب وهو يقول : « لقد أفدت كثيرا يا جوانا » ثم أفرغ في حجرها كيسا كبيرا قد ملأ ذهباً . وبدأت الدهشة على وجه الزوجة — بادية ذى بدء — ثم انمحت قليلاً قليلاً ، ليحل محلها الجشع الذي في صدرها فقالت : « أهذا كل ما أفدت ؟ » واستشعر الرجل الخيبة فقال : « ماذا ، ماذا يا عزيزتي ؟ إنه

وكانت إميلي قد تزوجت من تاجر غنى ، وراح يتودد إليها حتى رضىته زوجاً ، وتفتحت زهرة هذا الزواج عن طفلين مسحاً عن قلبها ما كان من حب لشادراك ومن كراهية لجوانا ، واستقرت إميلي في دار زوجها الفسيحة الجميلة ، وهذه الدار بجاء دكان شادراك !

لشد ما آلم جوانا أن ترى المرأة التي غلبتها على أمرها حيناً من الدهر في قصرها المشيد ، ترفل في حريرها وسندسها بين أطفال كالأقمار ، وأن تراها تطل من نافذتها بين الحين والحين كأنها تستمتع بما ترى في دكانها من معاني الضمة والفقر ! ولشد ما حزن في قلبها أن تستشعر الخيبة بعد أن أحرزت النصر ؛ وأن ترى حياتها تنفتح عن فاقة وعوز ! أفكان هذا هو كل ما أفادت جوانا حين ظفرت بفتاها شادراك ؟

\*\*\*

وجلس جوانا إلى زوجها تحدثه وقد خلا المكان إلا منهما ، وبصرها معاق بعربة أحد الأغنياء الكثيرين الذين يزورون إميلي بين الفينة والفينة ؛ تحدثه تقول : « ما كان لرجل أن يبرز في عمل لا يجيده ولا يتقنه ، وأنت لا تحسن فناً من فنون التجارة » قال الزوج : « إن الثراء لا يعني كثيراً ، وحسبي أن أعيش إلى جانبك سعيداً .. » قالت : « أفلا ترى ما بلغت إميلي من الثراء والدعة ؟ إن ابنها يتعامل في الكلية ، أما ابنك فلا يستطيعان ... » واستيقظ الهوى في قلب البحار حين ذكرت إميلي فقال : « إنه أنت .... أنت التي رفعت إميلي إلى ما ترى حين جذبتني إليك ، فارتدت هي في يأسها تجيب التاجر إلى ما طلب . » وأثار الحقد والغضب في صدر الزوجة فقالت في غيظ وحدة : « دع الماضي ، وانظر كيف تجد

لثراء ... » قالت وكأنها تؤنبه : « هذا ثراء لمن يعيش في البحر ؛ أما هنا ... »

وأمسكا عن الحديث حين دخل الولدان ... وفي يوم الأحد التالي انطلق شادراك الى الكنيسة ليؤدي صلاة النجاة

وبدا للرجل أن زوجته لا تقنع ، فراح يحدثها ليستشف من حديثها بعض ما يكنه قلبها ، فقالت وهي تشير الى دار إميلي « إنهم على كون الآلاف وما عندنا سوى بضع مئات ؛ لقد اشتروا عربة وحصانين . ما زلنا فقراء يا شادراك ... »

وقضى الزوج عاماً لا يرى زوجته إلا حزينة كئيبة ، فأمضته ذلك وآله وعزم على أن يغامر في البحر مرة ثانية مع ولديه . وانطلق الى زوجته يكشف عن عزمه فاضطربت وفزعت ، وقالت : « لا ، لا ، يا شادراك . لا أستطيع ذلك ، ولا أريد أن أقذف بهما في يد الأمواج ... » قال الزوج « وأنا لا أستطيع السفر بدونهما »

وباتت المرأة ليلتها تقلب الفكرة في رأسها ، وعلى خطوات منها إميلي تسهر الحقد والغيط في قلبها فلا تستطيع صبراً على ما هي فيه من قافة وفقر ؛ غير أنها لا تقوى على أن تعيش وحيدة ؛ ولكن ... ولكن أحلامها في الغنى والسعادة ... وصبحت زوجها تقول له : « أنستفيد كثيراً لو أنهما ذهبا برفقتك ؟ » قال : « أضاعفا مضاعفة ، فهما خير لي من رجال كثير ، وأنا ألح فيهما الذكاء والفطنة والجلد والجد » قالت : « وهل في ركوب البحر من خطر ؟ » قال : « نعم »

ومرت أيام وأيام ، والأم لا تستطيع أن تقر على رأى ... ثم وافقت ...

— ٣ —

وخيل للرجل أن موقف الوداع بمصيف

بقلب الأم ويبذر في الصبيغ غرام التخاذل والضعف ، فانسى برفقة ولديه في الصباح الباكر ونسيت الربيع تمر هيئته ندية . وأحست الأم ، بعد حين . فاندفعت على آثارهم لتري ما ستطره الرجل على الجدار ، بنيتها بسفرهم خاسرة لثلاث محزنها ساعة الفراق وتولها ، لتري كل ولد وقد ترك أركاً تحت أثر أبيه يقول : « وداعاً يا أماء ! » وانطلقت الأم لتدرك السفر ، غير أن سفينتهم « جوانا » كانت هناك عند الأفق تمخر الباب ... وتفجرت العبرات من محجريها . وقد تصدع قلبها - تمسح السرور والبهجة عن أيامها . وارتدت ... ارتدت لتري مثلها الأعلى في المرأة التي دفعت زوجها وابنيها الى اليم ... إميلي ...

وانقضت أشهر الصيف الأولى ، وجوانا لا تبرح دكانها وما فيه إلا الرفوف ، وإلا النضد ، وإلا بقية من البضاعة ؛ وجاءت أيام الشتاء تريد أن تمحو ما سطرت أيدي زوجها وولديها ؛ وشق على الزوجة أن ترى هذا الأثر الغالي بمحى ، وهي ترى من خلاله سمات سيدها وولديها ، ففطته بالأواح من الخشب ...

ورأت إميلي ما يضطرب في خيال صديقتها جوانا فانطلقت ترفه عنها وتشتري منها بعض أشياء هي في غنى عنها وعن بعض ما فيها من قذارة ورداءة ؛ وجوانا لا تطعن إليها ولا تهدأ لأنها ترى في ذلك معنى الشامة والتشفي ؛ وتأثرت الحقد في صدرها حين رأت ابني إميلي وقد عادا ليقتضيا أيام عيد الميلاد بين أبيهما وأمهما ، يبدو عليهما أثر النعمة والعلم معاً ...

ومضى عام ... وابتدأ القلق يستولى عليها ... وجلست إميلي إليها تحدثها فقالت لها جوانا : « أنت تسيرين في طريق النجاح دائماً ، أما أنا



من امرأة مثلي تهدها الأيام؟» قالت إمبلي في رقة :  
« أطلب إليك أن تعيشي معي ... معي في منزلي  
فأخرجك عن خلوتك ووحدةك وكأنيك »  
قالت : « لا ، لا . سأظل هنا ! إنك تريد أن  
تنتقمي ... تنتقمين مني لأنني حلت بينك وبين  
شادراك ؛ إنك تريد أن حبسي في دارك لتبذري في  
نفوسهم اليأس حين يعودون فلا يجدوني »

وأمسكت إمبلي عن الإجابة لأنها تعلم — كما  
يعلم من في هافنبول — أن شادراك وولديه قد  
ابتلعهم الأمواج منذ حين ...

ومرت الأيام ... وعجزت جوانا عن أن تدفع  
أجر الدكان والمنزل حين نضب مئيتها ؟ فهي قد  
عافت العمل منذ زمان ، وزوجها قد أخذ كل  
ما أفاد ليثمرة ويكثره ، وتضاءل الأمل في عينها  
رويداً رويداً ، فأجابت إمبلي إلى ما طلبت ...  
وامتدت يد الأيام إلى المرأة تحمل إليها المشيب  
الباكر ، وترسم على وجهها غصون الأسى والألم ،  
وتحنى ظهرها ، غير أن الأمل ...

واستولت على المرأة نزع جنون تفزعها عن  
مرقدتها بين الفينة والفينة لتنظر خلال النافذة  
عليها تجد أحباءها

\*\*\*

وهبت ريح الشتاء الباردة تصفر صفيراً ضعيفاً ،  
والظلام الحالك ينشر ذوائبه على المدينة ، والمرأة  
جالسة في حجرتها ترهف السمع ... ترهف السمع  
بمد ست سنوات خلوت منذ أن أقلع المركب  
« جُوانا » ... وخيل إليها أنها تسمع صوت  
شادراك وولديه ، فاندفعت تدق باب الدكان دقاً  
عنيفاً ... وأطل شاب من النافذة ليقول لها :  
« ياسيدي ، إن أحداً لم يأت ! »

لامس محمود مبيب

فأهبط في منحدر الاخفاق دائماً » قالت إمبلي  
« لماذا ، لماذا ؟ سيرجعون جميعاً وفي أيديهم الثروة  
والمال ... » قالت « أفيرجعون ؟ أفيرجعون حقاً ؟  
إن الشك قد هيمن علي . إن مركباً واحداً قد  
أقلعهم جميعاً ، والأشهر تمضي وأنا لا أعرف ما  
يصنعون ! لا شيء ، ينزع عني الهم سوى عودتهم »  
قالت إمبلي : « أنت مخطئة يا جوانا ، لماذا دفعت  
بهم إلى البحر ؟ » فالتفتت جوانا مهتاجة تقول :  
« نعم ، انه أنا التي فعلت ، وانه أنت التي أغربتني  
بذلك ؛ فما كنت لأستطيع أن أراك غنية ترفلين في  
حلاك وحملك ونحن نتخبط في شدائد الفقر  
والحاجة . هذا ما في قلبي ، ولا يعني بعدها أن  
تكريهني » قالت إمبلي في هدوء : « لا يا جوانا ،  
أنا لن أبغضك أبداً »

وكانت إمبلي صادقة فيما قالت ...  
ودار الفلك دورته يذيق المرأة وبال أمرها ،  
لتكفر عن سيئات اقترفتها حين ظاوعت أطباءها ،  
واليأس يتدفق في قلبها ينزع عنها الصبر والايامن  
وذكرت أمنية زوجها حين قال : « ... وحين  
نعود غائمين سالمين نذهب إلى الكنيسة لنؤدى  
صلاة الحمد كما فعلت أول مرة ... » فكانت تذهب  
هي صباح مساء لتركع هناك حيث ركع زوجها  
منذ سنوات وسنوات وهي تضرع إلى الله ...

وطال بها الانتظار ، وهي لا تجد من يقص  
عليها قصة زوجها وابنها ، فتوزعها الهموم  
والأحزان ، وارتاحت لوحدةها وخلوتها ؛ وإمبلي  
من ورائها تدفع عنها الخواطر السود ؛ غير أن  
جوانا قالت لها في غضب وحسرة : « أنا أكرهك !  
أنا لا أستطيع أن أراك ! » قالت إمبلي : « لماذا ؟  
فألم أريد لك السلاوة والاطمئنان ! » قالت : « أنت  
سيدة غنية تنعمين بالمال والزوج والبنين ، فإذا تبنتين



## يَوْمَاتِي أَنَا فِي الْأَرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٦ أكتوبر ...

كالطائر المرح، وأحياناً يحزن ويشب على قدميه ويأبى أن يتقدم كأن في طريقه أفعى راقعة الرأس. وهو الساعة يهتز في يدي ويرقص ولا يطيعني كأن شيئاً يخيفه أو يقصيه عن مروج الأحلام. فنظرت إلى خزانة ملابسي الخشبية فإذا فأر أسود على رأسها واقفاً يقرض الخشب بأسنانه؛ فجعلت أنظر إليه عليه يذهب، فلم يذهب؛ ومضت ساعة وهو في مكانه وأنا في مكاني، كلانا له عمل من غير شك، وهو فيما يبدو لي لا يحفل بوجودي، ولكني أنا أحفل بوجوده. فزيارته في هذه الساعة شغلتي عن نفسي. وأخذت ألاحظه وهو يمسح رأسه وفمه بيديه الصغيرتين. وجعلت أفكر في هذا المخلوق الذي لا يفكر في، وهنا كل الفرق بيني وبينه؛ وتركت هذا النجار الصغير ذا المنشار الدقيق، وحملت كتابي إلى سريري وسدلت «الناموسية» على وأحكمت ربط أطرافها حتى آمن فضول هذا الزائر إذا حدثته نفسه بمداعبة قدمي العارية. ولم

لم نستطع أن نعرف شيئاً من الشيخ عصفور، ولم نستطع كذلك أن نقبض عليه، فهو لم يرتكب أمراً يقع تحت نصوص القانون فأطلقناه، وخطر ببالنا أن ندفع في أثره أحد المخبرين عسى أن نستكشف نجباً الفتاة... ولكن أين هو المخبر السري الذي يخفي على الشيخ عصفور؟ إنه يعرف كل رجال الحفظ معرفة أكيدة، وهو الذي قام معهم في الوقائع مئات المرات وسهر معهم وأكل وشرب وغنى وأنشد، ودلهم على مخايب الأسلحة، وافتق معهم آثار المجرمين. إنه يكاد يحسب من أسرة «البوليس». تركناه ينصرف في سلام. وقد اكتفى المأمور الحائق بأن شيعه إلى الباب بصفحة على قفاه شفى بها غليله، وانصرف بعد ذلك كل منا إلى شأنه: المأمور إلى ناديه، وأنا إلى منزلي حيث خلعت ملابسي وخلوت إلى نفسي، وأخرجت كراسة يومياتي ألقي فيها هذا الكلام الذي لا أجد من أفضى به إليه في هذا الريف. إن القلم لنعمة لأمثالنا ممن كتبت عليهم الوحدة، ولكن القلم كالجواد ينطلق أحياناً من تلقاء نفسه



أجد فائدة من « المصايد » فإنها تكلفني عناء في إغدادها وترقب نتيجتها . وليس أشق على النفس ولا أدعى إلى إضاعة الوقت من انتظار النتيجة . إذا كانت الفريسة حاضرة تحاورنا وتداورنا ولا تقع حتى تقع معها نفوسنا . وفوق ذلك فلنكن قنصنا من الزبران ، ومع ذلك لم تقطع زيارتها ، فلنتركها إذن تجي وتروح ؛ ولنجعلها هذا الجليل ؛ ولنحرص نحن على أنفسنا وحوادثنا . وأنا والله الحمد ليس لي حوائج يخشى عليها غير هذا الأثاث الرخيص من الخشب الأبيض قد حطمته كثرة التنقلات من بلد إلى بلد . فإذا بضيره أن تعبت به أسنان صغيرة ؟ ونمت في تلك الليلة بعد العشاء بقليل ، فإن في اليوم التالي جلسة القاضي السريع ، وقد كلفت مساعدي بحضورها على أن أحضرها معه إلى جواره كي أمره على نظام الجلسات وما يتبع فيها من إجراءات . وجاء الصباح وذهبت إلى المحكمة فوجدت مساعدي في غرفة المدالة متأبطاً منظروفاً به وسامه وهو في انتظار القاضي . ولم يلبث القاضي أن جاء في القطار القادم من القاهرة وخلفه شعبان الحاجب ، وهما يشتدان في الخطى والقاضي يخرج من جيبه نقوداً يناولها للحاجب ويقول له :

— اللحم يكون فلاحى من قشرة بيت اللوح  
واشبح للبيض يا شعبان أفندى ؛ والزبدة والجبنة على عهدتك . أوضع الحاجة في السلالى « كويس »  
وانتظرنى بها على المحطة فى قطار ١١ كالمعتاد . اطلع انت السوق والأفندى المحضر يقوم بذلك بالعمل ؛  
وانصرف الحاجب سريعاً ، ودخل علينا القاضي وسلم فى بحجة قائلاً :

— أظن تدخل الجلسة .

وصفق بيديه :

— يا أفندى يا محضر ! حضر الجلسة . . .  
الجلسة .

وأتى بمطفيه النيل الأبيض السفرى على كرسى ، وأخرج وسامه الأحمر من محفظته ولبسه فى الحال . وأقبل الفراش بالقهوة فشربها القاضي وهو واقف فى جرعتين وهجم على قاعة الجلسة ، ونحن فى أعقابها ، وصاح المحضر :

— محكمة !

ونظر القاضي فى « الرول » وقال :

— قضايا المخالفات . محمد عبد الرحيم الدنف ،  
لم ينق دودة القطن . . غيايى خمسون قرشاً . تهاى  
السيد عنييه . . لم يقدم ابنه للتطعيم . . غيايى  
خمسون . . محمود محمد قنديل ، أحرز بندقية بدون  
رخصة . . غيايى خمسون والمصادرة . غيايى خمسون . .  
غيايى خمسون . .

وانطلق القاضي فى الأحكام كالسهم لا يوقفه  
شئ ، والمحضر ينادى مرة واحدة حتى يلاحق  
القاضي ؛ فمن لم يسمع النداء عد غائباً وحكم عليه  
غيايياً . ومن سمع بالمصادفة فحضر يجرى ابتدرة  
القاضي :

— أنت يا رجل تركت غنمك ترعى فى زراعة  
جارك ؟

— أصل الحكاية يا سفادة البك . . .

— ما عندناش وقت لسماع حكايات . . .  
حضورى خمسون . غيره . عبد الرحمن إبراهيم  
أبو أحمد . الخ الخ . . .

وانتهت المخالفات فى مثل لمح البصر ، وجاء  
دور قضايا الجنح وفيها سماع شهود ومرافعة محامين





— الحبس بالزور يا حضرة القاضي ؟ أنا مظلوم .  
لا قاضي سمع كلامي ولا حاكم طلب سؤالي لحد  
الساعة !

— إخرس ! معارضة يا رجل بعد الميعاد ؟  
— وماله ؟

— القانون يا رجل انت محدد أربعة أيام  
— أنا يا سيدي القاضي غلبان لا أعرف أقرأ  
ولا أكتب . ومن يفهمني القانون ويقربني  
المواعيد ؟

— يظهر اني طولت بالي عليك أكثر من  
اللازم . أنت يا بهيم مفروض فيك العلم بالقانون .  
إحجزه يا عسكري !

ووضع الرجل بين المحجوزين وهو ياتفت بمنة  
ويسرة إلى من حوالبه ليرى أهو وحده الذي لم  
يفهم ؟ !

وجعلت أتأمل لحظة سحنة هذا المخلوق الذي  
يفترض فيه العلم بقانون « ناپليون » ! !

وانتهت الجلسة آخر الأمر . ووثب القاضي  
ناهضاً وعاد الى حجرة المداولة ، وخاع وسامه على  
عجل ، فان قطار العودة لم يبق على قيامه غير سبع  
دقائق . ولكن القاضي تعود الركوب في آخر  
لحظة ، فهو في إسرعه لم يفقد ثباته الداخلي ولا  
اطمئنانه ؛ وتناسول معطفه الأبيض ووضعه على  
ذراعه وسلم علينا وانصرف الى المحطة في شبه ركض .  
وإذا كاتب النيابة يدخل مسرعاً ييمض الملفات  
وخلفه عسكري يسحب مسجوناً والكاتب يصيح :  
— القاضي مشي ؟ عندنا معارضة في أمر

حبس معروضة على حضرة القاضي  
فقلت له في الحال :

ظاهراً على الغير ، وأن الرذيلة الخلقية فيها بديهية  
جلية . ولكن التبديد ... كيف يفهم أركانه  
وحدوده ؟ إنما هو جريمة قانونية يظل يتحمل وزرها  
دون أن يؤمن بوجودها . وأسلم الشيخ أمره  
لخالقه . وتسلمه الحراس وهو يقول : « لا حول  
ولا قوة إلا بالله » . ونوديت القضية التالية ،  
ولم يكبد المحضر بلفظ اسم المتهم حتى كان القاضي  
قد وزن « الدوسيه » في يده فوجده ثقيلاً والشهود  
كثيرين ؛ ونظر إلى ساعته ، ثم نظر إلى منصة  
المحاميين فلم يجد مع هذا المتهم محامياً فعملت أنه  
يريد أن يؤجل القضية ، ولم يحجب ظني ، فقد  
التفت إلى النيابة قائلاً :

— النيابة طالبة التأجيل ؟

فنظر مساعدى إلى مرتبكا . فأسرعت قائلاً :

— بالعكس ؛ النيابة تعارض في التأجيل

فأخفى القاضي امتعاضه وقال في شبه همس :

— ننظرها والسلام . هات المتهمود ...

غير أن القاضي ذكر أن هذه القضية إنما هي  
قضية « معارضة » في حكم غياي سبق فيها . وينبغي  
أن تقدم المعارضة في خلال أربعة أيام . فقرأ في  
الحال التواريخ وصاح من فوره في المتهم متنفساً  
الصمداء :

— القضية مرفوضة شكلاً يا حضرة المتهم

لأن المعارضة تقدمت بعد الميعاد

فلم يفهم الفلاح ذو « العيرى » هذا الكلام .  
وقال :

— والعمل إيه يا حضرة القاضي ؟

— العمل أن الحكم السابق بحبسك ينفذ عليك .  
إحجزه يا عسكري !

— الحق القاضي على المحطة قبل ما يركب

فصاح الكاتب في العسكري :

— هات المسجون يا شاويش واطلع على

المحطة

وهرول الجميع : الكاتب والجاويش والمسجون في ذيل حارسه مربوطا في السلسلة كأنه كلب . وجروا كلهم خلف القاضي الراكض . وهذا منظر مألوف لأهل البلد في يوم هذه الجلسة . فان المعارضات المتأخرة والتجديد لأوامر الحبس تنظر وتمضي في « بوفيه » المحطة قبل قيام القطار بدقيقتين ، ويتحرك القطار وقدم القاضي ما زالت على الرصيف والأخرى في العربة الأخيرة وهو يقول :

— رفض المعارضة واستمرار حبس المتهم فيدون الكاتب منطوق هذا الحكم فوق « رخامة » مائدة البوفيه ، بينما يتسلم القاضي من شعبان الراكض خلف القطار المتحرك « سلالى » البيض والزبد واللحم ، والحاجب يصبح بأعلى صوته : — اللحم يا بك من بيت اللوح وبيت الكلاوى !

وصعدت بعد الجلسة إلى مكنتي أنا ومساعدى وقد بدا الوجوم على وجه المساعد ، فقد كان يحسب أن النيابة ستقوم في كل قضية تشرح وجهة نظرها في الاتهام . ولقد كان أعد لذلك مرافعات طويلة مكتوبة بخط واضح جميل على « أفرخ فولسكاب » مسطرة ، فاذا هو يخرج بها من الجلسة مطوية كما دخل بها ، وإذا الأحكام قد انطلقت انطلاق القطار في بساطة وسرعة ، والعدالة قد جرت مجراها في طرفة عين كأنها جواد السباق من دون حاجة إلى هذا التحليل والشرح والاستشهاد والاستدلال الذي

سهر ليلاليه ليحشوبه هذه الأوراق

وخلوت أخيراً في مكنتي . ودخل على رئيس القلم الجنائى يريد النيابة . وفتح مظاريفه أمامى كالعتاد في كل صباح . وما كدنا نفص غلافاً أو غلافين حتى سمعنا ضجيجاً خارج الحجرة وصوتا مدويا عرفت فيه صوت الشيخ عصفور ، فبعثت من يسأل عن خبره ، فقبل لي : إن المركز أرسله اليوم مقبوضا عليه بعد أن حرر له محضر تشرد . فأدركت أن الأمور ما زال يمتد أن هذا الشيخ هو الذى خطف البنت . وأن حقه عليه ما زال متأججاً وأنه لجأ إلى وسائل الإدارة ليوقع به . إن فكرة اتهام الشيخ عصفور بالتشرد فكرة نيرة لا يمكن أن تخطر إلا بذهن المأمور المغيظ . والحقيقة أن هذا الشيخ متشرد لا أكثر ولا أقل . وهو من هذه الناحية يصلح فريسة لنصوص القانون التى بين أيدينا . ولكن المجيب أن يسكت عنه المركز كل تلك الأعوام التى مضت ولا يفتن إلى أمر صناعته إلا الساعة . إن هذه الوسيلة لم تمنعني كثيراً ، ولم ترض ضميرى القضائى ؛ فان نصوص القانون لا ينبغي أن تكون أسلحة في أيدينا لضرب بها من نريد ضربه في الوقت الذى نختاره . إن القبض على الشيخ عصفور اليوم هو من غير شك مسألة انتقامية . إن المأمور قد رأى هذا الرجل يقاتل من تهمة خطف الفتاة دبر وفكر في طريق آخر لا يستطيع منه الافلات . هذا أسلوب الإدارة الذى لا يحسن أن يسلكه رجال القضاء ؛ وعزمت في نفسى أن أفرج عن الرجل ، ولكنى أرجأت النظر في أمره حتى أفرغ من « توريد البوستة » التى أمامى . فلقد قدم لى عبد المقصود أفندى مظروفاً



في نفسي : « تلك ملحوظة من النائب العام » .  
فأسرعت بفضه فاذا هو بلاغ من مجهول أرسل  
الى النائب العمومي رأساً في القاهرة ، فأحاله على  
لأجراء اللازم فيه . فذشرته في يدي وقرأته بامعان ،  
ولم آت على آخره حتى كان قد استولى على العجب ،  
وأطرقت لحظة أفكر ؛ ثم أعدت النظر فيه  
وتهمت في قراءة سطره هذه :

« سماعة النائب العمومي بمصر دام  
نعرفكم بأن الحرمة زوجة قمر الدولة علوان  
المضروب الموجود « بالاسبتالية اليرى » كانت  
ماتت من سنتين مخنوقة وتستر عايتها حلاق الصحة  
من أجل الرشوة وأجرى دفنها بدون علم الحكومة .  
واسألوا زوجها علوان وأختها البنت ريم عن الذي  
خنقها . وأسباب الجريمة معلومة ولا تخفى على  
فطنةكم إذا كافتم خاطركم بالتحقيق بنفسكم وإنكم  
تكشفون أسراراً خطيرة ، وتضربون على أیدی  
الأشرار . « وتوضعون » العدل في مجراه . والعدل  
أساس الملك . وقد قال الله عز وجل في كتابه  
العزیز : ( وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل )  
صدق الله العظيم « فاعل خير »  
( يتبع )  
نوفير الحكيم

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

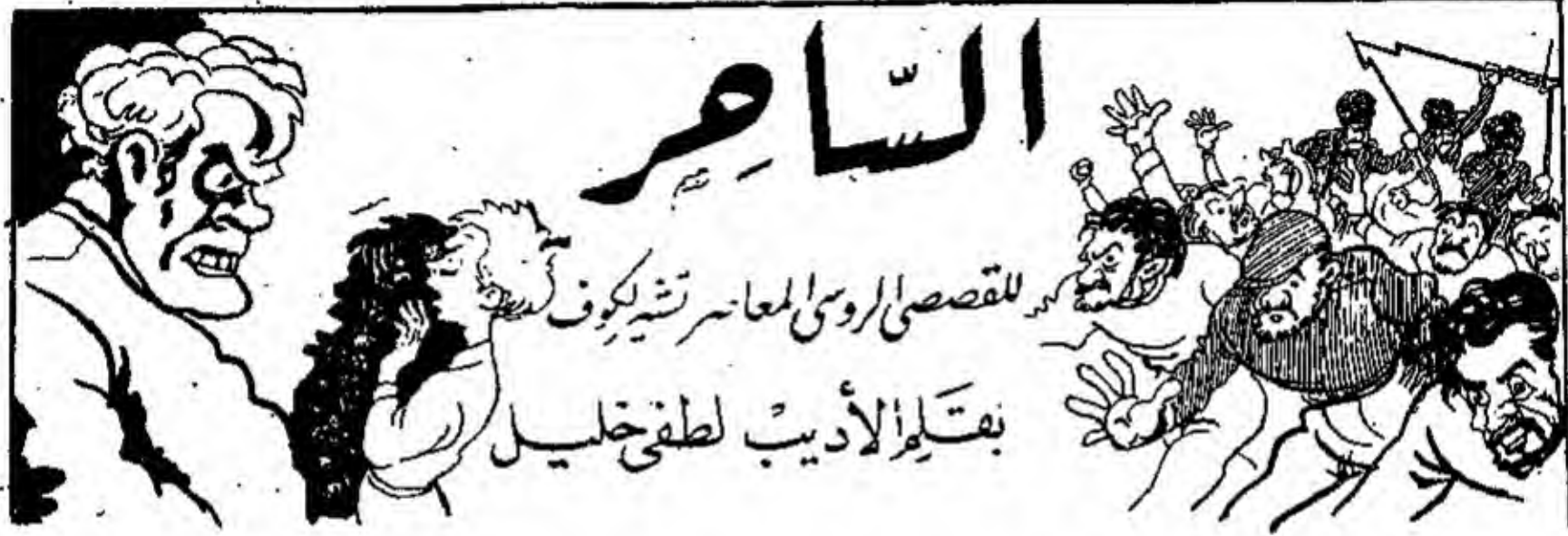
الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد مسمو الزيات

وهي قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وثمنها ١٥ قرشاً

أصفر ضخماً علمت أن فيه « قضايا جنائيات » مرسلة  
إلينا من الرئاسة لدرسها والمرافعة فيها أمام محكمة  
الجنائيات المنعقدة هذا الشهر في عاصمة المديرية التي  
نعمل في دائرتها . فألقيت نظرة على هذه القضايا  
فوجدتها تحوى مئات الصفحات . وهل لي رأس  
يتسع الآن لكل هذا ؟ لا شيء ينفرني من عمل  
النياحة غير المرافعة في قضايا الجنائيات . فان من  
المسير على ذاكرتي الضميمة أن تحيط بكل تلك  
التفاصيل التي تتكون منها الجريمة كي تبسطها بعد  
ذلك في نظام وترتيب وهدوء أمام قضاة ثلاثة عابسين ،  
ومحامين متربصين ، وجمهور يشاهد ويحكم لا على اب  
الموضوع ، بل على مدى اتقان الحركات والاشارات ،  
ورنين الصوت في القاعة ، ومهارة الانقاء ، والضرب  
باليد فوق المنصة . إلى بطبي لا أصلح إلا للملاحظة  
الناس خفية يتحركون فوق مسرح الحياة ، لا أن  
بشاهدني الناس ممثلاً بارعاً قد سلطت على وجهه  
الأضواء . إن هذه المواقف تعمى بصرى ، وتذهب  
لبي ، وتطير ما في ذاكرتي ، وتفقدني ذلك الهدوء  
النفسي الذي أرى به أعماق الأشياء . لذلك ما ترددت  
وأمرت بأحالة هذه القضايا على المساعد ، فهو ما زال  
في تلك السن التي بهر فيها الانسان ويمعجب بهذه  
المواقف والظواهر ؛ وقد يكون له من حسن  
الاستعداد لهذا العمل ما يجب على أن أوجهه اليه .  
وإني فوق ذلك أتمنى له فرصة الإقامة أياماً في عاصمة  
المديرية حيث يجتد في ملاحيتها ومشاربتها ما يرفه  
عنه ويلطف من أثر الوحدة والضيق في هذا الريف  
الصامت . وأعجبتني هذه الحجج ورأيتها كافية  
لاقتناعي بوجوب إزاحة هذه القضايا الثقيلة عن كاهلي .  
وناوحت رئيس القلم الجنائي بعد ذلك مظلوماً آخر  
صغيراً قرأت عليه بالخير الأحمر كلمة « سرى » فقلت



الحوانيت ، ولكن الأمان من أى شيء ولم يقف  
أحد على السبب ؟

لقد كانت جموع الهال تروح وتغدو على  
الأرصعة ، وثيدة الخطى ساهمة الوجوه تتكلم في  
همسات خفية مع من يقابلها من الرفاق ؛ ثم يحدق  
بعين المقت والحفيظة إلى ذلك الشعب المترف وهو  
يخطر في لباس فاخر ويشيح بعيداً عن ذوى الخلقان  
المزقة والوجوه الشاحبة المريضة والأيدى الغليظة  
القذرة التي تشوه جمال الشوارع النظرة التي  
كانت تفيض بهجة وسخراً في ذلك اليوم الحربي  
الجميل الذي كانت فيه أوراق الأشجار المغروسة  
على أحياض الطرق الفسيحة تلتقي أشعة ذهبية  
— كأنها تستقبل قبلة الفراق من الشمس الغاربة —  
على تلك العربات ذات الطلاء الوهاج ، بينما مراكب  
النرام بأجراسها المجاجلة ، والسيارات بأبواقها  
الصارخة ، والدراجات العادية الرائحة تغمز المسالك  
والدروب

كانت تلك الكتل البشرية تلوح كأنها  
حجيج غير منتظر قد جاء من عالم آخر يخطو بين  
أناس مترفين ، فتجنبوا ملاسته أو الاقتراب منه  
خيفة أن تمسهم منه لوثة أو ينالهم من أطرافه وضرر .  
ثم ما لبثت تلك الجموع أن تفرقت أبديداً كأنها

كانت المدينة في هياج وذعر ؛ وكان الاضراب  
سائداً في المعامل والمصانع قد اندلع كالنار تسمفها  
الريح حتى عم سائر الأنحاء ، وفرق الفرسان من  
الشرط تخترق الشوارع — كأنها رجال المطافيء  
الذين اعتادوا أن يأتوا مسرعين ، ولكن بعد فوات  
الفرصة — بوجوه ساهمة مهمومة ينقلون الخطى  
على قرع الطبول كأنهم رجل واحد والألق يسطمع  
من حراب بنادقهم وهم يلوحون بها في الفضاء ،  
ثم ينفلت بينهم أحد القوزاق في جلده العارى إلا  
من المشمر كأنه أبله مجنون فيهوى الناس بعضهم  
على بعض متدافعين إلى مختلف الجهات مخافة أن  
يطأهم بقدميه

بقيت المدينة على تلك الحال من الصخب  
والاضطراب ، فواجهت الحوانيت تاتي بأضوائها  
المختلفة ، وجموع الناس تتراحم على الأرصفة في  
خوف وقلق ، والعربات تتسارع في الشوارع في  
صراع وعنف . وبات الناس يتوجسون خيفة من  
كل شيء ؛ فان صفر شرطى في صفارته أو انفلت  
أحد القوزاق في الشارع ، أو نزت برأس عرييد  
نزوة الشجار والعبث ، استولى على قلوبهم الخوف  
والهلع . فيندفع بعضهم إلى مكان الحادث ويولى  
البعض الآخر الأدبار طالباً الأمان في مجازات



— اسرع !  
 — ولكن الى أين سيدتى ؟  
 — هناك . الى الأمام . ياله من ضيق ! أدرس ريمًا  
 — لا تخافى سيدتى . إنهم لن يقتربوا منا .  
 — وما كادت العربية تنعطف الى الشارع الآخر  
 حتى عاد الهدوء الى قلب الأم ، فمادت الى حديثها  
 الأول :  
 — تذكر أنى سوف لا أدفع لك أكثر من  
 عشرين كوبكا .  
 — إن هذا قليل يا سيدتى .  
 — إذن نزل . قف . سنأخذ الترام .  
 — أنصح لك أن تبقى حيث أنت يا سيدتى فان  
 الترام سيقف بعد قليل .  
 — من قال هذا ؟  
 — إن العمال سيضربون اليوم . أعلم هذا من  
 قبل .  
 وعتدئذ كانت جماهير العمال قد اقتربت منهم  
 فدفعت الأم السائق دفعة قوية ففضى في طريقه ،  
 بينما الابن ينظر إليهم فى خوف واضطراب فيلوذ  
 بأمه شيئًا فشيئًا .  
 — إني لأفهم لماذا يهتمون بهم كل هذا الاهتمام ،  
 فان كانوا لا يريدون أن يعملوا فليدعهم يقطعون  
 الشوارع جيئة وذهوبًا ؛ فسرعان ما يعضهم الجوع  
 ويرجعون عن غرضهم .  
 فأجابها السائق : إنك على حق فى هذا يا سيدتى ،  
 فان الجوع بغىض ثقيل . ثم أدار وجهه عنها وأخذ  
 يعبث بشعرات ذقنه ولكنه ما لبث أن التفت  
 إليها ثانية وقال : « يمكنك أن تروضى حيوانًا  
 بالتجوىع ويمكنك أن تعملى هذا مع أى إنسان  
 آخر ولكن الاساءة للرجل الفقير خطيئة لا تغتفر

سرب من الكلاب الضالة عند ما هاجمتها فرق  
 القوزاق الراكضة فسرى الخوف إلى جميع القلوب  
 — أى : هل هؤلاء الناس عمال ؟  
 — نعم . نعم . ... امض فى طريقك ولا تتلفت  
 حولك  
 — ولكن لماذا يهرولون هكذا ؟  
 — خوفًا من الشرط . امض ولا تتكلم  
 — لماذا لا يتركهم يحشون على مهل مثلنا ؟  
 — إنه لا يسمح لهم بذلك  
 — لماذا ؟  
 — أوه ! أرجو ألا تثقل على . أعطنى يدك وسر  
 فى طريقك وإلا ... فالسوط ... فأمسك « سرج »  
 بيد أمه وأخذ يجبر رجله خلفها وقد امتلأ قلبها  
 رعبًا من تلك الجموع المتدفقة حتى سرى إلى الطفل  
 الصغير الذى كان يحدق فيما حوله وهو ذاهل مأخوذ  
 — وهل هم أشرار يا أى ؟  
 — من ؟ من ؟  
 — العمال ؟  
 — لا أدري . ففهم الطبيب ومنهم الخبيث .  
 إنهم لا يريدون أن يعملوا  
 — أم كسالى يا أى ؟  
 — نعم . نعم . ولكن هيا . وإلا كنت مثلهم  
 — أم أنجاس يا أى ؟  
 — وفى تلك اللحظة كان الفرسان القوزاق قد  
 ركضوا بجيولهم ، وصفر رئيسهم صفيرًا عاليًا ولوح  
 بسوطه فى الفضاء فدوى كالطلق النارى ارتجفت  
 له قلب الأم ، فأسرعت الى إحدى العربات الواقفة  
 ودفعت فيها ابنها الصغير ثم ألقت بنفسها فيها دون  
 أن تساوم صاحبها على الأجر بل دفعته من الخلف  
 وصاحت فى صوت مختنق خائف :

يكذب يستقر في منزله حتى نادى أخته « سونيا »  
وهمس في أذنها :

— لقد رأينا اليوم بعض العمال ، لقد رأيناهم  
حقاً !

— ماذا يشبهون ؟

— إنهم ... حسن ... إنهم يشبهون الفلاحين  
ومنذ ذلك اليوم لم يعد سرج يتحدث كلما  
نزل الى حديقة المنزل يلعب مع أخته إلا عن أولئك  
الناس الذين عطلوا المصانع وأضربوا عن العمل ،  
ولكنهما لم يصلا الى رأى يرتاحان إليه : أهم أشرار  
أم أخيار ؟ أما في المنزل فقد كانوا أشراراً وأما في  
الحديقة فقد كانوا أخياراً

وأخيراً ذهب سرج الى البواب وسأله :

— ولكن هل يستطيعون أن يوقفوا مصنعا .

— من السهل جداً يا سيدي الصغير .

— كيف يتسنى لهم هذا ؟

— بأن يدعوا البخار يخرج أو يتركوا المصنع  
قاعاً صفصفاً

— وبدونهم لا يشتغل المصنع ؟

— كيف يشتغل من دونهم ؟

— وبدونهم لن أحصل على ممطف جديد ؟

— لن تحصل

— وسترتي الصغيرة ؟

— كذلك سترتك الصغيرة و « بنطالونك »

وقميصك ، فستضطر أن تسير كما ولدتك أمك .

— عارياً ؟ ... أوه ! يا لك من أبله ! إن أمي

تحضر لي كل هذه من الخارج .

— عليك أن تنتظر إذن حتى تصنع ، ولكن

ماذا تعمل لو حدث اضراب عام في السكة الحديدية ؟

والآن من يكسونا أيتها السيدة إذا ما بلى ممطفك  
الثلثين وثلاثين كانت شملت البسيطة ؟

— لا تهتم يا رجل مادام معك المال الكافي .

فان لم يشتغل عمالنا اشترينا ما يلزمنا من الخارج .

— ولكن ماذا نعمل لو وقفت قطارات

السكة الحديدية ؟

— هذا لغو . إن القطارات لن تقف أبداً .

من يسمح بهذا ؟

— من يدري ؟ إنهم يشيرون أنها ستقف حالا .

فأنصت « سرج » الى الحديث الذي دار بين  
السائق وأمه ودار في أمر أولئك الناس الذين  
يطعمونه ويكسونه وفي الوقت نفسه يهربون من  
رجال الشرطة . لقد اشترت له أمه ممطفاً جديداً  
للشتاء فلفه في أوراق ووضعته على ركبتيه يخفق له  
قلبه فرحاً كلما خطر له أن ما من إنسان يستطيع  
أن ينتزعه منه

— وهل ستموا ممطفي الجديد هذا يا أمي ؟

فأجابه السائق : لقد صنعوا كل شيء أيها

السيد الصغير ، ما من شيء إلا وكان من فضل أيديهم .

ففضبت الأم من هذا الكلام وشدت ابنها

من كفه وقالت له : اسكت . لا ينبغي لك التحدث

معه . أما السائق فقد مضى يتفلسف في نفس

الطريقة حتى ضاقت به الأم وصاحت في وجهه

غاضبة : « وأنت أيها الرجل يجب أن ترج في

السجن »

فسكت الرجل عن الكلام وألهب جواده

بالسوط فأخذ يطوي الطرقات حتى وصل الى المنزل .

وهكذا رجع سرج والشكوك تملأ رأسه في

حقيقة أولئك الناس الذين يدعون « العمال » فلم



— أيمكن أن تقف السكة الحديدية عن العمل ؟  
— هناك إشاعة بأن القطارات ستقف .  
— وماذا يكون مصير والدي ؟ كيف يعود إلينا ؟  
— أوه ! ربما يمتطي عصا .  
— اسكت عن هذا الهراء . سأبلغ هذا إلى أمي  
التي سوف تجزيك عليه .

ثم غاب في تفكير عميق ، وأخيراً جذب  
كم "مطفئه الجديد" ، وقال :

— وهل حاك العمال هذا أيضاً ؟

— نعم . لقد صنعوا كل شيء . إن أمك لم  
تعمل أكثر من أن أوجدتك في هذا العالم .

\*\*\*

لم يمض على هذا يومان حتى كان الترام قد وقف عن  
السير ، واحتجبت الصحف عن الظهور ، وأغلقت  
الحمامات أبوابها وانطفأت المصابيح في الشوارع  
وتعطلت القطارات عن السير ، وعم الملح سائر  
المحطات حتى أخذ الناس يتوقعون شللاً عاماً في  
حركة المواصلات بين ساعة وأخرى

كان مقدراً أن يصل والد «سرج» في ذلك  
اليوم ، ولكنه لم يأت فقلقت الأم وأشاحت بوجهها  
عن كل من المنزل ، ولم يسمح «لسرج» أن ينزل  
إلى ردهة الدار ، فكان يقضي الساعات الطوال في  
إحدى النوافذ يأكل قلبه شوق ملح ليقف على  
ما كان يجري في الشوارع

— وهل سيأتي أبي حالاً إلى المنزل يا أمي ؟

— إنه لا يستطيع ذلك ، ثم أخذت تلعن  
الاضراب والعمال والوالد أيضاً

— أحقاً يا أماء أنهم يستطيعون ؟

— يستطيعون ماذا ؟

— أن يمنعوا السفر بالسكة الحديدية  
— يظهر أنهم يستطيعون ، لا تنقل على . ثم  
ترقق الدمع في جفניה وهاجت نفسها حنقاً وغضباً ،  
أما سرج فقد أدار رأسه إلى النافذة وأخذ ينظر  
إلى المسارة في شيء من الاهتمام والخوف ، ثم  
همس قائلاً :

لو استطعت لقاتلتهم جميعاً ! !

ولم يأت المساء حتى كانت الشوارع قد أقفرت  
من المارة فأغلقت الحوانيت وأقفلت النوافذ بالمصاريع  
الخشبية ، وأخذ رجال الشرط والقوازي بطوفون  
في الطرقات لا يقفون إلا في الأمكنة التي أوقدوا  
فيها النيران ، فلم يستطع الابن أن ينام بل كان يقفز  
من فراشه في موهن الليل ويتسأل حافياً إلى النافذة  
ليري ما كان يجري في الشارع

كانت السنة النيران تندلع في الفضاء وأشباح  
مهولة من الناس تتحرك حول النيران الحمراء كأنها  
وحوش ضارية تدور حول فريستها ... فيحس  
الابن برعدة تتمشى في جسمه فينكمش راجعاً إلى  
فراشه وقد توهمهم وحوشاً جائعة سوف تنقض  
عليه وتشويه في تلك النيران المستمرة ثم تلتهم  
التهاماً ، فينزوي في فراشه الناعم الدفء وهو  
يصيح : أمي ! أمي ! إني خائف مقررور .

— لماذا لم تنم ؟ ولماذا قمت من فراشك الآن ؟

— إن النار في استعار دائم يا أمي وهؤلاء الناس

لا يزالون أمام نافذتنا

— نعم ولا تخش شيئاً . آه لو يأتي والدك ؟

— أمي !

— ماذا بني العزيز ؟

— أريد أن آتي إليك . إني خائف

— العمال أيضاً ! ثم حك وراء أذنه بيده وقال :  
— وماذا نفعل بدون الكعك ؟  
— سنفكر في حيلة  
— ولكن ألا يستطيع المحافظ أن يجبرهم  
على خبز الكعك ؟

— لا يا عزيزي سرج ، إنهم لا يخافونه  
— ألا يخافون المحافظ ؟  
— إنهم لا يخشون إنساناً قط  
— إذن فهم ذوو بأس شديد ؟  
— بيدهم كل شيء . فلنأكل هذا الخبز اليابس  
الآن فسوف لا يجده قريباً  
— إني لا أستطيع أن آكل الخبز الأسمر  
— نعم ، ولكنك ستفرح به غداً  
— لماذا ؟

إلثاث الأمر على سرج فلم يعد يدرك أى نوع  
من الناس هؤلاء الذين لا يخافون المحافظ ولا يخشون  
إنساناً قط ولكنهم مع ذلك يفرون من وجوه  
القوزاق ورجال الشرطة . ما العمل ؟ أيوقفون  
المصانع ويمطلون الترام والقطارات والصحف .  
ويسلبونك الكعك ثم الخبز الأسمر ثم لا تفعل  
شيئاً لهم . ثم أخذ يستعيد في ذهنه صور الساحرات  
والسحرة الذين قرأ عنهم في القصص الخرافية  
العديدة وتذكر قلائدهم المسحورة التي تخفهم عن  
أعين الناس فلا يمكنهم أن يقبضوا عليهم فإذا أمرهم  
المحافظ أن يعملوا لبسوا تلك القلائد المسحورة  
وغابوا عن العيون !!

ثم سرى القلق من الشوارع إلى البيوت وشاع  
الخوف في تلويح كانت من قبل آمنة مطمئنة  
فانقلب نظام الأسر واضطر أصحابها إلى تغيير عاداتهم  
والحد من مطاعمهم واختفت مباحج الحياة من

— مم ، بنى المحبوب ؟

— الساحر !!

— أى ساحر ؟

— أشكال مختلفة

— إذن فلتأت إلى

فقفز سرج من فراشه فرحاً وجرى إلى سرير  
أمه وقبض على يدها وقد اختبأ تحت الغطاء  
ثم همس قائلاً : « إنهم يستطيعون أن يعملوا  
كل شيء »

وسرعان ما غابت الأم في النوم من جديد  
تاركة ابنها يطل برأسه من تحت الغطاء وينظر إلى  
الحائط فيرى الأطياف الحمراء التي تعكسها نيران  
الشارع المستمرة فيستولي عليه الخوف ثانية فيأق  
بالغطاء فوق وجهه ويمود يفكر في أولئك السحرة  
الأخيار والأشرار وفي أولئك الناس المدعويين عمالاً :  
أهم أخيار أم أشرار ؟

وفي الصباح جلس إلى المائدة ليتناول طعام  
الافطار ولكنه لم يجد الكعك الساخن الذي  
اعتاد أن يراه كل يوم بل وجد خبزاً ناشفاً بارداً  
لا يفرى على الأكل . فصاح : هات لي بعض الكعك ،  
لماذا تقدمين لي هذا الخبز القدر ؟ ثم أخرجه  
الغضب عن نفسه فألقى بسلة الخبز بعيداً دفعا لتلك  
الاهانة التي لحقته من والدته :

— أشكر الله يا «سيد» سرج على هذا الخبز الآن

— ماذا ؟ عليك ببعض الكعك . أى ! لماذا

لم تأت لي بالكعك اليوم ؟

— ولكن أين لنا به الآن يا عزيزي سرج

وقد أغلقت كل الخازن

— لماذا ؟

— لأن جميع العمال مضربون



المدينة كلها وقد الناس هناة العيش . وأخيراً تسلل الخوف إلى تلك القصور المنيقة حيث كان يقيم سرج وأمثاله فأغلقت الأبواب وأحكمت الأقفال ووقف البوابون أمامها يتبادلون الحديث مع الحراس والمسس وهم ينفخون في صفايرهم . وفجأة انقطعت الكهرباء عن منزل سرج فنادى أمه قائلاً : « في الكهرباء خلل يا أمي »

— أضيء حجرة الاستقبال

— وهذه أيضاً

ثم جاء الخادم وأخبر سيده أن هناك اضراباً عاماً فعلينا بالشموع

وعلى هذا شمل الظلام المنزل كله لا يظهر فيه إلا أضواء الشموع الباهتة المضطربة التي كانت تنعكس على المقاعد و ( البيان ) فتلوح في أغطيتها وستائرهما كأنها جثث في أكفانها قد غابت في تفكير عميق . وبينما هم كذلك إذ جاءتهم الأنباء المزججة يحملها الخدم الذين كانوا يتحدثون في غرفتهم الخاصة

« إنهم يشيرون أن المياه ستنتقطع ، وقد سمعنا الآن أن حفلات الجنائز ستقف ، ولن يكون لحم في السوق غداً ، ولو استمر الحال على هذا أسبوعاً واحداً فإن قحطاً هائلاً سوف يجتاح المدينة »

استمع « سرج » إلى تلك الأخبار المزججة وهو ذاهل مشدود ، فقد ظهر له أن العامل هو الممثل الأول لهذا الدور وسرعان ما انبثق في ذهنه أن العامل ما هو إلا ساحر ، ساحر ذو قوة غريبة يمكنه أن يأتي كل شيء . فلو أراد لاستأنفت القطارات سيرها ورجع أبي إلى المنزل وعادت الكهرباء تضيء كما كانت ، فيعود للغرف بهاؤها

ورواؤها . ولو شاء لكان لدينا الآن كمك كثير ساخن ، وإن لم يشأ فلن يجري الماء في الأنابيب ولن يكون هناك شاي أو حمام . إنه لا يخاف إنساناً ولا يخشى سلطاناً . ياله من ساحر !!

لقد كان الصبي واثقاً من هذا فلم يعض أسبوعاً حتى حدثت المجائب في يوم واحد . فقد استأنف الترام سيره وفاضت الشوارع بالأنوار الكهربائية الخاطفة وعادت الصحف إلى الظهور ورجع الوالد إلى بيته فركب معه إحدى العربات اخترقت بهما الشارع العام فرأى السحرة قد تجمعوا كتلاً زاهرة مبتهجة يحملون الأعلام الخفاقة وينشدون الأناشيد العذبة دون أن يتصدى لهم شرطي أو يروهم قوزاقي فتناق الطفل الخروج إلى الشارع ليраهم بنفسه فقال :

— أمي ! لقد عاد السحرة يخطرون في الشوارع دعيني أخرج لأراهم

— إنك لا تستطيع

— إنهم ليسوا أنجاساً بل أطهار الآن . أليس كذلك يا أمي ؟

ثم مضت عدة شهور كان فيها كل شيء حسناً فعاد للبيت مرحه القديم وجنته المفقودة . ثم تصادف يوماً أن ذهب الوالدان إلى إحدى الملاعب وخرجت المربية لقضاء حاجة لها ، وانصرفت الأخت إلى عمرائنها ولعبها بينما الجدة كانت لا تزال ظريجة الفراش . فأحس الطفل بشيء من الضيق إذ لم يكن هناك ما يلهمه أو يسرى عنه فأخذ ينتقل من غرفة إلى أخرى في تراخ وكسل

— جدتي ما ذا أعمل ؟ ؟

— فلتدلك ساقى ، فإن الألم عاودني فيها

وفتح عينيه فرأى رجلاً قد ارتدى ثوباً بالياً وجلس على مائدة صغيرة يلتهم طعاماً ساخناً يتصاعد منه البخار وهو يتلفت حوله في خوف وحذر ، وقد أمسك الطبق بيده كأنه يخشى أن ينتزعه منه غيره . فاشرباًب الطفل بعنقه ثم تلفت حوله وقال : « ولكن أين الساحر ؟ » لم يكن هناك غير الخادمة وهذا الرجل ؟

أتحتمل أن يكون هذا الرجل هو الساحر الذي يخافه ؟

ثم قويت رغبته في رؤية ذلك الساحر ، فاندفع إلى المطبخ ، فقفز الرجل واقفاً وقد سقطت المعلقة من يده ، فقالت الخادمة :

لا شيء ، إمض في أكلك . فان يذبح السيد الصغير شيئاً

فأجاب سرج : أي شيء ؟

— لا تخبر أباك أو أمك بأمر هذا الرجل الذي يتناول الحساء . إنها فضلة من طعام قديم !

— حسن

إنه جائع فيجب أن ترجمه أيها السيد الصغير

— من ؟

— إيه : هذا الرجل زوجي

— زوجك ؟

فألقي عليه الطفل نظرة شرراء وهو واقف في قوام يخيل أن يرتجف خوفاً وفاقاً ، ولكنه ظنه ساحراً خفياً قد لبس هذه الصورة الزرية الكئيبة ثم قال كذلك أنت . إنك ساحر ... إني أعراك

— من ؟

— أنت ! أنت !

— إني عامل ياسيدي الصغير ولكني لا أجد عملاً

— ولكنك ساحر ... إني أعرفك . تستطيع

— إني لا أحب هذا .. فهو عمل ثاقب ثقيل .

ثم تركها وانصرف إلى أخته ولكنه لم يكدر عرائسها حتى تناول واحدة منها وكسر ذراعها وولى هارباً إلى المطبخ ليرى الطاهية الجديدة ، ولكن الخادمة لم تسمح له بالدخول فقال لها :

— ولكن ماذا أعمل إذا كنت وحيداً ؟

— ليس في المطبخ ما تلهو به

— ولكن من ذا الذي يتكلم هناك ؟

— إنه زوج الطاهية

— إنه مُسَلِّ

— لماذا ؟ إنه رجل عادي . عامل

— أزواج الطاهية عامل ؟

— نعم

— ساحر ! يجب أن أدخل إليه

— لا . إني أشكوك إلى المرية وأخير أمك

بذلك إن فعلت هذا

— إذن فأنت كاذبة . سأخبر أمي أنك أكلت

القشدة

إنك كاذب في هذا فقد التقطت ذبابة فقط

ثم تشاجرا معاً ، ولكن الطفل لم يجرؤ مع ذلك على دخول المطبخ فبقى واقفاً يباه متردداً في الأمر حتى جاءت الخادمة وفتحت الباب فأسرع يختلس النظر إليه فاستطاع أن يسمع صوت الساحر ولكنه لم ير الرجل نفسه ؛ ثم استبد به الشوق للمح والرغبة القوية ، فمزّم أخيراً على الدخول . ولم يكدر يرى الخادمة تبعد قليلاً حتى صاح : « أشكرك اللهم » ثم اقترب من الباب وأخذ يفتح شيئاً فشيئاً بيد الكنسة حتى انفتح على مصراعيه ولكنه لم يستطع أن ينظر إلى المطبخ دفعة واحدة ، فوقف قليلاً مرمطع الرأس حبيس النفس حتى استجمع من شجاعته



أن تعمل كل شيء .. لقد أثبت كل تلك الأضرار ،  
ولكن حذار أن تعود إليها ثانية . إن ضوء الشمعة  
باهت كئيب ولا أحب إلا الكعك مع الشاي  
— إني لم أعمل شيئاً يا سيدي الصغير وسأترك  
هذا المكان حالاً  
— ولكنك غير مخيف كما كنت أظن . لقد  
حسبتك هائل الجسم مارد القامة عابس الوجه .  
قل لي : ألم تسجر نفسك ؟  
— أتسخر مني لأنني لا أجده فتاة الخبز . حرام  
يا سيدي حرام  
— ولكنني كنت أظنك أعظم من هذا وأنتك  
مراح طروب فرأيتك ترتعد فرقا وأنت تتناول  
طعامك . إني لا أخافك بعد ذلك  
ثم انسل الطفل إلى الممر العام ووقف قليلاً ،  
وهو متأهب للجرى إذا هم الساحر عطارده ، ولكن  
لم يحدث شيء من هذا بل كان هناك رجل واقف  
بجانب أحد الجدران يشفق شهيقاً عالياً ثم يجفف  
عينيه بطرف كفه . فصاح  
ساحر ويبكي !! إنه الجزاء العادل !!  
— لماذا لم تدع أبي يعود إلينا ؟ لماذا قطعت عنا  
الكهرباء ؟  
— لماذا حرمتنا من الكعك الساخن ؟  
— فلتنل الآن جزاء ما قدمت يداك  
ثم صرخ صرخة عالية دوت في جميع أنحاء  
المنزل  
مرحى . مرحى .  
ثم أسرع إلى مربيته في نشوة المنتصر الفاتر  
وهو يقول :  
لست أخافه بعد اليوم !!  
تظني قليل

شركة مصر للغزل والنسيج

تحف عنكم وطأة حرارة الصيف المقبل  
بما تنتجه لكم

من ملابس قطنية خفيفة ومحببة وبأسعار معتدلة  
أطلبوا منسوجاتها من

شركة بيع المصنوعات المصرية

إنها إحدى مؤسسات بنك مصر

# صَيْدُ السَّمَكِ

للكاتبة الإنجليزية سَرَسِفِيلْد  
بِتِلْمِ الْأَدِيبِ حَسَنِ جَبَشِي

الجليد؛ ومضى الرجال  
بظرحون شباكهم على بعد  
مائة قدم؛ أما أنا فقفرت  
تدثرت بالحرام، وجلست  
على قطعة من الثلج،  
وأخذت في مطالعة كتاب  
كنت قد أخذته مني

وأقبل الرجال ظهراً، وقد أصابوا صيداً كبيراً  
وكان كل منهم قد اشتد به الجوع، وإذا كنت المرأة  
الوحيدة بينهم، فقد قمت بإعداد الطعام وتهيئته،  
ثم جالسنا حوله نأكلهم، متجاذبين فيما بيننا أطراف  
الحديث، أما أنا فقد جلست أنصت إليهم، إذ كانوا  
يتكلمون عن تجاربهم في الصيد ومهارتهم فيه، مما  
لا بدع مجالاً لامرأة. ثم  
عادوا إلى الصيد؛ وإذا  
بالشمس تختفي؛ ثم  
أريد الأفق ونجهمت  
السما، وتراكت  
السحب، وهبت  
ريح عاصف، وأخذت  
قطع الثلج يصططد  
بعضها ببعض في  
صوت قوي أرعني.  
ولما أفصحت لأخي

عن مخاوفي ضحك مني، وسخر بي وطلب إلى أن  
أخرج ما اصطاده من شبكته، حتى أشغل عن هذا  
الفزع. ولما أتممت ما وكل إلي أدائه، اقترح أن  
أقوم بنفس هذا العمل للآخرين.  
كان أربعة رجال منهم قد جلسوا على يسار أخي

في صباح باكر من أيام يناير ١٩٣٠ غادرت  
أنا وأخي وخمسة أصدقاء لنا مدينة سنجاو، ووجهتنا  
متشيجان لصيد السمك. وقد يلوح للمرء أن من  
الغريب أن يذهب أحد في شهر يناير للصيد في جو  
يكو متشيجان هذا، ولكن ينبغي أن أذكر أن  
كثيرين يكسبون قوت عابهم خلال هذا الشهر.

كان الأفق منيراً،  
والسبيل واضحة،  
ومع أن الأرض كانت  
مغطاة بالجليد؛ إلا  
أن الحرارة كانت فوق  
الصفر بضع درجات،  
والجو دافئاً، وتدثرنا  
باللابس الغليظة،  
واستصحبنا معنا  
صناديق الذخيرة،  
وقد وضعنا القهوة

الساخنة في «الترموس»

وإذ وصلنا خليج سنجاو وهو البقعة التي  
اخترناها للصيد وجدنا الجليد يتوغل قرابة ميل  
في اتجاه البحيرة، فتركنا عربتنا على الشاطئ،  
وحملنا منها بعض الذخيرة، جاعلين ووجهتنا حافة



الكاتبة



(توم) متحدثين ؛ ولما أتممت عملي مضيت ناحية الصياد الأخير ويدعى ويلاند ، وكان صديقا قديما لي جلست بجواره ، وأخذنا نتحدث فيما بيننا ، ثم أقبل « توم » واشترك في الحديث ؛ وأخذ الجليد يصطدم ببعضه ببعض ؛ وبالرغم من ضحك رفاقي كنت خائفة ، إذ لاحظت أن الريح أخذت تشتد عن ذي قبل ، وتعمى هدارة صاخبة ؛ وفي الحال أخذت كتل من الثلج هائلة الحجم تندفع بشدة وتهوى الى البحيرة ، فاقترحت على توم أنه ربما كان الأجدي علينا أن نغادر هذه البقعة ، ولأول مرة في حياته خضع لطلبي ، وأخذنا نعمل جميعا معا في نقل ذخيرتنا .

وانحنيت لالتقاط بضع سمكات حينما سمعت صوت اصطدام هائل ، فانتصبت ، فإذا بي أرى لشدة هلمي واضطرابي شريطاً أسود من الماء قد فصلنا نحن الثلاثة عن الأربعة الآخرين ، فصرخت بأعلى صوتي ، واذ ذاك أبصرت قطعة الثلج التي نحن وقوف عليها ، قد أخذت تتحرك ناحية البحيرة ، فقفز توم وويلاند في مكانهما ، واندفع الأربعة الآخرون يجرون هنا وهناك وينصحوننا بما لا ظائل تحته ... كان طول كتلتنا الثلجية مائة قدم ، وعرضها سبعين تقريبا ؛ فجري توم الى حافتها ، وجاؤل أن يلقى بأحد أطراف شبكة صيده للآخرين ولكن لم تساعده قواه وعاكسته الريح ، وازدادت مساحة الانفصال بيننا وبينهم ، فرمى بالشبكة ثانية ففشل أيضا ، اذ وقع في الماء ، وأحاطني (ويلاند) بذراعه ، وقد اصفر وجهه وجذبني الى وسط الكتلة الثلجية ، فقد كان ذلك كما يظهر آمن مكان ، إذ كانت الحواف تنهشم قطعاً قطعاً ؛ وأخذت الريح تشتد عنفا ، وتدفعنا سريعا الى ناحية

البحيرة ، وكان الهلع قد اشتد بي في هذه اللحظة ، ولكن زميلي أقبل على يشجعاني ، فأخذنا يشيران الى الشاطئ ، حيث كان رفيقان من رفاقنا يدفمان العربة ، ولكن الجو أخذ يبرد عن ذي قبل ، وعم الظلام حتى لم نستطع أن نتبين أحدا ، وأقبل الليل ورأيت أن حجم كتلتنا الثلجية قد تضاعف الى نصف حجمها الأول ، وابتأت ملابسنا بما كانت تسفيناه بالريح من ماء ؛ ولم ألبث أن شعرت بالبرد القارس فأجلستني توم وويلاند بينهما ، ودفتراني بغطائين مما أحضرته ؛ أما رفاقنا الآخرون فقد اختفوا تماما ، ولم يدع الرجلان وسيلة من وسائل التسلية إلا حاولاها معي ، وأقبلا يطعمئنان خاطري بأن لا بد من مجيء قارب نجاة بعد قليل . وأخذ الثلج يتحرك بشدة فزاد ذلك في رعبنا ، واشتد البرد ؛ ولم تلح أي بادرة من بوادر النجاة . ثم أشعل توم عود ثقاب ونظر في ساعته ، فإذا نحن في منتصف الليل ، فكان لنا في هذا الموقف ثمانى ساعات . وحاول (ويلاند) إلباسي معطفه الجلدي ، فأبيت ذلك ؛ ومن ثم سار وسط الحلوكة محاولاً معرفة ما بلغت الكتلة من مساحة ، ولم أستطع أن أرى أكثر من ستة أقدام أمامي ؛ غير أنني لاحظت أنه سرعان ما رجع إلينا ، فسألته عما صارت إليه الكتلة وما بقي من الثلج ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، فتخاذل جسدي كأنما خدر ، وشعرت كأنني في غيبوبة .

وعلى حين فجأة صرخ توم واختطفني ثم دفعني عن نفسه إلى الجانب العكسي ؛ فدُرْتُ عدة مرات حول نفسي قبل أن أتمكن من الوقوف ، ثم انتثيت زاحفة إليه ألث ، وقد أبصرته منبطحا على الثلج ، وأمامه الماء ، ولم أعرف إذ ذاك ما كان



قدما ، فافزعني هذا ، والتفت الى ( ويلاند ) وقد غشي عليه ، وصرخ أخي فجأة وقد قفز قفزة عالية فالتفت فاذا نور ينبثق من مشعل سفينة وهو يتلألأ وسط هذا الديجور القاتم وأخذنا ننظر الى هذا الضوء في لهفة وشوق وهو آخذ في الاقتراب منا لحظة بعد أخرى ، وصرأمامنا سبت مرات ، وبعد لحظات قلائل أنزل زورق النجاة وسار تجاهنا ، وقفز منه رجلان نحونا ، ودتراني بالأغطية ،

وحملاني الى الزورق ثم عادا بويلاند وتوم وسار بنا الزورق الى الباخرة ، فأبصرت جزيرتنا الصغيرة وقد خلع عليها الضوء لونا شفقيا بهيجا ؛ ولم أشعر بلذة ما في حياتي كلذتي وأنا أرشف القهوة الساخنة التي ناولنا إياها الضابط في حجرته بالسفينة؛

وشربت ثلاثة أكواب منها ، فأحسست بالقوة تسري في جسدي ، ثم شعرت برغبة شديدة في النوم ، ولما استيقظت بعد أربع عشرة ساعة أبصرت نفسي على سرير في إحدى المستشفيات . أما ويلاند فقد استعاد صحته برغم ما حاق به من أهوال بعد يومين . أما أخي فقد كان أسرع منه ومنذ تلك المخاطرة ، قصرت صيدى للسماك على المياه الضحلة خلال شهري مايو ويونيو .

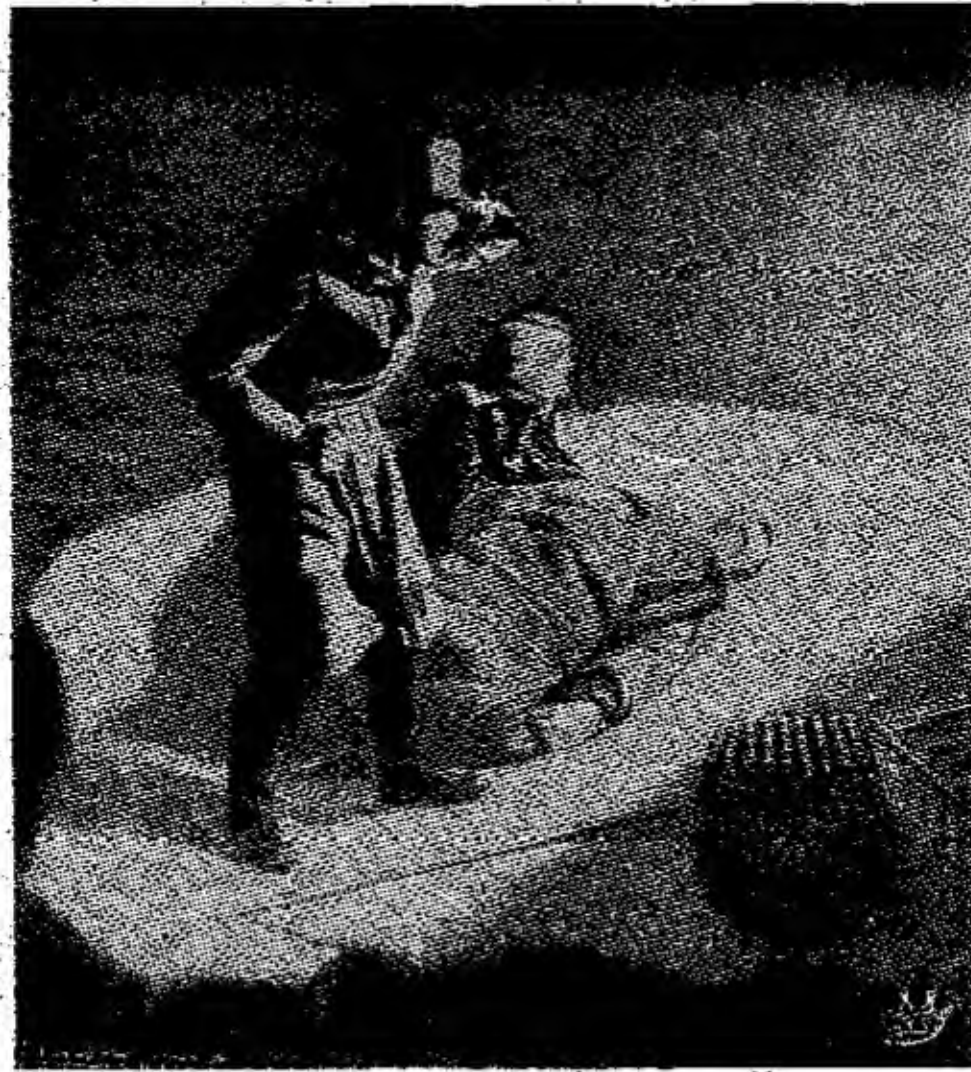
حسن حبشي

يفعله توم ؛ ولما اقتربت من الخافة أكثر ولمسته قال : « هاتي يدك يا بنتي ! »

فمدت إليهم ذراعي ... وإذ ذاك عرفت ما كان يعمل .

لقد كان يحاول إنقاذ ويلاند ؛ ذلك أن قطعا من الثلج قد انفصلت وانزلقت في الماء وعليها ( ويلاند ) ؛ فجذبني أخي ، ولما عرف أنني أصبحت بمأمن من الفرق مدّ يده لجذب زميلنا ، وحاولت أنا الأخرى انقاذه ،

ولكن لم أتبين يده أو جسمه لشدة الظلام المتراكم بعضه فوق بعض ، واستطعت أخيرا أن أمس أصبعه ؛ ولقد كان صراعا عنيفا لا أستطيع وصفه . ونجحنا أخيرا في جذبه ، وأحسست كأن ذراعي سينفصلان عن



جسدي ، وأخذ الثلج يتراجع الى الوراء ، ورقد ويلاند أمامنا كأنه الجثة الهامدة ؛ وظل ثلاثتنا بضع دقائق واجين صامتين من شدة الفزع والرعب ؛ ثم احتملناه الى الكتلة الجليدية ودترناه بالأغطية ، ولما لم يُجْد فيه هذا الملاج ، أخذ توم في تحريك ذراعيه بقوة ، يدفعهما الى الأمام والخلف ليسري الدم في عروقه . وإذ ركعت بجانبه تبينت أن الماء قد أحاط بنا احاطة السوار بالمصم ، ولم يبق من الكتلة الثلجية الطافية سوى مساحة لا تتجاوز عشرين



اليها فأشعر بحزن عميق ، لأنها لم تكن صديقة  
عشيقتي خصب ، بل كانت أيضاً مستودع أسرارها ،  
وكثيراً ما كانت تمضي معنا ساعات السمر فأستثقلها  
وأتمنى أن تخلّي لنا المكان . ولعل نفورى منها تولد  
من صبرى على فضولها . وما كان تساهلها منى ومع  
عشيقتي ، بل وما كان وقوقها مراراً موقف المدافع  
عنى تجاهها ، ليمحو سيئة هذا الفضول ، فكنت أراها  
قبيحة ثقيلة . ولكننى أنعمت النظر فيها هذه المرة  
فلاحت لى وعليها مسحة من الجمال ، فكنت أصدق  
فى يديها وأثوابها فأشعر بأنها تحرك ساكناً من  
قوادى ، وكانت هى تصدق فى فلا يخفى عليها أمرى  
وما يفعل التذكار بمواطنى ؛ وقطعنا مسافة الطريق  
وأنا أنظر اليها وهى تبسم لى . ولما بلغنا المدينة  
قالت : — وأخيراً . فقلت : — أخبريها إذا  
شدت ، وإنهم الدمع من عيني

وبعد أن تناولنا العشاء جلسنا أمام الموقد ،  
فقالت : أقضى الأمر وانقطع كل رجاء ؟ فقلت :  
والأسفاه ! إن الأمر المقضى إنما هو فجيمتى ، وستودى  
هذه الفجيمة بى . ولا أطيل بوصف حالى : لقد  
امتنع على أن أحبها وأن أحب سواها وأن أعيش  
بلا حب

واستأقت على مقعدها متراخية وقد لاحت على  
وجهها علامات الأشفاق ، واستغرقت لحظة كأنها  
تنأجى نفسها وتنصت من قلبها الى أصدااء بعيدة ،  
ثم مدت الى يدها فاقتربت منها فقالت : — وأنا  
أيضاً قد أصابنى ما أصابك ، وتهدج صوته فقطعت  
حديثها

إن المحبة أخوات عديدات أجملهن الشفقة .  
صاغت هذه المرأة وتدانينا حتى كاد أحدهنا

من أعماق النفوس



استغفاب في العصور

لأفريدى موسى

بقل الأستاذ فليكر فنارس

## الفصل السادس

وفى اليوم التالى ذهبت قبل العشاء الى غابة  
بولونيا وكانت السماء متلبدة بالغيوم : ولما وصات  
الى باب مالو ألقيت عنان فرسى على عنقه ، وذهبت  
تأهبا بين الأشجار مستغرقة أستعيد أقوال ديجنه فى  
ذهنى ، وما توغلت فى أحد المنعطفات حتى لاحت  
لى عربة تستقلها إحدى صديقات خيلياتى ، فمدت  
الى يدها لتصافحنى ثم دعتنى الى تناول العشاء معها  
إذا لم يكن من مانع لى

وكانت هذه المرأة - وتدعى مدام ليفاسور -  
قصيرة بدينة مشقراء ، وكنت أنفر منها دون ماسبب ،  
ولكننى لم أملك نفسى من قبول دعوتها ، لأننى  
كنت أتوقع حديثاً معها عن عشيقتي ، وأمرت  
رفيق السائق بقيادة فرسى فذهب به ، وجلست  
أنا قربها وعدنا الى باريس

وبدأ المطر يتساقط ، فأزلنا الغطاء وأصبحنا  
فى عزلة ، وقد ساد علينا السكوت ، وكنت أنظر

وكان يسود سكوت عميق حول البيت التي تقطنه هذه السيدة ، إذ كان يسكن أحد أقسامه مريض ، ففرش التبن على الطريق المجاورة منمماً لفرقة العربات ، وكنت أنا مطوقاً هذه المرأة بذراعي وقد أذهلتني عاطفة اقتسام الأشجان ، وطالت محادثتنا فكنا نتشاكى فأشعر أن بين آلامى وآلامها شيئاً من اللذة ، وأسمع ضوئاً مواسياً كأنه نشيد مهاوى يتعالى من اثنين متوجعين . وكان دمعانا يتمازجان وأنا مكب عليها فما كنت أرى غير وجهها ، ولكنى عند ما تراجعت عنها رأيت أنها كانت فى هذه الأثناء رفعت إحدى رجليها وأسندتها على رف الموقد فانسحب رداؤها حتى بدت ساقها عارية

ولما رأت اضطرابى لهذا المشهد لم تغير وضعها فأدبرت ظهرى ليتسنى لها ستر ما انكشف منها فتجاهلت الأمر . فوقفت الى الموقد أنفوس فيها واجماً ؛ وإذ اتضح لى أنها مدركة ما تفعل أدركت بدورى أن هذه المرأة قد شاءت أن تلتب دورها لأغوائى ، فما كانت دموعها وما نقلته عن آلامها إلا اختلاقات تستكمل بها فنها

أخذت قبعتى وتوجهت الى الباب ، فأرخت رداءها على مهل ، فلم أنبس بكلمة بل أومأت مسلماً وخرجت

## الفصل السابع

وعند ما رجعت إلى مسكنى وجدت وسط غرفتى صندوقاً كبيراً . وكانت إحدى عماتى انتقلت إلى ربها ولم تكن حصتى من ميراثها

يلتصق بالآخر ، فبدأت تتكلم مثنية على عشيقتي تنتحل لها الأعذار وتوجه إلى كلمات الاشفاق ، وازداد حزنى فلم أجيد ما أجيبها به ، وذهب بها الحديث الى التكلم عن نفسها ، فأمرت إلى أن رجلاً أحبها ثم تركها منذ أمد غير بعيد بعد أن ضحت فى سبيله صيتها والكثير من ثروتها ، وأن زوجها وهو رجل حقود كان يتهدها . وكانت تذرف الدموع وهى تسرد حكايتها حتى نسيت همي بهمها ؛ ثم استطردت فقالت إنها تزوجت مرغمة فقام النضال طويلاً بين عقلها وعواطفها ، وهى الآن لا تأسف على شيء أسفها لبقائها محرومة من الحب . ولاح لى أنها كانت تلوم نفسها لأنها لم تعمل على الاحتفاظ بقلب عشيقها ، إذ عاملته بشيء من الاستخفاف

وعادت فاستسلمت للصمت بعد أن فرجت عن قلبها فقلت لها :

— ما هى بالصدف العمياء تلك القوة التى قادتنى الى غابة بولونيا هذا الصباح . إن الآلام البشرية أخوات تأوهات ؛ ولعل هنالك ملاكاً كريماً يضم هذه الراحت المرجفة المبسوطة نحو الله تتوسل الى رحمته . لا تندم على ما بحث لى من سرى ، فما للانسان أن يندم على دمعة ذرفها أمام أى مخلوق كان . وما سرى الذى أودعتنيه إلا دمعة سقطت من عينيك فاستقرت فى فؤادى ، فاسمحي لى أن أرجع إليك أحياناً لنتشاكى ونتألم معاً

وشمرت بعطف شديد يجذبني الى هذه المرأة وأنا أتكلم حتى رأيتنى مكباً على وجهها أقبلها ، وما خطر لى أنها ستستاء منى ؛ أما هى فبقيت بلا حراك كأنها لم تنتبه الى ما أفعل



فما أنتم إلا بلهاء ... وفي الحالين أنتم كاذبون لأنكم  
أوجدتم من قلب الانسان أساطير ضلال وأوهام .  
مهلاً ! ! ! إنني سأدفع بكل ما كتبتم إلى السنة اللبيب  
وما كنت أجد من منجد لي في ثورتى غير  
دموعى فأتيقن وأنا أسكبها أن الحقيقة التي لا حقيقة  
سواها . إنما هي الأوجاع والآلام . فأهتف قائلاً :  
أجيبني أيها العبقرات المنقسمة على الخير والشر  
لأعرف إلى أية ناحية أتجه . أقيمى بينك حكماً يفصل  
في خلافك فأهتدى من حكمه إلى المنهج السوى  
وتناولت توراة قديمة كانت على الخوان ففتحتها  
قائلاً : أجبنى أنت أيها الكتاب المقدس  
وامدنى بأحكامك ، فوقع نظرى على الاصحاح  
التاسع من سفر الجامعة فإذا فيه :

« لأن هذا كله جملة في قلبى وامتنحت هذا  
كله . إن الصديقين والحكماء وأعمالهم في يد الله .  
الانسان لا يعلم حياً ولا بفضاً . الكل أمامهم .  
الكل على ماله ، حادثة واحدة للصديق والشرير ،  
للصالح وللطاهر والنجس ، للذابح وللذى لا يذبح ،  
كالصالح الخاطئ ؛ الخالف كالذى يخاف الخلف ،  
هذا أثر كل ما عمل تحت الشمس . إن حادثة  
واحدة للجميع وأيضاً قلب بنى البشر ملآن من  
الشر ، والحساسة في قلوبهم وهم أحياء وبعد ذلك  
يذهبون إلى الأموات »

ما يقول الفلكيون عندما يتنبأون عن مرور  
مذنب في ساعة معينة ، وهو الكوكب النانه في  
الأفلاك ؟ ما يقول علماء الطبيعة عندما يرون  
حيوانات سباحة في قطرة ماء ؟ أيعتقدون بأنهم هم  
مخترعو ما يتجلى لهم وأن مرصدهم ومجهودهم يضمنان  
للكون نواويسه ؟

ذات شأن ؛ فوجدت في الصندوق أدوات وأشياء  
مختلفة بينها عدد من الكتب القديمة علاها الغبار .  
وكنت إذ ذاك أتأمل خجراً ، فرأيت أن أتصفح  
بعض هذه الكتب ، وأكثرها روايات نشرت  
في عهد لويس الخامس عشر . ولعل عمق وهى من  
الصالحات العابدات كانت ورثتها من أقارب لها  
فاحتفظت بها دون أن تطالعها ، لأن هذه الكتب  
كانت عبارة عن مجموعة دروس في الغواية والفحشاء  
أعهد بنفسى ميلاً لا قبل لي برده إلى تحليل  
جميع ما يقع لي من حوادث سواء أكانت هامة أم  
تافهة فأطمح دائماً إلى وجود ارتباط بينها فأجىء  
بتسلسل لها وأنظمها في سلك واحد كعقد لا بد من  
ضم شتات حياته . ولعلنى ذهبت مع الوهم إذ أعتقد  
بوجود علاقة بين حالى ووصول هذه الكتب ،  
فاندفعت إلى مطالعتها مبتسماً وفؤادى ينفطر حزناً .  
وكنت أناجى هذه الصفحات قائلاً : إنك دون  
سواك تعلمين حقيقة الحياة وتجسرين على القول  
بأن لا حقيقة إلا بالتمتع باللذات والمراوغة والفساد .  
كونى لي نعم الصديق وانفى على جراح نفسى  
سمومك السكاوية فأنتم منك أن أو من عما تعلمين  
وهكذا بدأت باقتحام المسالك المظلمة مهلاً  
مطالمة دواوين أحب الشعراء إلى ، فعلا الغبار كل  
كتاب كنت أجالسه من قبل كأستاذ اتلقن  
الحقيقة عنه . وكثيراً ما أخذتني سورة الغضب  
فدست على هذه الكتب بقدمى كأننى أنتقم من  
مؤلفيها فأقول لهم :

— أيها النائمون في الأحلام ، إنكم لا تعلمون  
الناس غير الألم . إذا كنتم عرفتم الحقيقة فما أنتم  
إلا منمقو عبارات مخادعون . وإذا كنتم جهلتموها

يصراخ يشبه الأنين فاتبعته بعيني وهو يغرق كالسهم إلى الأفق البعيد ، ثم مرت فتاة صغيرة في الشارع وهي تغني

## الفصل الثامن

ومع هذا فقد أبت نفسي أن تستسلم للحياة اللو والاستهتار إذ كنت أتمثلها حالكة مفجعة ، فقررت أن أحاول اجتنبها ، وهكذا افتحمت كثيراً من الآلام ، وساورتني مرهقات الأحلام . ولو لم يكن غير حرارة الشباب ما يحول دون شفائي لكفنتي أوجاعاً وجهاداً . فقد كنت أتي توجعت وبلا عمل شغلت نفسي لا أفكر إلا في النساء . وإذا نظرت إلى إحداهن شعرت بهزة أنفض لها انتفاضاً . ولكم أفقت من نومي وجسدي يتصبب عرقاً ، فأترابي على جدران غرفتي بشهيق مختنق يطلب الهواء !

لقد كان من خير ما أسعدت به قلبي وسمعت الشبان يمشون ، أنني أسلمت عفتي للحب ؟ غير أن هذا الحظ قضى على بأن أشرك بطوال حياتي كل شهواتي بعاطفة الغرام . وذلك ما كان يدفعني إلى الهلاك ، فكنت وقد تسلط على التفكير المستمر بالمرأة لا أملك خيالي من الجحوش ليلاً ونهاراً في مآزق الحب الضال وفي مهاوى خيانة النساء امتنع علي أن أتصور إمكان الوصال بلا حب ، فكنت لا أنقطع عن التفكير في المرأة قاطع الرجاء من وجود الحب الصحيح ، فذهبت الآلام في نفسي مذهبة أورتني شيئاً من الخجل ، فكنت أشتهي تارة أن أعذب جسدي أسوة بالرهبان لأميت شهواتي ، وتارة أريد أن أندفع إلى الشارع

ما قال في نفسه يا ترى من وضع أول شرعة للناس عند ما فتش عن حجر يضعه أساساً لبناء المجتمع فهتف به هاتف من أعماق أحشائه يقول له : إن الحق للقوة . أم من أوجد العدل هو هذا المشرع يا ترى ؟ وهل اخترع العار أول رجل اقتطف الثمر من أرض جاره وأخفاه تحت ردائه متلفطاً يميناً وشمالاً وقد دب الرعب في قلبه ؟ وما قولك في صاحب الحقل الذي سرقت أثماره فخرم نتاج جهوده ؟ يلتقي السارق فلا يرفع عليه يداً بل يشمله بمفوه ويقول له : إليك بما تريد من أثمار حقل ، فيرد الشر بالخير ثم يرفع رأسه إلى السماء شاعراً بارتجاف في قلبه وبدموع في عينيه وبخشوع بطوى ركبتيه . أترى هذا الرجل أول من اخترع فضيلة المعروف ؟

يا لله ! لقد سمعت أذناني امرأة تكلمني بالحب ثم تخونني ، وسمعت أيضاً رجلاً يكلمني عن الصداقة وهو يشير إلى بالانفاس في حمأة الدنس ، ورأت عيناى امرأة تستخرط في البكاء ثم تطمع في مؤاساتي بمضلات ساقها ، وهذه التوراة التي تحمل اسم الله ترد على سؤالى قائلة : — ( من يدري ؟ وأية أهمية لكل هذه الأمور ؟ )

وسارعت إلى غرفتي المفتوحة أنظر إلى الفضاء الفسيح الباهت في وجومه صارخاً : — أضحج أن العدم وراءك ؟ أجب أيها الفضاء ، أفليس فيك شيء سوى الأوهام تدفع بها إلى صدرى وقد مدت إليك ذراعى ؟

وكان الصمت العميق يسود جميع ما تطل نافذتي عليه ومرت طيرٌ بجناحيه السوداوين ذاهباً في الهواء



فرائي وروائح البارود والاصطبل تنبعث من  
أثوابي ، فأستر وجهي بلحاي هاتفاً : إليك عني ،  
أيها الشبح ... أفأستريح منك ليلة على الأقل ؟  
وما كانت جميع هذه المحاولات لتجديني نفعا  
لأن العزلة أسلمتني إلى الطبيعة فقدفتني الطبيعة  
إلى الحب

وعند ما كنت أرتاد قاعات التشریح ، كنت  
أرى نفسي محاطاً بالجثث فأمسح يدي بمنزري  
الدماي فيعلو وجهي الاصفرار ، وأشعر بأنني أختنق  
من الروائح الكريهة المنبعثة من الأشلاء الفاسدة ،  
فكنت أعرض عن النظر إليها لأتمثل أماناً الحقول  
الخضراء تموج سنابلها ، والمروج يفوح عبيرها  
في سكون الغسق ؛ فأقول في نفسي : لن أجد في  
العلم سلوتي ، فأنني باستغراق في هذه الطبيعة التي  
لا حياة فيها سأموت كمن أنقذ من لجة البحر فلف  
بجلد حيوان سلخ حديثاً لاستعادة الحرارة  
المفقودة . لقد قضى على بالاً أشقى ، فحسبي أن  
أموت هنالك في الحقول تحت أشعة الكوكب المنير  
وكنت أنطلق على صهوة جوادى قاصداً  
متزهات شجر وشافيل ، فأترجل هنالك لأنطرح  
على صرح نضير ، أو لأتوه في واد مقفر ، فما كنت  
أسمع من الأدواح والمروج إلا صوتاً واحداً  
يقول لي : ماذا أتيت تطلب هنا . . . إلنا ترتدي

الحلل الخضراء ، وما الخضرة إلا رمز الآمال  
فكنت عندئذ أفزع إلى المدينة لأتوه في أزقتها  
المظلمة فأتطلع إلى بصيص الأنوار من نوافذ المساكن  
المقفلة على أمرار الأسر وخفاياها ، ثم أسرح الطرف  
على العريبات تلوح وتختفي ، وعلى المارة تزدحم وتتبدد ،  
فأراني بين كل هذا وحيداً شريداً . أشهد الدخان

أو الحقول أو أى مكان آخر لأنطرح على قدمي  
أول امرأة أصادفها مقسماً لها أنني أحبها حباً أبدياً  
والله يعلم كم حاولت أن أسلو لأنال الشفاء ،  
فكان أول ما لجأت إليه انمزالي عن العالم جريباً  
مع نفورى من مجتمع رأيت جميع الناس فيه  
يشبهون عشيقتي رزيلة وختلاً . فرجعت إلى  
ما كنت أهمل من دروسى فتوغلت في مجاهل  
التاريخ واستغرقت مع الشعراء الأقدمين كما عدت  
أيضاً إلى درس التشریح

وكان يقطن الدور الرابع من مسكني شيخ  
الماني واسع الاطلاع ؛ فالجأت به بالرغم من محبته  
للوحدة إلى تدريسي اللغة الألمانية ، فبدأ عمله  
بكل جد وإخلاص ، ولكنه ما لبث أن اصطدم  
بفكرى المشتت ، فكان وأنا أجلس إليه تحت  
نور مصباحه الضئيل ، يضع كفيه على كتابه  
ويشخص بي متجلداً مندهشاً ، وأنا ساج في  
أحلامي لا أشعر لا بصبره ولا باشفاقه على حالي .  
وأخيراً قلت له : أنت أطيب الناس قلباً ، ولكنني  
أرى المبت فيما تحاول . دعني لما قدر لي ، فما أستطيع  
أنا ولا تستطيع أنت تبديل هذا المقدور

وما أدري أدرك الرجل ما أعني أم فاته ما ألح  
عنه ؛ غير أنه صاحني بحرارة ، ولم يعد يذكر لي  
اللغة الألمانية ودرسها

وبدأت أشعر أن العزلة لن تسوقني إلى الشفاء  
بل إلى الهلاك ؛ فتحوّلت عنها إلى طريق أخرى  
وهجرت المدينة إلى الحقول شاغلاً نفسي بالصيد  
متوغلاً في الغابات أفطمها خبيماً على ظهر جوادى ،  
ومارست المبارزة بالسيف بجهداً نفسي حتى العياء ،  
فما كنت أعود المساء إلى مسكني إلا لأنطرح على

ترفع عقيرتك شاكيا لفراغ الحق من شرابه ، وإذا  
فرغ الحق ففي الأقبية من الشراب دنان ، وإذا  
فرغت الدنان فالروابي مكسوة بالكروم تعتصر  
لتملاها . اتخذ لك من الكلام المسول منارة وتقدم  
إلى نهر السلوان متصيداً فيه امرأة جميلة تلهو بها  
حتى إذا أفلتت من يدك لا يفوتك اصطيداد سواها .  
تمتع بالحب الذي تتوق إليه بكل جوارحك ، ولا  
تضيع أيام شبابك ، ولو كنت أنا مكانك لكنت  
اختطفت ملكة بدلاً من التاهي بدرس التثريح .  
هذه النصائح التي كنت أسمها في كل حين ، وعند  
ما كان بحين زمن الرقاد كنت أتلغ بردائي وقلبي  
يكاد يتفجر ألماً ؛ فأهرع إلى سريري لأجثو أمامه  
باكياً مصلياً ضارباً على هذا القلب كما كان غالبه  
بضرب الأرض قائلاً : ومع هذا فانها تتحرك ...  
( يتبع ) فليكس فارس

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً

يتصاعد حزينا من السطوح وأشعر بالآلام تجول  
في هذه الآزقة الملتوية حيث يتراكم الناس وقد  
كلهم عرق الجهود وبتلامس الألوف دون أن يعرف  
أحدهم الآخر . فما السبيل العام إلا مزاج تتعارف  
فيه الأجسام وتتناكر عليه الأرواح ، هنالك لا تمد  
للغريب يد إلا يد بنات المواخير

إن ما تهتف به المدن إنما هو قولها : — هيا  
إلى الفساد . . هيا إلى الفواحش ، فما يسكن  
الآلام سواها

ذلك ما تقوله المدن وما يقرأه المسافر مكتوباً  
بالفحم على جدرانها ، وبالأحوال على أرصفتها ، وبالدم  
المتجمد في عروق الأوجه الشاحبة

وكنت أجلس أحياناً على مقعد منفرد في  
قاعات المراقص فأنظر إلى النساء يتمايلن بأثوابهن  
الجمراء والزرقاء والبيضاء وقد عرين المعاصم وضفرن  
الشعور كأنهن الحور يسكرهن النور في أجواء  
التناسق والجمال ، فكنت أقول في نفسي : —  
ما أروع هذه الزهرات تقتطف وتستنشق ! وما  
ستكون كلمة هذه الأقحوانات الأخيرة إذا ما نثرت  
وريقاتها واحدة واحدة لتستنطقها سرها . أنها  
لتقول لك — قليلاً ثم قليلاً ، ثم لا أحبك حتى  
ولو قليلاً

تلك هي حقيقة العالم ، تلك هي نهاية  
ابتساماتك ، أيتها الأزهار

على هذا الشفير المروع تمايلن بأوشحتكن  
المزيفة بالأزهار ، أيتها الراقصات وعلى هذه الحقيقة  
الشنعاء تمايلن كلهن على رؤوس أرجلكن الصنيرات  
وكان ديجنه لا يفتأ يقول لي : — والله مارأيت  
سواك من ينظر بمجد إلى كل هذه الأمور . إنك



لولا أن نثرت العروس فوقنا طيباً عبقاً ، لأخياشيمنا  
وأُنقذنا من صلول<sup>(١)</sup> تلك الجلود .

وتلبثنا نرقب البحر حتى برزت عجول البحر  
فنامت في الجون ، ثم كانت الظهيرة فبرز پروتيوس  
وطفق يعد قطعانه ، مبتدئاً ، لغفاته ، بنا ، وكان  
أثارة من الشك لم تخامره في حالنا ، فانطرح ونام .

وانتهزنا الفرصة ، فانطلقنا نعدو إليه ، وقبضنا عليه ،  
وشددنا وثاقه بحيث لا يستطيع إفلتاً ... يا عجبا !  
لقد انتفض انتفاضة هائلة ، فإذا هو أسد غضنفر

ذو لبدة ، ثم انتفض فإذا هو أفموان أرقم يتحوى  
ويتحوى ، ثم انتفض فصار نمرأ رائماً ذا أنياب ، ثم  
صار خنزيراً برياً ، فسينلا رايكاً ذا عباب ، فأبكك  
باسقة ذات غصون وأفنان ! ولما لم يجد بداً من

أن يبدو لنا على حقيقته ، انتفض فكان على صورته  
الأولى ، ثم قال : « عمرك الله يا ابن أتريوس أى  
إله جبار حبسك في مياها وسطاك على ، تمسك

بى وتشد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ » فقالت له : « حسبك  
يا رب هذا البحر ، إنك كشت بى عليا ! لقد طال

مقامنا بهذه الجزيرة ، ولست أدري أى إله عادل  
حبسنا فيها ، ولأى شئ ؟ » . وقال پروتيوس :

« ويك يا منالايوس ! لم لم تصل لسيد الأولمب ثم  
تُضح للآلهة يوم غادرت (طروادة) ؟ لقد غضب

الجميع عليك فكتبوا أن تضل في تيه هذا  
البحر حتى تكون تلقاء مصر ، فتقيم ثمة حتى  
يثوب اليك رشك وتصلى الآلهة خاشعاً خائباً

متصدعاً ، ثم تذبح القرابين وتجزر الأضحيات فتعود  
الى أوطانك ! » وعمرانى مما ذكر ما عمرانى ،  
فقات له : « الحمد لك أيها الإله القدوس ... »

(١) أروح اللحم صار نثناً وصلوله رائحته النتنة .



## الأولاد لبيس

لهروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

ثم غابت عروس البحر في طببات النسيج ،  
وتركتنى في حيرة مما ذكرت ، ثم إنى عدت إلى  
قمرتى في السفينة ، وعاد كل إلى قمرته ، وبعد أن  
تمشينا ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، نمنا نوماً  
لا آمناً ولا قريراً ... وبزغت أورورا تموه الشرق  
بأصباغ الورد ، فهضت أصلى للآلهة فوق السيف  
الممتد ، وأبتهل إلى السماء أن توفقنا لما فيه خيرنا  
ثم انثنت فتخيرت من رجالى ثلاثة هم أصحابهم  
لهذا الأمر ، وهم موضع ثقى ومعد رجلى .  
وبرزت من الماء عروس الماء ، وأحضرت  
لنا أربعة جلود من جلود عجول البحر لنابسها ،  
ونستخفى بها ، ولتم الخدعة على أبيها . وأعدت  
لنا مهاداً في رمل الشاطئ . ثم دلفنا نحوها ، ونام  
كل فى مهده ، وألقت فوقنا مامهما من الجلود  
المنتنة التى أروجت حتى كدنا نختنق برائحتهما ،

رجلاني ، وانطرحت أتقلب في الرمال من الغم ،  
وأذرف الدمع من الحرقعة على أخي . ولكنه خاطبني  
قائلاً : « إنهمض يا ابن أتريوس . إنك تبكي ولدت  
حين بكاء .. هلم فعد إلى وطنك لترى بمينيك قبره  
ولتشهد ابنه العظيم أورشنت ينتقم له ، ويستأصل  
شأفة قاتليه . »

وكأنما سرى عني بما قال بعد ، فنهضت وساءلته  
بعد أن شكرته على ما أنبأني : « .. إذن من هذا  
البطل الثالث الذي ما يفتأ يذرع البحر ضالاً في  
رحابه ؟ »

فقال : « ذاك ابن ليرليس ، وسيد إيثاكا  
(أوديسيوس) ! لقد شهدته بعيني حبيساً في جزيرة  
عروس الماء كاليسو ... لقد حل عليها ضيفاً  
برغمه ، فلقد تحطمت سفائنه ، وهويته عروس  
الماء ، وهو ما يزال عندها لا يجد مركباً يحمله إلى  
وطنه ... أما أنت ... أيها الملك منالايوس ،  
فطوبى لك ! إنك ستتحيا سميماً ، ثم تنتقل إلى دار  
الخلد ونعيم لا يفنى ... ودار الفردوس زلاً ...  
حيث لا برد ولا زمهرير ، ولا يوم عبوس قطير ،  
بل تسقى ، ومن معك من الأناسي من ماء معين ،  
لأنفو فيه ولا تأثيم ... مقام كريم وجنة نعيم ،  
وغادتك الحُسن هيلين ، يا ذرية زيوس العظيم ! »  
ثم غاص في اليم ، وعدت ورجالي إلى الفلك ،  
وفي القلب لوعة ، وبالنفس أسى . وتباغ كل إلهات  
ثم أسلمنا عيوننا للكرى ، وكأنما نام أسطولنا في  
ظلام الشاطئ .

\*\*\*

وانبلجت أورورا فنضرت بالورد جبين  
المشرق ، وهبت أنفاس الصباح المنداة فأهرعنا

سأفعل ، سأفعل كل ما تأمرني به ، ولكن قل لي  
بحق ربوبيتك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم  
سالمين كما تركتهم أنا وصاحبي نسطور عند طروادة  
أم أن منهم من غرق أو قتل أو مات حتف أنفه ؟  
وكانما ضاق بي ، ولكنه قال : « ويك يا ابن  
أتريوس ما هذه الأسئلة ! أتبتني أن تقف على كل  
أسراري ؟ إذن فاعلم أن أكثر رجالك قد عادوا  
سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلاً منهم من مات ومن  
هؤلاء قائدان فقط قد قضيا ، وما يزال واحد يذرع  
رحب هذا البحر ، ضالاً على غير هدى ... لقد  
هلك أجاكس بما تحدى الآلهة ، وبما ادعى أنه  
ناج برغم السماء من البحر اللجج الذي كان يناوح  
سفينته ، فبرز نيتيون غاضباً وشطر السفينة نصفين  
بضربة قاضية ، من رمح السمهرى ذى الثلاث  
شعب ، ثم رطم حطامها بعد ذلك فوق صخرة  
جيرييه ... مسكين أجاكس لقد غص بالأجاج ،  
وشرق بقطرات فئات ! .. أما أخوك<sup>(١)</sup> فقد نجح !  
لقد دفعت موجة هائلة فوق شاطئ (ماليا) ...  
أرض ذيستيس وإيجستوس .. ومن ثمة ركب  
البحر إلى وطنه آمناً . ألا كم كان أخوك رائماً حين  
وطئ أرض الوطن فراح يقبل رمالها ويناجي  
كشبانها ! ألايته مانجا ! لقد لمح أحد الأوغاد من  
جواسيس إيجستوس فانطلق يخبر سيده الذي أعده  
كميناً من عشرين رجلاً من أفسق رجاله حيث اغتالوه  
كما يذبح المعجل ؟ الأوشاب الفجرة ! لقد بادوا بما  
صنعوا ، وأبيدوا على بكرة أبيهم .. »

وما يكاد يصعقني هذا الخبر حتى خذلتني

(١) أجايمون الذي نجح من الفرق ثم ما كاد يبلغ  
قصره حتى قتلته زوجته وعشيقتها إيجستوس



تغضن جبينه ، وانتشرت على أساريه سحابة  
كثيية فقال :

« أ رأيت إذا أعطيت سفينتي لتليماك فاني  
أريد أن أبحر إلى إيليس لأرعى أفراساً لي اثنتي  
عشرة ما تزال ترضع أفلاها (١) متى يرجع من  
يلوس يا أنتينوس ؟ »

وروع الرجلان لهذا الخبر ، فلم يكن أحد يعلم  
أن تليماك قد غادر إيثاكا ، بل كانوا يظنونه يجترأ لأمه  
وأحزانه في أحد الأدغال النامية في مزارعه . قال  
أنتينوس :

« أحقاً أنه أبحر يا نومون ؟ وهل حبه أحد  
من ذويه ؟ وعلى سفينتك ؟ سفينتك أنت ؟ وهل  
أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذي أذنت  
له بها أول ما طلبها منك ؟ »

وأجابه نومون : « بل أبحر عليها باذني . وماذا  
عساك كنت صانعاً لو سألك أمير في مثل بأسائه  
أن يبحر على سفينتك ؟ أ كنت ترفض وتتأني ؟  
لقد أبحرت معه ثلة من أشجع البحارين ، كلهم  
فينان العمود ، غرييض الشباب ، وقد رأيت معه  
أمير البحر منتور . ألا كم كان يبدو منتور بهيماً  
وقوراً رائعاً ، تالله لقد خلته - بل أكبر ظني أنه  
- أحد الآلهة ، وكيف لا يكون إلهاً وقد رأيت  
بعمي هاتين صباح أمس وهو قد أبحر إلى ييلوس  
قبيل ذلك ، فأنى عاد ؟ »

وفرغ نومون ، وعاد أدراجه إلى دار أبيه ،  
واستولى الدهول على الرجلين ، وكان المشاق قد  
فرغوا مما أخذوا فيه من لهو ولعب ، وجلسوا  
يستريحون من التعب ، فيمم شطرهم أنتينوس ،

(١) الفلو ولد الفرس لم يبلغ عاماً

جميعاً ، وجزرنا الأضاحي باسم الآلهة وصلينا لها  
خابتين ، وأثقت لأخي رمساً فوق ثرى مصر الخالدة ،  
ثم هبت الريح رخاءً فنشرنا الشراع وأصلحنا  
القلوع ، وأقلعنا من فورنا إلى أرض الوطن ،  
فبلغنا هيلاس سالمين

وبعد ! فلنقم معنا ههنا أياماً ترح وتفرح ،  
ونسعد نحن بك يا ابن أعز الأصدقاء ، ثم لنعد لك  
الهدايا واللى التي تليق بك ، ولنعد إلى وطنك على  
عربة فاخرة تجرها ثلاثة من الصافنات الجياد ؛  
ولنزودك بكأس ذهبية تصب منها قرايين الخمر  
للآلهة فتذكرنا أبداً »

وشكر تليماك واعتذر ، وأبدى من الحنين إلى  
وطنه ، وما عليه من واجبات ، وما ينبغي من عودة  
ابن ملك ييلوس ، ما برر عنده أن يستأذن في  
الأوبة ... فأعذره ملك أسبرطة ، وأهدى إليه  
كأس فيديوس الفضية ، ذات الشفة الذهبية ،  
الكأس الخالدة التي صنعها الآلهة فلكان بيديه  
لينفج بها ملك سيدونيا

وهياً الندل مقصفاً فاخراً به جزور وخمر ،  
وأقبلت أزواجهن يحملن الخبز ، فأكل الملك ومن  
معه ورووا

\*\*\*

هذا ما كان من أمر تليماك ومنالايوس  
أما ما كان من أمر المشاق آنثذ ، فقد كانوا  
يلعبون ويمرحون في بيت ملك إيثاكا ، يلعبون  
الأسنة ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون  
ويمزحون . كانوا جميعاً يأخذون في هذا اللولتزية  
الوقت ، إلا أنتينوس ويوريماك ، فقد جلسا بم عزل  
بتحادثان . إذ أقبل الفتى نومون بن فرنيوس وقد

أذيت ثمنًا لذلك ربحي ! ولكن ... هيا ... لنمض  
دليون - خادمتي الوفية ذات التجاريب - إلى  
ليرتيس - فلتحدثه عما تأمر الذئاب . وى !  
لم يبق إلا أن يقتلوا ولدى وسليل أوديسيوس T  
ونهبنت يوريكيا مريض تليماك ، تنثر دموعها  
وتقول :

« واأسفاه على أيها الملكة ! سأعترف بما  
كان ولك أن تقتلى ... أو تبقى على ! لقد زودت  
الأمير بكل ما أمر من زاد وخر ، وأخذ على موثقا  
ألا أبوح بسرّه حتى تمضي اثنا عشر يوما بنامها ...  
حتى أنت يا مولاتي ! لقد أمرني ألا أعلمك بشيء  
أهدني يا مولاتي ولا تضاعفي أحزان القصر بحزن  
جديد ، وامضي الى مخدعك فاستريحي ثمة ، ولنصل  
جميعاً لربة المدالة مينرفا - باللا الطيبة - أن  
تصون مولاي الأمير وترعاه ، وتكلاه من كل خطر  
وليعد الى عرش آباه لينحكم ويعدل ويدير شؤون  
البلاد .

ورقا الدمع في عيون الحاشية ، ونهبنت فلولوب  
فصعدت الى الطابق العلوي ، وأمرت بسلّة من  
الكعك فنفخت بها العذارى قربانا لينرفا وتقدمة ،  
ثم أرسلت هذه الصلاة :

« إسمي يا ابنة سيد الأولب ! يا مينرفا العادلة !  
باسم ما ذبح لك أوديسيوس في هذا القصر وما ضحى  
نضرع اليك وتتوسل بك ونصلي لك ، أن تصوني  
ابنه الأمير وأن ترسلي عبوسة من شواظ غضبك  
على أعدائه ... أولئك الأضياف الظالمين ... آمين »  
وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابات  
مينرفا صلاتها . ثم علا ضجيج القوم وارتفع صخبهم ،  
وكان فيهم شاب نزع الثالث في أذنيه صلاة فلولوب  
فحسبها أشرفت تناغي وتغازل ، فراح يقرض بها

وهو يتميز من الغيظ ، وينقدح الشرر من مقلتيه ،  
فقال :

« يا أرباب السماء ! أفيقوا أيها الرفاق ! عمل  
باهر ! باهر جدا ! لقد أبحر الفتى تليماك في عصبة  
من شباب الملاحين ليؤلب عليكم العالمين ، ويرسل  
علينا حسباناً ! ! الويل له ! أعمدوا لي مركبا  
وعشرين فارساً من أبسل صناديدكم لأجفأ بين  
أواذي ساموس ونسوء إيتساكا الناعس الذي  
ذهب يستروح أخبار أبيه ليسعى الى حتفه بظلفه »  
وتحمّس الملأ وعلا هتافهم ، وهروا الى  
الرحبة الداخلية في بيت أوديسيوس يتآمرون ،  
وكان على مقربة منهم الأمين ميدون ، الذي انطلق  
بدووه ينقل ما عقدوا خناصرهم عليه من إفك الى  
الملكة الباكية المفثودة ... فلولوب - وما كاد  
يقص عليها ما اعترموه من قتل تليماك حتى تضعضعت  
وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض ، وتجدّست  
أنفاسها هنيئة ، ثم سألت ميدون فيم أبحر ولدها .  
« ألكي ينقرض اسمه من صفحة الوجود ؟ » وأجابها  
الرجل : إنه ذهب يتسمع الأنباء عن أبيه . ثم  
ذهب لطبخته ، وجلست الملكة المرزأة لدى  
الوصيد تبكي وتنتحب ، ومن حولها الغيد الرعابيب  
والمعجوز الشمطاء من خادمات القصر ، يعملون  
ويكفّ كيفن ...

قالت الملكة : « وحي لي أيها القناري ! أبدأ  
ما أحسب واحدة من النساء قد لقيت بعض الذي  
لقيت مما كتبته على البهاء ! لقد فقدت زوجي ،  
أسد هيلاس الكريم أوديسيوس الأمير الحلال  
رجل الفضائل والمروءات ؛ ثم لم يبق إلا أن يرحل  
عني ولدى ... دون أن أعلم أمر رحيله من  
إحدا كن ، فكنت أحول بينه وبين ما اعترم ولو



وتكسرت النصال على النصال . . . لقد فقدت زوجي . . . أسد هيلاس ونخر أرجوس ، وعزى الأبدى ! ثم ها أنا ذى انتفض فرقا على ولدى . . . ولدى الطرى الفينان ، الذى لا قدرة له ولا احتمال . . . فى هذا البحر اللجى . . . لقد أقلمت به سفينة كأنها تسبح فى بحر من دى وأحزاني ! وها قد تعقبه الأشرار فى سفينة أخرى يريدون غيلته قبل أن يرد إلى وطنه ! »

وتجيبها مينرقا : « لا عليك يا ملكة ، ولا عليه هو الآخر ! إن معه راعيا يحفظه ويوقيه . . . راعيا يتمتع الجميع أن يكونوا فى رعايته أبدا . . . مينرقا ! إنها أيضا تبشرك وترفه عنك ، وأنا هنا رسولها إليك ، أقبات بأمرها أواسيك ! »

وهامت بنلوب ثم قالت : « وى ! أما إنك إذن لربة وقد كلمتك الأرباب . . . ألا قصى على إذن ما كان من أمر رجلى ؟ أما يزال حيا يرزق ؟ أم تخطفته يد المنون ؟ »

وتضاحك الشبح المابس فقال : « لا ! ليس الآن ! إن أذكر لك إذا كان رجلك ما يزال حيا أو إنه قد قضى ، نالنا ولذلك ؟ » ثم رقت فى ظلام الغرفة ، وصعدت فى سماء الأحلام .

ونفضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وانجباب كابوس الهم الذى كان يثقل على قلبها

\*\*\*

وأقلع المشاق بفلكهم فى اليم المضطرب ، كل تحدته نفسه بمقتل تليماخوس ، حتى كانوا عند برزخ أستريس ، بين ساموس وإيثاكا . . . فأرسوا ثمة يتربصون -

درينى فشب

( يتبع )

فى كلمات قوارص ، قطعها عليه أنتينوس بتحذيره القوم ، ونصيحته لهم أن يستعينوا على حزم أمرهم بالكتمان .

وتخير أنتينوس عشرين من خيرة رجاله ، وبعث بهم شطر البحر ، ثم ركبوا فى سفينة أعدت لما اعزموه من تلصص وقرصنة وفتك إعدادا كافيا فنقلت إليها الأسلحة ، وُحلت إليها جمال الزاد والذخيرة . . . وأقلمت ، لا باسم الآلهة مجراها . . . ولا سلكت سبيل الرشاد .

\*\*\*

واضطجعت بنلوب فى فراش حشوه فكر وهم ، وجاشت فى قلبها الوسوس ، وطفقت الأوهام تفتك برأسها القلق الحيزان بسبب ولدها ، ومادبر له الكلاب وما كادوا ، مسكين أيها الأسد ! لولا قوتك وجبروتك ما أكثر صائدوك حولك الأحابيل .

وأخذتها سنة من النوم ، فأقبلت مينرقا الكريمة فى رؤيا عجيبة تواسيها وتذهب عنها ذلك الطائف الحزن ، فزيت بزي الأميرة المفتان ، إفتيا ، ابنة البطل الكبير إيكاريوس ، ثم وقفت عند رأسها ، وشرعت ترسل هذه الأحلام :

« أهكذا تنامين ملء عينيك الجيلتين يا بنلوب العزيزة ؟ ليفرخ روعك ، وليصف بالك ، فالسواء ترى ولدك ، وهو عائد إليك عما قريب ! إنه لم يقترب شيئا مما يغضب الآلهة ، ولذا فهي تكاؤه وترعاه وتحفظه ، فقرى عينا واسلى وانعمى ! »

وتقول بنلوب إثر هي تحلم : « من ؟ إفتيا ؟ عجبا ! فيم قدمت يا أختاه وقد نذر أن كنت تلمين بهذا القصر ؟ التواسيني وتسلينى ؟ لقد تكاثرت الأحزان على قلبى ،

النهار بفصل قليلا  
بين المحبين العاشقين  
ولكني ، يا إيزابيلا ،  
لن أغادرك أبداً

( تقف قليلا ، ويكون  
هنالك سكون يفصل بين  
النفسين ، وكأن باريس  
يفكر ويذكر وينشر الماضي )  
وداعاً يا إيزابيلا !

إن ربح مصر تصفر ،

شكراً لأنني أدركت حلمي الذي يرتعش  
سأرحل ! وحين أرحل وانتهى إلى أطراف  
الوجود يستحيل بيننا اللقاء يا إيزابيلا »

باريس — ( متأثراً ) ما هذا أيتها السيدة ؟  
إيزابيلا — ( بغربة وبرود )

وها هما كتابان منك ، أحدهما في بدء حبنا  
والآخر في منتهاه فليس معنى المرأة — يا باريس —  
إلا أن تتذكر حين يتنامى الرجل  
باريس — ( تحبط به الذكريات )

إيزابيلا — إلآهي — المسرح — أوروبا —  
ها أنت تنظرين ، إنني أحيا وحدي ، وفي بعض  
أحيائي أخوض الصحراء راكباً ، أو أطوف في  
النيل على زورق

( ينظر إليها طويلاً )  
وأجل من هذا ألا أفوه بكلمة ...  
إيزابيلا — وأنت في شرك عدو الصمت  
باريس — من أين جئت ؟  
إيزابيلا — جئت من فرنسا حيث مثلت

مسرحية « فيدر »  
باريس — أتمثلين دائماً ؟

# سيرة أبلهولك

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرنسي موزيس رستان

بقتل الأستاذ خليل هنداي

المشهد الخامس من الفصل الثاني

إيزابيلا ، باريس ، أرجانتي ، مارسيللوس  
( تدنو إيزابيلا من باريس ، تراه وتقول بصوت  
متقطع غريب اللهجة )

إيزابيلا — « يا حبيبتي ! ها قد هبط الليل

على روما

ورداء أزرق الحوامي قد انبسط على الأعلى  
لا أرى إلا السماء ، ولا ألمح أحداً

ولا أفكر إلا فيك ، لأنني لا أهوى سواك  
كنت — يا حبيبتي — هذا المساء شمعة

الروح المتأججة في المسرح  
ألا عطفاً لأحسانك التي جعلت شمعة كاملاً  
يفهمني

ولكني لا أهوى منك شهرتك ، ولا مجدك

ولا فنك ...

وإنما أهواك أنت يا إيزابيلا !  
أنت حبي الأكبر وكل وجودي بهتلك ...  
كل كياني هنالك ...

هذه الليلة ذاتها ، كنت أود أن أقول لك قبل  
متوع النهار



بكل هذه العبرات الالهية ، وإذا كان حقاً أن  
- هنالك - كل آثارك الآتية ، فلتبكِ عيناي  
دون وخز في هذا الهواء ، ولتغم - إلى الأبد -  
بدموعها القلقة هذا الأنا حيث يهدم فيه حظ  
شاعر .

ارجانتى - وواجبك نحو عالم غيور ، فأنت  
لم تعد لفنك ، وإنما لنا ! قلب الشاعر العظيم هو  
يقظتنا وهو - حين يصمت - يقهرنا .

باريس - فكروا فيما يروكم !  
إزاييلا - لاحق له في ذلك ، لقد احتملنا  
منه تلك الحركة حين قذف بقطعة على الملائكة . . .  
ومن ذلك الحين ولّى هارباً ، ولكننا نريد أن نفكر  
في عودته إلينا .

باريس - لم يعد الفن من التكبر ما يتسع  
لأسراري .

إزاييلا - ألا تعرض بعد اليوم عبقرتك  
على الناس ؟

باريس - ( يضرب على صدره ) يكفيني في الليل  
أن أعلم أنه - هنالك - يزجر !  
إزاييلا - وإذا لم يعد يزجر ؟ هل تعلم ماذا  
يقولون ؟

باريس - ( بسخري ) أنني هريم بلا شك ،  
وعمرى ثلاثون .

إزاييلا - ويقولون : إنك في جذوة اللهب  
أصبحت شعلة خامدة ، وإنك بت تخشى الجمهور ،  
وإن القطعة التي صغت بها الشعب لم تتم في الحقيقة ،  
ولكنك أردت إخفاء نزعها بما عمات ، هل أنت  
تارك سوقاً مثل هذه الشائعات ؟  
باريس - ما يهمني ذلك ؟

إزاييلا - المسرح هو كل شيء ، فإذا هجرته  
أموت ساماً ، إننى فقيرة الى أن أطرح هذه  
الأضواء العميقة كحصن بينى وبين الناس  
أرجانتى - انتصاراتها الأخيرة سودت وجوه  
الأولين . آه لو تراها في مسرحية « الفينيقين »  
أوفى « تاجر البندقية » !

إزاييلا - نسيت « هيلين » حيث كنت  
أتناول بأناملى أجل أكاليل الغار ، حقاً لقد مثاتها  
أكثر من المرات السابقة

باريس - عن أية هيلين تتكلمين ؟

إزاييلا - عن « هيلينك »

باريس - أعن « هيلينى » ؟ بلى ذكرت :  
فهل اسمى في الفضاء ينادى اسمها ؟ هيلين . وبأى  
حق جرىء يسمح لى بأن أفتح جفنيها . هيلين ؟  
إننى أكذب ككل انسان ، هذا ضلال ، إننى لم  
أذرف دموعاً على قبرها

إزاييلا - البكاء باطل حين تبتكر العبقرية .  
باريس - الأثر الخالد هو دموع حية .

إزاييلا - إن حاضرك ليغار من انتصاراتك  
المولية ؛ يلزمنا الآن قطعة جديدة منك ، وروما  
لا تزال تريد أن يخفق قوادها لانتصاراتك .  
أرجانتى - كذلك .

باريس - هات إنمائى يا مارسيللوس !

مارسيللوس - ( يتناول مارسيللوس إناء ويعطيه  
إزاييلا ) .

وهذا ما سلم من النار ؛ ولهذا ترين هذا الاناء  
مصبوباً على هيئة قلب .

إزاييلا - ( تأخذ الكأس بيديها ، وترفعه حتى  
شفتيها بخشوع اليأس والحب )

الاناء التي كانت تحمله « أرملة يومي » لم يتبطل

هذه الطبيعة دون أن تجرئ على النظر إلى وجهه .

إزاييلا - باريس !

باريس - انظريه ؟ أريد أن تتعرفي إليه .  
أيتها السيدة إنه أبو الهول ، وبأيتها السيد  
- مدير مسرح أوروبا - أرفع قبعتك جلالاً ،  
هذا هو الأوجد الكبير الذي يلتحف كل الأبدية ،  
يحيط به حشم غير منظورين هم القرون الانسانية  
يجثون أمامه ، قبعتة الحجرية مبللة بالندى ، هي قبعة  
قيصر أو قبعة الأهرام ؛ والآن أفيكم جرأة على  
تحديثي عن العبقرية وعن اندادى وعن المشاهد ؟  
ألا فاحشوا أبا الهول أن يهز الأرض ضاحكا في حالة  
من حالات هذيانه !

إزاييلا - إنك لتسخر باطلا ! هل بإمكانك  
أن تصرف الناس عن لومهم لك بأنك انتهيت !  
يا باريس ! ماذا يهمنا أبو الهول ؟ هذا المارد العملاق  
الذى يقف على هذه المدينة المثلثة ؟ والذى نريده  
بقلب غيور هو أبو الهول الآخر ؛ أبو الهول الذى  
كان لا يحيا إلا بك ، لأن مدينته كاملة تقول بأنه  
غير موجود ؛ ولأن هذه الضوضاء الباطلة لبثت في  
جميع روما ، فأثبت لها بأنها مخطئة ! وهي تظن  
أنها لم تكن إلا طليعة مهمة فأثبت لها بأنها مخطئة !  
اسمع لي يا باريس وأنصت لي ! إن المدينة ذات  
التلال السبعة تود أيضاً - في عصرها المنحط -  
أن تحمل أثرك كياقوتة ثمينة ...

باريس - ( هازأ كتفيه )

أنكرت «أبا الهول» ماذا كنت تفكرين فيه ؟

إزاييلا - ولكن ...

باريس - أجل ! ماذا كنت تفكرين فيه !

إزاييلا - ( منضية الطرف )

كان أجل آتارك

إزاييلا - أو تارك اسمك يغيب في الليل !  
وكوكبك ينطق في اللحظة التى أخذ يلمع فيها ،  
إن الخطأ الوحيد الذى يرتكب حيال المجد  
والحب هو الاعتزال ؛ إنهم - ولا ريب - قد  
تكلموا كثيراً عنك في الشهور الأخيرة وعن  
مسرحيتك «أبي الهول» ، ولكن الصمت اليوم  
يخيم على الجميع ، وهذا «سير ماران» مفعم غبطة  
وهنا لتفوقه عليك ، وحين تبتعد العبقرية يحمل  
الاكتساب محالها .

باريس ! ليس هذا بحق ولا يمكن أن يكون  
حقاً ، إن هذه الجبهة التى يكلها النور الذهبى ؛  
والتي يتوجها الغار ، هذه الجبهة ، لا ترضى بأن  
يسلمها تاجها رجل أقل شأنًا ، لا يجدر بك أن  
تقنع بهذا النسيان الممين ! وحين لا يناضل الانسان  
فمنى ذلك أن أراه انتهى ؛ فهل تركهم يفكرون  
بأنك هذا الانسان ؟ وهل ترك الشعب العاجل  
يتخذ شاعراً غيرك ؟

باريس - إذا كان هذا هو المجد ؛ وإذا كنت  
تقولين حقاً فالأجدر أن يراه من بعيد لا من قريب ؛  
إذا كان هذا هو المجد - يا أوروبا ! - فاني أوتر  
هذا الليل الأزرق في أفريقياء حيث اقتفيت أثر أخى ،  
وهذه المشاهد التى لا تنتهى ، وهذا الهواء المترشح  
بشذاك العظيم .

أنظري ! يا للركة ! فضاء خالٍ من هتاف  
الاستحسان ، ووجوه المصورين ، وفي المساء حيث  
يرقد أبو الهول ؛ رجلاه في التراب وجبينه في السماء ،  
هل لمحته يتشمع تحت لآلاء القمر .

أجل ! لقد جئت يقودك الجزع ، عارفة في  
الحقيقة من أنا ؛ جئت تشكلمين لي عن أدوار  
وعن استحسان ، وهنا ، هنا في هذا البلد ، وإزاء



وجوه الرجال ، وإذا كان الشعر يثير الكون  
فذا لأن الشعر هو حب أيضاً .

باريس — لنجتنب الكلام عن الحب .

إزاييلا — هذه المدينة التي تقدسك ، المدينة  
التي ما زلت أراها بعد رحلي عنها ، أما تنبأت أنت  
بما يحتمل قلبي ؟ قبلاتي كانت أتم آثارك ، وعيشاً  
تمن في الفرار منها لاجئاً إلى هذه الأهرام ، إن  
هذه العصافير المبللة تعود إليك ؛ تعال فان ظل  
الشمس بدأ يحيا ، تعال نحيا ، تعال نتألم ، تعال  
نبدع ، تعال إلى الحب .

باريس — لا أريد ... لا لا ...

إزاييلا — إن هنالك أشياء تحق في صدري ،  
أنصت لي فأنتي أمثل كل بطلاتك ، كل من تود  
ومن تريد ، إن دم « إزولت » هو هنا يجري في  
ذراعي ، وهيلين أعارتني صوتها الرنان ، وعندى  
عينا « بيرينس » لأعبدك .

تعال ، تعال ! إني كصحيفة من رخام مهجور  
فقيرة إلى من يترك قلبي يحرق من أجله ، فقيرة إلى  
أن أحس في حاتي الجامد أشمارك المظيمة المتوقدة  
تنبت في كالجذر في اليم .

فكر ، لم يعد لي حياة ، اسمع لي ! أعد علي  
قلبي الخفاق ؛ وصوتي المنطلق ؛ انني أحترق وشحوبى  
هو الدليل ؛ أعد لي قبلاتك ورواياتك . —

باريس — ( واضعاً يديه على جبينه ) إنني جاهل  
الهي ! هذا الصوت

إزاييلا — هذه عبقريتك تسك في أعماق  
نفسى .

باريس — ما تذوقت أبداً هاتين الشفتين  
الهائجتين .

باريس — وماذا يهمك بعد هذا ذلك الصباح  
وتلك الأعمال ؟ يكفيك أن أثراً جميلاً خلقت ...

إزاييلا — ألا شيء بعده ؟

باريس — لا شيء .

إزاييلا — ( بصوت منخفض ) ( إلى إرجاني  
ومارسيللوس )

دعنا الآن وحدنا ! ينبغي ذلك ، إن كابو باطرة  
أضاعت ممالكها ، أما أنا فأريد أن أقتد بمالك ...  
( ينسحب إرجاني ومارسيللوس ، وتقرق إزاييلا  
باريس ، وكان الليل يهبط رويداً رويداً )

### المشهد السادس

باريس — أقول لك معاوداً مؤكداً بالاشيء  
أقوله لك .

إزاييلا — ( تدنو منه برقة وهوى )

ولكنه يجب ذلك ؛ كيف تأباني حين أكلك  
باسم قبلاتنا ؟ « لا المجد ولا الفن » كتابك الأول  
في قلبي وفي ذاكرتي ، ووجودى كله كان يهتز لهذا  
القسم الغيور ! لماذا لم تأت بي معك إلى هنا ؟ إنني  
لأسمع عن تقلباتك وعن عتوك ، ولا أسمع عن  
غيابك ، وتريدنى ألا أتألم منك حين أسمع وقع  
قدميك .

باريس — قد كان يجب عليّ ؛ إذ كان يصعد  
إلى — من أعماق نفسه — نداء أكبر من الذى  
أحبه .

إزاييلا — أى نداء ؛ بقرب أى نداء يتلاشى  
هذا النداء ؟

باريس — أصبح الحب أصغر من أن يحيط  
بأسرارى .

إزاييلا — صه ! لا شيء أكبر من الحب ؛  
عند ما يذكر على اللسان يظهر شحوب الموت على

ماذا ؟ قلت : الشيخوخة ؟ ويقول : — هذا  
البلد ، بلد الشمس والرمال والشقاء . هذا البلد  
— وهو في حالة بأسه — يريد أن يحيط حينا  
الجديد بوسائل زينته القديمة

لا نتعام عن هذه الليلة الجذابة الفتانة ، أنصت  
الى أصوات هؤلاء النسوة ينشدن بعيداً

تقول أغانيهن : الحب !

وتردد الصحراء : الحب !

ويرجع الليل العميق ، والبحر : الحب !

ويقول أبو الهول الجائم على هاوية الرمال ،  
المسترسل للحلم استرسالاً أبدياً : الحب ! نعم !  
كل شيء يمضي ، وكل شيء كضباب زاحف على  
القمم . ولذلك ينبغي أن نحب بدون انتهاء !  
فلنحب ...

إننا سنتلاشى في الليل الذي يقترب منا كهذه  
القطمان التي نعد أجراسها ، لنحب إذا ! لنحب  
حباً لا يغنى ولا يبيد ، وكل من لا يحب يقضى  
حياته سُدًى . وليشهد على حبنا هذا العملاق  
الراسي ذو الجناحين ، وليشهد على حبنا الفتي هيكله  
الأبدى .

باريس — ( مرتعداً مضطرباً متأثراً ) .

وأنا سألح نفسي عن هذه الصحراء العميقة إذا  
انزعتنى أيتها الآلهة البشرية ، إذا ... ولكن  
مادام الأمل يلمع في ناظرك الأزرق فأنا أقبل تجديد  
الصراع والسرور ، وإذا ما نفيت ذلك عن نفسي  
فأى أثر أمنحهم الآن ؟

إيزابيلا — ( برقة وفتنة ) .

الآن !

باريس — أى شيء أستطيع أن أهب لهذه

إيزابيلا -- هذا هو دى الذى يتحرك في الليل  
لمصيرى .

باريس — لا ! دعبنى .

إيزابيلا — ( تضحك لها ) اسمع !

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — لقد ملكتك ! إنى لأتمثل تلك  
الليلة من الصيف الأخير ، هل تذكر ؟ اذكر أيامنا  
المنتهية إلى إيطاليا ، وقبلاتنا في الشرفة الزاهية ،  
وذلك الكهل الذى كان يتسم ، اذكر ذلك  
الكهل ! آه لقد كان في عيوننا قبس من الشمس ،  
وكانت الأمسيات لطيفة ملائمة لهوانا ؛ ولكن  
مصر هذه تشبه شيخوخة العالم ، لماذا تنقر من بين  
ذراعى ؟ هنا أريد أن ألتصق ، هنا عن كثب من  
هذه الرمال القاتمة .

( فتحت النافذة ، وبدأت بمنفيس ، النجوم ... الطبيعة  
أبو الهول )

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — الى أبي الهول الأعظم الذى ذرف  
عمره ، الى ألوف الأعوام ، وبلغ من الكبر ما يبلغ  
حظنا من القصر ، اليه ؛ الى أبي الهول تعال !  
( قادت إلى النافذة المفتوحة وهناك في الليل بدأت  
تهمس له )

ان النهار الأزرق جلبابه ينتهى الآن . والليل  
طفق يرصع عنقه بالكواكب ، والقطمان تؤوب  
الى حظائرهما ، وهذا النخيل يشمخ ويتطاوّل كأنما  
يريد حمل السماء على أوراقه الخضراء ؛ وهذا صوت  
قيثار بعيد يصل كرجفة بيضاء . وهناك على قيد  
خطوات ، فى الجزيرة المتبخرة زهواً — نسوة  
متهبات مثلويات الحصور يرقصن ويرددن بألحانهم  
الجديدة أهازيج الشمس والنيل ...



باريس - أصغى ، أصغى ، أصغى . هل  
تسمعين هذا الآن ؟

إزاييلا - لا أسمع غير هذا الريح التي  
لا يختلف ، يرافقتها هدير النهر الكبير .

باريس - آه يا آلهي ، ما العمل ؟  
إزاييلا - لذة الليل تفتح لنا جوها ، وصدي  
قبلة واحدة قد يهيجها .

باريس - لا ! إنني أسمع نداء .  
إزاييلا - إنك لا تسمع إلا ندائي .

باريس - إنك - في الحقيقة - لست مهيأة  
لسماعه ، ولكن أنا الذي أحيا وسط هذه الرمال  
الذهبية ، ذا أذن مرهفة وقد سمعت كل شيء سمعته  
كصرخة سفينة ضالة ؛ تجوز الزمان والحدود  
والفضاء ... قبلتك ليست بشيء ؛ قبلتك تتلاشي  
حين أسمع - غامراً الصحراء متموجاً فوقنا -  
هذا النداء الذي ينازع كل شيء من أجلى .

إزاييلا - كيف تسمعه ضد من يعبدك ؟  
هل هنالك صيحة يستطيع سماعها بين قلبين متحابين  
يخفقان ؟

باريس - مهما تداني قلبان فالقضاء يعيش  
بينهما ، بلى ، بلى ؛ المحي بعيداً نذك الخالد على الدهر  
هذا هو العملاق الذي يناديني . إنك تحدثيني عن  
القبل ، فكري أيتها الابنة البعيدة عن الخطار ،  
فكري في كل ما تقوله إلهة النيل . إنه يناديني  
إزاء النهر الذي لا يبيد . أهو إنسان أم وليد ؟  
أم امرأة ؟

إنه أبو الهول : وهو الذي يعلم السر ، ويعلم  
لماذا خلقنا ولماذا نحيا . وحين تفكر في أنه يعلم كل  
ذلك أرانا ترتعش ! ... إننا - بائعنا عنه -

الأفئدة التي تعبدني ، آثاري المحرقة تسكن هذا  
الاناء ، وكل غابري الناري يرقد في هذا الرخام  
الرمادي ، أما أبو الهول ...

إزاييلا - بأبي الهول ؟  
باريس - الوحيد من آثاري ؛ الوحيد الذي  
خلد ، هو ذلك الذي طرحته أرضاً وأنا كالوحش  
وتقبله الشعب جميعاً بوجهه . بلى ! لقد مزقت كل  
شيء من هذه الصحف المسودة ، ولم يبق لي  
قصاصة منها .

إزاييلا - ( مادة إليه يدها بالأثر ) .  
هذا هو !

باريس - إلهي !  
إزاييلا - نعم ؛ لقد قابلت هذه البقايا المبعثرة  
الحقيرة ، وأعدت الأثر كله ، فاستنقذت الأثر  
النفيس من النسيان ، وهكذا أيقظت أحيائه ووقفت  
على أشعاره ، وهذا بعض واجب المرأة أن تعيد  
نظام ما يبعثره الانسان ، أو تجد ما يبيده .

( ترفع الأثر الذي أخذته )  
ها هو الأثر المنقذ !  
باريس - أهو ؟

إزاييلا - هو الأثر الوحيد الذي ستستطيع  
بواسطته أن تجابه نقادك ؛ أترى أيها التاعس الذي  
دمعت عيناه كيف تأسف كفك على تمزيقه . والآن  
فلنرحل وليسبقنا أرجانتى !

تمال نتروح النسيم ، تمال ونذوق في السكينة  
الصخب الذي كانت تغطي عنك روما ، عد لعمود  
شهيراً في بلد السرو ، ودع عنك هذا التخيل الهرم  
وهذه الطرق الطائفة غباراً ، وهذا النهر ، وهذه  
الصحراء ، وأبا الهول الغريب !  
( يهتان بأن ينطلقا متعائنين ، وبخاء يفصل عنها باريس )

ان نحيا متجاورين معا ...

إيزابيلا - صه !

باريس - لقد فررت من الأمل واللذة والطموح ، وأصبحت لا أهتم إلا بالانحناء عليه ، لا هدف لي سواه ! وحياتي تضي خالية من الحب والأصدقاء ، والآلهة فارغة منك ، ومن الكتب لأن « آباء الهول » في أجواز الصحراء يغارون من القليل - من الانسانية - التي تجرى في نفوسنا كنت أخال أنه هداً وسكن ، ولكنه قد أحس خطواتك المبطنة بالحب ، على هذه الطريق ، لقد شعر - ولا ريب - بخطر يدهم . فهو يناديني بلهجة أكثر عنفاً : « تعال » .

صوت أبي الهول من بعيد - تعال !

باريس - اسمي صراخ هذه الشفة الهامدة ، هاهو يوقظ « مارسيللوس » المتناظلي في حذاءه . لا شيء يقف دونه - قلت لك - لا شيء !  
( يدخل مارسيللوس شاحب الوجه )

### المشهد السابع

باريس ، مارسيللوس ، إيزابيلا

باريس - أسمعته أنت أيضاً ؟ لقد كنت هنالك بجانب إيزابيلا .  
مارسيللوس - نعم ! وليس أجمل منه هذه المرة .

باريس - لقد كان صراخاً رقيقاً مرثاناً .

مارسيللوس - وواضحاً !

باريس - كان كآله خالد .

إيزابيلا - لم يكن ذاك إلا حفيف الريح بين الأوراق .

مارسيللوس - لا ، لا ؛ لم يكن ذاك بحفيف

هواء ؛ كان أشد من ذلك .

باريس - هل أنت معتقد به ؟

مارسيللوس - كان يقول : « تعال » وقد سمعته جلياً ؛ اسمع أنت ، يجب علينا أن نوافيه ونسمي إليه ، لأنه سيكلمنا هذا المساء ... وذا شيء حقيقي .

باريس - شكراً يا مارسيللوس ! إن نظرتك تزيدني يقيناً ، إذ لم أكن واحداً في استماعه ، ولكنه ...

مارسيللوس - يدعوننا في جوف الليل الخائف وكفه الضخمة الرمادية تقتحم السكون . إنه ينظرنا يا أخي . إنه يحمل القمر على جبينه .

إيزابيلا - هل أنتما مجنونان حتى يختطفكما منا ؟ إن هو إلا تمثال بارد طوى ألوف السنين .

باريس - أنه سيروى لنا لماذا نحيا على الأرض .

إيزابيلا - انكما ستصدمان الجبين بيهمة

وخرسه .

مارسيللوس - إنه يفسر لنا العناية التي

لم يشهد لها أحد منا .

إيزابيلا - باطلاً يشير الانسان على تمثاله .

مارسيللوس - إنه سيبين لنا ما خبأته لنا

الأقدار ، وبه نعلم لماذا خرج ( لازار ) من لحده

شاحب اللون كأنه خارج من سرير .

باريس - وجهنا يمزقنا ويحطمنا .

مارسيللوس - وعن أسرار الموت يحدثنا .

إيزابيلا - كفى ... كفى !

مارسيللوس - كلمات الغد الجديدة ؛ أريد

أن أفهم كل هذا ، وإن كان حتى بذلك .

إيزابيلا - أيها الولد ! ان قلبك الغر لا يدري



ما يقول في المسائل الكبرى ليس لها جواب ،  
وكلاً زاد التنقيب في السعي وراء حكم هوأى زادنا  
ذلك أننا لا ندرى شيئاً .

مارسيللوس - ولكنى سوف أنتزع من  
هذا المسارد جواباً كاملاً .

إيزابيلا - وإن بك لغزاً فانه من حجر .

باريس - لا لا : فلقد رأيت جفونه ترتعش

إيزابيلا - ذلك قلبك الذى يدق بالقرب

منه .

مارسيللوس - وسمعتك فى أعماق نفسى كلامه .

إيزابيلا - ذلك فؤادك الذى زاد وجيبه

ألا ينبغى الذهاب نحوه ؟ حقاً ان هذا الليل لرائع

والفراغ المظلم يملأ الوادى . ولكن هنالك الحب ؟

هنالك النور ، والورود التى يداعبها الريح .

كنت تحبها قبلاً ...

باريس - أحببناها يوم كانت أفئدتنا هادئة .

دعينا نمر !

إيزابيلا - سيزغ الفجر .

باريس - دعينا .

إيزابيلا - هنالك حلاوة الوجود ولولم يفسر

معناه ؟ والصيف ؟ أليس هنالك الصيف الذى

يسطع على الأكوان ؟

هنا لذة غداث النساء الشقراء أيها الفتيان !

هنا لذة بأيدينا ! فلا تعدوا وراء أبى الهول فانه

يقتلكما .

باريس - ( آخذاً بيد مارسيللوس )

وأنت لم ترتجف فى حين مثل هذا الارتجاف ...

مارسيللوس - انى أفكر فى « سانتيا » التى

ترقد هنالك . سرعان ما يخمد اللهب غالباً اذا ترك .

باريس - هلم لتعلم هذه الشعلة لماذا تلتهب ،  
ثم بعد يوم تخمد ؟ تعال ! فما أقصر هذا الغياب  
بالنسبة للغياب الثانى . انه سيقول لنا كل شيء .

تعال !

إيزابيلا - قفا ! فالدار بيضاء مخفوفة بغراس

الآس ، والريح تعمل فى الليالى الأكثر عاصفاً ، هنا

خصائل النساء التى تلوح سوداء ؛ هنا الفن والحب

والطرق المعجبة ...

صوت أبى الهول - تعالوا ...

باريس - اسمعهم يجيبنا .

( جأه تعصف الزوبعة ، والبرق تلمع خلل السماء

وعلى ضوءها يلوح أبو الهول )

أبو الهول - تعالوا ...

إيزابيلا - ( متعلقة بهما )

لا !

مارسيللوس - ان نداءه العالى يشق حنايس

الظلام ، افنا تتبعه حتى أطراف العالم

أبو الهول - تعالوا ...

باريس - لا نتردد ! لنمش من غير ارتعاش

ولا وجل !

إيزابيلا - ابقيا !

أبو الهول - تعالوا ...

إيزابيلا - ابقيا ...

أبو الهول - تعالوا ...

إيزابيلا - ابقيا ...

أبو الهول - تعالوا ...

( يبدو من الشرفة أبو الهول يلعب عليه القمر ،

إيزابيلا تمشى ، ومارسيللوس وباريس ينسلان فى الليل

بينما كان صوت أبى الهول يتردد )

فيل هيندرى

( يتبع )







صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الحرورية

مجلة أسبوعية ملقطة قصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢٠ صفر سنة ١٣٥٦ - ١ مايو سنة ١٩٣٧

العدد السابع

من أحسن القصص



## فهرس العدد

صفحة	موضوع	مؤلف
٣٩٤	من ذكريات القرية	أفصولة مصرية ريفية ... بقلم أحمد حسن الزيات
٤٠١	الملكة	... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٤٠٩	يوميات نائب في الأرياف	... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٤١٤	دورثيا	... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٤١٩	تسى تانا	... بقلم محمد محمد مصطفى
٤٢٢	فلوريدور ومرجريت	... بقلم أفصولة فرنسية
٤٢٥	على قم الألب	... عن الإنجليزية ... بقلم أحمد فتحي مرسى
٤٣٠	المرأة الحائرة	... لتوماس هاردى ... بقلم نظمي خليل
٤٣٧	الأوديسة	... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشبة
٤٤٥	اعتراقات فتي العصر	... لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس
٤٥٠	سر أبي الهول	... لموريس رستان ... بقلم الأستاذ خليل هندأوى





- ١ -

أفرانه اشتركوا في زعامة القوة ، وانفرد كل منهم بموهبة من الواهب النادرة تجعله رجل وحده . فاللهدي يجيد الزمر في الأرغول ، وأحمد يتقن غناء المواويل الحمر ، وحسن يحذق النقر على (الدربكة) ، وعلى يد حفلات الأنايس وغزوات الليل . وتقسّموا على هذه المزاي ، هوى الشبان وإعجاب الصبايا ؛ فكان لكل منهم حزب من الجنسين يتعصب له ويمتدح به وينقاد إليه ، في غير وقاحة تسقط حياء الفتيات ، ولا خصومة تكدر صفاء الفتيات

كانوا يدخلون الحشيش ، لا لأنه حكيم من أحكام (الكيف) ومرض من أمراض العادة ، ولكن لأنه كان في زمنهم من صبوات الشباب ونزوات الفتوة . وكانوا هم وأتباعهم يسرقون القطن ليلاً من حقوله ، لا لأن السرقة فيهم أثر من لؤم الفطرية ، بل لأن قوى الشباب الجياشة كانت تبحث في ردوسهم وتضطرم في نفوسهم فلا يجدون لها متنفساً ولا مفيضاً إلا هذه الغزوات الليلية يتحدّون فيها بقذلة الحراس وسطوة الحكومة

كانت المزرعة البعيدة من مزارع (الأمير) تسمى وهي بيضاء تتألق باللوز المتفتح كما تتألق السماء الصافية بالكواكب الزهر ، ثم تصبح وهي سوداء كأنها الأرض بعد الجراد أو الدار بعد الحريق ؛ فيرغى (التفتيش) ويزبد ، ويرق (الركز)

كان أهل القرية يسمونه (البججوح) لأنه كان غيثاً من الكرم يصيب الأيادي المنكودة ، ونسيما من الريح ينعش الأجسام المجهودة ، وشعاعاً من البهجة يغمر النفوس المظلمة . كان ابتسامه الدائم يفيض على وجهه البرزى إشراقاً من الروح المذهب بجعله أقرب إلى البياض المشبوب ؛ وكانت نكتته على طرف لسانه يرسلها في المناسبة الجميلة فتفجر الضحك من الصدور الكظيمة ، حتى وصفوه بأنه يضحك حجارة القبر !

كان جميل الهندام ؛ يلبس الجلباب الأنيق المحكم على صدر من الشامي أو الجوخ قد زر لفقيه صف منضود من الأزارار الحربية ؛ ويضع على رأسه طاقية من القماش الأبيض المحرم قد أمالها قليلاً إلى الجهة اليمنى من رأسه ؛ ويجعل في يديه المطرزين بالوشم الأزرق خاتماً أو خاتمين من الفضة البيضاء والعقيق الأحمر ؛ أما قدماء فكانتا حافيتين في الفيط ، ناعلتين في القرية ؛ وهو على أية حال كان مثال الظرف للشباب ، ونموذج الفتوة في البلد

كان الهدي (وهذا هو اسمه) سمحاً القوام ، مجذول المضل ، جرى الصدر ، شهم الفؤاد ، لا يتخاف من الصف الأول في كل ما يصيب القرية من أعراس ومآثم ومعارك ؛ فكان رابع ثلاثة من

ويرعد ، ودار المهدي تغنى وترقص وقد أولت  
(للجدعان) الذين قضوا ليهم في العمل الجرىء  
وليمة سخية لا يقدم فيها غير الحلاوة الطحينية على  
(الصواني) وفي (الأناجر) ؛ ثم يخرجون بعد المأدبة  
الى ضفاف التربة الجارية فينامون على بساط النجيل ،  
تحت الصفصاف الظليل ، يفعمهم عبير الفلية والسَّمد ،  
وينفجهم نسيم اكتوبر النمش وقد خلص من  
حرور الصيف الى فتور الخريف . ثم يستيقظون  
على أنغام الناي الحنون يرسلها المهدي في الفضاء  
الصافي فتمتزج بأغاني القرويات الجميلات وهن  
يقطفن في أحجارهن لوزات القطن العزيز  
كان الناي أو الأرغول للمهدي كاللسان  
للشاعر أو الحنجرة للبلبل ، ينفخ فيه روحه ، ويصور  
به عواطفه ، ويرسل منه رسائله ، ويفعل به ما يفعله  
كوبيدون بسهمه . فهو في النهار الروح الطروب  
الهائم في هبات النسيم ، يرفه عن اللاغبين في  
استراحة الطنبور ، أو ظهيرة المحراث ، أو وحشة  
الساقية ؛ وفي الليل رسول الطرب المتبوع في  
حفلات الأعراس ، يجتمع هو ورفاقه الثلاثة في  
دار العريس فيجتمع عليهم نساء البلد ورجالها  
وأطفالها يتمنون بنغات المهدي ، ورقصات على ،  
ونقرات حسن ، ومواويل أحمد

وكان الفتيات الناهدات يتكدسن في دهايز  
الدار يتوسمن الوجوه الراغبة أو الخاطبة بميونهن  
المسلية الحاملة . وكنتا نندس بينهن ونحن صغار  
فنسمع من بن شفاهن اللُّمس ذلك الاعجاب  
المتردد الهامس بأولئك الذين يدخلون السرور في  
كل قلب ، ويبعثون الاعجاب في كل نفس ،  
ويقذفون الرعب في كل مكان خارج القرية . وكان  
المهدي على الأخص غرض الأنظار المسددة ،

### - ٢ -

نزحت الى القاهرة في طلب العلم ؛ ثم كنت  
في الصيف أعود الى القرية فأنسجم في حياتها ،  
وأختلط بينها وبناتها ، فأغسل دمي بهوائها الطاهر ،  
وأجلو شموري بجوها المستنير . وأهدد أحلام  
مستقبلي في مهد الطفولة  
ففي ذات صيف لاحظت أن بالمهدي مسحة  
من هزال لا يعلها مرض ؛ ورأيت أنه قليل  
الدعابة كثير الوجوم ، يطرق أطراق المموم  
ويذهل ذهول الشاعر . وأعجب أمره أنه أثر  
الأرغول على الناي ، ومال عن سيرا الحرب الى أقاصيص  
الحب ، وهجر مجالس الفتوة ، وحافظ على الصلوات  
الخش في أوقاتها وراء الأمام . فسألته ذات يوم وقد



أنافه إلى يمين رأسها كأنها طاقة المهدي ، فلا يسمعك إلا أن تصدق ما يقولون من أن أباهما بضن بها على الفلاح الذي يبتذل جمالها في إدارة الطنبور وخدمة الماشية

\*\*\*

— وكيف تلقاها يا مهدي ورأى أبيها فيك هذا الرأي ؟

— ألقاها كل يوم وهي تسقى الجاموسة من التربة ؛ تتركها تبتدر في الماء ثم تجلس إلى تحت شجرة التوت فتنساقط أعذب الأحاديث من غرام وشكوى ؛ وأصحابها وهي ذاهبة على حمارها الأبيض القصير ، تحمل الغداء إلى أبيها في غيطه البعيد ، حتى إذا قاربناه جلست على حوض الساقية أتمتعها بنظري حتى ترجع فأعود معها إلى القرية ؛ وفي بعض الأيام يذهب أبوها إلى السوق فأقضي معها ومع أمها ذلك اليوم السعيد ، لا بكل النظر المثبت في النظر ، ولا يفتر الحديث المتصل بالحديث ، ولا نشعر بالسكان الذي يحصر ، ولا بالزمان الذي يمر ، ولا بالموعد الذي يقترب

وربما ظلت النهار كله مع أبيها في المزرعة تضع بذور القطن في الأرض ، أو تنثر حب الذرة وراء المحراث ، أو تنقي غلت الرز في وسط الماء ، فلا أستطيع أن أراها ؛ فأحاول أن أخفف برحاء الشوق عن قلبي العميد بالنظر إلى حمارها وهو يتمرغ في الحارة ، أو إلى كلبها وهو رابض على عتبة الباب ، أو إلى عجنتها وهي تمشي متتدة أمام أمها إلى التربة

أرجو ألا تضحك ؛ إن حب ربا قد صور لي الأشخاص والأشياء على غير الصورة التي تراها ؛ فأنا حقيقة أرى حمارها أجمل الجمير ، وكلبها أظرف الكلاب ، وجاموستها ألطف الجاموس ؛ إن في

جاءني بعد انصراف الناس يسألني عن الكتاب الذي يجد فيه أشعار الشيخ حسن جابر المغني :

— مالك يا مهدي تغيرت بعض التغير ؟ أبك علة ؟ ألك حاجة ؟ فأجاني وقد استراح إلى موضوع الحديث كأنما أصاب به نفساً من كربته :

— علقى ( ربا ) ، وحاجتي هي !

— ربا ؟ أتحبها ؟

— أموت فيها !

— ولم لا تخطبها إلى أهلها ؟

— يقول أبوها إنني أسرق غيطان الناس

وأتعاطى الحرام ولا أصلي

— وماذا ترى أن تفعل ؟

— لا شيء . ستركها خاطبوها إلى ، وسيغير أبوها بالطبع رأيه في

\*\*\*

أنا أعرف ربا ؛ وهل في قريتي الصغيرة من أجهله حتى أجهل ربا ؟ كانت وحيدة أبيها الحاج حسين ، فطبعها على الدلال ، ونشأها على الدعة ، ووسع لها في الثياب والزينة ، وأعفاها من أكثر عمل الغبط والبيت ، فشبت على أخلاق الترفين خفيفة الزاد عزوفة النفس مرهفة الحس واهنة الأعصاب رقيقة البدن ؛ ولكنها كانت على الغاية من ملائمة شكل وصفاء البشرة وعذوبة الروح وسحر . وأبلغ آيات الجمال فيها عينان ساحيتان وأهداب وطف ينبعث منها في القلوب مالا تستطيع اللغة أن تسميه ولا العلم أن يصفه . فإذا خرجت ساعة الأصيل في أترابها الجليات يحملن الجرار إلى النهر أو من النهر ، مبرزها في مقدمة السرب بقدها المشوق اللحن ، ومشيتهما المختلة الموزونة ، وخالخالها الفضي اللامع من خلال ذيلها المهفاهف ، وجرتها المائلة في

يعمل مع أبيها في الغيط ، ويكاد يعمل مع أمها في المنزل ؛ وهو الذي يسقى الجاموسة ويعلف الحمار ويرعى شؤون الأسرة

— إذن قبل أبوها أن يزوجها منه ؟  
— نعم ، قبل بعد أن تحقق أنه ترك الحرام وعزف عن اللهو وعكف على العبادة وأخذ عهداً على السيد القصبي . وهم الآن يرصدون الأهبة لحفلة العقد ، ويمدون المدة لزفة الزواج  
— ٣ —

بيع القطن ومسحت على الجيوب الفارغة يد قارون ؛ ومست الشبان الأعزاب مواسم الهوى فذهب كل منهم يسعى لأهله البنت التي ضفر لها ( الضفائر ) واشترى لها ( الفوايش ) وأهدى إليها ( الحلوة ) ؛ وأخذ الشيخ عبد الوهاب مأذون القرية ينتقل من دار إلى دار وتحت إبطه دفتره العريض وفي حزامه دواته النحاس ، بمقد المقدم وبأخذ المنديل ويشرب السكر ويسمع طلة البندقية التي تعلن عقد الزواج للفتيات المنتظرات حين يقول للعريس : « بارك الله لك فيها » ؛ وأقبل الزمار الصييت ( أبو سعد ) بطبوله ومزاميره ومهرجيه ، فلبث في القرية الساكنة أسبوعين جعلها فيهما صورة صغيرة من ( مولد السيد ) ؛ وتساءل الوافدون على الأفراح : أين المهدى ؟ لم يظهر في زفة من الزفات ، ولم يسهر في ساهر من السواصر ؛ وكان العرف الجاري أنه هو الذي يقول ( الطبل ) ، ويهتدم العريس ، وينظم الزفة ، ويقترح الأدوار على ( أبو سعد ) ، ويرسم لموكب الزفاف الزائط مكان الوقوف وزمان الحركة . ولقد تحدثت المصاطب منذ شهرين أن زفاف ريا إلى المهدى سيكون افتتاح الموسم ، وأن شعراء ( الربابة ) ، ومنشدي المواويل ،

كل أولئك شيئاً منها لا أعرفه . ولو كنت تعلمت لعرفت .

لقد أحببت غير ريا ؛ ولكنه كان حبا غير هذا الحب . كان حبا لم يتعد السطح ولم ينفذ إلى ما وراء الاحساس فلم يغير في عادة ولا صفة . أما حبها فقد خلقت خالقة أخرى ، حتى لأتمس المهدى القديم في إهابي فلا أجده : أصبحت لأميل إلى غزو الليل ، ولا أرغب في لحو النهار ، ولا أفكر في غير الخير . وفي بعض الساعات والخلوات أشعر أن في رأسي عالماً عجيب الألوان غريب الصور تموج فيه الزهور وتطوف به العرائس ، فأستغرق فيه استغراق الطفل في « صندوق الدنيا » ، وأحس سيلاً من المعاني ينهمر على لساني فأحاول الكلام فلا يعبر ، وأجرب الغناء فلا يجدي ، وأجد الأشعار التي حفظتها من عنبرة وأبي زيد لا تصور ما في خيالي ولا تنقل ما في خاطري . ولذلك جئت أسألك عن الكتاب الذي أجد فيه أشعار الشيخ حسن جابر المعنى فأنها أقرب إلى ما أريد

\*\*\*

لا تظن يا سيدي أني أزور لك كلام المهدى على عادة الكتاب يطرد الحديث على أسلوب واحد . الحق أن المهدى كان بذكائه وعقله كاتباً لا ينقصه إلا القلم ، وبخياله وحسه شاعراً لا يعوزه إلا القيثارة . هذه هي معانيه لم أنقص منها ولم أزد عليها . ولو كنت أذكر اليوم الفاظه لما ترددت في تسجيلها انصرف المهدى عني وغاب فلم أعد ألقاه عندي ولا أراه عند غيري . فسألت عنه ذات يوم رفيقه أحمد صاحب الصوت الأبيض والموال الأحمر ، فقال وهو يتسم في خبث ويشير في بأس :  
— أوه ! إنه لا يكاد يفارق ريا ولا أهل ريا :



ولاعبي البرجاس ، وضاربي (الخطب) سيتقاطرون  
على البلد يؤدون إلى المهدي بمض ما أولاهم في سالف  
المهد من أياد وصنائع

— هل عندك يا علي خبر عن المهدي ؟ هل  
هو مريض ؟

— هو في أمان الله ، ولكن ريا مريضة

— منذ كم ؟

— منذ شهر

— وماذا تشكو ؟

— يقولون إنها (معدومة) ، فهي لا تتكلم ،  
ولا تنبسم ، ولا تشتهي الطعام ، ولا تذوق الكرى .  
وقد عُدتها بالأمس فوجدتها مسبوبة على الحصير ،  
زائفة البصر ، ساهمة الوجه ، ترفع يداً وتضع أخرى ،  
ثم تبكي من غير سبب ، وتنتفض من غير حمى ،  
ويدركها الذهول حيناً فتغمض عينيها ولا تتحرك .  
وكانت أمها على رأسها تروّح عليها ، والمهدي بجانبها  
يذب عنها ، وأبوها أمام الحجرة يدخن في تفكير  
وحزن ، فسألت أمها :

— كيف حال ريا اليوم ؟

— كما ترى . ولقد ذهبت اليوم ومي مندباها  
إلى الشيخ فرج ؛ فقاس الأثر وفتح الكتاب ،  
ثم قال إنها ألفت ماء بالليل أمام القرن ولم تبسل ،  
فوقع على أطفال من الجن فركبها أبوم . ولقد  
كتب لها حجاباً كبيراً حملناه إليها فحملته ، ورسم  
بالخبر أشكالا في طبق ثم محّاها بالماء وسقيناها  
إياه فشربته ؛ ولكن ريا لا تزال ذابلة ذاهلة ،  
لا يطعمئن بها فراش ، ولا يسكن لها عصب !

— وماذا لا تطلبون لها الشيخ عبد الجبار ؟

— لقد فكّرنا في ذلك . وسيدّهب المهدي

بعد صلاة المشاء يدعو

\*\*\*

والشيخ عبد الجبار هذا ضرير في حدود  
السبعين تحيل الخيال لاصب الجلد ، ولكنه  
مسمور الجسم متين العصب . كان شيخ الفقهاء  
ومعلم الصبيان في القرية ؛ وقد تنفس به العمر حتى  
ربى جيلين من رجالها ؛ فكان يتمتع لذلك بنفوذ  
واسع واحترام عظيم . وكان وافر اللب شديد  
الدهاء رزين الطبع ، ثم أكسبته مزاولة التمايم  
على الأسلوب القديم سلاطة اللسان وخشونة اليد  
وقساوة القلب ، فقلما نخرج من كتابه متخرج  
دون أن تصاحبه عاهة في بدنه . لقد كان يضرب  
الصبي بالجريدة حتى يفقد الوعي ؛ ثم يتركه لأنه تعب  
لا لأنه أشفق . وكان إذا تهدد أو توعد ظهر غضبه  
المتسمر في مقلتيه الجاحظتين على رغم انطفاهما ،  
فلم أر أعمى يؤثر بعينيّه غيره . وكانوا يسمونه  
(جلاد الشيطان) لأن الجن الذين يركبون  
الجيالات كانوا يرتعدون فرقا من ظلمته . وليس  
الجن وحدهم الذين كانوا يرهّبونه ، فقد كنا وكان  
الصبيان إذا مر الشيخ عبد الجبار في زعبوطه  
الأسود ، يده على كتف قائده ، ورأسه الدقيق غائب  
في عمامته الضخمة ، وخده الشاحب مصمّر للناس ،  
وأذنه المنصوبة مرهفة للفظ الطريق ، وقفنا صامتين  
راهبين كأن جنازة تمر !

— ع —

لقد كنت وأسفا من شهود هذا الحادث  
الفاجع ، فأنا أقضه عليك كما حدث . لا يزال علي  
طول المهدي حيا في ذاكرتي رهيبا في نفسي كأنه  
وقع أمس . والحوادث اليسيرة تجد خلودها في أعماق  
الحافظة الصغيرة ، فكيف بالحادث الجلل ؟

جاء المهدي بالشيخ عبد الجبار بعد صلاة  
المشاء إلى ريا ؛ وأقبل أهل الحارة ومن سمع من  
رجال القرية إلى البيت الحزين القلق يساهمون في

اليسرى ما فعل باليد اليمنى ؛ ثم تناول الرجلين متعاقبتين فكتب على أظفارها المشرة ما أملاه الفقيه عليه . ثم أعلن بعد ذلك جلاد الشيطان أنه حبس المفريت في جسمها فلا يستطيع أن يخرج . وانقلبت سحنة الشيخ فجأة فأربد وجهه ، وحفظت عيناه ، وغلى دمه ، وصاح في غلامه :

— جاد ! هات ( الفلقة ) !

وجاء جاد بالفلقة فوضعها في قدمي ريا مكان الخلخال الفضي اللامع ؛ ثم شدّها وأمسك من طرف وأمسك شاب آخر من طرف . واستلّ الأعمى جريدة من الحزمة وبرك على ركبتيه وبصق في يده ، ثم أمحى على المريضة النهوكة ضرباً دراكاً يهدم جسم الجان بله الانسان !

كانت ريا تصرخ صراخاً عالياً متوالياً من الضرب الموجه ، والقوم صامتون وفي سرهم الثمالة بالشيطان الذي يلتمس الرحمة فلا يجد ، ويحاول الهزيمة فلا يستطيع

تخطمت الجريدة الأولى فوق عبد الجبار وأقبل بوجهه المتضمر على ريا الضارعة وقال في تهديد وحلق :

— هيه ! قل لي ما اسمك ؟

— ؟

— أمؤمن أنت أم كافر ؟

— ؟

— قل لي من أي القبائل والفصائل أنت ؟

— ؟

— أنما هدى على تركها وأنا أسامحك

وأطلقك ؟

— ؟

كان الأعمى يلقى هذه الأسئلة المتجددة على المفريت الأسير في جسم ريا ، وريا تنأى أنيناً متصلاً

الرجاء والدعاء والأسف ، فملأوا الحجرة وشغلوا الدهليز وسالوا خارج العتبة . وكانت ريا ساهمة كأنها صورة الحلم المنفرد ؛ فلما دخل الشيخ عليها حملت فيه بعينها ثم صرخت صرخة شديدة ؛ فقدم النساء أسفات وقال بعضهن لبعض : عرف جلاده ففرع ! ليت ذلك كان من زمان !

جلس عبد الجبار عند قدمي ريا ، وجلس بجانبه عريف الكتاب ومعه حزمة من جريد النخل المشذب المصقول مما يستعمله في تأديب الغيلاظ الشداد من « أولاد المكتب » ، ودواة من الخرف الأخضر ، وقلم من القصب الأبيض ، وخرقة بالية معقودة على شيء . ثم أخذ يسألها سؤال العارف :

— ماذا بك يا ريا ؟

— لا شيء يا سيدنا

فلما رأى سيدنا الصوت طبيعياً والجواب عادياً قال لنفسه وهو يسمع الناس :

— هيه ! لقد هرب ؛ ولا بد من استحضاره

ثم فك القعدة عما في الخرقة فاذا هوفات من اللبان والجاوى . ودعا العريف بموقد النار فوضع فيه البخور فأفعم أرجه الحجرة . حينئذ أخذ الشيخ يتلو المزامير بصوت يشبه الدمدمة فلا يكاد يتبين منه حرف . ثم كان يتحسس عند بعض المقاطع فيشتد ويحتد ويذكر بعض الأسماء الغريبة ، حتى هبج دخان البخور وهممة الشيخ وازدحام الحجرة أعصاب المريضة المسكينة فاختلفت أطرافها اختلاجا أحسه الأعمى ، فأمسك عن التلاوة وأمر برفع الموقد وأشار إلى عريفه أن يبدأ العمل

تقدم العريف الجرب وتناول يدها اليمنى وكتب على ظفر إبهامها كلمة أملاها عليه الشيخ همساً ؛ ثم كتب كلمة أخرى على ظفر السبابة ، ثم على أظفار الوسطى والبنصر والخنصر ، وفعل باليد



مناجاً فزعها ومزقاً دمعها — يصب على جسمها  
الناحل هذا العذاب ؟

لم تمد رياء تصرخ ولا تستغيث ، وإنما كانت  
تنتفض للضربة والضربة انتفاضة الملسوع ؛ ثم  
ترسل مدامعها الفزار في صمت ، وتقلص شفيتها  
الرقبتين في مضض . ووقعت عين المهدي على هذا  
الوجه الشهيد المحتضر فاسترخت يده وارتقى على  
الأرض مستخرطاً في البكاء . فانهز عبيد الجبار  
هذا الضارب الخرج وتناول الجريدة وصاح :

— جاد ! أعد نظرك في الأظافر فلعل بمضها

قد أمحت عنه الكتابة فيهرب

ففحص العريف أطراف البنان المرسله وأصابع  
القدمين الممزقة ، ثم قال في اطمئنان الوائق بعمله :

— الكتابة سليمة يا سيدنا

حينئذ أخذ الجبار يفكر في عذاب آخر ،  
ولكنه أراد أن ينذر به الجنى قبل تنفيذه ؛ فزحف  
حتى بلغ رأس المريضة ، ثم ألصق فيه بأذنها وأخذ  
يسارته . ولكن ما باله ارتبك ؟ إنه ولا ريب لاحظ  
كما لاحظ القوم أن رياء تنسم نسما لا يكاد يظهر على  
المرأة ، وأن العفريت مهما عذب لا يخذل هذا  
الخمود ، فأحس الخطر وتوقع الكارثة . وأراد الخبيث  
أن ( ينقذ الموقف ) كما يعبرون فقال :

لقد وعدني أن يشاور نفسه ؛ فدعوه الآن هادئاً

يفكر حتى يصبح الصباح !

\*\*\*

وفي الصباح ذهب عبد الجبار وادعاً يفتح  
الكتاب ، وذهب أبو رياء هالماً يفتح القبر !  
ومنذ ذلك اليوم المشؤم مات المهدي الذي  
عرفته في أول القصة ، وعاش في جسمه المهدود  
تخلوق آخر لا هو شخص ولا هو شيء !

الزيات

في استرخاء وخفوت وضراعة ، والقوم حولها  
ينتظرون إجابة الشيطان وأبصارهم شاخصة  
وأنفاسهم معلقة ، والألسنة خارج الحجرة تتناقل  
صمته الغريب في همس وعجب ، والشيخ عبد الجبار  
يحدق بعينه البيضاء في عين المصباح الخافت ويقول :  
يا سلام ! ما رأيت أعند من هذا الملعون ! يا جاد !  
هات الجريدة الثانية !

وشد الفلقة جاد من جديد ، وبرك الشيخ  
الجبار على ركبتيه من جديد ، ثم شرع يدق القدمين  
النحيلتين دقاً عنيفاً بالجريدة الثقيلة ؛ وهبت قوى  
الفتاة المذخورة تدافع الألم الممض بالصراخ  
الدامع والاستغاثة البتلة :

— أنا في عرض النبي ! أنقذني يا أماء !

أغثنى يا مهدي ! أنا أموت ! ليس على شيء ! آه !

لم يجد هذا الهتاف المؤلم سمماً من أحد ؛ لأنهم  
يعتقدون باخلاص أن المارد العنيد يخدعهم عن نفسه ،  
وأن رياء الحقيقة الناعمة في غلاف من العفريت لا تدرى  
ولا تحس . وكأنت يد الجبار من الضرب فخل محله  
شاب قوى . وتحطمت الجريدة الثانية والثالثة ،  
وجلاد الشيطان بعيد الأسئلة بين فترة وفترة  
فلا يسمع إلا الجواب الطبيعي أو الأئين المستسلم  
وزاد عجب الناس من عناد الجنى الكافر ،

واشتد سخط المهدي على هذا الرجيم الذي غلبه على  
حبيبتة ، فتناول الجريدة الرابعة ووقف بجانب  
الأعمى وقد كان يهمهم ويدمدم ، وأخذ يلهب قدى  
حبيبتة المبودنين بالعصا المضرسة المبرومة ! ورياء ..  
أوه ! لا تسألني حينئذ عن حال رياء . إن في بعض  
مظاهر النفس ودلالات اللامح ما يقف أمامه البيان  
الانسانى أبكم لا ينطق وعبيراً لا يبين . وماذا عسى  
اللفظ المعنى الجامد أن يصور لك حال رياء وقد  
فتحت عينها الداميتين فوجدت المهدي —



السنية ومعهما خادمها يحمل لها الكتب والكراريس  
ويعني أن أكلهما في الطريق إطاعة لأمر « الست »  
فأكد أجن من فرط الحب والغيرة والشعور بما أنا  
فيه من المهانة والتحقير . وأحسب أن كراهة امرأة  
عمي لي وحيي لبنتها هما اللذان جعلاني رجلاً  
مستقلاً وأغرياني بما صنعت ، فقد تحولت من الأزهر  
إلى دار العلوم ، وقد دفعتني إلى ذلك أمور منها أن  
مستقبل الطالب في دار العلوم معروف ، وأن  
التالي فيها كان يأخذ في الشهر جنيهاً على سبيل  
الاعانة . فتحولت إلى دار العلوم كما قلت من غير  
أن أراجع عمي أو أستشيريه ، وصبرت على ذلك العيش  
كالخدم في بيت عمي شهوراً ، وادخرت الجنيهات  
التي قبضتها من المدرسة في أواخرها ، ثم تركت  
البيت واستأجرت غرفة شاركني فيها طالب آخر  
وفرشناها بالزم ما يلزم وأقمنا فيها . وبكفي بياناً لما  
فررت منه أن أقول إن بنت عمي هي الوحيدة التي  
افتقدتني وشمرت بانقطاعي عن البيت ، وكان الحب  
بيني وبينها متبادلاً ؛ فلما لقيتها وحدها مرة وأخبرتها  
الخبر فرحت وأثنت علي وشجعتني

ولأطيل - تخرجت من دار العلوم وأصبحت  
مدرساً أنقاضي في الشهر ثمانية جنيهات لا واحداً  
فقط ، وعينت في مدرسة بنها الابتدائية ، وبشاء  
الله أن يعين عمي وكيلاً للمديرية فلولا كراهة امرأة

لا أدري إلى هذه الساعة كيف أمكن أن أدع  
هذا يحدث . . . ولو أن أحداً تنبأ لي به : قرأه  
في فنجانة القهوة ، أو طالعته سطورته من الخطوط  
التي يرسمها بأصبعه على الرمل ، أو تبينه من اجتماع  
ورقات معينة وهو ينشر الورق كله أمامه ، أو من  
تقارب بعض الودعات وهو يلقيها من كفيه على  
الأرض - أقول لو أن أحداً تنبأ لي بهذا وأنا  
صبي لكان الأرجح ألا أصدق ، ولكان المحقق  
أن أدفع جبينه بأصابع يميني وأقول له : « نَحْ »  
فقد كنت في حدائتي « شقياً » جداً . وكانت  
امرأة عمي تكرهني وتزعم أن كراهتها راجعة إلى  
« شقاوتي » ولكني - حتى في حدائتي -  
كنت أدرك أن كرهها لي سببه أني فقير وأن عمي  
يعولني ويكفلني ، فقد مات أبواي في طفولتي .  
وكان عمي ضعيفاً لا يستطيع أن يخالف لزوجته  
إرادة أو أن يهد لها في أمر . فتركها تحرمي التعليم  
الحديث وترسلني إلى الأزهر « مجاوراً » ضناً منها  
عليّ بأكثر من القوت الضروري والكسوة التي  
لا غنى عنها . وكانت تفرق بيني وبين بنت عمي  
التي كنت - ومازلت - أحبها ، فكنت أقضي  
ساعات الدرس والنوم في النظرة لأن امرأة عمي  
لا تأذن لي في الصمود إلا في الأعياد - لتقبيل  
يدها - وكنت أرى بنت عمي تذهب إلى المدرسة



أفرغ من واجبي وأذهب الى بيتي . ولن تراني  
زكية شيخاً لأنها لا تذهب معي الى المدرسة فأنا  
لا أبذولها الا أفندياً كما يحب

وكانت هذه بداية الشر كله ، فقد قالت لي  
يوماً وهي تسير معي في الحديقة : « اسمع ياسيد ! لماذا  
تهمل الألعاب الرياضية في المدرسة ؟ »

فالتفت اليها مستغرباً وقالت : « أهمها ؟ ..  
ماذا تعنين ؟ »

قالت : « أعني أنك لا تشترك فيها ... تترك  
تدريب التلاميذ لهذا الأمل ... انه أمي في الواقع  
وان كان يكتب ويقرأ ... هو جندي لا أكثر  
وقد يكون أقل من جندي »

فقلت : « وهل تريدني أن يتولى تدريب  
التلاميذ على الألعاب الرياضية فيلسوف ؟ »

قالت : « لا ، ولكن الروح الرياضية لا يبثها  
إلا معلم »

قلت : « ولكن ماذا أصنع ؟ ، إن هذا  
ترتيب وضعته الوزارة ولا شأن لي به »

قالت : « الوزارة لا تمنعك أن تعني بتلاميذك  
وتتطوع لمساعدتهم »

وابتسمت لي ، وانهارت حصون المقاومة .  
وأحسب أنا معشر الرجال ضعاف . ولم تتركني في  
ذلك اليوم حتى بذلت لها الوعد أن أعني بالألعاب  
الرياضية وأن أنطوع لمساعدة التلاميذ

ولم يكن الأمر سهلاً فقد كنت في المدرسة  
شيخاً ، وعسير على من يلبس ثياب الشيوخ أن  
يشترك في ألعاب . وخلق بمنظرة حين يتحول من  
شيخ في قفطان سابغ وجبة تفيض عليه الاحترام  
والوقار ، وعمامة مكورة ، إلى رجل نصف عار في  
قميص قصير وسروال أقصر ، أن يضحك التلاميذ

عمي لي لوسمعي أن أقيم مع عمي في بيت واحد ،  
فقد صرت أستطيع أن أؤدي نفقات معيشتي  
وتكاليف إقامتي ، ولكن هذا لم يكن ميسوراً .  
على أن استقلالي لم يثقل على نفسي ؛ وكان يسرنى  
على العموم أني صرت أستطيع أن أزور بيت عمي  
زيارة من لا يحتاج إليه ، ولا يطمع في شيء منه ،  
وأن أرى « زكية » وأنعمشي معها في حديقة  
البيت - خاصة بالطبع - وأن أبثها حبي الذي  
لم تخمد وقده الأيام

وكنت شيخاً - بعمامة وجبة وقفطان -  
فقلت لي زكية يوماً : « لماذا لا تغير هذه الثياب ؟ »  
فلم أفهم وقلت : « أغيرها ؟ .. وما عيبها ؟ »  
قالت : « البس ثياب الأفندية ... كأبي »  
قلت : « اسمحي لي أن أقول إنى لا أحب أن  
أكون كأبيك »

قالت : « أعرف ذلك .. إنه ضعيف ولا شك ..  
ولكنك لا تقلده هو إذا اتخذت ثياب الأفندية .  
كل الناس يلبسونها .. »

قلت : « لا أدري هل تسمح لي الوزارة  
أو لا تسمح ؟ . وليست أحب في فاتحة حياتي  
الجديدة أن أعرض لخلاف في هذا الموضوع »

فتركت كل هذا وقالت : « إنى أريد ذلك ..  
يسرنى أن تفعله .. ألا تحب أن أكون مسرورة  
بك ؟ ... سيد ! ... من أجلى أنا ! ... »

فلم يسمنى أن أظل أعترض بعد هذا . وأعددت  
عدتي لتغيير الثياب ، وكانت كلفة هذا التغيير  
كبيرة ، وكان هذا هو الذي يصدني عن التغيير .  
أما الوزارة ورأيها فقد أقيمت لها ثياب الشيوخ  
ألبسها في المدرسة ، وأخلعها حين أغادرها ، وبذلك  
اتقيت غضبها المحتمل ، فالحاشان بي بعد أن

بالرجل الذي يملك ... دع هذا لي «  
فتركتها وأنا أحدث نفسي أن في زكية مشابهة  
من أمها ... أعني أنها ورثت قوة الشكيمة والارادة  
وجاءني يوماً جندي من جنود البوليس وكان  
مارداً ضخماً مفتول العضل ، ولم أكن دونه جسامه ،  
فخياناً كأني ضابطه ، ثم شرع يحسني كأنما كان  
يخشى أن أكون مصنوعاً من الجبن الطرى . ثم  
ربت على كتفي وقال : « عفارم » كأنما كنت قد  
صنعت نفسي !

ولا أطيل ... بدأ التدريب بكل أنواعه حتى  
بأثقال الحديد ، وكنت لا أفهم لماذا كل هذا ،  
ولكن زكية كانت ورأى تستحثني وتشجعني ،  
وكانت امرأة عمى قد سافرت الى مصر ، فصار في  
وسع زكية أن تخرج معي أحياناً للتنزه على النيل  
وكانت سافرة لا تتحجب ، وكان قد عُرف أن  
عمى وكيل المديرية ، فالذين يرونها معي يعلمون أنها  
بنت عمى ، فلا بأس من خروجها معي . وانتقل  
التدريب من البيت - حيث بدأ - الى مخفر  
البوليس حيث الأدوات التي صرنا نحتاج اليها ولا  
سبيل الى نقلها ، مثل المتوازيين « والحضان »  
والمقلاة وما إلى ذلك ، واتقنت كل هذا فقد أحسست  
من نفسي إقبالا عليه ورغبة فيه ، رسرنى أن ذهب  
اللحم المترهل وأنه اكتنز وصار عضلاً قويا . وكان  
معلمي يأبى كل جزاء أو مكافأة ، وكنت أعجب  
لهذا ولا أرتاح اليه ، فان كون وكيل المديرية عمى  
لا يبيح لي أن استغل الرجل على هذا النحو ، غير أنه  
كان يؤكد لي أنه يجد سروره ولذته في تعليمي  
فكنت أسكت ولا أفهم . وأنى لي أن أعرف أن  
بنت عمى هي التي تدفعه وتجزيه ... ؟  
وقال لي الرجل يوماً : « إنك يمكن أن

ويفهمهم بركوبه بالمزاح والعبث ، ولا بأس بالأماب  
الرياضية ولكن البأس كل البأس أن أصبح موضع  
استهزاء . ولم يكن يسمنى أن أتقدم إلى الناظر  
معرّباً عن رغبتى في التطوع لمساعدة التلاميذ على  
شيء لا أحسنه أنا أولاً ، ولا تجماني ثيابي صالحاً  
له ثانياً . لهذا عدت إلى زكية وقلت لها إنى  
نويت أن أغير ثيابي رسمياً أولاً ، وأن أتدرب على  
هذه الأماب ثانياً ، فدهشت وقالت : « تغيرها ؟  
أو لست قد غيرتها ؟ . ألسنت تلبسها ؟ »

قلت : « الجواب نعم ولا ... ألبسها خارج  
المدرسة وأنضوها في المدرسة وأعود شيخاً »  
قالت : « ولكن لماذا ؟ . ان هذا ... هذا ...  
لا مؤاخذه ... جبن ... لا يليق بك ... إنى أحب  
أن تكون شجاعاً »

فلم يسمنى إلا أن أكون كما تحب - شجاعاً  
ومن الغريب أنى لم أجد أثراً لما كنت أخشاه  
فقد استشرت الناظر ، وكان رجلاً وقوراً جريئاً  
كريمًا على نفسه وعلى رؤسائه ، فقال لي : « إنى  
أراك في الخارج أفندياً ، واحسب ان التلاميذ  
يرونك أيضاً ، فلماذا لا تكون أفندياً دائماً ؟ .  
أما الوزارة فلا أرى أن لها شأنًا ، ثم إنك هنا في  
بناها بعيد ، ومع ذلك من الذى يعرفك ؟ . على كل  
حال ضع القوم أمام الأمر الواقع »

ففعلت ، وبقي التدريب الرياضى ؛ فخطر لي ان  
أستمع للمعلم الأسمى - كما تصفه زكية - ولكنى  
آثرت أن أستميرها أولاً ، فتهتني عن الاستماعة  
بمعلم المدرسة ، وقالت : « يجب أن تظهر لهم جميعاً  
أستاذاً كبيراً حتى فيما كان الظن أن تجهله »

فسألتها : « ولكن من إذن يعلمنى ؟ »  
قالت : « لا تحمل همًا ... سأبعث أنا إليك



يكون منك ملاكم عظيم»

فسأله : « ملاكم ؟ »

قال : « نعم ... ليس أسهل من هذا ... لماذا

لا تتدرب على الملاكمة ؟ »

قلت : « ولكن لماذا .. ما الداعي ؟ »

« قال : لم لا ؟ ... »

فلم أربأسا ... ولم لا — كما قال — وكنت

قد شغفت بالرياضة بعد أن أتقنتها وحذقتها وبرعت

فيها وصرت موضع إعجاب زكية ، ولكني قلت

للرجل : « إسمع يا صميذة ( وكان هذا اسمه ) إني

معلم ، ولا يليق لي أن أظهر للتلاميذ بأنف مبسط

أو شفة أو عين واردة سوداء ، فإذا كان لابد من

الملاكمة فلا تضربني بشدة »

فقال : « إن الخوف على منك لأعليك مني »

فسرني هذا وأقبلت على الملاكمة أتعلماها

بسرعة ، وكان صميذة يقول لي إن مزيقي رجلاي :

أي أني سريع الحركة خفيفها جدا ، وأن هذه المزية

خليفة أن تفسد على أقوى الخصوم مزاياهم الأخرى .

فلما سمعت منه ذلك صار هي أن أحسن استغلال

هذه المزية الى أقصى حد وأبعد مدى

وصرت ملاكما — كما شاء الرجل — وكنت

في أثناء ذلك قد تطوعت للمعاونة على تدريب

التلاميذ ، ثم صرت أنا الكل في الكل — كما

يقولون — ولم يبق لمعلم الألعاب إلا الخدمة ، فما

كان يحسن شيئا في الحقيقة — أعني شيئا يستحق

الذكر — وفرح الناظر بذلك ومدبصره الى آخر

العام الدراسي ، وراح يتصور الحفلة الرياضية التي

سيقيمها ويدهش بها رؤساءه في الوزارة . وكان

لا ينفك يتحدثني عنها ويطلب رأيي فيما ينبغي أن

يكون فيها ، ويقول لي إنه يريد أن يدعو فلانا

وعلانا ، وترنانا ، من الرؤساء ، ومن رجال الادارة

ومن الأعيان وآباء التلاميذ الى غير ذلك . وأنا

مكب على عملي واثق أنه سيرفعني في الوزارة درجات

وقالت لي بنت عمي يوما : « لماذا لا تتبكر

شيئا ؟ علم التلاميذ الملاكمة . ألف فرقة منهم لها ..

تصور وقع هذه المفاجأة في الاحتفال السنوي .. »

قلت : « فكرة والله .. ولكن هل يوافق

الناظر ؟ لابد من موافقته كما تعلمين »

قالت : « أوه ... الناظر ! ... كلما قلت لك

شيئا تقول لي الناظر ؟ ... هل تتصور أن الناظر

يسوؤه أن تبيض وجهه ؟ .. كون الفرقة وفاجئته

هو أيضا بها .. »

ففعلت . وكنت في أول الأمر أستعير قفازات

الملاكمة من ملعب البوليس ، ثم رأيت أن أذهب

بالفرقة التي انتقيت أفرادها من كبار التلاميذ الى

ملعب البوليس ، فلما دنا العام من ختامه كان بعض

أفراد الفرقة صالحا للعرض الى حد ما

وكنت أنا في خلال ذلك مواظبا على التدريب

لا أنقطع عنه ولا أقصر فيه ، فاتفق يوما أن لکمی

صميذة على حنكي لكمة قوية على خلاف عادته ،

فألنني وأحسست الدم يصعد إلى رأسي من فرط

الغضب والغليظ ، وانهلت عليه غير عابئ أو مترفق

وكنت أتوقع أن يشور بي كما ثرت به ، ولكنه لما

أحس وقع اللكيات ابتسم ونأى عني وقال :

« يكفى .. يكفى .. الآن اطمأن قلبي »

فوقفت وسأله : « ماذا تعني ؟ »

قال : « لا شيء .. أردت أن أجربك . الآن

صرت ملاكما . تستطيع أن تنازل من شئت »

فابتسمت مسرورا وإن كانت منازلة أحد من

الناس لم تجر لي في خاطر فما كنت أتعلم من أجل

البدنية . وكان الناظر ربما مازحني وقال : « والله  
فلحت يا شيخ سيد » فأقول : « والله يا حضرة  
الناظر ما كان لي هذا على بال »  
ولو استطعت لقلت له إن الفضل لبنت عمي  
زكية

\*\*\*

وجاء يوم الحفلة بعد طول الاستعداد - أي  
العناء - فقد كانت تلك الأيام أيام جهود متواصلة  
من الصباح إلى المساء ؛ وكان أشق ما فيها أن زكية  
وصميذة كانا يصبران على استمرار تدريبي على الملاكمة  
كأنما كنت سأحترقها ، أو كأنما أصبحت حياتي  
رهناً بها وبمبلغ إتقاني لها . وما أ كثر الليالي التي  
عدت فيها إلى البيت وانطرحت على الفراش ونمت  
إلى الصباح - بثيابي - كالقتيل

وأقيمت الحفلة على ما رسمنا ورتبنا . وكان  
المدعوون حشداً كبيراً من الموظفين والأعيان  
والرؤساء في وزارة المعارف . وكان الناظر يادي  
السرور ظاهر الاغتباط ؛ ولكني كنت أتوقع  
أن يكون استقبال المدعوين والتلاميذ لتلاميذي  
الملاكين خيراً مما كان وأكرم ، فقد كان هذا جديداً  
في ألعاب المدارس ، وكان تلاميذي جديرين  
بالتشجيع والعطف ، لا بهذا الصمت العميق أثناء  
الملاكمة وذلك التصفيق الفاتر بعد انتهائهما . ولم أرح  
إلى هذا الفتور ، وشق على أن يكون هذا جزاء  
تلاميذي . ومن غيري يعرف مبالغ ما تجشموا  
واحتملوا وبذلوا من الجهد في سبيل الاستعداد  
لهذه الحفلة ؟ . ولا عجب إذا كان فتور المتفرجين  
قد أعدام ، فقد كانوا بحركون أذرعهم يبطء وفي  
استرخاء ، وكنت أحرضهم وأستحثهم بالإشارة

ذلك بل من أجل ما أراني أفيدته من اللذة والسرور  
ودنا الموعد الذي تقام فيه الألعاب وكنت قد  
أعددت برنامجاً حافلاً ، فسألتنى زكية :  
« كيف نسيت الملاكمة ؟ »  
قلت : « لم أنسها . سيتلاكم أربعة من التلاميذ  
- كل اثنين معاً »

قالت : « أتظن أن هذه ملاكمة ؟ هذا لعب »  
قلت : « هل تريدن ملاكمة جدية بين هؤلاء  
الأطفال ؟ »  
قالت : « سيفعلون كل ما يقدرون عليه ،  
واعتقد أنهم لن يقصروا ولكن هذا لا يكفي . .  
يجب أن تكون هناك ملاكمة جدية بين رجلين »  
فلم يسعني إلا أن أسألها وأما أضحك : « ومن  
أين نجى بهما بالله ؟ »

قالت : « إذا كان هذا كل ما في الأمر من  
صعوبة فدعه لي »

فسألته كيف تنوى أن تدبر الأمر ؟ فقالت :  
إن عمي يمكن أن يقترح على المدرسة أن تسمح بأن  
يضم إلى البرنامج فصل في الملاكمة بين اثنين من  
الجنود . فاعتضت بأن هذه حفلة مدرسية لاهلاقة  
لها بالبوليس وأن الناظر خليف أن يرفض ، فقالت :  
« مالك أنت ؟ دع الأمر لي ولن نخسر شيئاً إذا  
أبي ناظر ، فإذا قبل فإن نجاح حفلاتك يكون باهراً .  
ألا ترى أنني أريد لك الخير ؟ »

فشكرتها - أعني قبلتها - ومضينا في  
الاستعداد . وكان الناظر لفرط اهتمامه بالحفلة قد  
أخلى من الدروس فانقطعت لتدريب التلاميذ  
وتنظيم الأمر . وكان يضحكني أحياناً أن شيخاً  
مهما مثلي ينقلب في شهور بطلاً من أبطال الرياضة



فلا يزيدون على الابتسام، ثم يستأنفون تحريك أيديهم كأنما هم يسبحون في الماء. فلما انتهوا صفقت لهم بشدة، ولسكن الفتور العام أخرجني، فكففت فجأة وهوت يداي إلى جانبي

وكانت الملائكة الجديدة بين اثنين من رجال البوليس هي المشهد التالي والآخر في البرنامج. وأحسب أن انتظارها هو مبعث هذا الفتور الذي كان من نصيب التلاميذ، فما كانت ملائكة هؤلاء إلا لعباً. فظلمات واقفاً في مكاني وراء منصة الملائكة أنتظر أن يجيء صميذة بالتلاميذ ويقدمهما إلى الجمهور، فقد كان هو الحكم. فجاء صميذة ولكن وحده، وليس كنتي بأطراف أصابعه فالتفت إليه، فدعاني أن أتبعه. وكان هناك ستار وراء المنصة وغرفة لتغيير الملابس، فقال لي وقد أصبحنا بمزلة عن الجمهور: «ما العمل؟» فهزرت رأسي مستفهماً، فقال: «إن الجندي الثاني مريض فهو لا يستطيع أن يحضر»

ودخل في هذه اللحظة الجندي الآخر وصدره عار، وعليه غابة من الشعر، وقال بصوت عال لا يخلو من السخرية والاعتداد بالنفس: «أين هذا الهراب يا صميذة؟»

فلم أرح إلى منظره البشع، ولم يحسن وقع لهجته في نفسي، فنظرت إليه كما ينظر الإنسان إلى شيء قذر؛ ثم حولت وجهي عنه فقد دخلت في هذه الساعة زكية ووراءها الناظر

وقال صميذة: «ما العمل؟» وقالت زكية: «ألا يمكن أن تنازله يا سيد؟» فبهت ووقف لسانى في حلقى، وحف ربقي، لا من الخوف بل من الدهشة. وقال صميذة: «والله فكرة... أحسن

حل... بالطبع يمكن...» وربت الناظر على كتفي وقال: «برافو، برافو! والآن عجّلوا»

وهم بالرجوع فاستوقفته وصحت به: «ولكن يا حضرة الناظر هذا مستحيل...؟ كيف يمكن...؟» ولكن زكية قاطعتني وقالت: «بالطبع يمكن. إن صميذة يؤكد أن في وسعك أن تأكله... لأجل خاطري!... لا تخيب أملى فيك... قل إنك تقبل»

وابتسمت لي. وكان الجندي الملاكم ينظر إلينا وينتظر، ويداء في خاصرته، وعلى وجهه ابتسامة زراية واستخفاف لا تطاق. وأظن أن هذه الابتسامة الثقيلة هي التي دفعتني إلى القبول والرضى لا الابتسامة الحلوة الساحرة التي جادت على بها زكية، فهزرت رأسي أن نعم وعيني على الجندي

وما أسرع ما خملت ثيابي وألقي على جسدي صميذة شيئاً كالبرنس، فما كان لي وعي، ولا كنت أفكر إلا في الظهور أمام تلاميذي وأمام رؤسائي في الوزارة، ملاكاً؛ ولم يكن مابي خوفاً وإنما كان خجلاً. وكان صميذة يدفعني ويربت على كتفي.

ودخل الجندي مزهواً منتفخاً ودخلت وراءه مطأطأ الرأس من فرط الاستحياء. وقابلنا الجمهور مقابلة حارة. ثم نهضنا وتصلحنا، ولكن خصمي زاد على ذلك أن لمس ذقني بقفازه وابتسم، فعلا الضحك، فأحسست أن دمي يغلي في عروقي من الغضب، وهل مما يحتمل أن يجملني هذا الجلف أضحوكة وعرضة استهزاء؟... واغتيمت فرصة سنحت لي فلكتته بقوة - على أنفه - ولم يكن هذا ذنباً فقد كان أنفه كبيراً يفرى بالسكم؛ وأحسب أن اللكمة كانت عنيفة فقد دار وتطرح، ثم أقبل

وانطلقت صيحة عظيمة من الجمهور - من  
الأعيان ومن التلاميذ جميعاً - ووقف الكل  
وراحوا يصفقون بلا ترفق بأيديهم  
وأحسب أني أنا الوحيد الذي لم يكن مسروراً  
في تلك اللحظة

\*\*\*

وجاءني ضابط المدرسة يدعوني إلى مقابلة وكيل  
الوزارة في غرفة الناظر ، وكنت أتوقع شيئاً من  
هذا القبيل ، فاجري في وهمي قط أن الوزارة ترضى  
عن مدرس بلاكم جندياً في حفلة كبيرة عامة كهذه ؛  
ولكني لم أكّد أبلغ الغرفة حتى استغربت أن  
أرى زكية داخله أمامي وممها عمي ، فسكنت نفسي  
قليلاً لأن هذا يشبه أن يكون اجتماعاً خاصاً لا مقابلة  
رسمية . وصرت في الغرفة ووقفت مطرقاً فوقف  
الوكيل ووقف مثله الباكون - مفتش انجيزي  
وأخر مصري والناظر وعمي - وقال الوكيل :  
« إني أهنتك ... لقد كنت بارعاً جداً »

وصاحني المفتش الانجيزي بعده بقوة وحرارة  
وأثنى على بلغة عربية عظيمة . ولم يكن شيء من  
هذا مما كنت أتوقع . وخطر لي أن الفضل في  
حسن ما استقبلت به لا بد أن يكون لناظرنا الجريء  
الحر ، فتركهم جميعاً واندفعت إليه وصاغتته شاكرآ  
فتأثر الرجل الكريم وقال :

« إني مسرور وآسف في الوقت نفسه . لقد  
جرّ على نجاحك أني فقدتك ... أو على الأصح  
سأفقدك »

وقال الوكيل : « لا شك أن فقد المدرسة له  
سيكون خسارة ، ولكن بعزبك أنه سيكون بفضل  
تشجيعك أنفع في مكان آخر ... نعم لقد رأينا  
- أنا وجناب المفتش - أن ننتفع بك في الوزارة

على كالوحش المفترس ، فتذكرت ثناء صميذة على  
سرعتي وخفة حركتي ، وذهبت أحاوره وأداوره  
بخفة وسرعة لم أعهد لها في نفسي من قبل ، وقد  
نعمني ذلك فأنتهى الشوط الأول من غير أن  
يصيبني أذى

وكنت أنتظر أن ألقى من المتفرجين تشجيعاً ،  
ولا سيما من تلاميذي ، ولكن الشوط الثاني بدأ  
والكل صامت ، وكان خصمي مغيطاً محنقاً ،  
لا أدري لماذا ، فأنهال على كالصخرة ، ولكني كنت  
أسرع مما قدر ، فلم يبلغ مني شيئاً . ويظهر أن هذا  
زاده سخطاً وغيطاً ، فقد صاح بي بأعلى صوت :  
« ألا يمكن أن تقف في مكان ؟ .. إن المرء يحتاج  
إلى موتوسيكل ليلحق بك »

فانفجر المتفرجون ضاحكين . فلم يبق لي عقل  
فقد كان ضحكهم على ولا شك . ووقفت وثبتت له  
فأقبل يريد أن يلكمني ، فأنحرفت قليلاً لأتق  
الضربة فراحت في الهواء ، وفي هذه اللحظة التي  
أنحرفت فيها ، سمعت صوتاً يصيح : « عليه ! »  
عليه ! . أقتله » وكان وجهي بعد أن أنحرفت قد  
صار إلى الجمهور فلما رفعت رأسي رأيت - تحت  
عيني - عمي واقفاً يلوح بيديه في الهواء وبصيح :  
« عليه ! . عليه ! . أقتله . »

ولا أدري إلى هذه الساعة أكان عمي يحضني أنا  
على القتل ، أم كان يحض خصمي على اللواء بي ،  
ولكن الذي أدريه أن البقية الباقية من عقلي طارت  
وذهبت مع الرياح الأربع . ودرت واستقبلت  
خصمي الذي دار مثلي بعد أن تطرح لما أخطأتني  
ضربته ، ولكنته تحت ذقنه فارتدى على الأرض  
وانحنى صميذة عليه وهو بعد ؛ ثم أقبل على يهنئي  
بالفوز العاجل



أنها لا يمكن أن ترضى عن زواج بنتها من « رجل سُضلى » ولكن عمى كان قد أعلن الأمر ودعا الناس فلم تبق لها حيلة

« سُضلى » هذا كان وصفها - ولم يكن يخفف من سوء وقعه في نفسى إلا قول زكية : « ولكنى أنا أحب أن تكون سُضلى - أنا جعلتك كذلك لأنى أحب هذا ... تعال يا حبيبى السُضلى ... قبلنى ... لا ... ليس هكذا ... بل كما يفعل السُضلى ... تماماً ... أبوه كده »  
ابراهيم عبد القادر المازنى

الى كل كاتب عربى فى مصر رنى غير مصر :

## المباريات القصصية للرواية

تشجيعاً للقصص العربى تفتتح ( الرواية )  
مبارياتها السنوية فيه بهذه المباراة :

### مباراة فى الأقصوصة

جائزتها خمسة عشر جنياً مصرية

يوزعها المحكمون على الفائزين الأول والثانى

### الشروط

- ١ - أن تكون الأقصوصة شرقية الموضوع
- ٢ - » » » » بليغة الأسلوب
- ٣ - » » » » نبيلة الغرض
- ٤ - ألا تزيد على عشر صفحات من ( الرواية )
- ٥ - ألا تكون قد نشرت من قبل
- ٦ - ألا يتأخر موعد إرسالها إلى ( الرواية )

عن آخر مايو سنة ١٩٣٧

لجنة التحكيم سنعلن عنها فيما بعد

وستتخذ التدابير اللازمة لنقلك وأرجو أن يكون هذا مما يسرك »

فلم أستطع أن أقول نعم . وكيف أفارق بنتها مسروراً ؟ . ولم يسعنى إلا أن أنظر الى زكية وكانت تبسّم ، فلم أفهم كيف تبسّم وهى تعلم أنى سأنقل وأناى عنها ؟

وهنا قال عمى : « والآن يا سيد . يحسن أن تأخذ زكية وترافقها الى البيت »

فاستأذنت وتبعتها ومشيت معها مهموماً مغموماً فقالت لى فى بعض الطريق :

« مالك ؟ . ألا يسرك ما حصل ؟ »

فقلت : « كيف يسرنى وهو فراق ؟ »

فسألتنى مستغربة : « فراق ؟ من قال هذا ؟ » ثم كأنما تنبّهت الى شىء ، فقالت : « ألم يخبرك أحد ؟ »

ونظرت الى . وأحسبها قرأت فى وجهى الجمل التام والدهشة والحيرة فقد قالت : « ولكن بالطبع لم يخبروك .. أبوه يا مسكين .. ألا تعرف أن عمى قبل أن تنزوج ؟ »

فصحت بها فى الطريق وقد وقفت : « إيه » فقالت : « ليس فى الشارع .. انتظر حتى نبلغ البيت .. نعم قبل وأخبر وكيل الوزارة أيضاً ودعا الى الحضور .. حضور العقد . فهل أنت مسرور ؟ »

\*\*\*

وهنا ينبى أن أقول إن زكية عرفت - لا أدري كيف - أن عمى له ولوع بالملاكمة ، فاستغلت هذا ودبرت الأمر كله - أغرتنى بالملاكمة وتآمرت مع صميدة مؤامرة انتهت - كما قلت - بمنازلتى لهذا الجندى الفظ . ولم يمكّر هذا الصفو كله إلا امرأة عمى فقد بقيت ساخطة ولم تكتمنى



## يَوْمًا نَائِبُ الْأَرْيَافِ

لِلأُسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٧ أكتوبر ...

فكرت ملياً في أمر ذلك الخطاب . من ترى يكون مرسله المجهول ؟ الأسلوب ينم عن أن صاحبه أزهري فسد . هذه الآية القرآنية وهذا التوقيع لا يصدران إلا عن هذا الصنف الذي يستغل علمه القليل وجهل الناس المطبق في الريف فيعيش على تحرير البلاغات المأجورة وبذر الشقاق بين الأسر والأفراد . ولكن في هذا الخطاب على أي حال وقائع تستدعي التحقيق . ولو صح ما جاء فيه من أن زوجة قمر الدولة قتلت خنقاً لخرجنا من الأمر بجناية تمخضت عن جناية . لا يهمنا الآن البحث عن صاحب الخطاب بقدر ما يهمنا التأكد من صحة الاتهام . لا بد إذن من فتح المقبرة واستخراج جثة زوجة المصاب وعرضها على الطبيب الشرعي . وقد اتجه تفكيري كله هذا الاتجاه فلم أشغل ذهني بما ورد من ريم في هذا البلاغ وما يمكن أن يلحقها من شر . ذلك أن كل شيء مترتب على نتيجة فحص الجثة . وكنت قد بادرت فأخطرت الطبيب الشرعي ببرقية ، وقلت بما يلزم من إجراءات لفتح المقبرة ، فعينت عليها الحراس يسهرون الليل بجوارها حتى لا يعث بها عاث . وأرسالت في طلب « اللجاد » وكنت قد اتصت تليفونيا بالمركز عقب قراءتي ذلك الخطاب

لأخطر الأمور ، فقبل لي إن الأمور ركب ومضى إلى اجتماع خطير معقود في المديرية برئاسة المدير وحضر إلى للفور معاون يقول :

— سمادتكم اطامت طبعاً على جرائد المساء

— أبدأ

— في البلاد أزمة وزارية

فأدركت في الحال سر اجتماع المديرية ، وعلمت أن رجال الإدارة منسد الساعة لن يكون لهم عقل ولا فكر في غير تقسم هوى الوزارة الجديدة ، حتى يمدوا أنفسهم الليل معها كما مالوا مع غيرها . وهذا الميل يبدو أكثر ما يبدو في التجهم السريع للعمد والأعيان الموالين للوزارة الآفلة ، والابتسام البديع لأنصار الوزارة المقبلة . ولم أبدأ أية ملاحظة للمعاون ، فأنا رجل قضاء لا ينبغي لي الكلام في السياسة ؛ ومهما تغيرت الوزارات والأحزاب فإن القانون هو القانون . والتفت إليه أخيراً وقلت في هدوء :  
أظن حضرتك تقوم معنا بدل الأمور  
— الظروف الحاضرة تمنعني من ترك المركز



لكن ملاحظ النقطة موجود هناك في خدمة سعادتك

فكرتته ينصرف إلى مركزه ، وأمرت بأعداد السيارة ، وجاست أنتظر الطبيب الشرعي وقد أجاب على برقيتنا بإشارة تليفونية أنه حاضر اليوم . ودخل على عبدالمقصود أفندي وأشار بيده إلى « النتيجة » المعلقة بالحائط ، وذكرني بضرورة تفتيش سجن المركز ؛ فالنيابة عليها أن تقوم بهذا التفتيش فجأة مرتين في كل شهر على الأقل . فلم ألتفت إليه وأمرته أن يذكرني فيما بعد ؛ فمضى خطوتين ثم عاد وغمز بعينه :

— فيه إشاعة أن الوزارة الجديدة تألفت وناوية أن تجري انتخابات جديدة — وما له ؟

— غرضي يعني ... قبل سجن المركز ما يزدحم ...

فلم أنبس بكلمة ، وتشاغل بتقليب أوراق القضية التي تقوم من أجلها ؛ ورأى رئيس القلم الجنائي أني لن أجيب فانصرف متردداً متباطئاً . وأدركت من هيئته أنه لم يأت من تلقاء نفسه ؛ فناديت به فرجع ، فقلت له في ابتسامة التخابث :

— كاتب ضبط المركز كلك في التليفون ؟ فأجاب للفور :

— طبعاً . ودقار السجن مسددة جاهزة ... ومحضر التفتيش مكتوب . وكل شيء تمام ، ولا باق غير إمضاء سعادتك ... والحكاية كلها قيمة ربع ساعة ونكون انتهينا من مأمورية تفتيش السجن فنظرت إليه شزراً :

— شيء جميل . تفتيش فخائي مضبوط يا عبدالمقصود أفندي ... ؟

فارتبك الرجل قليلاً ثم قال :  
— أنا غرضي ... راحة سعادتك من جهة ، وعدم إحراج المركز في الظروف الحاضرة من جهة أخرى ...  
— طيب . طيب ...

وأسرعت فأقفلت باب الموضوع . فقد سمعت نقرأ على باب حجرتي ، وأبصرت من خلفه الطبيب الشرعي بحقيبته الصغيرة يستأذن في الدخول . فنهضت في الحال وانجهمت إليه وأدخلته مرحباً . وطلبت له فنجاناً من القهوة . ثم تجاذبنا الحديث في الأحوال العامة . فأخبرني باختصار ما سبق أن علمته من عبدالمقصود أفندي من أن الوزارة الجديدة قد تسلمت فعلاً مقاليد الأمر ، وأنها تعد العدة لانتخابات جديدة . ولم نعلق على هذه الأخبار بشيء . فنكلانا بجهل ميول الآخر . وكلانا نخشى أن يظهر رأيه الدفين . وبدأنا لوقتنا الكلام في العمل وفي القضية التي بين أيدينا ، وأخبرت الطبيب بظروفها في عبارات مريضة . واستقر الرأي على المبادرة بالانتقال إلى المقبرة . فقمنا إلى السيارة وانطلقنا ولم نقف حتى بلغنا مكاناً قصياً في المزارع قد تجمعت فيه تحت ظل نخلتين أو ثلاث بضع مقابر من الطين والآجر قد علها « شواهد » طويلة سمراء كأنها رؤوس المفاريت فنزلنا . وهرع لاستقبالنا الحراس . هبوا فجأة من مراقبهم لمرآنا وخرجوا علينا ، بعضهم يهبط من أعلى « مرتبة » قد وضعت فوق المقبرة كما يوضع المودج فوق الناقة ، وبعضهم يثب من على حصير فرش بين يدي هذه المقبرة كأنهم قرود تثب من حجر أمها ؛ وسألت عن حضرة ملاحظ النقطة فأشاروا إلى الطريق الزراعي ، فرأيت فتى في ملابسه العسكرية يقبل

بجثة أخرى ما كاذ بفحصها الطبيب حتى وجدها  
هي كذلك جثة رجل . وهكذا ظل يمرض علينا  
الجثث التي وقعت عليها يده فاذا كلها لرجال . فصاح  
الاحاد مغنيظاً :

— أمال النسوان راحت فين يار جالة ؟

فقال له الطبيب في هدوء :

حضرتك بالاختصار غلطت في المقبرة

ثم نظر إلى المقبرة التي بجوارها وقال له :

— افتح دى

فذهب الاحاد بأدواته حيث أشار إليه الطبيب

بينما أنزل الحراس « متاعهم » من فوق المقبرة

الأولى وهم يتهامسون :

— بقى كننا را كين غلط !

وفتحت المقبرة الثانية . وما كاد الاحاد يزحف

إليها ويختفي فيها حتى ظهر الملاحظ عائداً وخلفه

امرأة تخفى وجهها بطرف طرحتها السوداء وترفع

عقيرتها مولولة :

— يا للى كنت منورة الحارة !

فسد الملاحظ فمها في الحال منتهراً :

— اخرمى يا ولية !

واقترب الطبيب الشرعى من المرأة وحادثها فعلم

منها أنها كانت جارة للمتوفاة وأنها حضرت جهازها

— اسمى يا ستى . الميتة كفنوها قدامك ؟

فتنهدت المرأة وقالت :

— قدامى يا سيدى ، وبقيت بعيد عنك ألطم

وأرفع بالصوت

— المهم عندنا مش اللطم ، كفنوها في كم

« درج »

— في عين المدو ثلاثة « أدراج » : درج

مرمر ودرج كزميز ودرج حرير أخضر ...

متبختراً على حصاته الأشهب . ولم تمض لحظة حتى

بدأنا العمل ؟ فأمرنا الاحاد بفتح المقبرة فأعمل في

الحال فأبسه ومموله في البناء الذى يخفى المدخل .

وسألنى الطبيب الشرعى عما إذا كنا - تدعينا أحداً

من أهل المتوفاة يستطيع أن يتعرف على الجثة وكفنها ؟

فأجبتة أنا لا نعرف للمتوفاة غير أخت قد هربت

واختفت . فافترح إيفاد الملاحظ الى القرية يحضر

لنا امرأة من الجيران ممن حضروا غسلها أو دفنها .

فقام الملاحظ للغور لما انتدب له . وأمعن الاحاد

في الدق والهدم حتى جرح صدر المقبرة جرحاً بالغا

وقام عنها وهو يقول :

— الباب من غير مؤاخذه من ورا ...

وتناول أدواته وذهب إلى الناحية الأخرى

وجعل يوسمها ضرباً وطرقاً . فصاح به الطبيب

الشرعى :

— هل هي يار رجل مقبرة توت عنخ آمون ؟

تغلط في المدخل وأنت لحاد الناحية !

— أصله يا حضرة الدكتور مضى عليها زمن

مقفولة

وضرب ضربتين انفتحت تحتها المدخل . وزحف

الرجل على يديه وقدميه إلى داخل المقبرة وخرج

يجذب شيئاً ملفوفاً في « قماش » لا لون له من القدم

تسكاد أطرافه تتفتت في أصابعه . ووضعته تحت

أنظارنا وهو يقول :

— شوفوا هي دى « بلا قافية » الحرمة ؟

فكشف الطبيب الشرعى عن تلك العظام

المنخرة ونظر فيها ثم قال للاحاد :

— ارجع بها يا حمار . دى جثة رجل

— راجل ؟

واختفى الاحاد بالجثة في قلب المقبرة وعاد فظهر



وخرج اللحد وقتئذ يجذب من داخل القبرة جثة  
فحص الطبيب كفنها وقد ذهب لونه بفعل الزمن  
إلا بقية اخضرار خفيف في أطرافه ينم عن حقيقة  
لونه الغابر ، فأمر من الفور بحمل الجثة ووضعها  
على « لوحين » من الخشب نصباً سريعاً على هيئة  
مشرحة تحت ظلال شجرة من السنط ، وطالب  
إبعاد الحاضرين فرفع الملاحظ عصاه الخيزران الرفيعة  
في يده وفرق الناس صائحاً :

— بعيد . بعيد ...

وكشف الطبيب الكفن في احتياط . وما كاد  
ذلك الهيكل العظمي المسجى يظهر للعيان حتى  
سمعت خلفي همساً وهممة ، فاستدرت فأبصرت  
سائق السيارة مختفياً خلف جذع الشجرة صاحب  
الوجه بارز العينين يشاهد هذا المنظر ولا يملك نفسه :  
— لا حول ولا قوة إلا بالله ! إنا لله وإنا  
إليه راجعون !

ولمحه الطبيب فأنهره وأمره بالابتعاد . وصحت  
أما كذلك في السائق صبيحة انصرف بعدها إلى  
سيارته وقبع فيها . غير أني تأملت قايلاً أمر هذا  
السائق ... ما الذي روعه ؟ أهو منظر المظالم في  
ذاتها ، أم فكرة الموت المثلثة فيها ، أم المصير  
الآدمي وقد رآه أمامه رأى العين ؟ ولماذا لم يعد منظر  
الجثث أو المظالم يؤثر في مثلي وفي مثل الطبيب ،  
وحتى في مثل اللحد أو الحراس هذا التأثير ؟  
يخيل إلي أن هذه الجثث والمظالم قد فقدت لدينا  
ما فيها من رموز . فهي لا تعدو في نظرنا قطع  
الأخشاب وعيدان الحطب وقوالب الطين والآجر .  
إنها أشياء تتداولها أيدينا في عملنا اليومي . لقد  
انفصل عنها ذلك « الرمز » الذي هو كل قوتها .  
نعم . وماذا يبقى من كل تلك الأشياء العظيمة المقدسة

التي لها في حياتنا البشرية كل الخطر لو نزعنا عنها  
ذلك « الرمز » أبقى منها أمام أبصارنا اللاهية غير  
المسكثرة غير جسم مادي حجر أو عظم لا يساوي  
شيئاً ولا يعنى شيئاً . ما مصير البشرية وما قيدتها  
لو ذهب عنها « الرمز » ... « الرمز » هو في ذاته  
كائن لا وجود له . هو لا شيء ، وهو مع ذلك كل  
شيء في حياتنا الآدمية . هذا « اللاشيء » الذي  
نشيد عليه حياتنا هو كل ما نملك من سمو نخشاه به  
ونمتاز على غيرنا من المخلوقات . هنا كل الفرق بين  
الحيوانات العليا والحيوانات الدنيا

وقطع الطبيب سلسلة تفكيرى بمقص طبي  
في يده ذات القفاز الجلدى الشفاف يفحص به  
المظام قائلاً :

— امرأة من غير شك

ومضى في عمله وهو يقول :

— الأضلاع سليمة ، والجمجمة : الطاسة

سليمة ، والمغزى اللامي ... وهنا نظرت إليه في  
انتباه . فالمغزى اللامي في العنق هو الدليل الناطق  
على حدوث الجريمة . فان كسره معناه أن الخلق قد  
وقع . وإن كل ما يهمنا في الحقيقة من استخراج  
الجثة والكشف عنها هو فحص المظالم اللامي ،  
والتحقق من سلامته . ولم يمهلى الطبيب حتى  
أسأله وصاح وهو يربنى هذا المظالم بين أصابعه :

— مكسور

هذه الكلمة كانت كافية لتحديد موقفى من  
الأمر . ان ما جاء في البلاغ المجهول المصدر حقيقى  
إذن . وماذا أنتظر بعد ذلك . وصحت في الطبيب :  
— انتهينا . وعزمت على العودة مسرعاً للبدء  
في تدبير ما ينبغى للوصول الى معرفة سر هذه  
القضية الجديدة ، نهى من دون ريب مفتاح الأولى

وسألته عن الخبر فأجابني انه قد صدر اليوم امر برفض العمدة الحالي وتعيين آخر مكانه من الأسرة المنافسة في القرية . ففهمنا كل شيء ، ومال على الطبيب يقول ضاحكا :

— يظهر أن تليفون الحكومة عند العمدة في مقام الصولجان

— هذا صحيح فيما أرى ، انه مظهر السلطة والحكم وأداة الاتصال بالحكومة ، وإن خاله من دار العمدة « الخلوغ » إنما هو « رمز » لروال السلطة ، وأن هذا العويل المرتفع من « دوار » العمدة القديم ، وهذا البكاء الذي يشيع به التليفون الخارج من بيته لدليل على فداحة المصيبة ؛ وهذه المصيبة ككل مصيبة لها وجهها الآخر الباسم يطل على ناحية أخرى ؛ وإن دار العمدة الجديد الذي يستقبل التليفون الداخل عليه بالزغاريد والدفوف لدليل أيضا على مبلغ السعادة والهناء . هنا « الرمز » كذلك في شكل « تليفون » من الصاب والخشب وقد لعب دوراً مهماً على مسرح هذه القرية

الوادعة

وانطلقت بنا السيارة والطبيب صامت في بعض الطريق . وأخيراً التفت إلى وقال :

— يظهر أن العمدة الجديد من محاسيب الوزارة الجديدة

فقلت له : إن هذه القرية ككل قرية اليوم في مصر بها عائلتان قويتان أو أكثر تتنافس العمدة وكل منهما ينتمي إلى حزب من الأحزاب التي تتنازع الحكم . ولماذا تريد أن يكون الحال في القرية غيره في الدولة ؟ وهل القرية إلا مصغر الدولة ؟  
( يتبع )  
نوفير الحكيم

وفريغ الطبيب الشرعي من أمر الجثة وأعادها للحداد أمامنا إلى مقرها وسد عليها كما كانت . وأنا صامت في مكاني أفكر فيمن يكون الخائق لهذه المرأة . أهو زوجها المصاب ؟ وما الذي حمله على ذلك ؟ وأختها ريم ما شأنها في الأمر ؟ أتراها تعلم بهذه الجريمة ؟ وأين ريم الآن ؟ إن وجودها اليوم في التحقيق ذو أهمية كبرى . ولكن كيف نعثر عليها ؟ إن الشيخ عصفور يعلم مقرها ، أو على الأقل يستطيع أن يماوننا في البحث عنها . إذن فلنجعل الشيخ عصفور مبدأ لخط السير الجديد . فلأقنعه أنا بوسائل بعيدة عن طرق الإدارة العنيفة . إن مثله قد يؤخذ بالحيلة والهدوء . ترى لو أفهمته مثلاً أن في إمكانه أن أزوجهما منه ... وأعجبني الفكرة وعزمت على تنفيذها . وركبنا السيارة عائدين . ومررنا في طريقنا بالقرية ، فاذا أصوات حزن وولولة نساء ترتفع من « دوار » العمدة . فقلت وأنا أقف السائق بأشارة :

— العمدة مات ؟

وأطلت من نافذة السيارة ، فاذا أنا أمام منظر لم أفهمه أول الأمر . رأيت شيخ الخفر ووكيله وبعض الخفراء يحملون شيئاً في أيديهم ومن حولهم جموع الرجال والنساء والصبيان يهتفون ويكبرون والنساء يزغردن كما يفعلن في الأفراح وفي أيديهن الدفوف يضربن عليها . وتأملت جيداً ما يحملونه وتأمل ممي الطبيب الشرعي دهشاً فرأينا آلة تليفون حكومية من طراز تليفونات المراكز . فصاح الطبيب في عجب :

— التليفون له زفة كأنها زفة عروسة  
ومر بقربنا خفير نظامي فأشرت إليه فاقترب





— لعلني أستطيع أن أساعدك

— لكي تفعل لا بد أن تحي الموتى أو تقذف بي لاهيم ... (لورد بيرون)

القصر ، فأمرني أن أسهر على صغيرة ، وأن أخصمها  
بالعناية ، وأن أرفق بها ... وبدأ على الغرور حين  
ترأى لي أنني أصبحت أما ، وهذه دورثيا ابنتي  
وأختي في وقت معاً . إنني أحبها ... أحبها وأعطف  
عليها ، وأطرب حين أراها  
في جمالها ورقتها وطفولتها  
تثب هنا وههنا

وشاء أبي ألا نسبح  
مقاطعة روكسلي في هذه  
السن الباكورة ؛ غير أنه  
استطاع زيارته المتتالية أن  
يرى عن كثب ما نحن فيه  
من هناة وسرور ، ومن  
تآلف ووافق . لقد اطمأن  
إلى ما رأى فزادت ثقته بي  
وسرته ما أحبواختي دورثيا

من عطف وحنان ، فأقامني عليها حارساً أميناً دون  
مريبتنا المعجوز مسز شيرلي التي بذرت في نفسي  
غراس الكبرياء والغطرسة حين أدخات في روعي  
أنني الكبيرة ، وأنني التي سأرث هذا الملك  
الكبير من بعد ... ثم هي تتعلمني في خضوع ،  
وترضاني في ذلة



أنحدرت من أصل انجليزي عريق في المجد ،  
ونشأت كما ينشأ أبناء الأشراف لا يسمعون إلا  
كلمات المديح وعبارات التلقين ؛ فشببت معي  
كبريائي ، وراحت تمن عن نفسها في حركاتي ،

وفي ربات مسوتي ، وفي  
نظراتي ، وفي ... غير أن  
كل هذا قد استحال في  
نفسي إلى نوع من اليأس  
والقنوط منذ هبطنا هذه  
البقعة الخالية النائية ، ومنذ  
بدت الحياة في عيني جدياً  
مقفرة

وماتت أمي عن طفلة في  
العاشرة ، وعن أختي دورثيا  
في الثالثة ، وهي ما تزال تبسم  
للحياة في سداجة ورقة ...

وماتت لنكون بين يدي أبي اللورد هيربرت أوف  
روكسلي ... لقد كان شقيقاً رحماً غير أنه ما كان  
ليستقر إلى جانبنا ليرعانا ويتولى أمرنا ؛ فهو سياسي  
ضليع ، وقف إلى جانب الملك جيمس الثاني ودافع  
عن مبادئه ؛ وهو يدق قوة فعالة في البلاط ... وأراد  
أبي أن يتطلق إلى حياته في المدينة وإلى عمله في

لست أذكر كيف تعرفت إلى السير وطوت  
ورسلي ولا متى ... لقد جذبني إليه ما رأيت فيه  
من وداعة وهدوء ، وما سمعت من حديثه وقد نخلت  
من كلمات التصنع والخداع . لقد علقته واطمأننت  
إليه ، غير أنه ما لبث أن غادر القصر ليكون مدير  
أملاك الملكة . وحين انطلق إلى عمله تواعدنا على أن  
نتلاقى في حفلات القصر وهي كثيرة . لقد نأى ..  
نأى وألسنة الثناء والمدح ما تبرح تطن في أذني  
طينناً لا يكاد يباغ شغاف قلبي ، ولا يستطيع أن  
يحوله عن هذا الرجل . وتكاد دنتي أول عقبة في  
حياتي حين بدالى أنني قد عقلت هذا الرجل ولا  
أدرى ماذا يحمل لي قلبه ؛ وأنا فتاة لا أعتد بأن  
يطمع في أن يغلبني ، ولكن أملتي ثمين غال . ورحلت  
أنشر شباهي في خفاء وتستر خشية أن تشعر هذه  
القلوب التي طعننها بالكبرياء وآلمتها بالتأني ، وأنا  
أراها تنقصني في غير ملل ولا فتور لتجد ثغرة  
تنفذ منها إلى ما يسوءني ، وكلمة اللورد لوفيل  
تستجثني إلى أمر ...

لقد كانت رنات صوت السير ورسلي موسيقية  
شجية جذابة تركت في نفسي أثراً لا يمحو .  
والحق أنت قلبي قد خفق له مراراً ومرات ،  
وأحسست كأن حبي له يتدفق في قلبي عاصفاً قويا ،  
ولكنه هو ... ماذا رأى في ؟

وأخذ الشك يضطرم في قلبي ... قلبي المتلهف  
المشتاق ، والأمل الحلو يخفف بهض ما أقاسي .  
لم يقل لي مرة إنه يحبني ، ولكنه كان لا يطعمني إلى  
سواي ، ولا يرافق غيري ، ولا يرقص إلا معي ؛  
وفي ليالي الصيف الصافية يطلب هو إلى أن ننطلق  
معا إلى شاطئ نهر التاميز لنفرد من جلبة القصر  
وضوضائه ، فأسير الهويني إلى جانبه في هدأة الليل

وكانت دورثيا - باديء ذي بدء - جبانة  
ضعيفة ضاوية ، تشكم في هدوء وتضطرب في  
سيرها ؛ ثم هي لا تستطيع أن تكفكف عبراتها  
المتدفقة إذا هي أحست الشدة أو لمست القسوة ؛ غير  
أن ابتسامتها البذبة ما كانت لتفارق ثغرها الخلو ؛  
وحين تداعب النسبات الرفيعة شعرها الذهبي  
السبط ، يتألق من بين ثناياه وجهه وضاح كأنه طلعة  
البدر في الليلة الصافية ، ويكشف عن عيني  
جذابتين تنبعث منهما أشعة آمرة . حقاً ، لقد  
كانت دورثيا جميلة فائقة جذابة كأنها حوراء

وأرادني أبي - وأنا في الثامنة عشرة - على  
أن أبدو بين فتيات البلاط على رغم ما كان فيه من  
اضطراب وتقلقل ؛ فجذبني من وحدتي في روكلي  
إلى هوايت هول المائجة الساطعة المتألقة . لم تنزل  
قدمي ، ولم يسيطر على الخور والضعف لما رأيت  
في القصر ، فلقد كان في قلبي من الغرور ما خيل إلى  
أنني فتاة القصر جمالاً وجاذبية ورقة حديث ...

والتفت حولي جماعة يتقربون إلى وينثرون على  
مسمي عبارات المدح والاطراء ، وكأنهم رأوا في  
ما رأيت في نفسي من قبل ؛ غير أنني كنت أستثقل  
ظلمهم وأحدهم بنظرات فيها الازدراء والاحتقار  
وأتمنع عليهم في جفاء ... وجمعت ترفعتي أنا - أنا  
الآنسة ميراندا هيربرت - إلى أعلى فأصبح حديث  
المجالس ، ومادة الصحف ، ومنية القلوب ، وبهجة  
القصر ، وقذى في عيون النساء ؛ وصرت معبودة  
يسجد عند قدمي المحب الذي أبغضه وأمقته وأتوى  
عليه ؛ حتى أن اللورد (لوفيل) قال لي في غضب وقد  
دفعته عني في جفاء وغلظة : « ميراندا ، إن هذا  
الاحتقار الذي تنثرينه الآن هنا وهناك سيثبتك منك  
بعد حين ! » فابتسمت ابتسامة السخرية لما سمعت

\*\*\*



وسكونه ، أنصت إلى حديثه العذب وكلماته تنطق  
عن بعض ما يستشعر من لذة وسعادة

وشغلت أبي أمور القصر فما استطاع أن يفتح  
عينيه على ما يتنازعني من هوى ، فهو ما يفتأ يحدث  
السير ورسلي عن دعائس يحكيها جماعة البروتستنت  
لتمصيف بالملك جيمس ، أو عن بعض ما تنثره  
الملكة حواشيها من مقت وكراهية . أما أنا فقد  
سيطرت على العاطفة فسلبتني مما يدور حولي ،  
وعزب عني أنني سأكون ضحية حين يهب الأعصار  
فيلف كل أتباع الملك وأحبائه

وتردد أبي حيناً في أن يتبع سيده إلى منفاه ،  
ثم انطلق على أثره ، وكنس طروباً ومرحة حين  
خيل إلى أنني سأرافق أبي والسير ورسلي إلى  
سانت جرمان ، ولكن أبي أرادني على أن أرتد  
إلى روكسلي لأقوم على ابنته دورثيا

رجعت لأرى دورثيا ما تزال في ثياب الطفولة  
ومرحها . ولأستشعر في نفسي شيئاً غير الذي كان  
قلبي يخفق ، وخواطري تضطرب ، وأنا كأنا عصا  
ساحر لمستني لترك في أحسن ما في المرأة وتنزع  
عني بعض ما كان من كبريائي وغطرستي ، وتحيل  
نظراتي وكلماتي وحركاتي إلى أشياء أخرى منها الرقة  
والظرف . يا عجباً ! لقد أحبيت ... أحبيت بقلب  
فيه التواضع والانسانية والشك في وقت مما

ليته نشر على عيني بعض ما في قلبه إن خيراً  
وإن شراً ، فأعيش بالأمل الحلو أو باليأس القاتل !  
ليته نزع عني الاضطراب والقلق بكلمات لا إنه  
لا يحبني ، وإنما كان يحبوني الصداقة والمطف  
فحسب ! سينساني أو لعله نسيني ، فهذه الأيام تمر  
ولم أظفر منه بخطاب يحدثني حديث قلبه . ها هي  
ذى الأيام تمر وصوته العذب ما يزال يرن في مسمعي

وشخصه الجميل ما يبرج بضطرب في خيالي .  
إنني أحبه ... لقد امتهنت نفسي حين  
أحبيت من لا يحبني ... امتهنت نفسي ، غير أنني  
ما أزال أحبه

أين من أستطيع أن أفض أمامه أغلاق قلبي ؟  
إن مريبتنا عجوز ثائرة لا تكلم سرّاً ؛ ودورثيا  
ما تزال طفلة لا تفهم نجواي ، وأنا لا أريد أن  
أجعل لها في طفولتها مشغلة بذكر الحب ...

\*\*\*

وتصرمت أعوام وأعوام وأبي ما يزال في منفاه ،  
وأنا أجهد نفسي في المحافظة على ماله ، وفي السهر  
على أختي دورثيا ؛ وشبابي يزوي رويدا رويدا ،  
وجالي يخبو قليلاً قليلاً ؛ وأنا في شغل عن ذلك بما  
في قلبي من حب للسير ورسلي ، وبما آخذ به نفسي  
من عادات وطبائع رضيها هو واطمأن إليها

ولبثنا زماناً في روكسلي لا نبرحها ؛ غير أن أحد  
أقارب أمي هياً لنا فرصة ، فاستطعت أن أرافقه أنا  
وأختي إلى لندن ، ثم راح هو يصحبها إلى هناك  
الفينة بعد الفينة ، لأعيش وحدي زمناً أحدث  
نفسى حديث الأمل في الرجل الذي أحبيت

وبينا أنا أجلس إلى نفسي في ليلة من ليالي  
الربيع ، رأيت رجلاً غريباً يدلغ إلى الحديقة ،  
فنظرت ... نظرت فإذا ورسلي ... ورسلي - نفسه  
إلى جانبي ، فراح قلبي يدق دقات عنيفة كأنه يريد  
أن يوقظ ما نام فيه . لقد جاء ... جاء وفي يده  
خطاب من أبي إلى مسز شيرلي يقول فيه « وأرجو  
أن ينال السير ورسلي كل ما يصبو إليه من العناية  
والاحترام بينكم لأنه ليس ضيفي فحسب ، بل هو  
سيصبح - بعد حين - زوج إحدى ابنتي .. »  
ما أسعدني ، ما أسعدني ! هذا خطاب أبي ، وهذا

ووجدت عذراً ، فانطلقت الى حجرتي ...  
الى سراي ، وقلبي يتنزي حقدًا وألمًا ، وبلى ،  
وبلى ! هذه أول مرة أرى فيها حقيقة أمرى ؛ لقد  
رأيت ، والاضطراب يكاد يعصف بى ، والهلم يوشك  
أن يفتك بقلبي ؛ رأيت أن الأيام والأسى قد مسحوا  
كثيراً من جمالى وجاذبتى ؛ وارتد تاريخى يحمل  
فى أضمافه عبرات وعبرات سكبتها فى سبيله هو ...  
أيام كنا مفترقين ، ورأيت شفتى وقد نزع عنهما  
طول انتظارهما للشفتين الآخرين ما كان عليهما من  
رونق ومن حمرة . وتبلبلت ، وسمعت صوتاً كأنه  
منبعث من أعماق الغيب يقول : « سيطلبك  
يا ميراندا ... إنه سيطلبك ! » ولكن كيف ... ؟  
وأنا لا أستطيع أن أسترد أيام الشباب وبهجة  
الجمال ! ليت ... ليت الأيام التى سلبتني ما سلبت  
من جمال تسلبني من حياتي فأستريح ... لقد  
كادت الأفكار المضطربة تقتلني ، غير أن ورسلى  
ودورثيا انتزعاني مما كنت فيه

وبدا لى أن ورسلى راح يباعد بينه وبينى ليصل  
بينه وبين التى أحب ، فلمست الفتور فى حديثه ،  
وفى نظراته ، وفى ... ورأيت أملى الذهبى يتلاشى  
رويداً رويداً ؛ فهو يتحدثها فى رقة وشغف ؛ وهو  
ينظر إليها فى تفتت وانكسار . وتراى إلى أن  
دورثيا تبادله حباً بحب وغراماً بغرام ، فأحسست  
الصفمة القاضية تقضض عظامى ، ثم لا ترسانى  
إلا واهنة يائسة . وما كان لى أن أحذرهما ، أو أن  
أتهمهما بالخيانة . وكيف ... كيف أفعل وهى توقن  
بأنه حبيبها وأنا لم أكشف لها عما يضطرب فى قلبى  
لا ، لا ... لن أفعل . سألقى بنفسى فى قرار الخيبة  
والياس ، وأدفن فى قلبى أملاً كان ثم انطوى ليسعدا

خطيبى وحبيبى الى جانبي ! أى سعادة ! وأى هناءة !  
لقد محت هذه الساعة الجميلة سيئات الماضى ،  
ومسحت سنوات كثيرة انصب على فيها اليأس  
والألم انصباباً

ورأى السير ورسلى ما رسمته الأيام على صفحة  
وجهي ، فراعته ما رأى ، وخيل إلى أنه يلحظني  
بشيء من العطف والشفقة والأسف حين بدا له  
أنه هو سر هذا التغير . لقد نزع عنى أفكارى  
المضطربة ، وخواطرى المتضاربة رويداً رويداً ،  
وكنيت أجلس اليه فى كن فى حدائق روكسلى  
أستمع الى حديثه عن المنفى و . . . ويستمع هو الى  
حديثي عن عملي فى روكسلى ، وعن رأى فى  
تنشئة أختى دورثيا تنشئة طيبة ، ثم عن رغبتى الملحة  
فى رؤية أبى ، وهو يعرف أنه سيمود قريباً

وجلست إليه مرة فى الردهة ، وقد نشر  
الليل علينا سجفه ، وأرسل الصيف نسائمه الرقيقة  
تبعث فى نفوسنا النشاط واللذة ؛ جلست إليه  
يحدثني وأحدثه ، وأبسم له ويبسم لى ، وبين يدي  
عود رحت أداعبه فتنبعث منه أنات قلبي العاشق  
وسيطرت علينا النشوة فما جذبنا منها إلا دورثيا  
حين اندفعت إلينا - وقد هزها الطرب - وهى  
ترسل صوتها الشجي بأغنية كنت قد علمتها إياها  
وقد تجلت مفاتها واضحة خلاصة آسرة ... وبدت  
على وجه ورسلى سمات الدهشة والسرور ، وطربت  
- بادى الأمر - لما رأيت ؛ ثم رأيت وقد تعلق  
بها بصره فما يطرف ولا يتحول ، وفى نظره أثر  
الهوى والرغبة ، وتراى لى كأن هوة سحيفة تنفجر  
تحت قدمي ؛ وبدأ لى مستقبلي مسطوراً بحروف  
من نار



مما .. ولكن كيف ؟ لا أستطيع أن أفعل ...  
وتنازعني عوامل جديدة وسوس بها الشيطان ليدفع  
قلبي - وقد استقر فيه الألم والأسى - يدفعه  
ليصنع بجاذبة مروعة ...

.. واستطاع ورسلى أن يرى ما يصطارع في نفس  
فطار من .. روكلى ... طار في صغار وضعة ،  
لأستشعر لذع الخيبة ومراة اليأس . لقد كنت  
أستطيع أن آخذ نفسى بالصبر ؛ وأن أرغمها على  
النسيان لو أنه ظل الى جانب دورثيا يرعاها ويحفظها ،  
غير أنه ألقى بها الى ليمطينى فرصة الانتقام ... طار  
وما ظننت أنه انطلق لينشر قلبه على عيني أبي  
بعد إذ حدثها حديث الزواج ، وما كان حديثه  
عبيثا . لقد قصت على قصنها في سداجة وصراحة  
وسلامة قلب ، ثم قالت إنه حبيبها ورجلها وخطيبها ،  
يا لله ! لقد كانت قصتها كية على قلبي أفزعته لتبذر  
فيه روح الشر والحسد

وجاءت إليها صكوك الهوى من خطابات وصور  
وهدايا ... جاءت لتنفث في الحقد فيجور ألما  
وحسرة . لقد انطبع في ذهني كل ما قرأت وما  
رأيت ... انطبع في ذهني ليتسمر في قلبي وأمام  
عيني شبابي الضائع وجمالى الداوى ، فشاع الظلام  
في نفسى ورائت على نفسى عوامل لا أدرى ما هى ،  
غير أنى لست الشر فى أضعافها ، فرحت أدعو الله  
أن ينقذنى ... وشاء القدر أن أغتمر فى هذه الحماة  
فثارت فى نزوات البشرية الشريرة ، فانطلقت الى  
أختى أقسو عليها ، وأغلظ لها فى القول ، وأضربها  
لغير ما سبب ، وأحبسها فى حجرة مظلمة وهى  
ما اقترفت ذنبا ؛ وأمعنت فى إيذائها لأشعرها  
بعض ما أقاسى فى سبيله ... فى سبيله هو

يا لشقاوتى ؟ ويا لتعسّى ! لقد أصخت إلى نداء  
شيطانى فتخطيت إنسانيتى ، وبلغت المدى فى  
القسوة والفظاعة حين أوثقت يديها وقيدت رجلها  
ووقفت بازائها أحدهما بنظرات فيها التشقى  
والانتقام ... ولكن صوتا أحش فيه القسوة  
والغضب نادانى من خلفى . إنه هو ... هو صوت  
أبى ؛ والتفت مذعورة ، فإذا هو ... هو أبى على  
قيد خطوة منى

لقد غاظه ما رأى فهدم على بكاءات للذاعة  
مريرة ، وهو يقول : لماذا ، لماذا ؟ وبدأت عليه  
الشفقة فتناثرت عبراته وهو يستل خنجره ليقطع  
الحبل ، وأختى المسكينة تضطرب وتجهش .  
وبدالى - بعد إذ فقدت حنان أبى وعطفه -  
أننى أصبحت وحيدة لا أجد من يشفق على ،  
فيئست مرة أخرى . وراح الشيطان يرفه عني ،  
وينفث فى لساني عبارات فيها الشر والدم ...  
وأرسلها على لساني وأنا هادئة كأني لا أفعل أمرا  
إذا فقلت :

« لقد لبست دورثيا ثياب العار والحق حين  
انطلقت تبادل ورسلى غراما دينيا وخبا فاحشا »  
لقد تار أبى لما سمع ... تار كأنه السبع يهاك  
القرم وعلى خطوتين منه فريسته ، وغلى فى دمه  
شرف أجيال عدة لم يثلم ولم يندس ، وفى يده خنجره  
يضطرب ... لقد قذف به ... قذف بالخنجر فى  
قلب أختى ... أختى دورثيا البريئة ! وتفجر الدم  
من قلبها الطاهر ومن كل نقطة منه تتصاعد اللعنات  
فلا تنصب إلا على رأسى

وبلى ، وبلى ! لقد جنيت ، ولكن ماذا  
أفدت ؟ ماذا أفدت ؟

لأمم محمود صبيب



ربقة الأمر وتمذيب الجنود  
أما الأسيرة فقد تضعض جلودها حين سبقت  
إلى المحاكمة ، وكانت تعلم أنها محاكمة صورية  
سيعقبها حتما الحكم بالاعدام . . .  
وجيء بها في أمهالها نصف عارية ، وأخذت  
تنظر في شيء من الحيرة والذهول الى المقاعد  
الوثيرة المنتشرة هنا وهناك ؛ ولفحها دفيء الموقد ،  
فاندفع الدم حارا في جسدها فبدت عذراء الصين في  
نوبها البالي كدمية لأمر فنان

\*\*\*

كان الجنرال شو كسل ياباني يقدس وطنه  
ويعبد امبراطوره ، ولذلك كبح جماح عاطفته لما اهتز  
كبانها لمرأى الفتاة وحول نظره عنها ، فرجع به  
النظر كأن جمالها لا ينتهي فذا ينتهي الإعجاب بها .  
وسألها في خشونة عن علة وجودها في ساحة القتال  
وتكلمت تسى نانا فكانت كلماتها الموسيقية  
تستقر في قلبه ، قالت إنها كانت الى جانب شقيق  
لها تخفف عنه وبيلات الحرب . . .  
وطغت على رأس الجنرال شنج شو أفسى قواد  
اليابان وأصلبهم عودا زوبعة نفسية هائلة ، وعجب  
لنفسه إذ توقظ فيه فتاة الصين عاطفة الحب الذي

المدافع تصم الأذان في جنوب منشوريا ،  
وجنود اليابان تكتسح الأراضي الصينية بقيادة  
الجنرال الشاب شنج شو ، وزحف الظلام وهذا  
الليل إلا من أصوات بضعة مدافع كانت ترسل  
قذائفها بين الحين والحين . وأوى الجنرال شو إلى  
مخدعه يسترق إغفاءة الفجر ، وفي الصباح دخل  
إليه مستشاره الملازم تسنخ ، قال :

— كثر عدد الأسرى الصينيين يا سيدي  
الجنرال ، وقتل المؤن فأضحى حالهم يفتت الأكباد  
وتحرك الجنرال الشاب في مقعده قليلا ونظر  
إلى نافذة تطل على الميدان وارتسمت على وجهه  
علامات الشفاق لما رأى فعل العرى والجوع  
بأسراه ، وأخذت أصابعه تبحث في شاربه الصغير  
بحركة آلية ، وقال بهدوء :

— اقتلوهم جميعاً رمياً بالرصاص  
— نسيت أن أقول إن بينهم فتاة وجدت  
بالخنادق الصينية أمس عند استيلائنا عليها ، وكانت  
قائدة الوعي من شظية قنبلة أصابت ساقها

— أجاوسة هي ؟  
— أظن ذلك  
ووقف الأسرى يرحلون بالوت ينتشلهم من



ومرت أيام كان كلما جن الليل جلس إليها ساعة  
يحدثها في كل شيء إلا غرامه

\*\*\*

ما كانت نانا تشمر بالحب للجنرال ...  
وإذ أحست بالقلق ذات ليلة لغيابه عجبت  
لنفسها من أمرها ومرت ساعات وهي ترقب وقع  
أقدامه وسهدت حتى مضى أكثر الليل وتخيأت  
نظراته الطافحة حباً وعطفه الجميل ، فأحست بقلوبها  
التائر يلتف بخياله ويعترف بوليه ...

ومضى النهار أقبح من ليل داج مخيف  
وأغارت أسراب الطيارات الصينية على القلعة  
تحاول نسفها

وجزعت نانا إذ تموت قبلما ترى الرجل الذي  
توهجت للقاءه ، وتساقطت القنابل على القلعة كالطار  
النهمر حتى إذا انتهت الغارة دخل عليها ضابطان  
من سلاح الطيران الياباني وخرجا بها إلى طائرة في  
سفح الجبل وفي دقائق كانت الطائرة تنهب بهم الجو  
إلى الميدان الشمالي لتدلى نانا بشهادتها في قضية اتهام  
الجنرال شنج شو بالخيانة المظلمة

ودخلت نانا إلى المكان الذي يحاكم فيه الجنرال  
وتقطعت أوصالها لما رأت نحوه وشحوبه والتقت  
عينها ، فرأت صدره يعلو ويهبط . ها هي عيناه  
تبسمان لها

من لها بكلمة عطف يلفظها فه ليرتوي بها  
قلوبها الظامى ؟

وقطع عليها خيالاتها دخول أعضاء المجلس  
المسكرى ونظرت الى رئيسه الأشيب وقد بدت  
في قسبات وجهه دلائل الغلظة والهدوء

وطلب الرئيس من الجنرال أن يقسم بشرفه  
المسكرى ليقولن الحق فأقسم

لم يشعر به من قبل . . . وعبثا حاول أن يستجمع  
شئات حواسه ، وراعه بريق عينيها الجليتين ترقبان  
ما ستفجر عنه شفتاه

كان يرى في إعدامها فناءه ، وفي الابقاء عليها  
خيانة لوطنه وأمبراطوره

وكان يابانيا ... فأنكر عاطفته ونطق بالاعدام

\*\*\*

وسيقت تسبي نانا إلى قبو قلعة مجاورة في انتظار  
تنفيذ الحكم

ودخل الجنرال الشاب حجراته محطم القلب  
ممزق الأحشاء وما انتصف الليل حتى شعر بشوق  
إليها كالجنون ..

ولم يعبأ بدهشة جنوده وحراسها لما قام يدفعه  
قلبه إلى قانتته

وذعرت الفتاة لمرآه ولكن روحه قفزت إلى  
عينيها تنطقان بغرامه العاصف فاطمأنت إليه ...  
ونظر إلى قانتته العزيزة تعبت الكآبة بنضرة  
شبابها وإلى جفنها الرطب كأنما علق به أثر من دمع  
ووقف أمامها وقد تضائل الوجود في نظره  
فأصبحت هي كل شيء فيه . واستقر بريق عينيها  
في أعماق قلبه نارا فجلس إلى جانبها يحترق ...

قالت :

— التنفيذ الحكم جئت ؟

— أجلته أياماً

— إذا تريد تعذبي ؟

وعز عليه وهو القائد الظافر أن يعترف لها  
بهزيمته ، وفتك أنوثتها برجولته ، فقال :

— ذلك ما تستدعيه الظروف

وخشى غدر عاطفته أن تضطره إلى الاعتراف  
فقام يقتلع ساقيه اقتلاعاً

قال الرئيس :

— ترمى إلى القيادة العليا نبأ حكمك بالاعدام على الجاسوسة الصينية تسي نانا ... أفعلت ؟

— نعم

— فإذا ما جن الليل ذهبت إليها ؟

— نعم

وأجلت تنفيذ الحكم باعدامها ؟

— نعم

— أذلك لأنها شففتك حباً ؟

وهنا اختلج قلب الجنرال ونظر إلى نانا فإذا

بوجهها أبيض كالثلج وتتم :

— نعم أحبتها

أحببتها ... !!

وحلت هذه الكلمة سعادة الدنيا ودخلت

إلى صدر نانا ، ونظرت إلى رجلها يعترف بحبها

فأشرق وجهها وابتسمت له

وتداول الرئيس مع الأعضاء في صوت خافت

وانتصب في مجلسه ونطق بالحكم

\*\*\*

وتلقى الجنرال حكم إعدامه مع نانا بهدوء بال

ورباطة جاش ... وتأوهت نانا وسكنت كأنما على

رأسها الطير

\*\*\*

استولى الجنود اليابانيون على منشوريا فأمر

الامبراطور بتسريح الأسرى والعفو الشامل عن

جميع المحكوم عليهم ، وأسرع أحد الفرسان إلى

الميدان برسالة الامبراطور لينقذ حياة الجنرال ونانا

والطريق طويل صخري ، والفارس ينهب

الأرض بجواده وقد بقى على موعد إعدامهما نصف

ساعة . ومضت عشرون دقيقة كان قد نال الجواد

الاهياء ، فيئس الفارس من إمكان الوصول ، ولكن

الأمل عاوده فاستحث الجواد

ها قد لاحت له خيام المعسكر كمنقطة بيضاء

تحت الأفق . ولم يبق سوى خمس دقائق ...

ووقفت نانا تنظر إلى فوهات عشر بنادق

تصوب إلى صدر حبيبها . فأظلمت في عينها الدنيا

وشمرت بقلها ينصدع ...

ودوى الرصاص فسقط الجنرال وسقطت معه

شعاب قلبها ...

وصوبت إليها الفوهات بدورها ونادى رئيس

القوة :

واحد

اثنان

وإذا بالفارس يصرخ ويسقط من على ظهر

جواده اللاهث أمام الرئيس وييده الرسالة ، فتناولها

منه ونظر إليها وإلى جثة الجنرال ، فازدحمت في

عينه الدموع ودفع الرسالة إلى نانا

وهوت نانا على جثة رجلها تشبعها لثما وتقبيلا

فأبعدا عنها الجنود برفق فنظرت نانا إلى السماء

وقالت :

— رب لم حكمت على بالحياة ؟

محمد محمد مصطفى

أمين بلوك الضباط بمدرسة البوليس

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثن ١٢ قرشا





الحقيرة حيث تطرح على سريريه آملاً زيارة طيف  
الحبيبة في منامه

وعاد الفتى في المساء التالي الى مكان الملتقى ، وبات  
ينتظر موافاة الحبيبة فأخفقت آماله ؛ وعاود الكرة  
مراراً فما رأى في جنة غرامه غير أزهارها ، وما  
نشق غير عبيرها . ومرت الليالي فتيقن العاشق أن  
سره قد افترضح ، وتأكّد أن الحبيبة قد غادرت الدير  
وعبثاً فتش عنها فما عثر لها على أثر

— ٢ —

ومرت على العاشق أيام ساعاتها أعوام ، وهو  
يشغل نفسه بالتمثيل على المسارح وفي قلبه غصص  
من تذكارات الفتاة المجهولة

وفي ذات ليلة كان فلوريدور يقوم بتمثيل دور  
مؤثر فحانت منه النفاة الى مقاعد الطبقة العالية ،  
فرأى حبيبتيه شاخصة اليه وقد ارتسم الحزن العميق  
على ملامحها وتساقطت من عينيها الدموع . وقف  
الممثل مشدوهاً الى أن سمع منه صوت الملقن الذي  
حسب أنه نسي دوره ، فماد الى التمثيل بالهجة  
ملأها الحب روعة وهو يتبع على ملامح من يهوى  
تأثير إلقاءه وإيمانه . وما انتهى من التمثيل حتى  
هرع الى غرفته مغيراً أثوابه واندفع الى مدخل  
المسرح لعله يرى خالته ليه . فلم يوفق الى لقاءها ؛  
وتكررت هذه الحادثة والممثل يحاول عبثاً مقابلة

— أحبك حباً ملأ جوانب نفسي وملك على

مشاعري

— لقد وهبتك قاي غريبوناً لحب لا انتهاء له

— أحق ما تقولين ، أم هذا صدى غرامي

تردده الأوهام ؟

— يشهد هذا البدر النير ، وهذا الروض

النضير ، ويشهد مبدعهما أنني لا أحب سواك ،

ولا أقف حياتي إلا عليك

وسمع من بعد وقع أقدام قدعرا العاشقان

وتواعدا الى الغد ؛ وتساق الشاب جدران الحديقة

العالية وتوارى مبتعداً في الشارع وهو يناجي نفسه

قائلاً : من تكون يا ترى هذه الفتاة التي تقف

حياتها على ، وما أنا إلا ممثل على المسارح

العمومية ؟ إن كل ما يتجلى لي فيها ينم عن محتد

رفيع وثقافة عالية . لقد أرادت أن تخفي اسمها عني

فقلت : مادمت في مدرسة الدير تلميذة أتأقن العلم فما أنا

إلا أسيرة لأملك نفسي ، فاقنع بما أعلنته لك من

حبي الآن الى أن أبرح هذا المكان فأطلمك على

الحقيقة وأسلمك يدي أمام الله والناس

وكان الفتى فلوريدور يستعيد ذكرى اليوم الذي

رأى فيه لأول مرة هذه الغادة الفاتنة تطل من

نافذة الدير وترسل إليه نظرة أوقدت جذوة الغرام

في قلبه . وتابع السير حتى وصل الى غرفته

أصرح : إن الممثل الذي امتلك فؤاد وحيدتي هو أنت ، أيها السيد فلوريدور وصمق الممثل وهتف قائلاً - أنا ؟

- عفواً ، إن في هذا التصريح ما يس عزة نفسك ، ولكنني ألتجأ إليك فلا تخيب أمل ، فانك على ما أرى لا تعرف ابنتي وما اجتمعت بها ؛ فإذا ما تقدمت إليك بطلب ظاهره مستغرب يؤدي إلى إلزامك بتوضيح فان بصمب الأمر عليك ، وعليه يتوقف الابقاء على شرف اسمي وحياة وحيدتي وهي تعلم أنها لا تريد أن تقترن بفيرك

- وما هي هذه التوضيح ؟

- إنك قادر على اقتلاع جرائم حبك من قلبها - وبأية طريقة أقتلع ما تسويه جرائم حبتي ؟ - أصغ الى ... إن وحيدتي لم ترك إلا عن بعد وأنت على المسرح مرتد أثواب الأبطال تنشد أجل الأسماء ، فن السهل عليك أن تبدد أوهامها إذا أنت رضيت بالظهور إليها في مظهر الرجل العادي ، بل الرجل المتهتك السكر البعيد عن كل تهذيب وثقافة ، فتتأكد عندئذ أنها عاشقت ثوباً ، وأعجبت بما ليس منك بل من أقوال الشعراء . إن ما أكلفك به هو الظهور بهذا المظهر ففتحترك وتشفى من دائها المقام ؛ وهل من قاتل للحب غير الاحتقار ؟

استغرق فلوريدور في التفكير . لو كان ما يعتقد الدوق صحيحاً من أنه لم يجتمع بالفتاة وما عرفها ، لكان هنالك واجب يسهل القيام به ، ولكن أنى للقلب الذي ضم المحبوب إليه أن يستسهل انسلاخه عنه . ولاحت الفتاة الشريفة الرفيعة المختد لخيال الممثل واقفة من حبه على شفا جرف تكاد تنزلق عليه هازئة بقاب أبيها واعتقادات من تنتمي اليهم . وطال تفكيره وهو يقابل بين شخصيتها

الفتاة عند نهاية عمله ، الى أن دخل عليه يوماً وهو في لجج من الأحزان شيخ مهيب تدل أثوابه على أنه من علية القوم ، فاستقبله الممثل مستغرباً هذه الزيارة ، ولكن الشيخ مديده مصافحاً وقال : عفواً أيها السيد ؛ إنني أتيتك ولا معرفة بيننا ، ولكن من الأمور ما يجيز تجاوز المألوف ؛ ولدي مسألة هامة يتوقف عليها شرفي وسعادتي . أنا نبيل وأنت من كرام الناس فسوف أتناول الموضوع بلا توطئة

- تكلم يا سيدي ، فأنا مصغ

- هب أنك أمير ولك ابنة جميلة في ريمان الصبا وهي وارثة اسمك الوحيدة ، وقد وجدت لها عريساً من أعظم الدولة تحسده الملوك على أمجاده فلم تقبل ابنتك ما أعدته لها من سعادة فماذا تفعل ؟ - أترك لها الحرية ، وأجتهد أن أكتشف سر قلبها ، إذ لعلمها وهبت قلبها لمن أمتلكها حبه فلا تستطيع مقاومة قضاء الله فيها

- وإذا عرفت أنها عاشقة ؟

- أطاوعها في إرادتها وأساعدتها على الاقتران بمن تهوى ، فليس بغير الحب من سعادة على الأرض - وإذا كان ما تشير به يفوت الامكان ؟ - ولماذا ؟

- لأن الفتاة التي أتكلم عنها هي وحيدة الدوق بارسلان أحد نبلاء القصر ، وهذا الدوق واقف أمامك الآن ، ولأن الذي تهواه ابنتي رجل شريف ولا ريب ، ولكنه ممثّل ...

- فهمت يا مولاي . إن في تنازل ابنة الدوق بارسلان إلى عشق من هو دونها نسباً لعاراً تأباه الطبقة المميزة بالألقاب ، ولكن ما تعني بهذا الكلام ؟

- إذا كان الأمر لم يتضح لديك ، فهأنذا



من جبل لا قبل له يبلوغه ، وتذكر وعده للأب  
الشيخ المتوسل الضعيف . فمالك عواطفه وفيها  
ثورة وسمير

وجلس فلوريدور الى المائدة بين الدوق وحيبيته ؛  
فلما قدم الخدم أول لون من الطعام كان قد  
ملاً كأسه وأفرغها في جوفه دفعة واحدة ، ثم  
ألقها بكأس وكأس ؛ ثم أخذ يمثل دوره متكلاً  
بلهجة عوام الناس منتخباً ألفاظه السمجة ؛ ومامرت  
نصف ساعة حتى كان فلوريدور يحملك بعينيه  
ويقسم ويلعن متدحرجاً تحت المائدة وقد سحب  
غطاءها معه فتدحرجت الأواني تتحطم بفرقة  
أخفت الزفرات التي كانت تندفع من فم شهيد  
المروءة بالرغم عنه

ونهضت ابنة الدوق بإشارة من أبيها وقد علا  
وجهها اصفرار الموت ، فتقدم الدوق الى الفتى  
قائلاً : — إن سروءتك تفوق إبداعك في التمثيل .  
لقد جبرت فؤادي الكسير ، دعني أسد إليك  
الشكر الذي تستحق . ولكن ماذا أرى ...  
ماهذه الدموع المتدفقة من عينيك أيها السيد ؟ ...  
ووجع الدوق إذ لم يجبه فلوريدور بكامة ، بل  
اندفع الى خارج القاعة كأنه فقد رشده مرسل  
ما كبت من زفرات وعويل

— ٤ —

ومر فلوريدور بعد أيام قرب دير راهبات  
الكرمل ، فرأى جمعاً محتشداً في الأسواق المجاورة  
وسمع رنين الأجراس مؤذنة باحتفال كبير ، وإذا  
بمربة مذهبة موسومة بشارات الشرف ووراءها  
عدد من العربات الأخرى ، وكلها فاخرة تجرها  
الحياد الطهمة . فسأل أحد المتفرجين عن هذا  
الاحتفال فقال له : هذه عربة الدوق بإرسالن تحمله  
وامراته لحضور حفلة ابنتهما ...

والتضحية التي يعرضها أبوها عليه ، فاذا بصوت  
الشيخ الوقور يرتفع قائلاً : لا تردد ، أيها السيد  
الكريم ! ان ما يوجه إليك الآن انما هو رجاء  
والد جصر في وحيدته كل ما في الحياة من سعادة  
ومجد وآمال ؛ ذاك أنا إلا شيخ هاو ضعيف ، بل أنا  
أحد أشرف وطنك أضرع إليك أن تحفظ اسم  
سلاتي من العار ، فلا تدعني أذهب بواجبي إلى  
القسوة على ابنتي التي لم يترك لي الدهر سواها

وأدى كلام الشيخ قلب الفتى ، فوعد بالقيام  
بما يطلب منه لاستئصال حبه من قلب الفتاة  
الوحيدة التي ملكت لبه وملأت جوانب نفسه

— ٣ —

وفي اليوم التالي عند الظهر أعلن خادم القصر  
لسيده الدوق قدوم الممثل فلوريدور . فقال الدوق  
أدخله إلى البهو الكبير ، وها أنذا آت إليه

دخل فلوريدور البهو وجاء الدوق يصاحفه ؛  
ثم ظهرت الغادة ، فقال الدوق :

أقدم إليك ، يا ابنتي ، الممثل فلوريدور . الذي  
أعجبت بتمثيله ؛ وهو من كبار أهل الفن ، ولذلك  
دعوتني إلى مأدنتنا ولعلك تسرين بذلك

وظأطاً فلوريدور رأسه مفكراً بأية فظاظة  
يجب عليه أن يبتدى بتمثيل دوره الذي عاهد  
الدوق على القيام به ؛ ولكنه ما رفع بصره وشهد  
خالبة لبه حتى علا وجهه الاصفرار ؛ وإذا مدت يدها  
لتصاحفه وهي ترتجف من الشوق خيل إليه أنه  
يلصق شفثيه بشفثيه ، ويفرق نور عينيه بأنوار  
عينيه . والتفت الى ما حوله فارتعش أمام مظاهر  
الآبهة والبذخ في هذه القاعة تقف بينها فتاة حديقة  
الدير التي أقسمت له بالله ألا تحول عن حبه  
ولا ترضى بشيء رقيقاً لحياتها ، فرأى هاوية سحبة  
تنفتح تحت رجله ولاحت له الحبيبة في معتم





هائلة تنحدر من ذروة الجبل إلى قرارة السهل - ولكن ما هي تلك الثلجة ...؟ ... الثلجة هي مجرى من الثلوج الدافقة المتحدرة من قمم الجبال إلى الهوى والوهاد ، وتنشأ عادة من أن الثلوج لا تنهض بما يتحمل منها من الثلوج الحديدية المتراكمة ، فيدركها الهيار وتربط إلى السهل جياشة يدفع بعضها بعضاً ...

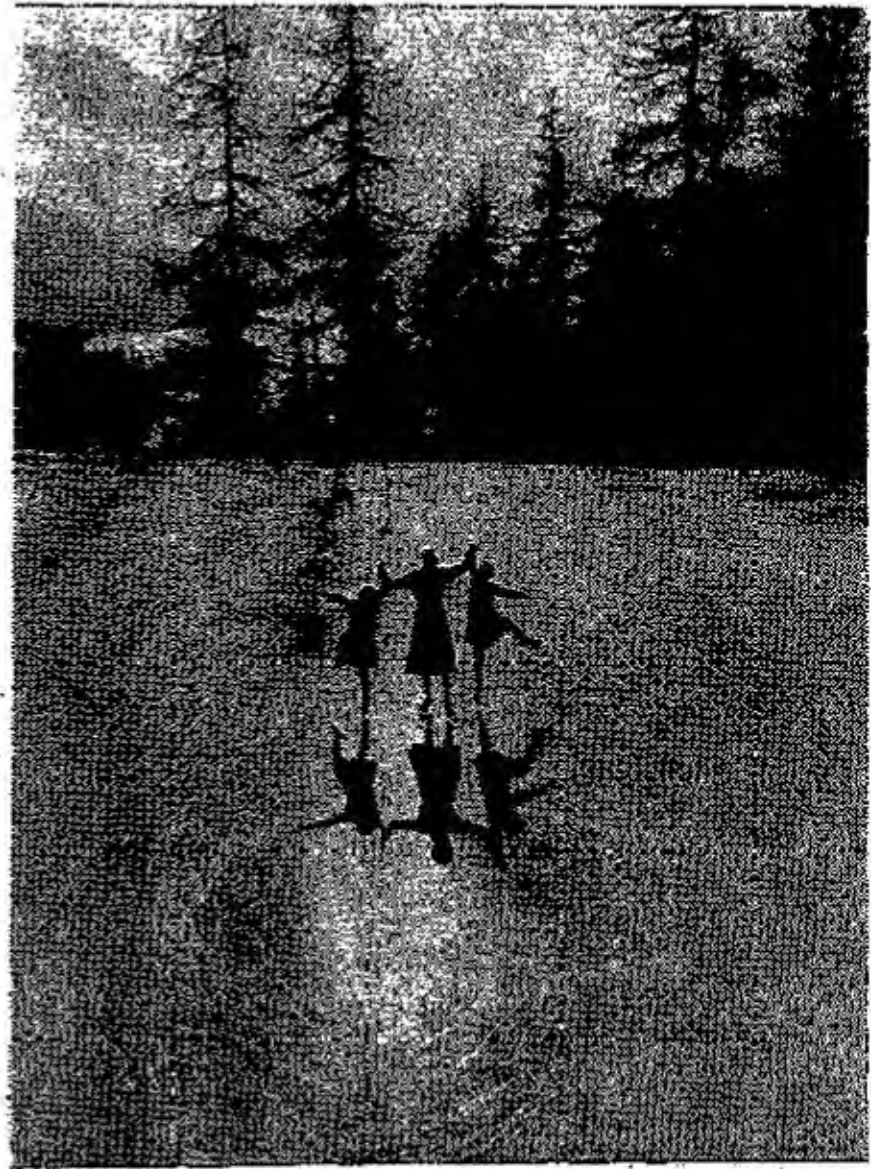
وسطح الثلجة مفر خداع ، فهي تبدو هادئة واعدة ، حتى إذا وطئها الانسان دون درب أو خبرة سقط في هوة من تلك الهوى السحيقة التي يخفيها سطح الثلجة الفرار

وقد يتساءل البعض ... « ولكن لماذا يقدم الانسان على اختراق الثلجة ، ويرمي بنفسه في التهلكة » ... والجواب على ذلك « أن عواصف الثلج تنشر عادة على صفحة الثلجة طبقة شفة رقيقة من الجليد ، فتبدو لمن يراها مستوية ، منبسطة ممهدة ، حتى إذا وطئها القدم لم تنهض بها ، وهوى الانسان الى قرارة الهوة

والثلجات من تلك المناظر البهيجة التي تقع عليها نواظر رائدى الألب ، فهي في بريقها الرفاف ، ولونها الأزرق الصافي من أروع ما تقع عليه العيون ... فإذا أشرقت الشمس ، ونفضت عليها ربيعاً من شعاعها اللطاف ، تجمعت لديها أبهى الألوان ، وتلاقت عليها أروع المشاهد

وعلى حفاف الثلجة يرى الناظر ، إذا سرح الطرف وتفصى النظر «مناضد الثلج» Glacier tables قد انتشرت في جنبات المكان ... وهي قطع من الصخور الرقيقة المتناثرة التي تجمعت تحتها الثلوج فرفعتها عن الأرض ، وكانت لها بمثابة قوائم ترتكز عليها كما ترتكز المنضدة ...

يبرود من الثلج ، عند ما خرجت الجماعة ، وكانت مكونة من خمسة رجال - كاشفين وثلاثة أدلاء - إذ لابد للمتسلق من دليل يهديه بين مسالك الصخور لأن من الهلاك المحقق أن يخطئ بين تلك الجبال خبط عشواء دون أن يعرف شعابها ويخبر دروبها وكان كل منهم مزوداً بفأس صغيرة لتحطيم ما يعترض سبيلهم من الثلوج الغزيرة والصخور



غروب الشمس على ثلوج سان موريتز

الناتئة التي قد تموقفهم عن مواصلة التسلق . وكان الأدلاء يحملون على ظهورهم حقائب من الصوف « rucksack » ملأى بما خف حمله من طعام وشراب ، هذا عدا حبل متين النسيج ، يشدون به بعضهم الى بعض في مواقع الأخطار

أخذ السفر يتحرك ويبد الخبطى ، ثابت القدم فيما أوغل في المسالك حتى اعترضت سبيله ثلجة



بعض ، وساروا يتبعون الدليل في رهبة وثؤدة  
وأفصح الفجر ، فجلى لهم الطريق ، وبدأت  
أمامهم قصة ثاجية دقيقة الذروة لا بد من عبورها ،  
تقع في جانبها الآخرة سحابة ، وكانت القمة عالية ،  
ضيقة لا يتسع صدرها لأكثر من اثنين ، إذا زلت  
قدم ، فالله أعلم بالمصير  
وهنا يبدو ذكاء الدليل ومرانه ، فهو دائماً  
ثابت القدم رابط الجأش في مواقع الأخطار ، لأنه



الغابات تغطي سفوح الألب السفلى

من الهلاك الانسان أن يجفل أو يرجف ، أو يسير  
مشرك الخاطر ، موزع اللب ...  
وتقدم الدليل وفأسه في يمناه ، يشق بها  
طريقاً إلى أعلى المرتقى ، والآخرون في أثره يزحفون  
وقد عقل الخوف ألسنتهم وغشى الرعب قلوبهم ،  
فأخذوا يتشبثون بالحبل كلما علفت أبصارهم قرارة  
الهوة ... وأخيراً بلغوا الجانب الآخر بعد لأي

ونعود الآن الى جماعتنا وقد اعترضت الثلجة  
سبيلهم ، فطفقوا يدورون حول ضفافها في  
حيطة وحذر ، حتى اجتازوها بسلام ، فاذا هم في  
ضيق منبسط ، وإذا بالدليل يشير الى شيء أسود  
قائم على مدى البصر ، فرفع الجميع نواظرهم ليثبتوا  
به معرفته ، فاذا به كوخ صغير قائم على سفح  
الجبل ... ولكن أى كوخ هذا ؟ ... أقيم هنا  
إنسان ؟ ... كلا ، فهذا الكوخ ليس في حيازة  
أحد ، بل أقامته الحكومة ليتحرز به المتساقون ،  
من عوادي البرد ، وظلمة الليل ، ووعثاء السفر  
وكانت الشمس الغاربة تطوى مطارفها الزاهية  
عن الكون ، عندما بلغ أصحابنا الكوخ ، وقد  
أضناهم التعب ، ونال منهم النصب ، وبلغ بهم  
الجوع مبلغاً جعلهم يلتمسون الطعام انهما ... ثم  
أخذ الليل بلف الكون في مسوحه السود فاضطجع  
كل منهم في ركن من أركان الكوخ وراحوا  
في سبات عميق

\*\*\*

وتيقظ الجميع بعد الواحدة بقليل على صوت  
الدليل ، وكانت السماء صافية الأديم مسفرة  
الوجه ، تسطع في جنباتها النجوم البراقة ، وتحقق  
في حواشيتها الأضواء الرجافة ، التي تنعكس على  
الجليد فيبدو كالزجاج الرائق المذوّب ، وكانت  
نسبات الألب العاطرة الهفافة عملاً الصدور وتنفتح  
الجسوم عندما ابتعدوا عن الكوخ ، وراحوا  
يتابعون التساق بين الحيطة والحذر ، فقد بدأت  
أخطار الطريق تبدو جلية ، فتكشفت الثلوج ،  
وبدت الهوى السحابة وعاد الجليد ينهار تحت  
أقدامهم ، فابتدروا الحبل وشدوا به بعضهم الى



ومرت لحظة رهيبية اختفى الجسر بعدها عن  
النواظر ، يحمل الرجلين في طواياه ولم يبق إلا الحبل  
يضطرب في أيدي الآخرين اضطراب الأرشية في  
البئر البعيدة الغور . ترى أينقطع الحبل وينقضي  
الأمر فيضم الألب ضحيتين جديدتين إلى سجل ضحاياه؟  
ويعفى الآخرون دون هدى أو غاية ، حتى ليقتلهم  
الجوع ويصرعهم البرد

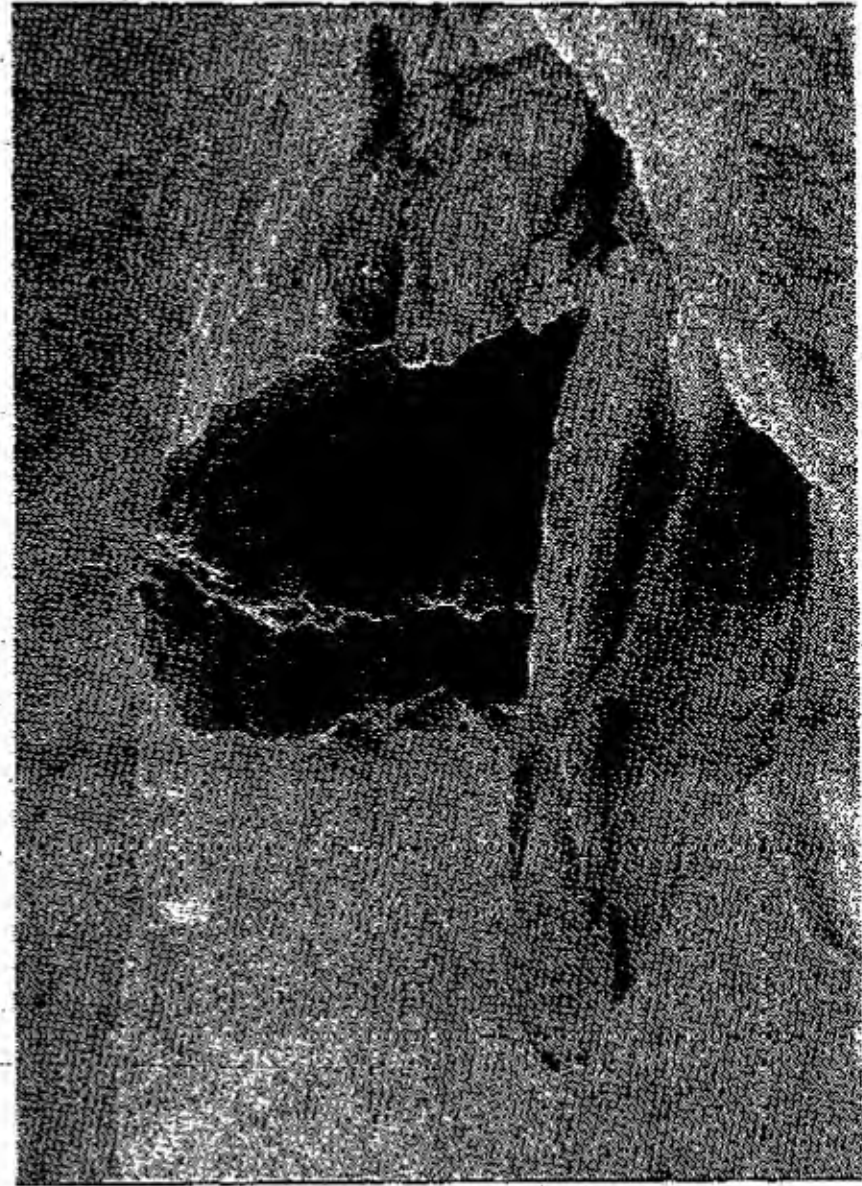
وجأة ثقل عليهم الحبل فأدركوا أن  
زميلهم ما زال معلقين بطرفه الآخر ، فأنجلى  
اليأس عن قلوبهم ، ودب فيها الأمل ، فأخذوا  
يجذبون الحبل في هدأة وصمت ..... وبعد  
لحظات ظهرت رأس أحد الرجلين وهو يحطم  
بقأسه ما يعوق الحبل من الجليد . وما بلغ حافة  
الهوة حتى انبرى بعين زملاءه على اخراج الدليل  
الذي ظهر بعد لحظة وعلى ثغره ابتسامة هادئة ، وهو  
يتعمق بكلمات الشكر

وجلسوا جميعا التماساً للراحة بعد هذا الجهد  
البالغ ، ثم قاموا يبحثون عن جسر يعبرون عليه  
الهوة ؛ وأخيراً عثروا بعد جهد جهيد على جسر  
أشد تماسكا ، وأثبت بناء من الأول ، فتقدم  
الدليل بخبره في حذر ، حتى إذا تثبت منه تبعه  
الجميع إلى الضفة الأخرى من الهوة

\*\*\*

وكان في الجانب الآخر مرتفع صخري ينحدر  
إلى حافة الثلاجة ، فكان لا بد من ارتقاؤه ، فصعد  
لدليل وهم في أثره ، إلى أن توقف فجأة متقصيا  
النظر إلى الأفق البعيد وقد عرى وجهه عبوس  
وجوههم فتلفت الجميع إلى حيث ينظر ، فإذا بهم  
يرون على مدى البصر ، ضبابا أبيض كال دخان

وجهد ، فإذا بهم في منبسط من الثلوج يضم ثلاجة  
جياشة هائلة ، تقوم على ضفافها مرتفعات من  
الجليد تنهار إلى الثلاجة مرتفعا بعد آخر فهم الآن  
بين هلاكين . فالثلاجة عن يمينهم مأجبة مزبدة ،  
والثلوج عن يسارهم منهارة متساقطة ، فلا سبيل  
إلى النجاة إلا بعد الثلاجة ولكن أنى لهم ذلك ؟  
تقدموا قليلا فإذا هم أمام هوة لا يدرك البصر  
مداها ، عليها جسر رقيق ضيق من الجليد ، فأمرع



من مناظر الألب الغربية

الدليل يتبعه أحد الرجال ، وكانت الفأس في يده  
يمهد بها الجسر ، ويرسم بها مواقع الخطى ، وما  
إن بلغ منتصف الجسر حتى بدت منه صيحة رعب  
عالية ، فالتفتوا جميعاً فإذا الجسر ينهار تحت قدميه  
ويتساقط إلى قرارة الهوة السحيقة

ولم يكن على الجسر في تلك اللحظة إلا الدليل  
وزميله ، أما الباقون فقد ارتدوا إلى حافة الهوة  
ممسكين بطرف الحبل

وكان الجميع يصعدون في ريث وحذر ، فان  
زلة قدم واحدة تؤدي بهم جميعاً إلى الهلاك . وأخيراً  
بعد لآلئ وعناء ، بلغوا نهاية الحائط فجلسوا يتناولون  
طعامهم ... وامتنع احد الرجال عن الطعام ، لأنه  
كان يحس بدوار شديد ، فقد ثقل عليه رأسه  
وامتقع لونه ، وآلمته عيناه ، وتآلت زفراته ، وذلك  
لخلخلة الهواء في الطبقات العليا من الجو ... ولكنه  
على الرغم من ذلك لم يفكر قط في التأخر أو العودة  
وبعد الطعام بقليل قاموا يصلون السير ،  
ويتابعون التسلق ، فإنه لم يبق أمامهم إلا القليل  
للوصول إلى قم الألب ؛ فساروا يبحثون الخطى بعزم  
وجهد ، فعبروا بعض القمم ، واجتازوا بضع  
مرتفعات متقاربة

وكانت الشمس قد ارتفعت ، والنهار قد متع ،  
فطرق سمعهم صوت متزن الجرس ، متسق النبرات ،  
يعني « أغنية النصر » المعروفة ، فالتفتوا جميعاً ،  
فاذا بالدليل قد بلغ طلائع القمم ؟  
( عن الانجليزية ) أحمد فني مرسى

## قصص اجتماعية

من رجم بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

مجموعة من القصص الرفيع الشائق لثمانية من أعلام  
الأدب الفرنسي هم : بورجيه . كوييه . أناتول فرانس .  
موباسان . تيريه . مارسيل بریفو . دي بانفيل . جان  
لوران . مع تراجمهم النقدية . و مترجمة بأسلوب فائق .  
في ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب  
ثمانه ١٠ قروش ويبيع مؤقناً بـ ٦ قروش بخضم ٤٠٪  
عدا البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه  
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب

يتقدم نحوهم في سرعة عجيبة ... فقال الدليل :  
— إنها عاصفة ثلجية تجتاح الجبال ... فسأل  
أحد الرجال :

— وهل تلبث طويلاً

— من يعلم ؟

وأرسل الدليل بصره يمينا وشمالاً ليتثبت  
من موقعهم ووجهة سيرهم قبل أن تفشاهم العاصفة  
وتضرب عليهم حجابها الكثيف فتحجب عنهم  
الطريق ..... وبعد لحظات كانوا يدرجون في  
جوف العاصفة التي أحالتهم جميعاً كتلاً من الثلج  
تتحرك ، وخلت عليهم أبراداً من الجليد ، لفهم  
من قمة الرأس إلى أخمص القدمين

وقد دامت العاصفة برهة غير قصيرة ، هدأت  
بعدها ثورة الريح ، وتقشع ضباب الثلوج ، وأشرقت  
أشعة الشمس ، فأخذوا ينفذون عن جسومهم  
حائل الثلوج ، ويمسحون عن جبينهم ماءها البارد  
وكانوا قد اجتازوا المرتفع ونزلوا في واد  
منبسط يلوح في نهايته ، حائط أملس من الثلج ،  
لا تعلق به كف ، ولا تماسك عليه قدم ، يبلغ  
ارتفاعه زهاء المائة متر

فوقفوا أمامه مشدوهين ، ومضت برهة قبل أن  
ينبس أحدهم ببنت شفة ، كأنه يدور بخلداهم ذلك  
السؤال « كيف لنا أن نتعلق بذلك الحائط الأملس ؟ »  
بعد برهة من الحيرة والتساؤل ، تقدم  
الدليل فشد أوساطهم إلى الجبل ، وأخرج  
فأسه ، وسار أملمهم إلى الحائط فأخذ يدرجه  
بالفأس ، ويحفر فيه مواقع الأقدام ، ثم أخذ يصعد  
رويدا رويدا ، وهم في أثره ، وكل بيده الفأس يشق  
بها الطريق





الصيد ... ولم يكن الشاب بالجامد القلب ، الخامد  
العاطفة ، بل كان مشبوب الاحساس ، ملتهب  
الشعور ، فسرعان ما استجاب لبريق عينها ، وخضع  
لرخامة صوتها ... ولكنه لم يكن يعتقد أن حظه  
سيسمو به إلى مراتب النبلاء ، بل أيقن أن اهتمامها  
به لا يعدو فرجة لمواطنها المكبوتة ، وألمية  
لنفسها الحائرة ، ولم يدرك أن هذه الفتاة تكره  
أصحاب الطبائع المزيفة والشخصيات المستعارة ...  
ولكن قد يجيء الوقت الذي ترى فيه العين  
الغبية الفاشية في عين صاحبها نور الحب وبريق  
الهبام ، وما قد جاء للفتى الموعود ، ولم يكن بالغبي  
الأحمق فسرت الطمأنينة إلى قلبه ، وتمددت بينهما  
المقابلات حتى إذا ما خلا كل إلى صاحبه كشف  
له عن نفسه وباح له بمكنون سره ؛ فبينهما مسان  
ويتناجيان ثم ينصرفان دون أن يذيعا سرا ،  
أو يفضحا أمرا ... ثم تمكنت بينهما الألفة حتى  
لم يستطيعا أن يكبحا تلك العواطف الثائرة التي  
كانت تضطرم في قلوبهما

ولكن الفتى كان دونها شرفاً ومرتبته ، فلم  
تكن تستطيع أن تمنح زواجها به ، فالتحذت المسألة  
حلاً وسطاً ، فعزمت على الاقتراح به دون أن يعلم  
بذلك أحد ... ثم نظما فيما بينهما مواعيد المقابلة ،  
فكانا يلتقيان في إحدى غرف المنزل بميدن عن

عاشت عيشة مترفة في قصر ريفي بديع يحف  
به الجمال من كل جانب ... وكانت امرأة ذات  
حسن عبقرى ، وجسم خصيب ، وأنوثة متيقظة ،  
ترنو إليها العيون أينما حلت ، وتشيعها القلوب أينما  
ذهبت ، حتى أصبحت حديث أهل المدينة كلها  
وفتنة لشبابها ، فتراعى اسمها إلى ما وراء ذلك الاقليم  
« ويسكس » يجد الناس في ذكره حلاوة وفي  
ترديده متعة وسلوة ... أما هي فقد استعذبت  
تلك الحياة وأخلدت إلى هذه الدعة واطمأنت إلى  
تلك الألسنة التي تهتف باسمها في كل يوم ، ولكن  
قلبا المتكبر الذي كان يشرف على تلك القلوب  
الساجدة العابدة لم يجد هواه إلا في شاب رقيق  
الحال عادي الهيئة قد انحدر من أسرة فقيرة متواضعة .  
إذ كان أبوه يعمل كاتباً في « دائرة » والدها ،  
ولكنه كان وديع الخلق ، كريم النفس ، رقيق  
المزاج ، قد أغررت به فتاة قروية ساذجة ، فلم يرد  
أن يصددها في حبها الأول ، بل وهبها جانباً من  
حبه الشاب الفاضل ، وأحلها ركناً من أركان  
قلبه الفسيح العامر ؛ فأرادت تلك الفتاة النبيلة  
« كارولين » أن تستأثر بذلك الشاب فاغتصمت  
فرصة تردده على منزل والدها بحكم عمله وأخذت  
تنودد إليه ... يتحدث مرة وتغازله أخرى ؛ وكانت  
ماهرة في هذا الفن مجيدة لهذا النوع من

أخيراً أن زوجها المسكين قد قضى نحبه فبقيت حائرة لا تدري ما ذا تعمل

ولقد أحست أولاً بالحزن والأسى على فراقه... لكنها ما لبثت أن أخذت تفكر في مكانها كابنة أحد النبلاء فنظرت إلى الجثة وقالت: «لماذا تموت هنا أيها الزوج التمس وفي تلك الساعة...؟ لماذا لم تمت في كوخك...؟ إذا لم أعرف أحد أمرنا ولبقى سرنا مكتوماً...» ولكن دقات الساعة العالية في سكون الليل العميق قد أبقتها من ذهولها، فنهضت بسرعة إلى الباب، وقد عثرت على إخبار والدتها بحقيقة الأمر طائفة أن هذا هو الطريق الوحيد لخلاصها من هذا المأزق... غير أنها لم تكذب تدنو من الباب حتى رجعت عن عزمها وقد أيقنت أن في إيقاظ والدتها إفشاء لسرها كله، فعولت على حمل الجثة بعيداً من دون مساعدة أحد... ثم أخذت تنهياً لهذا العمل الجسيم، فألبسته ملابس وربطت ذراعيه وزلت به سلباً ضيقاً... ثم حملته إلى مكان أمين تظله الأشجار... وعلى باب كوخه ألقت بحملها الثقيل؛ وقد أخذت منها التعب كل مأخذ؛ ثم وضعت في يده مفتاح بيته الخشبي لتعنى الحقيقة على الناس، وانحنى عليه وقبلته القبلة الأخيرة، وعادت أدراجها وهي تنسى آثار قدميها في الطريق... ثم انسلت إلى مخدعها دون أن يشمر بها أحد؛ وأوت إلى غرفتها وأغلقت نوافذها، وأعدت كل شيء إلى ما كان عليه

ولكن لم يكد يطلع الصباح حتى ذاع في المدينة نبأ موت ذلك الشاب الرقيق الوديع على باب منزله وهو يحاول فتحه... لقد كانت جميع الظروف تدل على أن الميتة طبيعية، فلم يثر حولها نقاش...

أعين الناس، فيقضيان ساعة تسكر فيها روحها بلذة الهدوء والنبطة؛ ولكن هذه العاطفة المشبوبة ما لبثت أن خمدت فأخذت تفيق من السكر الأولى، وخلت إلى نفسها تفكر فيما أتته من طيش ورعونة، وكيف أن فتاة كريمة المتمد عريقة النسب تزوج من شاب دونها شرفاً وقدرًا... وكان خليقاً بها أن تقترن بنبيذ عظيم، أو قاض ناب، أو أسقف جليل... أجل لقد كان زوجها الشاب ذكي الفؤاد واسع الاطلاع، ولكنه كان قليل التجارب ضيق الخبرة...

لقد اعتاد أن يزورها تحت أستار الليل فيتساق إلى نافذة غرفتها فيجدها في انتظاره، ويأوى إلى جانبها ساعة والناس نيام، ثم يعود إلى كوخه الصغير قبل طلوع الفجر... ثم جاءها ليلة وقد شاقه الحب إليها، ولكنه لم يمض معها ساعة حتى مل الحديث وهم بالنزول، فقد كان لقاء ثقيلاً متكلفاً سمع فيه ما أثاره وأخرجه عن نفسه إذ شمر أن قلبها قد أخذ يتحول...

والحقيقة أن اهتمامها بمصيرها أخذ ينسحب عنها إياه... وعلى جفاة أحس بالقطع أحشاءه فهب واقفاً ثم مال إلى النافذة يستنشق بعض الهواء، ثم ما لبث أن همس بهذه الكلمات: «آه يا قلبي!» ثم سقط على الأرض جثة هامدة... فأسرعت إلى إشمال المصباح وقد خبا ضوءه وانحنى عليه تسأله ما به، ولكن قلب المسكين كان قد وقف، فاستيقظ في ذهنها ما كان الطبيب قد قاله له من أنه مصاب بمرض القلب، وأن هذا المرض قد بورده حتفه يوماً

ثم أخذت تفحصه مدة طويلة ولكنها أدركت



ولكن بعد تشييع الجنازة أخذ الناس يهيمسون أن رجلاً كان سائراً في الطريق في ساعة متأخرة من الليل ، فرأى شبح امرأة يدب في الظلام وهي تجر جثة ثقيلة في طريقها إلى كوخ ذلك الفتى ، فأخذوا ملابسه القديمة وخصوها من جديد ليروا فيها من آثار الجر على الأرض ، وأخيراً عرفوا أنه هو الرجل بعينه .

أما كارولين الجميلة الذكية فأخذت تفكر فيما يجب أن تعمله ... فرأت أولاً أن تعترف بالحقيقة كلها ... إلا أنها بعد أن بلغت إلى تلك المرحلة دون أن يتكشف أمرها أو يرتاب فيها أحد ، عزمت على بذل مجهود آخر لأخفاء باقي العالم ... وسرعان ما لمت في خاطرها تلك الفكرة ... لقد كان ذلك الزوج يحب فتاة قروية قبل أن يقع في شرك هذه النبيلة ، وكانت هذه الفتاة لا تزال على حبها إياه إذ لم تكن تعرف من أمر زواجه شيئاً . على أن نفوذ كارولين على أولئك الفلاحين الذين يعملون في أراضي والدها كان عظيماً ... لها الكلمة النافذة والقول المسموع ... فعزمت على مقابلة تلك الفتاة تمسح فيها عارها وتحميها نتيجة وزرها بعد أن أخذت تفيق من نشوتها ، وشعرت بالآلام الفضيحة والندم تنوش صدرها كلما ذكرت ذلك الزوج المنحوس ، حتى لقد كرهت اليوم الذي لقيته فيه وودت أن لم تكن قد رآته قط . وسرعان ما اهتدت إلى تلك الفتاة فوجدتها ممتعة اللون مهدودة الجسم ، قد ارتدت ثوباً أسود حداداً على ذلك الشاب الذي أحبته وأخلصت له وإن لم يمتن بها إلا قليلاً ... فقالت كارولين :  
آه ! لقد فقدت حبيبك يا « مبلى »

فلم تستطع الفتاة أن تحبس دموعها المنهملة وقالت : « لم يكن حبيبي تماماً ولكني كنت أماناً حبيبته . أما وقد مات فاني لا أهتم بالحياة بعده »  
« أتستطيعين أن تبقى على سر من أسرار يامبلى ؟ إن هذا السر يتصل بشرفه ولا يعرفه إنسان غيري ، ولكن يجب أن تعرفيه أنت »

فأظهرت الفتاة استعدادها لكتمان هذا الأمر . وحقاً لقد كانت وفيّة لذلك الشاب الذي أحبته والذي تبكيه الآن

« إذاً فقابليني اليوم بعد الغروب عند قبره أفض إليك به »

وفي غسق تلك الليلة من ليالي الربيع الجميلة ، كان شبحا هاتين الفتاتين يحومان حول قبر ذلك الفتى التمس . وفي ذلك المكان الموحش ، وفي تلك الساعة الرهيبة ، أخذت الفتاة ذات النسب والجمال تقص على ابنة الخطاب كيف أحبه وتزوجته سرّاً ، وكيف مات في غرفتها ، وكيف جرته في جوف الليل إلى كوخه حتى لا يتكشف أمرها  
فصاحت تلك الفتاة الساذجة مذعورة :

— تزوجته يا سيدتي ؟ !

— نعم ولكن هذا كان طيشاً مني . كان الأجدر به أن يتزوجك أنت يامبلى فقد كنت له ، لكنك فقدته

— نعم وهم من أجل ذلك يستخرون مني فيقولون : لقد جننت به حباً وهو لم يلتفت إليك

— إن النصر على أولئك المهكمين حلو لا يذ ...

لقد فقدته حباً ولكن يمكنك أن تسترديه ميتاً وعلى ذلك تستطيعين أن تنالي من أولئك السافرين ما تريدن

— وكيف ؟

ثم أعطتها كارولين كل آثار الذكري التي كان زوجها قد قدمها إليها حتى خصلة الشعر . . .  
وفي اليوم التالي أعلنت الفتاة ذلك الأمر بين الناس حتى ذاع بين أهل المدينة كلها . وفي ذهول ذلك الموقف الجديد أخذت مبلى المسكينة تمثل الدور كما لو كان قد حدث معها فعلاً . واستطاعت بما كانت تصيبه من مال كارولين أن تشتري منزلاً صغيراً وأن تتردد على الكنيسة من وقت لآخر ، وقد ازدادت جمالاً وفتنة أيقظا في قلوب خدينتها القرويات الغيرة والحسد . . ثم فكرت في أن تقيم نصباً تذكارياً فوق قبره ما دامت كارولين تقوم بدفع النفقات ، فما عليها هي إلا أن تقدم الحزن والألم . . . وما لبثت مبلى أن ارتاحت إلى تمثيل دور الأرملة ، ووجدت في زيارته كل يوم والبكاء فوق قبره لذة وتفريحاً ، فكانت تنثر الأزهار فوق قبره وأصبحت تعتقد وهي تخطر في ثوبها الحزين أنها كانت زوجة حقاً

ثم انفق أن مررت كارولين يوماً مع بعض صاحباتها بتلك المقبرة فلمحجن مبلى وقد انحنت على قبر حبيبها تنثر فوقه الأزهار في رقة وحنان ، فتأثرن لهذا المشهد المؤلم وعجنن لذلك الوفاء النادر الذي لا بد أن تكون صاحبه قد وجدت صداه في ساكن ذلك القبر . . أما كارولين فقد شعرت كأن نورا غريباً ينبعث من عينيها يحسد تلك الفتاة على مكانها هذا كأنه لا يزال بقلبيها بعض الحب لزوجها المتوفى . . . ولكن الفروق الاجتماعية أكرهتها على إخفائه في طيات صدرها . وأخيراً لم تستطع تلك الفتاة أن تقهر تلك المواظف القوية التي كانت تصطرع في نفسها . . . فذهبت يوماً إلى المقبرة ، وكنت وراءها حتى إذا ما جاءت مبلى تنثر الأزهار

فأفضت إليها كارولين بما يجب أن تعمله . . . وهو أن تعلن ميل بين الناس أن ذلك الشاب كان قد عقد عليها سرّاً ، وأنه كان يزورها في كوخها في الليلة التي توفى فيها . فلما قضى بحبه بين يديها حملته إلى منزله لتدبراً عن نفسها الفضيحة والعار . . وأن تقول إنها كانت عازمة على حفظ ذلك السر في نفسها لولا أن الاشاعات والأقاويل قد أجبرتها على إفشائه فأجابتها ابنة الخطاب وهي دهشة لهذه الفكرة :  
— وكيف أثبت هذا ؟

— يمكنك أن تقول إنك تزوجته في كنيسة القديس ميخائيل في مدينة ( باث ) باسمي بحجة أنه أول اسم خطر ببالك لتتقضى اسمك من التهمة . . . وسأعينك على ذلك

— أوه إنى لا أحب أن . .  
— إذا عملت ما أمرك به فاني سأكون صديقة لك ولوالدك وإلا فسيكون لي معك شأن آخر . . . وسأعطيك الآن خاتم الزواج لتلبسيه كما لو كان لك — هل لبسته يا سيدتي ؟

— في الليل فقط  
وأخيراً قبلت مبلى ما عرضته عليها كارولين دون تردد كبير إذ لم يكن الوقت يحتمل تردداً . . ثم أخرجت الفتاة النبيلة الخاتم من صدرها ووضعت في أصبع مبلى وهي واقفة على قبر حبيبها . فاقشعر بدن الفتاة ومالت برأسها وقالت :

— أشعر أنى أصبحت عروساً لجثة  
ولكن هذه الفتاة ما لبثت أن شعرت أنها قد ارتبطت بتلك الجثة قلباً وروحاً وأحست بشيء من الهدوء يسرى إلى نفسها . . . فخيل إليها أنها قد استحوزت في الموت على ذلك الشاب الذي عبده على غير طائل في الحياة



عليه الآن . أنا أرملة الوحيدة . فان نصيبي فيه  
أوفر من نصيبك . لأنى أحبه وأبكيه وأدعى باسمه  
العزير

فصاحت كارولين وقد كاد الشرر يتطاير من  
عينها :

— إنى أحبه ولن أسمح لمخلوقة مثلك أن تنتزعه  
منى ... كيف أسمح بذلك وهو أب لذلك الجنين  
الذى يضطرب فى أحشائى ... يجب أن تعيده إلى  
ثانية ... ميلى ! ميلى ! ألا ترحمينى وتقدرين موقفى ؟  
يا للتسرع ! إنه عدو النساء ، لساذا لم أترو قبل أن  
أقدم على العمل ؟ هيا أعطيني ما أعطيتك وأكدي  
لى أنك ستساعديني على نشر الحقيقة  
— محال ! محال ! ؟

وقد ازدادت الفتاة إصرارا وعنادا : « انظرى  
إلى هذا النصب ... انظرى الى ثوب الحداد ...  
الى هذا الخاتم ... استمعى الى الاسم الذى ينادونى  
به ... إن نفسى ليست أهون على من نفسك ...  
أبعد أن أعلن أن حبه حى ، وأن نفسه نفسى ...  
وأحمل اسمه بدلا من اسمى ، وأتخذ من موته حزنى  
وشجنى ... أجم اليوم فأهدم ما بنيت به  
ودمى ؟ لا ! لا ! لن أرضى لنفسى هذا العار ...  
إنى أصدقك القول يا سيدتى ... إن قصتى هى  
الحقيقة بعينها ، وأنت كنت واهمة فى كل ما ادعيت به  
لنفسك ... ولكن أرجو يا سيدتى ألا تدفعينى  
إلى هذا ، إنى أتوسل إليك أن تبقيه لى »

لقد كانت ميلى تزعم أنها أرملة تدافع عن  
زوجها ... حتى أن كارولين رقت لحالها بالرغم  
منها ... فقالت لها :

— نعم ... إنى عالمة بموقفك ... ولكن فكرى

على القبر كماداتها كل يوم برزت لها كارولين وهى  
بشاحبة مرتجفة تقول :

— ميلى ! اقتربنى منى ! إنى لا أدري ماذا أقول  
لك ... فقد كدت أموت

فمجبت ميلى لهذه المفاجأة الغريبة وقالت :

— معذرة يا سيدتى .. !

قدت منها السيدة واختطفت يدها اليسرى  
وقالت :

— أعطنى هذا الخاتم

فأسرعت ميلى الى انتزاعه من أصبعها ... ثم  
أعادت كارولين سؤالها فى صوت حاد غاضب وقالت :

— إنى أطلب اليك أن تعطينى إياه ... أوه !  
أوه ! إنك لا تعرفين السبب ... لقد عراني حزن  
والم لم أكن أنوقعهما !

فأجابتها ميلى وقد تملكها الذعر

— ولكن ماذا تريدن يا سيدتى ؟

— يجب أن تعلمى أن كل ما عملته كان كذبا  
وادعاء لا أساس له من الصحة ... وأنى أمرتك  
أن تمليه محافظة على اسمى ... وأنه لم يتزوج  
غيرى ... وقصارى الكلام يجب أن نذبح الحقيقة  
وإلا قضى على جسمى وعقلي وشرفى الى الأبد «  
ولما كان لكل شىء حد فان للهدوء والوداعة  
حدهما أيضا ... فقد أصبحت ميلى تمتد أنها قد  
امتزجت بذلك الشاب الحاد وما وأصبح لها الحق  
فى أن تحمل اسمه كما حملته ... وأن تحمل به كزوج  
وتتحدث عنه كزوج ... حتى لم تمتد تفكر فى  
سواه . وأخيرا قالت وقد غمرها اليأس والقنوط :

— لا ... لا ... إنى لا أستطيع أن أتركه ..

لقد أخذته منى حيا ورددته إلى ميتا . سأحافظ

بلاده أخيراً ... فلما انتهت عاد الى إنجلترا وقد رقى الى قائد فرقة ولما يبلغ الخامسة والعشرين .

ترامت أخبار ذلك الابن الى كارولين ... وكيف أنه قد أشرف على الذروة دون أن يكون صنيعة لأجد ... فأيقظت فيها غرائز الأمومة السكائمة وملأتها كبرياء ونفراً . فأخذت تهتم بابنها الظافر الموفق ورغبت في رؤيته بعد أن توفي زوجها « المركيز » دون أن تمقب منه ولداً ... فاتفق يوماً بينما كانت تسير بعربتها خارج المدينة أن صرت بها إحدى الفرق العسكرية فوقع بصرها على ضابط شاب قد امتلأ جواداً أصيلاً مطعماً ... فسرعان ما عرفت لما بينه وبين زوجها الأول من شبه قوى ، فضاغف هذا المنظر عواطف الأمومة التي بقيت كامنة في زوايا قلبها هذه المدة الطويلة ، فأخذت تسائل نفسها كيف صبرت على إغفاله هذه السنين الطوال ... فلو أنها كانت جريئة في حبها مخرصة في عاطفتها ... لاعترفت بزواجها الأول ولتمضت بتربية ذلك الطفل كابن لها ... فإذا كان يضئرها لو أنها فقدت هذه الجواهر النادرة وكسبت ابناً شهماً قادراً ... أخذت هذه التأملات والعواطف تعمل في قلب تلك المرأة المكتئبة الوحيدة ، وأخذت الندم ينوش فؤادها الحزين على عدم الاعتراف بزواجها الأول أضعاف ما آلمها الاقتران به .

وأخيراً لم تستطع أن تغلب تلك الرغبة القوية الملحة التي كانت تتأجج في صدرها حتى أيقنت أنها لا يمكنها أن تعيش دون أن تعلن أمومتها لهذا الفتى ، فمزمت على أن تنتزعه من حضن تلك المرأة التي أخذت تضمر لها الكراهية والبغضاء لأنها استبدت بذلك الطفل دونها ... ثم أيقنت أن ذلك الابن سيرحب باستبدال فلاحه معدمة ، بأخرى نبيلة غنية .

في ... ملذا أعمل ... فبدونك لن أستطيع أن أبقى على اسمي ... قالت نشر الأكاذيب والفضائح أحب شيء للجمهور ... » ولم تمض بضعة دقائق حتى كانت الفتاتان قد شعرتا بضرورة العمل معاً .. فأخذتا تتشاوران فيما يجب أن يعملن ... وأخيراً عادت مبلى الى بيتها ... وأفضت كارولين الى أمها بكل ما حدث ... ولم يمض على ذلك بضعة أيام حتى تركت كارولين وأمها القرية وذهبتا الى لندن حيث وافتهما هناك مبلى بحجة تغيير الهواء على نفقة تلك الفتاة النبيلة التي كانت تشفق عليها في محنتها ووحدتها .

وفي مستهل العام الجديد عادت مبلى الى القرية تحمل بين ذراعيها رضيعاً فأقامت في منزلها الصغير تعنى بذلك الطفل الجديد بما كان يصلها من كارولين من مال ...

وبعد ذلك بعامين تزوجت كارولين بأحد النبلاء ... ف عاشت معه عيشة سعيدة إلا أنهما لم ينجبا طفلاً ... بينما كان ابن مبلى يكبر شيئاً فشيئاً ، وكانت أمه تتوسم فيه يوماً بعد يوم صورة ذلك الرجل الذي استحوذ على قلبها الشاب ... ثم ذهب به الى القبر ... فسهرت على تربيته قدر ما كانت تسمح به ظروفها ... إذ أخذت كارولين تنصرف عنهما شيئاً فشيئاً ، ولم تعد تفكر في طفلها إلا لاساناً ... ولكن مبلى كانت تقطع من قوتها لتقوم بنفقات الطفل ، فأرسلته الى المدرسة الابتدائية .. ولما بلغ العشرين دخل في الجيش متخذاً من الجندي أهليته وعمله ، وسرعان ما أكسبته رجواته الكاملة وأخلاقه القوية ومواهبه النادرة إعجاب رؤسائه ... فحبوه بمطعمهم وحبهم حتى أبلى بلاء حسناً في تلك الحرب الضروس التي خاضتها



المشهورات فقد كان يعرف أن ولادته محاطة بشيء من الغموض - أما سلوكه نحو البارونة فانه لم يخل من الاحترام والتقدير ، إلا أنه كان أقل مما تنتظر ، وأخيراً وضع أمامه أمر التفاضل بينهما وسرعان ما قال قولته الأخيرة :

« لا يا سيدتي . إنى أشكرك كثيراً ، ولكنى أفضل أن أترك الأمور كما هي ، فان اسم والدى هو اسمى على أى الحالات . إنك لم تعنى بي يا سيدتي إلا قليلاً عندما كنت طفلاً لا حول لى ولا قوة ، فلماذا أدعى إليك الآن وقد أصبحت قوياً قادراً ؟ ! »  
إن هذه المخلوقة العزيزة ( مشيراً إلى مبلى ) قد حبتنى عطفها طفلاً ، وعالمتى شاباً ، وسهرت على مريضاً ، وحرمت نفسها حتى أنفقه اللذات من أجلى .  
إنى لا أستطيع أن أحب أمماً أخرى كما أحبها . إنها أسمى وسأكون دائماً ابنها ، ثم طوق عنقها بذراعيه وطبع على جبينها قبلة أودعها أرق عواطف البنوة وأسماها

فلم تقو كارولين المسكينة على مشاهدة هذا المنظر الذى كاد يستل روحها من بين أضالعهما .  
فقالت وقد خنقتها العبرات وتهدج صوتهما فى حلقها :

— إنك تقتلنى ! ألا تستطيع أن تحببى أيضاً ؟  
— لا يا سيدتي . لقد كرهت أن تفتسبى إلى أبى الفلاح ، وإنى أكره أن أنتسب إليك !

فتنهدت المرأة تنهيدات عميقة عالية وقالت :  
« ألا تستطيع أن تعطينى قبلة واحدة ... كما أعطيتها ؟  
إنها ليست كثيراً ... هى كل ما أريد ... كل ...  
فأجابها : نعم . ثم قبلها قبلة عابرة باردة كانت فيها نهايتها .  
تظلمى مبلى

وفى اليوم التالى ذهت إلى بيت مبلى القديم فى تلك القرية الصغيرة فوجدتها لا تزال فى ثيابها السوداء الريفية حداداً على فقد حبيب شبابها ...  
فلم تكذب تخطو الى داخل الكوخ حتى صاحت :  
— انه ابنى يجب أن تتركه لى . . . لقد أصبحت فى موقف أتحدى فيه العالم أجمع . . . أظنه يزورك من وقت إلى آخر

— كل شهر منذ أن عاد من الحرب . . .  
ياسيدتي ... ويمكث يومين أو ثلاثة فى كل مرة ...  
وأصعبه أحياناً فى رحلات قصيرة . قالت هذا فى صوت الظافر المطمئن

فأجابتها كارولين فى هدوء :  
— حسن . يجب أن تتركه لى . إنك لن تفقدى شيئاً فلك أن تريحه متى شئت . سأذهب الآن إلى اثبات زواجى الأول وسأأخذه معى  
— لقد نسيت يا سيدتي أن هناك اثنين يجب أن يؤخذ رأيهما فى هذا الموضوع ، لست أنا فقط بل هو كذلك

— سأتم كل شيء . لا تظنى أنه سيرفض .  
ولكنها لم ترد أن تسرع الى مبلى بالتعرض إلى الأصل والنسب ، فقالت : إنه لخمى ودى ولا يتصل بك فى شيء . فانفجرت القروية غيظاً وقالت فى تهكم صرير : « ماذا يعنينى من أمر اللحم والدم ؟ إنى أترك المسألة له فلندعه يفصل فيها بنفسه »

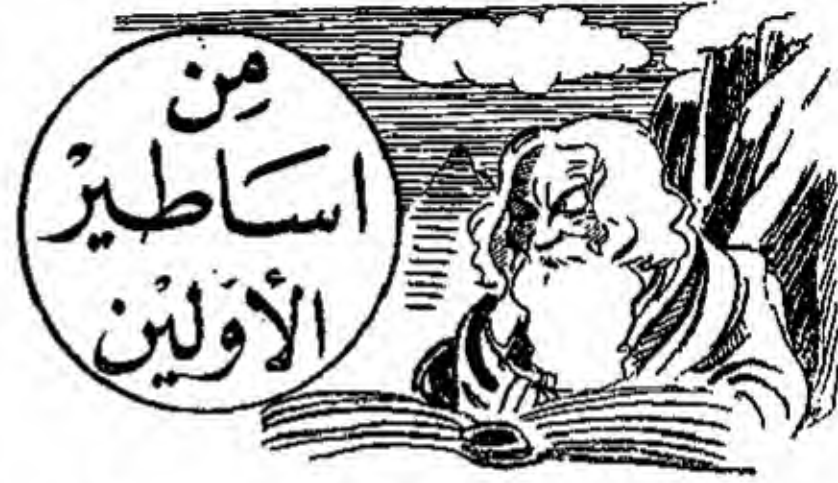
فأجابتها كارولين : « هذا كل ما أبغيه . قات أرسلنى فى طلبه ولأقابله هنا » . ثم أرسل فى طالب الضابط ، وجلس الثلاثة فى ذلك الكوخ الصغير يتداولون فيما بينهم

لم يدهش الشاب إذ علم أن أمه إحدى النبيلات



هومروس

هبت أورورا من فراش زوجها الدافئ الحبيب  
( تيتون ) فنشرت في المشرقين غلالة سنية من  
فيض ضوئها ، بينما كان مجلس الآلهة منعقد آفي  
ذروة أولمب ، وقد استوى زيوس على عرشه ،  
ومينرفا ... ربة الحكمة والموعظة الحسنة قائمة  
بين يديه ، تحصى آلام أوديسيوس ، وتبث أشجانه  
وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يتجرع غصصها  
وحده في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :  
« أبتاه ! يا سيد أرباب أبواب الجحيم ! اصغ  
إلى ! وأنتم يا آلهة الخلود ! أعيروني انتباهة واحدة  
منكم ، فإنها حسبي ! إلى أين تصير الأمور إذن ؟  
هاكم قد أصبح أمر الناس فوضى ... والطفلة  
يعيشون في الأرض مفسدين ، وكأنما أغمضتم  
أعينكم عن خيارهم ، ولم يضركم ألا تكفوا  
أشرارهم ، فنسيتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي  
طالب منحكم محبته ، والذي بذل لشعبه مهجته ...  
يشوى اليوم في تلك الجزيرة الموحشة يجتر همومه ،



## الأوديسية

لهومروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليبسيو

فمقدمة الفصول السابقة (١) :

« لما وضعت حرب طروادة أوزارها عاد كل القادة  
اليونانيين إلى أوطانهم إلا أوديسيوس الذي ضل طريقه  
في البحر كما كان بينه وبين تيتون من عداوة — وقد  
كانت زوجته بيلوب على قسط وافر من الجلال فطعم  
فيها كل أمراء بلاده وحاصروا بيتها واستنفدوا  
خيراته . وكان ابنه تليماك في طرى العود فلم يقو على  
نضالهم ولكن مينرفا ربة الحكمة كانت تعطف على  
والده وتعت أولئك العشاق ؛ فبدت للفتى في صورة  
آدمية ونصحته أن يذهب من فورهِ إلى نسطور ملك  
بيلوس ومينالاوس ملك أسبرطة ليسألها عما كان من  
أمر أبيه — وقد أبحرت معه مينرفا لتجرسه وتسهر  
عليه . وأكرم الملك وفادته وقص عليه ملك  
أسبرطة تذبذبات پروتيوس إله الشاطئ المصري عما  
كان من أمر أوديسيوس وما كان من عداوة تيتون  
إله البحر له . وأنه ما يزال منفياً في جزيرة كاليبسيو  
— وهال العشاق إبحار تليماك فصموا على قتله عند  
عودته وتربصوا له في البحر بالفعل . »

(١) نجتهد بقدر المستطاع أن نلخص جميع الفصول  
السابقة حتى تتصل الحوادث في ذهن القارئ الذي سائر الملحة  
من أولها ، ولكي يستطيع من لم يسايرها أن يبدأ من أي  
فصل شاء



وبلقى بعد طول النأى خلاه «

وأصلح رسول الآلهة الأمين ، هرمن ، فعليه الذهبيتين ، تخفتا به كالريح فوق السحاب وفي يمينه عصاه السحرية العجيبة التي إن شاء دأب بها الجفون فأغفت ، وإن شاء ردها إلى الصحو واليقظة ، وما فتى يرف بين السماء والماء ، ويدوم في ذاك الفضاء كالغرنوق<sup>(١)</sup> الذي يتوالب على أعراف الموج بصيد ما يقتات به ، حتى كان فوق تلك الجزيرة المنزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يرنق هنا ويرنق هناك حتى اهتدى إلى ذلك الكهف السحيق الذي تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر الكهرماني وقد جلست ثمة تغرد وتغنى وتعمل دائبة في منسج أمامها ، ويدها تتلقفان الوشيمة<sup>(٢)</sup> الذهبية كما يخطف البرق والنار تتأجج في الموقد بقربها وتتوهج ، وجمر الأرض والصندل يعبق وتتأرجح ، ويملاً نشره أركان الجزيرة وفجاجها ... وقد بسقت أشجار الحور والسنديان عند مدخل الكهف ففشتته بظلال رائمة ، وظلمة رهيبة ؛ وصنعت جوارح الطير أوكاراً لها في الدوح الذهاب في السماء ، ووكنت<sup>(٣)</sup> الحدأة بيضها ، وقر الغداف جنب صفاره ، وطفقت البومة ترسل في الآفاق صفيها ، وتناثرت فوق الشاطئ أفاحيص الطير من كل نوع ؛ وامتدت الكروم عن عيين الكهف وعن شماله مثقلة بالمناقيد ذوات السكر ؛ وتدفت جداول أربعة من عيون كثرية تسقى السندس الجميل المنضر بأفواف الورد والبنفسج ... منظر

(١) بوزن طنبور وبوزن فردوس طائر مائي (الغطاس)

(٢) المسكوك

(٣) رقدت عليه

وينير في صفحة السراب آماله ، .. كلا على كاليسو عروس الماء ... لا يملك سفينة فيقاع إلى الوطن ، ولا يجرد قلباً إلى جانبه فيبته حزنه ويشتكى إليه لأواده ... وكأنما لم يكن بحسبه بعض ذلك ، بل تسلط عليه الأقدار القاسية عصابة من الأعداء الألداء يتربصون بابنه الشر ، وينتوون غيانه ، إذ هو عائد من أقصى الأرض . من أسيرطة وبيالوس بعد رحلة منهكة باكية ، قام بها يتنسم خبراً عن أبيه يشفي في قلبه غلة ، ويبري في نفسه كالوما « ويجيئها رب السحاب الثقال :

« أنة كلمة هائلة انفرجت عنها شفتاك يا ابنتي ؟ ألسنت تتشوقين إلى عودة أوديسيوس سالماً آمناً فيبطش بكل أعدائه ؟ إطمئني إذن ، ولنحرمي ولده تليماخوس حتى يصل سالماً آمناً هو الآخر إلى أرض الوطن ، ولئيبؤ أعداؤه بالفشل » ثم توجه بالخطاب إلى ولده هرمن ، رسول الآلهة ، فقال :

« هرمن ! هلم يا بني إلى عروس الماء الشقراء كاليسو برسالاتي ؟ مرها أن ترسل أوديسيوس على رمت<sup>(١)</sup> وحده ، لا أنيس له من إنس ولا آلهة ، فليلق الأهوال الطوال حتى يصل إلى شيريه أرض الفيشيين ، ملوك البحار وأصهار الآلهة ، فليزودوه بسفينة وزاد وذخيرة من أحمال من ذهب وديساج ، وبكل ما تشتهي نفسه مما يفوق نصيبه الذي حصل عاينه من أسلاب اليوم ، لو عاد به غير منقوص إلى أرض الوطن ، ثم ليبحر سالماً إلى إيثاكا ... بهذا قضت المقادير أن يؤوب ... وأن يستعيد سلطانه ووصلجانه ، وملكه وإوانه ؛

(١) خشب يضم إلى بعضه ويركب في البحر Raft

عجب ، وأى منظر عجب يبعث البهجة والانشرح  
حتى في قلوب سكان السماء ١١

ووقف هرمس يمتع ناظره بسحر هذه الجنة  
ثم دلف الى الكهف ، ولم يكن يسيرا على عروس  
الماء أن تعرف من هو ، وأى إله خالد طرق بابها ،  
ولو أنها هي أيضاً فرد من أسرة الخالدين ... ذلك  
لأن سكان السماء يكونون مثلنا أحياناً ، لا يعرف  
أحدهم جميع الآخرين ، لبعده الشقة ، ونأى الدار ،  
وانقطاع المزار ... ، وأرسل عينيه في كل شق  
من شقوق الكهف ، بيد أنه لم يقف لأوديسيوس  
على أثر ... فأنثنى ، ويم نحو الشاطئ واستوى على  
صخر عظيم نأى ، وشرع ينثر من عينيه الدموع  
الغوالي ، يطفى بها في القلب سميراً سرمدياً يلزمه  
أبد الدهر ... وكأنما عرفت كالپسنو من هذه  
الآية أنه هرمس ، فراحت تسأله ، إذ هي مستوية  
على عرشها المرد العظيم :

« هرمس ! يا صاحب العصا السحرية ، يا من  
طالما أحببته وبجلته ، حدثني فيم أقبلت ، وقد  
ندر ما قدمت الى هنا . هلم فقل . سل حاجتك  
فسأقضيها إن تكن في وسعي ... ولكن هلم أولاً  
ولتؤد لك مراسم القرى وواجبات الضيافة ...  
هلم ! »

ومدت عروس الماء سباطاً خافلاً بأشهى  
ألوان الطعام وصنوف الشراب ، وأقبل هرمس  
فاغتذى وروى من هذه المائدة القدسية ، ثم  
توجه بالكلام فقلل : « تسألين أيتها الربة فيم  
أقدمت ! ألا فاعلمى أنني ما أقدمت عن أمرى ،  
لكنه أبى ، سيد الأولمب وكبير الآلهة ، هو الذى  
أرسلنى . إذ أية حاجة لآله في هذه القطعة

المنعزلة من الأرض ، يحيط بها الملح من كل مكان  
حيث لا عباد ولا خلق يؤتون الزكاة ، ويقومون  
الصلاة ، ولا أثر لعبادة زيوس العظيم ! إنهم جل  
جلاله ، يقول إنك تحتجزين هنا أتمس مخلوقاته ،  
البطل الكبير الذى نزع عن بلاده الى اليوم فقضى  
ثمة تسع سنين ثم أبحر عنها بعد سقوطها في العاشرة  
مع محاربي هيلاس الذين تفرقوا في البحر شذرة ذر ،  
فمنهم من غرق ومنهم من قتل ، ومنهم من وصل  
الى بلاده ... إلا إياه ... فقد هلك كل رجاله ،  
وقذفه البحر فوق جزيرتك النائية ... جوف  
بأمرك أن ترديه ، ففي كتاب المقادير أنه لا يهلك  
هنا ... بل يعود الى بلاده ويأبى فيها آله »

وزلزلت كالپسنو زلزالاً وقالت تجيبه : « ها ...  
الظلم والحسد ... دائماً ... هذا دأبكم يا آلهة ...  
كم تأكل قلوبكم الغيرة كلما ضمت ربة الى ذراعها  
أحد بنى الموتى ! وهل نسيتم يوم ترم عندما علت  
ديانا ذات الأصابع الوردية هذا الفتى الجميل أوريون  
كيف دبّت الغيرة في قلب أبولو ففكر هذا المكر  
السى ، ودبر قتل الفتى بيدي حبيبته ديانا ؟ (١)  
هل نسيتم أيضاً كيف أرسل أبوكم جوف إحدى  
صواعقه على أباسيون المسكين لأن سيرس ربة  
الربيع قد هويته وأخذته بين ذراعها حين شغفها  
حباً ؟ ! كذلك أنتم معى اليوم ، وكذلك أنتم  
غيورون دائماً ، فما أقساكم إذ تنفسون على

(١) تراجع الأوديسة التى بأبدينا مبهمة في الكلام عن  
هذه الأسطورة لذلك اضطررنا أن نتصرف قليلاً اعتماداً على  
شرح الأستاذ جرير — وخلاصتها أن أبولو علم بما بين  
أخته ديانا وأوريون من عشق فاستدرج ديانا وأخذ يباريها  
في الرماية — وكان أوريون يشتم في البحر فجعلها تصوب  
سهمها إلى رأسه وهى لا تدري فقتلته



حياتك الغالية في تنور من الآلام ، هلم ... هيا  
إلى عمل مجيد .. أمامك الدوح العظيم والأيك الذاهب  
اقطع منه ما شئت واصنع لنفسك رَمَماً يحملك  
فوق هذا العباب المتلاطم . وسأزودك بكل  
ما يكفيك من طعام وشراب ؛ وسأمدك بأثواب  
جديدة تقيك الحر والبرد ؛ وسأسخر لك الريح  
تهدُّ هَدُك إلى بلدك البعيد ... هذا قضاء من  
آلهة السماء التي تقدّر فتعدل ، وتقضى فلا يرد لها  
قضاء . »

وتفرغ أوديسيوس لهذه المفاجأة ثم قال :  
« أوه يا عروس ! بل في الأمر سر تحاولين  
إخفاءه عني ... أي رَمَـث يحملني في ذلك البحر  
اللجى وأي ريح تسخرين من أجلى ؟ وإن السفينة  
العظيمة لتخر عبابه وهي لا تدري أتسلم أم يكون  
أهلها من المفرقين ؟ لا ... لن أفعل حتى تعطيني  
موثقتك ، وحتى تقسم القسم العظيم ، أنك  
لا تبطنين لي شراً ولا أذى ! »  
وتبسعت الربة الهيفاء ، وراحت تربت على  
خديه وهي تقول :

« ويحك ! كيف تسيء بي الظن يا أوديسيوس ؟  
أية حجة تملأ بها يديك على ما قات ؟ ولكن اصغ  
إلى ... أقسم لك بقسم الآلهة في الأرض والسماء  
والدار الآخرة ... بالقسم العظيم الذي يقشعر لذكركه  
كل شيء ... أني لم أضمر لك فيما عرضت عليك  
شراً ولا أذى ... إن الذي تبكي من أجله ، أبكي  
أنا أضمافاً ما تبكي من مثله ، فإقصد كنت ضرورة  
من ضرورات حياتي هذا ، ولقد تعلق بك قلبي ،  
وهامت بحبك نفسي ، وليس قلبي من صخر  
فيحتمل اليمد عنك ببله الأضرار بك »

حبيبي ؟ لقد أنقذته بنفسى من هذا اليم الذي  
التقم سفينته بمن فيها حين شطرها أبوكم بسهمه  
في عبثة من عبثاته ! حبيبي الذي أهواه من أعماق  
وأفتديه بروحي ، والذي أمهد له حياة الخلود ...  
ولكن ... والأسفاه ! كيف أطرده من عندي ؟  
ويحى ! إن تكن هذه مشيئة زيوس فلا أحدثن  
أوديسيوس ليرى لنفسه ، إذ ليس عندي مركب  
يأمن فيه غائلة هذا البحر المضطرب ، وإني ناصحة  
له ، ... »

وكلمها هرمن فأنذرها من غضبة سيد الأواب  
وحضها أن تعمل على إبحار البطل

\*\*\*

ورف هرمن الرسول في لازورد السماء وانطلقت  
عروس الماء تبحث في الجزيرة عن أوديسيوس ،  
حتى لقيته فوق صخرة ساهما واجما ، تفرى قلبه  
الهواجس ، وبعث به بحال الأمانى ، وقد انهمرت  
فوق خديه عبرات حرار ! والاحظاظ تذبل  
فتسقط من حياته في ظلام اليأس كأوراق الخريف  
وقد ملّ هذا المقام الطويل البائس في جوار  
عروس الماء ! تلك التي تخلع عليه حبها البارد ،  
وتقسره على أن يقضى لياليه بجانبها على فراش  
واحد في ذلك السكف السحيق ... وكلما فكر في  
وطنه ، ونظر إلى الموج المتوالب في أفق اليم ،  
وعرف أن لا قدرة له عليه ... بكى وأن ، وتوجع  
وتصدع ، وأرسل في لانهابة الماء والسماء آهات  
وآهات ... »

واقتربت منه عروس الماء في رفق وسحب ،  
وقالت له :  
« أيها الشمس لا تنتحب هكذا ، ولا تعهر

بشفوفها الرقيقة الثلجية الناصعة التي كأنما نسجت من نسبات الصباح العطري ، وراحت تخطر فيناذة ريانة ، وقد انشجت حول وسطها النحيل بقرطق جميل ، وألقت على رأسها بخمار صفيق رقيق ؛ وقدمت إليه فأساً ذات حدين أحدهما كالسباطور ، ركبت فيها يد من خشب الزيتون المتين ، ثم إزميلاً حاداً مرهفاً ... وسارت بين يديه حتى كأنها عند غابة عظيمة تُخْرِفُ ، لاحبة شاحبة ، بسقت فيها أشجار الحور والسنديان والشربين<sup>(١)</sup> ، وتركته ثمة وعادت أدراجها إلى كهفها ...

ولم يهدأ للبطل المسكين بال ، بل شرع من فوره بقطع كل أيكّة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة ... ثم أقبلت كاليسو وقد حملت إليه آلات ساعده على تشذيب الشجر ، واستطاع بعد لآي أن يضم بعض الجذوع الى بعض ثم كلبها بكلايات كبار ، وأفرغ في وسط الرمث له ولما يحمل مكاناً أميناً ، كأحسن ما يصنع السفنانون ... ودعم ذلك جميعاً بألواح ودُسر ، وصنع قلعاً وجعل في القلع شراعاً ، ثم سوى السكان مكانه ، وجعل في الباطن صبرة<sup>(٢)</sup> كبيرة تقي الرمث الانقلاب ، ولم ينس أن يبدل جوانبه بفروع وأغصان تريد في قوة وتضاعف من مُنته . وأتم صنع مركبه في أربعة أيام ، وأنزله الى البحر في الخامس ؛ ثم أدخلته عروس الماء حمامها ففسلته وضاعته بالطيوب والعطور ، وخلعت عليه حلة من ديباج ثمين وزودته بزقين من خمر وماء ، وأمدته بشيء كثير من طعام وأثواب

(١) Fir ولم نجد لهذه اللفظة أثراً في اللسان والقاموس

(٢) أو صبرة قطعة حجر كبيرة يتزن بها المركب في البحر وتسمى في مصر ( صابورة )

وانطلقا سويا إلى الكهف ، وجلس أوديسيوس فوق المتكأ الذي كان يجلس عليه هرمن مند هنيهة ، ثم أقبل جوارى الماء يحملن شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأ كلاورويا ؛ ثم شرعت كاليسو تحذته وتقول :

« أهكذا يا ابن ليرتيس العظيم ، أيها الحكيم الصنّاع ، لا تفتأ تحن إلى وطنك وتعتزم الرحيل إليه ؛ أنا مذكرك يا أوديسيوس ... فوداعاً ! ولكن هل فكرت أيها الرجل في الأهوال الجسام التي تخرط قتادها قبل أن تصل إلى بلادك ؟ أليس خيراً لك أن تظل إلى جانبي ، وتقاسمني كهفي ، فتصبح من الخالدين ... وتنسى هذا الجلال الفاني الذي لا ينفك يصيبك ويسيبك ، والذي أحسب جمالي وفتنتي لا يقلان عنه سحراً إن لم يزيدا عليه فتونا ؟ »

فيجيبها أوديسيوس الحكيم : « أيتها الربة المخوفة ! هوّني حفيظتك ! أنا أعلم أن بنلوي العزيزة لا تزق من جمالك وفتونك مثقالاً ، لأنها هالكة ، ولأنك من الخالدين . بيد أن الذي يصيبني هو وطني ... ووطني الحبيب الذي أحن إليه وأهيم به ، وفي سبيل العودة إليه لن يخيفني هذا اللج المتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير في البر والبحر ؛ في أخبار الممعة ؛ وفي الفلك تحت كل شكل الزوينة ... إلى إلى يا خطوب ، وأقدي بكل حولك يارزايا ... »

\*\*\*

وتوارت الشمس بالحجاب ، وأرخى الليل سدوله فوق الجزيرة ، ونامت الربة في سريرها الوثير وبين ذراعيها حبيبها تشمه وتضمه ، وتحسه وتلثمه ... حتى إذا نضرت بالورد أوزورا جبين المشرق ، هب الألفان وتدثرا ؛ هذا بثوبه الخشن ، وتلك



وودع عروس الماء المحزونة ؛ وجلس عند السكان ، ثم دفع الرمث في البحر ، وابتمد رويداً رويداً

وكان قلبه يفيض بالبشر ، وصدره يمتلئ بالانشراح ... وظل يجرى به الفلك الصغير سبعة عشر يوماً ، وعيناه في كل ليل ما تريعان عن الثريا في علياء السماء ، وما تفتران تنظران الى نجوم الدب الأكبر التي تقف للجبار<sup>(١)</sup> بالمرصاد ، كما علمته عروس الماء قبل أن يبرح ، أن يجعل هذا النجم الى شماله أبداً ثم بدت جبال فيشيا الشم كأنها دروع مسرودة فوق صدر الأرض الشاحبة ... ولكن ! وأأسفا ! ... لقد كان الجبار نبتيون ثانياً عنانه من سوليا<sup>(٢)</sup> ، فلمح أوديسيوس فوق رمته يتوائب على هام الموج ، ويقرب من الشاطئ ، فينجو الى الأبد من بطشه ... وثارت في نفس نبتيون — إله البحار ، وأعدى أعداء أوديسيوس — ثورة من الغضب ، وظل يملك هذه الكلمات في نفسه من فوق بطاح إيثوبيا<sup>(٣)</sup> :

« وى ! أو قد تبدلت مقادير الآلهة إذن ، وتحركت فيهم عواطف الحنان من أجل هذا الرجل أوديسيوس ، فقصوا فيه ما قصوا لأنهم يسكنون السماء ، ولم يبالوا بي لأنني أسكن الأرض في إيثوبيا ؟ ... إنه يرى شاطئ فيشيا قيد وثبات منه وهو إذا قفز إليه أصبح بنجوة من هموم تترصده في كل موجة من موج هذا اليم ... ولكن ... لا ... لألهينه بألف سوط عذاب قبل أن يصل الى البر ... »

(١) - الجوزاء Orion

(٢) - إحدى مقاطعات آسيا الصغرى وكانت تدعى يسيديا

(٣) - هكذا في الأصل

ثم إنه لاعب السحاب بصولجانه ذى الشعب الثلاث فانعدت منه ظلمات في أرجاء السماء ، وطفق بمد يهز أعماق البحر فهاج وماج ، وتلاطم بالأمواج ، وصاح صيحة بريح المشرقيين ورياح المغريين فاجتمعت إليه من كل مكان سحيق ... ثم هبت ريح الشمال الشاحبة اللاخفة فانطفاً لألاء النهار ، وناء الليل فجأة ، وطفى العباب وشابت نواصيه بالثبيج ، وتناوح الموج الغضوب حول الرمث ، وهلع فؤاد أوديسيوس وأصبح قلبه فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه العذاب ، وراح يحدث نفسه هكذا : « يا لنعاسي ! أى مقدار قاس يترصدني ؟ ! لقد أذرتني ربة الماء مغبة هذه الرحلة الهوجاء في البحر فما صدقها ، وتنبات عن الشدائد التي تعتور طريقى إلى الوطن ، فها هي ذى تتحقق ! أية أعاصير هوج وأي موج ينتفض من الأعماق سلط جوف على هذا البحر ! بمد لحظة أغوص في ظلمة هذه القبور التي يشقق عنها الموج ! ألا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً تحت أسوار اليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثاً في سبيل إنقاذ الأريديس<sup>(١)</sup> أو يوم أوشكت أن أصرع برماح الطرواديين إذ أدفع جموعهم عن جثة أخيل ! ! أجل ! لو أنني مت ثمة لأقيمت من أجل الطقوس الجنائزية ، وأدبت لي الشعائر الدينية ، وذرف فوق قبري كل يوناني أغلى دموعه وأغر عبراته . وتفاديت هذه الموتة المجهولة التي تكاد تلتقمني ! »

ثم كانت الطامة ... فان موجة كالطود فجأته ... فبعثت الرمث ... وأفلت مقبض السكان من يدي أوديسيوس ، فانتثر في اللجة ، ثم غاص في أعماقها ، وعبثا حاول أن يطفو ... لأن الرياح تكالبت من

(١) هو أجاممنون

بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء «  
وسلمت إليه زئارها الموعود، ثم غاصت في  
الماء، وبقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة  
وحزن عميق؛ ثم أفاق من غشيته، وجعل يهرق  
هكذا: «أوه! ترى؟ أذاك شرك آخر تدبره  
الآلهة لي؟ ولكن لا... لن أبرح مقبياً فوق  
الرمث، فالبر بعيد، ولا ظل مكاني مادامت الجذوع  
مكبسة هكذا، فإذا حطمتها يد الحدثان فلأفعلن  
كما أشار الآله الذي كان يكلمني منذ لحظة...»  
وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نيتيون موجة  
جارفة حطمت رمته، وتركته عالقاً بأحد الألواح...  
وأسرع أوديسيوس نخلع الرداء النجيل الديباجي  
الذي خلطته عليه كاليسو، ولف الزئار الموعود  
حول صدره، وقذف بنفسه في الماء... وراح  
يسبح!

وكان نيتيون الجبار يرى بعينه، ويشفي  
أحده، ويقول في نفسه: «ذق يا أوديسيوس  
وبال أمرك في هذا الطوفان، قبل أن تضل حبالك  
بجبال الشعب الذي هو حبيب الآلهة، وسيتري  
نمة هل تنتهي آلامك!»

وحدث مطيئه حتى وصل (إيجيه) حيث  
يشرف قصره المنيف

\*\*\*

وكانت مينرفا تشهد الكفاح الهائل بين  
أوديسيوس وبين اليم، فاطلمت من عليائها،  
وداعبت الرياح حتى استنامت وونت، ثم أطلقت  
بوريس، ربح الصبا الشمالى الكريم فجرى (١)  
رخاءً، يدفع أمامه البطل العظيم الذي ظل يناضل  
الموت وبصرعه يومين أطول من دهر، وليلتين

(١) الضمير عائد على بوريس وهو مذكور

كل مكان، وكلما نجا من موجة فغرت له قها  
أخرى... ثم حدثت المعجزة... فقد وسعه بعد  
لأى وبعد عناء شديد أن يدفع نفسه دفعة اليأس  
إلى السطح، وأن يملأ رئتيه المنهوكتين بالتنفس من  
الهواء، كانت تترج بالماء الأجاج المتصحب من  
جبينه، حتى لأوشك أن يغص بها... لولا أن  
لطفت به الصدفة، فرأى الرمث قريباً منه، وقد  
انزعجت العاصفة قلاعته وشراعه، فسيح إليه  
وأمسك به، ثم استوى عليه، وتركه الموح تلعب  
به واحدة وتعبث به أخرى، وتجتمع عليه الرياح  
عن شماله ويمينه، ومن خلفه وقدامه، حتى قبض  
له القدر عروس الماء (إينو) ابنة قدموس، التي  
كانت تمش في البر وتعرف فيه بهذا الاسم، والتي  
تخذت اسم (ليوكوتيا) بعد أن نزلت إلى البحر  
وعلقها أحد الآلهة فوهبها الخلود... لقد تفجرت  
في قلبها شأيب الرحمة من أجل أوديسيوس لما  
رأته في هذا الروح الذي ليس كمثل روع، فسحرت  
نفسها ووثبت على الرمث في صورة غطاس الماء،  
ثم قالت له: «ويحك أيها البائس! فيم أثرت  
غضبة نيتيون عليك حتى ليتبعك سرباً في شعاب  
البحر، ويصب عليك كل تلك الرزايا...؟ على أنى  
أنصح لك أن تدع هذا الرمث، تتدافعه الرياح  
حيث تشاء، ثم تخلع ملابسك، وتقفز في الماء،  
وتسبح بقوة وجلد حتى تصل إلى شطآن فيشيا،  
حيث تسلم بنفسك، وتكون بئامن من بطش  
هذا الجبار. خذ، هالك زئاراً من حرير من  
حياكة السماء، لفه تحت صدرك، فانه يجعلك  
بئامن حتى من مجرد التفكير في الموت؛ فإذا وصلت  
سالمًا إلى الشاطئ، فارمه بكل ما أوتيت من قوة  
بعيداً في البحر، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل،



أحلك من غيابة جب ، حتى إذا غابت أورورا في  
اليوم الثالث ، استطاع أن يرى الشاطئ على مصرى  
البصر ، من فوق موجة عالية

ما أحلى الأمل الذي يحيا بعد يأس ! لقد  
كان ينظر أوديسيوس إلى التلال والجبال القريبة ،  
والغابة النائمة في أحيادها ، كما ينظر الأطفال الأبرار  
إلى أب لهم أنهكته العلة . . . ثم تماثل للشفاء بعد  
تسليم وقنوط !

وتحسس الأرض بقدميه ... ولكن ...  
 وأسفا ! الأعماق الهائلة ! والصخور والأواذي !  
 والموج الذي يرتطم بأقدام الجبال فيرغى ويزبد ... !  
 لم يكن بهذه الجهة مرفأ ، ولم تكن تجوس  
 خلالها سفن ... ولقد ظل أوديسيوس يكافح  
 ويكافح ... حتى غم على قلبه ، وكاد يتغشاه طائف  
 من الخور ، بعد أمل أكيد !

وجاشت الوسوس في قلبه ، وطفق يحدث نفسه حديث الهلاك في هذه اللجة الرجراج ... وكان أخوف ما يخشاه أن يدفعه الموج على نتوء الصخر فيحطمه ، أو أن تلمحه أمفريت ، زوج نبتيون ، عدوه اللدود ، لأنه البحر ، فتسلط عليه من وحش الماء ما يلغفه ، أو يقذف به الى أعماق الأعماق ... كرة أخرى

وبينا هو في بحرين من ماء ومن هوا جس ،  
إذا موجة هائلة يضطرب بها اليم فتسدفه في قوة  
وعنف الى الشاطئ ذى النتوء والنوى فتكاد تدق  
عنقه ، وتذروا عظامه ، لولا أن قبض بذراعيه  
الجبارتين على حافة صخرة بارزة ... وثمة ظل  
معلقا حتى أقبل جيل آخر من موج البحر فاحتمله  
الى الأعماق كأنه أحد سراطين الماء . . . وجاهد  
المسكين ثانية وثالثة حتى تدافع الموج من خلفه

فقدفه في مسيل من مسایل الماء المنتشرة على  
الشاطئ ، وعندها ، ظن أوديسيوس أنه بنجوة  
لولا تيار النهر الذي كاد يسلمه بدوره للمحيط ، مما  
جعله يضرع لرب التهر ويبتهل ... ويدعو من  
أعماق قلبه ويصلي . ، حتى استجاب الرب الرحيم  
لصلاته ، فكسر حدة التيار ، وقلّ من غرب  
الماء واستطاع البائس المهوك أن يصل الى إحدى  
المدوتين واهياً متهاكاً عطفاً .. فانطرح على الثرى  
بقبله . . ويلهث ويقول :

« ويح نفسي ماذا تبتمنين يا آلام ! لقد أقبل الليل وأنا عي مصدع ، ولا قبل لهذه البقية من حشاشتي بطل العشاء وصقيع الفجر ... فلو أني استطعت أن أتسلق هذا الحدور فالوذ بأجرة من هذه الغابة ! ولكن ! وى ! أى وحش صار يفتدى بلحمي ثمة ؟ »

يَبْسُدُ أَنَّهُ تَوَقَّلَ فِي الْجَبَلِ حَتَّى أَوْشَكَ أَنْ  
يَضْرِبَ فِي الْغَايَةِ ؛ ثُمَّ كَانَ بَيْنَ زَيْتُونَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا  
مَشْمَرَةٌ ، وَالْأُخْرَى عَقِيمٌ ؛ كُلُّ مَنِهْمَا لَفَّاءٌ شَجَرَاءُ  
حَتَّى لَا تَنْفُذَ الرِّيحُ بَيْنَهُمَا ، وَلَا تَنْسَرِقَ أَشْعَةُ الشَّمْسِ  
خِلَالَهُمَا ، وَلَا الْمَاءُ بِوَأَصْلِ إِلَى مَنْ اسْتَنْدَرَى بِهِمَا  
هَنَّاكَ ... وَجَدَ أَوْدِيسِيُوسُ مَأْمَنَةً ؛ ... فَرَّاحُ  
عَمَدِ الْأَرْضِ ، وَيَلْمُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ قَشٍ وَيَحْتَطَبُ  
حَتَّى صَنَعَ لِنَفْسِهِ مَنَامَةً تَكْفِي اثْنَيْنِ غَيْرَهُ ، مِنْ  
الضَّارِبِينَ الْمَشْرِدِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَدَعَمَ حَقَاقِيهَا  
بِفُرُوعِ الشَّجَرِ ... ثُمَّ أَسْلَمَ عَيْنِيهِ لِنَوْمٍ هَادٍ عَمِيقٍ ،  
سَكَبَتْهُ مَيِّزُفَا فِي كَلْتَا مَقَاتِهِ

فولته ما كان أروعها غاراً في هذا السقف من  
القش ، كشعلة من زيتونة لا شرقية ولا غربية ،  
يعتز بها ريفي شاب في قرار مكين<sup>(١)</sup>

دریغی غم‌شیر

(تیسرے)

(١) كانت النار في الزمن القديم أغلى ما يعتز به الناس

الأرض فيثير غبارها ، وكان القمر في كبد السماء  
الصفافية ، يرسل أشعته الفضية على الرجل النائم . ولم  
يكن هناك أحد سواها ، أنا والنائم التمل الذي  
لم يكن يشمر بوجودي وهو يتوسد الحجر القاسي  
كأنه على فراش وثير .

وشمرت بأن حال هذا الرجل زادت في  
آلامي ، فتمكننت من مبارحة مكاني الذي ما كنت  
لأبرحه ، وما كنت لأستفيد من وجودي به لأطرق  
الباب حتى ولو أغربت على ذلك بملاحة وقاج ،  
وذهبت إلى قرب هذا الرجل النائم أتفرس فيه  
وأقول في نفسي :

ما أحمق نومه ، لا ريب أن رقاد هذا الرجل لا يقلقه شيء من الأحلام ، ولعل زوجته تفتيح في هذه الساعة لجار لها باب المسكن الوضيع . إن أبواب هذا الانسان عبارة عن أطمار بالية ، وقد يحل خداه وتجمعت يداه ، فمن يكون هذا المخلوق إن لم يكن واحداً ممن لا يجدون كل يوم كسرة خبز يقتاتون بها ، فهو إن نهض غداً من نومه سستعاوده جميع همومه وتحتاجه جميع مصائبه ، ولكنه هذا المساء كان يملك بضعة دراهمات يمكنه من الدخول إلى حانة فابتاع النسيان لأوجاعه . لقد ربح هذا الرجل في مدى أسبوع ما أناله ليلة رقاد هنيء . ولعله حرم بذلك أطفاله عشاء ليلتهم ، ولكنه الآن بمنأى من آلامه ، فلرفيقته أن تخدعه ولصديقه أن يلج مسكنه الحقيقير كاللص ، بل لي أنا إذا شئت أن أضرب على كتفه لأقول له : إن عدواً يهدد حياته ، وإن النيران تلتهم مسكنه ، فانه لينقلب على جنبه الآخر ويعود مستغرقاً في نومه

وذهبت أذرع الشارع بخطوات واسعة قائلا:  
وأنا... وأنا... وأنا المحروم لذة النوم، وفي جيبي





من المال ما يكفي لتتوهم هذا الرجل - سنة كاملة ،  
يسودني الغرور بل الجنون فأترفع عن دخول  
الحانات ، وأتجاهل أن التمساء يدخلونها ليخرجوا  
بالسعادة من بين جدرانها

يا لله ! إن عناقيد من الكرمه تمصرها الأقدام  
كافية لتبديد أحلك الهموم ، ولتقطيع الأشرار التي  
تمدها روح الشر على مسالكنا . إننا نعمل كالنساء  
ونتألم كالشهداء ، فيخيل إلينا حين تساورنا المصائب  
أن العالم قد تهدم على رؤوسنا فننطرح منتحبين كما  
انطرح آدم أمام الباب الموصل بيكي النعيم المفقود ،  
في حين أنه ليس علينا إلا أن نمد يدنا إلى السكاس  
لأطفاء لهب أحشائنا ، وشفاء أوسع جرح فتحته  
فيها الحياة . ما أحقر هذه الهموم التي تداوى برشفة  
من مثل هذا الدواء !

إننا لنعجب من أن العناية الإلهية لا ترسل  
جميع ملائكتها لتتنصت لآهاتنا ، وما العناية  
بحاجة إلى إرسال طغام أملاكها إلينا ، فهي قد  
رأت أوجاعنا وما خفيت عنها شهواتنا ، وغرور  
روحنا الساقطة وما يحيق بنا من غمرات الآلام  
فاكتفت بأن تنبت ثمرة صغيرة سوداء تتدلى على  
جوانب طريقنا .

إذا كان هذا الرجل يتم ملء جفونه فلماذا  
لا أنام أنا مثله ملء جفوني

لقد يكون مزاحي متوسداً فراش خليلتي الآن  
فيخرج منه عند الفجر ، وتشيعه هي حتى الباب  
فينظران إلى وأنا أعطي في نومي على هذا القعد فلا  
أنتبه لصوت قبلاتهما ؛ وإذا ما ضرباني على كتفي  
فأني أنقلب على جنبي الآخر واستمر في الرقاد  
وتحسبم الروح في فذهبت مفتشاً عن حانة  
أستقر فيها ، وكان نصف الليل مرّاً وأقفلت أكثر

الحانات ، فثار ثأري وقلت في نفسي لعلي أن أفوز  
حتى بهذه التعزية ، فكنت أترأى من باب  
دكان إلى باب دكان آخر هاتفاً :  
- أريد خمرآ . . أريد خمرآ . .

واهتديت أخيراً إلى حانة مفتوحة ، قطببت  
زجاجه خمر وجلست أكرعها دفعة واحدة دون  
التفات إلى نوعها ، واتبعت الأولى بثانية وثالثة ،  
فكنت أقاب الكأس تلو الكأس مكرهاً ، كمرريض  
يتجرع دواء فرض عليه فرضاً لا تقاذ حياته .

وما مضت برهة حتى شمعت بأبخرة هذا  
الشراب - الذي كان ولا شك مغشوشاً - تتصاعد  
إلى رأسي وتورثني السكر فجأة ، فيتوالى على ذهني  
الصفاء والاضطراب ، حتى فقدت قوة التفكير ،  
فشخصت ببصاري إلى مافوق كأني أودع شعوري  
بنفسي ، وتراخي ساعدي على الخوان فلم أستطع  
تحريكهما . وعندئذ لاحظت أنني لم أكن منفرداً  
في الحانة إذ رأيت في طرفها كتلة رجال تجلي القبح  
في وجوههم الشاحبة ، وتماالت النبرات الشاذة في  
أصواتهم ، وكنت أرى من أثوابهم أنهم ليسوا من  
العامة ولا من متوسطي الحال وكل ما فيهم يدل  
على أنهم من أحقر الطبقات ، من الطبقة التي  
لا مكان لها ولا ثروة حتى ولا مهنة سوى مهنة  
البطالة الدنيئة ، من الطبقة التي لا تنتمي إلى الفقراء  
ولا إلى الأغنياء وقد انتمى إليها بؤس الفقر  
ورذيلة الغنى

وكان بين أيدي هذه الجماعة ورق قدر العيسر ،  
وكان الخلاف قائماً بينهم فيخفون أصواتهم في  
مجادلاتهم ؛ وكان بينهم فتاة غضة الصبا ، بهيمة  
الطلعة ترتدي أثواباً نظيفة ، وليس في مظهرها ما يشبه  
من حولها من الناس سوى صوتها الأبح الذي كان

مستسلم لليأس ، قد صرت بسرعة حسبت معها  
أننى أشاهد حلمًا ، فاضطربت أفكاري حتى حسبتنى  
جنت أو استولت على قوة مجهولة

وصحت بالفتاة فجأة : من أنت ، وما تريدني  
منى ؟ وأين عرفتني من قبل ؟ من كلفك بمسح  
دموعي ؟ أهذه واجبات مهنتك ؟ وهل تظنين أننى  
أرضى بك ؟ .. لأننى لن أمسك بأطراف أناملى .  
ما ذا تفعلين هنا ؟ أجيبى ، أماً لا تطلبين ؟ وبأى  
ثمن تبيعين إشفافك ؟

ونهمضت طالبا الخروج ؛ ولكننى شعرت  
بأن رجلى لا تقدران على حملى ؛ وأن غشاوة أسدت  
على عيني ، ونفدت قواى فارتيمت على مقعد مستطيل  
عثرت به

أخذت الفتاة يمدى وقالت : أنت متألم . . .  
لقد شربت كما يشرب الأطفال أمثالك فما عرفت  
ماذا فعلت .. انتظر على هذا المقعد إلى أن تمر  
عربة . . قل لى عنوان أمك لأرسلك إليها  
ثم تضاحكت قائلة : إذهب إلى بيتك ما دمت  
قبيحة فى نظرك . . .

والتفت إليها وهى تتكلم ، وما أعلم إذا كان  
السكر أراى ما رأيت ولم أتبين إذا كان ضلالى سبق  
هداى أم هداى سبق الضلال ، فرأيت فى وجهها  
صورة لوجه خليلتى ، وعند ذلك شعرت بصقيع  
الجليد فى أعضائى

إن الانسان ليسمر أحيانا بارتعاش فى شمر  
رأسه ، ويقول السذج إن ذلك دليل على مرور  
ملاك الموت ، وما كان الموت قد مر على رأسى بل  
هوداء العصر ، وما كانت هذه الفتاة إلا ذلك الداء  
بمينه تجسم فيها شاحبا هازئا بنبرات الصوت  
الأبح وجاء يجالسنى فى زاوية من هذه الحانة

بتمالى كأنه صوت منادٍ امتهن المناداة فى الأسواق  
ستين سنة . وحدثت هذه الفتاة فى ، وقد أدهشها  
ولا ريب وجودى فى هذه الحانة ، وأنا مرئى  
ما أرنديه من أنيق الأثواب ؛ وما لبثت أن تقدمت  
نحو مجلسى وعند ما رفعت الزجاجات الثلاث عن  
الخوان ، ورأتها فارغة افترت ثغرها عن درّ نصييد  
فقبضت على يدها ورجوتها أن تجلس قربى فجلست  
مسرورة ، وطلبت أن يحضر الخادم لها المشاء .

وحدثت فى الفتاة صامتا وعيناي مغرورقتان  
بالدموع ؛ فسألتنى عما يحزننى ، وما كنت قادرا  
على إيراد الجواب ، فهزئت رأسى كأننى أريد أن  
أطلق القطرات الحائرات من مدامى ، فتساقطت  
على خدى . وأدركت الفتاة أننى أكتهم أمرا  
مؤلما فما حاولت اكتشافه ، بل أخرجت منديلها  
وهى تتناول طعامها لتره على وجهى أنا فأنا

وكان فى هذه الصبية شىء لا يحدد إلا بأنه مزيج  
من أخشن الأشياء والطفها ؛ وقد تغفل العطف  
فى فخشاها ؛ فوجت حائرا فى تقديرها . ولو أنها  
كانت التقت بى فى شارع ومدت يدها إلى  
لتراجعت عنها مشمئزأ ؛ غير أننى وأنا فى حالتى كنت  
أرى من الغرائب أن تتقدم نحوى فتاة ما رأيتها  
من قبل فتجلس صامتا إلى خوانى وتتناول طعامها  
أمامى ثم تجفف مدامى بمنديلها ؛ لذلك بت أمامها  
واجما نائرا مخلوبا

وسمعت صاحب الحانة يسألها عما إذا كان لها  
معرفة بى . فأجابته إيجابا وطلبت ألا يتدخل أحد  
فى أمرى . وبعد قليل من الزمن انصرف اللاعبون  
وأقفل صاحب الحانة أبوابها من الداخل ثم انسحب  
إلى غرفته الخاصة ، وهكذا بقيت لوحدى مع الفتاة  
وكانت هذه الحوادث التى أثرتها بما فعلت وأنا



## الفصل العاشر

وما كدت ألحظ مشابهة هذه المرأة لمشيقتي حتى اجتاحت دماغي فكرة فظيمة لم أجد بداً من تنفيذها

وكانت خليقتي في أوائل عهد غرامنا تأتي خلصة إلى غرفتي للاجتماع بي ، فكنت أملاً هذه الغرفة أزهاراً وأضرم النار في الموقد ، وأعد العشاء ، وما كنت أغفل عن تزيين السرير وإعداده للحبيبة المنتظرة

ولسكن شخصت الى هذه الحبيبة الساعات الطوال وهي جالسة على المقعد أمام المرأة ، وكلانا صامت يناجي الآخر بخفقتان فؤاده ، فكنت أراها كما لكة من عالم الجن تحول الى جنة هذا المسكن الصغير حيث أرقبت كثيراً من الدموع . ولسكن تألقت بروعة جمالها بين هذه الجدران الأربعة الحزينة والرياش القديم ، وقد تبعثرت حولها كتيبي وأثوابي

وكان تذكر هذه الليالي لا يفارقني لحظة منذ فقدت بهجتها ، فكانت كتيبي وجدراننا تناجيني بهذه الذكرى وأنا مسهد مفجوع فزهقني حتى أذهب هارباً منها الى الشارع فافراً من سريري الذي لم أكن ألتجأ إليه إلا لأذرف عليه الدموع اقتدت هذه الصبية الى غرفتي وأجلستها على المقعد ، محاولاً ظهرها نحوي وأبقيتها عليه وهي نصف عارية ، ثم شرعت أرتب كل ما حولها على النمط الذي كنت اخترته في أعماق الليالي ارتساماً في خيالي إن للكريات السعادة صورة واحدة تغلب على سائر صورها ، فهي خيال يوم أو ساعة فاقت سواها في جمال المؤثرات فتبقى كأنها الأنموذج

المستقر ، ولكل إنسان في حياته ساعة وقف فيها صارخاً : إضرب سهماً مذهباً في عجلتك الدائرة ، أيها الزمان

وبعد أن تم ترتيب الغرفة طبقاً لما ذكرت أوقدت ناراً ، وجلست القرفصاء أكرع كأس يأسى حتى الثمالة ، وأسبر صميم فؤادي لأشعر بتملله وانقباضه ، وكنت أستعيد في ذهني أنشودة تيرولية كانت تتغنى خليقتي بها وهي :

كنت في روض دلالي زهرة فيها ضرام أحرق العشق جمالي هكذا يقضى الغرام وكانت نبرات هذه الأنشودة ترن في أذني كأنها صرخة تتعالى في قفار قلبي ، فأناجي نفسي قائلاً : هذه هي سمادة الانسان . هذه هي جنيتي أصبحت صبية من بنات الواخير ، وهل خليقتي أفضل منها ؟ هذه ثمالة الكوثر الذي نحتسيه ، هذه جيفة الغرام ...

وأطلقت الفتاة الشقية صوتها بالانشاد إذ سمعتي أتمم بأنشادي ، فملت وجهي صفرة الموت إذ سمعت عواطف نفسها تنشد هذا الصوت الأجلح المتعالي من فم فتاة تشبه من أحببت ، فكأن هذا الصوت هو الفحشاء تفرغ في صدر نورتي فيه أزاهر الشباب ... وخيل إلي أن صوت خليقتي قد أصبح منذ سقوطها شبيهاً بهذا الصوت ، وخطر ببالي ما يحكي عن (فوست) من أنه رأى قارة حمراء تنشب من فم ساحرة عارية كان يخاصرها في ليلة راقصة . فصرخت بالفتاة : اسكتي ، وهرعت إليها فترامت ضاحكة على سريري ، فانطرحت بدوري إلى جانبها وإذا بي أرى جسدي كتمثال ممدد على لوح مدفن

أي ، رجال هذا الزمان ، المتسارعين وراء

قيمتها ، اذكروا انكم قد تمسقون شيئاً بالرغم من  
صقيع عواطفكم ، ولقد ينقطع عرق في أعماق  
أحشائكم فتصبرخون صراخاً يشبه أنين المتألمين -  
لقد يجيء يوم تفردون فيه إلى الأزقة الموحلة عندما  
تطلبون ملذاتكم لتستنزفوا فيها قواكم البائرة  
فلا تجدون من المال ما يملئكم أياها ، فتذهبون  
بنظراتكم الحائرة ووجوهكم الشاحبة المحددة  
لتنطرحوا على مقعد منفرد تحت ظلام الليل

أيها الأثافيون المنتصبون كتائب من صرصر ،  
التفردون باخضاع كل شيء لتفكيركم ، أنتم المباهون  
بترفكم عن اليأس وبمعصمتكم في حساب الأرقام ،  
إذا ما سطا اليأس عليكم وأخطأتم في حسابكم يوم  
يزعزعكم الأفلاس ، تذكروا (أبلار) وقد اختطف  
القضاء منه (هلوز) التي باع هيأته بها ما لا يبلغ  
معشاه حبهم لحيادكم ودنانيركم وخليلاتكم فإن هذا  
الماشق قد فقد بافتراقه عن يعبد ما لا يمكن لكم  
أن تفقدوه أنتم ، حتى وما لا يمكن أن يفقده أميركم  
إبليس لو عاد إلى الجنة ليسقط منها مرة أخرى .  
ذلك لأن أبلار قد أحب هلوز حباً لا تقرأونه في  
أية جريدة تتصفحونها ولا بلوح حتى تخيال لنسائكم  
وبنائكم لا في كتبنا ولا على مسارحنا - ، ذلك  
لأن هذا الماشق أمضى نصف حياته باقى قبلاته على  
جبين الحبيبة الطاهر وهو يلقبها المزامير والأناشيد ،  
ذلك لأنه لم يكن له سواها على الأرض

تذكروا هذا المبلى واعلموا أن الله قد أرسل  
إلى قلبه العزاء والسلوان . فإذا ما تذكركم هذا  
الماشق والحننة التي حلت به فإن كفر فولتير  
ودعابات كوزيه تفقد معناها في نظركم فتعلمون أن  
العقل يمكنه أن يشق الإنسان من أوهامه ولكنه

ملذاتكم في المراقص والمسارح ، إنكم ستمودون في  
آخر الليل إلى مساكنكم لتقرأوا قبل استسلامكم  
للوسن أشياء من كفر الشيخ فولتير أو مداعبات  
كوزيه ، أو خطب مجلسنا النبائي عن الاقتصاد  
السياسي ، فأجيزوا لي أن أوجه إليكم هذا الرجاء ،  
ولكل منكم ما يروح به عن نفسه رائحة هذه  
النبته السامة التي زرعتها العقل في قلب حضارتنا :  
إذا ما وقع هذا الكتاب الوضيع صدفة بين أيديكم  
فلا توجهوا إليه بسمة الاحتقار ولا ترفموا أكتافكم  
مستهزئين . لا تقولوا وأنتم تخالون أنفسكم في حرز  
أمين إن واضع هذه الفصول مصاب بداء الأوهام ،  
ولا تظنوا أن العقل أو ما تعتبرونه عقلاً هو خير  
ما في الإنسان من قوى ، وإن حقائق الحياة قائمة على  
حركة المضاربات المالية وورق الميسر ولذيذ الخمر  
وصحة الجسم وعدم المبالاة بالسوى ، وعلى فراش وثير  
تمددون عليه عضلات توترت بالشهوات تحت  
جلد ناعم يعبق بالمطور

لا تغفروا ، فقد تهب يوماً عاصفة هوجاء على  
حياتكم الهادئة ، ولقد ترسل العناية الإلهية صرصرأ  
على الأدواح الباسقة التي تسقونها من مياه النسيان  
الراكدة . لستم بآمن من عثرات الآمال فإن في  
أعماق عيونكم دموعاً ، أيها المتحصنون بالجود  
وأنا أقول لكم إنكم معرضون لخيانة خليلاتكم وما  
تهتمون لهذه الخيانة اهتمامكم لموت أحد جيادكم ،  
ولكن اذكروا أن المضاربات المالية معرضة للخسارة  
وإن أقوى ورقات الميسر قد تصطدم بأقوى منها ،  
وإذا كنتم من غير فئة المضاربين فلا تنسوا أن  
سعادتكم وذهبكم وفضتكم مودوعة عند صيرفي قد  
يُنزل به الأفلاس أو ممثلة بقراطيس مالية قد تسقط



الأ كدر الذي يمشی بين  
النخيل يترك القمر  
يتقطر ؛ ان أيام مصر  
ترتمش حولنا ، والمساء  
يدفع اللحظات بين يديه  
كسبحة سوداء ،  
والسكون ذاته صلاة  
غربية ، والرمال تتألق  
كالحرير الأرجواني .

# سيرة أبي الهول

مشرقية شعرية في أربعة فصول

للكاتبة الفريسي ريسان رستان

بقلم الأستاذ خليل هندأوى

لى من العمر عشرون ، وها إنى أحبك !  
الماشقة : عينك اللامعتان لهما من البحر رفته العميقة

الماشق - منذ أى زمن تهويننى ؟

الماشقة - أنى لى أن أعرف ؟

الماشق - ألا تعرفين ؟

الماشقة - يجب أن أهواك من اللحظة التى  
كنت فيها ، وإنى لأذكرك فى كل أيام الجميلة !

الماشق - قد انتصف الليل  
( ينهض )

الماشقة - أين ترى الساعة ؟ آه إنى أريد  
ألا أعرفها ، فصوت المؤذن الذى يتعالى لا يصل  
إلينا ، هنا الساعة تمضى على استحياء لئلا نشعر بها

## الفصل الثالث

### أبو الهول الأكبر

الصحرَاء المترامية ، الليل الشامل ، الفضاء ، الزمان ،  
ضباب ذهبي يغمر الأشياء ؛ وأبو الهول الشامخ يبدو  
بين الأشياء كأنه الكائن الجدير بالوجود .

يرتفع الستار : الليل داج ، والغيوم تنزاح قليلا  
قليلا ، يبدو القمر والنجوم تبعث واحدة فواحدة كأنها  
تنشر من النور ، وأبو الهول كأنه ينشر من الظلمة ،  
وعلى قدمى أبي الهول عاشقان مصريان !

### المشهد الأول

أبو الهول ، العاشقان

الماشق - بحب العودة سريعا ؛ انظرى فالليل

ولتذهبوا إلى أبواب المعابد محاولين فتحها فتجدونها  
مقفلة فى وجوهكم فيخطر لكم أن تاجأوا إلى الرهينة  
التي لا يخرج المندرون منها إلا إلى قبورهم ، ولكن  
الأقدار تسخر بكم وتقذف اليكم بزجاجة خمر وامرأة  
عاهرة ، فاذا ما كرعتم الخمر وقدمت العاهرة إلى  
فراشكم ، فتبينوا مصيركم واعلموا إلى أية هاوية  
تنجدرون

فليكسى فارس

( يتبع )

أعجز من أن يشفيه من آلامه !  
إنكم لتدركون إذ ذاك أن الله قد أوجد الحكمة  
مدبرة لشؤونكم لاراهبة محبة تخنوع على أسرة الأعداء  
منكم . إنكم لتدركون بأن قلب الانسان لم يقل  
كلته الفصل عندما أعلن أنه لا يؤمن بشىء لأنه  
لا يرى شيئا ...

إنكم فى ذلك الحين لتجبلون أنظاركم على  
ما حولكم مفتشين عما تنوهمون الأمل فيه

القرون - أيها الملك الحجري ! بم تأمرنا  
فنعمل ؟ نحن حرس لك !  
أبو الهول - لم أعد أريد حراستك ؛ فذكرني  
وحيداً ، كم نجوم تنظر إلى ؟ أريد أن أظل وحدي  
هذه الليلة

القرون - نحن هنا دوماً نحرسك  
أبو الهول - دعني هذه الليلة السرية البارزة !  
القرون - لنكن كلنا مسموعة !  
( ينسحب كل خيال مطأثاً رأسه بإزاء أبي الهول  
مدمداً بصلاته )

الخيال الأول - يا سيداً من حجر !  
الخيال الثاني - يا أوزة الخلود !  
الخيال الثالث - يا ملك الزمان !  
الخيال الرابع - يا جدار الثواني !  
الخيال الخامس - يا عجينة مصر !  
الخيال السادس - يا حكومة الموالم !  
الخيال السابع - يا زهرة حجرية من دهره  
على صفحة السماء !  
الخيال الثامن - يا خلية ثابتة تخرج فيها  
الاحظات عسلاً !

الخيال التاسع - يا وثناً خالياً من الرأفة  
الخيال العاشر - يا شرفة المشاهد !  
الخيال الحادي عشر - يا نور المشرق !  
الخيال الأخير - يا إله السحب وداعاً ...  
( تتوارى القرون ، أبو الهول وحده مع الليل والنجوم )

### المشهد الثالث

أبو الهول وحده

أبو الهول - بلى ، لأترك وحدي ، ذلك خير !  
أيها الليل إننا وحدنا الآن ، ليرمق أحداً

العاشق - إن الساعة قد تسجل في قبة  
السماء الملائى بالنجوم ، لأنها تحدد الزمن بضربة  
حزينة ؛ إبرتها السائلة هي شعاع القمر الوهاج  
الذي يهبط من عل ليعمل على تفرقتنا ، يجب أن  
نذهب ... هيا !

العاشقة - لماذا هذا التبكين ؟ فالرجوع  
هو الموت ، وأنا أريد أن أحيى على فك ! الحياة  
بدونك هي صحراء مخيفة جداً ، والهواء الذي يمجيك  
يجماني أغار أحياناً منه . أريد أن ألثم عينيك وفك  
العاشق - إن شفتيك رقيقتان

العاشقة - ومن أحب مثلنا ؟ لا أحد ...  
هذه المرة الأولى التي ينبنى فيها أن يحبوا كما أحبيتك ؛  
ونحن ابتكرنا هذا الحب . ألا قبلة مستطيلة أيضاً  
تطبعها على في المذهب ونمود بعد ذلك يا حبيبي !  
العاشق - حبيبتى !

( يتعانقان شديداً ، ثم يتعدان  
والفتاة تلتفت إلى الوراء )

العاشقة - هل رأيت ؟ لقد كنا في ظل  
أثر ... يقال إنه ذو وجه خالد جميل ، كم غبر به  
من السنين هنا !

العاشق - إننى أجهل ذلك ...  
العاشقة - سنرجع يوماً إذا شئت مع الفجر .  
تعال فضع قدمك موضع قدمي ، فما عسى يكون  
أبو الهول ؟

العاشق - لا أعلم ...  
( يتعد الحبيبان )

### المشهد الثاني

أبو الهول ( وحده ) القرون  
تهب القرون في منتصف الليل وكن جالسات كالأشباح  
السوداء على قدمي أبي الهول



المقاتل الذي لم يمد ، بلى ! نعلم حقاً ما علمناه . قد وضع هنا قبعته المجدولة من طين . « قيصر » اسم زام جداً لحظ زائل ! وماذا تقول عنه أيها الليل ؟ وعن ذلك المحارب المتحلي بالزاي الرومانية ؟ قيصر الكبير مات ميتة راع حقير . ليس القيصر بقيصر إذا لم يملك على كليوباترة ، وهذا اسم عظيم أيضاً ! يُخيل إلى حين أفوه بهذا الاسم أن المساء زاد نداوة وطراوة ، وأن الفضاء غمرته أصوات نواقيس كانت تأتي إلى هذا المكان ! أما ترى أثرها في هذا الطريق ؟ ألا تذكر مثلي ؟ ألا تذكر ؟ لقد غير عشرون قرناً دون أن يطمس أثر قدميها ، ودون أن يبید وجودي شيء . كانت تضحك وتمشي بخطوة خفيفة ، هي خطوة الملكة الراحلة . كانت تضحك وأسمع ضحكاتها أحياناً ، وما أحد سمع مثلي رنين ضحكها الطافحة بالغبطة والسعادة ، كأنما سامعها يخيل إليه أنه يرى لؤلؤة تذوب .

( كأنه يسمع صوتاً ليل يدوي بالقرب من أذنه )

أنت تقول إنها كانت شقراء ، وأظن ذلك حقيقة . ألا تراني أضحك سخرية حين يريد هؤلاء العلماء ، هؤلاء العلماء ، هؤلاء الجهال ، أن يبعثوا الماضي وينشروا الغابر ؟ وإنما أنت وحدك ، وأنا ، نهم في هذه الأجواز المظلمة ، وأنت وأنا قد رأينا كل شيء .

بلى ! قد تكون أنت أكثر علماً مني لأنك تهوى على الآفاق البعيدة بجناحك الكبير الأزرق ، تدور أنت حول الأرض ، وأنا أبقى راسياً في مصر ! ولكنك لا تدري - برغم ذلك - سرأ أنا أدري به منك ، سر ليلة تموز ، وليلة ايلول ، لأنني كنت أفكر حين كنت ترتجف ! هنالك سر أعلمه دون

الآخر ! لقد سئمت - طيلة النهار من الأنوار الوضاعة ، وحين تمودني بارد الأنفاس ، وتحط رحالك على حجري ترتاح روحي ، أنا في النهار مخلوق كبير من حجر ، مزعج أصم ، حتى إذا جئتني غمرتني بحياة جديدة ، وأصبح القمر مروحي التي بها أجلب الهواء

أيها الليل البالغ من الكبر عتياً ! هانحن شاخصان وجهاً لوجه . لننظر ؛ فالشمس المنبعثة تحمل أشعتها ، وأن باستطاعتنا - حين تبعث في الروح - أن نتحد اتحاداً سامياً .

ماذا تقول ؟ وأنت مائل بابتسامتك الفضية ، هل نعلم عن هذه الكائنات والناس والآلهة والموتى شيئاً ؟ هنالك سميراميس ، وهنالك سارداناپال . وهذا الرماد الشاحب ، إنهم يدعون هذا كله صحراء . . . الصحراء كلمة كبيرة ذهبية لا تشبه شيئاً ، وعليها بدأت تنزل عظمتك وكبرياؤك .

هذا هو الرماد . الرماد ، الرماد ، . . . هذا - أيها الليل - هو رماد من لمحونا في القديم . إنهم ينقمون على صمتي ، ولكن من ذا أكلّم في هوى السحابة ؟ فالنهار طفل لا يعلم شيئاً ؛ النهار هو ذلك الطفل الكبير المتفائل الذي يضحك ! حين يكون الإنسان مثلي ، يقدر أن يتكلم مع الليل ، مع الليل وحده لا مع سواء ؛ على شفا الانهيار المسدلة قناعها . إن عندي أسئلة ، والليل عنده نجوم ! ( يتنهد )

نجومك ، أعلم أسماءها الخفية ، وناظري البعيد في الليل يتساقط إلى تلك الميرون ؛ وأنت بماذا تفكر ؟ أليس الأجدر بنا أن نصمت ؟ موسى لم يكن مهده إلا لحداً فسيحاً ، وقيصر كان ذلك

باريس — إن صوتك ، من أعماق الوجود قد نادى روحينا . إيه يا أبا الهول ، الآله الذى ليس بالآله ، والمرأة التى ليست بامرأة ! أجبنا / لقد دعوتنا فجئنا

مارسيللوس — لقد جئنا طرقات مظلمة ، ووصلنا طارحين عنا ذلك العالم

أبو الهول — وما يجدى الكلام مى ؟ كل مخلوق لا نفع له . لا جواب لكما عندى . انطلقا فى طريقكما

مارسيللوس — لقد قلت لنا « تعالوا » بالهجة ليست بشرية

أبو الهول — لا أذكر هذا النداء لأنى كنت ألقى ندائى فى طيات السكون لا أعين أحداً . هذا حق ، ولكنى لا أعلم من ينبئ أن يحفظه ، ولا أدري أبداً من يجب أن يلبي وبأنى ...

مارسيللوس — نحن !

أبو الهول — ( بعجرفة ) انما ؟ وما تعتنيان بذلك ؟

مارسيللوس — ( برهو ) بلى نحن ؟ رجلان يرغبان فى كلامك

أبو الهول — ( يقهقه )

رجلان ... وما معنى ذلك ؟ رجلان ؟

مارسيللوس — وقد ساورها القلق .

أبو الهول — ( هازئاً ) هل تعلم قيمة الرجلين عندى ؟ إنهما أحقر من حبتين من الرمل فى الظلام البشرى ، لأنى رأيت من البشر ما يفوق عدداً ما رأيت من الرمل

مارسيللوس — ولكن فى كل رجل إنسانية بأسرها

الورى وحدى : لقد ظن « أوديب » أنه سيقدر على استخلاصه من ذات مساء ، وقد ذهب يبشر الملأ بالتحرارى . هاأنذا أضحك ساخراً ، لأن أبا الهول يحيا بيننا هلك ( أوديب )

أأقتل نفسى ؟ بالسخرية القدر ! لقد التهمت الأفتدة من كل مكان ، ورأيت الجميع يبيدون وأنا باق سرمد ! أتنشق الظلمات كالفجر ، وأضرب بسياطى القرون التى تنقهقرا وأحياناً كنت أبتنى أن أذأف ، وأن أمد يدي إلى المجاز الانسانى ، ولكن الموت كان يكر عاجلاً ، والرجل الصلب كان عمره أقل مدى من خطرة من خطرأتى ! ( يبدو مارسيللوس وباريس )

### المشهد الرابع

أبو الهول ، مارسيللوس ، باريس

باريس — إن الطريق الموحش الذى يوؤل بنا إليه قد انتهى ، وهاهو ظله يتراءى لنا فى الليل . هذا هو ! لنقترب فى هذه الظلمة الحالكه ، ابدأ قبلى بالكلام ، فان بى خشية

مارسيللوس — لا ! كن أنت البادى يا أخى !

باريس — أنت !

مارسيللوس — كله بأسلوب اين !

باريس — الظل الذى ثقب — هذا الماء — موضع عينيه يُخيل إلى أنه يخرج عنهما نظرة عميقة كالوجود :

أبا الهول العظيم ! نحن هنا ... لقد سمعنا نداءك المجهول وقد أتيناك

مارسيللوس — بلى ! قد أتينا !



لساذاً نحيا ، ومن هم الناس ؟ أنت الذى تعلم سر  
الكون ينبغى أن تقول لنا

أبو الهول — ( بسخرية ) :

هل تظن أننى أعلم ؟ لا أعلم إلا الابتسام ...  
سر الكون ! وهل للكون سر فى الحقيقة ؟  
باريس — أجب ! ماذا نصنع ؟ ما هو ألمانا ؟  
وأين تتوارى هذه العوالم ؟ هذه النجوم ؟ وهذه  
الوجوه ؟

أبو الهول — ولهذا جئت تمكر على هذه  
المشاهد ! دعنى ! أريد أن أفهم ...

باريس — قلت لنا : تعالوا !

أبو الهول — قلبكم المضطرب صور لكم ذلك .  
إنى أناذى : تعالوا نداء غير مقصود . وليرغم من  
زعم أنه نودى فى هذا الظلام . انظروا إلى هؤلاء  
الأطفال الذين ارتدوا الكبرياء ؛ هؤلاء الأقزام ،  
أقزام لحظة يأتوننى ويرجعوننى ... هذه الصحراء  
المتراصة الأطراف ، الحمراء اللون شرب راحتي .  
فليتركونى نائماً ...

باريس — ستتحدث إلينا !

أبو الهول — ومن يجرو على التكلم كالآمر فى  
هذه البقعة ؟ أين تراك قائماً وفى أى مكان ؟ أنى  
أود رؤيتك . أجاهل أنت تلك المصنوعات التى تحيط بي  
من كل جانب ؟ أجاهل أنت أنى إذا أومأت بإشارة  
صغيرة هرع يلبى — إيماءتى — ثلاثون قرناً —  
خاتمة صاغرة لندائى !

باريس — كفى ...

أبو الهول — لا يستول عليك الغضب ! فقد  
ألفت أن أسمع مثل هذا الصياح ، وأرانى محتماً  
كل هذا بسكون نفس . رأيت كل شيء يزول من

أبو الهول — أنظر إلى ما تبقى لى من عشرين  
قرناً بشرياً ! هذا الرماد الذى أضع عليه مخالبى ...  
لا لا ! دعنى وحدى فى هذه الزاوية ، فلا شيء  
عندى أقصه عليكم أيها الرجال الذين تحدثوننى !  
محدثى الوحيد هو هذه الهوة المكوكية . فيم  
تريدون أن تتحدث يا كائنات عمرها عمر ساعة !  
هنا الذى يحيا دوماً إزاء من يموتون . ليس بيننا  
صلة تربطنا ! إننى لم أعد ألقى أبداً الكائنات التى  
أحببتها . فى البدء حين كانت الريح تهب على  
رقيقة ، أملت ناظرى إلى هذه الكائنات البشرية  
وما كنت أدري أن سيدركها الغناء وشيكا ؛  
ولكنى رأيت كل هذه الكائنات تهوى إلى  
المنحدر ! وهكذا أصبحت لا أريد أن أجعل  
ناظرى الحجرى المروع فى هذه الانسانية الزائلة  
بمرارة

دعونى أنظر إلى السماء أيها المخادعون !  
قال كواكب أطول عمراً من البشر ، وانطفأوا  
أبعد من انطفائكم

باريس — ربما كان ذلك ! ولكن هذه  
النجوم السابحة فى السماء المتهبة ، هل تراها تتألم ؟  
أجفانها الفضية ، ونظراتها النورانية ، ربما  
كان لها فى الأعلى خفقات أكثر طولاً ، ولكن  
الشيء الذى لا تملكه فى سمائها الزرقاء ، هو قلق  
الإنسان الممدود على هذه الأرض ؛ وإذا قدر  
للإنسان هذا الحظ المتقلب — كما قلت — فذلك  
لأنه سريع الاشتعال ، سريع الانطفاء

مارسيلليوس — ولهذا ترى أرواحنا تروح  
تحت الألم ، وأنت المشرف علينا ، التاوى على  
صخرتك الباردة ، تريد منك أن تعلمنا بصوتك —

قديميك - يضيع زخرفه كزنبقة تتقاذفها  
الأمواج ؛ وأكبر آثارنا الرقيقة تغدو خواتم في  
أصابعك !

لا لا لا... سوف تكلمنى... لأنى أريد  
ذلك !

مارسيللوس - ستكلمنا ؟

أبو الهول - من قال : أريد !

باريس - أريد ...

أبو الهول - ما عمرك ؟

باريس - فى الثلاثين ...

مارسيللوس - فى العشرين ...

أبو الهول - ( ساخراً )

العشب أطول عمراً منك ! أطفال ! أطفال !

عشرون ربيعاً ! وتقولان هذا ! ترفغان الرأس

شاحاً وجفونكما فى اضطراب . لاحق لكما فى

قولكما . عشرون عاماً ! لحظة قصيرة ، نظرة ،

بسمة ، وإنها تلك المدة التى أقضيها لتجريبك مرافق

الكبير . وتنهدة واحدة منى لها ضعف هذا العمر .

ولكن الفضاء هنا مغمم بالكهولة الخالدة . وهذا

هو الخلود بصفر على جناحى . هذه الشجرة ؟ هذه

النخلة البعيدة ؟ رأيتهما حين وجدت ابنة فرعون

موسى عارياً فى ماء النيل . عشرون عاماً ! يالها من

جراً غريبة ! تقول عشرون عاماً أيها الطفل !

الذى يعتقد بها ويُرهمى عجياً . أيها العشب الحقيقى

الناجمة على قلبى القاسى ، ينبئنى أن يكون له عشرون

عاماً حتى يكلمنى بهذه اللجة !

مارسيللوس - البطل إذا كان أكثر فتوة

وشباباً ، كان أكبر عظمة !

أبو الهول - إذا لم يكن لك إلا العشرون

فلقد ولدت إذا الآن . عد إلى بعد ألقى عام

آلهة وكهان وأبحرة . رأيت نابليون ولم أرتع  
لرؤيته ...

باريس - أراك تقابل كل الجهود البشرية  
بابتسامة التهمك !

أبو الهول - لا لا ! إننى لا أسخر منه ولا أتهمك

إننى أحيا بعده ! ماذا تنتظرون منى ؟ أكلت ؟

أصداقة ؟ أنا لم أعد أعياً بشيء لكثرة مارأفت

وأشفقت ! الحقيقة ! سل القمر عنها . قد رأيت

كثيراً من الحقائق ، حتى أوقن بوحدة منها

مارسيللوس - يا أبا الهول !

أبو الهول - حقيقة ! لقد رأيت أكثر من

عشرين حقيقة . كل الحقائق تزحف إلى هذا المكان

باطلاً زحفها . وكل حقيقة ماثلة الأمان الذى

لا ينضب ، فذرونى أنام فى لحذى الرمل !

مارسيللوس - لا لا ... ستقول لنا

باريس - لقد كنت مغنياً ، كنت شاعراً ،

وكانت الجماعة تعترف لى ، وقاعة التمثيل مقام

دعوتى . أردت - يوماً - أن أولف قطعة عنك .

وبينا أفكر فيها وأجمع الفكر حولها ، إذا بى أراك ،

أراك تتخايل - فى قلب أبياتى وتنادبنى ! وبسمتك

- فى الليل - كانت تضىء لى سهراتى ، واسمك

حين يذكرك بيت فى روح اليقظة

أبو الهول - صه ! إننى لم أدر شيئاً

باريس - ها أنا ، ذو الشهرة الكبرى التى

لبث ( پاسكال ) قلقاً من أجلها ، شهرتى هى شهرة

« موسى » المتضرع للآله حين خط على صحيفته

اسمك العظيم الحزين ، إن اضطراباً عنيفاً يرسو فى

روحى . لقد عريتنى من كل شيء كنت أعبد

وأقدس . أنت وحدك عظيم . أنت وحدك الذى

تخشاها القلوب . أنت وحدك جميل ! الفن - تحت



الساقية الزرقاء حسامه ، لأنه طرح يوماً سيفه في  
وثبة عظيمة من وثباته ، ولما أشرق النهار رأيت  
هذه الساقية تلمع

ماذا تريد أن تعلم أيضاً ، يا واضح الأسئلة ؟  
كل هذه الأسماء العظيمة التي لبثت نفوس أصحابها  
شاحبة باهتة . كل هؤلاء القياصرة وهؤلاء الملوك  
هؤلاء كلهم عندى أموات الأمس ، عرفتهم  
وعاشرتهم . كل هؤلاء رأيتهم يموتون كالأشياء  
الحقيرة ، لأنى كنت الشاهد الذى يرى كل شيء  
يتلاشى أمام عينيه

كنت الحكم الخالى من الرأفة ، والقارب  
الفارغ من ملاحيه ، والملوك من غير فردوس ،  
وملاكة البحر من دون أمواج ، والماشقة من غير  
قبلة ؛ وفي سربرى الحبرى أرى كل شيء يركض  
إلى زواله ، ويعلم أن الوجود هو الفناء ...  
باريس - لا تريد هذا ...

أبو الهول - ماذا تريد أن تعلم ؟ أتسألنى عن  
أوديب ؟ إنه كان ملكاً كملوكنا . لقد كذب كثيراً  
ها أنت ترى أنى لا أزال هنا  
باريس - لا أطلب هذا ...  
( يتبع )  
مفيل هندلوى

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

وحينذاك تشكلم . لقد سئمت من الليل ، وسجرت  
منكم ومن أسئلتكم ، أريد أن أنام قرناً دون أن  
أجيبكم !

عشرون عاماً ! أجل قصيراً يكفى للؤلؤة تنفتق !  
كايوباطرة - عمر نظرتها إلى النهار وهو يشرق !  
جوليت - عمر سماحها بقبلة !  
روميو - ذاك الطفل الوديع الخجل الذى  
قال لأبي الهول بأن له عشرين ربيعاً  
مارسليلوس - كفك سخريه منى !

أبو الهول - أنا ساخر منك ؟ إنى أحدثكم  
لأنكم أردتمنى على ذلك . حسن ! سأنام قرناً . فإذا  
تريدون أن تعلموا يا عابري الطريق ؟ إذا كانت  
كايوباطرة ذات غداث لامعة أو سود ؟ كنت  
أحدث الليل عنها هذا المساء . لقد كانت غداث  
ذهبية ، أذكر ذلك ، وهل تعلم أنها لم تكن جميلة  
باريس - ولكن ...

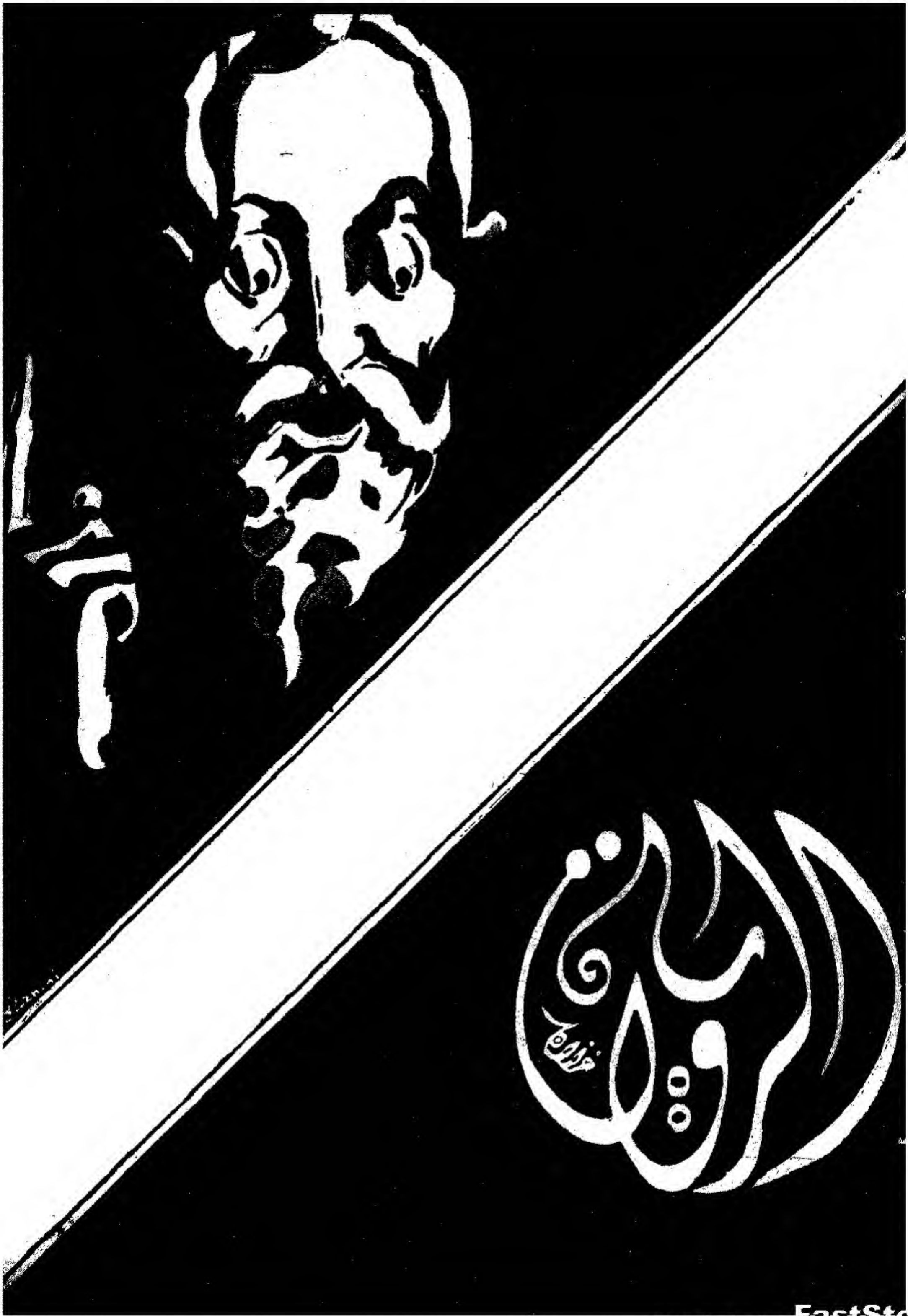
أبو الهول - أن هذا يدهشك حقاً ...  
ولكن أصغ إلى ! ضحكة زهرة عظيمة ، وعنق شفاف  
إنى لأبسط على كل شيء وجهها الغريب الوردى  
الذى لا يؤسر . وجهها الغريب الطافح إلى الأبد  
بالرقة الساخطة والجمال الغائب

آه من ذلك القارب الملائن بالعبيد والطيوب  
الذاهب دون أن أراه ! الملك التى تتلاشى في القبل  
وفي السحر ؛ في المشاهد الخلابه أحبوا كثيراً وشغفوا  
كثيراً بهذا الوجه الصغير ، بهذا الوجه الزائل .  
لقد مالتوها كثيراً ، وهذا هو كل أسطورتها  
أنا نفسي كنت مستهماً بها ؛ وقبل قليل  
نطقت باسمها فقطرت من عيني دموع

والآن ماذا تريد أن تنزع منى ؟ ألهناداً وأدلة  
أم أذاعت عن قيصر وبومباي ؟ قد تكون هذه







# الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب  
على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأفكار مصر وعرواح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر الحضارة المصرية الحديثة

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تنجي في النشء أساليب البهيمية المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً، والخارجي ما يساوي جنهما مصرياً، وللبلاد العربية خصم ٢٠٪

طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان

٥٠ في الممالك الأخرى

١ ثمن العدد الواحد

إدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء - القاهرة

تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الرواية

مجلة أسبوعية لتقصص والتاريخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ - ١٥ مايو سنة ١٩٣٧

العدد الثامن

من أحسن القصص



## فهرس العدد

صفحة	المحتوى
٤٥٨	الحسب الملعون ... لحي دي موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات ...
٤٦٢	ليلى ... أقصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ...
٤٧٠	يوميات نائب في الأرياف ... صور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...
٤٧٦	الفريق ... صورة ريفية ... بقلم الأستاذ محمود الحفيف ...
٤٨٤	الشيطانة ... لبرنار نابون ... بقلم الدكتور محمد الرافعي ...
٤٩١	السيدة نكولتش ... للكاتب النمساوي آدم مولر ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
٤٩٧	المراقب ... للقاص الروسي تشيرلوكوف ... بقلم نظمي خليل ...
٥٠٥	اعترافات في العصر ... لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
٥١٢	الأوديسة ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشبة ...
٥١٦	سر أبي الهول ... لموريس رستانت ... بقلم الأستاذ خليل هندأوى ...





- ١ -

عنه الغضب . ثم بلغ به الرضا أن اعتراه القلق على ما صنعت بابنته الأحداث ، فأقبل يسأل عن بيتها أخلاءها القدماء الذين لا بسوها ، فلما أكدوا له أنها تنبسط على النعيم بين الأثاث والرياش ، وأن لديها كومة من الأواني الملونة منضودة على رؤوس الدافئ ، ونخبة من المناظر الجميلة مرسومة على وجوه الحوائط ، فضلا عن الساعات المذهبة المعلقة في كل مجلس ، والطنافس الفاخرة المبسوطة في كل ممشى ، جرت على شفثيه بسمة خفيفة ، لأنه منذ ثلاثين عاماً يكدح فلم يجمع غير خمسة آلاف فرنك حقيرة ؛ فالبنية على كل حال ليست غبية !

وفي ذات صباح جاء فيليب بن توشار صاحب مصنع البراميل يخطب إليه ابنته الثانية روز ؛ فدق فؤاد الأب دقات الفرح ، لأن آل توشار من ذوى الثراء والمكانة ، فهو قطعاً سعيد الجد في بناته . ضرب الأب موعداً ليوم العرس ، وعقد النية على أن يجمل الاحتفال به فخاً ، واختار أن يقام بسنت أدريس في مطعم الأم ( جوزا ) . ذلك يقتضى زيادة الكلفة والنفقة ، ولكن لا بأس ! إن المرة الواحدة لا تصير عادة !

وبينما كان الشيخ وابنتاه يتهيأون ذات يوم

كان للسيد ( تاي ) ثلاث بنات : أنثا ، وهي البكر ولم يمد لها ذكر في الأسرة ؛ وروز ، وهي طريدها في العمر ولم تتجاوز الثامنة عشرة ؛ ثم كابر ، وهي الصغرى ولا تزال غضة الحدأة في ربيعتها الخامس عشر . وقد أشبل الأب عليهن بعد وفاة أمهن فلم يتزوج

كان السيد تاي مدير الآلات في مصنع من مصانع الأزرار ؛ وهو رجل شهم الفؤاد ، مرعى الجانب ، رضى الخلق ، عزوف النفس ، مثال للعامل الصالح ، وقد اتخذ مسكنه في شارع ( انجلولم ) بمدينة الهافر

ولما هتكت ابنته أنار داء الحشمة ، وأطلقت لنفسها عنان هواها ، أخذه المقيم المقعد ، وتوعد المغوى الأثيم بالقتل ؛ والمغوى غلام غرير يرأس قسما من الأقسام في متجر كبير من متاجر المدينة . ثم وقع في سممه من بعض الأفواه أن ابنته استقامت على الطريق الأمثل ، وأحسنّت القيام على ما جمعت من المال ، واطمأنت إلى العيش الطليق في ظلال السيد دبوا ، وهو قاض قانى الشباب على السن من قضاة المحكمة التجارية ؛ فقرت فورة الوالد وسكت

فأذنت لهما أننا راضية مقبولة . وجهوا لأجل الزواج  
يوم الثلاثاء الأخير من هذا الشهر

— ٢ —

أخذ موكب الزفاف سمته بعد المواضعات المدنية  
في دار العمدة ، والطقوس الدينية في الكنيسة ، إلى  
دار أننا . وكان آل تاي قد دعوا من أصدقائهم العمدة  
لاموندوا ، والمم سوفتنيين وهو شيخ متفلسف  
متكاف بهم بالقيود ويحتفل للنظام . وقد انتخبوه  
مراقصا لأننا ، وانما قرنوا أحدهما بالآخر لأنهما أبرز  
من بالحفل شخصية وأرفع مكانة . ولما بلغ الركب منزل  
(أنا) تركت قريبها وتقدمت الموكب قائلة : « سأهديكم  
الطريق » ثم صعدت السلم عجلي وتركت موكب  
المدعويين ينقل خطاه في وناء وبطاء . ثم فتحت  
الفتاة الباب وأفسحت الطريق للمدعويين فدخلوا  
مشدوهين مأخوذين بحول عبوتهم في الأثاث الفخم ،  
وتدور رءوسهم في البيت الأنيق . وكانت قاعة  
الطعام لا تتسع للمدعويين فمدت المائدة في البهو  
ونظمت فوقها أداة الطعام وآنيته ، وصفت عليها  
دوارق الصهباء فوق وقع عليها من الشبائك ضوء من  
الشمس لئلا تضارها وشمع سناها

دخل النساء غرفة النوم يخلمن ما عليهن من  
قبعات وشيلان ؛ ووقف الأب توشار على العتبة  
يختلس النظر الخبيث إلى السرير الواطيء العريض  
ويشير إلى الرجال بيديه إشارات المجنون والدعابة .  
وسار الأب (تاي) الوقور وقبعته في يده ينتقل  
من غرفة إلى أخرى وهو ينظر إلى أثاث ابنته  
الفخم نظر المزهو الفخور ، ويلاحظ قطع الرياش  
لحظ الفاحص المقدور وهو يعثي مشية قيم الكنيسة  
في أبهاء الكنيسة . وكانت (أنا) لا تفنأ ذاهبة آية

للفداء ، فتح الباب فجأة ودخلت أنا عليها أنحر  
الحلل ، وفي أصابعها أنفاس الخواتم ، وعلى رأسها  
قبعة ممرشة ؛ وكانت في هذه الزينة عذبة الروح  
خفيفة الظل ، فوقعت على صدر أبيها وأخذت  
بمنقه فلم تدع له وقتا ليقول : (أف) ، ثم ألقت  
بنفسها بأكية في أحضان أختها ، ثم غيضت دمعها  
ومسحت ما سال منه وجلست إلى المائدة  
وظللت طبقاً لتشرب الحساء مع الأسرة . وفي  
هذه المرة تحن الأب (تاي) وتعطف ، حتى باكي  
ابنته رقة ورحمة ؛ ثم قال مرة بعد مرة : « حسن  
يا ابنتي ! هذا حسن ! » وحينئذ أخذت أنا تذكر  
ما جاءت لأجله : ذكرت أنها لا تريد أن يقام عرس  
روز في سنت أدريس ، وإنما تريد أن يقام عندها  
وتتحمّل هي أكلان الزفاف فلا تكلف أباهما  
شيئاً . لقد أمضيت النية على هذا الأمر ، وجمعت  
الأهبة لسكل شيء ، وقدمت النفقة عن كل عمل .  
فقال الأب مرة بعد مرة : « حسن يا ابنتي ! هذا  
حسن ! » ولكن شيئاً من الشك تخالج في صدره  
فقال : ليت شمري أيقبل آل توشار هذا  
الاقتراح ؟ فأجبت روز وقد بغتها هذا السؤال :  
ولم لا يقبلون ؟ أترك لي الأمر ، وسأذهب إلى فيليب  
فأكله فيه . وفي اليوم نفسه ذهبت روز إلى خاطبها  
فيليب وحدثته في اقتراح أنا فارتاح له ، وعرضه  
على أبويه فافتر في وجهيهما السرور ظمماً في غداء  
هنئ مريء لا يتكلفان له كلفة ؛ ثم قال : « لا ريب  
أن الحفل سيكون هناك أنخم ، فان السيد  
دبوا يتقلب في الرخاء ويتمرغ على الذهب » ثم  
استأذنا في أن يدعوا صديقتيهما الآنسة فلورنس  
ظاهية الأسرة التي تسكن الطبقة العليا من المنزل ،



طالب أمه ، ونهض باسماً والتفت إلى (أنا) على سبيل  
الأدب والتظرف ، وبحث عن أغنية من الأغاني  
التي تناسب مقتضى الحال وتوائم جلال المأدبة .  
وأتخذت (أنا) هيئة المسرورة وتطرحت إلى الوراء  
على كرسيها لتسمع . وبدأ على الوجوه المصغية  
افتراء من السرور المبهم ؛ وأعلن الفتى المغنى أنه سيفنى  
( الخبز الملعون ) ثم دور ذراعه اليمنى على صورة  
قرص وأخذ ينشد :

إن الخبز المبارك هو ما تصنعه الأرض ؛  
ولا بد أن نقتله بسواعدنا الفتية ؛  
ذلك هو خبز العمل الذى يقدمه الرجل  
الصالح فى المساء إلى بنيه وهو جذلان مقتبط .  
ولكن هناك خبزاً آخر يفتن النفوس ويفوى :  
ذلك هو الخبز الملعون الذى زرعه لهلاكنا جهنم .  
أيها الأطفال لا تلهسوه ؛ إنه خبز العار والخطيئة .  
أيها الأطفال الأعزّة ؛ حذار أن تمسوا ذلك  
الخبز الملعون ؛

\*\*\*

انفجر المدعوون بالتصفيق وأطالوه فى حدة  
وشدة . وقال الأب توشار : « ذلك شئ فى محله » .  
وأدارت الطاهية المدعوة فى يدها قطعة من الخبز  
ونظرت إليها فى حنان وإشفاق . وقال السيد سوفنتين  
مغممماً : « حسن جداً » . ومسحت العمة لامونندوا  
عينها بفوطتها . وأعلن العريس أنه سيفنى المقطوعة  
الثانية ، وانطلق ينشدها بقوة وحمية :

احترموا ذلك البائس الذى حطمته السن العالية  
فجاء يستندى الأكف على قارعة الطريق .  
ولكن احتقروا ذلك المتبطل الذى يترك العمل  
وهو صحيح البدن جم النشاط ثم يمد يده للسؤال .  
إن الاستجداء مع القدرة سرقة من المنتج

ترعى النظام وتستعجل الطعام وتوفر الجلال المأدبة  
وأخيراً وقفت على وصيد غرفة الطعام العاطلة  
من أنماها وصاحت فى القوم : « تعالوا هنا بأجمعكم  
لحظة ! » فسارع إليها الاثنا عشر مدعوا فوجدوا  
اثني عشر كوباً من خمر ماديير مصفوفة على صورة  
الأكليل فوق منضدة عالية ؛ وأخذ كل من العروسين  
بخصر الآخر ووقفوا فى أحد الأركان يتبادلان  
القبل ؛ وظل السيد سوفنتين يتمهد (أنا) بالنظر مسوقاً  
بتلك الرغبة وذلك الرجاء اللذين يحركان الرجال  
حتى الشيوخ والمسوخ إلى النساء الحسان كأنما  
يفرض على الأنثى واجب الحرفة والتزام الصنعة أن  
ينزل عن شئ منهن المذكور

أعدت المائدة وجلس إليها القوم : أهل الزوجين  
فى طرف ، وبقية الناس فى طرف ؛ وتصدرت  
فى اليمين الحماة ، وتصدرت فى الشمال العروس ؟  
وأخذت (أنا) تجعل بالها إلى المدعوين أجمعين فلا  
تدع كأساً تفرغ ولا طبقاً ينقص . ولكن رهبة  
الاحترام ووازع الاحتشام اللذين بهنهما فى  
النفوس فخامة المسكن وأبهة الخدمة ، ألجأ الأفواه  
وشلا الجوارح . إنهم يأكلون أشد الأكل ،  
ويطعمون أجود الطعام ، ولكنهم لا يمرحون  
ولا يمزحون كما يفعل الناس عادة فى ولائم  
الأعراس . كانوا يشمرون بأنهم فى جو تشيع فيه  
سهابة الجلالة فبرمت الأم توشار بتلك الحال ،  
ففى بطبعتها دعابة تحب المزاح وتطلب الضحك ؛  
وأرادت أن تسرى ذلك الاتقياض عن القوم ،  
وكانوا قد أتوا على ألوان الطعام ووقفوا على  
الحلوى ، فطلبت إلى ابنها فيليب العريس أن يغنى  
المدعوين أغنية ، وكان قد ذهب سممه فى الحى أن  
صوته أرخم صوت فى مدينة الهافر ؛ فلبى العريس

الذي أوهم عظمه الكبير .  
وسرقة من العامل الذي قوس ظهره العمل .  
خزى لمن يعيش على خبز الجول والكسل !  
أيها الأطفال الأعززة ! حذار أن تمسوا ذلك  
الخبز الملعون !

\*\*\*

لم يردد البيت الأخير إلا الخادمتان والأب  
توشار . أما (أنا) فقد انتسفت لونها وكسر طرفها  
الغم ، ولف رأسها الخجل . وأما الزوج المغنى فقد  
ملكه الدهش وظل ينظر حواليه نظرا ذاهل يحاول  
أن يعلم السبب في هذا الفتور المفاجئ . وألقت  
الطاهية قطعة الخبز من يدها كأنها مسمومة .  
وحاول السيد سوفتتين أن ينقذ الموقف فقال : إن  
المقطع الأخير شديد مفرط في الشدة . وطفى الدم  
في وجه الأب تاي فاحر حتى أذنيه ، وتسمر الغضب  
في عينيه . وصاحت (أنا) في خدشها بصوت  
يهدجه البكاء ويبلله الدمع أن يقدموا الشمبانيا .  
وسرعان ما تطلعت وجوه القوم وقابت إلى نفوسهم  
البهجة . وكان الأب توشار لم يرو ولم يحس ولم يع ،  
فظل يردد بين يديه قرص الخبز وهو ينشد :  
أيها الأطفال الأعززة ! حذار أن تمسوا هذا  
الخبز الملعون !

ورأى المحتفلون قناني الشمبانيا بأقنعتها الفضية  
على أبدى الخدم فهبت في نفوسهم ثورة العاصفة  
وزجر في حناجرهم صوت الرعد وصاحوا منشدين :  
أيها الأطفال الأعززة ! حذار أن تمسوا ذلك  
الخبز الملعون !

الزيات

## المباراة القصصية

طلب إلينا كثير من الكتاب أن نعد في أجل المباراة  
في الأقصوة لوقوع الأجل الأول في أزمة الامتحانات .  
فنزولا على إرادتهم مددنا الأجل إلى آخريونه

نهض القوم أجمعون واقفين حتى الخادمتان ،  
وأخذوا يرفعون عقائرهم بالبيت الأخير . وكانت  
أصوات النساء النائزة الحادة تقطع أصوات الرجال  
الرزينة الممتلئة . وكانت العمة والعروس تبكيان أحر  
بكاء ؛ والأب تاي يخط في صوت كصوت البوق  
المزدوج ؛ والأب توشار يردد جازعا بين يديه قرصا  
من الخبز ؛ والطاهية الصديقة ترسل عبراتها  
الصامتة على قطعة الخبز التي لا تزال تكابد في يدها  
المذاب ؛ وقال السيد سوفستين في وسط هذا  
الجزع العام : « ذلك هو الكلام الحر والمغزى  
الصحيح ، لا ما كنتم تريدونه من المجون والدعابة »  
كذلك أدرك التأثير . (أنا) فأرسلت قبلاها إلى  
أختها ، وأشارت إلى زوجها إشارة الإعجاب والودة ،  
تريد بذلك أن تهنيئها به . ومادت بالفتى نشوة النجاح  
فأخذ يغنى المقطوعة الأخيرة في حماسة وطرب :  
أيها العاملة الحسنة ! كائى بك تصيخين وأنت  
في مأواك المتواضع إلى صوت الخادع المغوى !  
اذهي لشأنك يامسكينة ! أتركيه ولا تتركي الابر .  
إن أهلك هم أنت ؛ فسعادتهم فيك وبك .  
هل تجدين في الترف الخزى والبذخ الأثيم جمالا  
ولذة حين يرسل إليك أبوك في نفسه الأخير  
لعنته ودعوته ؟  
إن خبز الخطيئة والخزى معجون بالدموع !



# ليلى

لأستاذ إبراهيم عبدالقادر الطارقي



أمام عينيها ، كشر يسطر السينا ، ما كان من أمرها إلى الساعة ، فقد تخرجت في المدرسة السنية ، ولكنها لم تشتغل بالتدريس ، فقد أحبت فتى رشيقاً أغراها بنفسه ، ووعدتها بالزواج ، وكرر الوعد ، وأكده ، وأقسم على الحفاظ — وما أسهل بذل هذه الوعود على الشبان — حتى فاز منها بما يبغي . وألحت عليه تطلب منه الوفاء ، وتوسلت إليه ، وبكت ، وقبلت يديه ورجليه ، ولم يكن هو ينوي الوفاء ، ولا كان في وسعه ، فما كان سوى عامل في مصنع ، وإن كان مظهره يوم أنه من الوجهاء . ولم يكن يدرك ما تورط وورطها فيه — وماذا عسى أن يخشى مثله ؟ ولكنها هي كانت لا يخفى عليها ما هي صائرة إليه من الفضيحة ، لا محالة ، إذا لم تعجل بالتدبير المنقذ . وليتها أطلعت أمها على ما كان من أمرها مع هذا الفتى . . . ولكن ما جدوى « ليت » بعد ثلاث سنوات قضت فيها الحسرة على الأم المسكينة ، ولم ترق قلب أبيها الغليظ ؟ وكانت ليلى تخشى ضعف أمها ، وقوة أبيها ، فلم تجد أمامها إلا فتاها تاتي بنفسها عند قدميه ، بأكية ، متوسلة ، وهو يرى تضعفها هذا ، فيتجبر ، ويتغطرس ، ويتحكم ، ويدعوها أن تفر معه . وتتردد هي وتمحجج عن هذه الخطوة الحاسمة التي لا رجعة بعدها إلى أهلها ، فإن أباه عنيف عنيد ، يؤثر أن يقتلها على أن يقبلها في بيته . بل هو لا محالة

وقفت « ليلى » أمام المرأة ، تصالح شعرها وتضع فيه المشابك ، وتسويه براحتها وأنامها ، وتثني شعرات منه هنا ، وترد أخرى إلى مكانها هناك ؛ ثم تناولت المشبنة وفتحتها ، ونظرت فيها هنيئة ، ثم قلبتها على المنضدة ، ونفضتها بأطراف أصابعها ، ثم نحتتها وراحت تتأمل ما أفرغته منها . ثم هزت رأسها أسفة ، وشرعت ترد الأشياء إلى الحقيبة : المشط والمنديل وثلاثة طوابع بريد بثلاثة ملاليم . . لا شيء غير ذلك . . حتى ولا أجرة الترام إلى عملها الجديد الذي فازت به . وما غناء ثلاثة من طوابع البريد بثلاثة ملاليم ؟ . . لو كانت ستة لباعته وركبت الترام من غمرة ؛ فإن المسافة طويلة من حدائق القبة إلى شارع سليمان باشا . . ولو كانت عشرة لباعته أيضاً — لا لتركب — فإن المشي سهل أن يحتمل إذا كان معها قرش تأكل به . . . كلا . . لا بد أن تصبر على الجوع وأن تتجلد وتحتمل المشي مع الطوى ، وما بقي سوى يومين ثم تقبض أجرها عن هذا الأسبوع الأول . ولكن هل تستطيع أن تحتمل الجوع وتعب العمل والمشى يومين كاملين ؟ ؟ وأبت أن تفكر في هذا ، وأن تدعه يثبط همها ، وقالت لنفسها إن حسبها أنها وفقت إلى عمل ، وأنه وسعها أن تظل حية إلى اليوم . وهبطت على كرسي وهي تقول : « آخ ! » لا من التعب ، بل مما ستلقى في يومها هذين ، ومر

قائلها إذا عرف الحقيقة ، وإذا أطاعت فتاها ، وفرت . وسيعرف الحقيقة إذا بقيت فالفرار أنجى . وقد لا يكون أشرف ولكنه سبيل الحياة إذا شاءت أن تبقى حية . وقد كان . فرت مع هذا الفتى وحملت معها في حقيبة الثياب حليها ، وشيثاً من حلي أمها أيضاً ، وقد نفعها ذلك ؛ فما أقامت مع الفتى إلا أياماً في فندق زرى . وكان ظنها أنها ذاهبة إلى بيته ، وأملها أنها ستكون زوجة له فيكون مما يرجى أن تستفر زلتها على جسامتها ، فاذا بالفتى لا يريد إلا أن يقضى أياماً في متعة خالصة ثم يلقى بها عظاماً بعد أن أكلها لحمًا ، فكادت تجن ؛ واغتنت فرصة خروجه من الفندق يوماً ، فحملت حقيبتها وأدت حساب الفندق ، وانطلقت على غير هدى . وصارت المسألة « أين تذهب ؟ » بيت أبيها لا سبيل إليه ، وأترابها في المدرسة . . . كلا . . . هذا أيضاً ممتنع . . . وتذكرت وهي واقفة في محطة الترام صديقة لها كانت من جيرانها في زمن الحداثة ، وهي الآن « حكيمة » في قصر العيني . ولكن الحكيمات في هذا المستشفى يبتن فيه ولا يخرجن إلا أياماً معلومة ، فما العمل ؟ ولم يطل تردددها فذهبت إلى « العيادة الخارجية » وسألت تلميذة أقيمت فيها عن صاحبها ، وانفق أنها كانت تعرفها فدلتها عليها ، وأنبأها أنها تعمل في قسم الرمد ، وكتبت إليها ورقة بعثت بها مع خادم أو « تمورجى » كما يسمى ، فدعتها الحكيمة إليها . وكانت هذه المقابلة بداية الفرج

أقامت ليلي بعد ذلك مع أهل الحكيمة ، وكانتا تلتقيان يوم الأحد ويوم الخميس والجمعة ، إلى المساء ، — كل أسبوعين مرة — وكانت ليلي ربما اشتاقت إلى صديقتها في أيام عملها بالمستشفى فتذهب ، في الظهر أو في الساعة التاسعة ، لترأها

وهي خارجة من المستشفى في طريقها إلى « الهوستل » حيث الطعام والنوم ، فتحدثها دقائق ثم تكرر راجعة إلى البيت . وكانت المسألة التي تشغل البنيتين هي كيف ينبغي أن يحيا ليلي ؟ فقد كان مفهوماً أن إقامتها في بيت صاحبها ليست سرمداً وإن كانت تنفق على نفسها من ثمن ما تتيمة من الحلي ، فإن لهذا آخراً على كل حال . وكان مما فكرا فيه أن تعمل في عيادة أحد الأطباء ؛ ولكن ليلي أشفقت أن يراها عنده أحد من أهلها أو معارفها . وخطر لها أن تعمل في مصلحة التليفون ، ولكن السعي أخفق ، ولم تجد وساطات الأطباء الذين استعانت بهم « الحكيمة » فقد تحول التليفون وانقلب « أوتوماتيكياً » فما الحاجة إلى بنات جديدات ؟ وخشيت أن تشتغل بالتعليم في مدرسة أهلية فيمتهدي إليها أبوها ، وكان خوفها من ذلك عظيماً . وأخيراً اقترح عليها طبيب أن تتدرب على الآلة الكاتبة ففعلت وأتقنت ذلك حتى صارت تكتب ثمانين كلمة في الدقيقة ، وأعانها الطبيب وألحقها بمكتب يتلقى طلبات « النسخ » ، ولكن العمل كان قليلاً لأن أكثر ما كان يطلب كان باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وكانت تعرف الانجليزية ، فقد تعلمتها في المدرسة ، فلم يسمعها إلا أن تتدرب على كتابتها على آلتها ، وسهل عليها بعد ذلك أن تستطيع نسخ « الفرنسية » أيضاً فإن الحروف واحدة وإن كان جهلها بهذه اللغة قد جعلها أبطأ . غير أن السرعة يمكن أن تجيء مع الوقت

واستغنت على الأيام عن المقام في بيت صديقتها وإن كانت صلتها بها قد بقيت وثيقة ، فإن فضاها عليها كبير ، وجميل صنعها معها ليس مما يجحد ، ولا مما ينسى حتى لو نزعته نفسها إلى الكفران . وأفلس المكتب فانتقلت إلى سواء بعد عناء ،



على الرغم من أنها أصبحت معروفة في هذا المحيط — محيط الكاتبات الناصحات . وكانت حليها قد ذهبت جميعاً في نفقات الحياة ، وأجور التعليم ، وسد النقص ، وهامى ذى الآن قد التحقت بمكتب جديد بعد أن ظلت عاطلة شهرين أكلت البطالة في خلالها القليل الذي كان مدخراً

ونهبست عن الكرسي وهي تنهد وتناولت حقيبتها ، لتخرج إلى عمالها ، وكانت الساعة السابعة فأمامها ساعة كاملة للمشي إلى المكتب ، وقد عرفت بالتجربة أن الساعة فوق الكفاية ، ولكن فسحة الوقت خير من ضيقه ، ومضت إلى بابها لتفتحه وتخرج ، وإذا بنقر خفيف عليه ، فقالت : « تفضل » فدخل رجل بدين وسلم وقال : « أراك خارجة »

قالت : « نعم . . . » وهمت أن تقول إنها مضطرة إلى التبكير ، ولكنها كبحت نفسها فإيعنيه هذا فقال : « أجرة الغرفة عن ثلاثة أسابيع . . . ألا يمكن أن تعطيني منها شيئاً على الحساب ؟ » قالت : « آسفة . وإنى لشاكرة لك هذا الصبر كله . والمطاف أيضاً .. بعد يومين .. أقبض أجرة الأسبوع فأعطيك شيئاً »

قال : « إنك تخرجيني مع زوجتي . هذا الصبر الطويل ليس له عندها إلا معنى واحد . وقد أذرتني اليوم . وعبثاً أحاول أن أفهمها الحقيقة .. لا تريد أن تفهم . كل ما تعرفه أن الأجرة تأخرت ثلاثة أسابيع . وكل ما تريده هو أن تؤدي إليها هذه الأجرة أو تخرجي اليوم »

قالت : « ألا يمكن أن تمهلوني يومين اثنين ؟ أين أذهب إذا خرجت اليوم ؟ ليس لي مكان آخر » فمز الرجل ككتفيه الفليظتين ولم يقل شيئاً . فدنست منه ليلي وقالت : « أرجو . أرجو أن

تمهلني . كن شغيفي عندها » فقال : « لو كان الأمر إلى لما تقاضيتك شيئاً قط . ولكنك تعرفين زوجتي . ولست أعرف لي حيلة »

قالت : « ولكن كيف أستطيع أن أعطيك اليوم شيئاً ؟ لا أعرف أحداً أقترض منه . ولا يمكن أخذ شيء من المكتب . إني جديدة فيه » فقال : « اسمي . . . لو لم تكوني بلهاء لأمكن تذليل كل هذه المصاعب . . . ولكني لم أرفاة مثلك »

فقالت : « ماذا تعني ؟ . . كيف يمكن تذليل الصعاب ؟ » فأراح كفيه الفليظتين على كتفها وقال : « أنا أستطيع أن أدبر الأمر إذا طاوعتني »

فهزت رأسها غير فاهمة فقال : « تعالى . . . » وطوقها بذراعه ، وأدنى شففيه المطوطتين من فمها ، فحاولت أن تنأى عنه ولكنه جذبها إليه بقوة ، فحلت وجهها عنه ، فذهبت شففته تعبثان في نحرها ، وكتفها ، وكانت يده اليسرى تتحسس صدرها وتقف وتتكور على ثديها الراسخ ، فكاد عقلها يطير ، وتفلست من عناقه بمنف ، وارتدت راجعة إلى آخر الغرفة وهي تلهث وتنهج ، كأنما كانت تجري ، وصدرها يملو ويهبط كالوج ، من جهد المقاومة ومن الغضب أيضاً . وكان هو ينظر إليها نظر النعمة والفيظ ، فصاحت به وهي ترجف : « إذا لم تخرج من هنا فساأصرخ »

فزام ، وهز رأسه ، وقال وهو يدور ليخرج : « طيب . . . سنرى . . . إما أن تدفني اليوم وإلا فأخرجي أنت » فلم تقل شيئاً . . . وماذا عسى أن تقول ؟

\*\*\*

« بونجور »

« بونجور ... خذى هذا العنوان واذهبى إليه  
حالا ... عمل مستعجل ... الرمنجتون ذهب بها  
أحمد ... العمل يستغرق يومين ... ثلاثة ... المهم  
الاتقان ... يجب أن يكون راضيا ... فاهمة ؟  
فذهبت ولم تسأله أهو عربى أم أفرنجى ...  
وماذا يهم ؟ ... كله عمل ... آلى ... ودخلت  
الشقة فاذا هى بيت لا مكتب ، وقالت للخادم  
النوبى : « إنى من محل ... »

فاكتفى بأن يشير إلى غرفة المكتب فجلست  
على كرسى من الجلد كبير وثير ، وأدارت عينها فى  
الغرفة فلم ترفىها أثاثا غير كرسى آخر كالذى  
جلست عليه . وحول الجدران رفوف كثيرة عليها  
كتب لا تحصى ، وثم فى الركن مكتب أنيق ،  
وفى وسط الغرفة منضدة صغيرة ، مما يستعمل  
للشاي ، وضعت عليها « الرمنجتون » فتوقعت أن  
ترى رجلا عالى السن وأدهشها أن يدخل عليها  
شاب يناهز الثلاثين وان تعلم أن هذا هو الذى  
جاءت لتعمل له ولتنسخ ما يشاء

وقال بركة لا تكلف فيها : « قهوة ؟ »

قالت : « أشكرك ... فيما بعد ... بماذا تأمر ؟ »

فقال وهو يناولها ملفا ضخما : « فى كم يوم  
يمكن الفراغ من نسخ هذا كله ؟ »

فقلبت الأوراق ونظرت فى الخط والسطور ثم  
رفعت رأسها إليه وقالت : « صعب أن أقول كم  
يستغرق ... ولكن ... بعد ورقة أو اثنتين أستطيع  
أن أحكم حكما قريبا من الصحة »

فهز رأسه وهو يبتسم وتحول عنها ثم كأنما  
خطر له خاطر فدار على عقبه بسرعة وسألها :  
« يهودية ؟ »

فابتسمت له ، وقالت وهى تهز كتفها :

« لأنى شقراء ؟ »

فقال : « إذن أنت ؟ »

فأراحته من عناء التخمين وقالت : « مسرلة »  
فقال وهو يهز رأسه بعنف كأنما وجد ما يسره  
من حيث لم يكن يحتسب : « أنا أيضا مسلم »  
فلم تقل شيئا واجترأت بالإقسام ، وشرعت  
ترفع غطاء « الرمنجتون » . وتركها هو وذهب  
فجلس على الكرسى الآخر ثم رآها تتلفت فى الغرفة  
فنهض وهز رأسه مستفسرا ، فنهضت هى أيضا  
وقالت : « لا تتعب نفسك ... أظن أن فى وسى  
أن أجد كرسيًا من الخيزران فى ... »

فقال وهو يمدو الى الباب : « بالطبع ... أما  
إنى لمفعل ... »

وعاد بالكرسى وهو يقول ضاحكا : « لكأنما  
كنت أظن أنك ستجلسين القرفصاء وتكتبين على  
حجرك . لم تشهدى ذلك العهد بالطبع ...  
لا يمكن ، فأنك ما زلت صغيرة ... أوه جدا ...  
ولكى أين تعلمت الكتابة على هذه الآلة ؟ معذرة  
إذا كنت أن طفل ولكن المصريات يندر .. جدا أن  
تعنى واحدة منهن بذاك »

قالت : « ولكنى استطعت أن أتعلم .. صنعة  
فى اليد أمان من الفقر » وابتسمت

فقال : « أهو ذاك ؟ معذرة .. كان سؤالى  
فضولا منى لا بغتفر .. ساحبنى »

فسرها منه هذا الأدب ، وقالت : « ليس  
هذا سرا .. ألسن أعمل .. لست هاوية بالطبع »  
فقال : « إذا كنت تعملين فى مكتب .. فأنك  
ولا شك تعرفين لغة أجنبية أو اثنتين ف ... »  
قالت : « أعرف الإنجليزية ، وأصبحت أعرف  
من الفرنسية ما يكفى للنسخ ... وأتكلماها أيضا  
فأنبا جيما نتكلماها هناك »



بالروايات والقصص ، ولكنها منذ ثلاث سنوات لم تقرأ رواية ، وإن كانت قد ذهبت مرارا الى السينما — وهي مطمئنة فان أباهما من ألد أعدا السينما ومع ذلك كانت تتمحزر وتلقى على وجهها نقابا خفيفا شفافا ، حتى حين تمشي في الطريق كانت تنقب زاعمة أن هذا وقاية من الشمس والتراب

ولم تشمر بعبد الحميد — فقد كان هذا اسمه — حين دخل عليها ووقف ينظر اليها أكثر من دقيقتين . فلما رآها لا تلتفت اليه ، ولا ترفع عينها عن الورق ، ولا تتمهل أو تتباطأ في العمل قال : « معذرة ... إن هذا انتحار »

فرفعت رأسها حينئذ وقالت : « أوه ... لم أرك لها جئت ... كلا ... إني على العكس مسرورة ... وأعترف لك بأن هذه أول مرة سُرني فيها عملي ... رواية مدهشة »

فقال وهو ينحى كفيها عن الرمنجتون : « قد تكون الرواية أو لا تكون مدهشة ... ولكن أبعث على الدهشة ألا يحتاج الانسان الى الراحة . تفضلي وقوي وأريحى جسمك قليلا على هذا الكرسي »

وتناول ذراعها لينهضها ، فقالت وهي تقوم : « صدقت ... أستريح دقيقة »

فقال وهو يعضى بها الى الكرسي : « تستريحين تماما ... »

فقالت وهي تجلس على الكرسي : « ولكني أريد أن أعرف بقية الرواية »

فقال : « اضطجعي أولاً ... أنا أقص عليك البقية .. ألخصها لك في ألفاظ قليلة »

قالت : « كلا ... هذا يفسدها ... إني أريد أن أقرأها »

قال : « إذن أقرأها لك »

فقال : « أوه لست أريد أن أفتح لك محضر تحقيق ... بمعذرة مرة أخرى ... ورفع يده الى جبينه المريض ومسحه وقال : « هذه أول مرة أرى فيها مسجلة تشتغل بالنسخ ( وضحك ) أرانا نتقدم ... أليس كذلك ؟ »

وكانت قد شرعت تدق على الآلة الكاتبة ، فاكثفت بالابتسام

وتركها هو بعد ذلك وخرج بعد أن قال لها إن في وسعها أن تطلب ما تشاء من الخادم ... أى شىء ... قهوة ... شاي ... أكل ... كل ما في البيت تحت أمرها

ولسكنها لم تطلب من الخادم شيئا ، ولم تقلق راحته ، بل أقبلت على الآلة تدق ، وتدق ، بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ، وتخرج له من كل ورقة نسختين . واستغرقها العمل ووجدت فيه متعة لا عهد لها به في مثله ، فقد كانت هذه رواية تنقلها — استمداداً لطبعها ولا شك — وكانت الصور التي يرسمها المؤلف — هذا الشاب الوسيم المؤدب تتجسد لها ، والمواقف تتمثل ، وهي تدق ، وتدق بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ، وكانت نفسها تجيش بمثل المواظف المشغولة ، والاحساسات المصورة ، فتضحك تارة ، وتحنقها المبررات تارة أخرى ، وتعبس حيناً ، وترى نفسها تنطق الألفاظ التي تدقها بقوة وعنف كأنها تمثل ما تقرأ ، أو كأنما كان الأمر حقيقة لا خيالاً . وكانت ورقة بعد ورقة تلقى في السلة على المكتب وهي ذاهلة عن كل شىء . فما قامت مرة ، ولا تمطت لتريح أعضائها المكدودة ، وتحرك أصابعها التي كادت تتشنج وتتصلب أو تتخشب ، ولا شعرت بظلم أو جوع ، ولا كان لها بال إلا الى هذه الرواية التي تقرأها وهي تنسخها . ولقد كانت مشغوفة أيام المدرسة

ولم ينتظره بل ذهب إلى غرفة النوم وجاء منها  
بزجاجة من الكولونيا رش منها على وجهها الأصفر،  
وأقبل على راحتها يداكهما وخلع حذاءيهما  
وجوربهما، وراح يداكهما أيضاً بالكولونيا،  
ومحمد واقف ينتظر، وينتظر الأوامر التي لا تصدر،  
ولا يصنع شيئاً

وبعد لأي ما بدأ الدم يعود إلى وجهها المنقوع،  
فتنفس عبد الحميد الصعداء واطمأن، وفتحت لبلى  
عينها وأجالتهما في ما حولها بفتور، ثم تنهدت  
ووسمها أن تتكلم

فقالت: «لم يحدث لي هذا أبداً»  
فقال بشيء من العنف: «كان جريلاً جداً أن  
يحدث لك هذا في الشارع... هه؟»  
فابتسمت وقالت: «أشكرك... إني آسفة...  
هذه أول مرة»

فقال: «محمد... خذ هذه الزجاجة وضعها  
في مكانها... والآن لا يسمعي، وقد خرج محمد،  
إلا أن أوجه إليك سؤالاً ثقيلاً... بارداً في الحقيقة...  
ولكنه واجب... متى أكلت آخر مرة؟...  
احذري أن تكذبي»

قالت: «لا داعي للكذب... أمس الظاهر»  
قال: «لقد ظننت ذلك...»  
قالت: «كيف عرفت؟»

قال: «أوه المسألة في غاية البساطة... ليست  
مسألة فراسة، ولكنها مسألة ضم قرينة إلى  
قرينة... وأعترف أنني مررت بمكتب...  
واستدرجت صاحبه إلى الكلام عنك، فقال إنك  
معروفة في مكاتب النسخ، وإن كنت من الجديديات  
عنده... هذا يومك الخامس في مكتبه... وأثنى  
عليك وطمأنني كأنما كنت أحتاج إلى ذلك...  
فلما أغنى عليك الآن أدركت أن هذا من التعب

قالت: «تعب... دعني أقرأها أنا... وأنا  
أستريح»

قال: «بعد الغداء... الوقت طويل»  
فقالت: «الغداء؟ كلا! اسمح لي أن أخرج  
ثم أعود في الساعة الثالثة... كالمادة»

قال: «ولم لا تبقيين وتنغدين هنا؟ قولي  
إنك باقية»

قالت: «لا أستطيع... سأعود بالطبع بعد  
الظهر...»

وكانت تعلم أنها مفلسة، وأنها لا تستطيع  
أن تذهب إلى بيتها - حيث ذلك الرجل الخشن  
الفظيع - وهبه ليس فيه ما تصنع هناك؟ وإذا  
لم تذهب إلى البيت فأين يمكن أن تذهب؟ هذا  
شاب يمرض عليها أن يطعمها وأن يريحها من  
الآنياب التي تمزق أحشاءها، وبغفها من الشعور  
الثقيل بالقرص والعض في جوفها، فلم لا تطيع  
وتقعد وتأكل؟ وأحست وهي تدير هذا في نفسها  
بالدموع تترقرق في مآقيها وتخنقها، وخشيت أن  
تخونها قواها وأن تغلبها العبرة أمامه، فقرضت  
أسنانها وشدت أعصابها، ونهضت متحاملة  
على نفسها

فقال: «إلى أين؟ لا يمكن أن تخرجي...  
عيب... لا يليق»

فقالت بضعف - فما بقيت في بدنها ذرة من  
القوة بعد أن أنفقت البقية في المكابرة: «أرجو...»  
ولم تزد قد هوت كالجثة أو كأنها ثوب فارغ  
ولم يكن هذا مما يجري لصاحبنا في حساب،  
فلم ينتبه إلى ما حدث إلا بعد أن ارتمت على الأرض  
- بمضها على الكرسي وبمضها على السجادة -  
فأنحني عليها وحملها وأراحها على الكرسي، وخرج  
يمدو ويصيح: «محمد... محمد... تعال حالاً...»



وتعليك في عيني .. ولكنها تكلف على كل حال»  
فقلت مستغربة : « تكلف ؟ أبدأ »

قال : « إن الذي أعنيه هو أن الشجاعة  
لا تكون إلا تكلفاً .. شيء يحمل الانسان نفسه  
عليه .. هذا ما أعني »

فقلت : « ولكني لست فاهمة »  
قال : « نؤجل الدرس إلى وقت آخر ؛  
ونتحدث الآن عنك .. قولي ما اسمك ؟ »  
قلت : « فريدة »

قال : « ينطقونها في المكتب ( فريدا ) ...  
ما علينا .. هل هذا اسمك الحقيقي ؟ »

قلت : « لماذا تظن أنه ليس اسمي ؟ »  
قال : « ما رأيت من شجاعتك يحملني على  
هذا الظن ... أنت بنت ناس »

قلت : « كل الناس أبناء ناس »  
وضحكت ، فقال : « أعني أنك تشعرين بكرامة  
محرصين عليها »

قلت : « هل أنا الوحيدة التي تفعل ذلك ؟ »  
قال : « أعترف أنني انهزمت ... عندي كلام  
كثير ... حجج ... ولكني أوتر الهزيمة ... فما  
قولك في أن نكون صريحين ؟ »

فضحكت . ولم يكن ضحكها سروراً بل عن  
شعور بالضعف وبالاضطراب الذي أدركت أنه  
سيدفعها إلى الاعتراف بكل ما في نفسها . فقال :  
« قولي لي اسمك الحقيقي ... سأحتفظ به »

فأقرت من حيث تريد المكابرة وقالت :  
« ولكن ما الفرق بين اسم واسم ؟ .. كله اسم »

قال : « ها انا .. لقد صح ظني ... والآن  
ما اسمك الحقيقي ؟ .. لقد وعدتك بكتمانك ، فهل  
تستطيعين أن تثقي بي ؟ »

قلت : « نعم ... ليلى »

والجوع .. ألا ترين أنني أصلح للقيام بدور سنسكر  
أو ثرلوك هولمز ؟ »

فضحكت وقالت : « لماذا سألت عني ؟ .. »  
فقال : « قبل أن أجيبك يجب أن تنتظري  
قليلاً حتى أعود إليك »

وخرج وتركها ، فراحت تفكر مسرورة  
في هذا الشاب - نعم هو شاب وإن كان الأرجح  
أنه تجاوز الثلاثين - وفي رفته ودعته ، وفي صروء  
نفسه وحسن أدبه ، وفي براعته في فن الرواية براءة  
جمالها تعمل كما لم تعمل قط في حياتها .. وفي

وسامته ، وفي هذا السحر الذي ينطلق من عينيه ،  
فينفذ إلى القلب ، ثم تنهدت آسفة سحر  
أولا سحر .. سيان ! لا شك أنه يعجب بها ..

هذا واضح .. ولكن ما قيمة هذا الإعجاب ؟  
وهبه أحبها ، فما أملها معه إلا أمل الخلية ؟  
وهيات أن ترضى ذلك ؟ ولو كانت ترضى ذلك

لما فاتها ما فاتها من الفرص ولا كانت خسرت  
ما خسرت من الأعمال ، فما كان أكثر أصحاب  
الأعمال الذين طعموا في هذا النوع من العلاقة ،

فلما خيبت أملهم ألقوا بها في الشارع .. وحسبها  
زلة واحدة في حياتها أورثتها هذا الشقاء الطويل ...  
واختصرت زفرة طويلة ، فقد دخل في هذه  
اللحظة محمد وأمامه سيده - الخادم يحمل ساطانية  
متوسطة فيها مرق ، والسيد يحمل فوطة

وقال السيد : « اشربي هذا .. حالاً .. »  
وطرح الفوطة على حجرها ، ففعلت كما أمر ،  
وقال لها : « هذا يكفي الآن .. بمد طول الطوى  
يحسن التخفيف حتى لا تتعب المعدة »

فقلت وهي تضحك : « لا تبالي .. إنه يوم  
واحد ليس إلا »

قال : « هذه الشجاعة التي تظهرينها تسرني

وعرف اسمها الكامل ، واسم أبيها أيضاً ،  
فقال وهو يمسح جبينه : « انتظري ... أليس  
والدك هو الذي كان ضابطاً في الجيش ؟ »

قالت : « هو بعينه »

قال : « وكان يسكن في شارع ... »

قالت : « هذا هو البيت الذي ولدت فيه »

قال : « غريب .. لقد كان أبي رحمه الله صديقاً

جداً لأبيك .. ولداهاا يلتقيان الآن ! . غريب ؟

وماذا حملك على ترك أبيك ؟ أسمع أنه كان عنيفاً »

قالت : « لأنني خفت عنفه .. اسمع .. سأقص

عليك حكايتي كلها .. لم يبق بدم من هذا .. وأحببني

بعد ذلك إذا استطعت .. ربما كان هذا لازماً للتشفي »

وقصت عليه الحكاية ، ولم تكتم شيئاً ، ولم

تحاول أن تهون من زلتها . كان يصني وهو مطرق ،

فلما فرغت قالت : « والآن يمكنك أن تبلغني أنك

دفنت حبك المبالغت لهذه الفتاة الطائشة »

قال : « لقد كنت ضحية .. . ولست أدفن حي

لك ؛ ولكنني أنوي أن أعلمه ، فهل تسمحين لي

بأن أطمع أن تحبيني يوماً من الأيام ؟ »

فأطرقت تفكر ، فقد أساءت فهم ما قصد إليه

وتوهمت أنه يريد لها كما أرادها غيره ، خلية ، وشعر

هو من إطراقها أن معنى كلامه ليس واضحاً ،

وشجوه ترددتها الظاهر ، فقال : « إني لا أرى

أنني أستطيع أن أعيش بعد اليوم بدونك ، فهل

تقبليني زوجاً ، على أن تكون الطاعة مني

والحب ، ولا يكون منك إلا ما يسمح بالأمل في

أن تحبيني يوماً ما ؟ »

فصاحت : « ولكنني أحبك من الآن ؟ »

وندعهما فباقي لنا مقام معهما !

ابراهيم عبد القادر المازني

قال : « ليلي .. ليلي ما ذا ؟ »

فقلت : « ألا تمفيني ؟ .. لست أشعر أنني

أستطيع المقاومة إذا ألححت ... ارحم ضعفي »

فقال : « بالطبع ... معذرة ... لست أريد

أن أستغل ضعفك ... كلا ... اغفري لي فضولي

فانه ليس عن خسة بل عن .. »

وأمسك متردداً ؛ فقلت وقد رأت تردده

وأدركت بغيرزتها الذكية ، دلالة : « عن .. ؟ »

فقال : « عن حب .. . لقد قلتها ... قولي عني

مغفل ... ما شئت قوليه ... ولكنها الحقيقة ...

وقد استرحت الآن .. رفعت عن صدري حجراً ..

تنفست .. عجيب ولا شك .. هي دقائق رأيته

فيها .. ولكنني مع ذلك أحببتك كأنني عرفتكم من

قبل أن أخلق ... كأنما كنا معاً في عالم آخر قبل

هذا . ولست أقول هذا لأخدعك ، وإني لأعلم أن

الرجل يستطيع أن يخدع المرأة بتمثيل دور العاشق ،

ولكنني لا أحاول خداعك ، ولا مطمع لي فيك ..

كل ما أعرفه أنني أحببتك .. قد يكون هذا

شعوراً وقتياً يفتر بعد قليل أو كثير ... وأي حب

لا يفتر ؟ . على كل حال لا أعلم ... أعرف فقط أنني

فوجئت بهذا الحب الذي غمر نفسي وشاع فيها

علواً وسفلاً ... انظري إليه كيف شئت ...

باستخفاف إذا أردت إذا لم يسمعك غير ذلك ...

ولكن صدقيني .. فاني أحتمل الاستخفاف ولكنني

لا أستطيع أن أحتمل التكذيب .. كلا .. »

فقلت ببساطة : « إني أصدقك »

فصاح بها : « إيه ؟ »

قالت : « ألم تسمع ؟ هات أذنك وأنا أصبح

لك فيها .. صدقتك ... هل سمعت الآن ؟

لالا لالا ... صدقتك معناها صدقتك فقط ! ! »





## يَوْمِيَّانَا فِي الْأَرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٨ أكتوبر .....

كان أول ما فعلت عقب رجوعي إلى مكنتي  
أن أرسلت في طلب الشيخ عصفور، فحضر أمانى  
مطرقاً صامتاً فابتدرته :

— البنت ريم تمجيبك ؟

فرفع رأسه ونظر إلى نظرة أحسست أنها  
نفذت إلى أعماق نفسي، ثم عاد فأطرق ولم يجب  
فقلت له :

— أنا مستعد أن أطلب المأذون وأعقد  
عليك وعليها

فلم يبد حراكاً، فضيت أقول :

— لو كانت موجودة هنا كنت حالا ....  
وجملت أستحثه على الكلام فلم يخرج عن  
صمته . وأخيراً ترنم بصوت كالهمس لكنه  
واضح النبرات :

نهيتك ما انتهيت

والطبع فيك غالب

وديل الكلب ما ينمدل

ولو علقوا فيه قالب

فما تمالككت أن صحت :

— إخرس يا بهيم !

وأسرعت بطرده ، وقد تبين لي أن لا فائدة  
ترجى من مثله . ورأيت أن أسأل حلاق الصحة ؛  
فاستدعيته وسألته في أمر المرأة المخنوقة وكيف  
صُرح بدفنها بدون إذن النيابة ، فقال من فوره :  
— وشرفك يا سيدنا البك ما أعرف إن كانت  
مخنوقة أو محروقة . حضرة حكيم الصحة أمر  
بالدفن كالمعتاد

— بدون توقيع كشف ؟

— لو كنا نعلم نكشف يا سمادة البك على كل  
بنت كان زماننا توفينا من بدري

— بقى بالاختصار لا حد كشف ولا نظر ..

— الجارى عليه العمل يا سمادة البك أن  
حلاقين الصحة في الجهات تبلغ حضرة الدكتور  
المفتش بالتلفون . وحضرته قاعد على مكتبه هنا  
ما عليه إلا أنه يسأل في كل حالة عن سبب الوفاة  
وورد عليه في التليفون : ماتت يا دكتور مودة ربها

يقوم بقول : ادفن ، ادفن ، ادفن ...

— ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما شاء الله !

ولم أرفائدة كذلك من البحث مع هذا الحلاق فأنما أدري الناس بحلاق الصحة . إن كل مهمتهم أن يقبضوا من أهل المتوفى خمسة قروش ويحصلوا لهم على الاذن بالدفن دون أن ينظروا في وجه جثة أو ينتقلوا الى منزل . إن هم إلا سمسرة « دفن » ، وحتى مع فرض وجود النزيه منهم الذي يريد القيام بواجبه فيذهب للكشف على الجثة ، ماذا يستطيع مثل هذا الجاهل أن يستكشف ؟ إنه سيرى رجلاً أو امرأة قد فاضت روحها وليس بها إصابات ظاهرة . فكيف يعرف أن الوفاة مشتبه في أمرها ؟ إن « نظام » حلاق الصحة نفسه ، هذا النظام الذي لا تعرفه أية دولة على بساط الأرض هو موطن الداء . ومثله عندنا نظام « الدايات » وإنني مازلت أذكر ماقصه على طبيب مستشفى المركز ذات يوم . قال لي إنه دعى الى حالة ولادة عسرة في إحدى جهات الريف ، فذهب مسرعاً فوجد المريضة ملقاة على ظهرها وقد تدلت منها ذراع الجنين وبجوارها عجوز حمراء الشعر والشدين ، قالت له إنها « الداية » وأخبرته أن المريضة قد مضى عليها ثلاثة أيام على هذه الحال بهذه الذراع الخارجة منها . فسألها لماذا انتظرت كل هذا الوقت ولم تخطري الطبيب ؟ فأجابت : « كنا منتظرين ستر ربنا ، قلنا ربنا ينتمها بالسلامة » . ووضع الطبيب يده في الرحم فاذا الرحم محشو بالتبن ، وإذا مثانة المريضة قد تهتكت وأنها هالكة لا أمل فيها ، وأن المولود قد مات منذ يومين . وألقى نظرة حوله فاذا كومة من « التبن » القدر عند أقدام المرأة . فالتفت إلى « الداية » الصحية مستفهماً ، فقالت :

أصله يا سيدي الدكتور لما دخلت يدي أسحب الولد لقيتها راحت « مرفلطة » ، قمت قلت : « أحرش كفى بشوية تبن » . ومدت للطبيب يداً ملوثة « بالتبن » قد بدت منها أظافر طويلة سوداء . وقال لي الطبيب : « إن الداية تولد المرأة كما لو كانت جاموسة » . وماتت المريضة مع طفلها واكتفت الصحة بأن سحبت من هذه الداية « الصحية » التصريح ... ولكنها لم تغير النظام وهي تعلم أن ألوف الأطفال يموتون على هذه الصورة في كل عام نظرت إلى حلاق الصحة ملياً وأدركت أن أرواح الناس في مصر لا قيمة لها . لأن الذين عليهم أن يفكروا في هذه الأرواح لا يفكرون فيها إلا قليلاً . وطردت هذا الرجل أيضاً ، وقلت في نفسي : إن خير السبل في مثل هذه القضية أن أعرف مرسل البلاغ المجهول . وفكرت لحظة ، وخطر لي أن أعرض خطه على القاضي الشرعي وهو يتجرب لي بين موظفي محكمته وبين المحامين الشرعيين . ولعله هو نفسه قد صر به هذا الخط . ومادمت أعتقد أن صاحب الخطاب أزهرى فليكن البحث في دائرة المحكمة الشرعية . وطالبت في الحال عبد المقصود أفندي رئيس القلم الجنائي وهو من أصدقاء القاضي الشرعي وكافته أن يرافقني في الحال ، ولم يمض قليل حتى كنا في بناء تلك المحكمة ، فسألنا عن القاضي فدلونا على حجرة أمام بابها « قبقاب » ؛ فهمس عبد المقصود أفندي في أذني أن فضيلته لا شك كان يتوضأ كي يصلي الظهر . وسرد لي في عبارتين مبلغ ورع هذا القاضي وزهده . وضر بنا على الباب ودخلنا ، فرأينا القاضي خالماً جيبته وعمامته وهو جالس على حصير الصلاة ، وبين يديه طبق به بلع من نخلة وأيناهها مثمرة في فناء المحكمة . فلما رأنا



نهض وحيانا وأجلاسنا على الكراسي وطلب لنا « زنجبيل » ، ورأى عبد المقصود افندى أن يوفر على مؤونة بدء الحديث ، فالتفت إلى القاضي الشرعى وقال :

— البك وكيل النيابة ، غرضه بطلب من فضيلتك ... ..

فأجاب القاضي سريعا في شيء من القلق :

— خير إن شاء الله . طلب خصوصى أو ...

وذكرتنى هيأته وقلقه بقصة عنه قصها على المأمور . قال لى يوما إن المدير اقترح نحسينا لمظهر المركز ومراعاة للصحة العامة إنشاء متنزه فى وسط البلد ، وقد تبرع بعض الأعيان بما استطاعوا التبرع به من مالهم ، وبلغ القاضي الشرعى ذلك ؛ فذهب إلى المأمور وسفه له هذا المشروع واقترح أن يقام بدل المتنزه مسجد لعبادة الله ، وحض الناس على التقوى والصلاح ، فأمن المأمور الخبيث على كلام القاضي وتحمس لرأيه أعظم التحمس ، وقال له :

— لا بد من عرض اقتراح المسجد على

سمادة المدير ، وأنا متأكد أنه موافق مقدما ، وزيادة فى ادخال السرور على قلب سعادته نكتب اسم فضيلتك فى رأس قائمة التبرعات ، باعتبار أنك متبرع بمبلغ خمسة جنيهات . وقد ذكر لى المأمور أنه لم يكذب يلفظ هذا المبلغ حتى اصفر وجهه القاضي ولم يجد ما يقول ولم يستطع أن يسحب اقتراحه وظهر عليه الضيق والحرج ، وقد كان المأمور يتوقع ذلك على الرغم من علمه بيسر القاضي وبسطة حاله . وهذا اليسر لا يبدو على حياته فهو يقطن فى شبه حجرتين ، ويكفيه من الطعام قليل من الجبن مع فجلتين وبلحيتين . وقد زاره

المأمور مرة فى العيد فوجد حجرة استقباله عبارة عن « دكتين » من الخشب فوق كل منهما فروة خروف قدرة وبينهما حصير قديم . أما المرتب الكبير فهو يكتر برمته إلا جنبيات ثلاثة هى كل نفقات الشهر . وفى آخر العام يشتري بالمال المكنوز عقارا وطينا . وهو لا يضع ماله فى المصارف خشية أن يعرف مقداره . ولا يدري أحد أين يدفنه طول عامه . وأخبرنى المأمور أن القاضي وكأنه لم يمت الليل حضر إليه فى الصباح المبكر يجرى ويقول فى تردد :

— مشروع المسجد بلغته لسعادة المدير ؟

فأجاب المأمور فى ابتسامة خفية :

— طبعا اليوم آخر النهار أنا ناوى أقابل

سمادته ..

فأسرع القاضي فى رفق وتلطف ومال على أذن

المأمور كأنما يفضى إليه بسر :

— أرجوك بس . مسألة الخمسة جنيهات ..

— مالها ؟ ..

— لا داعى لذكرها ..

هذه الواقعة تمثلت فى رأسى فجأة عندما قال لنا القاضي فى قلق : « طلب خصوصى ؟ » فقد قرأت ما جال فى نفسه . فهو لا شك قد خاف أن نكون قادمين لطلب تبرع من هذا النوع . فأسرعت أرد إليه الاطمئنان وأخبره أن حضورنا هو لعمل من أعمال وظيفتنا ؛ وأخرجنا فى الحال من ملف أوراقنا الخطاب الغفل وعرضناه عليه وحادثناه فيما نريد منه فأنشرح صدره وقال :

— موضوع بسيط . نشرب الزنجبيل أولا ..

ثم ننظر بعد ذلك فى أمر البلاغ ..

وصفق بيديه وصاح :

الكتاب من شيء» فأسكتني الحاضرون فسكت تأدباً لوجود سعادة المدير ولولا هذا ما سكت ورب الكعبة ، ثم استمر هذا الأفتدى في كلام لا هو بالمعقول ولا بالمنقول إلى أن قال إن عالمه النصراني قد استطاع بمعادلات جبرية أن يزن الأرض والسماء : فما تمالك نفسي ونهضت وأنا أنتفض وصحت به : « مهلاً يا حضرة الأفتدى مهلاً ، أخبرنا قبل كل شيء ، هل هذا العالم ( شنتون ) وزن السموات والأرض بالكروسي أو بدون الكروسي ؟ ... » فارتبك المدرس ونظر إلى قائله : « كروسي إليه ؟ » فرددت عليه بالآية الشريفة : « وسع كرسيه السموات والأرض ... » أجب أيها المدرس الأفاك ، ها هنا الحاصل والجوهر ، الوزن كان بالكروسي أو بغير الكروسي ؟ ...

فكتمت ضحكي وقلت في هيئة الجد :

— وأخيراً ... ؟

— وأخيراً يا سيدي ... لا شيء ، لم يستطع

المحاضر أن يجيب ، واحتج وانسحب ، وضع الحاضرون واختلط الحابل بالنابل ، وغضب مني سعادة المدير واعتبرها إهانة لمجلسه ، وترك الناس المحاضرة وهي المسألة الأصلية والتفتوا إلى اعتدائي على مقام المدير وهي مسألة فرعية ، وتكاثروا على يطلبون إلى الاعتذار ، فاعتذرت ، ولكن مع ذلك أشعر أن من يومها والباشا المدير لا ينظر إليّ بعين الرضا ...

وسكت قليلاً ثم قال في لهجة أخرى :

— بمناسبة الحالة السياسية اليوم . أظن الوزارة

الجديدة ستجرى حركة تغيير وتبديل بين المديرين ورجال الإدارة كالمعتاد ؟

فلم أكد أفتح فمي لأجيب حتى دخل الفراش وهو نصف شيخ . أعني أنه يلبس العمامة على جلباب

(٣)

— يا شيخ حسنين . استعجل لنا الفراش ثم صمت قليلاً . وعاد خياناً :

— أهلاً وسهلاً ... حصل لنا الشرف ...

ورأى عبد المقصود أفتدى أن يبدى لي صائه بالقاضي ومعرفته له فأشار إليه والتفت إليّ قائلاً :

— فضيلته من كبار العلماء الراسخين في العلم ووجه الكلام للقاضي :

— أنا يا فضيلة القاضي لا أنسى يوم المحاضرة

لما رديت على الولد المدرس ..

فقاطعه القاضي مستغفراً مستعيداً :

— أخزاه الله . أنا لا أطيق الصبر على الكفر

والجهل . والتفت القاضي إليّ وقال :

— تصور يا سيدي البك أن هذا الأفتدى

مدرس جغرافيا في المدرسة الثانوية التي فيها محاضرة

علمية عن عالم نصراني اسمه « شنتون » قال إنه قد

عرف بالضبط وزن الأرض والسماء ... استغفر الله

العظيم ..

وتأملت قليلاً في الاسم الذي نطقه القاضي .

واهتديت آخر الأمر إلى أن المقصود به العالم الرياضي

« ايتشتين » ، ولذا لي أن أعرف ماجرى ، فهذا من

غير شك صراع بين عقليتين واصطدام بين رأسين

يحول لئلي دائماً أن يشاهده ويقف على مداه ، فقلت

للقاضي في شيء من الاهتمام :

— وحضرت المحاضرة يا فضيلة الشيخ ؟

— حضرت والأمر لله من قبل ومن بعد

— وماذا حصل ؟

— حصل يا سيدي أن هذا المدرس قام وقال

في حضرة الباشا المدير وكبار الموظفين والأعيان إن

هذا العالم الكافر قد أتى بما لم يأت به الأوائل

والأواخر ، فقامت وصحت به : « كذاب يا حضرة

المدرس ، لقد قال الله في كتابه العزيز : ما فرطنا في



نخرجوا جميعاً . وعاد إلى الأمور يتنفس الصعداء  
ويقول في صوت متعب :

— بقي لي يومين بايلتين في القرف ده  
وأردت أن أداعبه وأخيفه قليلاً فقات :  
— لكن انت يا حضرة الأمور معروف عنك  
انك من حزب الوزارة السابقة  
فقال لي على الفور :  
— اسكت اجعل معروف . أنا طول عمري مع  
الوزارة الجديدة بقلبي ، واللى في القلب في القلب ؛  
والأعمال بالنيات  
فابتسمت وقلت له :

— نترك السياسة ونتكلم في الشغل  
وأخبرته بنتيجة فحص الجثة ووجود العظم  
اللامى مكسوراً ، وضرورة البحث عن المجرم في  
جناية الخنق الجديدة . وطلبت إليه أن يوجه عنايته  
لمساعدتنا في الكشف عن الفاعل . فقال في الحال :  
— المركز مش فاضى للخنق والحرق  
— عجيب . انتم لكم شغل غير المحافظة على  
الامن ؟ !

— معنى حضرتك مش فاهم ... !  
— لأ مش فاهم ... !  
— نترك الانتخابات ونلتفت للقتل والخنق ؟ ..  
— طبعاً  
— ما عنديش أوامر بالكلام ده  
وتركني وجعل يعبت بقيود حديدية وسلاسل  
معلقة على حائطه . وغمزني عبدالمقصود أفندي كي أغلق  
هذا الموضوع . وأراد أن يغير مجرى الحديث فقال :  
— البك الأمور يسمح بطلب دفاتر السجن ...  
وشعرت أن كرامة عملي في خطر فصغحت قائلاً :

عادي قنر كجلايب الفلاحين ، وهو عارى القدمين .  
وقدم لنا قنجانين من طرزين مختلفين قد كسر  
مقبضاهما . فشربت في احتراس وأنا أنظر الى داخل  
القنجان خشية أن يكون فيه بدل السكر صرصار .  
وفرغنا من الحديث والزنجبيل وبدأنا العمل . وطالب  
القاضي أوراقاً بخط موظفيه ضاهيناهما بخط البلاغ  
فلم نجد مشابهة . وعرضنا البلاغ على من في المحكمة  
لعمل أحداً يذكر لنا أنه يعرف صاحب هذا الخط  
فلم نظفر بطائل . وخرجنا من المحكمة كما دخلنا .  
ومشيناه في طريقنا الى دار النيابة . فقال عبدالمقصود  
أفندي :

— نمر بالمرة نفقش سجن المركز ونخلص  
فلم أبد اعتراضاً . وذهبنا الى المركز فوجدنا  
الأمور قد جمع بعض العمدة في حجرته وجعل يشرح  
لهم وجهة النظر الجديدة ويصدر إليهم تعليماته بنفس  
الحماسة التي كان يبدىها في مبدئ تولي الوزارة السالفة .  
فما إن رأني وعلم بالفرض من زيارتي حتى خف  
لاستقبالي وأجاسني في صدر حجرته . وفض مجلسه  
وهو يشيع العمدة الى الباب قائلاً :

— فتح عينك يا عمدة أنت وهو . مرشح  
الحكومة في الانتخاب لازم ينجح ، أنا نفضت يدي  
وانتم أحرار . مفهوم ؟ ..  
فأجابوا في صوت واحد :

— مفهوم يا حضرة البك  
وتردد أحدهم وقال :  
— فيه يا جناب البك جماعة مشاغبين أقويا  
كلنهم مشموعة من العائلة الثانية الكبيرة ...  
فدفع الأمور في كتفه دفعاً وقال له :  
— المشاغبين على أنا ... تفضل

— لا بد من أني أفتش بنفسى السجن والمركز كله  
ونهضت في قوة وعزيمة أزججت الأمور .  
فتردد ثم قال في رفق :  
— تفضل . السجن تحت أمرك . . . انتظر  
سمادتك دقيقة واحدة  
وخرج سريعاً من الحجرة وهو ينادى :  
— يا شاويش عبد النبي . . .  
واختفى عن نظري . ودفعتني دافع الى النظر  
من نافذة للحجرة تطل على قناء المركز . قرأت  
الأمور والجاويش يسرعان الى سجن المركز ويفتحانه  
ويخرجان منه أشخاصاً تدل هيأتهم على أنهم من  
أهالي النواحي ذوى الرخاء ويزجان بهم في حجرة  
النبن والاملف ويعلقان عليهم بابها بالمفتاح . فقلت  
لعبد المقصود أفندى :  
— تعال وطل بعينك ده ولا سجن الباستيل .

للأمور أخفى بعض الأهالي في أودة النبن  
فقال لي عبد المقصود في شيء من التوسل :  
— يا بك ، الوقت بطل ، والسياسة متحركة  
في البلد ، ما فيش داعى للتدقيق . . .  
— يعنى نترك الناس في الحبس من غير جرم ؟ . . .  
— يا سمادة البك ، رئيس الأمور هو وزير  
الداخلية ورئيس الوزراء في الوقت نفسه ، أما رئيسنا  
فهو وزير الحقانية فقط ، وقد سبق أن قضاة  
ووكلاء نيابة وقفوا للإدارة في ظروف سياسية  
مواقف من هذا القبيل قاموا نقلوهم الصعيد !  
— يعنى تمضى على دفاتر المركز ونسكت ؟ . . .  
— يا سيدنا البك ، إحنا حانكون أحسن من  
مين . . . كان غيرنا أشطر . . .  
— طيب ، قم استعجل لنا الدفاتر والسلام . . .  
( يتبع )  
توفيق الحكيم

## بواخر

### شركة مصر للملاحة البحرية

#### لماذا يفضلها الناس ؟

لأنها تفوق غيرها بدقة النظام وجودة الطعام

ولأن جميع أسباب الراحة متوفرة فيها

ولأنها قطعة من مصر

ولأنها بواخر شركة مصرية صميمة





من اللين منذ ثلاثين عاما أو تزيد ؛ ينمقد على رأسه  
سجاف قصير من تلك الأقراص التي يتخذها  
الفلاحون من روث الماشية ، كأنما أريد به أن يزيد  
هامته بمض الطول ، أو يكسب جبهته شيئا من  
الزينة . ولقد عبثت يد الزمن بتلك الأقراص  
فتأكلت جوانبها ، وبذلك الجبهة الضيقة فتشقت  
حتى لتبدو شقوقها كأنها  
الغضون في رأس جللة الشيب  
وجمدته السنون . على أن ذلك  
الكوخ على ضفته كانت تفيض  
عليه بساطة من الروح والهدوء  
تجمل الأفئدة تهوى إليه ،  
وتصبو إلى الميشة القريرة  
الساكنة في جواره

في ذلك الكوخ الضيق  
يسكن (طبيب) البدوي

وامرأته ، وابناها حنظل وراغب ، وبناتهما  
شروذ ، وعز ، وشماء ، على أنهم لا يقضون تحت  
سقفه إلا إياي الشتاء ؛ أما في النهار فاعلم مضارب  
واسع ومتنفس فسيح في ذلك الفضاء المحيط بهم ؛  
وأما في الصيف فلم يكن ثمة من سقف يعلمهم سوى  
تلك القبة الزرقاء تزيناها مصابيحها اللامعة المتناثرة

كانت شجرة التوت الكبيرة التي تقوم على  
رأس حقلنا منذ عشرات السنين مقلنا من حر  
الصيف ، نأوي إليها إذا اشتد القيظ فنقضي النهار  
في ظلال الوارف السابغ ، ولا نعود إلى القرية إلا في  
ضوء القمر أو في لمح الشفق . كان ذلك دأبنا طيلة  
عطلة الصيف لا نغل هذه الدوحة ، بل لا نطبق أن

يتصرم أسبوع دون أن نقضي  
يوما إلى جانبها ؛ هنالك حيث  
كنا ننعم بذلك الهواء الطري  
الرخي الذي تستروح النفوس  
نسماته في أشهر الحر ولا تصيبه  
إلا في ظل مريحة فينائة كنتلك  
السريحة ، امتد من حولها  
الفضاء وانبسطت الأرض

على قيد خطوات من تلك  
الشجرة الوارفة الظل بجري

نوعة من تلك الترع الكبيرة التي تنساب في الدلتا  
زاخرة في الصيف بذلك الفيض الذي يجعله النهر العظيم  
من تلال الحبشة فيملأ به الترع والغدران فتجيش في  
أنحاء الوادي بالقوة وتفيض على أرضه الخصب والري  
وعلى مقربة من تلك الشجرة تقع المين على  
كوخ متواضع ، يستقبل الشمس إذا طلعت ، أقيم



أو ينيرها القمر المتلألئ الوضاح

كان شيخ العرب وهذا هو اسمه الذي اعتادته  
الأسن بقوم على حراسة « الوابور » القائم إلى  
جوار كوخه ، في بناء لم يتخذ من اللبن كما اتخذ  
الكوخ ، بل من الآجر المتين ؛ وكان شيخ العرب  
من أولئك الأعراب الذين ينتجعون الرزق في قرى  
مصر ، فلما جرى بذلك « الوابور » أقيم على حراسته  
بأجر معين . وهو إلى ذلك يرعى الأغنام ويتخذ  
من أصوافها ومن لبنها أثاثاً وطعاماً ، كما يصيب من  
بيع صغارها بعض المال

\*\*\*

حللنا ذات صباح ذلك المقيبل الحبيب تحت  
هاتيك الشجرة ولم يبد من الشمس إلا نصف  
وجهها ، فأخذ بعض الرفاق من بنى العم يبحثون  
فيما ألقينا على الأرض من متاع ليهبثوا لنا الطعام  
وقد أحسنا الجوع بعد سير ساعة ، وتحلقنا على  
حصير حول الطعام ، فأكلنا في شهية كادت تصل  
إلى الشره ، وكانت نفوس الرفاق جميعاً تفيض بالمرح  
والبهجة ، يزيدهم انتماشاً نسيم الصباح الجميل الواني ،  
كما كان كل شيء حولنا ينبىء بأننا سنقضى يوماً  
سعيداً

وأقبل شيخ العرب ، وكان قد ذهب مبكراً في  
بعض شأنه إلى غربة على بك وهي تقع غير بعيد على  
الضفة الأخرى للترعة ، ودعونه إلى الطعام فأصاب  
منه يسيراً . ولما فرغنا انصرف الرفاق إلى ما اعتادوا  
من لهو ، فبعضهم ذهب بصيد السمك ، وتأهب  
البعض للعب الزرد ، وكانوا قد جاءوا معهم بصندوقه ،  
وبسط البعض كومة من التراب ثم خططوها  
وهياؤها للعب « السيجة » . أما شيخ العرب فقد  
أسند ظهره إلى جذع الشجرة وجلس يدخن وهو

مطرق كأن به هم . وجلست إلى جانبه أحادته وأدابعه  
كعادتي ، فسألته استبطن دخيلة نفسه :  
— ما حال إبراهيم اليوم يا شيخ العرب ؟  
— ما زال على حاله من الغضب والعنف ،  
لا يسكت لسانه ، ولا تهدأ ثورته . يهدد ويتوعد ،  
ويقسم الایمان على تنفيذ ما اعتزم ، على الرغم من  
نصحنائه وزجرنا إياه

\*\*\*

كان إبراهيم هذا شريكاً لشيخ العرب في بعض  
غنايمه ، توشجت بينهما أسباب المودة ، وتوثقت  
روابط الألفة ، وأحبه شيخ العرب حباً شديداً  
ولا سيما بعد أن خطب إليه ابنته عز . كان فتى في  
نهاية العقد الثالث من سني عمره ، طويل القامة في  
غير إمراف ، ريان البدن في غير امتلاء ، مفتول  
المعضل ، ونسيم الحميا ، يرف في مقدمة فوديه وشم  
عصفورين باسطي الجناح ، تزداد زرقة لونهما وضوحاً  
في تلك الحمرة التي أشرب بها وجهه الوضىء الأبلج .  
تلمح نبل نفسه في عينيه الواسعتين الجليتين اللتين  
كانتا مضرب المثل في حدة البصر ، وتبين قوة  
عزمه وإباء طبعه في أنفه الطويل الأثمن وشاربه  
المرهف المبروم ، كما تلمس صرامته وجراءة قلبه في  
سداد نظراته ولهجة حديثه وإشارة يديه . ينظر إليه  
النساء والمبنات نظرة الصباية والاحجاب ، ويرمقه  
الرجال معجبين بفتوته وخفة حركته وروعة قوامه ؛  
وهو إلى ذلك ماهر اليد ذكي الفؤاد في كل ما يطلب  
إليه من عمل ؛ يغزل الصوف في سرعة عجيبة وإتقان  
مدهش ، وينسج رقعاً جميلة النقش بهيجة الألوان ،  
خبير بالنعاج يميز الجيدة منها لأول نظرة ، خبير بما  
يصيب الغنم من علل ، بصير بما يلزمها من علاج  
أو جيرة ؛ يقظ في السوق لا يخدع في شراء ولا



إليها بصره الحديد ! ولا تنسى هي إذا خرجت  
ترعى الغنم في متوع النهار أن تلف خصرها اللدقيق  
بخرامها الأحمر الذي غزله بنانه ونسجته كفه ،  
ولا تحمل معها غير ذلك العود من شجر اللوز الذي  
أهداه إبراهيم يوماً إلى أبيها . وهو يتبعها بمقره  
أينما أتجهت ، حتى إذا اشتد وهج الظهيرة أوبا إلى  
شجرة جلّسا يطمان مما حملا معهما من زاد

\*\*\*

كان من أبهج الأيام عندنا أن يكون معنا  
إبراهيم ، إذ كان يتيح لنا لعبة السبيجة مع شيخ  
العرب فرجة ممتعة ، كما كنا نطلب إليه بعض  
المواويل فنصفي إلى حديث قلبه وخلاجات نفسه  
يفيض بها لحنه الفتي ، ورساها في الفضاء صوته  
القوى ، ولكننا لم نجد هناك تلك المرة ، كما لم  
نجد في المرة السالفة

كان آخر مرة لقيته نائراً لا يقر ، مفيظاً محنقاً  
كأنه في ثوزته النمر المزجر المحتاج ، وقد اختفى فيه  
ذلك الانسان الباش الرزين . ففز من مكانه كالسهم  
إذا انطلق فواجه أخته وكانت لدى باب الكوخ  
تتحدث إلى عمر ، فحلق برهة في وجهها الذي  
سرت فيه صفرة كأنها صفرة الموت ، ثم بصق في  
هذا الوجه وهو يكاد يتميز من الغيظ ! يحبس  
لسانه لكيلا ينطق أمامنا بما لا يليق من فحش  
القول ، وهو يحرق الأرم ، وينبعث من عينيه  
بريق الشر والمقت ، ولولا نظرة ملامة من عمر  
خفت حدته وردت وثبته لحطم بيديه رأس أخته  
التي كانت تنتفض أمامه انتفاض المصفور باغته  
الصقر ، أو الصبي صور له خياله أنه يبين يدي  
شيطان ! ثم التقط عصاه واتخذ سبيله مبتعداً عنا  
دون تحية أو التفاته ، وهو يتوعد ويؤكد الأيمان

بغبن في بيع ؛ يشارك الفلاحين في أعمالهم وهو  
ذلك الراعي فيحملهم على الإعجاب به والاعتراف له  
بالتفوق ، نخطوطه في زراعة القطن كأنها ضربت  
على نخط ، وآراؤه في السماد والبزور وأوقات الزرع  
والحصاد آراء الخبير المخرب ؛ هذا إلى ذهن فطن ،  
وعقل مبتكر ، يفهم ما يلقي إليه أول مرة في مرة  
ويسر ؛ وتراه إلى جانب ذلك كله المقدم المتفوق في  
اللو واللعب ؛ ينازل الرفاق في لعبة السبيجة فيظهر  
عليهم ويسخر منهم ويلعب « الخطب » فلا تخطيء  
يده ولا تسكل عصاه ، ويغنى في الأرغول أنماشيد  
حماسية تبعث في قلوب خلانه الطرب والقوة

تمثل له في عز طيف أحلامه وصورة خياله  
فأسلم لها قلبه وأسلس قياده يرى فيها ما لا تراه  
عيناه في غيرها من بنات العرب ، فحياتها الجليل  
الصباح فتنة ناظره ، وعيناها الضاحكتان اللامعاوان  
بهجة فؤاده ، وقوامها المرف الرشيق مثمة روحه ،  
وحبها الذي تسكبه على قلبه في حرارة وقوة هناة  
نفسه ونعيم حباته . يرى في أتران خطواتها وسرعة  
التفاتاتها صورة من نزوع نفسه وتوثب همته ،  
ويحس في حذقها ومهارة كفها ظلاً من مهارته  
وكفايته ، ثم يرى في رفق حديثها وهدوء طبعها  
ما يموزه من رفق وهدوء ، وما تتوق إليه نفسه  
من سكينه واطمئنان . على أن أهم ما يسمو بها في  
عينه طهرها الذي جمعت به بين بأس الرجال ونعومة  
الأبكار ، والذي جعلها كالوردة في أعلى النصف  
تأخذها العين قبل غيرها ولكن يحول دون الوصول  
إليها علوها أولاً ، ثم ما يحيط بها هناك من أشواك  
يرعى غماتها في الأرض الفضاء ؛ فيراها عن  
بمد وسط غماتها وحدها أوصحية حنظل أو مع أسها  
أو إحدى شقيقتها فيعرفها قلبه ، قبل أن ينفذ

الزينة ، وتبالغ في التبرج ؛ فقد ماها الصغيرتان ناعلتان أبدا ؛ وترى نعلها الأصفر الدقيق نظيفا كأنه لم يمس الأرض ، ومن نطاقها الأحمر المحبوك حول خصرها تتدلى على مرطها الأسود اللامع خيوط مختلفة الطول مشكلة الألوان تنتهي بذلافل تملو وتهبط وتمايل يمنة ويسرة كلما خطت خطوة أو حانت منها التفاتة . وفي ضفيريها شريطان ساطعا اللون ممدودان ولكنهما لا يستقران على ردة في موضع ؛ أما شئونها وأقراطها وخواتمها وخاخالها فلم تقنع في اقتنائها بما دون الفضة . وبراها في مشيتها كالطبية تبث في الحقول من حولها السحر والجمال ، فإذا تغنت أو ضحكت أطلقت نفسها على مسجيتها فلا تلك حدة نبراتها وحلاوة صوتها نشوة وفتنة ، وحملك فيض مرحها على مشاركتها ولو كنت ضائقا بهمك

ولكن الفتيان والرجال لا يذكرونها إلا في تفاخر وهمس ، وتراهم إذا جاء حديثها يتبادلون نظرات الخبث ، ويتناولون عبارات اللغو ، وترى كلا منهم وقد تشككت أساريره بما يجول في نفسه واختلجت عيناه بما نعى إليه أخيرا من أمرها

\*\*\*

راح شيخ العرب يقص على من حديث إبراهيم وأنا مصغ بسمي إليه ، مقبل بحواشي عليه قال :  
— رأيت ما كان من ثورته غداة كانت سكينه

هنا تسر الى غر بعض حديثها ؟

— رأيت ذلك فخيرني وأزعجني

— إذ ألو علمت ما كان بينه وبين زوجها شبل وما دب بينهما من شحنة وبغضاء ...

قال ذلك وأطرق كمن يشغل رأسه هم فاستفهمته ما حدث ، فأخبرني أن الرجلين يتربص كلاهما بالآخر

وظلت أخته في مكانها لدى الباب واجهة أول الأمر ثم ما لبثت أن عاودها هدوؤها ، وانبسبت أساريرها كأن لم يكن هناك شيء ؟ ولعلها أرادت بذلك السكون أن تتظاهر أمامنا أن الأمر هين وأن ما يغضب أخاها لا يستحق كل هاتيك الثورة ؛ بيد أنه لم يكن سكونا متكلفا يحجب وراءه اضطرابا أو إشفاقا ، فاقد هالتنا في عينيها نظرات جريئة غريبة ، نظرات من يحس أنه في موقف العار والخزي ولكنه لا يستشعر ذلك الخزي ، ولا يرى مكان الخجل من محياه إلا التبجح الباسم الذي يدل على أنه يحس كل شيء ولكنه لا يبالي بشيء

\*\*\*

كانت « سكينه » وهذا هو اسمها فارحة الجمال رائحة المحاسن ، لطيفة التكوين تحس هذا الجمال وتذكر بغريزتها مدى أثره في نفوس الفتيان والرجال فتعمن في الدلال وتسرف في إبداء زينتها ، وليس أحب إلى نفسها من أن ترى ما يفعل جمالها بقلوب الشباب لها عينان هما السحر أو يقصر عنهما السحر ضاحكتان أبدا ، ساطعتان كأنهما نجمتان جريئتان دجوان تصوبهما الى القلوب ولا تستردن من حياء كما تفعل النسوة ، كأنما تريد أن تجهز على حمرها ، وما استطاع فتى لمح تينك العينين مرة أن ينسى سحرها أبدا . هذا الى جبين صقيل وخذ أسيل يبدو مشبعا بالحمة مع ما يمس من مسفع الشمس ، وفم يرف كما ترف الزهرة في ندى الصبح يحتاج عليه البسات ، وتتقسم بينه وبين عينيها النظرات ، وأنف لطيف دقيق إذا تغير قيد شمرة عما هو عليه فإن يواهم تلك القسبات وهي لا تقنع بما أسبغته عليها يد الطبيعة من حسن فتراها تمن في



حوله أو هلكوا ! بخيل شديد الحرص ، يحاسب ناظر زراعته على المليم حسابه إياه على الجنية ، لا يذكر حسنة ولا ينسى إساءة ، يقيم نفوذه على البطش والجور ، عسوف عنوف لا تأخذه رأفة بأحد ، لأنه يرى الرأفة ضعفاً لا يليق بمثله ؛ لا يعدل نبوغه في جمع المال من شتى الوجوه إلا مهارته في إحكام الدسائس وتدبير وسائل السكيد ؛ على أنه في اشباع شهواته قد فات كل نبوغ وتعدى كل حد ، حتى ليتلاشى تلقاء تلك الناحية فيه كل نبوغ آخر ! وقل في الناس من تكون له مثل تلك القوة البهيمية التي لا تعرف كلالاً ولا تحس مللاً

رأى وهو على حمارة إلى عزبته في ثلاثة من رجاله ذات صباح امرأة في ظل شجرة ، فكأنما تلاشت كبرياؤه بغتة . سأل رجاله في غير ترفع وفي غير حياء : من تكون تلك المرأة ؟ فأخبروه أنها سكينة الأعرابية فمجب كيف تكون في عزبته ولا يعلم بها ! فأفهموه أنها زوجة «النفر» الجديد شبل ، فسرت في وجهه أولاً أمارات الارتياح ، ثم علم أنها أخت إبراهيم الأعرابي فامتعض وانقبضت أساريره ؛ وبداله ، فاستعاد كبريائه وراح يمان سخطه على وجود امرأة في طريقه دون حياء كأنما هان على الناس أمره ، واعتذر إليه أعوانه بشتى الماذير فهي أعرابية جاهلة ، وهي لا تعرف أن هذا طريق البك إلى مزارعه ، وهي لن تعود إلى ذلك بعد اليوم ، إلى غير ذلك من وجوه الاعتذار

على أن البك وإن تظاهر بالعزة في الناس ، تهون عليه نفسه فيما بينه وبين نفسه . وسرعان ما تهافت على سكينة حتى صارت شغله الشاغل ، وسرعان ما صار لزوجها الخطوة والمال ؛ وقد عرفت الأعرابية الماكرة ناحية الضعف في هذا المتعاضم

يريد أن يقتله ، وأن الأمر وصل بينهما إلى مثل ذلك التخرج والمسدوان ، فقد حدث أن لطم إبراهيم زوج أخته أمام جماعة الفلاحين من أقرانه في عزبة على بك ثم راح يكيل له السباب المقذع الذي يستفز الجبان ، ثم اختفت من غم شبل عشر نجمات ، ووجدت إحدى بقرتيه ميتة والأخرى بين الموت والحياة ؛ والناس جميعاً موقنون أنه ما فعل هذا غير إبراهيم بعد أن تهامس أهل العزبة بما شاع عن سيرة أخته ، وهو مصمم إذا أراد ، جرى إذا انتوى ، عات إذا نفذ ، ليس في العزبة كلاماً من يخرج على سطوة على بك ويستخف بسلطانه سواء . على أنه اليوم لا يرى شبلأ كفاً لخصومته ، بل إنه لينظر إلى من هو أعظم وأسمى ، ينظر إلى على بك نفسه ويرى فيه غريمه وعدوه الألد . أو ليس يعطف اليوم على شبل العطف كله ، ويمده بما له ويمفيه من مشاق الأعمال ؟ وكيف يصبر إبراهيم بعد أن يتبين أن البك إنما يفعل ذلك كله من أجل سكينة وعيني سكينة ؟ كيف يطيق إبراهيم أن يلقى الناس ويحتفظ بينهم بمكانته وهو اليوم تتبعه الفضيحة أينما سار ، ويأتيه العار من كل مكان ، ويلقاه الخزي أنى حل

\*\*\*

كان على بك من أرباب الضياع ، يتحدث الناس بما كان لجده من ثراء وجاه ؛ ولقد تقاسم بنوه من بعده هذا الثراء الضخم وذلك الجاه المريض فانهى إلى على بك بن حسن بك منه جانب كبير ؛ ولكن أخلاق جده انتهت إليه كاملة ، فهو شديد الكبرياء عظيم الأنفة غليظ القلب ، ينظر إلى أهل عزبته جميعاً نظراته إلى عبيده وإمائه لا يهمه إلا أن يشبع بطنه ويملا جيوبه ، عاش من

الشیطان نفسه ! ولكنه كان لا يفتأ يسب ويتوعد معلناً في حدة أن الموت خير عنده من تحمل هذا العار ، وأنه إن تهاون في عرضه فأولى به أن يلبس ملابس النساء ، ويتخلق بأخلاق النساء ؛ وكان يقسم لي أنه سوف يبدأ بذبحها كما تذبح الشاة ما واثته الفرصة لذلك ، ثم ينتقم من عشيقها أبشع انتقام مهما كانت سطوته ! يقول ذلك وصدره يملو ويهبط كما يملو موج الثرعة ويهبط ، والعرق يتصبب من جبينه ، والشر يلمع في مقلتيه ، وأصابع يده مشدودة كأنما يريد أن ينشها في فريسة ماثلة ! وكان ينفر منا إذا زجرناه قائلاً إنه لا يهاب الموت بل إنه ليتمناه ليربحه مما هو فيه ! وحتى عز ، عز نفسها ما كانت تجد سبيلاً إلى قلبه ، وكان يقهرها ويطلب إليها في صرامة ألا تخوض في هذا الأمر ، وإلا فلن تكون له بها صلة . وسكت شيخ العرب برهة ، ثم استأنف حديثه قائلاً : « تغير المسكين وكأنما حل محله شخص آخر ، فهو لا يهنا له طعام ولا يستقر جنبه في مضجع ، وأصاب غماته الهزال لولا ما يحاول عز من عناية بها . يحسب كل نظرة موجهة إليه إذا سار ، ويخال كل بسملة سخرية منه ، ويظن كل همس يدور حوله ، ولذلك تراه لا يغشى مجالس الرجال إلا نفراً من خلصائه يستمعين بهم فيما يدبر من أمور ! واليوم تكثر حوادث الحريق وتسميم الماشية في العزبة ، فأشفق على هذا البائس ولسكني لا أجد حيلة في تسكينه أو صرفه عن وجهته ، وليس بكربي ما أحاذره عليه بقدر ما يكربي ما صارت إليه ابنتي من حال منكرة ؛ فقد غاضت بشاشتها ، وتمشني السقم في جسمها القوي ، حتى بت أخشى أن أفقدها » ثم خفت صوت الرجل ، ودنا مني ، وقال

(٤)

المتجبر فأسلست إباءه وحطت من كبريائه ، تدل عليه متى شئت فلن يستطيع قبض كفه عنها ، ونمكر به فلن يقوى على إرغامها ، وهي تتقرب إليه مرة وتنفر منه مرة فلا تجد في الحاليتين إلا الخضوع والاستسلام من ذلك البك العاني ! وأى خضوع هذا الذي يجعله على الرغم من مكانته لا يتورع أن يتردد على كوخها بنفسه متخذاً من الليل ستاراً ؛ ذلك الكوخ الذي اختاره لها بالقرب من مسكنه غير عابئ بما يقول الناس أو بما يتقولون أما زوجها فقد تغافل عن هذا كله وتجاهله ، وحسبه ما يصيب من وراء ذلك من مال أو حظوة عند سيده ! وما كان هذا الضعيف ليملاً عيني زوجته المتبرجة الشرود . فهان عليها أمره منذ أن تزوجها ؛ وما مهد له سبيل هذا الزواج سوى صداقته لأبراهيم منذ حداثتهما . ولقد رضيت به كارهة مرغبة ، ثم ما لبثت أن طرحته وراء ظهرها فلم ترع له حقاً أو قل لم تحس له وجوداً . ولقد ظلمه إبراهيم حقاً فيما انتقم به منه فما هو إلا أداة تافهة حقيرة ، لا يملك من أمره ولا من أمر زوجته شيئاً

\*\*\*

أفاض شيخ العرب واسترسل ، وما كان يميني إلا إبراهيم ، وقد عرفت الآن سر غضبه ، وبواعث ثورته . أيستطيع وهو فرد فقير أن يقاوم البك وله من الأعوان والجاء ما يقابل به بلده بأجمعها ؟ ورأى شيخ العرب في حديثي إشفاقاً عليه ، وفي عيني لطفة لسماع بقية خبره فقال : كثيراً ما طلبت إليه أن يأخذ حذره ، وألا يطلق لسانه بما لا يليق ، وعلى الأخص لأن خصمه ماضي البطش ، سريع الانتقام ، فظيع الغدر ، لا ينجو من كيده عدو ، ولا يفر من حبائله مسيء ، ولو كان



كسحنة الحبشى ، بيد أنها كانت على الرغم من ذلك تعكس أشعة الشمس ، فيشتد بريقها حتى يخطف الأبصار

وانتهبنا على حين غفلة إلى الكلاب تجرى نابحة نحو التربة ، فالتجعت أبصارنا جميعاً إليها ، ولكننا لم نر غير الماء ينساب مسرعاً دافقاً ، وماهى إلا لحظة حتى رأينا حنظل يجرى نحو الضفة ومن ورائه راغب ، وهما يشيران إلى الماء ، وتبعتهما عز وهى تؤيدهما بقولها : إنها جثة آدمى وليست جيفة حيوان . وأسرعت إليهم أمهم فوقفت معهم ، ولكنها كانت تخالفهم قائلة : إنها جيفة حمار . وأمعنا النظر في الماء فرأينا شيئاً سابحاً ، يتحرك حركة غريبة ، هى حركة تدفق الموج ، ولم نتبينه أول الأمر إذ لم يكن يطفو منه فوق الماء إلا جزء يسير ؛ ولكننا استطعنا أن نرى كنفاً آدمية عارية وجزءاً من الذراع ، ثم ما لبث الرأس أن تبدى برهة ولكنه عاد فاختفى ، ثم برز الوجه وبرز إلا قليلاً والتيار يحمل الفريق مسرعاً فيبدو للعين من أجزاء جسمه ما يبدو حسب حركة الموج . ولقد أحزننا ذلك النظر وروعنا ، ورأينا بعض الناس على الضفة الأخرى ، وكان الفريق أقرب إليها منا يرفعون أصابعهم بالتشهد ، كما رأينا بعض الغلمان يتجمعون ويجرون على الشط قبالة الجثة ؛ وكأنما جسد شيخ العرب فى مكانه فلم يذهب إلى حيث كانت تقف زوجته وأولاده . وشمل الجو كله من حولنا رهبة شديدة وكآبة قابضة ، والفريق يجرى به الموج فيدخل فى ظل بعض الحشائش ، ثم يخرج منها إلى ضوء الشمس ثم رأينا خمسة من الرجال يأتون مسرعين على الشط الذى كنا نقف عليه ، فساروا يتبعون الجثة

فى خمس : « رأيت كيف يكون مبعث البلوى هؤلاء السادة ، ثم يهتموننا نحن الأعراب بأننا أصل الحوادث ، والحكومة تأخذ بما يقولون ولا تفكر أن تبحث أسباب تلك الحوادث ، أو تتبين بواعثها الخفية . . . »

وتوقف محدثى على نداء ابنه راغب :

— أبتاه !

— ماذا يا ولد ؟

— حنظل وعز وأى والغنات ... هاك ...

هاك إيش ها تريد يا بوى ؟

— ما أبغى شىء يا ولد ... اسكت

ولما وصلت عز وأمها وأخوها من «سرحتهم» إلى باب الحظيرة ، أشار شيخ العرب إلى ابنته فجاءت مسرعة وحيث فى طلاقة وهدوء ، وعلى وجهها مسحة من همها الدفين ، وقال لها أبوها : « إكبرى النار يا بنت ، وهات الشاى » ، وأعطيناها بعض ما لدينا من الشاى فذهبت لعمله ، ثم جاءت أمها فحيت وجاست ، وجاس حنظل غير بعيد منا وفى يده مغزله وصوفه

وجاءت عز بالشاى ، فتهدت أمها وهى تمدحها حدج الاشفاق ، وقال لها أبوها وهو يخفى همه : « دبرى الشاى يا عز » ، وتناول كل منا من يدها قدحاً من تلك الأقداح الزجاجية ، ورحنا نحذى الشاى فى صمت

وكانت الشمس قد لآلت صفحة الماء بأشعتها القوية التى كانت تبدو لأعيننا أعظم ضوء أو أشد وهجاً ونحن فى ظل الشجرة ، حتى لقد كان بصعب على بعضنا أن يدبم النظر لحظة إلى الماء ، وكان الماء يومئذ مثقالاً بذلك الغرين الذى يفهم به النهر الجيب فى زمن فيضانه ، فكانت صفحة التربة

لبثت تنتظر وهي لا تدري من الفريق ، ولكن لم يطل انتظارها ، فقد عاد راغب مسرعاً وكأنه يحمل إليها نبأ سارا ؛ وقال في سذاجة الأطفال وبرائتهم : « يا غز يا أختي إنه ابراهيم أخو سكينه » صرخت الفتاة مذعورة للنبأ الفاجع ، ولكنها حتى في ذلك الموقف تداركت وجودنا فقطعت صرختها وهزلت نحو الكوخ ؛ وهناك أبصرناها تسقط لدى الباب منسياً عليها ، فخرينا إليها ولكن عبثاً حاولنا أن نفعل شيئاً ، وأخذنا في أمرها من الارتباك ما يأخذ الرجال عادة في مثل ذلك الموقف . بيد أننا أسرعنا فأرسلنا من أحضر أباه وأمه ، فجلست الأم تذاك يديها ورجليها وقد ألقت رأسها على ركبتيها ، وأبعدنا نحن الرجل قسراً عن الكوخ وأجلسناه بيننا تحت الشجرة وبه ضعف ما بابنته ، ولم يبق حتى أفاقت من غاشيتها ، وكأنما عقد اليأس لسانها أو ذهب الهلع بلبها فلم تقل شيئاً ، وكذلك انمعد لسان أبيها فلم يتحرك وهو بقاب كفيه في جزع لن يصفه كلام

وجلسنا نحن حوله وكأننا قوم اجتمعوا في مأتم فلا نتساءل إلا بالالحاظ ولا نتجاوب إلا بالأياء . وصر الرجال بعد لحظة يحملون غريقهم على محفهم التي أعدوها ، يريدون أن يسرعوا بجثته حتى يخفوا الحادث

قضينا يوماً كثيراً ثقيلاً لم نستطع أن نكمله فعدنا إلى القرية في عصره ؛ وانقضى الأسبوع وحل موعد الذهاب إلى التربة ، ولكننا لم نذهب فقد علمنا قبل ذلك الموعد بلبلة أنه قد ألقى القبض على شيخ العرب فقد جاء ذكره في قضية مقتل علي بك فاستدعى لسماع أقواله إذ قد حامت جوله بعض الشبهات

الظفيف

ربما تبجح ، وفي وجوههم حسرة واهتمام شديد وكانوا يصيحون بقولهم : « البر البر يا طالب الدفن » ومن معتقداتهم أن الفريق يبجح إلى البر إذا صاح الأحياء أمامه بتلك العبارة

وليت شمري هل استمع الفريق إليهم حقاً ؟ فاقعد أبصرناه يبجح إلى الشاطئ قليلاً قليلاً حتى أوشك أن يلامسه غير بعيد منا ، ولكنني لم ألبث أن تبينت سير جنوحه ، فان انثناء التربة في ذلك المكان جعل الموج يرتد من الشاطئ الآخر إلى شاطئنا فوجه إليه الفريق شيئاً فشيئاً

وذهبنا وذهبت امرأة العربي وابناها لرؤية الفريق . أما شيخ العرب فلبث في مكانه برهة ، ثم قام فتحامل على نفسه وسار يجر رجله ليلحق بنا ، وهناك رأيناه وقد أخرجه الرجال ممدداً على الشاطئ وقد تمزقت ملابسه وتورم جسده : رأينا ابراهيم جثة هامدة ولا حظنا على فمه ضربة وفي عنقه أثر شجار عنيف ؛ وتجلد الرجال فصنعوا من عصيهم محفة ألغوه عليها وخلموا عليه بعض ملابسهم ووقفنا نحن مشدوهين أمام هذا المنظر وفينا من لم يستطع أن يحبس دمه على الأخص لرأى ذلك الشيخ الذي أذهله الرعب فتركه كالأصم أو المجنون وسرنا نحو الشجرة فرأينا غز وأخواتها في انتظار النبأ فما كان لهن أن يرين غريقاً ربما تعرى جسده . وهل كانت تستطيع غز أن ترى هذا الفريق ولو كانت على جسده من الثياب أطولها وأعرضها ؟ هل كانت تستطيع أن ترى خطيبها وحبيب روحها ممدداً على الشاطئ جثة هامدة متورمة ؟ هل كانت تستطيع أن ترى ابراهيم وأصحابه من حوله مسحون دموعهم بأكفهم وهم من أشداء الرجال ؟





جمالها ، وإن كانت قد ناهزت الثلاثين ؛ فأومأت إليه أن يتبعها وانطلق على أثرها إلى غرفة منمزلة ؛ وقالت له بصوت متهدج مرتعش :  
— هلم فأخبرني الخبر وأوجز ما استطعت فان زوجي ينتظري

فوقع كلامها منه إذ لم يكن يعلم أن لها زوجاً .. وتخاذل من هول الصدمة ، وكاد ينقطع عن الكلام ، لولا أن رأى اضطرابها فعاد إلى الأمل عليه وقال لها :

— إن ضاق بك الوقت فلن يتسع لي أن أخبرك بكل شيء في هذه المرة ، ولكن حسبك أن تعلمي أنني قد خرجت من السجن ، وكان مأواي في هذه السنوات العشر الطوال . . . أوه أرجو ألا تنظري إلى نظرة الاحتقار فلقد كنت أحسبك غير جاهلة أمري وإن لم أكتب إليك ...

فطاشت نظراتها إليه بنظرات من الخوف والرعب ؛ ثم قالت له بصوت مرتجف :  
— وما شأني في كل هذا ؟

فأبلس ولم يدر كيف يقول ، وتساط غايه صوته العذب فسلبه إرادته ، وكثيراً ما كان يسلب ما يسلب ويهيج فيه ما يهيج ، ونبه الصوت إلى وجودها ، ونبه وجودها إلى ذكرى الأيام الماضية فحنّ وأنّ واعتراه ما يعتري المحبين ، وجعل يلتبس

بينما كانت سيمون أربل تهم بالخروج من (الاستوديو) إذ كان لها عمل الممثلة الأولى في شريط سينمائي جديد ، اعترضها شاب أنكرته بما كان يفشي وجهه من الأصباغ والطلاء فلم تثبته ، ولكنه دنا منها وأسر إليها اسمه

— شارل جيرو ...

فذهرت الفتاة وتراجعت كأن هذا الاسم قبض على قلبها فهي تريد الإفلات منه ، ولكن الرجل خطا إليها وقال في مسكنة وذلة :

— أما إنك لم تعرفيني فغير عجيب ؛ فقد تصرّمت عشر سنوات كاملة ، وفي دون هذا تنكر المرأة رجالها . . . ولعلك تنساين ماذا جئت أفعل الآن بعد هذه الغيبة الطويلة ...؟ فأجئت إلا لأني على العهد وما زلت أحبك

فأجابته : لعلك جننت ...!

فجعل يرمقها في ذهول ، ولم يصدق عينيه وأذنيه إذ لم يكن يتوقع أن يرى ويسمع ، وهو الذي تجشم في سبيلها ولقي مآلي من أجلها ؛ ثم قال لها :

— أريد أن أنفرد بك فان لي حديثاً

وكانت سيمون لا تزال كعمده بها وضيئة فائنة جذابة ، بأرعة الشكل ، بديمة التكوين ، رقيقة الملامح ، عصبية المزاج ، لم تنل الأيام من

الألفاظ فلا يجدها ، ولم يدرك كيف يذكر لها أنه من أجلها سرق ومن أجلها قتل ...

لقد كاتمها كل ما فعل فما تعلم شيئاً إلى الآن ، وبودّه لو كانت تعلم ؛ إذن لأدركت عملها من نفسه فمسي أن يرتفع بذلك في عينها وتعرف أيّ محبّ هو ...؟ ولم يكن يرتاب في أن مجرد التقائهما يضلّه منها بما مضى ويستعيد إليه حنانها القديم ، وإن يكن للحظ عمل فالحظ هو الذي هداه إليها ويسر عليه البحث عنها ، وجاءه باسمها بين أسماء الممثلات في السينما فما كان أسهل عليه بعد ذلك أن يعرف مقرها ... أفبعد هذا يخشى ويرتاب ويأس ؟ وتلثم لسانه وغمغم قائلاً :

— أراك خائفة منى ... أو لا فهو الحذر وما يحق لك أن تحذري ممن يحيا بهواك ، فان كانت رؤيتي قد ساءت فمعدرة ...

فبدأ التأثير على وجه سيمون وكأنما ندمت على ما فرط منها ، وهاج شجونها منظر الرجل الذي طالما أحبتّه ، وقد جاء يسألها هذا الحب مرة أخرى ، فقلبا قلبها وانقرطت الدموع من عينها وتساءلت في حزن ورقة :

— لست أدري كيف يقدم شاب مثلك على فعل جزاؤه السجن ؟

فتجهّم جيئنه وتساقطت الكلمات من فمه — لقد اضطرني البؤس والحب ...

فاحتجت عليه قائلة :

— أهناك بؤس فوق ما تحملناه معاً ؟

فلم يطق صبراً وصاح بها :

— ألم تدركي بعد أني لم أقترف ما اقترفت إلا في سبيلك ولأنت تشك من هذا الشقاء ؟ ألم تعلمي أن السعادة قد جاءتك في الوقت الذي اختفيت فيه ؟

فغضت بصرها وهزت رأسها علامة النفي ، ولكنه مرّ في حديثه وقال :

— لقد دفع إليك صديق « أدولف ملبان » في ذلك الوقت مبلغاً كبيراً من المال وزعم كما أوعزت إليه أنه من أحد أقاربك ... غير أنني كنت آمل أن ستدركين أنه مني

فبدت الدهشة على وجه سيمون وقالت :

— أدولف ملبان ... ! أدولف ملبان ... !

— آه ... لعلك تذكرينه الآن . ؟ لقد كان صديق الحميم فاستودعته المال ليسهل على الحرب . ألم يدفعه إليك ؟ أجبني ...

وكانت ترمقه بنظرات غريبة فأخذ يدها بين يديه وجعل يشد عليها ولكنها انتزعتها منه وفرت لا تلوى ، وثبت في مكانه لا يلحق بها

ثم عاد إلى غرفته وفي نفسه الأمل ، فذلك الانفعال الذي بدا عليها لم يكن من غير شك إلا نتيجة هذه المواجهة . . . كلا . . . كلا إنه لن يهون عليها ومن أجلها سجن عشر سنوات . . . ولكنه اغتم لزواجها وداخله الشك في أمانة صديقه أن يكون قد ذهب بالمال ولم يؤدّه إليها ، فتتري ماذا فعلت المسكينه بعد اختفائه ؟

وتفتحت له الذاكرة وأطرق يفكر في الأيام الماضية . .

\*\*\*

كان شارل وسيمون من بلدة بورج فتعارفا وتحاببا منذ الصغر . وكانت أسرته غنية واسعة الغنى ، أما هي فكانت يتيمة لا مال لها . فلما أراد الزواج منها كبر ذلك على أهله وأبوا أن يعزوه فرحل معها إلى باريس وكان لها من العمر ثمانية عشر عاماً ، فأخذ يرتفق ببعض الأعمال ليكسب



عامل البنك ويتربص به الى أن سسحت الفرصة فانقض عليه ذات مساء في مكان منقطع فدمس في فيه خرقة مبللة (بالكلوروفورم) ثم احتوى ما في حقيبته من المال وتسلسل الى منزل صديقه ولم يره أحد

ونفض خبره لصاحبه فأظهر له هذا من الاخلاص والمطف ما سكن إليه ؛ وقال في نفسه جريمة دون جريمة ، وسرقة أخف من قتل ...

ولكن جرائد الصباح ظهرت تحمل نبأ وفاة عامل البنك من فعل (الكلوروفورم) فارتاع شارل وأسقط في يده وأخذ الرعب . وتنصّح له صديقه فأشار عليه بأن لا يرجع الى باريس حذراً أن يتم عليه المال وقد عرفوه مملقاً ، ثم زين له السفر الى مدينة برن والبقاء فيها حتى ينسى الخبر وتطوى القضية

ورأى شارل أن هذا هو الرأي ، فعدّ ما سرقة فكان ثروة ... ثم عزّل منه القسم الأكبر ودفعه لصديقه على أن يحتفظه عنده أياماً ثم يؤديه لصاحبه سيمون أربل في باريس ويزعم لها أنه من أقاربها . قال :

— فان شكت في الأمر فمليك بالصمت وقل لها المال هو المال ، وسوف تعلم منى ما لم تعلم منك ، وإذا نجوت فان أوبى إليها قريبة ، وإذا وقعت فاني متلف جميع أوراق فلا يعرفون اسمي ولا يهتمون بي إليك

وتعاقب الصديقان طويلاً ، وسافر شارل الى برن فأقام بها خمسة عشر يوماً وثق بمدها من نجاته فأزمع العودة الى باريس ؛ وما كاد يعزم حتى كبسه الشرطة وقبضوا عليه ، ولم يدر من أين دهي ... !

ما يتباذان به . وكانت هذه حالة بصمة أشهر ، فذا نقص من سعادة المال أتمته هي بوجودها ، الى أن جاء يوم أعوزه القوت ولم يجد عملاً فأصبحا ولا مأوى لهما يضربان في شوارع المدينة وبييتان في ضرائبها فلم يرُ بُداً من الكتابة لآبيه يسأله المعونة ، فأرسل إليه ما يكفي لتوفية دينه وابتياح تذكرة العودة ؛ وهدده ان هو لم يرجع في الحال ان لا عوّن ولا مساعدة ولا ميراث ... !

ولكن شارل لم يعبأ ولم يكثرث لوعيد آبيه وآثر البقاء مع سيمون والحب والفقر ؛ ثم سسحت له فكرة السفر الى جنيف ليستريح خالته الغنية قبل أن تصفّر يده مما أرسله أبوه . وودعته سيمون على المحطة بعد أن تواعدا على اللقاء بعد أسبوع ... ولم يخطر لهما في تلك اللحظة أن اللقاء لن يكون الا بعد عشر ساعات كاملة ... !

ولما وصل شارل الى جنيف لقي خالته وسألها ان تقرضه مالا يتسبّب فيه بالتجارة ولكن أباه كان قد أنهى إليها الخبر وحذرها ، فمتفتته وردّته ردّاً قبيحاً . فتارت مائتته وجن جنونه ، فذا تفعل سيمون إذا نقد القليل الذي تركه لها ؟ إنها بين موتين ، فاما ان تموت جوعاً أو هو الموت الأدبي للمرأة الحسناء ...

وأخذ يقلّب رأيه ويفكر في حاله ، وكان قد اطلع في الصحف على أخبار السطو على عمال البنوك ، فلم يده ففكره المضطرب الى خير من هذه الوسيلة ، وما ينفع العالم ولا يضره نقص اللصوص واحداً أو زادوا واحداً ...

وأعدّ عدته وترك منزل خالته بحجة الرجوع إلى باريس ، ثم أوى الى منزل صديقه أدولف ملبان وكان طالباً في إحدى جامعات جنيف ؛ وأخذ يتأثر

الميسر وحلبات السباق ، وأصبح عالة عليها تطعمه وتكسوه ، وما تحب المرأة من تطعمه وتكسوه . وكان الى ذلك قليل الحزم كثير التسويف فقال لها وقد أشاح بوجهه عنها :

- ليس هذا بالرأى . . فقد لا يعلم بزواجنا أبدا ؟ وما أحسبه إلا يائسا منك إذا أياسته ، فيدعك وشأنك . وكل ما يجب هو ألا يرانى فأجابته في ازدراء :

- إنك تخشى إذا هو علم بزواجنا أن يتهمك بأنك دلت عليه الشرطة وفضحت جريمته . . فما زلت أتساءل كيف قبض عليه وقد كان آمنا ولم يأتعن أحد غيرك ؟

فنبهت الرجل وقال لها وقد اختنق صوته - أفتظنيني مهما كنت سافلا أتسفل الى مثل هذه الدنيئة ؟ أتعقدين ذلك يا سيمون ؟ فأجابته ببرود : ولم لا ؟

فصمق لكلامها وظل باهتا مشدوها ؛ وقامت هى الى الباب وألقت اليه وهى تخرج من الغرفة : - لا يدهشك أن ترانى فى أحضان شارل . . فظل قابلا متكدسا فى مكانه وقد طاش عقله ،

فهو ما زال يحب سيمون ، ويؤثر الموت على أن يفقدها ؛ ولكنه قال فى نفسه : « إن فى ذكرى الأيام السيئة التى قضتها مع شارل ما يحول بينها وبين شارل » ، ونسى هو الآخر أنها من النساء وصدق حدس الحبيب الأول ، فتمكن شارل مرة أخرى من مقابلة سيمون فى ( الاستديو ) والتحدث اليها ، وكانت تصدف عنه فى بادىء الأمر ، غير أن الحب المتأجج فى صدره نفى عنه اليأس بل هوّن عليه أمر زواجها وما يدرى بمن تزوجت ... وقرّ فى نفسه أن صديقه لم يؤدّ اليها

وفعلت البغته فعلها فى نفس هذا المسكين فتجلىح ، وقرّروه وجعلوا يسردون أخبار جريمتهم عملا عملا وكلمة وكلمة فتضمضع وأقرّ ؛ بيد أنه رآهم يجهلون اسمه ، فانتحل اسما فأخذوه به وحكم عليه بالسجن عشر سنوات بالأشغال الشاقة ، وكانت الجرائد الفرنسية فى شاغل عن مثل خبره باضطراب الحالة الدولية فى ذلك الوقت فلم تشر اليه ، وهكذا أخفى أمره وظل مجهولا من أهله ومن سيمون ، فكان هذا عزاءه فى سجنه ، وهان عليه ما سوى الفضيحة عند من يحب . وأخذ يملل النفس بأنه متى انحسرت هذه المحنة ولقى سيمون وأفضى اليها بالخبر ازداد حظوة لديها فجزته وفاء بوفاء وإخلاصا بإخلاص ؛ ونسى أنها من النساء ...

وتصرّمت المدة وخرج من السجن فلم يوفاء والديه وحرمانه ميراثهما ، ووقع له عنوان سيمون فى اعلانات الصحف فكان ما وجد أحب اليه مما فقد . وها هو ذا الآن يردد فى نفسه بعد أن قابها « إنها ما زالت تحبني وإن أصبحت ذات بعل ، فان كان قلبها لى وحدى فهى لى وحدى ... »

\*\*\*

وجالست سيمون فى الوقت نفسه للمشاء مع زوجها أدولف ملبان بمنزلها فى شارع كورسيل ، وكان زواجهما من عشر سنوات ، فجرى بينهما كلام قالت فيه :

- يجب عليك أن تطلع شارل على الحقيقة قبل أن يعرفها من غيرك فذلك أحرى أن يخفف وقعها عليه

وكان أدولف رجلا بادنا خامل الحركة ، لم يعمل عملا منذ ورث الخيالة على سيمون بأرباحها الطائلة فهو متبطل يقضى أيامه فيما يزنده خمولا بين دور



ومر اليوم طويلاً بطيئاً كأنه يمد دقائقه  
واحدة واحدة ؛ وكانت سيمون تلحظ على زوجها  
القلق والاضطراب على ما يبدو من سكينة ،  
فأعجبها ذلك ، وابتسمت ابتسامة خفية وقالت في  
نفسها : « إنه هو أيضاً يحبني ... »

وفرغت من عملها فأخذت تتحدث إلى بعض  
صديقاتها ؛ ثم عادت إلى منزلها فدخلت إلى حمامها  
وأطالت المكث فيه ؛ ثم جمعت تزيين وتطيل في  
زينتها والوقت يمر لا ينتظر حتى إذا ما استقلت  
سيارتها كان قد فات الموعد الذي ضربته لشارل ،  
وانقضت ساعتان ...

فلما بلغت المنزل أبصرت بالقرب منه سيارة  
عرفتها وسرها أن تراها ...

ثم تقدمت إلى الباب الخارجي فلاح لها نور  
ضعيف ينبعث من إحدى الغرف تحت ظلام الليل  
الدامس ؛ ففتحت الباب وردته وراها ثم دخلت  
إلى الغرفة المضيئة فوق وقع بصرها على جسم ضخم  
منكفي على الأرض فدنّت منه في غير ذعر ولا  
دهشة ، وانحنّت عليه تبيّنه فإذا هو زوجها أودلف  
وقد تشحّط قتيلاً في دمه ...

وأخذت تتمثل ما حدث فكانت القضية في  
خيالها أن الصديقين التقيا على فجأة فجر الكلام  
الكلام ، وعلم شارل أن أودلف هو صاحب المنزل  
وهو زوجها الذي خان عهده وخلفه عليها فطاشت  
الغيرة بعقله فقتله ، ثم هاله ما صنع واستبطأ قدومها  
فنجبا بنفسه ...

وجعلت تتأمل الجثة وقد علت شفتيها ابتسامة  
شيطانية ، وقالت تحدث نفسها بصوت مسموع  
وقد أمنت أن يسمعا أحد :

— كنت أتساءل : من سيقول منهما ... ؟

المال فاختلّت حالها ، فذلك سبب زواجها آثرته  
على السقوط ، وتلك فضيلة تسره ولا تحزنه ...  
ولم تقو سيمون على تيار هذا الحب الجارف  
فتفتّح قلبها وباتت تنتظر صاحبها كل يوم على  
باب ( الاستديو ) فتصطحبه في سيارتها للتنزه  
في الغابة ...

وسألها شارل في أحد الأيام :

— أما تخشين أن يباغتنا زوجك ؟

فأجابت وعلى شفتيها ابتسامة ذات معنى :

— إن هذا لا يعنيني ألبتة

وكانت هذه هي المرة الواحدة التي جرّ فيها  
الحديث إلى زوجها ولم يسمح شارل لنفسه أن  
يسألها عن حياتها طوال هذه السنوات العشر  
وألهاه ما هو فيه وأصبح لا يفكر إلا في أمر حبهما  
ومستقبلهما فقال لها :

— أخبريني أن لك منزلاً ريفياً بضاحية  
سان جرمان وأنكم لا تنزلون به إلا في الصيف ،  
وعندي أنه أفضل مكان نختلي فيه دون حذر ...  
فاستحسنّت رأيه واستعملته إلى أن تحتاط  
للأمر ثم يكون له ما يحب

وفي ذات يوم فاجأته بقولها :

— سأقوم هذا المساء بعمل التجربة الأخيرة  
للشريط السينمائي الجديد ، ولا ريب أن زوجي  
سينتهز هذه الفرصة فيقضي الليلة في اليسر كدأبه  
كلما غبت وبهذا يخلو وجهه .. فهناك مفتاح منزلنا  
الريفي واحرص على أن تكون هناك عند منتصف  
الليل فسأوافيك في هذه الساعة وقد انتهيت من  
عملي ؟

فلثم المفتاح ودسه في جيبه ، وما تسعه الدنيا  
سروراً وغبطة

فها هو ذا أدولف وقد استرحت منه بقتله كما استرحت من الآخر بالفرار

ثم دارت على عقبها وهمت تريد الخروج ، فانتفض جسمها إذ رأت شارل بالباب يقول لها وقد تسكح وجهه وانقلب سحنته :  
— إذن كان أدولف صادقاً ؟

قامتقع لونها بصفرة الموت ، وظهر في عينيها الرعب ، ولكنها تماسكت وصاحت بصوت مختنق :  
— أقتل زوجي ثم تتجراً ...

غير أن شارل قطع عليها وقال في جفاء وخشونة :

— كيف علم هذا الرجل وكيف جاء إلى هنا ؟ أجيبي من هذا الذي استدرجه ؟

فزاغ بصرها وتلجلج لسانها وتمتمت :  
— لست أدري ... لست أدري ... ! لعله حكم الاتفاق والمصادفة ... دعني أخرج من هنا وألا صرخت وجمعت الناس عليك

فهز كتفيه ورمأها بقهقهة منكرة اقشعر لها جسمها ثم قال :

— اصرخي ما شئت فان يجديك ... فالكان بمنزل والقوم نيام ؛ وهي أحداً معك فأفانك فانه سوف يقبض عليك بتهمة الاشتراك في الجريمة ... ألم تهربي مني من جورج قبل اثنتي عشرة سنة ؟ وبعد هذا ألسنت أنت أعطيتني مفتاح المنزل ؟

فقال وقد انخذلت ووهنت قوتها وأحسبت الأرض تميد بها :

— لست أدري لم تخاطبني بهذه اللجة ؟  
— ذلك لأنك دخلت إلى هذه الغرفة وكل حركاتك تنم عن دخيلة نفسك الخبيثة ، فقد ظهر لعيني أنك كنت تتوقعين رؤية هذه الجنة هنا ...

ومن غيرك يبعث بهذه الرسالة إلى أدولف ؟ ثم أخرج من جيبه خطاباً غفلاً من اللمضاء فجعل يقرأه عليها :

— « إن كنت تريد أن ترى بعينيك خيانة زوجتك فاذهب إلى منزلك الريفى عند منتصف الليل »

فتباهت كأنها لا تفهم شيئاً ، ولكنه نظر إليها في ازدراء وقال :

— لا تحاولي الإنكار فما تجددين دليلاً إلا قام دليل ... ولقد فاجأني أدولف ، فلما رأيته هم بقتلي ، ولكني ظهرت عليه وانتزعت سلاحه ثم رميته بخيانتته فتراها منها وأكدي أنه دفع إليك المال منذ عشر سنوات ، ولم تكن به ربية فعبثت به وأغريته وسلطت عليه هواك وفتنتك ورضيته عاشقاً ، ثم رضيت به زوجاً ؛ وعلمت منه كل ما جرى على لم يكتمك شيئاً ... وكان المسكين يمدني والجنون يطير في عقلي وتمثلت تسخرين بي فقتلته على غير وعي ... ألا فاخبريني الآن لماذا تجاهلت وأنت عارفة ، وهل تلك إلا نية السوء وضمير الشر ؟

فسكتت هسسية ثم تمتمت :

— كيف لي بالحجة وأنت لا تصدقني ؟

فاستأنف كلامه بصوت محموم :

— لقد كنت واثقة من قتل أحداً ، فابتلاق عاشقان لامرأة واحدة في غدعها إلا على جريمة ... ولا شك أن أدولف كان يعلم أني أنا الذي ينتظرك هنا في منتصف الليل ، وإن لم تذكر لي اسمي في خطابك ، فجاء على نية القتل ومعه سلاحه لأنه كان يخشاني ... ولقد غررت بي وخدعتني بحبك لتنتهي بي إلى هذا المصير قاتلاً أو مقتولاً ، وهل جئت بعد الموعد بساعتين إلا لتكون الجريمة قد



شيء أحبك وأنت مملوك ، وأنت عاثر الجدد ،  
وأنت خامل مجهول ؟ أفنتعجب بعد ذلك من وقوعى  
بسهولة فى أحضان أدولف وقد جاءنى بالمال والجاه ؟  
وما نسيت شؤمك حين ظفرت به فخشيت أن تعود  
إلى وتقع فى حياتى وقوع الهم فى السعادة ، فما  
كدت أعلم من صديقك بما اقترفته من تلك الجناية  
وهو يحدثنى بها متحزناً عليك راثياً لك ، حتى  
أسرعت فأبلغت الشرطة ودلتهم على مخبئك ليأخذوك  
عنى أنت وشؤمك وتماسكك ...

ثم صاحت وهى تقهقه بجنون :

— قالى يرجع الفضل فى سجنك هذه العشر  
السنوات ... أسمع يا شارل ... أسمع يا شارل ،  
وهل فهمت الآن ؟

وبقى شارل كالأخوذ ، على حين ازداد هياج  
سيمون واتسمت أجفانها وجحظت عينها ،  
وأخذت تقبل وتدبر كأنما ترقص حول جثة  
أدولف ... ثم قالت قيا تهذى :

— وكذلك ضربتُ أحدكم بالآخر وتخلصتُ  
منكم ماعداً أن ألوث يدي بالجريمة ... ! ألا ترى  
هذا تديراً يا عزيزى ؟

وظهرت عليها أعراض الجنون ، فقال شارل  
فى نفسه وهو يتفجع لها : « ذلك خير ما أعتناه  
لبرأتى ... فإن يأخذ أحد بقول امرأة مجنونة ،  
وسيعتقدون أنها هى التى قتلتها فى حالة من حالات  
نفسها ، ومسدسه أقوى دليل على انحصار الأمر  
فىما بين الزوج وزوجته ... »

وبينما هو فى تفكيره انقضت عليه سيمون  
تريد الفتك به وهى ترغى وتزبد ، فدفعها عن نفسه  
وانفلت منها وخرج هارباً والمجنونة تصيح بالجثة :  
— اقتل شارل يا أدولف ... ! اقتل شارل  
يا أدولف ... !

محمد الزايعى

وقعت فى هاتين الساعتين ؟ فإن كنتُ أنا المقتول  
هدأت زوجك فنخلصت منه ، وإن كنت  
القاتل أسلمتني إلى الموت إذا لم أفر ... ؟ ولماذا  
جئت ، وكان فى استطاعتك ألا تجيئى لولا  
ما استحدثك من غرضك الخبيث لتتمى خطتك  
الجهنمية ... ؟ فلا تنسى أنى قضيت عشر سنوات  
بين القتلة والمجرمين وعرفت كثيراً من ميوهم  
وطباعهم

ثم قطع حديثه وسكت لحظة وكأنما عاوده  
حبه وأخذته الرأفة بها ، فقال بصوت خافت :

— اصنى إلى ياسيمون ... لن أمسك بسوء إذا  
أنت أخبرتنى ، لماذا أردت التخلص منى ومن أدولف ؟  
فأجابت سيمون وقد سكن اضطرابها وامت  
عينها ، وأخذت تضحك ضحكة جنونية :

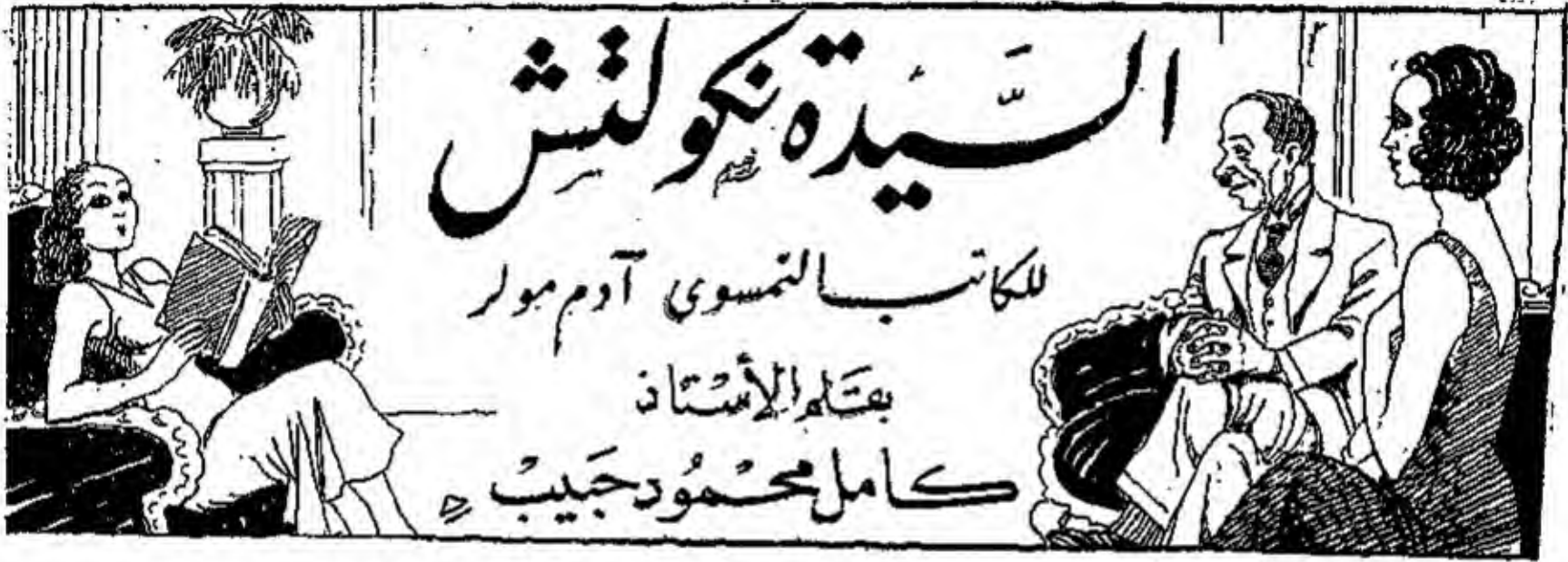
— إن كنت تريد علم ذلك فاعلم أنى أحب  
رجلاً ثالثاً ...

فتحرك قلبه وزادته رغبة فيها ، وقال وهو  
يفيض حناناً ورقة :

— وهل نسيت ياسيمون أيام حبنا وعهد  
شبابنا وأحلامنا ، وأنى فى سبيلك عانيت ما عانيت ؟  
أست بهذا أحق بك من هذا الحبيب ؟

فكانما طمنها فى قلبها ورأته متطفلاً على الحب  
وما كانت تُصانعه قبل ذلك إلا مكيدة وخداع ،  
فهاجها فجها ، وقالت فى ثورة من الغضب :

— ألم تدبر بعد أيها الأحق أنك أبغض الناس  
إلى ؟ وكيف تريد أن أنسى شؤمك على ،  
وما ابتليت به فى معاشرتك من نكد وهم ، وفقر  
وتعاسة ؟ لقد استغويتنى ففرت معك إلى باريس  
وكنت صغيرة طائشة ، وأمّلت أن يوافق أهلك  
على زواجنا ، فخاب الأمل وذهبت الأمانى ،  
وبقيت أنت وما معك إلا نكد الحياة ، وفى أى



المدرسة ، وهذه فرولين بيبي أختها تنطلق كل صباح في سيارة السيدة الفخمة الأنيقة لتشتري شيئاً ، أو تزور صديقاً ، أما السيدة نفسها فما كانت تخرج الدار إلا بعد أن تتناول طعام الغداء عند الساعة الواحدة بعد الظهر

وكانت الطفلة في سن طفولتها الأولى ترافق أمها إلى الحدائق ، أو إلى الغابات ، أو إلى المنتديات فلما شبت وترعرعت حال بينهما أمر . فالأم تنطلق إلى لهُوها ومتعتها وميلنكا في خدرها تناقى درسا في البيان ، أو تجلس إلى مربيتها تحديثها حديث المدرسة ، وهذه تقص عليها بعض ما يثرثر به العجائز ، وهي عجوز شطاء تسهر على الطفلة وتحببها بعض ما تهفو إليه نفسها من الحنان والعطف وأما هناك ... أو تكب على درس تطالعه ، أو ... ودأب نقولا بيتكوف على تناول طعام الغداء في دار السيدة ، والسيدة تزعم أنه عمها ، وهو يصحبها هي وأختها في غدوها ورواحهما ويغتنى بهما المنتديات العامة والمسارح والحفلات ، ثم اندفعوا جميعاً زجون بأنفسهم في حياة الصخب واللبج ، كأن بهم ظمأ للعبث والمرح ، وبدأت السيدة نكولتش في أعين الرجال جميلة جذابة فيها اللباقة والبراعة والذكاء ، ثم ... ثم لمسا في حديثها نفثات السحر والطرب ؛ فراحوا يتوددون إليها

منذ سنوات عشر كانت تسكن داراً أنيقة في حي كارتز في فينا ، وهي حسناء ناعمة ، واضحة الجبين ، بسامة الشعر ، هيفاء رقيقة ، يزيد جمالها شمر قاحم رجل ، صففته يد صناع ليضاعف من جمالها ورونقها ، وفي عينيها الزرقاوين الحاليتين تفتش وحور ... ولقد عجبت زوجة البواب أن ترى هذه الفتاة تلصق إلى بابها قطعة من نحاس مصقول لامع كتب عليها « السيدة نكولتش » و « السيدة » في فينا هي العاملة أو القابلة أو الخياطة ؛ وما هذه واحدة من أولئك

وكانت زوجة البواب تعلم علماً يشيع في جوانبه الشك أن هذه السيدة أرملة سياسي صربي قضى عمره في سفارتي برلين وسانت بطرسبرج ، ولكنها تعلم علم اليقين أن للسيدة أصدقاء كثيرين فهي ترى الدار تمتلئ كل ليلة بالزائرين وهي دائماً تتطفل ، وهي دائماً تسترق السمع والبصر ؛ لتشبع رغبة في نفسها ، ولتستطيع أن تطعم بعض فتات المائدة ؛ أو هي تنطلق إلى صاحب الدار ، وهو كونت عجوز فيه الصلاح والوقار والزهدي ، فتتشر على عينيها بعض ما ترى وما تسمع ، فتكون الفضيحة ...

ولم تسكن السيدة تسكن الدار وحدها ؛ فهذه ابنتها الصغيرة ميلنكا تطوى نهارها بين جدران



نشأت في وادي دربنا ؛  
جئت بك إلى دار أمي  
لنستريح قليلاً ، يا عزيزتي

\*\*\*

أنا لا أحبوك الذهب ولا أفتح أمامك  
الكنوز الغالية

لأنني فقير لا أملك من ذلك شيئاً  
ولكنني أطرح عند قدميك الصغيرتين قلبي  
قلبي وقد أفعمه الحب والغرام

\*\*\*

وعرفت الطفلة أن هذه الأغنية هي بعض قلب  
أبيها لأنه استقبل بها زوجته الحبيبة لأول مرة  
هبطاً معاً دار أمه ، وأرادت الطفلة أن تسمع من  
المعجوز قصة أبيها وما اكتنحات به عيناها ، ولكن  
المعجوز كانت تدفعها في رفق « ستملين ذلك ،  
يا عزيزتي ، حين تبلغين سن الفتاة ... »

حقاً ، لقد كان الأب صريعاً أغرم بوطنه  
وأحب زوجته وابنته في وقت معاً ، وهفت نفسه  
إلى أن ينشئ ابنته في دار أمه ليسكب هو في قلبها  
بعض ما يتغلغل في عروقة من هوى لبلاده ، غير أن  
الأم نفرت منه — بعد حين — لتميش في  
منأى ... في برلين ؛ وهو يزورها حين الفينة والفينة  
ونشأت الطفلة لا تجد السلوة إلا بين جدران  
المدرسة ، بين صديقاتها وزميلاتها ، فكرهت  
الدار ، وبدأ لها ما يكتنفها من غموض وعزلة ،  
فسيطر عليها السخط والألم ؛ فشبت وشب معها  
البغض لأمها والمقت لبارها غير أن مفاتها راحت  
تعلن عن نفسها فبدت فتاة جذابة ، رائحة الحسن ،  
جميلة الطلعة ، فيها الأنوثة والدقة والخيال ...  
وكانت السيدة قد اعتادت أن تصحب اختها

وبتملقونها ، وهي تبسم في رقة وهدوء ؛ أما بيبي  
فكان في مرحها الحق ، وفي حديثها المجون ، وفي  
نظراتها الاستهتار ، ثم هي لا تتحرج ولا تتأني ،  
وكيف تفعل وهي تريد المتعة واللذة ، لقد فقدت  
الزوج وفقدت الأمل فيه فأرادت أن تجد الصديق  
والصديق ...

وكان نقولا بيتكوف عضواً في مجلس إدارة  
الدولة انتدب في السفارة الروسية ، وهو رجل  
طروب لمع المشيب في عارضيه ، غير أن قلبه ما يزال  
شاباً فيه النزوات الطائشة ، قوى متهاسك لم ترعزعه  
الشيخوخة وهي تهاجمه في شدة وعنف ، سياسي  
عبقري يرى النجاح والرقى في التجسس والاعراء  
فهو ينشر شباً كهنا وهمناً فما تخفى عليه خافية من  
أسرار العظماء والوجهاء من الأجانب والوطنيين ...  
وشاع عنه هذا نخافه الجميع ، وتجنبه جماعة وحذره  
جماعة غير أن واحداً لم يلتو عليه

وكانت السيدة واختها هما ساعدها : فالأولى  
تتقصى في خداع المرأة ورزاة الجرب ؛ وأما الثانية  
فكانت تندفع في طيش وتهور ، أشفقت منهما  
السيدة أن يعضفا بما تستمع به من احترام وتقدير ،  
وبيتكوف يلح ويلح ...

\*\*\*

في هذه الحياة المضطربة ابتداء الحكم يفتتح عن  
زهرة ناضرة جميلة مات أبوها وأما تلهو ، تحبسها  
دواعي العيب والنفي في حجرها ليلاً فما تبرحها ، ثم هي  
لا ترى إلا الم بيتكوف يرميها بالنظر الشرر ويقذع  
لها في القول ويقسو عليها ، وإلا صريتها المعجوز  
أنوكا ، فما تجد اللذة في شيء سوى أغنية عذبة  
ترددها المعجوز كل مساء عند فرائثها :  
أنا صياد

دم أجداده الكرماء ، فما به من عبث وما به من  
لهو ، فهو يهوى الفتاة ، وهو يريد لها لنفسه منذ  
خفق لها قلبه ؛ والمجوز تضطرب في رؤيتها  
الخواطر المتناقضة : أفيستطيع الفتى أن يتزوج من  
فتاته ، وهي تصل بينهما ، وتهيء لها اللقيا بعد اللقيا  
تحت أستار الظلام ، في منأى عن الرقيب والواشي

\*\*\*

ورجعت السيدة وأختها وقد آلتها الخيبة ،  
وحز في نفسيهما الاعراض والطرود ، وعاد العم  
بيتكوف ليرى ... ليرى الفتاة بين أشجار الحديقة  
ترف رفيف الزهرة اليانعة في نسيمات الفجر الندية  
تخلبه جمالها ، واضطرب قلبه حين وجد فيها صورة  
الأم منذ سنوات وسنوات ، واستلبه بعض ما رأى  
من قسوته وغلظته ، فهوى على يد الفتاة يقبلها في  
شغف ولهفة ، ففرغت هذه وجففت وهي تقول :  
« أى عمى ، عمى المزبى ! »

وانطلق الرجل الى السيدة ليرى ... ولأول  
مرة بدت في نظريه قبيحة تستلبها الشيوخوخة من  
جمالها رويداً رويداً ، فعاها وانجذب عنها وعن  
أختها في وقت معاً ؛ ورأت هي فيه الفتور ، وفي  
حديثه القسوة ، فحزنت حزن المرأة تفقد عشيقها  
وعائلها ... أما ببسبى فما كان ليعتسبها ما رأت من  
عمها وهي المرحلة الطروب ، فغادرت الحجرة في  
خفة وهي تقول : « سأحب ميلنكا الى الكازينو ... »  
وكشفت السيدة للرجل عما يضطرم في قلبها  
— حين خلاهما المكان — وانهمرت عبراتها  
حرى فيها الأسى والشجن . نعم ، لقد أحبا حيناً  
من الدهر وأحبته ، وذاقت هي لذة الهوى وذاق  
هو معها ... أف تكون هذه هي النهاية ؟  
وعلى حين فجأة قال بيتكوف : « مارينا ، إن

-- كل صيف -- إلى حيث يصطاف العظماء  
والوجهاء لحاجة في نفسيهما ؛ وتراعى إليها أن ملك  
الأنجائز سيقضى بمض أيام هذا الصيف في مارينباد ،  
فانطلقتا إلى هناك ، واستطاع بيتكوف أن يهيئ  
لها حجرة في فندق فيرستنهوف حيث يهبط  
العظماء ... وخشيت السيدة أن تحوم حولها  
الشبهات وتتناولها الألسن حين خيل إليها أن  
ما يبدو على حقيباتهما من قدم ورثة ينم عن  
شئ ، فراحت تسدد سهامها في طيش وهرج ؛  
وضاق صدر الملك بهذا التطفل والتبعج ، فأمر ،  
فخيل بينهما وبينه ، وارتدت السيدة وأختها على  
أعقابهما بعد أسبوعين تحملان الخيبة وضياح الأمل  
لأول مرة في الحياة

\*\*\*

وكانت ميلنكا في إيشل وأما في مارينباد  
تستشعر ألم الوحدة وحرارة العزلة ؛ ووجدت إلى  
الخلاء طريقاً ، فانطلقت هي ومريبتها إلى الكازينو  
كل صباح ، وإلى غابات لوفن كل مساء ؛  
واستطاعت أن تتحدث إلى ضابط شاب من ضباط  
الحرس الملكي فيه الظرف والمرح تعود أن يجلس  
إلى نضد بجوارها ، ومريبتها ترى ... لقد آلتها  
حيناً أن ترى الفتاة سجيئة أو كالسجيئة ، فسرهما  
الآن أن تراها تجمد اللذة والتمعة في حديث رقيق مع  
شاب مهذب فيه الرجولة والحياء

لم تكن الفتاة ماجنة غابثة ، ولم تكن هوجاء  
مستهتره ؛ فهي تمشي على استحياء ، وتجاس في  
أدب واحتشام ، تصون نفسها عند الابتذال  
والعبث ... ثم هي قد علقت الفتى الضابط كيرات  
كراسر وعلقها هو ، وهو من أسرة عريقة في المجد ،  
ظبية المنبت ، زكية الغرس ، وفي عروقه يجري



زمانا فهاجت : « نعم ، إنك لا تجد ما تدفعه ...  
أفنسيت أن مذكراقي عن الجاسوس الروسي تزلزل  
أركان العالم ؟ » قال وهو بكم في نفسه الجزع  
والرعب : « لا تكوني حمقاء يا مارينا ، فأنا رجل  
حطمته الأيام ، لا أبكي على شيء أما أنت فما تزالين  
شابة » ثم قال بعد أن أطرق قليلا : « ... وأنت  
أم هذه الحسنة ، دعيتها من فسيتهافت عليها الرجال  
تهافت الذباب على الحلوام » قالت في غيظ وغضب  
« أفلا تسمع ما أقول ؟ لن أخلي بينك وبينها ،  
لقد حاولت جهدي أن أحول بينها وبين أن ترى  
حياتنا المضطربة ، وألا تغمر في هذه الحمأة ،  
لتكون - بعد حين - سيدة نفسها أو تتزوج من  
رجل ... إنها ابنتي وإنك لا ترى فيها إلا سلعة  
غالية تريد أن تبيعها بالثمن البخس ... » قال في  
هدوء : « أبيعها ؟ يا للغباء ! ستعود ومعها الملايين  
ثم تتزوج ممن تشاء ! »

وكان الرجل فظا في نظراته ، حيوانيا في آرائه ،  
وحشا في خواطره ، تنفطر الانسانية من عباراته ،  
كم في الحياة من أمثالك أيها السبع الضاري الدنيء ؟  
لقد أصر على أمر ، وترك الأم حزينه مضطربة  
ما تستقر ولا تهدأ

\*\*\*

ورجعت بببسي من الكازينو باشة مستبشرة  
وقد رأت الفتاة تغزو قلب الشاب كيرات كرامر  
رويدا رويدا ، وجلست هي إلى السيدة تقص عليها  
قصة الغرام الجديد ، وابتسمت الأم حين بدا لها  
أن هذا الشاب قد أرسلته العناية الآلهية لينقذ  
الفتاة من هاوية عميقة توشك أن تتردى فيها  
ونادت السيدة ابنتها « ميلانكا » : « إنك تتأقنين  
كثيرا كأنما تريد أن تكشفني عن مفاتيك ! »

ابنتك جميلة ... جميلة فائقة خلابة ... ويل لي !  
كأنني لم أرها من قبل ! » وفزعت السيدة فقالت  
وهي تضطرب : « أفتمتقد ... أفتمتقد ؟ » فقال  
في هدوء : « لقد كانت في الرابعة حين كان  
نكولتش ... فهي الآن في الثامنة عشرة ... »  
وصرخت المرأة في وجهه حين تراءى لها ما يريد  
الرجل : « لا ... لا ... ! » فقال هو في سخرية  
وتهمك : « الصغيرة أجل ... لقنيتها ... » وصاحت  
المرأة أخرى وهي تنتفض من الذعر وقلها يتمزق  
إربا : « لا ، لن ألقها بين برائنك ، لن تسيطر  
عليها ، لن تقذف بها إلى الهاوية ... ! » قال وقد  
أصر على أمر : « إفعلي ما شئت فلن نستطيعي أن  
تحولى بيني وبينها ، فأنا الوصي عليها وأنا الذي  
أريد ... إنه فوق طاقتك أن تجدي لها زوجا غنيا  
كريم الأصل ، ومن المعجز أن تتزوج من رجل  
فقير ... » قالت : « لا ... أنا لا أفكر في زواجها  
الآن ، ولكنها هي ستكسب ما يكفيها فهي  
ستنال درجتها الجامعية قريبا ... » وابتسم الرجل  
ابتسامة الهزء ، وعاظه أن تقف الأم في سبيله تدفعه  
عن أمر يريده لنفسه فاضطربت الكلمات على شفثيه  
« المستقبل ! المستقبل يا مارينا ! أنا لا أجد ما أدفعه  
لكم ... سأنتقل إلى عملي في سانت بطرسبرج ثم  
أعود في الخريف القادم لأرى رأيك ... »

واستشعرت المرأة الصغرة حين تراءى لها أنه  
سيذلها ويخضعها وهي لا تملك شيئا . لقد اندفعت  
معه في طريق وعبر زمانا ، وهو يعلم لماذا انتحرت  
نكولتش وهو شاب فيه القوة والفتوة ، ولماذا  
أصبح هو وصيا على الطفلة ! وارتد تاريخها كله  
ينشر نفسه على عينيها وقد أترع بالمخازي والمساوي  
ويوقظ في نفسها نزعات طيبة أسدل عليها الستار

وأحست الفتاة شدة الصدمة في قلبها فطارت الى حجرتها تبكي أملاها الضائع وسعادتها المفقودة ، والمعجوز تربت على كتفها ، وتهدي من ثورتها ، وتبعث في نفسها الأمل الحلو من جديد ، فهي ستنتقل في الصباح الباكر الى آل كرامر علها تلتقي الشاب فتحدثه الحديث وترى رأيه

وترامى الى المعجوز أن كيرات غادر القصر صباحا الى إيشل فارتدت على عجل تحمل البشرية .. بشرى قدوم الزوج المنتظر

وأفزع السيدة حديث المعجوز عن إيشل ، فقصة مارينبار ما تزال على الألسن ، وهي تخشى أن يدوى الخبر في إيشل والفتى عندها فيحجم ، فطارت الى فينا لتدقن سوءاتها هناك

وكانت خطابات بيتكوف تبعث في نفسها السأم والملل ، فهو ما يزال يتحدث عن ميلنكا ويطلب رسمها ، فأرسلت اليه تصده في شدة وعنف ، وتأتي أن تسلس له بعد إذ أحست بالأمومة الصادقة تدفق في قلبها قوية تحرس ابنتها وتبهر عليها ؛ وهو ... هو بيتكوف الوغد يتخذ من قصة غرام الفتى والفتاة أول حجر في بناءه السافل

\*\*\*

وعلمت الأم أن قانون الحرس الملكي يحتم على الشاب أن يتقصى خبر الأسرة التي سيصبح معها لها ، فراحت تحدث أختها الحديث ، وتوحي اليها أن تذهب الى أحد مكاتب الاستعلام لترى ما يقولون عنها وهي تقول « لا أظن أن أحدا هنا يستطيع أن يجد في ثغرة ينفذ منها » قالت الأخت « وأنا أوقن أن بلادا غير هذا لا نستطيع أن نجد فيه الأمن والطمأنينة »

وانطلقت بيبي الى مكتب الاستعلام تسأل المدير خبر السيدة نكولتش وابنتهما لأن ضابطا شابا

واضطربت الفتاة لما سمعت غير أن السيدة اندفعت « لعلك عقلت هذا الشاب ! » قالت في انكسار « نعم ، نعم يا أمه » وصمتت الأم حينما قالت « لا بأس ، لا بأس ولكن احذري ! » وطربت الفتاة لحديث الأم الرقيق وعطفها السامى

وفي الحق لقد كان الشاب يرافق الفتاة وخالها كل يوم حتى باب الدار ثم يقفل راجعا خشية أن تراه السيدة ، والسيدة تنظر من خلال النافذة ، ثم ... ثم أرادت أن تعرف من هو الشاب ؟ فأرسلت الى بيتكوف تطلب اليه أن يوافيها بما يعرف عن آل كرامر .. وجاءها البريد يحمل أخبارا تسر ، ثم راحت هي ترى ما وراء ..

وعلى حين بغتة بدت السيدة في الكازينو في ثيابها السوداء وقبعها العريضة ، متأنقة متبرجة تخطف البصر واللب ؛ وإلى جانبها ميلنكا ، فتاة في مقتبل العمر تخلب القلب وتأسر الأقدسة ؛ ثم بيبي ... ومررن جميعا بالفتى وهو جالس الى أخويه فخيأهن في أدب وهو في مكانه لم يبرحه ، وكأن ظهور السيدة قد بعث في نفسه الرهبة والخوف فما استطاع أن ينطلق اليهن ... وتكرر هذا أياما ..

لشد ما آلم السيدة أن ترى الفتى يزدوى ويحجم وهي كانت تأمل أن تراه الى جانبهن يتحدث ويتحدث ثم يصحبهن الى الدار ... واضطربت بيبي لهذا الاخفاق ؛ أما ميلنكا فقد حز في قلبها أن تنطوي الأيام ثم هي لا تستطيع أن تجلس الى صاحبها تحدثه ويحدثها ، وتدق اليأس في قلبها حين قالت لها أمها « أنا أحرّم عليك أن تجلسي الى هذا الشاب الوضيع أو أن تتحدثي اليه فهو يريد المتعة الرخيصة واللذة السافلة فحسب . إن في هذا الاحجام من الضمة والدناءة ما فيه ... »



يريد أن يتزوج من الفتاة، ووجدتها الرئيس بنظرة فاحصة، وبدأ عليه الجد والاهتمام حين سمع قولها «لأن ضابطاً شاباً...» ثم قال: «أنا لا أعرف شيئاً، ولكنني أستطيع... سأقصي وأرسل إليك... وخشيت المرأة أن يفتضح الأمر فتركت عنوان إحدى صديقاتها...»

وتصرمت أيام... وانطلقت السيدة وابنتها — ذات ليلة — كل واحدة إلى حجرتها، تنأهب للذهاب إلى الأوبرا، وقد ابتدأ الأمل يحيا في نفس السيدة، وخيل إليها أن المهموم التي رانت عليها حيناً من الدهر قد انقشعت أو كادت، وأن المستقبل يحمل في أضغافه مسرات ومسررات، بعد إذ انطوت صفحات الماضي ومحامها النسيان، ثم جالسا تنتظران بيدي... وعادت الأخت وفي يدها خطاب كبير... إنه من مكتب الاستعلام...

وسرت في مفاسل السيدة رعدة خفيفة، وسيطر عليها الشك فقالت: «أنفضضه الآن أم نطرحه جانباً حتى نعود...» قالت بيدي: «لا، لا بد أن نقرأه الآن»، وترددت السيدة حيناً ثم قالت: «لا بأس، فلنذهب ميلنكا ومريتها فقط...» ثم أرتج الباب، وفُض الغلاف وراحت بيدي تقرأ: «لا ريب في أن السيدات يستمتعن بطيب الأحذوثة، والسيدة تعيش في رفاهية وبذخ وإن كانت لا تملك شيئاً، وهي تزعم أنها أرملة سياسي صربي له شهرة ومركز، وهذا زعم بعيد عن الصواب، وتساكنها سيدة أخرى تقول هي إنها أختها، وهذا ادعاء فيه شك، وهما تندفعان في طريق ليس فيه الشرف ولا الكرامة، وهما تعملان في فرق الجاسوسية الأجنبية...» واضطربت بيدي وقالت: «يا للعار، يا للعار!» والسيدة

جامدة ذاهلة تستحث الأخت في صوت فيه الألم والحسرة «أقرئي، أقرئي!» واستأنفت الأخت «وتنبيء حياة السرف التي تعيشها السيدة وأختها، وقد انطوت أيام شبابهما، أنهما ما تزالان تعملان في الجاسوسية... لهذا ولغير هذا مما نكتمه لا نستطيع أن ننصح شاباً ذا كرامة وشم أن يصاهر هذه الأسرة. أما الفتاة نفسها فنحن نجزم بأنها بعيدة عن كل ما يشين السيدتين وبمصف بكرامتهما. وقد ترى إلينا أن الشاب قد نفذ يديه منذ أيام...» وانقض الحديث على السيدة صاعقة تعركها عركاً، وتهد من كيانها؛ وأختها إلى جانبها تستشعر الخيبة واليأس والعار جميعاً. وانهمرت عبراتهما... عبرات الندم تحاول عبثاً أن تغسل بعض ما جنت يداها حين غرتهما الحياة بزخرفها، وحين زين لهما الشيطان سوء عملهما

ورجعت ميلنكا إلى الدار وفي عينيها عبرة تترقق، وفي قلبها الأسى والحزن، لأنها رأت صديقتها على خطوات منها يراها فيصدف عنها، ثم هي تبسم له فيعرض عنها. واندفعت إلى حجرتها علماً تطفئ بعض اللواعج المضطربة في قلبها بسيل من عبراتها الحزمية... ولكن أمها نادتها لتنشر على عينيها بعض صفحات الماضي، غير أن الفتاة قالت في غيظ وحنق: «لا، لا أريد أن أسمع شيئاً، ولكن فلنرحل إلى بلد لا يعرفك فيه أحد» ثم جفلت من بين يديها وأمها تناديهما...

وفي الصباح وجدت السيدة في بحر لجي من الدم وعلى النضد خطاب منها إلى بيتكوف.. وجاء الرجل ليصحب الفتاة — دون خالتها — إلى سانت بطرسبرج... إلى الهاوية...

لعل محمود هيب



المراقب

للقصص الروسی المعاصر تشریف لکوف  
بقلم نظمی خلیل



لا ترى أمامها إلا زوجها الشيخ « ستيمان » يسير في الغرفة في خطى متثاقلة ، وهو يعمل سماعاً حاداً . فلا يكاد يرى وجهه وحدها حتى يشيح عنها ويدمدم بهذه الكلمات : « كفك ذهاباً وانتظاري ! » ثم يصمتان — فكلاهما كان غارقاً في الأفكار متغلباً بالهموم — يكاد الدمع ينبجس من عينيه ، ولكنهما كانا يقاومان الحزن ويتكلمان الصمت

\*\*\*

كان يتردد على منزل ستيبان صيرف المدينة  
وهو رجل ثرثار مُدَّعٍ فيقص على الزوجين كيف  
يعامل المسجونون السياسيون في السجن ، وكيف  
يحبسون في حجرات ضيقة ذات فتحات ضيقة ينصب  
منها الماء حتى تنقلص أبدانهم ، ويحمد دماؤهم في  
عروقهم ، وتقف قلوبهم عن الحركة . فتضطرب ماريا  
لهول هذا الكلام ؛ فتصبح خائفة وجليلة : إلهي !  
إلهي ! فيحاول الصيرف أن يهدي ثورة الأم  
الحزينة فيقول : ولكنهم قد يطلقون سراح البعض  
منهم . ثم يمضي في حديثه الطويل المتصل ، وهو  
يشوه الحقائق ويلفق الروايات حتى يسرى الخوف  
والرعب في قلوب الزوجين المفجوعين في وحيدهما  
العزير فيقضيان ليلهما على فراش دونه شوك القناد

\*\*\*

اعتادت ماريا أن تذهب كل مساء إلى المحطة  
تتوسم وجوه الركاب باحثة عن ابنها «نيكولاس»  
فيقفز قلبها فرحاً كلما وقعت عينها على شاب في  
لباس الجامعة

ولكنها كانت في كل مرة تتفقد ابنها فلا تجده  
فتندفع إلى العربات وتحدق النظر في الجمهور الواقف  
على الرصيف ، وهي لا تكاد تصدق عينها ؛ فتسأل  
وهي حائرة قلقة :

— إلى أين يذهب هذا القطار ؟

فیجیہا رجل : إلى موسكو

— وہل جاء من «کیف» ؟

— 2 —

فتصوب المرأة بصرها جهة « كيف » ثم يعلو وجهها ابتسامة حزينة رقيقة لتلك الصورة العزيرة التي ستطلع عليها من وراء ذلك الضباب والدخان - صورة « نيكولاس » العزيز وهو في لباس الجامعة - ولكن هذه الصورة الحلوة الجميلة سرعان ما تختفي من ناظرها فتهم بالرجوع إلى المنزل وقد قاض بها الحزن حتى كاد يحبس أنفاسها . حتى إذا ما دنت من البيت استيقظ فيها ذلك الأمل من جديد فتتوهم أنها ستجد ابنها هناك فتسرع الخطى وتندفع إلى الباب في شوق وخوف ، ولكنها



الطعام ذات الغطاء الأبيض لا تزال قاعة وسط  
الحجرة . فذكرته هذه بحياته الماضية البعيدة ؛  
فالمحبرة كما تركها على المكتب ؛ ومحفظة الأوراق  
لا تزال عالقة بالحائط ، والأوز يتبختر في فناء المنزل  
وهو يضم فراخه الصغيرة الصفراء إليه . فابتسم  
نيكولاس لهذه الأشياء كأنه قد رآها بالأمس

كانت السماء صافية سافرة ، والهواء رخوا ليناً ،  
فوقف الشاب في إحدى النوافذ يرقب الطيور وهي  
تهرع إلى أوكارها . فأبصر شبحاً يدب من

بعيد يثير العثير بقدميه وعينه إلى الأرض ،  
والمصافير تفر من أمامه وهي تشق وتتناقر

فاطم أن نيكولاس لهذه المناظر الجميلة المتعددة  
- منظر الشارع الهادي المقفر والحمام الطاهرة  
والطيور المغردة ، والأوز الصارخ الفرح ، والغرف  
النظيفة المرتبة - وشعر بوحده وهدوئه ؛ وسرعان  
ما أدرك أن له حياتين متميزتين متباينتين : إحداهما  
هناك حيث كان يعيش ، والأخرى هنا بين أحضان  
والديه . وأن حياته البعيدة أصبحت تلوح له كأنها  
قصة خيالية قد قرأها في أحد الكتب ، وأن حياته  
في القرية حياة حقيقية غير متغيرة - كقانون  
الطبيعة

- أحب السمك يا عزيزي كوليا ؟  
فالتفت كوليا حوله فرأى أمه واقفة وهي  
تترنح من فرط السرور . وقد شمرت أكمامها  
استعداداً للعمل . وقال :

- السمك ؟ حسن . إني لا أهتم كثيراً  
بالأكل

- إذن اظهي لك بعضاً منه . وسرعان ما عادت  
حاملة طبقاً به سمك ووضعت على المائدة وهي تقول :

لم يمض على هذا الحديث بضعة أيام حتى كان  
نيكولاس واقفاً بالباب ، فلم تكد ماريا تراه حتى  
أسرعت إليه وضمته إلى صدرها والدموع تنهمر  
على خديها ؛ ثم أخذت تقبله ، وهي لا تكاد تصدق  
أن « كوليا » قد عاد إليها ، فسكانت تنظر إليه وقد  
اندفعت إلى رأسها آلاف الأسئلة تريد أن تلقىها  
كلها قبل أن تسمع جواب الأول منها

- هل أنت في صحة جيدة ؟

- أحقاً أطلقوا سراحك ؟

- إلهي ! هل أنت حي حقاً ؟

فنظر إليها في ابتسامة حزينة مضطربة وقال :  
« لقد كنت يائساً من لقاءك يا أماء ! »

- ولكنني كنت أذهب إلى المحطة كل يوم  
إذ لم نستطع أن نفكر فيما حدث لك

- الأمر عادي ؛ لقد سجنتم بضعة أشهر في  
حصن . . .

- وأنت ذلك الآله ؟ لقد صليت من أجلك  
يا عزيزي . هل عفوا عنك ؟

- فأجاب كوليا في ابتسامة رقيقة : « لا .  
ليس عفواً تاماً ، ولكنهم أرسلوني إليك مراقباً »

- وماذا هم صانعون بك ؟  
- إني لا أعرف على وجه التحديد ، ولكنني

سأدخل الجامعة ثانية في بحر سنتين  
- أظنك في حاجة إلى الطعام . إنك ضامر

هزبل . انتظر قليلاً فلن أغيب عنك  
\*\*\*

كان كل شيء على ما هو عليه : فالغرف نظيفة  
مرتبة والستائر مدلاة على النوافذ وشجرة  
« اللبلاب » لا تزال تغمر الباب بأكاليها ، ومائدة

من العمل خجراً بالذباب الكثير الذى يضايقه فى المكتب ، والطريق الطويل الذى يقطعه على قدميه ؟ فأرجو أن تحتل غضبه وضيقه  
أما نيكولاس فقد كان يفكر فى هذه المقابلة يخشى الصدام معه . والحقيقة أنه لم يرد أن يفهم أبداً بأنه كان فى الامكان أن يسلك غير ما سلك إذ كان يشعر دائماً أنه على حق ، ولكنه كان لا يزال مضطرباً بضيق بالحجل الذى يفسد عليه حياته ؛ ثم نظر من النافذة فرأى والده يخطو متثاقلاً كما لو كان أحد الأعيان الملحوظين فى القرية ، وقد أمسك فى يده شمسية ضخمة ، وتأبط محفظة كبيرة  
— ماذا يحمل أبى ؟

فأجابته أمه فى لطف : إنها محفظة الأوراق التى يحملها دائماً حتى ولو لم يكن فيها شيء ، كذلك الشمسية وإن لم يكن هناك مطر . فلما دنا الرجل من الأوز اندفعت إليه مشرئبة باعناقها تعض ساقه ، فوقف فى مكانه وشمخ برأسه وأشار إليها بأصبعه فانكششت الأوز وهزت ذيلها وعادت إلى أحواضها . ثم خرج نيكولاس إلى الباب ولكن ستيبان لم يسرع فى مشيته إذ كان قد علم بحبيته وهو فى مكتبه بل قال وهو يتسم : أه ! أه ! هل أتيت ؟ ولم يرد أن يظهر فرحه الذى غمر قلبه لذلك الشاب الذى كان يظن أنه غارق مسمى حتى أنه قد رآه فى الليلة السابقة فى حلم مروع ثقيل كأنه مسوق إلى ساحة الاعداء وقد جاء ليودع والديه ، فتقدم إليه كوليا بوجه شاحب وشفيتين مرعجتين وقال : « يوم سعيد يا أبى ! » فأجابه أبوه : سعيد يا ولدى ! ثم عانقه عناقاً قصيراً وسمل سماعاً عالياً . ثم أخذ يسأله عن حبيته . ثم جاءت ماريا فرأت الأب

أيها العصاة — علام المصيان ؟ ما ذا تريدون ؟ ولكنها لم تنتظر الجواب فلم تكن تريد أن تعرف ما ذا يريدون . بل أسرعت إلى المطبخ لترى الزبدة التى كانت على النار . ثم عادت وهى تقول : « سيأتى والدك الآن ، فلا تفلظ له . قد يغضبك ولكنه لا يحتفظ بغضبه عليك طويلاً . إنه شيخ قد عاش طويلاً ، بينما أنت لا تزال تحبب الحياة ؛ وليس العمر المحرب الطويل كالسير فى المرمى والحقول

— ومتى يعود أبى ؟

— كمادته كل يوم فى الساعة الثالثة

— وأين يعمل الآن ؟

— فى نفس المكان الذى كان يعمل فيه — فى مناقصات الحرس — ومرتبته كما هو لم يزد . لقد ضعفت أعصابه حتى كادت يده تقف عن الكتابة . فقال نيكولاس وقد غمره الحزن والألم : شيء مرعب ؟

— نعم مرعب يا عزيزى كوليا فقد أصابه شلل كاد يقعده عن العمل . كنا نؤمل أن ... ولكن ماذا ... إنا لا نستطيع أن نعيد الزمن من جديد . كل قبل أن يبرد الطعام . فأخذ نيكولاس يأكل فى تراخ وكسل إذ كان يفكر فى حال والديه وينظر إلى أمه كيف ابيض شعرها ويبتس يداها واخذودب ظهرها . بينما هى كانت تديم النظر إلى الساعة تترقب عودة ستيبان تتنازعها مشاعر الخوف والفرح ، فقد كانت تتمجل بحبيته يرى ابنه الوحيد ، ولكنها كانت تخاف أن يخرج الغضب بالأب فيسبىء إلى ابنه . فعملت على تهيئة الجو لهذه المفاجأة الغريبة فقالت : « إن والدك يأتى متعباً



أن ما عملته قد تلاشى كالفحم المحترق  
وترى الأم أن الحديث قد أخذ يشتد والجو  
يكفهر فتحاول أن تلتقي بعض الماء على النار المتأججة  
فتقول : « كل إنسان عنده أولاد ، وهو مضطر  
إلى هذا العمل . ليس هناك ما يسوع هذا الأحصاء  
الآن » فأجابها الزوج وهو يسمل سمعاً عالياً : « إني  
لا أحصى عليه شيئاً ، فقد قربت نهايتنا ، ولا ننتظر  
منه شيئاً . لقد عملنا على أن يقف على رجله . . .  
ولكن علام التحدث في هذا وكل إنسان هو  
الخالق لسماعته » فلم يقو كوايلاً على سماع باقي الكلام  
بل ترك أمه تعتب على أبيه وهي تقول : « ما كان ينبغي  
لك أن تهاجم هذا الشاب بهذه السرعة »

\*\*\*

خرج نيكولاس إلى الفضاء يعبث بالأوراق  
المتساقطة قرب الطريق ويفرّكها في يده ثم يغيب  
في تفكير عميق وهو واقف أمام ذلك البحر  
اللانهاي من القمح الأخضر ؛ ثم استولى عليه نوع  
من اليأس العميق إذ كان كل شيء حوله صامتاً  
لا يسمع إلا قنابر الحقل تغنى بأصوات مرتعشة  
متقطعة حتى بدا له أن هذا العالم تافه ثقيل ، وأن أهم  
مشاكله هي الصحة ؛ فإن كانت الصحة جيدة حلت  
مشكلة الحياة كلها . فيسكن أن تترك قلبك يتأمل  
هذه الحقول النضرة والأجواء القسيحة والسحب  
البيضاء . كل شيء سيكون كما كان من قبل ، وسيأتي  
الشتاء ويعقبه الصيف ، وستخضر الحقول ثم تغمرها  
الثلوج ، وستفرد القبرات وستقام الأسواق وستعرج  
القرية بوفود الفلاحين  
ثم أخذت القرية تصحو على أصوات الماشية  
وهي راجعة إلى حظائرهما ، فثغاء الشياه وخوار

يشيخ عن ابنه ، فعملت على تخفيف حدة ذلك  
الموقف فقالت : « احمد الله أيها الأب فقد عاد  
إلينا ابتنا في صحة جيدة ؛ وهذا كل ما نريد . هيا إلى  
الغداء . هل ضايقتك الذباب اليوم ؟  
فلم يجب الزوج بل قام الثلاثة إلى المائدة ،  
وأخذ الأب يلقى على ابنه بعض الأسئلة القصيرة  
المقتضبة فقال :

— وعلى هذا أخرجوك ؟

— نعم

— إذن كنت مجرمًا ؟

— نعم

— وتعود إلينا مراقبًا ؟

— نعم

— وماذا تريد أن تعمل الآن ؟

— سأستأنف دراستي

— أي إنك تبدأ من جديد ؛ فإذا ما طردت

ثانية رجعت إلى الأول

— فأجابت الأم : لم هذا الكلام الآن ؟ لكل

شيء نهاية

— فقال الأب : حسن ، وستأتي نهايتنا قريباً .

ولكن لماذا طردت يا ولدي ؟

لقد اشتركت في الثورة ؟

— حسن جداً . ولماذا حبسوك ؟

— لا أعرف

— اسمع يا بني ؛ إني مضطر أن أقول لك إني

لم أكن أنتظر هذا العمل منك . لقد كنا مضطرين

إلى دفع نفقات المدرسة ثماني سنوات وأجر

المدرس الخاص والكتب والملابس ، وكنت أمني

نفسي بأن هذا كله سيرد إلي . ولكن ظهر لي الآن

هذه الكلمة الغريبة . ولكنه تمالك نفسه وسار وهو يفكر فيمن تكون هذه الخطيبة

وأخيراً وصل إلى حجرة صغيرة كثيفة اللون لم يكن بها إلا نافذة واحدة قد ثبتت فيها قضبان من النحاس ، فنظر نيكولاس إلى هذه النافذة فرأى فتاة في ثوب بنفسجي بديع ، وقبعة من القش قد زينتها بأزهار الربيع . وقد وقف بجانبها ضابط طويل الشارب تلمع حرثته في الفضاء كما لوح بها أو انتقل من مكانه

فقال الفتاة في ابتسامة رقيقة عذبة : نهارك سعيد . فرد عليها الشاب التحية ، ثم أخذ كل منهما يرمق الآخر ، وعبثاً حاول نيكولاس أن يتذكر هذه الفتاة إذا كان قد رآها من قبل . كان وجهها مغطى بقناع خفيف قد ألقت عليه أسلاك النافذة ظلاً رقيقاً ، فلم يستطع أن يبين قسماً وجهها فقال لها في استحياء : أسمحين أن ترفى القناع ؟

فرفعت الفتاة القناع فسحرت عيناها ، وجلت وجهه حمرة الحجل

وخفض بصره . لا . لا . إنه لم يرها من قبل وهنا تنبه الضابط لحديث الشاب ، فكان كلما حركت الفتاة يدها لوح هو بسنانه وسعل سعالاً عالياً يريد أن يفهمها أنه لا يزال يقظاً لما يدور بينهما — لقد نسيت بكل تأكيد حبيبتيك ( جاليا )

فأجاب نيكولاس في غموض : لا . ثم ابتسم فجاءت ضحكة قوية من الفتاة ، وتألقت أسنانها من خلال الأسلاك

فلوح الضابط بسنانه وقال : « هل تلتزم الهدوء قليلاً ؟ »

فقال الفتاة في حدة : « أحرام علينا أن

الثيران كان يختلط بأصوات النساء وهن يصحن على فراخهن لتذهب إلى أوكازها ، وأسواط الرعاة تدوى في الفضاء كأنها طلقات نارية ، ثم امتلأ الجو بسحائب التراب وما لبث الظلام أن لف القرية في سكون مطبق عميق

\*\*\*

عاد نيكولاس إلى المنزل فاستلقى على مقعد كبير في الحديقة وأخذ يستعيد في مخيلته صور ما حدث له في « كيف » وسرعان ما لاحت له صورة تلك الفتاة الغريبة حاملة له اللذة والألم ، فتذكر يوم أن كان يقيم في سجنه الضيق الثقيل وقد اعتقد أن هذا العالم قد نسيه حتى أمه ووالده ، إذ دخل عليه السجان يقول : « زائر قد جاء إليك ! » فهب نيكولاس واقفاً وسار خلف السجان في ممر طويل مظلم قد فتحت فيه « الزنازين » على أبعاد متساوية نخيل إليه أنها حديقة حيوانات مرقومة الأبواب وخلف كل باب واحد من هذه الحيوانات الضارية من يكون الزائر ياترى ؟

أيمكن أن تكون أمه ؟ لا ، إنها لا تعلم بسجنه . قد يكون أحد رفاقه . ولكن كل رفاقه في السجن أو في المنفى ، وفوق ذلك فإنه لا يسمح بزيارة أحد من رفاقه . إذن لم يأتني أحد . ثم سأل السجان : من جاءني ؟

فأوسع السجان الخطو ولم يجب ، فقال نيكولاس : « أحرم علينا أن نتحدث معكم ؟ قد تكون مخطئاً في استدعائك إياي

فنظر إليه السجان وقال في هدوء : خطيبتيك ؟ — خطيبة ؟ ثم سكث طويلاً وقد شعر أن قلبه يشب بين أضالعه . وأراد أن يضحك عالياً من



نضحك ؟ ولا أن نصرخ ؟ ... » ثم سألت نيكولاس إن كان يضحك في سجنه

فأجابها : « إن الانسان هنا لا يحتاج الى الضحك ولا الى الصراخ . أظن أن العالم في الخارج جميل جداً الآن »

فأخذت جاليا تصف له قدوم الربيع وفيضان الأنهار ومنظر الطيور وتفتح الأزهار ثم قالت : سأحضر اليك بعضاً منها المرة القادمة . أحب البنفسج ؟

— نعم وسأضعها في زرانتى وستذكرني دائماً ..... بك

قال هذا بصوت راجف وهو يحدق في وجه تلك الفتاة . أى وجه جميل هذا ؟

— لا تحزن . سأجىء اليك كل سبت ثم دقت الساعة اثنتين وانتهى زمن المقابلة . فقال السجنان وهو يفتح الباب : — تفضلى . فقالت الفتاة :

— لا تحزن ! وداعاً ! تذكر أنى ذهبت أن لك أصدقاء

أما نيكولاس فقد تبع السجنان وهو مطرق الى الأرض وعيناه تطفران بالدموع ، ولم يكذبصل الى زرانتة حتى أوصدها وراءه وأخذ يغنى في صوت عال : « هبوى حرية السير . هبوى حرية الحب »

فسمع صوتاً ينهائى عن الغناء والرقص لم يعرف مصدره ، فقد ظن أن الباب يتكلم فأمسك عن الغناء ، وقال :

والحب ! أهو مسموح به هنا ؟ فلم يجبه أحد

وهل يسمح بشعورى هنا ؟ لم يكن هناك من يجيبه

\*\*\*

قضى نيكولاس ذلك اليوم فرحاً مقتبطاً ، وقد نسى أنه مسجون وهو يطوف بزرانته مفشداً كوحش كامر قد ضاق بقفصه

لقد كان هذا اليوم يوم ميلاده ! !

\*\*\*

ثم جاء المساء ؛ مساء السبت ! وهناك في الأفق البعيد أخذت أجراس الكنائس تدق فبعثت في نفسه الهدوء ، وأيقظت فيه ذكريات الطفولة الحلوة ، ففتح النافذة وأخذ ينظر إلى تلك السماء الصافية ، وقد أخذت الشمس الغاربة تمكس أضواءها على جدران السجن ، والحمام ترقرق بأجنحتها في الفضاء ، فأيقظت في قلبه شجون الذكري والالم ، وذكرته بالحرية ؛ ثم اشتد عليه الحزن وزادت به الوحدة وشعر بحاجة إلى التحدث إلى نفسه : من تكون جاليا ؟ ثم استبد به الشوق فتناول عصا صغيرة ، وأخذ يخدش بها على جدران الزرانة :

« النجوم تضيء لامعة في السماء الزرقاء

ومن خلال النافذة يهب عبيق الربيع وعلى الأرض النائمة يجمعون غرائس الأحلام السابحة على أجنحة الفضاء ! »

ولكنه عاد فحما ما كتبه واستاقى على سريره يفكر فيمن تكون تلك الفتاة الجميلة

قضى نيكولاس الأسبوع كله يترقب يوم السبت ، وقد شعر أنه لن يأتى . لقد عاش من أجله ولم يفكر في شيء غيره ، لم يهدأ في نومه إذ كان

وسمع طيور الصباح تغرد على قنن الأشجار ، فاطمان إلى هذا الهدوء ، وهذا الجمال ، وأغمض عينيه من جديد محاولاً أن يتذكر حلمه الذاهب البعيد فشهر كأن نوراً كنور الصباح المبكر يضيء قلبه المظلم الحزين . آه ! لقد ظهرت له جاليا في حلمه بملابسها البيضاء وقبعتها المزركشة بأزهار الحقول ، ثم انحنت عليه وهمست في أذنه قائلة : « استيقظ ! يجب أن تذهب إلى الشرطة ! » ولكن هذا لم يكن همس جاليا بل كان صوت أمه ماريا تذكره بما لم يكن قد نسيه ، فقد أصبحت كلمة « البوليس » تستثيره ككلمة أب . فهب غاضباً وارتدى ملابسه وخرج مشيحاً من أمه بأرق الدعاء وأخلصه ، فقد كانت نفس الكلمة تثير في قلبها هي أيضاً نوعاً من الألم الغامض الخفي !

\*\*\*

خرج نيكولاس قاصداً مركز الشرطة ، فلم يكد يصل إلى الباب الخارجي حتى هب الناس وقوا وتهامسوا فيما بينهم أن يرجحهم هذا القادم من ألم الانتظار والشكوى . ثم دخل بيتاً مظلماً يريد أن ينقض تفوح منه الرطوبة وتنتشر فيه رائحة الفيران الميتة وقد جلس النساء على الأرض الرطبة المبللة ، ووقف بجانبهن حارس عملاق يقتل شاريه ويفازل صفارهن ، فسأل نيكولاس عن سبب انتظار هؤلاء الناس ، فملت أصوات متعددة مختلطة : « نحن الشهود أيها الرفيق » ثم سار إلى غرفة الانتظار ، فسمع صخباً وخجيجاً ، فن صرير الأقلام إلى وقع أقدام الخدم وهم يقدون ويروحون إلى خشخشة الأوراق . وأخيراً أدخل على رئيس البوليس الذي كان جالساً إلى مكتبه منكباً على أكدهاس من الأوراق ، ولكنه مالبث أن اعتدل في كرسيه ونظر إليه

يهب مذعوراً وهو يردد اسم السبت . وأخيراً جاء يوم السبت ، وكان يوماً مطيراً ؛ ولكن نيكولاس لم يشمر بذلك ، إذ كان قد نسي كل العالم في ذلك اليوم

فلما أحضروا الغداء صاح : « هل من زائر ؟ » ولكنه لم يتلق جواباً ، فبقى الطعام كما هو ، وبقى هو ينتظر ، وأخيراً جاء السجان بالمشاء يحمل معه باقة من البنفسج قد ذبلت أزهارها ، فارتجف نيكولاس ، وقال وهو يتناولها في نعمة حزينة يائسة : وزائري !

فابتسم الحارس ومضى

فنظر نيكولاس إلى الأزهار ، فرأى أمامه جاليا تقطفها وتقدمها إليه في ابتسامتها المشرقة العذبة فدفن وجهه فيها ، ثم أخذ يتنسم أريجها ويستنشق فيها عطر الربيع وعبيق الحرية ويرضع أوراقها كأنه طفل غرير ؛ ويحنو عليها محاولاً أن يبقى على حياتها بدم شبابه وقلبه ، ولكن هذه الأوراق مالبثت أن اسودت وتفضنت وماتت ، ولم يبق منها إلا واحدة وضعها بين صحائف كتابه

وإذ هو يفتح هذا الكتاب أبصر تلك الزهرة الذابلة ، فأخذ يفكر فيمن تكون جاليا الغائبة !

استيقظ نيكولاس عند سماع همس غريب ، فأصغى إليه ، فاذ هو صوت والده يصلي لله ، وقد سمعه يردد في آخر صلاته : « كذلك ابني الخاطيء خادمك نيكولاس » ، ثم قام الرجل ونفض عنه التراب ، وجاء إلى ابنه يوقظه ، وهو يقول : « استيقظ . يجب أن تذهب اليوم إلى الشرطة ، وإلا قبض على أنا . عليك أن تمنحني ذلك التعمد المكتوب هناك ، ثم تنصرف » ثم فتح الشيخ النافذة ، فرت بالحجرة نسمة الصباح المنعشة ،



اهتدت إليه وهناك أسندت رأسها إلى ظهر ابنها وأخذت تبكي وتنتحب . وأخيراً قال الابن في صوت راجف حزين : « يجب أن أذهب بعيداً . ماذا أعمل ؟ » إلى لا أعرف . لا أستطيع احتمال أكثر من هذا . لن أذهب ثانية إلى البوليس . بل يجب أن أذهب إلى مكان آخر

— ولكن ألا ترحم والدك ؟ إنه يصرخ الآن من الألم . ألا ترحم شيخوخته ؟ اكتب التعهد للبوليس . اعمل ما يطلبه منك والدك فهجمت الذكريات الأليمة على نيكولاس وصاح :

— لا ، لا ، لن أعمل شيئاً . سأذهب إلى مكان آخر  
— إلى أين يا عزيزي كوليا ؟ إن والدك سيضطر أن يجيب عنك  
— لا ، لا ، لن أذهب

وفي الصباح وجد نيكولاس ملقاً في مقعده بنام نومة الرجل المجهد الذي فزع من هموم العالم وأعباء الحياة  
ووجد بجانبه كتاب وعليه زهرة البنفسج الذابلة .  
نظمى منيل

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

ونعناها ١٥ قرشاً

نيكولاس وقال : « حسن . ماذا تريد ؟ إيه . المساواة ؟ إن محمداً لا يمكن للشباب أن يناله ... انظر إنك ضامر كالوميا وأنا بدين كالغيل . في الناس الذكي والغبى - الفقير والغنى - هذه هي سنة الطبيعة ...

— وأنت ... ؟

— إلى لا أريد شيئاً

— يجب أن تنصرف عن مجالس المهيجين وألا تستمع إلى خطبهم الثورية . إلى لا أحدثك كرئيس للبوليس ولكن كشخص عاش ولديه كثير من الخبرة والتجارب . أنظن أني لم أحلم بالمساواة ؟ إلهي ! لقد حللنا بها جميعنا ونحن شبان ولكننا كنا غفطين . والآن إنك مراقب هنا . يجب أن تكون تحت أنظار قدامنا . ثم خرج نيكولاس بوجه صاحب محتق وجسم مرضوض مجهد وفي عينيه بريق السكراهية وشرر التمرد والثورة

\*\*\*

أمضى نيكولاس بقية اليوم يتجول على شاطئ النهر حتى جاء الليل فتسلل إلى كوخه الصغير الذي أقامه في حديقة المنزل ، وهناك استلقى على مقعد كبير ووضع يديه على وجهه وأخذ يستمع إلى أصوات الأجرام التي كان يحملها إليه السكون العميق ، ثم لا قلبت أن تذوب في جوف الفضاء . ولكنه ما لبث أن سمع صوتاً ضعيفاً يقول له : « ألم تم يا عزيزي ؟ » فالتفت نيكولاس إلى مصدر الصوت فرأى أمه واقفة بالنافذة وهي تنن وتبكي  
— بربك لا تبكي من أجل يا أمي !  
— وكيف الصبر يا ولدي العزيز ؟

فتركها الابن وذهب إلى كرسيه واستسلم للبكاء . فأخذت أمه تتلمس باب الكوخ حتى

أنتظر فراغ الصبية من ارتداء أثوابها . وكل ما يمكن ليبياني أن يؤديه ، هو أنني كنت أسمع القاذف الناري يقول لي : عد الى رشذك لأدراك ما أنت فاعل ولقد فكرت مهادراً في ما كان سيقع لي لو أن الفتاة أسرع بمغادرة الغرفة كما أمرتها . لا ريب في أنني كنت سأجد سكوني بعد ثورة الخجل التي ساورتني ، فان الحزن شيء والياس شيء آخر ؛ ولكن الله قد جمع بينهما كيلا يتسلط أحدهما منفرداً دون رفيقه على النفس المتألمة . فقد كان يكفي أن تخلو غرفتي من هذه المرأة ليضعف يأسى ويقوى حزني بالندم ، وللندامة ملاكها المانع الغفران عن قاتلي النفوس . ولو جرت الحوادث على هذا الوجه ، لكنت وجدت الشفاء وأوصدت بابي دون كل فاحشة بعد أن أبقيت لي زيارتها الأولى مثل هذا الخجل وهذا الاشتزاز

ولكن الحوادث اتخذت مجرى آخر كنت لم أزل جالساً أنتظر خروج الفتاة وفي نفسي سراجل من السكر والخوف والغضب ؛ أما هي فبقيت منهمكة في ترتيب شعرها وتنسيق ظيات ثوبها بتدبهم لخيالها في المرأة . ومريت ربع ساعة وأنا أتبع شاردات أفكارى حتى نسيت وجود شخص آخر في غرفتي . وبدأت من الفتاة حركة أشمرتني بوجودها ، فانتبهت من غفلى وزجرتها ، فذعرت وقامت تطلب الباب وهي ترسل إلى قبلة الوداع من بعيد . وفي هذه اللحظة قرع جرس الباب الخارجى بشدة ، فهضت مسارعاً إلى إخفاء الفتاة في غرفة داخلية ما كدت أدفع مزلاجها حتى دخل ديجنه ومعه رفيقان من شبان الجيرة إن بعض حوادث الحياة تشبه التيارات المتدفقة في عباب البحر ، فهي قضاء أو صدفة

من أعماق النفوس



اشتمرافات في العصر

للفريدي موسيه  
بفلم الأستاذ فليكس فانس

الجزء الثاني

الفصل الأول

وعند ما صحت في اليوم التالي ، رأيتني بلغت من الانحطاط والدناءة ما جعلني كازهاً لنفسي ، فاستهوتني فجأة فكرة مروعة دفعتني من فراشي فهبيت وأنا أصبح بالملوكة التي قضيت معها ليلي قائلاً لها : ارتدى أثوابك واخرجي حالا من هذا المكان

وجلست أحرق بالجدران حتى بصرت بأسلحتي المعلقة على الزاوية . . .

عند ما تتراعى فكرة متألمة الى أحضان الفناء فتقدم الروح على الكبائر تشعرها الحركة الآلية للتنفيذ بشيء من الرهبة يصطدم بالارادة فيزعزعها . ومن يهاجم الانتحار يستول الذعر على أنامله وتتقلص عضلات يده عند ما يحس بضيق الحديد . وما أقدم إنسان نحو الموت إلا وأحس باحجام الطبيعة عن مجاراته

يصعب على الآن إيضاح ما كنت أشعر به وأنا



معها المزاح فرجوته بلهجة جافة أن يعفني من مزاحه ، فما أهتم لقولي بل تناول الموضوع الذي جاء من أجله ؛ وما جاء إلا ليعلمني أن خلياتي لم تسكتف بأخذ عشيقين في آن واحد إذ بلغ عشاقها الثلاثة ، وذلك معناه أنها لم تعامل من خدعتني لأجله بأحسن مما عاملتني

قال ديجنه : إن مزاحي لم يتورع من نشر الخبر ، وقد عرفت باريس كلها بخيانة الخلية له أيضاً ؛ وما أدركت لأول وهلة معنى هذا القول حتى استعدته الحكاية ثلاث مرات ، وإذا فهمتها صعبت ولم أجد سوى الضحك ألجأ إليه حين أيقنت أن من أحببت امرأة ساقطة ، ولكنني وجدت حين قالت لي نفسي بأنني أحببتها بل لم أزل أحبها إلى الآن وأيد رفيقا ديجنه ما قاله هو ، فعرفت منهما أن خليتي كانت في منزلها وقد التقى العاشقان فيه فكان عراك شديد اشتهر أمره حتى اضطرت المرأة إلى مغادرة باريس هرباً من الفضيحة والعار وما كان ليخفي علي ما يصيبني من كل هذه المهازل ، إذ أصبحت مبارزتي من أجل هذه المرأة وتولني بها جميع مافعلته من أفعالها سخرية وهزواً ، وما كان ما توصف به من أخط الصفات وما يفترض من عهرها فوق ما اشتهر منه إلا اشتهراني بأنني لم أكن إلا واحداً من عديد من تناولهم خداع هذه المرأة الساقطة

ولاحظ الشبان امتعاضى فوقاً عن التماذي في السخرية ؛ غير أن ديجنه لم يقف إذ كان مصمماً على معاملتي معاملة الطبيب يعالج مريضه بقسوة لا بد من الأخذ بها ، وكان يرى لنفسه هذا الحق وهو الصديق الحميم الذي محضني الود وباداني الخدمات العديدة ، وقد اعتقد بحسن نيته فما زاده اضطرابي

أو عناية الهبة ، سمها ما شئت ، ولكنها كائنية وما ينفى التعارض في معنى كلماتها . على أن جميع من يذكرون قيصر و نابوليون لا يفوتهم أن يصفوا كلاهما برجل العناية الإلهية ، فكأنهم يرون الأبطال دون سواهم من الناس يستحقون عناية السماء بهم . ولعل الآلهة في اعتقادهم كالثيران في حلبة الصراع لا يستهويها سوى الأوشحة الأرجوانية إن ما ينتج عن أحقر الحوادث في هذه الحياة وما تبدل في مسالكنا أتعفه الأمور ، لمعضلة تفتح أعرق المهاوى أمام المفكرين

إن أفعالنا لشبيهة بالسهم الصغيرة التي تنلها بتفويقها نحو الهدف حاسبين أنها ستتجه طوع اختيارنا ومهارتنا ، ولكن لفحة من الهواء تهب على أحدها فجأة فتحوّله عن مجراه وترفعه لتدفع به إلى مجاهل الآفاق

إننا نشعر بصدمة مروعة عندما يتضح أن كبرياءنا الواثقة من ذاتها ليست إلا شبحاً يتجلى مهارة وعزماً ...

إن القوة نفسها وهي سيدة العالم التي يقبض الإنسان عليها وينتضيها سيفاً يناضل به في معترك البقاء ، إنما هي خاضعة ليد خفية تحولها عن الهدف الذي نرمي إليه ، فإذا جهدنا منطلق كالسيف خلا أمامه مضربه فرمى بحامله إلى الحضيض

هكذا بينما كنت أتجه بكل ارادتي إلى تطهير نفسي من أدران خطيئتي ، ولعلمي كنت أتجه أيضاً إلى انزال العقاب بنفسى ، رأيتني مائلاً أمام تجربة خطيرة قدر على أن أسقط فيها

وكان البشر يطفح من وجه ديجنه ، فانطرح على المقعد وهو يتهمك بما يتم عليه وجهي من اضطراب ومن سهد ، وما كنت في حالة أحتمل

فصل منها وهو مسك الختام ؛ فاعلم ، يا عزيزي  
أوكتاف أن العراك بين عاشق خليلتك القديعة إنما  
وقع في ليلة مقمرة ، وبينما كان كل منهما يهدد الآخر  
بقطع عنقه ، لاح في الشارع خيال يتمشي على مهل  
وقد عرف أن هذا الشبح لم يكن سواك أنت . .  
وصحت به : — ومن قال هذا . . من رأي في  
الشارع ، أنا . . ؟

فقال : هي خليلتك بعينها التي رأيتك . . ، وهي  
نفسها أخبرت بذلك وهي تضحك وتؤكد للناس  
أنك لم تزل هائماً بها وتقضي الليل كالعسس أمام  
بابها . أفلا يكفيك أن تعلم أنها تعان هذه الأمور  
على ملا الشهاد ؟

ما تمكنت يوماً أن أكذب في حياتي ، وفي  
كل مرة حاولت أن أموه الحقيقة يفضحني  
وجهي . ولكن هذه المرة شعرت بتسلط الخجل  
على من إعلان ضعفي ، فقلت في نفسي : ( ما كنت  
لأقف أمام بابها لو أنني عرفت أنها تدهورت إلى هذا  
الحد ) واجتهدت أن أقنع ذاتي بأنه لم يكن بإمكان أحد  
أن يراني ويعرفني ، فحاولت إنكار الواقع ، ولكن  
الاحمرار علا جبينى فاضحاً أمري . وصدق ديجنه  
بي وهو يتسم فصحت به : — حذار ، يا هذا ،  
فإنك تتجاوز الحد

وذهبت في الغرفة أذرعها طولاً وعرضاً كمن  
فقد صوابه ، وحاولت أن أضحك فعصاني الضحك ؛  
وأخيراً وجدت نفسي تجاه متر متوتك فقلت : —  
وهل كنت أعلم أن هذه الشقية ...  
فانقبضت شفتا ديجنه كأنه يصر على قوله :  
أفأ كان يكفيك ما عرفت ؟ .

وجت وكان الدم — وقد انقبضت عليه عروقي  
ربع ساعة — يتصاعد إلى صدغي نابضاً فيهما فبدأت  
أكرر القول وأنا لا أعني : — أينما كنت في

إلا إيغالا في الشدة ليقذف بي إلى السبيل الذي يريده  
لي ، ولكن ما لبث أن شعر بنفاد صبري فاختر  
السكوت ، وما كان سكوته هذا إلا ليزيد من ثورتي  
فبدأت بدوري أنحرش بزائري مستفهما وأنا أنمشي  
ذهاباً وإياباً في الغرفة متوقفاً سماع التفاضيل عن هذه  
الحوادث التي صُمقت لها . وكنت أتكلف  
الابتسام ثم أظاهر بالسكون ، فما نجحت محاولاتي ،  
لأن ديجنه تمنع بالصمت فجأة بمد أن ذهب بثريته  
إلى مدى بعيد ، فكان ينظر إلى بهدوء وأنا أذرع  
غرفتي بخطواتي كالثعلب أطبق قفصه عليه

وشعرت بعجزى عن بيان ما كان يدور في  
خلدی : أصبح أن تلك المرأة التي تربعت صنماً  
معبوداً في صنم فؤادي والتي ذقت من هجرها  
الأميرين ، تلك المرأة التي حصرت فيها كل هيأى  
وأردت أن أبكيها مادمت حياً قد استجالت ما بين  
ليلة وضحاها فاحشة تلوك اسمها ألسنة الشبان ،  
مهتوكة تعان بنفسها فضائحها على ملا الشهاد ؟  
وكنت وأنا استعرض هذه الأمور بذهنى  
أحس كأن كاوباً يطبع على كتفى علامة العار . وكما  
استغرقت في التفكير كانت تتكاثف الظلمات حولي  
فأدير رأسي عن جلسائي وأنا شاعر بابتساماتهم  
ولحظهم تنصب على لاستجلاء سريري

وكان ديجنه يتبع حركاتي وسكناتي وهو  
لا يجهل إلى أن يتجه بما يفعل لأنه كان يعرفني  
ويعرف أنني أقدم على كل أمر وأتجاوز كل حد بما  
في من اندفاع إلا حداً واحداً وهو الشرف ؛ لذلك  
كان يقصد أن يصم الآمى بالعار مستمعيناً على  
عواطفى بتفكيرى

ولما رأى أنني وصلت إلى الحد الذي يريد ،  
صوب آخر سهم من جعبته إلى فقال :  
أفأ أعجبتك هذه القصة ؟ إليك الآن بآخر



هذه الهاوية السحيقة تهتف هازئة : — هذا هو جزاؤك . . .

لو جاء هؤلاء الصحاب فقالوا : إن الناس يهزأون بك لكنت أجيبهم : ما لي وللناس ؟ ولكنهم جاءوا يقولون إن خليلتك لا زمام لها ولا عهد

إذا ، لقد اشتهرت الفضيحة وثبتت بشهادتين ما كان يمكن لمؤديها أن يملنا وجودي على ما كنت عليه دون أن يحدثا بما كانا هما عليه أيضاً ، فماذا أ كذب الناس ، وما بوسى أن أقول لهم ؟ وأين أجد لي ملجأ وقد أصبح قلبي وهو مركز حياتي طالاً متهدماً . وهل لي ما أقول إذا كانت هذه المرأة التي ما كنت لأتردد في اقتحام أية سخرية وأية ملامة من أجلها واحتمال جبال المصائب تنهار على في سبيلها ، هذه المرأة التي أحبتها فأحببت سواي فما ظالبها بالنور المنطفيء بل قنمت بأن أقف باكياً أمام بابها لا شيء إلا لآلح فيها وأنا بعيد عنها شبابي المضيع وقد استحال إلى أطياف تذكّار ، ولأحفر اسمها دون سواء على لوح قبر دفنت فيه جميع آمالي ... هل لي ما أقول إذا كانت هذه المرأة هي نفسها تسخر بي وتهزأ بدموعي ؟ إنها هي نفسها أول من أشار إلى بينانه قاضياً على بالتشهير أمام من لا عمل لهم إلا الاندفاع في ميلهم إلى الاستمراء بمن يحقرهم ...

أجل ، هي نفسها من رمى باللاهانة إلى خارجة من شفتين طالما التصقتا بشفتي ومن جسد كان روحاً لحياتي بل دماً من دمي ولحمًا من لحمي . وهل من إهانة أقطع من هذه اللاهانة وما هي الا قهقهة لارحة فيها تصفع الجبين الوجيع برشاش نفثاتها ... وكنت كلما استغرقت في آلامي يحتدم غضبي وتضطرم ثورتي ، وما أدري أصبح أن أصف

الشارخ غارقاً بدموعي ، كان المراك قائماً بين الماشقين ؟ . . . أي تلك الليلة جرى هذا ؟ .. وقد هزأت بي . . . لقد سخرت بي . . . هي ؟

أما رأيت هذا في حلم ياديجنه ؟ أم يمكن أن يكون مثل هذا صحيحاً ؟ ...

وكنت وأنا أدفع بهذا الهذيان أشعر بالغضب يساورني حتى استولت على هزة عنيفة اضطرتني إلى القعود ويداي ترتعشان .

وقال ديجنه : — ما لك وهذه الهزلة تقابها بالجد ، يا أوكثاف ؟ لقد أرهقتك هذه الهزلة منذ ثلاثة أشهر ، والأمراض ظاهراً ، فأنت بحاجة إلى التسلية . تعال لتناول المشاء سوية وغدا نذهب للتنزه في الضواحي

وكان يقول هذه الكلمات بلهجة فعلت في نفسي ما لم تفعله أوجاعي إذ شعرت بأنه يعاملني معاملة طفل عليل

وبقيت ساكناً أحاول التغلب على ذاتي بمناجاتها قائلاً : — لقد خدعتني هذه المرأة فجاءت بعد ما النصائح السيئة تعمل قلبي ، وما وجدت لي ملجأ لا في العمل ولا في ارهاق قواي ؛ ولم يبق لي وأنا في العشرين من ربيع الحياة ما بقيني التدهور في القنوط أو الفساد إلا ذخيرة آلامي الريبة أستعبد بها وقد جاءني الآن من يريد تحطيمها بين يدي . إنهم لا يوجهون الأهانة إلى حبيبي الآن بل إلى يأسى ، لقد أصبحت سخرية وهي نفسها تهزأ بي ... وأنا أبكي

وما كنت لأصدق بوقوع مثل هذه القرية ، فكان الماضي بأمره يحتاج تذكاري فأرى ليالي غرامنا القديم تمر أمامي كأشباح تتوالى مترامية على شفير جرف لا قرار له غير صخور مظلمة كالعدم وكنت أسمع قهقهة تتجاوب أصداؤها فوق

ولو اضطررت إلى حفر هذا القبر في صميم قوادي  
قلت هذا وارتميت على مقعد أنظر إليهم  
يدخلون الغرفة وأنا أشعر بالمسرة الرائعة التي يشعر  
بها كل إنسان يفرج كرب الاحتقار عن نفسه ،  
وإذا ما خطر لإنسان أن يعجب لا يتخذى منهجاً  
جديداً في حياته ، فما ذلك إلا إنسان يقطع على خفايا  
القلب البشري ولا هو يعلم أن للمرء أن يقف  
عشرين سنة على تردده ، وليس له أن يتراجع إذا  
هو دفع بالخطوة الأولى على أي سبيل

## الفصل الثاني

ما أشبه من يصاب بالدوار بمن يتلذذ للخلاعة  
والفحشاء ! وما أوائل الدروس إلا رعب تمازجه  
لذة المشرف مرتجفاً من برج مرتفع على الأعماق  
إذا كانت الرذيلة المستترة تنال من نبالة الخلق  
وتحط من معزة النفس ، فإن في الخلاعة الصريحة  
التي تقتحم الهواء الطلق شيئاً من كبر الحساسة  
تراه متجلباً في أشد الخلعاء فساداً . إن من يسير  
تحت جناح الليل سائراً أنفه باردانه ليلطخ حياته  
متنكراً نافضاً زياء نهاره خلسة ، إنما هو كبعض  
الإيطاليين الذين يرسلون خناجرهم رشقاً إلى ظهر  
من لا يجروون على منازلهم . إن في الزوايا المظلمة  
وفي التلاقي تحت جناح الليل ما يشبه كمين الأشرار ،  
في حين أنك ترى في مقتحم الدعارة الصاخبة شيئاً  
من صفات المحاريين ، فتحسب أنك تشاهد عمراً  
في موقعة وتهتف بك الكبرياء قائلاً : إن جميع  
الناس يفعلون هذا مستترين ، فاهتك السترات أنت  
وافعل علانية ما يرتكبونه في الخفاء  
وإذا ما ادرع الخليع هذه النجوى ، فإن شعاع  
الشمس لينعكس ملتصقاً على درعه

ما كنت أشعر به من الغضب ، وكل ما أعرف عنه هو  
شعوري بمأطفة الانتقام . ولكن أنى لي أن أنتقم  
من امرأة ؟ . . . وأين السلاح الذي يمكن لرجل أن  
ينال به من امرأة لأشتره بما عز وهان ؟ أية ضربة  
أوجهها إليها وأنا أعزل حتى من السلاح الذي  
رشقني بناره ؟ وهل لي أن أنازلها بما نازلتني به من  
وقية واغتياب ؟

ولاح لي فجأة وراء الباب الزجاجي خيال الفتاة  
التي كانت لم تزل تنتظر الإفراج عنها . وكنت  
نسيبتها تماماً ، فنهضت من مقعدي وصحت بأصحاى :  
اسمعوا . . . لقد أحببت . . . ، أحببت كمجنون بل  
كأحمق فاستحققت كل ما ترشقونني به من عار ؛  
غير أنني سأعرض عليكم الآن ما يثبت لكم أنني  
لم أعد ذلك الأحمق الذي تنوهمون

ودفعت باب الغرفة الصغيرة برجلي فأنكشف  
مخياً الفتاة وقد لجأت إلى زاوية لتتقى الانظار  
وصحت بديجته : أدخل ، أنت يا من رأيتني  
مجنوناً لهيامي بامرأة ؛ أنت يا من لا تحب إلا بنات  
المواخير . . . أفأ ترى حكمتك تختال هنا في هذا  
الغرفة ؟ سل هذه الحسكة ، سل هذه الفتاة عما إذا  
كنت قضيت ليلتي كلها تحت نافذة تلك المرأة ،  
فأنها أخبر من سواها . . . ولكن ليس هذا  
كل ما أريد أن أقوله ؛ إنك تدعوني إلى تناول  
المساء معك هذا المساء وإلى نزهة في الضواحي  
غداً ، فأنا أقبل دعوتك ، ولكنك لن تبارحنى  
منذ الآن ، فلنمض النهار سوية ، فأقدم لكم  
ما تشاؤون من خمر وورق ميسر وأزهار . أنتم لي  
وأنا لكم ، فلنتعاهد على هذا الشعار ، لقد شئت  
أن أرفع في قلبي مزاراً أحسب به غرامى ولكننى  
الآن سأنزل هذا الغرام إلى قبر أدفنه فيه



رلا بالغربان تحوم ناعبة فوق رأسه  
لقد سردت الحوادث التي رمت بي إلى هذه  
الحياة ، فعلى الآن أن أقص ما رأيت فيها :  
لأول مرة رأيت فيها المجتمعات التي يدعونها  
مراقص مقنعة ، كنت سمعت من يقول إن فيها  
دعارة القصور وإن إحدى ملكات فرنسا تنكرت  
فيها بزى بائنة أزهار ، ولكنني ما شهدت في هذه  
المراقص إلا بائعات أزهار متنكرات بزى خاديات  
الجنود . كنت أحسب أنني سأجد فيها الدعارة  
فكذب الواقع حدسي ؛ وما يمكن أن ندعو دعارة  
هباباً متساقطاً من دخان ، ولا اللكم والصفع ،  
ولا فتيات سكارى منطرحات كالأموات على ركام  
الكؤوس المحطمة

لأول مرة رأيت فيها فسق المائدة ، كنت  
سمعت أحاديث الشراة في الولائم وبلغني اسم  
فيلسوف يوناني أقام دين الفطرة على لذة الحواس ،  
فكنت أتوقع أن ألاق في هذه الولائم شيئاً من  
الاستغراق المنسي إذا امتنعت الأفراح الحقيقية فيها  
فما وجدت إلا أقبح ما في الحياة : ما وجدت  
إلا ملالا يحاول أن يتمتع بالعيش ، فكان هنالك  
قوم يسودهم الخلق الانكيزي يتحدثون عن أعمالهم  
ويجدون التسلية في هذا الحديث وهم يقدررون  
ملذاتهم على ما بذلوا من مال ؛ وعلى هذه الوتيرة تدور  
عليهم رحي الحياة

لأول مرة رأيت فيها بنات الهوى بعد أن  
كنت سمعت قصة (اسبازي) يحتضنها (السيدباد)  
وهو يتناقش مع (سقراط) ؛ كنت أتوقع أن أرى  
انطلاقاً وقحاً فيه شيء من الروح وخفة الروح ؛  
كنت أتوقع أن أشاهد ما يغلي ويطفو كحباب  
الراح المعتقة فما وجدت إلا شفاهاً متراخية وحيوتاً  
جاحظة وأنامل متشنجة

قيل أن ديموكليس كان يحيا وفوق رأسه سيف  
معلق ؛ وما حال الخلماء إلا مثل حاله ، فان فوق  
كل منهم سيفاً يقول : تقدم . . . تقدم أبداً ،  
فأنا معلق بخيط على وشك الانقطاع  
وما أرى ما أصور به حياة الخلماء إلا وصف  
عجلة يقتمدها في أعياد المرافع رهط المقنعين ، وهي  
تخترق الطرق مكشوفة يلعب الهواء بما عليها من  
مشاعل تنير الوجوه المكسدة ، وعلى هذه العجلة  
فئة تغني وفئة تضحك وبين الفئتين تلوح مخلوقات  
كأنها نساء ، وما هي في الواقع إلا بقايا نساء عليهن  
من الأنسانية آثار عافية . ويألهن من نساء يلقين  
بين القبل كل أنواع الإهانات والتحقير ولا يعرف  
المحتضن لهن هوية ولا اسماً

وكل هذا الرهط تسير به عجلة المسافر مفرقة  
تنيرها مشاعل الغاز الملهب ، وقد تحكم السكر في  
الرؤوس فجمد فيها كل تفكير . ولقد يخيل إليك  
من حين إلى حين أن هنالك ما يشبه الاحتضان  
والتقبيل ، وإذا تدحرج أحد من هذه العجلة فما  
يهم أحد بأمره ، وهل يهتم شيء من يرى نفسه  
خارجاً من عدم سائراً إلى عدم . . . على هذه الوتيرة  
تسير خيول العربية خبيباً وعمر رهط المسافرين

إذا كان الدهش هو أول ما يشعر به المنخرط  
في سلك الخلماء ، فما يشعر به بعد ذلك إنما هو  
الاشمئزاز يقبض على القلب ليجره جراً إلى الاشفاق .  
إن ميدان الخلاعة مجلى للقوة أو بالأحرى مجال  
لنقاد القوى ، وذلك ما يجتذب الكثيرين من  
عشاق المجازفة ، فيقدمون إلى هذا الميدان لينذلوا  
نفوسهم مبددين ما فيهم من قوى ، فهم كالفارص  
العنيد يمتطي فرساً جوحاً وينطلق غير شا عر بما  
يعاق من لجة ومن دمه على أشجار الطريق ولا بالشرر  
يتطاير من محاجر الذئاب تتبعه في الأرجاء المقفرة

هذا الزمان ولا في الزمان المنصرم إلا كلمة «البقاء»  
وما حفرت هذه الكلمة على الذهب المتوهج بشمع  
الشمس بل على الفضة التي تبدو لمينيك باهتة كأنها  
مغشاة بكدورة أنوار الليل

لأول مرة رأيت فيها الشعب ، كان ذلك في  
صبيحة المرفع (أربعماء الرماد) عندما نهدر (كورتيل)  
وكانت السماء قد أمطرت الأرض رذاذاً منذ المساء  
فأصبحت الأزقة كأنها منالقي أوحال ، وكانت  
المجلات الحاملة رهط المقنمين تمر متدافعة بلا انتظام  
بين المتفرجين على جانبي الطريق ، وهم واقفون رجلاً  
ونساء يعرضون أنواعاً من القبع على الرصيفين .  
وكانت تلمع في محاجر هؤلاء الناس عيون أعارتها  
الخمر لونها فبدت فيها نقمة الوحوش الكاسرة .

وما كانت صدمات المجلات تنال صدورهم لترجمهم  
قيده أئمة إلى الوراء ، وكنت أنا واقفاً على مقدم  
إحدى هذه المجلات المكشوفة فكنت أرى من  
حين إلى حين أحد المتفرجين يتقدم نحونا من صفه  
وهو بأسماله ليوجه إلينا أفطح الشتائم ثم يرمينا  
بحفنة من الدقيق ويعود أدراجه . وما طال سيرنا  
حتى بدأ الناس يرشقوننا بكتل من الأوحال فمنا  
تراجمنا بل داومنا المتقدم نحو جزيرة الغرام وغاية  
(رومانفيل) موطن المناق والسرور . وسقط أحد  
أصحابنا عن مقعد المجلة إلى بلاط الشارع فهرع  
الشعب إليه قاصداً تحطيم عظامه ... فترجلنا وأخطانا  
به لوقايته وكان حامل النفير يتقدم المجلات ممتطياً  
جواده فرشقه الشعب وقد فرغ ما لديه من الدقيق  
بحجر خدش كتفه

وما كنت سمعت بمثل هذا من قبل ، فبدأت  
أتعرف حالة العصر الذي نعيش فيه  
(يقبع) فليكس فارس

لأول مرة رأيت فيها السيدات المتهتكات .  
كنت قرأت (بوكاس) و (باندلو) بعد أن  
طالعت (شكسبير) ، فكنت أتخيل هؤلاء السيدات  
ملائكة ججيم يواجهن الحياة بالرشاقة والرح ،  
وكنت أرسم منهن أشكالاً تم عن الجنون في  
الخيال ، وقوة الابداع والقحة بعيون ساحرات  
تثير برشقة لحظ فاطر أحاديث شجون وغرام .  
كنت أحسهن في الحياة تموجاً واهتزازاً كآلهات  
البحار ، وأراهن منمجات ثملات ، أو منطرحات  
سكرا من خمر الحب والهيام . هذا ما كنت  
أتصور وما كنت أتوقع أن أرى ، فما رأيت إلا  
محركات رسائل وضاربات مواعيد ، دأبهن إرسال  
الأكاذيب لرجل مجهول بعد رجل مجهول ، وستر  
الدنيا بالرياء ، وما يرمين إلا إلى هدف واحد :  
الاستسلام والنسيان

لأول مرة ارتدت فيها أندية اليسر ، وكنت  
سمعت الأحاديث عن جداول الذهب والثروات  
بالحظة من الزمان ، وعن سيد من قصر هنري  
الرابع ربح بورقة واحدة مائة ألف ريال وهي قيمة  
ما كان يرتدى من ملابس ، فما رأيت في هذه  
الأندية إلا دكان أثواب يستأجر منه العمال المرتدين  
قيصاً ليس لهم سواه ثوباً بعشرين درهماً لتخضية سهرة  
واحدة ؛ وما رأيت إلا جلاوزة يحرسون باب ناد  
فيه رهط الجائنين يقاصرون مجاذفين بطلاقة عيار  
نارى على أدمغتهم مقابل رغيف ...

لأول مرة رأيت فيها مجتمعا للأخاسة أوللعمامة  
من ثلاثين ألف بنى حاملات اجازة يبيع أعراضهن  
في باريس ؛ وكنت سمعت بكل فيالق الفحشاء  
في كل زمان من عهد بابل إلى أيام روما ، وقد  
كتبت على أبوابها « اللذة » فما رأيت لا في



نام أوديسيوس منهوك القوى  
 وذهبت مينرفا تدبر له أمراً في شيريا ، بلد  
 السلالة ذوى المجد من أبناء فياشيا — ملوك البحر  
 الذين فروا من وجوه جيرانهم الجبارة  
 السيكلويس — في العصر الخالي ، ونزلوا بهذا  
 البلد ، فسادوا حصونه ، وأقاموا أسواره وتوزعوا  
 أرضه المخصبة ، وأسكنوا الدور والقصور ،  
 وأنشأوا المعابد للآلهة عرفاناً وشكراناً  
 وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم  
 استوى على العرش من بعده الكينوس ، حبيب  
 الآلهة ، وصفي السماء

\*\*\*

كانت الأميرة الحسنة ، نوزيكا ، ابنة  
 الكينوس الملك ؛ تغط كاللاك في نوم عميق بين  
 وصيفتين رائعتين من وصيفاتها ، فوق سرير وثير  
 في مخدعها الملكي الفاخر

وكان رتاج الباب محكما كأنه رتاج باب الجنة ،  
 ولكن ذلك لم يقف بسبيل ربة الحكمة مينرفا ،  
 التي خطرت الى الداخل كنسمة نادية من نسمات  
 الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك ترخرف لها  
 هذا الحلم الفضي الجميل ، وكأنما تبدو لها في المنام في  
 صورة صديقتها وأعرأتها ابنة ديماس الكريم :  
 « نوزيكا ! يا ويح لك أيها النوم المكسال !  
 أهكذا تهملين ملابسك وأنت موشكة أن تُزفي إلى  
 عروسك ، وعليها يتوقف مظهرك ومنظرك  
 ورواؤك ، ورواء حاشيتك وسائر وصيفاتك ؛ كما  
 يتوقف عليها زهو أبويك بين الناس . انهضي مع  
 الفلق<sup>(١)</sup> فاذهي بمطارفك إلى الغتسل عند ضفة  
 النهر فاغسلها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين  
 صرح هذا الشباب الخالي ... هلي ! إني سأعاونك ،

(١) الفلق أول ضياء الصبح



## الأوديسيا

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة ما تقدم

« لم يعد أوديسيوس البطل اليوناني فيمن عاد إلى  
 بلاده بعد حرب طروادة ، لأن نبتيون إله البحار  
 كان عدواً لدوداً له فصرده في البحر — وكانت  
 زوجة البطل من أجل نساء البلاد فطمع فيها الطامعون  
 كل يريد لها زوجة له . فحاصروا منزل أوديسيوس  
 ليرغموها على الزواج من أحدهم . وقد ثارت مينرفا  
 ربة الحكمة لهذا فبدت للفتى تليماك بن أوديسيوس في  
 صورة آدمية وجعلت تحرضه على البحث عن أبيه ،  
 فزار لهذا الغرض ملكي بيلوس وأسبارطه ، صديق  
 أبيه ، فأكرما وفادته ، وأخبره الأخير عما علم من  
 أخبار أوديسيوس . وروع العشاق لما علموا ما كان  
 من سفر تليماك فترهبوا له عند إحدى الجزر ليقتلوه  
 في العودة . أما أوديسيوس فقد انتهى به الطواف في  
 البحر إلى جزيرة سحيقة تسكنها إحدى عرائس الماء  
 ( كاليبسو ) التي هويته وشغفها حبه فاحتجزته  
 عندها حتى أرسل كبير الآلهة ولده ( هرمن ) بالحاح  
 من مينرفا يأمر عروس الماء أن تعد مراكباً  
 لأوديسيوس يعود عليه إلى بلاده . وأبحر السكين  
 وما يزال الموح يلعب به حتى كاد يفرقه نبتيون عند  
 شاطئ جزيرة ملوك البحار — ولكنه نجا ونام  
 منهوكاً في غابة فون السفح »

المطارف ونشرها فوق حصباء الشاطئ الذي طمه  
المد ونضحه الجزر، واغتسلن بعد ذلك وتضمعن،  
وجلسن على شفا النهر يتبلسن بلبقات، ثم نهضن  
فتلاعبن بالأكر، وتغننت ابنة الملك أعذب الأغاني،  
وتثنت كما تثني ديانا في شفاف الجبال وفي يدها  
القوس والترس، وتصيد الخنازير في أريمانت  
— ومن حولها ررب من عذارى الآلهة، وابنة  
لاتوما تتيه<sup>(١)</sup> عليهن وتدل... كذا كانت تيس  
ابنة المالك، فيكسف لالأوها جمال الأخريات

وهنا... شاءت مينرفا أن يهب أوديسيوس  
من نومه، ليشهد الغيداء الهيفاء التي كُتب في  
الأزل أن تقوده إلى المدينة؛ ففيها كانت نوزيكا  
تضرب الكرة لتلقفها إحدى وصيفاتها، إذا هي  
تملو وتملو، ثم تدوم كما يدوم الطائر، وتهوى  
في العباب المصطخب وسط النهر...

وصرخ المذارى صرخة داوية، فانتفض  
أوديسيوس وهب مذعوراً مشدوهاً ليرى هذا  
المنظر المعجب!

«ويحي أي بني الموتي قُطَّانُ هنا؟ ليت  
شمري أشوس<sup>(٢)</sup> عزابيد أم كرام أجويد<sup>(٣)</sup> أبوه!  
إنهن عرائس ماء تفرعن فرجعت الفيراز أصدقاء  
صراخهن، وتراقص الحباب في العباب من  
جبرهن، وتثنى الكلا نشوة في الوادي! لأدلف  
نحوهن فأرى إليهن...»

وخطر من دغينلته<sup>(٢)</sup> خطر أن الأسد  
هاجته العاصفة، فانقدت في عينيه جرتان من  
غضب، أوظمى فاشتدت غلته إلى الدماء...  
وذأل<sup>(٣)</sup> نحو المذارى، فما إن رأيته حتى تفرعن

(١) هي ديانا

(٢) الدغيلة والدغل الشجر اللتلف

(٣) ذأل ودأل مثني في خفة ونشاط

أنت يا ساحرة ألباب شباب الفيأشيين! سلى  
أباك يرسل إليك عربية وبغلاً تحمل ثيابك ومطارفك  
إلى عُدوة النهر حيث لا شاهد ولا رقيب.

وانفتلت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين،  
ورقت أسباب السماء حتى كانت فوق ذروة  
أولب... حيث السكون والهدوء والصمت،  
وحيث مستقر الآلهة، وحيث لا تنصف ريح  
ولا تتلبد سحب ولا تدمع عين مطر... وحيث  
السماء لازوردية صافية إلى الأبد

\*\*\*

وخطرت أورورا فوق عرش المشرق، وأرسات  
من لدها أميناً من رسل النور يداعب جفني  
نوزيكا، فهبت وحلمها الجميل لها يفتاً يساور رأسها  
الصغير، وهزعت من فورها تبحث عن أبويها  
تقص عليهما أنباء ما رأت. وقد ألقت أمها لدى  
المدفأ مكبة على غزل من صوف أرجواني موثي  
بصبغ بحري، ومن حولها وصيفات يساعدها...  
ثم لقيت أباهما يكاد يذهب ليرأس مجلس شيوخ  
الملكة، فاستوقفته، وكلمته في العربية، واحتجت  
بملايس إخوتها الخسة الذين يستحيون أن يراقصوا  
المذارى في الحفلات بملايس لاتليق بأبناء الملوك...  
وعقد الخجل لسانها فلم تذكر مطارف زواجها  
وشغوف زفافها... ولم ينجل أبوها بما طلبت، بل  
أمر لها بعربة كبيرة عتيدة ودواب، وزودتها أمها  
بأشربات وآكال وطيوب، ومروخ<sup>(١)</sup>

واستوت مع وصيفاتها في العربية، وساطت  
البغال فانطلقت تطوى الرحب إلى النهر حيث  
وقفت عند منعرج يترقرق فيه بلور الماء، متدفقا  
من منبع قريب. وسرحت الدواب لترعى العشب  
الحلو النامي على حفاف الماء، ثم أخذن في غسل

(١) ما يمسح به الجسم من دهن أو طيب أو غيرها



إلى مدينتها ، وتسبغ على — أسبغت عليها الآلهة كل ما تمنى من هناءة وبلهنية وقران قوى العرى لا تتناول إليه أعين الأعداء — دناراً يسترسو متى؟  
وأجابته نوزيكا : « حباً أيها الغريب النازح وكرامة ! إن سيماك تدل على نبيل ، وسمتلك ينبىء عن رفعة ! اصطبر على ما ابتلاك به سيد الآلهة الذى بيده العزة ، يشقى من يشاء ، ويهب لمن يشاء . سأدلك إلى المدينة ، مدينة الفياشينى ماوك البحر ، التى أنا ابنة ملكها العظيم الكينوس ، رب نعماتها ومصدر رخاؤها » وأومات الى وصيفاتها وهى تقول : « مكانكن يا عذارى ! فيم فراركن هكذا من إنسى كريم ؟ لقد أبت الآلهة أن تطأ قدم عدو أرض أحبائها ، بلادنا المقدسة ، التى انعزلت فى لجج هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جواب آفاق ، قذفه البحر الى شاطئنا ، فرحباً به ضيفاً من لدن زيوس ، وأهلاً بوفادته وسهلاً ... هلم إذن يا صويحبات فقدمن له طعاماً وشراباً ، ثم هيئن له حماماً فى منمرج ظليل عند حفاى النهر »

وأهرع البنات ففقدن أوديسيوس الى منمرج ذى ظلال وأفياء ، وأعددن له ثوباً وكساء ، وهيان طيوباً يتضمخ بها إذا فرغ من حمامه ، وسألن أن يذهبن بهيماً حتى لا يمتري أمامهن ، إذ ... لشد ما ينجحنى أنت أبدو عارياً أملم الخرد الحفرات ! » ... وتهادين إلى مولاتهن يحدثنهما بما قال : بينا هو قد انقذف فى الماء يغسل كاهله وحقوقه مما جمد عليهما من ملح اللجة ، وصعد فتضمخ بالطيب الثمين ، ثم أسبغ على بدنه العتيق ذلك الكساء الذى منحته إياه نوزيكا ، ومن أعجب العجب أن ميزقاً نفسها كانت تعاونه فى تجميل خنلقه ، وتزبل من شعره الكث

وولين مذعورات فى الشاطى ذى النوى ...  
إلا نوزيكا ! فقد نفخت فيها ميزقاً من روحها ، ونزعت من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم ...

وارتبك أوديسوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجثو تحت قدميها يتوسل ويتضرع ، أم يقف عن كشب يستعطف ، ويسأل الفتاة دناراً ، ويرجوها أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية فتلطف ، ثم قال :

« عمرك الله أيتها الملكة ! أربة من الخاللات ، أم حسناء من بنى البشر ؟ أضرع إليك أن تجيبى ! فأنك إن كنت ربة ، فما إخالك لإديانا ، ابنة سيد الأولب ! ولم لا ؟ ولك قسامتها ووسامتها وقدها المشوق ، وحسبها السوى ، وجمالها الروى ! أما إن كنت من بنات حواء ، فما أسعد آلك بك ، ولشد ما يزهون بجمالك ! كلما خطرت فى ملعب ، أو بدحت<sup>(١)</sup> فى مرتع ... ثم ما أسعد الزوج الذى سيحظى بكل ذلك الجلال ، لا يضارعه فى العالم جمال ! ألا ما أروع ما تبقيين كالنخلة اليانعة فى ديلوس ، عند مذبح أبوللو ، أيتها الأميرة ! ألا كم أتمنى أن ألتئم قدميك ، لولما ينتابنى من روع ، ويؤودنى من فزع — أنا — ذلك المعنى المحزون المشجون ! — أنا — ذلك العبي الموهون الذى أفلت من يد المنون أمس ، كشر له عن نابه فى ذلك البحر اللجى ، بعد سفرة عشرين يوماً من جزيرة أوجيچيا ، وسط أنواء ولأواء ، وموج كالجبال حتى شامت العناية أن تطرحنى بشطآنكم الحبيبة ! ولست أدري ما خبات لى المقادير بعد ! ولكن ، هل ترى مليكتى من أجلى ، وهى أول من لقيت فى هذه الأرض بعد طول عتائى ، فترشدنى

(١) مشية الحسناء

الأشعث تلبداته التي كانت تبدو كأنها أزهار الخزامى... ثم هي بعد كل ذلك تضيء عليه أمواها من البهاء تظلل بها صدره ، كأنما هي فلكان الصناع يعمل حلقة من فضة وذهب ، وجلس على الشاطئ في رونق وروعة ، حتى إذا لمحته الأميرة المذراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها : « تالله يا صديجات لقد شككت في حال هذا الرجل أول الأمر ، واقد حسبته أفاقاً من رعاغ الناس ، لولا أنني أثق أن الآلهة لا تسوق إلى بلادها الحبيبة هذا الصنف من البشر... أما هو الآن ، فلشد ما يشبه أرباب السماء ! أواه ! لوددت أن يكون لي زوج في بهائه وحسن سمته ، على أن نبقي آخر الدهر هنا... هلم يا وصيفات... قد من له طعاماً وخرّاً »

ومد دن أمامه سماطاً كبيراً ، وزودنه بأحسن الأشربات والآكال ؛ وأخذ أوديسيوس في أكلته حياءً متأدياً ، يرد عنه تلك المسغبة الطويلة التي أنهكته وأوهت قوته

ووضعت أحمال المطارف والثياب فوق العربة ، وشدت البغال ، واستوت الأميرة في مكانها ، ثم هتفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم أيها النازح الغريب ! إلى المدينة إذن ! إني سأرشدك إلى قصر أبي ، حيث ثلقاه في جمع من أشرف الفياشيين وسننطلق وسط هذه الحقول ، وإن لي معك من أجل هذا لكامة... لقد بنيت مدينتنا فوق صخرة راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل بينها وبين فرضتها جسر ضيق تقرر على جانبه سفائننا ، رابضة متراصة ؛ ثم ينهض عندها معبد نبتيون العظيم ، وبجواره سوق المدينة المبني من الحجر الصلد ، حيث تباع حبال السفن وشراؤها ، وحيث تصنع مجاذيفها وأكثرت عتادها — لأن الفياشيين لا يعنون بشيء عناية بهم هذه المنشآت في البحر

كلأعلام — والذي أخشاه أن يرانا الناس ثمة فيدهم هزوا بنا ، وقد يسلفوني بالسنة حداد ، قائلين في سفاهة وتندر : ترى ؟ من يكون هذا الغريب النجيب الهرقلى الذى يقص أثر الأميرة ابنة الملك ؟ أى صدفة جمعت شملهما يا ترى ؛ سرعان ما تراها تزف إليه عرساً كاعبا... قد يكون ضيفاً غير محمود من أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلواتها وتسبيحها واحداً من الآلهة أبق من السماء ليقر في حضنها إلى الأبد... الحمد لله الذى من عليها بزواج سعيد من بلاد غربية يشبع أمانها الجائعة بعد أن رفضت الأيدي الكثيرة التي تقدمت إليها من أبناء الفياشيين... هكذا سيقول الناس إن رأونا أيها الرجل ، ولهم الحق ، فأنا نفسى لا أعنى من اللائمة فتاة عذراء تستبجح أن تمشي مكشوفة مع رجل غريب قبيل عرسها... ولكن اصغ إلى : إنك واصل حتماً إلى أبي إذا اتبعت نصيحتي.. بعد قليل سيصل ركبتنا إلى حرج أشجار الحور المقدس النامى في تخوم الطريق باسم ربة العدالة والحكمة ميثراً... وإن عنده لنبعاً يترقرق وسط كلاً وأعشاب... وإن عنده لحديقة أبي ، الحنة الضحوك المثانف ! قف ثمة حتى إذا دخلنا نحن المدينة وحصاننا في بيت أبي ، فتقدم أنت وادخل المدينة واسأل أيا من الناس ، ولو طفلاً يافعاً ، عن قصر الكينوس الملك ، أى الحبيب ، فانه معروف مشهور لا يضارعه منزل آخر في سمته وأهله ؛ فإذا دخلته فلا تتوان لحظة ، بل سر قدماً حتى تلقى أمى جالسة لدى الموقد المتأجج بجانب عمود مرمرى مكبة على غزلها الصوفى الموشى بأصباغ البحر ، ومن حولها وصيفاتها يعاونها في إنجازها — وقريباً منها ترى أبى مستويماً على عرشه يطعم ويشرب كأحد آلهة الأولب... لا تكلمه...



# سيرة الجن الهولك

مشرحة شعرية في أربعة فصول

للكاتبة الفرنسية ماري رستان

بمتر الأستاذ خليل هنداوي

وأفسي قلباً إلى ! فان  
وجهك - تحت شعاعي  
الذي يواريه ظلك - يشبه  
وجه أوديب ، فكن حذراً  
باريس - أنا مثله خاشاً ؛  
لا أخشاك !  
أبو الهول - أدن  
يا مارسلليوس !  
مارسلليوس - أجد  
بعض التأثير على قلبي

أبو الهول - ألهذا السر جثماً !  
مارسلليوس - وهو الذي جثمتنا العناء  
أبو الهول - ( ويراها الأحدث سنأ ، فيانفت إليه  
برأفة )  
إنك تشبه قيصراً الصغير ، إنه ظل ذهب ولم يعد  
باريس - لم نأت لهذا ، يجب ألا نحوم حول  
الهوة التي تريد اللقاء فيها . إن صوتك تارة يتبعنا  
وتارة يصبح بشري اللهجة . إننا لم نأت لهذا ،

أبو الهول - ساني إذا عما تطلب ؛ أنا مصغ  
إليك !  
باريس - تريد أن تعلمنا سر ؟ وهو أكبر  
الأمرار في هذا الطريق ، وهو السر الوحيد في  
هذا الوجود

أبو الهول - لقد قلت لكما ...  
باريس - يجب أن تنبئنا ...  
أبو الهول - كنت إخالك أكثر شجاعة

يناجي ابنة چوف ، المدرعة بايجيس  
وهنا . . . وقف أوديسيوس بصلي لينرثا :  
« يا ابنة چوف القوي المتعالي اسمي لي ! أصيخني  
الآن ياربة ! لقد تصاممت عني إذ كانت اللجج  
تلقني فراعيني الآن ! اجمل لي مرفقاً في أمري ،  
وهي لي محبة ورحمة من قلوب أبناء الفياشينين  
أنسي بها آلامي . . ( آمين آمين ! )  
ولبت ربة الحكمة واستجابت لدعائه . بيد  
أنها احتراماً لعمها ( نيتيون ) الذي لا يفتأ يقتني  
أثر أوديسيوس ، عدوه الأكبر لم تشأ أن تبدو له  
( يتبع )  
دربني ضربه

بل جاوزه إلى أمي الرؤوم ثم سل حاجتك تقضها  
لك ، وتعدك إلى وطنك مهما كان سحيقاً نائياً ..  
أثر في صميمها عامل الخير والمحبة ، تردك إلى آلاك  
وذويك وبلادك .. وسلام عليك »  
ثم إنها ألهمت ظهور البغال فانطلقت تمعدو  
مولية عن النهر الذي صار يبتعد قليلاً قليلاً ..  
وكانت نوزيكا آخذة بزمامها لتكبح من جماحها ،  
حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها  
وكانت الشمس تصبغ بالورس جبين المغرب  
حينما وصل الزكب إلى حرش مينرثا المقدس ، الذي  
نهض حوره الباسق في السماء نضراً ملتقاً كأنما

أبو الهول — تقول : جرعة ! دون أن تعرف  
أى سر أواريه فى أنوابى !

باريس — كلما أمعنت فى الفرار منى زدت عنبراً !  
لا سر يميت الروح المنيرة ! النروح ! أريد  
— منك — بياناً أيتها الشملة التى تهافت على نارها  
فراشات كثيرة

أبو الهول — أيتها الطالب الغرق فى سبلى !  
هل نظرت — أية درجة بلغ الشحوب فى وجهى ؟  
تعال وانظر إلى أشعة القمر وانهم ! فالسر الذى  
أكتمه هل يخلق هذه النشوة التى تودع فى هذا  
الشحوب الذى يزيد تفكيره وتأمله كلما زاد تأمله .  
تعال انظر على شمع نارك الذاهل ، أتريد دائماً  
أن تعرف الأشياء التى أعرفها ؟ هل تريد دائماً أن  
تفرق فى روى الباعثة على الروع ؟ هل تريد  
الحقيقة الأكثر بأساً ؟

نعم ! هل تريد دائماً يا باريس ؟ بعدما رأيتنى  
وعلمت أنى أكثر الكائنات بأساً لأنى أكثرها  
خلوداً !

باريس — نعم : أريدها  
مارسلليوس — نعم : نريدها ، نريدها  
أبو الهول — مع كل ذلك ؟  
الاثنان — مع كل ذلك  
أبو الهول — لا شئ يستطيع أن يحيا بعد  
معرفة لغزى ! لا يستطيع ..

الاثنان — تكلم !  
باريس — أريد ذلك  
مارسلليوس — أريد أيضاً  
أبو الهول — لا أستطيع أن أجيبكما معاً !  
مارسلليوس — ماذا تقول ؟

وأنت تدري أننا لا نحفل بشأن الملوك الفانين ،  
والآلهة الغابرين ... نريد سر هذا الكون البعيد .  
أنت تعرفه ؟ قل لنا !

أبو الهول — وإذا ...  
باريس — قل لنا على أى حال !  
أبو الهول — ( بعد لئى ) لا ...  
باريس — هذه كلذك الأخيرة ؟  
أبو الهول — ما أجل هذا التحدى ؟ وإذا  
كان توفى عن الكلام ..  
باريس — كفالك ..

أبو الهول — وإذا كان من حسنة العالم بالغيب  
أن يبقى ساكناً ! وإذا كان التراب سيواربكم غداً  
فلماذا تعيشون ؟ وإذا كان صمتى أسى ماتعطيه رحمتى  
باريس — كفالك كذبا وهتانا !

أبو الهول — وإذا كان سكونى فى الليل أكبر  
ما يمنحه قلبى الهادى ؟ وإذا كانت الحياة الخالية  
من المعرفة خير وسيلة ..  
باريس — ( بذهول )

كيف تستطيع أن تعرف قلوباً كقالبى . يمكننى  
أن أحتمل كل شئ !

أبو الهول — إنك تظن ذلك أيتها البطل !  
« هملت » كان يقلب جمجمة فى المقبرة بكفه ولكنه  
كان لا يدرك الكلمة النهائية حين كان يقلب !  
ربما كان فى الشك سعادة : فاحفظ ذلك وامنض  
لطيتك !

باريس — لا أريد أن أبرح المكان !  
أبو الهول — يا للضحية التاعسة ! ولكنى  
سأصمت ..  
باريس — صمتك جريمة



إلهي ! إن قلبي يدق سريعاً ، والصحراء  
— يخيّل إلي — أنها زادت آماداً ... إني أقدم  
عليك يا أبا الهول ، وروحي المتيقظة الآن تصعد  
إليك أيها النور العجيب ! أرقق إليك ... أقبل  
عليك ... وأسمعك ...

( رقى مارسليوس إليه ، وكان الليل شاملاً ...  
ينحنى على فمه ليقول له السر ، وباريس يتأمل جميع حركات  
هذا اللصيف من الخلود والفناء ، مارسليوس يهني ، وتراه  
يصفر لونه تحت ضوء القمر ، ثم تنطبق عيناه وتنخزل قواه  
كمن أصيب بصاعقة )

باريس — ( ملقياً بنفسه على جثة أخيه )  
النجدة ! النجدة ! مارسليوس ! ليس هذا  
بحقيقة . أخي لا تغلق هكذا جفنيك ! كلني ...  
أجبنى ! ها أنا بباريس يناديك باكياً ...  
( يفكر فجأة أمام الجثة في السكيات اللاتينية التي كان  
يلفظها الفم الحى ويردها )  
إنك ستغدو كمارسليوس !  
( بألم وبكاء )

هل جئت بك من إيطاليا إلى الصحراء ، إلى  
الموت ، إلى السكابة ؟  
ألا تنفس قليلاً وأجبنى خلاك ذم ! إنني محبك !  
أبو الهول — لقد مات إلى الأبد ! أجل !  
مات إلى الأبد !  
( الليل قائم الأحشاء ولا نجمة في السماء . أبو الهول  
وحده يسمع أنين الباكي )

إنه هجر هذه الأرض ، حيث يهوى كل  
شيء ، هذه الأرض حيث نطأ تراب قبورنا .  
انظر إلى السماء التي لا تحد ؛ إن في منتصف هذه  
الليلة آلاف الكواكب المروعة كانت ترتجف  
كأنها عيون متطلعة على مصائبنا . إنها كلمة ؛ بل  
كلمة بسيطة رُجّعت في الليل ، وهذه الظلمة

أبو الهول — انتخبنا أحداً !  
مارسليوس — باريس ..  
أبو الهول — ( بعد صمت طويل )  
مارسليوس !  
مارسليوس — أخي ! لقد اصطفاني الآلهة  
الحجري ...

باريس — ستقول لي ما يحدث بك به  
مارسليوس — ولماذا هذا الانتقاء الغريب  
الذي أثرته ؟  
أبو الهول — في اللحظة التي ستعرف فيها هل  
تضطرب أحياناً ؟  
مارسليوس — لا أحد منا يخشى ! إن هناك  
ظماً شديداً !  
باريس — اذهب وليبدأ ! امض يا أخي  
المحبوب ! يا قطعة من قدرى ! يا خفقة مضطربة من  
صباحي ! اذهب واقتطف الحقيقة ... هي لنفسى  
أيضاً ... الحقيقة

مارسليوس — ( بذهول وغبطة )  
يا أخي ، يا قطعة من ذهب ونار ! أليس قلبي  
قلبك ؟ إنني في طريق المعرفة ... يا المساء البهي !  
إن هذا يكفر عن المشقة التي تحملناها . سأعرف  
الكلمة ، كلمة العلم الانساني  
أخي ! يشبه لي أنف كوكباً جديداً سطع  
في دمي

سأعلم كل الحقائق العميقة ، فقبلني قبلة عميقة  
عنيقة يا أخي الأوحده ! إن رعشة عميقة تتمشى  
فوق ذوائب النخيل ... لقد كنت على حق  
يوم هجرت مصنعي وحببتي ، وروما وفنوني  
وليالي الحب  
( يرقق ويقف على أبي الهول )

انتشرت سدولها في كل مكان . لأن السر الأعظم  
الذي أواريه تحت نقابي يميت القلوب ، ويطغى  
النجوم

باريس - لتسمعي سماء خامدة النور !

أبو الهول - لن يصعد شهيقك إلى السماء !

باريس - اصمت ! اصمت أيها المارد المرعب ؟

أبو الهول - لقد بدلت لهجتك ...

باريس - لهذا الأمر أعجبك هذا الفتى ...

أبو الهول - كل من أفشيت لهم سرى

الحقيقي هلكوا دون أن يفوهوا بلفظة ... وهذا  
واحد منهم

باريس - اصمت ...

أبو الهول - ليس في هذا المنظر شيء عندي !

ولقد أضحك أمام ميت !

باريس - وميتان يزيدان إعجابك ، إذا لا حربة

فيه ، لأنك ستكلمني بدوري ! بهذا الجسد التمزق

وهاتين العينين الهامدتين ألا ما تكلمت وحدثتني !

لأنني مصر على ذلك . فان قلبه الهالك لأكثر

معرفة من فؤادي الحى . وعيناه الغمضتان المحدثتان

قد ملأتهما اللانهاية

( يرقى باريس إلى التمثال كما صنع مارسيللوس ، وفي

هذه اللحظة توافيه إيزابيلا وتصد برداء أبيض شفاف )

### المشهد الرابع

باريس ، مارسيللوس (طريحا على قدمي أبي الهول) ،

أبو الهول ، إيزابيلا

إيزابيلا - ( بصيحة شديدة )

باريس ! لا تصغ إليه !

باريس - إيزابيلا !

إيزابيلا - حنانينك ! لقد وجدت آثارك

على الرمال المتقلبة !

لقد هلك مارسيللوس - أتريد رجلا آخر

يهلك بعده ؟

تعالى إلى ! وفر من هذا المكان الذي يهيم

عليه الموت ، واهرب من هذا السر القاتل ! واج

من هذا الموت الذي يخرج من قلبه ... إلى

سأحمل إليك الفرار - يا حبيبي باريس !

أبو الهول - ( بصوت ليس أعذب )

إنه لن يصنى إليك وإن يسمع نجواك ! هولى ،

ولا شيء يستطيع أن يستنقذه مني

إيزابيلا - ألم أكن جميلة بمقدار ؟ ألم أكن

رفيقة وحنونا ؟

باريس - ( مبتعدا عن أبي الهول قليلا قليلا )

إيزابيلا !

أبو الهول - أما تشاء أن تعرف سرى ؟

أغلب عليك الوجع ؟ أراك أصبحت شاحب اللون

باهت الوجه ! لقد رن صوت ملهب هادما السحر

الذي يربط قلبي ... اذهب أيها الهيوب الخاشي

ميتة مثل ميتة أخيه

باريس - ( إيزابيلا تتعلق به )

لا لا ! دعيني ...

إيزابيلا - باريس

باريس - أود أن أعلم ...

أبو الهول - اذهب أيها الهالك ، واضرب

لمشيقتك موعدا في مساء

إيزابيلا - لدى من القبلات الحية التي تبعثها

الحبة الملهبة !

أبو الهول - ولى - فى الليل - صوتي

الرنان ذو الأسرار



(شاحب اللون ، كأنه يرتقب أجله . لكنه فجأة يفهم أنه لا يزال حياً ، وبصيحة الظفر ) :

إني أحيأ ...

أبو الهول — ( بنعجب )

ولماذا لم تمت ؟ وبأى حق تظل في الحياة ؟

باريس — أنا حي ...

أبو الهول — لا يعيش من يعرف سرى !

باريس — أنا حي ...

أبو الهول — أتجيب عارفاً الكلمة التي تهتز

لها قمتي ؟ لا يقدر أحد على ذلك !

باريس — أنا أول من يقدر !

أبو الهول — لن تقدر ! وما قدر أحد على

ذلك . الكل يجهلون سرى ...

باريس — عرفت سرى ولا أزال أحيأ ...

نعم ! لا أزال أتنفس وأحيأ ! وأنت أيها الحبيب

الضعيف العزم لأنك لم تستطع أن تطبق عينيك

على السر ؟ يا رفيق صباي ، ثم هادئاً قرير النفس !

إني سأبجز وعدي ، وسأعود الى ابداعي الأول ،

فالمعمل وحده يذهل عن الألم الكبير . ومن أجلك

أيها الوجه الشاحب ، سأجعل جوابي على سر

الموت قطعة تندفق فيها الحياة . وهكذا تظل حياً

في آثاري وابشكاري ..

( يقترب من جثة مارسيلوس وبرقة زائدة وحنان

عميق مؤثر حمله وألقت إيزابيلا موشعها على وجهه الشاحب

وقبل أن يتعمد أجيش بالبكاء وودع أبا الهول ) :

— وداعاً

( باريس يتوارى وخلفه إيزابيلا ، وبعد لحظة يظهر

أبو الهول ، بفتحة ضاحكة قائلاً بنفسه ) :

— لم أقل الحقيقة إلا لمارسيلوس !

الستار

فيليب هنديري

إيزابيلا — اذكر سمادتك ، والأيام التي

قضيتها في حبي !

أبو الهول — إني أعرف قبلة لا تنتهي أبداً

باريس — لا لا ... أريد أن أعلم !

( يعود إلى أبي الهول )

إيزابيلا — ( متوسلة إلى أبي الهول )

آه يا ملك الرمال ! كن أكثر إشفافاً على منه .

ألا تبصر — إزاءك — امرأة تبقى البقاء طيلة هذا

الخلود الشاع البارد ! لا أملك إلا هذه اللحظة

الانسانية التي تصرمني ... فالقرون — لديك —

تتراكم تائهة حائرة . يمضي فريق ويعود فريق !

أفـن هذه القرون إذا كان فك الخالد لا يمنح إلا

الموت للحب الذي يناديه !

أما هذا فلا تذوقه الردى — إنك إن تفعل

تقضى على معه غداً — لا أملك من الزمان إلا عمر

حبه ، هو إيماني الذي أعتقد ، وحياتي ، وكوكبي

الصاعد ، الحياة خالية إلا به ... إنك إن تقتله ...

أبو الهول — ( لباريس )

اصعد ...

إيزابيلا — إنك لن تمنح هذه العين التي

أعبدتها !

إنك

أبو الهول — لقد كنت أتردد في أمرك ...

قد انتهى كل شيء ... سأ كلمك !

( يرقى باريس كمارسيلوس ويودعه سره )

باريس — ( وهو يسمع كلماته )

إنني أسمع ... أسمع ... وبعـد . وبعـد . وبعـد !

( عاد إلى إيزابيلا الشاحبة ، وهو يكاد يسقط على الأرض

كمارسيلوس )

إلهي ... إنني ماثت لا محالة !







# الرسالة

بجندركم سبعة لله في العلم والفن

مجلة الاداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب  
على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأفكار مصر وعرواح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد المصرية

الرسالة : تصور مظاهر الحضارة الحديثة المصرية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الاداب المصرية

الرسالة : تعني في النشر، أساليب البساطة المصرية

مجموعة اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك المأخوذ من قرش واحد والخارجي ما يساوي جنيها مصرية والبلاد العربية بنحو ٢٠٪

طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرقش رقم ٣٥ - تلفون ٥١٥٢٢





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الرواية

مجلة أسبوعية تلفظ قصص والتاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد التاسع ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ - ١ يونيه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



## فهرس العدد

صفحة	الموسم	لجى دى موباسان	بقلم أحمد حسن الزيات
٥٢٢	من غير عنوان	للقصصى الروسى تشيرل كوف	بقلم الأديب محمود البدوى
٥٢٦	غرام ادوارد الثالث	مسرحية انجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى
٥٢٩	مات الملك عاش الملك	لمارى كوليردج	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد
٥٣٤	يوميات نائب فى الأرياف	صور مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٥٣٩	الحياة	أقصصة مصرية	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٥٤٥	ليلة ممطرة	لفيلكس براون	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٥٥٥	القلب المحطم	لواشنطن ارفنج	بقلم الأديب حسين محمد كامل
٥٦١	اعترافات فتى العصر	لألفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٥٦٥	الأوذيسة	لهومبروس	بقلم الأستاذ درينى خشبة
٥٧١	سر أبى الهول	لموريس رستانت	بقلم الأستاذ خليل هندأوى





ينظر إليهم عن عرض نظر الحسد والحنق . وربما  
قضى أعصار أيام العطلة الطويلة بعد هؤلاء واحداً  
بعد واحد ، ثم يقول لنفسه : « ما أكثر من لقيت  
منهم بين شارع المادلين وشارع درو ! »

كان يمشي ويبد الخلى يفحص ملابس الناس  
بمعينين قد صرنا على تمييز تلك النقط الحمراء من بعد ،  
حتى إذا بلغ الغاية من نزته كان عجباً من عدد  
الموسمين قد بلغ الغاية من نفسه : « ثمانية أو سبعة  
من رتبة ضابط ، وتسعة عشر وساماً من رتبة فارس .  
ذلك كثير ! وإن من السفه أن تبذر الحكومة هذا  
التبذير في الأوسمة على هذه الصورة . تأمل فظاعة الحال  
إذا لقيت مثل هذا العدد في الجمعة ! » ثم يعود  
أدراجه وهو يهوى في مشيه ؛ فإذا شغلته زحمة الناس  
عن الفحص فأذهلته عن واحد من الموسمين هاج  
هائجاً وانتفخ سحرة

كان يعرف الأحياء التي يكثر فيها أولو الأوسمة ؛  
فهم كثر العدد في شارع ( باليه رويال ) ؛  
وعندهم في شارع الأوبرا أقل منه في شارع  
( دلايه ) ؛ وهم على عيين ( الباقار ) أكثر منهم  
على يسراه . ثم هم يفضلون بعض المقاهي والملاهي  
على بعض . وكما رأى السيد سكرمنت شردمة من  
ذوى الشعور البيض يقفون على طوار الشارع

في الناس من يولد ومعه غريزة متسلطة ،  
فلا يكاد يبلغ حد التفكير والتعبير حتى تتحرك في  
شعوره وتصرخ في دمه . فالسيد سكرمنت لم يجل  
في ذهنه منذ طرأة سنه إلا فكرة واحدة : هي  
أن يكون موسوماً ، أو حامل وسام . فكان وهو  
في حدائنه يحمل وساماً من الزنك كما يلبس الأطفال  
قبعات الجنود ، ثم يقدم يده في عظمة وزهو إلى  
معمونة أمه في الطريق وقد رفع صدره الصغير المزدان  
بالشريط الأحمر والنجمة المدنية . وبعد أن درس  
دراسة سقيمة عقيمة فشل في امتحان البكالوريا .  
ثم التاث عليه أمره ولم يدر ما يصنع ، فتوسل بغناه  
إلى أن تزوج من فتاة جميلة . ثم عاش هو وهي في  
باريس عيش السراة من الحضر بلا بسان عالمهما  
ويعتزلان عالم الناس ، ويهيجان بصداقة ضابطين  
من ضباط الفرق ، ويفخران بمعرفة عضو من أعضاء  
مجلس النواب يمكن أن يصير يوماً ما وزيراً . ولكن  
الفكرة التي سكنت رأس السيد سكرمنت منذ أيامه  
الأولى لم تزل حديث أمانيه ولبال صدره ؛ فهو  
لا ينفك فريسة للألم الملح لأنه لا يملك الحق في أن  
يحمل على رذنجوته ذلك الشريط الصغير الملون .  
وكان منظر الموسمين ( Décorés ) الذين يلقاهم في  
الشارع الأكبر يروع فؤاده ويوقد صدره ؛ فهو

ودهشة : « درجة من درجات الأكاديمية ؟ وماذا فعلت حتى تبلغ ذلك ؟ فأجابها في حدة وغضب : « إفعلى ما أريد . إنى أبحث فيما ينبى أن أعمل - إنك غبية فى بعض حالاتك » فابتسمت الزوجة الحسنة وقالت : صحیح ! إنك على حق ، ولكنى لا أعرف أنا ماذا ينبى ! » فسنحت للرجل فكرة فقال : « لعلك إذا كملت النائب (روسلين) فى هذا الموضوع ظفرت منه بنصيحة ثمينة . أنا كما تعلمين لا أجرو على أن أبدأ بهذا الحديث . ذلك شئ دقيق محرج ؛ فإذا صدر عنك كان طبيعياً لا حرج فيه نزلت السيدة سكرمنت على مقترح زوجها ، وذهبت إلى النائب روسلين فوعدها أن يكلم الوزير . ولما احتثه السيد سكرمنت قال له النائب : لا بد أن يقدم طلباً يسرد فيه شهاداته ودرجاته . شهاداته ودرجاته ؟؟ إنه لم يحمل من ذلك شيئاً حتى البكالوريا . على أنه مع ذلك عكف على العمل وشرع يؤلف رسالة عنوانها : ( حق الشعب فى التعلم ) ، ولكن الأفكار لم تواته فمجز عن إتمامها . ثم أخذ يبحث عن موضوع أسهل منالاً وأقرب مصدرأ ؛ فخرى على باله هذه الموضوعات متعاقبة : « تعليم الأطفال بالنظر » ويريد بذلك أن ينشأ فى كل حى من الأحياء الفقيرة مسارح بالمجان للأطفال يحشرهم فيها والدوم فيتلقون بها مبادئ المعارف البشرية عن طريق الفوانيس السحرية . تلك دروس حقيقية يعلم النظر فيها المخ ، فتبقى الصور منقوشة على لوح الذاكرة ، ويصبح العلم منظوراً بهذه الطريقة . ولا نجد أسهل منها فى تعليم التاريخ العام ، والجغرافيا ، والتاريخ الطبيعى ، وعلوم النبات

فيربكون المرور ، قال لنفسه : « هاك ضباطاً من وسام جوقة الشرف ! » ثم تملكه الرغبة فى أن يتقدم إليهم فيسلم عليهم ثم لاحظ أن لضباط هذا الوسام مشية تختلف عن مشية فرسانه ، وأن أوضاع هاماتهم على عواتقهم تختلف فيهم عنها فى الناس ، لأنهم يشعرون أن لهم باسم الحكومة اعتباراً أعلى وخطراً أجلى . ثم تأخذه فى بعض الأحيان سورة من الغضب الاشتراكي الحاقد على الموسومين . ثم يرجع إلى منزله وقد هيجت رغبته رؤية الأوسمة ، كاتهبج رؤية الأظعمة شهوة الجائع ، فيقول فى صوت قوى : « متى تتخلص من هذه الحكومة القذرة ؟ » فتسأله زوجته وقد فجأها هذا التصريح : ماذا بك اليوم ؟ فيجيبها : « إن مابى هو السخط على الجور الذى يقترف فى كل مكان . لعمري إن الشيوعيين على حق ! » عاد بعد الغداء نخرج ، وأخذ يتأمل ممرض الأوسمة فى بيوتها ويتوسم علامتها المختلفة الأشكال والألوان ، فود لو أنه ملكها جماء ، وأنه أصبح على رأس موكب نخم فى صدر قاعة حاشدة ، تتلأأ على صدره هذه الأوسمة ، وقد رُكبت أنواطها المفوفة واحداً فوق واحد على حسب درجاتها المتفاوتة ، ثم عشى مشية النافج الوقور وهو يتوهج توهج الشمس فى لجب من همس الإعجاب وهتاف التجلة ولكنته وأسفاه لا يملك لقباً من الألقاب يخوله الحق فى وسام من الأوسمة : إن وسام اللجيون دونور ، أو جوقة الشرف ( كما قال لنفسه ) بعيد المنال عن رجل لا يؤدى وظيفة عامة . فهلا يحاول أن يتال درجة من درجات الأكاديمية ؟ ولكنته لا يعرف السبيل إلى ذلك فتمحدث به إلى امرأته ؛ فقالت له فى عجب



والحيوان والتشريح الخ . ثم طبع هذه المذكرة وأرسل منها نسخة إلى كل نائب ، وعشرا إلى كل وزير ، وخمسين إلى رئيس الجمهورية ؛ ثم بعث إلى كل صحيفة باريزية بعشر ، وإلى كل صحيفة إقليمية بخمس

ثم عالج موضوع المكتبات المتنقلة فاقترح أن تسير الحكومة في الشوارع عربات صغيرة كعربات البرتقال موقرة بأشتات الكتب ، وتجعل لكل ساكن في كل حي حقا في استئجار عشرة كتب في الشهر بصنتيم . وحجته في ذلك أن الشعب لا يشغل باله ولا ينفق ماله إلا في اللهو ؛ وما دام الرجل لا يذهب إلى التعليم فليذهب التعليم إليه على أن هذه الأبحاث لم يعبأ بها لسان ولم يمج بها فكر ؛ ولكنه مع ذلك قدم طلبه ، فأجابوه بأنهم علموه ورقموه ، فلم يبق لديه شك في الفوز . وانتظر ثم انتظر ، فلم يرد على انتظاره شيء . فعقد النية على أن يسعى للأمر بنفسه ، فطلب الإذن على وزير المعارف ، فاستقبله في مكتب الوزير موظف حديث السن ولكنه رصين المظهر ، تمرأنامله على نضد من الأزرار الكهربائية كما تمر يد العازف على مضرب البيان ، فيدهو الحجاب والعلمان والكتابة ؛ فأكد له هذا الموظف أن مسأله تسير قدما في طريقها الواصل وأشار عليه أن يستمر في أبحاثه الخطيرة .

فانتصح السيد سكرمنت وحسر عن يده للعمل أصبح النائب روسلين يهتم أشد الاهتمام بفوز سكرمنت ويشجري له ما استطاع الوجوه العمالية والنصائح الحكيمة . وهو نفسه قد ظفر بوسام لا يدري أحد إلى اليوم الأسباب التي أهلت له هذا التميز . اقترح على السيد سكرمنت دراسات جديدة ،

وقدمه إلى بعض الجماعات العلمية التي تعالج على الأخص مسائل العلم الفامضة ، رجاء أن يدرك من ورائها بعض الشرف ، ثم أوصى به رجال الوزارة وفي ذات يوم كان النائب المحترم يتفدى عند صديقه السيد سكرمنت ( فقد دأب منذ شهور على أن يأكل عنده ) فقال له في صوت خافت وهو يصافحه : « لقد ظفرت لك اليوم بنعمة كبيرة : حملت لجنة الأعمال التاريخية على أن تكلفك خدمة ، فناطت بك أن تقوم ببعض الأبحاث في مكتبات فرنسا المختلفة »

لم يكذب السيد سكرمنت يسمع هذا الخبر حتى استرخت قواه فلم يستطع أن يأكل ولا أن يشرب . ولم يمر على هذا الحديث أسبوع حتى كان الرجل يضرب في مدن فرنسا ، يزور المكاتب ، ويتصفح الفهارس ، ويقلب المخطوطات . وبلغ به المطاف مدينة (روان) فحدثته نفسه أن يركب إلى باريس ليرى زوجته ، فقد مضى على مفارقتها إياها أسبوع

ركب قطار الساعة التاسعة فبلغ منزله منتصف الليل . وكان لديه مفتاح البيت ، فدخل وهو ساكت الصوت صامت الخطى ، يرجف من السرور ويتساقف لذة المفاجأة .

كانت امرأته محبوسة في غرفتها فيا للأسام ! نادى الزوج زوجته من وراء الباب : « يا جان ! يا جان ! إنه أنا ! »

لا شك أن جان قد فزعت وريمت ، لأنه سمعها تثب من فوق السرير ، وتتحدث وحدها كما يتحدث النائم في الحلم ؛ ثم أسرع إلى مقصورة زينتها ففتحتها ثم أغلقها ، وجالت في الغرفة مرارا حافية القدمين سريعة الخطى ، فصدمت بعض الأثاث

— نعم ... وإنه لسر ... سر عظيم !  
ومضت بالمعطف المجيد فغيبته في خزانة الثياب  
ثم أقبلت على زوجها تقول وهي مضطربة شاحبة :  
« هذا معطف جديد استصنعتك لك . وقد أقسمت  
لا أفضي إليك بشيء . إن ذلك الانعام لا ينشر  
رسمياً قبل شهر أو ستة أسابيع . يجب أن تتم العمل  
الذي كلفت به ، ولا ينبغي أن تعرف الخبر إلا بعد  
رجوعك . إن النائب روسلين هو الذي طلب لك  
هذا الانعام »

فاسترخت مفاصل السيد سكرمنت وقال في  
غممة : « روسلين الموسوم ... وسمي بهذا  
الوسام ... أنا ... هو ... آه ! » واضطر المسكين  
أن يشرب كوباً من الماء ...

وكانت على الأرض ورقة صغيرة بيضاء قد  
سقطت من جيب المعطف ، فالتقطها السيد سكرمنت  
ونظر فإذا هي بطاقة قرأ عليها : روسلين . عضو  
مجلس النواب »

فقال له امرأته :

« أرايت ؟ لعلك تصدق ! »

فشهق الرجل من السرور وأخذ يركي من الفرح  
ولم تمض ثمانية أيام حتى نشرت الجريدة  
الرسمية أن السيد سكرمنت قد أنعم عليه بوسام  
اللاجيون دونور من درجة فارس مكافأة له على  
خدمات استثنائية (الزيات)

#### المباراة القصصية

طلب إلينا كثير من الكتاب أن نمد في أجل المباراة  
في الأقصوصة لوقوع الأجل الأول في أزمة الامتحانات .  
فتزولوا على إرادتهم مددنا الأجل إلى آخر يونيو

فصوت ما عليه من أكواب وقوارير وتحف .  
وأخيراً قالت تسأل : « أهو أنت يا إسكندر ؟ »  
فأجابها إسكندر : نعم إنه أنا : افتحي إذن .  
فتح الباب وألقت زوجها قلبها على قلبه وهي  
تقول مغممة : « أوه ! يا للرب ! يا للمفاجأة !  
يا للفرح ! ثم أخذ الزوج ينضو ثيابه على أسلوب  
على مرتب ، شأنه في كل شيء ؛ ووجد معطفه  
على كرسي . فتناول له لبعقه على مشجب الدهليز  
على عادته ، ولكنه وقف بغتة وقفة الداهل  
المشده ، لأنه رأى في عروته شريطاً أحمر ! وأقبل  
على امرأته يجمجم ولا يكاد يبين :

« ه ... ها ... هذا المعطف موسوم ! »

حينئذ قفزت امرأته قفزة فكانت فوقه ،  
وأخذت بيديها المعطف وقالت : « كلا ! إنك  
وام ... أعطني إياه » . ولكنه ظل ممسكاً بأحد  
ردنيه لا يرسله ، وقال في جنون وحدة : « هيه !  
لماذا ؟ أخبريني ... لمن هذا المعطف ؟ إنه ليس معطفي  
لأنه يحمل وسام اللجيون دونور . » فجهدت  
المرأة كل الجهد أن تنزع المعطف من يديه وهي  
مستطارة اللب تدمدم بهذا الكلام : « اسمع !  
اسمع ... أعطني إياه ... لا أستطيع أن أبوح لك  
بشيء ... هذا سر ... اسمع ... » فتكدر الرجل  
وانكفأ لونه وقال : « أريد أن أعرف كيف كان  
هذا المعطف هنا . إنه ليس معطفي » وصاحت المرأة  
في وجهه قائلة : « بلى . اسكت . أقسم لي ...  
اسمع ... لقد أنعم عليك بوسام ... » فاعترت الرجل  
هزة من التأثر تفكك لها جسمه فأرسل المعطف  
من يده وذهب فارغاً على مقدم  
— تقولين ... إني ... إني ... أنا ... موسوم ؟



## من عجائب عنوان

للقصصى لردى تشيكرث  
بقلم الأديب محمود البدرى

نفسه . وحينما يهيج غيظ متمكن ، أو بأمره فرح شديد ، أو يتحدث عن أشياء مروعة تأخذ به نشوة قوية ، ويتسائل الدمع من عينه اللامعة ، وتضرب وجهه الحرة ، ويدوى صوته كالرعد . هنا يحس الرهبان المستمعون أن أرواحهم تذبذبها عظمتها وأنها تفنى فيه . لقد كانت قوته في هذه الدقائق العظيمة العجيبة لا تحده ، فلو أمر شيوخ الدير أن يقدفوا بأنفسهم في البحر لاستبقوا إليه مسرعين

كان موسيقاه وصوته وشعره الذى يبتهل به الى الله منبعا لسرور الرهبان لا ينضب . ففي مدة حياتهم الرتيبة تنقلب الأشجار والأزهار والريبع والحريف إلى أشياء مملّة ، ثم يلقفهم هدير اليم الزاخر ، ويصبح شدو الطير مملول النغم موزون الجرس . ولكن سجايا رئيسهم كانت لهم بمثابة القوت المحيى والقوة المجددة

كمرت السنون وما زالت الأيام تشابه الأيام ، والليالى تحاكي الليالى ، ومادنا من الدير أحد ، اللهم إلاضوارى الوحش وجوارح الطير . وكانت أقرب المساكن الانسانية بعيداً جداً . ولا تصل إليها من الدير أو تصل إلى الدير منها حتى تمر صحراء ذرعها مائة ميل

والذين يجرؤون على القيام بهذا هم أولئك الذين لا يجمعون للحياة قيمة ولا يقيمون لها وزناً ، والذين نبذوها وراءهم ظهرياً ونقضوا أيديهم منها جملة . يولون وجوههم شطر الدير وكأنهم يسرون إلى القبر

ولشد ما كانت دهشة الرهبان عند ما قرع بابهم في ليلة من الليالى رجل برهن لهم على أنه من

كانت الشمس في القرن الخامس عشر تشرق كل صباح وتغرب كل مساء كما هي اليوم . وحينما تقبل أشعتها الأولى ندى الأرض تنفض هذه عنها غبار الكرى ، وتشيع في الدنيا البهجة ، ونحلو الأماني ، وتعود الأرض في المساء إلى سكوتها ، ثم تنفوس في غياهب الليل . وقد ترى أحياناً سحابة راعدة تلوح ، ويقصف الرعد وهو يزجر ، أو تهوى نجمة من شاهرقي وهي وسنى ، أو يقبل راهب حثيث الخطى صاحب اللون ليخبر رفاقه بأنه رأى نمرأ قريباً من الدير . كان هذا كل شيء ؛ ثم تعود ثانية الأيام تشابه الأيام ، والليالى تحاكي الليالى

كان الرهبان يصلون ويعملون : أما رئيس الدير فيعزف على الأرغن ، ويقرض الشعر اللاتيني ، ويؤلف النغم الموسيقى . وكان للكهل الحلو الوديع ذكاء فادر وسجايا خفيفة . فهو يعزف على الأرغن ببراعة ، حتى أن معظم الرهبان الذين يضمف سمعهم كلما قربت نهاية حياتهم ما كانوا يستطيعون أن يحبسوا دموعهم كلما هفا صوت أرغنه من صومعته . وعندما يتكلم ولو عن الشئون العامة كالشجر الوريث والوحوش الضارية والبحر الخضم ، لا يسمعه إنسان دون أن ترى دمعته تترقرق في عينيه ، أو بسمة ترتسم على شفتيه . فيخيل إليك أن الأنغام التى تتجاوب في الأرغن هي بيمينها التى تمتلج في

سكان المدينة ؛ وكان هذا الرجل أكثر الناس ارتكاباً للأثم وجبا للحياة . وقبل أن يصلى أو يرجو رئيس المدير أن يباركه طلب طعاماً ونبیذاً

فلما سألوه عن سبب قدومه من المدينة إلى الصحراء قص عليهم قصة صيد طويلة : خرج يطلب الصيد ومعه شراب كثير فضل الطريق ، وعند ما أشاروا إليه أن من الواجب عليه أن يمسي راهباً أجابهم في ابتسام :

« لست لكم بصاحب ! »

شرب وأكل ملء بطنه ، ثم رفع بصره إلى الرهبان الذين يقومون بخدمته وهز رأسه لأعماً وقال :

« إنكم معشر الرهبان لا تعملون شيئاً ، كل ما تعنون به هو طعامكم وشرابكم . هل هذه هي الطريقة لخلاص أرواحكم ! فكروا الآن ! بينما أنتم تعيشون في هدوء هنا ، تأكلون وتشربون وتحملون بالخيرات والبركات إذا باخوانكم هناك قد كتب عليهم عذاب الجحيم . انظروا ما الذى يحدث في المدينة ! بينما بعض ناس يموتون جوعاً ، إذا بالآخرين لا يعرفون كيف ييذرون الذهب . ينغمسون في الدعارة ويهلكون فيها كما يهلك الذباب في العسل ؛ ثم لا صدق ولا إخلاص بين الناس . من الذى يجب عليه انتشالهم مما هم فيه ؟ أنا الذى أروح صريع الكأس من الصباح إلى المساء ؟ هل أنتم الله عليكم بالإخلاص ومن عليكم بالحب وجباكم القلوب الرحيمة ، لتجلسوا هنا بين هذه الجدران الأربعة ولا تعملون شيئاً ؟ »

وكان كلام الرجل السكير ينطوى على الجرأة

والقحة ولكنه أثر تأثيراً غريباً في رئيس الدير ، فنظر هو والرهبان بعضهم إلى بعض ثم قال رئيسهم بوجه شاحب : « إخوانى ! إنه لحق . فصحيح أن الحماقة والضعف البشرى جرفا الأنسانية النعسة في تيار الجحود والاثم فأهلكاها وقضيا عليها . وما نحن أولاء لا نريم من هذا المكان كأنه لا عمل لنا ولا واجب علينا . لماذا لا أذهب إليهم فأذكرهم بالمسيح الذى نسوه ؟ »

نالت كلمات رجل المدينة من نفس رئيس الدير ، ففي اليوم التالى أمسك بمكازه وودع إخوانه وركب الطريق إلى المدينة ، فأمسى الرهبان لا ينعمون بموسيقاه ولا بحلو حديثه ولا برائع قريضه

ترقبوه شهراً ثم شهرين فما عاد ؛ وأخيراً في نهاية الشهر الثالث سمعوا نقر عصاه المألوف تخف الرهبان لملاقاته وأمطروه بالأسئلة ، ولكنه بدلا من مشاركتهم في حبورهم بكى بكاء مرأ وما نبس بينت شفة . رأى الرهبان أنه أصبح نحيلة وأن أعراض السكر قد بدت على ملامح وجهه

فما تمالك الرهبان وقد رأوا منه ذلك أن أجهشوا بالبكاء ؛ وسألوه عما يبكيه ، فما أجابهم بكلمة ، وغادروهم موصداً عليه بابه ومكث في صومعته خمسة أيام ما شرب فيها شراباً ولا طعم طعاماً ولا عزف على الأرغن . ولما طرق الرهبان عليه بابه وألحوا عليه في الخروج ليشاركوه في أساء كان جوابه الصمت العميق

خرج من معتكفه أخيراً وجمع حوله الرهبان وأخذ يقص عليهم ما حدث له خلال الشهر



نصف غارية على منضدة وسط القاصفين ، ويصعب عليكم أن تتصوروا شيئاً أكثر فتنة وسحراً منها ! صبي فاضر زاهر ، وشعر طويل جتل ، وعينان سوداوان لامعتان ، وشفتان مكتنزتان محمرتان ، ثم سفاهة وجرأة وقحة . هذه الهيمنة تبتسم فتفتقر عن أسنان بيضاء كالبرد كما أنها تقول : « انظروا ! إني جميلة ومستهترة ... » وتبدل من عاتقها الملابس الحريرية البديعة المشجرة . على أن جمالها لا تحبثه ملابس ، لأنه بشره يفسح لنفسه الطريق بين طيات ثوبها .. كأنه الأعشاب الصغيرة وهي تشق لنفسها الطريق في الأرض زمن الربيع . وتشرب المرأة التي لا تستحي النبيذ ، وتغني الأغاني ، ثم تستسلم بعد ذلك للمعربين ... « لوح الرجل الكهل بذراعيه حانقا ثم استمر يصف لهم سباق الخيل ، وصراع الثيران ، والملاعب ، وحوانيت الفنانين حيث يعرض هيكل المرأة العارية مرسوما بالزيت أو منحوتا بالصلصال

\*\*\*

كان الرجل في حديثه لسفا ملتقماً جهوري الصوت حلو الجرس كأنه يعزف على آلة موسيقية لا تقع عليها العين ، والرهبان ذاهلون عن أنفسهم ، غائبون عن رشدهم ، وقد أمرتهم كلماته وسحروهم ببيانه ، فهم يلهثون من فرط السرور . فلما فرغ من وصف اغواء ابليس وفتنة الفسوق وسحر المرأة لعن ابليس ثم غادر المكان واختفى وراء بابه فلما خرج من صومعته صباح اليوم التالي لم يجد راهبا واحدا في الدير . فقد انطلقوا جميعاً مسرعين إلى المدينة !

محمد البردي

الثلاثة التي خلت والدمع ينضح وجهه والألم بأكل قلبه ؛ ثم هدأت نفسه وتهللت أساريره حينما أخذ يصف لهم رحلته من الدير إلى المدينة . غنى الطير وخر الجدول على جوانب الطريق ، وجاش صدره بالأمانى الحلوة والآمال المعسولة . شعر بأنه جندي يتهبأ لافتحام الموقعة والوصول إلى النصر المحقق . سار حالما يقرض القصيد ويصوغ النشيد ؛ وسرعان ما وجد نفسه في نهاية الرحلة . على أن عينه أومضت باللحظ ، ونفسه جاشت بالغضب ، وصوته ارتمش عند ما بدأ يتحدثهم عن المدينة والانسانية . ما كان رأى ولا تخيل قبل اليوم كل الذي رآه وأحصاه وهو في قلب المدينة . رأى وفهم لأول مرة في حياته سلطان ابليس وسيادة الجور وضعف القلب الانساني الخاوي . هنا خمسون أو ستون رجلاً جيوبهم مترعة بالمال بقصفون ويشربون النبيذ دون حد ، أخذوا وقد تملكهم نشوة الزاح يرفعون عقائرهم بالغناء الساقط ، وينوهون في شجاعة بأشياء جارحة لا يجروا إنسان يخاف الله جل سلطانه أن يشير إليها . فهم أحرار سمداء شجمان لا يخافون الله ولا يخشون الجحيم ولا يهابون الموت . يقولون ويفعلون ما يشاءون ، ويذهبون إلى حيث تسوقهم رغباتهم الجامحة أما النبيذ فصفاء صفاء الكهرمان ! وهو أيضا زكي الرائحة لذيق الطعم ، لأن كل من يعب منه يطفح وجهه بالبشر ويرغب في الشراب ثانية . وهو يجزى على ابتسام بابتسام ، ويتهلل غبطة كأنه يعرف أى ضلال جهنمي يختبئ تحت حللونه غلى مرجل غضبه وبكى أحر البكاء وأشجاء . ثم استطرد يقص عليهم ما رأى : « وقفت امرأة





قد أقسمت على أن تبذل في سبيل إسعاده كل ما تستطيع قوتك تحقيقه من أسباب العزاء .  
افعل ذلك كله ثم خبريني متى تتحقق سعادتي الكونتس - لقد فعلت ذلك كله ، يا مولاي الملك المهيّب

والقد قدمت لك من مظاهر الطاعة والاخلاص كل ما في مقدوري من قوة الحب التي أستطيع أن أحيطك بها

فقل لي ، يا مولاي ، أي برهان غير ذلك تريد ؟ إدوارد - لقد سمعتني أقول إنني مغرم بك الكونتس - لأن كنت مغرمًا بجمال نفذه إن استطعت ، فهو على تفاهته لا يساوي في نظري عشر قيمته ؛ وإن كنت مغرمًا بفضيلتي فخذها إن استطعت فنبع الفضيلة يغني بمقدار ما ينفق منه وليكن غرامك يا مولاي بأي مما أستطيع أن أعطي وما أستطيع أن تأخذ ، فلتنه عني

إدوارد - إن جمالك هو الذي أريد أن أنعم به الكونتس - وددت يا مولاي لو كان جمالي دهانًا ؛ إذن لمحوته فحرت منه نفسي وقدمته اليك ولكنه ، يا مولاي الملك ، ملتصق بحياتي ملازم لها

فإذا أنت أخذت أحدها أخذت الثاني معه ، فجمالي كالخيل التواضع يتبع ضوء الشمس المشرقة في صيف حياتي إدوارد - ولكنك تستطيعين أن تعيريني إياه فأنعم به

الكونتس - ليس أمهل من أن أعير روعي بعيداً عن جسمي - والجسم في قيد الحياة - إلا أن أعير جسمي - وهو مأوى روعي -

بعيدة عنها ، بينما أنا محتفظة بها إن جسمي هو مخدع روعي ، وساحتها ، ومعبدتها ؛ وروحي ملاك ، نقي ظاهر ، سماوي ، غير مدنس

فإذا أعرتك بيت هذا الملك يا مولاي قتلت روعي المسكينة ، وقتلتني روعي الممذبة

\*\*\*

وطلب الملك من الأزل وارويك ، والد الكونتس أوف سالسبري - بحكم عین الطاعة التي أقسمها له - أن يذهب إلى ابنته فيأمرها بالطاعة رغبات الملك . وتظاهر الأزل بالطاعة ، وكان موقفه غاية في الحرج . وفي الحوار الآتي بينه وبين ابنته يبدو مبلغ ذلك الحرج ، كما تبدو لباقة الأزل في أداء واجب الطاعة لليمين التي أقسمها ، وواجب الشرف والحرص على كرامة ابنته

وارويك - كيف أستطيع أداء هذه المهمة القاسية ؟ يجب ألا أناديها بابنتي ؛ إذ أين هو الأب الذي يقبل في مثل هذا الظرف التمس أن يحرص ابنته على الزنا ؟

إذن سأناديها بامرأة سالسبري ... فهل أتكلم ؟ لا ... إن سالسبري صديقي ؛ وأين هو الصديق الذي يؤذي الصداقة بمثل هذه المثلية ؟

إذن لا أناديها ابنتي ولا أناديها امرأة صديقي . لا ، فما أنا وارويك كما تتوهمين إن أنا إلا محام قادم من محكمة الجحيم لبست روحه جسم وارويك لأجل إليك رسالة من الملك .

فلك أنجلترا العظيم مغرم بك أيتها السيدة ، والرجل الذي يستطيع أن يسلبك حياتك

الكونتس - حصار غير طبيعي ... إذن ما أشد تسمى .. أأنجو من خطر الأعداء لأنهم من أصدقائي في خطر أشد منه فطاعة وقسوة ؟ أليست لدى الملك من وسيلة أخرى يدينس بها دى الشريف غير إفساد باعث هذا الدم في عروقي وحمله على أن يكون محاميه الشرير ورسوله المفضوح ... فلا عجب إذا فسدت الفروع ، بعد أن دب الفساد في الجذوع . ولا عجب أن يموت الطفل المجنوم إذا تلوثت حلقة الضرع وقد جف معينه . إذن أتركوا اللاتم حبله على الغارب ، وسلموا الشباب الطائش زمام الحرية المطلقة ، وأزيلوا القوانين الشديدة المانعة ، واحموا جميع القواعد التي تجزى على العار بالعار وتقابل الجرعة بالعقاب . لا ، بل دعوني أمت إذا كانت إرادة الملك الغاضبة تأتي إلا ما يريد . فلأمت قبل أن أطيع إرادته ، وأمثل الدور الذي يريد أن أمثله في ملهاته شهوته الفاضحة واروينك - أراك تتكلمين كما أردت أن تتكلمي . فاصنى إلى فما أنا بمعيد ما أسمعتك من قبل ، فان قبراً شريفاً أجل مكانة من يخضع الملك المدنس . وكلما عظمت مكانة الرجل عظمت قيمة عمله كريماً كان ذلك العمل أو شائناً . والذرة الحقيمة التي تنطير في شمع الشمس تبدو للعين في أضعاف قيمتها الحقيقية . وأشد أيام الصيف صفاء لا يلبث أن يلوث الجثة الهامدة التي يبدو كأنه يقبلها . وعميقة هي الضربات التي تحدثها الفأس القوية ، والجرعة التي ترتكب في المكان المقدس يتضاعف أثمانها عشرات المرات . والعمل الشرير الذي يرتكب بحكم القوة إثم مزدوج مقرون بالتحريض : والقرد الذي يكسى بالملابس الجميلة البراقة الألوان يصبح منظره

إن أراد ، يستطيع كذلك أن يسلبك شرفك ... فأطيعيه وأعيريه شرفك لتتقذى حيائك فكثيراً ما يضيع الشرف ثم يسترد ، ولكن الحياة إذا ضاعت فإنها لن تعود ؛ والشمس التي تجفف الحشائش تدمش الأعشاب ؛ والملك الذي يدينسك قادر على أن يرفع مكانتك . ويقول الشمراء إن رمح أشيل العظيم كان يشفى الجروح التي يحدثها ... ومغزى ذلك أن الرجل القوى يستطيع أن يصلح ما أفسد والأسد قادر على تنظيف فكيه الداميتين ، وعلى ستر قسوته بمظاهر الوداعة

بينما فريسته الهائلة ترمد عند قدميه والملك يستطيع - في عظمتيه - أن يستر عارك

وهؤلاء الذين يجروون على النظر فاحيته باحثين عنك إنما يفقدون نعمة البصر بالنظر إلى قرص الشمس

وما مبلغ الضرر الذي يمكن أن تحدثه نقطة من السم في المحيط الهائل ؟

وعظمة المحيط كفييلة بتطهير كل ما يلقى فيه من المفاسد ، وتتجريدها من قوة الأذى ...

واسم الملك العظيم يبرر سوء عمله وبكسو جرعة الندم المرة غلافاً من السكر حلو المذاق .

واذكرى إلى ذلك أن لا ضرر في أن تفعل ما لا يمكن أن تصونه في مأمن من العار وهأنذا بأمر ملكي قد أبرزت الرذيلة في ثوب الفضيلة .

وإني لانتظر جوابك في قضية مولاي



أدعى ألى الزرابة والاحتقار . إني أستطيع يا ابنتي أن أطيل الكلام في وصف عظمة الملك وجسامة العار الذى يلحقك من ورائها ؛ ولا تزيد الكأس الذهبية منظر السم إلا بشاعة . وتبدو الليلة الظلماء أشد ظلاماً إذا تخللتها البروق . والزنبقة الفاسدة أخبث ريحاً من الغضب العطن . وكل مجد ينحدر إلى الأثم يتضاعف العار الذى ينشأ عنه . وإني لأتركك الآن وقد أودعت نفسك دعواتى التى ستقلب لعنة قاسية أشد القسوة إذا أنت لوثت اسمك الذهبى الشريف بلوثة العار الموه بمظاهر العظمة والمجد ( بنصرف )

الكونتس — سأسمعك ، وإذا ما استداع عقلى هذه الناحية فيفمر جسمى روحى فى هم غير محدود النهاية

\*\*\*

وفى أثناء ثورة عواطف إدوارد يصل ابنه البرنس أوف ويلز إلى قصر روكسبرج فتثور فى رأس الملك معركة شديدة يبدو أثرها فى حوار بينه وبين الأمير يذكّر فيه واجباته الزوجية ، فيتردد بين الحرص عليها وبين الاندفاع وراء شهوته المفاجئة الملحة ؛ وبينما هو فى هذا الحوار يتقدم اللورد فيمان قدوم اللادى سالبرى ، فيأمر الملك ابنه بالانصراف والتسلى مع أصحابه ، وتدخل لادى سالبرى فيجربى بين الملك وبينها هذا الحوار

\*\*\*

الملك — الآن جئت يا صديقة روحى

لتزيدنى من كلماتك القدسية

فى معارضة حبي جمالك الفتان !

الكونتس — لقد أمرنى أبى ، وهو يباركنى ..

الملك — أن تخضى لارادتى  
الكونتس — إنما ذلك حقك يا مولاي  
الملك — على أن هذا يا أحب الناس إلى ليس إلا مقابلة حق بحق ومبادلة حب بحب  
الكونتس — بل مبادلة الخطيئة بالخطيئة ،  
والعداوة بالعداوة

ولكنى إذ أرى جلالتك ميالاً لهذا الأمر فلا ممانعتى ، ولا حبي زوجي ، ولا مكانتك السامية ، ولا الاحترام الواجبة رعايته ، ولا شيء من ذلك بقادر على أن ينقذنى . وإذا لم يكن بد من أن تتغلب قوتك وتطنى على كل هذه الاعتبارات فاني أستبدل الرضا بالتمنع .

وسأرغم نفسى على عمل ما لم أكن لأعمله .  
إنما أشرت يا مولاي أن تمحو تلك الموانع التى تحول بين حب جلالتك وحبي

الملك — أذكرى هذه الموانع يا جيلتى ، وإني لأقسم بالسماء على أن أزيلها  
الكونتس — إنها حياتهما هى التى تقف بين حبينا

وإني لأغص إذ أقول ذلك يا مليكى

الملك — حياة من ياسيدتى ؟

الكونتس — فليعلم مولاي الملك الحبيب أنها حياة ملكتك ، وسالبرى زوجى الشرعى ، فهو بصفته هذه سيحول دون حبنا مادام حياً ، ولن نستطيع أن ننعم إلا بموتهما

الملك — إن ما تطلبين فوق طاقة قوانينا

الكونتس — وكذلك شأن رغباتك ، فإذا

كان القانون يستطيع أن يمنعك من تنفيذ أحد الأمرين ، فليمنعك كذلك من محاولة الأمر الآخر

ها على جنبى تتدلى سكيننا زواجى  
خذ إحداها فاقتل بها مليكتك  
وتعلم منى أين هى راقدة ،  
فسأقتل بالأخرى حبيبى الذى ينام نوماً عميقاً  
فى سويداء قلبى ؛  
فاذا ذهبنا جميعاً فسأوضح لازدتك غرامك .  
لا تحاول أيها الملك الداعر أن تمنعنى  
فان عزمى أسرع فى حركته من محاولتك  
انتقاذى

فاذا تحركت فسأضرب ، فقف مكانك ،  
واستمع لما أخبرك به  
فأما أن تقسم على المدول عن رغبتك الشريرة  
فلا تعود أبداً إلى محادثتى فيها وإلا أقسمت  
بالسما ( تركع ) أن تلتطخ هذه السكين الماضية  
هذه الأرض بما أردت أن تلوث من دم صدرى  
المسكين . أقسم يا ادورد أقسم !  
وإلا فسأضرب هنا وأموت تحت قدميك  
إدوارد — إنى لأقسم بالقوة التى تزودنى الآن  
بروح الخجل من نفسى ألا أفتح شفتى بعيد  
الآن بكلمة تشير إلى هذا الأمر الشرير .

انهضى أيتها السيدة الانجليزية صدقا التى  
ستفخر بها جزيرتنا أبداً بخير مما يستطيع أى  
رومانى أن يفخر بملك التى أجهد كنزها المنبوش  
أقلام السكثرين عبثاً فى محاولة وصفها .

انهضى ولتكن خطيئتى عماد سمعتك الشريفة  
التي ستغنين بها على مر الأجيال  
انهضى فلقد أفقت من ذلك الحلم الكريه  
عبد الحميد محمدى

وما أستطيع أن أصدق أنك تحبى كما تصف  
إلا إذا أنت وفيت باليمين التى أقسمت  
ادوارد — كفى . . فليمت زوجك والملكة  
فأنك لا روع جالاً مما كانت هيرو  
ولم يكن ييرولس ليندر بأقوى منى  
وقد خاض بجري الماء سعيماً إلى حبيبته .  
أما أنا فسأخوض ججها من الدماء لأصل إلى  
هيكل معبودتى .

الكونتس — وإنك لتفعل أكثر من ذلك ،  
فستصبغ ماء النهر بدم قلبيهما الذى يشطر حبنا  
 ويفصل بيننا . ونصيبا زوجى وزوجك من هذا  
الدم متساويان

ادوارد — إن جلالك يحملهما جريمة موتهما  
وبقدم الدليل الذى يقضى بأن يموتا  
وأنا باسم هذا الدليل وبصفتى قاضيهما سأؤذنيهما  
الكونتس — يا لله من الجلال المزيف ! ومن  
القاضى الفاسد الضمير !

وعند ماتعقد محكمة السماء العالية فوق رؤوسنا  
اجتماعها العام وتبدأ حساب الناس ، وتحاسبنا  
على هذا الشر المجسم هل نستطيع إلا أن نرتجف  
كلانا من هول الجريمة ؟

ادوارد — ماذا تقول حبيبتى ؟ هل هى مصممة ؟  
الكونتس — مصممة على أن انحلال من  
قيودى ، وإذن إليك هذا :

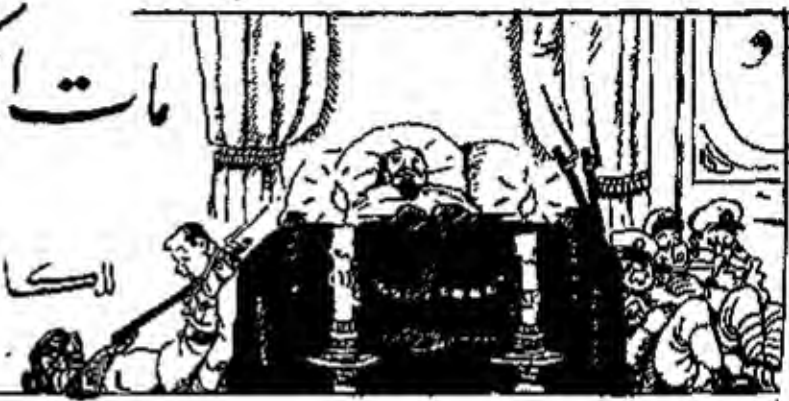
أنجز وعدك أيها الملك العظيم أصبح لك .  
قف حيث أنت وسأبتعد عنك قليلاً  
ثم ترى كيف أسلم نفسى بين يديك  
( تلتفت إليه فجأة كاشفة عن سكينين )





## مات الملك عاش الملك

للكاتبة الانجليزية ماري كوليرج  
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد



أن الفم قد انطبق ، والمينين أسبكتا ، والقلب كأنه  
كف عن وجيبه الدائب  
ودار الهمس :

— يا لله ! ما أروع ! ما أشد جلاله !

كانت غشية الموت قد أصابت الملك ، ولكنه  
أفاق منها فرأى الصمت المروع الرهيب قد شمل  
القاعة . صمت سحري في روعته ، جليل في رهبته .  
ووجد نفسه من كثرة الأزهار الفواحة في مثل  
الفردوس الذي وعده الله عباده المتقين . وألقى في  
نهاية الفراش عند قدميه شمعتين ترسلان ضوءاً  
خافتاً مرتمشاً ، يخفق تحفقان قلب الماشق . وكان  
رأسه هو الذي تحرر من الغطاء الخملي اللين الملقى  
على بدنه الجليل ؛ ورأى على ذلك الضوء الذابل  
الضئيل أربعة ، بل خمسة رجال حول السرير  
يفظون في نوم عميق

وشاع في نفسه فرح شديد حينما استطاع أن  
يتحرك . وما كادت ساعة القصر الكبيرة تنتهي  
من دقائقها الأحدى عشرة حتى أحس بقوة الحياة  
تطرد من جسده ضعف الموت . فهب من رقدته  
جالساً وهو يضحك ضحكة خفيفة

ما هذه القوة العاشمة التي كادت تؤدي به على  
حين يرى بلاده في أشد الحاجة إليه ، ولكن  
صوتاً خفياً هتف بالملك من وراء الغيب يقول :

لم يكن السكون شاملاً ولا الصمت كاملاً في  
القاعة الرحبة التي خيم عليها جلال الاحتضار  
وغشيتها الموت . هناك حيث رقد الملك مستسلماً إلى  
تلك القوة الخفية التي استولت عليه لتنتزع منه سر  
الحياة . وكان الناس بين غاد وزائح ، يتهايمسون في  
سكون وحذر كأنما يخشون أن يزججوا ذلك الذي  
يافظ أنفاسه الأخيرة ، على الرغم من أن الطبيب  
الخاص لجلالته قد أذاع أن عليه لم يعد يسمع شيئاً .  
وكان أولى بالمحتضر أن يتمهل لنحيب زوجه  
الصغيرة الحسنة وقد جثت على حافة سريرته ، لو كان  
ديب الفناء في بدنه قد ترك له شيئاً من حس السماع  
وروعى في الاضاعة ألا تكون قوية باهرة ، وفي  
الستائر أن تظل مسدلة كيلا يؤذي الضوء عيني الراقد  
الجليل ، على الرغم من أن الطبيب قد أكد أن  
جلالته أصبح لا يرى شيئاً

ولم يسمحوا لإنسان ما أن يدنو من الفراش  
ماعدًا أولئك الذين له في قلوبهم أخلص الحب  
وأشد الوفاء ، على الرغم من أن الطبيب قرر أن  
صاحب الجلالة أصبح لا يعرف من الناس أحداً  
رقد وقد تذلّت يده الكريمة من الفراش كأنما  
تبحث عن شيء ، فتناوأتها الملكة بين يديها منتحبة  
ممولة ؛ بيد أن الملك لم يستطع أن يجيب على ضغطها  
ليده بالمثل ، لأنه كان في واد آخر غير واديها . ولو حظ

« أيها العبد ! سأمنحك الحياة ساعة بعد هذه الموتة . وإذا عثرت فيها على ثلاثة يشق عليهم فراقك جعلتك من الخالدين »

إذن فهذه ساعته . ساعته التي انتزعها من الموت انتزاعاً . كم ياترى مر منها ؟

لقد كان ملكاً عادلاً كلوه العين لا بفعل عن راحة شعبه ، جرى الصدر لا يعرف من الخوف سبيلاً إلى قلبه ، ولكنه يحب الحياة . لله ما أجهلها ! لقد عرف الآن قيمتها لديه . على أنه لا يحب الحياة لذاتها ، ولا يتعلق بها لذاته ؛ إنما يهوى الحياة لأن أعماله لم تتم ، وآماله لم تحقق ، ورسائله لم تؤد على وجهها الأكل

وارتدت الأشياء في عينيه ثوباً جديداً وهو يغادر الغرفة ماراً بالحراس النائمين . وفارقه شعور السخط والتبرم بالقوة الظالمة التي سلبته الحياة

وقلب الأمر على جميع وجوهه ، ونبتد العاطفة وحكم العقل ، وقال في نفسه : « إن البلاد حقاً في حاجة إليه ، ولكن هناك من يمدله من الرجال أو يفضله . وإن الدنيا المليئة بالعقول الناضجة والقلوب الكريهة . العالم وسيع ، وإنه ليراه الآن أوسع . كل شيء يبدو في نظريه أكبر مما كان من قبل . لقد نبذته بلاده الآن وهجرته بمسد أن أفنى عمره في السعي لها والحدب عليها

وتردد لدى الباب : أين يذهب أول الأمر ؟ أذهب إلى زوجه ؟ كلا ، لا ينبغي أن يراها الآن ، فميناها قرحهما بالبكاء ، وجسمها هذه الحزن

يجب ألا يراها إلا حين يستطيع أن يضمها إلى صدره ، ويرى دموع الفرح بعودته إلى الحياة تنضج أسيل الخلد ، كقطرات الطل على نضير الورد .

إن أمامه ساعة ليس خير ، سيعود بعدها إلى الحياة ويكون هذا الحلم المزيج قد مر بسلام وتنفس الصعداء عند ما مر ذلك بخاطره ، ثم غمغم قائلاً :

— ستمود الأمور إلى مجراها بعد حين واستذكر لحظاته الأخيرة ، ثم استدأر وسرح البصر في فراشه وقال :

— غير أني لم أكن يوماً ما جباناً ولا رعيذاً . وابتسم حينما ذكر المهمة التي منحتها إياه الصوت الهاتف

ونظر أمامه فألقى ملكه الواسع العريض يمتد تحت ضوء القمر الزاهر ، فقال لنفسه :

— سأجد ولا ريب ثلاثة آلاف عوضاً عن ثلاثة ، أليس الكل أصدقائي وأحبابي ؟

ومر عند ما ترك باب القصر النيف بطفل يبكي بكاء مرأ ، فقال له في عطف :

— ما خطبك أيها الصغير ؟ فأجابه الطفل من خلال النحيب :

— لقد فارقت أبي وأبواي وذهبا إلى القصر من جراء موت الملك ولم يعودا بعد . وإني كما ترى وحيد تمب جائع ، ولم أتناول عشاءي حتى الآن ؛ ثم إن دميتي تحطمت . ألا ليت الملك يعود إلى الحياة ثانية !

وانهمرت مسارب عيني الطفل واشتد نحيبه ، فسر الملك أشد السرور ، وقال في نفسه :

— ها هوذا أحد أفراد شعبي يتمنى لي عودة الروح ولم يكن لديه بنت ولا ابن ، فأراد أن يداعب الطفل ويلهيه ، ولكنه آثر أن يفي إلى شأن أم

إذ كان في طريقه إلى منزل الرجل الذي أدناه

وكان في طريقه إلى منزل الرجل الذي أدناه

وكان في طريقه إلى منزل الرجل الذي أدناه



من نفسه وآثره على غيره

ونخامره شعور غريب ، وخشى ألا يجده في منزله ، وقال :

— يا أمياس المسكين ! إني سعيد إذ لم يمت حزناً على ، فلا أستطيع احتمال فقدته ولا الحياة من بعده . وألقي حينما دلف إلى منزل صديقه المشاعل تنهد و تروح محمولة والجياذ مسرجة ؛ وبلغت أصوات المهرج والمرج مسمعية ، فتلفت هنا وهناك ، ولكنه لم ير الوجه المألوف . وأبصر باباً مفتوحاً ، فتسأل منه ، ولكنه لم يعثر على صديقه ؛ وبحث عبثاً في غرفه . كانت كلها خاوية ، فانتابه هلع شديد . لم يقتله الحزن ولا ريب . وبلغ الجناح الذي تساقيا فيه الصفو على غرة من الليالي ، ولم يجده هناك أيضاً . رأى الكتب مبعثرة والزجاج متناثر الشظايا على بلاط الغرفة

ولح إطار صورة ملق على الأرض ، فالتقطه فكانت صورته وقد تحطم الإطار ، فتركه يسقط من يده ثانية كأنما لسمته نار تندلع منه

وانتهى ناحية الموقد الكبير في ركن من القاعة ، وكان قلبه يتأجج بالجرم كأنه الحب اليأس فرأى بقية من رسالة لم تحسها النار بعد ؛ كانت رسالة كتبها بخطه إلى صديقه الحميم ؛ فتناولها وصبر بصرها عليها ، فألفاها آخر رسائله إليه كان قد ذكر له فيها تفاصيل مشروع اعتزم القيام به وما كاد يطعمها النار الملهية حتى دخل القاعة شخصان يتحدثان : يقول الرجل المرأة :

— أين أمياس ، ألا تعلمين ؟

— ذهب ليقدم ولاءه للملك الجديد ، إذ نحن كما تعلم في قلق مستمر ، وهذا الملك ليس على شاكاة

سلفه من حيث الآراء الغريبة ، وقد كان سلفه يحمل له المقت والكرهية ؛ وقد عمل أمياس الماكر على أن يفسح لنفسه مكاناً في البلاط الجديد ، وآمل أنت يكون قد أفلح . لقد أقسم إلى أنه كان يستهجن سياسة الملك القديم . لا صرية في أنه كان يحبوه العطف واللفظ والخطوة ، ولكن يجب ألا نحكم العاطفة إذا إردنا الرغد في العيش . وقد بدأ خطته حين مات الملك ؛ وها أنذا أرسل أمتعه في أثره

— حسن جداً !

قالتا الرجل الذي عرف الملك فيه أحد سفرائه ، وقال بعد برهة :

— سأبعمه فوراً . وإني أقول لك والكلام بيني وبينك ، أن ذلك لصالح الدولة ؛ فالملك الجديد أرعن طائش لا يدري ماهية الحكم . لقد أمرني أن أعقد صلحاً لا يتفق وما شيدنا من قصور الآمال ؛ غير أن الحرب قائمة لا محالة . ولا اكتمك أني لو كنت أطعت أمره لعزت الترقيات في الجيش وشحت المناصب

ولم يطق الملك سماع بقية الحديث ، فانصرف وهو يقول في نفسه :

— لأذهبن إلى أصدقائي ، فهم على الأقل لا يجنون شيئاً من مداينة خافي ، ولعله يجردم من كل ما وهبتهم إياه

وسمع الساعة الكبيرة تدق ربع الساعة الأول وهو يسير . لقد كان ملكاً حكيماً ، إذ اتخذ سبيله إلى أقرا الأحياء في مملكته ، وقد زار هذه الأمكنة من قبل متخفياً ، فأثرفى نفسه ما هم فيه من المسكنة والفقر

— لقد طالبنا حاول أن يعبث بالقانون . كان أولى به أن يهتم بالأبرياء الذين يغيبون في السجون . إن في الأمر شيئاً ولا ريب

يا لله ! كأننا التأم هذا الجمع للنيل منه والقبح فيه

ودقت الساعة الربع الثاني حينما ابتعد الملك عن هؤلاء الرعا

وأحس دافعاً قوياً دفعه إلى عدو له كان يكيل له السبائب والشتائم فيتقبلها منه هاشاً باسمك ، واتخذ سبيله إلى السجن قدماً . وانتقى غرفة منه تضم بين جدرانها الدكناء رجلاً واحداً يكتب مستنداً على إحدى ركبتيه . فأدام الملك النظر إليه ، وسرعان ما دخل حارس السجن يرافقه رئيس مجلس الشورى ، وهو رجل كان يعجب به الملك ويقدره حق قدره

ورفع السجن رأسه بسرعة ثم قال في اضطراب وقلق :

— ولكن بومي غداً

ثم عاد وتمالك نفسه وقال :

— غير أني الآن على استعداد لي رجاء واحد . هل آمل أن تبلغوا هذه إلى زوجي ؟

فتكلم رئيس مجلس الشورى في هدوء :

— لقد مات الملك ، وأرجى تنفيذ الحكم فيك . إن الملك الجديد سياسة أخرى ، ومن المحتمل أن يطلق سراحك غداً

فقال السجين في حزن عميق :

— مات ؟

فقال الآخر في حزم :

— أجل . مات !

ولم يكن أحد يعلم من أين أتته تلك الحمى الخبيثة التي أودت بحياته ، حتى هو نفسه لم يكن يعلم علم اليقين ، وغنم ضاحكا :

— سوف لا تمس الحيات جسمي بعد الآن

وكانت منازل الحى الوضيع تدل على فقر مدقع وبؤس شديد ؛ وكانت الأمراض والأدواء تبدو واضحة على وجوه الأهلي البؤساء الذين وقفوا جماعات على قارعة الطريق يتهايمسون ويرددون اسمه من حين إلى حين . كان اسمه جاريا على كل لسان ، شاغلا كل ذهن ؛ وسمهم فيما سمع يرددون النشرات الطبية التي أذيت عليهم ويحزرون اليوم الذي يشيعونه فيه إلى مقبره الأخير . عجبا ! يظهر أنهم بموته مقتبطون

وفي إحدى المواخير أبصر خمسة رجال حول مائدة يحتسون شرابا ، فوقف يتسمع إلى حديثهم ؛ وسمع أحدهم يقول :

— حمدا لله على خلاصنا منه . فما فائدة ملك يرضن بفلس واحد زيادة عما أمر به . ولا يخفى عليكم ما في ذلك من كساد تجارتنا . أما الملك الجديد فيبدو لي أنه من صنف آخر . وستروج بضاعتنا في حكمه وإيم الحق . فقال آخر :

— أجل . لقد كان ملكا لا يطاق . كان يطار دنا ويحرم علينا اللو . بأي حق كان يفعل ذلك ؟ أريد أن أعلم

فقال ثالث :

— أما أنا فأقول . ليسقط ذوو التيجان . فان كان لا بد منهم فليتركونا وشأننا . وإني لأؤثر شابا لا ينصاع لما تخليه عليه سالبات النهي الكواغب وقال رابع :



فهب السجين واقفاً يمسح جبينه كالمحموم  
ثم قال :

— سيدى لقد كنت أجهله وأحترمه . كان  
ملكاً بكل ما فى هذه الكلمة من معان سامية ،  
وقد عاملنى معاملته لسيد عظيم . ذلك فضلاً عن  
زوجته الصغيرة الحسنة ، لكم أتمنى أن يبعث مرة  
أخرى ، وكان الدمع يجول فى عيني الرجل أثناء  
حديثه

ودقت الساعة الربع الثالث والملك يغادر  
السجن الرهيب

كان عطف عدوه أشد وقمًا على نفسه من غدر  
خلصائه ومحبيه . خير له أن يموت من أن يكون  
مدينًا بحياته لمثل ذلك الرجل

غير أنه لم يسمعه إلا أن يطرب لشعور الرجل  
نحوه وتقدير ما فى نفسه من نبيل وشرورة ؟ وهان  
عليه الموت وسهل لأنه رأى أن محبة الناس له لم  
تكن إلا حلاً من الاحلام . إن هؤلاء الناس  
الذين تعب لهم وسهر عليهم لم يبلغوا بعد شأواً  
من يحترم نفسه

— أين أصدقائى الآن ؟ . طفل غريب ،  
وغدو نبيل . إنهما كل مالى من أصدقاء . وهل  
للحياة قيمة بعد ذلك ؟

ألا يجدر به أن يستسلم للقضاء . ولا يتمنى  
بعد الآن شيئاً ؟ لقد تلقى درساً بليغاً . فى وسعه  
أن يرقد فينام فينال الراحة الكبرى . لقد بررت  
القوة الالهية مسلكتها مع الانسان الطامع الجهول .  
ماذا ينفع المرء أن يثبت عنده كذب أخيه ؟

وفارقه الأسف ، وذهب عنه الحزن ، ورح  
الخفاء ، وتكشفت له الحياة

وتلبدت السماء بالسحب القائمة فحجبت قرص  
القمر الزاهى . وهبت ريح باردة نالت من جسده  
المنهوك . وأحس عزلة موحشة تشمله ، ووحدة  
قاسية تكاد تصرعه ، وفاض قلبه بأساً وغماً

أحقاً ليس هناك من يهتم له ويحزن عليه ؟ إنه  
يهب كل ماله فى سبيل نظرة عطف حقيقية  
واحدة . كم يتوق الآن إلى شخص يبذل له من  
ذات نفسه ما يجمع عليه يده ويشد به عضده . كم  
يموزه الآن أليف يتمتع بنعمة وداده ويقبل عثاره  
لديه لحظات أخرى ثم ينتهى الأجل . كيف  
بالله احتمال عمره الطويل ؟ على أى حال لم تبق له إلا  
دقائق معدودة

وأحس سلوة فى نفسه وعزاء فى قلبه . نسي  
كل ما أساء به إليه الناس وصغر لديه شأنه وحقر  
فى عيني نفسه

ووقف لدى باب غرفة زوجته يقدم رجلاً  
ويؤخر أخرى . ماذا يفعل لو وجد أمه الباقى  
سراباً ؟ ألا يجمل به أن يعود حتى لا تصرعه الحقيقة  
المرّة ؟ غير أنه غمغم قائلاً :

— لم أكن يوماً ما جباناً ولا رعيدياً  
وكانت زوجته تجلس إلى جوار الموقد وحيدة  
تخفى وجهها بشعرها الأسود الوحف المسترسل .  
أحس عند ما رآها لأول وهلة بمطف نحوها يكاد  
يذيب منه القلب . وعجب كيف تسرب إليه الشك  
فى إخلاصها

وكان خاتمها الثمين يطوق بنصرها كمهد به  
منذ أن أهداها إياه ، ولم يكن بالفرقة ما يسترعى  
البصر سوى بريق حجره الأخاذ  
وشعر بحنين إليها . ودهش لم تركتها وصيفاتها



## يَوْمِيَّانَا فِي الْإِثْنَيْنِ

لِلأُسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٩ أكتوبر .....

رأيت أن الطريق الوحيد بعد ذلك أن أبحث عن ذلك الخاطب الذي كان قد تقدم للبنت ريم . ولكن كيف نستدل عليه ونحن لا نعرف حتى اسمه ؟ فأنطلب إذن إلى المركز أن يأتي إلينا بأحد الجيران لعله يعرف الخاطب . وليكن الجار امرأة ؛ فإن المرأة بطبيعتها فضولية ثائرة . فما من جارة لا تعرف أسماء الخاطبين والمخطوبات في الحارة .

ولكن هل أستطيع الآن أن أكاف المركز باحضار شاهد أو بالبحث عن مجرم ؟ إن السياسة وحدها هي كل شيء اليوم في المركز ؛ ولن أجد خفيرا يلقى بالا إلى أوامري الساعة . فلنتصل نحن مباشرة

وحيدة . كان يجب ألا يفارقها في تلك الليلة المصيبة . وبدت له كأنها غارقة في أفكارها وهمومها . ألا ليبتها تسمعه صوتها الموسيقى الحنون ، أو حتى تردد اسمه

بجوار فراشه . لذلك أمسكت بيده بين يدي وهو يجود بنفسه . لقد ملكني الخوف وأنا أنتظر هنا وحيدة مع نفسي . ظننت روحه تأتي فتفزعي . ولكن لا ، لقد ذهب إلى حيث لا رجعة . ستعرف عينا السعادة بأجنحة من الحب بعد الآن

بيد أنها كانت صامته صمت القبور

ونزعت خاتمها ولثمته ثم قدمته إليه وهي تبكي وعند ما دقت الساعة تملأ انتصاف الليل نهض الحراس من نومهم فرأوا الملك راقدًا قد تغشاها جلال الموت . غير أنهم لمحوا تغييراً عظيماً عتري بحياه ، فقالوا فيما بينهم :

وفزع الملك الحركة مباغتة . وفتح باب سرى في الجدار : باب سرى كان يظن أن أحداً لا يعلم به سواها ؛ ودلف منه رجل وانتصب أمامها . فرفعت إصبعها إلى فمها توى إليه بالصمت . ثم ألقت بنفسها أخيراً بين ذراعيه :

يجب ألا ندع الملكة تراه ثانية

— هل عدت أخيراً ؟ كم أنا سعيدة ! عفواً يا حبيبي ! لقد كان علي أن أفعل شيئاً وأنا جاثية

ترجمة : محمد عبد الفتاح محمد



— أيام انتخاب ياسعاده البك  
— والعمل ؟  
— نتصل بدوار العمدة ونطلب النفر والحرمه  
— اتصل  
واستطلعنا آخر الأمر أن نظفر بحضور الحرمه  
الجارة مع « مخصوص » وكان ميعاد غدائي قد حان .  
وكان قد أجهدني العمل المعتاد بالمكتب . أعني  
تحقيق التزويرات وقضايا الربا الفاحش والتلبس الوارد  
من المركز من « إيراد » اليوم ، وأكثره الآن محاضر  
« تشرد » ضد الأهالي غير الموالين للحكومة القائمة .  
وما أسهل هذا السلاح وما أقواه في يد رجال الادارة !  
فان كل نجل كريم من أنجال الأعيان يمكن اتهامه  
بأنه لا يحترف صناعة ، ويمكن بذلك القبض عليه  
وحبسه أربعة أيام باذن النيابة لحين التحرى عنه  
وطلب صحيفة سوابقه من مصر . وأين هو وكيل  
النيابة الذي يعارض المركز اليوم في إصدار أوامر  
الحبس ؟ وقت اللقضاء بعد أن أصدرت من هذه ماشاء  
الله والمركز . وعدت بعد الظهر لسؤال المرأة ،  
فتكلمت كلاماً كثيراً لم أخرج منه إلا أن الفتى  
الخطاب يدعى « حسين » وهو ليس من أهالي البلدة  
بل من بلدة مجاورة  
— اسمه حسين إيه يا وليه ؟ فيه ميت حسين  
في البلد . لقبه إيه ؟  
— ما اعرفش لقبه ياسيدى . البنيت قالت اسمه  
« حسين » وأنا مالى بقى أسأل عن أصله وفصله .  
أنا حرمه غلبانه فى حالى ، بعيد عنك ما أكره على إلا  
كثر الكلام . أنا طول عمرى ياسيدى فى الحارة  
ما أحشر نفسى فى كلام ولا فى سؤال . وأنا مالى  
قالوا يا داخل بين البصلة وقشرتها ...

بالقرية ونطلب إلى النقطة أن ترسل إلينا المرأة  
المطلوبة . وأمرت فى الحال حاجي فتقدم إلى آلة  
التليفون وأمسك بالبوق وجعل يصيح أكثر من  
ربع ساعة :  
— يا نقطة ! يا نقطة ! ردى على يا نقطة ! البك  
الوكيل جنبى يا نقطة !  
ولكن النقطة غضت طرفها الناعس عنا ولم  
تكاف نفسها عناء الرد علينا ؟ واشتد غيظ الحاجب  
وجعل يده تحرك جرس التليفون بقوة كادت تخلعه .  
وهو من طراز تليفونات المراكز التى لا توصل  
الكلام بين المتكلم والمخاطب حتى ينقطع نفس  
الانين من كثرة الصياح ، وحتى ينقطع جبل الحديث  
مائة مرة ومرة تشبك خلالها حبال أحاديث أخرى  
من بلاد أخرى ومن مصالح مختلفة . فبينما يدور  
الكلام حول إرسال متهم إذا صوت بجيب فى مسألة  
متعلقة بتفتيش الرى وبالفتحات ونوبات الترع ، وإذا  
آخر يتكلم فى أنفجار القرعة وبطلب طلبات فى لهجة  
الأمر والنهى . على أننا اليوم لا نلقى ردا على  
الاطلاق . ويد الجرس فى يد الحاجب لا يقف لها  
دوران ، كأنه يدير طاحونة بن . ولا ينفك يصيح  
تارة مهددا وتارة متوسلا :  
— أنا فى عرضك يا نقطة ! كلمة واحدة يا نقطة !  
إخص عليك يا نقطة ! ردى على يا ...  
فما نالكت أن قلت :  
— شىء لطيف ! ناقص تركع وتقول : « ردى  
على ياروح قلبى يا ست هانم يا نقطة ! »  
— يظهر ياسعاده البك أن النقطة خالية من  
حاضرة الملاحظ والبلوكامين والكل كليلة ...  
— النقطة خالية ...

زوجها ، ودنت من القاتل الحقيقي ومرت عليه مر  
الكرام ، ووصلت الى ذلك المسكين صاحب المستندات  
الذي ليس له في الثور ولا في الطحين ، فلكته في  
صدره لكمة كادت ترديه وصرخت بالصوت :  
— غريمي

فأرجم على الرجل وقد فوجئ ، ثم تمالك وقال :  
— يا ستي أما أعرفك ؟

فلم تسمع اليه المرأة ومضت تولول :  
— غريمي دى . غريمي

والتفت الى الرجل كالاستجير :

— يا سيدي البك . انهضني . أنا عمري  
لا شفها ولا قابلتها ...

فقام وكيل النيابة وهو أنا ولا فخر بأسئلته  
« التجازية » المحفوظة عن ظهر قلب ، المعتبرة من  
« روتين » العمل التي إذا لم تسأل أحصتها الرئاسة  
علينا هفوة ، وإن لم يكن هناك محل لتوجيهها ،  
أسئلة سخيفة لا معنى شيئا في ذاتها ولكن القضاء  
بمبهرها محرجة مضيقة على خناق المجرم :

— بينك وبينها ضغائن

— أبدا يا سيدي ولا أعرفها

فتمهلت قليلا لكي ألقى ذلك السؤال الذي  
يلقيه كل وكيل نيابة وكل قاض في ثقة واطمئنان  
كأنما يلقي يده على الدليل المبين :

— إذن ما سبب ادعائها عليك ؟

— أنا عارف ! مصيبة على الصبح وارتمت على

— احجزه يا عسكري

— يحجزني ؟ أنا يا سيدنا البك لي قضية

مدنية تحت . اعمل معروف خليني أروح لشغلي  
وألقى الرجل في الحبس الاحتياطي : ونوديت

— اسكتي قلبت دماغى فى الفارغ ، داهية  
تقلب دماغ اللى طلبك . معنى لو عرضنا عليك الولد  
تعرفيه ؟

— أعرفه يا سيدي . يا ندامه ! وأنا بقى  
خلاص انعميت ... أنا كنت اسم الله على  
مقامك ...

— كفاية ... انت واحدة والله الحمد لا تحبى  
كثر الكلام ولا ...

كثر كلام ... أبدا وحياة شرفك ... أنا بعيد  
عنك من يوم ...

— بس !

وناديت الحاجب ، وأمرته بإخراج المرأة  
واجلاسها فى الدهليز بجواره تنتظر حتى تطلب .  
وكلفته بمخبرة البلدة التي فيها الفتى ليحضرها  
الفتيان الذين يسمون فيها باسم « حسين » ممن  
تنطبق أحوالهم وأوصافهم على ما لدينا من المعلومات .  
وجالست أنتظر ساعة وأنا أفكر فى قيمة هذا  
العرض « القانونى » . إنى لا أثق كثيرا بفراسة  
هؤلاء النسوة . وما زلت أذكر قضية قتل أتيينا فيها  
بزوجة القتل وعرضنا عليها المهر بين أشخاص  
آخرين جئنا بهم عفوا من قاعة الجلسة المدنية  
المنعقدة فى صباح ذلك اليوم . وكان من بين هؤلاء  
شخص منكود الطالع أتى يحمل مستندات شركته  
فى جاموسة ويسمع الحكم على خصمه بالطلبات .  
فاذا هو يجد نفسه قد زج بين الأنفار الذين أخذوا  
من قاعة الجلسة ليقفوا فى صف طويل فى قاعة النيابة  
وقد أخرج عليهم وكيل النيابة امرأة شطاء ،  
وأمرها أن تبرز القاتل من بينهم . فتفرست المرأة  
فى الوجوه وهى تدق صدرها وتدعو بالويل على قاتل



طبقا للقوانين الحديثة ينبغي أن يرعى في تطبيقها عقلية هؤلاء الناس ومدى إدراكهم وقدرتهم الذهنية

وحضر المطوبون وأوقفهم في صف طويل وأدخلنا المرأة فتقدمت وهي تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم  
ولم أترك لها مجالاً للثرثرة . فقد انتهت بها :  
— كلمة ورد غطاها ياولية . من في الحاضرين  
الخطاب ؟ ...

فدنت من أقرب الفتيان إليها ونظرت إليه بعينها « العمشاء » نظرة « المرضحالي الأضبطش » إلى « عربضة » يرفعها في يده حتى تمس أنفه . وقالت له في صوت خافت تريد ألا يصل إلى مسامعي :

— أنت « يا ادلدى » مش اسمك حسين ؟  
فأدركت في الحال مبلغ علم المرأة بما انتدبت لأجله وقلت لها في شدة :

— كل الجدعان اللي قدامك ياولية اسمهم حسين  
— قطيعة !

لفظتها المرأة في صوت الواقع في حيرة من أمره . ثم اتجهت الى التالى وسألته :

— انت منين يا جدع انت ؟  
فأجابها الرجل في صوت هادئ :  
— من امبابية يا سقى !

فقلت على الفور في لهجة الجد :  
— دى بلد الخير يا جدعان . دا كان مرة

« ادلدى » جوزى اشترى منها حمار ...  
فلم أتمالك أن صحت :

— أخرجى يا « قرشانه » يا « وحشة »  
يا قليلة الحيا ... ضيعت وقتنا ، نهار بحاله .

قضيته المدنية فلم يحضرها بالضرورة قشطت دعواه وجلس الرجل القرفصاء على الاسفلت ومستنداته في يده يفكر فيما آل اليه حاله بلا مبرر ولا جريرة تذكرت ذلك وقت في نفسى : « كلا لا ينبغي أن نبالغ في قيمة « المرض القانونى » إن هؤلاء الفلاحين بأعينهم التي أكلها الصيد منذ الطفولة ، ومداركهم التي تركت هملا على مدى حكم ولاية من جميع الأجناس لا يمكن أن يركن إليها في حكم أو تميز . وهل هناك أعجب من « عرض قانونى » آخر قمت به في قضية تزوير ، وكان التهم « أفنديا » وقد وضعته بين أشخاص مطربشين وجئت بالجنى عليه الفلاح وأمرته باخراج « غريمه » من بين هؤلاء ، فتفرس في الوجوه لحظة ثم ترك الصف بأمله ووقف تجاهى أنا وكيل النيابة المحقق وأظال النظر في وجهى وقد بدت في عينيه علامات الشك الذى سيتبعه اليقين أنه وقع أخيرا على المجرم الحقيقي ، وكان حاضرا عندى وقتئذ أحد كبار مفتشى النيابة زائر أقدم أراد أن يشهد عملية المرض . فها لى أن بطيل الرجل شكك في أنا فيبدو للمفتش رأى لا أرضاه ، فانهرت الفلاح وأمرته أن ينظر في الصف الذى أمامه ويخرج منه التهم . فكان اللعين يمر بالصف سرا سريعا ويعود فيلقى بصره على ويفحصنى من رأسى حتى إخص قدمى فخص المشتبه المستريب ، ولن أنسى اضطرابى يومئذ . وقلت في نفسى : « الله يكون في عون المعروضين » ولم اجد عند ذاك مندوحة من أن أنهى عملية المرض في الحال قائلا في سرعة : « لم يستعرف الجنى عليه على أحد » وأمرت الحاضرين بالانصراف فخرج الرجل وهو ما زال يختلس النظر . كلا إن تلك الاجراءات التي تتبع في أعمالنا القضائية

إخص على دى شهود ...

قلتها من غيظي وأنا ليس من عادتي « القباحة »  
ولكن هذه المرأة التي أفهمتنى أنها رأت الخاطب  
بمعينها وتعرفه إذا حضر أمامها قد اتضح الساعة  
أنها لا تعرف إلا اسمه . وحتى هذا الاسم لا يتر  
« حسين » من أدراننا إذا كان هو اسمه الحقيقي  
أو أنها كلمة ألقها على عواهنها هذه المرأة « الهجاصة »  
وسألت الحاضرين عن الخاطب فلم أجد بينهم من  
يفهم غرضي أو من يعرف شيئاً عن الموضوع .  
فصرفتهم . ولم أكد أخلو إلى نفسي وأفكر فيما  
ينبغي عمله بعد ذلك ، حتى فتح الباب ودخل على  
مساعدى آنياً من البندر حيث كان يترافع في قضايا  
الجنايات التي أحلتها عليه . وقد رأيت وجهه نظراً  
مشرقاً . وابتدرنى قائلاً :

— البنادر هي النعيم . يا خسارة رجعنا بسرعة  
إلى جحيم الريف  
— أخذت أحكام براءة  
— أنا نزلت في أحسن بانسيون وصرفت  
ضعف بدل السفرية

— رد على سؤالي . القضايا عملت فيها إيه ؟  
فوجم الشاب قليلاً ، ولم يكن ينتظر مني الكلام  
في العمل والجد منذ اللحظة الأولى . وكان يحسن  
بي فعلاً أن أكون به لطيفاً رقيقاً ولكن القضية  
التي في يدي أتعبت أعصابي ، أو لعل شيئاً من الحسد  
الخفي قام في نفسي إذ رأيت هذا الفتى عائداً كالزهرة  
المشرقة من ذلك النعيم الذي يقول عنه بينما أنا  
راسف في أغلال الوظيفة غارق في عمل ذي مسؤولية  
لا يقف ولا ينتهي . وتنهيت مع ذلك لخشونتي  
وأردت أن أبتسم وأن أتكلم في غير القضايا . ولكن  
المناسبة كانت قد فانت . ومضى المساعد يحدثني

عن القضية التي ترافع فيها قائلاً إن المتهم فيها قد  
حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنه قتل رجلاً في  
نظير مبلغ خمسة جنيهات . فالقاتل رجل سوداني  
بدوى قوى الجسم يحترف إزهاق الأرواح . وقد  
اتفق معه أحد الفلاحين على قتل خصم له وحررت  
الكبيالة بثمان « الروح » . وانطلق ذلك المحترف  
حاملًا بندقيته كما يحمل الفنان قيثارته ، ووقف بها  
تحت نافذة المسجد حتى دخلت « الروح » الغالية  
وسجدت تصلي فأرسل إليها الصياد من بين قضبان  
النافذة قبلة واحدة ذات صفيح من « ماسورة »  
أرغوله الجهنمي كانت فيها الكفاية . وهي صناعة  
تحتاج إلى ثبات يد ، كصناعة النجارة ؛ فالنجار  
الحاذق يضرب السهم ضربة واحدة لا عوج فيها  
ولا ميل ، تصيب اللوح في الصميم . وكان مصير  
هذا الدم الضياع كالمتماد ومآل القضية البراءة ، لولا  
خلاف دب بين البائع والمشتري . فالقاتل سلم  
« البضاعة » حاضرة . ولكن المشتري مطلق اليدين .  
ولم يطق القاتل المحترف صبراً على هذا « الزبون »  
المتوقف عن الدفع فصاح به وسط الجلسة غير مراعاة  
حرمة قضاء ولا قضاة ...

— عازني أقتله لك لوجه الله ؟  
وترك « زبونه » والتفت إلى هيئة المحاكمة :  
— اشهدوا يا ناس على قلة الشرف . أنا أستحق  
الشنق ؟ إلى ما قبضت مقدم . هو يخرّب البيوت  
إلا الشكك  
وضحكت قليلاً أنا ومساعدى . وقد أبدت له  
ملاحظتي على هذه التجارة أو الصناعة المعروفة في  
الريف . وهي الاستئجار على القتل . إن الفلاح المصري  
يلجأ كثيراً إلى محترف يقتل له . كما كان بعض ملوكنا  
الأقدمين يلجأون إلى الجنود المرتزقة . أهو تنص



واقداً أخبرني فملاً أحد المستشارين من أهل الصراحة  
انه بعد أن نطق ذات مرة بالحكم في جناية خطيرة  
ورجع ليلاً الى مكتبه وورقه وملفات القضية ليكتب  
الحديثات ، وقع نظره على أقوال وعبارات في محضر  
جلسة اليوم ، وفي المحاضر السابقة ، وفي تحقيق النيابة  
استخلص منها تفكيره الهادي الرزين في ذلك الليل  
الساجي ما لو عرفه قبل النطق بالحكم لكان حكمه  
قد تعدل وتبدل . ولكن ما العمل الآن وقد تم  
النطق بالحكم وما من سبيل الى تغييره بأي حال ؟  
لا يستطيع أن يصنع شيئاً . فجعل همه تلك الليلة  
أن يستخرج من الأوراق جميع الأسباب التي  
يبرر بها النطق بالحكم . وكم من الحثيات الطويلة  
تكتب تبريراً وتدعيماً لحكم سريع مضي النطق به ،  
لا تفسيراً لعدالة ولا تمحيصاً لحقيقة ...  
( يتبع )  
نوفيس الحكيم

خلق في الفلاح يضاف الى أمراضه الجثمانية والفكرية  
والاجتماعية الكثيرة . أم انها قلة مقدرة وضعف  
ثقة بالنفس منشؤها اشتغاله بأعمال العبيد من قديم  
في الأرض والزراعة وترك الفروسية والجنسية  
للعفرين وأقربهم بنا عهدا الاعراب والازراك .  
ان الملاحظة على أشهر محترفي القتل في الأرياف انهم  
من دم أجنبي . أم ان الفلاح يحب السلام وبأنف  
أن يزاول سفك الدماء بيده التي تبذر البذر ويخرج  
منها الخير . لست أدري . إن الأمر يحتاج الى درس  
خاص . وبكفينا نحن المتصلين بهذه المسائل أن  
لا نمر عليها بغير ملاحظة . وقد أفهمت مساعدى  
أن مهنتنا سخية بمادة البحث والملاحظة . وإنه طول  
حياته بها لا ينبغي أن يسير مغمض العينين . فهي  
خير مهنة تكون الرجل تكوينا صحيحا . فوكيل  
النيابة إن هو إلا حاكم صغير في مملكة صغيرة إذا

فهم كل شيء في هذه المملكة ، ولا حظ كل  
شيء ودرس الناس وطبائعهم وغلرائهم ، فقد  
استطاع بعد ذلك أن يعرف تلك المملكة  
الكبيرة التي هي دولته . بل استطاع أن يفهم  
ذلك العالم الأوسع الذي هو « الانسانية » .  
ولكن كم من رجال النيابة أو القضاء يستطيع  
أن يلاحظ ان قوة الملاحظة هي أيضاً هبة  
عظيمة لا يملكها كل الناس . وقد وعى  
مساعدى هذا الكلام وهو على قسط وافر من  
الذكاء . فاطرق قليلاً ثم رفع رأسه وأخبرني  
أنه لاحظ أمراً استوقف تفكيره في جلسة  
الجنايات ، ذلك أن المستشارين ينطقون بأذى  
بديء بالحكم . ثم ينصرفون بعد ذلك الى  
كتابة الأسباب . والمنطق الذي يتصوره  
هو أن يكون الأمر على العكس . ملاحظة قيمة .

## فلم خضير

٥٠٦  
٥٠٦



٥٠٦  
٥٠٦

بريشة ذهب عيكار ١٤  
مضمون ٣ سنوات

لستعمله الحكيم كوماتا لشرقية  
مكتبه وطبعة خضير بساع عبد العزيز بصر



# الحياة

د. سنان إبراهيم عبد القادر المازني

وما إليها ، وأن تقوم بما تقتضيه الخدمة . وكان أصدقاؤها كثيرين فسرهم هذا وارتاحوا له وأقبلوا على « ناديهما » ليساعدها ، وآثروه على الأندية المفتوحة بلا قيد ولا شرط ، أو كما قال بعضهم : « لكل من هب ودب » فصالح حالها بذلك حتى لقد احتاجت أن تنتقل إلى شقة واسعة كثيرة الغرف والشرقات . وصار المسلمون - على الأيام - خير زبائنهم وأسخاهم يدا ، فقد كان أكثر من عداهم يحمل معه ، وهو خارج ، ما بقي من طعامه وشرابه ؛ أما أولئك فقد كانوا يتركون الباقي ، ولا يفوتهم أن يحسنوا تجزئة الخدمات ؛ وكثيراً ما كانوا يكلون إلى « صفية » أعداد الطعام والشراب اللذين يريدونهما ، فيكون لها من ذلك ربح آخر . وقلما كانوا يكتفون بنصف الريال المطلوب

ولم تكن « صفية » كبيرة السن أو دميعة ، ولكنها كانت قد فاتت سن الاقبال عليها من الشبان وبلغت سنًا تحتاج فيها إلى المحاورة والمداورة ، وتأكيدها المحاسن ، وإبراز المفاصل ، فكانت لا تزال تدخل غرفة وتخرج من أخرى ، وتحبى هذا وتلاطف ذاك ، وتحمل بيدها البضعة الكوب أو الطبق لتجىء بغيره ، وتنجي الخادمة وتلقى الابتسامات هنا وهناك ، وتخطر في شغوفها المحبوكة التفصيل . ومن

كان الحاضرون يجلسون حيث شاءوا من غرف الشقة الرحبية ، فقد فتحت كلها - ماعدا غرفة النوم - وكان كل اثنين - كل فتاة وفتى - يختاران المسكن الذي يريانه أوفق لهما وأطيب . فتحمل إليهما الخادمة طاولة صغيرة وترص عليهما ما يحتاجان إليه من أطباق وأكواب ، ثم تجيئهما بشرابهما وطعامهما اللذين دخلا بهما ، فيأكلان ويشربان ويسمران ويرقصان - فان في البيت فونفرافاً لا يستريح - ويظللان كذلك - « في خمور وفي أمور » كما يقول ابن الرومي - الليل كله أو بعضه ؛ ثم ينصرفان راضيين شاكرين . فقد كان هذا اتفاق « صوفي » أو « صفية » - كما تؤثر أن تسمى نفسها - مع ضيوفها ، وكانت خياطة وكان الحال حسناً ، والأيام مقبلة عليها ، فجاءت من هي أبرع منها وأكيس وأبقى وأقدر على الاستيلاء على أهواء الزبائن فركدت السوق وقل العمل ونضب المعين ؛ ثم خطر لها أن تسمح لمعارفها من الجنسين أن يسمروا عندها ليلتين في الأسبوع - السبت والأحد - أي أن تجعل من شقتها نادياً خاصاً ، واشترطت أن تتقاضى من كل واحد وواحدة نصف ريال ، ولضيوفها أن يجيئوا بما يشاءون من طعام وشراب ، وعليها هي أن تعد لهم الأواني والأدوات



تسندته وتقوم اعوجاجه . ولم يكده عبده يراها حتى نهض وتناول ذراع الرجل وقال له بحدة :  
« ما هذا الذي صنعت بنفسك ؟ . كيف تجرؤ أن تجيء إلى هنا وأنت على هذا الحال ؟ »  
فقال الرجل وهو ينحط على أقرب كرسي :  
« إيه ؟ ما لي ؟ »

فقال عبده : « ألا تخجل أن تحمل هذه الفتاة عبء جسمك الثقيل ؟ »  
فزام الرجل وأدار عينه في الغرفة ، ثم كأنما أحس أن جفونه ثقيلة ، فأغمض عينيه ، ورد رأسه إلى ظهر الكرسي ، فحزه عبده هنأً عنيماً ، وصاح به يدعوهُ أن يتنبه ويفيق ، فأشار إليه الرجل أن يبعد عنه ، فعاد عبده يقول كأنما يحدث نفسه :  
« ولكن الفتاة ؟ . كيف تكلفها أن تحتمل منك هذا الحال ؟ »

فقال الرجل : « مالها ؟ إنها رابحة على كل حال »  
فدهش عبده ونظر منه إلى الفتاة ، ثم كأنما خطر له خاطر فقال لصفية : « اجعلي بالك إليه .. إنه صديق لي . اعتنى به . أرجوك »  
والتفت إلى الفتاة وقال لها : « تعالى معي .. إن بقاءك معه وهو على هذه الحال لا يابق .. تعالى تقف في الشرفة »

وأشار إليها فمشت أمامه إلى حيث أوما ، فلما صارا وحدهما قال لها : « هل جئت إلى هنا من قبل ؟ »  
قالت : « أبداً »

قال : « هل تعرفين أحمد هذا ؟ »  
قالت : « عرفته اليوم من صديقة لي »  
قال : « من أنت ؟ »

قالت وهي تبتسم : « إنك شديد الفضول »  
قال : « لأن تعرفي صاحباً يبي ما يقول ويفعل ، خير فيما أظن من أن تعرفي من لا يكاد يبي »

أدري منها بآراز خطوط الجسم الجميل ، واستدارات القدر الرشيق ، وإكساب الأنداء والأرداف فتنة فوق فتنها الطبيعية ؟

وكان بعض ضيوفها يأتون فرادى اكتفاء بما يعلمون أنهم يفيدونه عندها على كل حال من الأناج والبهجة ، فما كان يدخل هذا البيت غريب عن رواده ، فكان المستفرد الوحيد يستطيع أن ينتقل من مجلس إلى مجلس ، وأن يعاين أو يضاحك أو يسامر أو يراقص من شاء . وكان من هؤلاء عبد الحميد — أو عبده كما كان يسمى في المادة — ولم يكن يعرف من الموجودين إلا اثنين — « دافيد » الذي جاء به « ورشيحه » في مرة سابقة ، و « صفية » ربة البيت . وكانت « صفية » قد أعجبها شكله ووقع من نفسها هذوؤه وسكون طائرته في الأغلب ، وما يبدو عليه من قوة الجسم والارادة معاً . وكان قليل الشراب نزر الحديث ، ولكنه لم يكن على هذا لا جامداً ولا قاتراً ولا صارم الجذ ، فكانت صفية تقبل عليه وتحاول أن تحل عنده محل صاحبة التي لم يجيء بها ، ولا تتركه إلا لحظات قصيرة للعناية بغيره إذا بدت لها حاجة إلى ذلك . وقالت له مرة :

« لماذا تجيء وحدك ؟ »

فلم يدر ما مرادها ، ونظر إليها — أنارها النظر — قبل أن يجيب ثم آثر اللطافة فقال :  
« وهل أنا وحدي ؟ »

فسرها جوابه ، وظنت أنه قانع بمجلسها وحديثها ، وراحت تمنى نفسها الأمانى ، فقد توسمت فيه — من مظهره — الفنى ، وأنست من سيرته الجود . وإنها تهتم بكلام مناسب ، وإذا بالباب يفتح ، وإذا باثنين يدخلان — رجل وفتاة — وكان لا شك في أن الرجل سكران طافح ، فما كانت رجلاً يحملانه إلا بجهد ، وإلا بفضل الفتاة التي

من المساحيق . ومنره على الخصوص أنه لم ير على  
شفيتها أثر للأحمر وأن حاجبيها طبيعيان

وقال لها : « ما اسمك ؟ »

فضحكت وقالت : « لكأنك أبي »

فقال : « لا تضحكى .. واسمى .. قد يكون  
فضولى ثقيلا . . . . . ولكن مجيئك مع هذا  
السكران ... »

فقاطمته : « هل المجيء الى هنا عيب ؟ »

فقال : « لا . لست أزعج ذلك .. إن المكان  
لا عيب فيه ... ناد لا أكثر ولا أقل ... ولكنه  
خاص ... ليس لكل الناس ... ولكن أين  
كنت مع أحمد ؟ ... أين سكر الى هذا الحد ؟ .. »  
فقالت : « اسمع ... إني كذبت حين قلت  
إني عرفته من صديقة لى ... الحقيقة أنى لم أره إلا  
منذ ربع ساعة ... أى قبل أن ندخل هنا بدقائق »  
فقال : « هذا أدهى ... كيف اتفق ذلك ؟  
أعنى هل عادتك أن تعرفى من يشاء أن يعرفك ؟ »  
قالت : « لك العذر . وعبت أن أقول شيئاً .  
هل تسمح لى أن أخرج ؟ »

فاعتذر إليها ، ولكنه ألح عليها أن تقول له  
ماذا كان أحمد يعنى بقوله إنها رابحة على كل حال .  
فقالت ببساطة : « أقول لك الحق إني لأدري .  
إنه صاحبك فسله بعد أن يفيق »

وهت بأن تمضى عنه ، فتعلق بها وراح يطارها  
بأن تقول له كيف جاءت الى هنا مع أحمد ؟ فقالت  
هل تصدقنى إذا قلت لك إني أنا مستغربة ، وإني  
لا أعرف كيف اتفق أن يحدث هذا ؟ »

فأحس من نبرة صوتها أنها صادقة ، وقرأ فى  
عينها الصراحة فقال لها : « مالك ؟ حدثينى »  
قابستمت ، ولكن ابتسامتها كان فيها من

فضحكت ضحكة رقيقة خافتة وقالت : « أظن  
أن الأمر على العكس ! »

فقال : « هل تمنين أن تقولى إنه لا يعرف  
من أنت ؟ »

قالت : « هذا ما أعنى . إنك ذكى »

قال : « وماذا كان يعنى بقوله إنك رابحة على  
كل حال ؟ »

فأطرقت قليلا وقالت : « إن اهتمامك هذا  
بأمرى يسرنى ، ولكن هل من الضرورى أن تمضى  
فى التحقيق إلى النهاية ؟ »

قال : « عفواً ولكن الكلمة عجبية ... وأنا  
أخشى أن تكون .. أن يكون .. »

وأمسك . وماذا عسى أن يقول ؟ إن هذه  
أول مرة يلتقاها فيها ، وليس من اللائق على كل  
حال أن ينتحل لنفسه حق القيم عليها ؟ ولكنها  
كانت جميلة ، وكانت ثيابها تدل على النعمة والترف ،  
وقد تجد كثيرات يلبسن من الثياب أغلاها وأنفسها  
ولا يكن مع ذلك فيها إلا كالمستعيرات لها ؛ أما هذه  
الفتاة الصغيرة السن فيبدو للناظر إليها — من  
النظرة الأولى — أنها ألفت النعمة والترف ، وأنها  
نشأت فى أحضانها . وكان قوامها ليناً ، وقدما  
صغيراً ؛ وكان ثدياها راسخين من غير أن يمسكهما  
أو يرفعهما شيء . وقد وقعت عين عبده عليهما ،  
أول ما وقعت على شيء فيها ، ففطن إلى دلالة ذلك  
وأدرك أن هذه الفتاة لا يمكن أن تكون إلا غريبة  
على الرغم من ذلاقة لسانها . وهل يعقل أن يظل  
الثديان راسخين على الرغم من امتداد الأيدي اليهما  
وكثرة العبث بهما ؟ أبداً .. أبداً ... كذلك كان  
يحدث نفسه وهو يكلمها ويحدث فى وجهها الدقيق  
المعارف ، المشرق الديباجة ، الصابح ، بغير معونة



أن يذكر لها رقم تليفونه وينسى أن يذكر لها اسمه ، وأن تقيدها هي الرقم ولا تسأل عن الاسم الذي ينبغي أن تذكره وتطلب أن تكلمه ، ولم تكدها تفتيح عن نظره وتذهب إلى حيث لا يدري ، حتى فطن إلى هذا السهو ، وأيقن أنه قد فقدتها إلى الأبد ، إلا أن يشاء الله أن يلتقي بها اتفاقاً في الطريق فراح يعدو في الشوارع كالجنون لعله يدركها ، ولكنه لم يكن يعرف أن بيت قريب لها في هذه الناحية ، وأنها دخلته قبل أن يدرك مافاته ويشرع في العدو ... احتياطاً منها لهذا ...

ومن المبالغة أن نقول إنه أحبها ، فقد كانت حصانة نفسه عظيمة ؛ ونمى بذلك أنه لا يعشق من النظرة الأولى ، وأن تجاربه علمته الحذر ، وعودته الشك والاستراية ، ومالت به إلى تاتي الحياة كما يتفق أن تكون وبغير احتفال كبير ، ولكنه لا شك في أن هذه الفتاة وقعت من نفسه واستوت على جانب منها ، أو احتلت مكاناً فيها . وكان يعرف فتيات كثيرات يأنس بهن ويسر بمجلسهن ، ويقضي الساعة والساعتين معهن في سمر وضحك ولعب ؛ وكانت له سيارة لا هي بالفخمة جداً ، ولا بالتي يحق لأحد أن يزدريها ؛ وكان يؤثر أن يحمل التي يتفق أن تكون معه إلى حيث يشاء هو ، ولا يخطر له أن يسألها أين يحب أن تذهب ، ولا يترك لها الخيار ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك عن جفوة في طبيعه ، أو عجرفة أو ما يجري هذا الجري ، بل لأنه اعتاد أن يكون الزمام في يده ؛ ولكن هؤلاء الفتيات اللواتي يعرفهن كن لا يحببته ولا يرضى بهن ذوقه ، وكان بعض إخوانه الذين يعرفون سلامة ذوقه يقولون له : « ماذا يعجبك في هذه ؟ » — مثلاً — فيقول وهو يضحك : « ليس لي في الأمر خيار ... هذا ما وفقني إليه الله ... »

الكآبة أكثر مما كان فيها من السرور ؛ وقالت : « هل أروى لك قصة حياتي منذ ولدتني أمي ؟ » فقال : « يسرني أن أصني »

قالت وهي تضحك : « ليس الآن ... يجب أن أخرج ... لقد كنت مجنونة ... أشكرك على عنايتك بي .. فضولك رد إلى العقل ... نعم كنت مجنونة ... لا بأس ... حصل خير ... فهل أعتمد عليك ؟ هل تسمح أن تخرج بي ؟ تخرجني ؟ يجب أن أعود »

فقال : « تعالى » ومضى بها إلى باب الشقة ، ولم يمن بأن يحكي صفة وهو خارج ؛ وكانت صفة تنظر إليه وإلى الفتاة بعين النعمة والحنق ، فقد ساءها منه أنه وكل إليها العناية بصاحبه السكران وينصرف هو عنها . وجمعت تسأل نفسها لماذا لم بكل هذه العناية إلى الفتاة وهي كانت معه ؟ ... كيف يرمى عليها هذه الجثة ، ويروح هو يخطف الفتاة من صديقه ؟ وأسرتها في نفسها وحقدتها ، فقد كانت لها مأرب فيه

وجاوب عبده أن يقنع الفتاة بأن تذهب معه إلى السينما ، فقد كانت الساعة دون التاسعة ، ففي الوقت متسع ، أو أن يتمشى معها في شوارع غمرة وهي مضادة ولكنها كالظلمة ، وكانا قريبين من هذا الحى ، ولكنها أبت وأصرت على العود إلى البيت ، ورجت منه ألا يرافقها ، وأخيراً — وبعد اللثيا والتي — رضيت أن تقيدها رقم تليفونه وأن تعد بأن تكلمه « يوماً ما »

\*\*\*

تركها وهو لا يعرف من هي ، وهي لا تعرف من هو . فأما هو فألح عليها بلا جدوى أن تخبره من عسى أن تكون ؛ وأما هي فلا تحتاج أن تقول إنها لم تحاول أن تعرف اسمه . وكان من الغريب

ذلك بقي كما هو فلم يضعف اعتقاده بأنه فقد درة  
ومضت الأيام ، وكان قلما يتلبث في مكتبه  
لكثرة ما نحوه أعماله إلى الخروج . وكان إخوانه  
يقولون له محتجين عليه : « يا أخى أين تذهب ؟  
كلما جئنا أو سألنا عنك بالتليفون قيل لنا خرج »  
فيقول لهم : « وما حيلتى ؟ . مطالب العمل  
تضطرني إلى النط هنا وهناك ؛ ولا سبيل إلى إنجاز  
أعمالي إلا إذا تمهنتها بنفسى » ، ولكنه بعد أن  
قابل الفتاة وجد الوسيلة إلى القعود والاستغناء عن  
الخروج ، واكتفى بالتليفون وبمساعديه في  
المكتب . وكان قلما يغادر الغرفة التي فيها التليفون  
خافة أن يتفق أن تسكاه فلا يحسن غيره جوابها  
لأنها لا تعرف اسمه . . . فتأله ما كان أحقه .  
كيف تركها تذهب قبل أن تعرف اسمه ؟ ولم يكن  
طريقه من غمرة ولا غيرها مما هو قريب منها ، فقد  
كان بيته في شبرا ، ولكنه صار يذهب إلى شبرا  
عن طريق غمرة ، ويجوب بسيارته كل شارع ووزقاق  
في هذا الحى . وكان كثيرا ما يترك السيارة ويعبى  
على مهل وعينه إلى النوافذ والشرقات . وكان دائما  
قال لنفسه : إنه أبله . . . ومن أدراه أن بيتها في هذا  
الحى ؟ ثم يعود فيقول لنفسه : إن هذا هو الأرجح .  
فقد قالت له إنها التقت بأحمد قبل أن يدخل بيت  
صفية بدقائق ؛ والمعقول أن تكون راجعة إلى بيتها ،  
وإلا فإذا كانت فتاة مثلاً تصنع في حى غمرة في  
الساعة الثامنة مساء ؟ . ثم يعود فيقول لنفسه :  
لعلها كانت عند قريب لها أو في بيت نسيب  
أو صديقة ؟ . ولم يمنعه هذا الاضطراب أن يظل  
يجوب الحى كل يوم ، وكل ليلة ، مرات ، ولكنه  
لم يفز بشيء .

وقال لنفسه عصر يوم وهو ماض إلى مكتبه في  
شارع عبدالمعز : « القاهرة واسعة . . . فيها مليون

وعصفور في اليد خير من ألف على الشجرة » ،  
وكان يدرك أن إخوانه على حق ، وأن اللواتي  
يعرفهن لسن أهلاً لأن ينفق في سبلهن وقتته  
وماله . . . ولكن ماذا يصنع ؟ . أتى له أن  
يصل أسبابه بأسباب فتاة من الطراز الذى هو  
أحب إليه ؟ إن هذا يتطلب أن يعيش المرء للمرأة ،  
أى أن يجعل همه ووكده أن يتصل بالنساء . وهذا  
ممكن ، ولكنه عسير عليه ، فقد كان هناك عمله ،  
وخلق به إذا أهمله أن يفقد رزقه . وكان فيه فوق  
ذلك حياء ، كان في أول الأمر شديداً ، ثم غلبه  
وقهره ، إلى حد كبير ؛ غير أن حياءه لم يذهب  
وإنما بقي كامناً ؛ فكانت تعتريه منه نوبات — إذا  
صح هذا التعبير — تفسد عليه كل ما عالج به نفسه  
وراضها عليه أو ظن أنه راضها عليه . وكانت هذه  
الفتاة التي رآها في بيت « صفية » من الطراز  
الذى يشبهه ويصوبو إليه — الجسم الصغير والقدر  
المتدل والخلق المستوى — وشام الخير من لمحاتها ،  
وأنس من كلامها الرشيد . ولا ريب أن مجيئها مع  
أحمد — ذلك السكران — كان خفة وطيشاً ،  
ولكنه صدق أنها جاءت معه لا تدرى كيف . .  
ومن يدرى ؟ لعل نوبة اضطراب نفسى عرتها  
فأقدمت على ما كانت خليقة أن تحجم عنه لو كانت  
متزنة الأعصاب . . . على كل حال قد ذهبت الآن .  
وأكبر الظن أنها لن تلقاه . . . حظ ! ! درة ظل  
حياته يفوص على مثلها في ليل الحياة ، ثم لم يكده  
يظفر بها حتى حرما . . . ولكن هل هى درة ؟ .  
بلا شك ! . ولم يجبه هذا التسرع ، وقال لنفسه :  
إن شعوره بالحرمان الذى مكنى به هو الذى يجعله  
على المغالاة بقيمتها . . . واقتنع بهذا — اقتنع عقله  
بأن الحسرة والأمل هما اللذان يميلان به إلى المبالغة  
والتعجل والقول بما لا يعلم — ولكن شعوره مع



لست فاهمة .. معذرة »  
فأدرك أنه تهور ، وأنه لا معنى لتحميلها تبعة  
ما لقي في تلك الأيام . وكان الدق الذي في قلبه قد  
هدأ ، وأنفاسه قد انتظمت فقال : « معذرة ..  
لا تؤاخذيني .. إنما عنيت اني تعبت في البحث  
عنك .. أوه كل يوم ... وكل ليلة ... لم أدع شارعاً  
من شوارع غمرة إلا مشيت فيه مرات بعدد  
شعر رأسي »

فقلت : « غمرة ؟ » ( وضحكت ) إن بيتي في  
المنشية ... ولكن لماذا أتعبت نفسك ؟  
وكانت عيناه قد اتسمتا جدا ، وهو يسممها  
تقول ان بيتها في المنشية ؟ ثم قطن الى ما في ذلك  
من سحر القدر ، فابتسم وقال لها : « لأنك أخلفت  
وعدك ... ألا تذكرين ؟ ما علينا ! . والآن قد  
وجدتك فإلى أين ؟ »

قالت : « إني ذاهبة لشراء أشياء »  
قال : « أحملك في سيارتي الى حيث تريدان  
فإني أكره أن أكلك في الطريق . . . لأجلك  
لأجلى »

وأقنعها فركبت معه ، وقال لنفسه إنها دقائق  
ليس إلا ، فلأبج لها بما أجن من الشوق ، وراح  
يصف كيف كان يصبو إليها ، ويتلهف على رؤيتها ،  
وكيف كان ينتظر بجانب التليفون كل يوم ساعات ،  
وكيف كان يعيش في غمرة محققا في البيوت ، أي في  
شرفاتها وشبابيكها ، ويصطدم بالناس والأشياء  
ولا يبالي أو يعتذر

وكانت تنصت ولا تقاطع ، فلما فرغ قالت له :  
« هل تريد أن تضحك علي ؟ »

قال وهو كالذهول : « أضحك ؟ »  
فقلت وقد أيقنت من هيئته أنه صادق : « اني  
أصدقك ... ولكن أليس هذا غريباً ؟ .. انه

وربع مليون نسمة فلا أمل في لقائها إلا بمعجزة ...  
وأولى بي أن أكب عن البحث فانه عناء باطل ...  
ولأسهل من ذلك أن ألتبس إبرة في كوم من القش » .  
وكان قد بلغ العتبة الخضراء فتذكر أنه لم يحلق  
ذقنه ، فترك السيارة الى جانب الرصيف الأيسر  
المحاذي لخط الترام ، وذهب الى دكان حلاق وهو  
يحادث نفسه بأنه سخييف .. يخرج من البيت من  
غير أن يحلق .. « لنفرض اني التقيت بها فهل  
أقبلها بهذا الوجه القذر ؟ » وضحك من نفسه  
وهو يقعد على كرسي الحلاقة وقال - لنفسه  
طبعاً - : « يعني خلاص ؟ لم يبق إلا حلاقة  
الدقن ؟ . أهذا كل ما كان يمنع ان ألقاها ؟ . أما  
إني لسخييف »

وكان يبتسم والحلاق يجري الموسيقى على صفحة  
خده فيضطر أن يرفع يده حتى يعود جلد الوجه الى  
الملاسة بعد التقبض . ومن يدري ماذا كان الحلاق  
يقول لنفسه وهو يرى هذا الزبون الطارئ يبتسم  
أو يعبس بلامناسبة ؟ . . .

وخرج ومشى مطرقاً الى السيارة ، ووقف  
أمام بابها ليفتحه ، ويركب ، وإذا به يرى الفتاة  
واقفة على رصيف الترام . وكانت وحدها أيضاً .  
أو على الأقل لم يكن الى جانبها أحد لا من هنا  
ولا من هنا ... فذهب بعدو إليها وقال لها وهو  
ينهج - لامن الجري بل من الاضطراب العصبي -  
وقلبه يدق كالطرقه

« أنت فين ؟ . هلكتني »  
فالتفتت إليه مستغربة ، أول الأمر ، ثم عرفته  
فقلت ببساطة : « آه ... أهو أنت ؟ . سلامات »  
قال : « سلامات إيه وهباب إيه ؟ . يمجبك  
كده ؟ . أنا مت .. »

فقلت بدهشة - وقطبت - « مت ؟ .

مفاجأة لي أنا على الأقل»

فقال بأخلاص : « لقد كانت مفاجأتى أنا أقوى ... لم أكن أتصور أن يحدث لى هذا ... أن أحب من النظرة الأولى ... كان هذا يبدو لى مستحيلاً ... ولكن الأيام توات وأنا لا أزداد الا شغفاً ... لم يفتر شوقى اليك وذكرى لك ... لم تهت صورتك ... بل صارت أقوى وأسحر ... لا أدري كيف ... »

فقال فجأة : « اسمع ... اذهب الى الجزيرة » فكاد يطير من الفرح ، وبلغها فى أوجز وقت ، ولم يمبأ بالمارة ولا بشرطة المرور ؛ وكانت تبسم إذ تراه لا يتكلم ولا يعنى بشيء إلا أن يبلغ الجزيرة فى مثل ومض البرق . ووقف هناك فقالت : « لا ... يحسن أن تمشى على مهل ... أو وقف ... لا بأس ... » وسره وهو جالس إلى جانبها فى السيارة أن يسمها تقول له : « إني أخشى سوء ظنك ولذلك أرى أن أروى لك قصتى ... لن أذكر أسماء ... »

فهز رأسه مقتبلاً ... أليست قد صارت يعنىها أن يحسن رأيه فيها ... حسبته هذا ... » وروت له قصتها فقالت : إنها كانت مخطوبة لشاب من أسرة كريمة غنية ، وإنهما تحابا بمد الخطوبة ، فما رآته قبلها ، ومضت الأيام وكرت الليالى ، وكانت تلاحظ مستغربة أنه لا يذهب معها الى سينما أو مسرح ، أو يخرج معها للتنزه ، وكان يعتذر دائماً بالعمل وضروراته ، فكانت تقول عذره ولا تلج عليه ، ولا تغير الأمر أدنى تفكير ، حتى كانت الليلة التى رآها فيها فى بيت صفية ، وكانت فى السينما مع أمها ، وإذا بخطيبها يدخل وذراعه حول ذراع فتاة اسرائيلية — هى اسرائيلية على التحقيق ، سحنتها تدل على ذلك — وكانت الأنوار قد أطفئت

لأن السينما كانت قد بدأت تجلسا وراءها ، فلم يبق لها عين ترى السينما بها ، ولا عقل يفهم ، ولا أذن تسمع إلى ما يهمس به خطيبها فى أذن صاحبته فسمعت ما فهمت منه — على الرغم من تقطع الكلام وضجة السينما ، أنه سيظل وفياً لها لا يتجلى عنها ، وأن ما سمعته عن زواجه أو وشك زواجه كذب وافتراء ، وأن كلام الناس كثير ، وهل هو مجنون حتى يتزوج هذه المصوفة المعروفة ؟ ولم تستطع أن تسمع أكثر من ذلك لأن الدم صعد الى رأسها فدار ، ثم نهضت واعتذرت الى أمها بأنها مريضة وأنها ستذهب الى البيت لترقد . همست بهذا فى أذن أمها ... وتركها قبل أن نستطيع أن نقول شيئاً ، وخرجت كالمجنونة ، وظلت ماشية على غير هدى ، ولم تدرك أنها فى حى غمرة إلا بعد أن خرجت من بيت صفية ... وكل ما تعرفه عن هذا السكران — أحمد — أنه لف ذارعه بذراعها — لا تدري ولا تذكر كيف — وأنها صعدت معه فما كان فى رأسها عقل ... هذه هى القصة .. وقد انتهى كل ما بينها وبين خطيبها .. لم تقل شيئاً لأمها ولا لأبيها .. اكتفت بالاصرار على الرفض .. فتركاها وشأنها لما رآيا عذف الاصرار ، ولأنهما أدركا أن الأمر لا شك خطير .. وقالت له أخيراً إنها شاكرة له وحافظة لجميله ، لأنه رد إليها عقلها فى تلك الليلة

ولما فرغت من قصتها أدهشها بقوله : « تزوجينى ! »

فلم تستطع أن تقول أكثر من « أ ... أتة ... إيه ؟ ... »

فلم يجعل باله الى دهشتها ، ولو جملة لكان خليقاً أن يحس مما يفتر من حماسه ، بل أعاد الطلب : « تزوجينى »



الى الاسكندرية ، واستأجرا هناك شقة مفروشة  
في « الرمل » قريبا من البحر ، فدخلت عليها يوما  
صديقة لها من عهد الحداثة اسمها « زكية » وكانت  
شديدة العناية بثيابها وعطورها ، مسرفة في حبها  
للسباحة والرقص ؛ وكان هواها هذا يثير لظما كثيرا  
حول اسمها ، ولكنها كانت لا تبالي ذلك اعتمادا  
على مالها وجاه أسرتها ؛ وكانت تعتقد أنه يسعها  
أن تفعل ما تشاء ، لا ما ينبغي ، فكان أترابها  
يحسن استقبالها في بيوتهن ، ويتقن أن يخرجن  
معهن ، مخافة أن يمتد اليهن القيل والقال ؛ ولم يكن  
فيها سوء ، ولكن استخفافها بالتقاليد وافراطها  
في استعمال حريتها ، كانا عظيمين ؛ ولم تكن كل  
فتاة يسعها ما يسع زكية . وكان معروف عنها أنها تجري  
مع أول الخاطر ، وأنها أصرح مما ينبغي ، فكان  
لسانها يفسد عليها مزايا الصدق والصراحة وطيب  
القلب ؛ ولم تكن تبالي أن تحشر نفسها فيما لا يعينها ،  
ولم يكن هذا عن فضول بل عن إخلاص وغيره ،  
ولكن دخولها في شؤون غيرها فلما كان يحلو للناس  
وقالت لعائدة وهي تجلس على كرسي :  
« ما أبهاك اليوم يا عائدة ! . يظهر أن الزواج زاد  
حسنك نظارة »

وأبتسمت وهي تخرج من حقيبتها الصغيرة  
علبة مذهبة مرصعة فتحتها وأخذت منها سيجارة  
مذهبة الفم أشملتها وراحت تدخن وتنفخ  
وقالت عائدة : « وأنت ؟ إلى أراك ترجسة ! .  
هذا الثوب وحده حلم جميل . . . لم أرك منذ أيام !  
فاذا كنت تصنعين بنفسك ؟ »

قالت زكية : « دعيني وقولي لي أين عبده ؟ »  
قالت عائدة : « عبده ؟ .. إنه في مصر ... له  
ثلاثة أيام هناك ... تعرفين العمل وضروراته »  
فقالت زكية وهي تنفخ الدخان وقد شردت

فقالت : « إنك مدهش ! »  
قال : « كلا .. إني أحبك ، وقد عانيت في  
الأيام التي افترقتك فيها ما علمني أنني لا أستطيع  
أن أحيأ بدونك » فتزوجيني »

قالت : « وأنا ؟ ليس لي حساب عندك ؟ »  
قال : « بالطبع .. ولهذا أقول تزوجيني »  
فقالت : « أرجو ألا تسيء فهم ما أقول ... لو  
كنت أحبك لما وسميتني أن أتزوجك الآن ...  
فقد يقال إني تركت خطيبي من أجل رجل آخر »  
قال : « ماذا تبينين برجل يقول عنك ما قال ؟ »  
قالت : « لست أباليه ، وإنما أبالي الناس ...  
أهلي ومعارفي »

قال : « ماذا يعنيتك منهم إذا كنت سعيدة  
معي ؟ »  
قالت : « اسمع ... قبل أن تخف حسدة الألم  
الذي أعانيه لا سبيل إلى التفكير في شيء »  
قال : « مسكينة ! . ولكن هل معنى ذلك أن  
لي أملا »

قالت : « من يدري ؟ ثم إني لست أبي »  
قال : « أبوك ... آه أبوك ! . ولكن ماله ؟ »  
قالت : « قد يكون له اعتراض »

قال : « اعتراض على سماعتك ؟ . أم تريدني  
أن تقول إنك لا تعرفيني ؟ . معك الحق »  
وعرفها بنفسه وأفضى اليها بكل ما يمكن أن  
يحتاج إلى العلم به ، ولكنها مع ذلك رجت منه أن  
يفيها من حديث الزواج فسكت ، واكتفى بوعده  
منها بأن تلتقيه من حين إلى حين

وصارا يلتقيان كل بضعة أيام مرة ، ثم كل  
يومين ، ثم كل يوم ، وأخيرا خطبها إلى أبيها وتزوجا  
ومن عام وجاء الصيف ، فانتقل عبده و«عائده»  
— فقد آن أن نعرف اسمها كما عرفه زوجها —

إن في وسعك أن ترديه إليك إذا أحسنت السياسة ..  
الأمري يحتاج إلى كياسة وحسن تدبير ... ولم أقل  
لك ما قلت لأفسد عليك حياتك ، بل لأنهم إلى  
الخطر لتعالجيه بالحكمة »

فصاحت عايذة : « أتظنين أني أقبل إن أظل  
مع عبده بعد هذا ؟ . بعد أن خانني ؟ . كلا ...  
ولو ظل يتوسل إلى على قدميه سنوات ! . يعطى  
خاتماً لومس ، وما مضت على زواجنا سنة واحدة ؟  
هه ؟ ... ويحذرها أن يتصل بي الخبر ؟ . » وتحدثت  
الدموع على خديها « إني أحب عبده ... حبه يملأ  
قلبي ، وكان حبه يعمر صدري ... أتظنين بي أني  
أتدنى وألجأ إلى الحيل لاستميد حبه لي ؟ . أألوث  
نفسي لأنزعه من هذه المرأة ؟ . كلا ! الحب الذي  
يذهب لا يعود ! . والنار التي تتمد كيف يرجى أن  
تعود مضطربة ؟ . لقد مرق عبده قلبي ! . إقتلع  
أحشائي من جذورها . ولا أستطيع أن أغتفر له  
هذه الخيانة »

وغلبها البكاء ، وتسانلت عبراتها ، واضطربت  
شفتها ، وعجزت عن الكلام . ثم أحست يداً على  
كتفها ، وصافح سمعها صوت عبده :  
« أنا خائن يا عايذة ؟ . كيف اكتشفت خيانتى ؟ .  
مهلاً ... لقد سمعت كل كلمة »

فقالت زكية . « أنا أخبرتها ... رأيته تعطى  
تلك المرأة أمس خاتماً ، وشمرت أن من واجبي  
أن أنبه عايذة »

فقال عبده : « هل تسمحين بالخروج من هنا ؟ .  
ولا تكلفي نفسك عناء الرجوع مرة أخرى ! . »  
ففضبت زكية وصار وجهها كالجمرة وقالت  
وهي تخرج : « هذه إهانة فظيمة »

فقال عبده : « إذهي وسكني أعصابك بالرقص  
مع أول رجل تصادفينه »

نظرتها : « العمل ... إن العمل لا يمكن أن يقصى  
الرجل عن فتاة لها مثل جمالك وسحرك ... شيء  
واحد هو الذي ينأى به عنها ... امرأة أخرى ! »  
فبهتت عايذة وحملت في وجه صاحبها بعينها  
الواسعتين ثم قالت : « هذه سخافة يا زكية ...  
لا ينبغي لك أن تظني هذه الظنون بعبده ، ومن  
باب أولى لا يجوز مثل هذا الكلام عنه »

فقالت زكية بالهجة المصرة : « ألا يجوز لي  
ذلك ؟ حسن . اسمي إذن . واذكري أنه ليس لي  
غاية أبغيتها من وراء ما أقول ، وأنه ليس أحب إليّ  
من أن تكوني سعيدة موفقة ... ولكنه يبدو لي  
أن من واجبي أن أعرفك أن عبده على صلة بامرأة  
هي الخطيئة مجسدة »

فربت عايذة ، ووثبت إلى قدميها وأحست  
أن رأسها يدور ، ويدور ، فاعتمدت على ظهر  
الكرسي وامتقع وجهها ونظرت إلى زكية مبهوتة  
فقالت زكية : « صحيح يا عايذة ! . لقد  
رأيتهما معاً البارحة في سان جيمز ... وسمعت  
حديثهما أيضاً ، فقد كنت قريبة منهما أراهما  
ولا يرياني ؟ وكان مما سمعته : « إن زوجتي لا يجوز  
أن تعرف شيئاً من هذا أبداً ، فليبق بيني وبينك  
فقط » ثم أخرج من جيبه خاتماً لا أدري ماذا يساوي  
ولكنه على كل حال لا يمكن أن يكون من قصدير .  
والآن قد عرفت الحقيقة ، فإذا تنوين أن تصنعى ؟ »  
وكانت عايذة تنظر إلى الأرض ، أو إلى قدميها ،  
فلم تجب ، فأعادت زكية السؤال ، فقالت عايذة :  
« أصنع ؟ تسأليني ماذا أنوي أن أصنع ؟ .  
ليس هناك سوى شيء واحد أستطيع أن أصنعه ...  
أغادر الاسكندرية حالاً ! . ولن آخذ معي شيئاً ...  
إنتهى كل شيء »

فنهضت زكية وقالت : « لا تكوني سخيفة ...



وأخرج من جيبه ورقة ودفع بها إلى عابدة

\*\*\*

وقال عبده ، وهو يسير مع عابدة على شاطئ البحر :

« إني سعيد .. سرفى ما حدث »

فاستغربت وقالت : « سرك ؟ لست فاهمة »

فقال بابتسام : « لأنى لما سمعتك وأنا واقف فى مدخل الباب ورأيتك تشورين هذه الثورة أيقنت أن حبك لى لا يمكن أن تنال منه الأيام أو تفتقره الحوادث »

فقلت بنجبت : « لا تسكن واثقا .. »

وذهبت تعدو أمامه ، وقد وسمها أن تضحك وتمزح ، فجرى وراءها ، وخاض الماء إليها ، وتناولها بين ذراعيه ، وضمها إليه ، وأهوى بشفتيه على شفتيها . ابراهيم عبر القادر المازنى

ثم دار وواجه عابدة فقالت وهى تنتحب :

« كيف تفعل هذا ؟ . كيف ؟ »

وحالت الدموع دون الكلام ، فقال عبده :  
« اسمى يا عابدة ... ان المرأة التى كنت معها فى سان جيمز هى « صوفى » أو صافية ... هل تذكرين هذا الاسم ؟ . يظهر أنه كان لها مآرب فى ... وأنا لا أدرى . ويظهر ان زواجى أحققتها ، وقد راحت تلفظ وتتحدث بأنى عرفتك فى بيتها ... لا تبالى ، ان هذا طمن عليها هى قبل أن يكون ظمنا عليك أو على ... الحقديعى وبصم ... لهذا اضطررت أن أتألفها وأقيدها ... إستكثبتها إقراراً بضطرها الى قطع لسانها بعد اليوم ؛ وكان لا بد أن أدورها وأحاورها فأنقذتها مبلغاً من المال ... قليلاً فى الحقيقة .. وأعطيها خاتماً ليس له قيمة كبيرة ، لأنى خفت عواقب لفظها ... سمعة المرأة كسمعة البنك ... »

# علمكم المصرى

## برفرف على

# النيل و كوثر

## فهما رمز بلادكم

سافروا عليهما تجسدا راحتم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩



تترقق عبرات الفيض والشر ... وهو يستشعر في نفسه السمو على من حوله من رفاقه جميعاً حتى الطالب الجامعي مولر ، ثم هو يحتقره ويزدرجه لأمر في نفسه ، وهو دائماً يهيج غيظه ويثير غضبه بكلمات فيها السخرية والتهكم ؛ ولكنه الآن قد جلس في هدوء وصمت ، ونظراته تقتحم هذا الطالب القدر ... وفي الناحية الأخرى من النضد جلست البصابات أخت كلوتيلدا الصغرى وهي في السابعة عشرة ، ثم ابنة عمها كلارا وهي في السادسة عشرة ، ثم فتاتان في سنهما هما هيلين وماري أختا أُنُو وهو في الخامسة عشرة ، وهم أبناء أحد الجيران وكلهم بلعميون الورق في هدوء وسكون تبدو عليهم اللذة والغبطة ... إلا الطالب مولر فقد جلس يقرأ شعراً

وراح أُنُو يتشاءب في ملال ، وسرت العدوى إلى كلارا فراحت تتشاءب هي الأخرى ، وإلى جانبها البصابات تفيض نشاطاً وحياة ، ويزعجها ما ترى في هذين من كسل فتثور بهما الفينة بعد الفينة ... وابتدأ الخمول يتسرب إلى النفوس ؛ غير أن المغارم ما تزال تدفع إلى كلوتيلدا مرة بعد مرة ؛ والطار ما يزال ينهمر والرياح تصفر صفيها الزعج وأرادوا أن يردوا المغارم إلى أهلها ، فأرغموا الذين خسروا على أن يعملوا عملاً : فهباين تقف

أرخی الليل سدوله على الكون ، والطار ما يزال يتهلل رذاذاً يلاطم زجاج النافذة في رفق ولين ؛ وهم في حجرة من منزل ريفي حيث يقضون عطلتهم ، وقد تناثروا حول نضد عليه مصباح ينبعث منه ضوء هادئ ضئيل ؛ وهم جماعة من الشبان والشابات بين الربيع الخامس عشر والعشرين من العمر ؛ وكلوتيلدا أكبر الفتيات سناً لم تسليخ الثامنة عشرة ؛ فتاة في مستقبل العمر وفجر الحياة ، في مبة الصبا واكتمال الأنوثة ، تضطرم في وجنتيها حمرة الشباب والجمال ، هيفاء جذابة ، فيها الملاحاة والظرف ، وفي نظراتها السحر والفتنة ؛ وهي جالسة إلى جانب طالب جامعي رث اللبس ، زرى الهيئة ، منتقع اللون ، تبدو على وجهه سمات الحياء والجن ، وفي نظراته الاضطراب والضعف ؛ ثم هو هادئ رزين ، يرى مجون من حوله فيبسم في هدوء ودعة ، ثم لا يخوض فيما هم فيه من لهو وعبت ... وقبالة كلوتيلدا يجلس أُنُو وهو شاب في السابعة عشرة كث الشعر سبطه ، تنبعت من عينيه أشعة نقادة علامة ذكاء وفراهة ، وفي وجهه يتدفق دم الشباب الحار علامة صحة وسلامة ، وبداه منقبضتان كأنما تحرزان ثميناً علامة قوة وفتوة ، ثم هو قد ورث عن أمه الألمانية الليل إلى الصراخ في وجهه من يعانده ، صراخ الغضب والحنق ؛ وفي عينيه



كلوتيلدا : « نحن بخير يا أماء ! » وقالت اليصابات :  
« لقد أفزعنا المطر والريح . وماذا تفعلين أنت  
وأبي ؟ أما تزالان تلعبان الورق ؟ » قالت المرأة :  
« نعم ، ما زلنا ... اتخذوا لكم سلوة ... » ثم  
أغلقت الباب في رفق . . . . . وساد الصمت  
مرة أخرى

وانطلقت كلوتيلدا وكلارا الى النافذة تنظران  
من خلال الزجاج ، فانطلق مولر على آثارها وأتيليو  
جالس الى النضد ينظر ... وأتو يضرب في أنحاء  
الحجرة يغنى أغنية انجليزية اهتزت لها اليصابات  
فراحت ترقص على نغماتها وابنتا الجار ترمقانهما في  
لذة وطرب

\*\*\*

وعلى حين بفتة انتفض أتيليو وهو يقول :  
« ما هذا ؟ ماذا وراء ... ؟ أفيسطر علينا الخلود  
والكسل فنظل في هذه الحجرة الضيقة طول الليل ؟  
لا بد أن نعمل شيئاً ... » قال مولر وهو يبسم في تهكم :  
وما تطلب اليينا أن نعمل ؟ قال : « فلنعمل شيئاً ..  
شيئاً مثل ... فلنذهب الى الغابة » قال الآخر :  
« عجبا ، أفنذهب تحت هذا الماء المنهمر ؟ » وراح  
أتيليو يقلده ويسخر منه « الماء المنهمر ؟ » لقد  
كان يبغض هذا الطالب من قلبه ، أما الآن وقد  
رأى كلوتيلدا تنظر اليه شزراً حين سخر منه فقد  
استحال هذا البغض الى كراهية ومقت يخزان  
قلبه في غير رحمة ولا شفقة

لقد رأى هو هذا الطالب منذ فترة يقف الى  
كلوتيلدا وقد ألصق جسمه بجسمها فأحس هو  
بالدفء والحياة ، وأحست هي . . . ثم ارتدت  
إليه ذكرى أيام عطلة عيد الامبراطورية حين كانت  
كلوتيلدا لا تراقص إلا هذا الشاب ولا يراقص

صامتة لا تتحرك ولا تتعامل ، وكلارا تحفظ  
قطعة من الشمر ، وأتوا يقلد صوت الحيوان ،  
وكلوتيلدا تصطنع الحماقة فتهدم على رفاقها بألفاظ  
جافية نابية ، وأتيليو يمثل دور صملوك أرسطقراطي  
تعيّنه رفيقته اليصابات

وراح أتيليو يتصمك على كلوتيلدا ، وحين  
وقف بأزائها نزت منه نزوات العاطفة الفياضة  
الجائحة ، وأحس كأن نارا تستعر في قلبه ، فرفع  
يدها الى فيه يريد أن يقبلها ، وعيناه تحديقان في  
عينيهما ، ثم ذهل عن نفسه ... وأجهدت اليصابات  
نفسها في أن تجره بعيداً فأبى وقلبه يضطرب ...  
وسحبت كلوتيلدا يدها في رفق ، وفي نظراتها  
الشفقة والمطف ، وعلى فمها ابتسامة رقيقة ؛  
والجميع يرمقونه في دهشة وعجب ، إلا مولر فقد  
سيطر عليه الحقد والغیظ

وانتهى أتيليو ناحية ، وثار به اليصابات :  
« حقاً لقد كنت وقحاً » وأصم الشاب أذنيه عن  
لوم الفتاة ، ونهتهم ماري الى أمر حين قالت :  
« والآن ماذا نفعل ، والمطر ما يزال يتدفق ؟ »  
وكانت الماصفة تزار وتصفع جدران الدار في شدة  
وعنف ، ثم اضطرب المصباح يوشك أن ينطفئ ؛  
وفزعوا جميعاً حين سمعوا الباب بصر صريراً شديداً  
وأوراق الأشجار تعصف بها الرياح فتنبعث منها  
أصوات مزعجة ، والسماء ترعد وتبرق تنذر بأمر ؛  
وران عليهم حزن عميق نزع عنهم ما كانوا فيه  
من مروح ولهو ، فوجوا ...

وفتحت باب الحجرة المجاورة امرأة فيها  
الجمال والظرف ، وقد تشعث شعرها الأسود الناعم  
وعلى شفيتها ابتسامة عذبة ثم قالت : « ماذا بكم  
يا أولادي ؟ لماذا تجلسون في صمت ؟ » وأجابت

عن هذه الأصوات المنكرة ، هذا وقت سرور بانقطاع المطر ! » وقال الطالب وهو يبسم في تهكم : « لقد انتهى هناك وابتدأ هنا . . . في الدار ! » وفي الحظي لقد كانت القطرات تتساقط من خلال السقف في رفق أولاً ثم في شدة ؛ وفتحت اليبابات النافذة فاندفع الى داخل الحجرة هواء ندى بارد نفث فيهم جميعاً روح النشاط والقوة ، فقالت كلوتيلدا : « الآن نستطيع أن نخرج الى نزهة قصيرة . . . » ووافق هذا هوى في نفوس الجميع فانطلقوا يفتشون عن معاطفهم وقبعاتهم في صخب ولجب ، ثم راحوا يتشاورون فيما يفعلون . . .

وقال مولر : « نزهة في الغاية مشياً على الأقدام » فأجاب أنيليو في إحتقار : « مشياً على الأقدام ؟ كيف ؟ كأنك تريد أن ينطلق كل اثنين معاً ! كأنك تعنى . . . ! » ووقفت الكلمات على شفثيه فما استطاع النطق ، فأجابت كلوتيلدا حين اضطرب الشاب : « الأدب والحياء يا أنيليو ! » ونجد ما كان في أنيليو من حماسة وشجاعة حين رأى عيني الفتاة تقعدان شرراً يتطاير ، وهفت نفسه الى أن يعتذر ، غير أن كبرياءه ألجمته فجعد في مكانه . واندفع الشاب وقد ارتد إليه هدوؤه : « لعل ما فيك من ذكاء وفراهة قد أوحيا إليك بشيء ، فما هو ؟ » وأحس أنيليو بالصفعتين في وقت معاً فتخاذل ثم قال : « الى النهر ، ونصحب معنا المصاييح اليابانية ندرأ بها الظلمة والضلال . أموافقون ؟ » وصاح أتو وإليصابات معاً : « حسن ! » وتبادلت هيلين وكلارا النظرات . . . نظرات الفزع والريبة ، وبدأ عليهما الجبن والخور ، غير أنهما ما استطاعتا أن تقولاً شيئاً ، وقالت كلوتيلدا للطالب مولر : « ماذا ترى ؟ » قال : « لا بأس ، فما في النهر ما يفزع وقد هدأت العاصفة ! » قالت هي : « أفعتقد ؟ » وآلم أنيليو

هو غيرها . . . ثم هي لا تذكره هو إلا في النهاية وقد أوشك الحفل أن ينفض فتتطلق إليه نسأله : « لماذا لم تراقصني ؟ » فيجيب في جفاء : « لا أستطيع الرقص ! » وقلبه ينازعه إليها . فتهز هي كتفها ثم تنطلق الى صاحبها ، ليظل هو وحده يتمنى لو آوى الى فراشه وقد أجهده التعب وأضناه المهر . غير أن ريح كلوتيلدا كان يرف عليه عطرأ ندياً بين الفينة والفينة فيبعث فيه النشاط والصبر

لقد ذكر أنيليو هذا وغير هذا مما كان ، فكلوتيلدا ومولر كانا يسيران دائماً جنباً الى جنب ، ويأتیان أسراً واحداً ، ويتبادلان الهدايا والنظرات والابتسامات كما شقين يهفو قلب كل منهما نحو الآخر فما يستطيع عنه صبراً ، وارتدت الحوادث المؤلة في خاطره يشد بعضها بعضاً فطأطأ رأسه وذهب في غمرات من الأفكار السود ؛ واستطاع أن يرفع رأسه — بعد لأي — وأرسل من أعماقه زفرة كاد ينشق لها قلبه . . . ثم نظر الى النافذة في فتور وتكسر فما رأى أحداً ، فأدار بصره يبحث فاذا كلوتيلدا وصاحبها قد جلسا يقرآن شعراً في كتاب واحد والحجرة في سكوت القبور . . .

\*\*\*

وقطعت اليبابات هذا الصمت العميق بقولها : « أنيليو ! لقد قلت شيئاً ثم أمسكت ! » وفزع هو حين رأى الفتاة تنتزع من أخيلته وأراد أن ينحط عليها بكلمات قارسة لداعة جزاءاً وفاقاً لما أنبته به منذ حين ، غير أنه هدأ من ثورته وقال : « أنا ؟ أنا لا أذكر ! » وصاحت ماري من جانب الحجرة : « لقد انقطع المطر ! » وصاحت هيلين من الجانب الآخر : « حقاً ، حقاً ! » وانطلق الجميع الى النافذة يتدافعون ويتصايحون وكادت تقع بينهم مشادة لولا أن كلوتيلدا زجرتهم : « أمسكوا



والنف حولها الباكون يشجعونها فصرخت أخرى وهي تبكي : « أنا لا أجسر » فطوقتها هيلين بيديها وهي تقول في رفق : « لا تحزني ، سأظل إلى جانبك » وصاح أتو : « نعم ، أيها الجبناء ! » ثم اندفع ليأخذ مكانه في القارب واندفعت الیصابات على أثره ثم ماري ؛ وأمسك هو بالمجدافين وجذب القارب إلى اليم في قوة وهو يغنى ...

وفي القارب الثاني كلوتيلدا ومول وأتيليو . ودفع أتيليو القارب بين الأمواج في تيار جارف ، ثم ... ثم هبت الريح شديدة عاصفة ، واضطرب النهر ، وبعدت الشقة بين القارين ... وقزعت ماري واضطربت الیصابات ، فأرسلتا معاً صيحة عالية أفزعت أتو وزعزعت عزيمته ، واضطرب لها قلبه فارتد إلى الشاطئ وقد خشي مغبة الاندفاع وجرف التيار القارب الآخر ؛ وأتيليو ومول يجدفان في صمت وإطراق ، وكلوتيلدا تضطرب وقد سلبها الفزع من رزائنها ... ثم انطلقا المصباح فران عليهم ظلام عميق ، وخيل إليهم أن صوراً خفيفة تنمكس على صفحة الماء ، وأن أصواتاً خشنة تنبعث من كل ناحية فتنتفث في القلوب الرعب والهلع ... وأجهد الشبان نفسيهما عبثاً أن يبلغا الشاطئ ، والأمواج تجذب القارب في شدة وعنف ، وبدأ لهم جميعاً في كل ما يرون معنى من معاني الحزن واليأس ، وترأت لهم الأصوات حولهم تشييعهم إلى النهاية ..

واستولى الكلال على الطالب فأطلق المجداف من يديه وهو ينظر إلى كلوتيلدا فابتسمت ابتسامة مرة وقد سيطر عليها الأسى واليأس ، وانتفض أتيليو يقبض على المجداف الذي أطلقه مول وهو يصارع الأمواج في عزم وقوة ، ثم أرسل صيحة دوى لها المكان : صيحة فيها السرور والبشرى لأنه

ما رأى فقال : « لا ضير ، فأنا ذاهب ومن أراد فليتبمني » ثم انطلق وفي نفسه الثقة والعزم ؛ وانطلق الجماعة على أثره

وساروا في طريق غير معبد وسط حديقة مهيمة ، قد تشعثت فيها الأغصان وأوراق الأشجار ونبتت فيها الحشائش هنا وهناك ؛ والرياح تمصف فتهمز الأغصان فتتساقط عليهم قطرات كبيرة من الماء تبلل ملابسهم ووجوههم ؛ وأقدامهم تنغوص في أرض رطبة ليننة ؛ وحين بلغوا النهر صاحت الیصابات : « المصاييح ، المصاييح ! » وانبرى أتو في شجاعة .. ثم انطلق إلى الدار ليحضر المصاييح والثقاب

\*\*\*

وكان الماء يندفع يلاطم بعضه بعضاً فينبعث منه خرير كهدير الرعد ، والأمواج تضطرب وترجرج ، والتيار يحمل بعض الأغصان وأوراق الشجر وقطعاً من الخشب ، وفي فجوة على الشاطئ قاربان أترع أحدهما بالماء .. واندفع أتيليو ينشل الماء من واحد ، ومول إلى حبل القارب الآخر يفك عقده ، والفتيات ينظرن في صمت ، وكلوتيلدا تنظر إلى السحب المتكاثفة في السماء

وأفلح الطالب في حل رباط القارب ، وحين انطلق إلى الثاني كان أتو قد عاد وصدره يعلو ويهبط من أثر الاجهاد والمصباحان تحت مظفقه . وراحت ماري تهزأ بالطفل حين رآته قد أساء اختيار المصاييح فتصاييح الصبية ، ودوى الصوت في أذني الطالب يزجه وقد أعجزه أن يفك المقدمة فصاح في غيظ : « الصمت ، الصمت ! » وكان أتيليو قد انتهى من عمله ، فاندفع إلى الطالب ينزع منه الحبل ، وفي لحظة البصر كان قد حل المقدمة ، ثم أضاء المصباحين في مهارة وإتقان ، ثم قال في هدوء وكبرياء : « قلنبذا ! » واضطربت كلارا ثم صرخت : « أنا لا أجسر »

لقد ثارت العاطفة في قلب الصبي فما استطاع أن يرد جمحاتها ، وترقرقت العبرات في عجزه فما استطاع أن يكفكفها ، فانطوى إلى نفسه يحبسها حديث قلبه ، ثم .. ثم أضاء المصباح وراح يقاب بصره فيما حوله ، فرأى طريقاً ممهداً بازاء النهر فساراً في صمت جنباً إلى جنب ، وقطع هو هذا الصمت بقوله : « يا عجيباً ، لقد بلغنا البر بعد إذ فقدنا الأمل وعلينا الآن أن نحمد الله ... » وصمتت الفتاة فما أجابت فأطرق هو في حياء وخجل ... ثم قال : « أمتعبة أنت يا كلوتيلدا ؟ » وأصمتت هي أذنيها عن حديثه ثم انطلقت بعيداً كأنها تهرب منه ، وأحس هو بالألم والخيبة يخزان في قلبه ، فرفع المصباح ليرى مكانها منه ؛ ثم اندفع على أثرها يقول في خضوع وذلة : « كلوتيلدا ! أفاغضبتك ؟ ماذا ، ماذا فعلت ؟ » ثم انتقع لونه ، واضطربت أعصابه ، وفترت قوته لأنه ... لأنه تذكّر ...

ومازعتة نفسه إلى أن يجثم عند قدميها يتوسل ويتوسل ، غير أن شيئاً في نفسه رده فما استطاع أن يفعل ، ثم قال في همس واضطراب : « كلوتيلدا ! ماذا جنيت ؟ لم أفعل سوءاً ! أنا لا أذكر . حقاً ، أنا لا أذكر ... » وخفت صوت الفتى قليلاً قليلاً ، ولكنه ما يزال يستمطعها : « لماذا ؟ لماذا تقسين علي ؟ لماذا ؟ لقد علقته وأغرمت بك ! » وكانت هي قد بسدت عنه فما سمعت كلماته الأخيرة ، وانطلق هو على أثرها . فقالت له في جفاء : « دعني ، دعني وحيدة ! » واستطاع هو أن يرسل من بين أناته الخافقة : « لا ، لا يا كلوتيلدا ! لم أجن ولم أجترى ! إن قلبي ... » ثم راح يلين ما قسا من قلبها ، ومن حولها الطبيعة القاسية عابسة مهتاجة تبعث في قلب الفتى الأسى والحسرة ، وهي ... هي كلوتيلدا تنفث فيه اليأس والألم ...

استطاع أن يجذب القارب رويداً رويداً إلى الشاطئ وقفز مولد إلى الشاطئ وأمسك بالقارب يريد أن يجذبه إليه ، غير أن موجة قوية غلبته على أمره فانفلت القارب ، وأفزعه ما رأى فصرخ صرخة شديدة ... وراحت الأمواج تتقاذف القارب وقد ذهل الاثنان عما هما فيه فما استشعرا الصدمة ؛ وما أحسا أن القارب قد انخرق برغم أن حذاء كلوتيلدا كان قد اغتمر في الماء ، فكانت ترتعد من شدة البرد ومن شدة الخوف معاً

وأحس أتيليو بالاعياء والجهد فألقى المجذافين جانباً وقد استرخت ذراعه إثر صراع عنيف دام طويلاً ؛ ثم قال في أسى : « لقد تهدمت ، ستكون النهاية ؟ » فأجابت كلوتيلدا بصوت فيه نبضات قلبها المضطرب : « استمر ، استمر » وحاول هو أن يستمر ، غير أن قوته كانت قد تحطمت فخر على ركبتيه ومال رأسه فلمس رداء الفتاة واستقر في حجرها ، فصاحت : « ماذا ، ماذا تصنع ؟ .. » ولكنه كان قد خرج عن وعيه فطوقها بذراعيه في رفق وشغف ، ودفعته هي عنها في صمت ولين ، فاستلقى في قاع القارب ، ثم قام وقد آلمته الصدمة ، واندفع إليها ثانية .. لقد رنت في أذنيه صبيحة خافتة ثم لم يشعر بسوى شفتيها الجميلتين تلمسان شفتيه ؛ وإلا جسمها الغض الرطيب اللدن ينفج عبيره حواليه ، ثم يلمص بجسمه ؛ وإلا شعرها ، وقد عبثت به الرياح ، يداعب وجهه فينفث في قلبه الشاب معاني ومعاني ...

ووقف القارب فجأة ، فالتفت هو مذعوراً ، فبدا له أنهما على خطوات من الشاطئ ، وفي قوة الشباب وعزمات الرجولة جذب القارب فاذا هما ... فاذا هما في أمان ... ثم هبطا إلى الأرض وقد ابتدا الظلام ينحسر عن جبين الفجر وهما يستشعران برد الليل في مفاصلهما



ورقة ... وهو يرى ... وهو يرى ... وثبتت الفتاة في خياله ما تبرح ولا تتحول ؛ فأحس بدمه يغور في عروقه ، فهب يريد النهر ...

واستقبله النهر وفي خريف أمواجه المويل والبكاء ، وجلس هو على شفا جرف يردد بصره في هذا الخضم ، كأنما ينظر الى نهايته ؛ وفي أذنيه ترن هذه النغمات الحزينة تثير في نفسه الشجن والحزن ، ثم راح يحدث نفسه : « لو أنني ألقيت بنفسي لانت متاعبي ... » لقد عصفت به أحزانه فسلبته عقله ، فراح ينشق نسائم النهر في لذة ومتمعة ، ويرى في اضطراب الأمواج وزججرتها رنات فيها السحر والفتنة ... هنا ... هنا ينتهي شبابه ويطوى كتاب حياته ... ثم اضطرب وسرت في مفاصله هجاء الخوف ، فقال يهدى نفسه : « ما هذا ؟ إن المرء لا يموت إلا مرة ! » غير أن الجبن والخور وحب الحياة والحسرة على شبابه كانت جميعاً قد استيقظت في قلبه فارتد عن النهر فزعاً لقد ذهل عن نفسه فما استطاع أن يسمع وقع أقدام المساة ولا أصواتهم وهم يقتربون منه ، وقد ابتسم الفجر ... وأصر على أن يرجع إلى الدار لينام ، فيستجم ، فينسى ... ثم انطلق وهو يقول : « وبلى ! أفكل هذا في سبيل الفتاة ... ؟ »

وعلى حين بغتة أحس يدين تلمسانه في رفق ، ووجه بللته المبرات يلصق بوجهه في عطف وحنان ، وهي تضمه إليه في شوق وشغف ، وأضاءت الحياة في عينيه مرة أخرى ، وشاع السرور في قلبه ، وسيطرت عليه نشوة اللذة والسعادة ، ثم فتح عينيه يستشف ما وراء ، ففزع فارتد ... ثم اندفع ثانية ليلقى بنفسه بين أحضان أمه

كامل محمود حبيب

وبدا لها شبح يضرب في الأرض يبحث عن شيء ، وارتفع من ناحيته صوت ينادي : « من هناك ؟ أتيليو ... كلوتيلدا ... » إنه هو ... هو الطالب مول . ونادت كلوتيلدا : « هيا ! إنه أنا » ثم اندفعت مولية ...

لقد رأى أتيليو الطالب يسرع نحو كلوتيلدا ، ورآها هي تسرع نحوه ، ثم وقفا جنباً إلى جنب ، وخيل إلى أتيليو أنهما يتماثلان فتجهن وتعبس ؛ وهبت نسمة من نسائم الفجر تحمل إليه حفيف الأوراق كأنه قبلة ! فارتعد وانتفض قلبه ، ثم جدد في مكانه ، وقد استولى عليه دوار شديد فأغلق عينيه حيناً ... وحين أدار بصره رأى الصديقين يلفهما الظلام ، وهو ما زال يسمع صوتاً يناديه : « أتيليو ، أتيليو ! أسرع فنحن في انتظارك ! » وانطرح على الحشائش الندية ، والأزهار من حوله تنفخ عبرها الشذى تريد أن تبعث فيه الهدوء والنشاط ؛ غير أنه كان قد انطوى على آلام مبرحة يتفطر لها قلبه ، وتتداعى لها رجولته ؛ وأظلمت الدنيا في ناظريه ؛ فراح يتقلب في قلق ومضض ؛ وتدفق اليأس في قلبه لينزع عنه نور الحياة وجمالها ؛ واستولى عليه شعور غريب ... شعور الفرار من على الأرض ، من هذا المذاب ... وبدأت له الحياة ، بعد التي أحب ، عبثاً لا خير فيها

واضطرب شبح الموت في خياله ، وتراءى له أنه يشق إليه الظلام في مثل عصفه الريح وهدة الموج ؛ وكلوتيلدا مائلة في خواطره ؛ فهو يراها ومن عينها السوداءين تنبعث أشعة آسرة تجذبه إليها في غير هواة ولا لين ، وهو يرى وجهها الوضاء الجليل ، وعلى شفثها ابتسامة رقيقة عذبة ؛ وهو يرى قدها النحيل الضامر يتهدى في دلال



إذ أن الرجل له مصالح وأطباع ، وطبيعته تدفعه  
إلى ولوج ميدان الحياة ، والكفاح في معمراتها  
الصاخب ، والحب عنده ألهيبة في مستقبل حياته ،  
أو أنشودة ينشدها في أوقات فراغه ، وذلك لأنه  
في شغل عنه بما يطمح إليه من شهرة ، وما يسي  
وراده من ثروة ، وما يروم تحقيقه من فكرة ، فهو  
لا يفتأ مشوقا إلى بلوغ ما يصيبو إليه من سؤدد  
بين أمداده من الرجال ؛ أما المرأة فكل حياتها  
نهب للعواطف ، وما سيرتها إلا تاريخ لنوازع  
القلب ؛ فالقلب دنياها التي تطمع فيها إلى فرض  
سلطانها وإقرار مكانها ، وفيه تنقب عما تتمناه  
من مخبوء الكنوز ، فتطلق كل جارية فيها  
للمغامرة ، وتنطلق بكل روحها مع سفينة العواطف ،  
فإن غرقت سفينتها فقد خاب الرجاء فيها ، إذ معنى  
ذلك افلاس قلبها ودوال دولتها

قد تسبب خيبة الحب للرجل آلاما ممضة ،  
وقد تخرج بعض ما رق من أوتار قلبه ، وتمصف  
ببعض معالم هوائه ، إلا أنه مخلوق عامل يستطيع  
أن يبدد أفكاره ويصرفها بالاندماج في دائرة  
الأعمال المتنوعة ، كما أن في وسعه أن ينفخ في  
الملاهي والمسرات ، أو يسدل مقر سكناه إذا رأى  
أن المسرح الذي مثلت عليه فصول مأساته محاط

(٦)

اعتاد الذين تقدمت بهم السنون ونحطت بهم  
حدود الشباب فلم يمودوا يتأثرون بما يتأثر به  
الشبان من عواطف ، والذين درجوا على الخلاعة  
وشبوا في جوها الزاهي حيث لا مقام لشعور أو قرار  
لعاطفة ، أن يهزأوا بأخبار الحب جملة ظانين أنها  
لا تعدو أن تكون صورا وأفانيص من نسج خيال  
القصصيين والشعراء ؛ إلا أن خبرتي بدخيلة النفس  
الانسانية تخملي على ألا أرى رأيهم ؛ فقد هدتني  
التجارب إلى أن المرء قد يسدو قاترا باردا لشواغل  
الدنيا وهمومها ، وقد يطالع الناس هاشا باشا مراعاة  
لمراسم المجتمع وآدابه ، إلا أن وراء هذا الظاهر  
المهادى نيرانا كامنة ترقد في أعماق أبرد  
الصدور ، وهي نيران إذا أثارها مثير احتدمت  
احتداما لا يعرف مداه ، وقد تسوء عقباه . الحق  
أني مؤمن قوى الايمان بذلك السلطان الأعشى  
ذاهب مع تعاليمه إلى أقصى حدودها . إني مؤمن  
بالقلوب المحطمة إيماني بأن خيبة الحب في رجائه  
قد تعجل بفنائه ، ولكني لا أرى الحب مرضا  
كثير الفتك ببني جنسي ، في حين أني أوثر  
الايمان كله بأنه المرض الذي يصيب كثيرا من  
النساء اللطيفات فيزعجنهن ويذهب بهن ومازلن  
في مستقبل العمر وشرخ الشباب





يا لهولة من قبر ! كم هو نحيف ! كم هو مهين !  
وقد خلت الذاكرة عما عساه أن يخفف غصة الفراق .  
ولم تستطع تلك الملابس الوديمة وإن خالطها النغم ،  
أن تذيب ذلك الحزن في تلك الدموع المباركة التي  
تنزل كالطل من السماء برداً وسلاماً على القلب في  
ساعة الفراق الممضة

ترملت ، وزاد في وحشة حياتها أن تلك الصلة  
قد أثارت غضب والدها وسخطه فنفاها من بيته .  
ولو أن صديقاتها روعت نفوسهن ومنعهن الخوف  
أن يهينها عطفهن ، لما أعوزها المزاء ؛ فالارنديون  
قوم حساسو النفوس ككريمو الشمور . ولقد  
مدت إليها بيوتات كريمة يد المونة وأحطنها برقيق  
الرعاية وقدمنها للمجتمعات ، وحاولن الترفيه عنها  
بشتى الملامى والمسرات ليزول عنها حزنها ولتبعد  
عن فكرها ذكرى مأساتها ، إلا أن ذلك كان عبثاً  
في عبث ، فإن من النكبات ما يتألف النفس ويدويها  
وينفذ إلى منبت السعادة فيسحقه سحقاً فلا يعود  
إلى إنبات . أما هي فلم تأب التردد على منتديات  
السرور ، ولكنها كانت فيها منفردة بنفسها  
موكولة الى أساها ، فكانت تسير في وجوم  
يغيب فيه الشمور بالدنيا التي تموج حولها .  
وكانت تحمل في نفسها على الدوام لها دفيناً يسخر  
بمداعبات الصديقات ، ولا يحفل بسحر الغناء  
ولا بجمال الرقص

لقد رآها من روى لى قصتها في « كرنفال »  
وقد أخبرني أنه لم ير منظرأ للبؤس أكثر إبلاماً  
للنفس من رؤيتها في هذا الحفل الحافل تمشى كالخيال  
الضارع وحيدة كثيبة بينما كل ما حولها زاه بهيج

لا يمكن أن تنسى سريماً ؛ فقد حوكم إبان الاضطرابات  
الارندية متهماً بالخيانة ونفذ فيه حكم الاعدام بالشنق ،  
وكان لخاتمة حياته الفاجعة صدى عميق في قلوب  
الجمهور ، إذ كان شاباً في ميعه الصبي وزهرة الشباب ،  
متوقد الذهن ، كريم النفس ، شجاع القلب ، كل فيه  
كل ما يحب في الفتى من كريم السجايا وحيد الصفات ،  
كما كان سلوكه أثناء المحاكمة سامياً تجلت فيه بسالته  
وإقدامه ؛ وكان لغضبته النبيلة في دفع تهمة الخيانة عن  
نفسه ، ولدفاعه الرائع عن اسمه ، ولندائه الحار للأجيال  
المتقبلة وهو في موقف الاتهام وساعة اليأس صدى  
داو في أعماق كل صدر كريم ، حتى أن أعداءه أنفسهم  
نددوا بتلك السياسة النكراء التي قضت عليه بالقتل  
ولكن قلباً واحداً بين هذى القلوب فاقت  
حسرتة ولوعته كل وصف ، ذلك هو قلب تلك الفتاة  
الجميلة ابنة أحد مشاهير المحامين الارنديين التي  
كان قد نال حبها أيام سعادته وتوفيقة ، وكانت هي  
قد أحبتة لأول ما أحبت بتلك الحماسة التي تحب  
بها المرأة حبها الأول في مستقبل أيامها . لقد كانت  
تحبه أيام محنته ، أيام تألبت عليه أقاويل الناس  
وأحكامهم ، أيام عصفت العواصف بماله ، وتهدد  
العار والدمار اسمه ، وأحاط به السوء من كل جانب .  
ولقد كان يزيد حبها له معاناته لتلك الآلام ، فكيف بها  
اليوم وكيف ألمها وهي التي كانت تهيم بطيفه وتشغف  
بخياله . وقد حرك المصاب نفوس عداته . سل عن  
ذلك من سدت أبواب القبر بغتة في وجهه ، وفرقت  
بينه وبين من لم يعدل به وبجبهه أحداً ، وقد جثا على  
حافة القبر كالطرود في دنيا باردة موحشة ذهب عنها  
كل ما هو محبوب وكل ما هو جميل



الزوجة الصالحة ، فحاولت أن تسعد بزواجها ، إلا  
أن هذا الهم الساكن وذلك الحزن الكامن لم يجمع  
فيهما علاج

فذهبت رويداً رويداً ، وأخذ منها الهزال  
مأخذه ، فسارت وشيكا إلى انحلال لا أمل في البرء  
منه ، وهوت أخيراً إلى قبرها ضحية القلب المحطم  
وقد نظم فيها مور الشاعر الأرنؤدى الشهير  
أبياته الآتية :

بعيدة عن الأرض التي بها مئوى بطلها المحبوب ،  
يلتف حولها المحبون وهم يصعدون الزفرات ،  
إلا أنها تشيح عنهم بوجهها وتأخذ في النحيب  
فقد علق قلبها بالثرى الذى ضم الحبيب ،

\*\*\*

تنشداغانى الفطرة عن مواطنها السذج الأغراء  
مؤثرة ما كان يحبه من بين تلك الأنعام .  
آه ! ليس يدري أولئك المعجبون بألحانها  
كم يعمزق قلبها وهي تشذو بأنعامها !

\*\*\*

عاش لحبه ومات فى سبيل بلاده ،  
وكان هذان كل ما يعنيه من دنياه ؛  
وسوف لا تجف عاجلاً دموع بلاده عليه  
ولا أمل لمن أحبه أن يعيش طويلاً من بعده

\*\*\*

ابنوا قبرها حيث تستقر أشعة الشمس ،  
حين تؤذن بضيائها بدنو غدر موموق ،  
حتى تضيء عليها فى ضجمتها كبسمة من المغرب  
من جزيرة الأحزان التى أحببتها وعلقت بها  
( حدائق القبة ) حسين محمد طاهر

وقال لى إنه رآها تلبس حلل المرح فى حين تسير  
ساهرة الوجه ممتعة اللون بغمرها الأسى كأنما تحاول  
عبثاً أن تخدع قلبها لحظة تنسيه فيها حزنه المقيم .  
وبعد أن طافت بالحجرات الفاخرة وجالت بين ذلك  
الحشد الصاخب شاردة اللب جلست على درج  
منصة الموسيقى ؛ وبعد أن نظرت فى الفضاء برهة وهى  
شاخصة الطرف يبدو عليها عدم الشعور بجمال المناظر  
من حولها ، أخذت تغنى ، شأن القلب العليل فى  
تقاب أطواره ، فكان شدوها باكياً . لقد كان صوتها  
رخيماً إلا أنه فى هذه المرة كان مؤثراً بسيطاً ، فتنفست  
عن نفس بائسة ، والتف حولها الجميع وساد السكون ،  
فاذابت النفوس وأدمعت العيون

لقد أثارت قصتها شغف الناس ؛ إذ أن قصة  
سيدة على ذلك الاخلاص وهذا التفانى لا بد أن  
تثير إعجاب الناس فى بلد عرف أهلوه بالحماسة  
والوفاء ، فأحبها وأغرم بها ضابط باسل خطبها وهو  
يحدث نفسه بأن من كانت تخلص هذا الاخلاص  
للبيت ، تظهر ولا شك مثل هذا الاخلاص  
للحى ؛ إلا أنها خيبت أمله فى ذلك إذ لم يكن  
فى وسعها أن تصرف فكرها عن ذكرى حبيبها  
الأول . على أنه أصر على طلبه قائلاً : إنه يكفيه منها  
التقدير بديلاً عن الحب . وساعده عليها اقتناعها  
بجدارته وعوزها واعتمادها على الغير ، اذ كانت  
تميش على فيض ما تجود به الصديقات ، فنجح فى  
النهاية فى الحصول على يدها مع تأكيد رهيب بأن  
قلبها ما زال ملكاً لغيره ولا سبيل إلى ضده عن هواه  
سافر بها إلى سويسرا لعل تبديل المناظر يحو  
ذكرياتها القديمة . ولقد كانت رقيقة القلب مثال

يتساءلوا ما إذا كان صديقههم قد خرج بفضلهم من  
مأزق ليقع في مأزق أشد حرجاً وضيقاً  
تلك هي واجبات الصداقة في نظر هذا النوع  
من الأصدقاء

من مصائب الشبيبة أنها تتوهم الحياة قائمة على  
مثال الحوادث الأولى التي طرأت عليها . وهناك  
نوع من أشقياء المجتمع ترام على أهبة ليقولوا للفتى  
المصدوع : إنك على حق في اعتقادك بالشر ، ونحن  
نعلم حقيقةته

ولقد سمعت رجلاً وخط الشيب شعورهم  
يتكلمون عن نوع من علاقات الرجل بالمرأة  
يصفونه ( بالماطفة الجواللة ) فكانوا يتحدثون عن  
هذه الماطفة كأنها آلة حديثة اخترعها مهندس ،  
فيصورون كيفية استعمالها ويذكرون ما يجب أن  
يقول الماشق ، وما عليه أن يجيب به مقررين قواعد  
رسائل الغرام وكيفية الركوع لاستعطاف المرأة  
المشتهاة . وهكذا كان هؤلاء الأفاضل ينظمون  
حركات الهجوم والدفاع

وما كانت هذه الأصول الموضوعية إلا لتجملاني  
أفقه ضحكا ، لأنني ما تمكنت يوماً أن أقول  
لامرأة أحقرها إنني أحبها حتى ولو كان هذا  
التمعارف المعمول به مما تعرف المرأة نفسها زيفه .  
ما جثوت يوماً أمام امرأة دون أن يحثو قلبي متى .  
لذلك ما عرفت حياتي هذا النوع من النساء  
المتنلات ؛ وإذا ما كنت وقعت لاحداهن ، فما  
كان ذلك إلا دون قصد مني وعن جهل بحال المرأة  
التي أغوتني

ليس من المستغرب لدى أن يهمل الإنسان  
نفسه ، ولكن ما أستغربه هو أن يقدم على تدنيها .

من أعماق النفوس



اعترفان في العصر

للفريدي موسى

بفلم الأستاذ فليكر فارس

## الفصل الثالث

وكان ديجنه قد أعد في بيته في الضاحية حفلة  
للشباب مستكملة من خمر وطعام ولعب وصيدورقص  
وسباق ؛ وكان غنى هذا الصديق مجفلاً بحب الضيافة  
والكرم ؛ وله مكتبة مجهزة بأتم الكتب ، وكان  
إذا حدثك نم حديثه عن علم واسع وأدب جم  
وحملت إلى هذه الحفلة كآبى أظالمها فلا تغلب ؛  
وقد احترم ديجنه حزني إذ سكت أنا عن استفساره  
فلم يعاود الكرة على

وما كان يهتم ديجنه إلا لأمر واحد ، وهو أن  
يراني ناسياً خليلتي ، فكان يرضيه أن أتناول الطعام  
كسواي ، وأرافق الأصحاب في ألعابهم وصيدهم  
إن في العالم أناساً مثل هذا الصديق يحاولون  
جهدهم أن يخدموا من يودون فلا يترددون في أن  
يرشقوا وجهه بحجر إذا رأوا ذبابة تلسع خده ...  
فهم لا يفترون بمنعونه عن ارتكاب ما يمدونه خطأ ،  
ولا يطيب لهم عيش دون أن يتوصلوا إلى طبع هذا  
الصديق على غرارهم ، فإذا هم ظفروا بغايتهم فركوا  
أيديهم ونفضوا أناملهم دون أن يخطر لهم ببال أن



الأزهار ورقة أخذتها فاذا عليها :  
« إلى أوكتاف من ديجنه ، بشرط المعاملة بالمثل »  
وما قرأت هذه الكلمات حتى أدركت ما يرى  
إليه ديجنه من الهدأه إلى خليلته كما تهدي  
الجواري . . . وما كان ديجنه على ما أعرف به من  
الصراحة ليفعل ما فعل تضليلا أو هزوا ، فهو لم  
يقدم على فعلته إلا ليلقني درسا  
إن هذه المرأة كانت تحبه ، وقد سمعني أنني  
عليها ، فأراد أن يردعني عن التعلق بها في حالي  
قبولي لها ورفضى

فوجت أتفرس في هذه المرأة ودموعها تتحدر  
على خديها ولا تجرؤ على مسحها خشية أن انتبه إلى  
بكائها ؛ وما كنت لأعلم بماذا تهدها ديجنه حتى  
أطاعت . فقلت لها : لا بأس عليك ، أيتها الأنسة ،  
ارجعي من حيث أتيت

فقلت : إذا أنا خرجت من غرفتك قبل  
بزوغ الفجر ، فإن ديجنه سيميدني إلى باريس ،  
وليس بوسى أن أخالف أمره ، فوالدتي فقيرة  
فأجبتها : إن فقرك يدفعك إلى تنفيذ أمر  
ديجنه إذا ما وافقت أنا عليه ، ولقد يستهويني جمالك  
الرائع ، ولكنك تبكين ، وما تذرفين دموعك من  
أجلي ، وأنا لا شأن لي في غير هذه الدموع . اذهبي  
وأنا كافل لك أن لا يرجعك ديجنه إلى باريس

\*\*\*

إذا كان التأمل صفة ثابتة من صفات العقل  
في أكثر الناس ، فما هو عندي إلا كغريزة  
لا تتحكم إرادتي فيها ، فإن التأمل يجتاحني كنوب  
عاطفية شديدة لا قبل لي بردها ، فعند ما خرجت  
هذه المرأة من غرفتي جلست وقد اعترتني نوبة

ولقد يكون في هذا القول شيء من الكبرياء ،  
ولكنني أربأ بذاتي أن أرفعها فوق موقعها ، أو أن  
أحط بها إلى أدنى من مستواها . وليس أكره إلى  
من المرأة التي تهزأ بالحب . ولعل هذه المرأة أن  
يبادلني عاطفتي هذه فأنى لن أنزعها هذا الحق  
إن مشيلات هذه المرأة لأحط من الماهرات ؛  
وقد تكذب الماهرة كما تكذب المرأة المحتقرة  
للحب ؛ ولكن الأولى قد تحب ، أما الثانية فلا تفقه  
للحب معنى

أذكر امرأة تملت بي فكانت تقول للرجل  
الغني الذي تمايشه : لقد مللتك ؛ وهأنذا ذاهبة  
إلى حبيبي

إن مثل هذه المرأة خير من النساء اللواتي  
لا يتقاضين عن أعراضهن ثمناً

وقضيت فصل الصيف عند ديجنه حيث بلغني  
أن خليلتي بارحت فرنسا . ومنذ اليوم الذي بلغني  
فيه هذا الخبر استولى عليّ خمول لم أجده لنفسي  
عنى سبيلا

وكنت في وسط هذا المجتمع الجديد أتطلع  
كالفرس الجوح إلى كل ما حولى

وكان لديجنه خليلته على غاية من الجمال . وكنت  
أنمى معه في إحدى الليالي فقلت له إننى أقدر  
جمال عشيقته وتعلقها به وإخلاصها له ، وأشعرته  
أننى أغبطه على هذه النعمة . فسكت على عادته وابتسم .  
وعند ما دخلت إلى غرفتي لأرقد في الساء نفسه  
سمعت طريقة على بابي فأذنت بالدخول ظننا منى أن  
أحد الصحاب أخذ الأرق فلجأ إلى ، وفتح الباب  
فرايت امرأة تتقدم مترددة وقد امتقع لونها وتعرى  
نصف جسمها ويدها طاقة أزهار قدمتها إلى ، وبين

التأمل ، فاذا أنا أناجى نفسى قائلاً : هذا قضاء الله فيك يا هذا ... لعل ديجنه كان على حق لاعتقاده بأنه إذا لم يرسل خليلته إليك لكنت تقع أسيراً في هواها

أذا دقت في حسنها وجمالها فأدركت أنها آية في الخلق وما تجود الطبيعة بمثالها إلا نادراً ؟ ومع ذلك فإن الرجل الذى يريد أن يشفيك من دائك لم يجد وسيلة أجدى عليك من الصاق شفتيك بشفتيها ليجو آثار الحب من قلبك

ولكم رأى هذه الفتاة رجل قلبك فما استهدفوا للخطر الذى تراميت أنت عليه

وهذا ديجنه تعبد جمالها ولكنه لم يؤخذ به ، فهل يحيا هذا الرجل بلا قلب ؟ إن لهذا الرجل قلباً ولكنه يختلف عن قلبك شعوراً ، لأنه لا يعتمد فى شيء ولا يهتم بأى أمر كان ، ولكنه إذا أصيب بأسفة فى رجله فإنه يرتعش خوفاً . وهو المتقد بالبحار الحياة فى جسده ، فاذا ما فقدته فقد الكون يأمره . أيمكن للانسان أن يحيا على هذه الوتيرة فيجلب روحه بالسياط كما يجلب المتعبدون أجسادهم !

افتكر يا هذا واعتبر أنك لترى رجلاً يضم بين ذراعيه أجمل امرأة وهو مشتعل بحرارة الشباب يمان لهذه المرأة إعجابه بها وتعلقه بها فى جيبه يوماً صديق يثق به ويقول له : إن هذه المرأة مبتدلة فيزول كل إعجاب وحب من قلبه ، ولو أن هذا الصديق قال له إن هذه المرأة جانية لما فعل هذا الوصف فى قلبه ما فعلته كلمة « مبتدلة »

فما هى قوة هذه الكلمة ياترى ؟ إنها ولازيب تحمل العار ، وتنزل العقاب العادل بالمرأة التى استحققتها ولكنها ليست إلا كلمة وهمل للكلمة

أن تقتل جسداً ؟

ولكنك قد تكون عاشقاً لهذا الجسد فلا تجد أمامك إلا من يقول لك : أترع الكأس واذهب فى سبيلك ، فإن للجسد الذى تحترق من أجله نغماً معيناً . ولكن ديجنه يحب خليلته فهو لا يرضى عليها بشيء ، فهل لهذا الرجل حب خاص به دون سواء ؟ لا ؛ إن هذا الرجل لا يعرف الحب ، ولا فرق عنده بين امرأة تستحقه وأخرى لا تستحقه لأنه لا يحب أحداً

وما الذى أبلغ ديجنه هذه الدركة من الشعور ؟ فهل هو خلق بهذه العاهة ، أم أصيب بها بعد ولادته ؟ إن ديجنه ليس رجلاً مادام الحب أرم للانسان من الماء والهواء . أهو أحد الجبابرة أم أحد الصعاليك ؟ فهو يرتقى على أحضان امرأة تعشقه دون أن يشعر بأية رعشة ودون أن يتوقع أى خطر ؟ وما الحب لديه إلا سلعة جسد بيدرة مال . أية وليمة هى حياته ؟ وأنى شراب يتدفق فى أقداحه ؟ إن هذا الرجل لم يتجاوز الثلاثين من عمره وقد أصبح مدمناً على السم مكتسباً مناعة تهزأ بزعاف الافاعي التى يداعبها

إن فى الأمر لغزاً عميقاً يا بنى ، وعليك أن تجد له حلاً . مهما اجتهد أنصار الفحشاء بالتعليل فانهم قد يثبتون ليوم من الأيام وليلة من الليالى ولساعة من الساعات أنها ناموس طبيعى ، ولكن إثباتهم هذا لا يصمد لوجه الزمان لأنه ليس من شرب على الأرض لم يعتبر المرأة رفيقة الرجل وسلواه ، أو المنبت المقدس لحياته ؛ وقد استحققت التمجيد فى الصفتين

ومع هذا فانك لترى من الناس من ينتصب



الكاذبة إلا بذورا لا تنبت غير المرارة والأوجاع  
وقد استنفدت قواي حتى مللتها

إنها لكلمات لا يتفوه بها إلا القلائل ممن  
مشوا في الحياة حيث مشى هذا الرجل ؛ غير أنهم  
لا يشعرون بغير معناها في قلوبهم ؛ وأنا أيضا لا أجد  
سواها في صميم قواي

وبعد أن عدت إلى باريس في أول الخريف  
بدأت حياة الشتاء مندفعاً الى الملامى والمآذب  
والمراقص ، فما كنت أفترق عن ديجنه إلا نادراً ؛  
وكان هو يبدى مزيد ارتياحه إلى ؛ وما كنت أنا  
مرتاحاً إلى نفسي ، لأنني كنت كلما توغلت في هذه  
الحياة تتزايد همومي ، فما طال بي الأمر حتى بدأ  
هذا العالم الذي حسبته لأول وهلة واسع الأرجاء  
يضيق بي في كل خطوة ، فكنت كلما لامست شيئا  
من أشباحه يضمحل ويتوارى أمامي

وكان ديجنه يستفسرني عن حالي فأقول له :  
وأنت مالك أيها الصديق ؟ لعلك تتذكر قريباً بارحك  
الى القبور ، أم إن في صدرك جراحاً نكاتها  
رطوبة الشتاء ؟

وكنت أراه أحياناً يتظاهر بعدم سماع ما أقوله ،  
فكنا نهرع الى الموائد ونشرب حتى نفقد الشعور ،  
أو نستأجر فرسين وننطلق الى الحقول قاطعين عشر  
مراحل لنتناول طعامنا هنالك ثم نعود لنستحم ،  
ثم نتناول العشاء ، ثم نترا كض الى موائد القمار ثم  
ننسحب الى أسرتنا . وما كنت أصل الى سريري  
وأوصد الباب على حتى انطرح جائياً أذرف الدموع ،  
وتلك كانت صلاتي في كل مساء

ومن غرائب حالي أنني كنت أشعر بشيء  
من القصور عندما كنت أتمكن من الظهور على

كالحارب المدجج بالسلاح ليندفع قافزاً فوق الهاوية  
التي تفصل الله بها بين الانسان والحيوان . ومن  
يقدّم على هذا العمل فانما هو ينكر النطق على نفسه  
فيصبح كالوحش الأعجم خائفاً المحبة المفكرة الناطقة  
بقبلات الجسد وشهواته اذ يضع على فيه ما على أشداق  
الحيوان من طابع الصمت الأبدي

إن مثل هذا المسخ يقف أمام أشرف كلمة وجب  
عليه أن يتعلمها فينفخ عليها عاصفات من دياجي  
الغابة السوداء حيث يأتمر شياطين الفناء بالحياة  
لقد تجاوز هذا الرجل الحد الذي أوقف الله  
الانسان عليه ، فهو قد تقهقر عن هذا الحد أو اندفع  
إلى ما وراءه . . . وقد أصبحت أحشاؤه كاحشاء  
المرأة العاقر أو جدتها الطبيعية فاقصة أو تسربت إليها  
قطرات أعشاب سامة تقضي على جرثومة الحياة  
إن العمل والمطالعة قصرأ عن شغائك يا بني ؛  
وقد أصبح شعارك أن تنسى وتعلم ، وقد كنت  
تقلب صفحات الكتب الميتة ، وأنت لما تزل قاصراً  
عن دراسة الخرائب والاطلال . أنظر إلى ما حولك  
من قطعان البشرية وإلى عيني أبي الهول تشعان بين  
ما خطته اليد المستترة . طالع كتاب الحياة أيها  
الطالب وارم بنفسك في تيار الحياة فما الحياة  
إلا كنهر السبكس في الأساطير تولى مياهه المناعة  
لن يجرؤ على افتتاحه من الأبطال . أقدم فأما أن  
يقودك هذا التيار الى الموت أو يرفعك الى الله

## الفصل الرابع

قال القديس أوغسطينوس وهو الرجل الكامل  
عند ذكره أيام شبابه :

— وما كانت جميع هذه السرات والملاذات

وأشعر أنني رجعت الى الأيام التي كنت فيها طفلاً وبالرغم من أنني كنت أتبع دقة النظام الذي قرره أنا وأصدقائي في حياتنا المشوشة ، فإني ما كنت أهمل الذهاب الى بعض المجتمعات العائلية غير أنني كنت أشعر باضطراب شديد عندما كنت أنظر الى أية سيدة ، فما كنت ألس أيدي النساء إلا مرتعشا بعد أن سمعت على هجر الحب الى الأبد

ومع هذا فإني رجعت ليلة من أحد المراقص وفي قلبي من الألم ما أشمرني بعودة الحب اليه ، لأنني كنت جلست الى المائدة بقرب سيدة لها من الجمال والأدب الجسم ما لا قبل لي بنفسياته . وعند ما أغمضت عيني لأنام انتصب خيالها أمامي فحسبني مقضياً على بالهلاك ؛ ولذلك سمعت على أن أجتنب أية فرصة تمكنني من الاجتماع بها . وبقيت أغالب نفسي خمسة عشر يوماً ما بارحت فيها مقعدي ، فكنت أنظر حوله غلبه ساهياً فتتمز في تخيلتي جميع حركات هذه المرأة وكلماتها وما طال الأمر حتى ذاع صيتي في باريس بحيث يترصد الناس لسكنات الناس وحركاتهم بأنني سيد الخلاء . وكان ذكاء العالم في هذا مدعاة لا عجابي به ، لأنني بعد أن كنت في عينه أشد الناس حاقة عند ما وقعت لي حادثة خيلتي أصبحت الآن الرجل المتصلب الذي يتحكم في شعوره . وذهب البعض الى القول بأنني ما كنت عاشقاً لهذه المرأة بل كنت ألعب دوري بمهارة ، فكان ذلك خير ثناء يوجهه هؤلاء الناس إلي

والآنكي من هذا أنني أصبحت أنا نفسي أنتفخ غروراً بهذا الشرف المسكين وأتلفذ بفروري

غير الحقيقة التي أعهد لها في نفسي . فكنت أباهي بالاغراق في وصف شروري وأجدلة شاذة يشوبها الحزن العميق ؛ وما كنت أشعر إلا باللال عندما كنت أسرد حوادثي على حقيقتها ؛ وما أدري كيف أصف هذه اللذة التي كنت أستغرق فيها عندما كنت أقص وقائع جنون وخشاء لا حقيقة لها وما كنت أتألم لشيء تألي لا اضطراري الى ارتياد الأماكن التي كنت أرافق خليلتي إليها فيما مضى ، فكنت أظهر كالمعتوه أمام رفاقي وأذهب الى مكان منفرد لأحرق في أصول الأشجار ونبات الأرض ؛ حتى إذا مللت تأمل ضربتها برجلي وحاولت تحطيمها . ثم أعود الى حيث أتيت وأنا أتم قول المؤلف : « إن الله لا يحبني » وكانت تنتهي هذه النوب بي الى سكوت بطول مدى ساعات

واحتلت دماغي فكرة ملكت جوانبي وهي أن لا حقيقة إلا في العرى ، فكنت أقول إن العالم يسمى أصباغه وأدهانه فضيلة ، ويدعو سبحانه ديناً ، وأثوابه أدباً ولياقة ، وما الشرف والأخلاق إلا خدمات لقضاء حاجته . فالعالم لا يشرب خمره إلا من دموع المساكين الذين يؤمنون به . فهو يمشي مطرقاً ما دامت الشمس تتكبد السماء فيذهب الى الكنائس والمراقص والمجتمعات ، وعند ما ينسدل ستر الظلام يتعمى فتراه مومساً لها من التيس رجلاه ولكنني كنت أحتقر نفسي بهذا القول إذ كنت أشعر أن تحت هذا الجسد الذي تستره الأثواب هيكل من عظام فكنت أرتعش وأسأل نفسي ما إذا كان هذا كل الوجود

وكنت أعود الى المدينة فأصادف في طريق فتاة تمسك بيد أمها وتسير معها فاتبعها بأنظارى متنبها



مزاحى يدفعني الى الحزن المفرط كما كان حزني يثير  
مزاحى فاستغرق في ضحكى

وسمعت ذات يوم رجلاً يتبجح بأنه لا يعتقد  
بأية خرافة وأنه يسخر بكل تفاؤل وكل تشاؤم فجاء  
أصحابه الى غرفته ومددوا على فراشه هيكلاً رمة  
بشرية وكنوا في غرفة مجاورة ؛ ودخل الرجل الى  
غرفته في ساعة متأخرة فلم يسمع الكامنون أية  
حركة حتى الصباح ، إذ شاهدوا صديقه جالساً  
على فراشه وهو يلعب بالمظام . وكان الرجل قد جُنَّ  
وقد كان في داخلي شيء يشبه هذا الرجل يلعب  
بمظام رمة محبوبة ، وماتلك الرمة إلا انقراض غرامى ،  
وهى كل ما تبقى لى من سالف أيامى  
( يتبع )  
فليكس فارسى

وكنت موجهها كل جهدى الى أن يرانى الناس  
(والسلام الى مقام من تحجرت عواطفهم فى حين أنى  
كنت أشتغل بالشهوات وتذهب تخيلاتى الجائعة  
بى كل مذهب

بدأت أعلن أنى ليس للمرأة أقل شأن فى  
نظارى ؛ وكنت أبذل الجهد لخلق أوهام أعلنها  
للناس وأقول إننى أفضاها على الحقائق فكأننى لم  
أكن أرى لذة إلا فى تشويه ذاتى ، وكان يكفينى  
أن تلوح لى فكرة تصدم الرأى العام لأتطوع  
للدفاع عنها مهما كلفنى الأمر

وهكذا بليت بأعظم النقائص والعيوب : بليت  
بتقليد كل ما كان يستوقف انتباهى لاجهله بل لغرابته ؛  
وبما أنى لم أكن أرى أن أظهر فى مظهر التقليد  
كنت أندفع الى المغالاة لأثبت أنى مبتدع لا تابع ،  
فلم أكن أرى شيئاً حسناً حتى ولا مقبولاً ، وأبدي  
عجى ممن يفقدون رزائهم فى إعجابهم ، ومع ذلك  
أكن أتورع فى حماسى عند ما كنت أدافع عن  
نظرية أريد أن آخذ بها ، فكنت أندفع فى بيانى  
حتى تضيق اللغة عن امدادى بالتمايز اللازمة  
لابداء إعجابى ؛ وكان يكفى أن يسلم أخصائى بما  
أرى اليه لأفقد كل فصاحة وكل حماسة

وما كانت هذه الحالة الفكرية إلا نتيجة  
ملازمة لحياتى التى كرهتها وما قدرت على تبديل  
خطتى فيها . فكنت أعذب تفكيرى كأنى أنتقم  
منه وأتخذ كل وجهة طلباً للهروب من نفسى  
ولكن بينما كان غرورى يداعب ذاته على هذه  
الوتيرة كان قوادى يتقلب على أوجاعه ، فكأننى  
كنت أنطوى على رَجَلين أحدهما ضاحك والآخر  
باك ؛ وكان الصراع مستمرآ بين دماغى وقلبى ، فكان

## فى الطريق

كتاب جديد يصدر فى سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازنى

أكثر من ٦٠ قصة فى ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

التمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقفل فى منتصف أغسطس



هوميروس

الأميرة إلى القصر فلقبها إخوانها الأمراء الخمسة  
النسجلوب، فحوا الدواب وحملوا المطارف والثياب،  
وصعدت هي إلى مخدعها حيث كانت خادمتها العجوز  
الشمطاء (يوريمديوسا) تعنى بنار المدفأة

ولم تكذب يور ترى سيدتها حتى حيث وثقت،  
وانطلقت تمد لها وجبة المساء

أما أوديسيوس فقد ذهب من مجاسه، ويم  
شطر المدينة، وقد نشرت حوله مينرفا — صفيته  
الوفية — ظلالاً وغماماً يحجبه عن أعين الناس حتى  
لا يضايقه أحدهم بسؤاله من هو وفيه أقبل ومن  
أى الأقطار جاء ... بيد أنها لاحظت له قبل أن يابح  
باب المدينة في هيئة فتاة قروية كاعب تحمل فوق  
رأسها جرتها ... وتعمدت أن تعترض طريقه،  
فأنهزها فرصة وراح يسألها هكذا: « يا بُنيّة،  
أتسمحين فتدليني على بيت رب هذه البلدة،  
الكيينوس الكريم؟ لقد نال منى الوئى وطول  
السفر، وجللت عليكم يا أهل فيشيا الأجويد ضيفاً



من  
اساطير  
الأولين

# الأولاد لبيس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

## في قصر الكينوس

### مقدمة الفصول السابقة

« لم يعد أوديسيوس من طروادة فيمن عاد من أبطال  
الاغريق قطع في زوجته الجميلة — بنلوب — أمراء  
البلاد وحاصروا بيتها ليرغموها على اختيار أحدهم زوجاً  
لها. وقد ساءت هذه الحال إلهة الحكمة مينرفا وصديقة  
البطل فرضت ولده تلياك أن يبحر إلى أسبرطة ويبلوس  
ليسأل الملوك عن أبيه وقد أبحر تلياك، وعلم أن أباه  
ما يزال حياً في جزيرة كليبيسو عروس الماء — وغيظ  
عشاق بنلوب لما علموا بأبحار تلياك فتربصوا به ليعتالوه  
في عودته. أما أوديسيوس فقد صنع له رمثاً وأبحر  
عليه من عند كليبيسو ولم يزل يصارع البحر حتى اقترب  
من سواحل شيريا مملكة أمراء البحر وهنا ثارت  
العواصف وكاد يغرق ... ونجا بعد جهد ونام في  
دغيلة في طرف غابة على سفح الجبل. وأقبلت نوزيكا  
ابنة ملك شيريا في ررب من وصيفاتها لتغسل مطارف  
عرسها فلقيت أوديسيوس الذي رجاها أن تمنحه  
دثاراً وأن تدله على مدينتها — وقد أعطته ما سأل  
ورسمت له الخطة التي يلتق بها أباه الملك الكينوس »  
وفرغ أوديسيوس من صلاته، ووصات غربة



غير معروف ، من بلد سحيق ، فهل تفعلين ؟ »  
وقالت مينرقا — ذات العينين الزبرجديتين —  
وهي تجيبه :

« حبا أيها الغريب الوقور وكرامة ! سأدلك  
على بيت ألكينوس بنفسى ، فهو غير بعيد من  
بيت أبى ... ولكن لى إليك وصية ... إصمت  
مادمت سائرا ، ولا تحدج أحداً بنظرة ، ولا تكلم  
من أهل هذا البلد إنسياً ، فقد جبلوا على ازدراء  
الغرباء وقلة إيلافهم ، وتلقهم فى فتور وبرود طبع ،  
وقد أحبهم نيتيون رب البحار فأذل لهم أعناق  
الموج وأسلس لسفهم أعراف الماء ، فهى تخطر فيه  
كالطير حين تحزف ، أو كالفكرة حين تخطر فى  
الخلد »

وتهدأت ربة الحكمة بين يديه ، ودلف هو  
وراءها ؛ ولم تره جموع البحارة الحاشدة التى كان  
يسير بينها ، لأن مينرقا ضربت على أعينهم غشاوة  
عجيبة حجبتهم عنهم ؛ وكان ينظر بعين الدهش إلى  
مينائهم وسفائهم ورجبة السوق التى يأوى إليها  
أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المحدقة بالمدينة فى أبهة  
وجلال ؛ ثم باغا بيت الملك ، فقالت مينرقا :

« هاك يا أبتاه القصر الذى سألت أن أدلك  
عليه . وستلقى فيه رؤساءنا وأمرأانا أصحاب السمو  
يولون ويقصفون ، فهلم فالفهم بقلب رابط وجاش  
ثابت ، فهم أعجب الناس بشجاع جرىء ، وأكرمهم  
للأجىء غريب . وستكون الملكة أريتا — سليلة  
الشرقاء الاتحاد آباء ألكينوس الكبير ، وحفيدة  
المردة الجبابرة من ذرارى نيتيون<sup>(١)</sup> — أول من

(١) آثرنا ألا نثبت هنا ما ذكره موسى من نسب الملكة  
بحافة الاملال

تلقى . إنها سيدة قومها ، وهى محبوبة مبعجلة إلى  
درجة التقديس من زوجها وأبنائها ومن جميع  
الفياشيين ملوك البحار ، الذين طالما تككبوا حول  
موكبها فى شوارع المدينة هاتفين داعين ... إنها  
تجلس وقوراً كاحدى ربات الأولب فتغمر بالمحبة  
أبناءها ، ونقضى فيما يشجرونهم ... لك الله ياسيدى  
إن قدر لك فاستطعت لقاءها ... إنها إذن تمنحك  
برها وتسبغ عليك من بركاتها فتعود إلى بلادك  
راضياً ، وتلقى آلك وخلانك عزيزاً مكرماً »

ثم غابت مينرقا عن الانظار ، وغادرت أرض  
شيريا الحبيبية إلى مراثون — ومن ثمة رفت رفة  
فكانت فى أثينا حيث أوت إلى قدسها الكريم  
إركتيوس  
ودخل أوديسيوس قصر الملك هيبابا متخاذلاً ،  
غارقاً فى بحر لجى من الوهم والفكر ، لأنه ما كاد  
يطأ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى بهره لألاء  
شديد خاطف ينبعث من الداخل ، يزيد فى شدته  
ولماته تلك الجدران المصفحة بالنحاس يزينا إطار  
من اللازورد الأزرق ، وتلك الأبواب الهائلة من  
الذهب الخالص ، والعماد السامقة من الفضة المجلوة ،  
تكلها تيجان من النضار الثمين . وعلى اليمين وعلى  
الشمال ربضت كلاب من ذهب ، صنعة فلكان ،  
صناع السماء الخالد ، وخالد أبد الدهر كل ما صنعت  
يدا فلكان . ثم تلى بعد ذلك ردهة فسيحة مترامية  
صفت إلى جدرانها كراسى كأنها عروش ، وبُثت  
فوقها نمارق ذات أفواف وشفوف ، صنعة وصيفات  
القصر ؛ وهنا ... يولم الملك لأمرأه شيريا ... فيقف  
الولدان فى جلايب من ذهب ، وفى يد كل شملة  
تسكب الأنواء من فوق المذبح على جموع الطامعين

مُلك كبير وآلاء وافرة أسبغتها الآلهة على  
السينوس الملك !

\*\*\*

وقف أوديسيوس مسبوه اللب ، مشدوه  
الفكر ، يردد طرفه في هذا المنظر العجيب ، ثم أفاق  
نحطر إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء المدينة  
وشيوخها يصبون الخمر باسم هرمل رسول السماء  
تقدمة وقربانا ، وصلاة لخاتم أرباب الأبواب قبل  
أن يأتوا إلى مضاجعهم . ولم يتلبث عندهم ، بل  
تقدم في خطى حثيثة برغم إعيائه ، وكانت مبرقا  
تججبه في ظلال كثيفة من أعين الملأ ، حتى وصل  
إلى حيث يجلس الملك والملكة ، فكشِف عنه  
غطاؤه ، وجثا عند قدمي الملكة يث شكاته بين  
دهش الملكين الكريمين وشدة تحيرها :

« أريتا يا ابنة ركسنور صفي الآلهة ! أتوسل  
إليك وإلى الملك العظيم ، وأضيفكم النبلاء ، من  
الله عليهم ، وضاعف لهم آلاءه ، وأنعم على ذرائعهم  
وَألف بين قلوبهم وقلوب رعاياهم ، أتوسل إليك  
يا سليلة المجد ضارعا أن تعطيني علي ، وأن تنكرمي  
مثنوى ، وأن تعينيني على الرحلة من فوري إلى  
بلادتي التي أنحرق إليها شوقا ، والتي فصلتني عنها  
أهوال وأهوال ! »

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل  
المسكين جاثيا عند حافة الموقد المتأجج ، حتى  
تفجرت شآبيب الرحمة والحنان في قلب إخنيسوس ،  
ابن الملك البكر ، فراحت الحكمة الطيبة تتدفق  
من فمه الجميل العذب في فصاحة وتبيان ، وحكمة  
تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لمجدك أيها الملك أن تدع هذا الغريب

في كل ليلة ... يا للقصر كأنه جنة الخلد ؟ ... إن  
خمسيت من غيد شيريا الرعايب يخدمون الملك  
ثمة ... يطحن القمح وينخلن الدقيق ، ويندفن  
الصوف ويعملن على النول ... مائسات كأفنان  
الدوح يداعبن النسيم الحلو ... حاذقت في الغزل  
والنسيج كأحذق ما يكون بحارة شيريا في عنفوان  
العاصفة ... قد تقفن صناعتهم عن مبرقا فافتتن  
وأبدعن إبداعا . ثم تكون البوابة الكبرى ، حيث  
فردوس القصر اليباع ، وجنته دانية القطوف ،  
ذات الأسوار المنيع المحيطة بهذه الأربعة أفدنة ...  
للآلهة هذا الدوح قد بسق في جنباتها ؛ والآلهة  
أشجار الرمان المثقلة بأثمارها مفترة عن شفاه  
الأفاح ... وحمرة الخجل قد خضبت حدود التفاح  
والكمثرى ، وسالت قطرات من الشهد في ثمرات  
التين ، وتأججت أنوارا زاهية في أفنان الزيتون ...  
فاكهة شهية جنسية لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء  
وصيفا ، يانعة أبدا ، تداعبها أنفاس ( زفير رب  
الصبا فتشيع فيها النضج والنداء ، كلما قطفت يد من  
جناها ثمرة نمت مكانها في الحال ثمرات ، فما تقل  
آخر الدهر قطوفها وما تنقص

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد الكروم ذات  
الأعناق والرطب والمناقيد من نور ، بعضها يعمر  
فتقطر الخمر منه ، وبعضها يحف على سوقه فيكون  
زيبكا جنيا ... ثم توشى أطراف الحديقة أحواض  
من الزهر المشذب المنسق ، وتتفجر في وسطها  
عينان نضاختان ، يترقرق الماء من إحداها كاللجين  
في مسابيل هذا الروض ، وتتدفق مياه الأخرى في  
نهر صغير ينساب إلى المدينة من تحت عتبة القصر  
فيرتوي الأهلون منه



جائياً هكذا في غبار الموقد وفي وهج النار ، وأن  
تترك أضيافك ينتظرون أمرك . . . وما تكلم  
منهم أحداً ، إلا أخذ بيد الغريب وأقعدته مقعد  
الندي ، ومر الندمان يسقه من كأس جوف كبير  
الآلهة<sup>(١)</sup> ، وحبيب الغرباء وذوى الحاجات ،  
والنادل يهيم له عشاء مما تبقى من وليمة الليلة »

وما كاد الأمير يفرغ من قائلته ، حتى أنهض  
الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسي فخم جانب  
ولده الحبيب الحكيم لاوداماس . . . ثم أقبلت  
إحدى وصيفات القصر فصبت الماء على يديه من  
أبريق فضي ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى  
الأكل وأطيب اللذائذ والأشربة ، فأكل  
أديسبوس وارتوى ؛ وأمر الملك كبير السقاة  
بونتونوس ، فمزج الراح وقدمها إلى الجميع حيث  
صبوها مقدمة لجوف رب الصواعق وكبير الآلهة ،  
وحبيب الغرباء ، وحامى ذوى الحاجات ، ثم شربوا  
بعد ذلك حتى رووا

وقال الملك : « أيها الرؤساء والشيوخ  
الفياشيون كلمة عفو الخاطر ، فاسمعوا وعوا . . .  
لقد طعمتم جميعاً وستفرقون إلى مضاجعكم ،  
ثم نجتمع عند مطلع الفجر نحن ، ومن لم يحضر من  
نواب الأمة الأجلاء ، فننظر في شأن هذا اللاجئ  
الغريب ، بعد أن نضحى للآلهة . . . إنه يطلب  
أن يعود في حمايتنا إلى وطنه كيما يصل سالماً  
غائماً من غير أن يمسه أذى ، إلا أن تكون ربات  
الأقدار قد قضت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من  
أرباب السماء الخالدين . . . لقد وصلت بيننا وبين  
الآلهة وشائج القربى ، وطالما غشيت مجالسنا  
(١) في الأصل (رب الصواعق)

وشاركت في ولائنا ، وهي تبقى على محبتنا ،  
فلا تمس بأذى رجلاً منا يضرب في الأرض ، وليس  
ما بيننا وبينها بأقل مما بينها وبين السيكلوبس  
أو المردة الجبارة ، وفي ذلك نخارنا وهو آية مجدنا »  
ونهض أوديسيوس الحكيم فقال : « غفراً  
غفراً أيها الملك ! ما أنا في الآلهة ؟ أين لي  
خلقتها السوى ، وكيانها السماوى ؟ بل أنا شقي  
من أبناء هذه الغرباء ، أثقلت كاهله حمولة هائلة من  
الكوارث والآلام ، حتى لا يعرف الناس من شقي  
شقاءه ، ولا من تحمل مصائبه وأرزاءه . . . بلأيا  
صبتها على رأسه الآلهة فصبر وأتاب . . . أوه ! أبدأ  
لا أنتهى إذا سردت لكم طرقاً يسير أمناً ، ولكن  
لا داعي الآن . . أرجوكم . . أتوسل إليكم . . دعوني  
أتباع بهذه اللقبات في هذه اللحظة الحائلة من الراحة  
التي لم أنعم بمثلها منذ بعيد . لشد ما يصرخ الجوع  
في أذنى الجوعان ، ولشد ما يعذب الطوى ! إنه يلح  
عليه بكل صنوف الألم ، حتى ينسيه آلامه وأشجانه .  
إن له لشهية عالية الصخب تطلب العون في جوار  
وجنون ، حتى ليضيع في ضجيجها هتاف جميع الآلام  
إلى أن تكفى . عفواً أيها السادة ! إني أفتأ أضرع  
إليكم أن تيسروا لى عوداً أحمداً ، وأوبة سالمة ، بعد  
طول العناء ، والشقاء الذى ليس بمده شقاء ؛ إنه  
لا أحب إلى من أن أودع الحياة بعد نظرة واحدة  
أزودها من أهلى ووطنى . »

وتأثر القوم من أجله فأثنوا عليه ، واتفقت  
آراؤهم على معاونته حتى يعود إلى بلاده وبقى ذويه  
ثم نهضوا فصبوا خمر الصلاة باسم الآلهة ، وشربوا  
نخب رب الدار ، ثم تفرقوا إلى منازلهم ، إلا  
أوديسيوس ، فقد ظل جالساً ساهاً واجماً ، كما ظل

والآ كال ؛ ثم أرسلت بين يدي ريحا رخاء  
ما انفكت تجرى بي في عباب من بعده عباب طيلة  
سبعة عشر يوما ... وفي الثامن عشر لاحت قم  
جبالكم الشم تخفق قلبي فرحا ... بيد أنه كان  
أملا خلبا لم يطل أمده ... فقد أنى نبتيون الجبار  
إلا أن يقف بسبيلي ، وإلا أن يرسل ريحا مما كسة  
تثير الموج وتهيج اللج ، وتمزق ما التأم منى ومن  
فلكى الصغير - الذى كان كل أملى .. ولم يعد بد  
من أن أ كافح الماء ، وأذرع اليه بالسباحة ، حتى  
تضافرت الريح والموج ، فقفزاني إلى ساحلكم  
ذى النوى .. ولم أحتمل صدمة الصخور ، فنزحتني  
السيل الرابى إلى الأعماق كرة ثانية ... وشرعت  
أ كافح مرة أخرى ، حتى نترتني موجة مزبدة في  
نهر وديع متطامن ... فسبحت إلى إحدى  
عدوتيه ، واستلقيت على الشاطئ ، خفق الأحشاء  
منهوك القوى ... وأقبل الليل فهاكت على  
نفسى إلى دغيلة مهدها بمساليج وشيء من القش  
وفروع الشجر ، ونمت ليلا طويلا وضخوة متعبة  
وظهيرة كلها نصيب وإعباء .. ثم أيقظتني صيحات  
قريبة مرنة ، فاذا ابنتكم الأميرة الحبيبة الحسنان  
في ررب من أترابها بتلاعبن كرسات الأولب على  
رمال الشاطئ ... وجثوت تحت قدميها ، ومازالت  
يها أتملق شبابها الغض يدعوات معسولات ، وأثير  
نخوة صباها الفينان حتى أمرت لي بطعام شهى  
ونحر معتقة ، وأشارت إلى منمطف فتوجهت إليه  
ففسلت ما على جسمى من خبث ، ثم منحتني هذا  
الصدر وذاك الدثار ...

تلك قصتي أسردها عن قلب محزون .. ما فيها  
أثارة من مين «

قال الملك : « لشد ما أخطأت بنيتي إذ لم تصحبك

الملك إلى جانبه ساهمين واجبين ، والنذل فيما بين  
ذلك يحمولون أطباق المائدة وأكوابها ، حتى إذا فرغوا  
أخذت الملكة تتحدث إلى أوديسيوس ، وقد لفت  
نظرها هذا الثوب الفضفاض الذى كان يلتفع به :  
« والآن جاءت نوبتى فى التحدث إليك أبهذا  
الغريب الكريم ، من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟  
وأنى لك هذا الصدر وذاك الدثار ؟ ألسنت قد قلت  
إنك غريب نازح أفلتت المنايا فى لجج البحر ؟ »  
وقال أوديسيوس يجيب أريتا :

« أيتها الملكة ! قد لا أفرغ من الحديث إذا  
حاولت أن أسرد قصتى بمخاديفها ، بل ليس أشق  
على من ذلك ، فقد كرتنى الآلهة بكل أنواع المهوم  
وصنوف الآلام ، بيد أننى ألم بمأساتى المحزنة فى كلمات  
فأقول : « فى أوجيجيا - إحدى الجزر القاصية  
التي لم تطأها قبلى قدم بشر ولم يخطر بها إله  
- تقيم عروس الماء المفتان - كليسو -  
البارعة الرائعة الصانع ، ابنة أطلس الجبار التي  
قدر على أن أكون أول لاجئ إلى جزيرتها  
بعد أن سلط جوف صواعقه على سفينتى  
فشطرها وأغرق كل رجالى ، وظللت أنا متشبثا  
بالسارية ليالى وأياما ، حتى دفعتنى المقادير فى  
الليلة العاشرة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتنى  
كليدسو الجميلة الريانة ، وأنقذتنى من موة أكيدة  
وأطعمتنى وأكرمت مشواى - ثم عرضت أن  
تهبنى الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لولا أننى  
تأيت ... ثم أفت عندها سبع سنوات لم يرقأ  
طوالها دمي الذى نضحت به أثوابى وما خلعت  
على من دثار ... وفى الثامنة أرسل إليها جوف كبير  
الآلهة من يأمرها باطلاق سراحى ، فأبحرت على  
رمت زودته بالأطايب والأذخار ، والأشريات



في غير عناء أو اعياء ، وستعرف سبب فتخاري  
بسفائتي وبحارتي الذين يذرعون البحار ويضربون  
أكهادها حين يبحرون بك »

وشاع البشر في أسارير أوديسيوس ذي  
التجارب فقال : « أيها الأب الخالد ! الله محامدك  
الغرا ! أنجز يا مولاي يسر ذكرك في البلاد ، وأنت  
أهلي وأنشق نسمة من وطني »

\*\*\*

وهكذا تشق الحديث بينهما ...

ثم أمرت الملكة بعض وصيفات القصر  
فأعدن فراشا وثيرا في الرواق ذي الأعمدة ،  
وهيأة بوسائد من دمس ، وبثن فوقه الأرائك  
والحشايا ، وعلّقن الستائر والأسجاف ، ووضعن  
البرانس <sup>(١)</sup> واللحف ... وكانت كل منهن تحمل  
شعلة كبيرة تتوهج في جوانب القصر ... حتى إذا  
فرغن من كل شيء ، دعون أوديسيوس في أدب  
وظرف أن ينهض لينام ... وغفا بطل هيلاس ...  
وأسلم عينيه لأحلام سعيدة

ونفض الملك والملكة لينهما بطيب المنام

( يتبع ) درهني خشبة

(١) البرنس بمعنى المعروف عربي فصيح

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشا

إلى هنا في جملة حشمتها ما دمت قد رجوتها في  
ذلك أول الامر »

وقال أوديسيوس يجيبه : « إنها لم تخطيء أيها  
الملك الكريم وما عليها من ملام . لقد كلمتني في  
مثل ذلك فأبيت لأنى خفت أن يسوءك ذلك منها  
ومنى ، ولأنى أعلم أن الناس في كل مكان ظنانون  
قوالون »

فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدرى  
لا يحمل مثل ذلك القلب النزق ... إن الرصانة  
والأنانة أفضل ميزات الخلق الكريم ... تالله يا بني  
إنى لأوثرك كولدى ، وبودى لو قبلت فصهرت  
إلى وتزوجت ابنتى ، وعشت معنا كواحد متا ..  
وإنى - إن رضيت - لقطعك الأقطاع الشاسعة  
وما نحك المنزل الرحب . هذا وليس فى فياشيا  
كلها من يجسر أن يقسرك على شيء تأباه نفسك .  
معاذ الله يا بني ... إن هذا إلا عرض ... مجرد  
عرض منى لما أنسته فيك من سمو ورجاحة عقل  
ونبل ... فإن لم يرقك أن تفعل ، فاني معذ لك  
أسباب عودتك غدا ، وستنام ملء عينيك بينما  
يكون الفلك ينهب اليم ويطوى العباب ، منسريا  
فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التى تعمل فى  
المخاض حتى تصل الى وطنك سالما غائما بل حتى  
تصل الى أبعد منه ، ولو الى ما وراء أيوبيا أبعد  
الجزائر منا ، حيث يحمل بحارتنا ردمنتوس <sup>(١)</sup>  
ذا الشعر الذهبى لزيارة تتيوس <sup>(٢)</sup> جبار الأرض ..  
إنهم يبحرون به الى هذه الجزيرة ويعودون فى يوم  
(١) ابن زيوس من زوجته أوروبا وقاضى العدالة  
فى الدار الآخرة « هيدز » « جرير »  
(٢) أحد مرده طارطاروس ويفطى جسمه مساحة  
تسعة أفدنة ( جرير )

كمصفور جريح شفاء  
الحب . إنني داخلته إلى  
غرفتي

( تقول لنا بعتها )

أرماندا ! هاتي حجابي .  
باريس — ( بوحشة )  
لقد خيل إلى أنني أرى  
أبا الهول تكتنفه النجوم  
وقصائدي الانسانية كانت  
تؤيسنا في بعض الأحيان

ولكنها تصبح أحسن رونقا حين تمر على لسانك  
الشادي ! وشكرا لك لأنك كنت في هذه اللحظات  
القصيرة تقرنين شعرا إلى أحلامنا !

إيزابيلا — ( تبتعد عنه مسرعة إليه قبله )

لكي يصح تزويد الشعر بدوق سليم ينبغي تقبيل  
الفم الذي أخرجه

( تمضي إيزابيلا ... وأرجاني يدنو من باريس )

أرجاني — لا تذهب ياسيدي ، فالمدينة جماء  
تريد أن تهنتك !

باريس — زهوك يبالغ في ذلك ؛ فليكن  
ما تريد ... سأستقبلهم !

أرجاني — ( زهو )

اسمع كل هذه الأصوات !

باريس — ( من غير أن يعي ما قاله أرجاني ، وقد  
ملك عليه حلم وكآبة )

هل تكون قطعتي مجموعة صمغتي المكتوب ؟  
وهل أراني أودعت على الصفحة السرية فؤادي كله ؟  
أرجاني — هل نحصلهم ؟

( يقدم العجبون كالوج ، وفي المقدمة الأمير وصديق  
المؤلف )

الأمير — شيء رائع !

# سيرة أبي الهول

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرنسي بول ريسان

بقتل الأستاذ خليل هنداوي

## الفصل الرابع

بعد انقضاء عام على المسرح الروماني حيث يعاد  
تمثيل « أبي الهول » بعد انتهاء التمثيل . في الزاوية  
( أبو الهول من الورق ) . عن اليمين باريس بالقرب  
من إيزابيلا وهي بزي أبي الهول . أرجاني يحدث  
سانتيا ، والعمال منتثرون في كل مكان

### المشهد الأول

باريس ، إيزابيلا ، سانتيا ، أرجاني ، العمال ،  
المعجبون والمعجبات

أصوات العمال — ابتعدوا .... الستار ....

من الباب الحديدي

إيزابيلا — ( لباريس بشيء من السكابة المغتبطة )

آه لو كنت تعرف ، بالرغم مما تذوقت من الألم ،

أية سعادة تغمرني في إذاعة اسمك في هذه القاعة !

عندما سميت « اسمك » إختنق صوتي ، وأصبحت

شاحبة الوجه ، باهتة اللون . قلت : « قطعة باريس

إيجلانوا » ولك — يا حبيبي — قد صفقوا وهتفوا

باريس — شكرا !

إيزابيلا — لقد أعدت إليك تاجك ، والقطعة

التي تمزقت هنا قد حُلقت منتصرة وسط هتافهم



الصديق — وباعث على العجب !  
( يعانقه ثم يلتفت إلى امرأة خلفه وبصوت منخفض )  
ردىء جداً

غيره — يملك الأفئدة

» — يهز القلوب

» — يتركها حائرة

» — يبعث فيها القوة

» — يزيد في حركتها

سانتيا — إنك لم تبلغ في حياتك مثل هذه  
الرقبة البعيدة

غيره — في اليوم الذي تريد ستكرن عبقرية  
صديق المؤلف — كانوا في الفصل الأول  
جامدين ؛ وقد كنت أول هاتف لك . نعم ! لقد  
صحت : أحسنت بصوت رنان من مقصودي  
باريس — إني مدين لك من غير شك  
بظفري

امرأة — إن مروحي تحطمت ، لم يبق منها  
إلا جناح واحد !

غيرها — قد تمزق قفازي لكثرة التصفيق !  
» — من حسنئك أنك منعتها عنا زمناً  
طويلاً حتى تعرضها علينا آية كاملة

فتى — أنك لا كبر شاعر عليها ، بيروت !  
أقول : بيروت أوداني ...

باريس — لا تبلغ ! لا يعرف « بيروت »  
إلا بعد مائة عام بعد موته . ليس المجد المتألق على  
جبين الأحياء إلا ضماً نخلود الناس . إنك بعد  
موتك تستطيع أن تحكم على

إرجانتي — ( معرفاً « باريس » برجل كهل متألق  
يدعو مشهده إلى الهزؤ :

الدوق دي ليجانو

الدوق — أنذكر — أيها الأستاذ — في

بارما إحدى الأمامي الراقصة ؟

باريس — ( يحاول أن يتذكر عبثاً )  
ربما ...

الدوق — إنك نوحى إلى وسيلة الكتابة

باريس — ولكن ...

الدوق — كيف تنظمون الشعر ؟

باريس — نعد على الأصابع

الدوق — نعد حتى الثانية عشرة ثم نبدأ

باريس — أنظم الشعر بينما ترقص الدوقة !

لقد قيل لي — والمعدة على الاشاعات — إن

الدوقة تحسن الرقص . إنها ترقص . وتستطيع

أن ترقص بينما تقرض أنت الشعر !

الدوق — لقد طرقتني هذه الفكرة يوماً أثناء

طوافي على البحيرة . أود أن أنظم مقطوعة ...

باريس — ومقطوعة ثانية ! وأين الدوقة  
الآن ؟

الدوق — إنها رحلت ... ولعلها في هذه  
اللحظة تزور هيركولانوم

( يمضي الدوق )

المعجبة — ( تلتقي بنفسها على باريس )

سيدى ! إنك ستكتب كلمة على مجموعتي هذه

تجد فيها كلمة من الملاك الكبير ، وكلمتين من

الراقص الروسي . وكان يجب حتماً أن أحظى بها ،

ولدى فكرة سطرها عضو في الجمع العلمي

باريس — كنت إخال أنهم لا يفكرون في

شيء ، فأوليني مجموعتك !

المعجبة — إليك قلبي !

باريس — بلى ! سأكتب ، ولكن من

أنت يا ذات العينين اللامعتين ؟ إني أود أن أعرف

كيف يدعونك ؟ وما اسمك الصغير ؟

المعجبة — أنا المعجبة الحسناء أجلس في المواقع

اليوم - نثرأ لا شعراً  
الغيور - ما هذا؟ الجمال، الجمال؟ وما تريده  
هو البساطة

غيره - شعر ليس له روح الشعر  
النيور - موسيقى ليس لها تأثير في أنفسنا  
أهذا شعر بصفق له؟ إن هذا شيء عجاب، حدثني  
عن «ساندور» مثلاً، فهو شاعر، قد يمكن أنه  
لا يفهم ولكن موسيقاه مؤلفة من ألحان متطابقة  
الأمير - (كنجاهل)  
ومن هو ساندور؟

الغيور - هذا هو في الحقيقة إنسان، ومن  
يتلو شعره يا عزيزي لا يذكر بيتاً منه. وهنا  
يظهر سره، ذاك شيء غريب، إن بيتاً واحداً  
يبقى شهيراً

الأمير - ولكن هنالك مجموعة شهيرة، وأنا  
أحب الثاني

الحسود - نعم أعلم ذلك، ولكننا إذا فكرنا  
قليلاً نراها ليست على شيء. قلم... وسكون...  
وساعة عمل، أعطيك فيها مئة بيت على طرازها.  
القانون سهل والأسلوب جميل. والبيت من الشعر  
لا يحسب بيتاً إلا إذا خطر بجناحين

الأمير - ألا ترى؟ إن بي ضعفاً عن محبة  
البيت المجنح!

بلى! برغم «ساندور» وبرغم جميع الذين  
يرون أن القصيدة ليست خفقة قلب، ولكنهما مسألة  
يمكن حذقها كحذق الطهي، إنه يغدو نفساً تحترق!  
إنني أحب الأبيات المجنحة على أن تطير!

الحسود - ولكن لا شيء أسهل من ذلك  
ولا أقل نصيباً

الأمير - وإذا كان الأمر سهلاً بهذا المقدار  
فأنت به!

الأولى مسترسلة لأحلامي، أنظم وشاحي من القطع  
التي أسمتها، إنني جميلة وذكية الفؤاد أيضاً! لماذا  
تريد أن أقول لك «أما» ستنداء عند ما يجتذب  
الفجر قلانده الليلية. وكأنه يريد أن يظل وردى  
اللون...

أنا المعجبة الحسناء!  
(تذهب)

ارجانتي - (يقدم لباريس رجلاً يخفي أمانه)

أرجوك الانصات له!

باريس - من هو؟

ارجانتي - مدير مسرح انجليزى شهير ود

أن يمثل «أبا الهول» في مواطن شكسبير

المدير - متى تشاء أن أتكلم معك؟

(تتلاشى تمة المحاورة إذ يصعدون، والفرجون  
والآخرون يتناقشون بصراحة)

المعجبة - لم ينظم في حياته أوسع ولا أتم  
من هذا؟

امرأة - (مقبلة على فريق)

إننى أوتر قطعته التي كان يمثلها «فوسنين»

زميل - إن ظهور «أبي الهول» سيخيف!

كاتب - هذه ليست بقطعة، إذ ليس لها

إلا مؤلف واحد!

الأمير - (بسخرة)

ما تصنع أنت؟

الكاتب - معين!

أصوات - وهل يتكلم هكذا أبو الهول في

في المساء الأخضر؟

أصوات أخرى - فيها كثير من الآيات

الجميلة، كثير من الآيات الرائعة!

ارجانتي - (لباريس)

يجب أن تكون سعيداً!

شامت حسود - إن المرح الغنائى أصبح -



( يمشى باريس وخلفه ارجانتي ، والجميع يهتفون له مرة  
الأخيرة )

باريس - ( شاعراً برياء البعض )  
كثيرة هي الأ كف التي تمتد للمصاحفة

ارجانتي - الفوز !  
باريس - على أن كثيراً من هذه الأ كف  
تفتح جراحا

المدعوون - أيها السيد !

باريس - ( ضاغظاً على يد ارجانتي )  
عفوا يا ارجانتي ! افهم نفسي . إن الأيام التي تفتقر  
فيها الى كل هذه الأ كف المدودة ، والى كل هذه  
الضجة الهائجة ، لا نرى منها أحداً عند النائبات  
في هذا المساء ما عسى أن يصنع لنا هؤلاء  
الخائفون ؟ إننا في أيام الشقاء نحتاج الى أصدقاء  
( يتحدث مع سانتيا الذاهبة )

أذاهبة ؟

سانتيا - ( مع صديقتين لها )

عد معنا !

باريس - إنني أنتظر ايزابيلا

سانتيا - إلى الغد ...

باريس - ( متناولاً باقة زهر كان قد أخذها من  
إحدى المعجبات به )

تناولي هذه الأزهار ، ورصي بأزهارها صورة  
أخيك . يجب أن تفعل لأن الصور هي قبورنا  
الحقيقية

سانتيا - شكراً

باريس - إن الأموات الذين لا ينسأهم أحد  
هم الأحياء المجهولون الذين يخفون فوقنا  
( باريس وحده مع ارجانتي على المسرح الفارغ )

ارجانتي ، ارجانتي ! لماذا أنا لست هنالك ؟  
وكيف استطعت أن أعود إلى أوروبا بعد ما وُطئت  
قدمي الصحراء

ارجانتي - عفواً !

باريس - لماذا أنا لست هنالك ؟ هنالك في  
تلك البقعة أمام النيسل ؟ وعلى جوانب الصحراء  
حيث تمايل ظلال النخيل الأزرق منذ آلاف  
الآعوام ، وحيث يرعى المساء ظله على حفافي الرمل  
المتورد ، فيغدو الراعي شاعراً وإن لم يفه بشعر

هنالك ! يا ارجانتي يجب أن نحيا والحب يغمرنا

ارجانتي - ( وقد تفض عنه الأخيلة )

لقد كانت القاعة طافحة بالناس

باريس - ولكنها الآن فارغة ، إن كائناً  
واحداً إذا أغمض جفنيه ترك الوجود فارغاً !  
( ينظر إلى الظلمة ، والقاعة الفارغة )

بلى ! القاعة فارغة ، لأنني لم أستطع أن  
أصافح يدي يد مارسيللوس ، لأنه هلك هنالك !  
ارجانتي - ولم نفكر فيه من دون انتهاء ؟

باريس - لقد وعدته بأن أعمل !

قال لي : « إذا هلكك قبلك ؟ وإذا قُدر  
- على عكس الدستور - للأكثر فتوة بأن  
يقودك إلى هذا السرب المظلم فاعمل ... » إنك  
تراني يا أخي - أعمل ، وقلي يجيب على ذلك السر  
الأعظم الذي أذاقك حتفك ...

ولكن هل لاحظت شيئاً غريباً ؟

ارجانتي - لا !

باريس - في هذه الظلمة التي تستقر فيها  
نظرتي ، وفي هذه القاعة القاعة التي لا أبصر فيها  
شيئاً ، يخيل إلي أن نظرة قديمة تتبعني ! ألا أي  
ملازم لي يدخل في نفسي ويثأر مني ! إني - منذ  
عام - أراه يقتني أثرى ، وبطأ موضع قدمي !

ألم يبق أبو الهول هنالك ؟ فلماذا هذه الصورة  
تطوف حولي بدون انتهاء ، تؤلني وتزيد صدري  
حرجاً ؟ كائني معندي مرققة نخوذته النحاسية

ونفيت عنه القرون التي تذود عنه ، وسفمت  
بناصية ملك الصحراء ...

( تبدو ايزابيلا ، وقد خلعت رداء أبي الهول ، تخال  
في ثوب دقيق يتوهج بدنّها تحته ... تدنو منه ببطء ... وهي  
ليست إلا عاشقة عصرية تقترب من عاشقها )

### المشهد الثاني

إيزابيلا ، باريس ، ارجانتي

إيزابيلا — ياله من ظفر ! ياله من مساء !  
إنك لم تقدم إلى مقصورتى لترانى ! ولا تزال تخطر  
هنا !

باريس — إيزابيلا

إيزابيلا — أصغ إلى ... أحس قلبي يدق هذا  
المساء دقا عنيقا ، يخيل إلى أن وجودى كله يهتز  
ها إن أبياتك استجالات طيوراً ضخمة مشتملة  
تخفق على صدرى العارى ، لقد ردت على  
رقة جنائى !

باريس — ( رانياً إليها )

أيتها الحبيبة : يا حبيبة لحي ودى ! يا خالقة  
عبقريتى ! هو كذلك

إيزابيلا — هل نحس أية غبطة منيرة ، بهذه  
العودة التي تجل عن الوصف للآلهة ؟ بي كان ذلك ؛  
وأنا السبب المؤثر . أنا أسمى معك للوصول إلى  
فوزك الباهر ! إن عشيقه شاعر ، وأمة نظمه  
وطرقه ، تود في وقت واحد أن تكون خليلته التي  
يصطفها ، ومبدعة عبقريته التي توحى إليه ؛ وإنها  
لتكون الأقوى نفوذاً تقتطف الانتصار بمد  
الانتصار كالآزهار

( تضبه إليها )

تعال ! فلندخل مثنوانا ! فالجدآب إليك في  
جهاد يوم واحد . هذه الساعة ساعة الحب ،  
وسريرنا الفسيح العميق ينادينا ... تعال تم بجاني  
حتى الفجر

باريس — إيزابيلا ...

إيزابيلا — أحبك حين تغفو ، منهوكا ،  
متلاثكا ، على ذراعى كما يغفو الطفل الوديع عروفي  
بعض الخطرات أتيقظ ، فأرى وجهك الساكن  
يطفو عليه الرقاد . إنك لا تدري أى ظفر يعرفنى  
حين أراك هكذا ؛ لا شيء عندك ! والجاهير التي  
تمبك أفردتك وحدك . تستطيع أن تنام هادى  
الانغماض ، حراً مجهولاً ، متأزاً من الضعف ، بوجه  
فتى خفى كوجوه أولئك المحبين حين يغمضون العيون

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — ( بشغف )

إن عينيك المطبقتين هما كالفجر الذي أشرق  
على ضفة مشهد ! إننى لأخشاك حين تكون عيناك  
مغمضتين ! فنظرتك الخطرة التي قد تكون غاضبة  
وجميلة في الوقت ذاته تتوارى تحت جلباب الليل  
الذي تآلف من ظلمة الألوان ، وانطباق الأجفان .  
أرأى أكثر الناس تعلقاً واختلاطاً بك ! أتلقن  
منك الأسرار المجهولة حينما تطوق ذراعى الباريتان  
رأسك ! هي لا تعلم شيئاً من لم تبصر محبتها وتأمل  
فيه وهو نائم مطبق جفنيه ، ومن لم تعد لتفتح  
— خلال رقاده المنهوك — عينيه بقباهما

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — غداً ، عندما الفجر الجديد البازغ  
على سرير الحب يفتح عيوننا ! تنلو بذهول الصحف  
التي تتحدث عن أكاليل الغار التي حظيت بها هذه  
الليلة ! كم تبدولنا انتقادات هؤلاء ضعيفة واهية  
قبل أن نراها ، وأنت وحدك المنتصر !

باريس — إيزابيلا ...

إيزابيلا — باريس ! إن معر قد دخلت في  
النسيان ! مدينتك التي صفقت لك وهتفت هتاف  
الاعجاب هي قرينتى ! مجدك وسعادتك يتركان لي



إيزابيلا — استقبله ، فهذه ساعة الرحمة قد دنت ! حيث الشاعر كالمحارب الحنون ، إذا اقتطف أ كاليل الغار أخذ يستنشقه . إنني عائدة .  
( تنطلق إيزابيلا وارجانتى )

### المشهد الثالث

باريس ، الصحافي ، والعمال  
الصحافي — أريد أن أسألك يا سيدي عن شعورك وعما أثر فيك مشهد هذا المساء ؟  
باريس — ( بوقاحة )

كنت أظن يا سيدي أنك جئت قبل الوقت ، ولكنك الآن جئت بعده ...

الصحافي — هذه بعد الأولى ، ولكنه كان مساء غريباً رائعاً ، والجاهل يريد أن تعرف عند يقظتها ما أوحى اليك هذا الفوز  
باريس — حقاً !

الصحافي — ( يحاول أن يكتب بقلم صغير )  
ستقول لي أليس كذلك ؟ ماذا أحسست إذ انتصرت ؟ وحين ألقيت المسرح يتماوج لنفقاتك ؟ أين كنت أيها المعلم متوارياً عنا ؟  
باريس — لم أكن في مكان ؛ كنت أدخن مع العمال

الصحافي — أي شعور عراك ؟  
باريس — كنت كئيباً  
الصحافي — أ كنت كئيباً حين هزتنا نغماتك ؟ ثم تكتئب ؟

باريس — أ كنتئب لأنني وجدت أنها لم تبلغ ما أردت ؛ أ كنتئب لأنني أرى كل شيء على الأرض حياً ومجداً وانتصاراً ، وأنها ليست بشيء منها  
الصحافي — لا يمكنني أن أرى ذلك !  
باريس — كل ما تخيله يسحر حالماً ؛ والمأساة

حق ذلك : لقد انهزم الآلهة الحجرى من الأفق باريس — لم تتكلمين بهذه اللغة ؟ لم تذكرينه بي ؟

إيزابيلا — ( تقيض عليه )  
لأنني أعبدك ، ولأن الليل جميل بهي ! لأن خصائل شمرك تعجبني مرخاة على عنقك . ولأن قلباً يدق فيملاً الفراغ ؛ ولأنني أصبحت ولا أخشى منافساً !

ضميني إلى قلبك ، ضمني شديداً !  
انظر ! ها هو المسرح لا يزال يخفق لفوزك الفنى . أنا لا أحب فيك مجرد عبقريتك العزيزة على ، ولكني أحبك أنت يا باريس ! أحب عينيك المفكرتين الهائعتين في اللانهاية ، يسكن فيهما الدمع تحت قبلاني . ومن كل حياتك التي لا تخمد ، وعبقريتك الساطعة أحب فلك

باريس — إيزابيلا !  
إيزابيلا — أنا عالة أنك ستذهب يوماً عني !  
قال رجل بقضى الحياة عاملاً على الفرار من بين أذرعنا !  
( يتعاقان )

تأمل ! .. فلا تزال عينك تفر من قلبي !  
آه ! إن أطول قبلة في العالم تنتهى سريعاً !  
هنالك إنسان . . . . .  
( يدنو إنسان مع ارجانتى )  
ارجانتى — ( ميمساً باريس )

هـذا صحافي يطالب زيارتك للمرة الثانية بعد أن صرفناه مرتين

باريس — من أين ؟  
ارجانتى — من صحيفة « المأساة »  
باريس — لا ! لن أستقبله ، ولا أريد أن أرى أحداً !

## المشهد الرابع

— باريس واقفا أمام أبي الهول —

باريس — ما أنت إلا من ورق شاحب اللون بعيداً جداً عن مصر ، وبعيداً عن المشهد الذي يخلق الاضطراب . ولكن عند ما أقف وحدي بجانبك في المساء ، يجيل إلى أننى واقف أمام أبي الهول الحقيقي . . . أبي الهول المصرى الذى يسترسل لأفكاره تحت إكليله المرصع بالنجوم دون أن يبالى بأرزائنا !

هأنذا قد قهرتك أيها الوحش الصامت !

إننى أحيأ ... أنظر إلى ...

إن الذين ماتوا هم كل الذين وقفوا على أمرك العظيمة . . . ولكنك كلنتى ! وها أنا أحيأ على الأرض ، وإنى أكاد أرى ههنا مارسيلوس لا فظاً أنفاسه ، ماداً ذراعيه نحوى ، تتألق على وجهه الأسمر شعاعات الموت ممتزجة بأشعة القمر أميت مارسيلوس ؟ لا ! ولكنه فغنى عليه إنك لتجيبا بأخى البيت فى أخيك الحى ! صوتى يرجع الى صوتك الخالد ، وأسمع فى قايى القوى قلبك الحزين يخفق

( يصبح فريسة للاضطرابات )

ولكن لم هذا الفراغ ؟ وهذا التأثير ؟ ها أنا وحدي معه وهو وحده منى . نحن وحدنا كما كنا من قبل . إننى أسمع هزيم الريح بين أشجار النخيل فى السهول التى لا يخترقها سبيل

بلى ! هذا هو ذات الأريج ، إن الانسان — يوم بدأ يتألم — حينما نزل يحمل معه صحراءه ربح مصر الباردة تهب عنيفة ...

لا لا : أنا لا أستطيع أن أبقى بدون (إيزابيلا) لا أستطيع .. إيزابيلا ... إنها لا تسمع تدأى ...

ليست كبيرة إلا فى أعماق قلوبنا

الصحافى — لماذا لم تطل على الناس حين قطعوا الأ كف تصفيقا ؟

باريس — وما صنمى عندهم ؟

الصحافى — تحييمهم ! وترى شعباً يموج إعجاباً بك . ولماذا لم تجبى حين تصاعد هديرهم

باريس — لأنهم كانوا أكثر !

الصحافى — ولكن جميعهم يحبونك

باريس — أتحال ذلك ؟

الصحافى — أننى أو من ...

باريس — أما الأسود فأنهم يصطفون لها حين تفتس صربها . وإذا كان المربى هو الذى سيسيطر على ملوك الصحراء فالشعب يصبح خجلاً ! أتريد منا أن نزعج أنفسنا للذين يأتون لينظروا إذا كنا أكلنا ؟

الصحافى — ولكن ألا تستثنى أحداً ؟

باريس — أجل ! بعض نفوس صاقية يقودها حب الجمال وحده إلى النور . ولكن هذه النفوس تقضل — بغير أمل — أن تهتف للشاعر دون أن تراه

الصحافى — أهذا كل شيء ؟

باريس — هذا كل شيء !

الصحافى — أهذا كل ما يوحى اليك مثل هذا المساء ؟ أما عندك شيء آخر لنقوله ؟

باريس — لا شيء !

الصحافى — مالى إذن إلا أن أنصرف !

باريس — نعم ! هذا هو كل شيء .

( يذهب هذا الصحافى مضطرباً والعمال يهيمون بتعطيم أبي الهول )

لا ! لا تمسوه ! دعونى وحدي معه : وحدي ..



السما قد احتفرت جناحي العاطلين . أنا لم  
أصعد الى الأعلى ، أنا لا أدرى شيئاً . لست إلا  
كائنات أرضياً مثلك . وإزاء « أبي الهول » نفسه  
« أبو الهول » جديد يبدأ . فالأرض تقول  
« الفناء » والسما تعطى القضاء

باريس - لا لا ! إنك سلبتني سرايتعلق بي .  
إنني لن أموت هنالك ! سأحيا ؛ لست واحداً من  
أولئك الذين يجب محاباتهم  
أبو الهول - إني تبينت وجهك حين تكلمت  
ولحت مستقبلك وفتوتك ومواهبك ...  
( باريس صائحا من الألم )

ولكن مارسيلوس لأى سبب انتزعته !  
أبو الهول - ( بعد صمت عميق )

عفواً ! لكوني حطمت قلباً في زهو الحياة .  
إن « مارسيلوس » المألوف « يبيت من » شعر  
فرجيل « لم يدفعه الى الموت إلا سبب قدسى . إني  
بقتلى إياه قد آثرته على غيره . وقد أكون أحسنت  
في إجابة رغبة كليهما باعطائه الموت وإبقائك في عالم الحياة  
أذكر أيضاً يا باريس ! لقاءنا تحت الأفق !  
فليمترج مع كل حب عنيف فيك أثر غيابة الغريب  
عنك . إننا لن نتلافى . نخيل إلى أن كواكب مصر  
وسماها تدعوني إليها . ولكن ، على الأقل ، تبصر  
عينك هنا نظري الزمردى ، ولحدي الحجرى  
الوداع ...

( تنوارى الصحراء وأبو الهول ، وتظهر إيزابيلا ،  
وتقع على باريس ... وباريس يستيقظ كمن أزعجه حلم )  
باريس - إيزابيلا ! أعطيني عينيك ، فك أيضاً !  
تعالى ... لنمش في موكب الحياة ...

إيزابيلا - الحب وحده هو قاهر الموت ...  
( يدهبان متعاقبين )  
- الستار -

( تمت الرواية )

كم بيننا من الأبعاد ؟ ... ولسكن ما أدنى  
هذا الظلام الذى لا يُرد !

كفى ... دعنى أحيا هكذا يا إله الألم !

صوت أبي الهول - تعالوا ...

باريس - الصوت ذاته دائماً ...

أبو الهول - تعالوا ...

باريس - النداء ذاته ، ومع هذا أراى وحيداً  
هنا ... لا أريد أن أسمع تداءك أيها الرسول اللعين

أبو الهول - لم أقل الحقيقة إلا له

باريس - كذب واقتراء . كلامك ليس

حقاً ، ولا يمكن أن يكون حقاً

أبو الهول - باريس ! إن مارسيلوس وحده

هو الذى أدرك السر

باريس - النجدة ... أغيثوني !

يتلاشى المشهد والمثلون والمسرح .... لا شيء إلا  
الصحراء وأبو الهول )

### المشهد الخامس

أبو الهول . باريس . إيزابيلا

أبو الهول - قضى مارسيلوس زهرة مضطربة  
وبما أن الحقيقة كانت تفتل فأنا قد أبديتها !

باريس - أبو الهول

أبو الهول - إنك لن تتغلب على رسالتى التى

هى الموت . ما أنت إلا جاهل لأنك لا تزال تحيا !

وربما كنت حين حملت أسرارى الى مارسيلوس

قبل صرعه ، ربما كنت مخدوعاً

سرى ! وما هو هذا السر الأكبر ؟ أنا وجدته

ولست بالله . إني فحست كل الزهو الانسانى ،

حتى إذا تأملت فيه لم أجد إلا التراب !

باريس - ماذا تقول !

أبو الهول - إلا للتراب ... هنالك الأفق ،

الأمم المجنون ، وقد يكون الأمل على حق . لا أرى

إلا التراب والموت







# الرسالة

مجلة أسبوعية تهتم بالعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على علم وبصيرة

الرسالة : تعيد باهتمام عميق روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء اليهود العرب

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية لدى العرب

الرسالة : تسجل ظواهر التجدد في الآداب العربية

الرسالة : تهيئ في النفس أقاليم البسطة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

التجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشا، والخارجي ما يساوي جنهما مصر ياها للبلاد العربية تخضع ٢٠%

طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرافة رقم ٢٥ - تليفون ٥١٥٢٢





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الادارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

العدد العاشر ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ - ١٥ يونيه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

مِنْ أَحْسَنِ الْقِصَصِ



## فهرس العدد

صفحة	القصص	القصص	القصص
٥٨٦	إكسوس ومكريا	أسطورة إفريقية ..	بقلم أحمد حسن الزيات
٥٩٣	الثال	أفصوصة فرنسية ..	بقلم الأستاذ ابن عبد الملك
٥٩٧	يوميات نائب في الأرياف	صور مصرية ..	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٦٠٣	الزوجة	لواشجنطون ارفنج	بقلم الأديب حسين محمد كامل
٦٠٨	المريض	أفصوصة مصرية ..	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٦١٦	وتفضلوا بقبول احتراي	لسالتيكوف ..	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
٦٢٠	جزاء الاجتهاد	لرشارد جارت	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي
٦٢٦	الذراع الذابلة	لتوماس هاردي	بقلم نظمي خليل
٦٣٣	اعترافات في العصر	لألفريد دي موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٦٤١	الأوذيسة	لهومبروس ..	بقلم الأستاذ دريني خشبة



آلهتها عن مصدر هذه  
الحرب

ودلفي كاتلمين<sup>(١)</sup>  
مدينة مقدسة تفيض  
جوانبها بالمعجائب ،  
والناس يمرون عليها  
وهم عنها معروضون ،  
وأنا كأولئك الناس

أسطورة عريقة تمثل الفضيلة والشعر

# أكسوتوم كركيا

للساعر الفرسى هيجيبى مورر  
نظم الأستاذ أحمد حسن الزيات

في هذا اليوم لا أريد أن أتقل بك من البرناس  
إلى الهيدروم ، ولا من الهيدروم إلى منصة  
أبولون ، فانك ولا شك حججت إلى هذه  
الأماكن منذ طويل في ( سياحة أنا كركسيس ) ،  
وأنا - ولا أخفى عنك - مشوق كذلك إلى رؤية  
أشباه هرقليس

كان الشعور الذي استولى على الأغريق لدى  
رؤيتهم أولئك الأبطال يترجم عنه هذا الهمس  
الأجماعي الصاخب : « يا للآلهة الخالدين ! ما أوفى  
القوام وما أصلب المضل ! » وكان في الجمع شيخ  
سبط العظام ، تحسبه وفي يده عصاه المذهبة وعلى  
جبينه عصابتة البيضاء ، ملكا من ملوك الأغريق  
المشرين ، مال على كاهن من كهنة أبولون ، وهو يجتاز  
المبعد حاملا مبخرة من مباخر المطور ، وقال له في -  
صوت خافض :

— لقد عرفت هرقليس وزوجه ديچانير  
حق المعرفة ، فما عرفت لهما غير ثلاثة بنين ؛  
فن إذن هذه المذراء المنتقبة التي تجلس مع

في ذات يوم لا أذكر من تاريخه إلا أنه كان  
لعمامين من موت هرقليس ، كانت مدينة ( دلفي )  
تموج بالناس وتنعج بالضوضاء وترخر بالفتوة . كان  
ذلك اليوم آخر أيام الألعاب الفيتونية ؛ ومن أعجب  
الأشياء أن الصراع والسباق كانا يجريان على غير  
مشهد من أحد ، والرياضيين والسواقين كانوا  
ينتصرون على غير علم من إنسان ، حتى قيل إن  
الشاعر سيمندس كان ينشد رائع الشعر في الفرس  
المجلى ولا يستمع إليه يومئذ إلا بطله ! ذلك لأن  
كلمة واحدة طار بها السماع فطارت بالقوم من  
ميدان اللعب إلى معبد أبولون :

« هام أولاء أبناء هرقليس ! هام أولاء  
أبناء هرقليس ! »

ومن في الناس لا يضحى بمقعده في الملعب  
ليرى أبناء هرقليس سيد أبطال الأغريق ؟ وكانت  
أثينا منذ شهر قد استيقظت ذات صباح فوجدت  
هؤلاء الأبناء مخلوعين مضطهدين مشردين  
يتهافون في الساحة العامة على مذبح الرمة  
فتارت بها الحفيظة لشكواهم ، ونزت فيها القلوب  
والسيوف لبواهم ، ثم بعثت بهم في هذا اليوم  
على رأس السفارة المقدسة إلى دلفي يستنبثون

(١) يوجه الكاتب الحديث إلى صاحبه التي دعاها  
أخته ، وكتب إليها طائفة من الأقاصيص عنوانها ( أقاصيص  
إلى أختي ) Contes à ma soeur وهذه إحداها

قسمتها طبيعة الأرض ومطامع الناس إلى عشرين دولة صغيرة ، يتضارب أقبالها الصيد من شدة الزحام بالمرافق والمناكب . وكان العرف المتدرج في الأمم القديمة أن يقتتل الناس رجلاً لرجل ، وجسماً لجسم ، فجملوا قوة البدن جناس القوى وملاك الفضيلة ؛ وكانوا يتوسمون تخايل الكفاية والفضل في قبضة اليد وقوة الكتف ، كما نتوسمها نحن اليوم في أسرار الجبهة ولحات العين ؛ وحسبك أن هرقليس رمز القوة ومثالها كان إلهاً .

تأخر ظهور الكاهنة الوسيطة التي يتكلم بلسانها الآلهة (La Pythie) ولكن أحداً لم يسمع هنين السام ، ولم يلمح عبوس الانتظار ، لأن الجمهور كان يجد فيما يرى غذاء لفضوله ورّياً لشوقه : كان يرى هيلوس بكر هرقليس وأكبر الأخوة ، وهو محارب عملاق عارى الذراعين مجدول العضلات مطهم الوجه ، فيجده وعلى منكبيه جلد الأسد ، وفي يده الهراوة المقداء ، أشبه بأبيه من الليلة بالليلة . ثم يرى أنتينور وهو سوغ<sup>(١)</sup> هيلوس وأدق منه ملامح وأرشق منه قامة . كان يتشع بقداسته الجديدة ، ويتنسم لشباب الأغريق ، ومنخراة منفوخان يتنسمان عبير الاعجاب في نشوة ولذة . وعلى الجبل كان الآلهة أنتينور شديد الخيال والصفاء ؛ أما أخوهما (إيجسط) فكان لا يشبههما في شيء غير القوة والشهامة . كان وجوده في هذا العصر وفي هذا العصر خطأ صارخاً في تقويم الزمن . وأعجب شيء فيه أنه كان أشقر الشعر ساهم الوجه متقبض المزاج ، وانقباض المزاج عاطفة عصرية

(١) يقال : هو سوغ أخيه وسيغه إذا ولد بعده وليس بينهما ولد ، وهو بالفرنسية (Puiné)

أبناء هرقليس على مقعد واحد ؟

— كلامك يا أبي الحق لا مبرية فيه ، فليس لهرقليس من ديجانير غير ثلاثة بنين ، ولكن له من زوجته الأخيرة (يول) . . . .

— فقاطعه الشيخ قائلاً : صحيح ! ثم ضرب على جبينه بأصبعه علامة التذكر وقال : لقد روى لي (فيلوكتيت) هذا الحديث عشرين مرة ؛ ولكن قرنين من الزمان يدوران على الرأس لا بد أن يضمضما فيه الذاكرة ! نعم أذكر الآن أن هذا الزواج أعقب بنتاً . . . فارتفع من وراء الشيخ صوت ندى عذب بهذه الجملة :

— بنتاً وابناً يا أبي

فالتفت الشيخ فرأى يافعاً شاحب اللون هش العظام في زى أهل الأرجوليد يردد في احتشام وخجل :

— بنتاً وابناً وهما إكسوس ومكريا

فقبض الشيخ ضاحكاً من الغلام ، وقال للكاهن : أنظر ! في (هيلوس) يهتف الناس بملى ، وفي (أرجوس) يرسلون إلى تلاميذهم ليعلموني . . .

ثم قال للغلام : من الذي أنباك هذا يا بني ؟ وماذا تسمي ؟ ولكن الفتى لم يتحمل ملاطفة نسطور (وهو الشيخ) فأقلت منه وغاب في زحمة الناس دون أن يجيب

وكان ذلك الهتاف لا يزال يدوى في الفضاء لا يعترية فتور ولا يناله تغير :

« يا للآلهة الخالدين ! ما أوفى القوام وما أصاب العضل ! » ولعلك تمجيبين لهذا الاطراء ، وتحمليته على حمل الاستهزاء ، ولكنك تذكرين أننا في بلاد



وعندئذ اضطربت التبية المذبذبة في المنصة اضطراب  
الذبيح ، فحشمت الأصوات وأصغى القوم  
بدأت الكاهنة أمرها بالشهيق ، ثم اتبعته  
بمقاطع من الأنين والضراعة ، ثم انتهت إلى كلمات  
ذاهلة لا تسفر عن معنى ، ثم تكلم الآله بلسانها  
فقال :

« إن ( منيرفا ) ستقاتل . . . وعلى خوذتها  
الآلهية ستصيح البومة : « إني عطشى » ويذهب  
جهدها باطلاً

تدعو مينرفا إلهة النصر  
وإلهة النصر أختها فلا تأخذها . . .  
إني أسممها وهي قادمة تثرأجنحتها في الهواء . . .  
ولكن البومة تصيح : إني عطشى ، وأريد  
أن أرتوى بالدماء . . .

إن أرجوس تنتظر ملوكها لتؤلفهم :  
إضطربى وميدى يا أرجوس ! إن البومة في  
طيرانها السفاح تحوم في الجو باحثه عن جبهة  
تقية تضجها .

إنها تحوم وتحوم ثم تقع على . . . ولد من أولاد  
هرقليس »

\*\*\*

وفي هذه الساعة الرهيبة المصيبة على أبناء  
هرقليس ، لم يكن في المعبد من ملك نفسه وضبط  
حسه غير أبناء هرقليس !

على أن الكاهنة لم تكذبك عن الكلام  
حتى صاح بها هيلوس :

— عينى الضحية بالاسم

ولكنها كانت تتساقط من الضعف على درج  
المنصة ولم يبق منها إلا رمق . فقال كبير الكهنة :

مسيحية . ثم كان يرجع من المعارك الدامية الشعواء  
إلى الدار عذب الروح حيي الطبع ، كأنه أحد  
أولئك المحاربين الشقر من أهل الشمال : يصرون  
المردة والأغوال ، ثم يطأطئون الهام ويحرمون  
الكلام أمام عصا ساحرة صغيرة . كان وهو يتحسر  
على عرش ( أرجوس ) كأنما يأسى على شيء أغر  
عليه من عرش ! قال أين إذن كانت تصعد زفراته  
وتتبخر دموعه ؟ إلى بيت صديق ، أم إلى قبر أم ؟  
علم ذلك عند الله ؟ فان سره لم يسافر عن ضميره  
إلى أحد ، حتى أخته الفتاة مكربا ، وهي أمينة  
سر الأسرة لم يفض اليها بذات صدره . وكانت  
مكربا جالسة إلى جانبه تصلى . . .

عفوآ يا أختاه (١) ! لقد شغلت بالأبطال عن  
المذراء ، ولكنها هي اللومة ! انظري ! إنها مستترة  
في ظل إخوتها ، كأنها تحرص على أن تغفلها العيون .  
إنها لم تكشف عن وجهها النقاب بعد ، فقسماها  
لا تزال مجهولة ، ولكنك أسلفت لها الحب ولاشك ،  
لأنك سمعت منذ قليل أنها ودیعة تقية

\*\*\*

وأخيراً أعلنوا ظهور الكاهنة الوسيطة ، وكان  
الوهن لا يزال بادياً عليها من أثر ما أصابها من  
اختلاج الأعصاب في وساطتها الأخيرة بين الآلهة  
والناس . فهي تبحر نفسها جرأ من الأعباء والجهد  
حتى بلغت المنصة متكئة على كاهنين من كهنة  
أبولون . حينئذ انفتح في جوف المحراب باب على  
مصراعيه فاقتحمته هبة عريضة من الهواء العازف ،  
فحشمت دخان القرايين وهزت الجمع الحاشد فضج  
الناس قائلين : « الآله ! هذا هو الآله ! »

(١) يريد الكاتب أخته هو

والشفقة عاطفة تجمل القبح ، فكيف يكون  
أثرها في الحسن ؟

\*\*\*

عادت أسرة هرقليس كلها إلى أثينا في مركبة  
واحدة ، وقد عقد الأبطال الثلاثة قلوبهم على أن  
يقترعوا بينهم غداً في معبد منيرفا ليعلموا أيهم يجب  
عليه أن يموت . وكان إكسوس المسكين قد جاء في  
اختيال وصرح بضع اسمه مع أسماء إخوته في الصندوق ،  
ولكنهم منموه ودفعوه معتقدين أن من الآهانة  
للآلهة أن يهبثوا للقدر — وهو في أغلب أمره  
ساخر عاثر — الفرصة ليقدم إليهم هذا القربان  
الضئيل الأعجف . أما أختهم مكريا فلم يشاءوا أن  
يعرضوها معهم على رغبة الموت لسبب آخر غير  
سبب إكسوس : لقد كانت خطيبة (ليكوس) وهو  
زعيم من زعماء أثينا ذوى رأى السموع والأمر  
النافذ ، (وأثينا هي التي غضبت لهم تلك الغضبة  
وشهرت دونهم السيف) فهم يحرصون لتسبب  
سياسي أو أدبي على ألا يقطع الاستعداد للتضحية  
الاستعداد للزفاف . لذلك وجدت مكريا غرفتها بعد  
عودتها توضع بعير الألفاظ والتحف التي قدتها  
(ليكوس) ، ولكن نفسها وهي تتسلف الحداد  
على أخ من إختوها لم يهزها كرم الهدايا ولم يسرها  
جمال التحف . على أنها رأت إكليل الزفاف مصوفاً  
من الزئبق الجميل النضر ، فحملته ووضعتة على  
جبينها من غير إرادة ولا وعي . وفي هذه اللحظة  
سمعت من خلفها زفيراً يتصعد في ضعف ، فالتفتت  
فاذا هي ترى إكسوس ! إكسوس أخاها الذي  
جمعت له في قلبها الأم والأخت في وقت معاً ؛  
إكسوس الذي عنيت به وأشباهت عليه لأنه

إن الآله كان جبار القلب غليظ الكبد ، فاذا  
استأنفت التجربة قتلها ولا شك . فليقدم أحد  
أبناء هرقليس نفسه

فارتفع من بين الجمع ذلك الصوت الرخيم الذي  
تسكلم منذ هنيهة من وراء نستور وقال : أنا أقدم  
نفسى ! فقال له الكاهن في لهجة قاسية : « من  
أنت ؟ وماذا تسمى ؟ » فأجاب الغلام : « أنا ابن  
هرقليس واسمى إكسوس »

فانفجر الناس بأصوات الدهش لهذا الجواب  
المفاجيء ؛ ثم قال قائل منهم يتهم : « إذا صدق  
قوله فقد صدق اسمه » وستعلمين يا أختاه أن  
إكسوس كلمة يونانية معناها العليق ، فكان أبويه  
عند ما ولد وسماه بهذا الاسم احتقاراً لشكله  
واستصغاراً لشأنه . والحق أن هذا المخلوق المش  
يشبه في انتسابه إلى هذا العرق القوي ذلك النبات  
الطفيلي الرخو الذي تمسك به الريح وهو قائم على  
جذوع السنديان

دلف (تينور) إلى الغلام وقال له باللهجة الحائق  
المتوعد : لقد منعناك أن تتبعنا إلى دلفي . . .  
ولكن ابنة هرقليس التي ظلت إلى تلك الساعة  
ساكنة ساكنة محتجبة ، ألفت نفسها بين  
الأخوين فقطعت من بينهما الشر ؛ ثم أخذت  
الصغير من يده وخرجت به من المعبد وهي في  
صمم عن نداء هيلوس يدعوها إليه ، وفي ذهول  
عن هتاف الإعجاب الذي انبعث عن يمينها وعن  
شمالها ، لأن نقابها أنحسر من ذات نفسه لسرعة  
المشي وشدة الحركة ، فبدت مكريا للعيون بارعة  
الجمال رائمة الحسن لطيفة الروح ، وقد زاد في  
جمالها تلك الشفقة التي تجلت في صوتها وفي عينيها ،



عليل الجسم مبدوء الهيئة ، إكسوس الذي لا يخطو في البيت خطوة إلا بابتسامة من مكربا تبدد رؤسه وتجدد أنسه ، فاذا غابت عن الدار غاب عنه الأنس واستولت عليه الوحشة

كان ينظر إلى الزهور الرضوية والدمع يجول في عينه ، والهلم بمتلج في صدره ، والألم الممض يرتسم على أسرار وجهه ، فاستطير قواد أخته من الخوف عليه ، لأنها تعودت أن تراه يشكو ويتألم منذ اثني عشر عاماً ، فلم تجده يوماً على مثل هذه الحال من الكمد المقلق واللوعة الأليمة ، فأقبات عليه تهتذر إليه وتسرى عنه وتقول :

— أوه ! اعف عني واغفر لي يا طفلي المسكين !

— أنا أعفو عنك وأغفر لك يا مكربا ؟ علام إذن ؟ والسعادة التي غمرت بها قلبي وعمرت بها وجودي ؟

— لا تشكر لي عنايتي بك ؛ ذلك دين أقضيه . . . . . ذلك تكفير أؤديه . . . . .

قائمة من عين الفتى المشدوه نظرات ضارعة تسأل أخته حل هذا اللغز . فقالت له : سمك إلى ! منذ أربع سنين ( كان عمرك يومئذ ثمانى سنوات وعمرى أربع عشرة ) جرت في أسرتنا حوادث عجيبة وأمور خارقة لم يصل علمها بأبي ولا بأخوتي . لعلك تذكر ذلك الكوخ الذي بنوه على شاطئ البحر ليختفوا فيه من أعين المضطهدين الكثيرين الأقوياء . كنت فيه ذات مساء وكان أبى وإخوتي في الصيد ، وكنت أنت منهوك القوى من كثرة ماجريت في الغابة طول النهار ، فاستسلمت على مهددة المطر والريح لنوم ثقيل ؛ وكان الليل قد أقبل منذ حين وأبى وإخوتي لم يقبلوا بعد ،

فسمعت قارعاً يقرع الباب فذهبت أفتحه وفي حسابي أني أجد الصيادين والصيد ، ولكني وجدت عابري سبيل يطلب الدفء والمأوى برهة من الزمن فأدخلته ؛ ثم جلست إلى جانب سريرك ، واشتغل هو بتجفيف ثيابه على نار الموقد . وما كان أشد دهشى حين رأيت نوراً لطيفاً يتلألأ على شعره الأشقر ! عزوت ذلك النور بدءاً إلى انعكاس النار التي في الموقد ، ولكن الموقد خبا وغرقة المسافر ما زال مشرقة ! حينئذ أدركت أنه أبولون ، أبولون الذي طرد من الأولب فهام متنكراً في العالم على وجهه ، ثم بقيت على رغم تنكره بقايا النور من هالته

فحررت جاثية أمامه ، وقلت : ماذا تبغني مني أيها الآله العظيم ؟ فقال : « لا شيء غير المأوى . على أن الطر قد كف والجو قد صفا ، فأنا ذاهب وسأقبلك قبلة الوداع » فتقدمت واجفة القلب ، مضطربة الحواس إلى عمي ، وقدمته من يده إلى مرقدك ، وقلت له : « الأولى أن تلاطف هذا الصبي المسكين فإنه لم يظفر بعد بملاطفة إله . المس وجنته القابلة فتنضر ، وانفخ في شفته الباردة فتغني » فتبسم أبولون لرجائي ، ودنا منك فنفت في فمك من روحه ، ولكن نفثته كانت قوية مضطربة ، فسرت إلى قلبك فأفغمته وأشعلته ! من أجل ذلك كان قلبك يحترق ولا يفتر عن الوجيب ! ومن أجل ذلك كان جسمك يذوى وروحك لا تستجيب . . . . . وهأنذا وقفنك على جاية الأمر فهل تصفح عني ؟

فما كان جواب إكسوس إلا أن قبل أخته ، فقالت له : « إن برهان عفوك عني أن تنقاد لي

وتسمع مني ؛ قل يا قليل الحكمة بأى معجزة  
تجوت من الموت جوعاً وظمأ فى طريقك الطويل  
من أئتنا إلى دافى ؟

فقال إكسوس : أوه ا كنت من الصباح إلى  
المساء أسترجع النشاط بالفناء ، وأستفتح الأبواب  
بالنشيد ، فكلما دلى الدخان على وليمة في أحد  
البيوت طرقت الباب وأنشدت الأغنية فيفتح لى  
أهله وينزلونى خير منزل

فتبسمت مكريا وقالت : أغنية عجيبة ! هل لك أن تعلمنيها يا إكسوس حتى أغنيها أنا أيضا في ذهاني إلى دافى أو إلى الأولمب ؟

فتمنع إكسوس وتدل على عادة الفنين في كل عصر ، ثم نزل على مشيئة أخته بعد رجاء قليل

أغنية اكوس

افتحوا ! أنا إكسوس المسكين ، أنا عُلَيْقَةُ  
السندية التي إن تمر عليها هبّة الريح تمّت !  
منذ اثني عشر عاما سقط قزم من جلد الأسد  
الذي يتنكبه هرقليس ، فكنت أنا ذاك القزم ؛  
كان أبي لا يحبني لأنني كنت صغير الجثة رقيق  
البدن ، وحينما كنت أصطدم بركبتيه وأنا طفل  
كنت أسمع فوق رأسي زجرة كزجرة العاصفة ؛  
وكان إخوتي يضربوني كلما دعوتهم إخوتي ! ومع  
ذلك أريد أن أعيش لأن لي أختا تحبني وتحنو علي ،  
هي الجميلة السكرعة مكريا !

• افتحوا : أنا اكسوس المسكين : أنا عليقة  
السفديانة التي ان عمر عليها هبة الريح تمت

- 2 -

قال لي إخواني ذات يوم : « اجتهد أن تكون

صالحاً لشيء .. تعلم إقامة التماثيل وشيادة الهياكل  
فعللنا نصير يوماً آلهة « فحوات أن ألبى مبتغى  
اخوتي ، ولكن الأزميل والنحت كانا ثقيلين على  
يدي ؛ ثم كانت هناك رؤى غريبة تطوف بيني وبين  
جنادل (باروس) وكانت إصبعي الناحلة الذاهلة تخط  
في التراب اسماً لا تخط غيره : اسم أختي الحبيبة مكريا  
افتحوا ! أنا إكسوس المسكين ! أنا عليقة  
السندية التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

- 3 -

حينئذ قال لي اخوتي : « إن في مضيفنا شيخاً  
من شيوخ الكلدان يقرأ في صفحة السماء أسرار  
الغيب وأنباء المستقبل ، فاستمع إليه ، وتثقف عليه ،  
ثم قل لنا أترى في مطاوي السحب كنوزاً أو نعراً ؟ »  
فسمعت من الشيخ : ثم قضيت ليالي طويلة أُرصد  
النجوم والغيوم فلا أرى كنوزاً ولا نعراً . إنما  
كنت أرى عيون السماء تنظر الى "نظر الحب" ،  
كأنها عيون مكربا ...

افتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة  
السندية التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

- 2 -

حينئذ قال لي إخواني : « خذ قوساً ونشاباً  
واخرج إلى الصيد في الغاب » فحُبِسْتُ الغاب  
بقوسي ونشابي ، ثم لم ألبث أن نسيت إخواني  
وذهلت عن صيدى . وبينما كنت أسمع غناء الرياح  
وتغريد البلابل أقبلت ظبية فأكلت طعامي من  
جيبى ، ثم جاء طائر صغير أعياه طول الطيران  
فنام في كنانتي ، فحملته إلى مكربيا

افتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة  
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت



- ٥ -

ورءوسهم مرفوعة من العزة ، ثم جرت المراسم المألوفة وهي لا تختلف عما رأيناه في دلفي ؛ وأقبل كاهن من كهنة ( مينرقا ) فأجال الأسماء في الصندوق ، ثم تقدم طفل ممصوب العينين إلى الأتاء المقدس يستخرج منه حكم الموت ، فلم تكذب يده تلمس حافظه حتى دوى على عتبة المعبد صوت امرأة يقول : « قف ! ها كم الضحية . . »

وكان ذلك الصوت صوت مكريا وهي تتقدم إلى المذبح كاسفة اللون ، كاملة الأهبة ، تنوس على جبينها الأزهر الجليل عصابة الذهبية . فدلف إليها أيجسط وقال : أهنا أنت يا أختاه ! لقد وعدتني أن تتخطى لتقومى على سرير إكسوس . فقالت وهي تغالب الدمع وتحبس الزفرة : إن إكسوس مات ! وليس الآن ما يمتنع أن أفديكم بنفسى . ثم قابعت سيرها البطيء إلى الهيكل بين تصفيق الجمع وإذعان الاخوة ، ثم جثت مكريا أمام المذبح ، وعوقت بالإشارة مدية الذابح المجلان حتى تالق على اخوتها ابتسانها الأخير ؛ ثم أغمضت عينها ، وأزاحت الغطاء عن ثديها ، وكانت بعد دقيقتين جسداً بضرب على مذبح الهيكل !

ثم أضرمو النار ، وجعلوا منها لأكسوس ومكريا محرقة واحدة ! وعندئذ رأى الناس شيئاً يصعد من الهيب إلى السماء ، رفاف الأجنحة ناصع الريش رائع الرواء !

وهكذا كانت الفضيلة ( مكريا ) في العصور الخوالي تكفل الشعر ( إكسوس ) وتلهمه . والفضيلة والشعر أجمل ما في الحياة وأنبى ما في الانسان ( الزبات )

حينئذ قال لي إخوتي : « إنك لاتصلح لشيء » ثم ضربوني ، ولسكني لم أبك ، لأن فكري كان مشغولاً بأختي ! وغداً سيأخذون مني مكريا ! وغداً ستسأل وهي جالسة في حفلة الزفاف : ما هذا الدخان الذي يسطع هناك وراء الغار ؟ فيجيبها المدعوون « لا شيء »

« إنها محرقة إكسوس المسكين ، عليقة السندانية التي عصفت بها الريح فجعلتها كالريم » فصاحت الفتاة وقد ملسها الحنان وأدركها الجزع : كلا إنك ستعيش ! وسأجعلك في قلبي ، حتى إذا ثارت العواصف الهوج لا يمسك منها أذى . إن ( ليكوس ) سعيد محبوب ، وعذارى أئتنا كثيرات يفتحن له دورهن وصدورهن . أما أنت أيها الفريد الشريد الموجد ، فإليك وحدك كل أيامي وأحلامي وحي !

« خذ يا أخى ، خذ يا شاعرى ! هذا ثمن أغنيتك » ثم زعت من فوق جبينها الأبلج إكليل الزفاف وألقته مبللاً بالدمع تحت قدمي إكسوس ! فأراد إكسوس أن يجيب ، ولكن التأثر المفاجيء صمق الصبي المسكين فلم يستطع إلا أن يقول بصوت خافت . أوه ! ثم وضع يده على قلبه وخر مغشياً عليه ! ثم بات طول الليل يتضور من شدة الحمى ، وأخته بجانبه لا يغمض لها جفن ، ولا يرقأ لعينها دمع

وكان الغد موعد أبتاء هرقليس إلى المعبد ليقتربوا هناك على الضحية ، فتقدموا إلى الهيكل كما يتقدمون إلى المعركة : قلوبهم فارغة من الهم ،



كان الزوجان يسيران على هذه الحال لا يتبادلان الكلام ولا النظر، حتى قالت الزوجة:  
— لنقف هنا قليلا . فوقفا ، وتقدم الخادم إلى الرسام بكرسي صغير من القماش فقمع عليه .  
وكان كل من مر بالزوجين الساكنين الساكتين يلقى عليهما نظرة حنان وحزن ، فقد اضطربت الألسنة بأن حادثا من حوادث الاخلاص والتضحية وقع بينهما ، إذ تزوج الشاب منها على الرغم من عاهتها المزمنة تأثرا من حبها إياه كما يقال . فقال رجل لآخر وكأنا جالسين على مقعدين يجعلان نظريهما في الفضاء :

— كلا ، ليس هذا صحيحا . أنا أعرف جان سومير جد المعرفة  
— إذن لماذا تزوجها ؟ فقد كانت حين الزواج على هذه العاهة ! أليس كذلك ؟  
— نعم هو كذلك ؛ ولكنه تزوجها .  
تزوجها كما يتزوج الناس حمقا وسفاهة .  
— وبعد ؟

— وبعد ؟ ليس هناك بعد ولا قبل يا صديق .  
الانسان أحق لأنه أحق . وأنت تعلم من خصائص الرسامين الزواج المضحك ، فهم يتزوجون على التقريب كل الأمثلة (modèles) ؛ وقد يتزوجون من

كانت مدينة (أريتا) ذات الصخر الأشهب والحصى الأبيض والبحر الأزرق تستريح تحت الشمس الصاحية ، في يوم من أيام يوليو الصاحية .  
وكان منظرها العام أشبه بالهلال قد انتهى طرفا استدارته يباين أحدهما صغير وهو الأيمن ، والثاني كبير وهو الأيسر ، ثم تقدما في الماء الساكن نفوخ كلالهما فيه ، وارتفعت قمته حتى بلغت مستوى الصخور . وكان قد جالس على شاطئها المديد جماعة من المصطافين ينظرون إلى المستحمين ، واحتشد على مشرف الكازينو جماعة أخرى قائمة أو قاعدة تعرض تحت أضواء الشمس المشرقة جنة مزهرة من الزينة تسطع في خلالها المظلات الحجر والزرق مطرزة بأزهار الحرير الملون . وانمزل في آخر المشرف على طريق النزهة فريق آخر من المصطافين يريدون السكون وينشدون الراحة ، فوقفوا خطام الوئيدة على أنغام الموج بعيدا عن زحمة الأجسام وضجة الأصوات . وكان بين هؤلاء شاب معروف نابه هو الرسام جان سومير . كان يعيش ساهما واجبا بجانب عربية صغيرة من عربات المقعدين يدفعها الخادم في هون ورفق ، وقد جلست في هذه العربية زوجته وهي فتاة في ريق العمر تسرح النظر الحزين في جمال السماء وزينة الأرض وبهجة الناس



معاً ، لأن في طبيعتهم أن يكن صادقات كاذبات على أشد ما يكون الصدق والكذب ، أو لا يكن على شيء منهما أصلاً

أنظر الى الوسائل التي يتوسل بها أكرم النساء ليبلغن منا ما يردن ، تجدها وسائل معقدة وساذجة ؛ فهي معقدة بحيث لم تقع في حدسنا من قبل ، وساذجة بحيث ترانا بعد أن نصبح من ضحاياها لا يسعنا إلا أن تعجب منها ونقول : « كيف ! لقد خدعتني بحمق وغباوة » . ثم إنهن ينجحن دائماً يا عزيزي ، وعلى الأخص إذا تعلق الأمر بزواجهن . وهاك قصة السيد جان سومير :

كانت الفتاة مثلاً كما علمت ؛ فكانت تجلس في مرسمة على الأوضاع التي يريدتها ؛ وهي بارعة الشكل ظريفة الطبع رشيقة القوام ، فعشقها كما يعشق الانسان كل فتاة على مثالها في الجمال والفتنة ؛ ثم تخيل أن حبها قد أخذ بمجامع قلبه . وهناك ظاهرة غريبة : اذا ما رغب الانسان امرأة ظن مخلصاً أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها بقية عمره ، ولكنه متى ملكها زهداها ، وان تستطيع الشهوة البهيمية أن تمسكه بجانبها طول الحياة ، فلا بد من شيء آخر هو توافق النفس والطبع والمزاج . ومن واجب الرجل أن ينظر حين تفتنه المرأة : أهذه الفتنة صادرة عن إغراء الجسم ، أم عن جاذبية الروح . وقصارى الكلام أنه أحبها أو ظن ذلك ، فهاهداها على الاخلاص وواعدها على الوفاء ، ثم عاش هو وهي على هذا الأمل . وفي الحق كانت الفتاة ظريفة ، وزاد في ظرفها تلك الغباوة اللطيفة التي تتصف بها الباريسيات الصغيرات ؛ فهي تثرت وتهذر وتنطق بالحقائق التي تجعلها الطريقة الغريبة التي تلقى بها

الخديونات المجائر ، ومن السيدات المعوهات لأي سبب من الأسباب ؟ لماذا ؟ لا يعلم أحد لماذا ؟ يخيل إلى على العكس بأن طول معاشرتهم لهذا النوع من النساء الفواجر اللاتي يسميهن الناس ( أمثلة ) جعلهم يعافون جنس الأنثى ، فانهم بعد أن يجلسوهن ليرسموا صورهم على مثالهن يتزوجونهن . اقرأ الكتيب الصادق القاسي الجميل الذي ألفه الفونس دوديه بعنوان ( نساء الفنانين )

أما الزوجان اللذان تراهما ، فان الحادث الذي وقع بينهما وقع على صورة خاصة وحال فظيمة لقد مثلت هذه الفتاة مهزلة ، أو بالحري مثلت مأساة ألمية . لقد قاصرت بكل ما تملك لتربح كل شيء أو تخسر كل شيء . هل كانت مخلصه ؟ هل كانت تحب جان ؟ لا يدري ذلك إلا الله . ومن ذا الذي يستطيع أن يحدد تحديداً قاطعاً ما في عمل المرأة من زور وحق ؟ إنهن مخلصات دائماً في ما يبدو عليهن من آثار انفعالاتهن ومظاهر عواطفهن . فهن ساخطات مجرمات مخلصات كريعات اثبات على حسب ما يجري في شعورهن من البواعث والآثار . وهن لا يفترن عن الكذب من غير أن يردن ولا يعلمن ولا يفهمن . وفيهن مع ذلك وعلى رغم ذلك صراحة مطلقة في الأحاسيس والمواطف اللاتي يظهرنها بأحكام وحلول عنيفة غير متوقعة ولا مفهومة ، تضلل منطقنا في الرأي والحكم ، وعادتنا في التعديل والتوفيق . فالفاجأة والمنف في غرماتهن يجعلانهن أفساراً لا تحل ، فنحن لانبرح نسأل هذا السؤال : « هل هن صادقات ؟ » « هل هن كاذبات ؟ »

ولكنهن يا صديق صادقات كاذبات في وقت

استولى بجماله على فلم أفكر في غيره  
فأمسكت عن الكلام، ولكن شهوة الحديث  
ملكتهما بعد لحظة فسأت جان :  
— أذهب أنت غداً إلى باريس ؟

فأجابها :

— لا أعلم

فماودها الغضب، وقالت :

لعلك ترى مما يهيج نفسك أن تنزه وأنت  
صامت . إن الانسان إنسان لأنه يتكلم ! فلم يجب  
على قولها بشيء . وفطنت هي بفضل غريزة المكر  
فيها إلى أنها ستحنقه ، فأخذت تغني ذلك اللحن  
المثير الذي آذى الأذان والأذهان منذ عامين ،  
ومطلعه : كنت أنظر في الفضاء ... فقال لها مغمضاً :

— اسكتي من فضلك ؛ فقالت له محتدة :

— ولماذا تريد أن أسكت ؟ فأجابها :

إنك تفسدين علينا المنظر

هنا حدث المشهد السكريه السفیه بعبارة المفاجئ  
وحسابه المبتسر ، فاحتقنت الوجوه وانهمرت  
الاعين ، ثم عدا الى البيت . وكان جان قد تركها  
تمضي في ثورتها لا يدفع ولا يهاجم ، لأنه كان  
مخدر الأعصاب بنشوة هذه الليلة الملوية التي هبطت  
بها إلى الأرض هذه العاصفة الهوجاء

ومضت بعد ذلك ثلاثة أشهر ، كان الفتى  
يضطرب اضطراب القنيص في هذه العلاقة القوية  
الخفية التي تربطنا بها العادة في مثل هذه الحالة .  
كانت الفتاة لا تنفك ترهقه إرهاب المصطهد ،  
وتعذبه عذاب الشهيد ، فصار يومها وليها  
شجاراً متصلاً لا يخلو من سباب وضرب  
وأخيراً صمم على أن تنتهي هذه الحال على أي

أشبه بالبراعات الذهنية ؛ وكان لها في كل لحظة  
حركات تمتن بها عين الرسام : فهي حين ترفع  
ذراعيها ، وحين تبسط يديها ، وحين تنحني ، وحين  
تركب العربة ، تريك حركات محكمة مقدرة مناسبة .  
وفي غضون ثلاثة أشهر لم يلاحظ جان أنها في حقيقة  
أمرها تشابه سائر ( الأمثلة ) ، فاستأجر بيتاً صغيراً  
في ( أندريسي ) ليقضيا فيه الصيف . وكنت هناك  
ذات ليلة حين أخذت المموم الأولى تنبت في قلب  
صديقي ؛ وكانت تلك الليلة قمر ، فأردنا أن نجول  
جولة على ضفة النهر ، وكان القمر يرسل على الماء  
المرتعد وابلاً من الضوء ، ويكسر أشعته الصفراء على  
دارات الماء وتيار اللج وعباب النهر البطيء الهارب  
كنا نسير على طول الشاطئ نشاوي من  
ذلك الطرب المبهم الذي تبعثه فينا هذه الليالي  
الحالة ؛ وكانت نفوسنا مهيأة لأعمال فوق أعمال  
البشر ، وقلوبنا مفتحة لحب كواثر شمسية مجهولة ؛  
وكنا نشعر بالجذبات والرغبات والأمانى تختلج في  
نفوسنا ، فلزمنا الصمت مفتونين بصفاء السماء  
وطراة الليلة الجميلة ، وعذوبة البحر التي خيل  
إلينا أنها نفذت إلى الجسم وغمرت الدهن وعطرته  
وغمرته في السعادة .

وعلى حين بغتة صاحت جوزفين ( وهو اسم  
الفتاة ) قائلة :

— هل رأيت السمكة الكبيرة التي وثبت هناك ؟

فأجاب جان من دون أن ينظر أو يعلم :

— نعم يا عزيزتي

فقالت مفضبة :

— كلا إنك لم ترها ، لأن ظهرك كان إليها

فابتسم وقال : نعم هذا صحيح ، فان الجو قد



وجه وبأى ثمن . فباع رسومه واقترض من أصدقائه  
بعض المال حتى حصل في يده عشرون ألف فرنك  
فوضعهما ذات صباح على الدفأة ومعهما كتاب الوداع  
وترك لها المنزل ولجأ الى بيتي

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر قرع الباب ،  
فذهبت أفتحه فإذا هي في وجهي لانكاد تملك نفسها  
من الحنق والقلق ، فارتبكت أنا ، ودخلت هي ، ورآها  
هو من بعيد فوقف حتى أقبلت عليه ودرمت بين  
قدميه الغلاف وفيه الأوراق المالية . وقالت في هيئة  
نبيلة ولهجة موجزة : هاك نقودك . لا حاجة لي  
بها . وكانت حينئذ ممتعة اللون مضطربة البسال  
حرية بأن تأتي كل حماقة ؛ وكان هو كذلك كاسف  
الوجه محنق الصدر حريا أن يرتكب بكل شدة ،  
فسألها : ماذا تريدن ؟ فقالت : لا أريد أن تعاملني  
معاملة البغي ، لقد توسلت إلى حتى سكنت إليك ،  
فأنا لا أطلب إلا أن تبقىني عندك

فضرب الأرض برجله وقال منفعلا :

لا ، هذا كثير . إذا كنت تظنين أنك ...  
فجذبتة أنا من يده وقلت له : دعني يا جان أفعل .  
ثم تقدمت إليها وأخذت أكرس من غضبها بكل  
ما عليه الخاطر في مثل هذه الحال ، وهي تستمع  
إلى جامدة شاخصة صامتة مصرة . فلما فرغت  
جميعتي والحال لا يزال على أشده ، لجأت إلى آخر  
الحيل فقلت : إنه لا يزال على حبك يا صغيرتي ،  
ولكن أسرته تريد أن تزوجه ، وأنت تعلمين ... !  
فأخذتها رجفة قوية وقالت :

— آه ... آه ! لقد فهمت الآن ! ثم التفتت إليه  
وقالت : تبني أن تزوج ؟ فأجابها في شدة وحزم :  
— نعم . نخطت إليه خطوة وقالت :

إذا تزوجت قتلت نفسي . أسمع ؟  
فهز كتفيه وقال : حسن ! اقتلي نفسك ! فنبست  
بكلمة أو كلمتين وقد أخذ يكظمها الهم القاتل :  
أتقول ؟ .. أتقول ؟ .. أتقول ؟ .. أعد ! فقال معيدا :  
اقتلي نفسك إذا كان هذا يسرك ! فقالت وشحوبها  
يزداد وحالها تسوء : لست في حاجة إلى التحدي ،  
سألقى بنفسى من النافذة . فضحك جان بملء فيه  
ومضى إلى النافذة ففتحها ، ثم حيا وانحنى ، كمن  
يريد أن يقدم عليه غيره في المشى ، وقال : هذا هو  
الطريق ! تفضل ! فتثبتت فيه نظرها الحائر الطائر  
لحظة ، ثم جمعت نفسها كمن يريد أن يقفز سياجا في  
حقل ، ومرت أمامه وأماى إلى النافذة ثم اختفت !

\*\*\*

لا أنسى ما حيت ذلك الأثر الذي أحدثته في  
نفسى هذه النافذة المفتوحة ، وقد هوى منها ذلك  
الجسم ! لقد رأيته في تلك اللحظة واسعة كالسما  
فارغة كالفضاء ، فرجعت القهقري ، ولم أجرؤ على  
النظر كأني خشيت أن أسقط . وتبسلد جان فلم  
يستطع الحراك ولا النظر ؛ وتسابق الناس فأتوا  
بالفتاة مكسورة الساقين ، فلم تمش على قدميها بعد  
اليوم . وتقدم حبيبها مبيل الصدر من وخز  
الضمير ، منفعل النفس من اخلاص الفتاة ؛  
فآواها إليه وتزوج منها

ذلك يا عزيزي حديث هذين الزوجين  
وأقبل المساء ، فرغبت الفتاة في العودة خشية  
البرد ، فأخذ الخادم يدفع عربة الكسيحة نحو  
القرية ؛ ومشى الرسام بجانب امرأته وقد مضت  
عليهما ساعة من الزمان لا اللسان يخاطب اللسان ،  
ولا النظر يبادل النظر . (مى رى مرياسه)



صبراً على عد النقود التي توضع أمانى . وانتهت من هذه المأمورية ، وعرجت على مخزن النيابة في طريق أفقشه « بالمره » وهو عبارة عن حجرة تشبه دكان « ألف صنف » فيها من أصناف البنادق والغدارات الريفية والسكاكين والشرائط والمناجل والفؤوس والبلط والنبايت والمراوات و « اللبد » و « البلغ » و « الجلايب » الملوحة بالدم والطين و « الصدارى » المثقوبة بالرش والبارود ؛ كل عليه رقمه وتاريخ ضبطه ورقم القضية التي ضبط على ذمتها . وعندى أن نظرة واحدة تلقى على مخزن نيابة أى بلد تدل في الحال على لون هذا البلد وعقليته ودرجة حضارته . ولا شك عندى في أن مخزن نيابة « شيكاغو » مثلاً لا يمكن أن يحوى مطلقاً هراوة أو شرشرة . وصعدت بعد ذلك إلى مكنتى ، فوجدت حضرة القاضي : « المقيم » فى الانتظار وقد أحضر له الفراش القهوة . فما كاد يرانى حتى صاح :

— خلاص ، الفوضى دبت فى البلد !



يَوْمَئِذٍ نَأْتِي فِي الْآيَاتِ

لِلْأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

۲۰ اکتوبر...

قمت في الصباح بجرد خزانة المحكمة . فالنيابة هي التي من شأنها صرافية الخزينة ، وعليها أن تقوم بهذا الجرد مرتين على الأقل في كل شهر بطريق المفاجأة . ويظهر أن كلمة « المفاجأة » وضعت في اللوائح والتعليمات من قبيل التشويق كما توضع في الاعلانات ، فهي في العمل لا وجود لها . وقد جرت العادة أن ينسى وكيل النيابة لكثرة مشاغله هذا الجرد فلا يذكره به إلا الصراف المقصود مفاجأة . فهو الذي يطلب في إلحاح حضور البك الوكيل للجرد حتى يسدد الخانة طبقاً للقانون . وفي أكثر الأحيان لا يشعر وكيل النيابة إلا وقد فوجيء هو بالدفتر الخاص بالخزينة يعرض عليه مع المحضر محرراً باسمه « نحن فلان وكيل النيابة قمنا اليوم بجرد الخزينة ، فوجدنا بها كذا أوراقا مالية وكذا فضة وكذا أشياء ثمينة وكذا أمانات » فيوقع وهو لم يتحرك من كرسيه وهو يقول : « خذوا إمضاء وخلوا عني بلا وجع دماغ » . غير أني أنا شخصياً أُنقل بالفعل وأشهد الخزينة وإن كنت أوقع آخر الأمر على كل حال دون أن أطبق



الوزارة ، وأنتك خطر على سياستها الحاضرة إلى آخر  
هذا الأسلوب المعروف

— شىء جميل . البوليس يحرر التقارير السرية  
ضد القضاة ؟ !

— حصل

— والعمل إيه ؟

— اترك لي المسألة . أنا أتحرى من المركز  
بلطف وأجرى اللازم . . .

— لهذا الحد تعبت السياسة عندما بالمعالة  
والنظام والأخلاق ، أعوذ بالله ! شىء مخيف . . .  
وجعل يهز رأسه أسفاً وحنقاً . ثم التفت إلى  
نجاة وقال :

— دا صحيح . تصور أن فضيلة القاضي  
الشرعى « الضلالى » عامل اليوم أنه صديق الأمور  
الحكيم مع أنه كان بكرهه كراهة التحريم من بعد  
حادثة الأجزاخانة !

فأبدت عجبى . إني حقيقة كنت قد سمعت من  
المأمور فيما سمعت من أخبار القاضي الشرعى هذه  
الحادثة : إن أهالى البلد وأعيانها لاحظوا افتقار  
البلد إلى أجزاخانة « أصولية » تغنيهم عن البنادر  
الكبيرة فاكثتوا فيما بينهم بمبالغ أسوأ بها  
أجزاخانة نظيفة كاملة الأدوات ، وعينوا لها  
« أجزجى » قانونى هو رجل سورى اسمه « جبور »  
ثم تباحثوا فيمن يصلح مشرفاً على مالية هذه  
الأجزاخانة وعلى إدارتها ، ووقع الاختيار فى آخر  
الأمر على فضيلة القاضي الشرعى . ومن غير فضيلته  
بلحيته الوقورة وسبحته الطويلة يؤتمن فى هذه  
البلدة على أموال المسلمين وغير المسلمين من المساهمين ؟  
ووافق المأمور على تنصيب القاضي الشرعى مشرفاً

فأردت أن أفتح فى أسأله الافصاح ؟ فلم يمهلنى  
ومضى يقول :

— راحت هيبة الأحكام !

— إيه المسألة ؟

— المسألة يا سيدى ألى أصدرت حكماً مدنياً  
ضد عمدة من الموالين للحكومة وراح المحضر ينفذ  
عليه ، تعرف حصل إيه ؟  
— لا

— انضرب بمعرفة العمدة « علقمة » لكن  
« نضيفه » وأحبس أربعة وعشرين ساعة فى حجرة  
التليفون

— والمركز عمل لها قضية ؟

— أبداً . ما هى هنا الخطورة . لا قضية  
ولا مذكرة ، ضحكوا على المحضر وقالوا له يسحب  
شكواه وصرفوها

— ما داموا صرفوها انتهينا

— انتهينا ازاي ؟ أنا لا يمكنى أسكت عن  
مسألة زى دى . دا اسمه إجرام البوليس يجرم . . .  
— يظهر أن حضرتك اشتقت لوجه قبلى  
— ينقلوا قاضى وجه قبلى لأنه أراد منع المركز  
من العبث . . . ؟

— عملوها كثير . وسبق نقلوا قاضى أقاصى  
الصعيد لأنه أفرج فى قضية معارضة عن متظاهرين  
ضد الحكومة ، مع أن هذا القاضي كان من  
المحايدين البعيدين عن الأحزاب وعن السياسة .  
ولا يخفى أن بينك وبين المأمور سوء تفاهم عالى .  
وساعتها تلقى المأمور حرر التقارير السرية عنك  
واتهمك بأنك من خصوم الحكومة ، وأنتك من  
أرباب الفتن والدسائس ، وأنتك تضطهد أنصار

وتكريم فضيلته وتسليم مهام عمله بأن جعل مجلسه عصر كل يوم أمام باب الأجزاء حيث ينتحج ويبدأ باسم الله والصلاة على نبيه وآله وصحبه ثم يصيح :

— يا خواجه جبور . القهوة والشيشة !  
ثم يجتمع عليه من أصدقائه وأقاربه الآتين من الكفور عدد كثير كل يوم ، فيأمر لهم بالقهوة أو الشاي . وكل هذه الطلبات طبعاً على حساب الأجزاء ، وهو لا ينسى مطلقاً أن يلقي نظرة على مستحضرات المحل قبل انصرافه وهو يقول لجبور :  
— عندك صابون ممسك من المال ! زجاجة « الريحة » « السكونيا » دي لا بأس بها ! ..

ولا يكاد يدخل فضيلته منزله حتى تكون هذه البضاعة التي أعجبهته قد سبقته إلى البيت . ويجلس أحياناً أطفاله إلى جواره يباب الأجزاء أو يتركهم يلعبون حوله . فإذا جاعوا أو بكوا صاح القاضي في الأجزاء القانوني :

— يا خواجه جبور ! هات للأولاد كم قرص نمناع من عندك !

ويحتاج فضيلة المشرف إلى بعض المال في بعض الأحيان فيقول للأجزاء :

— هات من « الدرج » أربع « برايز »  
وتعربائة دجاج فيشتري منها فضيلته « زوجين » « عتاق » ويصيح في الأجزاء داخل الأجزاء :  
— ادفع لها من « الدرج » يا خواجه جبور  
وضاق ذرع الأجزاء جبور آخر الأمر . فصاح في القاضي ذات يوم :

الدرج ! الدرج ! شوها المعايها الدرج !  
ونشب الشجار بين المشرف والأجزاء . وأقسم

جبور أن يكسر ساق القاضي إذا حضر إلى الأجزاء بعد ذلك . واستغاث بالمأمور ، وعرض عليه ما وصلت إليه حالة الأجزاء . فإذا هي موشكة على الافلاس ، فقد اختفت مستحضراتها ونضبت مواردها ، ولم يبق أمل في بقائها ؛ فإن الأجزاء هو الآخر إقتداء بفضيلة المشرف الوقور لم يقصر في الاجهاز من جهته على الباقي من « الدرج » والبضاعة والأدوات ، وتغيظ المأمور وصاح في الأعيان المساهمين :

— الحق علينا اللي صدقنا اللحية والسبيحة !  
ومنذ ذلك اليوم والمأمور دائم التشهير بالقاضي الشرعي قائلاً عنه : « الرجل الضلالي » . والقاضي الشرعي من جهته دائم النيل من المأمور قائلاً عنه : « الرجل الزنديق لاعب الميسر »

ولكن السياسة قد جعلت رجال الإدارة اليوم أصحاب سلطة مخيفة . وقد خشي فضيلته على نفسه ، ورأى بحكمته أن الأمان في مصاحبة المأمور فهل يحجم عن التقرب إليه والتزلف له ؟

مر بمخاطري كل ذلك وأنا جالس وأمامي القاضي الأهل ، ولم أتمالك فقلت كالمخاطب لنفسي :

— لا بأس من الصلح ، لكن في الظروف الحاضرة ... فيه شيء اسمه كرامة ...

فرفع القاضي يده في حركة ذات معنى وقال :  
— كرامة مين « يا مونسير » !

ونهض يريد الانصراف وهو يعيل على ويقول بصوت منخفض :

— كلام في شرك . في يوم حضر إلى بيتي فلاح ومعه خروف وقال « الهدية » . فقلت له : « هدية إيه يا رجل » ؟ فقال : « الهدية اللي تم



— طول بالك ، انت يظهر عليك إنك مش عارفنى . والله لا بد من انى ...  
فقاطعه العمدة مستعظفاً :  
— أنا رجل غلبان ...  
فمضى الأمور فى وعيده :  
— انتظر ! إن ما كنت أدخلك البرلمان ،  
ما ابقاش أنا مأمور المركز !  
— ليه أنا عملت إيه بس تدخانى البرلمان !  
قالها الرجل فى توسل وارتباع . فضحكت  
وعجبت . والتفت إلى المأمور قائلاً :  
— كشوف الانتخابات فى جيبه ومش عارف  
البرلمان ده يبقى إيه . أهم عمد نشغل معهم !!!  
ثم عاد المأمور والتفت إلى الرجل قائلاً :  
— تفضل من غير مطرود !  
نخرج العمدة ذليلاً كأنه خادم أو مجرم ، وقالت  
فى نفسى هذه الذلة التى يذوقها فى حضرة رجال  
الادارة لن تذهب سدى ، فهو سيذيقها بعينها  
لأهالى القرية التى يحكمها ، فان كأس الاذلال تنتقل  
من يد الرئيس إلى المرقوس فى هذا البلد حتى تصل  
فى نهاية الأمر إلى جوف الشعب المسكين يجرعها  
دفعة واحدة

وجلس إلى المأمور يعرف سبب « تشريفى »  
المركز بالزيارة ، فأخبرته أنه « الشوق » ، فابتسم  
المأمور ابتسامة غير المؤمن بهذا السبب الأفلاطونى ،  
ولم أصر كثيراً على كلمتى ، وقالت فى هيئة الجد :  
— بلغك يا حضرة المأمور أن أحد المحضرين  
ضربوه وحبسوه أثناء تأدية وظيفته ؟  
— فأجاب من فوره :  
— ما عندى خبر

عليها الاتفاق علشان رد الولى امرأتى » . ففهمت  
وقلت له فى الحال : « انت يارجل غلطت فى البيت  
انت قصدك القاضى الشرعى » ١١  
فلم أبد دهشة كبرى وأطرقت برأسى . وسكت  
القاضى محدثى قليلاً . ثم تحرك نحو باب الحجرة  
وحيانى بيده تحية مختصرة وذهب . وجلست  
وحدى قليلاً أفكر فى كل ذلك . ورأيت أن أقوم  
الى المركز فى شبه زيارة خاصة لأستطلع من المأمور  
عما أخبرنى به القاضى . فانطلقت بمفردى وخلفى  
حاجبى حتى بلغت حجرة المأمور ، فوجدته فى  
هذه المرة أيضاً مع أحد العمد يحادثه فى شبه عنف  
ولم تكن سيما هذا العمدة تنم عن يسر ولا عن وقار ،  
ويخيل إلى أنه من أجلاف العمدة . « قال العمدة  
كالجرادة » يتخذ شكل الأرض التى يولد فيها .  
فالأرض الخضراء تخرج الجراد الأخضر ، والأرض  
القمحاء تخرج الجراد الأصفر . وهذا العمدة الأصفر  
لا شك من بلاد قاصية فقيرة على حدود المركز  
قريبة من الصحارى . وسلمت على المأمور وقلت  
له باسمك :

— دائماً مع العمدة !

فقال فى نبرة تعجب :

— نعمل إيه ياسيدى !

ثم أجلسنى وطالب لى القهوة . إذ على الرغم من  
اعتكافى عنه وعن ناديه ، فهو يحترمنى ولا يحمل  
لى ما يحمله لغيرى من الضغن . فانى حريص دائماً  
مع رجال الادارة على تنفيذ أوامرى فى مظهر بسيط  
لا يشعروهم بغضاظة الأمر . واستأذنى المأمور فى  
إتمام حديثه مع العمدة لينتهى من شأنه ويتفرغ لى  
فأذنت له . فالتفت الى الرجل وقال له فى صياح وتهديد :

— حصل تبليغ المركز ؟

— لو كان حصل كنا ضبطنا لها واقعة وعملنا

قضيه

— بالتأكيد

وأطرقت قليلاً ، وفكر المأمور لحظة ثم قال :

— حد بلغ سماعتك بشيء ؟

— لو كان حد بلغني كنت في الحال بانثرت

التحقيق

— مؤكدا ؟

— المسألة يظهر أنها مجرد إشاعة

فانطلق المأمور يقول :

— هي وحياتك إشاعة ، خارجة من بطن

المحكمة لتشويه سمعة المركز ، وأنت لا يخفك أن

حضرة القاضي « طالع فيها » وغرضه يشنع علينا

بأي طريقة . . .

وأراد المأمور أن يسترسل ، فبادرت بإغلاق

هذا الباب حتى لا أزج بنفسى في هذا الشجار

القائم بينهما . حسبي أنى أفهمت المأمور من

طرف خفى أنى لست بغافل عن الموضوع ، وأنى

لا أحجم عن اتخاذ الاجراء اللازم فيه ، ونهضت

في الحال ، ونهض معى ، وقلت مازحا :

— والانتخابات يا حضرة المأمور . . . ؟

— عال

— ماشية بالأسول ؟

فنظر إلى ملياً ، وقال لى في مزاح كزاحى :

— حاضحك على بعض ؟ فيه في الدنيا

انتخابات بالأسول !!

فضحكى وقلت :

— قصدى بالأسول : مظاهر الأسول

— إن كان على دى اطمئن

ثم سكت قليلاً ، وقال في قوة وخيلاء :

— تصدق بالله ؟ أنا مأمور مركز بالشرف .

أنا مش من المأمير اللى انت عارفهم ، أنا لا عمرى

أندخل في انتخابات ، ولا عمرى أضغط على حرية

الأهالى في الانتخابات ، ولا عمرى قلت انتخبوا

هذا وأسقطوا هذا . . أبدا ، أبدا ، أبدا . أنا مبدئى

ترك الناس أحراراً تنتخب كما تشاء . . .

فقاطعت المأمور وأما لا أملك نفسى من

الاعجاب :

— شيء عظيم يا حضرة المأمور ، بس الكلام ده

مش خطر على منصبك ؟ أنت على كده . . أنت

رجل عظيم . . .

فمضى المأمور يقول :

— دى دايماً طريقتى في الانتخابات : الحرية

المطلقة ، أترك الناس تنتخب على كيفها ، لغاية

ما تتم عملية الانتخاب ، وبمدين أقوم بكل بساطة

شاييل صندوق الأصوات وأرميه في التزعة ،

وأروح واضع مطرحة الصندوق اللى احنا موضيينه

على مهلنا

— شيء جميل !

قلتها في شيء من الاستغراب ممزوج بخيبة

الأمل . ولم أشأ أن أعقب على ما سمعت . ومددت

يذى مسلماً . وخرجت وخرج خلفى المأمور يشيعنى

إلى الباب الخارجى ، وإذا بى أرى وأنا أجتاز فناء

المركز شرزمة من الخفراء تتأهب للشحن في

« اللوريات » ، ومن بينهم الشيخ عصفور بأسماله

وعوده الأخضر ؛ فالتفت إلى المأمور أسأله في ذلك ،

فقال وهو يشير بيده إلى الرجال :



ومررت في سيري بجوار الشيخ عصفور  
قابدرته :

— البنت ريم راحت فين ؟  
فنظر إلى الرجل شزراً ولم يمن بالرد على .  
فأعدت عليه الكرة في شيء من الرفق والاستعطاف  
— ريم ياسيدنا الشيخ ، خللى نفسك ويانا  
في مسألة البنت ريم :

فهز الرجل رأسه ، ولوح بعوده ، وقال مترنماً :  
إيش راح ينسويك  
من الشكيان وبفيدك  
ليسه ما حكمتش  
على طيرك وهو في إيدك  
قابسمت وقلت للشيخ عصفور وأنا أشير  
بأصبي إلى الأمور :  
— قل لحضرة الأمور ، هو اللي استلم الطير !  
( يتبع )  
توفيق الحكيم

— أنفاز قائمة لحفظ النظام ساعة إعطاء  
الأصوات ...

— والشيخ عصفور ماله ومال الانتخابات ؟  
— مواويله تؤثر على عقول الفلاحين !  
— يعني منتدب للدعاية !  
قابسم الأمور ابتسامة المصادق على ملاحظتي ،  
وابتسمت أنا أيضاً وأنا أضيف قائلاً :  
— حتى الشيخ عصفور شغلته في السياسة !  
فنظر إلى الأمور نظرة ذات معنى ، وقال  
في تهديد :  
— نعمل إيه بس !

وفي هذه العبارة وهذا التهديد كل الكفاية في  
جملي أرثي لحال هذا الأمور وأقدر دقة موقفه  
ومسؤوليته أمام الرؤساء الذين يطلبون إليه نتائج  
معينة بالذات بكل الوسائل التي يراها مؤدية إلى  
الغرض ، فإن أحجم أو تردد فصل بلارحمة ولاشفقة

## في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

أبراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

التمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقفل في منتصف أغسطس

## مكافأة

لمه برل على القاتل

تمطى مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥  
جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها  
في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير  
الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً  
على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يولييه مع  
بيان الأدلة بوضوح وإيجاز



الثقل ، وترأب بمطافها وحدها  
صدره المصدوع

كنت ذات يوم أهني  
صديقاً تجمعت حوله أسرة  
موفورة الصحة حمة النشاط  
جمعت بين أفرادها أقوى

« لأنفس من درر البحار ما يجده الرجل  
من راحة بال ، وما ينعم به من خفي البهجة  
في كنف حب المرأة ، فما قربت المنزل إلا  
وملأت صدرى روائح النعيم ، فما أروح  
ما يتردد في ظلال الزواج من أنفاس لها غير  
ما أحلاه ! وما أطيب البنفسج في حياضه  
ببالغ مداه » (مدلتون)

أواصر المحبة ، فقال لي متحمساً : « ما أستطيع أن  
أتمنى لك نصيباً في الحياة خيراً من أن تكون لك زوج  
وبنون يقاسمونك في يسر السراء ، ويكوتون في  
عسر عزائك وعونك على العزاء »

وهذا حق ، فقد رأيت المتزوج الذي يتردى  
في مهاوى البؤس أقرب نهوضاً من سقطته وأقدر  
على استعادة مكانته من الأعزب الوحيد . ويرجع  
بعض الفضل في ذلك إلى أن لدى المتزوج دافعاً  
أقوى على العمل هو حرصه على القيام بمطالب  
أعزائه ضعيفي الحيلة الذين يعتمدون عليه في سد  
حاجاتهم وحفظ حياتهم ، إلا أن الفضل الأكبر في  
ذلك يرجع إلى أن ما يلقي المتزوج في داره من عطف  
ومودة يخفف من همه ويزيل من حزنه ، ويجدد  
نشاطه ويذكر ملسكاته ؛ هذا إلى أنه لا يفقد الثقة  
بنفسه ولا يهون لديه قدره حين يرى أنه برغم ما يحيط  
به من سواد وبرغم ما يصادف خارج داره من هوان  
ما يرح يتربع في بيته عرش مملكة صغيرة من  
المحبة والوداد . بيد أن الأعزب يكون في رؤسه

طالما أتيح لي أن أشاهد  
بطولة المرأة وثباتها في تلقى  
ضربات القدر معجباً باحتمالها  
الضراء بعد السراء ، حتى  
ليخيل للمرء أن الحزن التي تغل  
عزيمة الرجل وتصعد أركان

نفسه تستنهض المرأة وتستثير قواها ، وتبعث فيها  
من البسالة والسمو ما يبلغ الذروة في بعض الأحيان .  
وليس أوقع في النفس من رؤية امرأة رقيقة ناعمة  
كانت أيام اليسر والنعيم عنوان الضعف وقلة الحول ،  
وإذا بها تسمو بادراً كما لجأة فتصير ستد الرجل  
ومفرج كربته أيام بؤسه وخلال محنته ، وليس  
أروع من رؤيتها تصمد لمواطف البؤس الجائحة  
رابطة الجأش ثابتة الجنان

تلتف الكرم بأوراقها النضيرة حول السنديانة  
مستعينة بها على بلوغ شمع الشمس فتظل معتمدة  
عليها وتلك موكلة بها ، حتى إذا ما نزلت بالسنديانة  
صاعقة فزقتها حنت الكرم عليها بمساليحها الرفيقة  
العطوف تضم بها أغصانها الممزقة وأنسجت المشقة ،  
كذلك حال المرأة تعمل على الرجل وتكل أمرها  
إليه ، فلا تمدو أن تكون زينة بيته وحلية أنسه ، فإذا  
ما انقضت عليه البأساء بضربة من ضرباتها الهوج  
شاء لطف الله في قضائه أن يجعل منها موثله وعزاءه  
فترعى نفسه المضطربة بحنانها ، وتحتمل برفق رأسه



« مضاربات » واسعة النطاق . فلم يعض على زواجه كثير حتى فاجأته المآسى ترى فعضفت بماله . وفي لحظة وجد نفسه قد انحدر الى هوة الفاقة ، فظل وقتاً ما يخفى في نفسه حقيقة ما آل إليه أمره وقد شجب وجهه ، ونحطم قلبه ، وأصبحت حياته كرباً دائماً لا يريم . ومما زاد في كربيه وجملته عسير الاحتمال على نفسه اضطراره أن يتكاف الابتسام والهشاشة أمام زوجه ، إذ أنه لم يكن يقوى على ازعاجها بالافضاء إليها بحلية أمره ، وحقيقة خطبه . بيد أنها على رغم ذلك رأت بعين الحب التي لا تغفل أنه لم يكن على ما تحب . فلاحظت نظراته الحائرة وزفراته العميقة ولم تخدعها محاولاته الفاشلة في الظهور بمظهر السرور ، وحاولت جهد ما ماكت من روح صرح أن ترفه عنه ، فأحاطته بكل ما وسعها من رفيق العناية ، ورقيق الملاطفة ، عساها تفاجح في رد السرور الى نفسه وإعادة الغبطة الى قلبه ، فأخفق مسماها ولم تفاجح إلا في دفع السهم مدى جديداً في صميم قواذه . فكلمها رآها أحق بأن يزيدا حبا ، زادت نفسه كرباً ، وأمضته التفكير فيما سيواجهها إليها من الشقاء والحلمان عما قريب . ودار بخلد أنه لن يمضي إلا القليل حتى يفارق الغناء شفتيها ويبارح الوميض عينيها ، ويرزح قلبها الخافق بين جنبيها ، مثل قلبه ، تحت عبء هموم الحياة وأرزائها وأخيراً جاء في ذات يوم وروى لي حقيقة حاله وكل ما انتهى إليه أمره بلهجة من أعماق اللججيات بأساً ، وأشدّها بؤساً . فلما وقفت منه على جملة حاله سألته : « أو تعرف زوجك ذلك كله ؟ » فصاح بي وقد خنقته العبرات : « بالله ألا ترحني فتشفق علي ، ولا تذكر شيئاً عن زوجي ، فان التفكير فيها هو الذي يكاد يفقدني صوابي . »

فقلت له : « ولم الكتمان ؟ ولا مناص من

عرضة لأن يهمل شأنه ويتلف نفسه ، إذ يخيل إليه أنه وحيد متروك ، سيحل بقلبه من البوار مثل ما يحل بالدار المهجورة حين يموزها النزيل المأمول تعيد إلى فكري تلك الخواطر ذكرى قصة من قصص الحياة الزوجية شهدتها بنفسى ، فقد تزوج صديقي ليدلى من فتاة جميلة متهذبة شبت وسط الحياة الجديدة وشفقت بأنماطها الطريقة وأزيائها المستحدثة . لم تكن ذات ثراء ، إلا أن زوجها كان في بسطة من العيش ؛ وكان يروقه أن يتبع لها النعمى بمجاراة كل طريف والتحلى بكل ما يضي على المرأة غلالة السحر والفتنة من جميل الزى ، ونفيس الخلى . وكان يقول : « إن حياتها ستكون قصة من قصص عبقر »

كان خيالياً يعيل إلى الجد والرصانة في حين كانت هي صريحة طروباً ، فكان لامتزاجهما ائتلاف شجي النغم عذب الألحان . ولطالما شهدت عن كذب ذلك الهيام الصامت الذي كانت تفيض به نظراته إليها ، وهما يجلسان بين الرفاق . وكنت أرى نظراته تلك تبعث في نفسها البهجة والسرور كما كنت أراها تتجه ببصرها إليه وسط التهليل والاعجاب ، وكأنها لا تبحث عن مبتغاها من الاستحسان والقبول إلا عنده . ولقد كانت حين تنسكى على ذراعه يلوح جمال قوامها الانثوى رائماً في تباينه مع طول قامته وبأدى رجولته ؛ وكان يبدو الاستسلام ويتدفق الحب في نظراتها إليه مما كان يبعث فيه الزهو بها والحدب عليها ، وكأنه ما شنف بهذا الحمل الوديع إلا لضعفه وقلة حوله . وهكذا مضيا في طريق هذا الزواج المبكر والاختيار الموفق إلى حياة زوجية تحفها الورود والرياحين مالمكين فيها من أزمة النعيم ومقومات السعادة ، واحتمالات الهناء ما لم ينتج لغيرهما من الأزواج وشاء القدر أن يغامر صديقي بما له في

« كيف تنكمث الأمر عنها في حين أن الواجب أن تعلم به لتستطيع أن تعد العدة لهذا التغير الذي طرأ على معيشتك ، إذ من الواجب عليك أن تغير نظام حياتك ؟ فعات وجهه سبحانه من الغم لم تخف على فاسترسلت أقول : « كلا لا تجعل لذلك سبيلاً إلى قلبك ، ولا ترفيه مدعاة لا يلام نفسك ، فاني واثق أنك لم تجعل سعادتك في يوم من الأيام رهينة المظهر الخارجي . ولا زال لك أصدقاء حميمون لا ينقصك في نظرهم أن يقل رونق دارك ، ثم إني واثق أنك لست بحاجة إلى قصر منيف حتى تسعد مع ماري »

فصاح مضطرباً متأثراً : « اني لأستطيع أن أسعد معها في كوخ وأن أنحدر معها إلى الفاقة وأهوى إلى الخبيض ، أستطيع ، أستطيع باركها الله ، باركها الله » صاح بذلك وقد غمره سيل من الأسى والشجن فقلت له وقد تقدمت إليه وأمسكت يده بحرارة : « صدقني يا أخي وثق أنها سوف تكون كما كانت وخيراً مما كانت . وسوف يكون من دواعي فخارها ودليلاً على انتصارها وسبباً في استثارة كامن قواها واستجاشة مدخر عواطفها أن تبرهن فرجة ظروباً على أنها إذ أحببتك أحببتك لذاتك ، فان في قلب كل امرأة قبساً من نار علوية يظل كامناً ما أشرق نور أيام السراء فما ينتشر ضياؤه الاساءة يخيم ظلام الخطوب . وما يدري الرجل حقيقة زوجه وأنها راحة صدره والملك الكريم الذي يحوم حوله حتى يسلك بها غمار الحياة وتصهرها الحن »

لقد كان في صدق تمبيري وبلاغة لهجتي ودقة تصويري ما أقر فكره الثائر وهدأ خاطره المروع ؛ وكنت أعرف من أحاول اقناعه ، فتأملت الضرب على الوتر الذي أشجاء وانتهيت باقناعه بالذهاب إلى بيته والافضاء إلى زوجه بما أحزنه وناء به قلبه

أن تعرف جلية الأمر عاجلاً أو آجلاً فان تملك كتمانها عنها طويلاً ، وعند ما تظهر لها الحقيقة يوماً ما سوف يكون الخبر أشد وقعاً على نفسها ، وأكثر إيلاها مما لو كاشفتها به ، فان لهجة الحبيب تخفف وقع الخبر الشديد ؛ هذا إلى أنك تحرم نفسك بهذا السكتمان راحة عطفها فضلاً عن أنك بتصرفك هذا تخاطر بالرباط الذي يولف بين القلوب ، ألا وهو تبادل الفكر حرراً ، وبث الشعور صريحاً . ولا بد من أن تكتشف عاجلاً أن امرأاً يعلق بالك ويكربك ، وليس طي الأسرار في النفس مما يرضى الحبيب ، فتشعر عندئذ أنك تبخسها حقها وتنتقص قدرها ، ويسوءها أن ترى أحزانك أنت يا من تحب قد أخفيت عنها « أوه ! ولكن ألا تتصور يا صديقي أثر تلك الضربة التي سأطبع بها كل آمالها وأمانها ؟ ألا ترى أنني سأهوى بقلبها إلى الثرى حين أخبرها أن زوجها قد أصبح فقيراً ، وأن عليها أن تطرح عنها مطارف الحياة وزينتها ، وتترك مباهج المجتمعات وفتنتها . وتنزوي مي في عالم الفقر المدقع والظلام المطبق ! كيف أخبرها أنني قد هبطت بها من ذلك الجو الذي تخلق فيه ، والذي كان في وسعها لولا ما حل بي أن تظل محاققة فيه في اشراق دائم نوراً لكل عين ، وبهجة لكل قلب ، كيف تحتمل الفاقة والتربة ، وقد شبت في أعطاف اليسر ؟ كيف تحتمل الانزواء والاهمال وقد كانت معبود المنتديات ؟ أو اه إن ذلك سيحطم قلبها .. إن ذلك سيحطم قلبها رأيته بليغا في جزعه فتركتته يتدفق في حديثه فالحديث يسرى عن نفس المحزون ، ويفرج كربة المكروب . فلما هدت ثورته ، ورأيته ارتد إلى هدوئه واستسلم للكآبة عدت إلى حديثي في رفق ولين وأخذت أحثه على المبادرة بالافضاء إلى زوجه بذات نفسه وحقيقة أمره فأوماً بالقبول ؛ بيد أنه كان جدمحزون



والذي تصلي ناره كل حين توجسا من كشف المستور .  
وليست متاعب الفقر شيئا الى جانب متاعب الادعاء  
الكاذب وتكاليف الكبرياء والتطلع للجيب الخاوي .  
إن محاولة المحافظة على المظهر الفارغ هي التي يجب  
أرتضع لها حداً ؛ فكن شجاعاً في قبول مظهر الفقر  
فانك بذلك تجرد الفاقة من سلاحها البتار وعذابها  
الآليم « فوجدت من ليسلي تمام الاستعداد لقبول  
هذه الفكرة إذ لم يكن فيه ميل للادعاء الكاذب  
أوحب للمظهر الفارغ ، أما وزجه فحسبنا ما أظهرت  
من ميل للسير وفق مقتضيات ما آل إليه حاله

جاءني ذات مساء بعد ذلك بأيام ، وبعد أن  
تخلي عن منزله واتخذ لنفسه كوخاً صغيراً في  
القرية على مسافة أميال من المدينة ، وكان قد شغل  
طيلة يومه في إعداد أثامه ، وما كانت تلك الدار الجديدة  
تتطلب من الأدوات إلا القليل البسيط ، وكان قد  
باع الأثاث الفاخر أثاث منزله السابق إلا أنه أبقى  
قيثار زوجته وقال : انه احتفظ به لأنه قريب الصلة بها  
متصل بأقصوة هواهما ، وانه يذكره ببضعة لحظات  
من أحلى لحظات هيامهما ، حين كان يجبل الى القيثارة  
ويستمع الى صوتها الشجي الحنون . فما وسمعي  
إلا الابتسام لما ينطوي عليه هذا الزوج النديم من  
فروسية ووفاء . لقد كان ذاهباً الى الكوخ حيث ترك  
زوجه تقوم باعداده ، ولما كنت مشوقاً الى تتبع  
قصة هذه الأسرة وكان المساء جيلاً فقد اقترحت أن  
أصحبه . ولقد كان متعباً لما بذل في يومه من جهد  
فسار وقد انتابته نوبة من التفكير الحزين . وأخيراً  
صعد من بين شفتيه زفرة عميقة وقال : « مسكينة  
ماري » فقلت له : « وماذا لها ؟ هل أصابها شيء ؟ »  
فقال لي ، وقد ألقى إلي بنظرة ملول : « كثير عليها  
أن تنحدر الى هذا المكان الوضيع ، وأن يحبس  
في هذا الكوخ الشنيع ، وأن تضطر الى معاناة

ولا بد لي من أن أعترف ياني على رغم كل ما قلت  
كنت قلنا غير مطمئن الى النتيجة ، إذ من يستطيع  
أن يعتمد على جلد من عاشت كل حياتها بين اللهو  
والسرور ؟ أليس من المحتمل أن تتمرد تلك النفس  
الطروب عند ما ترى ذلك المنحدر المظلم الذي شقه  
البؤس فجأة أمامها ؟ أو ليس من المحتمل أن تظل  
روحها المرحمة متعاقبة بالآفاق المشرقة الخلابية التي  
ظلت حتى الساعة تسمد بها ؟ وما أمر الضيق بعد  
السمة لمن أحبوا مستحدث الأزياء وطريف الملاهي ،  
فان الفاقة لتجلب لهم من الآلام المبرحة ما لا يحسه  
غيرهم من الناس . ومجمل القول اني لم أستطع أن  
ألقى صديقي في الغد إلا وأنا مشفق مضطرب وكان  
قد أفضى إليها بدخيلة نفسه وحقيقة خطبه  
« وكيف تلقت الخبر ؟ »

« كاللاك ، حتى لكأما كانت فيه راحة فكرها ،  
فطوقت عنقي بذراعها وسألتني : أهذا كل ما أحزنك  
طيلة هذه الفترة الأخيرة ؟ » ثم أضاف الى ذلك قوله  
« إلا ان الفتاة المسكينة لا تستطيع أن تتبين ما لا بد  
لنا من ملاقاته من تبدل حال بحال . انها لا تعرف  
الفقر الا تصورا مما قرأت عنه في شعر الشعراء ،  
لا يوجد إلا محاطا بالحب مقرونا بالهوى ، انها لم تشعر  
بعد باننا فقدنا شيئاً ما إذ لم نمان بعد الحرمان مما  
ألقت من الناعم والمطارف ، ولكن التجربة الحقيقية  
ستكون عندما تصطدم بالوقائع وتعمى وضيع المشاغل  
وتافه الحاجات ورقة الحال وسوء المال »

فقلت له : « أما وقد انتهيت من مكاشفتها  
وتلك هي المهمة الشاقة فانك ستجد عما قريب سرّاً  
خفياً يبدل أمامك الحياة فتراها تسير بك من حال  
الى حال أهناً وأسمداً . نعم إن الكشف عن الخبر  
المستوم قد يؤلم إلا أنه ألم ساعة يزول ، وأما  
حرصك على البكتان فهو الكرب الذي لا ينتهي

مشقة العمل في هذا المسكن التمس «

« هل تأملت من هذا الانقلاب ؟ »

« تأملت اكلاً ، لم تبارحها عذوبة روحها وصفاء نفسها حتى ليبدو عليها أنها أكثر مرحاً وسروراً مما كانت عليه في أي وقت آخر . ولقد كانت كلها حباً ، وكلها عذوبة ورقة ؛ فكانت راحة قلبي وبهجة نفسي » فقلت متمججاً : « يا لها من فتاة تستحق الإعجاب ! أو تدعى أنك فقير يا صديقي وأنت لم تكن أكثر غنى منك اليوم ، إذ لم تنكشف لك قبل اليوم جوانب تلك العظيمة التي لاحد لها والتي أنعم الله عليك بها في شخص هذه المرأة »

« أوه ! ولكني لا أستطيع أن أستريح يا صديقي حتى يمر بسلام أثر اللقاء الأول لهذا الكوخ ؛ فهذه أول مرة تصطدم فيها بالواقع وتجرب فيها الحقيقة المرة ، واليوم فقط تلج مسكننا وضيقاً تسكد فيه طيلة يومها في إعداد حقير لوازمه ؛ واليوم فقط تذوق متاعب الأعمال المنزلية ؛ واليوم فقط ترى نفسها وقد حرمت المطارف ، وفقدت المتع ، وفارقتها النعيم ، وذهبت عنها الراحة ، ولعلها تجلس الساعة متعبة كثيفة تفكر في أمر ذلك الفقر المقبل الذي ستصلي ناره وتلقى أذاه » ، ولقد كان فيما قاله شيئاً من الصدق وكثيراً من الاحتمال لم أستطع أن أناري فيه ، فسرنا صامتين

انثنينا من الطريق العام إلى منعطف ضيق ألقت عليه أشجار الغاب ظلاً كثيفاً أوضح عزلة ذلك المكان ، وقد ظهر المنزل قبالتنا تبدو بساطته خليقة باعجاب أشد الشعراء شغفاً بالريف وإيثاراً للبساطة ، وإلى جانب تلك البساطة تجلي جمال المنظر الريفى ، إذ امتدت على جانب من الكوخ كرمة برية غمرته بكثيف من ناضر الأوراق كما ألقت عليه الأشجار الشجراء فينان الأغصان ورشيق

الأنفاس ، وقد ظهر حول الباب وفي مدخله المخضوضر عديد من أواني الزهر نسقت تنسيقاً فيه سلامة الذوق ، وانفرج الباب الخارجي الصغير عن ممر شق بين الأعشاب يؤدي إلى الباب الداخلي فما كدنا نبلفه حتى سمعنا نغماً موسيقياً ؛ فأمسك ليسلى بيدي فوقفنا نستمع إذ كان الصوت صوت ماري تنفي في بساطة رائعة مقطوعة من المقطوعات التي يحبها شعرت بيد ليسلى تضرب في ذراعي ووجدته يتقدم ليستطيع أن يستمع بوضوح ؛ فكان لوقع أقدامه صوت على الممر المرصوف ؛ فأطل من النافذة وجه مشرق جميل ما لبث أن اختفى وسمعنا خطوات رفيقة ، وأقبلت ماري للقيانا مرتدية ثوباً ريفياً جميلاً أبيض اللون ، وقد وضعت في طيات شعرها الجميل بضع زهرات برية ، وقد علت التضارة والرواء وجهها وتوردت وجنتاها وأشرق بالابتسام عيناها ، فما رأيتها قط أكثر منها ابتهاجاً مما بدت عليه في تلك اللحظة ، فهتفت : « عزيزى جورج ، كم أنا مسرورة بقدمك ! فاقطال انتظاري إليك ، ولقد كررت إلى المنهطف أبحث عنك . لقد أعددت المائدة تحت دوحة جميلة خاف الكوخ ، ووجهت لك بعضاً من أطيب ثمار الفرولا التي تحبها ، ولدينا إلى جانب ذلك قشدة ممتازة . إن كل ما هنا عذب وهادئ » ثم وضعت يدها في يده ونظرت إليه منشرحة وقالت : « أوه ! سنكون سيعدين كل السعادة » فغلب ليسلى على أمره ، وضمها إلى صدره وطوقها بذراعه وقبلها ثم قبلها ولم يستطع الكلام ، وغلبته الدموع فلأت عينيه . ولطالما أكد لي أنه برغم ما أصابه بعد ذلك من نغمى وبرغم ما انتهى إليه من خير وسعادة ، فانه لم يشمر قط بأعذب ولا أسعد من تلك اللحظة التي غمره فيها من الغبطة والسعادة ما لا سبيل إلى وصفه ولا حد لجماله . مسين محمد طاهر





# المريض

للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني

لبنها ؟ وكيف جف وتصلب جسمها الذي كان بالأمس رخصاً ؟ وجاوز الأمر التشاؤب الى التعيبس فأحس أنه ثقیل على نفسها ، فكف عن الدرس ، وراح يسأل نفسه : « كيف حدث هذا ؟ . لقد كانت أول يوم خفيفة مرحة ، وكان فيها لين ومرونة ، وكان الجمال يضحك بوجهها ، وبضيقه نوره ، فهل تراني أذويتها وأخذت هذا الضياء ؟ » وضاق صدره ، وهو جالس ، ولم يحتمل كل هذا الجمال الذي يخيله ، فصفق وطلب كأساً من الويسكي ولم تكن الخمر مما يحب ، ولكنه خالف عادته ، لعل الخمر ترفع هذا الذي جثم على صدره ، وشرب الكأس بلا عرج ، صرفاً ، بغير تقطيب وطلب أخرى ألحقها بالأولى ، وثالثة شمسهما بالصدودا ، فقد أحسن أنه صار أخف وأقوى ، وأن الحجر الذي كان على قلبه قد انحط ، فقد صعد الشراب الى رأسه ، فرفع عينه وأجالها في الفتيات السائرات وراح ينقدهن أيضاً ، فهذه صدرها أعلى مما ينبغي لمن كان لها مثل عودها ، وتلك ممصومة لا تدي لها ولا خصر ولا ردف . وهذه الثالثة بديمة التكوين ، ولكن ينقصها أن تكون خطوط جسمها ألين ، والرابعة . . . أوه ما شاء الله . . . لقد تحسن النسل جداً في هذا العصر . أين من هؤلاء أسهاتنا اللواتي كن يخرجن ملفوفات في

جلس سالم في ( الأمريكين ) مطرقاً بنظر إلى كعب حذائه الذي صقله له الرجل منذ دقائق ، وكان يحركه كأنما يريد أن يحفر حفرة في الأرض الصلبة . وكان كرسيه قريباً من رصيف الشارع ، وكان غاصاً بالغاديات والرائحات من كل فائنة ممشوقة القوام ، ولكن عينه لم تكن إليهن بل إلى الأرض وكان في الحقيقة يديرها في نفسه ، ويتساءل : « لما ذا خلت حياتي الى الآن من المرأة ؟ » ولا يهتدي الى جواب لسؤاله ، فقد كان في السابعة والعشرين من عمره ، وكان ماله كثيراً ، ولا عمل له إلا إنفاق هذا المال — إن صح أن هذا عمل — وكان يحس أنه ليس حياً بالمعنى الصحيح ، وينكر من نفسه انقباضه عن الخلق ، وحياءه وخجله من المرأة . وتذكر ، وهو جالس يراجع نفسه ويتهمها بالضعف وعدم الصلاح للحياة ، أنه حاول مرة أن يتعلم الرقص وكانت معاملته رشيقة خفيفة فاستقبلته أول يوم بالابتسام والترحيب ، وعلمته خطوات ، وكان يحسبها لبنة مؤاتية ، ولكنه لم يجعل باله الى ذلك ، وإن لم يفته الشمور به ، بل أقبل على الدرس جاداً كأنما الدنيا ليس فيها غير قدميه ، فما أضيق رقعتها ! فلما كان الدرس الثاني ، دار معها دورات لاحظ أنها انقلبت جامدة ، وأنها صارت كأنها نائمة ، فقد كانت تتشابب بالفعل ! فعجب أين ذهب

وأدهش سالماً أن الفتاة نظرت إليه كما نظر إليها ،  
وأنها لم يسؤها تحديقها في وجهها ، بل ابتسمت  
هي أيضاً ، وتأملتته كأنما تفحصه أو تهجمه بعينها  
ثم انصرفت عنه ومضت في سبيلها ولم تلتفت بعد  
ذلك وراءها أبداً . وكان عهدده بالفتيات أنهن  
لا ينظرن إليه ، ولا يقمن له وزناً . وقد تلتقي عينه  
بممن إحداهن اتفاقاً ، لا عن عمد منه ، فما كان  
يجرؤ على ذلك ، فتحول وجهها كأنما رأت ما تكره  
فكان يجب ويسأل نفسه : « ماذا يا ترى يمنعني  
إلين ؟ أنا دميم ؟ فاني أرى أشد الناس دمامة  
تعشقهم فتيات صبيحات الوجوه مدهشات ! أم  
أنا ثقل الظل ؟ ولكني لا أقول ولا أفعل شيئاً .  
فماذا يرين من ثقل ظلي إن كان ثقيلاً ؟ ( ويعز عليه  
أن يقر على نفسه بثقل الدم فيقول ) أظن أنه ينقصني  
شيء . . . ولكني ما هو ؟ ( ولا يهتدي إلى النقص  
فيقصر يائساً )

ولم يخطر بباله هذا المساء أن به نقصاً ، أو أن  
ظله ثقيل ، أو أنه دميم ، فقد صرفه عن ذلك  
ما شرب على خلاف عادته . وكانت ابتسامة الفتاة  
حسبه مطيراً لسكل هذه الخواطر الثقيلة من رأسه ،  
فزدد الجاكنة ومضى وراءها يريد أن يدركها .  
وكانت أسرع منه ، ولكنه عوض ذلك بقوة  
الارادة ، وصحة المزم ، وإذا بها تقف أمام مدخل  
عمارة ضخمة عالية ، على الجدار إلى جانب بابها  
الواسع لوحات كثيرة فقال وهو ينهج : « سعيدة »  
فنظرت إليه ملياً ، وحدثت نفسها أنه السكران  
الذي كان يغني في الشارع ، وخطر لها أن تتق  
إسقاطه فقالت : « سعيدة » وكانت السكرة قد  
راحت . . . ظارت في الهواء . . ولم يبق في رأسه  
إلا الرغبة في معرفة هذه الفتاة الجميلة بأي ثمن ،

الملامات ، وكأنهن منها في غمرات أو زكايب ؟  
وقرت عينه بهذه المناظر وزايله الشعور بالكمد  
والحرمان ، وأنس من نفسه قوة وجراءة لا عهد له  
بهما ، وكانت هذه نشوة ، ولكنه لم يكن يعرف ذلك  
أو يفتن إليه ، وكان الشراب قد أدار رأسه ، فنهض  
بتمشي ووضع طربوشه على رأسه بغير احتفال ،  
وكان الزر إلى الأمام ، وكان ربما أطرق وهو سائر  
على عادته ، ولكنه في هذا المساء استطاع أن يرفع  
رأسه ، وكان حين يفعل ذلك فجأة يلمح الزر  
فيضحك ويضربه بأصبعه فيدور ثم يستقر بعض  
خيوطه فوق الطربوش والباقي يتدلى على مستداره  
فيضحك كرة أخرى ويهز رأسه مسروراً ، ثم يروح  
يغني ، لا بشمر أو نحوه ، بل ببعض ما يدور في  
نفسه من الخواطر ؟ وكان تلحينه مبتكراً لا تشوبه  
شائبة من التقليد ، وكان في الواقع أشبه بمن يغني  
نفسه في الحمام ليتسلى ، ولم يكن يحس أن في  
الدنيا ناساً يروحون ويحيئون ويستغربون حاله  
وينظرون إليه ويبتسمون أو يقطبون . وكان هو  
يصيح - وفي ظنه أنه يهمس - كل بنت تحب  
أن تحب . . . يا سلام . . . تمام . . . لن تأكلى  
امراً . . . أبداً !

وأجال عينه وهو يتبسم راضياً عن نفسه وعن  
الدنيا التي حلت فجأة في عينه ، فوقعت على فتاة  
أيقن حين رآها أنها أجمل من خلق الله . ولا شك  
أنه كان مبالغاً ، ولكن الحقيقة أنها كانت جميلة .  
وكانت وسطاً لا بالطويلة ولا بالقصيرة ، وغضة  
هيفاء لا هزيلة معروقة ، ولا بدينة بلح عليها اللحم ،  
وسمراء ولكن شعرها ناعم وحف ، وذهي مرسل  
لا يبدو أن شيئاً يحسكه من مشابك أو نحوها ،  
وكانت خطرتها رقصاً بلا تكلف ، ومشيتها انسياباً ،



التي احتسأها قوت ضعفه . وثبتت جنازه فزعته من أن يكون هذا آخر المهد بها ، فلاحق بها كالمجنون ، وإذا بها تدخل عيادة الدكتور جميل . . . ولم يكن قد عني بأن يعرف أى طبيب هو ، ولكن ما قيمة هذا ؟ . . . وجلس فى غرفة أشار إليها الخادم ؛ وكانت غاصة بالخلق فتشهد لأن هذا خليق أن يتيح له أن يطيل المكث حتى يرى الفتاة مرة أخرى أو تسنح فرصة لـ . . . من يدري ؟ . ثم نهض وراح يتمشى فى الردهة ، فقد كان يحس أن السكون شاق ، وخرج الخادم فى تلك اللحظة من غرفة السيدات ، فأوماً إليه وعاوده عشرة قروش وشرع يلقى عليه سؤالاً بعد سؤال ، لا عن الدكتور فما كان يعبأ به شيئاً ، بل عن العمارة ومالك من هى وأجرة الشقة فيها ، كأنما كان ينوى أن يشتريها ، ثم وثب فجأة وبلا مناسبة إلى السؤال عن الفتاة التى جاء وراءها ، ولم يتمذر على الخادم أن يعرفها لأن سالماً وصفها وصفاً دقيقاً وإن كان لم يحل من المبالغة ، ثم لأنها كانت آخر من دخل قبله ، فما راعه إلا قول الخادم : « آه الرئيسة خديجة ؟ » فدهش سالم وسأله : « عمن تتكلم ؟ » قال الخادم : « عن الرئيسة خديجة ؟ » فسأله سالم : « مالها ؟ » فقال الخادم : « ألم تكن تسأل عنها ؟ » فقال باستغراب : « هل سألتك عنها ؟ » قال : « آه ! هذه هى خارجة » وكان هذا صحيحاً ، فهم بأن يتبعها ، ولكنه أحجم فقد صار حسبه أن الخادم يعرف من هى ، ثم سأله : « هل قلت الرئيسة ؟ » الرئيسة أين ؟ قال : « فى مستشفى الدكتور » فسأله : « هل للدكتور مستشفى خصوصى ؟ » قال الخادم : « طبعاً أحسن مستشفى » فسأله : « ماذا يعالجون فيه ؟ » قال : « كل الأمراض » وهم بأن

فتظاهروا بأن يتأمل اللوحات الكثيرة وقال : « أظن أن عيادة الدكتور جميل هنا ؟ » وأشار إلى اللوحة التى تحمل هذا الاسم . فابتسمت وسرها أنه يتكلف البحث عن اسم طبيب ليخلق موضوعاً للكلام ، وخيل إليها أنه ليس بسكران كما توهمته ؛ واعترفت أنه وسيم مليح القسبات فقالت : « ربما . . من يدري ؟ » فقال : « إذا لم يكن . . أى هؤلاء أحسن ؟ هل لك أن تشيرى على ؟ » ولم يكن يريد أن يقول ذلك ولكنه قاله بلا تفكير ، فلم يسمعها إلا أن تضحك ثم قالت : « هل أنت واثق أنك تريد أن تدخل عيادة طبيب ؟ » فقال : « بالطبع . إلى مريض جداً . لا أدري كيف عشت الى الآن . . كيف أمكن أن أعيش » وأحس وهو يقول ذلك أنه ليس خير ما يقال لفتاة جميلة يرجو أن يستميلها إليه . وما ذا تصنع فتاة بمستشفى متحرك ؟ ولكن السيف سبق العذل . وسمعها تقول - كأنما كانت تقرأ خواطره - « مسكين ! ألا يحسن أن تذهب الى مستشفى ؟ » فقال بسرعة ، فما كان يعنيه إلا الكلام والسلام : « والله فكرة . . هل تعرفين مستشفى ؟ » ولم ينتظر جوابها بل اندفع يقول : « اسمى . من أنت ؟ . من عسى تكونين بغض النظر عن كونك أجل فتاة على ظهر الكرة الأرضية ؟ » فحملت فى وجهه ، وقد أدهشتها جرأته ، ولكن لهجة الجذ والاخلاص لم تفتها ، ومنعتها أن تغضب ، وأقنعتها أنه يقول ما يعتقده فابتسمت واكتفت بأن تقول : « اسمح لى . . » ودخلت العمارة وتركته واقفاً ، فتردد وعاوده الحياء القديم الذى أفسد عليه حياته ، فقد كان ذهابها ، هكذا فجأة ، صدمة كادت تضيق تشجيع الابتسامة التى أجرت وراءها ، ولكن بقية من الكؤوس

فقال الدكتور : « بالطبع المستشفى أحسن وأضمن ، ولكن المسألة متعلقة بك »  
فكاد سالم يرقص من الفرح وقال : « هل أستطيع أن أدخل الليلة ؟ »  
فسأله الدكتور بدهشة : « الليلة ؟ ولم هذه المجلة ؟ »

فقال سالم : « خير البر عاجله ... شيء لا بد منه لسأذا تؤخره ؟ إلى أكره التلكؤ والبلادة والتردد ... نعم الليلة »

قال الدكتور وهو يتأمله : « حسن ، سأرى . إنك أغرب مريض رأيته ... لا يبدو عليك أقل إدراك لخطورة حالتك »  
قال : « بالعكس ... أنا واثق أنها خطيرة جداً وأنها ستكون أخطر إذا بقيت خارج المستشفى دقيقة واحدة »  
قال الدكتور : « كما تحب »  
وتناول التليفون

\*\*\*

كانت مصحة الدكتور جميل بك في حي هادي تحيط به البساتين ، وكان النظام فيها دقيقاً والعناية شديدة بالمرضى ، وكان فيها درجتان اثنتان ليس إلا ، فليس للفقر فيها محل ، ولا يحتاج ان تقول ان سالما آثر أن ينزل في الدرجة الأولى ، لا حباً في الواجهة أو الفخفخة ، وان كان ماله كثيراً ، بل لأنه أراد أن يكون أقرب الى الريسة خديجة وأدنى وسيلة إليها . وكان رأى الدكتور جميل فيه قد سبقه الى المصحة ، فعلم كل من فيها أن مريضاً مدنياً قد يصبح هامة يوم من الأيام في شهر من الشهور المقبلة قادم ليقم في المصحة ويراقب ويعالج ما أمكن العلاج ،

يسردها ، ولكن سالماً قطع عليه الكلام بأن دس في يده عشرة قروش أخرى وقال - أوصاح - « هذا أحسن طبيب وأنا أسعد الناس » فقال الخادم : « الله يشفيك يا بك ! »

\*\*\*

وجاء دور سالم فدخل على الدكتور جميل ، وكان طويلاً مديد القامة ، وشاباً ولسكنه يؤثر أن يترك عثونه ليزيد وقع علمه وفعل طبه بوقار الشيخوخة المستعار

وسأله الدكتور : « مالك ؟ »

فابتسم سالم وفرك كفيه ، وراح يصف الأمراض التي يسمع بها ولا يعرفها ، ويزعم أنه مصاب بها جميعاً وفي وقت معاً . وكان الدكتور يصني إلى وصف حالته وآلامه فيقطب ، ثم يزداد تقطيباً ، حتى صار جبينه كالخصير ، ولما فرغ سالم من الوصف نهض الدكتور وزام وهو يتمشى وقال « ارقد هنا »

وفحصه بعناية وجعل وهو ينقر على بطنه ويتحسس أمعاءه ويضغط هنا وهناك ويروم ويهز رأسه أسفاً ، وسالم يرى ذلك فيخفق قلبه طرباً ، ثم قال الدكتور : « البس ثيابك ... واسمع ... » فأقبل عليه سالم بوجهه وقال : « نعم نعم ؟ » فقال الدكتور : « إني آسف ... مرضك صعب ويحتاج إلى عناية شديدة ووقت طويل ... والنتيجة ( وهن كتفيه ) لا أدري ... قد تشفى أو لا تشفى ... »

فسر سالم جداً وقال بلهفة : « ألا ترى يا دكتور أنه يحسن أن أدخل المستشفى لينتظم العلاج ويؤمن الخلط ؟ »



فقال لها : « إسمي ... متى تكون الريسة خديجة هنا ؟ »

قالت : « غدا صباحا ... لماذا ؟ . هل تعرفها ؟ »  
قال : « لن أعرف أحدا إذا لم أعرفها ...  
أخبرها أني أريد أن أكلها قبل أن تغير ثيابها ...  
مفهوم ؟ »

حدثت الريسة نفسها أن مريضا مثله مشفيا  
على التلف جدير بأن يجاب الى رجاء كهذا لا ضير  
منه ، وفي هذه اللحظة جاء من يدعو الى التليفون  
فذهب وتناول الساعة وقال :

« إسمع يا دكتور من فضلك ... إني لا أحب  
أن أرى حولي ناساً وجوههم بيضاء ... السمرة  
هي اللون الذي أحبه ولا أطيق سواه ، فإذا لم يكن  
عندك ممرضة أو ... أو ... أو ... ريصة سمراء  
فاني أخرج الآن ... لا يمكن أن أبقى ... لا فائدة  
من أي علاج ... »

فقال الدكتور : « أوه لا تخف ... اطمئن ...  
سنجد لك ممرضة سمراء ... انهن كثيرات »

فصاح في التليفون : « لا لا لا لا . ليست كل  
سمراء صالحة ... سمراء واحدة هي التي يمكن أن  
أطمئن إليها وأرضى أن أضع نفسي بين يديها »  
فسأله الدكتور : « من هي ؟ »

قال : « لا أدري ... لقد رأيتها في منامي ...  
وأحلامي كلها صادقة ... لا يكذب واحد منها ...  
ومتى رأيتها عرفتها ... فإذا لم تكن هي التي بدت  
لي في حلمي ، فلن أبقى دقيقة واحدة هنا ... وهذا  
شرط لا سبيل إلى النزول عنه »

قال الدكتور ملاطفاً : « سنرى غداً ... انتق  
من شئت ممن عندنا من السمراوات »

فلما رآوه يدب على الأرض وهو داخل كأنما هو  
ذاهب الى مرقص ، وبصفر وهو يعنى ، ويدبر  
المصا بين أصابعه ، دهشوا وبهتوا وخيل إليهم  
أن في الأمر خطأ أو أن هنـ الا زعم أنه هو المريض  
وجاء بدلاً منه . وفركوا عيونهم التي لم يصدقوها  
وأحاطوا به - رجالاً ونساء - وراحوا بصعدون  
عيونهم الى وجهه وبصوبونها الى قدميه ، ثم ينظر  
بعضهم الى بعض مستغرباً وأفواههم مفتوحة من فرط  
الدهشة ... أهذا هو المريض الذي يخشى على حياته  
من الفساد الذي في معدته وأمعائه ؟ ... الفساد  
الذي لا يكاد يكون له علاج ؟ ... أهذا هو الذي  
يدبر عينه فيهم كأنما يفتقد شيئاً لا يراه ولا يدري  
أين يلتمسه ؟ ... لو كانت المظاهر تصدق لكان  
هذا خليفاً أن يكون ملاكاً ، فالحق أن الدكتور  
جميل بك آية من آيات الله ! ... كيف عرف ياترى  
داهه الدفين الذي لا يشئ به مظهره الخداع ؟ ؟  
وسألهم سالم ، وهم حافون به في غرفته : « قولوا  
لي ... هل أنتم كل من هنا ؟ »  
قالوا : « نعم »

قال : « إذن هناك خطأ ... أين الريسة ؟ »  
وكاد يقول : « خديجة » ولكنه آثر أن يكبح نفسه  
فتقدمت إحدى الفتيات فنظر إليها معبساً  
وقال : « أنت ؟ هل أنت الريسة ؟ » ثم خطر  
له خاطر فأضاف : « الريسة الوحيدة ؟ »  
قالت : « لا ... هذه ليلتي ... »  
قال : « آه ... بالطبع ... أين التليفون ...  
اطلبوا لي الدكتور حالا »

فظنوا أنه بهاني ألما باطناً يتشدد ويتجلد ليكتمه  
نخرج ثلاثة أو أربعة منهم ، يعدون ، وبقيت الريسة

قال : « وتكون لي خاصة . . لا تعني بأحد  
سواي . . وأودى أنا نفقاتها . . مفهوم ؟ »  
فقال الدكتور : « لا بأس . لا بأس . مسألة  
بسيطة . ولكن يجب ألا تقلق نفسك أو تزعجها  
بأمر كهذا . . . سنفعل كل ما يسعنا لتكفل لك  
الراحة ؛ والآن اذهب ونم »

فنام مطمئناً . . .

وفي الصباح جاءت التي أدخلته المصححة ،  
ووقفت أمامه تبسم له ، وعليها ثوب أبيض قصير  
الكمين ، فحدث نفسه بنعمة الله عليه ، وقالت له  
وهي تدير عينه في الغرفة : « إن ثيابك لا تزال في  
الحقيبة » ومضت إليها لتخرجها وترصها في الخزانة  
فقال : « أوه . . لا تنعبي نفسك فاني أستطيع أن  
أرتبها » فقالت : « ولكن هذا واجبي . إنني أفعل  
ذلك لكل مريض أكون عنده أو أحضر دخوله »  
فصاح بها : « إذن يجب أن تكفي عن هذا .  
مريض واحد هو الذي يجب أن تقصرى عنايتك  
عليه . هذا كان اتفاقاً مع الدكتور الذي قال إنه  
ليس في مصر كلها إلا فتاة واحدة يأتئها على »  
فسرت الفتاة وقالت : « هل قال هذا حقيقة ؟  
إذن سأتولى أمرك بالنهار ؟ » فقال : « بالنهار  
وبالليل » ؛ فنظرت إليه وانحنيت على الحقيبة لتخرج  
منها الثياب وترصها في الخزانة ، وقالت وهي تفعل  
ذلك : « إن ذوقك جميل . . . هذه النامات  
( البيجامات ) بديمة » فسره هذا وحدث نفسه  
أن البداية طيبة وقالت : « والآن سأخرج وأجيء  
باللبن » فوجم و طال وجهه ، لسببين : أحدهما أنها  
خرجت فركد الجو حوله ، والثاني أنها ستجيئه  
باللبن وليس أبغض إليه منه ؛ على أن غيابها لم يطل ،  
فقد رجعت بعد قليل وفي يدها كوب وقالت :

« اشرب هذا » فالتفت إليها وقال : « اسمي . هل  
هذا اللبن ضروري ؟ » قالت : « بالطبع . إنه  
غذاؤك الذي أشار به الدكتور » فقال : « لا بأس ،  
من يدك أتقبل أي شيء » ورد إليها الكوب فارغاً  
فهمت بالخروج فقال : « إلى أين ؟ » قالت :  
« سيجيء الدكتور بعد قليل فاسبتعد للقاءه » ،  
فسألها : « وما الداعي لحضوره ؟ . . أأست قد  
دخلت المصححة وانتهى الأمر ؟ » فضحكت وقالت :  
« سيميد فحصك »

وجاء الدكتور كما قالت - بعد قليل - وأعاد  
الفحص وأتعبه به ، وآلمه أيضاً ، ثم اعتدل بعد  
طول الانحناء عليه وقال : « خديجة . لا شيء إلا  
اللبن » ففزع سالم وقال : « ولكني قلت إنني  
أمقتنه ؟ » فقال الدكتور وهو لا ينظر إليه :  
« لا شيء إلا اللبن » وخرج

فدنت منه وكان قد أغمض عينيه ، يائساً ،  
وراح يسأل نفسه : « كيف يمكن أن يعيش على  
اللبن وحده ؟ . . إن هذا سينتهي به إلى ما يشوهم  
الدكتور أنه مصاب به ولا شك » وأحس خديجة  
تلمس يده ففتحت عينيه مسروراً فألفاها تجس نبضه  
وسمعه تقول : « تعبان ؟ » قال : « ميت » قالت :  
« مسكين . . هل تحس الماء ؟ » قال : « كلا . إنما  
أحس أن دماي تغني في عروقي . . خلى يدك على  
يدي » قالت : « هذا من أعراض المرض . . تتري  
المرء نوبات من النشوة ... »

فقال : « اسمي ... أليس عندكم شيء من  
الويسكي »

فصاحت به : « إيه ؟ »

قال : « ويسكي ... جون هيج ... بالصودا »  
قالت : « إنك أغرب مريض رأيته في



حياتي ! .. ألا تعلم أن هذا يقتلك ؟ »

قال : « ألم يقل لك الدكتور إنى ميت لاحالة ؟  
فماذا يهم ؟ سيان أن أموت بالويسكى أو باللبن ...  
بالويسكى أحسن ... وألذ أيضاً »

قالت : « يخيل إلى أنك مزيف ! »

قال : « سلى الدكتور ... صدقيه إذا كنت  
لا تصدقينى »

قالت : « لقد أمرنى أن أدلك لك معدتك »

قال : « بالطبع ... هذه هى ... إنه دكتور

حكيم ... »

\*\*\*

ولو أن غذاءه ظل مقصوراً على اللبن لمسات كما  
قال لنفسه ، وهو يشرب الكوب الأول منه ،  
ولكن خادمه كان يجيئه - سرّاً - بما يشتهى  
فيأكله خلسة . فاتفق يوماً أن يدخل عليه الخادم  
بفطير وكان قد غاب يومين فتضور سالم ، فلما رآه  
مقبلاً صاح به : « أين كنت كل هذا الدهر ؟ »

إنى أموت جوعاً هنا » قال : « يا سيدي  
لا تؤاخذنى ... لقد جئت يومين ولكنهم كانوا  
يفتشوننى ويأخذون ما مئى . . . غير أنى استطعت  
اليوم أن أغافلهم وقد خبأت هذه الفطيرة . . . »

فتناولها سالم بسرعة ومال عليها بفمه فلاء بقضمة  
كبيرة منها ، وأراد أن يقول له اغلق الباب ، ولكن  
فه كان محشواً فمجزوا اكتفى بالإشارة إليه ، وعرف  
الخادم المراد فوقف وراء الباب وأسند ظهره إليه  
لأنه لم يجد مفتاحاً . وأقبل سالم على الفطيرة ياتمهما  
بأسرع مما كان يتوهم أن فى قدرته أن يصنع ،  
ولم يكده يفرغ حتى سمع نقرأ خفيفاً جعل يقوى .  
فقد كان يشير للخادم ألا يفتح ديثما يمسخ فيه  
ويسقى على آثار الفطير . ثم دخلت خديجة وقالت :

« ما معنى هذا ؟ . هل كنت تصنع شيئاً مخالفاً  
للأوامر ؟ » فقال بابتسام - فقد ارتاح لما أكل  
وأحس بالامتلاء - « وماذا أستطيع أن أصنع  
هنا غير ما ينبغي ؟ » فقالت : « إنه يبدو عليك  
أنك خالفت الأوامر » قال : « أبداً . كل ما حدث  
أن حسن هذا جاءنى بخبر سار جداً . . . فأنا لهذا  
منشرح الصدر ... اسمع يا حسن ... هات لى كل  
يوم خبراً ساراً ... إن خير علاج هو الأخبار  
السارة ... أليس كذلك ؟ »

فأحست خديجة أنها غلبت فسكتت وأقبلت  
على السرير ترتبه وقالت وهى تفعل ذلك : إن الدكتور  
أت . ولم تكده تفرغ حتى دخل وأوسمه جساً وضغطاً  
وتنقيراً حتى كاد يجن ، وقال وهو يفعل ذلك : إنه  
بظن أن فى المعدة شيئاً غريباً ، فأدرك سالم أنها  
الفطيرة وكاد يضحك لولا ما هو فيه من الهم . ثم  
قال الدكتور : « لقد رأيت إبدال اللبن بعصير  
البرتقال ليس إلا . . . ولست أرى داعياً لاجراء  
عملية . . . وسأرى ما يكون . . . »

وظل ثلاثة أيام يشرب عصير البرتقال ولا يصل  
إلى شئ سواه ، لأن الخادم عجز عن تهريب أى  
شئ ، فضعف وقلت حركته وبدأ عليه الهزال ،  
وساء خلقه أيضاً ، مع غير خديجة بالطبع ، كما  
لا يحتاج أن نقول . وكانت أخبار شراسته مع  
المرضات وغيرهن تبلغ الدكتور جميل ، فيزداد  
اقتناعاً بأن هذه الحالة العصبية التى تغرى بالاعتداء  
باللفظ أو اليد مما يؤيد صحة التشخيص ويستوجب  
زيادة العناية والتدقيق . وكان المزاء الوحيد الذى  
يساعد سالماً على الاحتمال والصبر ، هو وجود  
خديجة إلى جانبه أكثر الوقت وقد استطاع بالعنف  
مع سواها ، وبالمال الذى يبذله المصحة ولن فيها

سالم لم يكن سلوك مريض مدنف مشف على الهلاك  
وسرها في قرارة نفسها أنه تمارض من فرط حبه  
لها وأنه إنما أراد أن يكون قريباً منها ، واشتهت  
أن تسمع هذا منه هو ، لا من عمه فقط

ولم يخيب سالم أملها فقال : « صحيح وسأحرص  
عليك القصة ... شاب خجول لا يستطيع أن  
يكلم فتاة ، فإذا حاول أن يكلمها وقف لسانه في  
حلقه ، وماله كثير ولكن ما خير المال وحده ؟  
فاتفق يوماً أنه شرب كأسات من الويسكي صرفاً ،  
ورأى بعد ذلك أجمل فتاة في الدنيا ، ونظرت إليه  
الفتاة فابتسمت ، وكانت هي الوحيدة التي رأت  
وجهه وابتسمت ، فجري وراءها ، ولم يكن مريضاً  
ولكنه اضطر أن يخترع لنفسه مرضاً يسوغ به  
افتحامه عيادة طبيب ، فاخترع واخترع حتى طار  
عقل الطبيب المسكين ، وقد أحب هذه الفتاة حب  
عبادة ، وفي سبيلها صبر على اللبث الصرف واحتمل  
عصير البرتقال ... يا لها من تضحية !! وهو يحيا  
وحده ، بلا أنيس أو إلف ... وبيته موحش ، فهل  
تظنين أن الفتاة يمكن أن ترضى بهذا المجنون زوجاً  
لها ؟ »

وكان العم ينظر إليها معجباً ، وابتسم لها  
مشجعاً ، فقالت وقد وقع من نفسها أن سالماً عرض  
نفسه للهلاك من أجلها « ولكني لست سوى  
ممرضة ... لست كفؤاً لك »

فقال وهو يضع ذراعه على خصرها : « ستظنين  
ممرضة ... فقد أصابني في طفولتي أ ... أ ... »  
فضحككت ونهضت عن السرير وقالت : كفى  
اختراعاً ... »

وخرج الثلاثة ، بعد قليل ، معا ...

ابراهيم عبد القادر المازني

أن يحتكرها لنفسه ، وأعانه على ذلك أن الدكتور  
جميل بمطقت عليه ويرثي له ، ولكن الخادم قلق  
وأشفق على سيده ، وكان قد رباه وحمله صغيراً وظل  
معه بعد وفاة أبويه ، فلم يسمع إلا أن يفضي  
بوساوسه وهو واجسه إلى عمه - عم سالم -  
وإن كان سيده قد أمره ألا يخبر أحداً أنه دخل  
مصحة . فجاء العم وزار ابن أخيه ، وألح عليه أن  
يفضي إليه بالحقيقة وأن يطمئن قلبه ، فقال له سالم  
إنه بخير ، ولا خوف عليه ، وأن كل ما في الأمر  
أنه « مريض جداً » !! فضحك العم ، وكان ظريفاً  
كيساً ، وقال لابن أخيه ، إذن قم والبس ثيابك  
واتفق أن خديجة كانت في ذلك الوقت تهم  
بالدخول ، فلما رأت هذا الزائر وقفت ونظرت منه  
إلى مريضها ، وحدث فيها العم والتفت إلى ابن  
أخيه وسأله :

« أمي هذه ؟ »

فهرز سالم رأسه أن نعم

فقال العم : « إنك معذور ... »

وكانت خديجة تسمع هذا الحوار وتتمجب ،  
ولا تفهم شيئاً ، فأشار إليها سالم أن تدنو وأن  
تجلس على السرير ، فترددت ، فألح ، فأطاعت ،  
فقال لها :

« هذا عمي . إنه كما ترين ، لا يخيف ... وهو  
يدعوني إلى الخروج من هنا ، والموء إلى البيت ،  
وأنا أصر على البقاء ، لأن حياتي هنا أملاً وأمتع ..  
إلا إذا قبلت أن تذهبي معي إلى البيت »

فقالت : « ما ذا تقول ؟ لست فاهمة »

فقال العم : « يا ستي هذا مريض مزيف ...  
تمارض من أجلك »

فنظرت إليهما كالمذهولة ، وتذكرت أن سلوك





للفصيحى لى رضى سالتى كرف

بستلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

دهشة شديدة : « ولكن أين نحن الآن ؟ وهل  
كان ما رأيناه حلاً ؟ »

ولس كل منهما الآخر ليستوثق هل هو فى  
حلم أو يقظة . وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما متسع  
قليل من الأرض خلفه المحيط أيضاً ، فسكيا لأول  
مرة بعد أن ألنى ديوانهما

ونظر كلاهما إلى الآخر فرآه لا يرتدى غير  
قميص النوم ، وقد علقت فى جيبه صفيحة عليها  
رقم . وقال أحدهما : « الآن موعد تناول القهوة ؟  
ولكن من لنا بها الآن ؟ » ثم عاد إلى البكاء وقال :  
« ما الذى نفعله يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا  
تقريراً فكيف نبعث به ؟ »

فأجابه الموظف الآخر : « سأخبرك بالذى  
يجب أن نفعله يا صاحب السعادة : أنا أذهب شرقاً  
وأنت تذهب غرباً ، ثم نعود إلى الاجتماع هنا ،  
وإذا اهتدى أحدهما إلى رأى تشاورنا فيه »

وهنا اختلفا فى تعرف الشرق والغرب وتذكر  
قول رئيس الديوان :

« إذا أردت أن تعرف الشرق فاجعل الشمال  
أمامك ، فالذى على يمينك عند ذلك هو الشرق » ،  
ولكنهما لما أرادا أن يعرفا أين هو الشمال اتجها  
نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما  
قضيا كل حياتهما فى دار المحفوظات ؛ فقد ذهب  
مجهودهما هذا عبثاً

كانا فى وقت ما يشغلان منصبين من مناصب  
الحكومة

وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك  
وعلى غرة منهما وجدا نفسيهما « يشحنان » إلى  
جزيرة غير مأهولة كأنما ينقلهما إليها بساط سايمان  
وكانا قد قضيا عمرهما فى ديوان حكوى نشأ  
فيه وتربيا وشابا ؛ وكانا قد ولذا به أيضاً . وهما  
من أجل ذلك لا يعرفان أى شىء لا يتصل بأعمالهما .  
وكل الذى يعرفانه ينحصر فى الصيغ الديوانية  
المألوفة التى تنتهى بهذه الجملة : « وتفضلوا بقبول  
احترامى »

لكن هذا الديوان ألنى وأقالتهما الحكومة  
فهاجرا ، بعد إذ أطلق سراحهما ، إلى شارع  
بوديشسكايا فى بطرسبورج . وكان لكل منهما فيه  
منزله وطاهيه ومماشه

ولما استيقظا من النوم فى الجزيرة التى  
« شحنا » إليها ، وجدا نفسيهما نائمين تحت لحاف  
واحد . ولم يفهما بالطبع فى البداية ماذا أصابهما ؛  
فأخذا يتكلمان كما لو كان الأمر بينهما يجرى على عادته  
قال أحدهما : « ما أغرب الحلم الذى رأيته ليلة  
الأمس يا صاحب السعادة ! لقد رأيت فى الحلم أنى  
نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »

لكنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى وثب  
من مكانه ووثب الموظف الآخر أيضاً ، وقال فى

سمك وسماني وأرانب وفاكهة وأن ليس في مقدورها الحصول على شيء منها

قال أحد الموظفين : لا أعرف كيف نعيش هنا ؟  
إننا حتى لو استطعنا الحصول على طائر فكيف نذبحه  
وننظفه ونطبخه ؟ كيف يحدث كل ذلك ؟

فأجابه الآخر : « إنني في الحق لا أفهم كيف يحدث كل ذلك »

ثم عادا إلى الصمت وحاولا أن يناما ، ولكن  
قبل أن تغمض عيونهما مرّ سرب من السماني  
فتخيلاه وهو مقلي على الأطباق . وقال أحد  
الموظفين : « لقد هممت من شدة الجوع أن آكل  
حذائي » فأجابه الآخر : « إنني سأمتص جوربي »  
ونظر كل منهما إلى الآخر نظرة شر كأن نفسه  
تحدثه بأن يأكل صاحبه ؛ ثم صرخ كل منهما صرخة  
جنونية كأنها عواء الذئب . وقال الموظف الذي  
اشتغل مرة بالتدريس : « أظننا لن ننتظر حتى  
يحاول أحدهما أن يأكل الآخر » فأجابه : « وكيف  
نفعل ؟ إننا بلا ريب سنلاقى الموت ؛ فما رأيك  
يا صاحب السعادة ؟ »

قال : « يجب أن تقطع الوقت بالمحادثة ، وإلا  
فان واحداً منا سيأكل الآخر لا محالة » فأجابه  
الموظف الآخر : « ولكن ماذا نقول ؟ إبتدى أنت ! »  
قال الموظف الذي كان مدرّساً : « قل لي لماذا  
تشرق الشمس أولاً ثم تغرب ؟ ولماذا لا يكون  
العكس ؟ » فأجابه الآخر : « هذا سؤال مضحك  
يا صاحب السعادة . إن الشمس تشرق لكي نستيقظ  
ويذهب كل منا إلى الديوان ، ثم تغرب لكي ننام »  
قال : « ولكن لماذا لا نفترض العكس فنذهب  
عند شروق الشمس إلى الفراش فننام ونحلم ، وعندما  
تغرب الشمس ... » فقاطعه الآخر قائلاً : « إن

( ٥ )

وقال أحدهما : « أرى يا صاحب السعادة أن  
يذهب أحدهما إلى اليسار والآخر إلى اليمين »

وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلاً عن عمله  
في دار المحفوظات بتدريس علم الخط وقتاً ما ، فهو  
لذلك أذكي قليلاً من صاحبه

وكان كما اقترح . أما الموظف الذي ذهب إلى  
اليمين فوجد أشجاراً تحمل كل أنواع الفاكهة ؛  
وكان بوده لو يستطيع تناول تفاحة ، ولكن الثمر  
كان شديد العلو فلا يستطيع الحصول عليه إلا إذا  
تسلق الشجر . وقد حاول أن يتسلق إحداها ،  
ولكن ذهبت محاولته سدى . وكل الذي نجح  
فيه أنه مزق قميص نومه

وألقى نظرة على الماء فرآه ممتلئاً بالسمك ، فتمنى  
لو أن كل ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع  
بود شسكاي . ولما مر هذا الخاطر بذهنه جرى  
لما به . ومشى في الغابة فرأى كل أنواع الطيور  
والأرانب والفرلان فقال :

« يارب ما أكثر رزقك وما أقل قدرتنا على  
الحصول عليه ! »

واشتدت عليه وطأة الجوع . وعاد إلى المكان  
الذي اتفق مع صاحبه على لقائه فيه فوجده في انتظاره  
قال : « ما ذا وجدت يا صاحب السعادة ؟ »  
فأجابه صاحبه : « لم أجد غير عدد قديم من جريدة  
الوقائع الرسمية » . فأخذ يتحدث عما وجده هو .  
وجلس الموظفان ، ثم حاول كل منهما أن ينام  
ولكن خلوا معدنيهما من الطعام سبب لهما أرقاً  
شديداً . وكان من أسباب الأرق أيضاً تفكيرهما  
في المعاش المرتب لكل منهما ، وفيمن يتقاضاه  
عنهما الآن فيتمتع به دونهما : وكان من أسباب  
الأرق فضلاً عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من



السعادة ؟ وأي صنف من الخدم نجده هنا ؟  
فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن  
يعد لنا الطعام وأن يصيد السمك ويطبخهما »  
قال : « هذا حسن ولكن كيف نجده ؟ »  
فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون في كل مكان .  
إننا نقوم فنبحث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد  
أن يكون هنا خادم على الأقل »

اطمان الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل  
منهما ليجث عن خادم . وطالت مدة بحثهما ،  
ولكنها لم تذهب سدى ، فقد وجدا في النهاية  
رجلاً أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد الماعز  
وهو نائم تحت شجرة ؛ فلكرهه صاحب السعادة  
وصاح : « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكاد  
نموت من الجوع . قم ! »

فنهض الخادم ونظر إلى الموظفين وكان أول  
ما هم به أن يفر ، ولكنهما أمسكا بتلابيبه فاستسلم  
المسكين للقدر المقدر عليه ، وصدع بالأمس وتساق  
شجرة تفاح فجمع للسيد الجديدين خير ما فيها .  
وقطف تفاحة توشك على الفساد ، فجعلها لنفسه .  
ثم نزل عن الشجرة ، فجمع مقداراً من البطاطس  
وأوقد النار بضرية حجرين في وسط هشيم وطبخ  
البطاطس ؛ وفي أثناء ذلك صاد أرنباً فأضافه إلى  
الطعام . وصاد كذلك زوجاً من السماني ؛ فأدرك  
الموظفان مقدار ما لقياء من السعادة بقرب هذا  
الخادم . ونسيا أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل .  
وقال كل منهما للآخر : « ما أسعد حياة الموظف ! »  
وقال لهما الخادم : « هل أنتم مسروران ؟ »

فقالا : « نعم ونحن نقدر خدماتك »

قال : « فهل تسمحان لي الآن بأن أستريح ؟ »  
فقالا : « نعم على شرط أن تأتي لنا بجبل أولاً » فذهب  
وجمع أليافاً طويلة ولم يزل يفتلها حتى صنع منها جبلاً

هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس  
يحمل الانسان على الاستعداد للذهاب ، كما أن غروبها  
يحمل الانسان على طلب المشاء »

وقد أفسدت كلمة المشاء المحادثة لأنها حاجت  
جنون الموظفين الجائعين ، فقال أحدهما : « إن أحد  
الاطباء قال لي إن الانسان يستطيع أن يعيش مدة ما بما في  
جسمه من سوائل . فقال الآخر : « لا أفهم ماذا تعنيه »  
قال : « هذا يعني أن في الجسم أنواعاً مختلفة  
من السوائل ، وأن بعضها يتحول إلى بعض حتى  
تصير إلى الخلاصة الغذائية » فقال الآخر : « وماذا  
يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الانسان في النهاية إلى طعام جديد  
ليتحول إلى الأنواع المختلفة من تلك السوائل » فقال :  
« إذن فالمبرة كلها بالطعام ! لعنة الله على الطعام ! »  
وأدرك الموظفان أن هذا النوع من الحديث  
لا يؤدي إلى الغرض الذي يقصدان إليه ، بل هو  
يزيد من شهوتهما فقررا أن يتركا الحديث ؛ فلما طال  
بهما الصمت تذكر أحدهما الوقائع الرسمية فتناولها  
ليقرأ فيها لصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى  
— وهي خبر وليمة رسمية — إلى ذكر أنواع الطعام ،  
فأخذ الآخر منه الجريدة ليقرأ خبراً آخر . وأخذ  
يقرأ ، ولكن الخبر — وهو استكشاف جديد — قد  
انتهى باقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام  
ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيها فقرة  
لا تتعلق بداتها بالطعام ، ولكنها انتهت إلى ذكره  
أيضاً . فأطرق كلا الرجلين وتشاءب تثاؤباً مؤلماً

ثم برقت عينا صاحب السعادة إذ خطر بباله  
خاطر سميد . ووقف فجأة ليعلم استكشافه وصاح :  
« ماذا تقول ؟ لقد عرفت السبيل إلى النجاة ، فإذا  
تقول إذا أتينا بخادم ؟ »

فصاح الآخر : « وكيف تأتي بخادم يا صاحب

المنزل المجاور للديوان الذي كانا به ولم يكن من المستطاع طبعاً أن يطلب هذان الموظفان إلى الخادم شيئاً فيتردد ضناً منه بلذتهما وسرورهما ، ففكر في الوسيلة المؤدية إلى عودتهما ، وصنع لهما من أشجار الغابة سفينة لم تكن كسائر السفن ، ولكنها مجرد أخشاب مربوطة بعضها إلى بعض ، وصنع لنفسه مجدافين ليتولى بمفرده تسيير السفينة

وأبدت الرحلة ؛ فكانا يلعبانه ويلعبانه بأقبح الألقاب كلما ظنا أن حياة اثنين من الموظفين ستعرض للخطر في سفينة هذا الخادم وكان يقول : « لا تخافا يا صاحبي السعادة فاني وسائر الخدم معتادون تسيير هذا النوع من السفن كلما أردنا الفرار من خدمة السادة

وكان البليدان لا يعملان شيئاً في السفينة ، فمض الخادم مع انفراده بالتجديف يهيء لها الطعام مما يصيده من السمك ويشويه حتى بلغت السفينة النهر وما كان أسمدها عندما انتقلت السفينة من بحر البلطيق إلى نهر النيفا . ودخلت السفينة قناة كترينا وهما لا يزالان بها ، ولم يخطر ببالهما أن يقطعا بقية المسافة مشياً على الأقدام . وفي النهاية وصلوا إلى العاصمة ، فاستمر الخادم يحدف حتى وصل إلى شارع بوديشسكايا

كانت سعادتهما سعادة بالغة عندما نزلا من السفينة فجلسا على أقرب مقهى من الشاطئ يشربان القهوة . وفي اليوم التالي لبسا الثوب الرسمي وذهبا لقبض المتجمد من المعاش . ولست أستطيع الإخبار عن مقدار هذا المعاش ولكنهما لم ينسبيا الخادم ، فقد أهديا إليه زجاجة من الويسكي وخمسة قروش صحيحة

تمتع يا خادم !  
عبر اللطيف النشار

طويلاً متيناً فسلمه اليهما واستأذن في السماح له بالراحة فقيدهما بالحبل وأذنا له بأن ينام في ظل الشجرة المجاورة وزاد حذق الخادم في تهيئة الطعام فزاد الموظفان بدانة وصحة . وقال أحدهما للآخر وهما يتناولان طعام الافطار : « ما رأيك يا صاحب السعادة ؟ هل تعتقد أن قصة برج بابل قصة رمزية أم قصة واقعية ؟ »

فقال : « إنها بلا شك قصة واقعية ؛ والدليل على ذلك كثرة ما في العالم من اللغات . وإلا فكيف تنشأ اللغات لولا تابليل الألسن ؟ »

قال الآخر : « وهل تعتقد أن قصة الطوفان صحيحة ؟ » فقال صاحب السعادة : « نعم بغير شك . ودليلها وجود أنواع كثيرة من الحيوان » وتناول عدد الوقائع الرسمية فأخذ يقرأ للمرة العاشرة من أوله إلى النهاية

لكن السأم دب إلى نفسيهما ، فقد كانا يذكران ثيابهما الرسمية ومعائنها وطاهيهما في بطرسبورج فتذرف عيونهما الدمع

وقال أحدهما : لا أعرف كيف شارع بوديشسكايا الآن يا صاحب السعادة » فقال : لا تذكرني به فقد كاد يقتلني الحنين إلى الوطن »

قال الآخر : « إن الحياة هنا لذيدة لا عيب فيها ، ولكن الحبل يتوق إلى ثدى أمه ، ونحن نتوق إلى رؤية بلدنا وإلى ارتداء ثيابنا الرسمية في يوم قبض المعاشات على الأقل

قال صاحب السعادة : « إن الملابس الرسمية حتى ولو كانت من الدرجة الرابعة تسر الإنسان وتنسيه متاعبه واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى لكي يعودا إلى شارع بوديشسكايا ، وقد كان من حسن الحظ أن هذا الخادم الذي يعرف كل شيء قد عرف هذا الشارع أيضاً ؛ وكان أيضاً خادماً في





# جزاء الاجتهاد

للكاتب الانجليزى ريتشارد جارت  
بقلم الاستاذ عبد الحميد حمدى

ولكن أباهما كان أكثر تنبهاً الى حديثهما .  
قال لهما يوماً :

— أخشى يا ولدى أن تكونا — فى دراستكما  
وتقديراتكما المختلفة — قد نظرتما الى قوانين بلادكما  
والأدركتما أن الانسان لا يصيب الثروة التى  
يصبو إليها بالوسائل التى صورتوها لنفسيكما

فسأل الفتيان أباهما :

— ما معنى ذلك يا أبانا ؟

فأجاب الشيخ :

— لقد قال آباؤنا بحق إن الاحترام الواجب  
علينا لعظماء الرجال الذين نمبدهم فى هياكلنا بما نحن  
مدينون لهم به من وسائل الحياة ، هذا الاحترام  
لا يمكن إلا أن يتأذى اذا حاول نسلهم أن يكسفوا  
شمس عظمهم وصيتهم بمخترعاتهم الجديدة ، أو اذا  
هم تجرأوا على أن يصلحوا ما يحسبونه غير صالح من  
أعمالهم . وعلى ذلك قد حرم على الناس بأمر من  
الامبراطور سوين أن يخترعوا شيئاً ، كما حرم عليهم  
بأمر من الامبراطور ووشى أن يحسنوا شيئاً من  
الاختراعات التى وجدت حتى الآن . ولقد فصل  
سافى ، فى المركز المتواضع الذى أشغله ، من عمله ،  
لقوله أنه يرى من الأصلح أن تكون العملة مستديرة

فى الصين ، وفى حكم أسرة تانج<sup>(١)</sup> ، فى مستهل  
القرن السابع المسيحى ، عاش حاكم صينى عالم  
ولكنه فقير . وكان للرجل ثلاثة أبناء : فورسى  
وتورسن ووانج — لى ، وكان الأولان شايعين نشيطى  
العقل ، يجهدان نفسيهما دائماً فى البحث عن شىء  
جديد مفيد . وكان وanj — لى ماهراً ولكن فى  
الألعاب التى تتطلب الذكاء ، وقد تفوق فى هذه  
الألعاب إلى مدى بعيد

وكان فورسى وتورسن دائماً يتحدث أحدهما  
الى الآخر فى الاختراعات العجيبة التى سيخترعانها  
حتى بلغا سن الرشد ، وفى الثروة والصيت البعيد  
اللذين سينعمان بهما إذ ذاك . ولم يكدهما حديثهما  
يصل الى أذنى وanj — لى الذى لا يرفع عينيه إلا  
نادراً عن رقعة الشطرنج التى يحل عليها مسائله

(\*) ولد ريتشارد جارت سنة ١٨٣٥ وتوفى سنة  
١٩٠٦ وشغل وظيفة أمين الكتب المخطوطة بالمتحف  
البريطانى من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩٩ واشتغل فى  
ساعات فراغه بوضع كتابه « غسق الآلهة » الذى نقلت عنه  
هذه القصة

(١) أسست أسرة تانج العظيمة سنة ٦١٨ ومؤسسها  
هو لى بوون الذى اتخذ لنفسه اسم كاو — تاو ، وفى عهد  
هذه الأسرة انتشر نفوذ الصين وشهدت فترة نجاح استمرت  
أكثر من ثمانمائة عام

فكان الجواب على سؤاله :

— إن الملك العظيم قد مات ، وقد فصل رأسه  
عن جسمه فصلاً تاماً ، ولم يبق في فارس ملك  
لا عظيم ولا صغير  
فسأل الفتى :

— وأين أستطيع أن أجد ملكاً عظيماً آخر ؟  
فأجابوه :

— في مدينة الاسكندرية حيث أمير المؤمنين  
مجد في نشر دينه  
فقصده فورس إلى الاسكندرية حاملاً قوالبه  
وحروفه

ولم يكدهم بجواز أبواب المدينة حتى رأى سحابة  
هائلة من الدخان تكاد تحجب المدينة كلها عن  
الأنظار . وقبل أن يتمكن من السؤال عن سبب  
هذا الدخان أقبل عليه الحرس فقادوه إلى حضرة  
الخليفة عمر (١)

(١) لعل الكاتب قد اختلط عليه الأمر من تشابه اسم  
عمر باسم عمرو ، فالخليفة عمر بن الخطاب لم يحضر إلى مصر  
والذي فتحها هو القائد عمرو بن العاص ، وقد نسب المؤلف  
بعد ذلك إلى عمر الأمر بحرق مكتبة الاسكندرية معتقداً  
في ذلك على رواية مكذوبة فندها المؤرخون المدققون ومن  
بينهم بعض المستشرقين

على أنه مما يؤسف له أن بعض كتب التاريخ التي تدرس  
الآن في المدارس الثانوية تسجل على عمرو بن العاص هذه  
الرواية الكاذبة دون إشارة إلى كذبها ، وهذه الكتب  
قد اشترك في تأليفها بعض كبار الأساتذة المصريين ، فإذا  
جاز لنا أن نتلص العذر لمؤلف هذه القصة التي قد يكون  
الخيال والفن القصصى للوصول إلى المغزى الذي يقصد إليه  
هما اللذان حملاه على الأخذ بهذه الرواية المكذوبة ، كما حملاه  
على اختراع العبارات التي نسبها بعد ذلك إلى عمر ، فأى عذر  
تتلمسه للأستاذ المصرى الذى ثبت مثل هذه الرواية المكذوبة  
ضارباً صفحاً عن الروايات الصادقة التي أثبتتها المحققون من  
المؤرخين وفندوا بها هذه الفرية التي دسست على تاريخ عمر  
ابن الخطاب وقائده عمرو بن العاص ؟

بدل أن تكون مربعة ، كما هي الآن ، وأنا شخصياً  
قد تعرضت لفقد حياتى لمحاولة الجمع بين مبرد  
صغير وزوج من ملاقط الشعر ، فقال الفتيان :  
— إذا كان هذا هو الشأن فليس وطننا بالبلد  
الذى يصلح لأن نعيش فيه

وعانى الولدان أباهما وتركوا البيت غير مودعين  
أخاهما وانجلى إذ كان منهما في حل مسألة من  
مسائل الشطرنج . وقبل أن يفارق أحدهما الآخر  
اتفقا على أن يعودا إلى الاجتماع في هذه النقطة  
نفسها بعد ثلاثين سنة مزودين بالثروة التي لم يكونا  
ليشكا في أنهما سيحصلانها باستغلال مواهبهما  
الاختراعية في البلاد الأجنبية . وتماهدا فوق ذلك  
أنه إذا خان الحظ أحدهما فلم يحصل على جزاء مجهوده  
فإن الآخر يشاظره ثروته

وقصد فورس إلى مهرة الصنائع الذين يقطعون  
أحرف الكتابة من الخشب الصلب ، لاستعمالها  
في طباعة الكتب ، حتى إذا وقف على أسرار  
صنائعهم قصد إلى صانع السبائك النحاسية فدرس  
عنده طريق صناعة أمهات الحروف من النحاس ؛  
فلما انتهى من ذلك أيضاً قصد إلى عالم ممن أكثروا  
السياحة في أرجاء الدنيا المختلفة فتلقى عليه اللغات  
اليونانية والفارسية والعربية . ثم صب عدداً من  
الحروف اليونانية في قوالب من النحاس ، ووضعها  
في كيس مزوداً نفسه في الوقت نفسه بعدد من  
الحروف الخشبية التي قطعها بنفسه ، وسافر باحثاً  
عن الثروة . وبعد أن عانى الكثير من المتاعب  
وتعرض للكثير من الأخطار . وصل إلى بلاد  
فارس ، وسأل أهلها عن الملك العظيم



فقال فورسي :

— ليعلم الخليفة أن مواطني الصينيين قد جمعوا بين النقيضين ؛ فهم في وقت واحد أعقل أهل الأرض وأغباهم . فقد اخترعوا فن نشر العلم والمعرفة ، وهو الفن الذي لم يوفق قط الى معرفته عقلاء الهند واليونان ، ولكنهم لم يتعلموا بل وانهم ليأبون أن يتعلموا كيف يخطون الخطوة الواحدة الصغيرة الضرورية بعد ذلك لجعل هذا الاختراع صالحاً من الوجهة العامة لجميع أبناء العالم ثم قدم الفتى للخليفة ما يحمل من قوالب وحروف كاشفاً له عن سر كل في فن الطباعة

فقال عمر :

— يلوح لي أنك لا تعلم أننا بالأمس قد أمرنا بحرق جميع الكتب وإخفائها من فوق الأرض ، لأن ما تحويه لم يكن يخرج عن أحد أمرين : فهو إما يخالف لما جاء في القرآن فيكون في هذه الحال كفراً ، وإما أن يكون متفقاً مع ما جاء فيه فيكون في هذه الحال زائداً على الحاجة وليس ثمة ما يدعو لبقائه . . . ويلوح لي فوق ذلك أنك غير عالم بأن الدخان الذي يخيم على المدينة إنما مصدره مكتبة الكفار التي أحرقت بأمرنا .

وعاد الرجل الى الصين في بطاء متحملاً مختلف صنوف الآلام مستجدياً قوته على طول الطريق . ووصل الى المكان الذي اتفق هو وأخوه على الاجتماع فيه ، في اليوم الأخير من السنة الثلاثين من مغادرته إياها . فلم يجد أثراً لبيت أبيه المتواضع ، ولكنه وجد مكانه قصرأ شاهقاً ، تحيط به الحدائق والمرائش وتكتنفه أشجار الصفصاف وقنوات الماء

تقطعها الجسور وتحوم حولها الطيور البديعة الألوان

فقال الرجل يحدث نفسه :

— ليس من شك في أن تورسن قد أصاب غنيمته ولن يأبى أن يشاطرنيها على مقتضى اتفاقنا وما كاد ينتهي من هذه الكلمات التي خاطب بها نفسه حتى سمع من ورائه صوت انسان ؛ فلما التفت رأى رجلاً أسوأ منه حالاً يسأله الاحسان ، ولم يك هذا الرجل غير تورسن

فتعانق الاخوان وقد أنهمرت دموعهما ، وبعد أن سمع تورسن حكاية ما أصاب فورسي أخذ يروي قصته قال :

— لقد قصدت الى هؤلاء الذين يعرفون سر المسحوق الذي اصطلح على تسميته تراب النار ، الذي لم يتمكن سوين من منعنا من اختراعه ، وان كان ووشي قد اهتم بمنع استعماله الا في الألعاب النارية . . . وبعد أن وقفت على سر هذا المسحوق وضعت كمية معينة منه في أنابيب مجوفة صنعتها من الحديد والنحاس ، ووضعت فوقها كوراً من الرصاص تتفق أحجامها مع تجاويف الأنابيب ، ثم وجدت أنني بايصال اللهب الى تراب النار من أحد طرفي الأنبوبة أستطيع أن أدفع الكرة الرصاص من الطرف الآخر بقوة تمكنها من اختراق ثلاثة من دروع المحاربين في وقت واحد ؛ فلأت برمياً من هذا المسحوق وخبائنه هو والأنابيب طي سجاجيد حملتها على ظهور الثيران ، ثم رحلت قاصداً مدينة القسطنطينية ، ولست أروي لك الآن حكاية المتاعب التي اعترضتني في هذه الرحلة ، ويكفي أن تعلم أنني وصلت آخر الأمر نصف ميت

وجه ذلك الرجل الصيني لم يكن سوى وجه أخينا  
واحد لي

« ولو أنني كنت في ظرف غير الذي كنت  
فيه لأجهدت نفسي في الوقوف على معنى ذلك الذي  
شهدت ، ولكن لفقدت كانت شديدة وكذلك  
كانت حاجتي وجوعي . فبحثت عن صناع الأسلحة  
البرزين ، واستطعت بمشقة كبيرة أن أجمعهم كلهم  
في مجلس واحد . وقدمت اليهم الأنايب و تراب النار  
وانفذت رصاصتي بسهولة من أحسن درع استطاعوا  
أن يقدموه »

فصاح صانع دروع الصدر : « من ذا الذي  
يحتاج الآن الى دروع الصدر ؟ »

وقال صانع خوذ الرأس : « أو الخوذ ؟ »  
وقال كبير صناع التروس : « أنا لم أكن  
لأأخذ خمسين بيزنة ثمناً لهذا الجنب ، فما فائدته الآن ؟  
وقال صانع السيوف : « وستقل قيمة سيوفي »  
وقال صانع السهام في لهجة حزينة : « وسيفاي  
ستصبح عديمة القيمة »

وصاح أحدهم : « إن هذا لا عمل دنيء »  
وصاح آخر : « بل انه لسحر ساحر »  
وصاح ثالث في صوت قاصف : « إني أنا  
التاجر الشريف الملم بمهنتي أقول ان ما ترونه ليس  
إلا وهما - ولكي يبرهن على صدق رأيه أتق بمحددة  
متأججة في برميل ، فطار الجميع جملة مع سقف  
المنزل في الهواء ، وهلكوا جميعاً ، ولم ينج سوى  
وقد فقدت شعري وجلدي . وشبت في الحال  
حريقاً كالت ثلاث مدينة القسطنطينية

« ووجدتني بعد أيام راقداً على فراش السجن

من التعب والمشاق مجرداً من كل شيء إلا بضاعتى ،  
واستطعت بتقديم مامى من السجاجيد رشوة  
لأحد الضباط أن أحصل على الاذن بالدخول على  
الأمبراطور<sup>(١)</sup> والتحدث ، اليه وقد وجدته منهمكا  
في لعب الشطرنج يكدح رأسه في حل إحدى مسائله  
« وقد أخبرته أنني كشفت سراً يمكنه من أن  
يصبح سيد العالم ويساعده بنوع أخص على طرد  
المسلمين الذين يهددون إمبراطوريته بالخراب

فقال لي : « يجب أن تلاحظ أنه ليس من  
المحتمل أن أستطيع الاصفاء اليك قبل أن أنتهي من  
حل هذه المسألة ، ومع ذلك فلكيلا يقول انسان  
إن الأمبراطور يهمل واجباته منهمكا في تسلية  
سخيفة ، فأنى سأحيل اختراعك على صناع  
الأسلحة البرزين في عاصمتي ، ثم أعطاني كتاباً الى  
الصناع وعاد الى اللب ، وعند ما تركت القصر  
حاملًا رسالة الأمبراطور صادفت في الطريق موكباً  
عظيماً . فالفرسان والمشاة الراكضون ، والمازفون  
على الموسيقى ، والمنادون ، وحاملو الأعلام - كل  
هؤلاء يحيطون برجل صيني يجلس في سمت  
تحت مظلة ذهبية فوق فيل مسرج بسرج نفيس ،  
وكانت جديله مضفرة بالورود الصفراء ، وكان  
الموسيقيون يمزفون ويدقون الطبول ، وحملة الأعلام  
يلوحون بأعلامهم في الجو ، بينما المنادون يصيحون :  
هكذا يحتفل بالرجل الذي يقتبط الأمبراطور  
بشكره - وان لم أكن مخطئاً خطأ كبيراً فان

(١) الأمبراطور كونستانس الثاني الذي حكم من سنة  
٦٤١ إلى سنة ٦٦٧ وقد حارب ضد العرب المسلمين الذين  
استولوا من أملاكه على الشام وقبرص ورودوس وأفريقيا



لغير التسلية المجردة من كل غاية ، ولم أفكر قط في استخدامها لجمع الثروة إلى أن سمعت يوماً عن طريق المصادفة أن الشعوب الغربية تجهل هذه اللعبة جهلاً تاماً ، وحتى إلى هذه اللحظة لم أفكر في كسب المال عن طريق الشطرنج ، ولكنني شعرت بشفقة شديدة على هؤلاء البرابرة المتأخرين حتى لقد أحسست أنني إن أتذوق شيئاً من الراحة قبل أن أنير عقولهم ، وتحقيقاً لهذه الرغبة الملحة قصدت إلى مدينة القسطنطينية فاستقبلت هناك كرسول من السماء ، وقد بلغ من تأثيري في القوم أنه لم يمض غير قليل حتى أصبح الإمبراطور ورجال دولته لا يفكرون في شيء غير لعب الشطرنج ليل نهار ، وحتى شملت الفوضى شئون الإمبراطورية واستطاع المسلمون أن يهاجموها في قوة وعنف . وتقديراً لخدماتي للإمبراطور رأى أن يكافئني بمظاهر التكريم التي رأيت أنت يا أخي نموذجاً منها عند باب القصر

« وهكذا بعد أن وقع الحريق الذي تسببت أنت فيه وإن لم يكن عن عمد ، تحدث الناس بأن الإمبراطور كان يعمل على تخريب عاصمته بالتآمر مع ساحر أجنبي ، يقصدونك بذلك . وبعد فترة قصيرة تآمر كبار الضباط ودخلوا مخادع الإمبراطور بفكرة خلعه عن العرش ، ولكنه أعلن أنه لن يتنازل بحال من الأحوال قبل أن ينتهي من دست الشطرنج الذي كان يلعبه معي في تلك اللحظة ، فوقف الضباط ينظرون إلينا ، ولم يلبثوا أن اهتموا بالمعابنة ، وبدأ النزاع بينهم على أينا سيفوز ؛ وبينما هم في خصامهم أقبل الضباط المخلصون وقبضوا

وقد شفيت من بعض جروحي ، مصغياً في حزن إلى مشادة بين اثنين من حراسي حول ما يجب أن أعامل به : هل أحرق أو أدفن حياً ؟ وبينما المشادة قائمة وصل إلى السجن أمر من الإمبراطور بإطلاق سراحي ، فقرأه الحرس ممتضين شاعرين بشيء من الضمة ، وكان نص عبارته : أقذفوه خارج المدينة . وقد عجبوا من أين ذلك الحكم ومع ذلك أنفذوه بحماسة شديدة حتى وجدتني قد طرت في الهواء وسقطت وسط البوسفور ، حيث التقطني مركب صيد وأُزيلت على الشاطئ الأسوي ؛ ومن هناك قفلت راجعاً إلى بلادى استجدى القوت على طول الطريق

والذي أراء الآن هو أن نستعطف رب هذا البيت العظيم ونستثير شفقتة ، فقد يرأف بنا عندما يعلم أننا كنا نعيش فيما مضى في البيت الصغير الذي أدخل الطريق لإنشاء قصره العامر»

واجتاز الرجال باب الحديقة ومشيا على استحياء متجهين إلى القصر ، متأهبين للوقوع على قدمي سيده ، ولكنهما لم يفعلوا ، لأنهما قبل أن يحاولا الركوع عرفا في ذلك السيد أخاهما وأنجلى ولم يستطع وأنجلى أن يعرف أخويه لأول وهلة ولكنه لما عرفهما آخر الأمر أسرع فقدم إليهما كل ما يحتاجان إليه ، حتى إذا سد حاجتهما من الطعام والشراب وارتديا فاخر الملابس قصا على أخيهما قصتهما ، وسألاه أن يقص عليهما قصته فقال : « أخوى ... إنني بأنهما كن في لعبة الشطرنج النبيلة التي اخترعت لحسن الحظ قبل عصر الإمبراطور سوين بزمان طويل ، لم أكن أقصد

« وأخيراً غادرت القسطنطينية عائداً إلى بلادى  
مزوداً بالثروة الطائلة في ركب مريح أقطع الطريق  
مراحل على ظهور الأبل السريمة . فلما وصات إلى  
هنا ابتمت بيت أبي الصغير وأنشأت في مكانه هذا  
القصر العظيم حيث أعيش مفكراً في حل مسائل  
الشطرنج وفي أقوال المقلد مقتنماً بأن الشيء  
الصغير الذي تعرفه الدنيا وتميل إلى الأخذ به خير  
من الشيء العظيم الذي لم يعرفه الناس بعد ، فهم  
لا يستطيعون تقدير قيمته . فالعالم ليس إلا طفلاً  
كبيراً يفضل أسباب التسلية على وسائل الثقافة والتعليم  
فسأله أخواه في دهشة وفي صوت واحد :  
— أوتسمى الشطرنج مسلاة ومهامة ؟  
عبد الحميد محمدى

عليهم . وقد ضاعف هذا الحادث مكانتى احتراماً  
لدى الامبراطور ، ثم لم تلبث هذه المسكنة أن  
تضاعفت مرة أخرى بعد ذلك الحادث بقليل عند  
ما لعبت مع أمير البحر المسلم الذى كان محاصراً  
المرفأ فربحت منه أربعين سفينة محملة غللاً بدلت  
من قحط المدينة رخاء ويسراً

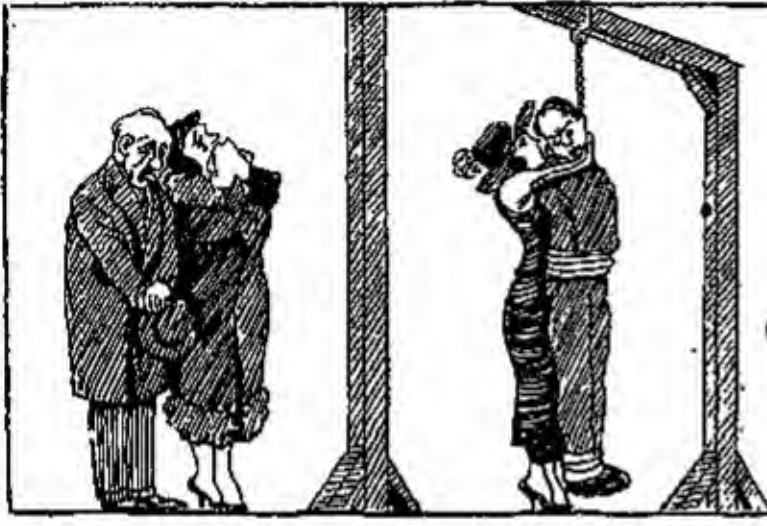
« وسألتنى الامبراطور أن آتمنى عليه ما شئت  
فقلت ان كرمه لم يبق لى ما أطلبه غير حياة مواطن  
مسكين علمت أنه مسجون بتهمة محاولة حرق المدينة .  
فأمرنى الامبراطور أن أكتب أمر العقو عنه  
بيدى . وثق يا تورسن اننى لو عرفت أن ذلك  
السجين هو أنت لأظهرت من الاهتمام بشخصك  
ما يرضيك

شركة بيع المصنوعات المصرية  
تعمل على إحياء الصناعة المصرية وترويجها  
معرض دائم لكافة منتجات البلاد  
تعرض

المنسوجات الصيفية

من جميع الأنواع : قطن . حرير . كتان  
بضاعة جديدة لهذا الموسم ، صنع شركات بنك مصر  
التي أجمع الكل على متانتها وتفوقها  
شاهدوا مبتكرات الصناعة الحديثة قبل شراء حاجياتكم





# الذراع الذابذة

للشاعر الإنجليزي توماس هاردي  
بتم نظمى خليل

— إمض بنى وخبرنى إذا كانت سمراء  
أو بيضاء ، طويلة مثلى أو قصيرة ، وإذا كانت  
تظهر ربة بيت أو فتاة ناعمة الأظافر لم تعتمد بعد  
حياة المنزل

فانطلق الابن إلى السوق ، ولم يكد يبعد عن  
منزله حتى رأى والده يسير وبجانبه فتاة تصغره  
بسنوات . كان وجهها صافياً صبوحة كأنه نور  
منبعث بين نخائل الورد . فسدد الولد إليها بصره  
بالرغم مما كان ينوء به ظهره ؛ وكانت الشمس قد  
غمرت وجه تلك الفتاة فبرزت ملامحه قوية جذابة  
فاغتازت الزوجة الشابة « جرترود » من ذلك  
الصبي الذى يحدجها بنظراته القوية الطويلة فقالت  
لزوجها :

— أنظر إلى ذلك الصبي الفقير كيف يحدجنى  
بالنظر !

— أجل ، قد يكون أحد سكان تلك القرية  
— أظنه يعرفنا

— أجل ، يجب أن تتوقى مثل هذه النظرات  
فى مثل هذا الموقف الجديد

والآن — هيا ، لم يبق على منزلنا إلا ميل واحد  
علنا نبلغه قبل أن يهجم الليل

أما الولد فلم يكد يصل إلى المنزل حتى ابتدرته  
أمه قائلة :

غص الطريق بطوائف القرويات وهن راجعات  
إلى منازلهن الريفية الصغيرة يتجاذبن شتى  
الأحاديث مما يتصل بحياتهن الزوجية ، حتى إذا  
مادنون من نهاية الطريق همست إحداهن بصوت  
خافض كأنه خارج من جوف بقرتها :

— « ألا خبرانى ، أيقترن السيد « لوج »  
بزوجه الجديدة غداً ؟

— لقد بلغنى هذا

— ألم تريها ؟ إنهم يقولون إنها فتاة ضئيلة  
الجسم موردة الخدين — قالت هذا ثم التفتت إلى  
بقرتها وهي تضرب بذيلها فيكاد يصفح وجهها  
— فأجابتها إحدى صاحباتها : « إنها تصغره  
بسنوات . أتعرفين كم يبلغ من العمر الآن ؟

— حوالى الثلاثين

ثم تفرقن إلى منازلهن ، وفى الصباح التالى  
فادت « رودا » زوج السيد « لوج » القديمة  
ابنها وقالت له : « لقد بلغنى أن والدك سيتزوج  
من زوجته الشابة اليوم — إني أريدك الآن أن  
تذهب إلى السوق حيث يمكنك أن تراها . فقال  
لها الابن : أعازم أبى على الزواج إذن ؟

فأجابته أمه : نعم . . . يمكنك أن تراها وأن

تحدثنى عن بعض قسبات وجهها  
— أجل يا أمى

لأن جميع الأعين كانت ترمقها  
ولم يكد الصبي يستقر في منزله حتى يادرته  
أمه قائلة :

« إله ! حسن »

فأجابها ابنها إنها ليست طويلة بل قصيرة  
فتنهدت أمه فقد شعرت بشيء من الارتياح  
ثم استأنف الولد كلامه فقال : ولكنها جميلة  
جدا ، جدا يا أمي ، بل هي فائنة . والواقع أن جمال  
هذه الفتاة قد ملك زمام قلب ذلك الصبي الناشئ .  
فأجابته أمه : كفى . كفى . هذا كل ما أريد أن  
أسمعه . هيا إلى المسائدة . مد عليها الخوان . إن  
الأرنب الذي اصطدته طري شهى ، ولكن احذر  
أن يصطادك أحد

— طبعاً ، وما لون شعرها ووجهها ؟

— اذن عیناها لیستا سودا وین کمینی

— وهل هي طويلة؟

— لم أر طولها ، لقد كانت جالسة

— إذا عليك أن تذهب إلى الكنيسة غداً  
فستجدها هناك . اذهب وراقبها في مشيتها  
وأخبرني إذا كانت أطول مني

— حسن یا أماء ، ولكن لماذا لا تذهبین  
أنت وترينها بنفسک ؟

— بنفسى ! إني لن أسمح لنفسى أن أنظر إليها  
ولو كانت تسير تحت هذه النافذة . لقد كانت مع  
السيد لوج ظبعاً فإذا قال أو فعل ؟

— لم يأت شيئاً جديداً

وفي اليوم التالي ألبست الأم ابنها ثوباً نظيفاً  
وأرسلته إلى الكنيسة ؛ فكان أول من وصل  
إليها وجلس في أحد المقاعد الأمامية ، وأخذ يراقب  
جموع الوافدين ، وأخيراً جاء لوج ومعه زوجته  
الشابة وهي تتمتع في مشيتها حياءً وخجلاً كما تفعل  
كل فتاة في سنّها تظهر في المجتمع لأول مرة ،  
ولكنها لم تنبه إلى نظرات ذلك الصبي هذه المرة

ولكنك لم تخبرني ما نوع بدنها

— لم أرهما فقد كانت لابسة قفازها

— ماذا كانت تلبس هذا الصباح ؟

— لقد رأيتها في ثوب أبيض ههنا تعبت  
به نسبات الريح كلما هبت فتمسكه بيديها مخافة أن  
يتطاير عن بدنها . أما والدي فقد كانت تملو وجهه  
ابتسامة الرضى ويتبخر في سيره كأنه أخذ النبلاء  
ثم توالى زيارات الصبي لهذين الزوجين كلما  
شمرت أمه بالحاجة إلى أوصاف جديدة لهذه الزوجة  
الشابة ، ثم أخذت تكون من هذه الأوصاف صورة  
ذهنية لتلك الفتاة التي لم ترها بعينها

خلت الأم ذات مساء إلى نفسها ، وقد أوى  
ابنها إلى فراشه وبقيت هي وحيدة تنقلب في  
فراشها تطالب النوم فيتأني عليها ، ثم أخذت  
تستجمع في مخيلتها هذه الأوصاف التي سمعتها من  
ابنها حتى غابت في نومها فلاح لها شبح تلك الفتاة  
بحوم أمام عينيها وقد ارتدت ثوبها الأبيض المصفوف



ثم أخذت تتردد على المنزل من يوم إلى آخر حتى أنست كل واحدة إلى صاحبها . وفي ذات يوم جاءت « جرتود » وقد امتقع لونها واستولى عليها الهزال والسأم ، فسألها « رودا » عن عاتها ، فأجابها : « إني أشكو مرضاً حيرني وأعياني وإن لم يكن ذا خطر ، ثم كشفت عن ذراعها اليسرى فنظرت إليها « رودا » وسرعان ما تذكرت تلك الذراع التي أمسكت بها في حلمها ، ثم توهمت أنها ترى فيها آثار قبضتها وما تركته أصابعها الأربعة عليها فسألها : كيف حدث هذا ؟ فأجابها « جرتود » وهي تهز رأسها : « لأدري ؟ ولكن حدث أن كنت نائمة فرأيت في حلمي أني انتقلت إلى مكان غريب ورجاء شعرت بألم ينتاب ذراعي فاستيقظت وأخبرت زوجي بالأمر فهو نه على وقال إنه سيزول عما قليل » — منذ كم حدث هذا ؟

— منذ أسبوعين في الساعة الثانية

لقد كانت هي الليلة والساعة التي رأت فيها « رودا » ذلك الشبح ، فشمرت أنها آثمة مجرمة . وسرعان ما هجمت عليها تلك الأفكار القديمة ولاح أمامها شبح ذلك الحلم كما لو كان قد حدث بالأمس ؛ ثم قالت في نفسها بعد أن ودعت صاحبها : « أوه ! أيمكن أن يكون هذا ؟ أيمكن أن أتسلط على غيري وأسبب لهم أضراراً على غير إرادتي ؟ ثم مضت تفكر في شتى الحلول

تتابعت الأيام وذراع « جرتود » تزداد ذبولاً وجفافاً وشكوك الاثم تزداد يقيناً حتى لقيتها أخيراً وقالت لها : « أرجو أن تكون ذراعك قد صحت تماماً » فأجابها « جرتود » : « لا ، إنها تزداد سوءاً على سوء ، فقد اشتد بي المرض حتى لأقوى الآن على احتمالي »

— مصدر بك أن تذهبي إلى طبيب.

ولكن وجهها كان قد عبثت به التجاعيد فبدت كأنها عجوز ، ثم شمعت أنها قد جنمت فوق صدرها كأنها كابوس ثقيل ، ثم أخذ ذلك الحمل يزداد شيئاً فشيئاً حتى كاد يكظم أنفاسها فهبت من نومها واستجمعت قواها ودفعت ذلك الشبح عن نفسها وهي تصيح : « يا إله السماء ... » ثم جلست على حافة سريرها والعرق البارد يتساقط من جبينها : لم يكن هذا حلماً بل كانت هي بعينها ، لقد لمست ذراع غريمها وهي تدفعها عن نفسها . لمست الذراع بلحمها وعظمها — كما توهمت ذلك — ثم نظرت إلى الباب فلم تر شيئاً

لم تذق النوم في تلك الليلة ، فلما جاء الصباح كان وجهها شاحباً كوجوه الموتى ، وكانت جسمها يهتز كأنه القصب المروض ، فلم تقوَ على حلب اللبن إذ كان ينصب بعبداً عن الحلب ؛ فقد كانت لا تزال تشمر أنها ممسكة بذراع غريمها . فلما رأى ابنها ذلك قال : « ماذا حدث لك يا أماء الليلة الماضية ؟ لقد سقطت عن سريرك لا شك »

— هل سمعت وقع جسمي ؟ ومتى ؟

— حوالى الساعة الثانية

ثم سمعت الأم وأخذت تتناول طعامها في تراخ وكسل ؛ ولم يبرح الابن المنزل ذلك اليوم بل بقى فيه يماون أمه في عملها . وفي الساعة الحادية عشرة جاءت امرأة لم تكذب تنظر إليها حتى تذكرت ذلك الشبح الذي ظهر لها في حلمها الليلة الماضية ، ولكنها لم ترف في وجهها تلك التجاعيد والخشونة التي رأتها في حلمها ؛ فقد كان صوتها حلواً رقيقاً ، وإشاراتها لطيفة بالغة ، وابتساماتها لذينة وديمة ، حتى لم تمد تصدق حواسها . لقد جاءت « جرتود » الزوجة الشابة تزور صاحبها حاملة إلى الصبي حذاءً جيداً وبعض اللعب

على هذه الفتاة المسكينة بسوء نيتها إذ لم تكن تبني أن تسبب لها أذى جسمياً ، ثم أخذت تفكر فيما تظنه تلك الزوجة لو علمت بأمر ذلك الحلم ، ثم رأت أنها إذا كتبت عنها ذلك الأمر كان هذا خيانة أخرى منها

أخذت تفكر في هذا طول الليل حتى إذا ما جاء الصباح خرجت لترى زميلاتها وقد شعرت بحاجة قوية إلى هذا اللقاء ، فلم تكذب تدنو من المنزل حتى خرجت إليها « جرتروود » وحيثما تحية الصباح فقالت « رودا » : « أود أن تكون ذراعيك ... »

— لقد قيل لي إنه ليس هناك إلا طريق واحد أعرف به علة هذا المرض ، وقد أعرف الدواء أيضاً ، وهي أن أذهب إلى ساحر يقيم في الأقاليم المجاورة لنا ، ولكننا لا نعرف إن كان حياً أو ميتاً ، ولا أذكر الآن اسمه ، ولكنني سمعت أنك تعرفين عنه الكثير . إنني أحاول أن أتذكر اسمه . فقالت صاحبته وقد امتنع لونها : « أليس باسم الساحر « ترندل » — آه نعم هو بعينه . أهو حي ؟

— أظن هذا

— ولكن لماذا يدعونه ساحراً ؟

— لأن له السلطان على من حوله من الناس

— ما أسخف عقول هؤلاء الناس الذين

يعتقدون في مثل هذه الخرافات . لقد ظننت أنهم

يعنون عالماً طبيعياً . سوف لا أفكر في مثل هذا

الرجل ثانية

فشعرت « رودا » بشيء من السكينة والطمأنينة

فقد كانت تخشى أن يفضح ذلك الرجل أمرها عند

صاحبته فتتأمل إليها كأنها شيطانة في صورة إنسان ،

كانت السبب في تشويه جمالها والقضاء على سعادتها

لم يمض على هذا يومان حتى جاءت « جرتروود »

— لقد صحبتني زوجي إلى أحد الأطباء ولكن

الطبيب لم يستطع أن يعرف علة مرضي بل نصحتني

أن أضع ذراعي في ماء ساخن ، فعممت كما أمرني

ولكن هذا لم يفدني شيئاً

— أتسمعين أن أراه ؟ فكشفت عن ذراعيها

وأشارت إلى موضع الألم وكان هذا فوق المعصم . فلما

رأت « رودا » ذلك لم تستطع أن تحبس عواطفها .

لم يكن هناك أثر للجرح بل كان هناك آثار الأصابع

الأربعة ، الأول تجاه المعصم والرابع تجاه المرفق

— يلوح لي أن هذا من قبضة يد ، فاني أرى

آثار أصابع هنا ، فأجابتها « جرتروود » في ابتسامة

ضيقة ضعيفة : « إن زوجي يقول إن أحد الشياطين

هو الذي فعل هذا » فانتفضت « رودا » انتفاضة

عنيفة وقالت : « إن هذا وهم ، ولو كنت مكانك

لما صدقت » فأجابتها « جرتروود » في شيء من

التردد : « اني لا أهتم كثيراً بهذا لو لم يكن لي ما ينفر

زوجي مني أو يصف من حبه لي . إن الرجال يقيمون

وزناً كبيراً للعظماء الخارجيين »

— أجل ولكن زوجك لا يحب سواك

— نعم كان هذا في أول الأمر إذ كان غموراً

بي ؛ أما الآن ...

— يمكنك أن تستريه عن نظره

— آه ! ولكنه يعرف مكان التشويه — قالت

هذا وهي تحاول حبس الدموع التي ملأت عينها

— أدعوك بالشفاء من هذه العلة قريباً

ثم انصرفت « جرتروود » وخلت « رودا »

إلى نفسها وقد انشأت الأفكار على خاطرها حتى

أصبح عقلها هدفاً لتلك الوسوس التي جرها عليها

ذلك الحلم البغيض ، وقوى عندها ذلك الشعور بالآثم

حتى أخذت تؤنب نفسها على ما ظنت أنها جلبته



الى منزل صاحبها وقالت لها إن ذراعى ترداد سوءاً وأصبح الأمر جد خطير ، حتى فكرت ثانية فى ذلك الرجل الذى حدثونى عنه وإن كنت لا أعتقد فى أمثال هذا الرجل إلا أنى أشعر برغبة فى زيارته الآن . أيعمد عنا كثيراً ؟

— نعم ، هو على مسافة خمسة أميال

— حسن سأمضى إليه — ألا تصحبينى لتدلينى على الطريق ؟

فتمتمت « رودا » قائلة : « لست أنا » ثم أخذت الخوف بماودها من جديد خشية أن ينكشف أمر حلمها فتفقد صداقة صاحبها ، ولكنها لم تجد طريقاً للاعتذار وانفقتا أخيراً على أن يتقابلا عند نهاية الطريق حتى لا يراها أحد

استيقظت « رودا » فى اليوم التالى وأخذت تفكر فى شتى الحلول التى تخلصها من هذا المأزق ، ولكنها لم تجد بداً من الذهاب ، فتوجهت إلى المكان المعين حيث قابلت صديقها ، وقد أخفت ذراعها فى مئزرها ثم مضتا فى سيرهما لا يتحدثان إلا قليلاً

لقد كان طريقاً طويلاً مقفراً ، وقد امتلأ الجو بالسحب فحجبت الشمس ، وأخذت الرياح تمول وتصفر وهى تهب فوق التلال ثم تهوى إلى بطن الوادى

أما « جرتود » فقد كانت كلما فتحت موضوعاً للحديث ردت عليها صاحبها فى إجابات مقتضبة محاولة إقفاله ؛ وكانت تشعر كلما تقدمت فى الطريق أن شيئاً ثقيلاً يجثم على صدرها حتى كرهت أن تسير بجانب الذراع المربضة أو أن تدنوا منها . وأخيراً جاءت إلى الرجل « خيا » « رودا » وقصت عليه « جرتود » قصة ذراعها ، فقال

لها الرجل : ان الطب عاجز عن شفائك ؛ فان هذا من تدبير عدو . فانزوت « رودا » فى نفسها وتراجعت الى الوراء أما « جرتود » فقد صاحت : « أى عدو ! » فهز الرجل رأسه وقال : « انك تعرفينه جيداً ، ولو أردت لأريتك إياه وإن كنت أنا نفسى لا أعرفه . فلما ألحت عليه « جرتود » أن يخبرها من هو أشار الرجل الى رودا بالبقاء فى مكانها ، ثم قاد جرتود الى غرفة صغيرة وأجرى أمامها عملية السحرة فأحضر كوباً وملاه ماء وجاء ببيضة وكسرها على حافة الكوب فنزل الزلال فى الكوب وبقي الملح ، ثم حمل الكوب الى النافذة وأمر المرأة أن تنظر فيها ولكنها لم تستطع أن تتبين ذلك الوجه الذى خيل إليها أنها تراه فى الكوب . فلما خرجت كان وجهها أشد امتقاعاً ، ثم عادتا الى القرية وقد شعرت رودا أن صاحبها قد تغيرت

فعمد ما سألتها عما رأت أجابها فى شيء من التحفظ والحرص : « لاشيء يستحق الذكر » ثم علا وجهها شحوب غريب حتى أصبح شبيهاً بذلك الوجه الذى رآته رودا فى نومها . وبعد صمت طويل قالت جرتود :

أ كنت أنت أول من فكر فى هذا الساحر ؟ عجباً لو كان هذا ...

— لا . ولكنى لست آسفة على مجيئنا الى هنا . إن كل شيء مقدر مكتوب

ثم سارتا فى الطريق دون أن يتحدثا كثيراً وقبل أن تفترقا قالت جرتود « ان الناس يتهامون بأن علة مرضى سببها نظراتك الى . فامتنع وجه المرأة وغابت فى تفكير عميق

ولم يأت الربيع حتى كانت « رودا » وابنها

قد تركا القرية . . . .

عاشت جرتود مع زوجها ستة أعوام كانت حالتها تزداد سوءاً على سوء ، ففاض الابتسام والاشراق من جبينها ونضب الجمال من وجهها وأصبحت الذراع المشوهة مصدر قلقها وتعبها ، وفوق هذا لم تعقب من زوجها ولداً وما كان أحوجه إلى ابن يحيا في اسمه ويرث أرضه

لم تفعد الزوجة لحظة عن السعي في علاج ذراعها وذهبت النصائح والأوصاف الطبية في غير جدوى ولم تجد عليها الرق والتعاويد شيئاً

ولكن الحنين إلى الولد كان يشتد بالرجل يوماً بعد يوم حتى لم يستطع أن يغلبه ، فجا إلى زوجته يوماً وقال : لقد فكرت أن أتبنى ولداً ولكن الوقت قد فات فقد مضى الولد ، ولا أعرف مكانه الآن — فأدركت الزوجة الغرض الذي يرمى إليه فان قصة الزوجة الأولى « رودا » لم تكن قد غابت عن ذهنها وإن لم يتحدث أحدهما إلى الآخر عنها كانت في الخامسة والعشرين ولكنها كانت تبدو فوق هذه السن بكثير . فقد قضت ستة أعوام كانت كلها مجدية ثقيلة لم تذق فيها الحب إلا شهرين . وكثيراً ما كانت تخلو إلى نفسها وتستعيد أيامها الماضية ، فتهجم عليها ذكريات مرضها فتثور وتئن ثم تتأوه قائلة : « آه لو عادت إلى أيام حبي الأول » ثم أرادت أن ترمي بآخر سهامها للشفاء من هذا الداء الميأ ، فانطلقت إلى الساحر القديم ، ولم تكن قد زارته منذ ست سنوات ، فلم يكذب الرجل براها حتى تذكرها ، فذكرت له المرأة التجارب التي عملتها فمز الرجل رأسه وقال إن معظم هذه الأشياء لا تنفع — ليس هناك إلا طريق واحد ، ولكن صعب تحقيقه . وهو أن تطوق بذراعك المشوهة

عنق أحد المشدوقين . فارتفعت المرأة لتلك الصورة التي رسمتها في ذهنها هذه الكلمات — ثم مضى الساحر في كلامه : على أن يكون هذا عقب إنزاله من المشنقة مباشرة

فسألته الزوجة : « ولكن ما فائدة هذا ؟ » فأجابها الرجل : إن هذا يزيد في دورة الدم . عليك أن تذهبي إلى أحد السجون وترقبى إحدى ضحاياه . لقد طالما أرسلت إلى السجن عشرات النساء اللواتي جئن إلى يشكون بعض هذه الأعراض . ثم ودعت المرأة وانصرفت وقد أبى أن يأخذ منها أجراً عادت المرأة إلى منزلها وهي تشك في كلام الساحر ولكنها بعد أن بنست من الشفاء اندفعت بأمل إعادة حبها المفقود بشفاء ذراعها إلى تحقيق فكرة ذلك الساحر وقد تذكرت كلماتها : « إن ما يأتي بالرق يذهب بالرق أيضاً . » فقضت مدة طويلة وهي لا تفكر إلا في المشدوقين حتى أن صلاتها لم تكن إلا بعض هذه الكلمات : « اللهم اشفق لي أحد الأشقياء أو أحد الأبرياء » لم ترد أن تستعين بزوجها فقد كان يضيق بأفاعيل السحر ولا يؤمن بأعمال الشعوذة

ثم جاءها يوماً يخبرها بعزمه على تركها يومين لقضاء أمور خاصة به ، ففرحت الزوجة لهذا الغياب إذ وجدت فيه فرصة لتحقيق غايتها . فلم يكذب يغيب عنها حتى امتطت جواداً مطهما أخذ يطوى بها الأرض حتى وصلت أخيراً إلى السجن المقصود حيث تجد فيه ضحيتها التي ارتبطت سماتها بنهايته ، ثم ذهبت إلى الجلاد تسأله عن تلك الضحية ، فظنها الجلاد إحدى قريبات الفتي المسكين أو سيده . فقال : إنه صبي لم يتجاوز الثامنة عشرة قد ساقه القدر إلينا عند ارتكاب الجريمة . ولم نجد غيره



نهمه . فأجابته المرأة : لست أسأل عن هذا بل أريد أن أعرف موعد التنفيذ . فقال الجلاد : في الساعة الثانية عشرة كالعادة ، أي بمجرد وصول البريد من لندن فقد يكون هناك عفر . فارتفعت المرأة وصاحت : عفو ؟ إني لأود هذا ، فسألها الرجل : « ماذا تريدن ؟ »

فقالت : أريد أن ألسه لأنه أحد الطالسم التي كانت السبب في تشويه ذراعي وهدم سمادتي . وقد أشار علي بهذا أحد السحرة . فقال الجلاد : أوه . نعم ، نعم . لقد أدركت غرضك الآن . كثيرآ من النساء يأتين إلى مثل هذا الغرض . مـ تشكين ؟

فكشفت له المرأة عن ذراعها فأخبرها الرجل أن تذهب إلى محافظ السجن وأن تصطحب معها طبيباً ثم تقدم اسمها وعنوانها . فقالت له : ولكني لا أريد أن يعلم أحد بهذا — أتعين حبيبك ؟

— لا . بل زوجي  
— حسن . سأهد لك الطريق  
— ولكن أين هو الآن ؟  
— إنه لا يزال حياً في داخل هذا السجن . ثم

رسم الطريق الذي تسلكه ، فانصرفت شاكرة . وفي الساعة الثانية عشرة من اليوم التالي كانت المرأة جالسة في إحدى غرف السجن تنتظر تنفيذ الاعدام في التهم الشاب

ثم قرى الحكم وسبق التهم إلى المشقة وفي تلك اللحظة دخلت المرأة بسرعة وقد حسرت عن ذراعها المريضة ، ثم انحنت على الصندوق الذي كان فيه المشنوق ، ولكنها لم تكذب تراه حتى خارت قواها وكادت تهوى إلى الأرض فأمسك بها الرجل وهمس في أذنها قائلاً : « هيا »

فاستجمعت المرأة قوتها ومدت ذراعها ، فأخذها الجلاد ورفع الغطاء عن الجثة وطوق بها عنق المسكين ، فشمرت المرأة بهزة عنيفة وأخذ الدم يندفع إلى تلك الذراع المريضة ، ولكنها لم تكذب تلتفت وراءها حتى رأت « رودا » وقد احمرت عينها من البكاء وأرخت شعورها على كتفها ، وقد وقف بجانبها زوجها « لوج » ساهماً حزيناً ولكن عينيه لا تدمعان ، فقال لها في صوت غاضب أجش : « ماذا تعملين هنا ؟ » ، ثم صاحت الأم : « رودا » يا لك من شيطانة أتحولين بيننا وبين ابنتنا .. إنك لتمثلين حقاً تلك الصورة البشعة التي رأيته في حلمي القديم ، ثم جذبتها من ذراعها العارية ودفعها إلى الحائط ، فوقعت تحت قدمي زوجها ، فلما رفعها زوجها عن الأرض كانت غائبة عن الرشد

لقد كان المشنوق ابن « رودا » قد اتهم ظالماً في إحدى الجرائم ، ثم جاء إليه والده في الساعة الأخيرة ليشهد مصيره المحتوم . ولم يرد أن يخبر زوجه جرتود بهذا بل قال لها إنه ذاهب إلى قضاء أمر من أموره الخاصة

حات الزوجة ولكنها لم تبق إلا ثلاثة أيام حتى فاضت روحها لأن دورة الدم كانت أقوى مما يحتمل

أما الزوج فلم يكذب بفرغ من دفن زوجه حتى ترك قريته إلى بلدة أخرى حيث مات هناك بعد ذلك بعامين وقد أوصى بمعظم ثروته إلى أحد الملاجئ تاركاً جزءاً يسيراً منها إلى زوجه رودا — إن كانت لا تزال حية — إذ كانت قد اختفت من ذلك الاقليم كله . ولكنها عادت بعد ذلك بسنوات كثيرة وقد ابيض شعرها وتخاذل جسمها ولم يبق فيها إلا جبين منضن يخفى أعماق الأفسكار ، وقلب مكلوم يحمل آلم الذكريات نظمي مهيل

لشموره حتى يبدأ رد الفعل في أعضائه فينقلب إلى  
الروح الجنوني كارعاً من الخمر ما يفقده رشده  
فيستولى عليه روح الهدم والتعطيم . ولكم رأيت  
يختتم نوبه هذه بقذفه كرسياً إلى نافذة مغارة يحطم  
زجاجها بقرقرة تصم الآذان

وكنت أراي مندفعاً بالرغم مني إلى تشريح  
أخلاق هذا الرجل ، فكان يلوح لي كأنه فرد من  
مجتمع غريب لا أعرف له مقراً على هذه الأرض .  
فما كنت أعلم أكان هذا الانسان مسيراً في عمله  
بيأس مريض أم بدلال ولد صغير

وكان ديجنه يبدو بخاصة في أيام الأعياد كأنه  
مأخوذ بثورة عصية فيأتي بأعمال صبيانية يحتفظ  
فيها بكل برودة خلقه فكان من يراه لا يتمالك من  
الاستغراق في الضحك . وقد أقنعتني يوماً بأن  
أخرج للتزده معه وحدنا عند الفسق قارتدينا  
أثواباً غريبة الشكل وقنعنا وجهينا وحمل كل  
منا آلة موسيقية وذهبنا على هذه الصورة تأهين في  
الأحياء الصاخبة محتفظين برصانة أرباب القنون ؛  
وصادفنا في تجوالنا عربية كان سائقها قد دب فيه  
النعاس فنام على مقعده فسارعنا إلى حلل أربطة  
الفرسين ثم تقدمنا إليه وصحبنا به فأفاق ، وركبنا  
العربة طالبين منه إيصالنا ، وما لوح المسكين بسوطه  
في الهواء حتى ذهب الفرسان خيباً وبقي هو في  
عربيته مشدوهاً ، وتوجهنا بعد ذلك إلى الشانزليزيه  
فرأى ديجنه عربية تتقدم نحونا فاعترضها وأمر  
السائق بالوقوف وتهديده بالقتل إن لم يترجل عن  
مقعده ؛ وإذ نزل الرجل عند إرادته مذعوراً أمره  
بالانبطاح على الأرض معرضاً نفسه لأوخم العواقب ؛  
ثم فتح باب العربة كأنه قاطع طريق فرأينا شاباً  
وسيدة استولى عليهما الرعب الشديد ؛ وأمرني ديجنه  
بمجاراة فيما سيفعل ، فأخذ يقفز من الباب ليعود

(٧)

من أعماق النفوس



## استغراق في العصر

للفريد ريس

بقتل الأستاذ فليكس فارس

(تابع)

وما كانت هذه الحياة المضطربة تخلو من  
أوقات لها لذتها وصفائها ، فقد كان معاشر  
ديجنه من الطبقة الراقية وأكثرهم من أرباب  
القنون ، فكنا نغضى ليالى عديدة يسود سمرنا الخليلع  
فيها ما يبعد جسد البعد عن الفحشاء ؛ وكان أحد  
الصحاب عاشقاً مغنية مشهورة تشجينا بصوتها  
الساحر الحزين . ولكم جلسنا إلى المائدة فنسينا  
ما عليها من طعام مستغرقين فيما يثير إنشاد هذه  
المغنية في نفوسنا من حنين ؛ ولكم درنا بأقداح  
الشراب ونحن نصفي إلى أحداً ياتي علينا بصوت  
عميق رائع بعض مقطوعات من لامارتين ؛ فكنا  
نؤخذ بممانها حتى كأن تفكيرنا حصر في دائرة  
منها ؛ فكانت تمر الساعات دون أن نشعر بها ، حتى  
إذا جلسنا بعدها إلى المائدة سادنا سكوت رهيب  
وعلفت بأهدابنا الدموع

وكان يتجلى هذا التأثير في مثل هذه الأوقات  
على ديجنه بأكثر من تجليه في الآخرين وهو  
المعروف بيننا بصلاية خلقه وبرودة طبعه ، فكانت  
المواظف تتدفق من كلماته ولغته كأنه شاعر ساعة  
نزول الإلهام عليه . وما كانت تنتهي نوبة استسلامه



شهوة الصبابة من إهابها الغض وعلى خوان عملها رواية كل صفحاتها صبابة وغرام ، وهي لم تلتقن علماً ولا تعرف عن الآداب والأخلاق شيئاً فنفضت حياتها تخيط الأثواب أمام نافذتها حيث تمتد طريق منع رجال الشرطة المرور عليها ليحجبها عند المساء رهط من بنات الهوى الحاملات الأجازات يخاطرن عليها ذهاباً وإياباً ، ما تفعل هذه الفتاة بعد أن تكون قطعت أصابعها واستنفدت نور عينها منذ الصباح حتى المساء عاملة في رداء أو في قبعة إذا هي اتكأت عند الفسق إلى نافذتها فرأت ما عمات فيه يداها الشريفتان لكسب قوت من حولها يرتديه قوام فاجرة ورأس عاهرة ؟ . . .

ولكم من عربة تقف أمام بابها كل يوم فتترجل منها فتاة لها رقها كالعربة التي تستقلها ، وتدخل على هذه العاملة المسكينة لتحدثها بالفتات الاحتقار وتقف أمام مرآتها لتجرب مراراً الرداء الذي انكبت عليه في سواد الليالي لأتجازره . وتخرج العاهرة من كيسها ستة دنانير يتوهج ذهبها ، وهي العاملة لا تكسب إلا ديناراً طوال أسبوعها ، فلا تملك نفسها من التفرس فيها والتأمل فيما تلبس من حلى ثم تتبعها بأنظارها حتى تركب عربتها وتتوارى

وبحىء يوم ينقطع فيه العمل عنها ويسود الظلام على البيت الذي تطله الفاقة ، وقد انطرحت في إحدى زواياه الأم المريضة ، فتفتح العاملة البائسة بابها وتمد يدها قابضة على مجهول يمر على الطريق . . . هذه هي حكاية الفتاة التي تعرفت إليها . وكانت تحسن المزف قليلاً على البيانو وتعرف شيئاً من فن الرسم ومن التاريخ والصرف ، فكانت كل معارفها على هذا النحو شيئاً يسيراً من كل شيء . ولستم كنتم أنتم النظر في هذه المخلوقة

فيقفز من الباب الآخر وأما أتبعه حتى خيل إلى من في العربة والظلام سائد أن المهاجرين عصابة من اللصوص يقول لك بعض الناس إن الحياة تولى من يبتليها اختباراً ؛ ولعلمهم يعجبون في سرائرهم إذ يصدّقهم سامعهم . وهل العالم إلا عاصفة إعصار لا يشبه أحدها الآخر ؟ فكل ما في الحياة يذهب يداً كسرب أطيّار ينتشر في الفضاء الفسيح ، فما تجد مدينة تتشابه أحيائها ؛ فمن عرف أحدها يبقى جاهلاً لسائرها ؛ غير أن هذه الأعاصير التي تدور منذ وجود العالم لم تزل تخترقها سبعة أشباح لا تتغير على ممر الأجيال : وأولها يسمى الأمل ، والثاني الغمير ، والثالث الرأى ، والرابع الشهوة ، والخامس الحزن ، والسادس الكبرياء ، أما الأخير فيسمى الإنسان

وما كنت وأصحابي إلا كسرب أطيّار ، فبقينا سوية إلى أن جاء الربيع نلعب حيناً ، ونركض أحياناً ولعل القاريء يتساءل أين النساء في هذه الحوادث وأين هي الفحشاء ؟

وماذا عساني أقول عن هذه المخلوقات الحاملات اسم النساء واللواتي راودن حياتي كأشباح أحلام ؟ أيمكن للإنسان أن يحتفظ بالذكريات من وقائع لم يكن فيها شيء من الأمان والآمال ؟

وأين أجد هذه الوقائع الآفلة لأثير منها تذكاراً ؟ وهل من شبح أشد صمتاً منك أيتها المرأة العابرة كالظل ؟ وهل من انطباع أسرع إلى الزوال منك في صفحة الذكريات ؟

وإذا كان لا بد من إيراد شيء عن النساء فلاذ كن منهن اثنتين :

واليك الأولى

أسألك أولاً عما يمكن أن تقول إليه عاملة بالخياطة لها من العمر ثمانية عشر ربيعاً تتدفق

انتهاز الفرصة للأخذ بأحاديث لا ظائل تحتها . أما (الفالس) فرقصة تتيح لك أن تتمتع بالمرأة التي تضمها نصف ساعة بين ذراعيك وتسير بهار بين تصادم الراقصين وهي خفقة الجوارح فتكاد لا تعلم إذا كنت تفتصب إرادتها أو تحمي ضعفها . وكما بين الراقصات من يستسلمن إلى قيادتك بخفرك تتدفق الشهوة منه فلا تعلم ما يدور في خلدك أشهوة هو أم حذر ، وتقف سرباباً في نفسك فلا تدري حين تشد بالراقصة إلى قلبك أترشح ثمة أم تنقص كالقضية الضعيفة بين يديك

لا ريب في أن ألمانيا التي اخترعت هذا النوع من الرقص بلاد ما خفيت حقيقة الحب عن أهلها وكنت أخاصر راقصة رائعة الجمال تنتمي إلى المسرح الإبطالي جاءت إلى باريس لتمضية أعياد المرفع ؛ وكانت بزي الراقصات في هيكل إله الخمر ترتدي قفطاناً من جلد النمر ، وما كنت رأيت في حياتي امرأة تشبه هذه المرأة في دلالتها ، فقد كانت ممشوقة القد فاحلة القوام تنطلق في خطواتها بسرعة ، ولكنك تخالها تنسحب سحباً وهي تنقص في دلها . ولقد يحسب الناظر إليها أنها تنعب مراقصها في حين أنه لا يحس بها إلا كخيال ميال بين ساعديه

وكانت هذه الغانية مزينة صدرها بطاقة كبيرة من الورد تورثني نشوة أين منها نشوة الراح ؛ وكانت تنطوي على ساعدي لأقل حركة كأنها من الأماليد عاشقات الشجر ، فسكنت إخالها بما فيها من ليونة وعذوبة خلاصة وشاحاً من ناعم الحرير بلغني كأذيال الغمام . وكان عقدها المتدلى من عنقها يهتز في كل دورة من دوران الرقص ضارباً على نطاقها المعدني فأسمع له صوتاً خافتاً كخفيف الغصون . وكانت في حركاتها من الجلال ما يوقفني منها أمام كوكب

والأسمى يزين على قلبي إذ أرى فيها بداية عمل الطبيعة ونهاية ما يأتيه المجتمع من التشويه ؛ ولكم شخصت بشخصي أمامها إلى ليل مدلم تلوح فيه شرارات ضئيلة من نور عليل ولكم حاولت أن أشعل بعض الجمرات الخامدة تحت هذا الرماد ، وقد كانت حلة شعرها بلونه ، فكنا ندعوها (ساندريون)

وما كانت تروني تسمح لي بأن أمين لها معلمين فتولي ديجته الانفاق على تعليمها ، ولكنها عجزت عن بلوغ أي نجاح ، فما كان المعلم يتواري عن نظرها حتى تكثف يديها وتبقى الساعات الطويلة محدقة بما وراء نافذتها . وكانت تمر الأيام على هذه الوتيرة فتهددها يوماً بأنني سأقطع عنها المال إذا هي لم تتحدر ، فبدأت بالعمل دون إبداء أية مقاومة ، ولكن بلغني بمسد ذلك أنها كانت تخرج خلصة من البيت ولا يعلم إلا الله إلى أين كانت تذهب ، فرجوتها قبل أن أصرحها أن تطرز لي كيساً ، وقد احتفظت بهذا الكيس مدة طويلة كذخيرة حربينة وأبقيته معلقاً على جدار غرفتي كأنه رسم لكل طلل عاف في هذه الحياة

أما الثانية فهذه قصتها :

وكانت الساعة العاشرة مساء ، وكنا قضينا نهراً في الرياضة المتعبة فتوجهنا إلى منزل ديجنه وكان هو قد سبقنا إليه لأعداد ما يلزم لليلة راقصة . ولما دخلنا البهو رأينا ممرحماً بالمدعويين وبينهم عدد وفير من الممثلات ، وقد بين لي الصحاب السبب في دعوتهن إلى الحفلات فقالوا إن الرجال يتراحمون عليهن وما وصات إلى القاعة حتى اندفعت مع تيار الراقصين ، وكنت شديد الميل إلى رقصة (الفالس) إذ ليس بين أنواع الرقص ما يماثلها خفة ورشاقة وليس غيرها إلا حركات لا معنى لها يقصد منها



وراقصها وإذا هو لم ينفذ إليه ذلك الشيء المجهول  
أو تلك الكهارب المسكرة التي تنتشر في الرقص  
حين تتعالى النغمات ويكشف طرب الجسوم أنوار  
المصابيح وما تنتشر هذه الكهارب إلا من  
أجسام الحسان فيتكهربن بها أولاً ، ثم تهب منهن  
كالعيق المتصاعد من مبخرة تمايل مع الرياح

واستولى على خيل صريع . وما كنت أجهل  
أن الحب يورث هذا الثمل ، وما كانت هذه أول  
مرة عرفته ، ولكنني ما كنت أعلم من قبل أن  
يوسع امرأة أن تدفع بالقلب إلى مثل هذا الخفوق  
وأن تتير في الخيلة مثل هذه الأشباح بجبالها  
وبأزهارها وبثوب مخطط بجلد الحيوان المفترس ،  
وبحركات دوران اقتبستها من أحد المهرجين ،  
وبالتفاف معصم بض على كتف ، وذلك دون أن  
تنبس بكلمة أو تبدي فكرة واحدة كأنها تترفع  
عن الاعتراف بعزتها وسلطانها

وما كان ما أشعر به من الحب بل من الظلم  
المحرق ، فاني لأول مرة في حياتي كنت أشعر  
باهتزاز أوتار مشدودة مني على غير قلبي ، فان تجلجلى  
هذا الحيوان الرائع لعيني كان قد استنطق وترأ غير  
أوتار القلب في أحشائي ، وما كنت أحس بنفسي  
ما يدفعني إلى أن أقول لهذه الغانية إنني أحببتها  
أو أعجبت بها أو حتى لأعلن لها تقديري لجمالها ، فإني  
كنت أشعر أن على شفتي ألا تعطشا للاتصاق  
بشفتيها لأقول لها : منطقتي بهذين المعصمين  
المتراخين وألقى على كتفي رأسك المسائل وارشي  
بهذه البسمة العذبة شفتي

لقد عشق جسدي جسدها فكنت من جمالها  
في سكرة كسكرة الراح ...

ومر بي ديجنه فسألني عما أفعل حيث كنت  
فأجبت : من هي هذه المرأة ؟ فقال : وأية امرأة

رائع يتسم لي فأخاطها جنية تنشر جناحها لتعود  
أدراجها . وكان الموسيقى الشجية الهائلة كانت  
تصدح من بين شفتيها وهي مائلة برأسها إلى الوراء  
تكللها الضفائر السوداء ، وقد أهرق عنقها من  
ثقلها قالتوى

وما انتهى دور الرقص حتى ارتحيت على مقعد  
في زاوية القاعة ، وكان قلبي ينبض بسرعة قطعت  
أنفاسي ، فتهتفت قائلاً : يا لله مما رأيت !  
يا للمسح الرائع ! ويا لك من أفعى كاهها حسن وجمال  
تعرف كيف تلتف وكيف تتعامل بجملدها اللين  
الأرقط ! ... لقد علمتكم حيلة الجنان المغوية كيف  
تلتف على شجرة الحياة وبين أسنانك ثمرة الموت .  
يا لك ساحرة تتحكمين في قلوب الناس وتعلمين  
ما يفعل بهم هذا الدلال الذي يتجاهل قوته ! وهلا  
تدلين أنك تهلكين وتفرقين وأن كل من لمسك  
سيحل به العذاب ، وأن ابتسامك وعبق أزهارك  
والاقتراب إلى ملاذك يؤدي إلى الموت ... ذلك  
هو سر الخلاوة في افتراء تفرك وتفتق أزهارك ،  
فأنت تعرفين هدفك عند ما ترسلين معصمك  
متراخياً على الكواهل

لقد أعلن الأستاذ هاللي حقيقة مروعة حين  
قال : ( إن المرأة عصب البشرية والرجل عضلها )  
وقد قال هو مبولت العالم الجدي نفسه : إن أعصاب  
البشر يحوطها إشعاع خفي . وأتباع سبلانزاني  
يمتقدون أيضاً أنهم اكتشفوا الحاسة السادسة . إن  
في هذه الطبيعة التي تقذف بنا إلى الوجود ثم تدفعنا  
إلى الموت وهي هازئة بنا من القوات الخفية ما يكفيها ،  
فلا نضيفن إلى ما نتسكع به من ظلمات ظلمات أخرى  
ولكن أي رجل يعتقد أنه تمتع بالحياة إذا  
هو أنكر سلطان المرأة عليه ، إذا هو لم يشعر  
بارتماش ساعديه بمد أن يكون خاصر امرأة جميلة

تعني ؟ فقبضت على ساعده وسرت به في القاعة ؛  
ولحظت الايطالية أننا نتجه نحوها فابتسمت وإذا  
تراجعت قليلاً قال ديجنه — آه لقد رقصت مع  
ماركو ...

— ومن هي ماركو ؟

— هي تلك المدللة الضاحكة هنالك ... فهل  
أنت معجب بها ؟

— لا ، لقد رقصت معها وأحب أن أعرف  
اسمها . وهذا كل إعجابي بها

وما قلت هذا إلا لأنني شعرت بشيء من  
الحجل ، فتولّى ديجنه عني وذهبت أنا نحو الايطالية ،  
فاستوقفتني قائلاً : رويدك ، يا أوكثاف ! ليست ماركو  
كسائر البنات ، فهي في عهدة سفير ميلانو وتكاد  
تكون زوجة له ، وقد جاءت إلى هذه السهرة مع  
أحد أصحاب السفير ، غير أنني سأكلّمها في شأنك  
فلا أدعك تموت إلا إذا لم يكن بد من موتك .  
سأحاول إبقاء ماركو عندنا للعشاء

قال هذا وتوجه إليها فسادني اضطراب بمجز  
بياني عن تحديد ، وما بدأ بمحادثتها حتى تمشياً  
سوية وغابا عن عياني بين ذرافات المدعوين

وكنت أناجي نفسي قائلاً : أيمكن أن يصيب  
حدسي ؟ أن تكون هذه المرأة هي من سأحب ؟  
ولكن ما لقلبي ولهذا فأن حواسي وحدها تعمل  
عملها بمزول عنه

وكنت أحاول بمثل هذا التفكير أن أهدئ  
روعي . وما طال انتظاري حتى شعرت بيد ديجنه  
تلقى على كتفي وهو يقول : سنذهب إلى المائدة ،  
وعليك أن تشبك ساعدك بساعد ماركو فهي تعرف  
أنك معجب بها وقد تم الاتفاق ...

فقلت : إسمع ، يا ديجنه ، إن ما أشعر به بفوت  
إدراك ، فكأنني في رؤي أشهد ( فولكان ) فيها

يسحب رجلاه العرجاء ليطبق على ( فينوس ) ويشبهها  
تقبيلًا ، ولحيته تمبق بدخان مصنعه وهو يحجج  
بنظراته الزائفة جسم إلهة الجمال البض مستغرقاً  
في التحديق بها وهي كل ما يملك فيحاول أن يبتسم  
ويتظاهر بالارتعاش مسرة وجبورا ، ولكنه في  
الوقت نفسه يتذكر أباه كبير الآلهة ( جوبيتر )  
الجالس على عرشه في السماء

وحقق ديجنه في وجهي ولكنه لم يجب بل  
قبض على يدي وجرنى قائلاً :

إنني جدم متعب وأشعر بحزن ، فإن هذا  
الصخب يقتلني . هيا بنا إلى المائدة نستعيد قوانا  
وجلسنا إلى مائدة جمعت كل مالد وطايب ،  
ولكنني كنت أشاهدها ولا أتمتع بها إذ كانت  
شفتاي ترتجفان في انقباضهما ، وسألني ماركو عما  
بي فبقيت شاخصاً كالصنم أصرح أبصاري من  
رأسها إلى قدميها صامتاً ذاهلاً

وما تمالك ماركو نفسها من الضحك فضحك  
ديجنه معها من بعيد وهو يرقبنا . وكانت أمامها  
كأس كبيرة من البلور تنعكس عليها الألوان ومدت  
فتتكرس على أضلاعها لتشع بالسبعة الألوان . ومدت  
يدها اليتراخية فلات الكأس بخمرة قبرصية فيها  
حلاوة الشرق ونكهته وقدمتها إلى قائلة :

— هذه لك يا بني

أخذت الكأس ثم أعدتها إليها قائلاً :

بل لك ولي

ورطبت شفتيها من الحباب وأعادتها إلى  
فكرتها دفعة واحدة وأنا أرسل إليها نظرات  
حزينة فاتتها معانيها

فسألني : أردبئة هي ؟

— لا

— أمتعب أنت ؟



— لا

— أتشكو صداعا ؟

— لا

— ما بك إذا إلا هموم غرام

وظهرت على وجهها علام الجذ ، وكنت أعلم  
أنها وليدة نابولي لذلك نبضت إيطاليا في قلبها عندما  
تفوهت باسم الغرام

وفي هذه الأثناء كانت الدماء تتصاعد إلى  
الرؤوس والأقداح تتصادم بين الأنامل وبدأت  
الحدود تصطبغ بلون الخمر فكانها كانت تبرقع  
أشد الوجوه اصفرارا كيلا تملوها من الخجل حمرة .  
وكانت الضجة تتعالى وتنخفض كأنها نبرات  
أمواج ، والأحداق ترسل لمانها إلى كل صوب ثم  
تذهب تائهة ... فكان في القاعة نسبات خفية  
كانت تخفق فيها كل هذه الأرواح الهائمة في نشوتها ،  
وكل روح تتلمس طريقة إلى سواها

وهبت إحدى النساء من مكانها بين الحشد  
كما تتعالى على صفحة البحر الساكن أول موجة  
تتنسم العاصفة فتملو منذرة باقترابها . وقفت  
وأشارت بيدها لينصت الحضور إليها وكرعت  
كأسها ثم حولت أناملها إلى شعرها تنثر غداؤها  
الذهبية على كتفها وعلى صدرها المهدج بأنفاسه ،  
فرا أسماءنا سوى نبرتين مخنقتين وامتنع لونها فجأة  
فتراخت على مقدمها

وقامت قيامة الحاضرين ، فسادهم الهرج والرج  
حتى نهاية السمر ، فما كان لأحد أن يتميز شيئا  
وقد اختلط الضحك بالغناء والصراخ

ونسألني ديجنه عما أقول في هذا فأجبتة بأني  
لا أجد ما أقوله ، فإلى إلا أن أسد أذني وأسرح  
أبصارى ...

وبقيت ماركو ساكنة وسط هذه المعمة فلم

تتكلم ولم تشرب بل أسندت رأسها بيدها وتاهت  
في أحلامها . وما كان يلوح على وجهها ما يدل على  
تأثر أو استغراب ؛ فقلت لها :

— أما تريد أن تفعل ما يفعلون ؟ لقد سقيتني  
خمر الشرق فهل لك بتذوقها ؟

قلت هذا وملأت كأسها دهاقا فرفعتها ببطء  
إلى فمها وارتشفها حتى التأملة ، وبعد أن أعادت  
الكأس إلى المائدة عادت إلى استغرابها

وكنت كلما أدمت النظر إلى هذه الغادة أزداد  
استغرابا لحالها ، فهي لا تسر لشيء ولا بضايقة شيء ؛ بل  
تفعل ما يطلب منها ولا تقوم بأية حركة من تلقاء نفسها  
فذكرتني بتمثال الراحة الأبدية ؛ فقلت في نفسي  
لو نفخت روح في هذا التمثال لما كان يبدو لنا إلا  
كماركو ثانية

وكنت أقول لها : أنت طيبة القلب أم أنت  
شريرة ... أحزينة أنت أم صريحة ... أيروقك أن  
تجبي ... أتتهوين المال والملاذات ... وأي نوع منها  
تفضلين ... أسباق الخيل أم الخمر أم الرقص ...  
أي شيء يعجبك ... وإذا تحلمين ؟

فما كنت أظفر منها إلا بجواب واحد على جميع  
هذا ، وهو ابتسامة لا حزن فيها ولا سرور ، كأنها  
تعني الاستسلام وعدم المبالاة

وقربت إلى مبسمها شفتي فألقت عليهما قبلة  
مترامية تشبهها ، ثم رفعت منديلها إلى فمها فصرخت  
بها : ويل لمن سيجبك يا ماركو ...

فألقت إلى بنظرة من مقلتها السوداء ثم رفعتها  
إلى الملا وأشارت بأصبعها بحركة إيطالية لا تقلد  
ولفظت بتمهل الكلمة الكبرى الخاصة بنساء  
بلادها : لقد يكون ...

وقدمت أشكال الحلوى والفاكهة ونهض  
فريق من المدعويين إلى القاعة يدخنون ويلعبون

على شعور غريب يبدد ماثير هذه المحاسن من شهواتي  
ولعلني كنت مأخوذاً باستهواء من الاشماع  
الخفى فتجكم في ما في هذه الغانية من سكون وجود .  
وانطرحت متمثلاً بها على المقعد المستطيل قبلة  
سريها وتغلغل صقيع الموت في روعي

إن نيمضان الدم في العروق ليشبه حركة ساءة  
غريبة لا تسمعك خفقانها إلا في الليل ؛ ففي طيات  
الظلام تتوارى مشاغل الانسان حوله فيعود منكشاً  
على نفسه ليسمع حركة الحياة فيه

وامتنعت جفوني عن الغمض بالرغم مما تحمات  
من متاعب نهاري وأحزانه ، وكانت عيننا ماركو  
تحدقان في فـكان كل منا شاخصاً في الآخر وقد  
خيم علينا السكون

وقالت : ماذا يشغلك هناك ؟ أفا تريد أن تجيء  
الى جانبي ؟

فقلت : بلى ... إنك رائحة الجلال يا ماركو ...  
وسمعت صوتاً كأنه نبرة أنين ، وكان ذلك  
صوت انقطاع وتر من قيثارة ماركو . وأدبرت  
وجهي نحو مصدر هذه الأنة ، فرأيت أوائل أشعة  
الفجر تلوح بنورها الباهت سنائر النوافذ

نهضت فأزحت إحدى الستائر فانتشر الضياء  
في جوانب الغرفة ووقفت لحظة أنظر إلى السماء  
فاذا هي مجلوة صافية الأديم  
وكررت ماركو دعوتها إلى ، فأشرت إليها  
بأن تنتظر

وكانت هذه الغادة اختارت لسكنائها هذا  
الحى البعيد عن مركز المدينة احتراساً ؛ وكان  
لها منزل آخر تستقبل فيه أصدقاء عشيقها .  
ولعل الغرفة التي كنا فيها ليست سوى موضع  
خلوة ، فقد كانت تشرف على حديقة اللوكسنبورج  
التي رأيتها منبسطة أمامي

وما بقى على المائدة إلا العدد القليل . وكانت بعض  
النساء تيسلمن للرقص والبعض الآخر للنعاس ،  
وعادت جوقة الموسيقى إلى العزف وتضاءلت أنوار  
الشموع فاستبدلت بها سواها ، فتذكرت ولية  
(بترون) التي ما كانت تنطق بالمصاييح فيها حول  
من طرحهم السكر على مقاعدهم حتى يتسلل الخدم  
إلى المائدة ليسرقوا ما عليها من الأواني الثمينة  
ودام الانشاد يتعالى من أفواه الثلاثة المغنين  
الانكليز ذوي الوجوه الشاحبة

ودعوت ماركو الى الانصراف فهضت  
واستندت إلى ذراعي فشيئنا ديجنه قائلا :  
— إلى الغد

وخرجت بها من القاعة وكنت كلما اقتربت  
إلى منزلها يزداد خفوق فؤادي ويستولى الصمت  
على لخيرتي في هذه الغانية التي تترفع عن الشهوة كما  
تترفع عن السكر ، وما كنت أدرك السرفى ارتجاف  
يدي وهي تلف هذه المخلوقة الساكنة الجامدة

وبلفنا غرفة ماركو فاذا هي على مثالها قائمة  
تنتشر الشهوة في جوها ، وكانت منارة بمصباح من  
الرخام الناصع البياض يرسل في جوانبها أشعة  
منكسرة ، وكانت المقاعد كأنها أسرة وثيرة مشدودة  
بالحرير على زغب الطيور ، وما دخلت إلى هذا  
السكن حتى هبت في وجهي رائحة عطور تركية  
أصلية مستوردة من القسطنطينية ، وهي أقوى  
المطور تهيجاً للأعصاب وأشدّها خطراً

وقرعت ماركو جرساً فجاءتها وصيفتها الفتية  
وسارت وإياها إلى الخدر وما لبثت حتى انطرحت  
فيه على سريها وقد أسندت وجهها بيدها متراحية  
على عاداتها

ووقفت أمامها أنعم النظر فيها وكنت كلما  
أوغلت في إعجابي وكلما ازداد انجلاء محاسنها لي يستولى



بنقل هائل يخفض رأسى المتعب  
وتقدمت بضمة خطوات إلى مكتب كان  
مفتوحاً قرب نافذة أخرى جلست مسنداً ساعدى  
إليه ، والتفت بلا قصد أحرق برسالة تركت  
مفتوحة عليه ، وهى لا تتضمن إلا كلمات قليلة ،  
فقرأتها مراراً دون أن أفهم معناها حتى أبحاث  
تدريجاً ، فذعرت منها فجأة ، وأخذت الورقة  
بيدى أقرأها ، فإذا هى مشحونة بأغلاط الاملاء .  
وقد ورد فيها :

(لقد ماتت أمس عند الساعة الحادية عشرة  
ليلاً . شعرت بانقباض فذعتنى وقالت لى : لوزون  
أنا ذاهبة للقاء رفيقى . افتحى الخزانة وخذى منها  
الغطاء المعلق بمسار فانه كذلك الغطاء ...)

جثوت باكياً أمامها فعمدت إلى يدها صارخة :  
لا تبكى ... لا تبكى ... ثم أرسلت زفرة ...  
وكان باقى الصفحة ممزقاً

يصعب على بيان ما فعلت فى هذه الأسطر  
الفاجعة . قلبت الرسالة بيدي فإذا على ظهرها عنوان  
ماركو وتاريخ اليوم المنصرم فصرخت : - لقد  
ماتت ... ومن هى التى ماتت ؟  
وتقدمت نحو السرير منادياً : من هى التى  
ماتت ...

وفتحت ماركو عينها فرأتنى مستنداً إلى  
سريرها والرسالة فى يدي فقالت :  
- هى أوى ... أفا تريد أن تأتى إلى جنبى ...  
ومدت ذراعها نحوى . فقلت لها : - اسكنى ...  
نأى ودعبنى هنا . فانتقلت على جنبها لتستغرق فى  
نومها ثانية

وشخصت إليها حتى تأكدت أنها لن تسمع  
حركتى وتراجعت رويداً وانسحبت من المكان  
( يتبع ) فليكس فارس

وكنت أشعر فى قرارة نفسى بقوة أظالمها  
فلا أستطيع التحكم فيها فكأننى منها كالقالبض  
على قطعة من الفلين يريد إغراقها فى الماء فتتملبلل  
بين أصابعه وتأنى طبيعتها إلا الانفلات إلى سطحه ،  
ولكننى عند ما مدت بأنظارى إلى مسارح  
الحديقة انتفض قلبى بين جنبى فهب التذكار بى  
يبدد كل فكرة تراودنى . لكم هربت من المدرسة  
وأنا صغير لأجأ إلى ظلال هذه الأشجار حيث  
كنت أنطح وبيدى كتاب من جامحات الأشعار ،  
وتلك كانت جميع ضلالات صباى وآسفاً ...  
وتنهت ذكرياتى البعيدة تشارفنى من الأشجار  
الباسقة المارية من أوراقها وتتطلع إلى من خلال  
الأعشاب الذابلة تحت ظلالها . إلى هنا أتيت مرة  
للتنزه مع أخى ومعلمى وكنت فى العاشرة من  
عمرى ، فكنا نرمى بقطع الخبز إلى ذرافات الطيور  
الجامعة . وهنا جلست مرة منزوياً أنفج على رهط  
من الفتيات يرقصن فيرقص قلبى لنفماهن : نفات  
نشيد الأطفال ؛ وهنا أيضاً مررت ألف مرة على  
الطريق ذاتها فى رجوعى من المدرسة ، وأنا أقذف  
الحصى برجلي ، وأطارذ بذهنى بيتاً من قصائد فرجيل  
شخصت ملياً أمام هذه المشاهد فهتفت :  
- هذه أنت يا طفولتى ، وها أنت هنا يا ألى

وأدرت طرفى إلى الغرفة فإذا ماركو قائم وقد  
انطفا المصباح ؛ وكان ضوء النهار قد بدل منظر الغرفة  
تبدلاً ، فظهر لون الورق الملصق على الجدران ،  
وكنت حسبته فى الليل مستميراً زرقة الآفاق ،  
بلون الأوراق الخضراء وقد أحالها الذبول ، ورأيت  
ماركو ، التمثال الرائع ، منطرحاً على سريرها  
ووجهها ممتقع كوجه الأموات

وملكتنى رعشة لم أقو على احتلاكها فكنت  
أنظر تارة إلى السرير وطوراً إلى الحديقة فأشعر



هوميروس

## حفل أولمبي

وصبغت أورورا بمثل حمرة الخجل وجنات  
المشرقين ، فاستيقظ الملك ، وهب أوديسيوس من  
نومه ؟ وذهبا إلى الشاطئ ، حيث تأنق السفن  
مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجري أمباس ،  
جلسا يتحدثان ؛ بينما كانت مينرفا تدق البشار  
في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادى الملك  
وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشين وشيوخهم إلى  
مجلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم  
اللاجئ الذي حل عليه ضيفاً ... « كأحد آلهة  
الأولمب ، برغم ضربه الطويل في عرض البحار »  
وازدحم سادات المدينة وأشياخها في قاعة  
المجلس ، وكانوا يقفون في أوديسيوس نظرات  
الاعجاب والدهش ، وكيف لا ؟ وهذي مينرفا قد  
أضفت على صدره الرحب وكتفيه المظيمنتين ،  
وجسمه السامق ، رؤاء علويًا من الآلهة والجلال ،  
كان ينمكس وقاراً ورهبةً في قلوب الفياشين

(A)



## الأولمبيات

لهوميروس

## بقلم الأستاذ دريني خشبة

## مقدمة الفصول السابقة

« لم يعد أوديسيوس البطل اليوناني الكبير من  
طروادة بعد أن وضعت الحرب أوزارها بل ظل  
يضرب في البحار عدة سنوات مما أطمع أمراء النواحي  
في زوجته الجميلة ، فحاصروا بيتها وأتلفوا ثروتها  
وترهبوا لولدها تلياك ليقتلوه ! وهو عائد من أسيرة  
وييلوس بعد أن لقي ملكيهما ، وحدثه أحدهما عن  
مسير أيبه ... أما أوديسيوس فقد غرقت سفنه ، ونجا  
هو من الموت ، وسبح إلى جزيرة لإحدى عرائس الماء  
( كليسو ) التي هويته وشغفها حبه فأبقته لديها زمناً  
طويلاً حتى أمرها زيوس كبير الآلهة بإطلاق سراحه  
ومنعه سفينة يعود فوقها إلى بلاده ؛ وقد أبحر على زمت  
صغير ظل البحر يلعب به حتى إذا بلغ أرض شيرا غرق  
الزمت وسبح أوديسيوس إلى الشاطئ ، وفي الصباح  
لقي ابنة ملك الفياشين في جماعة من أتريائها يتلاعبن  
فوق الشاطئ ، فسألها أن تمنحه دثاراً يستر به عورته ؛  
ورقت له الفتاة ، فأكرمت مثواه ودلته على بيت أيبه  
الملك الذي هش له وبش ، وعرض عليه أن يزوجه  
ابنته إذا لم يكن ثمة حائل دون ذلك ؛ وأرجأ النظر  
في عودته إلى بلاده إلى الصباح ... »



تذبح وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع فيما أقبلوا له من طعام وشراب . . . ثم أقبل متنادي الملك يقود المنشد الألهي الأعمى ، رخيم الصوت ، صفي ربات الفنون ، اللاتي عدان له بقسطين من خير ومن شر سواء ، فوهبته التطرب المعجز ، وسلبته النور من عينيه العزيزتين . . . وأقيم له عرش مُحمرد في وسط الصالة الكبرى ، عند عمود مرمرى عظيم ، فاستوى عليه ، وأعلمه بونتونوس بمكان قيثارته المعلقة فوق رأسه ، ووضع بين يديه سلة من طعام وشراب (١)

وما كادوا يفرغون من آكلهم حتى رقصت عرائس الفنون في فم المنشد المطرب ، فأرسل غناء سحر أبواب الناس ، وورق بها إلى أثير الآلهة في قبة السماء . . . لقد تغنى هذه الأغنية التي تنظم النزاع الذي شجر بين (أخيل) بن بليوس ، وبين أوديسيوس بن ليرليس أثناء الوليمة الإلهية ، والذي جاءت به نبوءة أبوللو (في دلفوس) حينما استوحاه أجاممنون عن يوم سقوط طروادة في أيدي اليونانيين وسكت المغني ، ودفن أوديسيوس وجهه السام في ذيل ثوبه الأرجواني الفضفاض خشية أن يلاحظه أحد . . . وطلق يبكي . . . ويستخرط في البكاء ثم كشف عن جبينه ، وسقى الثرى كأساً من خمر صلاة للآلهة . . . ثم عاد إلى بكائه حينما وصل المطرب لغناؤه ، وكان يرسل عبراته في كسانه غير ملحوظ من أحد إلا من ألكينوس ، الذي غنى عليه ما رأى وما سمع من عبرات ضيفه ، ومن تهدياته ، فقال : « حسبنا يا سادة ما طعمنا وما سمعنا . . . هلموا جميعاً نشهد الضيف الكريم بعض الهجاء لنذكر في العالمين أن الفياشيين خير من يجري ومن يثب ،

(١) خمر لذيق الطعم

ولما انتظم عقد القوم نهض أليكنوس الملك ، فقال : يا سادة الفياشيين وشيوخ الأمة ، كلمة مرتجلة ، فاسمعوا وعوا : لقد حل هذا الضيف الكريم الذي لا أذكر اسمه في بيتي بمد أن شرتق في آفاق العالم وغرب ؛ وإنه ليرجو أن تمدوا له يد المعونة فيعود أدراجه إلى بلاده في كنفكم سالماً ، إذ طالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ، والاحسان إلى الغرباء اللاجئين ، وردهم إلى ديارهم . . . . . فالبدار إذن . . . هلموا إلى سفائنكم فتخيروا أحسنها حالاً ، وأصاحبها لمجالة هذا البحر ؛ ولتمدوا لها نخبة ذوى بأس من أصاب فتيا نكم عوداً وأشد هم مراسا . . . إثنين وخمسين عدداً من أبنع زهرات شباب هذه الأمة . . . ثم تغالوا إلى فاني مولم لكم نخبة لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبداً . . . وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الألهي ، صاحب الألحان الخالدة ، والصوت السماوي الساحر ، فليشغف آذاننا بحلو أنغامه التي لا يقدر عليها إلا هو . . . »

وانصرف الملك في إثره شيوخ الفياشيين ، وانطلق رسول إلى منزل المنشد دمودوكوس الألهي . . . واختيرت النخبة ذات البأس من شباب الملاحين ، وأعدت السفينة في مكانها الأمين من اليم ، فنصبت القلاع ونشر الشراع وصُفّت المجاديف . . . ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ، حيث كانت الجماهير الحاشدة تكظ الأبهاء ، وتزدحم في الدهاليز ، وتملأ الصالة الكبرى . . . وجيء بالذبايح . . . فهذان ثوران كبيران ذوا خوار . . . وهذي اثنتا عشرة شاة سمينة ، وتلك أربعة خنازير كنان (١) ما كادت

(١) كنان جمع مفردة مثله كثيرة اللحم والشحم

مفتول الساعدين ، وإن له لمتقاً أى عنق ... كل ذلك برغم بدوات الضنى وأمارات العناء ، وما حطم البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك لجسوم الرجال من أجيال العباب ١ ؟

وكأنما راقى هذه الكلمات البطل يوريالوس فطاب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ، فنهض لوداماس ثانية وقال : « هلم أيها الضيف فأرنا هل تجيد من هذه الألعاب شيئاً ؟ إنه ما يستحق أن يعيش من لم يعمل بيديه ويسع بساقيه ... هلم ؟ حاول إذن ! فيم احترازك هكذا ؟ إنا لن نؤخرك قط ، فالسفينة معدة والملاحون على أهبة »

وقال أوديسيوس يجيبه : « أتتخذنى هزواً حين تدعونى للعب بالوداماس ؟ أى لهُو وأى لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام ، لا أمل له إلا أن يعود إلى بلاده ، وفي ذلك ما يضرع الملك وللناس ! »

وهب يوريالوس بصيداً<sup>(١)</sup> ويقول : « كلا أيها الصديق ... إني عزيزك ، فسيبك لا تنبىء عن رجل رياضى ، بل أكبر الظن أنك من رجال الأعمال أو حَفَظَةِ المخازن ... أو ... إن لم يحب حدى ... من أدلاء السفن في الثغور ؟ ومن يدري ؟ فقد تسكون عيساراً أو قرصاناً ! »

وعبس أوديسيوس وبسراً ، وانتشرت فوق جبينه ظلمات من الهم ، وتهدج صوته فقال : « إنك لم تُحسن كيف تشكلم أيها السيد ، وإنك لم تبال أن تطلق في لسانك بهجر القول كأننى رجل لا اعتبار لى ... على أن الآلهة — جاءت وعلت —

(١) يجهر بالقول

وأمر الناس في اللكم والمصارعة ! »

ونهض الملك ، ونهض في إثره كل أضيافه ، وتقدم النادى فقاد دمودوكوس ، وقصد الجميع إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت كواكب الشجعان والشباب اليافع من ذوى القوة والفتوة والبأس الشديد ، أتوا من كل حدب لهذا الحفل المشهود ... وفي وسط الحلبة وقف الأبطال آكرون وأوكيال وإلاتريوس ونوت وپرمينيوس ؛ ثم وقف خلفهم الأبطال أنخيال وأنايسين وإرتمبوس وپونت وپرور وأمفيال وتون ... ثم نهض حليف مارس المهور يوريالوس ، ثم نحر شباب الفياشين نوبوليد ... وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء الملك الثلاثة ... لوداماس ولده البكر ، ثم هاليوس ، ثم كليتون الأصغر ، وشارك نفر من أولاء في سباق الجرى ، فأخذوا أهبتهم ، ثم انطلقوا يشيرون التراب في أثر كليتون — ابن الملك — الذى شام<sup>(١)</sup> جميعاً ، وتركهم يتمثرون وراءه كما تتمثر الثيران في إثر البغال ... وتلقاهم النظارة بالهتاف العالى والتصفيق الشديد ، ثم كانت المصارعة التى برز فيها يوريالوس على كل أقرانه ، كما برز أمفيال في الوثب الطويل ، وألاتريوس في قذف القرص ... أما في الملاكمة فقد تفوق لوداماس النبيل ابن ملك شيريا ، وكان فوزه مسك ختام المباريات ، ثم نهض لوداماس فقال :

« والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم إذا كان يحذق شيئاً يفخر به من هذه الألعاب ! »

إنه ما يزال غريبض الشباب ، بادی الفتوة ، مكنتر العضلات ، عظيم مُنَّةِ الساقين والفخذين ،

(١) سبقهم (هامش القاموس)



عجلانة تقيس مدى القذفة ، ثم قالت : « ألا أيها  
الغريب ! الأعمى نفسه لا يفكر برهانك الدماغ  
القوى ! إنه مدى لا يستطيعه أحد غيرك ، فتسه  
على هؤلاء الفياشين ! إن منهم من لا يستطيع أن  
يباريك في أى من هذه الألعاب فادعهم إليك  
وما عليك من بأس »

وشاعت الكبرياء في نفس أوديسيوس حين  
سمع هذا الهاتف من صميم الفياشين بطريه وبثني  
عليه وينصب من نفسه قاضيا له ، فقال ، وقد  
انكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشباب فاخذفوا هذه القذفة ،  
أخذف أبعد منها وبقرص أكبر وزنا !! هلموا !!  
ليأت أقوى ملائكم فاني له ! وليقف أضري  
مصارعكم فأنا أخوه ! وليجرمى أسرع عدائكم  
فلن يلحق غباري ! لقد هجتم ثأري فهاجموا ! إني  
أتحداكم جميعا إلا لوداماس فإنه مضيق وصاحب  
قراي ، وليس بي أن أنزل من أكرم مشواي في  
دار غربتي ؛ وليس بي من الترق ما يحمانى على شيء  
من ذلك ... أما غيره فأنا له ، وسيعلم منازلهم  
يكن مبلغ قواي ... إنه ليس من ألعاب الناس  
ما بمجزني ... فأنا رب القوس ، وطالما صرعت  
الآلوف من الأعداء تحت أسوار طروادة ، وأبدا  
مارى أحدهما كما رميت إلا فيلاكتيس يوم حاز  
قصب سبقها دوني ... على أنه من أنا ؟ ؟

إنني لم أبلغ من الحول بعض ما بلغ هرقل أو  
يوريتوس الذي نفس عليه أبولو مهارته في الرماية  
فقتله ... هذا ... وإذا ذكر الرمح السموى ،  
فاني أبلغ به المدى الذي لا تبلغه مهامكم !! على أنني  
لا أطمع أن أبلغ خفتكم ورشاقة حركاتكم - فإني  
قاسيت من الأرزاء ما قصم ظهري ، وصارعت

لم يتفق أن منحت أحدا من العالمين كل آلائها في  
وقت مما ... بسطة الجسم ورجاحة العقل وقوة  
البيان ... فقد يلوح لك هذا الرجل مهتما محطما  
في حين قد وهبه جوف بيانا متينا ولسانا مبينا  
حتى ليخطب الباب سامعيه ، وحتى ليرتفع في  
نفوسهم إلى مصاف الآلهة ... وقد تنظر إلى ذاك  
الرجل كأنما تتدفق في عضلاته قوى السماء ، وهو  
لا يحسن أن يقول كلمة ... مثلك ... مثلك تماما ...  
فإني أوتيت بسطة في الجسم ، حتى لتوشك في  
ذلك أن تكون مثالا تقيس عليه الآلهة ، إذا أرادت  
أن تخلق ماردا جبارا . ولكنك - وأأسفاه ! -  
لم تؤت بيانا ولا حكمة ! فلقد أثرت ثأري بكلماتك  
الغلاظ ... المجاف ! إني - أيها السيد - كما  
ذكرت - لا أحسن من هذه الألعاب قليلا  
ولا كثيرا ... ولكنني كنت فتاها وفارس حلبتها  
أيام كنت شابا يافعا غض الاله ريان الشباب ...  
أما أنا الآن ! فوا أسفاه !! إن حدثان الزمان  
لم يبق مني ... ولا على ! لقد ذبل شبابي في نقع  
الحروب وسوح الوغى ... وفي هذا البحر اللجج  
يفشاه موج من خلفه موج ... كالجبال ... بيد  
أنني ... على الرغم مما ينقض ظهري من ويلات ،  
سأثبت في سجل شجاعتكم قوتي ! فان لما هرفت  
به من قول السوء لأنيا با تمضني ونهشني ...  
أو أدل على قوتي وجبروتي ... »

وكان إلى جانبه قرص القذف الذي يستعمله  
أبطال الفياشين في مبارياتهم فانهض عليه واحتمله  
بيده القوية المقتولة ثم دفعه دفعة هائلة كان لها هزيم  
وقصف ، واستهولها بحارة الفياشين الشجمان  
نفضوا رؤوسهم حتى استقرت بعيدا خلفهم ...  
وهنا بدت مبرقا بين الملائكة صورة أحدهم ، وهبت

موج هذا الخضم حتى حطمني وأوهاني ، ولقيت  
من العلو ما براني ١١ »

وصمت الفياشيون ولم ينبسوا . ثم تكلم الملك  
فقال : « عمرك الله أي هذا النازح الكريم لقد  
جلبات في آذاننا كلماتك ، فدلّت على شجاعة  
وعنفوان ، وأخمت هذا الشاب الذي جرح عزتك  
وأهان كبرياءك أمام الجميع ، نعم سكت عن تحديثك ..  
ولكن تعال فانظر إلى ما نريك من ضروب الخفة  
وفنون الرقص وفتون الغناء والسبق في العدو ،  
ومهارتنا حين نسوس الفلك فوق أعراف الموج  
ورغاء الثبج ، كما نتحدث بهذا كله إلى أقرانك  
وبين ظهرائي قومك ، وتحكيه لأطفالك . عمرك الله  
أيها الغريب المكرم إنه لا نخر لنا في ميدان اللكم  
والمصارعة ، بل غاية المتاع عندما نوب مُوشى ،  
وطعام ملون ، وقيثار مُرّنة ، ورقصة خاطفة ،  
وحمام دافئ وفراش وثير ..... والآن ... هلموا  
أيها الفياشيون فاهلوا أمام ضيفكم والعبوا ، وأروه  
من رقصكم وشنفوا أذنيه بغنائكم ، فلسوف يتحدث  
بكل ذلك في الآفاق ، وحسبكم أن يذكر عنكم  
أنكم أمهر من ركب البحار ... هلموا ... ليحضر  
أحدكم دمودوكوس الآلهي ... يمزف على قيثارة  
ويتلاعب بقلوبنا بغناؤه ... ابجثوا عنه في بعض  
ردهات القصر ... »

وانطلق منادى الملك يبحث عن المطرب  
الآلهي ، وانطلق آخر يمد قيثاره ، ثم نهض تسعة  
فياصل يمهدون أرض الملعب ويهيتون الحلقة ،  
ويزحزون الجماهير ... وأقبل المنادى والمطرب  
يسمى بين يديه ، وجلس في وسط الحلقة حيث  
أحدق به الولدان اليوانع يميسون ويرقصون  
بسيقان تخطف كمثل خطيف البرق ، بين دهش

أوديسيوس وشدة تعجبه ، والمطرب فيما بين ذلك  
يوقع لهم النغم الحلو ، والموسيقى العالية ... وفرغوا  
من رقصهم ، فشرع المنشد يتغنى أسطورة مارس  
ومعشوقته الآئمة سيتريا<sup>(١)</sup> إذ أغواها رب الحروب  
المستهتر بمسول الكلام ومطول الغرام فاستلانت  
له ... وكان أبوللو — إله الشمس — يرقبهما  
من مركبته الذهبية في علياء السماء ، فطار بالفضيحة  
المشثومة إلى الزوج التاعس ... فلما كان ... الذي  
استطير وثار ثأره ، فراح يصنع أنشودة كبيرة  
كالشرك من حلق الحديد المفرغ الذي لا يقوى  
عليه أحد ، حتى إذا فرغ منها حملها إلى داره ودمها  
حول سريريه ثم أُلْم بالنمرج النجس حيث أوى  
مارس إلى فينوس — الزوجة الآئمة — وكان  
مارس يغالب في عينيه أخريات غفوة الضحى ،  
فلمح فلما كان يطوى الرحب إلى أرض لنوس —  
أحب المدائن إلى قلب الآله الحداد ... وطرب  
مارس أيما طرب ... وأيقظ معشوقته قائلا :  
« هلمي فينوس ... إنهمضى أيتها الحبيبة ... لقد  
ذهب زوجك إلى لنوس أرض البرابرة ... هلمي  
إلى البيت ... إلى السرير الدافئ ... إلى الحب ...  
إلى نعيم الهوى ١١ » وهبت فينوس ... وانطلق  
الأثيان إلى سرير فلما كان ، وفي قلب مارس غلة ،  
وملء جوانحه غواية وإثم ... وفي دمه شبق إلى  
هذه الفاكهة يكاد يقتله ... ولكن ... وأسفاه !  
إنهما ما كادا ينطرحان فوق الفراش الوثير حتى  
انطرحت فوقهما الأنشودة الهائلة ... وأمسكت  
بهما إمساكا شديداً ... لم يجدا منه حولا ، ولم  
يجدا منه مخلصاً ... وكان أبوللو يرقبهما كذلك ،  
وقد حدث فلما كان بما رأى .. فعاد الآله الحداد

(١) فينوس



الفادحة اللأله الأعرج ... » ثم خاطب أبولو  
— رب الشعاع الوضاء — هرمنس فقال : « يا ابن  
جوف ، يا رسول السماء ، ألك في هذه الغفوة الحلوة  
في حضن فينوس ، على أن تقع معها في هذا الشرك ؟ »  
وأجابه هرمنس عابسا : « يا رب الرماة ! بنفسى  
بنفسى ! منذ الذى يأبى حضن فينوس في شرك  
هو ثلاثة أضفاف هذا الشرك ، على أن يرمقه سكان  
الأرض والسماء ! » ؛ وتضاحك سكان السماء ،  
ولكن نبتيون الذى ساءته هذه الحال خاطب فلكان  
فقال : « هلم فلكان ففك هذه السلاسل والأغلال ،  
وإنى زعيم لك كفيل أنه مؤد إليك كل ما تفرض  
عليه من غرم ! » ... ورفض فلكان أن يطلق  
فريسته ... « لأنه من يضمن ألا ينطلق مارس  
وهو لا يلوى على شيء ، غير عابىء بكل ما عساه  
أن يمد ؟ » . وقال رب البحار : « ليطمئن قلبك  
يا فلكان ، فوعزتى وجلالى لئن لم يف مارس  
لأنجزن أنا ، ولأؤدين عنه غرامته ! » . فأجاب  
رب الحديد الصناع : « إذن ، فإنى يخيب رجاؤك ،  
ولن يرد طلبك : » وتقدم ففك الأغلال عن  
الماشقين الفاسقين ، وانطلق مارس إلى مأواه  
بأرض تراقية ، وانطلقت فينوس إلى مرتعها الجليل  
بأرض بافيا — حيث تلقاها ررب من أترابها  
بالبشر والترحاب ، ففسلها ، وضمخها بالطيب  
القدسية ، وأسبلن عليها شفوف الصبي وأردية الشباب

\*\*\*

وفرغ دمودوكوس من إنشاده بين تأثر  
أوديسيوس وتلفف البحارة الفياشيين ، ثم أوما  
الملك إلى أبنائه فوثبوا وسط الساحة ، وأخذوا  
يرقصون في خفة ، ويتقاذفون كرة غالية من صنع  
بوليب ، فكان أحدهم يرسلها عالية حتى تدنو من

على عجل ، ولم يكن قد بلغ شطئان لنومى بعد ...  
وكان قلبه يدق ... لا ... بل كان قلبه يكاد ينخلع  
فوقف في البهو الكبير ثم أرسل صبيحة مدوية  
يستصرخ بها الآلهة : « يا جوف العظيم ! يا آلهة  
الخلود جميعا ! أنظروا ! إشهدوا كيف تفضح  
فينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس ! ولله ؟  
لأنه وسيم قسم قوى ولأننى محطم منهوك موهون !  
ذنب من ؟ إنها جريرة من أنسلونى وجاؤا بى إلى  
الحياة ! أنظروا كيف يتمرغ الشهوانيون الفساق  
فوق فراشى ! لقد تشاجت مشاعرهم فهم لا يبالون  
أن يأكلنى الفيظ أو يقتلنى الحنق ... ولكن لا ..  
حسبهم هذا الشرك الذى لن يقلهم حتى يرى  
جوف فيهم رأيه .. جوف الكبير المتعالى .. والد  
فينوس ! الذى أطلب إليه أن يرد إلى قناطير الهدايا  
الزوجية التى قدمتها باسم ابنته العاهرة كشروط  
لاطلاق سراحها ! »

ولم يكذب فرغ من صرخته حتى اجتمع في  
بيت جوف ذى الأرض النحاسية جميع الآلهة ...  
وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، ثم تلاه  
هرمنس رسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبولو ...  
ثم غيرهم وغيرهم ... ولم يحضر من ربات الأولب  
واحدة ! فقد احتجزهن الخجل عن شهود  
هذه الفضيحة ! ثم أطل الآلهة بقمقمهم  
ويضحكون ... ويتلهون بهذا المنظر العجيب ،  
ويقول بعضهم لبعض : « يا اللاثم ساق إلى  
أوخم المواقب ! وباللأعرج الأكسح ، يشأى <sup>(١)</sup>  
السباق المجلى ! ! لقد استطاع فلكان أن يمك  
بتلايب مارس ، الذى هو من هو ... مارس !  
أسرع عدائى السماء ! إن عليه أن يؤدى الغرامة  
(١) يسافه فيسبغه

به ، كلما أفزع منه الخمر تقدمه للآلهة . وسألها  
أن تعد للرجل حماماً ينمسه ، وأن تدع الأثواب  
والأكسية كيما يعذر بها  
وأمرت الملكة خدماً فأعددت الحمام ،  
وأحضرت هي ثوباً فضفاضاً فوضعت فيه بدر  
الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؛ ثم تلقت إلى  
أوديسيوس فقالت له : « والآن أيها السيد هلم فغلق  
هذا الصندوق فهو لك ، لتكون آمناً عليه إذا غفوت  
في السفينة . » ولبي أوديسيوس ، وأغلق الصندوق  
ثم ربطه بحبل طويل عقده تعقيداً . ثم دعت ربة  
البيت إلى حمامه ؛ ولله كم ألقت عيناه حين رأى  
الثوب اللذيذ العظيم ، الذي لم يابس مثله منذ  
فارق كليسو ... ثم اغتسل وتذر ، وتضمخ بأحسن  
الطيبوب ، وبرز كأحد آلهة الأولمب ... وبينما هو  
يطوى الأبهاء إذا صوت جيل ذو غنة يهتف به ...  
وإذا هي الأميرة الفينانة — نوزيكا — واقفة  
خلف عمود عظيم وهي تقول : « س . س . . .  
أيها الغريب النازح اذكرني دائماً ، أنا ، أول من  
لقبك هنا !! » وتبسم أوديسيوس وقال : « نوزيكا !!  
أنت ؟ ابنة أكرم الملوك الكينوس ؟ لك الله !!  
ألا وحق جوف رب الصواعق لو صحت الأحلام  
ووصلت سالماً إلى بلادى لظلت آخر الدهر أعبدك  
عبادة أيتها الجميلة العذراء كما أعبد الآلهة أربابى ! » .  
وبلغ مجلس الملك فاستوى إلى كرسي بجواره ،  
 واجتمع الفياشيون مرة أخرى ، ودارت الأقداح ،  
 وأجلس المطرب الأعمى الآلهى ، نغرشيرا ، قريباً  
من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من  
شواء حمله أحد النادل ، فأقبل عليه المطرب حتى  
اغتنى ؛ ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال :  
« كم أنت جدير بالثناء يا دمودوكوس ، بل أنت  
أولى به من أكثر الناس ليت شمري ! هل

السحب ، فيثب الآخر فيلتقطها وهو معاق في  
الهواء ، ثم يتقاذفونها أحدهم بعد الآخر ، بين  
تهليل الفتيان وتصفيقهم الشديد . وسر أوديسيوس  
مما أبداه أبناء الملك في الرقص ، وأثنى عليهم لأبيهم ،  
ورجاه في الذي رجاء فيه من تهينة عودته ، فتوجه  
الملك إلى زعماء شعبه وقال : « يا زعماء الفياشين  
وأشياخ الأمة ! احري بنا أن نكرم مثوى هذا  
الضيف الذي بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير  
أرومته الشيء الكثير ... هلموا إذن ... إنكم إننا  
عشر زعيماً ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل  
منكم بدرة من الذهب وصداراً مفضواً فتكون  
من الجميع هدية سنية له ... أما يوريلوس فمليه  
هدية كذلك ، وعليه أن يمتدح مما فاه به . » ووافق  
الكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسالهم يحضرون  
البدر والصدور ؛ ثم نهض يوريلوس يمتدح ويقدم  
لأوديسيوس سيفاً جرازاً له مقبض من فضة ،  
وقراب مطعم بالماج ؛ ودعا له أن تسكلاه الآلهة  
بمين الرعاية حتى يرى زوجه وولده وبلاده ، بمد  
كل الذي احتمل من عناء ونصب . وتقبل  
أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن  
والسلم والرفاهية . ثم علق الجراز فوق كاهله الضخم  
ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ،  
فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحملونها إلى داخل  
القصر ، ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس  
فنهض أبناء الملك يتسلمونها ويحملونها إلى داخل  
القصر ، حيث أمرهم أريتا الملكة ... ونهض الملك  
فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر  
ثوباً وأكسية ، وأن تعد صندوقاً يتسع لهدايا الزعماء ،  
ملوك البحر ، التي خلصوها على الضيف ؛ وقدم هو  
هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ،  
الحلى بأبهج الطرف وأبهى التصاوير ... « ليدكرن



ثقت موسيقاك على عرائس الفنون ، أم أنت قد  
حذقتها على أبولو نفسه ! لقد أنشدت ما كان من  
جيش الأخيين كأنك كنت شاهد عيان ، أو كأن  
شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لعمرك ! تحدث  
عن الحصان الهولة الذي صنعه إيبوس بارشاد مينرقا ،  
والذي حمله أوديسيوس الجبار هو وصحبه إلى قلاع  
طروادة ، ثم اختبأ هو وهم فيه ، فكانوا أول خراب  
إليوم ! ! تفن ! إني سوف أحمل اسمك فأنشره في  
الآفاق أيها المطرب المعجز الذي لا يباريه إلا عازف  
موسيقى السماء ، أبولو ! تقديس اسمه »

وتنزل أبولو على لسان المنشد فراح يقص الوقائع  
الطروادية مذ حرق اليونانيون معسكرهم وبعد  
إقلاعهم من شطآن إليوم وذاك الانقسام في الرأي  
بين الطرواديين عن الحصان الهولة أبقصمون ظهره  
أم يدقون عنقه أم يحفظونه تذكارا لهذه الحرب  
ونصيحا للآلهة ... على كل حال لقد نقلوا الحصان  
داخل أسوارهم ليكون القاضي عليهم بمن فيه من هذه  
النخبة أولى القوة من أبطال الأغريق ... وهكذا  
قدر عليهم في الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ...  
تفنى الشاعر المتفنن بكل هذا ، وأثنى أيما ثناء على  
أوديسيوس الذي كان يكره كاره مارس ، ومنالايوس  
الذي كان يفر كالصاعقة ، وعلى بقية الأبطال الصناديد  
الذين فازوا بالنصر في ظل باللا - مينرقا - ربة  
الحكمة . وكان أوديسيوس ينصت إلى غناء المطرب  
وإنشاده ، ودموعه تنحدر غزيرة على خديه ،  
والآهات العميقة تشق صدره شقا ... كأنها آهات  
تلك الأم الرؤوم التي وقعت فوق جثمان زوجها  
الباسل تبكيه وتنعيه ، وقد سقط في الحومة يدفع  
عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من خلفها أبناءها  
خضض يثامى كأفراخ القطا ... ثم يقبل الأعداء  
فيخمدون أنفاس هذه الأم بضربة لازبة ، فتظار

دربني فبشبه

( يتبع )







مكتبة

مجلة اسبوعية تهذيبية في العلوم والفنون

مجلة الاداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالمحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرمال: تعبر بأفلاك عمه روح النخبة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء اليهود العربية

الرمالة : تصور مظاهر العقيدة للأمة العربية

الرمانة : نسجل ظواهر التجريد في الأدب العربية

الرسالة : نحي في النشء أساليب البسوخة العربية

مجموعه اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجدید ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً، والخارجي ما يساوي جنينها مصرياً، وللبلاد العربية بنحسب ٢٠٪.

طُبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الهرية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مرتين في أول كل شهر وفي نصف

العدد الحادي عشر ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ - ١ يولييه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



## فهرس العدد

صفحة	عذراء حلب	٦٥٠
... ..	في المروج	٦٥٧
... ..	يوميات نائب في الأرياف	٦٦٣
... ..	عاقل	٦٦٤
... ..	في غمرة الموت	٦٧٤
... ..	الرسالة الأخيرة	٦٨٢
... ..	الطفل السيد	٦٨٧
... ..	النقد الذهبي	٦٩٢
... ..	اعترافات في العصر	٦٩٧
... ..	الأوديسة	٧٠٤
... ..	بقلم الأستاذ فليكس فارس	...
... ..	بقلم أحمد فتحي مرسى	...
... ..	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم	...
... ..	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	...
... ..	بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى	...
... ..	بقلم محمد عبد الفتاح محمد	...
... ..	بقلم شكرى محمد عياد	...
... ..	بقلم محمد المزوى	...
... ..	بقلم الأستاذ فليكس فارس	...
... ..	بقلم الأستاذ دريني خشبة	...
... ..	لكسيم جوركى	...
... ..	صور مصرية	...
... ..	أقصوصة مصرية	...
... ..	لامبروس بيرس	...
... ..	لرالف بلومر	...
... ..	لرابندراناث طاغور	...
... ..	لفرانسوا كوييه	...
... ..	لألفريد دى موسيه	...
... ..	لهومبروس	...



قوتيهما إلى سهول  
سورية ووجهتهما حاب

\*\*\*

وكان يوم من أيام  
الربيع والنسيم البليل  
هبّ على جنائن  
حاب المطوقة المدينة

تحسبها عقوداً على نحر حسناء .  
هنالك ، في تلك المدينة التي  
تنصب الخيرات إليها من  
جهاتها الأربع : مصر  
وطرابزون وبغداد  
وأرضروم ، كان شعب  
كبير من بقايا مملكة الدنيا ،  
مملكة الرومان الخالدين  
بقوتهم وضعفهم وضلالهم  
ورخائهم

## عَدَاة حَلَبِ

## لِلْأَسْتَاذِ فَيْدُكْسُ فَارَسْ

منذ ٢٧ سنة كنت أنصفح تاريخ العرب ،  
نفطرت لي أن أنشيء منه أقاصيص أضمنها الوقائع  
بأمانة المؤرخ وأنسج بردها بخيال الشاعر ،  
وما كان في ذلك العهد من يهتم للأقصوصة  
فيما أذكر لا ترجمة ولا تأليفاً . كتبت هذه  
الأقصوصة ونشرتها في جريدتي التي كانت  
تصدر باسم ( لسان الاتحاد ) سنة ١٩١٠ في  
بيروت ، وأردت متابعة التأليف فاجتاحت قلبي  
عواصف السياسة ترده من الماضي إلى الحاضر .  
ومرت السنين فإذا أنا أرى هذه الأقصوصة  
بين مئات الصفحات التي أملتها السياسات الحوالة  
لكبر كريم يلتصع على أكوام من الرماد .  
فليكس فارس

ولما فتح بيت المقدس  
أبوابه لعمر بن الخطاب ، وقف  
هذا الخليفة العظيم على أطلال  
مملكة الرومان وآثار الملك  
الخالد الذي وضع أساسه  
رجل ليس من هذا العالم ،  
وقف الخليفة حزينا على تلك  
الأرض المقدسة التي دنسها  
الرخاء وتحولت فيها أشرف  
البيادى إلى طقوس وأوهام ،

وكانت حلب ، بدائنها المدينة منفردة على  
سهولها الخصبة الخضراء كالثريا بنجومها المبددة  
على صفحة الأطلس الأعلى . وفي وسطها المدينة  
الكبرى حاملة قلعتهما كالقناج على مفرق بهائهما  
وسلطانهما . . .

نحن الآن أمام هذه المدينة الزاهرة في أواخر  
حكم اليونان على مدخل عصر جديد وحياة جديدة ،  
في الأسواق حركة التجارة وحياة الأمم ، وفي الدور  
والجنائن مجالى اللهو والفحشاء : قبور الشعوب ...

\*\*\*

وكانت عادة من بنات اليونان السوريين جالسة  
إلى نافذة تطل على المروج في أطراف المدينة وقد

فلم يملك النفس أن يحجج البطريك سفرونيوس بنظرة  
مأكثر من يستحقها من كاهن وشيخ في هذه الأيام  
وكان الحجر الذي ألقى يعقوب رأسه عليه  
ليجلم حلمه المشهور مغطى بالأقذار ، فأمر الخليفة  
أتباعه بتطهير ذلك المكان حيث بنى الجامع الفخم ،  
ثم دعا إليه أبا عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وخولهما  
السيادة على سورية وفلسطين ، فكانت بلاد قيصرية  
فيلبس نصيب يزيد ، وسورية على رجبها نصيب  
أبي عبيدة . فتحت فلسطين أبوابها ليزيد ، وكانت  
قرية رام الله أول من أبرم عهداً مع الفاتح ، ولكنه  
وقف عند أبواب قيصرية لناعتهما ، ونحول عنها  
راجعا إلى أبي عبيدة فانضم الجيشان المريان ودفعا

— دامس !

ووقف البطل العربي مرتجفاً كأنه مائل أمام اللات والعزى ، يبعد في جمال الفتاة أصنام أجداده ، وضع يمينه على قلبه ، وشماله لم تزل قابضة على مقبض سيفه ، وقال متشككاً باليونانية ولهجة الصاد يادية في كل مقطع من مقاطع كلماته :

— إذا كان هذا القلب لا يكفيك من الدنيا ، فخير لي أن أعود إلى الصحراء وأموت . لماذا لا تتبعين من جاء ليقدم إليك حياته ويحملك إلى بلاد الحب

وكان دامس قد جثا أمام هيلانة وهي تنظر إليه ملياً ثم تلنفت إلى ما حولها ، والدمع يجول في عينيها ؛ وبعد سكوت عميق وضعت الفتاة يدها على كتف البطل العربي وقالت :

— أحبك يا دامس ، ولكنني أحب بلادي . إن التي تولد في رياض خلج لا تقدر أن تعيش في لوائح الصحراء . ولولا أنني آملة احتلال جيوشكم هذه البلاد لكنت أبارحها معك لأموت بين ذراعيك حيث تشاء ، ولكن لا تنس يا دامس أن أبطال عمر واقفون على مقربة منا ، وأنتى أنتظر مع أهلى وأبناء هذه البلاد الجميلة نهاية استبداد خلفاء هرقل لينهض هذا الشعب البائس من شقائه بعد أن طال استعباده لكبرياء أسياده . لقد استحوالت الشرائع السامية التي سادت أجدادنا إلى قذارة عند قاعدة عروش الظالمين الذين لا يعرفون غير شريعة القساوة والاغتصاب . ألا تذكر يا دامس ، ذلك الشاب الزاهد المتشع بالسواد الذي رأيت يمشى أمام هذه الحديقة في أول يوم رأيتك فيه ؟

— إننى أذكر ذلك

أرخت شعرها على كتفيها وأسندت وجهها الأبيض الناصع إلى يدها وأنامها تتحرك باهتزاز عصبي ، وعيناها شاخصتان تارة إلى السماء وتارة إلى أسوار القلعة الراسية فوق المرتفع كبرج حصين يهدد الآفاق ويهزأ بما انبسط تحته من سهول ... ومالت الشمس إلى الغرب ، ورنّت أجراس المعابد من جوانب المدينة فانتبهت الفتاة ورسمت على وجهها وصدرها رسم الصليب ، وهي مملقة أبصارها على الطريق المتوارية في السهول البعيدة

ولاح بين الجنائن شبح تقدم مسرعاً حتى كان أمام النافذة فوقف هناك راسماً حلقة في الهواء ثم اختفى وراء أشجار الفستق الغضة .

وأرسلت الشمس قبلتها الأخيرة على أحجار القلعة وتوارت وراء الجبال السخيفة

مرت الساعة الأولى من الليل وساد الظلام وكانت الحديقة المحاذية لبيت غادة حاب قد أقفرت وأغلق بابها الحديدي

وكان الأشجار قد شعرت بانطفاء عيون الرقباء فالت مع النسمات تتعانق أغصانها فتمازح أوراقها بحفيف كأنه ارتخاء الشعور على النحور ...

وظهرت فتاة تحت جناح الليل ملفعة بدثار من أجل ما نسجت أنوال خلاب اليونانية ، وقفت الفتاة أمام المدخل الحديدي وشخصت إلى أعلى رتاجه ، وما عتمت أن انقض من أعلى السور إلى الحديقة رجل ملتف بعباءة وعلى رأسه كوفية سوداء وعلى جنبه يمانى محدوب ؛ انحدر كما ينحدر الطير من الهواء منقضاً على غصن ، أو كفرأش الربيع تسكره الزهرة بعبيرها فتجذب إليها ...

— هيلانة !



وارتمش دامس كأن في هذه الذكرى ناراً  
لا سمة ، فابتسمت الفتاة بمرارة وقالت :

— أجل هي شرارة الفيرة ، يا ابن الصحراء !  
هذه لمعاتها في أحداقك . لا تنكر . أنظن أنني  
أحببته ؟ أف لهذا المرض الهائل الذي لا تعرفه  
بنات اليونان في رجالهن !

رفع دامس بصره إلى السماء وقد خرج من  
فه أنين عميق كأنه زئير ليث جريح وقال :

— إن لم يكن فينا نحن العرب من داء غير  
هذا الداء لكفانا دلالة على ما فينا من أنفة وشتم .  
هي ممزة النفس تتألم . هو الدم يحترق بحرارة  
الصيانة والشرف . هو المجد الأثيل ذلك الداء . أو  
تسميته داء يا ابنة المجد المتداعي التي لا ترى حولها  
غير رجال استعجزت قلوبهم وجمد دمهم في عروقهم  
المتراخية ! إن الفيرة ليست واحدة في قلوب  
الرجال يا هيلانة ، فمنهم من يغار لأنه تعود الانغماس  
في الشهوات فهو لا يرى إلا الشر حينما أدار بصره ؛  
ومنهم من يغار عن صيانة في النفس ورفعة في  
القلب ، وما أنا ممن يقترون بما يشعرون . أريدك  
سامية كما بصورك خيالي العربي في دماغي الملهب .  
أريدك واثقة من حي إلى درجة إظهار نفسك  
أمامي كما هي ؛ ولعلك لا تدركين ما أرجوه منك .  
لقد لحمت منك نظرة ألقيتها على ذلك الزاهد ولم تزل  
تلك النظرة مستقرة كالسهم في قلبي ، وأراك تعمدين  
إلى التوبة كلما أردت سبر سرك . ونحن معشر  
العرب لم نتعود الكذب . قولي لي إنك كنت  
أحببت ذلك الزاهد فلا أحنق ولا أثور ، ولكن  
الشك في صدقك وإخلاصك يقضي علي . لقد أبت  
نفسنا أن نتصدق بالكاذبين ونحن نحملها تحت  
البنود إلى الفتح المبين ...

وكان الحواس قد بلغ أشده في دامس وهو  
يتكلم فارتفعت كوفيته عن جبينه واسترخى عقاله  
فلاح جبينه الأسمر مكلاً بقطرات العرق ، وكانت  
عيناه ترميان شرراً ؛ وذعرت الفتاة من هذا المشهد  
فأصبحت مخلوبة أمام حبيبها تندفع إلى الإقرار  
فيصدها ما تراه من حماسة ، كان دامس يطلب الحب  
في الحق وهي تحاذر أن يقضي ذلك الحق على حبه  
شعرت هيلانة بحرب تستعر في قلبها بين  
ماضيها وحاضرها ، فأحنت رأسها بتعب كما تنحني  
الزهرة أمام عاصفة هوجاء ، فقالت في نفسها : « إنه  
وهو في شك يكاد يجن ، فما يكون حاله لو عرف  
الحقيقة ياترى ؟ » إن الحاضر له ومستقبل بين يديه ؛  
أما الماضي فهو لي ، لي وحدي أحتفظ بأسراره  
وليس لغير الله أن يسبر أغواره  
على أن صوتاً خفياً كأنه الأنين كان يرتفع من  
ضمير الفتاة هاتفا :

« إن من خدع في الحب فقد كفر بقلبه وقضى  
على عواطفه ، إن المحبة المستقرة على الخفايا والأسرار  
ليست محبة كما أن الله إذا جهل الوجود لا يكون إلهاً »  
— ولستك مدنية ذلك الزمان لم تكن تؤهل أبناءها  
لسماع مثل هذا الصوت الخفي ، لذلك انتفضت  
هيلانة كأنها تستفيق من حلم عميق وقالت :

— لقد رجوتك مراراً يا دامس ألا تعود  
إلى مثل هذا الكلام . حلفت لك وأكرراً أمامك  
القسم بأنني ما أحببت سواك فاكثف

— أمام قسمك أ كذب نفسي وعياني  
يا هيلانة ، وأنا أقسم لك بأنني لن أحول عن نيلك  
مادام في دم وحياء ، ولو كلفني فتح حباب هلاك ،  
فما أنا راجع عن أماني ولو اضطرت إلى تساق  
جدران القلعة وحدي

— التفت المنهوسون حول يوا كينا لأنهم  
اعتقدوا فيه الاستبسال في الدفاع عن البلاد ، وقد  
تبعوه الى معركة أمس وأنت أدري بما سيكون  
— أليس في المدينة بقية من حزب القتلى  
يميل الى التسليم ؟

— بلى ، كلهم يريدون الأمان ، ولكن  
وقاحة يوا كينا تثقل عليهم ولم تزل أشباح إخوانهم  
تترامى في الليل على الدماء التي خضبت الساحة ولم  
يسمح الظالم بمحو آثارها

وكان دامس ينكث الأرض برأس سيفه  
مستغرقاً في التفكير ، ثم رفع رأسه وقال :

— إلى الملتقى إذا يا هيلانة ! جددى إيمانك  
واثبتى على العهد . إن شعبك سيحرر من  
عبوديته ، وحين يسود العدل ربوعك سأقيم لك  
من أضلاعى بيتاً تسكنينه على أرض أجدادك ،  
ولكن اعلمى أننى لم أزل أذكر تلك اللفتة الهائلة ..  
وبلاء . . . إن الأيام هائكة الاستتار ، فإذا رأيت  
المستقبل أشد غيرة منك على شرفى فأننى أحول  
هذا السيف الى صميم القلب لأموت . . . لك هذه  
الدقائق القليلة ، يا هيلانة اهتسكى أمامى أستتار  
كبريائك فلا تخادعى نفسك . أجبى بحق إلهك  
الذى أعبد وتعبدن ، هل أحببت أحداً قبلى ؟

— لا . . . . .

وتعانق الحبيبان

وكانت قطرات الأمل تسقط كالندى على قلب  
دامس ، ودموع هيلانة تنحدر متراجعة إلى قلوبها  
كانسكاب الغسلين على حجارة جهنم السوداء . . . . .

\*\*\*

وساد الظلام على مدينة حلب وأرجائها وكانت  
مضارب الحملة العربية منتشرة حول أبواب المدينة

— اسمع يا دامس ، لقد قطعت على الكلام  
بلواسع غيرتك الجنونية ، فلم تصبر ريثما أقص عليك  
ما تعلم . ذكرتك بالزاهد لا لاثير حنقك ، بل  
لأقول لك إنه مات مقتولاً بسيف أخيه في ساحة  
حلب نفسها .

— إذا هو أخ يوا كينا حاكم البلاد ، وآخر  
حامل لئاج هرقل .. علمنا أن هذا الملك قتل زاهداً  
ولسكننا ما علمنا أن القاتل أخوه

— إن يوحنا الزاهد هو أخ يوا كينا الظالم  
السفاح ، فان يوحنا الذى أسأت به الظن ، قد دعا  
الشعب للاستسلام للعرب ، لأنه عرف عدلهم  
وتيقن نبالة قصدهم ، وكان قد ذهب إلى معسكر أبى  
عبيدة يتبعه عدد من أهل المدينة فأبرم مع الفاتحين  
عهداً ، ورجع بمن معه عند الغروب على أمل تسليم  
المدينة عند بزوغ الفجر ، ولكن يوا كينا كان  
في انتظارهم في الساحة العمومية مع جنده ؛ ولما التقى  
بأخيه ألقي القبض عليه وأمر بنحر من اتبعوه  
واحداً فواحداً حتى خضبت الساحة بدمائهم ،  
فثار حمية يوحنا فصرخ بأعلى صوته أمام الجماهير  
المحتشدة :

— ليأت العرب بعدلهم لتخليص الشعب  
من ظلمك . . .

حينئذ نلح سيف يوا كينا مخترقاً صدر أخيه ، فسقط  
المسكين قتيلاً وهو يعمل على تحرير قومه من السفاح  
وتهديد صنوت الفتاة بفصصة الدموع ، فشمر  
دامس بهبوب نسبات الذكري من وراء القبور  
فارتعش وكادت غيرته أن ترجع به إلى خطابه المبتور  
ولكنه ثبت في موقف التفكير بأحوال الحملة  
الفاتحة فأمر يده على جبينه وقال :

— وبعد ذلك ؟



لأطير وأنقض من حالى على يوا كينا الغائص الآن  
في بحار ملذاته !

وسقطت من جفون دامس دمعتان نزلتا يبطء  
على شاربيه فمسحهما بأردانه وشخص إلى السماء ،  
وتقدم الشيخ الطويل إليه حتى لامسه ووضع يده  
على كتفه وقال :

— اسمع أيها العربي . أنا يوناني أحفظ في  
ذا كرتي كثيراً من أمجاد مملكة هرقل في سوريا .  
أنا مسيحي أو من بالمسيح وإنجيله الطاهر ، فأنا  
اليوناني المسيحي سأسلم أمتع نقطة في ملكنا إلى  
يد العربي المسلم ، ويشهد الله أن ما أقوم به إنما  
هو واجب عليه الضمير على ، فلست بالخائن ولو  
وصفني الناس بالمروق . إن حلب بأسرها تسلم  
زمادها خليفة نبيكم ولكن يوا كينا العاصي يتحصن  
في هذه القلعة ويطلق الحصار مدعياً أنه يصد  
هجمات الاسلام حفظاً لدين أجداده وهو الذي  
يدعى المحافظة على الدين قد صبغ الساحة بدماء  
رجالنا وكان ابني الوحيد بين أولئك الوطنيين  
التمردين على الفساد والظلم

بكيت وحيدى بكل دموى ، وأقسمت ألا  
أجيب داعي الذنون ، وأن أتمرده عليه إلى أن يقيض لي  
الله أن أرى انهيار هذا الملك وانحطام عرش يوا كينا  
الفاشم ، إنني لن أترك الحياة إلا وأنا أحرق قطعة  
من عرش يوا كينا على قبر ابني الشهيد

واختنق صوت الشيخ فترة ليرتفع بكل  
نبرات الاقتناع فقال :

— لست بحاجة لإطالة الكلام لأبرر نفسي  
أنت تعرف أن النصاري كلهم أنفقوا الذل وتركوا  
الحياة مستعبدين لرجل لا إله له غير كبريائه وشهواته

تشب النيران بينها والجنود واقفون ينتظرون  
المشاء

على أن من يتميز هؤلاء العربان عن قرب يجد  
بينهم عدداً وفيراً من سكان المدينة ويرى من حين  
إلى آخر نسوة يونانيات حاملات للجنود أطباق  
الحلوى

وكان هواء الليل يحمل إلى بعيد صوت نشيد  
عربي نغم يدوى كأنه هتاف الحجاز على أطلال  
بزانطة المتداعية ، ثم لا يلبث أن يجاوبه نشيد  
متقطع باللغة اليونانية كأنه أنين الأجيال المزمعة  
الرحيل عن ملعب الدنيا

على مقربة من أحد المضارب الواسعة كان  
البطل دامس جالساً القرفصاء وقد تشنجت أصابعه  
على مقبض سيفه وهو غارق بالتفكير ، مضت ساعة  
وهذا الرجل جامد لا يتحرك ولكن خشيش  
الأعشاب اليابسة أمام مضربه نهبه لقدوم رجل  
طويل القامة ملتف برداء يوناني وقف أمامه وقال له :  
— أراك قانطاً يا دامس وليس لمثل هذا اليوم  
يحفظ الأبطال القنوط

بقى دامس جامداً ولكن ارتجافاً عصبياً كان  
يجمد جبينه العالي ، فرفع رأسه وقال :

— سوف نعود من حيث أتينا ، وهذا المقاب  
الكاثر متحصن وراء هذه الجدران . والله لو أن هذا  
الحصن المنيع حراب مسمومة لاخترقته بصدرى ،  
ولكنه حجر أصم جامد فلا هو يقتلني ولا أنا  
أقوى على تحطيمه

وانتفض دامس محدقا بالقلمة وهي مخترقة  
السحاب كأنها تهزأ بالزمان  
— أواه ! لو يستبدل الله ساعدى بجناحين

الصوت الخالد المهيّب في أعماق ضميره الى الجهاد من أجل الحق ، ولكن البطل العربي في نشوة إيمانه كان قد لامس بحسه الباطن الوقائع الكائنات التي تتجلى مبادئها وراء الزمان والمكان ، فسمع هاتفا عميقا بعيدا عن حواسه يناديه :

إن في القلعة قبر حبك ، ولكن وراء بابها المحطم بقبضة يدك الخطوة الأولى للعهد الجديد ، بداية حكم العرب المجيد ...

وكانت الساعة الأولى بعد نصف الليل ، وأخذت الأنوار تنطق متتابعة داخل أسوار القلعة ، وبلغ السكر حده في أدمغة الجنود والحراس فثقلت أجفانهم وناموا وهم يعضفون بقية اللحان اليونانية التي كانوا يتشددون بها ...

وكان يوا كينا لم يزل ساهرا يكرع الراح في إحدى البنايات الفخمة القائمة إلى جنوب القلعة وبين يديه غادة رومية استندت إلى عود تنطق أوتارها لغة القلوب

وكانت تنشد قائلة :

« وإذا جن الليل وأرسلت السماء من نجومها لمعات الأسرار ، عندما يستغرق كل شيء في السكون ينتبه السكون بأمره في عين تلمع ، وقلب ينبض ، حينئذ إذا كنت جنديا فاجعل من درعك كأسك ، وإن كنت كاهنا فاكرع الخمرة من كأس الهيكل ، الحب هو الآلهة المعبود ، فان زهدت في الحب كفرت بربك »

وكان يوا كينا يصوب أنظاره حيناً فحيناً إلى الجهة الشمالية من البرج فتخفق أهداب جفنيه على نظرات منكسرة في أحداقه

وكانت تقف أبصاره على غرفة موصدة هنالك في طرف القلعة حيث كان يقيم أخوه الزاهد يوحنا .

إن من يلمح يده حتى يدم ابن أبيه وأمه ليس إلا كافراً بالله وبروح الله ، وأنا أعتقد كما يعتقد جميع العقلاء في بلادنا أن دين النبي العربي ليس إلا شملة من روح الحق يرسلها الله الى الأرض لتجديد قوى الخير والقضاء على الفساد والضلال ، فالنصرانية الحقنة المتألمة من الطغاة الكافرين بها تمد يدها من قلوبنا لتصافح الاسلام ، وما هو إلا صنوها الذي حطم الأصنام ودعا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد

إن يوا كينا يتلاعب بنا باسم الدين ليدعم عرشه الهاوي بجهاجم أبنائنا ، وهو الكافر بربه فكيف يعتقد بالمسيح ؟ إنما الدين هو العدل ، وما أورث الله الأرض إلا لرجال الحق ، وأنتم أولئك الرجال - إنني أومن بالفتح المبين لاسقاط سلطنة المارقين ، ولكني لا أتميز السبيل إليه في قضاء الله ، وهذه القلعة واقفة بين الماضي والمستقبل حلقة جبارة تملأ الفضاء ، وأية قوة ستصل إليها لتكسرها ؟

- إذهب الى أبي عبيدة وتعهده بفتح القلعة وعد الى لثم عملنا هذا المساء ، ولتكن جنودكم على أهبة الهجوم

- إنني أتبعك أيان تريد ، اقذف بي الى أشدق الموت . إن الجهاد حق على المؤمنين

ونفض دامن وقد ملأت عقيدته جوانب نفسه ، فخرج القلعة المتلازمة بالأنوار بلفات النسر المتحفز للانطلاق ، وما تقدم بضع خطوات حتى استوقفه خفقان قلبه العاشق وقد هتف صوت هيلانة فيه : تقدم إلى اللقاء ، الى كوثر الحب المتدفق من شفتي ، فانتفض المجاهد المطلق في وجدانه يخنق هذا الصوت الدخيل خشية تطرقه الى نبرات



كالأسد الثائر فسكنتم أنفاسه وألقاه صريماً ، وكان  
الشيخ اليوناني قد تقدم كالبرق الخاطف نحو الباب  
الكبير ففتحه من الداخل ، ولم تمض فترة من  
الزمان حتى كان أبطال العرب مستولين على الحصن  
تحقق على مرتفعاته أعلامهم الخضراء ...

\*\*\*

وتكحل الشفق بأوائل ذرات النور  
في إحدى خنادق القلعة كانت جثة باردة ممتدة  
وقد تقلصت أصابع كفها على ذخيرة مفتوحة  
تدلت منها خصلة شعر تخضبت بالدم ...  
الذخيرة ذخيرة يوحنا الزاهد القتييل يشهد  
رسم هيلانة وشعرها فيها بما أودى بحياة دامس  
البطل العربي الذي دون التاريخ فتحه أبواب  
الحصن المنيع

وفي القاعة الكبرى ، داخل الحصن ، كان  
رجل يكمل المرق جبينه طارحاً سيفه عند قدميه  
يدور به أبطال العرب وهو رافع يده هاتفاً :  
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..  
هو يوا كينا ذلك المتشهد ، هو مرهق شمه  
وعبد شهواته وناحر أخيه بيده هو الجاني على دين  
الله في المذهبين الموصولين الى الله  
وبين المقابر كان شيخ هرم يحرق قطعة من  
الخشب الموشى بالذهب فوق حفرة لم تجف زدومها  
بعد ....

وعلى قصر من قصور حلب الشاهقة ، كانت  
فتاة ترفع أبصارها إلى السماء وتضع يدها على قلبها  
معلقة أبصارها على الطريق منتظرة عودة من خلده  
الحب وأرداء الخداع ...

فليكس فارس

هنالك في تلك الغرفة المدخل السري الوحيد للقلعة  
ولكن ذلك المدخل موصد الآن على بقايا أبواب  
الراهب القتييل وقد علقت بها سلسلة ذهبية مربوطة  
على ذخيرة انفتحت عن صورة فتاة وخصلة كبيرة  
من الشعر

للشرفات همود كما للخير غفلات في ضمير  
الانسان

وكان صوت المغنية الرومية يرن في أذن السفاح  
فيذهب قسم منه إلى ضلاله ويتساقط قسمه الثاني  
على روحه كالندى على الأزهار اليابسة . كانت كلمات  
الأغنية البذيئة تستقر في شهوته وتدور مع دمه  
الفاسد ، ولكن اللحن أو النغمات أو الابقاع ،  
تلك الأصوات السرية التي لم يقو الانسان على  
إفسادها كانت ترفرف فوق كلمات الأغاني كأنها  
حمامة بيضاء تائهة فوق جيفة منتنة ، فتذكر يوا كينا  
أن في الكون شيئاً لا يقدر الانسان أن يتناوله  
بيد الأرجاس

ولكن هذا المحارب اليوناني العاني الذي تمشى  
إلى معقله المنيع على أنهار من الدماء لم تستوقفه  
طويلاً همسات نجواه ، فتقدم مترنحاً في سكرة إلى  
الفتاة الرومية يحتضنها ويداعب شعرها الذهبي  
الطويل مولياً ظهره لباب غرفة أخيه الموصدة ..

\*\*\*

وفي تلك الدقيقة ، ابتدأت أخشاب ذلك  
الباب بالسقوط تحت ضربات خفية وظهر شبح  
اليوناني الطويل دليل دامس فتقدم باحتراس متطلعا  
إلى كل جهة ، وكان هنالك حارس ممدد على الأرض  
فانتبه من نومه مذعوراً قابضاً على سيفه ووقف  
لينادي ، ولكن دامساً انقض عليه من الغرفة

# فالمزور

للقصصى الروسى مكسيم جوركى  
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى

على ضفاف «الديتير»  
وكان أولنا جندياً سابقاً  
في الجيش، رجلاً أحمر  
الشعر، بائن الطول،  
ضامر المود، طلق  
اللسان، يروى الكثير  
عن حياة السجون،  
وعيشة الأسار

أما الثانى فكان شاباً  
ريق الشباب، لدن  
المعاطف، ضاوى الجسم،  
وقد أخبرنا عند لقيانا

أنه طالب في جامعة موسكو، فلم نمن لذلك كثيراً،  
فقد كان كل ما يعنيننا أنه جائع طاوى البطن مثلنا  
وكنتم أنا ثالثهم بوجهي الخفر الصامت،  
وحياى الذى لازمنى منذ بواكر أيامى، ولن أتطلق  
معمك في الحديث عن نفسى فليس هذا مقام ذلك،  
ولكنى أقصر القول على أننى كنت كثير الوثوق  
من نفسى ولم أزل كذلك...

وكنتم أمائى الجندى في المقدمة، أما الطالب  
فكان يتخطر وراءنا في وفاء ومهل، وقد علق بمطقيه  
شيء بال كان يشبه المعطف في حين من الأحيان،  
وعلب رأسه بقايا قبعة زرقاء قديمة، وبدأ في قدميه  
جذاء عتيق يخيّل إلى أنه التقطه من جنبات الطريق،  
أما الجندى فكان يكتسى قميصاً وردى اللون، وقبعة  
حربية الطراز، أما قدماء فكانتا عاريتين شنتين...  
وهكذا كنت أنا أيضاً

وظفقنا نقلاب الطرف في أرجاء تلك المروج  
الناصرة. الجنبات، فما عادت تواظرنّا منها بطائل  
ألهم إلا السماء الرائقة الساجية، التى كانت أشبه  
شيء بطبق أزرق هائل قلب على الأرض، وكان

(٧)

... ومضينا في طريقنا نحث الخطى، بعد  
أن خلفنا وراءنا «ميركوب» نهما كالذئب،  
ناقما على العالم أجمع... فنذا اثنتى عشرة ساعة أوزيد،  
ونحن ندير اللحظ في نواحي المرج، ونتقصى النظر  
على جنبات الطريق، علمنا تقع على شيء نقيم به  
أودنا... ولكن أعيننا حسرت عن درك نهاية  
ذلك الفضاء المتصل... وأخيراً قرأنا العزم على  
أن نصل السير... ولكن إلى أين؟... ثمّة إلى  
الأمام قليلاً... فسرنا في صمت وضيق، وقد  
تراخت أعصابنا من الجوع، وارتبهكت مفاصلنا  
من النصب، وقصرت خطانا من الأين

وكنا ثلاثة عرف كل منا الآخر في سامر ليل

\* تحتفل الأوساط الأدبية في موسكو في هذه الأيام  
بذكرى مرور عام على وفاة شيخ أدبها الحديث، وكتبها  
النابع مكسيم غوركى... وقد توفى غوركى في مثل هذه  
الأيام من العام الماضى. بعد أن قضى حياة بائسة طويلة ذاق  
فيها الكثير من ضروب العوز والفاقة والتفرد، وقد طبعته  
هذه الحياة على نوع من الأدب مازه من غيره. وهو افتنانه  
في وصف البؤس وذكر البائسين، وقد تخيرنا له هذه القصة  
لأنها تمثل — على ما نرى — جانباً من عيشته، وطرفاً  
من حياته



— لا شيء هناك ... لم يبق إلا أن نقضى  
الليل في ذلك الصقع النائي ... فهيا نجمع بعض  
الحطب لنضرم النار أيها الرفاق

فانطلقنا نلتقط من المرج ما اعترض سبيلنا من  
أضغاث الأعشاب الجافة ، وكنا كلما تشنى الجسم  
لالتقاط عود جاف يساقط على نفسه ، وبأني أن  
يستقيم ويستوى ثانية كأن به رغبة ملححة إلى التمدد  
والتطرح ، لما أضواء من الاعياء والنصب والجوع .  
وهتف الجندي أخيراً :

— لو قبض لنا الله من هذا المرج ثمة جذر  
من جذور النبات ، فان من الجذور ما يؤكل ؟

ولكن الحزون كانت تبدو حولنا منبسطة  
ممهدة خالية من الأشجار ... وكان الليل غاشياً على  
السكون ، وقد رجفت في ثناياه النجوم الفارقة ،  
وضاءة الطلعة ، وهاجة الجبين ... وعلى حين  
غرة أقبل الطالب علينا هامساً :

— أيها الرفاق ... إن عن شمالكم رجلاً راقداً  
في المرج ، فقال الجندي :

— رجل ؟ .. ولم يرقده هنا ؟ لابد أنه مزود  
بالطعام ... فما يدلج إنسان في تلك الشعاب النائية  
دون طعام أو شراب ... هيا نذهب إليه أيها الرفاق  
وتقدمنا الطالب بعينيه البراقة الخضراء ،  
فسيح الخطو ، حثيث السير ، وكان الرجل جامداً  
في مرقده لا تحتلج أطرافه ، ولا تطرف عيناه  
فتطرق إلينا الشك ... وقال الجندي :

— ربما لم يكن هذا رجلاً ...

ولكن سرعان ما تبددت الريب فقد طرق  
سمعنا صوت متزن الجرس ، متسق النبرات شق  
غواشي الظلام بقول :

— مكانكم .. وإلا ألهبت رءوسكم !

الطريق ضيقاً حصباً تلوح على حفافيه أكوام مشتتة  
من القمح المشيم ، بينما انتثرت في نواحي المرج  
بضمة أعواد جافة أغفلها منجل الحاصد فلاحت كتلك  
الشعرات البيضاء المتناثرة في عذارى رقيقة الجندي  
ومضينا في سيرنا ، ووجهتنا ذلك الأفق البعيد ،  
وقد ضرب عليه السحاب لثاماً رائقاً غراً ،  
فرفع الطالب إليه لظه وأوماً نحوه بينانه قائلاً في  
خيلة وزهو :

— تلك ولا شك جبال « الكريمان » التي  
درسناها

فنظر إليه الجندي عجباً وقال :

— جبال ... أي جبال يا رفيق ؟ ... تلك  
سحابة صافية شفة كاللبن المروق ، ووددت من  
من نفسي لو كانت حقاً من اللبن المروق فتروى منها  
عطشنا ، ونبل بها صدائنا ... ومضت برهة قبل  
أن ينبس أحداً بينت شفة . وأخيراً قال الطالب  
في لهجة العاتب :

— لقد قلت لكم إنكم تضربون إلى الأصقاع  
الغير الآهلة بالسكان ... فقاطعه الجندي قائلاً :

— لقد قلت أنا ...؟ حقاً هذا دورك لتقول لنا ،  
فأنت بيننا الضارب بسهم أو فر في العلم ، ولكن  
خبرني يا رفيق أين هي إذن الجهات الآهلة بالسكان ؟  
فلم يحمر الطالب جواباً ، وسرنا يرتق فوقنا  
الصمت ، وكانت الشمس قد جمعت خيوطها  
الذهبية عن الكون ولم يبق منها على الأفق إلا  
الشفق الأحمر الزهّي ، وقد تمثل فيه الأمل الباسم ،  
ولفته غلالة وردية شفة من السحب ، فبدت  
المرج موجشة صامته ، وقد هفا عليها السكون ،  
ورانت فوقها الهدأة ، وأخيراً قال الجندي وهو  
يتنصت ويتلفت :

فانتبهنا فإذا الرجل قد انتهض من رقدته وفي يده « مسدس » صغير ، ألجم به أفواهنا وعقل أقدامنا وأخيرا هتف به الجندي :

— لا تُرْعُ أيها الرفيق ... فلن نَمْسَكَ بسوء اننا نكاد نصرع جوعا ... فأعطينا شيئا من الخبز ولكن الرجل تلبّث في مكانه جامدا لا يخلج ، شاخصا لا يطرف ... فاسترسل الجندي :

— ألا تسمع أيها الرفيق ... فأجاب الرجل وهو راجف واجف

— حسن ... ! فصاح به الجندي

— لا تطرق فؤادك الريبة أيها الرفيق ...

فاننا لا نبني بك شرا

وتبدّت على شفقي الجندي ابتسامة ظافرة ، لم يثبتها الرجل الغريب لطول الشّقة وبهمة الليل ... وأخيرا قال الغريب :

— انتظروا ... ثم لوح بيده في الهواء فسقط

عند أقدامنا شيء أسود هوى عليه الطالب بيده ، فاذا به يضع لقيات جافة مُغبرة ، سوداء مُشمّنة ، فلم نلق بالالهذه الصفات الأخيرة المتتابعة ، بل جالسنا حول الجندي ، وكان قد ارتقى الأرض وطفق يقسم بيننا الخبز

— هذا نصيبك أيها الرفيق ... وتلك حصتك أيها الطالب ... وهذا ما تبقى لي ... كلا ، ماهذه بقسمة عدل ، أعطني قطعة من نصيبك أيها الطالب

فانصاع الطالب صاغرا وأعطاه ما طلب ، وجالسنا نأكل في صمت ... وقد انفردت عن

رفيقي وأخذت أحطم ذلك الخبز الجاف بأسناني التي كانت على أهبة لمضغ الصخر ، وأحسست وأنا ألوك في شندق تلك اللقيات ، أنها مرغان ما انقلبت دماء دافقة في الجسم فأنستني ما مضى من الجوع وما مر من الفاقة ... ولكن عند ما ألقيت في فمي بما بقي من فتات الطعام أحسست جوعا ممضّا من جديد ... وهمس إلينا الجندي أخيرا :

— لأنني على يقين من أن ذلك الرجل معه لحم أيضا ... وأضاف الطالب :

— وللتثبت من ذلك أقول إن الخبز يفوح برائحة اللحم ...

وكنا جلوسا بمضنا إلى بضع وقد جمع حولنا الليل مسوحه السود ، وبسط علينا الصمت جناحه الشامل حتى عدنا نسمع ضربات قلوبنا ، ونأثمة أنفاسنا ... وكنا جائعين !

ومضينا نتداول ونتناول في ذلك ، إلى أن أشرت أخيرا على رفيقي أن نسطوا على الرجل فنأكل ما بقي من طعامه دون أن نمسه بشر ؛ وصادف هذا الرأي هوى من نفس الجندي فصاح :

— هيا بنا أيها الرفاق

فقمنا متخاذين وعممنا شطرا الرجل ونحن نتأمل في خطانا ، فسا جزنا خطوتين أو ثلاث خطوات .. حتى أصم آذاننا دوى طلق شديد شق سكون المروج الشامل ... فصاح الجندي بالرجل :

— أخطأت المرمى أيها الرفيق ! ...

## انتظروا قريبا السيد عمر مكرم مع الأستاذ محمد فريد أبو حديد



- وأمرعنا إلى الرجل فأتى الطالب بنفسه على  
كيس طعامه . . . وأتجه الجندي نحو الرجل  
المسكين وكان قد تطرح على ظهره وهو واجف  
راعش ، فركله الجندي بقدمه قائلاً :  
— كان الأولي أن تطلق النار على نفسك  
أيها الغبي . — وهتف الطالب مازحاً :  
— لقد عثرت على اللحم أيها الرفاق فتعالوا  
نأكل . . .  
وجلسنا نأكل من جديد ، وكان الليل حولنا  
مثلما بظلامه ، سواد على سواد . . . وعلى حين  
غرة سمعنا الرجل المسكين يغمغم من صوت خافت  
كأنه الأنين :  
— عفواً . . . أيها الرفاق . . . كيف لي أن  
أعلم . . . لقد أطلقت النار لأن الرعب ملا أجوانحي .  
إني في طريق إلى مقاطعة « سمولنسك » وقد  
تولتني الحمى عند مغرب الشمس ، فوهى منها  
جسمي ، ووهنت أعصابي ، وأخذت على مذاهب  
السير . . . إني أمارس النجارة . . . ولدي زوجة  
وطفلتان لم ترياني منذ أربعة أعوام خلون . . . الحكم  
الطعام فكلوا كل شيء . . . أيها الرفاق . . .  
فأجاب الطالب :  
— « وهل نحن في انتظار إذنك ؟ » ثم همس  
إلينا الطالب :  
— لا شك أن ذلك الرجل معه نقود أيضاً  
فأجاب الجندي :  
— إنك دائماً صائب التخمين أيها الرفيق  
ثم نهض الجندي قائلاً :  
— هيا نضرم النار لننام أيها الرفاق . . .  
فالتفت عينا الطالب ثم قال :
- وماذا عن الرجل ؟  
— فليذهب إلى الشيطان . . . أما كفى أن أكلنا  
طعامه  
وتفرقنا من المرج نجتمع ما ألقينا من الأعشاب  
عندما بفتنا الرجل . . . ثم أشعلنا النار في كومة  
الهشيم ، فاضطربت وتوهجت وأنضت ما حولنا  
من الظلمة ، فسرى الدفء في الجسوم ، ودب  
الكري إلى الجفون . وطرق سمعنا صوت النجار  
الخافت يقول :  
— أيسمح الرفاق أن أدنو من النار قليلاً ؟  
إن عظامي يكاد يفتتها البرد . . .  
وأخذنا عليه المطف فسمحنا له بالدنو ، فأتى  
يدب على رجليه وقدميه . . . وقد أغرق عينيه فيض  
من الألم ، وغمر وجهه صبغ من الصفرة . . . وبدأ  
في لمع النار زائغ البصر ، متكفاً الآون ، ثم جلس  
على كئيب منا يمس أطرافه الموضونة ، ويبسط  
أصابعه المثناة . . . وبعد برهة سأله الجندي :  
— ولم لم تتركب البحر مادمت على هذه الحال  
من الاعياء والوهن ؟  
فأجاب في خفوت :  
— لقد نصحووا لي أن آخذ طريق البر لأنه  
آمن على صحتي . ولكني لا أستطيع الوصول . . .  
وسيطوبني الموت في تلك المروج النائية ولن أرى  
طفلي الحبيبتين . . . يا إلهي . . .  
وأخذ الرجل يصيح فهره الجندي قائلاً :  
— « كفى . . . صدعت رؤوسنا أيها الغبي »  
وصحت أنا به :  
— « لا تمكر علينا صفوا النوم أيها الرجل »  
ثم أضاف الجندي :

— أسمع أنت ؟ .. أظن أنك ستنال عطفنا  
بعد أن أطلقت علينا النار ؟.

وصمت الرجل وصمتنا ، ... واستلقى الجندي  
على ظهره .. وتطرح النجار على كومة من العشب  
ورقدت أنا عن يمينه ، واضطجع الطالب إلى يساره  
وهو يتنأب ويتناوم وبعد برهة هتف الجندي وهو  
يتأمل في السماء :

— ما أروع الليل الساكن .. وما أبهج السماء  
الصفافية .. تأمل أيها الصديق .. إنه ليخيل إلى أن  
الله خلق السماء دثاراً لتلك الأرض الناعسة الغافية .  
ما أجل تلك الحياة الطالقة الحرة أيها الرفيق .. إنه  
قد يكتنفها الجوع . وقد يكدرها البرد ولكننا فيها  
أحرار طلقاء ... نضرب في ذلك الفضاء الرحيب  
لا إمرة لأحد علينا ولا نهى ، بل نحن سادة أنفسنا .  
لقد كاد يقتلنا الجوع فيها أياماً ... وهما نحن أولاء  
قد أكلنا وروينا .. ورقدنا تطلعتنا بلحظها النجوم  
الفواتن كأنها تقول لنا : « خفضوا عليكم جأشكم  
أيها الرفاق .. واضربوا في فضاء الله الواسع وتعلموا  
وتدبروا ولا تحفلوا بأحد . »

وصمت الجندي قليلاً ثم قال :

— كيف أنت أيها الرفيق النجار .. لا تكن  
غاضباً علينا لأننا أكلنا طعامك ... ماذا كنت  
تريدنا أن نفعل ومعك طعام وليس معنا شيء ...  
ثم إنك ستمر غداً على سوق « بيركوب » فتبتاع  
منه ما شئت من الطعام .. منذ كم أخذتك الحمى ؟  
ومضى موهن من الليل كانت تحمل الريح  
خلاله إلى همس الجندي وجواب النجار ، ثم غشى  
الصمت على السكون ، وسكن هزيم الرياح في الأفق  
وعقد السكرى أهداب الجفون ...

\*\*\*

— تنبه ... ! تيقظ أيها الرفيق ... دعنا  
نذهب سريعاً

فانهضت مرتعاً من النوم فرأيت الجندي  
واقفاً بجانبى يستحني إلى السير وقد تكفأ لونه  
وتوجف قلبه ، وكانت شمس الصباح الضاحية قد  
لألت نواصي الأعشاب في المرج ...

وتلفت يميناً فاذا النجار ماقى على ظهره ممزق  
الثياب وكان أزرق الوجه فاغر الفم جاحظ العينين  
وقد أغرقهما الرعب ، وتصلبت فيهما المحاجر ...  
وهتف الجندي أخيراً :

— أما كفالك تأملاً ... هيا امض بنا ...  
فقلت في تردد :

— أهو ... أهو قتيل ؟ ... هل الطالب ...  
فقاطعني قائلاً :

— « ومن غيره ... ربما أنت أو أنا »  
واسترسل قائلاً :

— أهدأ أثر العلم في نفسه ... أغاية العلم أن  
يترك رقيقة على هذه الحال ... أما والله لو علمت  
طوية نفسه قبل ذلك لسفكت دمه ... هيا بنا أيها  
الرفيق ، يجب أن نذهب عن هذا المكان قبل أن  
تلمحنا عين إنسان .. أقام أنت .. إنهم سيكشفون  
أمره اليوم ويترسمون خطانا ... » ثم وضع يده في  
جيبه قائلاً :

— ولكن هذا مسدسه معي ... فصاحت به :

— ألقه في الطريق ...

— كلا لن ألقيه . إنه شيء ذو قيمة

ومضينا نحث السير فذكرت في الطريق طفاقي  
النجار المسكين فقلت :

— هذا كثير على زوجة الرجل وطفليته

فأجاب :



القلب الحب والعطف ، وأحمل له في طوايا النفس  
التجلة والاحترام ، وقد سرنا سويا الى اقليم « كارا »  
ثم افترقنا الى حيث لا لقاء . فسألته :

— أو لم تمطفك الذكري بعد ذلك الى ذلك  
النجار المسكين ؟  
فضحك ثم قال :

— ما الذي تريدني أن أذكره فيه ، أو أستشعره  
لأجله ... انني ان ألام على ما حدث له ، ولن  
تلام أنت ولن يلام أحد غيرنا ... فان يجدي  
اللوم ... لأننا كلنا أشباه وحوش ضارية .  
أحمد فخمى مرسى  
السندرية

## واجب !

ما الذي يمنحك من أن توفر لنفسك  
القوميسيون ومصاريف المحل و ... الخ إذا  
وجدت أمامك مورد مصري يستورد لك الصنف  
من أشهر فبارك ألمانيا ويسلمها لك رأساً بتكاليفها  
فقط

جيب

قلم حبر الكتابة سفنكس القلم الأنيق  
ذو الريشة الذهب المضمونة غيار ١٤ مثله في  
السوق يباع بثمانين قرشا . أرسل فقط ٤٠ قرشا  
إلى حسين حسنين شارع الطيران نمرة ٣١ مصر  
الجديدة وللخارج زيادة خمسة قروش يرسل  
إليك الطلب في الحال

مطلوب وكلاء في الشرق والأقاليم للقلم  
ولأصناف أخرى مما نستورده من الخارج ما

— دع هذا الآن ... وامرر في سيرك ...  
عج بنا الى اليمين فأغلب الظن أن البحر في تلك  
الجهة

وحدنا عن الطريق فتركت زميلي في عرض  
المرج ، وصعدت على وهدة عالية كانت على كئيب  
مذا ، وأشرفت بناظري على ماضى من الطريق ،  
فسمعت رفيقي يقول :

— علام تنظر أيها الرفيق .. أدخل في روعك  
أن الحياة ستدب في جسمه ثانيا .. وصمت الرجل  
قليلا ثم عاد يقول :

— ما أمهر والله ذلك الطالب الذي غافلنا  
وخادعنا ... ان الناس أيها الرفيق يوغلون في الشر  
كلما أوغلوا في العلم ... يوما بعد يوم ، وعاما إثر  
عام ...

وصمت الرجل فعاد الصمت يبسط جناحيه  
على الكون ، وبدت الشمس تتلألأ في صدر السماء ،  
وضرب الأفق دائرته الزرقاء على المروج فتابعنا  
السير دراكا ...

وأخيراً قال رفيقي الجندي وهو يخرج من  
جيبه لفافة من التبغ الرخيص :

— إنني جائع أيها الرفيق

— وما عسانا نأكل هنا ؟

— تلك مشكلة أخرى ...

\*\*\*

وختم الراوى قصته — وكان رجلا أشيب  
الرأس يرقد الى جوارى في المستشفى — بهذا القول :  
— ومنذ ذلك الحين توثقت وشائج المودة  
بينى وبين ذلك الجندي لما هو عليه من خلوص  
النية ، وسماحة الخلق ، فكنت أكن له في شغاف



يَوْمِيَّ نَائِبِي الْأَرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

القاتل !

رأى الأستاذ توفيق الحكيم أن يفسح الأجل أسبوعين آخرين للمسابقين في معرفة القاتل لعمر الدولة علوان في القضية التي ينشرها في يوميات نائب في الأرياف ، ففضل ألا ينشر شيئاً منها في هذا العدد لأن ما سينشره سينم عن القاتل . ولما

نرجو ممن يدخل في هذه المسابقة ألا يغفل ذكر الأسباب التي بنى عليها حكمه . وآخر موعد لتقديم الردود هو اليوم العاشر من شهر يولييه ما

مروضات باريس

زوروا

شركة بيع المصنوعات المصرية

لتشاهدوا ما أعدته لكم

شركة مصر للغزل والنسيج

و

شركة مصر للنسيج الحرير

خصوصاً لمعرض باريس

من الأقمشة الفاخرة ذات الألوان الجميلة والذوق السليم





موعد مع « سميرة » تلك الفتاة التي عرفها من صديق له ، وتشبث بها ، كأنها كنز ، لأنها كنز بل لأنها تعينه على تفسير هذه الحياة المظرة التي لا تختلف ولا تتنوع ؟ ولو ترك لزوجته الكفاية أما كان يسهل أن يلتقي سميرة ، وأن يقضي معها ساعات ينسى فيها أن حياته مملّة ، وأن وتيرتها واحدة ، وأن روحه زهقت ؟ آه لماذا لا تستطيع الزوجة أن تكون أبداً جديدة ؟ لماذا تدع زوجها يمل حياته معها ، وإن كان يحبها ويعرف لها قدرها ويشكر إخلاصها ووفاءها ؟ المصيبة أن الزوجة لا يخطر لها أن الرجل يمل هذه الوتيرة الواحدة ... لا يخطر لها أنها هي لا تستطيع أن تأكل كل يوم « ملوخية » لماذا لا تكلف نفسها عناء التفكير في ما هو خالق أن يجعل الحياة معها كل يوم جديدة ؟ لماذا تفرض أنه لن يمل أو يضجر أو يسأم هذا العيش الذي لا يتغير ... ؟

ولم يكن عيب « عاقل » قلة الانصاف ، فلم يسهل إلا أن يقول لنفسه ، وهو مسند ذقنه إلى راحتيه ، إن زوجته أيضاً مثله : أي خليفة أن تمل وأن تضجر ولكنها لا تضجر ولا تمل ، ولا تلتبس مثله التسلية والترفيه عن النفس بما يتفق أن تفوز به خارج

صنع « عاقل » من راحتيه كأساً لذقنه وحجج النافذة بنظره ، وراح يفكر .. هذه نالته مرة في أسبوع واحد يدس ريالاً لزوجته تحت الوسادة ، ويخرج من البيت متسللاً كالص على أطراف أصابعه لئلا تستيقظ فتسرد له الحاجات المختلفة التي تقتضي زيادة في النفقة فما يكفي ريال للمطالب العديدة التي يعرفها ولا يجملها . وماذا عساها تصنع فيما ركبها من الدين ؟ .. اللبان له عشرة قروش . والخباز له أكثر من ثمانية عشر قرشاً ... وغيرها أيضاً ... وكانت العادة أن يؤدي ثمن ما يأخذ ، فارتاب هؤلاء الناس لما رأوا أنه يأخذ ولا يؤدي الثمن ، ولو كان عودهم غير ذلك لاعتادوه ، فان غيره يأخذ ويمطى أول الشهر ... ولم يكن يمجزه أن يترك لامرأته ما يكفي ، ولكن .. ولكن ماذا ؟ ماله لا يصارح نفسه ؟ أليست الحقيقة أنه مل هذه الحياة الجافة التي لم يعد يجد فيها متعة أو لذة فهو بضن على بيته وأولاده بما معه لعل وعسى ؟ ؟ عسى أن يتفق أن يلقى ما يسره ويجدد نفسه فلا يقول كما قال السميع : « فتراني طول عمري تائباً من غير عفة ؟ » عسى ؟ أيسكذب حتى على نفسه ؟ ويأبى إلا أن يغالط ، وإن كان لا أحد معه ؟ سبحانه الله ! أليس على

البيت .. بل هي لا تخرج أبداً . إلا إذا كانت معه ولزيارة قريب مريض ، أو لداع من هذا القبيل ، ليس لها سواه .. هو محور عالمها كله . لا تكاد تعرف لنفسها حقاً يقابل واجباتها ... حسبها أنها تأكل وتشرب وتلبس وأن تكون حقيبتها فيها جنبها أو ثلاثة .. ما يكفيها والسلام . فلها مطلب تعرفه وراء ذلك . لا سيما ولا خلافه ... لم تطالب منه قط أن يحملها معه في سيارته وأن يجول بها جولة في الهواء الطلق ... كلا ... أبداً ... مسكينة ... وإنها لأحق بالسيارة منه فقد أبت له أن يركب تلك السيارة القديمة وألحت عليه أن يشتري أخرى جديدة تليق به فاعتذر بأنه ليس معه مال ، فخرجت له عن كل ما ادخرت .. ثلاثين جنبها وضعتها في يده ليتيسر له أن يشتري سيارة جديدة بالتقسيط ... ولشد ما يفرحها أن تراه مقبلاً في السيارة الجديدة وتركب أحياناً معه فتقول له وهي تضحك : « إنها سيارتي . أليست كذلك ؟ » فيقول : « بالطبع » فتقول : « إذن من حق أن أستعمل الكلاكسون فيقول : « كما تشائين » فيسرها أنها تضغط الزر من حين إلى حين فيصيح « الكلاكسون » بالناس أن تنحوا عن الطريق . وتضحك مسرورة ثم تنجبل فتكف .

ولكن من الانصاف لنفسه أن يقول إن قناعتها به راجعة إلى أن أفقها محدود ، وضيق الأفق نقص ولكنه أثر فضيلة لا شك فيها ؛ أما هو فرجيب أفق النفس ، فاذا كان لا يقنع بالحياة الضيقة المملة الغثة ، فالسبب هو هذه السعة في روحه وفي آفاقه ، وبالتالي في مطالبه وحاجات نفسه .. ومع ذلك ما داعى هذه الفلسفة كلها ؟ .

الواقع أنه لا يحسن بإمكان القناعة بهذه الحياة الجافة التي لا تنوع فيها ولا اختلاف في وجوهها ، والمسألة هي لماذا لم يستطع أن يحكم تدبير الجانب المالى بحيث يتيسر له أن يؤدي مطالب البيت على الوجه السكا في المريح ، وأن يستبق بمذ ذلك ما يحتاج إليه في سد المطالب الأخرى ؟ . هذه هي المسألة الجديرة بالتفكير والعناية ، وما عدا ذلك كلام لن يغير من الواقع شيئاً ، وإن يسوغ قبيحاً أو يقبح حسناً بل هناك مسألة أخرى أحوج إلى البت السريع وتلك أنه على موعد مع « سميرة » ولكن صديقاً له دعاه إلى الغداء مع « رقيقة » وهي فتاة مسلمة تتسمى هذا الاسم الاسرائيلي ؛ ورقيقة شئ جديد ، فاما حلاوتها ولجاسها أنسه وفتنته الاستفادة على الأقل من الجدة ، وصحيح أنها صديقة صديقه لا صديقه هو ، فليس له مطمع في أكثر من الحديث والنظر ، ولكن من يدري ؟ .. ولا بأس من إخلاف موعد سميرة ، فانه يستطيع أن يعتذر إليها بعد ذلك وهي تعرف أين تجده على كل حال . . .

وهو رأسه متمججاً وقال لنفسه : « كيف ياترى يعرف فكري ( يعني صديقه ) هؤلاء الفتيات البارعات ؟ » ذلك أنه هو نفسه يجد عسراً وعناء شديدين في الاتصال بمن يخيلنه من البنات ذوات الدل والحسن ؛ وما أكثر ما تتصدى له الفتيات بجمالهن وزينتهن في الشرفات وفي الطرق ، فيخجل أن يفعل ما يفعل الشبان الأبقاع ، ويندر أن يزيد على الابتسام ثم ينصرف آسفاً متوجعاً ؛ ولقد وقف مرة في شارع ينتظر أن يفتح له شرطي المرور الطريق ، وإذا بفتاة تضع كفها البضة على يد الباب وتنظر إليه متبسمة باشة وتقول بصوت خلو :



أن يعرف فتاة شريفة يستطيع أن يأنس بمجالسها وحديثها ، وأن يقضى معها ساعة كل يوم ينسى فيها حياته المملة ويجدد فيها نفسه ؛ واطمأنت الفتاة إليه ، ووثقت به ، فصارا صديقين ، وكانت قصة حياتها محزنة ، فكانت تقول له بشجوها وهو ينظر إليها وقلبه يفيض بالمطاف عاها ، ثم يرفه عنها ويمسح لها على قلبها - حقيقة ومجازا - ولا يتركها إلا بعد أن يعيد إلى وجهها البشر والاشراق ، وإلى نفسها الرضى والسكون ، فوجدت عنده المسكينة ما لم تجده عند أبيها ، وأصدقائها ، فصار عندها فوق الصديق وأقرب ما يكون إلى الحبيب ؛ وأدرك هو ذلك ، ففزع وخشى أن يتورط معها في علاقة يكون من ورائها حرج له ولها أيضاً ، واتفق يوماً أن فتح أبوابها له الباب ، وقال له بلهفة :

« ادخل يا سيدي بسرعة ... ايللى ... ايللى ... »

فسأله : « مالها ؟ »

فقال : « مضطربة ... جداً ... ولا أحد يستطيع أن يعيد إليها نفسها سواك ... عجل يا سيدي ! »

فرى طربوشه وممطفه - فقد كان الوقت شتاء - وحث خطاه إليها فألفاها راقدة على سريرها وصدرها يملو ويهبط كموج البحر ، فتناول كفها في صمت ومسحها وربت لها على خدها وإذا بدموعها تتسائل ، وتجرى على خديها الى عنقها ، فقال لها برقة وعطف : « ابكى ... ابكى إذا شئت ... فانه أشقى ... لا تحجلى »

فتنهدت ورفعت كفها الى عينيها ، وكفكت

« افتح ! » ، فخدق في وجهها مبهوتا من جرأتها ، مرتابا في أمرها ، ثم لم يسمعه إلا أن يقول لها : « بالطبع ... تفضلى » ، فرفعت حاجبها مقدار مليمترين - كأنما كانت هي الحقيقة بأن تتمجب - وقالت : « صحيح ؟ » بالهجة حثيرة ، فلم يدر أهي تستوثق أم تستنكر ؟ ولكنه ترك ذلك وقال : « بالطبع ... ولم لا ؟ ... » ، فضحكت - نعم ضحكت ... فههت في الطريق - وقالت : « مرسى ... » ولكنها لم تركب بل وقفت تتلفت كأنما تشاور نفسها ، أو كأنما تنفض المكان لنظمتين وتستوثق من أنه لا يراها أحد ممن تعرف ثم ردت إليه وجهها وقالت : « في وقت آخر ... مرسى » كأنما كان يعرفها ويعرف أين يلقاها حين يصبو إليها ، فخدق قلبه خفقات قوية لها في رأسه دوى ، وأحس أن ركبتيه تلحظان ، وصارت يده ترعش كما يرعش المقرور ، وسمع نفسه يقول : « أرجوك .. أرجوك .. لا تخيبي أملى » ، ولكنها رمت إليه ابتسامة ومضت خفيفة رشيقة إلى الرصيف ... وفتح الطريق في هذه اللحظة ، فلم يسمعه إلا أن ينطلق ؛ غير أنه وقف بالسيارة على محاذاة الرصيف ودار في مقعده ، وأرسل طرفه إلى حيث رآها تذهب ، فلم يعثر لها على أثر ؛ وكان الذى استخفه أنها على التحقيق ليست من بنات الشارع - يدل على ذلك أنها غضة السن صغيرتها ، ولا يكاد يُعقل أن تكون الحرفة قد أدركتها ... مستحيل ! ... ولكن جرأتها ؟ ... أو ووه ! ... هذا شيء بطير العقل ...

وكانت له معلمة نمسوية روسية سكن إليها زمناً ؛ ولم يكن يريد أن يتعلم شيئاً وإنما كان يبنى

وأخشاه ... لست لي ولا أنا لك فيحسن أن ينتهي الأمر الآن »

خدقت في وجهه كالبهوتة فقال : « نعم ... هذا خطأ ... خلط فطيع ... وأنا المستول فقد كان ينبغي أن أقدر هذا كله وأن أستشف النهاية من البداية ... ولكنني أعترف أنني استعذبت صداقتنا وسكنت نفسي اليها واطمأنت ، فخلل الرضا عزمي وأضعف رأيي ، حتى رأيت منك ما رأيت الليلة فمادت إلى القوة فهل أنت قاهرة ؟ »

فصاحت به : « ولكن هذه قسوة ... ظلم ... »

قال : « القسوة والظلم أن أدعك تلجين في حالة ليس لها من عاقبة إلا الحسرة والندم والألم » قالت : « ولكن لا أبني منك شيئاً ولا مطمع لي في شيء ... إنني أعرف أنك متزوج ... دعني أحبك . ماذا عليك لو فعلت ؟ »

قال : « هذا كلام تقولينه الآن ... صديقي فاني أدري منك بالحياة ، وأعرف بالنفس الانسانية وأطول خبراً ، وأعمق في الأمور نظراً ... تسألين ماذا علي لو تركتك ؟ الجواب يا فتاتي المسكينة أن علي تبعة أمام ضميري ... أنا أيضاً أحبك ... »

فصاحت مقاطعة : « انهيينا .. تعال تعال .. » فقال : « مهلاً .. لا تعجلي .. نعم أحبك .. حبي لك حب الصديق بل أكبر وأقوى ... هو كحب الأب أو الشقيق إذا شئت ... ولكنه مع ذلك من نوع آخر ... هل تسمحين لي أن أحدثك بصراحة ؟ حسن ... اسمحي إذن ... نعم أحبك حباً لا هو عشق ولا هو صداقة ولا هو حنو أب أو أخ ... لا أدري ماذا هو ، ولكنني أدري أنه

من دمها ، وتركها هو تفعل ذلك وأقبل على ذراعها يداكها ، وعلى صدرها أيضاً ، وعلى ساقها ورجليها وهي ساكنة مطمئنة ، وكان وجهه إلى قدميها ، وهو يداكهما ، ثم رمى إليها نظرة خاطفة فألفاها قريرة العين تبسم كأنما ترى حلماً جيلاً ، فرد وجهه إلى القدمين وقال لنفسه : « آه .. كان ما خفت أن يكون ... ما العمل الآن ؟ » وحيره السؤال وجوابه ، فترك الأمر للمقادير ولالهام اللحظة ، والتفت إليها وسألها بيمينه : « أحسن ؟ » فأجابت بابتسامة ، ونحتت خصلة من شعرها الذهبي عن جبينها الوضاء ، فحنا عليها ، وأراح كفيه الغليظتين على جانبي محياها الدقيق المعارف وقال لنفسه : « هذه فرصتي لتأكيد ما بيننا من التفاوت في السن واستعصاء الحب الطويل العمر ، المأمول الخير بيننا » وكيف يتركها تحبه وهو خالق أن يعلمها بعد شهر ؟ ومال عليها ولثم جبينها فضحكت ضحكة عصبية وقالت : « كأنك أبي يقبلني » وكان هذا ما يريد أن يقرره في نفسها ... أنه كأبها ... فادعى أنه لم يسمع ما قالت واعتدل وأخرج سيجارة وهم بأن يشعلها ، وإذا بها تنتفض قائمة وتخطف السيجارة ، وترمي بها وتطوقه بين ذراعيها وتهوى على وجهه بالقبل الحار ، وهو مستسلم لهذه الثورة العصبية وإن كان قد لف ذراعه على خصرها وكأنما أضجرها فتوره ، فدفعته بكفها وانحنى وأنشأت تبكي وتنفس ، كأنما كان قلبها يتفطر ، ثم قالت له وقد سكت قليلاً : « معذرة ... إنني آسفة ... قل إنك غفرت لي » فأشار إليها بيده إشارة من يريد أن يقول إنه لا شيء هناك يستوجب الاعتذار ثم قال لها بجهد : « اسمي يا ابنتي ... لقد كنت أقدر هذا



الغرفة : « أشكرك مرة أخرى ... والآن هل انتهى  
الدرس الذى تلقينه على ؟ »  
فقال : « لا تنهكى ... انى أتكلم جاداً ...  
لماذا لا تفهمين ؟ »

فقلت وهزت كتفها : « أحسب أن إدراكى  
قاصر ... هذه الفلسفة عويصة »

فنهض وقال : « إذن لم يبق لى كلام ... فهل  
تسمحين لى أن أخرج ... أعنى أن أودعك ؟ »  
قالت ببرود : « أوه ... أمسافر أنت ؟ »  
قال : « أظن ... الغالب ... يحسن أن أسافر »  
قالت : « أرجو أن أراك بخير »

وشعر وهو خارج أنه أذلها ، فقد باحت له  
بمحبا فصدها ورددها بقسوة وغلظة . ولكن القسوة  
تكون فى أحيان كثيرة خيراً من اللين الويل ...  
قسوة ! ولين ؟ كلام فارغ ! فلسفة سخيفة !  
لماذا لم ينعم بهذا الحب الذى وفق إليه ؟ ... هذه  
فتاة جميلة مهيبة تحسن الحديث وتستطيع أن  
تخوض معه فى كل موضوع ، وقد ألقاها القدر بين  
يديه ، وصارحته بأنها تحبه ، وأنها لا تبغى منه  
شيئاً ، وأنها تدرك مقتضيات موقفه ، ولا يخفى  
عليها أنه متزوج ، وأنه رب أسرة ، وأن لا سيبل  
بينهما إلى أكثر من الصداقة الوثيقة ، وأنها  
موطنة نفسها على ذلك كله ... وهو يحبها أيضاً ...  
ليس حباً فى الحقيقة ولكنه يأنس بها ، وتطيب  
نفسه بالوجود معها ، وينشرح صدره ويذهل عما  
يسخطه ويضجره فى الحياة ، فلماذا قطع الحب وأبى  
إلا أن يكون سخيلاً أحمق ؟ ... وأين يجد خيراً  
منها ، وأصفى نفساً ، وأكرم خيلاً ، وأحسن وداً  
وأظرف وأحلى ؟ ... أوه ! ... ولماذا يطلب غيرها ؟

يسرنى أن أريح يدي على صدرك ، وأن ألمس  
بأطراف أصابعي ثدييك ، وأن أطوقك بذراعى ...  
وأشتهى أن أضمك أيضاً إلى صدرى ... أضمك  
كما يضم الوكر الحمامة ... وأن ألمس شعرك ... أن  
أعبت به وأرسل خصله المتوجة على خديك  
الأسيلين ... وأن أرفع ساقك فأضعها على ساقى  
ونحن نقرأ ... وأحس أحياناً بلسمة نار ... كأن  
لساناً من اللهب الحامى يرتفع فجأة فيلسع قاذى ثم  
يزول هذا عنى بأسرع مما كان ... فأقضى إلى سكونى  
وبرودى المألوفين ... وما أكثر ما جلست الى  
جانبك والكتاب أمامنا ، وذراعى حول ظهرك ؛  
وأصابعى على ثديك الناهد ... وما أكثر ما نظرت  
فى عينيك كأنما أريد أن أغوص على سر نفسك ...  
وأحسب أنك لم يفتك ذلك ... ولعل أسأت به من  
حيث لا أريد ... ولا أدري ... ولكن ما أكثر  
ما كبحت نفسى ورددتها عما تشتهى ... إشفافاً  
عليك ... اسألى نفسك أين يمكن أن ينتهى هذا  
إذا بدأ ؟ ... النهاية مخيفة ... لك أولاً ... ثم إلى  
لا أريد أن أعانى الحب ... لا صبر لى عليه ... ولا  
لذة لى فى جنونه ... كلا ... لا أريد أن أحب ...  
لهذا خنقت العاطفة وهى وليدة ... قلت لنفسى :  
هى أفى ، ودستها بقدمى هاتين ... وما زلت  
أحبك يا إيللى فما يسمنى غير ذلك ، ولكنه عطف  
وحنو ومودة ... ذلك أنى كالأعصار ... مخيف ...  
وأنا أخاف عليك من نفسى لأنى أعرف نفسى ...  
قولى إنك تفهمين وتذكرين وتمذرين »

فلم تقل شيئاً من هذا ولكنها ضحكت وقالت :  
« أشكرك »

ثم قالت وهى تنهض عن السرير وتتمشى فى

وهو اليوم على موعد معها، ومع فكرى وصاحبه  
« رفقة » .. وقد اعتزم أن يخاف موعد سميرة وأن  
يجدد نفسه بلقاء رفقة وإن كانت لغيره . ودخل  
عليه فكرى وقال بلا تحية : « هه ، قم » فأحس  
عاقل أن رأسه يدور ، ويدور وقال : « إلى أين ؟  
ألا يمكن أن تعفينى ؟ »

قال فكرى : « كيف يمكن ؟ إن رفقة تاح  
على أن أجيء بك »

فقال لنفسه : « تلح عليه ؟ لماذا تلح ؟ كلام  
فارغ ... وهبه غير فارغ فسادا بمعنى من رفقة  
أو غيرها ؟ .. لماذا أعذب نفسي وأشقيها ؟ ..  
ليس هي رفقة ... بل هي أن أجد فتاة أحبها  
وحسبى منها ألا أكون ثقيلا عليها وبغيضا  
إليها ... يا لهكم الأقدار ... كانت لنا فتاة تحبنا  
وتقنع منا بأن ندعها تحبنا ... ولم تكن نكرها ..  
ولسكننا اغترنا وتبطرنا فرفسنا النعمة التي ساقها  
إلينا حسن الحظ والآن نندم ونشتهى أن نحجب  
ونقنع بالأنا نكون ثقلاء ... يا لسخرة الأقدار ! »  
وقال لفكرى : « أرجو أن تعفينى ..  
لا أستطيع ... رأسى لا أدرى ماله ... ولكنى  
لست فى حالة تصلح لثل هذه الجلسة »

فقال فكرى ملحا : « قم يا شيخ ... رقه عن  
نفسك ... هذا تأثير العمل المتواصل ... يجب أن  
تريح نفسك قليلا ... إن هذا انتحار ... قم .. قم .. »  
فأبى عاقل إلا العناد ، وأصر على الاستعفاء ،  
فلم يجد فكرى حيلة فأنصرف أسفا  
ولم يكذب يذهب حتى ندم عاقل ونازعته نفسه  
أن يلحق به ، ولولا الحياء لفعل . وخرج من مكتبه  
وهو يقول لنفسه : « مالى أنا ؟ إنهما حبيبان فما

لماذا لا يقنع بيته ؟ ... يقنع ؟ ... نعم ينبغي أن  
يقنع بحياته المأدبة المنتظمة ، ماذا جرى لعقله ؟ يجب  
أن يروض نفسه على الرضى والسكون والقناعة  
بالموجود ، كما راض نفسه على قطيعة إيللى ...  
أيقوى على هذا ولا يقوى على ذاك وهو أولى ؟

.. ولم تتركه إيللى إلا بعد أن يئست - كتبت  
إليه بضع رسائل تستمطفه وتلح عليه أن يرجع  
فكان يرد إليها الرسائل من غير أن يفيضها ، فقد  
كان يعرف خطها فلم يسمها إلا أن تقصر

ومضت شهور ، استطاع فيها أن يحمل نفسه  
على مكروهاها ، وأن يلزم بيته ، ويتخلى لعمله ،  
ويصرف عينه عن النظر والتطلع ، وقابه عن الاشتاء ،  
حتى لقي سميرة ... فتذكر أنه رأى مرة طفلا يفحص  
الأرض بقدمه فتقلقت حصاة صغيرة فنحاهها  
الغلام بأصبع رجله ، وإذا بالماء ينبع ويروح يفور  
منها ويسيل على وجه الأرض .. كذلك هو ..  
كان شيء فى نفسه محبوسا ... كانت عواطفه  
الراخرة لا يحجبها إلا شيء رقيق .. فلم يكذب يلتقى  
بفتاة تضع أصبعها على قلبه ، كما كان ذلك الغلام يصنع  
بقدمه ، حتى انهدم السد الذى يحجز الطوفان ،  
كما تقلقت الحصاة فانبتت الماء من تحتها . ولم تكن  
سميرة ترضيه ولكنها كانت تعلمه .. وكان فيه وفاء  
فأبى له أن يرى بها على حين تقبل هي عليه .. غير  
أنه مع ذلك مل .. مل .. مل .. يريد خيرا من  
سميرة .. أذكرى وأبرع .. وأرشق وأظرف ..  
أحلى ابتساما .. وأرسخ ثديا .. وأعدل قواما ..  
لقد سمعت سميرة .. غلظت ساقها واكثر لهما ..  
أوه لماذا تركت نفسها تزداد لهما وتنقص جلالا  
ورشاقة ؟



محلّي بينهما ؟ حسنا فعلت بالاعتذار » وقال لسائقه — فقد كان له سائق يعفيه أكثر الأحيان من العمل — : « اذهب أنت بالسيارة .. سأتمشى »  
فسأله السائق : « ألا أقول لهم شيئاً في البيت ؟ »  
قال : « لا أعرف متى أعود ... وخذ ... أعط الست هذا »

وناوله خمسة جنيهات ، وأحس بالراحة لما فعل ذلك كأنما كفر به عن سيئة الصباح والريال الذي دس به يده تحت الخدة ولم يترك سواء لزوجته ؛ ومشى يحدث نفسه أنه كان سخيلاً مجرمًا ... معه كثير ... غير الخمسة الجنيهات التي دفع بها إلى السائق أيضاً ... ومع ذلك يستبقها ويترك ريالاً ... ولماذا ؟ ... لأنه قد يتفق له أن يلتقى ... أوه ... بالسخافة ... ونقص العقل ... وسوء الرأي ... ماذا ترى يكون رأي زوجته فيه لو عرفت هذا ... زوجته التي تثق به ولا يمكن أن يختلج في نفسها شك أو تخطر على بالها ريبة ؟ .. ولو كانت زوجته من هؤلاء المصريات اللواتي لا يفتأن يخرجن إلى حيث لا يدري أحد ؟ ... أعوذ بالله ! ... لا بل الحمد لله ، والشكر له ، على هذه النعمة الجزيلة ... نعمة الاطمئنان على عرضه وشرفه ... وهل جزاؤها أن يخونها وهي آمنة مطمئنة ، ووثيقة في عفته وطهره ؟ ... لا . يجب أن يكف عن هذا كله ... إن أعصابه متعبة مرهقة ، وهو يزيد إرهاقاً بهذا السلوك المريب ، فليكف ليريح أعصابه ، إذا لم يكف وفاء لزوجته واحتراماً لها ... بل يكف وفاء لها ، وإلا كان الكف غير خلاق بأن يريح ضميره ... يكف والسلام ... هذا هو المهم ... البواعث لا تهم هنا ... ولكن أمي لا تهم ؟

ولا قيمة لها ... أهذا صحيح ؟ ... أوه ... هذا وجع رأس ... أكف والسلام ... وبعد ذلك أبحث عن البواعث ... أستطيع أن أقنع نفسي بشرف البواعث ... ولكن لماذا أغالط نفسي في الحقائق ؟ ... أمغفل أنا ؟ ... من الذي قال إنى أغالط نفسي ؟ ... إذن كن صريحاً يا شيخ ... هب الآن أن فتاة جميلة من اللواتي يصبو إليهن قلبك قابلتك الآن ؟ ... مجرد فرض بالطبع ... لا أمل في ذلك ولا مطمع ... ومن أين تجيء مني النفس هذه ؟ ... ليها تجيء ! ...

وإنه لماش يحدث نفسه بهذا وما إليه ، وإذا به يلتقى بصديق يصيح به بصوت عال كأنما ظنه أصم : « أهلاً » ويعطها كأنما يصيح بقوم بعيدين ، فقال له عاقل : « ماذا عندكم اليوم من المأكول ؟ » وكانت صداقته به وثيقة ، وبين الأسرتين مودة ، فقال صاحبه « زكي » :

« أوه .. وما الذي أدراني ؟ تعال معي وكل الموجود »

قال عاقل : « حسن . امض بي إلى المائدة فاني أتضور جوعاً »

فسأله زكي : « وأين السيارة ؟ مع الست ؟ »  
قال : « لا الست ولا السيد ... تركتها لأتمشى »

وبلغا البيت وأقبلت عليه أخت زكي — كريمة — تحييه وترحب به ، فقال زكي : « ألا تهذهن ؟ »

قال عاقل : « خير ان شاء الله ؟ مبروك على كل حال »

فاضطرم وجه كريمة ، وكانت صبيحة الوجه

« ما قولك يا زكى ! إنى أريد أن أحب »  
فقال زكى وقد تولته الدهشة : « تريد ... أن  
تحب ... ؟ »

قال : « غريب ... أليس كذلك ؟ ولكنها  
الحقيقة ... نعم أريد أن أحب ... أخشى على نفسى  
هذا الجفاف فى حياتى ، أحس أنى سأذوى إذا لم  
يسقنى الحب ماء الحياة ... »

فقال زكى : « ولكن هل الحب بالارادة ؟ »  
وقالت كريمة : « ولكنك تحب زوجتك ؟ »

فقال يجيبهما : « نعم بالارادة ... أشغل قلبك  
بامرأة معينة ، يُشغَل ... وأنت يامولاتى أقول  
لك إنى أحب زوجتى ... وسأظل أحبها ... ما فى  
هذا شك ... بحكم العادة على الأقل ... ولكنه  
حب هادى قاتر ... قولى إذا شئت إنه حب

رزين .. وماذا ينفع الحب الرزين ؟ ... ان الانسان  
يحتاج أحيانا الى وقدة الآتون ليصهر نفسه فى النار ،  
فيصفو معدنه من الأخلاط التى تتكدس كالصدا  
على السلك فتقطع تيار الحياة .. التيار الروحى الذى  
هو سر الحياة ... وهذا ما لا تستطيع زوجتى  
الآن ... ولا أنا أستطيعه لها ... كلانا أصبح غير

صالح لأن يشير فى نفس صاحبه تلك الزوبعة التى  
تحرك أعماق النفس وتطفي على السطح بعض  
مارسب فيها ، وما لعله أصلح من الطافى الآن ...  
النفس تحتاج الى الزوابع أحيانا لابرار الكامن  
وإثارة الدفين ... من بدرى ماذا فى أعماق  
نفسى ؟ ... وماذا يمكن أن يدفع بهذا المضمرا لا  
ثورة شديدة ؟ ... وكم دفنت حبا بارادتى ، فلماذا  
لا أحب بارادتى ؟ ... »

فقال كريمة - وأحس عاقل من نبرات

نصيرته ، ونجلاء حوراء ، وهيفاء ممشوقة ، وقال  
زكى : « أنظر الى بدها وخمن »

فنظر عاقل فرأى الخاتم فابتسم وقال : « هل  
أهنى بلسانى أو بقمى ؟ »

فقال زكى : « وما الفرق ؟ »  
قال : « الفرق هو هذا . تعالى هنا يا ستى ..

أين ينبى أن أقبلك ؟ .. أقول لك .. فى كل مكان  
إلا شفتيك .. أدع هذين خطيبك .. فان هذا  
حقه ولا يجوز أن أعتدى عليه »

ودار بنفسه إحساس غريب وهو يلمس خدها  
الناعم الطرى ، بشفتيه ، فنظر فى عينيها وهو مقطب  
وإن كانت عينه تضحك وقال : « هوأولى بالتهنئة ..  
ليتنى أكون على يقين من أنه يستحقك ... من  
هو على كل حال ؟ »

فقال زكى : « ابن عمى ، سيد »  
فقال عاقل : « سيد ... ! »

وأمسك فما يليق أن ينال منه أمام خطيبته ،  
ويبسط لسانه فيه على مسمع منها ، مهما بلغ من  
سعة صدرها

وقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »  
فقال عاقل : « طبيعى ألا أرض عن أى رجل  
يخطفها منا »

فقال كريمة : « ولكنه لن يخطفنى »  
فقال عاقل : « بالطبع سيخطفك ... أنت  
نرجستنا الآن جميعاً ولكن غداً ؟ تكونين نرجسته  
هو وحده ... ثم إنه سيذهب بك الى الأقصر ،  
فلا نمود نراك إلا كل حين وحين »

وقاموا الى طعماهم ، فقال عاقل وهو بفرك  
الخبز الطرى ، أو لبابه على الأصح ، ويفتله :



صوتها العطف - : « يظهر أنك تعذبت كثيرا...  
صوتك وحده يدل على ذلك »

فقال عاقل بابتسام : « أوه ... إن أشد  
ما يمزني .. أقسى ما أكابد ، هو هذا الفراغ ..  
نفسى أصبحت صحراء جرداء فهل ألام إذا رحت  
ألمس الرى والخصب ؟ »

فقلت كريمة : « ولكن زوجتك ...  
لا تستحق هذا منك »

فقال : « يافتاقى تعلمى هذا الدرس .. لا تنتظري  
أن تظل نار الحب مستمرة .. لا يمكن .. ما من  
شيء فى الدنيا يدوم ويخلد على الأيام ، فلماذا يخلد  
الحب وحده ؟ .. هل تحبين خطيبك هذا ؟ »

فاستحييت أن تقول شيئا ، ولكنه خيل إليه  
أنه يستطيع أن يقرأ فى وجهها أن كل فرحتها هى  
بالزواج فى ذاته ، وأنه ليس ثم فيما عدا ذلك شيء  
خاص .

وكأنما أرادت أن تحول الحديث عن مجراء ،  
فقلت وهى تضحك : « قل لى من تنوى أن تحب ؟ »  
قال : « من تظنينها جديرة بحبى ؟ اختارى لى »  
قلت : « هل تريد أن تتزوج ؟ »

قال : « يا للمرأة ؟ لا تفهم إلا هذا الاحتكار  
العمل ... كلا ... أريد أن أحب ... فاختارى لى  
كما يختار الصاحب لصاحبه الجياد التى يظنها رابحة  
فى السباق »

قلت وهى تضحك : « مرسى ... جملتنا  
جيادا ... »

قال : « لا تهربى ... إنك تعلمين أنى لا أعنى  
هذا ... فاختارى ... أربى ذوقك »

فاتقد وجهها وقالت : « وهل أنا أعرف ! »  
ونفض ليرقد دقائق ، فقد كان والداها فى طنطا  
يزوران السيد البدوى ، فى البيت متسع له ، وخطر  
له وهو يعضى الى غرفة من غرف النوم ، وهى تمشى  
أمامه ، أن فى وسعه أن يحبها ... فان لها لفتتها ،  
وإن كانت دون اللينور - ابلى كما اعتاد أن  
يسمىها - آه لما ذا ترك ابلى وتخلي عنها ؟ حماقة !  
لا خير فى الندم الآن ... ونام وهو يفكر فى كريمة  
وفى إمكان ... ولكن كيف يمكن ! كيف يمكنى ؟  
وأيقظته ، كما رجا منها أن تفعل حوالى الساعة  
الخامسة مساء ، فمد يده اليها فأنهضته ثم أراح  
كفه على كتفها وهو يقف وأحس أن يده انحدرت  
عفوآ الى صدرها ، ولمست ثديها الناهد ... فشم  
بالدماء تغلى فى عروقه ، ودار رأسه فجذبها اليه ،  
وضمها وقبلها ... قبل فمها هذه المرة

وقالت وقد تخلصت من عناقه : « احذر أن  
تغلط مرة أخرى ... لست لك ... »  
فسألها : « ولماذا لا تكونين لى » وخطر له  
أنها تقول له ما قاله هو لابلى ؟ يا للسخرية !  
قلت : « أنت تعرف ... »

قال : « أتكرهين أن أحبك ؟ »  
قلت : « هل تحبني ؟ »

قال : « من يدري ! ربما كنت أحبك ...  
لعل كنت أحبك طول الزمن الذى أتوهم فيه أنى  
لأحب ... لعل هذا كان السبب فيما أحس أنى أعانيه  
من الشقاء ... شقاء الذوى والجفاف ... سأرى  
الليلة ... غدا أقول لك هل أحبك أولا أحبك »  
قلت : « لماذا تنهكم على ؟ »

قال : « والله إنني لصادق ... لست أعرف نفسي ... تعالى ... »

قالت : « احذر ... ألم أقل إنني لست لك ؟ ثم ان زكى قادم »

قال : « أهذا كل ما تخافين ! »

قالت : « كلا ... لست لك ... فلا تخرجني »

قال : « قبلة واحدة »

فهزت رأسها وقالت : « إنني آسفة ... متأللة لك ... أشعر أنك غير سعيد ... ولكن ماذا أصنع اعذرني »

قال : « أشكرك على هذه . صدقت . لست لي معذرة »

قالت : « الآن خذ القبلة . أصبحت تستحقها . »

فقبلها . لا قبلة خفيفة بل بنهم وشراهة ، فقالت وهي تنأى عنه وتتحسس شفقتها : « أعوذ بالله ... ورمت شفثاي ، ما هذا ؟ »

قال : « اعذريني ... صرت كالجل الذي يدخر للأيام المقبلة .. أيام القحط والمحل والجوع .. »

ومضى بهما في ذلك المساء إلى السينما ، وكانت جالسة بينه وبين أخيها ، فكان يهمس في أذنها من حين إلى حين ، كأنما كان يفترض عليها بما هو دأثر في نفسه من الخواطر : « صدقت . لست لي » فكانت تبسم ولا تقول شيئاً . وماذا عسى أن تقول ؟ ثم همس : « هل أنت ساخطة علي ؟ »

قالت : « كلا . بل أنا متوجعة لك . ومتعجبة أيضا : أظن أنك محتاج إلى راحة »

قال : « صدقت . إنك حكيمة جداً . وقعت

على السر . اهتديت إلى أصل الداء . الراحة ؟ كيف السبيل إليها وأنا كالبغل المشدود إلى الساقية وكما وني أو وقف صاح به صاحبه : « عا ... بط » أو ألهب ظهره بالسوط ... ليس لي سيد ... ولا أسمع أحداً يصيح بي ليستحني ... ولكن السوط في يد الزمن ... ووقعه على روحي ، لا على الجلد ، ولو كان على الجلد لمان . نعم يجب أن أرتاح ... أقول لك ... سأذهب إلى لبنان وأخذ زوجتي وأبنائي ممي ... ليتك تبحثين معنا ... إذن تم هنائي ... هل تستطيعين ؟ »

فهزت رأسها فقال : إذا كان كل ما يمنحك ... فهذا لا قيمة له . ولم يصرح

فقالت : « كلا ... يجب أن أكون بعيدة عنك ما رأيت منك اليوم يوجب الحذر من قربك ... أنت كالنار ... ولست أريد أن أحترق »

قال : « صدقت ... وأنا يجب أن أجد ناري ولماذا ؟ ولكن لماذا أخنق نفسي ؟ »

قالت : « يجب ... إنني كبنتك ، ولكني أعرف أن هذا هو الواجب وألح عليك أن تلتزمه

فأحس أن خنجرها نفذ إلى قلبه ... كبنته ... وارتفعت يده إلى شعره كأنما ظن أنه في وسعه أن يري الشعر الأبيض في الظلام بيده ! ! كبنته ؟ ؟ لولا هذه الشعرات البيضاء ؟ ؟ أوه ... ما الفائدة ؟ ما الفائدة ؟

وظلت كلتا « ما الفائدة » تدوران في نفسه ، ويرددها بلا صوت ، وهو راقد في ليلته تلك ، على سريريه إلى الفجر حتى غلبه النوم !

ابراهيم عبد القادر المازني



# في عنزة الموت

على جسر أول كريك

لامبروس بيرس بقلم عبد المحيد حمدي



- ١ -

على جسر للطريق الحديدية في آلاباما الشمالية ،  
وقف رجل ملوى الساعدين إلى ما وراء ظهره ،  
مشدود الوثاق عند المعصمين ، وقد أحبط عنقه  
بجبل مهوى موقود إلى صليب من الخشب المتين فوق  
رأسه ، وقد تدلت نهاية الجبل إلى مستوى ركبتيه .  
وكانت عيناه شاخصتين إلى السماء السربيع الجريان  
تحت عشرين قدماً من موقفه

وفوق الكتل الخشبية المرتكزة عليها القضبان  
الحديدية ، وضعت ألواح من الخشب غير مثبتة  
أعدت ليقف عليها الرجل وجلادوه ، وهم جنديان  
من جنود الراسلة في جيش الاتحاد يقودها ضابط  
صف يغاب أنه يعمل في الحياة المدنية نائب عمدة ،  
وعلى مسافة قريبة فوق هذه البسطة الموقفة نفسها  
وقف ضابط مسلح ، في ملابس الجندي التي تدل  
على أنه قائد مائة ، وعلى كل من مدخلي الجسر وقف  
جندي يحمل بندقيته في وضع عمودي أمام مقدمة  
الكتف اليسرى ، وقد ارتكزت قاعدتها على  
الزند الممدود أفقياً على الصدر - وهو وضع رسمي  
غير طبيعي يرغم الجسم على التصلب في وقفة متعبة  
ولم يكن يبدو من هيئة هذين الحارسين أن  
من مهمتهما معرفة ما يجري وسط الجسر ، فقد كان  
كل عملهما أن يسداً المر الخشبي المدلعبور الماشين

على الأقدام ، ولم تكن العين لتقع وراء أحد هذين  
الحارسين على شبح إنسان ، فقد كان الخط  
الحديدي يتجه مستقيماً إلى الغابة مسافة مائة ياردة  
ثم يلتوى ويختفي عن الأنظار ، وما من شك في أن  
كان هناك وراء ذلك مخفر أمان ، وفي الضفة الأخرى  
من النهر فناء مفتوح ، يحيط به سور من جذوع  
الشجر العمودية ، التي تستعمل المسافات الضيقة  
بين أحدها والآخر فتحات لاطلاق البنادق من  
خلالها ، وفي البناء كوة واحدة تبدو منها ماسورة  
مدفع من النحاس يتحكم في الجسر ، وفي وسط  
الطريق بين الحصن والجسر . وقف النظارة الذين  
سمح لهم بمشاهدة تنفيذ حكم الإعدام - ولم يكن  
هؤلاء النظارة غير صف واحد من جنود المشاة ،  
وقفوا موقف الاستعراض ، ارتكزت بندقياتهم  
على الأرض ، ومالت مواشيرها قليلاً إلى الوراء  
مستندة إلى أكتافهم اليمنى بينما أيديهم مشبكة  
حول سوق هذه البنادق ، ووقف إلى يمين الصف  
ضابط برتبة ملازم ارتكز سن سيفه على الأرض ،  
وقد استندت يده اليسرى إلى اليد اليمنى . وفيما  
عدا الأربعة الرجال ، القائمين فوق الجسر بمهمة  
التنفيذ ، لم يكن أحد ليتحرك ، بل وقف الجميع  
ينظرون إلى الجسر ثابتين كالصخور الجامدة ،  
أما الحارسان اللذان يواجهان ضفتي النهر ، فقد

الحديدية ، وكان موقف المحكوم عليه قريباً من رباط رابع ولكنه غير متصل به . وكان ثقل قائد المائة الذى حل محله ثقل ضابط الصف هو الحافظ لتوازن اللوح الخشبي والحائل دون سقوطه ، فتى أشار القائد لضابط الصف إشارة التنفيذ ، وتنجى هذا عن موقفه مال اللوح بالمحكوم عليه فيسقط الرجل بين رباطين من أربطة الجسر . وهكذا كانت الاستعدادات التى اتخذت لاعداد الرجل بسيطة فعالة ، ولم يكن وجهه قد غطى ولا عيناه عصبنا . ونظر الرجل لحظة إلى موقفه المزعزع ، ثم شخص بصره نائهاً إلى الماء المضطرب فى عنف جنونى تحت قدميه ، فاسترعت انتباهه قطعة من الخشب ترقص فوق الماء ، فتبعها نظره وهى تسير مع التيار . فما كان أبداً حركتها فى تقديره ، وباله من نهر بليد مكسال !

أغمض الرجل عينيه وحصر تفكيره الأخير فى امرأته وأطفاله ، ولكن الماء الذى ألقت عليه شمس الصباح وشاحها الذهبى ، وأثر الضباب المتبدد فوق الماء على مسافة غير قريبة من موقفه ، والجنود والجنود ، وقطعة الخشب المائعة فوق الماء ، كل هذه المراتب التى وقع عليها نظر الرجل التمس قد شنت تفكيره ، فلم يستطع حصره كما أراد — على أن عاملاً جديداً للاضطراب قد أضيف الآن إلى هذه الموامل ، فقد شوش تفكيره فى أعزائه صوت لم يستطع تجاهله ولا فهمه ، صوت معدنى ، حاد . واضح ، أشبه بصوت ضربات مطرقة الحداد على السندان ، فرنة الصوتين واحدة ، ولقد حار فى تعرف مصدر ذلك الصوت ، ولم يستطع أن يتبين إن كان هذا الصوت قريباً منه أو بعيداً عنه — فقد خيل إليه أنه قريب . وبعيد فى وقت

كانا أشبه يتمثلين يزينان مدخلى الجسر ووقف الضابط قائد المائة مشبك الساعدين على صدره يرقب فى صمت عمل مساعديه ، والحق أن الموت لذو مقام عظيم ، إذا أقبل ، معلناً عن قدومه ، استقبل بمظاهر الاحترام الرسمية حتى لدى هؤلاء الذين ألفوه ، والسكوت والجود من مظاهر الاحترام فى القانون العسكرى

وكان الرجل الذى اتخذت هذه الاستعدادات لاعداده ، لا يتجاوز الخامسة والثلاثين ، فيما يبدو من مظهره ، تدل ملابسه وهى ملابس المزارعين ، على أنه من الرجال المدنيين ، جميل تقاسيم الوجه مستقيم الأنف ، ثابت الفم ، واسع الجبين ، قد سرح شعر رأسه الأسود الطويل إلى الوراء متديلاً خلف أذنيه ، إلى ياقة سترته الحسنة القطع ، ذا شاربين ولحية مديية ، واسع العينين أسودهما ، فى نظرتة رقة يصعب أن يراها الانسان فى عبنى الرجل الذى وضع عنقه فى خية الجلاد ، وكان واضحاً أن ذلك الرجل لم يكن من القتلة السفاكين ، على أن قانون العسكرية المطلق كفيل باعدام أى صنف من أصناف الناس دون استثناء للسادة من ذوى الخلق الكريم

وإذ تمت معدات التنفيذ وثب الجنديان المحيطان بالمحكوم عليه عن موقعيهما وسحب كل منهما لوح الخشب الذى كان واقفاً عليه ، والتفت ضابط الصف إلى قائد المائة ، فحياء ووقف وراءه مباشرة . وفى هذه اللحظة ترك الضابط مكانه ووقف على مسافة خطوة من مصطبة الاعداد . وكان من أثر هذه الحركات المتتابعة أن ترك المحكوم عليه وضابط الصف واقفين على طرفى لوح واحد من الخشب ، مركز على ثلاثة من أربطة الجسر



واحد . وكان تتابع الدقات منتظماً ، ولكنه كان بطيئاً كدقات نافوس الموت . وكان ينتظر - وهو لا يدري لماذا - هذه الدقات بصبر فارغ وتنبه شديد . وكانت الفترات بين الدقات بعضها وبعض قد بدأت بالتدريج ، وأصبح تباطؤها مما يسبب الجنون ، فقد اصطحب هذا التباطؤ الشديد بازدياد ضربات قوة وحدة ، فكانت تؤذي أذنيه كما لو كانت وخزات سكين ، ولقد خشى الرجل أن يصبح متوجعاً . ولم تكن هذه الدقات غير دقائق ساعته !

وعاد الرجل ففتح عينيه فرأى الماء تحته مرة ثانية . وقال في نفسه : « لو استطعت أن أخاطب يدي من قيدهما لكان من اليسور أن أطرح الخبة عن عنقي وأن أثب إلى الماء . وعندئذ أستطيع أن أتق طلقات الرصاص بأن أغطس تحت الماء ، وإذا سبغت بقوة وصلت إلى الشاطئ » واندفعت إلى الغابة ثم وصلت سالماً إلى داري . وأحمد الله ألا يزال يبقى بعيداً عن خطوطهم ، وما زالت امرأتى وصنادري الأعزاء وراء أبعد نقطة وصل إليها العدو الغازي في تقدمه »

وحيثما كانت هذه الأفكار ، التي تصورناها هنا كلمات تندفع إلى رأس المحكوم عليه بدل أن تخرج منه ، أشار قائد المائة إلى ضابط الصف ، فوثب الضابط متنعجاً عن موقفه .

- ٢ -

كان بيتون فاركوهار مزارعاً ميسر الحال من أسرة قديمة لها في نفوس الناس مكانة سامية من الاحترام . وإذا كان الرجل مالك رقيق ، وكان كثيره من ملاك الرقيق سياسياً ، فقد كان بالطبيعة من طلاب الانفصال الأصليين ومن أشد الناس

وحيثما كانت هذه الأفكار ، التي تصورناها هنا كلمات تندفع إلى رأس المحكوم عليه بدل أن تخرج منه ، أشار قائد المائة إلى ضابط الصف ، فوثب الضابط متنعجاً عن موقفه .

كان بيتون فاركوهار مزارعاً ميسر الحال من أسرة قديمة لها في نفوس الناس مكانة سامية من الاحترام . وإذا كان الرجل مالك رقيق ، وكان كثيره من ملاك الرقيق سياسياً ، فقد كان بالطبيعة من طلاب الانفصال الأصليين ومن أشد الناس

فأجاب الجندي : الأعداء مشتغلون باصلاح الطرق الحديدية والاستعداد لتقدم جديد . وقد وصلوا إلى جسر أول كريك ، وأصاحوه ، وبنوا حصناً على الضفة الثانية . وأذاع القائد منشوراً

- ٣ -

عندما سقط بيتون فاركوهار تحت الكبرى من الفرجة بين الرباطين ، فقد صوابه ، وأصبح كالرجل الذي فارق الحياة ، ولم يوظفه من هذم الحال - بعد أجيال ، على ما خيل إليه - إلا ألم ضفط شديد حول عنقه ، تبعه شعور بالاختناق ، وأحس بالآلام حادة شديدة تسرى من عنقه هابطة في كل عصب من أعصاب جسمه وأطرافه ، وخيل إليه أن هذه الآلام تومض في خطوط معينة تمييهاً دقيقاً متفرعة في كل ناحية من نواحي هيكله ، وهي تدق دقاً متوالياً في سرعة لا يدركها العقل ، وكأنها أنهر من النار الخائقة تصمد بحرارته إلى درجة تفوق حد التصور ، أما رأسه فلم يشعر فيه بشيء غير الاحتقان التام ، ولم تكن جميع هذه الاحساسات مصحوبة بشيء من التفكير ، فلقد طمس جانب التفكير من طبيعته ظمساً كاملاً ، ولم يبق له غير قوة الشعور ، وكان الشعور مؤلماً مسيئاً للمذاب ، كان يشعر بالحركة ، وأحس بأنه مغمور في سحابة ملتهبة هو قلبها المتقد ، وأخذ يتأرجح وسط دوائر غير مستقرة ، وهو مجرد من القوة المادية التي يستطيع بها أن يملك قياد نفسه ، فهو يتأرجح دون تفكير وبغير إرادته ، أشبه ما يكون برقص الساعة ، ثم إذا بالضوء المحيط به يندفع إلى أعلى اندفاعاً مفاجئاً مرعباً مصحوباً بصوت تحبط الماء تحبطاً خفيفاً مزعج الدوى في أذنيه ، ثم إذا كل ما يحيط به بارد مظلم ، وعادت إليه قوة التفكير ، فأدرك أن الحبل الذي يحمله في الهواء قد قطع ، وأنه قد هوى إلى قاع النهر ، وليس في ذلك ما يسبب له اختناقاً جديداً ، فلقد كانت النخية حول عنقه

علق في كل مكان ، أعلن فيه أن كل مدنى بضبط ، وهو يحاول العبث بالطرق الحديدية أو جسورها أو أنفاقها أو القطارات ، يشنق في الحال . ولقد رأيت هذا المنشور بنفسى - وكم هي المسافة من هنا إلى جسر أول كريك ؟

- حوالى ثلاثين ميلاً -

- ألا توجد قوة على هذه الناحية من النهر ؟ - لا يوجد غير مخفر للبوايس الحربى على مسافة نصف ميل من الجسر إلى جانب الطريق الحديدى ، وحارس واحد عند مدخل الجسر فقال فاركوهار مبتسماً :

- وإذا فرضنا أن رجلاً - وليكن مدنياً وطالب شنق - استطاع أن يمرق ، غير ملاحظ ، من مخفر البوايس الحربى وأن يتغلب على الحارس ، فإذا يكون في مقدوره أن يفعل بعد ذلك ؟ ففكر الجندى قليلاً ثم أجاب :

- لقد كنت هناك منذ شهر ، لاحظت أن فيضان الشتاء الماضى قد حمل كميات كبيرة من الأخشاب فكدها بجانب الدعامة الخشبية عند نهاية الجسر ، وهذه الأخشاب الآن جافة ويمكن أن تلهب كالخشب

وهنا وصلت السيدة تحمل الساء ، فشرب الجندى وشكر لها صنيعها في احترام شديد وانحنى لزوجها ثم انطلق بجواده . وبعد ساعة ، بعد أن هبط الظلام ، عاد مرة أخرى فر بالزرعة متجهاً إلى الشمال في نفس الطريق التي جاء منها في المرة الأولى

لقد كان الرجل كشافاً في جيش الاتحاد



به بعيداً في كثير من العنف ، وقد أشبه تلويده تلوي  
ثعبان الماء ، نخيل للرجل أنه قد صاح مخاطباً يديه :  
« أعيداه مكانه ! أعيداه مكانه ! » فقد أعقب نزج  
الحية عن عنقه ألم مبرح قاس لم يكن قد أحس به بعد ،  
كان عنقه يتوجع توجعاً مروعا ، وكأنما النار تلتهب  
في رأسه ؛ وقلبه ، الذي كان يدق دقاً ضعيفاً ،  
وثب الآن وثبة كادت تخرجه من فيه ، وفي الجملة  
دب الألم والوجع الذي لا يطاق في كل قطعة  
من جسمه ، ولكن يديه العاصيتين لم تحفلا  
بأمره ، فقد أخذتا تضربان الماء في عنف ضربات  
سريعة إلى أسفل ، مرغمتين الجسم بذلك على الصمود  
وشعر برأسه يبرز من الماء ، ثم غشيت عيناه  
بضوء الشمس المشرقة ، وتعدد صدره في حركة  
تشنجية ، وابتعلت رثاء في ألم قتال كمية كبيرة  
من الهواء لم يلبث أن زفره متوجعاً !

أصبح الرجل الآن مالكا جميع مشاعره  
الطبيعية . وفي الحق قد سارت جميع حواسه حادة  
متيقظة لدرجة غير عادية . فالاضطراب المروع الذي  
أصاب جهازه المضيئ قد ضخم هذه المشاعر  
وأرغفها : حتى أصبحت تدرك أشياء لم تكن من  
قبل تدركها

فهو يحس وقع قطرات الماء على وجهه ويسمع  
أصواتها المتفرقة كلما أصابته . ونظر إلى أعماقه على  
ضفة النهر ، فرأى الأشجار شجرة شجرة ، ورأى  
أوراقها واهتزاز كل ورقة وحدها - ورأى  
الحشرات تمشي فوق هذه الأوراق ، رأى الجراد ،  
والقراش البديع الألوان ، والمنكبوت الرمادي  
يصل غزله من غصن إلى غصن ، ورأى الألوان  
الماوجة في قطرات الندى وهي تتساقط على الملايين

تحنقه فعلا وتحول دون وصول الماء إلى رئتيه ،  
أعمت في قاع النهر مخنوقاً بجبل ؟ ! لقد بدت له هذه  
الفكرة فكاهة تبث على الضحك ! ففتح عينيه  
في ذلك الظلام الدامس ، ورأى فوقه وميضاً من  
النور ، ولكنه لم يستطع أن يتعرف المدى بينه  
وبين هذا الضوء ، ولا مبلغ الصعوبات التي تعترض  
الطريق إليه ! وكان لا يزال يهبط ، فأخذ الضوء  
يتضاءل شيئاً فشيئاً حتى أصبح مجرد بصيص ، ثم عاد  
الضوء ينمو ويزداد وضوحاً ، إذن هو يرتفع مرة  
أخرى إلى سطح الماء - أدرك ذلك كارهاً ، لأنه  
كان في مستقره هذا يشعر بشيء من الراحة  
والاطمئنان ، وقال في نفسه : « ليس من المكروه  
أن يشنق الإنسان ثم يفرق ، ولكنني لا أريد أن  
أضرب بالرصاص ! لا لن أضرب بالرصاص ،  
فهذا أمر غير محبوب »

لم يكن المشنوق الفريق مدركاً أنه يبذل أي  
جهد في سبيل الخلاص ، ولكن ألماً حاداً في  
معضميه نبهه إلى أنه كان يحاول تحرير يديه من  
قيدهما ، فالتفت إلى هذا الجهد كما يلتفت البليد إلى  
حركة الشمعدان غير مكترث للنتيجة ، وبأله من مجهود  
عظيم ! - يالها من قوة هائلة فوق طاقة البشر !  
آه . . . لقد كان ذلك جهداً بديعاً ! مرعى ! لقد  
أفادت الحبل معصميه ، وانطلقت ساعدها حرتين  
تطفوان فوق الماء ، وقد رأى يديه على جانبيه في  
في شيء من الغموض ، كأنما يراها من وراء  
السحب ، وكان الضوء يزداد انتشاراً لحظة بعد  
أخرى ، ولم يلبث أن إهتم بحركتهما عندما اندفعت  
الأولى ، ثم تبعتهما الأخرى وأثبتت على الحبل  
الملقوف حول عنقه ، لقد اختطفنا ذلك الحبل وقذفنا

الرماة الذائني الصيت كلهم من ذوى العيون الرمادية  
ومع ذلك فقد أخطأ هذا الرجل الرماية  
وأصاب دواءه مبارضة فاركوهار فأدبرته ،  
فاذا هو يواجه ثانية الغابة على ضفة النهر المقابلة  
للحصن . فسمع من ورائه صوتاً قوياً منغماً ملا  
يخترق الهواء ، ثم أصاب الماء في عنف وضجة غطت  
على ما عداه من الأصوات ، حتى صوت قطرات  
الماء المدوية في أذنيه ، والرجل وإن لم يكن جندياً  
فانه قد ألف المسكرات ، فهو يستطيع أن يفهم  
دلالة هذه الأغنية القوية البطيئة المضخمة . لقد  
كان الضابط على الشاطئ يشترك في أعمال الصباح  
فهو في جمود وقسوة ، وفي تلحين هادئ يحاول  
أن يبعث الطمأنينة في نفوس الرجال ، فكان ينطق  
بهذه الكلمات في وضوح وقسوة وفي فترات متزنة :  
« تنهبوا . . . تجمعوا . . . احموا السلاح . . .  
استعدوا . . . صوبوا . . . أطلقوا . . . »

فغطس فاركوهار في الماء ، غطس إلى أبعد  
ما يستطيع أن يغطس . . . فكان دوى الماء في  
أذنيه كدوى شلال نياجرا . وعلى الرغم من ذلك  
سمع صوت الطلقات النارية ، فلما صعد ثانية إلى  
سطح الماء رأى قطعاً من الممدن اللامع تهبط حوله  
في ببطء وقد انبطحت في شكل عجيب ، وقد لمس  
بعضها وجهه ويديه ، ثم استمرت في هبوطها إلى  
القاع ، وسكنت إحداها بين ياقته وعنقه ، وكانت  
حارة كالجرة فانتزعها وألقى بها بعيداً

فلما طفا فوق سطح الماء متلهفاً إلى استنشاق  
الهواء ، أدرك أنه قضى فترة طويلة غاطساً ، فقد  
سار مع التيار شوطاً بعيداً ، فأصبح أقرب إلى  
السلامة ، وكان الجنود قد انتهوا من إعادة حشو

من أوراق الحشيش . وسمع ظنين البعوض الذي  
يرقص فوق زوبعة النهر ، كما سمع ضربات أجنحة  
فرس البحر وهي تصيب سيقان عنكبوت الماء ،  
مشبهة القاذيف التي تلطم الماء على جانبي الزورق  
لتدفعه إلى الأمام . وقد تألفت من جميع هذه  
الأصوات نفثات موسيقية شديدة الوضوح ، وصرفت  
تحت نظره سمكة فسمع صوت تصادم جسمها مع  
الماء وهي تشقه على الجانبين

وطفا الرجل على سطح الماء ناظراً إلى النهر  
أسفل منه ، وفي لحظة أحس بالدنيا التي يقع عليها  
بصره وهي تدور حوله في ببطء شديد ، وهو نفسه  
قد أصبح مركز الدائرة ، ورأى الجسر ، والحصن  
وقائد المائة ، وضابط الصف ، وجندي المراسلة ،  
تلك المجموعة من الرجال التي أنفذت فيه حكم  
الاعدام . لقد كانوا كلهم في نظره أشباحاً سوداء  
تعترض المدى بينه وبين السماء الزرقاء فصاحوا  
وحركوا أطرافهم مشيرين إليه ، ولوح القائد بسدسه  
ولكنه لم يطلق النار . وكان الآخرون غير مساحين  
وكانت حركاتهم سخرية فظيعة ، وكانت أجسامهم  
كبيرة هائلة

وسمع فجأة صوت طلق ناري ، وعلى مسافة  
بضع بوصات من رأسه صدم جسم جامد الماء صدمة  
شديدة أثارت رشاشه على وجهه ، وسمع صوت  
طلق آخر ، ورأى أحد الحارسين يحمل ببندقية على  
كتفه وقد انبعث من فوهتها دخان أزرق خفيف  
ورأى الرجل الطافي فوق الماء عيني الرجل الواقف  
على الجسر تحدقان في عينيه من خلال منظار البندقية  
ولاحظ أن هاتين العينين رماديتان ، فذكر أنه قرأ  
يوماً أن العيون الرمادية هي أحد العيون نظراً ، وأن



نفسه كاللذامة ، فالسوء ، والشايطان ، والغابة ،  
والجسر البعيد ، والحصن ، والرجال ؛ كل هؤلاء  
اختلط بعضهم ببعض ، وقامت بينه وبينهم سحابة  
كثيفة . ولم يكن يرى الأشياء إلا بألوانها فقط .  
فهناك خطوط من الألوان المختلفة مستديرة وأفقية  
هي كل ما يبدو لناظريه . لقد انغمس في إعصار ما  
لفه وأدار كل شيء في نظره ، فكاد يفقد الصواب  
وبعد لحظات وجد نفسه وقد طرحه التيار على  
الرمل فوق قاعدة الضفة اليسرى للنهر — الضفة  
الجنوبية في منحني يخفيه عن أنظار أعدائه . وكان  
وقوف حركته المفاجئ وجرح يده عند اصطدامها  
بالرمل ، هما العاملان اللذان أفاقاه وردا إليه الصواب  
فبكى سرورا ، ودس يده وأصابه في الرمل يقبض  
منه ويهبل على نفسه شاكرا له بصوت عال فضله  
عليه ، فكانت تلك الرمال في نظره ذهباً وألماساً  
وياقوتاً وزمرداً ، وفي الجملة لم يكن يذكر شيئاً فقيساً  
الاشبه به ذلك الرمل العزيز

وكانت الأشجار فوق الشاطئ أشبه بنباتات  
عالية في بستان بدیع ، وقد لاحظ أنها منسقة  
تنسيقاً جميلاً يأمر المشاعر ، واستنشق لها عبيراً  
منعشاً . ورأى من الفتحات بين سوقها ضوءاً  
وردياً خلاباً ، وكان الهواء يوقع على أغصانها نفثات  
أشبه بما روت الأساطير من أنغام قيثارة عولس  
ملك الريح ، ولم يشعر الرجل بالرغبة في إتمام هربه  
فقد أخذ يجال هذا الموضع الساحر وود أن يستقر  
فيه إلى أن يقبضوا عليه من جديد

ولكن أفاقه من هذا الحلم الجميل صفير الرصاص  
بين الأغصان فوق رأسه . فقد أطلق المدفئ الفاشل  
عليه قنبلة الوداع . فهم واقفاً واندفع صاعداً إلى  
الشاطئ المائل وظل بين أشجار الغابة الكثيفة

بنادقهم ، ورأى بريق الكباشات في ضوء الشمس  
وقد أخرجت من فوهات البنادق وارتفعت في  
الجو ثم وضعت في فتحاتها ؛ وأطلق الحارسان  
النار مرة أخرى دون انتظار أمر ضابطهما ،  
ولكن بلا طائل

رأى الرجل المطارد كل ذلك من وراء كتفه ،  
وكان في هذه اللحظة يسبح في عنف مع التيار ،  
ولم يكن رأسه أقل نشاطاً من ساعديه ورجليه ،  
فقد كان يفكر في سرعة البرق ، وقال لنفسه معقياً  
على ما رأى :

« إن يكرر الضابط هذه الغلطة مرة أخرى ،  
فمن السهل أن يتق الإنسان الطلقات الكثيرة إذا  
أطلقت معاً ، كما يتق الطلقة الواحدة ، ولعله قد  
أصدر أمره للجنود أن يطلقوا أحراراً غير مقيدين  
بأمره ، فليكن الله في عونى فما أستطيع الافلات  
منهم جميعاً »

وعلى بعد ياردتين من مكانه سمع صوتاً مرعباً  
ردد الحصن صده ، ثم أعقبه انفجار هائل أثار ماء  
النهر من قاعه ، وارتفعت في الجو صفحة من الماء  
ثم سقطت فوقه فأعمته وخنقته ؛ لقد اشتبك  
المدفع في المطاردة ، وإذا خلاص رأسه من الماء  
الذي غمره ، سمع صوت القنبلة الثانية تصفر في  
الهواء ، وبعد لحظة اصطدمت بأشجار الغابة بعيداً  
عنه ، وانفجرت بينها ، فقال في نفسه :

« إنهم لن يفعلوا ذلك مرة أخرى ، وسيطلقون  
في المرة المقبلة قنبلة متفجرة ، فلأرغب المدفع  
بنظري ، وسيدانى الدخان ، فالصوت يأتي متأخراً  
لأنه يتلكأ وراء القذيفة ، وهذا المدفع من  
النوع الجيد »

وجاء رأى الرجل نفسه يهوى دائراً حول

جحظلتا فلم يعد في مقدوره أن يغمضهما ، وجف لسانه من العطش فحاول أن يخفف من حرارته ببارازه من بين أسنانه فيلقى به الهواء البارد . وما أسرع ما غطت الخفزة الطريق غير المسلوكة ببساط ابن سميك ! فلم يعد يشعر بصلاية الأرض تحت قدميه !

لقد نام الرجل — على الرغم من تعب — وهو سار على قدميه ، ما في ذلك من شك . وإنه ليرى الآن منظرًا جديدًا — ولعله قد صحا من نوبة أصابته من هول ما لقي . إنه لواقف أمام باب بيته ، وكل شيء تقع عليه عيناه باق كما تركه ، وكل ما يرى وضاء جميل تحت شمس الصباح المشرقة ، فلا جدل في أنه قد سرى الليل كله . ولقد دغم الباب فانفتح ومشى في الممر الأبيض الواسع ، فابصر اهتزاز ملابس نسوية على بضع خطوات منه ، وهذه هي امرأته — في نضارتها وثباتها وجمالها — تهبط درج الشرفة لتستقبله . ولقد وقفت عند قاعدة السلم تنتظر اقباله عابها ، وقد غمرت وجهها ابتسامة تنبئ عن فرحة يعجز القلم عن وصفها ، وهي في موقفها هذا مثل للمظلة والسمو غير مقارن . آه ما أجالها ! لقد وثب إلى الامام مفتوح الساعدين ، وهو على وشك احتضانها إذا هو يشعر على مؤخر عنقه بضربة صاعقة ؛ وإذا ضوء أبيض يمشى الأبصار يكتنفه من كل ناحية مصحوبا بصورة كصوت المدفع المصمى — ثم إذا كل شيء مظلم ساكن !

لقد مات بيتون فاركوهار ، وهذه جثته مكسورة العنق ، تتأرجح في الهواء ، في تؤدة ، من ناحية إلى ناحية ، تحت دعام جسر أول كريك

عبد الحميد محمدى

(٥)

ومشى اليوم كله مهتديا بحركة الشمس . وخيل إليه أن الغابة تمتد إلى غير نهاية ، ولم يقع نظره في أية ناحية من نواحيها على طريق مسلوكة ، حتى ولا درب من دروب قطاع الأخشاب ، ولم يكن يعلم أنه يسكن في منطقة موحشة كهذه . ولقد كان لهذا الكشف في نفسه أثر عجيب !

ولم يأت المساء حتى كان التعب قد أخذ منه ، وكانت قدماه قد أنهكهما المسير ، وقد أوشك أن يهلك من الجوع

ولكن التفكير في امرأته وأطفاله كان حافزا له على مواصلة التقدم ، ووجد آخر الأمر طريقا ، هي فيما يعلم الطريق التي توجه الاتجاه الصحيح . وكانت طريقا واسعة مستقيمة أشبه بطرقات المدن ولسكنها لم تكن مع ذلك مطروقة ، فلا المزارع تكتنفها ولا على مقربة منها يلوح أى أثر للمساكن وحتى لم يسمع بها نباح كلب بنى عن وجود إنسان ، وكانت الأشجار الباسقة السوداء تؤلف جدارين مستقيمين على جانبيها ، يلتقيان على مدى النظر في نقطة في نهاية الأفق ، ونظر الرجل إلى السماء من خلال هذه الفرجة التي تشق الغابة ، فرأى مجموعة كبيرة من النجوم الذهبية المضيئة ، ولكن منظرها لم يكن مألوفاً له ، وكان يجمعها عجباً ، ولم يكن يشك في أن هذه النجوم قد رتبت في نظام معين يحمل في طياته سر أسى الدلالة ، وكانت الغابة من الجانبين تدوى بأصوات غريبة ، سمع بينها أكثر من مرة كلاما بلغة لا يعرفها

وأحس فاركوهار الألم يشتد في عنقه فرفع يده يتحسس موضع الألم ، فوجد العنق قد غار غورا مفرزا ، وكان على بيته من أنه محوط بدائرة سوداء من أثر الحبل الذى ضغطه ، وشعر كأن عينيه قد





وقد تقول : إنه كان في وسمك أن تقترض  
المبلغ غير أنى سوف لا أكون معك إبان اكتشاف  
الحادث ، بل إن روحى هى الأخرى ستأتى أنى  
تحضرك ، لأنى لا أَرْضى أن تزججك . ولا أود أن  
تهيجك

وإنى على يقين أن رحيلى الى العالم الآخر هو  
خير سبيل تطرق ، وأفضل طريق تسلك ؛ ودعنى  
أقول لك : وداعا يا سيدى الكولونيل !

المخلص

جرافيل فورلاند  
ملازم أول

وغيب الرسالة بعد ذلك في المظروف وختمه...  
ثم ألصق عليه أحد طوابع البريد . وكان هو يفعل  
ذلك حاكاً ساهما ، مفكراً واجماً ، تتناوب وجهه  
الحمرة والصفرة . يرى يديه ترتجف وأصابه ترمش..  
ولم يكن ذلك لما يشعر من تأنيب في الضمير لسرقته ،  
أو وخز في النفس لفعلة . بل كان ذلك لأنه  
لا يستطيع درء الفضيحة عنه ، ولا يمكنه دفع العار  
بعيداً منه ، ولأنه سيفقد عمله لما أتاه من المنكر ،  
ولما اقترفه من الجرم

إن السبيل الوحيدة والطريق السهلة المعبدة .  
للخلاص من الفضيحة ، والاغتسال من العار اللذين  
سيجرهما عليه اكتشاف الحادث . هى رصاصة  
تخترق رأسه

وأبصر يده ترتجف وهو يشعل إحدى لفافات  
التبغ ، فأيقن أن تظاهره بالثبات وادعاءه الرزانة  
والهدوء إنهما إلا قناعاً شفافاً يخفى وراءه ما يصطخب  
في نفسه ويمج من عوامل الرعب والفرع الهائلة..  
وقال بلهجة الواثق يحدث نفسه :

— سينتهى كل ذلك سريعاً .. ما هى إلا ضغطة

أو في عذاب السمير . هناك حيث ينال المرء جزاءه  
من جنس عمله . وقد فضلت هذه النهاية وآثرتها  
لأنى عجزت عجزاً بيناً عن إعادة ما امتدت إليه يداى  
الأثمتان من أموال الفرقة التى وكلت بحفظها .  
ووسّدت إلى أمر حراستها والعناية بها . ولا عجب  
إذا وصلك كتابى هذا قبل اكتشاف الحادث ،  
فذلك ما عملت على أن يكون

وكان الأمل يشيع في نفسى حتى الآن ، لظنى  
أنى لا بد واجد طريق الخلاص الذى ينقضى عن  
ذلك المأزق الضيق الخائق . وكان مما يغمر نفسى  
بالأمل ويفيض عليها بالرجاء ، أن يوم اكتشاف  
الحادث ليس منا بقريب ، بل دونه أيام عديدة ،  
وليال كثيرة تمكننى من إخفاء الأمر وتسديد  
المعجز وإكمال النقص

غير أن الأيام قد مرت ، والليالى قد تصرمت ،  
وأصبح اليوم المروع الرهيب قاب قوسين أو أدنى  
فلا يمر الليل حتى يفيض نوره ، ولا تمضى ساعات  
إلا ويبزغ فجره وتترجل شمس . كل ذلك وأنا كما  
كنت ... عاجز عن إخفاء الحادث ، أو إكمال  
النقص الذى أحدثته يداى الملوثنان .. فليس أمامى  
في هذه الحال غير السجن والعار .. سوى الخراب  
والدمار .. وليس ذلك مما أسيغه أو أرضاه

أما عن المبلغ المختلس فقد بلغت قيمته حتى الآن  
ستمائة جنيه أو تزيد . فهل يدور بخلدك يا سيدى  
أنه في وسمى إعادته الى مكانه من الخزانة دون أن  
يدرى أحد ؟ قد يكون ذلك ممكناً من وجهة نظرك  
ولكن المعجزات لا تحدث في عصرنا هذا يا سيدى  
الكولونيل ، إنما الأخطاء نجسب هى التى يشيع  
حدوثها ، أو إحداثها إن شئت



واحدة لهذا الزناد وينتهي الأمر كله ! بل ويشق على  
أى أحد أن يلاحظ بي أو ينالني  
وأخفى السدس في أحد أدراج المكتب ، ثم  
تناول الرسالة ، وغادر البيت ليودعها صندوق  
البريد ، أى حظ تعس ذلك الذى يلزمه ؟ من له  
بمن يعد له يد العون فيرد المال المألوف قبل أن  
يجردوا الخزانة ؟ أى دهر جائر ظلوم ، هذا الذى  
يأبى مساعدته وتخليصه من وهدة العار التى تردى  
فيها ، وهاوية الذن الذى تمرغ فيه ؟  
وتتم فورلاندي يحدث نفسه :

— ها هو ذا آخر يوم من أيام حياتي ، لينقضى  
تحت سمي وبصري

وألقى الرسالة في صندوق البريد ، ثم كر راجعا  
الى مشواه

وهناك أخرج السدس وأدناه من رأسه المحموم ،  
وزم شفتيه ، وأغمض عينيه ، وراحت أصبعه  
تضغط على الزناد شيئا فشيئا . وكاد كل شيء ينتهي ،  
لولا أنه سمع وقع أقدام تقترب منه أعقبه سملة  
مكبوتة ودق خفيف على الباب

ودخل الخادم فألقى سيده منتحيا ناحية من  
المكتب جالسا في تراخ ونحول ، أما السدس فقد  
كان مختفيا وراء عتبة السجائر

— لقد جاءت الآن فقط يا سيدي

فاه الخادم بهذه الجملة في صوت خافت ولهجة  
احترام وهو يمد يده الى سيده برسالة مسجلة . . .  
فتناولها فورلانديد مرتجفة ثم أوماً إليه بالانصراف  
وفض المظروف في عجلة واضطراب فسقطت منه  
الرسالة وهو يخرج حزمة من الأوراق المالية كانت فيه  
والتقط الرسالة وأخذ يقرأ ما جاء فيها بمينين  
جاحظتين

« سيدي : لقد أمرني عمك جيمس . ب .  
مويث أن أرسل إليك هذا الكتاب وبه ألف من  
الجنهات ، وهي نتيجة الارتفاع المفاجيء لأسهم  
شركة آبار البترول ، التى كان لك حظ الاشتراك فيها  
عند فجر حياتك »

وكانت الرسالة ممهرة بامضاء مسجل شهير  
وأحس فورلاندي رغبة ملحة في أن يرفع عقيرته  
بالصباح فرحا وابتهاجا ، ها هي ذى ألف من  
الجنهات في يده . . ملكه وحده ، لا ينازعه فيها  
منازع . ولا يشاركه فيها شريك ، سيعيد ما اختلسه  
في صبيحة اليوم التالي قبل اكتشاف الأمر دون  
أن يعلم أحد . . أية معجزة أية خارقة . . أى حظ  
سعيد ؟ لقد هزأ بالمعجزات وها هي ذى قد حدثت ،  
وسخر من الخوارق وها هي ذى قد حلت

بيد أنه عبس قليلا وهو ينظر الى المال ،  
لماذا لم يرسله عمه صكا على المصرف ؟ ولكنه عاد  
وتذكر أن عمه يمتك معاملة البنوك ، بل هو لا يثق  
بها ولا يأمن لها ، إن عادته دواما أن يدفع بالنقد  
وتذكر قول عمه له ذات يوم : « اصغ الى  
يا فورلاندي ، إن شركتنا هذه وإن كانت لا تدر  
علينا أى ربح الآن . فانها ستغدو في مدى زمن  
— طال أمر قصر — من أعظم الشركات الدولية  
في العالم » إذن فهذه هي أولى الأرباح . . . إذن  
سترى عليه المبالغ بعد الآن . . .

وفورلاندي يعلم عن عمه أنه ما كان يرسل إليه  
فلسا واحدا ، إذا درى بموقفه الدقيق الحزج ، إنه  
— أى عمه — يكره أن يرى أحد أفراد الأسرة  
يتلوث بهذا العار ، ويتمرغ في هذا الرجس . وتقطب  
جبينه وهو يفكر . . حسنا . . سيعيد المال  
المسروق فتتبقى له بمئذ أربع مائة جنيه أو ثقل ، وإن

وهو يدلي إليهم بأنه أرسل بمحض الخطأ والتسرع خطاباً يود استرداده . ثم وصف لهم الظروف فأجابهم أحد العمال في رقة مشوبة بحزم أن إعادة أية رسالة إلى صاحبها ضرب من المستحيل وأفهمه أن مصلحة البريد تمتد نفسها مسئولة عن الرسائل حتى تصل إلى الرسالة إليهم

فأخذ فورلاند يتهدد ويتوعد تارة . ويلين ويتذلل تارة . وكان كل ذلك عبثاً . فلمح إليهم بالرشوة ، ولوح لهم بالمال . وقد رفع المبلغ حتى أخفى يغرى الرء على مخالفة ضميره والاخلال بواجبه ، فنظر إليه العامل نظرة شذراء مليئة بالتهكم والازدراء . ثم أدار عنه وجهه واستغرق في عمله فخرج فورلاند يلتبس الهواء البارد الرطب عساه يلطف من هاته النار التي تضطرم بين أضامه اضطراباً ولعله يخمد ذلك السمير الذي يحترق في أحشائه احتداماً

وتراقصت على صفحات ذهنه كلمات الكولونيل التي طالما صوبها إليه معرضاً به قادحاً فيه « إنك أيها الرجل تعيش على الأخطاء وسوف تموت من جرائها »

وفي مأواه غرق في مقعده وراح يشحذ ذهنه ويكد قريحته لعله يصل إلى حل لتلك المعضلة الجديدة أو عساه يجد طريقاً للخلاص مما وقع فيه من الخطأ مرة أخرى

وهبط الليل وانتشرت معالمه السحماء الطاخية على الكون . بل مضى كل الليلة إلا قليلاً واقترب الفجر وكاد يبرغ . وفورلاند لما يجد بعد جلاء ذلك الاشكال الجديد ، وظل جالساً بأعين جاحظة وجفون مقرحة ، وشعر مشعث وخدين أصفرين غاربن

يكون هناك ما يشينه ويعيبه أمام عمه أو يحط من قدره . بيد أنه أن كوحش حبيس ، وزأر كأسد جريح ، حينما تذكر الخطاب الذي أرسله إلى الكولونيل بمنوان يذمه في « إيست كوست » ... لا مرية أنه سيتسلمه في الصباح الباكر

وهب واقفاً في ذعر .. ما الذي بحق الشيطان جعله يتسرع ويرسل الكتاب ؟ أما كان أولى به أن يترث إلى الصباح ؟ إنه لا يسمعه الآن أن يتلافى الأمر أو يتفادى الكارثة . . ولا يمكنه أن يعيد المال ، ويزعج أنها مريحة من مزحه ، أو بهزلة أراد بها التسلية واستطلاع ما قد يحدث . فقد يرتاب الكولونيل في الأمر . ويجرد الخزنة بعين أخرى .. منتبهة متيقظة . ويميط اللثام عن التلاعب الذي أحدثه بالمال منذ سنتين

وألقي فورلاند المسدس في درج المكتب . ووضع المال في حرز حرير . ثم تناول قبضته وغادر مشواً إلى صندوق البريد

يا للعظ التمس . ويا للأمل الخائب ! لقد أفرغت الرسائل التي في الصندوق منذ عشر دقائق فحسب

وتراءت له أشباح السجن والفضيحة والمار . فجئن جنونه . إن مصيره الآن في يد رجل ، ولو أنه طيب القلب إلا أنه لا يلين ولا يرحم في مثل تلك الأمور . ثم إن عمه جيمس لا يتردد في ازدراءه ولفظه والتبرء منه إذا بلغه خبر جريمته الشنعاء وإثمه الكبير الزرى

وأبصر مكتب البريد يجثم في نهاية الطريق فهول إليه . وألفاهم هناك في عجلة من أمرهم وهم يفرزون الرسائل

وارتدى فورلاند ثوب الهدوء وثبات الجنان



ستصل الرسالة الى الكولونيل بعد بضعة ساعات فيقرأها ويدرك كل شيء

ليس هناك سبيل لمنع ذلك ، على الرغم من أن الخطاب لا يزال في مكتب البريد ، يا لله ! كيف يمنع وصوله ؟ لقد أصبح ذلك مستحيلاً ، لأن الكولونيل يتسلم رسائله يداً بيد من موزع البريد . وزار فورلاند يقول :  
— لما ذالم أتريث قليلاً ؟

واختفى فورلاند المرح الطروب ، واحتل مكانه فورلاند آخر وحشي النظرات . كساه اليأس ثوب الجنون ، وأورنه الهم والقلق حالة التوحش ها هو ذا الخراب يتراءى له كوحش هائل يريد ابتلاعه ، والدمار يهاجمه كجبار يبغي اختطافه ، ومع ذلك كان في وسعه أن يتفادى ذلك لو أنه لم يخطئ ويرسل ذلك الخطاب

وملاً كأسه من الكونياك ورفعهما الى فمه بيد ترتعد في شدة وعنف ، حتى لقد تساقطت قطرات من الشراب على أرض الغرفة

وانتبه أخيراً من ذهوله فرأى أن الصبح قد تنفس وبزغ النهار وأضاء . فأخذ يضحك بينما كانت أصابعه تمسح بالأوراق المالية عبثاً بشيء تافه لا خير فيه

إن الكولونيل ليرفض رفضاً باتاً أن يأخذ منه المال ويودعه الخزانة دون أن يظن الى الأمر أحد يا للخراب ! يا للدمار ! لقد خرب ودمر ... كل ذلك من جراء غلطة واحدة . ألا ليت تريت الى الصباح ، أو الى أن أتاه المال من عمه

ونظر الى الساعة فألفاها تشير الى التاسعة سيستلم الكولونيل باكستر الرسالة حالاً ... إنه يقرأها الآن ، وربما يكون قد أخطر البوليس

وغرق في مقعده ثم تتم :

— السجن ...

واعتمد في جلسته بغتة ثم أردف :

— سيأتي البوليس بين لحظة وأخرى ... أجل ، سيأتي فوراً . ألم ينبئ الكولونيل بالسبب الذي حدا به الى الانسلاخ من هذا العالم والتخاوص من الحياة ؟

وعادت وتراءت له أشباح السجن والعار والدمار وضحك مرة أخرى ثم جلس على حافة المكتب وأفرغ في جوفه كأسين مترعتين من الشراب ثم امتدت يده تبحث عن المسدس

— كل ذلك من أجل غلطة ... غلطة واحدة ألا ليتني تربث قليلاً قبل أن أبعث بهذه الرسالة اللعينة

ثم رفع السلاح الى رأسه المندى بالمرق البارد في عزم وإصرار

\*\*\*

وعلى عتبة الباب الخارجى راح الخادم يتفردس ويديم النظر في رسالة سلمها إياه موزع البريد ، وكانت تحمل — فضلاً عن عنوان الكولونيل باكستر — ثلاثة أحرف تومى الى أن اسم الراسل مكتوباً على الوجه الآخر من المظروف

وزجر موزع البريد يقول :

— إنه لا يحمل اسم البلد المرسل إليه ، وقد أعدناه لنقص العنوان . كثير من الناس يقع في مثل هذه الغلطة ... يا إلهي ! ما هذا ؟

« وهذا » هذه كانت طلقة نارية دوت في سكون المنزل العميق أعقبها سقوط جسم على الأرض

محمد عبد الفتاح محمد  
بالمساحة والمناجم بينها



- ١ -

كان يقول لسيدته ونظراته تنطق بالروعة والاعجاب :  
« لسوف يكون ابنك قاضياً يوماً من الأيام . »  
وكانت الأيام لا تترى إلا وفي أحشائها أعاجيب  
جدد ؛ فعندما بدأ الطفل يتعلم كيف ينقل خطاه  
بعضها في إثر بعض ، رأى رتشاران في ذلك عصرًا  
جديدًا من تاريخ البشر . حتى إذا ما جال لسانه في  
شدقه بلفظ : « بابا » لأبيه ، ولقب « ما - ما »  
لأمه ، وكنية : « شارنا » لمربية ، استخف المرح  
رتشاران ، فراح ياتي بالخبر إلى كل من بصرت  
به عيناه

وأتى على ذلك حين من الدهر فأصبح على  
رتشاران أن يظهر عبقريته بأساليب أخرى ؛ فقد  
كان عليه أن يلعب دور حصان مثلاً ، يشب على  
أقدامه ويمسك اللجام بين أسنانه . ثم يصارع حمله  
الخفيف ، ويحتال ليرتمي على ظهره مهزوماً مغلوباً .  
فان هو فشل فثم صخب وضجيج

وفي ذلك العهد حول أنوكول إلى مقاطعة على  
ضفاف البادما . فابتاع لابنه - وهو في الطريق إلى  
كلكتا - عربة صغيرة ، كما اشترى له صداراً من  
ساتان أصفر ، وقبعة ذات شرائط مذهبة ، وأساور  
وخلاخيل من ذهب . فكان من دأب رتشاران  
- كلما خرج في نزهة مع صاحبه - أن يخلعها  
عليه جميعاً في زهو وكبرياء

كان رتشاران يبلغ من العمر اثني عشر عاماً  
عندما لحق بخدمة سيده ؛ وإذا كان ينتمى وإياه إلى  
جنس واحد فقد صار إليه أمر العناية بابنه الصغير  
ودار الزمن دورته فانفتل الطفل من بين ذراعي  
رتشاران ليذهب إلى المدرسة ، ثم إلى الجامعة ، ثم  
ليتبوأ منصباً في القضاء

ولقد انفرد رتشاران بخدمته طيلة ذلك العهد  
حتى إذا ما تزوج شعر الرجل الأمين بأنه قد أصبح  
مولى لسيدين بعد أن كان تابعاً لسيد واحد ، فقد  
طار من بين يديه ما كان له من سلطان ، ثم استقر  
على بساط السيد الجديد

غير أن رتشاران لم يلبث أن صرفه عن كل  
ذلك قادم ثان ، فقد أنجب أنوكول طفلاً ، وملك  
رتشاران قياد الطفل بلطف عنايته ، وحسن رعايته  
فكان يلاعبه ويداعبه ، ويلاغيه ويناغيه ، ويلصق  
خده بخده ، ثم يبعده عنه وقد أضاعت صفحته  
ابتسامة لطيفة

وسرعان ما استطاع الطفل أن يحبو وأن يجوز  
باب المنزل ؛ وعند ما كان رتشاران يذهب لياتي به ،  
كان يجلجل بضحكات عابثة ، فيأخذ المعجب من  
رتشاران مأخذه ، ويدهش لما يديه الطفل عند  
مطارده من تدبير بارع ، وحكم صائب . حتى لقد



فأشار بيده إلى الاتجاه المضاد وهو يقول حافظاً مستثيراً : « انظر ! انظر ! أيها الطفل ! انظر هذا الطائر .. » ثم دفع بالعربة بعيداً عن الشجرة وهو يدمدم بأصوات لا معنى لها

ولكن ليس من اليسير أن يخدع طفلٌ قسم له أن يتربع على أريكة الحكم ، ويتبوأ منصة القضاء ! ثم إنه لم ير شيئاً خائفاً بأن يلقى إليه باله ، أو يوجه أنظاره ؛ وإيهامه بوجود طائر خيالي أمر لم يعد في الامكان

وتشبث السيد الصغير برأيه ، فرضخ له رتشاران ، وقال أخيراً : « حسناً أيها الطفل ، اجلس أنت في عربتك قرير العين ، وسوف أذهب فأتيك بما شئت من زهر جميل .. ولكن حذار أن تقرب الماء .. »

وما كاد رتشاران يذهب حتى هرع الطفل صوب الماء الذي حرم عليه ، كان النهر يمدو ويتدافع صاخباً مزبداً ، فكان المويجات المصبية أطفال آبهة من رتشاران ، مدوية بضحكات ألف طفل سوياء .. فتجوب فؤاد الصغير بالأعيان ، فانسل من عربته يمدو شطر المجرى ؛ وبينما هو في ذلك إذ بصر بعضاً صغيرة ، فالتحنى بها على النهر وكأنه يصطاد ، ولكن أرواح البحر كانت تدعوه إليها ، وتناديه أن تعال نلعب ونمزح في مرتعنا الواسع

وكان رتشاران قد قطف ملء قبضته زهراً ، وعاد وهو يحمله في طرف ثوبه ، والسرور يملأ عطفه ويشيع في أسارير وجهه ؛ ولكنه عندما باع مكان العربة لم يجد أحداً ، فجال بطرفه فيما حوله ، فلم يجد أحداً ، فجمع إلى العربة بصره ، فلم يجد أحداً ، فتجمد الدم في عروقه ، ودارت الدنيا من حوله ، وكأنه يسبح في ضباب كثيف ، وانبعثت

ثم أقبل فصل الأمطار فأنشأت السماء تمطر الأرض بشأيب مزن هطال . فكان النهر الجائع أفموان هائل يزدرد كل ما يصادفه من المنازل والقرى والحقول ، وينمر بفيض مياهه الحشائش الطويلة المشرفة على الساحل الرمل . وبين الفينة والفينة كان يدوى في الفضاء صوت ارتطام المياه بالشاطئ ، وكنت تستطيع أن تسمع هدير التيار من بعد قصي ، فإذا اقتربت من النهر هالتك تلك المقادير المظيمة من الزبد يدفعها التيار دفعاً عنيفاً وغيض ماء السماء بعد ظهر يوم من الأيام فلاح الطفس رائقاً دفيئاً وإن جللت الغيوم السماء . ولم يرض السيد الصغير أن يقبع في عقر داره في مثل ذلك اليوم الجميل ، فاستقل عربته الصغيرة ، وراح رتشاران يجره في تون ونخاذل ، حتى إذا ما شارف مزارع الأرض الممتدة على شاطئ النهر لم يجد أحداً ، فلا في الحقول أصحابها ولا في النهر قواربه . وإنما انشقت السحب وراء العباب عن شمس دامية مودعة ، كأنها سفينة يحترق في خضم زخار

ووسط ذلك السكون العميق أشار الطفل بأصبعه إلى الأمام على حين غرة ، ثم صاح : « شارنا ! » فعلى مقربة منهما وسط ردغة مستوحلة كانت تقوم شجرة باسقة من أشجار «الكادامبا» وكان السيد الطفل يرمقها بنظرات ملؤها الطمع والتشهي ، ففهم رتشاران مراده ، إذ كان قد اتخذ له من أزهارها شبه عربة صغيرة منذ عهد قريب . وما كان أشد سرور الطفل وهو يجرها هنا وهناك ! لقد شغلته اليوم بطوله حتى أن بلجم صاحبه ، فارتفع من حصان إلى سائس ! وما كان رتشاران يتواق إلى أن يخوض في الطين حتى ركبته ليحصل لسيدة على الزهر ،

لقد كان الطفل يزين بجلى من ذهب ... »

- ٢ -

وارتد رتشاران إلى قريته محزوناً كاسف البال ، فلم يك قد نسل حتى ذلك الوقت ، ولم يبق له أمل في نسل . . إلا أن زوجه أنجبت طفلاً قبل أن ينسلخ على قدميه عام ، ثم قضت بحبها ، وخلفته فريسة حنق عظيم ، يغيظه صراى طفله ، وتتماون الظنون أنه ما جاء إلا ليغصب السيد الصغير مكانته ، ثم أليس من البنى أن يقر بطفله عيناً ، وسادته يتقبلون على القتل وجداً على ابنهم والمآ ؟ ولولا عمه أرملة وقفت نفسها على العناية بالطفل لما عاش إلا قليلاً ولكن تحولاً طراً على عقل رتشاران ثم سكن فيه شيئاً فشيئاً . لقد راعه أن بدأ الطفل يحب بدوره هنا وهناك ، ويجوز باب المنزل وقد ارتسمت على وجهه علامة الحب والعبث ؛ وكان هو الآخر بارع الحيلة زكى الفؤاد إن شاء هروبا ، بل لقد كان بنبرات صوته ، ورنين ضحكه ، وعويل بكائه ، ولطيف إيمائه ، يشبه السيد الصغير حذوك القطة بالقطة ؛ حتى لقد كان يخيل لرتشاران وهو يصبح أن سيده الصغير يناديه من وادى الموت السحيق ، وبصرخ باكية لفقد « شارنا »

وسرعان ما بدأ الطفل يلوك الكلام ، فمرف كيف ينادى « با - با » و « ما - ما » في لُغاه طفل رضيع ، وانباج السر أمام عيني رتشاران إذ راح السيد الصغير يناديه « شارنا » بعد أن بعث في بيته تارة أخرى

ولم يعد يخامر رتشاران أدنى شك في صحة هذا الزعم ، فقد رأى الطفل نور الحياة بعد وفاة السيد بقليل ، وأبوه على بأس من أن يجي المخاض زوجه العاقر ، ثم إن القادم الجديد كان يعرف كيف ينادى « با - با » و « ما - ما » ، وكانت

(٦)

من أجناء صدره الكسير صرخة بتراء : « مولاي . . . مولاي . . . مولاي الصغير . . . »

ولكن أحداً لم يناده : شارنا ، ولا ضحك من من خلفه طفل عابث ، ولا جاوبته صيحة صرح من قلب صغير ، ما طرق أذنيه إلا هدير البحر يملو صاخباً منجرراً كما كان ، كأنه لا يعلم مما حدث شيئاً ، أو كأنه ليس خليقاً أن يلقى السمع إلى ذلك الحادث الانساني العارض ، إلى موت طفل . .

ومضى الليل لا يزيد قلب السيدة إلا خوفاً واضطراباً ، فبعثت بالرجال يجوبون الحى باحثين ، فانطلقوا والمشاعل في أيديهم حتى شارقوا ضفاف الپادما ، حيث ألغوا رتشاران يحتاج المزارع كأنه صرصر عانية ، ويصبح صيحة اليأس : مولاي . . . مولاي . . . مولاي الصغير . . . !

وعند ما عادوا به إلى المنزل خر تحت قدمي سيده صمماً ؛ فراحوا يهزونه ويسائلونه عن مكان الطفل ، فلا يظفرون منه بشيء .

وأيقن الجميع أن الپادما قد ابتلع الطفل ، وإن خامرهم شك ضعيف فيما حدث ، فقد شاهد الناس ظهر ذلك اليوم عصبية من النور تضرب في أطراف القرية ؛ وهيات الأم مرارة الشكل ووقدة الحزن أن تشاران ربما كان السارق بعينه ، فانتبذت به مكاناً بعيداً ، وراحت تبتهل إليه في ضراعة وتوسل : « رتشاران ! أردد إلى طفلى . . أواه ! أردد إلى طفلى . . خذ ما شئت من مال وعتاد ، واردد إلى طفلى . . . »

فكان رتشاران لا يجيب إلا بالضرب على جبينه ، حتى أمرته سيده أن يغادر المنزل غير مأجور وأراد أنوكول أن يحاج زوجته ليخلصها من من شكوكها ؛ سألها : « ولماذا بالله يقترب مثل هذا الجرم ؟ » فما أجابته إلا بقولها : « من يدري !



خدمه كتابع .. وزاد الطين بلة أن رتشاران  
أضمر أبوته لغايلنا ، ولم يكشف بذلك أحداً  
ولقد كانت أساليب رتشاران الريفية موضع  
سخرية الطلاب من قاطني الفندق ، بل لقد كان  
فايلنا يشاركهم عبثهم ما غاب أبوه . وعلى الرغم من  
ذلك فقد كانوا كلهم يحبون الرجل الطيب المجوز ،  
وكان ابنه يحبه أيضاً ، ولكن في ترفع وكبرياء  
وتقدم برتشاران العمر وأوقرتة السنون ، فراح  
مخدومه يصدد أخطائه ، ويحصى عليه سقطاته ،  
ويدرك عجزه عن القيام بعمل لم يكن له أهلاً . . .  
فلقد كان يطوى نفسه على جوع ونحمة ، ليوفر  
لابنه أسباب السرور والنعيم . حتى لقد هزل  
جسمه ، وشحب لونه ، وآده عملة ، وضعفت  
ذاكرته ، وتبدل ذهنه . ولكن سيده لم يميزه ،  
إذ كان يريد العمل تاماً كاملاً . . . ثم إن ما أتى به  
رتشاران من ثمن عقار كان قد نفذ ، وبقي الفتى  
متدماً يطلب الملابس ، ويريد النقود

— ٣ —

وأخيراً صمم رتشاران على أمر . فأعطى فايلنا  
قدراً من المال ، وقال له : « إني ذاهب إلى البلد  
في عمل ، وسوف أعود وشيكاً . وسرعان ما قصد  
إلى « باراست » حيث كان أنوكول قاضياً ، وكانت  
زوجه ما برحت موجهة القلب مكروبة الفؤاد ،  
وقد ران على قلبها الحزن أن لم تلد من بعد  
فقيدها ولداً

و ذات يوم كان أنوكول يقيل من عناء عمل  
شاق ، بينما كانت زوجته تدفع الثمن الفادح إلى  
دجال جوال ، لقاء عقار يشقى من العقم ؛ فسُمع  
في رجة الدار داع يدعو بالتحية فبرز أنوكول يرى  
من القادم ، فما أن عرف فيه رتشاران حتى صفا  
إليه فؤاده . وطفق يسأله عن حاله ، ثم وعد بأن

تلوح عليه نمايل قاض فاضل وحكم عادل  
وانتالت على رتشاران ذكرى ما ألصقته به  
سيدة من تهم ، فطفق ينجى نفسه في ذهول :  
« واهاً لقلب الأم ما كان كذوباً ، إنما أوحى إليها  
أني كنت سارق طفلها . . » وما كاد التفكير  
يؤدي به إلى هذه النتيجة حتى غشيه الندم على  
ما كان من إهماله ، فأتجه بروحه وجسمه إلى الطفل  
الصغير ، ومحضه خالص حبه وولائه ، وطفق يتولاه  
كأنه ابن سري . فابتاع له عربة صغيرة ، وصداراً  
من ساتان أصفر ، وقبعة منمنمة بالذهب ؛ ثم صهر  
حلي امرأته ، وصاغه أساور وخلاخيل . وأبى على  
الطفل أن يلعب مع أطفال جيرته ، فأنفرد برفقته  
ليلاً ونهاراً . حتى إذا ما كبر ونما وعد في الغلمان  
كان الصبي المدلل الأنيق ، يسخر منه أهل القرية  
وينادونه « بيا صاحب السعادة » ؛ بينما كان آباؤهم  
يمجبون لشغف رتشاران بالطفل شغفاً بلغ حد  
الوله والجنون

ثم شارف الطفل سن الدرس فباع رتشاران  
ما كان له من عقار قليل ، ثم احتفل إلى كلكتا  
حيث اشتغل بالخدمة بعد لأي وعناء ، ثم بعث  
بابنه إلى المدرسة لا يألو جهداً في سبيل تثقيفه  
وإسماعه ، وإن قنع هو بمحنة من الأرز يقيم بها  
صلبه ، هامساً يذنه وبيت نفسه : « آه يامولاي  
الصغير ! يا سيدي العزيز ، لقد أحببتني فعدت إلى  
في بيتي ؛ تالله إن ينالك مني سهو ولا تقصير »

ومضت على ذلك أعوام اثنا عشر ، فاذا الفتى  
قد أجاد القراءة والكتابة ، واستوى على عوده  
وضاحاً قوياً ؛ معنيا بظاهر وسامته ، معتزاً بشعره  
بفرقه ويساويه ، ميالاً إلى التأنق والتباهي ، مبسوط  
الكف لا يقيم للمال وزناً . . . حتى لقد أنف أن  
يقر بأبوة رتشاران له ، لأنه وإن أحبه كأب ، فقد

يميدته إلى خدمته مرة أخرى . فابتسم رتشاران ابتسامة شاحبة ثم قال : « أريد أن أقدم فروض الطاعة لمولاتي . . » فذهب به إلى داخل المنزل ،

ولكن سيده لم تستقبله بمثل حفاوة سيده فطوى رتشاران عن ذلك كشحا ، وضم يديه وهو يقول : « تالله ما استلب البادما طفلك ، بل هي جريمتي . . » فصاح أنوكول : « الله أكبر ! ماذا ؟ وأين هو ؟ . . » فأجاب رتشاران : « إنه مي ، وسوف آتيك به بعد غد »

وكان اليوم الأحد اذ القضاء معطل ، فأنشأ الزوجان يرقبان الطريق متربصين ، ينتظران على الحجر قدوم رتشاران ؛ حتى هلت طلعتة في الساعة العاشرة ، ممسكا بيمينه فابلنا

وأخذت الزوجة الغلام في حجرها دون أن تنبس بكلمة ، ثم استخفها المرح فهي ضاحكة ياكبة تدله وتلاعبه ، وتقبله في شعره وجبينه ، وتحدق في محياه بأعين جائعة ولهي . كان الفتى قسيما وسيما ، في كساء فطريف ، وثياب غرنيق . فطفح فؤاد أنوكول بالبشر والحب ، ولكنه راح يسأل سؤال كل قاضٍ : « أما لديك من بينة أو برهان ؟ » فأجاب رتشاران : « وكيف أستطيع على ما قلت سوق دليل ؟ إنما هو الله يسمع ويرى ، ويعلم أني سارق طفلك ، أنا وحدي لا سواي ! »

ولما رأى أنوكول تملق زوجته بالطفل وضع له عبث السؤال ، فرأى الحكمة في أن يصدق ويؤمن ؛ فمن أين لرجل عجوز مثل رتشاران بهذا الفتى ؟ ولم يكذبه خادمه الأمين ويختله على غير طائل ؟ ولكنه قال في حزم وصرامة : « رتشاران ! لم يمد لك في هذا البيت مقام »

وأجاب رتشاران في صوت مرتجف ، وهو يضم يديه : « وأنسى أذهب يامولاي ؟ لقد وهن العظم

منى واشتعل الرأس شيئا ، ولم يبق في إلا ذماء يخبو رويدا » وقالت السيدة : « ذره يبق في ذلك سرور لطفلي . . لقد غفرت له ما تقدم من ذنبه . . . » ولكن ضمير القاضي أبي علي رتشاران أن يبقيه ، فقال : « كلا . . . فما إلى المغفرة من سبيل . . . » وانبطح رتشاران على الأرض يضم قدمي أنوكول صائحا : « ذرني باقيا يامولاي فما أتيت شيئا فريا ؛ إنما هي إرادة الله »

وما زاد ذلك أنوكول إلا ثورة خاطر ، فقد ثقل عليه أن يتهم القدر رتشاران ، فقال : « كلا . فما عدت أستطيع أن أعفو أو أطمئن إليك مرة أخرى ، بعد إذ خنت وخفرت ذمائي »

وهب رتشاران قاستوى واقفا ثم قال : « إنني ما اقترفت إنما ولا جنيت ذنبا . . » فسأله أنوكول : « وإذن فمن فعل ؟ » وأجاب رتشاران : « إنه القدر »

ولكن هذا لم يكن عذرا كافيا في عين رجل مثقف ، فظل أنوكول عنيدا صلب الفؤاد

ولما فهم فابلنا أنه ليس ابن رتشاران بل سليل قاض ثري ، غضب وفار أول الأمر ، ظنا منه أنه خدع في أصله ومنبته ؛ ثم نهنه من غربه أن رأى رتشاران حزينا . فقال لأبيه : « سامحه يا أبتاه ! ودعه يعيش معنا أو فاجر عليه كل شهر نفقة »

ولم يحرج رتشاران بعد ذاك جوابا بل طفق يديم إلى وجه ابنه نظرة وداع ؛ ثم صدع لمشيئة سادته ، فخرج وقد اعتركت في باطنه أشباح شتى واكتهل الشهر فصدق أنوكول وعده ، وبعث بقدر من المال إلى رتشاران في قريته ، فرد إليه لأنه لم يكن بين أهل القرية من يدعي رتشاران شكري محمد عباد



# النقد الذهبى

للكاتب الفرنسى فرنسوا كوبيه  
ترجمة محمد العزاوى



ولكن نفسه فازعته للتطاع فألقى السمع ، فباغ صاخبه رنين الذهب ووسوسة النقود ، بغيان بين ضحكة نصر مقتضبة ، وحشرجة يأس مفير ، وزفرة مغلوب خفته الحظ فهو حسير كظيم ، وصعداء غالب راض حظه بهد أن احتبس فلت بواديه شآبيب وأعدة وردت ساحته مزنة هاطلة

وذهل عن ذاك بأمره : لقد أقوى جيبه بهد أن كان عامراً بمال يهر المين ويخطف البصر . وخوى وقاضه فما فيه لسد الرمق وإقامة الأود شيء . آماله وات سراعاً فهي غزلان وجلى ، تخاف فتتأى في دل حبيب الى النفس ، شديد عليها مرير . . . كان الناظر إليه يخاله ناعماً وما هو بنائم . ولكنه كان في سكرة بسبب أمره ، وغشية لا يملها إلا خلو الوقاض . لقد قلب أمره بين يديه فوجد المجتمع ينبذه - وهو الحسيب ذو الجاه والنشب - فهو طريد ، والمالم يجهله - وهو النسيب ذو الأصل والنسب - فهو شريد ، والأمل يهجره - وهو الطموح ذو المجد - فهو يائس ، والصديق ينكره - وهو الكريم ذو الفضل - فهو وحيد . . . لقد قلب أمره بين يديه فوجد صديقه في مقعد احتضنه وعطف عليه في محنته وضرائه - كما احتضنه المداهنون من قبل في نعمته وسرائه -

حينما بصر « لوسيان دى هيم » بأخر نقد من ذى المائة فرنك تجرفه عصا القريم تخاذل وانفض عن نضد النرد . وما كان له أن يجلس الى غريمه بعد أن فقد - منذ قابل - ماله الذى سهر على جمعه ليتأهب به لحرب ضروس . وما كان له أن يفعل وقد دارت به الأرض دواراً فهد به عن الوقوف ، فتخاذل ، فارتدى ، فاحتضنه مقعد صريح . ثم انطوى على نفسه وصوب للجمع بصراً غشته سحب الأحزان فهو زائع المين مهوم ، لقد رأى جماعاً اجتماع لاثم في هوة أذى ، وموطن فساد ، حيث أفنى شباباً نضر قليلاً وذوى . . . لقد رأى وجوهاً مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، يزيد انبساطها حظ مؤات وريح كثير . وتلك أخرى تكاد تميز من الغيظ فهي مصفارة ، منقبضة الأبارير ، علا « الجبين منها ماء منهمر ، تسابل على الحدود فاستوى على البوارض والأذقان ، فاختلط بدمع الخلق وتري من عيون جحظت خوفاً وطمعاً . . . لقد رأى مصراعين مفتوحين للسحاب تضيئ ثوباً وضيقاً فوق كهف خبيث ، قاصد وجهه بينها فبا بصر إلا بنور ضئيل بالبنفخ الى نظيره خلال حجب الغمام الفاشية وسحب بالحزنة القهري . . . لقد استنجد بهجته فراجع قليلاً : فانظروا الى نفسه وغاب في أحضان مقعده الصديق

وأملأهم وفاضاً وجيئاً ، وأجشمهم عيناً ونفساً ؛  
وهو برغم ذلك شحيح بخيل : لا أثر للنعمة  
يبدو عليه ، فهو يلبس سترة من قماش « الضامة »  
لا يكاد ينفذها ويففل عنها ، وهو بها قرير العين  
جذلان

تقدم درونسكى وتتم ، وشاعت كلمات المهمة  
في أرجاء الحية شهباء : هلا أقرضتني خمساً من  
الفرنكات ياسيدى ؟ أنظر : . . . إني لم أبرح الندى  
لخسة أيام خلون ؛ وما كان لي حتى أربح أو أجدلي  
مع عددي — السابع عشر — أمراً ، فهو لهاتيك  
الخسة لا يزيد ولا ينقص . لك أن تضحك مني كما  
يتراءى لك ويحلو ، بل لك أكثر من ذلك : لك أن  
تقطع يدي إذا لم يرق السابع عشر سلم الزيادة  
والتضخم قبل أن تدق الساعة أولى دقائقها الاثنتي عشرة  
وما كان للوسيان إلا أن يهز كتفيه ، وقد  
فعل . إذ أنى له بما يقيم الأود بله ما يرجو  
المعجوز ؟ . . . وأزاح الرجل من طريقة يسير  
واجفة دون أن ينطق بكلمة ؛ ودنا من الباب بقدم  
واهية يقيمها التجلد ، ويثبتها التحامل ، وأدلف إلى  
البهو الكبير حيث ارتدى سترته وأحكم قبضته  
فوق رأسه المحموم ، وهبط الدرج بدمع واكفر ،  
وقلب حزين . . .

لقد مكث لوسيان بالندى أربع ساعات طوال ؛  
كان الثلج أثناءها يساقط على باريس فيتوج هام  
البيوت ، ويهب الشوارع بسطاً من شفوف جميل . .  
وبدا لوسيان يسير الهويني ، والسكون منعقد فوق  
رأسه متواصل ، والنجوم ينبثق منها نور خافق  
متضائل ، والبساط أبيض شف يمتد أمامه دون  
حائل ؛ ففرح وابتهج لتلك الطبيعة تزين لأنه تاب

فهو عطوف أمين . . . في موت منج من بؤس  
ومسكنة لا يرضى بهما نبلة ومجده ، وذل ومسغبة  
بأبائهما كرم نفسه وشرف محتده . . . في بندقة أبيه  
— القائد دى هيم — تحمل إليه ذاك الموت الحبيب  
كما حملت للملأ في « زآ تشا » الفاصلة موتاً أحمر على  
يد والده المجيد . . .

ألمب التفكير رأسه ، وسمر الهم قلبه ، وكوى  
الحزن فؤاده ، ثم تداركه الكرى رحمة منه ، فأغفى  
طرفه فهو نائم سعيد . ولما أن أفاق من غفوته  
بعد نصف ساعة أو يزيد قليلاً وجد فيه لزجاً من  
لعاب سال أثناء نومه . فأزاله وتمطى . وكان بحاجة  
لهواء منعش جديد ينتشل جسمه من وهدة الكسل  
وذنه من بلادة وخمود . فقام في تراخ وكسل .  
وألقى الساعة لدى الباب تشير — في هدوء —  
إلى الثانية عشرة إلا ربعا . وسار ماداً يديه يريد  
الباب . وحينذاك أدرك أن ليلته ليلة الميلاد ، فوجم  
وجوماً . ذلك لأنه تذكر الماضي بعزه وجلاله ،  
وشمر به يشرف عليه خلال بياض الأيام وسواد  
الليالي ، يؤنب ويعاتب ، ثم يهوى هادراً متوعداً .  
تذكر حين الطفولة وما أصاب من عز كثير .  
وتتمت له ليالي الميلاد شامته ساخرة . وادكر  
كيف كان يضع حذاءه الجديد على أنفية الموقد  
بدار أبيه ليلاً ليلبسه في الصباح الجميل . . . تذكر  
كيف سحب ذيل النعوى ، وخطر في شفوف  
الحرير ، وأين هو من تلك النعوى وذاك الحرير . .  
إنه لصدى تلك الأيام الخوالي وإنه لطريد عز تليد  
وتقدم لوسيان يريد الباب حين اعترض سبيله  
شيخ مجوز ؛ لقد كان « درونسكى » أحد أقطاب  
ذاك اللهو الأثيم ، وأشد جبارته بأساً وشرأ ،



وأصلح من إملاق وفاقة ، وفرح وابتهج لأنه شعر بمبعث ثقيل — كان جائعاً في جيبه — رحل فأراحه ، وفرح أخيراً وابتهج لتلك الراحة تفتح ذراعيه مرحبين لتلقفه ثم تغيبه في غيابة الموت ، وبرد الراحة . . . راحة هي به أولى وأحق ؛ وأولى بجليلها بندقية أبيه الجيد . . . جعل لوسيان يهيم لغير قصد يرومه أو مكان ينزع إليه . فأنشأ يضرب في شعاب باريس الواسعة . غير أنه لم يسر طويلاً حتى استوقفه أمر أليم نهبه من غشية وأفاقه من غفلة

لقد بصر بفتاة أضناها كد اليوم ونصب السؤال ، مكدودة حيرى فطاف بها الكرى ، وران على قلبها الأمان وحلته السكينة ، فتطلق من همه الأليم وعذابه الواصب . واستكانت إلى الطريق اللاحب واستراحت إليه ، فافترشت طواره ، واتخذت من الجليد دثاراً . . . كانت جميلة ساحرة رغم ما ترتديه من أطمار وأسمال ؛ نظيفة ناعمة رغم نومها في الطريق ، بريئة طاهرة فهي بعد طفلة لم تبلغ السابعة

كانت تتوسد ذراعها الأبيض وقد انحسرت عنه أسماؤها فهو عارجل وكان وجهها المشرق الوضي يطالملك فيبهرك منه جمالها جع ووديع . أما رأسها فقد مال نحو الأرض في سكينة ودعة . وكان جبينها العريض تكسوه طرة غداقية اللون تدلت من مفرقها واستراحت على أرنبه أنفها الوسيم . وكانت ذراعها الأخرى منبسطة على الجليد كأنها علقت السؤال وأغرمت به ، فهي تنزع إليه أبداً وترجوه دائماً ، وكان قدساها مغمورين في الجليد ، وأخذ حذاؤها الصغير في إهمال عجيب

وأراد لوسيان أن يهبها شيئاً فمد يده لجيبه ،

ولكنه ردها حزناً محسوراً . فقد ادكر أن لا مال معه . ولكن غريزة دفعته فأتى ما أتى من الأمر دون وعي وتدبير . وتقدم من الفتاة يريد حماها وإنزالها بيته حيث الدفء والفرش الوثير . ولكن ما كاد يفعل حتى بهر بصره شيء لامع يقبع في حذائها المخلوع

ودنا بوجه — تشيع فيه الرغبة والرجاء — ليستبين ذلك الشيء ، وما كان إلا نقداً ذهبياً من ذى العشرين فرنكا

لقد وهبه الفتاة كريم . وما من شك أن المحسن سيدة صرت فمنحتها القدر العظيم لتقربه عيناً إذا ما صحت من غفوتها ، وتطيب به نفساً إذا أضحيت فتكف عن السؤال ، ويزيد إيمانها بالخير يهيم أيلة الميلاد عشرون فرنكا ياله من قدر ! أو ليس هو الزعيم بسعادة بضعة أيام ؟ أو ليس هو بشير الراحة لتلك الطفلة اللاعبة ! أو ليس الغنى بذاته لعائر الحظ ، والتنعيم بعينه للساغب المكدود . . . وإنه لعائر الحظ ، وإنه لساغب مكدود !

لقد كاد يوقظ الفتاة لولا أن ذكر قول ورونسكي المعجوز :

— . . . لم أبرح الندى لخسة خلون . . . بل لك أن تقطع يدي إذا لم يرق السابع عشر سلم الزيادة والتضخم قبل أن تدق الساعة أولى دقائقها الاثنتي عشرة . . .

يا لله ! إن هناك فرصة لأمل !

وقفز ذلك الشاب — سليل الأصل الكريم والبيت النبيل ، ذو القلب الحربي والمجد الأثيل — فقد اعتزم في نفسه أمراً . . . إنه لم يباغ الثلاثة والعشرين ربيعاً فهو شجاع جريء . وهو إذا اعتزم

أمرأ لا يقعد به جبن ولا يموزه مضاء . إلا أنه حين فيكر في الأمر اضطرب جسمه واحمر وجهه ، فقد خالطت الصبوة الحياء فهو في حيرة من أمره . غير أنه لم يكن يملك لنفسه من الأمر شيئاً . .

لقد ترصد الناس فلم يبصر بشيء يثير الريبة فيوجب الحذر . إن الطريق خال إلا منه وتلك الفتاة فما عليه من بأس أن « يستعير » المال ديناً عليه . وامتدت يده الواجفة « تسلب » الفتاة نقدها العزيز وحين اطمان على النقد عدا نحو الندى عجولاً ، ورقى الدرج في سرعة البرق وبأس العاصفة ، ثم دفع الباب بقبضة قوية آملة حين بدأت الساعة تدق أولى دقائقها الاثنتي عشرة . فرمى نقده على النضد صائحاً

— على السابع عشر !

وقاز السابع عشر . فدفع لوسيان فرنكاته الأربعة والثلاثين « للأحر » وقاز الأحر ! وترك ماله المتضاعف على اللون نفسه ففاز مرة أخرى !

وأقدم على الرهان بالقدر كله مرة وأخرى وثالثة إذ ما عاد يخشى احتباساً لحظه ، أو عثارا لجده . لقد كان يكسب النضار أمامه ، والورق في سترته . ثم بدأ يشرك « الروليت » مع النرد فكان لها من ماله نصيب رابح دائماً في تضخم أبدأ . وكذلك كان الحظ موافياً مع « الدسته » و « العدد » ومع « العمود »

لقد كان حظاً ذهبياً لم يسمع به إنسان !

وقال الناس بسحر ينبعث من عيني الفتى فيأمر الكرة العاجية الصغيرة حين الدوران في الآلة !

واستطاع لوسيان أن يسترد ماله الذي افتقده

أول الليل بعد اثنتي عشرة مرة . ثم فكر أن يسترد أملاك أبيه التي أضاعها في بضعة أعوام ، فكان يعمل القدر حتى بلغ — مرة — الثلثمائة من النقود الذهبية ذات العشرين فرنكا . لقد أترعت جيوبه بالمال ولما ينقطع فيض النضار فهو يضمه في جيوب صدره وسراويله ، ويضمه في منديه وصندوق سيجاره ، وهو يضمه أخيراً فيما يصاح لحمل النضار ! كان يلعب دائماً فيريح أبدأ . فهو يبعثر ويبذر غير عابئ ولا مكترث ، وهو يتمسف ويمجور فيبهظ المغلوبين ويرهقهم ، وهو يرمي كل ما تستطيع أن تحتفنه يداه المجدودتان على الخوان في ثقة واطمئنان . .

لقد كان مجدودا سعيدا دون شك ، ومن أدرى منه بمجد وسعد ! ؟ نعم ! ولكن خيال تلك الفتاة البائسة كان يقلق باله ، ويحز قلبه ، ويعكر سمعه ، فهو ما يفتأ يذكرها ، وهي ما تنفك تتشبع أمامه — إنها تنام هناك فهي لم تزل وسنى غارقة في

سباتها الجميل ، ساحرة ناعمة كما تركتها منذ حين ، وإني لأقسم أن إن تحين الواحدة إلا وتكون الفتاة بصحبتى في طريقى الى منزلى . فلأزلها من نفسى منزلة طيبة . ولأزلن لها عن سريري لتمام عليه ولأنهمدنها كابنة ، وأرعها كأخت ، سوف أمهرها مهرأ كبيراً . سوف أحبها ، ثم سوف أحبها !

ولكن اقتربت الساعة واصطرع الأمل ، فالخط يأتيه بغيث منهمر ، وهو لم يشبع بعد أو يرتوى فما ضر لو صبر واصطبرت معه الفتاة ، إن ربما من ساعة ليس بكثير . ومضى ربع ثم ثان وثالث ، وهو لا يزال يبعثر ماله فيأتى له ربع وفير ، ولا يزال يتمسف ويمجور فيبهظ ويرهق ، ولا يزال ينثر المال



مقدمه الذي احتضنه أول الليل ، وحل بساحته  
كابوس ثقيل .

\*\*\*

وبدأ فجر أحد الأيام يفصح في الشرق خجولا  
حييا : ضرب نهار السحاب الشف من دونه ، وقام  
متعثرا في طيات الليل المدبر ... وبدأ النور يسترق  
خطاه مترفقا ، فبدأت الحجرات تضيء من وراء  
النوافذ

في ذلك اليوم اغتسل « لوسيان دي هيم »  
وتناول فطوره وقصد « جماعة أنصار الحرب » ،  
وأدرج اسمه متطوعا في الفوج الافريق الأول  
لقد أصبح الآن لوسيان « ملازما » بالجزائر  
صالحا لا يقامر ولا يشرب ، يكسب ما يقوته ويقوم  
أوده . وفي يوم كان زميل له يسير خلفه في طريق  
« كاسبة » المنحدر فرآه يحسن إلى فتاة ألبانية  
حسنة ، نعم ! لقد كانت حسنة فائنة ! وكانت  
تنام في الطريق !

ودهش الزميل من كرم لوسيان ...  
لقد كان بيد الفتاة نقد من ذى العشرين  
فرنكا ...  
سيد محمد العزاوي  
كلية الآداب

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثن ١٢ قرشا

في ثقة واطمئنان ! وأعلنت الساعة الثانية إلا ربعا .  
إلا أربع عشر . . . إلا ثلاث عشر . وقام صاحب  
الندي عن « بنكه » الخاسر بقول :

— لقد أفلس « البنك » يا سادة ! كفى لعبا  
الليلة !

فساء ليل المنذرين ! إذ هم بين خاسر وموتور  
وحسير . وتدافع الجمع عليه بالمناكب ، ودوا لو  
ينمشونه ويستردون ما لهم السليب ، ولكن لوسيان  
دفعهم بيديه مفسحا لقدمه مجالا بين أقدامهم الزاحفة  
ومرق من بينهم كسهم مفوق يريد الباب فالدرج  
وعدا مسرعا شطر الفتاة الوسي . لقد رآها على  
نور مصباح الطريق

— حمدا لله فهي ما فتئت هنا ! وأسرع نحوها  
ثم أمسك يديها  
— كم هي مثالية تلك الساحرة ! واحتضنها  
بين ذراعيه فالت رأس الطفلة للوراء دون أن  
تصحو فقال :

— ما أجمل نومكم أيها الأطفال الأعززة !  
وشدتها إلى صدره كي يشيع الدفء فيها .  
وأراد أن يوقظها بقبلة بطبعها على عينيها الناعسة ،  
ذات الأهداب الوطفاء . ولكن .. ما لها مسبلتان  
أبدا ؟ لقد كانت عيناها نصف مغلقتين فشفتا عن  
عيون صافية . ولكن ... لا حراك بهما !

إنها ميتة وإنها لضحيته ! . بينما هو يكسب  
الآلاف من الفرنكات ويبيتر الآلاف من الفرنكات  
كانت « ممولته » تموت من برد وزمهرير  
لأنه لم يحتمل الصدمة فأراد الصياح ، ولكن  
صوته احتبس في حلقه فأذاه ، فأيقظه ذلك من سباته  
أخذته رجمة ، ونوم طاف به رافة . لقد نام في

فصربت يداً بيد بحركة اغتصابية فسألني ديجنه :  
ما هذا ؟

فقلت : لو كنت رساماً ولاح لي أن أصور  
السامة والضجر لما كنت أرسم رمزها فتاة  
مستغرقة في التفكير وفي يدها كتاب  
فقال : هل تكيد لأحد هذا الساء ؟

ولم تستوقفني ابتسامته فقلت : إن هذه المجادلة  
الفارقة بدموعها لم يزل صدرها فاهداً بالأمل ، ويدها  
الناحلة التي تسند إليها رأساً لم تزل تعبق بالمطر  
الذي سكبه على قدمي المسيح ، وهذه الصحراء  
وما حولها آهلة بأشباح أفكار تنجيه بالصلاة إلى الله  
فقل لي أهذا هو رمز السامة والضجر ؟

فقال بصوت لا أثر للشعور فيه : ليس هنا  
إلا امرأة تطالع كتاباً  
فقلت : ولكن هذه المرأة سعيدة والكتاب  
الذي تطالعه جليل

وأدرك ديجنه ما أرمي إليه ، وأنا مستسلم  
للأسمى ، فسألني عما ألم بي ، ولكنني ترددت في  
الجواب فكان يداً ربطت على قلبي

وبعد صمت قصير قال ديجنه : إذا كان هنالك  
ما يؤلمك فلا تكتمه عني وأنت تعلم أنني لك خير  
صديق

فقلت : أعلم أن لي صديقاً ولكن آلامي  
لا صديق لها

وألح على فقلت : إذا أعربت لك عما يخالجنني  
فما يفيدك ذلك وأنت عاجز عن تفريج كربى وأنا  
أعجز منك . أفتريد نسبر أعماق سريرتى ، أم أنت  
تطلب كلمة أنتحل لك فيها الأغذار ؟

(٧)

مِنْ أَعْمَاقِ النَفُوسِ



اعترافاً في العَصْرِ

لألفريد دي موسيه

ببسم الأستاذ فليكس مارس

## الفصل الخامس

و كنت وديجنه جالسين ذات مساء قرب الموقد  
والنافذة مفتوحة ، إذ كنا في أوائل مارس ، وقد  
انقطع مطر النهار ، فهبت علينا من الحديقة طلائع  
عبقات الربيع

وقلت لديجنه : ماذا تريد أن تفعل في الربيع  
فأني أشعر بحاجة إلى السفر ؟

قال : سأفعل ما فعلته السنة الماضية ، فأذهب  
إلى الضاحية عند ما يحين الزمان

فقلت : أفتريد أن تسير في كل سنة على وتيرة  
واحدة

فقال : وماذا تريد أن أفعل ؟

فنهضت فجأة وصحت به : أجل ، قلت حقاً  
يا ديجنه ... فأنا قد تعبت من كل هذا ، أفأملت  
أنت هذه الحياة ؟

فأجاب : كلا

و كنت واقفاً أمام رسم المجادلة في الصحراء



فقال : كُنْ حُرَّ الضمير

فقلت : اسمع إذا ... لقد بذلت نصحتك لي فيما مضى ، فاصنع الى الآن كما أصفيت حينئذ إليك  
قف أمام أى رجل كان وقل له إن في الحياة  
أناساً يعضون أيامهم في احتساء الخمر وركوب الخيل  
والضحك واللعب واغتنام فرص اللذات بأنواعها ،  
فلأشياء يحول دون مضيقهم على السبيل الذي اختاروه  
لأن شريعتهم تقوم على استحسانهم ، ولهم من  
يشاؤون من النساء لأنهم أغنياء ، ولهم من  
أيامهم أعياد

فإذا لم يكن هذا الرجل الذي تخاطبه من أهل  
الورع والتقى فإنه ليقول لك إن هذه الحياة نهاية  
ما يتصوره الانسان من سعادة على الأرض

خذ بهذا الرجل واقذف به الى هذه الحياة التي  
وصفت ، أجلسه الى مائدة قرب امرأة وضع كأساً  
في يده وانفجه كل صباح ييذرة من الذهب وقل  
له : هذه هي حياتك : بينما تكون نائماً الى جنب  
عشيقتك تكون خيولك تحفش على مرابطها ، وبينما  
تكون ممتطياً جوادك يقرع المتزهات بحوافره ،  
يكون شرابك يفلئ مخمراً في دنايه . وبينما تحبى  
ليلك شارباً ثملاً ، يكون أرباب المصارف يعملون  
على إنماء ثروتك . فاعليك إلا إبداء رغباتك لتتقلب  
أمانيك حقائق . أنت أسعد الناس ولكن حذار  
أن تفرط في الشرب في ليلة من لياليك ، فتجد  
جسدك بعيداً عن تذوق لذاتك لأن كل مصيبة  
تجد عزاءها ما عدا هذه المصيبة الدهاء . لقد يكبو  
جوادك في الغاب وأنت تلهو بالطراد مع رفاقك  
فتندهور الى مستنقع ، وإذا تستقيث لا يصل صوتك  
الى آذان هؤلاء الصحاب وقد أصمهم السكر وجلبة

الجبور . حذار أن يمروا بك دون أن يمشروا عليك  
فيتوارون عنك وأنت تزحف بأعضائك المحطمة  
تحت جناح الليل

لا بد أن تخسر بالمقامرة في ليلة من لياليك  
فللحظ ساعته السوداء ، فإذا ما عدت إلى منزلك  
لتجلس أمام موقدك ، حذار أن تضرب جبينك  
بيدك وأن تدع الأذى يبال أجفانك ، وأن تدبر  
لحاظك مفتشاً عن صديق . إحذر بخاسة ألا يجمع  
بك خيالك الى كوخ ينام فيه زوجان على فراش  
الطمانينة وقد اشتبكت أنامل أحدهما بأنامل الآخر  
حتى في الرقاد . لأنك لن ترى أمامك على فراشك  
الفخم الوثير من تسر إليه نجواك سوى المخلوقة  
الشاحبة التي تتمشق دنائرك ، وإذا ما لجأت إليها  
لتشرح صدرك فلن يخفى عليها أمرك وسبب حزنك  
إنها لتشعر بفداحة خسارتك فتذهب دموعك مثيرة  
في قلبها الشجون ، لأنها ستشعر من دموعك هذه  
بخطر يهدد ثوبها بالألأ يتجدد والخواتم التي تلمع في  
أناملها بأن تسقط منها

حذار ، يا هذا ، أن تفوه أمامها باسم من ربح  
مالك هذا المساء فلقد تلتقيه هي غداً فترسل إليه  
لحظات الأغواء من خلال ما يحوطك من خرائب  
وأطلال

ذلك هو الضعف البشري ، أيها الرجل ، فهل  
لك من قوة تحتمل مثل هذا الضعف ؟  
إذا كنت رجلاً فاحذر السامة ، إنها لداء  
غيا ، واليت خير من حى سئم الحياة

إحذر الحب إذا كان لك قلب لأن الحب عار  
الفاسقين ، وخير لهم أن يصابوا بأي داء من أن  
يصبحوا مهزلة في أعين أمثالهم المقدرين لكل خيلة

ثمنا . وليس للمرأة التي تبيع نفسها أن تحتقر أحداً  
إلا الرجل الذي يحبها ...

إذا ما شممت بالحب يجتاح قلبك فاحذر أن  
ينم وجهك عليه ... فما يتخلى عن درعه إلا الجندي  
الجبان . وعلى الفاسق ألا يظهر تعلقه بشيء  
لأن ظفره قائم على أن لا يمس شيئاً إلا بيد من  
رخام دهنت بالزيت كيلا يعلق عليها أثر مما  
تقبض عليه

إذا كنت نزقا وأردت أن تحيا ، فتدرب على  
القتل لأن في الخمر ما يقودك الى المشغبة ، وإذا  
كان لك ضمير فاحترس من الساعة التي تلتقي فيها  
رأسك على الوساد ، لأن الفاسق إذا ندم بعد فوات  
الأوان يشبه مركبا اخترقته مياه البحر فليس له  
عن موقفه متقدم ولا متأخر ، فلا يسير الى العباب  
ولا يعود الى البر وعيها تدفعه الرياح إذا جاذبته  
اللاجج ، إنه ليدور على نفسه ويفور . .

إذا كان لك جسد فاحذر الأوجاع ، وإذا كان  
لك روح فاحذر القنوط ، بل احذر الناس بأسرهم ،  
أيها الشقي ، فانك ما دمت سائرا في طريقك التي  
تخيرت لتشهد سهلا فسيحاً تدور عليه حلقات  
الراقصين متماسكات متتابعات كدوائر الأزهار ،  
ولكن ما تشهده ليس إلا مراباً خادعاً في قاحل  
العسحراء

إن الناظرين الى مواطئ أقدامهم يعلمون أنهم  
ينسحبون على صراط ممتد فوق نهر عميق ولكم  
تهاوى إليه السائرون فضمهم الى سكونه فانطبقت  
عليهم صفحته الهادئة دون أن تتجههم

حذار أن تزل بك القدم فان الطبيعة لتراجع

عنك بما في أحشائها من حياة فتتكرك ، حتى الأشجار  
الباسقة وأماليد الغاب

لقد خرقت شريعة أمك فأنكرتك كل رضيع  
من إخوتك في الحياة

احذر غضب الله ، أيها المنفرد ، لأنك تنتصب  
أمام وجهه الكريم متحجراً كالصنم على قاعدة  
إرادتك المتمردة فما تغدق السماء عليك رشاشها إلا  
لتفت من أعضائك وتذيب هيكلك ، وما يهب الهواء  
عليك لينفجحك بقبلة الحياة وهي قبلة التوحيد بين  
جميع الأحياء ، بل يعصف عليك عصفاً ليهزك  
ويقوضك تقويضاً . إن كل امرأة تضمها إليك  
ستجذب شرارة من قوتك دون أن تبادلك شرارة  
من قوتها . فما أنت إلا حقيقة تتراعى متهاككة على  
أشباح وحيث تسقط نقطة من عرق جبينك تنبت  
شجرة من مظلات القبور

مت ، فما أنت إلا عدو لكل من يحب وإسك  
ما يحب ... إنقبض على ذاتك في عزلتك وانفرادك  
ولا تتوقع أن تبلغ نهاية عمرك ، اذهب ولا تبق  
منك على الأرض نسلا تستبقى فيه للحياة دماً من  
دمك المفسود

تبدد كالدهان ولا تحرم بظلك حبة القمح  
النابتة من نور الشمس . «

وما انتهيت من هذا الخطاب حتى استلقيت  
على المقعد وقطرات الدموع تتساقط من عيني ، وأنا  
أعول قائلاً : أليس هذا ما قلته لي أنت يا ديجنه ؟  
أفأ كنت تعرف هذا من قبل ؟ وإذا كنت عرفت  
فلماذا لم تتكلم

وكان ديجنه مشبكاً أنامله ، وقد علتة صفرة



الموت وأنهم من الدمع من عينيه

وساد بيننا السكوت . وقرعت الساعة فذكرتني فجأة اننى فى مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ سنة تكشفت لى خيلاتى مخادعة خائنة

فصحت بديجته : أسمع دقات هذه الساعة ؟ أتسمعها ؟... اننى لا أعلم بماذا تنذرني ؟ ولكننى أشعر انها ساعة رهيبه سيكون لها شأنها فى حياتى وكنت أتفوه بهذه الكلمات وأنا مسلوب الارادة مضطرب الحواس ، وفتح الباب فجأة فى تلك اللحظة نفسها ، ودخل القاعة أحد الخدم ، فأخذ ييدى وانتحى بى إلى زاوية وأسر إلى قوله : أنتى لأخبرك ياسيدى بأن أباك على فراش الموت فقد أصيب بالشلل ، ولا أمل للأطباء فى حياته

## الجزء الثالث

### الفصل الأول

وكان والدى يقطن ضاحية قريبة من باريس . وعند ما وصلت إلى المسكن رأيت طبيباً واقفاً أمام الباب فقال لى : لقد وصلت متأخراً ، وكان أبوك يتمنى لو يراك للمرة الأخيرة

دخلت فاذا والدى مسجى وقد فارقت الحياة فقلت للطبيب : أرجوك أن تبعد كل من فى الغرفة دعنى وحدى فقد كان لوالدى ما يقوله لى ، ولسوف يقول كلمته الآن

وخرج الخدم فتقدمت إلى السرير وزفمت الفطاء عن وجه الميت ، ولكننى ما ألقيت نظرى

عليه حتى تراميت لتقبيله فأغمى على

ولما أفتت على فراشى فى غرفة أخرى سمعت من حولى يقولون : لا تدعوه يذهب وإن أصر . انتظرت حتى رقد جميع من فى البيت وأخذت مصباحاً وتوجهت إلى غرفة الميت فوجدت فيها كاهناً فتيماً جالساً قرب السرير ، فقلت له : لا حق لك بأن تنازع ولداً ليلة أخيرة يقضيها قرب أبيه . لأعلم ماذا قيل لك بشأنى غير أننى أرجوك أن تدخل إلى الغرفة المجاورة وأنا أتخذ على عاتق كل تبعه قد تقع عليك

ذهب الكاهن فقامت مكانه ومددت يدي أ كشف للمرة الثانية عن هذه الملامح التى قضى على بالها أراها بعد

وخطبت الميت قائلاً : ماذا كنت تريد أن تقوله لى يا أبى ؟ لقد أدركت لحاظك مفتشاً عنى قبل انطفاء عينيك ، فما كانت فكرتك الأخيرة يا ترى ؟

وكان والدى يكتب مذكرات يدون فيها وقائع أيامه ، وكان كتاب هذه المذكرات مفتوحاً على الخوان فقدمت إليه وجثوت فاذا على الصفحة الأخيرة هذه الكلمات :

( الوداع يا ولدى ... أحبك ... وأموت )  
جمدت دموعى واختنقت زفرائى ، فكأن يداً شدت على عنقى وختمت على فمى . فوقفت شاخصاً بالميت المسجى أمامى . وما كان فى حياته يجهل ما كانت عليه حياتى ، فقد كان يشكونى إلى نفسى ويوجه إلى التقرىيع ، وما اجتمعت به مرة إلا وحدثنى عن مستقبلى ، وتناول باللوم مآتى شبابى . ولكنى أنقذتنى نصائحه من تهلكة ، فقد كان لارشاده

لأننى كنت فقدت التفكير فاستغرقت فى سكرينة مطبقة . فإن ما صدمت به كان من العنف والاستمرار على قوة نالت منى حتى غدوت كالسلوب تنقر أعصابه فلا تجيب

وكان خادى لاريف شديد التعلق بوالدى ولعله كان خير الناس بعمده فى تقديرى ، وكان من سنه ومن قده ويلبس ما يهبه إياه من أثوابه ، وقد وخط الشيب شعره بعد أن قضى عشرين سنة فى خدمته ، فاقبس شيئاً من حر كاته

وكنت بعد العشاء أتمشى فى الغرفة فأسمع وقع أقدام خادى يتمشى أيضاً فى الدار وما كان يدخل إلى الغرفة بالرغم من تركى الباب مفتوحاً ؛ ولكننا كنا نلتقى من حين إلى حين فبرى أحدهما الآخر من خلال دموعه ، وهكذا كانت تمر ليالينا ، فما كنت أطلب من الخادم إشعال المصباح إلا بعد أن يكون مضى وقت طويل على غروب الشمس

وكان البيت لم يزل على ترتيبه القديم ، فما زحزح الخادم ولا أنا ورقة من موضعها ، فكان مقعد والدى لم يزل قرب الموقد ، وبقي الخوان والسكنب والرياش فى مواضعها ، وكنت أحترم الفبار الذى علا هذه الأشياء ، وعند ما كنت أرتدى مبادل أبى وأسترخى على مقعده كان يخيل إلى أن فى الجدران عيوناً ترمقنى باحظات الاشفاق ، وأننى أسمع همساً يقول : أين مضى الوالد . . . فما يتربع على كرسيه الا اليتيم . . .

ووردت إلى بعض الرسائل من باريس ، فأجبت الجميع أننى أنوى تمضية الصيف فى الصحابة وحدى جرياً على عادة أبى ، وبدأت أدرك أن فى

قوته المستمدة من فضيلته لأنه كان مثال الدعة ومكارم الأخلاق . وقد كان يتمنى لو يرانى قبل موته ليردنى عن السبيل الضلول الذى توغلت فيه ، ولكن المنية عاجلته فلم تدع له إلا كلمة واحدة يقولها ، فقال : إنه يحبنى ...

## الفصل الثانى

وكان قبر والدى يحوطه سور من خشب ، لأنه أراد أن يدفن فى مقبرة القرية ، فكنت أذهب كل يوم لأقضى ساعات على مقعد صغير كان موضوعاً داخل السور ثم أعود إلى المسكن الذى كان يقطنه ولا رفيق لى إلا خادم واحد

مهما فعلت أحزان الشهوات فى النفوس فما هى إلا آلام خيابة ، وهل تقاس آلام الحياة بأحزان الموت ؟ إن أول ما تبادر إلى ذهنى حين وقفت إلى جنب سرير والدى الميت هو أننى ولد جاهل لا يعلم شيئاً ولا يعرف شيئاً ، وعند ما ربط الأسى على قلبى شعرت به كأنى فى جسدى حتى كنت أتأوى كمن أفاق من غفلة فشعر بجهله وأحس بالآلامه

ومضت الشهور الأولى على فى الضاحية وأنا ذاهل لا أذكر الماضى ولا أبالى بالمستقبل . فما كنت أشعر أن من عاش فيما مضى كان إياى ، وما كان ما يستولى على فى ذلك الحين ليشبه آلام اليأس الثائر التى كانت تقبض على من قبل ، بل كان نوعاً من الجلود والتعب فسكأنى كمرت السامة فوجدت لها مرارة تتشنج لها أحشائى

وكنت أجلس طيلة نهارى إلى كتاب أتصفحه ولا أقرأ ، بل أنظر إليه لأعيش فى أجواء تشبه العدم



كل ثمر بعض الخير ، وأن الآلام العظمى مهما قيل فيها راحة عظمى ، فإذا ما تكشف المقدور لنا من علم غيب الله فانه ليصدعنا لينبها من غفلات الحياة ، وإذا ما تكلمت هي أسكت صوته كل صوت ، وإذا كانت الآلام الموقوتة تجدف شاكية ظلم السماء ، فان الآلام المستمرة الكبرى لا تجدف ولا تشكو بل تخضع وتنه لتسمع وتعي

وكنت كل صباح أقف الساعات الطوال متأملاً في مشاهد الطبيعة ، وكانت نوافذ غرفتي تطل على واد عميق يرتفع من وسطه جرس المعبد على قبابه ، فكان كل ما يمتد نظري عليه يتم عن البساطة والفقر ، وما كانت مشاهد الربيع بأزهاره المتفتحة وأوراقه الفضة لتثير في نفسي ما يتخيله الشعراء من التفجع ، إذ يرون في انجلاء الحياة ابتسامة ساخرة بالموت ، ولا أرى من يقول بهذا القول إلا مغالطاً أو شاعراً بقلب لم يتكامل الشعور فيه

إن من يخرج عند بزوغ الفجر من قاعة المقامرة وقد فرغت يده يمكنه أن يشعر أن بينه وبين الطبيعة عداء ونضالا ، فهو أمام أنوار الشفق كهصباح ليلة فاجرة ... ولكن ما يمكن أن تسر به الأوراق المعلقة من غصون الربيع للولد المنتحب على أبيه ؟ وما دموع عينيه إلا أخوات الأنداء ، وهل أوراق الصفصاف نفسها إلا قطرات دموع ؟ لقد نظرت طويلاً إلى السماء والغاب والمروج ، فأدركت أن تمزية الناس للناس إنما هي تملّة من بنات الخيال ؛ وما كان لاريف ليخطر له أن يعزى نفسه أو يوجه إلى عبارات التمزية ، فقد كان هذا

الرجل يخشى أن أبيع البيت وأذهب به إلى باريس ولعله كان مطالعاً على حقيقة حياتي الماضية إذ كانت تبدو عليه دلائل القلق في أول الأمر ، ولكنه عند ما رآني أعد المنزل لأقيم فيه شمعت بنفوذ نظراته إلى أعماق قلبي ، وكان ذلك يوم استحضرت من باريس صورة كبيرة لأبي علقته على جدار غرفة الطعام ، ولما دخل لاريف ورأى هذه الصورة أخذه الدهول وبدأ ينقل نظراته من رسم والدي إلى وجهي وفي هذه النظرات من تساوى الحزن والفرح ما يصعب التعبير عنه ، فكانه كان يقول لي : يا للسعادة ، لسوف نستغرق بسكون في حزننا

ومددت له يدي فأوسعها تقبيلاً ، وكان هذا الخادم يعني بأحزان سيده كأنها سيدة أحزانه ، وكنت كلما ذهبت في الصباح إلى القبر أرى أنه سبقني إليه وسقى أزهاره لينسحب عند وصولي ويخلي لي المكان

وكان يتبعني عند ما أمتطي جوادى وأذهب متنزهاً في الغاب ، فأراه قد أطل على في الوادي ماشياً يسير ورأى وهو يمسح عرق جبينه لاهثاً ، فاشترت له فرساً من أحد الفلاحين ، وهكذا أصبحنا كلانا نذهب متجولين في الغاب

وكان في القرية من معارف أبي من كانوا يزورونه أحياناً ، ولكنني اضطررت إلى قفل بابي دون كل زائر وإن صعب ذلك علي ، فما كان لي جلد على مقابلة أحد

وفكرت يوماً أن أطلع على أوراق والدي ، فقدمها لي لاريف بيد خاشعة مرتجفة . ففك رباطها ونثرها أمامي ، وما تلوت الصفحات الأولى منها

فكنت أتبع في الطعام والقراءة والتزهد الخطة التي اتبعها هو فتعودت الحياة الهادئة المنظمة تدخل الطمأنينة إلى قلبي طول نهاري ، حتى إذا جلد المساء رقدت مستكنة وأنا أشعر بالغبطة حتى في أحزاني

وكان والدي شديد الميل إلى العمل في الحديقة فيوزع أوقاته بعد حرثها توزيعاً متساوياً بين المطالعة والتزهد فيعطى لقلبه ولجسده ما يحق لكل منهما . واقتديت بأبي أيضاً في أعمال البر متممًا ما بدأ به فكنت أذهب مفتشاً عن من أتمكن من مد يد المساعدة لهم ، وعددهم وفير في الوادي حتى اشتهرت بينهم . وهكذا لأول مرة في حياتي شعرت بالسعادة فليس كالرحمة ما يطهر الأحزان ويقدمها . فقد بورك الله دموعي فتعلمت الفضيلة من الآلام ...

(ينبع) فليكس فارس

حتى شعرت بانتعاش كأن نسبات عليلة هبت على من جوانب بحيرة صافية ساكنة ؛ وكنت كلما قابلت صفحة ونفست عنها غبار الزمان ، عبت منها كالعطر حياة أبي تتوالى يوماً بعد يوم ، فأعد فيها خفقان فؤاده وأستعرض وقائمه الحقول مساع كلها جسد ، وقد نبتت في كل جوانبها أزهار العطف والنبيل ، وتمازجت ذكريات حياته بتذكارات موته ، فكنت أتتبع هذه الحياة تتجدر كالجدول الصافي نحو بحر الموت

وهتفت في صمتي : أيها الرجل الصالح الذي لم يعرف الخوف ولم يتدنس بلاؤم لكم كنت طاهراً في جهادك ، ومخلصاً في ولائك ، ووفياً في حبك لزوجك أمي ، لكم كنت معجباً بالطبيعة ، ومتعبداً لربك ، فخصرت في هذه المواطف كل حياتك ، ولم تدع لسواها منفذاً إلى قلبك ، فما كانت الثلوج على أعالي الجبال بأنقى من ناصع شيبك في شيبخوختك الصالحة ، ألق هذا الشيب على رأسي يا أبي فإن فيه من الشيبية ما ليس على شعري الذهبي . هبني أن أعيش كما عشت أنت وأن أموت كما مت ، فإني أريد أن أغرس في التراب الذي يواريك غصناً ناضراً لحياتي الجديدة فأسقيه من دموعي والله راعي كل يتيم ، ينمو هذا الغرس المقدس ليظلل أوجاع ولد وتذكر شيخ ...

وبعد أن اطلعت على الأوراق جميعها ، قررت أن أدون أنا تذكارات أيامي فأعددت لها كتاباً على مثال كتاب والدي ، وبدأت بالسیر على آثاره وطبع حياتي على غرار حياته . فكانت الساعة كلما دقت تذكرني بحركة من حركات أبي وسكنة من سكناته

## مكافأة

لمه برل على القاتل

تمطى مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥ جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يولييه مع بيان الأدلة بوضوح وإيجاز





هوميروس



# الأولاد لبيس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

## في أرض المردة (السيكلوبس) -

وشرع أوديسيوس يجيب عما تساءل عنه الملك فقال : « أيها الملك تعالى جده ، لشدة ما يُطرب ما تغني هذا المنشد غناء الآلهة ! ولقل ما تعدل الدنيا بأمرها هذا المجلس الشادي ذا الأضياف والآكال والأشربات ! على أنني مجيبك على ما بدهك من دموعي وهموي ، وما لقيت وما سوف ألقى مما قسم لي من أشجان وأحزان ! إذن فاعرف اسم ضيفك الشريد الذي لا يجهل اسمه أحد ... ضيفك اللائذ بكرمك ، المستدري بحماك ، المتشبت بك ليصل في ظلك إلى بلاده مهما تقاصت ومهمانات ... أنا أيها الملك ... أوديسيوس ... أجل ... هو أنا أوديسيوس ذو الذكر ، المعروف في السموات بالدهاء والمكر ، ... ابن ليريس رب إيثاكا ، وملك نريتوس ذي الشفاف السامقة ، والجزر الآلهة حول ساموس ودثليوم وزاسنتوس ، أم الجزائر التي تصافح تباشير الصباح بكل روضة فيحاء وخميلة لفاء ، وجنات ذوات

### مقدمة الفصل السابقة

« انتهت حرب طروادة ولكن أوديسيوس العظيم لم يعد فيمن عاد من أبطال اليونانيين إلى بلادهم ، وكانت زوجته ينلوب آية في الجمال ، قطع فيها كل أمراء النواحي وحاصروا بيتها ليرغموها على التزوج من أحدهم . وكان لأوديسيوس ولد اسمه تلياك حرضته مينقارية الحكمة على الإبحار ليسأل من أبيه ملكي بيلوس وأسبرطه . وغيظ العشاق لما علموا بإبحاره فتربصوا له ليقتلوه . أما أبوه فإنه لما أبحر من طروادة نسي أن يفضي للآلهة ففرقت أساطيله ونجا هو إلى جزيرة تسكنها عروس الماء كليسو التي عشقته أول ما رآته وأبنته عندها سبع سنين ، حتى أمرها كبير الآلهة زيوس أن تطلق سراحه فأبحر على رمث صغير ، ولكن نبتيون عدوه الأكبر لمحوه وهو يقترب من أرض ملوك البحر فأغرقه صفة أخرى ، وبعد نضال شديد سبج إلى الشاطئ حيث لقي نوزيكا ابنة الملك فأرشدته إلى بيت أبيها الذي أكرم مثواه ووعد أن يرده سالما إلى بلاده . وأقام الملك حفلاً رياضياً اشترك فيه أبطال المدينة وغمز أحدهم أوديسيوس بكلمات ينمى عليه فيها أنه لا يعرف من الرياضة شيئاً ولا لشارك في تلك الألعاب ، فغضب أوديسيوس ونهض فقفز بالقرص الكبير قذفة بلغت من المدى أضعاف ما قذف أقوى أبطالهم ، ثم تحدى الجميع لمصارعته وملاكمته فتقاعسوا ... وسأله الملك من هو ولم كان يبكي حيناً سمع للمنشد يذكر حروب طروادة وبطلها العظيم أوديسيوس ... وهو هنا يجيب عن أسئلة الملك بهذا الفصل الفريد الذي يرتفع فيه هومير إلى الذروة »

الجند ... فوا أسفاه ! ... لقد افتقدت ستة من رجال كل سفينة ... سقطوا في المعركة الخاسرة ! وأجنسنا الليل ، فجلسنا نتذكر أسمله القتل ؛ وما كدنا نفعل حتى سخر علينا جوف رب السحاب الثقيل - ربحا صرا عاتية أمارت البر والبحر ، وعصفت بمرأ كبتنا فأطاحت قلاعها وضربت شراعها ، ففزعنا إلى المجاذيف وأعملنا السواعد ، مستقتلين مستعميتين ، حتى نجونا بحد لاى إلى البر ، حيث تلبثنا ليلتين طويلتين في أين وإعياء ، وشكاة وشقاء ، نصلح القلاع وترقى الشراع .. وفي صباح اليوم الثالث تطامن البحر ونام هائجه ، فبادرنا إلى الفلك وأقلعنا باسم الآلهة مجراها ومرساها . وما كدنا نلمح شيطان مالبا ، حتى هبت زوبعة عنيفة تلاعبت بنا ، وحملتنا إلى جزيرة سيثيرا ... وطفقنا بمدحها نذرع العباب تسعة أيام أخرى ، حتى بلغنا بلاد (لوتوفاجي) ، هذا الشعب الغريب الذي يقتات بالفاكهة فحسب ، من دون ما تنبت الأرض وما يدب عليها ... ورسونا ثمة ، وأهرع الملاحون إلى البر فاستراحوا وسمروا ؛ ثم تخيرت اثنين من أوثق رجالى ، وجعلت عليهما ثالثا رئيسا ووجهتهم إلى سكان هذه الأرض ليتعرفوا أحوالهم ، فاختلفوا بهم ، وقابلهم اللوتوفاجي بالبشر والترحاب ؛ ثم عرضوا عليهم من ثمر اللوتس المجيب ، الذى ينسى آكله ما أسلف من حياته ، وتنسب ما بينه وبين وطنه من وشيجة فما يفكر فيه ، وإذا فكر فيه فما يؤثر أن يرتد إليه ، بل يصبح كل مناه أن يأكل ويأكل ويأكل من هذا اللوتس المجيب ، وأن يمشى أبدا الدهر بين أولئك اللوتوفاجي السحراء ! ... وتنظرت عودة رجالى ،

(٨)

شجر وثمر ، صبغاً لا بنائها الأوفياء ... هناك ... حيث احتجزتني عروس الماء كليبسو في كهفها ، وراودتني لا كون بعامها ... وهناك ... حيث أغرتني سيرس هي الأخرى ، سيرس صاحبة جزيرة إيايا ... التى حاولت أن تنخذمنى خليلا فأبيت ، ولم أقبل أن أضحي وطنى وأهلى ، ولو أصبحت زوجاً لاحدى الرباب الخالدات ... ولكن لا ، لم قبل كل شيء أقص عليك من أنباء رحلتى منذ بارحت إليوم ، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

« أقامت بنا الفلك إلى بلد السيكون (إزماروس<sup>(١)</sup>) ، (فبدالى أن أزيد في ثروة رجالى وما فازوا به من أسلاب طروادة ، فأشرت عليهم بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأذخار<sup>(٢)</sup>) وسرعان ما تم لنا ذلك ، فقتلنا المسكر وملكننا القرية ، ووزعت السبي والأسلاب على جنودى ، ثم أشرت عليهم بالرحيل فمضوا أمرى ، وعثوا في المدينة مفسدين ، وعاقروا من الخمر وعقروا من الشاء ما أذهلهم عن أنفسهم ، وأتاح لأعدائهم لم الشمت ، ففجأونا بجيش عرمرم منهم ومن جيرانهم ، وناضلونا عن مدينتهم فأوقعوا بنا ، ولم يُفنتنا أنا قاتلناهم حتى مطلع فجر اليوم التالى ، بل ظل فرسانهم الصناديد يكرون ويفرون ، حتى قدفو بنا فى البحر ، فوقفنا فى سفائننا نناوشهم برماحننا ... وصمدنا لهم حتى توارت الشمس بالحجاب ... فانسحبنا نجر أذيال الهزيمة والخزى ، بعيد إذ انتزع السيكون نثار النصر . وعدت إلى

(١) على الشاطئ الشمالى البحر إيجيه

(٢) ماين القوسين من شرح الأستاذ جبرر وليس من

متن الأوديسة



بيد أنهم لم يرجعوا ، فاضطرت أن أذهب بنفسى إلى حيث هم ، فحملتهم قسراً إلى الشاطئ بين العويل والضجيج ، وقذفت كلا منهم فى قمره مفلولا مكبلاً مشدود الوثاق ، ثم أمرت الملاحين فأبحروا على عجل قبل أن يأكل بعضهم من اللوتس الملعون فيضل ضلالهم وينسوا أوطانهم ، ويظلوا فى هذه الأرض جائعين

« وما عتَمنا أن وصلنا إلى أرض المردة الجبارة السيكلوپس - الطغاة العتاة ، الذين لا يخضعون لشرعة ، ولا يأتمرون بقانون ؛ الذين تؤتى أرضهم أكلها رغداً من غير كد ولا عناء ... حباً وأباً ، وحدائق غلباً وقضيباً وعنباً ، تسقى مما يفيض عليها جوف من مائه الممين ... يعيشون

فوضى ، لا تربطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم نظام ؛ يأوون إلى كهوف موحشة ، وغيران حقيقة ، فى قُلل الجبال وأحيادها ... يُعنى كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطعانه ، ولا يأبه للباقيين ، وتلقاء أرضهم توجد جزيرة معشبة أريضة شجراء ، فيها من الماعز السائم قطعان لا حصر لها ، ولكنها مع ذلك يهائم<sup>(١)</sup> مُضيلة ، لم تَطأها فيما غير قدم إنسان ، ولم يُرَش إلى حيوانها سهم صائد ، لأن السيكلوپس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقاً ، ولم يعرفوا طوال حياتهم هذه الجوارى المنشئات فيه كالأعلام . لذلك سلمت الجزيرة بما فيها من خير ، وتكاثرت قطعانها حتى امتلأت بها مروجها الخضراء السندسية ... وثمة ، فى جَوْن هادى جميل ، ألقينا مراسينا ، ونزلنا من سفائننا ، فى ظلام الليل الدامس ، وفى حراسة الآلهة ، بعد إذ ارتطمنا

(١) مضلة لا يهتدى فيها

بسيف البحر ... ثم نمنا على الشاطئ حتى مطلع الفجر ؛ وأشرقت أورورا تنضرب بالورد مشرق الأفق ، فنهضنا بنجوب الجزيرة ، وتنفيأ ظلال الحور ، وزرى عرائس الماء ترعى الماعز ؛ فبادرنا إلى سفننا ، وأحضرنا الحراب والأقواس ، ثم تفرقنا ثلاث فرق ، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ، فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال كل من رجال سفائننا الاثنتى عشرة تسع أعنز ، بعد أن تخيرت عشرنا لنفسى ؛ ولبثنا يومنا هذا نفتدى بكل سواء حنيد ، ونسكرع كل كأس روية ، فى غير تخمة ولا شجى<sup>(١)</sup> ... وللآلهة تلك الخمر السلاف السيكونية التى افترعناها من زقاق أزماروس ؛ ثم نظرنا ناحية الغرب ، فما راعنا إلا دخان كثيف يصاعد فى الأرض القريبة ، ورغاء وضوضاء كالرعد تنتشر فى جنباتها ، وإذا هؤلاء السيكلوپس المردة ينتشرون فى الأرجاء ، وأمامهم قطعانهم من الشاء والأنعام ... أعداد لا حصر لها ... عليها إذا عُدد الحصى يتخلف !

ونمنا ليلتنا صروعين ، حتى إذا بزغت أورورا نهضنا واحتشدنا فى صعيد واحد ، ثم قمت فى رجالى خطيباً ، فقلت : « أيها الأخوان ! لتبقى غالبيتكم فى هذه الجزيرة ، فاني ذاهب فى نفر منكم زود هذه الأرض ، ونعرف من أنباء أهلها ، ونعلم من أحوالهم ، وزرى هل قوم ظلم وضيم ونضالهم أم ربيون يهشون للمكرمات ، ويخبتون للآلهة ؟ »

« وأقلمت فى نخبة من رجالى فوصلنا طرفاً من الجزيرة نائثاً فى البحر ، فوقه قلاع مشرفة عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبنا نروده ، حتى انتهينا

(١) الشجى هو الفصص بالمراب

علوى للشاربين ؛ ثم كان معنا رُكُزاً<sup>(١)</sup> به أكل كثير ، وكنا عدداً عديداً من الأبطال الصناديد ، ولكننا مع ذلك كانت تمرينا رعدة ، وكان يشيع في قلوبنا فزع ، أن يفجأنا هنا الجنى صاحب المكان ، الذى لا يخشى فينا شريعة ، ولا يرده عن أذانا قانون ... ، ثم توقلنا كذلك ، فأشرفنا على مغارة سحيقة هى مقام السيكلوب ومنامته من غير ريب ؛ بيد أننا لم نجد عندها ، فقلنا ربما انطلق بقطمانه يرعاه في المروج القريبة .. ورددنا الطرف في المغارة فرأينا مصافى كثيرة معلقة ينز الحصيد<sup>(٢)</sup> منها ههنا وههنا ، فعرفنا أن السيكلوب يصنع الجبن من ألبان مواشيه ، سيما وقد امتلأ المكان ببواطٍ كثيرة مفعمة بالحصيد والخيض . وعلى مقربة منا شهدنا حظائر واسعة لصغار الشاة والحملان والماغز ، وقد قسّمت فرقاً حسب سنّها ... وقد بدا لبعضنا أن نذهب بها هنالك من جبن وزبد ، وأن نستاق الحملان والجذعان إلى سفائننا ، غير أنى — وأأسفاه — تأييت ، لأننى آثرت لقاء السيكلوب ، رجاء أن ينفحنى من كنوزه ، ويسبغ على من آلائه ؛ ولذا ، جلسنا ريثما يعود ، وأكلنا من جبنه وزبده ، وأشملنا نارا نستدفئ ، ثم إذا هو يطوى الروح الخضر بقطمانه ، وإذا على كاهله الرحب أقال وأحمال من الخطب وفروع الشجر اليابس ، حتى إذا كان لدى الباب ألقاها في بطش فاهزت الأرض ودوى المكان ، وانحبس وصيد الكهف ، فانقذف الرعب في أفئدتنا ، فهورلنا مذعورين صمقين ، واختبأنا كالخافيش في زوايا

إلى كهف عظيم ضارب في الصخر ، وقد نما النار الجليل على باب الضخم ... ودخلنا ... وأتارددهشنا هذه الحظيرة الكبيرة في وسط الكهف ، تتسع لقطمان لا عدد لها من الأنعام والأغنام والماغز ، ثم هذا الفناء العظيم المحدث بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، مُتَسَرِّسٌ بجذوع الحور والسنديان ؛ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المغارة مارد جبار من أراذل السيكلوبس ، لصق بهذا الطرف من الجزيرة بعسف وبظلم ويملؤه بغيّاً وعدواناً ... ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى خلق آخر ؛ فوجهه مربد عبوس أبداً ، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه قطعة من الصخر نحت منها ناطور فوق ناصية الجبل ...

وتوقلنا<sup>(١)</sup> ... وكان مى زق من خمر معتقة مما أعطانيه مارون بن إيثانت ، قسّ فوبوس ، رب إزماروس ، لقاء ما أبقينا عليه وعلى زوجة وأولاده يوم غزوتنا لقريته ... ياله من كاهن سمح طيب القلب ! لقد نفحنى بأكرم الله<sup>(٢)</sup> وأجزل الهبات ؛ وهل أنسى ما حييت تلك البدر السبع من الذهب الخالص ، وذلك الدّن من الفضة الغالية ، وتلك الجرار الالنتى عشرة من الخندريس الصرف التى تُشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان يقدّمها بنفسه وماله ، فلم يكن يعرف نجباًها أحد غيره وزوجه وأمينه ... لقد كانت كأس روية واحدة من هذه الدامة تمزج بعشرين ضعف من الماء القراح ، وهى مع ذلك سكر ولذة وروح

(١) الرُكُز (الخرج) بضم الراء ما يحمل فيه الزاد

(٢) الماء يسقط من الجبن

(١) توقل : صعد فوق جبل

(٢) المطايا



وتجههم السيكلوب الجنى وقال مغضباً مستهزئاً :  
 « حَسْبُكَ أيها الأخ المغفل ما خَوَّفت من  
 چوڤ ، ففجن السيكلوپس لا نبالي چوڤ ، حامل  
 إبيچيس<sup>(١)</sup> ، ولا سكان السماء قاطبة ... أنا أقوى  
 منهم بكثير ، وأنا نفسي ، لن آبه لأينما نذير من  
 چوڤ كبير الأولب ... ولكن حدثني قبل كل  
 شيء متى أَلقت سفينتكم مراسيها في أرضنا ؟ وأين  
 هي ؟ أقرية أم قاصية من هنا ؟ قل الحق ولا تخف  
 عني شيئاً » ... وأجبتـه في حيلة ورفق ، وقد  
 عرفت ما رمى إليه : « لقد نسف نيتيون رب  
 البحار مركبنا في اليم نسفاً ، وسلط عليها الزوابع  
 فجرت بألواحها بعيداً ... بعيداً من ههنا ...  
 ونجوت مع هذا النفر من رفاق فقط إلى شاطئكم »  
 ولم ينبس السيكلوب الجبار بكلمة ... بل أقبل  
 نحونا ، وانقض على رجالي كالصاعقة ، ثم أمسك  
 باثنين منهم ، وأرسلهما في الهواء ، ثم ضرب بهما  
 أرض الكهف ذات النوى ، فهشم رأسهما ،  
 وانتثر المخ فوق الحجارة هنا ... وهنا ... وألقاهما  
 بعد ذلك في البحر المتأجج حتى نضجا ... واستوى  
 كالسبع الرئبال ، وطفق ينهشهما ... ولم يمض وقت  
 طويل حتى أتى عليهما ، غير مبق على عظمة واحدة  
 أما نحن فيا لآلهة السماء ... لقد كان هذا المنظر  
 الفاجع يمصف بنفوسنا ، ولم نملك إلا أن نرفع  
 الألف فنبتهل إلى چوڤ أن ينجيننا . وأن يرحمنا  
 ولم يكن لنا مع ذاك من أمل في نجاة ١١

وبعد أن أشبع الجبار نهيمته من هذا اللحم  
 الأدى الغريض ، وبعد أن شرب من اللبن شرب  
 الهيم ، انطرح بين قطعانه ، وجعل يرسل في

المفارة وشقوقها ... أما هو ، فقد أدخل قطعانه ،  
 واحتجز ذكرانها في الفناء الخارجى ، ثم أخذ في  
 حلب الأنثى في الرحبة الداخلية ... ونهض بعد  
 ذلك فسد مدخل الكهف بحجر واحد كبير  
 لو وضع على عربتين عظيمتين لم يستطع عشرون  
 ثور مضخم أن ترحله من مكانه ... وجلس يحلب  
 النماج والماعز ، وكلما فرغ من واحدة أرسلها إلى  
 جذعها<sup>(١)</sup> ترضع ما تبقى في ضرعها ... وكان  
 يقسم لبنه قسمين ، فيحتفظ بأحدهما لشربه ،  
 ويمخض الآخر لزيدة وجبته ثم فرع من هذا كله  
 وأضرم ناراً عظيمة ما كادت تذهب حتى رأنا  
 معاقين فوق نوى الكهف . فصاح بنا : « من هنا ؟  
 وى ! من أنتم أيها الغرباء ، ومن أى البلاد نرحم  
 وفيهم خضتم هذا الباب إلى هنا ؟ آفاقيون ؟ أم بحار ؟  
 أم قرصان تعيشون في بلاد الناس ؟ » وزلزلنا زلزالاً  
 عظيماً ، وكان صوته الأجنس الحشن يلقى الرعب في  
 قلوبنا فتمتلج اعتلاجاً ... ثم إنى جمعت ما تبقى من  
 وعي ، وما أبقى عليه الروح والهلع من إدراكى ،  
 فقلت أجيبه : « نحن إغريقون أيها العزيز وقد  
 ذرعنا البحر اللجى شرقاً ومغرباً ، وتقاذفتنا فوقه  
 كل ربح ، منذ بارحنا اليوم التى فتحتها الله علينا ،  
 لأننا من عساكر أجا ممنون الملك ، ابن أتريوس  
 الكريم ، قاهر طروادة ، ومبيد الطرواديين ...  
 وها نحن أولاء ، قد لذنا بك بعد طول النصب ،  
 فنضرع إليك أن تقي علينا مما أفاء چوڤ عليك ،  
 وأن تردنا غانمين ... فيا مولانا أكرم مثوانا ،  
 فنحن الأغراب في كنف چوڤ أبداً ، وأينما نول  
 فانه معنا »

وجلسنا نتخير من بيننا أشجعنا وأكثرنا أيداً وقوة، وأشدنا استعداداً للحملة وغرزه من طرفه المحدد في عين السيكلوب... وانتهينا من ذلك إلى أربعة... وكنت أنا خامسهم... ثم عاد الجنى في مواعده فأدخل قطعانه وأرجع الحجر إلى مكانه، وجلس يحلب الأناث ويقسم اللبن ويمخضه، ويرسل كل جذع إلى أمه؛ ثم نهض إلينا فبطش باثنين منا وتعشى بهما، وقبل أن يستلقي على الأرض ليسترخ أقامت كأساً كبيرة مما كان معنا من خمر مارون وتقدمت بها إليه وأنا أقول: «ألا أيها السيكلوب! هالك كأساً من الخمر إذا تحسيتها بمد أكلتك الهنية من اللحم البشري عرفت أى خمر فقدنا في سفينتنا المفرقة. لقد كنت أحضرتها تكريماً لك إذا أنت أكرمت مثوانا وأطلقت سراحنا وساعدتنا على العودة إلى وطننا سالمين! ولكن! أوام! إن سورتك طامية أيها القاسى الجبار، وإن أحداً من البشر لن يجسر أن يقترب من جزيرتكم بعد اليوم!». وأخذ الكأس فعبها عباً، وسربها سروراً كبيراً، ثم سأل أخرى فقال: «أيها الفتى ما اسمك؟ إعطنى كأساً أخرى وإنى مثيبك عليها. إن لدينا خمرأ صرفاً من أكرم ما تمصر العناقيد، يسقيها جوف من شأبيبه، ولكنها أبداً لا تباع هذه الخمر البكر جودة» وأعطيته ثانية وثالثة، وراح المجنون يشرب ويشرب، ولما شهدت النشوة ترقص برأسه قلت له في ظرف: «أيها السيكلوب لقد تساءلت عن اسمي، ألا فاعلم أنه أوتيس<sup>(١)</sup>،

الكهف شيخيراً مزيجاً... ولقد حدثتني نفسي أن أنقض عليه فأخوض في كبسته بجزارى، ولكن فكرة سوداء طافت برأسي، حينما نظرت إلى باب الكهف فأبصرت الحجر الضخم الذى لا يطيق أحد أن يزحزحه، وتذكرت الموتة الجاهلية المفزعة التى سنموتها إن فعلت... فقفطت قنوطاً شديداً، وأرسلت آهات الحسرة والندامة أنا وأصحابي، وانتظرنا بقلوب فارغة تباشير الفجر ورأينا أورورا الوردية ترسل أول أشعتها من الكوى الصغيرة، فهب السيكلوب إلى قطعانه، وأخذ في حلب إناثها، وكلباً فرغ من واحدة أرسل إليها صغارها ترضع وتنخب؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالى وفعل بهما كما فعل بصاحبينا أمس، حتى إذا فرغ من إفطاره، هب إلى الحجر فزحزحه في سهولة ويسر، كأنما كان يزحزح غطاء آنية، ثم استاق قطعانه، وأعاد الحجر إلى مكانه، ومضى يرعى بهمه، وبقينا نحن ندعو ثبورا... وفكرت ألف فكرة في وسيلة أنتقم بها من هذا المارد الوحش، وتوسلت بميزرفا أن أستطيع... وانفجرت أسارى فجأة، وأشرق وجهى بنور الأمل... ذلك أننى أبصرت بجذع زيتون مشذب أعده الجنى ليكون عصاً يهش بها على قطعانه، فقلت في نفسي: «ولم لا يكون في هذا الجذع خلاصنا؟»، ثم إنى أمرت رجالى ببرئى أحد طريقيه، وكان الجذع طويلاً جداً، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحاراً... فأقبلوا عليه ينحتون ويبرون، وأكبت أنا على نهاية الطرف أحده... ثم انتهينا من عملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير الملقى في الكهف،

(١) أوتيس Outils معناها (لا أحد) ولم يستحسن مترجمو هومر ترجمتها، لأنها قد تعنى (ذو الأذنين الكبيرتين) ولكننا نؤثر ترجمتها



قائلهم : « ماذا دهاك يا پوليفيم حتى تروعنا هكذا في ظلام الليل ، وحتى تقض مضاجعنا بصراخك الفظيع ؟ هل خفت أن يستاق أحد قطعانك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غدر ؟ » وقال پوليفيم وهو يتصدع : « آه يا أصدقائي ! إني أموت ! ولقد قتلني أوتيس <sup>(١)</sup> » فقال قائلهم : « إن كان أوتيس — الذي هو لا أحد — قد ألحق بك أذى فما صنع بك هذا إلا جوف ؟ تجلد يا صاح ، وادع أبانا نيتيون ليساعدك ، بأنك من أعماق اليم » وتركوه وانصرفوا لشأنهم ، وضحكت أنا في سريري لأنني استطعت أن أعمي عليهم بهذا الاسم الملقق المفترى . وما برح پوليفيم يبكي ويعول ويهزه الألم والأسى ، حتى زحزح الحجر الذي يسد الباب ، وجلس عنده ، ماداً ذراعيه لمنع أحداً منا أن يفلت أو أن يذهب ببعض أنعامه . . . إنه يحسبنا بلهاء مثله . . . وجلسنا نعمل الفكرة بعد الفكرة ، ونرسم الخطط نلو الخطط لنجارتنا . . . حتى تاحت لي فكرة حسنة ، أيقنت أنها تفلتنا من هذا السجن السحيق إن كان شيء مستطيعاً أن يطلق سراحنا منه لقد فكرت وفكرت ، فبدأ لي أن لدى السيكلوب كباشاً كفاذاً تستطيع أن تحملنا إذا ربط كل منا تحت بطن واحد منها . ولقد كانت الكباش سمينة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقامت من فوري فجذلت من أغصان الصفصاف التي كان السيكلوب الشنيع ينام فوقها ، وجعلت من كل ثلاثة حبلاً واحداً ، ثم ربطت كل رجل تحت بطن كبش كبير قوى جعلته بين كبشين لا يحملان أحداً ، بل يكونان وقاية للكبش الذي يحمل رجلاً

(٢) ليذكر القارئ أن معنى أوتيس ( لا أحد )

وبه أسمى في بلادي ! ولكنك وعدت أن تشيبي على ما قدمت لك من خمر ، فماذا عساك ما نحى ؟ » فاستهزأ السيكلوب وقال : « اطمئن يا صاح ! سأهب لك أن تكون آخر من آكل من إخوانك . . هذا هو جزاؤك ! » وتثأب وتثأب ، ثم انطرح وسط قطعانته يغط في نوم عميق . . . وكان يصعد أنفاسه بقوة فتتقذف من بلمومه شوائب من خمر ، ممتزجة بقضبات من لحم بشري . . . ؛ . . . وقفزنا إلى جزع الزيتون فوضعنا طرفه المحدد البري في الجمر المتأجج حتى تأجج مثله ، وبكلمات قليلة أثرت النخوة في نفوس إخواني حتى لا نخذلهم قواهم ، ثم استعنت الآلهة فابتعثت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما فينا من منة اليأس ، ووضعنا الطرف المشتعل في عين السيكلوب المقلقة ، وحركنا الجذع وطفقت أنا أقبليه فيها من مكان علٍ ، كما يفعل السِّفان الصنّاع بمثقابهم في خشب السنديان . . . وانبجس الدم من عين السيكلوب العمياء ، وجحظ إنسانها كأنه عين حمئة من دم وعلز . . . وقصاراي : لقد كنا كالحداد الماهر الذي يطفىء سلاحاً محمى في ماء بارد ! ! ولقد صرخ السيكلوب <sup>(١)</sup> صرخة ردد أصداءها الكهف . . ثم رددتها الغيران والجبال المجاورة ؛ وذعرنا نحن ، فلصقنا بالشقوق والزوايا ؛ وراح الجنى الجبار يخبط في ظلام العمى بعد إذ انتزع الجذع المشتعل من عينه ، وهول كالجليل نحو الباب فوق عتده ، وطفق يولول ويهتف ويصيح ، ويدعو جميع إخوانه السيكلوبس كلاً باسمه ، فاجتمعوا إليه من كل فج عميق . . . وقال

(١) يحسن أن نلفت نظر القارئ إلى طبيعة السيكلوب وأنه لا يملك إلا عيناً واحدة

بينهما ... أما أنا فتعلقت بصوف الكباش الأخير،  
وبقيت ساكنة صامتة، ومكثنا هكذا ننظر الفجر  
القدس الرهيب، بميون وكفة وقلوب واجفة...  
حتى بزغت أورورا فهروات الذكران كمادتها  
للمرعى، وبقيت الأنثى لكي تحلب، وتهادت  
الكباش بالأتقال المعلقة تحتها وهي تكاد تنوء بها،  
وكان السيكلوب ما يزال يعمل ويشكو بثه إلى  
غير سميع، وكان يلمس بيديه ظهور الكباش وهو  
لا يدري ما تحتها، حتى إذا برز كبشى، زلزلت  
زلزالا، وسمته يقول له وهو يتحسس: «يا كبشى  
الحبيب مالك استأنيت هكذا وكنت دائماً سباقاً  
إلى المرعى على رأس القطيع تقضم السكلا الحلو...  
سباقاً إلى الغدير ذى الخويز تهمل من مائه السلسيل؟  
بل كنت سباقاً كذلك إلى مأواك هنا... فى كل  
مساء؟ ويحى ويحك يا كبشى الحبيب! لقد  
أسيت لى، وخزنت من أجلى، وشعرت بما دهمى  
صاحبك من التمس الرجيم أوتيسس، وأتبعه  
اللؤماء المفلوكين... أوتيس الذى سحرنى بخمره...  
ويل له؟ إنه لن يسفلت من الموت اليوم! آه  
لو كان قلبك مثل قلبى، وآه لو كان لى بصرك الحديد  
فيدلنى أن اختبأ أوتيس القميس! إذن كنت  
أحطم رأسه فوق هذا الصخر، أوتيس الوغد...  
الذى اسمه لا أحد! فهو لا يساوى شيئاً؟»  
ثم أفلته المغفل فانطلق الكباش فى إثر رفاقه،  
حتى إذا كنا بعيدين من الكهف ومن صاحبه  
قفزت من مكمنى، وعدوت فأطلقت سراح رفاقى،  
وسقنا نخية من أحسن النعاج إلى حيث سفينتنا  
المتخبئة فى الجون المهادى... فى ظلال الحور  
والسنديان... وأبحرنا من فورنا فوصلنا إلى إخواننا  
فى الجزيرة الأخرى الذين هناؤنا بقيد ما ذرفوا

الدموع على ضحايا بوليفيم! واعتزنا الأبحار  
فاستعد كل فى سفينة، وأقلعنا لا نلوى على شيء...  
حتى إذا كنا على مسافة مبلغ الصوت من الشاطئ،  
نهضت وجعلت أهتف بالسكلوب بوليفيم هكذا:  
«بوليفيم! لقد بؤت بما صنعت يدك، وكان جزاؤك  
وفاقاً، أيها النذل الخسيس! لقد حسبت أنك  
تغتال رجال قائد لا سلطان له عليك، ولا قدرة له  
على الانتقام منك، فرحت تغتذى كالوحش بالبحر  
ضيقك الذين لجأوا إليك وتقيأوا ظلك... فاهناً  
الآن أيها الهولة بما حل بك!». وما كدت أصمت  
حتى ثار نائره وغلت مراجله، وانزع صخراً  
كبيراً من شعاف الجبل، وقذف به فى قوة وعنفوان  
ناحية الصوت، فهوى الصخر على مقربة منا، وكاد  
يهشم سكان السفينة؛ وقد انفرج البحر، وانشطرت  
أمواجه، وارتدت السفينة نحو الشاطئ حتى لكادت  
تفوص فى رماله وتتحطم على أواذيه، لولا أن أمسكت  
بالسارية الكبرى وجعلت أدفع وأدفع حتى عادت  
السفينة إلى مكانها فى البحر... وابتعدنا قليلاً...  
وجاهد رجالى بمجازيفهم حتى كنا على مسافة هى  
ضعف المسافة الأولى... وهنا، حاولت أن أصبح  
بالسيكلوب مرة أخرى، غير أن إخوانى حالوا بينى  
وبين ذلك، وسمعت بعضهم يقول: «ويك  
أوديسيوس! لم تهيج الجنى بكلماتك، وقد كاد  
الحجر الذى قذفه إلينا يودى بنا جميعاً ويحطم سفينتنا  
على الشاطئ؟» أما نحمد الآلهة التى أنقذتنا من  
ساعديه الجبارتين، وهو لو سمع ركزاً من أحداً  
لهشمتنا جميعاً قبل أن تغادر غاره؟ على أننى  
ما أصخت لهم، بل هتفت بالسارد الجبار أقول:  
«أيها السيكلوب الطاغى! إذا سألك أحد عن عماك  
فقل له أعمانى أوديسيوس ابن ليرتيس الأيثاكي!»



يرنق فوقنا ، وسقط وراءنا بمقربة من السكان ،  
فانشطر البحر إلى فرقين كل فرق كالطود العظيم ،  
ثم انحسر الماء فجرت السفينة إلى الشاطئ مرة  
أخرى ، ولكنها هذه المرة أرست على الشاطئ  
الآخر الذي أرست عنده سفائننا الأخرى ، حيث  
أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة ويجزعون ...  
ثم إننا نزلنا إلى البر ، وفرقنا الأنصيات من نجاج  
السيكلوب بيننا . وكان من نصيبى ذلك الكباش  
المغدى الذى نجاني ، فذبحته على رمال الشاطئ  
قرباناً لجنوث المتعالى ... وأسفاه ! إن أكبر ظنى  
أنه لم يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائننا أغرقت  
فيما بعد ... وأكلنا هنيئاً ، وشربنا الخمر المعتقة ،  
وانتظرنا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا ، فنمنا  
حتى نضرت أورورا خبيث الشرق بالورد ،  
ونهمضنا ... ونشرنا الشراع وأصلحنا القلاع ،  
وأبحرنا ، بقلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ،  
لأنذين بالفرار  
( يتبع )  
دربى هشيد

## في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

التمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقبل في منتصف أغسطس

وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « وبلى منك !  
لقد صدقت النبوءة ، وتحقق ما قال تلموس يوريميد  
النبى الذى شب بيننا وظالما تحدث إلينا معشر  
السيكلوبس عما خبأ القضاء في صحف الغيب لنا ؛  
لقد قال لى إنى سأفقد بصرى بوساطة رجل من  
البشر يدعى أوديسيوس ، فظلت أنتظره ، وكنت  
أحسبه مخلوقاً طويلاً عظيم الجسم بآدى القوة ...  
فاذا هو أنت أيها القزم - اللاشىء ! - الذى  
قهرتنى أولاً بالخر ثم أذهبت بصرى وأطفأت النور  
من عيني ! أوه ... ولكن ... عد إلى يا أوديسيوس  
وحل على ضيفاً من جديد ، أكرم مثواك ... وأصل  
من أجلك لأبى ... نبتيون ... الفخور بى ، أن  
يمهد لك البحر ، ويطامن من تحتك الموج حتى  
تصل إلى بلادك سالماً ... إنه وحده هو اللطيف  
بى ، وليست قوة فى الوجود غيره تستطيع أن  
تشفينى وترد على بصرى ! » فقلت له : « بنفسى  
لو استطعت قذفت بك من حالى إلى قرار جهنم  
فلا يقدر أحد على رد بصرك إليك - حتى ولا أبوك  
هذا ! » . وغيظ السيكلوب وحنق ، ورفع كفيه  
إلى السماء يصلى لأبيه هكذا : « أبتاه نبتيون المحيط  
بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب الشمر اللازوردى ،  
إذا كنت حقاً أبى ، وإذا كنت حقاً تفخر بنبوتى  
فاحرم هذا القزم المدعو أوديسيوس بن ليرتيس  
الأيثاكي من المود إلى بلاده ، إلا أن يكون هذا  
قضاء فى الأزل فأقم المقاب فى طريقه ، وشرده  
طويلاً فى البحر ، وأغرق سفائنه واقبر فى الأعماق  
أصحابه ، وأحوجه إلى ذل السؤال وطلب المعونة  
من الناس ليدوه بمركب يعود عليه ؛ وإذا عاد فليلق  
الهم والغم مقيمين ببابه ... آمين ! » ولبى نبتيون ،  
ورفع السيكلوب حجراً أضخم من الأول ، وجعل  
يهوم به بكلمات يديه ، ثم قذفه قذفة هائلة ، فذهب







© Zaman

# الرسالة

مجلة أسبوعية تهتم بالعلم والفن

مجلة الاداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأفكار عميقة روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء اليهود المصريين

الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة لأمّة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الاداب العربية

الرسالة : تنمي في النفس أهاليب البسوخة المصرية

مجموعة اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشترالك الداخلي ستون قرشاً، والخارجي مايساوى جنهما مصرى، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠٪

طبع بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ — تليفون ٥١٥٢٢





صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات

يمل الاشتراك عن ستة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الادارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العتبة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثاني عشر ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ - ١٥ يولييه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



## فهرس العدد

صفحة	المؤلف	الموضوع
٧١٤	حبسلة عرس	حبسلة عرس
٧٢١	خيانة في رسائل	خيانة في رسائل
٧٢٨	يوميات نائب في الأرياف	يوميات نائب في الأرياف
٧٣٤	الذباية	الذباية
٧٣٩	ناهد	ناهد
٧٤٨	ماتيو فالكوني	ماتيو فالكوني
٧٥٣	بعد عشرين عاماً	بعد عشرين عاماً
٧٦١	اعترافات فتى العصر	اعترافات فتى العصر
٧٦٨	الأوديسة	الأوديسة
...	لبلاسكو ايبانيز	لبلاسكو ايبانيز
...	قصة مصرية	قصة مصرية
...	صور مصرية	صور مصرية
...	للكتابة كاترين منسفيد	للكتابة كاترين منسفيد
...	أقصوصة مصرية	أقصوصة مصرية
...	لبرسيير ميرييه	لبرسيير ميرييه
...	لتوماس هاردي	لتوماس هاردي
...	لألفريد دي موسيه	لألفريد دي موسيه
...	لهومبروس	لهومبروس
...	بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار	بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار
...	بقلم الأديب نجيب محفوظ	بقلم الأديب نجيب محفوظ
...	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
...	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي
...	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
...	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
...	بقلم الأديب نظمي خليل	بقلم الأديب نظمي خليل
...	بقلم الأستاذ فليكس فارس	بقلم الأستاذ فليكس فارس
...	بقلم الأستاذ دريني خشبة	بقلم الأستاذ دريني خشبة





على الزواج للمرة الثانية  
ولكى تفهم تأثير هذا  
الخبر في قريته يحسن أن تعلم  
أن العم سانتو أكبر دافع  
للضرائب في الاقليم كله، وأن  
له الزعامة في قريته، وأن التي  
يريد الزواج منها بنت راع  
فقير. وهل تسأل عن المهر  
الذي سيقدمه إليها؟ نظرات  
ساحرة من عينين سوداوين  
طويلتي الأهداب وشعر لامع  
رجراج

ولم تكن دهشة القرية  
أقل من غيظها، ولا اختلاف  
الرأي فيها بين واحد وواحد،  
فالكل يردد جملة بعينها وهي  
كيف يتزوج رجل في هذا  
العمر من فتاة كهذه؟ رجل

يملك نصف الزمام، وفي منزله مائة قرية من النبيذ  
القديم، وفي مربط خيله خمسة بغال، ثم يترك هذا  
كله لابنة فقيرة مثل مارييتا، تلك التي كانت في  
طفولتها تحصل على خبزها، كما تحصل الفأرة على  
قوتها. مسكينة زوجته الأولى! لقد تركت

ولد إيبانيز في مدينة بلنسية سنة ١٨٦٧  
ودرس الحقوق كمعظم الشبان المتعلمين في  
أسبانيا، ولكنه اشتغل بالسياسة في جده  
الشباب، ودعا إلى الجمهورية ثائراً ضد نظام  
الحكم الملكي في بلاده؛ وتعرضت حياته  
للخطر عدة مرات بسبب الثورات الناشئة  
عن أسباب من بينها دعوته. وبدأ عهده  
الأدبي بإصدار مجلدين من الأقاصيص التي  
يصف فيها حياة أهل بلده؛ وفي سنة ١٨٩٧  
أصدر روايته «الكوخ» وهي تعد  
خير مؤلفاته، وأصدر بعدها «فاكهة  
النبيذ» و«الكندراتية» و«الزمن  
والدم». وقد حمل في هذه الكتب على  
عادات بلاده. وفي سنة ١٩١٢ رحل إلى  
أمريكا الجنوبية، ولكنه عاد قبل أن يتم  
برنامج رحلته، وذلك في سنة ١٩١٤  
بسبب نشوب الحرب العالمية وبسبب حاجته  
إلى المال. ومرض على الحكومة الفرنسية  
خدماته كناشر للدعاية فقبلتها بأجر عظيم  
فوضع روايته «الفرسان الأربعة» وقد  
اشتهرت في دول الحلفاء شهرة عظيمة، ثم  
وضع كتاباً عن الملك ألفونس جعل عنوانه  
«ألفونس غير المفتح» فطرد من أسبانيا  
وأحدث الكتاب ضجة عظيمة في أوروبا.  
ومات إيبانيز منذ سنوات

— ١ —

مدينة «بني مصلان»  
مدينة أسبانية رائعة يحيط بها  
مثل البحر من أشجار  
الزيتون والكروم  
جدران بيضاء، ونوافذ  
مظلمة، وفي الوسط قبة  
كنيسة خضراء وحصن عال  
كاد يبله الزمن

مدينة بني مصلان قرية  
ككل قرى أسبانيا متأخرة  
مظلمة غير قابلة للتطور، تحكمها  
التقاليد العتيقة، ويسودها  
سوء الظن والأهواء الجامحة  
والعداوات والأحقاد.  
وأهلها بسطاء لا يبالون بالعالم  
ولا بما يجري فيه، مسرفون في  
محبتاتهم وفي عداوتهم وأطماعهم

قرية بني مصلان وطن «مارييتا»، و«توتي»  
و«سجارات» و«العم سانتو» ووطن بضع مئات  
على هذه الشاكلة

— ٢ —

«تيوسانتو» أو العم سانتو قد أعلن عزمه

قصرها وضيعتها لهذا الزوج القليل الوفاء ، وتركت للزوجة الثانية فراش منزلها الذي كانت مزهوة به في الحياة ... هل تعود تلك المسكينة من القبر لترى ذلك الفراش في حوزة من كانت الناس يتصدقون عليها بالطعام ؟

ابن ست وخمسين يتزوج من أجل الحب ! انظروا إليه كيف يرقص ، وأنصتوا إليه كيف يتكلم ، وراقبوا النظرة البلهاء التي تبدو على وجهه . إنه كالشباب الصغير عندما يعالج الحب للمرة الأولى

واتفق أهل القرية على أن الم سائتو فقد عقله ؛ وكان يحدث في الكنيسة في يوم الأحد من كل أسبوع ما يشبه المظاهرة ، فان أهل الزوجة الأولى يحضرون الصلاة ، وعند انتهائها يلتقون بصهرهم القديم وتثور ثأرتهم ، ويصفونه بأنه لص ... نعم إن قريبتهم أوصت له قبل الوفاة بكل ما تملك ، وانكسها كانت تعتقد أنه لن يخون ذكراها ، وهاهوذا يدفع بهذه الثروة إلى فتاة صغيرة — ومن نمط منحط — إن العالم ليعد خالياً من العدالة ، إذا سمح لابن السادسة والخمسين بأن يفعل هذا

وكان أهل القرية يجتمعون حول أهل الزوجة الأولى ، ويحثونهم على مقاضاة الرجل وفسخ عقد الوصية

وفي غير أيام الأحد كان مثل هذا الحديث يدور في المقاهي وفي الميادين العامة والشوارع ؛ وكان يشترك فيه حتى الفتيات من بنات الأسر الكبيرة اللواتي كن ينفذن أيديهن من حديث عاني يتعلق بالزواج لولا تحدث كل أهل القرية به

وكان أهل القرية يعلمون فضلاً عن ذلك أن لماريتا عشيقاً يدعى توني ويطلقون عليه لقب « الهلاهيل » لرثائه ملبسه ، وهو مثل حبيبته فقير معدم ، وقد كاد يتم زواجها منه لولا أنها أرجأت ذلك إلى أن يجد عملاً يكتسب منه وإلى أن يتخلص من أصدقائه وكلهم من عثمراء السوء

وكان من أغزر هؤلاء الأصدقاء رجل يدعى ديوميني يقيم في قرية مجاورة ويأتي لزيارته مرة على الأقل في كل أسبوع

وعلى حين فجأة أصبح أهل الزوجة المتوفاة يكرمون « توني » ويمزونه لأنهم على ما يظهر قد وجدوا فيه الرجل الذي يصلح للأخذ بثأرهم ؛ وكثر في القرية المغيظة من يكرم توني ويدعوه إلى مجالسه وطعامه وشرايه

وكانوا يقولون له ليستثيروه : « توني ! أما علمت أن ماريتا ستزوج ؟ » فينظر إليهم وذهنه شارد ، وينقل لغافة التبغ من أحد جانبي فمه إلى الجانب الآخر ، ثم يمدق في قارورة النبيذ ، وأخيراً يهز كتفيه ويقول :

« هم يقولون ذلك . لقد كان الأولى بهذا الشيخ الخرف ألا يتكلم عن الزواج إلا بعد تمامه »

وكان في هذا الجواب ما يقنع كل إنسان بأن أمرا سيحدث ؛ وكيف لا يحدث أمرا وتوني يتوعد هذا الوعيد وخصمه ليس بالرجل الضعيف ؟ إن الم سائتو قد انتخب عمدة عدة مرات . وقد رفع يده بالمصى على رجال أكبر وأقوى منه لأنهم وقفوا في سبيله

لذلك كان أهل القرية يترقبون ما سيحدث باهتمام شديد



- ٣ -

اشتهر العم سانتو بأنه من الذين إذا قاموا بأى عمل أدوه على وجهه الأكل . وقد ظهر صدق هذه الشهرة في اليوم المحدد لتوقيع عقد الزواج فقد وهب زوجته ثلاثمائة مثقال من الذهب تقدماً غير ثياب العرس وخواتم الخطبة والأمشاط وفراش المنزل وهو من مخلفات زوجته الأولى ، وغير تكاليف الوليمة التي دعا إليها المئات ، وغير الهدايا التي أرسلت إلى منزل أبيها على ظهور ثلاثة بغال . ولا تسلم عن المتاديل وزجاجات العطر والأواني الفضية مذهبة وغير مذهبة

وحضر الوليمة كل المشتغلين بالسياسة في الاقليم وعلى رأسهم نائب البرلمان

وأهديت الهدايا إلى العروس من كبار المدعوين ، فعد ما شئت من العقود وأمشاط الشعر والمصوغات المختلفة التي كانت تتلقاها وهي شديدة الخجل . أما أمها فكانت تبكي بكاء الفرح . وأما أبوها فقد لزم الصمت لأنه لم يجد الكلمات التي تفي بشكر ضهره على إحسانه التكرار

وكان موعد العقد في بيت والد العروس . وقد عهد بتحريره إلى « دون جوليان » وكيل العقود في القرية ، فجاء مع سكرتيه في عربة نخمة وأعدت له في منزل الراعي منضدة مذهبة عليها أربعة حوامل للشمع من الذهب الخالص . ودخل متكبراً من هوا ، ومن أحق من وكلاء العقود بالكبرياء وبالأزهر ؟ أليسوا هم المطلبين على أسرار القانون ؟ وأخذ يملأ على سكرتيه صيغة العقد وهو يتلفت يمنة ويسرة ، ويرفع النظائر ثم يضمه .

وفي الوقت الذي كانت صيغة العقد المدنى تملأ

هذه الكيفية كان القسيس مقبلاً ومعه بقية المدعوين من أصدقاء الأسرتين ورفعت هدايا العرس عن المناضد ووضعت بدلها أطباق الفاكهة والفطائر والأشربة الحلوة

وتنحني وكيل العقود ومسح ثيابه بمنديل ووضع حفنة من الرمل فوق الكتابة ليخففها . وأخذ يتلو ما كان عليه ، فلما وصل إلى اسم الزوج التفت إليه وأحنى رأسه فقهقه المدعوون . ولما وصل إلى اسم العروس التفت إليها وأعاد هذه الحركة فأعاد المدعوون الضحك . ولكن لما وصل وكيل العقود إلى ذكر شروط الزواج فعدد المزارع والمنازل الموهوبة والجياذ والبيغال علت أوجه الضاحكين منذ لحظة علامة الحسد . وكان المبتسم الوحيد هو الزوج فقد أتاحت له فرصة يظهر فيها غناه ويظهر حسن معاملته لزوجته . أما والد العروس فلم يستطيعا منع دموع الفرح ، وكانا يتخيلان أن على كل إنسان أن يقول لهما أنتما الأبوان الوحيدان الجديران بالتهنئة فقد ائتمنتما على ابنتكما من هو جدير بأن يؤتمن

وبعد توقيع العقد أديررت المرطبات وأخذ دون جوليان يتندر في حديثه بالطريف من القصص والفكاهات ويعرض في سخرية غير مكشوفة بالقسيس

وفي الساعة الحادية عشرة كان كل شيء قد تم . وذهب القسيس والعمدة سوياً . وتقدم العم سانتو إلى وكيل العقود وسكرتيه يدعوها إلى قضاء بقية الليل بمنزله

وكان الطريق بين المنزل الحقير الذي عقد فيه العقد وبين منزل العم سانتو طريقاً مظلماً ضيقاً .

وكانت الكلاب تنبح كلما دنا من بعضها فربق من المائدين . ولكن بقية القرية كانت في سبات عميق

وكان دون جوليان ومن معه يمشون في تودة ورفق حذر العثور بحجر يوقعهم في الطريق . وكان الأول يشعر بقلق شديد من مسيره في هذه الليلة الحالكه الظلام . وتوهم أنه رأى ما يريب في ركن من الطريق كأن به أحداً مختفياً يترصد بالسائرين سوءاً

قال بصوت خافت : « انظروا ! انظروا ! » وقبل أن يجاب على كلمته انطلقت رصاصة من ذلك الركن ففزع واستند إلى باب منزل مغلق . وكان الرصاص لا يزال ينطلق ويصيب الحائط فشعر جوليان بأن العرق يتصبب من رأسه

أما العم سانتو فكان واقفاً في وسط الطريق وهو يصيح : « أقسم بالله أنى أعرف من الذى فعل ذلك . إننى عرفتك أيها الكلب القذر »

ثم هز عصاه الغليظة منادياً باسم تونى وبأسماء أصهاره القدماء أقارب الزوجة المتوفاة

— ٤ —

كانت أجراس القرية تدق منذ آذنت الشمس بالشروق وكان الخبر بأن العم سانتو قد تزوج — قد وصل إلى أقاصى الاقليم . وكان الفلاحون مقبلين على ظهور الخيل والحجر ليقوموا بواجب التهنئة

كان منزل العم سانتو طول الأسبوع الساضى في حركة مستمرة لا تعرف الهدوء ، وهو الآن مبعث ضجة شديدة ، فالضيوف مقبلون من كل حدب ، والخدم غادون رائحون بالأطعمة والأشربة ، وجزار القرية

لا ينتهى من ذبح الدجاج والطيور . والعم باشكوال الخادم يبدى مثل مهارة الطبيب في تشريح هذه الذبائح . وناميك بشمور هؤلاء الضيوف حين يرون هذه الضحايا وحين يعرفون أنها طعام لهم وهم الذين يقضون العام كله لا يطعمون شيئاً سوى الخبز القفار أو مادوماً بالجبن أو اللبن

إن مثل هذه الوليمة بمد حادثاً لا يتكرر وقوعه في تاريخ القرية ، فقد يكون بين فلاحيهـا من يرى الطعام وهو بطبخ ولكن ليس فيها من يرى في وقت واحد عشرات القدور تحوى مختلف الطعوم لتقدم للضيوف بغير حساب . وليس فيهم من يرى عشرات القرب مملوءة بالنبيذ وليس على الراغب في الشرب إلا أن يشير فيؤتى له بالخمر المعتقة التى تقهر نشوتها أكثرهم اعتياداً على السكر وإدماناً . وأما الحلوى فقد ما شئت من صنوفها المشتهة

لقد كان كل شىء فاخراً نفياً وكان ديومينى نفسه مغتبطاً بالشراب فهو مدعوٌ وفي الحفل شراب يكفى فكيف لا بابى

وكانت الأجراس لا تزال تدق ، وآن موعد الموكب فسار ، وكان النساء في الثياب البيضاء ، والرجال في المعاطف السوداء ، وبين السائرين ديومينى ورأسه الى الوراء وأنفه متجه نحو السماء . وعلى رأس العريس قبعة جديدة من القطيفة ، وسترة ضيقة عند خصره النحيل ، وبجانبه مارييتا وما أجل تلك العروس وما أرشق ! إن أية عروس من أرق البيوت لا تستطيع أن تظهر في حفلة عرسها بظاهر أجل وأروع مما ظهرت فيه بنت ذلك الراعى الفقير كان على لبثها عقد من اللؤلؤ كعقود الأميرات ، وعلى كتفها طيلسان من أغلى الحرير وفي أذنيها



لم يعد يده الى الطعام اكتفاء بالنبيذ الذي يفرح منه أمام سائر المدعوين ، فكانت أعينهم لا تتحول عن الدجاج . ولأول مرة تناولوا الطعام كما يتناوله السادة ، فأمام كل منهم طبقه الخاص وزجاجته ، وعلى صدره فوطته أيضاً

وكانت مارييتا جالسة بجانب زوجها وهي تأكل مفقودة الشهية ، ووجهها شاحب وقد بدت عليه علام ألم واضطراب الأعصاب ، وهي تنظر نحو الباب كأنها تتوقع أن يدخل توني بين لحظة ولحظة ، وقد كان هذا الوغد جديراً بأن يقدم على أي أمر

وكانت تتذكر في ألم شديد وداعها إياه في المرة الأخيرة ، وتتذكر قوله لها إن أمانيتها ستغلب عليها في يوم ما فتهجره وتتزوج من أجل المال

لكنها الآن على رغم خوفها منه كانت مسرورة من توقعها أنه سيفار وأنه سيعمل مأتوحى به الغيرة ، وكان موضع سرورها من هذا التوقع أنه يدل على حبه إياها . وكان يسرها أن تكون محبوبة منه ؛ وإن فقدته فقدان الأبد

وقل ما بقي في الأطباق من طعام ، وضعفت الشهيات ، وبدأ التنذر بالفكاهات والأحاديث ، وتناول بعض من اشتد بهم السكر العروسين بالفكاهة والزاح ؛ فتضاعفت من أجل ذلك الضحكات ، وفي النهاية وقفت مارييتا وتناولت طبقاً ودارت به على المدعوين تطلب منهم (النقوطة) وسرعان ما امتلأ طبقها بالنقود الذهبية التي كانت تنهال على الطبق ، خصوصاً من أقارب العريس الذين يطعمون أن يتذكروهم عندما يكتب الوصية

قرطان كانت الزوجة الأولى تقصر تحليها بهما على الحفلات النادرة

واتجه الموكب في اتجاه الكنيسة وكان كل أهل القرية ينتظرون عند بابها ، وكان بينهم بعض أقارب الزوجة الأولى ، وقد استخفهم الفضول فتقصوا المهد الذي كانوا قد قطعوه على أنفسهم بأن يقاطعوا هذه الحلقة

ولكن لما مر الم سائقو أمامهم صاحوا منادين إياه بكلمة اللص ، فلم يجبههم بأكثر من ابتسامة دلت على نهاية الرضى والافتناع

ودخل ديوميني الكنيسة والناس ينظرون اليه ويتفامضون ، وبعضهم يتهامس باسم صديقه توني

ولاحظت العروس توني جالساً في الحانة التي أمام الكنيسة فأحنت رأسها واصفر لونها ولاحظه أيضاً الم سائقو فابتسم ابتسامة المنتصر فأجاب توني على هذه الابتسامة بحركة دالة على الاحتقار ، وآلم العروس أيما ألم أن توجه إليها هذه الحركة في يوم عرسها

وعاد الموكب من الكنيسة فدخل مئات من المدعوين إلى القاعة التي صفت بها مقاعد تحمل أطباق الشكولاته والحلوى ، ولكن الضيوف لم يتناولوا منها إلا القليل خشية من الشبع ، ولم يبق على موعد العشاء غير ساعة واحدة

وظهر ديوميني وفي يده قيثارة يعزف عليها ويصيح بالغناء ، وأقبل القسيس فجلس أمام المنضدة وهو يقول : « إن الشيطان نفسه لا يولم وليمة أبداع من هذه »

وجلس ديوميني أيضاً إلى المائدة ، ولكنه

بالسعادة . وعلى أثر ذلك عاد المدعوون من المدينة  
في الأزقة المظلمة وكان وكيل العقود نائماً منذ ساعة  
في ركن من الغرفة فأيقظه سكرتيره ولم يبق في  
المنزل غير أقارب العروسين

وأخيراً صاحت أم العروس بابنتها : « وداعاً »  
ولقد يخال من يسمع صوتها إذ ذاك أنها تودع  
راحلاً إلى القبر . وأما أبو العروس فكان لا يزال  
في مرحه وسروره وقال لزوجته : « إنك لم تكوني  
على مثل هذا الحزن عندما خرجنا من المنزل ، فلماذا  
هذه الكآبة ؟ » ثم فرق بينها وبين ابنتها وقادها  
نحو الباب

وذهب كل الخدم إلى حجراتهم وجلس العم  
سانتو وماريتا في الغرفة المختلة النظام التي كانت  
فيها الوليمة والتي لا تزال بها الشموع الموقدة .  
وظلا صامتين مدة طويلة ، ثم أخذ العم سانتو يباهي  
بانتصاره ثم يثنى على ثياب العروس

أما العروس فكانت تصني وكأنها تمثال ،  
ولكنها لا تفكر فيما تسمع بل في توفى رفيق شبابها  
ودقت الساعة فقال العم سانتو : « الساعة  
الحادية عشرة » ثم نهض وقال : « هذا وقت النوم »  
ومشياً نحو غرفة النوم ولكن العم سانتو  
ما كاد يصل إلى بابها حتى وقف فجأة لأنه سمع أصواتاً  
غريبة عن بعد تشبه اللق بمئات من العصي على  
الصفيح

واقترب الصوت ، وسمع وقع أقدام وعات  
ضحكات وسمع غناء ويوميني في وسط هذه الأصوات  
وصاح العم سانتو بصوته المنكر : « عرفتكم  
يا خنازير » ثم أخذ يضرب الهواء بقيضة يده وليس  
في المكان من يرى هذا التهديد غير زوجته

ولم يدفع القسيس غير قرش واحد ، معتذراً  
بأن الكنيسة لم تمتد تملك شيئاً في هذه الأيام التي  
سادت فيها الحرية

ولما انتهت العروس من طوافها على  
الضيوف ، ألقت بالمال الذي جمته في جيبها ، وقد  
أطربها رنينه

وأصبحت الوليمة الآن وليمة كما ينبغي أن تكون  
الولائم ، فالجميع يتكلمون في وقت واحد ، ثم  
نهض أحد المدعوين ورمى زجاجته على الأرض  
فتحطمت ، وكان ذلك دعوة منه للجميع باحتذاء  
حذوه ، فألقيت كل الزجاجات والأطباق  
على الأرض

وأراد أشدهم سكران أن يبالغ في المزاح ، دلالة  
على شدة السرور ، فأخذوا يقذفون العريس بقطع  
من الخبز المكسور ، وسرت المدوى بين الجميع  
فصاح العم سانتو : « كفوا عن هذا ! كفوا ! » ،  
ولكنهم كانوا من القسوة في مثل حالة المجانين ،  
فاستمروا واستمر يحذرهم حتى استحال صياحه  
إلى زجاجة ، وحتى هرع النساء اللواتي كن انسجن  
بعد جمع النقوط ليرين ما الخبر

وأخيراً عاد الهدوء ، عدا أن الصبيان الذين كانوا  
في الطريق تمسكوا من الدخول عن طريق النوافذ  
وأخذوا يجمعون ما تساقط على الأرض من الطعام  
الذي في بقايا الأواني المحطمة . وأخذوا يقرصون  
أرجل السيدات ، فصحن ، وتذمر العم سانتو فأمر  
بطرده الصبيان وأبدى لأول مرة تذمره من هذه الليلة

— ٥ —

في نحو الساعة العاشرة عاد المدعوون الذين  
جاءوا من قرى أخرى وهم يغنون ويدعون للزوجين



ولكن بعد لحظة ظهر في المكان نحو عشرين  
شخصاً على رأسهم توني وأقارب الزوجة السالفة  
ومن بينهم ديوميني الذي كان طول يوميه يتمتع  
بضيافة العم سانتو وبطرب المدعويين بالعزف على  
قيثارته . وشمر للعم سانتو بالواجب الذي توحى به  
المزة والكرامة . أليس هو أهم رجل في المدينة ؟  
أليس هو الذي اعتاد أن يأمر فيطاع ؟ فكيف  
إذن يكون منزله ميداناً لهذه السخرية ؟ أمن أجل  
أنه تزوج من فتاة صغيرة ؟  
وأخذ الجميع ينشدون لحناً محزوناً كأنهم في  
جنازة وصوب توني إلى رأس العم سانتو عصاه  
وضربه بها ، فتقهقر الرجل في ذلة ، واستطاع  
والدم يسيل من جراحه أن يدخل الحجرة فيتناول  
بندقيته ويطلق منها رصاصة في الهواء . فامتلات  
الغرفة بالدخان وبرائحة البارود ، ووقعت مارييتا  
على الأرض وهي في حالة إغماء وخرج المتظاهرون  
كما جاءوا  
وبعد قليل سمع طارق على الباب ومناد يصيح :  
« افتحوا باسم القانون ! »  
وتناقل العم سانتو في مشيته وفتح الباب ،  
فرأى الجندي ورأى أمام الباب جثة مخضبة بالدم ،  
هي جثة توني ، وكان المتظاهرون قد أبلغوا البوليس  
أن العم سانتو هو الذي قتله ، وذلك بعد أن رأوه  
قد انتحر . فقاد رجل البوليس العم سانتو إلى  
الحاكمة وهو يصيح : « يا لها من ليلة عرس ! »  
عبر اللطيف النشار

شركة بيع المصنوعات المصرية  
تعمل على احياء الصناعة المصرية وتروجها  
معرض دائم لمنتجات البلاد

تعرض المنسوجات الصيفية  
من جميع الأنواع : قطن - حرير - كتان  
بضائع جديدة لهذا الموسم

صنع شركات بنك مصر

التي أجمع الكل على متانتها وتفوقها  
شاهدوا مبتكرات الصناعة الحديثة قبل شراء حاجاتكم

# خيانه في رسائل

بقلم الأديب نجيب محفوظ

وما أبأسنى . . . ١  
« كيف . . . ؟ »  
« لن أسعد بقراءة  
كلمة لك طوال مدة غيابي ،  
لأنك لا تستطيع أن  
تكتب إلي ، أما أنت  
فتستطيع أن تطلع على

همسات روحي كلما مكنتني الفرص من اختلاس  
الكتابة اليك . . . فأينا أسعد حظا . . . ؟ »  
« من تواتيه فرص التعبير فيخفف عن  
مراحل عاطفته »  
وهنا ظلت وجهه سحابة كدر ، وسألها  
بعد تردد :

« هل لك أبناء عم ؟ . . . »  
فابتسمت ابتسامة دلت على أنها سرت للقلق  
الذي بعث هذا السؤال وأجابته :  
« نعم لي . . . ولكنهم لم يجاوزوا عهد  
الطفولة ، ولو كان الأمر كما تتوهم ما أوجب أدنى  
خوف أيها الرعيد الغيور . . . والآن هات فك  
أودعك . . . وهيا نقول مما هذه الكلمة المروعة  
التي تفرع لها القلوب :  
« أستودعك الله . . . »

من الغد يصبح له في قنا حبيبان عزيزان :  
حبيبة القلب عائدة ، وصديق الصبا وزميل عهد  
الدراسة الأستاذ أحمد مرزوق المدرس بمدرسة  
قنا ، ولكنه ينما يتصل بصديقه بالكتابة فهو  
محروم بحكم الظروف من تمام هذا الاتصال الروحي  
بحبيته ، لأن حبهما ما يزال سرا خفيا لما يدر  
بأضه الأهل . . .  
وانقضت أربعة أيام على سفر عائدة ، ثم وصله

« هذه أول أزمة تصيب حينا ، نعم طالما آلمني  
الفراق الهين ، وأجهدني الشوق إلى اللقاء ، وعذبني  
الدلال ؛ أما الوداع ، أما الرحيل إلى قنا ، فهذا أمر  
جديد ، يدفع إلى نفسي شعورا بالحزن لا عهد لها  
به ، فهلا عدلت عن هذا السفر . . . ؟ »

« لو كان الأمر إلى ما رغبت نفسي أدنى رغبة  
في السفر ، فما أحفل بقضاء الشتاء في أعالي الصعيد  
بعض احتفالي بالقرب منك كما أوصل هذا اللقاء  
السميد ؛ ولكن ما حيلتي وهذا ما يريد أبي ويفعله  
منذ أحيل إلى المعاش . ولقد اعتاد أن يمضي شهرا  
أو شهرين من الشتاء في قنا عند عمي الدكتور . . . »  
« يستطيع عقلي أن يتصور المعجزات ،  
ولكن لا أستطيع أن أتصور ما عسى أن تكون  
عليه حياتي هذين الشهرين ، فهذا الحب غدا حياة  
لشعوري ، وهذا اللقاء أمسي ألفة لنفسي ، أجد فيها  
راحة بعد تعب ، وعزاء عن شوق دائم ، فما عسى  
أن أصنع . . . بل ما يكون زادي وسلوتي . . . ؟ »  
فوضعت يدا خيرية ناعمة على كتفه ، وداعبت  
بأطراف أناملها خده ، وهمست في أذنه :

« هذا شعوري وهذا حزني ، ولولا كراهيتي  
للعزاء لنصحت لك بالتمزي والتلوي ، فليس أمامنا  
سوى الصبر الجميل حتى ينطوي دهر الفراق  
ويتصل جبل اللقاء . . . ومع هذا فما أسعدك



منها كتاب جاء فيه :

« حبيبي حسنى !

أعجب لهذه الوحشة كيف تجثم على صدرى وأنت مى . . . نعم أنت مى لم تفارقنى لحظة سواء فى نخبج النهار أو فى سكون الليل ؛ مى وأنا أرسل الطرف من نافذة القطار أشاهد الحقول الممتدة وأشجار النخيل المبعثرة ؛ مى وأنا بين أهل عمى ألتقى الأحاديث وأرد عليها ، وأضحك هذا وأسمع لذلك ؛ مى فى كل مكان وكل حين ، فلا عجب لنفسى بعد ذلك أن هزها الحنين إليك أو استشعرت وحشة وضيقا فى البعد عنك ، أو ألهبها الشوق عذاباً وجوى

وأرجو ألا تهمنى بالنكاسل عن الكتابة إليك فبيت عمى عامر بالأطفال وهم لا يتركوننى لحظة أخلو الى نفسى ؛ وقد انبعثت كلمات هذا الكتاب من شعورى وامتلاً بها عقلى وتمثلت فى حوامى وحفظتها عن تظهر قلب قبل أن تواتبنى الفرص فأسطرها لك خلسة على ضوء القمر المتسلل من نافذة حجرتى والعيون قد أغمضها عنى المنام . . . فاعذرني إن تأخرت عنك رسائلى وأرجع إن شئت إلى قلبك فاعتقادي أنه على عليك عن لسانى ما أحب أن أقوله لك دائماً

أما عن قنا فجوها دافئ جميل ، وخلادك فنحن فى منفى ، ولولا ما يربحه أبى فيها من صحة وعافية ما تركته يسكن إليها لحظة من الزمان »

فأخذ من الكتاب كل ما استطاع أن يمنحه من العزاء والسلوة والسعادة

وكان صديقه مرزوق لا ينقطع عن مراسلته وإن خلت كتابته من الطرافة والجدة ، فهي التحيات المحفوظة وبث الأشواق والتلف على

إدبار العام الدراسى وإقبال العطلة الصيفية ، إلا أنه أضاف الى هذه المحفوظات فى آخر كتاب له مانصه :

« طالما قلت لك إنى أعيش فى قنا كما عاش أبونا آدم قبل أن يخاق الله منه أمنا حواء ، لا يقع بصرى على وجه امرأة قط ، وإن كنت أرى أحياناً بعض الأصدقاء يشيرون إلى كتلة من الثياب السوداء الملقوفة تسير كعمود من الدخان الكثيف وأسمهم يقولون : انظر الى هذه المرأة . . . ولكن وقع بالأمس ما بعد حدثاً تاريخياً فى حياة قنا ، إذ حضر الدكتور سامى حسنى مفتش الصحة الى البستان العموى وفى صحبته غادة جميلة سافرة الوجه ، فهز البلد وزلزل كيانه . إنه رجل جسور لا يعبأ بأراء المترمين ، وتجده دائماً على استعداد للرد على تطفل المتطفلين بما يجعله مثلاً وعبرة ، ولم يلبث أن شاع الخبر وملاً الأسماع فهرع الشبان الموظفون من مدرسين ومهندسين وكتبة الى البستان وهم يسوون أربطة الرقبة ويحكمون أوضاع الطربوش على رؤوسهم ، فلورأت البستان حين ذاك لحسبته حديقة غناء فى مصر الجديدة أو قصر النيل إنها شابة جميلة تحمل فى طياتها عطر القاهرة العبق ، فليهنأ قفر قنا بهذا القطر العذب . . . »

نفخ قلبه لدى مطالعة الكتاب ولم يداخله أدنى شك فى معرفة صاحبة الشخصية الجميلة التى أثارَت لوعة الشباب فى قنا

يا له من كلام يحمل فرحاً والمآ والألم فيه أكثر ! أيجوز أن تسمد قنا ومن فيها بحبيبتيه ويبقى هو فى القاهرة تسيل نفسه حشرات عليها . .

وهم أن يكتب لصديقه كتاباً يعلن فيه بأن الفتاة التى هز مقدمها قنا هى حبيبته اليوم ، ثم خطيبته وزوجه غداً ، ولكنه جفل من هذا

ولتعلن بعد حين في أى نخباً من نخبى القدر كانت  
تنتظره هذه المفاجآت ... »

ما هذا الذى يقول مرزوق من أن عينيه  
تجذبان إليه عينها ؟ . إن لعيني مرزوق أن تجذبا  
كيف تشاءان . أما عينا صاحبه فتأبها فتجذبان  
وتستجيبان ؟ ... هلا يكون ذلك مجرد نظر برىء  
فسره صديقه على ما يهوى غروره ويحب ؟ ...  
إنه لا يشك أبداً في إخلاص عائدة ، ولكن ينبغى  
ألا ينسى أن لصاحبه عينين جيلتين يحس الناظر  
إليهما سخونة في أعصابه ولذعة في قلبه ، وهو  
— إلى ذلك — مدرس محترم من حملة الدبلومات  
المالية ، ومن ذوى المستقبل السعيد . أما هو فلم  
يزد على أن يكون موظفاً صغيراً ، كل مؤهلاته  
شهادة البكالوريا ، ومستقبله مظلم محدود ، أفلا  
يكون لجميع هذه الفوارق أثر في الحب ؟ ..

إنه يشعر بحزن عميق يخيم على نفسه فيجعلها  
من السكابة كنفس هرم متشائم ، ويحس بسم  
الغيرة ينطلق من قلبه ويلوث دمه ... أواه ... إن  
أحلامه وآماله تترجع على كف رجيم ...

وفي ذلك الوقت أتاه كتاب من عائدة ،  
فانكب عليه بلهفة ، وتلاه مرة بعد أخرى ، ولم  
يكن يخرج في معناه عن رسالتها الأولى ،  
فتزعزعت شكوكه ، وعاودته الثقة ، وذاق بعض  
الطمأنينة والشفاء ، وحمل غرور صديقه إثم ما جنى  
عليه كتابه من الشك والمذاب ، ولكنه تسلم  
رسالة من صديقه بعد ذلك بأسبوع ، جاء فيها :  
« كن على يقين من أن العاطفة النامية لم تعد

قاصرة على جانب واحد ، فمينا الفتاة — واسمها  
عائدة — تقتحجان الحاضرين من الشبان وتستقران  
على أنهما . إنى أظالع في وجهها عند حضوري سيما

الاعلان ووجد رغبة خفية أن يكتمه إياه وأن يطلب  
منه أن يوافيه بأخبارها التي تستحق الرواية والحديث  
لقد تردد لحظة وطرح على نفسه هذا السؤال :  
ألا يعد هذا تجسسا منه على حبيبته ؟

وهل يجوز هذا في شرع المحبين ؟ . أو ليس  
الأفضل أن يربأ بنفسه عن أن يضع صاحبه موضع  
الاثام والظنة ؟ ..

ولكن عاطفة الندم هذه لم تستطع أن تقهر  
عواطف قلبه الجياشة السوداء فطردها من نفسه  
وكتب الى صديقه بما أملت عليه شكوكه من  
بإدى الأمر

وبعد حين وصله كتاب ثان من صديقه جاء  
فيه عن عائدة ما يلي :

« تغير كل شيء في قنا وكل شيء في حياتي .  
لم تعد قنا قبرا موحشا فاغرا فاه مكشرا عن أنيابه ؛  
ولم تعد حياتي سأمأ ثقيلا متصلا . كيف لا يكون  
هذا وأنا مطمئن إلى أنى سأحظى أصيل كل يوم  
برؤية ذلك الوجه السافر البتسم الذى يحيى موات  
النفوس ، ويبعث مصفر الأمل ... ما أجملا ،  
وما أعذبها ...

علمت الآن أنها ابنة أخى مفتش الصحة ، أو  
هذا ما علمته قنا عامة وعلمه شبابها خاصة . إن  
جميع الميون تلهمها التهام الجوع ، فلعل هذه  
الضجة تثير الغيرة في نفوس الآباء الموظفين ،  
فتشجعهم على الاستهتار بتقاليد الصعيد وأهليه ،  
وإبراز بناتهم للعيان ، ومهما يكن من الأمر  
فنحن الراجحون

لا تخش على أخيك من قهر ، فهو بطل صنديد  
وشخصية لا يشق لها غبار ، وإن عيني لتنفذان  
من بين الميون جميعاً وتجذبان عينيها إلى ، فصبرا



بالحقيقة السافرة ويضع آماله بين يدي شهامته وما يمهّد فيه من الاخلاص والمروءة ، ولكن كبريائه تأبى عليه أن يكون في حبه من المسترحمين السائلين ، وهو يندفع برغبة جنونية نحو جحيم العذاب كأنما غدا يستطيب النار الموقدة ؛ وأبى إلا أن يمرض حبه لأقصى امتحان . فلما إلى نعيم الطمأنينة ، وإما إلى أهوال العذاب ، وعليه فقد تمالك وكتب إلى صديقه :

« إذا كانت ثمرة الحب ناضجة فاقطفها بلا تردد ، فان حكمة الدنيا لتذوب حسرة على ثمرة حب ناضجة يزهد فيها الانسان ، أقدم ولا تبال بالنتائج البعيدة ، وتمتع بالحب في منفي قنا ولا تحمان نفسك هموم التفكير في الغد ، ولا تغفل عن تزويدك بكل جديد فاني أصبحت من تتبع حبك على حب شديد »

وانتظر رد صاحبه بصبر نافذ وجزع لجوج ، حتى وافاه منه كتاب جاء فيه عن عائدة ما يلي :

« بوركك من حكيم سديد الرأي ! لقد اتبعت نصحك أيها الأخ ، وضربت لها موعداً همساً ، ووافيت إليه في صباح اليوم الثاني وأنا حائرة بين الشك واليقين ، بين اليأس والأمل ؛ ولكن لشدة ما كان فرحى عندما رأيتها قادمة ! والحقيقة أنها كانت مترددة مذعورة على رغم خلو المكان الذي يوحى بالطمأنينة في خفية عن أعين الرقباء ، وبلغ بها الذعر أنها صرت بي غير ملتفتة إلى يدي الممتدة كأنها جاءت لغير موعدى ، فتبعتها وحييتها وطمأنيتها حتى قالت لي مضطربة :

« لا أدري كيف جئت .. كيف أطعته .. إنني مضطربة ... » فهدأت خاطرها وسكنت اضطرابها ولاطفتها بما أوتيت من بيان ومران وحساس حتى أفرخ روعها واطمأنت

الشوق والتطلع تحاول أن تخفيها بعدم أكثر من مفتعل ، وأقرأ في عينها استجابات خفيفة لرسائل الهيامنة اللتهبة ، وأستشف أحياناً على فمها ابتسامات خفيفة ، ولعلها تخاطب عمها أو أحد أبنائه الصغار بصوت مسموع وهي تعني . لا تدهش لأقوالى هذه فاني أطاردها في إصرار ، وأتبعها في عناء ، وأخاطبها بصوت مكتوم تنبئ عنه شفتاى المتحركتان ، وأبعث إليها بإشارات الشكوى والرجاء ، وقد اقتربت منى مرة وهي تلاعب طفلاً من أبناء عمها وسمعتها تقول له أو لى إن شئت : « دائماً في أعقابى ، فإذا تصنع لو رجعت الى مصر ؟ ... » . فقلت لها بهمس مسموع : « لعلك لا تعودين ... » ، إنها كلمة ذات مغزى خاص إذا قالها شاب أعزب موظف مثلى . وقد كان لها الأثر الجليل . والآن أفتنى فانك خبير طبيب عالم بأحوالى ، هل أقدم أم حسبي ما ذقت من لذة بريئة وأولى ظهري ودا لن ينتهى بالشام ... ؟ إن ثمرة الحب ناضجة دائية تنتظر من يقطفها فما رأيك ؟ ... »

يا للظلام ... يا للألم الساخر ... عبثاً يحاول دفع هذه الآيات بالشك والتكذيب ، فعائدة بلا ريب هى التى لا تستطيع مقابلة الشوق بالتستر وعدم الاكثرات المفتعل ، وهى التى تحدث الغير وتعنى المجدود من الرجال ، وهى التى تجيب عينها بالاجابات الخفية ... وهى تسكرها سيرة الزواج فيا للظلام ويا للخيبة القاتلة ... والأدهى أنه يريد منه أن يكون مستشاراً في مأساة قلبه ... ولعله يرجو أن يشير بما يقطع خيط المنكبات الذى يمسك بكفة أحلامه وسعادته .. فيا للسخرية ! من المستطاع أن يحاول انقاذ سعادته فيمان صديقه

وكتب إليه في رسالة أخرى :

« معذرة أيها الصديق عن تأخير غير مقصود ؛  
والحق ماذا أقول لك ؟ .. فالحياة الجميلة هي ..  
لقاء فأحاديث ، فداعبات فتقبيل وعناق ، قوداع  
واقاء . إنها غدت مجنونة بي ، وكلما مرت ساعة  
اشتد بها الجزع وتكاد تنطق جوارحها : أن اذهب  
إلى والدي وخاطبه في حبنا لأكون لك طول العمر  
إنها أمنية طبيعية ولكن ما كل ما يتمنى المرء  
يدركه .. »

ثم كتب إليه بعد حين :

« قومت الألفة تلثم الحياء وصيرت التلميح  
تصريحاً وأمست عائدة تابع على أن أكرم أباه  
لتتخذ علاقتنا الصبغة الشرعية المقدسة ، وكانت  
حياتي تكون السعادة نفسها لولا هذه المنغصات  
والحق أني أجد بين يديها سعادة صافية جعلتني  
شديد العطف عليها ، وبعثت في الضمير ألماً مبرحاً .  
وإنه ليسوءني ما أبيت لها من نية الغدر والهجر  
لأنني في الحقيقة لم أرفها أكثر من ملهاة ممتعة  
أسكن إليها في هذا المنفى القصى . وما أشبه غرامي  
هذا بغرام الرحالة الجواب تتعدد وعوده تعدد  
ما يجوبه من البلدان . وما يثير النفس يا صديقي أني  
— أول أمس على أثر عودتي من لقائها — جلست  
إلى مكثي شارداً أقلب بعض الكتب فما راعني  
إلا ديوان شوقي تنشق صفحاته عن صورة حفظها  
فيه وكدت أنساها ، هي صورة خطيبي بوجهها  
الصبيح الجميل وقد سطر على ظهرها بخط جميل  
« تذكرك الوفاء » فكانه سوط عذاب ألهمني نارا ،  
ألا فليغفر الله ما تقدم من ذنبي وما تأخر أيتها  
الحبيبة ! والحق لقد اضطرب فؤادي وألقيت على  
الصورة نظرة دغر سريمة ثم أخفيت عنها عيني أو  
أخفيت عيني عنها لأنه وقع في نفسي أنها تعلم بخبيثتي

لقد تحدثنا طويلاً ، بل طويلاً جداً ، ولو أردت  
أن أسطر لك ما دار بيننا ما انتهيت وما وسعتني  
الأسطر ؛ فحسبك أن تعلم أنها فتاة جميلة رشيدة حلوة  
المعشر ، مهيبة الطبع ، وإن كانت تغلب عليها حدة  
الاحساس وتوقد العاطفة والذهاب مع الخيال .  
وقد حامت بمهارة حول موضوع الزواج فخاريتها  
بخفة ولباقة لا تهويان بها إلى قرار اليأس ولا تعلمان  
بها إلى عقد البثاق ، وعند الافتراق تناولت منها  
قبلة شبيهة خلت لحلاوة جدتها أنها أول قبلة  
تناهها شفتاي ... »

انتهى الأمر ، وتبددت الأحلام ، وخابت  
الآمال وقضت على قلبه الذي انتهى طويلاً بأفراح  
الحب أن يتجرع آلام اليأس والخيبة  
وانقطعت عنه رسائلها ولكنه كان على علم  
متصل بأحوالها من رسائل صديقه التي جاءت تترى  
وقد كتب إليه في إحداها :

« أنا — باختصار — سعيد جداً ، فحياتي  
ملينة بالبهجة والسرة ، وعائدة خير عزاء عن  
الوحدة والوحشة في هذا المنفى السحيق ، وإني كلما  
أذكر أني سأحرم هذه المتعة بعد شهر يشيب شمري  
من الهول ، وأضرمها إلى صدري بشغف ، وأتلمس  
منها قبلات متهبة كأنني أختزن منها ما أعود إليه  
عند الفراق . أما هي فتعتقد أنها لن تعود إلى القاهرة  
أو أنها تعود لكي ترجع إلى إلى الأبد ، فمن يدريها  
أن لي خطيبة تنتظرني في القاهرة من سنوات  
طويلة ... »

وبهذه المناسبة أقول لك إن عائدة من اللاتي  
وهبن الله دلالاً وفتنة ، ولكنها على قدر غير هين  
من الاستهتار والنزق ؛ أما خطيبي فتشابة حبيبة  
هادئة الطبع وعلى خلق عظيم ، وإني أذكرها للزواج  
وأنا سعيد »



من هذه الفتاة التافهة الثمارة التي لم يميزها الله إلا بمظاهر الجمال البتذل لا يلبث أن يتبخر أثره في الهواء . ومهما يكن من الأمر فإن ينقضي أسبوع حتى تكون الأنسة عائدة في طريقها إلى حيث ألفت »

\*\*\*

قرأ جميع هذه الرسائل - رسائل صديقه وقاله - بامعان شديد

وكانت تتسلط على نفسه في ذلك الوقت عاطفتان : عاطفة حزن عميق وشهور حاد بالخيبة والغيرة وانهيار الأمل جعلته لا يذوق لذة في اليقظة ولا راحة في السهاد ، وعاطفة تشف وانتقام أن تنتهي بها الخيانة إلى مثل ما انتهت به الحال من خيبة أمل وانهيار صرخ سعادة ...

ولم يفرط في واحدة من هذه الرسائل التي سجلت تاريخ أكبر هزة عنيفة امتحن بها شبابه فجمعها في رزمة وحفظها في حق عاكي جميل ووضعها في مكان أمين وانتظر ...

جاءته رسالة مقتضبة من عائدة نفسها تعلنه بقدمها وترجوا أن يذهب للقائها في موعدها الموعود عند العصر ...

وفكر في أمره طويلاً ، تفكير من تسيطر عليه عاطفة مسمومة ونفس جريحة حتى انتهى من أمره إلى تدبير ، فذهب إلى الموعد في الساعة الموعودة ، ولم ينتظر هذه المرة لأنه وجدها في انتظاره ، واستقبلته بيدين مفتوحتين وابتسامة مشرقة ، فضمها بين ذراعيه ولثم شفيتها وهو يبتسم ابتسامة كلفته غالبا من الجهد وضبط النفس

وجلسا إلى نفسيهما كما كانا يفعلان في الأيام الخوالي السعيدة ، وسمعا تقول بفرح فائض : « وأخيراً »

وأنها تصوب نحوى نظرة لا تعيش أمامها الخيانة » وكتب إليه في رسالة أخرى يقول :

« لست فتى عصرياً كما كنت أعتقد ، ولو أنى كنت كذلك لما هالني القدر ولا كبرت على نفسي الخيانة واسهل على اصطناع الوداد للفتيات اصطناع تحيات الصباح والمساء ، ولهذا تجدني معذبا موزع القاب فلا أنا بالراضى على نفسي لأنى نكثت ميثاق خطيبتي ولا أنا بالسعيد بما ألقى من حب عائدة التي رمانى تفانيها في هاوية من الندم

ولا يخفى عليك أن الملل عرف طريقه إلى نفسي وأنى بت منه في سقام ، وقد كانت ذلك مقدوراً ولكن ما الذى عجل به ؟ .. لعله ذكرى خطيبتي ، أو لعله أنى أقبلت على عائدة إقبال منهوم جائع فامتصبت حلاوتها في رشقة ، أو ربما كان ذلك لأن جالها طلاء لا يخفى من ورائه شخصية ذات بهاء وجلال » ثم كتب :

« أمسى اللقاء غير ذى متعة ، لأنى من ناحية بت أعانى من السأم وارهاق الضمير ، ومن ناحية أخرى فالفتاة تصر على مخاطبتي في شأن الزواج ولا تكاد تصبر عن هذا الموضوع فرمت بي في الحرج والحيرة ، وبنتهى موعد اللقاء ونحن لم نفرغ من الجدل المقيم والتضييق السقيم والاعتذار والتهرب المفضوحين »

وأخيراً كتب إليه يقول :

« لأول مرة أخلف اليعاد ، وإنى لأعذر نفسي وأغبطها ، وأرجو أن تفهم الفتاة أن هذا منى اعلان بالقطيعة ، ولم يكن من هذا بد بعد أن بلغنا في علاقتنا موضعاً ينبى أن يتقرر فيه الصير ، فاما إلى عين وإما إلى شمال ، وما كان ينبى أن أختار من جديد ، وما أحببت ذلك قط فان خطيبتي تنتظر أوبى بفارغ الصبر وهي أكرم على نفسي

فاعتقادي أنه لدينا ما يلزم لنا حديثه أكثر من هذا ... »

« طبعاً .. طبعاً .. ولكن وأسفاه قد قدر على أن أحرم هذه اللذة الليلة .. لأن أمي مريضة وينبغي أن أكون إلى جانبها سريعاً فلنؤجل هذا الحديث الممتع إلى المرة القادمة فنظرت إليه قلقة وسألت :

« مالك ؟ لست كهدي بك ! تقول إن أمك مريضة ؟ لا بأس عليها .. أمضطر أنت إلى الذهاب إليها حالاً ؟ »

إنه يحس برغبة شديدة تدفعه إلى الانفجار لينفخ عن صدره بعض غليانه المكتوم وحقد المدفون ، ويود لو يجبه هذا الرياء بما يمزق قناعه ويهتك ستره ويفضح شناعته ، ولو فعل ما جنى على الرحمة والعدالة ، فن حقه أن يصب جام غضبه ويثار لآلام قلبه ويمحق الخيانة والسكر السيئ

ولكنه كان قد انتهى من أمره إلى مرفأ لا يريم عنه ، وكان بطبعه هادئاً رزيناً كتوماً يبد فيه العقل الهوى وتتغلب لديه الحكمة على الثورة ، فغالب دواعي الغضب في نفسه حتى أسكنها وقال بهدوء غريب :

« إنني تعب مهموم مكدود الذهن ، ولولا شدة توقي لرؤيتك ، ما هان علي أن أغادر أمي ، وهي طريحة الفراش ... فلنفرغ من هذا اللقاء ولو على مضض ... والآن اسمحي لي أن أقدم إليك هدية جميلة : هذا الحق العاجي ... ورجائي ألا تمس به إلا حين خلوتك إلى نفسك في غرفتك لتحظي بالمفاجأة السعيدة في غيبة عن أعين الرقباء ... وإلى اللقاء القريب أيتها الحبيبة ... »

نجيب محفوظ

لسانبيه آداب — القاهرة

فردد قولها : « وأخيراً » ثم نظر إليها بعينين مبتهجتين تخفيان دهشة وقال لنفسه : يا عجبا ! ما أقدر كن أيتها النساء على إخفاء مشاعر كن وتكلف ما ليس بكن ! وانطلقت هي تقول :

« أستطيع أن أخبرك كم ثمانية غبتها عن طوال هذه المدة الثقيلة لا أرجعها الله »  
« الذي يبدو لي أن استغراقك في حساب الزمن شذاك عن الكتابة إلى »

« أتسخر مني ... آه لو تعلم كم كانت تكلفني الرسالة أكتبها إليك . كنت أتسلل إلى مكان قصي بالبيت كي أخفي نفسي عن أعين أبناء عمي ... فيجدون في أثرى ويبددون عزاتي ويفزعون أخيلتي المنسجمة وعواظني الحارة ، فاذا انتهيت منها احترت كيف أسلمها إلى صندوق البريد »

« ألم يكن الخروج هيناً عليك ... »  
« أحياناً مع عمي »

« لم لم تخرجي في الصباح وعمك في عمله والجو خال ؟ »

« لو فعلت لكان أمراً مثيراً ... والشبان هناك جائعون أراذل عديمو الشرف ... »

« يا سلام ! ... »

« نعم يا عزيزي ... »

فهز كتفيه وقال وهو بنعم فيها النظر :  
« أرى عذرهم يدينا ... فن يطالع هذا الوجه الجليل ولا يقهر على الحب قلبه ؟ ولكن ماذا صنعوا معك حتى استحقوا عندك هذا الحكم القاسي ؟ »  
فصمتت لحظة ثم قالت :

« إنها صفائر مألوفة لا يني عنها الشبان ... ولكنها ليست بذى بال ... فلندع هذا الآن ... »



وترفق صورة من هذه الأسئلة والأجوبة مع تقرير  
وجيز بالقطر ميز الحاوي « لعينات » القى والبراز  
لإرسالها للتحليل . هذا مع عدم نسيان قص أظافر  
المنهم ، وقص جيوبه وإرسالها كذلك داخل أحراز  
مختومة للتحليل الكيماوي . إذ كثيراً ما تكون  
آثار الزرنيخ عالقة بالأظافر والجيوب . وناديت  
كاتب التحقيق وأمرته بتهيئة اللازم للقيام وطلبت  
إليه الاستمارة المذكورة ألقى عليها نظرة وأندكر ما فيها .  
فأحضرها وأحضر معها التعليمات فقرأت ما يلي :  
« فقرة ١٤١ — عند إرسال الأحراز إلى القلم  
الطبي الشرعي ... على النيابة أن ترسل في آن واحد  
للنائب العمومي ... الاستمارة الآتية بعد استيفاء  
جميع الخانات بالضبط :

(١) تاريخ التبليغ عن الحادثة

(۲) اسم المصاب وعمره وجنسيته

(٣) هل كان المصاب في صحة جيدة قبل الإصابة ؟

(٤) الأعراض التي لوحظت: كالقيء ، الاسهال  
الآلم ، العطش ، ألم الرأس ، الدوار ، فقد قوة  
الأطراف ، التقلصات ، النعاس ، العرق ، التيبس  
حالة الحذقتين ، النبض ، التنفس !

( ٥ ) هل كان المصاب يشكو من مذاق خاص في فيه من الطعام ؟

(٦) هل حصل للمصاب تخدير أو تنميل  
بلسانه أو أطرافه ؟

(٧) هل حصل المصاب غيبوبة ؟  
(٨) هل حصل له تشنجات أو التواءات بالفضلات ؟

(٩) هل ظهرت الأعراض فجأة ؟  
(١٠) هل سبق أن حصل للمصاب حالة تشبه هذه ؟



يَوْمَئِذٍ أَنَا فِي الْإِزَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

۲۱ اکتوبر ...

ما كنت هذا الصباح أرشف فنجان القهوة  
على مكثي حتى وردت إشارة تليفونية بوقوع حادثة  
تسمم في دائرة المركز : امرأة تناولات من مطلقها  
فطيرة فظهرت عليها الأعراض ، وهي تهمة بسمها  
للتخلص من النفقة الشرعية . كلام معقول . ومسألة  
تستدعي التحقيق من غير شك . ولكن من جهة  
أخرى أعرف قضايا التسمم . وما فيها من «قرف»  
خصوصاً على الصبح . وأعلم أني سأنتقل فأجد امرأة  
عامة في بركة من القيء والبراز . وكلما وجهت إليها  
سؤالاً تلقيت جواباً لا من الكلمات بل من ال...  
أعوذ بالله ! ولم أملك وأخرجت مندلي وبصقت  
فيه . وجمعت أفكر في إحالة هذه القضية على  
المساعد . وطلبتة بالفعل فحضر فسلمته الإشارة ، فر  
عليها بنظرة سريعة وصاح :

— تسمم ! وأنا عمرى حققت قضايا تسمم أو  
حتى حضرت تحقيق التسمم !

كلامه هو الآخر معقول . خصوصاً التسمم .  
حتى أنا القديم المتفرن ، لا أستطيع تحقيق هذه  
القضايا إلا ومي « الاستمارة » المنصوص عنها في  
تعليمات النائب العمومي . هذه الاستمارة فيها أسئلة  
معينة بالذات لابد من سؤالها وتلقى الجواب عنها .

(١١) الفترة بين تماطى المادة المشتبه فيها وأول ظهور الأعراض ؟

ملاحظة - يجب ذكر تواريخ واضحة وساعات معينة عما تقدم أى أنه لا يقال مثلاً بعد اليوم الثانى بثلاث ساعات أو فى يوم ( الاثنين ) بل يقال مثلاً ابتدأت الأعراض فى الساعة ٤ بعد ظهر يوم ١٦ شهر كذا سنة كذا وأول ما لوحظ منها هو كذا وذلك فى الساعة ٣ مساءً أو صباحاً بالضبط ... «  
شئ جميل جداً !! كل هذه الأسئلة ينبغى أن تطرح على مصاب لا يعرف رأسه من رجليه .  
والأعجب من ذلك أن نطالبه بأن يخبرنا بأن الأعراض ابتدأت فى الساعة كذا بالضبط . إذ لا ينبغى أن يقال مثلاً فى يوم ( الاثنين ) . بل على هذا المصاب المسكين الفارق فى متحصلات جوفه الشاعر بالدوار وفقد قوة الأطراف والتقلصات والنعاس الخ الخ . باعتراف الاستمارة ... على هذا الرجل أو هذه المرأة الفلاحة الساذجة التى لا تحمل فى جيبها ساعة وربما لم ترفى حياتها الساعة أن تقول لنا إن الأعراض لوحظت أول ما لوحظت فى الساعة ٣ والدقيقة بالضبط !!

النهاية . قمنا نصب هذه الأسئلة على رأس المرأة المسمومة . واصطحبت معى المساعد يشاهد حتى تزول حجبته فى المستقبل . غير أننا ما كدنا نتحرك حتى وردت إشارة تليفونية أخرى قدمها إلى الحاجب فقلت :

— نهار باين من أوله !

وقرأت فإذا هى إخطار من المستشفى الأميرى ب وفاة قمر الدولة علوان . فصحت : « مات الرجل قبل أن نعرف منه سر الموضوع » . وظللت قلماً وأشرت فى الحال على ذيل الإشارة العبارة المألوفة فى مثل هذه الحالة : « نأمر بتشريح الجثة » .

وقلت للمساعد أن يذهب هو لحضور التشريح وإفادنى بنتيجته بمجرد الفراغ منه . فضى هو إلى المستشفى . ومضيت أنا إلى منزل المرأة التى أكلت الفطيرة ؛ وكان الأمر فعلاً كما توقعت : وجدت المرأة فى صحن الدار وحولها جاراتها لم يتركن فيما يحيل إلى آنية ولا « حلة » ولا « كروانة » فى الحارة إلا أنين بها ووضعها تحت قم المصابة المطروحة أرضاً تتلوى وتحسرج . ونظرت نظرة إلى كاتب التحقيق فهم منها أن يفتتح المحضر ، وتقدمت بين الأوانى المعلوءة حتى دنوت من المجنى عليها وسألتها :

— اسمك وعمرك وجنسياتك ؟

فلم تجب . ولم يبد على وجهها الباهت المتقاص المضلات أنها فهمت عنى . فأعدت عليها السكر فى شبه صياح ، فلم يخرج من فمها غير أنين طويل ممزوج بشروع فى قء جديد . وقد أسرع بعض النسوة إليها يسندن رأسها المائل بأ كفهن ، وهن يتها مسن :

— أيوه يسيها فى غلبها !

فأجبت مؤمناً على منطقتهم وكأنى أخطب نفسى :  
— والله كان بودى أن أتركها فى غلبها ، لكن أعمل إيه ؟؟ قلم النائب العمومى فى انتظار الاستمارة والقطرميز !

وتشجعت امرأة لسنة بين النسوة وقالت لى :  
— « مش ادلعدي » حضرتاك طالب تعرف اسمها ؟ اسمها نبوية

— نبوية إيه ؟

— لا ما نعرفش غير نبوية . أهى فى الحارة كدنا نقول لها تعالى يا نبوية روحى يا نبوية ولكن هذا لا يكفى . ولا بد من كتابة اسمها كاملاً . فتوسلت إلى النسوة أن يساعدننى على حملها على النطق دقيقه واحدة . فتكأرن عليها ورفعن



النسوة إذا خالجنى طمع في أن أتلقى من هذه الطريحة جواباً بالساعة والدقيقة عن الأعراض والفترة بين تعاطى المادة وظهور أول ... إلى آخر هذا الكلام المطبوع على استمارة صنعت فوق مكاتب العاصمة في صفاء وهدوء بال بعيداً عن مناظر القى والاسهال : وأومأت إلى الكاتب أن « أقفل المحضر » وأفهمته أن المصابة لم يمكن استجوابها واكتفيننا بأخذ « عينات » القى والبراز وقص أظافر وجيوب المتهم . ثم عدنا إلى دار النيابة حيث ارتعيت على مقعدى تبعاً أغمضت عيني قليلاً ؛ ثم فتحتها على صوت الباب يفتح وقد دخل منه مساعدى أصفر الوجه . فأفقت من خمولى في الحال وابتدرته :

— مالك ؟

— التشریح

— آه حضرت العملية ، والنتيجة ؟ ؟

— النتيجة أنى أنا ...

وجلس على كرسي قريب ؛ فحدثت بنظري ملياً في وجهه . ففهمت كل شيء . إن هذا الشاب قد حدث له ما حدث لى يوم حضرت لأول مرة تشرح جثة آدمية . هذا الشاب الرقيق الذى خرج بالأمس من بين الكتب ؛ تلك الكتب التى أرتنا وأفهمتنا أن الانسان شيء عظيم ، إنه هو محور الكون ، وأنه المصطفى الملحوظ دون بقية المخلوقات بمعنى الخالق الأعظم ، وأنه السكان النوراني الروحاني الذى سوف يبعث ؛ هذا الانسان لم يتح لكثير من الناس أن يطلعوا على تركيبه من الداخل ؛ فإذا ما اطلع أحدنا على ذلك سرت في نفسه صدمة يختلف تفسيرها باختلاف مزاج الشخص وطبيعته وثقافته ؛ وإني لن أنسى أبداً يوم وقفت المرة الأولى على رأس جثة رجل أصيب في دماغه بعبارة ناري أطلق عن قرب فكسر

رأسها الذى لا يريد إلا أن يقع على صدرها وهمس في أذنها يرجونها الكلام وإجابة البك النيابة . وبعد ساعة بالتمام حركت المصابة شفقتها فاستبشرت النسوة وشجعنها رابات على كتفها :

— أيوه ... أيوه ردى علينا يا حبيبتي !

فأسرعت أصبح قرب أذنها وقد تعصب العرق منى :

— اسمك ؟ اسمك إيه بقى ؟ ...

فأنت وزامت وقالت في صوت خافت متهدج :

— اسمى ... نبوية

فكدت أشق ثيابى :

— مفهوم ! نبوية ! كويس خالص ! لكن

نبوية إيه ؟ اسم « أبوك » إيه ؟ أنا فى عرض

« أبوك » ! نبوية إيه ؟ ولكنى أخطب وأنوسل

إلى شبهة جثة . فقد انحدر رأسها وسقط على صدرها

من جديد . ولزمت الصمت إلا من ذلك الأنين

الخافت . وبلغ منى اليأس والضيق ، فصحت

في النسوة صيحة داوية فأسرعن وأنهنضنها مرة

أخرى ومسحن صدغها بالماء البارد وناجينها

بالكلام العذب إلى أن ظفرنا آخر الأمر باسمها

كاملاً . ولكن بقى فى الاستمارة عشرة أسئلة !

وإذا كان ذكر الاسم على بساطته قد اقتضى هذا

المجهود ، فكيف بالباقي ؟ خصوصاً السؤال الأخير :

بيان الفترة بين تعاطى المادة المشتبه فيها وأول ظهور

الأعراض ؟ مع وجوب ذكر تواريخ واضحة

وساعات معينة كما تقول الملحوظة ! ! أى أن هذه

المرأة التى لم تخرج اسمها من بين فكها إلا بعد أن

كادت تخرج أرواحنا ستقول لنا عن الساعة

والدقيقة بالضبط التى لاحظت فيها ظهور الأعراض

أول ما لاحظت ؟ شيء جميل ، أنا مجنون أسأل هذه

الأسئلة ؟ أليس فى عيني نظر ؟ ماذا تظن بعقلي هؤلاء

الجمجمة وهتك الجدار الأيمن للأذن حتى برز جزء من جوهر المخ ؛ وحضر الطبيب للتشريح فقامت معه أشاهد ما يفعل ؛ وعادنا الغيط الذي وقعت فيه الحادثة ، وانتقلنا إلى دار المجنى عليه ؛ وهي دار قروية متواضعة ، وجىء بالقتيل بحمله أهله وقد لفوه في لحاف جديد « بيوشنه » ، ومن حوله النسوة بمويلهن وصياحهن وطينهن يطنخن به وجوههن وكان ممي مأمور نشيط أمر رجاله باخلاء المكان إلا من رجال الحفظ والطبيب وحلاق الصحة ومعاونيه ، وأنوا « بطشتين » كبيرين وضعوها تحت « دكة » عريضة من الخشب في سخن الدار ؛ ووضع الحلاق ومعاونوه الجثة فوق « الدكة » وخلعوا ملابس القتيل ، وكانت جديدة احتفالاً بعيد الفطر ، إذ وقعت الجريمة في اليوم الأخير من شهر رمضان ، كأنما أراد القاتل أن يسرع خشية أن يحل العيد وغريمه على قيد الحياة ، وحرصاً منه على أن تكون هدية العيد تلك الرصاصة في رأس القتيل ، ورغبة منه في أن تتغير نغمة أصوات العيد وأنشيدته المتصاعدة من جوف هذه الدار ، وأعمل الطبيب الشرط حالاً في رأس القتيل وهو يملأ على الكاتب :

— ونزعنا الفروة ( يقصد فروة الرأس طبعاً ) وعندئذ علا صياح النسوة ، وكن قد تسالن وتساقن سطح الدار والأسطح المجاورة « المرشة » بحطب القطن والذرة ، وسمعت بين أصواتهن المختلطة صوتاً رقيقاً حاراً مؤثراً أوجع قاني يصبح :

— يا شجرة و « مضللانا » يا بوياء

وتلا صوت آخر في مثل وفه ولهيبه وقد امتزج بنشيج وبكاء مر :

— ياللى كنت خارج بسجورك في بطنك يابسه

وتم نزع الفروة ، ووضع الطبيب أصبعه في فتحة الجرح يسبر غوره ويعرف حدوده ، وأمل الكاتب :

— جرح نارى طوله أربعة سيمتر . . . . .  
وحاول أن يمتد بأصبعه على الرصاصة فلم يستطع فتناول منشاراً من المدن من حقيبته وجعل ينشر الجمجمة من الجهة ليفتح الرأس فلم ينجح في نشرها لصلابتها فأخذ مطرقة صغيرة من بين أدواته وطفق يثق بها فوق المنشار كأنما يثق على علبه « سردين » وسمعت إحدى المجائر ذلك ورأت من فجوة السطح ذلك الدق و « الهبد » في رأس رجل المائلة وعميد الدار فوضعت كفها على خدها وقالت متنهدة :

— اسم الله عليه !

هذه الكلمة هزتنى . ووجدت لوقعها غرابة . إن تلك المعجوز ما زالت تعتقد أن رجلاهن هو رجلاهن بشخصيته وأدميته ، أما أنا فنذ لحظة قد بدأت أشك في ذلك

وتم نزع الفطاء أو « القراغة » ، وظهر من تحته الغلاف الرقيق الذي فوق المخ مباشرة ، فزقه الطبيب بشرطه ، وجعل يفحص ما حول الجرح وهو على :

— تريف دموى شديد بأنسجة المخ . . . . .

وجعل يبحث بأصبعه عن الرصاصة فلم يجد شيئاً . واستمر في البحث حول تلك المنطقة القريبة من الجرح فلم يمتد للرصاصة على أثر . أين ذهبت إذن ؟ وليس هنالك من فتحة أخرى يظن أن المقدوف خرج منها . ولما يياص الطبيب . وقال لي باسم : إن المقدوف النارى يتخذ أحياناً خطوط سير عجيبة في جسم المصاب وأحياناً تدخل الرصاصة من البطن فلا يمتد عليها إلا في الفخذ : قد يكون هذا معقولاً . ولكن رصاصة تدخل من الرأس تستخرج من القدم ! هذا شغل « حواة » ولا أصدق أن الرصاصة لها كل هذه المقدرة . واستاء الطبيب أخيراً وصاح :

— وعلى إيه ؟ أدى مخ الراحل بحاله . . . . .



مليا . فأتضح لنا أن الرصاصة قد تكون سقطت من نفس الجرح لاتساعه وثقلها وسقطت بسقوطه على الأرض . وفرغنا من العمل وانصرفنا وأنا أعجب لما حدث في نفسي من انقلاب . أنا الرقيق الحس أرى الجزر والتقطيع بل آربه ولا أرتعد ! ثم أى خيبة أمل ! لقد كنت أحسب الانسان أعظم من ذلك ! كلا ، لا ينبغي أن نرى أنفسنا من الداخل .

إن صورة ما رأيت لا يمكن أن تزول من مخيلتي . ولا ريب أن تلك المناظر قد أحدثت في نفس مساعدى أحداثا . وأردت أن أسأله في ذلك . ولكن الباب فتح وظهر حاجبي ومعه إشارة تليفونية فقلت :

— اللهم خيرا !

وتناولت الإشارة . وما كدت ألقى عليها نظرة حتى صحت :

— البنت ريم ؟ . . .

فأسرع مساعدى متلهفًا .

— مالها ؟

— وجدوا جثتها في الرياح قبلي البلد ؟

— وماتت ؟

قلت لك وجدوا جثتها ، خذ أقرأ الإشارة ! فأخذ المساعد الورقة وجعل يقرأ بعينيه حتى وصل إلى آخر عبارة وهي : « ويحتمل أن يكون سبب الوفاة اسفكسيا الفرق » وقفت عيناه عليها لحظة من التأثر ، وكنت أنا أشد منه حزنا على انطفاء حياة هذا الشئ الجميل بهذه السرعة

وأطرقت قليلا أفكر في سوء حظنا ، لا من حيث العمل ، ولا لأن ريم مفتاح من مفاتيح القضية ؛ بل لأنها كانت صورة بديعة هزت نفوسنا جميعا عاقلنا ومجنوننا ، ومخلوقا حلوا منحننا أويقات حلوة ولحظات مشرفة ، ونسبنا علينا هب على

وأخرج بكتنا يديه كل ما في الجحمة من مخ حتى أخلاها فأصبحت مثل « السلطانية » النظيفة وقسم هذا المخ أقساما أربعة أعطى كلا من معاونيه قسما وكلفهم أن يبحثوا عن المقذوف بحثا جيدا فعملوا « يلفو صون » بأصابعهم في هذه المادة التي يعزى اليها كل نبوغ الإنسانية ، حتى صيروها شبه سائلة كالمهلبية ؟

هذا هو مخ الانسان !

قلت ذلك همسا لنفسي : وقد بدأ الروح الذي أخذني أول الأمر يزول عني شيئا فشيئا . وتصلبت أعصابي وهمد إحساسي وتيقظ في نفسي حب الاستطلاع ؛ ورغبة في أن يفتح أمامي كل هذا الجسم المسجى لأنظر فيه . وما دمت قد رأيت المخ هكذا فلن القلب ولن الكبد ولن الأحشاء . لم يمد هذا الرجل في نظري رجلا ، إنما هو ساعة حبط كبيرة ممددة أريد أن أفتحها لأشاهد آلائها وتروسها وعجالاتها وأجرامها

ولم يجد الرجال شيئا كذلك بعد البحث الطويل . إنه لسوء حظ كما قال الطبيب ؛ ولكننا مطالبون بالنتيجة على أية حال . ها هو ذا القتل ولا بد أن تكون الرصاصة فيه . وشمر الطبيب عن مساعد الجذ والضيق وأعمل المشرط في ذلك الجسد ، وأنا من خلفه أشاهد وأقول :

— اقطع ! اشرط ! ...

وأخذتني حمى غريبة وفقدت كل شعور إنساني فجاءت أقول للطبيب : أرني رثتيه ، أرني أمعاءه ، أرني الطحال الخ الخ . ولم يتردد الطبيب ، وشرط الصدر حتى أسفل البطن وأخرج القلب ثم الأمعاء وأملئ :

— وجدنا القلب سليما ، والأمعاء بها طعام مضموم ، ولم نمثر مع كل ذلك على شيء . ففكرنا

حتى سمعنا صياحا في الطريق ، فقمنا إلى النافذة ،  
فاذا بنا نرى الشيخ عصفور، يجري في الطريق ،  
عاري الرأس بدون عوده الأخضر ، والصبيبة  
والفلان ، وجمع من الأهالي خلفه وهو يصيح  
كالجنون :

ورمش عينها يا ناس  
يفرش على الميـه  
واحدة بياض شفتي  
والثانية بلطيه  
والثالثة من بدعها  
غرقها في الميه ...

ونار يردد ذلك بصوت تارة كالعويل وتارة  
كالزئير ، وتارة في حركات حركات خطباء المساجد  
وهو يمشي أحيانا ويرقص أحيانا ويجري في كل  
جهة حتى اختفى عن أنظارنا ، فلبثنا عند النافذة  
سامتين مأخوذتين ، ثم انتبهنا بعد لحظة وعدنا حيث  
كننا من الحجرة ونحن نقول كمن يخاطب نفسه :  
— مسكين !

وعدت الى الاشارة ، وأمسكت بالقلم من  
جديد ، ولكن الشك والقلق خالجانى ..  
— سمعته لما قال : « غرقها في الميه » من  
اللى غرقها ؟ !

فقال المساعد :

— دى « هلوسة » مجانين ا حانفتح تحقيق  
بناء على « خطرفة » رجل غبول فى الشارع ؟ !  
أظن الأحسن ندفن البنت وننتهى !  
فجاء قوله ترددى ، وضغطت على القلم ضغط  
العزم والافتناع وخططت أمر الدفن وأنا أقول :  
— صدقت ، أنا حتى نفسى انصدت عن

القضية وأصحابها ! !

نوفين الحكيم

( يتبع )

صحراء حياتنا العاطفية المجردة فى هذا الربف القفر  
واستيقظت من تفكيرى ، ورفعت رأسى  
ومددت يدى إلى مساعدى أسترد الاشارة وأخط  
عليها العبارة المألوفة : « نأمر بتشريح الجثة » ،  
ونجأة تنبعت إلى فظاعة هذه العبارة ، نعم لأول  
مرة أجدها فظيمة ، طالما شرحنا جثثا ، فليكن ،  
وإنى لعل استمداد لتشريح نصف أهالى هذه  
البلدة ، أما هذه الفتاة ... أما هذا الجمال فحرام أن  
نمزقه انرى ما بداخله ، ولح مساعدى نص الاشارة  
بنظرة الحباد فصاح :

— أظن ناوى تقول لى احضر التشريح

— ومين غير حضرتك ؟ !

— مستحيل ، أنا أولا كفاية على تشريح

الصبح ا حرام ا أقعد طول النهار أشاهد فتح  
جثث ا أنا مساعد نياية مش مساعد حانوقى ا ثانيا  
البنت دى بنوع خصوصى ...

فتأملت قوله ، وعذرتة . وأطرقت لحظة

ثم قالت :

لك حق ، ريم بنوع خصوصى ا من له  
قلب يحضر .. أنا لو دفعوا لى عشرين جنيتها ... ا  
هات الاشارة نشطب على التشريح ونأمر بالدفن  
ونخلص ... ا

والواقع أن فى أيدينا أن نفعل ذلك بدون أن  
نعرض للنقد والمسئولية ، فالطبيب الذى كشف  
عن الجثة عقب استخراجها من النهر قرر أن  
الوفاة من اسفكسيا الفرق ، أى أنه لم يجد آثارا  
مشتبهة فيها تدل على أن الوفاة جنائية ، فاجراء  
التشريح فى هذه الحالة دقة لا مبرر لها ، آم لرجال  
الفقة والقانون أصحاب الغرض ا إنهم يستطيعون  
أن يتصرفوا على كل وجه تصرفا منطقيا مقبولا .  
وما كدت أمسك بالقلم لأشطب الأمر السابق



# الذئبية

للكاتبة الانجليزية كاثرين منسفيلد  
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

جلس الشيخ ووديفيلد على كرسية المريح يدخن السيجار الذي قدمه إليه صديقه ، وينظر نظرة ، يكاد يبدو فيها أثر الشره ، الى ذلك الصديق الذي يدور فوق كرسي مكتبه معتدل القامة أحمر الوجه ، فهو وإن يكن أكبر من صيفه سنًا بخمس سنوات

إلا أنه لا يزال قويا ولا يزال قابضاً على الدفة ، وإن الانسان لينتمش بالنظر إليه . ثم قال الشيخ بصوته الصغير في شيء من اللباقة والاعجاب :

« نعم ، يشهد الحق أن هذا المكان هاني صريح ! . . . . »

فقال المدير ، وهو يفتح صفحات جريدة فيننشيال تيمس بقطع الورق :

« نعم ، إنه صريح بالقدر الكافي »

والواقع أن الرجل كان نفورا بغرفة مكتبه ، وكان يحب أن يعجب بها الناس وبخاصة صديقه المعجوز الشيخ ووديفيلد . ولقد كان من أشد بواعث شعور الرضى العميق الثابت في نفس المدير أن يجلس معتدلا وسط هذه الغرفة متعرضا تعرضاً تاماً لنظر صديقه الشيخ الضعيف القابض في ذلك الكرسي الكبير الذي يكاد يخفيه عن العيون وقال المدير موضحاً كما وضع في الأسابيع الماضية التي لا يذكر عددها :

« لقد أعددت هذه الغرفة أخيراً اعداها جديداً ، فهذه سجادة جديدة » ، وأشار إلى السجادة الحمراء الزاهية ذات الرسوم والدوائر البيضاء الكبيرة ثم قال :

قال مستر ووديفيلد في صوت يشبه الصغير :  
« إنك هنا مستكمل جميع أسباب الراحة والرفاهة . . . »

وكان مستر ووديفيلد جالساً على كرسي كبير من النوع المريح من الجلد الأخضر ، إلى جوار مكتب صديقه المدير ، وأطل مستر ووديفيلد ، وهو يوجه هذه الكلمات إلى صديقه ، من كرسية كما يطل الطفل من عربته ، وبهذه الجملة ختم حديثه معه ، وقد آن موعد انصرافه ، ولكنه لم يكن راغباً في الانصراف ، فهو منذ أن استقال من عمله ، أو بعبارة أخرى منذ أن أضرب عن العمل ، اعتادت زوجته وبناته أن يجلسنه في البيت طوال أيام الأسبوع ما عدا يوم الثلاثاء ، ففي يوم الثلاثاء يسمح له بارتداء ملابسه واصلاح هندامه والخروج إلى طرقات المدينة ، حيث يقضي النهار كله أنى شاء ، ولكن لم يكن في مقدور زوجته وبناته أن يتخيلن ما يعمله في أثناء غيبته عن البيت ، على أيهن كن يفترض أنه يزور بعض أصدقائه فيضايقهم بأحاديثه . . . وقد يكون هذا الافتراض مطابقاً للواقع والحق أننا لنتشبه بمسراتنا الأخيرة كما تشبهت الشجرة بأوراقها الأخيرة أيضاً ، وهكذا

« هذا هو الدواء ، ولقد قال لي الرجل الذي أخذته منه ، في لهجة التوكيد ، إنه جاء به من مخازن قصر وندسور »

فلم يقع نظر الشيخ ووديفيلد على الزجاجاة حتى فغرفاه ؛ ولم يكن ليدهش أشد مما دهش لو أن صاحبه أخرج بدل الزجاجاة أرنباً وقال في لهجته الصغيرة :

« أليس ذلك هو الوسكى ؟ »

فأدار صاحبه الزجاجاة وأراه رمزاً صنعها فقد كانت بالقمل زجاجاة وسكى

وقال ووديفيلد وهو يحدق النظر في صاحبه : « أتعرف أنهم في البيت لا يسمعون لي بتذوق الوسكى ؟ »

وبدا عليه كأنه يكاد يصبح من شدة الفرح . وقال صاحبه رافعاً صوته :

« آه ... هذا هو الموضوع الذي نعرف فيه أكثر قليلاً من السيدات »

ومال نحو قدحين كانا على المائدة مع زجاجاة الماء فصب في كل منهما كمية وافية من الوسكى وقال : « اشرب هذا فسيفيدك جداً ، ولا تمزجه بشيء من الماء ، فن الخسارة إفساد مثل هذه المادة المقدسة . آه ! »

ثم جرّع كأسه وتناول منديله فمسح شاربيه مسرعاً ، ونظر من طرف عينيه إلى ووديفيلد الذي كان يداعب قدحه بشفتيه

وشرب ووديفيلد القدح دفعة واحدة ، وبقى لحظة صامتاً ، ثم قال في صوت خافت : « إنه شديد الرائحة »

ولكن الخمر دفأته وأعادت قوة التذكر إلى رأسه البارد المعجوز - فتذكر وقال وهو يرفع نفسه ليقف على قدميه :

« وأثاث جديد » وأشار برأسه إلى المكتبة الكبيرة والمائدة ذات الأرجل الملتوية ذات اللون العسلي ، ثم قال : « ومدافئ كهربائية »

ولوح بيده مبتهجاً نحو الخمس الأنايب الشفافة المضيئة باللون الأحمر اللطيف داخل جهاز من النحاس ذي رفرف كالمظلة فوق هذه الأنايب

ولكن الرجل لم يوجه نظره ووديفيلد إلى الصورة الفوتوغرافية المعلقة فوق المكتب والتي تمثل فتى عابس الوجه ، واقفاً في لباسه العسكري ، وسط واحدة من تلك الحدائق الخيالية التي يملأها المصورون في دورهم ، وراءه سحب متكاثفة هي كذلك من صنع الخيال . ولم تكن هذه الصورة جديدة في مكانها هذا ، فهي معلقة فيه منذ أكثر من ست سنوات

وقال ووديفيلد المعجوز : « كان عندي ما أردت أن أقوله لك » وهنا ظلمت عينيه غشاوة الذكري ثم قال : « والآن لا أكاد أذكر ما كنت أريد أن أقول فما هو يا ترى ؟ لقد كان في رأسي عندما غادرت بيتي صباح اليوم »

وبدأت يده تترجفان وبدأت بقع حمراء على لحيته فرثاله صاحبه وأشفق عليه وقال في نفسه : إن هذا الصديق المسكين قد بذل أقصى جهده في الحديث ، ثم غمز له بعينه وقال مازحاً :

« سأخبرك أنا بهذا الأمر . فان عندي هنا قطرة من شيء ينفعك قبل أن تخرج إلى صقيع الطريق مرة أخرى . وهو مادة لطيفة لن تضر طفلاً صغيراً » وأخذ مفتاحاً من حلقة مفاتيحه وفتح دولاباً تحت مكتبه وأخرج منه زجاجاة مضلعة داكنة اللون وقال :



على قبور أعزائنا فقد وجب أن ندفع كل ما يطلب منا دفعه ، هذا هو تفكيرهم »

وأبجى الشيخ صوب الباب

وقال المدير في صوت مرتفع وإن لم تكن في رأسه أية فكرة عما هو هذا الحق :

« نعم هذا حق ! نعم هذا حق ! »

وخرج الرجل من وراء مكتبه وتبع صاحبه في خطواته البطيئة حتى أوصله إلى الباب . وخرج ووديفيلد فغاب عن الأنظار

ووقف صاحب المحل لحظة طويلة ينظر إلى غير شيء . بينما « ساعى » المكتب الأشيب الشعر يرقبه من مكانه في احتراس شديد ، يخرج رأسه بحذر ثم يميده كالسكب الذي يتوقع أن يأخذه صاحبه معه في مرحلة طويلة . ولم يلبث سيده أن قال له : « لا أريد أن أقابل أحداً لمدة نصف ساعة .. هل فهمت ؟ لا أريد أن أقابل أحداً مطلقاً »

« ليسكن ما تريد يا سيدي »

وأقفل الباب ، واجتازت الخطوات الثابتة الثقيلة السجادة الزاهية مرة أخرى ، وارتدى الجسم السمين في الكرسي اللولبي ، ومال الرجل إلى الأمام مخبئاً وجهه بين كفيه . لقد أراد ولقد اعتزم بل لقد أعد عدته للبكاء ...

لقد كانت الصدمة قاسية فظيمة عندما فاجأه الشيخ ووديفيلد غلاحظته على قبر ابنه . فلقد كان الأمر غامضاً كما لو أن الأرض قد فتحت ورأى ابنه في قبره وبنات ووديفيلد ينظرن إليه . لأن المسألة كلها كانت غريبة فانه وإن كان قد مضى ست سنوات على موت ابنه ، إلا أنه لم يتصوره إلا راقداً في لباسه العسكري لم يصبه تغير ولا تشوه ، وإن هي إلا نومة الأبد الهادئة

وقال المدير منتحباً : « ابني ! »

« هاك ما أردت أن أقول ، فقد ظننت أنك تود أن تعرف أن البنات قد ذهبن إلى البلاجيك في الأسبوع الماضي ليلقين نظرة على قبر ريجي المسكين ولقد تصادف أن رأيت كذلك قبر ابنك ويبدو لي أن القبرين متجاوران »

ووقف الشيخ ووديفيلد عن الكلام ولكن صاحبه لم يجبه ، غير أن رمشة جفنيه أنبأت بأنه قد سمع وقال الشيخ في صوته الرفيع :

« وقد ابتهجت البنات بما رأين من العناية بالمكان ، ولو كانت هذه القبور في الجبل لما كانت بأحسن حالا مما هي عليه هناك . وما أحسبك قد ذهبت إلى ذلك المكان ؟ »

فأجاب الرجل : « لا . لا . »

وهو لأسباب عديدة مختلفة لم يسافر إلى البلاجيك فقال ووديفيلد في صوت مرتجف : « إن مساحة المكان تبلغ عدة أميال وكلها نظيفة منسقة كالحديقة ، والأزهار تنمو على جميع القبور . وهناك طريق واسعة جميلة »

وقد ظهر من نبرات صوت الشيخ مبلغ حبه للطريق الجميلة الواسعة ، وسكت الشيخ ووديفيلد مرة أخرى ثم ابتهج ابتهاجاً غريباً وقال في صفيره المعتاد : « أندري . كم تقاضى الفندق البنات ثمناً لعلية الربى ؟ لقد تقاضاهن عشرة فرنكات ! وإني لأسمي ذلك سرقة . ولقد كانت العلبة صغيرة كما تقول جرتود ، لا يزيد حجمها على حجم نصف الزبال

الانجليزى ، ولم تكن قد أخذت منها أكثر من ملعقة صغيرة عندما تقاضوها العشرة الفرنكات . لذلك أخذت جرتود العلبة وجاءت بها معها لتلقى عليهم درساً . وهذا حق أيضاً ، فان هؤلاء القوم يتاجرون على حساب عواطفنا . فهم يظنون أننا مادمننا مضطرين لأن نذهب إلى هناك لنلقى نظرة

العكس من ذلك ، غلاماً سمحاً مشرقاً ، طبيبي الخلق ، يخاطب كل إنسان برأيه الصريح فيه ، في عينيه نظرة الطفولة البريئة ، وقد تعود أن يجيب على ما يطلب منه بكلمات الطاعة المؤدبة

ولكن كل ذلك قد انتهى وتلاشى كأنه لم يكن من قبل ؛ فقد جاء اليوم الذي حمل فيه الخادم « ماسي » إلى سيده الرسالة البرقية التي هدمت المحل كله على رأسه ، وقد استهلت تلك الرسالة بهذه الكلمات : « يؤلنا أشد الألم أن نبلاغك ... » وترك الرجل مكتبه ، مكسور القلب ، محطم الحياة

كان ذلك منذ ست سنوات مضت . . . نعم منذ ست سنوات . . . فما أسرع أن مر الزمن ! وكان ما حدث قد حدث في الأمس القريب . . . وأزاح الرجل كفيه عن وجهه وقد علتة الحيرة فقد خيل إليه أن في نفسه شيئاً غير سليم ، وقد أعوزته الشعور الذي أراد أن يشعر به . فاعتزم أن يقف وينظر إلى صورة ابنه الفتوة غراهية . ولكنها لم تكن إحدى الصور التي يحبها ، فنظرة الغلام فيها لم تكن طبيعية بل لقد كانت نظرة جامدة ، بل كانت نظرة عابسة متجهمة ، وهي نظرة لم يرها أحد قط من قبل على وجه الصبي في هذه اللحظة رأى الرجل أن ذبابة قد سقطت

في الدواة الكبيرة وأنها تجاهد في ضئف ولكن جهاد المستعيس لتخليص نفسها من الشرك الذي وقعت فيه وكأنما كانت أرجلها المتخبطة تنادي : العون ! العون ! ولكن جوانب الدواة كانت مبللة زلقة فسقطت الذبابة مرة أخرى في الحبر وشرعت تسبح فوق سطحه . فتناول المدير قلمه والتقط الذبابة فوضعها فوق ورق النشاف : فبقيت نصف نائية جامدة لا تتحرك فوق البقعة السوداء التي ارتسمت حولها . ثم تحركت رجلها الأمامية وارتكزت على الأرض ، فجرت جسمها المبال جراً

ولكن عينيه لم تذرفا الدمع بعد ، وقد كان في الماضي ، في الأشهر الأولى وحتى في السنوات الأولى بعد موت الفتى ، يكفي أن يذكر ابنه ليستولي عليه من الحزن ما لا يمكن أن يخفف من قسوته إلا نوبة جارة من البكاء المر ، وكان يقول إذ ذاك ، لكل إنسان : إن الوقت لا يستطيع أن يبدل من حاله تلك ، وإن غيره من الرجال قد يشفون من أحزانهم ، وقد ينسون الخسارة التي أصابهم ويتمزون عنها . أما هو فإن يكون ذلك شأنه أبداً ، وإن يبدل الزمن من حاله بأهناً منها ، وهل كان من الميسور أن تبدل حاله ؟ لقد كان ابنه ولداً وحيداً ، ومنذ ولادته شرع أبوه يؤسس له هذا العمل الذي يقوم عليه ، ولم يكن لعمله هذا من معنى إن لم يكن مقصوداً منه أن يبقى للصبي الصغير يقوم عليه بعد أبيه ؛ بل إن حياة الرجل نفسها لم يعد لها من معنى آخر غير ذلك ، فهو إنما يحيا من أجل ولده الصغير ، وأى شيء على وجه الأرض كان بحمله على أن يستعيد نفسه ، وينكر ذاته ، ويواصل العمل طوال هذه السنوات ، لولا الأمل المائل أمامه دائماً في أن يرى ابنه يدرج في نعليه ، ويرتدى لباسه ، ويواصل العمل من حيث يتركه هو ؟ وكان هذا الأمل على وشك أن يتحقق ؛

فلقد قضى الفتى سنة قبل الحرب ، في مكتب أبيه ، يتدرب على الأعمال الأولية . فكان الأب وابنه يذهبان معاً كل صباح إلى المكتب ، وبعد انتهاء العمل يعودان كذلك معاً في قطار واحد ، وما أكثر ما تلقى الأب من التهنئات بصفته والداً لهذا الولد الناجح ، ولا عجب في ذلك ؛ فلقد كان الغلام مبدعاً حقاً في إتقان عمله ، ولم تعلق به في أية ناحية من نواحيه شائبة الغرور الذي يتلف خلق من كان في مثل مركزه ؛ بل لقد كان على



فترة انتظار موحمة ولكن صه . . . فهاهما الساقان  
الأماميتان تعودان الى الحركة ، وشعر الرجل بارتياح  
مفاجئ ، فأنحى على الذبابة وقال يخاطبها في رقة  
واطف : « أيتها المخلوقة الصغيرة المجتهدة . . . »  
وحاول فعلاً أن يساعدها بأنفاسه في تخفيف نفسها  
ولكن على الرغم من ذلك كانت حركتها في هذه  
المرّة ضعيفة بطيئة ، وقرر المدير وهو يغمس قلعه  
في الخبر مرة أخرى أن تكون هذه آخر مرة

ولقد كانت بالفعل آخر مرة ، فقد سقطت  
نقطة الخبر الأخيرة على ورق النشاف ، فرقدت  
الذبابة القذرة تحتها جامدة لا تتحرك ، وقد التصقت  
أرجلها الخلفية بجسمها ، أما الساقان الأماميتان  
فقد اختفتا عن النظر

فقال الرجل : « هلم ... استيقظي ! »  
وحاول أن يشير بقلعه حركة الذبابة ، ولكن  
عشاً - فلم تتحرك ولم يعد من الميسور أن تتحرك  
لقد ماتت الذبابة

فرفع الرجل الجثة على طرف مقطع الورق ،  
وألقي بها في سلة المهملات . ولكنه في هذه اللحظة  
أحس بشعور ساحق من التعاسة يستولى عليه عنيفاً  
حتى لقد تملكه خوف حقيقي ، فهم من مكانه  
وضغط زر الجرس طالباً خادمه « ماسي »  
فلما جاء الخادم قال له في لهجة حادة :

« جئني بورق نشاف جديد واخصه جيداً »  
وبينما الخادم يسير عائداً في خطواته الثقيلة أخذ  
المدير يسائل نفسه في حيرة : في أي شيء كان يفكر  
من قبل ؟ ماذا كان الموضوع الذي شغل رأسه ؟  
لقد كان يفكر ... وتناول منديل من جيبه فدهسه  
بين عنقه وياقته . . . فلقد نسي نسياناً تاماً في أي  
شيء كان يفكر . . .

عبد الحميد صمدى

حتى رفعته قليلاً ، وعندئذ بدأت المهمة الكبرى  
مهمة إزالة الخبر عن جناحيها ، فكانت رجالها  
ترتفعان وتهبطان محتكتين بالجناحين احتكاك حذر  
المسن بالمنجل ، ثم وقفت هذه العمالية لحظة ، وبدأت  
الذبابة واقفة على طرفي رجلها الأماميتين ، وقد  
اجتهدت في نشر أحد جناحيها ثم نشرت الجناح  
الآخر ، وقد نجحت في محاولتها ، وجلست أشبه  
مانكون بالقطيطة محاولة تنظيف وجهها . ولتصور  
الانسان منظر الرجلين الأماميتين تحتك إحداهما  
بالأخرى في خفة وابتهاج . فقد انتهى الخطر  
الفظيع ، وقد نجت الذبابة من الموت واستعدت  
مرة أخرى لمواجهة الحياة .

ولكن في هذه اللحظة بدت لصاحب المحل  
فكرة طارئة ، فغمس قلعه مرة أخرى في الخبر  
ووضع قبضته المظلمة على ورق النشاف ، ولم تك  
الذبابة تحرك جناحيها محاولة الطيران حتى غمرتها  
نقطة خبر كبيرة ثقيلة . فإذا عساها أن تفعل في  
هذا الخطر الجديد ؟ نعم ماذا عساها أن تفعل ؟  
لقد بدا على المخلوقة التعمية أنها قد ذهلت وأصابها  
الحيرة واستولى عليها الخوف من الحركة جزعاً مما  
قد يدهمها بعد ذلك . ولكنها لم تلبث أن جرت نفسها  
الى الأمام وكأنما كانت تفعل ذلك في شيء من البطء  
وقال الرجل في نفسه إن هذه الذبابة شيطان  
صغير جرىء ، وشعر بالعجاب حقيقى بشجاعتهما .  
فهذه هي الطريق التي يجب أن تعالج بها المشكلات  
هذه هو الروح القوى السليم . لا تقل أبداً  
« أموت » فما هي إلا مسألة . . . ولم يكن لدى  
المدير من الوقت ما يتسع لأكثر من إعادة غمس  
قلعه في الخبر وسكبه مرة أخرى على الذبابة التي  
كانت قد نظفت جسمها مرة ثانية وقال في نفسه :  
« وماذا أنت فاعلة في هذه المرة ؟ » وتبع ذلك

# ناهدك

الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني

به... شيء يطير  
العقل... على كل حال  
الذنب الممثلة لآلى  
والآن وقد اطمأنت  
قلبي فهل هذه الشقة  
ممكنكم ؟  
فسرها أنه يكامها  
كلام رجل لفتاة ، لا كلام

معلم لتلميذة ، وصار كل ما يقول يفرحها بالضحك  
وقالت وهي تغالب الضحك الذي لاداعى له :  
« نعم .. لنا فيها سنوات ... وحضرتك ؟ »  
فقال واعتدل في وقفته وزوى ما بين عينيه :  
« حضرتى الساكن الجديد فى هذه الشقة المجاورة  
لحسن الحظ - لشقتكم .. شاءت المقادير أن نكون  
جيراناً ، فإذا كان هذا لا يفرحكم بالحرب أفلا ترين  
أنه يحسن أن نسقط « حضرتك وحضرتى » من  
حديثنا ، وأن نتكلم كما ينبغي أن يتكلم الجيران  
بلا تكلف ولا مجاملات »

فقالت وهي فرحة مسرورة : « بالطبع ..  
ولكن يا أستاذ كيف يمكن ؟ »  
فقال : « آه رجعتنا .. كلما رتقنا الفتق من  
ناحية النهار من ناحية أخرى .. أستاذ ..  
وحضرتك ... يظهر أنى اتخذت مسكنى فى  
مدرسة داخلية .. »

فضحكت وارتج ثدياها الناهدان وقالت :  
« ولكن كيف أقول حين أخطبك ... لست  
أحب التكلف ، غير أنى مع ذلك لا أرى كيف  
أقول ... »

قال : « قولى ما تريدن بغير أستاذ وحضرتك .  
على كل حال .. ألا ترين من واجبك أن تعرفينى

« أوه ... » - ووضعت يدها على صدرها  
الناضج ، بينما كانت يدها الأخرى على الباب !  
« هل خوفتك ؟ ... إني آسف ... المرة  
الآتية أضع على وجهى ستارا ... هكذا ... »  
وغطى وجهه بكفه ، وجعل ينظر إليها من بين  
أصابعه وهي تضحك  
ووسمها أن تتكلم فقالت : « أليست حضرتك  
الأستاذ السميع ؟ »

فقال وهو يتكلف الجد : « كنت قبل اليوم  
نخوراً بأن أدعى الأستاذ وأن يكون اسمى السميع ..  
هو اسم لا بأس به .. ويجب أن أعترف بأن أبى  
أحسن الاختيار وأولانى فوق ما أستحق حين  
سمانى السميع ... ولكنى سأظل بعد اليوم أذكر  
فزعك حين رأيتنى ... أم ترى هو وجهى الذى  
خفت منه ؟ »

فابتسمت « ناهد » وقالت : « لا يا أستاذ ..  
معذرة .. كل ما فى الأمر أنك كنت أستاذى  
فى المدرسة الـ ... »

ففرح الأستاذ كفيه وقال : « آه هذا أحسن ..  
الآن فهمت لماذا أفزعتك رؤيتى .. معقول ..  
المعلمون شيء مخيف .. دأبهم أن يأمرؤا وينهؤا ..  
يأمرؤن بالشئ وكانوا ينهؤن عنه أو ينهؤن عما أمرؤا



بهذه الفتاة الجميلة التي كانت تلميذتي ؟ »

فقلت بإيجاز وقد اتقد وجهها حتى صار

كالجرة « ناهد »

ففرك ذقنه بيده وقال كأنما يحدث نفسه

وعينه إلى الأرض : « ناهد .. ناهد .. اسم

حلو .. ليت كان اسمي » (ضحك منها) ، ولكنه

لا يحرك في هذا الغربال الذي جعله الله لي بديلا من

الذاكرة أي اختلاج .. آسف جدا .. لاحق

لي أبدا .. ولكن أعدك ألا أنساه بعد اليوم ..

وكيف يمكن أن ينسى اسمك الحلو من يراك ؟ »

فأخجلها هذا الثناء المزدوج عليها وعلى اسمها ،

وحملت له في سرها أن قصر المدح الصريح على اسمها

\*\*\*

ولم يصدق الأستاذ السмир حين قال لها : إنه

لا يذكرها ولا يذكر اسمها فقد كان معلمها ثلاث

سنوات كاملة ولم تغب عنه إلا عاماً واحداً . وكانت

أحب تلميذاته إليه وأجراًهن عليه ، وكان يسره

منها أنها لم تكن تحجم عن مناقشته إذا بدا لها رأي

فيما يقول ، وكان هو يؤثر أن يشجع تلميذاته على

السؤال والبحث والفوص وعدم الاكتفاء بما

يسمعن منه كأنما كان أستاذاً في جامعة لا في مدرسة

ناوية ، وأعداهن بالجرأة واللفظ معه الحرية في

في البحث فكن يحفّن به في حينما يجنده — في

فناء المدرسة أو على السلم أو في الفصل — ويمطره

أسئلة في كل موضوع ولو كان لاصلة له بالتاريخ

الذي يدرسه هن . وكان هذا لا يسوءه أو بثقل

عليه ، فقد أتم تعليمه في إنجلترا فلما عاد ثقلت عليه

وطأة الفصل بين الجنسين ، فلما نقل إلى هذه

المدرسة كان يأنس بمحدث الفتيات ويرى في ذلك

بعض الموض عما يفوته خارج المدرسة . وكن هن

يفرحن به لفرط ما يمانين من العزلة في هذه

المدرسة « الداخلية » والاستيحاش والحرمان ، فما

كن برين من الرجال سوى بعض الخدم واثنتين

أو ثلاثة من الشيوخ المتحجرين ، وهذا الشاب

الظريف الساخر الذي يصدمهن ويروعن بآرائه

الجديدة في الحياة وفي كل شيء ، والذي لا يفرض

مع ذلك عليهن رأياً ، بل يدعوهن إلى التفكير الحر

المستقل في كل أمر وكل حالة من حالات النفس

والاجتماع ، ويهشهن ويمزح معهن ويضحكن من

أنفسهن ، ويستخر من كل مانشأن عليه من العادات

والثقاليدي ، ويشمرهن أنهن إخوة له لا تلميذات

ينهرن ويرجرن ويمائبن كالأستاذة الآخرون

يفعلون ، بل كما يفعل المعلمات أيضاً ، بل الناظرة

الانجليزية التي تكاد تمدهن من طبقة دون طبقة

الانسان . وكانت « ناهد » فتاة كاسمها ناهداً ،

ورثت عن أمها رقة الحس ودقة الشعور وعن أبيها

— وكان لواء في الجيش — الصراحة والجرأة

وحسن التقدير للواجب والادراك لمزية النظام .

وكانت لها زميلة في المدرسة تحبها حباً يقرب من

العبادة وكانت هذه الزميلة — سعاد — ضامرة

ضاوية ولكنها غنية صرفة تجمي معها من البيت

كلما عادت منه بألوان شتى من « المهربات » — حتى

السجائر كانت تدسها في خزانها ، فإذا أمنت عين

الرقبية أشعلت واحدة واضطجعت على الوسادة

وراحت تدخن والبنات ينظرن إليها مبتسمات

حاسدات ، ولكنهن كن يحببها فكن لا يقان شيئاً ،

ويحرصن على ستر هذه المخالفة عليها . وكانت كريمة

سخية بكل ما معها إلا السجائر فكانت لا تجود

يتجاهل هذا وينفضي عنه ويكلمها كما يمكن أن يكلم  
أية فتاة ، خفق قلبها ورضيت عن نفسها وعنه  
واتصلت الأسباب بين الأسرتين ، وتبورات  
الزيارات وكثر لقاء الأستاذ السميع بناهد . وكانا  
كثيراً ما يقفان في شرفتيهما المتجاورتين يتحدثان  
واستطاع بالباقة أن يزيل الكافة . وتدبقت تدعوه  
الأستاذ ولكن اللفظ فقد ما كان له من الدلالة  
القديمة . وكان هو يعتمد أن يجعل من نفسه عادة  
لها وأن يشعرها أنه رجل وأنها هي فتاة ، وكان إذا  
لقبها يحس أنها تهم بأن تمد يدها إليه لتحيته كما هي  
العادة فيتعهد أن يهمل ذلك ليذيقها الحرمان وإن  
كان طفيفاً وفي أمر لا قيمة له . وأحياناً يريح كفه  
الكبيرة على كتفها ويحدق في عينيها كأنما ينوص  
على سرها ، فتطرف وتنفضي حياءً وبضطرم محياها  
النضير الصبيح فيربت لها على ظهرها ويلبس ذقنها  
بأطراف أصابعه ، ويرفع وجهها حتى تلتقي العيون  
مرة أخرى ، فتتسم وتنازعه نفسه في أمثال هذه  
اللحظات أن يلثم فمها ، فيرد نفسه بجهد ويمضى عنها  
إلى النافذة وهو مطرق فتنهه بعينها ولا يسرها إلا  
أن تفكر في هيئته وحالته ودلالة ما ترى منه .  
وقال لها مرة — وكان في شقتها — بعد أن  
شرب القهوة : « اسمي » وسبقها إلى النافذة :  
« ما قولك ؟ بعد غد عيد الجلوس . »  
قالت : « آه »  
قال : « هذه فرصة يمكن أن تغتنمها للخروج  
مرة إلى الرياض »  
قالت : « لست فاهمة »  
قال : « لقد كنت منذ بضعة أيام في القناطر  
الخيرية .. »  
فسأله : « وحدك ؟ »

على بنت بأكثر من « نفس » ولكنها كانت تلج  
على ناهد أن تدخن وتعرض عليها السجائر كلها  
فنهز ناهد رأسها وتشيح عنها بوجهها نافرة — من  
التدخين ومن المخالفة — وكانت سعاد ربما جح  
بها حبها لناهد فتطوقها بذراعيها وتضمها وتقبلها  
وتدعوها أن تفعل مثل ذلك فيضيق صدر ناهد  
بهذا الحب ، وتتغلت من عناقها متأففة متبرمة  
وتصيح بها : بس . فتكف سعاد وتروح تستعطفها  
وتسترضيها وتحاول أن تتألفها من نفرتها وترقد إلى  
جانباها على سريرها كالقطة أو الكلب وترجو منها  
أن تدعها ترقد على سريرها لتنعيم بقرنها فتبهرها  
ناهد — وإن لم تكن بها قسوة — ولا تزال بها  
حتى تقصصها عن سريرها فتقوم المسكينة آسفة  
محزونة مطأطأة الرأس ، فيرق لها قلب ناهد وتردها  
إليها وتقبلها وتقول لها : « الآن اذهبي إلى مريرك  
راضية » فيشرق وجه سعاد ويلتمع فيه نور البشر  
وتجري إلى سريرها قريرة العين

وكانت ناهد تحس حين تلتقي الأستاذ السميع  
وتتاح لها فرصة الحديث معه أن هذا خير عوض  
عما تعاني من حب سعاد لها — هذا على الأقل رجل  
ولم تكن تدرك شيئاً من المعاني الجنسية بوضوح  
ولكنها لم تكن تحتاج إلى أكثر من فطنة الفريرة  
ولم تكن خبرتها بالحياة والناس قد زادت بعد  
تركها المدرسة اكتفاء بما حصلت من التعليم  
الثانوي فقد بقيت حياتها في البيت — كما كانت في  
المدرسة — أشبه بحياة الراهبات في الدير سوى  
أن وطأة الرهينة في البيت أخف ، فلما التقت بعملها  
السابق فرحت بذلك وسرها على الخصوص أنه  
تناسى وهو يكلمها أنها كانت تلميذته ، وكانت هي  
قد نسيت ذلك أيضاً ثم عادت تذكره حين رآته



بيتها أمام السراي .. »

فقال : « هل تريد أن يضحك مني الخاق ؟  
تركبين معي إلى عابدين ؟ .. لا لا لا »

قالت : « لن أدخل السراي .. تضعني أمام  
البيت وتذهب أنت إلى التشريفات .. لم لا ؟ »

فقال : « لا ياستي .. اذهبي أنت وحدك ..  
أو انتظري حتى أعود ثم اذهبي بالسيارة »

قالت : « يا بابا أنت مدهش .. أنتظر حتى  
تنتهي التشريفات ثم أذهب ؟ وماذا أرى إذن ؟ »

طيب اذهب أنت وحدك .. أقول لك .. خذني  
معك إلى العتبة الخضراء .. »

فرضي وحملها معه في السيارة إلى العتبة الخضراء  
ولو ألحت لحملها إلى ميدان عابدين ؛ بل لدخل بها  
القصر ؛ فقد كان حبه لها — وهي وحيدة —  
عظيماً ودلاً لها عليه كبيراً ، ولما استطاع أن يرضي  
عن نفسه إذا هو رفض لها رغبة أو أوى عليها شيئاً  
ولم يفسدها هذا التدليل الشديد ؛ بل زادها حباً  
له وإكباراً

ولقيت السمير عند قاعدة التمثال ، وكانت  
معه حقيبة فحملها ومضى إلى جانبها صوب المحطة ،  
وجلسا في القطار وكرا إلى ذكريات المدرسة  
فمضى ذكر إحدى البنات البارزات ، وكانت  
باهرة الجمال . فقالت فاهد : « إنها عظيمة ...  
يقال إنها تشرب الخمر ... » ، وخجلت من نفسها  
لأنها قالت هذا واغتابت زميلتها ، ولكن  
الاغتياب للذيد

فقال الأستاذ السمير : « تشرب خمرآ ...  
سوما خير . القليل من الخمر يفتاقى التقية الورعة ... »

ليت معي شيئاً منها أشربه على الطعام .  
فقالت بسداجة : « ولكنها تتلف أنسجة »

نخطر له أن يدعها تظن ما شئت لأن هذا  
أخلق بأن يزيد لها تعلقاً به وقال : « والحق إنها  
جنة .. فتعالى تذهب إليها يوم عيد الجلوس وتنفدى  
هناك .. أسبق أنا إلى المحطة وانتظرك عند تمثال  
نهضة مصر وتلحقين بي هناك .. سأعد أنا كل  
ما نحتاج إليه »

فقالت : « ولكن كيف أستطيع ؟ ماذا  
أقول لهم ؟ »

قال : « إذن سأنتظرك هناك .. الساعة  
التاسعة تماماً .. »

فاظهرت التردد وبدأت عليها الحيرة فأراد أن  
يستثير احترامها لنفسها فقال : « لا داعي من الخوف  
على نفسك من وجودك معي في هذه الحديقة العامة »  
فاغضبها أنه يتوهم أنها تخاف وثارت نفسها على  
هذا الظن ، وفعلت ما كان ينتظر فقالت : « طيب »  
وانصرف مسروراً راضياً عن نفسه ، وارتدت هي  
عن الباب بعد أن شيعته إليه ساخطة عليه تقول  
لنفسها ( يظن أنني أخاف منه .. بففف ) وخطر  
لها على الرغم من سخطها وغضبها أن عينه براءة وأن  
الشعر الكثيف الذي على ظهر كفيه جميل

وقالت لأبيها صباح اليوم الموعود : « أنت  
ذاهب إلى التشريفات .. خذني معك »

فقطب وقال بلمحة المستغرب : « آخذك معي ؟  
إلى التشريفات ؟ .. »

فاضحكها هذا جداً ، وقالت وهي تكاد تقع  
عليه : « أنت ظريف يا بابا .. موت .. »

فقال : « ولكن ماذا تعنين ؟ .. آخذك  
معي ؟ .. »

قالت : « إلى بيت زميلة لي من أيام المدرسة  
أفخرج من عندها على .. على .. على التشريفات .. »

وسمعتها تقول وهي تبسّم : « لا أتذكر أنني رأيت  
مثلاً من قبل ... رأيت زجاجات الويسكي فان أبي  
كاف به ... أكثر الضباط يشربون الويسكي ...  
ولكن النبيذ ... لا ... لم أراه من قبل ... شكل  
الزجاجة جميل ... »

فسألها : « هل تريد أن تقول إنك لم تذوقيه  
من قبل ؟ »

قالت : « أبدا ... شربت مرة قطرة ... قطرة  
ليس إلا ... من البيرة ... وكم كرهت طعمها ...  
أما النبيذ ... لا أبداً »

فسألها وهو ينظر إليها - يحدق في عينيها -  
ويبتسم : « وما قولك في أن تذوق هذا وتكره طعمه  
بعد ذلك ؟ »

قالت : « سأخذ قليلاً إذا سمحت ... بالطبع  
هذا عيب ... ولكن وجودي معك هنا أيضاً ...  
كشرب النبيذ ... »

فسره حسن التعبير وابتسم لها ولم يقل شيئاً  
وكانت سادقة ، فاذاقت من الخمر إلا قطرة كما

قالت من البيرة ، وإلا قليلاً من الكونياك تحتاج  
إليه الفتيات أحياناً ليهون مايمانين من أوقات معلومة  
وأكلت من السندويتش ثم بدأت تذوق

النبيذ ومظت شفتيها فقد وجدت طعمه كطعم  
الخل ، وخاب أمالها فيه كما خاب في البيرة من قبل  
وعجبت للرجال ماذا يجدون في هذا الشراب وأمثاله  
من اللذة

وقال لها : « هل لك في كأس أخرى ؟ »

فهزت رأسها وقالت : « لا مرسى ... يظهر  
أن المادة هي التي تجعل مذاقه سائفاً »

فلم يلح عليها بل قال : « لا بأس .. هذا يترك  
بقية الزجاجات كلها لي وحدى ... مرسى »

الدماغ ... هذا ثابت علمياً ... كل كتاب في  
الفسولوجيا يقول ذلك »

فقال : « أهنتك بما قرأت من كتب  
الفسولوجيا ... طبعاً قرأتها كلها ... بالعربية  
والإنجليزية والتركية واليابانية أيضاً »

فقلت : « أوه ، إنك تعرف ماذا أعنى ،  
فلا تهكم »

فقال : « بالطبع ... ولكن هل تعرفين أنت  
ماذا تعنين ؟ ... الحقيقة أن قليلاً من الخمر قد يفيد  
فتاة مثلك ... يخرجك من هذا الجد الصارم في  
أمر لا قيمة لها ولا وزن ... يجعلك أقرب إلى  
النوع الانساني ... ألا تشتهين أن تحبي ؟ ... مرة  
واحدة ؟ ... لحظة واحدة ولو قصيرة ؟ ... حياة  
حافلة ؟ ... »

فשמعت أن إلحاحه هذا عليها بهذا الكلام  
يزعجها ... وأحست كما كانت خليقة أن تحس  
لو أنه وضع أصبعه على ضلع من ضلوع صدرها  
وغرزه ... وقلقت ...

وبلغا الرياض الفسيحة عند القناطر ، فاختر  
مكاناً ظليلاً تحت شجرة لفاء وقعدا على دكة هناك  
متقابلين وأخرج ما في الحقيقة استعداداً للأكل  
وقال لها : « رتبي هذا ... هذا عملك ... ويجب  
أن تصنعي شيئاً لتستحقي الطعام ... اكسبي رزقك  
مرة بعرق الجبين ... »

ووضع زجاجة على الدكة ، فنظرت إليها وتناولتها  
وقرأت ما عليها وقالت : « هذا نبيذ ... »

قال : « نعم نبيذ ... ومن خير الأنبيذ ...  
نبيذ الرين ... يجب أن يوضع في الثلج ... سادعو  
خادم البوفيه ليجيئنا بوعاء وثاليج »

وذهب ثم عاد فألفاها لا تزال تتأمل الزجاجات



فحسبت له أنه لم يلح وشعرت بالاطمئنان ،  
فقد كان الخوف يساورها على الرغم من تشجيعها  
وسرعان ما أحست أن معدتها حميت بفعل  
النبيذ ، فدت يدها وأترعت لنفسها كأساً أخرى  
ولحها الأستاذ فتعمد الاغضاء وشعرت بالدفء  
والخفة والسرور وحلت المناظر في عينها وأحست  
أنها تريد أن تجرى هنا وهناك — وهل هي  
إلا طفلة ؟ — وأدرك السميز ذلك فنظر إليها وقال :  
« لم لا ؟ قومي اجري ... سابقيني ... أو أقول  
لك ... هذه كرة جئت بها منى ... تمالي نلعب  
بها ... »

وكانت قد نهضت فأنحنت عليه وهو يخرج  
الكرة من الحقيبة وقالت مستغربة : « كرة ؟ ...  
كيف خطر لك أن تجيء بها ؟ »

فقال : « من أجلك ... يا صغيرتي ... »

وأخرج شيئاً آخر ملفوفاً في ورق وقال وهو  
يلوح لها به : « وجئت أيضاً بشيكولاتة ... لفتاتنا  
الصغيرة فإن الصغيرات يحببن الحلوى »  
فقلت : « أتسخر مني ؟ »

قال : « أولست صغيرة ؟ »

قلت : « صغيرة بالطبع ... ولكن ليس الى  
هذا الحد ... لست طفلة »

فقال : « حسن ... نرد الشوكولاتة الى مكانها  
وندخرها لبيت صغيرة ... »

فصاحت به : « لا لا لا » وضحكت وخطفت  
الشوكولاتة

ولعبا بالكرة قليلا وسرها أن رجلاً طويلاً  
عريضاً مثله يلعبها وكادت تقع مرة وهي تحاول  
أن تلتف الكرة ، فأدركها — أحاطها بذراعه  
فتملقت به اتقاء للسقوط على الحشائش البليلة

وصارت على صدره ، وخيل إليها أنها تستطيع أن  
تبقى كذلك الى الأبد . وكبر بها الى الدكة وأخرج  
السجائر وقدم إليها واحدة فحاولت أن تذخن المرة  
التاسعة أو العاشرة في حياتها . والمرة التاسعة  
أو العاشرة أخفقت ولم ترض عن الطعم الذي وجدته  
ولسكنها مع ذلك كانت مسرورة — النبيذ الماسخ  
وهذه الدكة الخشبية الناشفة والأرض الخضراء  
المتوجة والأشجار الباسقة الهرمة والشمس التي تملأ  
الدنيا بشراً ودفئاً وأخيراً هذا الرجل

ولم تفزع بل أحست بالرضى والاعتباط حين  
دفع ذراعه ، فأحاط بها خصرها وأمال خدها  
الصالح على كتفه ، وسرها أن تلمس بخدها ثوبه  
الخشن الدافئ ، ولكنها استبانت لما رفع محياها  
إليه ليقبلها ، وحدثت نفسها أن الرجال جميعاً  
هكذا ، وإن كانت هذه أولى تجاربها ، ورأى هو  
انقباضها . فقال لها وهو يضحك : « هل تعرفين  
حكاية الرجل الذي سأل الطبيب هل يمكن أن  
يعيش — كأبيه — مائة سنة ؟ فسأله الطبيب :  
هل هو يدخن ، أو يشرب الخمر ، أو يحب النساء  
أو يحب الليل بالسهر ، أو يهوى شيئاً من الأشياء  
التي يكلف الناس بها . فقال الرجل : إنه لا يفعل  
شيئاً من ذلك ، وأنه لا هوى له في شيء ، فمجبب  
الطبيب وسأله : إذن لماذا تبغى أن تعيش مائة سنة .  
ماذا تصنع بها ؟ »

وأدهشها أنه طوقها فجأة وأهوى على فمها  
بالقبل في غير رفق حتى لأحست أنها توشك أن  
تختنق ، واستغربت من نفسها أن امتعاضها حين  
هم بتقبيلها أول مرة زال ، وأنها لا تسخط على  
الرجال ؛ بل أذهلها أنها شعرت أن شفقتها دبّت  
فيها الحياة وقالت بضعف : « أرجو ... »

فصاح بها : « ألا تريدن أن تكوني امرأة حقيقية ، لا مجرد فونوغراف يعيد ما حفظ في المدرسة ؟ ... ألا تشتهين أن نحسى وتشعري بجسمك يحترق وتضطرم فيه النار ... تندلع من أنخص القدم إلى الرأس ؟ ... هه ؟ »

فقلت : « لا أدري ... أظن ... ولكن ... »  
فصاح بها مرة أخرى : « تظنين ماذا ؟ ... خائفة ؟ ... هه ؟ »

ونجذبها إليه مرة أخرى وقبلها بمنف ، فزاع بصرها ، وخفق قلبها ، وسرت في بدنها رعدة خفيفة - من السرور لا من الفزع أو الجزع - وخيل إليها أنها كرمال الشاطئ الجافة التي ارتفع المد إليها بالماء فرواها ، ولكنه أسرف في التقبيل وعنف في الضم ، فأحست بالبرد والفراغ في بدنها ووسمها أن تصبح به كما كان يصبح : « بس ... قلت لك بس ... » ، ولم تكن قد قالت له « بس » ولكن هكذا زعمت ... نخلها ، ولكنه ظل ينظر إليها نظرة الصبي الذي يعمر صدره اليقين بأنه ذاهب إلى الملعب ليرى اللبة الراقصة وقال : « إنك فاترة ... ليس فيك حرارة »

فساءها ذلك وقالت : « فاترة ؟ ... لقد صرنا نتكلم بصراحة ... لا لست فاترة .. وأقول لك إنني استطبت القبلة الأولى ، ولكنك أردت بعد ذلك أن ... باختصار ... زدتها ... فهل يرضيك هذا الاعتراف ؟ ... فاترة ؟ ... »

فقال وهو يتأملها : « نعم فاترة ... ليس الذي في عروقك دم حار ، وإنما هو حبر أحمر ... كلا ، لا حرارة على الإطلاق في هؤلاء الفتيات المتعلبات ... لقد أصبحت أو من بالمرأة الأمية ... إنها على الأقل لا تتكلف ولا تتفلسف ، ولا تعرف

إلا ما تحس ... طبيعية ... »

فأغضبتها هذه الجملة منه عليها بلامسوخ تعرفه ، وأسخطها أنه يستفزها ، واستصغرت منه ما يحاول من تحقيرها ، ونفرت من لهجة الشموخ والتعالى فقالت له بجرأة أدهشتها هي قبل أن تدهشه : « ألا يمكن أن يخطر لك أن في نفسي حرارة كافية ولكنك أنت لست ذلك البطل المغري الساحر الفاتن الذي تتوهم ؟ . يمكنني أن أقول لك إنني وأنا صغيرة أحببت ابن البقال الذي كان تحت بيتنا ... كان صبيًا مثلي ولكنه كان فيه رجولة ... لم يكن عابثًا يرسل يده كالأفعى ليلمس الثدي .. لم يكن يحاول إغراء البنات الساذجات بقلب دروس التاريخ قصصاً غرامية وتصور الدنيا كلها كأنما ليس فيها إلا رجال يتزنون ونساء تتركهن الشهوة الجائعة كالورقة المبلولة . لقد عميت لحظة عن حقيقتك ولكني الآن أراك .. كما أنت .. فاترة ؟ مالك أنت ؟ من فضلك اسمح لي أن أعود .. »

ونفضت ووقفت معتدلة القامة كأنها أيوها الجندي وخيل إلى الأستاذ السмир لحظة وهو ينظر إليها مبهوراً أنه لن يستغرب إذا طر لها شارب .. وعجب لأنوثتها أين ذهبت ، ولذلك اللين الساحر في عودها ماذا صنع الله به .. منذ دقائق كانت إلى جانبه ، وكان يحسها كالزبد الطرية والآن .. تقف كالرمح ... بنت أبيها ... عجيب ...

وقال وهو يعد إليها يده : « إنني آسف ... ومعتذر ... وأصدقك فأقول إنني كنت أتوقع ولا أستغرب أن أسمع منك شتماً أو زجراً أو نحو ذلك ولكن هذا الكلام ... أعترف أنه آخر ما كان يمكن أن يخطر لي أن أسممه حتى من رجل فكيف بفتاة غريبة مثلك »



وحدها بل منها ومن التجربة ... وأى تجربة لهذه  
التي لعل أول من قبلها كما قبلتها ... ولكن من  
يدري ... كيف أكون واثقاً بعمد الذي سمعته  
منها؟ المرأة لغز محير ... أهو ذكاء فطري ...  
وافترقا في المحطة بلا مصافحة، وعاد كل منهما  
إلى البيت من طريق، وحلت النبوة ووقعت  
الجفوة، وفتّر الحال بين الأسرتين، وانقطعت  
الزيارات، وامتنع التلاقى، وصارت هي لا تخرج  
إلى الشرفة حتى تستوثق أن شرفته خالية، وصار  
هو يرتد أو يحول وجهه إلى ناحية أخرى إذا برزت  
في الشرفة أو أطلت من نافذة: وكان كلاهما مع  
ذلك مشغولاً بصاحبه ... هو يندم على ما كان  
ويحدث نفسه أنه فقد كنزاً، وإن كان كنزاً  
رهيباً ... كنزاً فيه أو هو في بركان ... وهي تحلم  
وعينها مفتوحة بالقبلة الحلوة، والضممة القوية،  
والشعر الكفيف على ظاهر اليد، وتتساءل عما وراء  
ذلك من أسرار النعمة الخفية ...

وجاء يوم أحسّت فيه أن أمها تتبعها بعينها  
وتجملها أبداً عليها، وخيل اليها أن أباه يرميها  
أحياناً بنظرة فاحصة، وزاد قلقها أنهما لم يقولا  
لها شيئاً ولم يستغريا هذا الفتور الحاصل بين أسرتهم  
وأسرة السمير بعمد الاختلاط الوثيق، وأنهما  
لم يسألاها مرة عن شيء. وثقل هذا الشموز على  
نفسها وحيرها الأمر، ولم تدر ماذا تصنع، ونازعتها  
نفسها أن تصارح أباه بالأمر كله، فقد كانت على  
خلاف المألوف المهود تسكن إلى أبيها وتبثه ما في  
نفسها واثقة من عطفه وفهمه، ولا تفعل ذلك مع  
أمها، ولكنها ترددت وطال التردد، وخطر لها  
مرة أخرى أن تكلم الأستاذ السمير نفسه في  
الموضوع. ولكن ماذا تقول له؟ أتستجديه ...

فقلت ببساطة: «إني فتاة غريبة ... هذا  
صحيح ... لا تجربة لي ... لم أعرف الرجال ...  
ولكني لست ... لست حمارة ... وثق أن كل  
الفتيات مثلي ... تنقصهن التجربة ولكنهن لا  
ينقصهن الإدراك الصحيح ... يستحيين أن يقلن  
ما يعرفن ... هذا كل ما هنالك ... ولكني أنا  
تمودت ألا أستحي ... لماذا أخجل ...؟» وهزت  
كتفها ومشت أمامه

وعاد في صمت وكانت هي تحدث نفسها وهي  
جالسة في القطار تحتقر ما بدا من صفاؤه لها، غير  
أن صوراً معينة أبت ألا أن تخايلها - منظر  
كفه الكبيرة التي يكسو ظهرها الشعر ... ورأسها  
المائل على كتفه الخشن ... وشفتاه على شفتيها ...  
وحلاوة القبلات الأولى المباغتة ... حلاوة لا عهد  
بها ولا كان في ظنها أن مثلها استفاد من الشفاء ...  
وودت لو تعرف من أين تجيء هذه الحلاوة ...  
ولماذا تسري الرعدة في البدن ... أترى الشفة باب  
شيء؟ باب إلى ماذا؟ هذا المجهول ماذا هو يا ترى؟  
وكان هو يتحدث نفسه أنها نسخة طبق الأصل  
من أبيها، وأنها جديرة أن تلبس بذلة صفراء ...  
كاكي ... وتبدو في شكة عسكرية ... والكلام  
الذي قالته من علمها إياه ... لم يكن يعرف أن فتاة  
غريبة مثلها - هي غريبة على التحقيق - يمكن  
أن يكون هذا إدراكها وتلك لهجتها ... لو كانت  
في الستين من عمرها لكان كلامها غير مستغرب ...  
أما منها ... عجيب ... أتراها تقرأ كتباً ... ولكن  
أى كتب ... اتقرأ كل ما في الدنيا من كتب  
فإنما المبرة بغير ذلك ... المبرة بماذا ... لا أدري  
كيف أقول، ولكني أظن أن الكتب وحدها  
لا تكفي ... الإدراك الصحيح يجيء لامن الكتب

أتطلب منه النجدة ؟ ..

وضاق صدرها بما أجن ، وقلبا بما وجد ،  
وكان صدرها يحن للأستاذ السميع خليطا عجيبا من  
الهوى والنفور والشوق والامتصاص ؛ وخيل اليها  
أيضا أن قلبها يحن له الاحتقار ، ولكنها لم تستطع  
أن تقنع نفسها بهذا . واتفق يوما - أو ليلة على  
الأصح - أن دخلت على أبيها ، وكان وحده ،  
فقالت : « هل أخايقك إذا بقيت ؟ » فأفسح لها  
إلى جانبه ولم يقل شيئا ، وقعدت وطال الصمت ،  
وتوهمت أن أباه ينظر اليها خلسة ، وكبر في ظنها  
أن على لسانه كلاما يرد نفسه عنه بجهد ، فلم تعد  
تطبق وصاحت به فجأة ووضعت يدها على صدره  
العريض : « أبي ... » وانطلقت تحبسه وتروى  
له ما كان ، وهو مطرق يسمع ولا يقطع ولا يقول  
شيئا حتى انتهت ، فرفع اليها وجهه الشاحب  
وابتسم ، فانفجرت باكية ، فربت لها على ظهرها  
وقال بإيجاز . « لم يخب ظني بك » فجفت دموعها  
بسرعة وحدثت في وجهه وسألته :

« هل ... هل ... كنت تعرف شيئا » فقال :  
« كلا ... لم أكن أعرف شيئا ... كنت أشعر  
أن هناك شيئا ... وأتوقع أن تقصيه على ... وخطر  
لي أن أذهب إلى الأستاذ السميع وأسأله ...  
لا لا لا لا ... لا تنزعجى ... لم أفعل شيئا من  
هذا ... ارتد إلى عقلي ... لم تكن بي حاجة إلى  
الكلام معه ولا إلى سؤاله لأنه هو جاءني أمس  
وسألني هل أَرْضَى أن أزوجه منك ... واعترف  
أن هذا السؤال زاد قلقي ... خفت أن يكون قد  
حدث أمر خطير ... فقد كان يكلمني وكأنه يشيع  
ميتا ... اعتقدت أن هذا الطلب تكفير عن إساءة  
خفت أن يكون هذا هكذا ... لم أقل له شيئا ...  
بل قلت له : إن هذا سؤال جوابه عند ناهد ...

فقال : إذن لا أمل لي ... فاستغربت واطمأن قلبي ...  
سأعيني يا ناهد إذا كنت قد قلقت عليك ... لم  
أسى بك الظن ... ولكنك صغيرة والرجال  
شياطين ... وقلت له هل يتصور أن من الممكن أن  
يتزوج فتاة متعلمة في هذا العصر على رغم أنفها ...  
أو هل يريد مني أن أكون جلادا ... نهايته هذا  
ما كان ... فما قولك ؟ »

فأطرقت ثم رفعت رأسها وقالت : « لأدري ... »  
وهزت رأسها : « بخيل إلى أحيانا أنى أحبه ...  
وأحيانا أخرى أنى أحتقره ... لست أحتقره  
ولكني لا أطيق سخريته وتعاليه ... بارد ... »  
فابتسم ابتسامة المعارف الفاهم المدرك وقال :  
« هذا التردد معناه أنك راضية ... لا تقاطعي ...  
انتظري ... أنت مشغولة به ... وهل الحب إلا هذا  
الشفلان ؟ ... أنا أعرف ... أبوك يعرف ...  
يا ناهد صدقيني ...

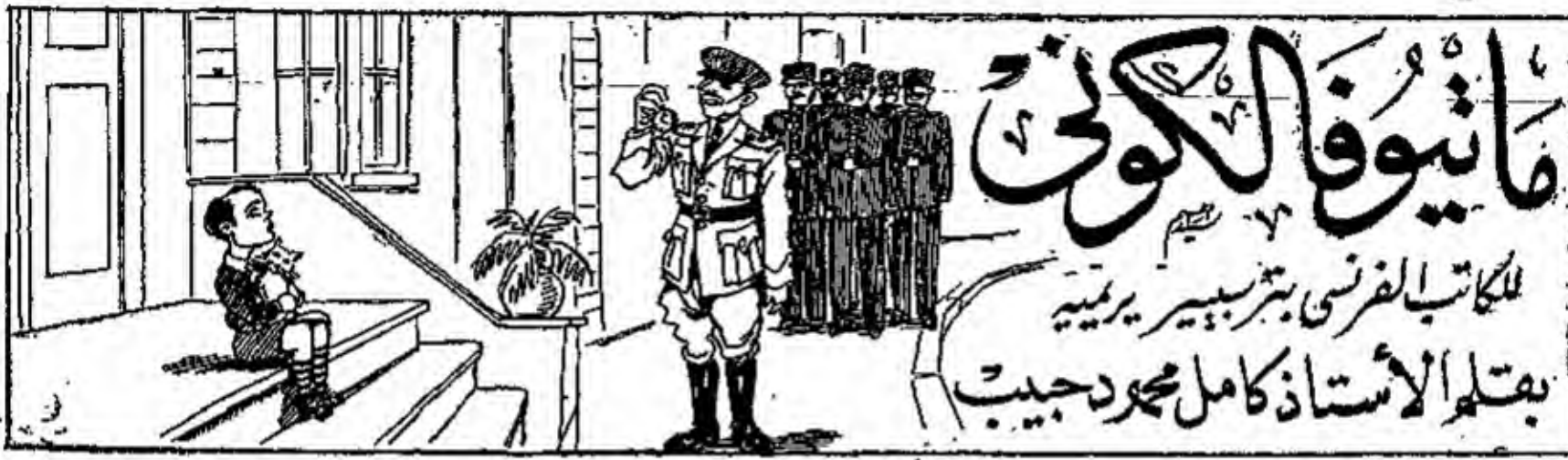
فتركت الموضوع وأغراها الفضول بسؤاله :

« هل أحببت في حياتك يا بابا ؟ »  
فقال : « طبعاً أحببت » ثم أسرع فقال : « أمك »  
فربت له على خده الخشن وإن كان حليفاً  
وقالت بلهجة من يدالي طفلا ، وأحست وهي تفعل  
ذلك أنها تستطيع أن تكون أما لهذا الرجل  
الكبير الضخم الأبيض الشعر ، وشعرت بفيض  
من الحنو : « وهل أحببت غيرها .. غير أمي ؟ »  
فارتبك وارتفعت يده إلى شاربيه وقال : « إيه ؟  
ما هذا الكلام ؟ قوى .. قوى .. قوى .. أ ... أ ...

أ ... أنا جائع »  
فانفجرت ضاحكة وقالت : « هذا أصرح اعتراف  
سمعتة أو سمعت به »

وخرجت تنساب لتمتع له الطعام  
ابراهيم عبد القادر المازني





ما يثقله من أعباء الحياة ومتاعبها... ثم جاءه  
البشير... لقد ابتسمت له الأيام عن طفل هو أمل  
الأميرة الخلو، وواحد لها، ووارث اسمها ومالها...  
هو فورتناو؟ ودرج الطفل قرة عين أبيه وأمه ممّا  
يسهران عليه، ويحبوانه بمطف منهما ورعاية، ثم  
راحا ينشئانه ليكون سينو أبيه فشب وفي عينيه  
دلائل الشجاعة والفراة، وفي جسمه سمات القوة  
والفتوة...

\*\*\*

وفي نَحْوَة يوم من أيام الخريف - والطفل  
في العاشرة - انطلق الأب وزوجته يستطلعان  
خبر غنمهما، وأراد الابن أن يصحبهما فأبى الأب  
إلا أن يظل عند الدار يحرسها  
وتصرمت ساعات والطفل وحده ينطرح حيناً  
في دعة أمام الباب، تحت أشعة الشمس الهادئة؛  
وحيناً يستمتع بالنظر إلى أشجار الغابة الباسقة،  
وإلى الجبال الشاهقة على مرمى البصر؛ ويتلذذ حيناً  
بالأخيلة الجميلة تضطرب في رأسه حين يخيل إليه  
أنه سيزور المدينة يوم الأحد فيرى عمه القائد،  
ويجول في أرجائها فيشهد أشياء حرم منها حيناً  
من الدهر؛ وسيطرت عليه الفكرة قابتسم، غير  
أن صوتاً سلبه من لذة الخيال وأفزعه عن مكانه  
فهب يرى... وأحس كأن قلبه ينخلع من الذعر  
والخوف، لأن ما سمع هو صوت طلقات نار يقسمه

ماتيو فالكوني رجل عند الخمسين، متكامل  
المعضل، مفتول الذراعين، عريض ما بين المنكبين،  
خفيف الحركة كالسنور؛ له عينان كبيرتان تنبعث  
منهما أشعة قوية نفاذة، وشفتان رقيقتان، وشعر  
أسود جمّد. ذهب اسمه في أرجاء وطنه - جزيرة  
قورسيقا - بما له من قدرة عجيبة على إصابة الهدف  
فهو أنى رى أصاب، سواء بالليل أم بالنهار. وهو  
لطيف المعشر، رضى الخلق؛ فإذا جرح أو امتن  
فهو عدو لدود فيه العتو والجبروت، ينزل عن  
إنسانيته حتى يبلغ من خصمه مارباً...

رجل ماتيو فالكوني عن مسقط رأسه الذي  
نشأ فيه وترعرع إلى ثغر بورتوفيكو في جنوب  
الجزيرة ليعيش هناك عيشة الهدوء والطمأنينة في  
منزل ريفي وضيق تحيط به غابة متشابكة الأشجار،  
ملتفة الأغصان، في منأى عن صخب الحياة ولجها  
وقضى دهره من عمره يتعهد بنفسه قطعة من الأرض  
وبعض قطمان الغنم، فينال من كل ذلك مالاً يرفقه  
إلى صف أعيان الريف وأغنيائه؛ ثم هو سخي سمح  
طلق اليدين والوجه، سريع إلى الخير، بطيء  
عن الشر.

تزوج ماتيو من جيوزيا صغيراً فرزق منها  
ثلاث بنات تزوجن جميعاً؛ واستطاع هو أن يجد  
المعونة في أزواج بناته، غير أن قلبه ما يزال حزيناً  
يأسف على أن لم يحبّه الله بذكر يحمل عنه بعض

وهو يدس القطعة في جيبه ، ويهيل التبن على المجرم الجريح ؛ ثم انطلق يمشي آثار الدم في دقة ومهارة ؛ ثم استلقى أمام الباب كأن شيئاً لم يكن ..

\*\*\*

وجاء الشرطة - بعد حين - وعلى رأسهم ضابط ... إنه هو تيودورو جامبا ابن عم فورتناو ، وهو فتى بغير قوة ونشاطاً ، يتقصص المجرمين والجناة لا تأخذه بهم رافة ولا شفقة ، ويتقفي آثارهم في غير هواة ولا لين ...

وابتسم الضابط وهو يسير إلى ابن عمه فورتناو يسأله خبر المجرم الفار : « أوما رأيت رجلاً يمر بك الساعة ؟ » قال الصبي : « آه نعم ، رجل يمر بي الساعة ! » قال الضابط : « نعم رجل ذو لحية طويلة ينزف الدم من نخذه » قال فورتناو وهو يبعث بابن عمه : « نعم ، تذكرت ، إنه النفس ، لقد كان يمتطي صهوة جواده الجميل يرو ... » وثار غضب الضابط أن رأى الصبي يهزأ به ، فقال : « لقد رأيته ، فأين هو ؟ قل أيها الخبيث وإلا ... » وراح الصبي يسخر من الضابط : « أفتراني أستطيع أن أراه وأنا قائم في هدوء ؟ » فقال الضابط المغيظ في شدة : « قل أيها اللعين ، إنه صر بك الساعة ! » ، وأجاب الصبي وهو يبسم في تهكم : « أنا فورتناو ، وهذه دار أبي ماتيو فالكوني ، أفتريد أن تستجم ؟ » ونقد صبر الضابط ، فاندفع في حلق يأمُر الشرطة : « إلى الدار أيها الرفاق ، فلا بد أن يكون هذا الشيطان قد خبأ المجرم ! » . وانطلق الشرطة يصدعون بما أمروا ، وأمسك الضابط بأذن الصبي يمنعه وهو يتعمل وبصيح : « إن أبي ماتيو فالكوني لا يرضيه أن يدخل جماعة من الأغراب داره وهو

ومتوالية تقترب منه رويداً رويداً . وأجال بصره فيما حواليه فما بدا له غير شبح يدلف إليه من الغابة يتكفأ في طريقه ، ويتحامل في مشيته ، من أثر الأبن والتعب ، والدم يتقاطر أرسالا من نخذه

لالمجرم ، فهذا مجرم انسل ، والليل ساج ، إلى المدينة ؛ فانحط عليه الجند ، فأسلس وانقاد بعد لآي ثم وجد مهرباً فأفلت يريد الحرية ويحطم قيود السجن وهي تنتظره على خطوات ؛ وهم على أثره لا يصيبهم الجهد ، ولا ينال منهم النصب ، يعطرونه بوابل من بنادقهم ، وهو يدفعهم عن نفسه بالرصاص والحرب في وقت معاً

لقد كان ضخم الجثة ، حيواني المظهر ، زرى الهيئة ، رث الملابس ، كث اللحية مرسلها ، أشعث أغبر يبعث في النفس الفزع والرعب ، غير أن الأعياء تركه محطماً ضعيفاً

ثم انتهى إلى الصبي ، ووقف بازائه يطلب إليه أن يجده منفذاً « إنني جيانيتو ساندييروا ؛ إن الشرطة على أثرى ، وأنا لا أستطيع الهرب ، أفلا أجد في دارك ملجأ ؟ » وأشاح الطفل عنه - بادي ذي بدء - وأبى عليه بعض ما طلب ؛ فراح الرجل يهدد ويتوعد ، غير أن الطفل كان يرى ما يقاسي من ألم وما أصابه من كلال فقفز بمبدأ وهو يقول : « لا بندقتك تستطيع أن تصل إلى لأنك تفتقر إلى الذخيرة ، ولا حربتك تنال مني مأرباً لأنني في حصن منها حصين ! » وأحس الرجل بمقابلة أمره فاندفع يستمطف الصبي في ذلة ، ويتبرضاه في لين ، ويلوح له بقطعة فضية من النقود يداعبها بأصابعه ؛ فاستيقظت الشفقة والرحمة في قلب الصبي ، ورأى في قطعة النقود أجر ما يقدم من خير فتعلق بها بصره ... ثم انفرجت شفته عن ابتسامة رقيقة



ثم يتدافعون نحوك يسألونك : « كم الساعة ؟ »  
وأنت تبسم . . . وبدا للضابط أن عيني الطفل  
قد انبعث منهما شعاع من أمل ، وشعاع من  
طمع ، وهو يحدج الساعة بنظراته ، ويقول :  
« لا ، لا أريد ، إنه حين تكبر سنى سيمطينى  
عمى القائد ساعة أجل من هذه » قال الضابط :  
« حقاً ، غير أن لابنه ساعة كهذه ، وهو أصغر  
منك سنًا » ، وخيل إلى الصبي أن الضابط  
يسخر منه ليستدرجه فقال : « أفترأى ؟ »  
قال الضابط وهو يقدم الساعة إليه ، وقد عاد إليه  
الأمل مرة أخرى : « ها هي ذه نخذها ، ثم أخبرنى  
أين هو المجرم جيانيتو ؟ » ، وتقدم الصبي في هدوء  
نحو الساعة رويداً رويداً وهو يراها وهماجة براقه ؛  
تحت أشعة الشمس ، تخطف البصر ، ثم أمسك  
بها يقلبها بين يديه ، وقد استبشر وانبسطت  
أساريره ، ونفسه تحدته : « ألق بقطعة النقود إلى  
صاحبها ، وخذ هذه فهي أغلى وأثمن ! » ،  
واضطرعت في نفس الصبي عوامل الوفاء والجشع ؛  
أفيخون عهده وينقض مواعيده ؟ ولكن الساعة ..  
الساعة ! أفيفقدها بعد إذ احتوتها يداها ؟

وغلبه الحرص والطمع وحب المال جميعاً ،  
وهو قبالة ابن عمه الضابط ، ومن خلفه كومة  
التبن ؛ فرفع يده في هدوء يشير إلى الوراء ... إلى  
كومة التبن ...

\*\*\*

وتدافع الشرطة يبعثرون كومة التبن هنا  
وهناك ، فانفرجت عن جريح لا يستطيع أن يحمل  
نفسه ، وفي لحظة البصر نزع الشرطة عن جيانيتو  
بندقته وحربته ، وشدوا وثاقه ؛ غير أنه استطاع  
أن يدير بصره نحو الصبي ، ومن حجاجيه شرر

غائب ! » ، وراح الضابط يهدد الصبي : « أولى  
لك فأولى ! أفلا تعلم أنني قادر على أن أحملك إلى  
كورت أو إلى باستيا فألقى بك في غيابة السجن  
ترسف في أغلال من حديد ، ثم أضع رقبتك بين  
حدى المقصلة جزاء ما فعلت ؟ » ، وأغرق الصبي  
في الضحك لما سمع . . .

وارتد الشرطة بعد أن وجدوا الخيبة والفشل  
وجاء واحد منهم إلى الضابط يقول : « لم نجد أحداً  
فلنتمس طريقاً غير هذا ! »

وبدت الدهشة على وجه الضابط جامبا حين  
خيل إليه أنه منى بالاختفاق ، واضطرب حين  
لم يجد الطريق إلى فريسته . إن الدار أمامه ،  
وهو يستطيع أن يرى كل ما فيها في نظرة خاطفة ؛  
فما هي غير حجرة واحدة عارية عن الأثاث ، لقد  
سيطر عليه الارتباك ، والصبي إلى جانبه يداعب  
قطته ويبسم لما هم فيه من حيرة

ياضيمة المجهود ، ويا خيبة الأمل ! لقد هموا  
يريدون الرجوع بعد ما بذلوا من جهد ، وما لاقوا  
من عناء ، غير أن عيني الضابط لمعنا حين بدت له  
بارقة من أمل . لقد تهدد الصبي فما أجدى التهديد ،  
وتوعده فما أغنى الوعيد ؛ فليطرق باباً غير هذا  
عله . . . فالتفت إلى الصبي : « فورتنا تو ، لقد  
ظننت بك سوءاً ، ولكننى وجدتك شجاعاً ذكياً ،  
ليتك تصحبنى ! » قال فورتنا تو وهو ما يزال يبعث  
بان صمه : « جامبا ، أسرع إلى عمك وإلا اختفى  
جيانيتو فلا تثر عليه أبداً ؟ » وأخرج الضابط  
ساعته الفضية وهو يقول : « أفلا تريد أن يكون  
لك مثل هذه الساعة ، فتمشى الخيلاء بين رفاقك  
في شوارع المدينة ، وقد علقت في صدرك كأنها  
وسام ، والناس من حولك ينظرون ويمجبون ،

يا للخيبة ! » ، ثم التفت فوجد جيانيتو ماقى على سرير من قش ، شُدَّ إليه في غير رفق ولا لين ، وثبت بصره على الرجل فا استطاع أن يحوله وفي رأسه الأسى والأسف ، وفي وجهه العبوس والحزن ، وفي عينيه اللوعة والحسرة ؛ فرأى الرجل يدير بصره نحو الدار فيصق ويقول : « هنا ، هنا دار الخائنين السفلة ! »

أى امرئ تحذنه نفسه أن يهين هذا الرجل القورسبقي وهو بضن بكرامته أن تثلم ، ويصون شرفه أن يتمن ؟ ويل له . . . ويل لمن تنفرج شفتاه عن كلمة يستشعر منها ماتيو بالاهانة والسخرية إن طلقة واحدة من بندقيته ، أو رمية واحدة من حربته هي المقاب الوحيد أن يفعل ! ثم هو لا يطمئن خاطره أو يهدأ باله إلا أن يفسل الاهانة بدم المتبجح الجريء ! ولكن . . . ولكن ماذا يفعل وابنه هو الذى ثلم عرضه ولوث شرفه ؟ لقد أحس بوخزات الألم تحز في قلبه ، ورأى الفضيحة والعار فيما فعل ابنه ، فوضع يده على جبينه المتشعر والهموم تتنازعه . . .

وأراد الابن أن يترضى الرجل المسكين حين رأى ما ارتسم على وجه أبيه فولى وجهه شطرا الدار ومشى يشاقل ثم عاد وبين يديه وعاء ملي لبناً وقدمه في ذلة وخضوع الى جيانيتو ، غير أن الرجل صرخ في وجهه : « تنح ، تنح أيها ال . . . » ثم التفت الى شرطى الى جانبه يطلب اليه ماء . . . لقد شرب من يد الشرطى وهو كان — منذ فترة — يصب عليه وابلا من رصاص ؛ أما ابن ماتيو . . .

\*\*\*

وانطلق الضابط والشرطة يحملون المجرم الى

يتطار ، ثم بصق وهو يقول : « أيها ال . . . » وألقى الصبي قطعة نقوده ، وجيانيتو في شغل عنها يقول للضابط : « عزيزى جامبا : إننى لا أستطيع السير ، فسترغمون على حملى ! » ، وشمخ الضابط بأنفه في كبرياء ، وصعتر خده في صلف ثم قال : « إن نشوة الانتصار ، ولذة الفوز يبعثان في قوة أستطيع بها أن أحملك وحدى على كتفى حتى نبلي المدينة »

وتفرق الشرطة ، فبعض يأسو جراح جيانيتو وبعض يهين له سريراً من قش ، والضابط بازائهم ينظر . . . وعلى خطوات الصبي فورتناتو يداعب ساعته فرحاً متملاً . . . ويدنا كل في عمله لا ينى ولا يتباطأ هبط ماتيو فالكوفى وزوجته . . .

\*\*\*

ووقف ماتيو فالكوفى حائراً لا يدري مما حوالية شيئاً ، ولكن جامبا اندفع يقص القصة ويثنى على فورتناتو ، ويشكر ما أسداه إليه من خير ، واستطرد في حديثه : « إن هذا المجرم الأثيم قد دفعنا عنه في قوة وشدة ، ثم اندس في التبن ، فا استطاع واحد أن يستشعر وجوده ، ولولا فورتناتو . . . » ، وصاح الأب والأم معاً : « فورتناتو ! » ، قال الضابط في هدوء : « نعم ، لولا فورتناتو ما استطعنا أن نثر عليه ، ولذهب في الهباء ما عانينا من شدة وما بذلنا من جهد . سأخبر عمه القائد ليرسل إليه جائزة سنوية ، وسأسجل اسمك واسم في التقرير الذى أرفعه الى النائب العمومى » ، واستشعر الأب شدة الصدمة فصدم قلبه حين بدا له أن ابنه باع شرفه بالثمن البخس ، فصاح من الأعماق صيحة خافتة كأنها صدى تحفقات قلبه المكوم : « يا للخيبة ،



دوى له المكان وتزلزلت منه قوة الصبي « اقرأ صلواتك ! » فامتثل الصبي مرغماً . ثم رفع رأسه بمدحين ، وفي عينيه العبرات ، فقال الرجل : « هل أنعمتها ؟ » فهما الصبي نحو أبيه « آه ، أبي ! أبي لا تقتلني ! الرحمة يا أبي والصفح ! لن أعود لثلاثها . سأطلب الى عمي القائد أن يماثل سجينه بالحسنى . أبي لا تقتلني ! ! إني ابنك ! لقد أخطأت فأرجو الغفران والشفقة ! » ثم اندفع في حديثه يابن ما قسا من قلب أبيه ، ولكن الأب كان قد صوب إليه بندقيته وهو يقول : « فليسامحك الله »

وأراد الصبي أن ينكب على قدمي أبيه يقبلهما ، غير أن النية لم تمهله .. لقد دوت الرصاصات فاستقرت في قلب الطفل فخر يتلوى ويتخبط في دمه المتفجر وهو يئن : « آه ، آه ، آه يا أبي ! »

وقفل ماتيو راجعاً دون أن يلقى نظرة واحدة على جثة الصبي الهامدة

\*\*\*

وسمعت الأم — وهي راكبة تصلى عند تمثال العذراء — دوى الطلق الناري فانشقت كبدها أسى ولوعة ، وتمزق فؤادها جزعاً على ابنها وأهلها ، حين بدا لها أنها فقدته إلى الأبد ؛ ثم انطلقت في جنون الشكلى ثمركها المصيبة عركاً . وعلى خطوات من الدار رأت الأب يعود مطرقاً ذاهلاً ، تتوزعه الهموم وتتناهيه الأحزان بعد أن نفذ القضاء ، فاندفعت إليه وهي تصيح : « ابني ! ماذا ، ماذا فعلت ؟ » فأجاب الرجل في صوت خافت ضعيف فيه أنات المفئود : « المدل ، المدل يا عزيزتي جيوزيبا ! » قالت : « وأين هو ؟ » قال : « هناك هناك في المنحدر ، سأدفنه . لقد مات سأستغفر له ربى ! »

لأمل محمود مبيب

المدينة ، وماتيو وجيوزيبا في مكانهما مطرقين وقد اربد وجههما . والصبي بينهما يردد بصره في وجه أمه حيناً وفي وجه أبيه حيناً آخر وقد ذهل عن نفسه . ثم نظر الأب الى ابنه في قسوة وقال في صوت أجش كأنه قصف الرعد : « حسن ما فعلت ! » وصرخ الصبي فزعاً : « أبي ، أبي ! » ثم انطلق بجثو عند قدمي أبيه والعبرات تتناثر من محجريه تسأله العطف والرحمة ؛ فصاح الأب : « تنح ، تنح أيها النذل ! » فحمد في مكانه

ورأت الأم طرف السلسلة يتدلى من جيب صديرية الصبي فقالت : « أنى لك هذه ؟ » قال : « أعطانيها ابن عمي جامبا » فنزعها الأب في شدة وألقى بها في عنف على صخرة فتحطمت قطعاً قطعاً وهو يقول : « هذا هو أول خائن في أسرتنا ! » وانهمرت عبرات الطفل مرة أخرى ، وماتيو يحدجه بنظرات قاسية ملتهبة ، ثم صار في صمت نحو الغابة وبندقيته على كتفه ، ثم نادى الصبي فتبعه وهو يبكي ؛ وانطلقت جيوزيبا على أثرهما وقلبا يضطرب ، والأرض تكاد تميد بها من فرط الشجن ؛ وأمسكت بذراع زوجها تستعطفه « ماتيو ، ماتيو ، إنه ابنك » فقال الرجل في غيظ « ارجى ، ارجى ! إنه ابني وأنا أبوه ! » فراحت المرأة تضم ابنها إليها في قوة كأنها تريد أن تنتزعه من بين يدي أبيه ، وهي تذرف الدمع السخين . وعادت الى الدار تجثو عند رسم العذراء ، وتصلى في خشوع وضراعة

وفي قلب الغابة ، عند صخرة كبيرة ، وقف الرجل ثم نادى ابنه : « تعال ، تعال هنا يا ولد ، اركع واقرأ صلواتك ! » غير أن الصبي اندفع نحو أبيه : « أبي ، أبي لا تقتلني ! » فزار الرجل زئيراً





الذي أقيم فيه صالح لي كما تقول ، فقد بناه جدي منذ عهد بعيد ونشأ فيه والذي وقد ولدت فيه أنا وقضيت فيه سنى شبابي ولكنى أشعر الآن بالحاجة إلى منزل جديد .

— لماذا ؟

— سعيًا وراء الهدوء ، إلى أطلب السعادة فلا أجدها .

ثم هم «دون» بالدخول فتعثر في المظلة والحفظة فزلت قدمه وهوى على ركبتيه ، فأمرعت اليه زوجه ، وقد تجأهات وجود بارنت وأعانتة على الوقوف ثم قبلته قائلة : أرجو ألا يكون قد أصابك شيء يا عزيزي . أما الأطفال فقد أحاطوا بالدم وهم يصيحون : « بابا بابا » فقال بارنت وهو يدير عينيه بين الزوجة والزوج : لا بأس ، ثم حياهما وانصرف ، وقلبه يتلفت إلى تلك المرأة .

عاد بارنت إلى منزله فلم يجد زوجه إذ علم من الخادم أنها ذهبت إلى «الخطاطة» . فصاح الرجل متعجباً : « أى خطاطة في مثل هذا الوقت ؟ »

— لقد تناولت غداءها وخرجت وهي تعتذر لك عن صحبتها هذا المساء .

— ولكنها كانت تعلم بمجيئى الليلة .

— نعم ياسيدى .

— اذهبي إليها وأخبريها بأمرى .

ثم جلس بارنت إلى المائدة يتناول عشاءه في تراخ وكسل ، وسرعان ما تذكر صديقه «دون» وحياته السعيدة ثم أخذ يقارن بين الحياتين ، ثم نهض أخيراً وقد امتلأت نفسه حزنًا ودلف إلى الخارج ، وكانت الشوارع لا تزال تفيض بالأنوار تحييه كلما أبصر اسم أسرته على إحدى واجهات

الحوانيت ، فذكرته هذه المناظر بما كان عليه والده من مجد وشهرة . ثم مضى في طريقه حتى وصل إلى منزل صاحبتة «لوسى» . فلما رآته اندفع الدم إلى وجهها وألقت عليه نظرة كلها دهشة واستخفاف ؛ فلما رأى بارنت منها هذا قال : « إني أعرف أنه ليس لي عمل هنا ، ولكنى شعرت برغبة قوية إلى رؤيتك والاطمئنان عليك . هل لك أن تمنحني يدك لترى كم من مرة أمسكتها »

— إني أفضل أن أنسى الماضي لا أن أذكره فاني لا أجد فيه ما يستحق الذكر أو يسمح لك بالجيء إلى هنا .

— ولكن ليس فيه ما يؤلم . إني لا أضايقك كثيراً يا «لوسى» .

— إني لم أتشرف حقاً بزيارتك من مدة ، ولكنى لم أكن أنتظرها الآن . أرجو أن تكون مسرورة ببارنت بخير .

— نعم . نعم . أو على الأقل أظن هذا .

— كيف هذا وهي زوجك ؟

وفي هذه اللحظة أيقظت كلمات ذلك الزائر الفضولى «كناريًا» كان ينام في قفصه ، فهب الطائر مذعوراً وأخذ يضرب القفص بجناحيه ، فذهبت إليه لوسى ودنت منه وتمتمت ببعض الكلمات . فسكن الطائر إليها وعاد إلى هدوئه الأول . والحقيقة أنها عملت هذا لتريح نفسها من عناء الحديث مع ذلك الضيف .

ثم استطرد الرجل قائلاً :

« إني لم آت لأتحدث عن مسرورة بارنت بل أتيت لأتحدث عنك أنت وحدك ولأقف على حالك منذ ذلك المصاب العظيم » . قال هذا وهو يلتفت

إلى صورة أبيها التي كانت معلقة على الحائط  
— لا بأس — أشكرك —

— ماذا كنت تعملين عندما جئت إلى هنا؟  
أنظر زين الأزهار؟ — وعلى ضوء الشمعة؟  
— كنت أعمل الحواشي فقط. أعمل هذا  
ليلاً توفيراً للوقت. قاني ملزمة بانجاز ثلاثين غطاء  
في نهاية هذا الشهر

فنظر إليها بارنت وقال بصوت المشفق عليها:  
« حرام أن تجهدي عينيك هذا الاجهاد —  
لا. إني أفضل العمى على أن أرى هذا بمعنى »  
فصاحت لوسي في وجهه: « وهل هذا هو  
الوقت والمكان اللذين تذكر فيهما هذه الأشياء —  
لقد اعتدت أن تحترمني وتحترم نفسك .. أرجو  
ألا تنطق بمثل هذا الكلام وألا تأتي إلى ثانية.  
قاني لا أظن أن زيارتي ذات بال عندك »

— ذات بال؟ لقد أتيت لأرى صديقا قديما  
عزيزا — لا لأن أذكر هذه الأشياء. ولقد أتيت  
لزيارة المرأة التي أحب؛ فلا تغضي، قاني لا أستطيع  
أن أمنع هذا. إن كثيرا من الأشياء قد دفع بي  
إلى هنا — فقد حدث في هذا المساء أن قابلت  
صديقا، فلما رأيت ما ينعم فيه ذلك الصديق من  
حياة منزلية هائلة، مع أن إرادته لا يصل إلى  
عشر إيرادي استولى على شعور غريب دفعني إلى  
هنا. آه إنه مصيري الذي ساقني إلى هذا. إني  
لا أعرف كيف أفلت مني. فقد كنت المرأة التي  
كان يجب أن تكون إزوجتي، ولكنني تركتك  
تفلتين. يالي من أحمق!

فأجابته لوسي، وقد اغرورقت عينها  
بالدموع: « لا تثر هذا الموضوع من جديد.

إني مخطئة أن أشاركك هذا الحديث. يجب ألا  
تأتي إلى هنا. إني أخشى الفضيحة

— حقاً. ليس لي حق في هذا، سوف  
لأعود ثانية  
— إنه لمن حق الطبيعة البشرية أن يظن  
الإنسان أن الطريق الذي لم يسلكه هو الأصوب.  
فتندم الآن قبل أن تعرف إذا كنت أرضى  
بك زوجاً

وفي هذه اللحظة التقت عينها بعينيها فلم تقو  
على النظر إليه وخانها صوتها، ثم صمتا برهة،  
وأخيراً استأنفت لوسي كلامها فقالت: « إني  
دونك جاهك ومالاً. لذلك لم يكن أمر زواجنا  
ميسوراً، والآن أرجو أن تتركني »  
— أجل ولكنني لن أقابل فتاة أعز منك.  
ثم مضى

وفي اليوم الثاني جاء « دون » لزيارة صديقه  
بارنت فلم يكده يدخل البيت حتى رأى مسز بارنت  
خارجة من المنزل، فالتفت إلى صديقه وقال:  
« أود أن يصلح أمركما قريباً »

— إذن لقد سمعت بنياً الانفصال الأخير؟  
فحاول « دون » أن يخفي سروره في قلبه بأن  
قال وهو يتظاهر بالأسف: « لا. لم أسمع عن شيء  
مهم. لكن لدى بعض أخبار فامضة عن ذلك »  
— قد تظن أن الأمر تافه، ولكنني أرى  
فيه غير ذلك، والآن كيف حال زوجك وأطفالك؟  
— بخير أشكرك، فقد خرجوا اليوم كلهم  
للزهوة. إنك عصبي المزاج يا سيد بارنت، وإني  
لأذكر أيام التلمذة، وكيف كنت تثور إذا مامس  
أحد شعورك بكلمة



- أجل إنك مصيب يا صاحبي ، وهذا راجع إلى أني أطلب دائماً الهدوء في المنزل فلا أجده ، فلو أني ظفرت به لكان عليّ كل شيء آخر
- لقد فكرت أكثر من مرة في إصلاح ما بينك وبين زوجك ، ولكني لا أدري إذا كانت هذه الفكرة تروقك ، على كل حال سأعرضها عليك ولك أن تأخذ بها أو تتركها ، والحق أن زوجي هي صاحبة الفكرة ، فقد رأت أن تذهب إلى مسز بارنت وتتفاهم معها . إني واثق من أنهما ستنصلا إلى نتيجة مرضية . فان زوجي لها قدرة عجيبة على كسب بنات جنسها
- وبني جنسها أيضاً ، إنها امرأة ذكية الفؤاد عظيمة التأثير ، وإنك لحسن الحظ بها
- قد يكون هذا ، إن زوجي مستعدة للقيام بهذه الوساطة إذا وثقت أنها جديرة بمركز مسز بارنت الاجتماعي
- إني أشكرك كثيراً ، ولكنني أخشى ألا تنصلا إلى نتيجة ، ثم حياء وانصرف
- وفي ذات يوم كانت السيدتان راكبتين قارباً صغيراً يقطع بهما عرض النهر جيئة وذهوباً . بينهما كان السيد بارنت في طريقه إلى منزل « لوسي »
- كانت « لوسي » في حديقة المنزل تقطف بعض الأزهار عندما دنا منها بارنت ، فلم تكذب تراه حتى قالت له في ابتسامة عذبة رقيقة وهي تمد يدها إلى إحدى الزنابق الحمراء : « لقد ذكرت لك كثيراً يا سيد بارنت منذ أن تركتك زوجك ، وما أنت هنا ... »
- نعم « لوسي »
- إلى أين أنت ذاهب الآن ؟
- إلى الميناء
- طبعاً . لقد بدأت طلائع الصيف وأخذ الناس يهرعون إلى الشواطئ
- لوسي . أراك اليوم ضامرة العود ، شاحبة الوجه — خبريني هل يمكنني أن أساعدك . إن الجو اليوم صفو والهواء رخاء عليل
- ثم مضى ، ولكنه لم يكذب يذهب بعيداً حتى هبت عاصفة شديدة غيرت وجه الطبيعة ، فبدت مخيفة غاضبة ، وعندما وصل إلى الميناء تقدم إليه أحد البحارة وهو يقول : « خطب عظيم يا سيدي »
- ما هذا يا رجل ؟
- لقد ركبت اليوم سيدتان هما مسز بارنت ومسز دون أحد القوارب طلباً للنزهة ، ولكنهما لم يبتعدا عن الشاطئ كثيراً حتى هبت عاصفة شديدة أطاحت بالقارب بعيداً فانكفأ على من فيه
- أين ؟
- أسرع إلى تلك الصخرة واطلب من ذلك الصبي الواقف هناك أن يدلّك على مكان الحادثة
- وهل أنقذت السيدتان ؟
- لقد أنقذوا واحدة
- من ؟
- مسز بارنت ، أما مسز دون فيخشى أن تكون قد غابت في جوف النهر ، فأسرع بارنت إلى مكان الحادث فرأى جمماً من الناس قد تجمهروا هناك ، فنفذ وسط ذلك الجمع ، وهناك رأى امرأة ملقاة على الرمال يملأ بدنهما ثوب بنفسجي وفي يديها قفاز أصفر فمرف أنها زوجته
- عاد الرجل بزوجه إلى المنزل ودعا إليها بمض

فأخذ ينظر إلى زوجه المسجاة في صمت وذهول ؛ لقد كانت تكبره بسنوات ، ولكنها لم تخط بعد سن الشباب ، فأخذ يتفرس فيها ، فرأى قسبات وجهها أكثر فتنة وسحراً ، ورأى فيها الدقيق وشفثتها الرقيقتين قد التصقتا ، وجيدينها المشرق الوضاء يموج فوقه شعر أسود جميل ، فصاح متمججاً : « إن هذا الجمال لن يموت ! » ثم عاد ثانية إلى النافذة فرأى الدخان لا يزال يتصاعد من المدخنة في بيت صديقه ، ورأى « الكناري » لا يزال في القفص ، فهجمت عليه الذكريات القديمة ، وأخذ يفكر في زوجه ولوسى ونفسه

قضت الزوجة أسبوعاً طريحة الفراش ، ثم فاضت روحها بين يدي زوجها ، فأسرع الزوج إلى إعداد الجثة ومواراتها التراب ، ولكنه لم يكدهم بالخروج حتى دخل عليه خادمه بخطاب من صديقه « دون » يقول فيه :

عزيزى بارنت :

رأيت من الأفضل أن أعلمك بأننى سأزوج من « لوسى » على رغم أنى لم أعلن هذا بين أصدقائى نظراً للحداد ، وعلى ذلك ستكون هناك حفلة خاصة ، ولكننى أود أن تشهدها وأن تصحبنا إلى الكنيسة في الساعة العاشرة .

أخذ بارنت يتلو هذا الخطاب مرة ومرة ، ثم وقف قليلاً يفكر في الأمر

لم يكن هذا الرجل بالواهن العزم ، الضعيف الارادة ؛ بل كان ذا قدرة عظيمة على احتمال الخطوب والصبر على المكاره ، فلم يهن له عزم أمام هذين الخطيبين اللذين ألما به في تلك اللحظة

الأطباء ، والغريب في أمر هذا الرجل أنه شعر أن حبه لزوجه هو الصلة الوحيدة التي تربطه بالحياة ، ثم أسرع إلى صديقه دون في مكتبه ، وما كاد يفضى إليه بذلك النبأ الفاجع حتى هب الرجل مذعوراً وبقي واقفاً لا يدري ماذا يعمل ، وبقية أجش بالبكاء فجذبته بارنت من يده وذهبا معها إلى الميناء ، حيث بقيا زمناً ينتظران إخراج الجثة ، ولكن النهر كان لا يزال هائجاً فلم يعثر الغواصون عليها ، فعاد بارنت إلى منزله تاركاً دون مع بقية الأصدقاء يرقبون الفريق ، فلم يكدهم يخطو عتبة الدار حتى وجد الطبيب خارجاً ، فقال له : « خير » فأجابه الطبيب : « قد عملنا جهدنا ، ولكننا لم نصل إلى نتيجة ، إنى أشاطرك هذا المصاب »

فلم يقدر الرجل شعور ذلك الطبيب كثيراً ، إذ ظنه يتهم به ، ولا سيما وأنه كان واقفاً على النزاع الأخير ، ثم أردف الطبيب قائلاً : « أرجو يا سيد بارنت أن تنتهى من ذلك الأمر قريباً »

فأجابه بارنت قائلاً : « دعك من هذا الآن ، وامنض إلى الميناء فقد يكون الليد دون في حاجة اليك » ، ثم دخل المنزل فرأى الخدم خارجين من غرفة زوجه ، وقد بدا عليهم الحزن واليأس ، فأسرع إلى الغرفة ووقف صامتاً برهة وهو ينظر إلى السرير ، ثم مضى إلى غرفته الخاصة وظل يقطعها في خطى متثددة ثقيلة ، وقد شعر أن كل شيء قد مات في هذا البيت ، فلم يمد يسمع همساً أو نفساً . فذهب إلى النافذة وأخذ يسرح نظره في البلدة الصاخبة ، فرأى الدخان يتصاعد من إحدى المداخل البعيدة ، فأدرك أن لوسى تنهياً لعمل الشئ كماداتها . ثم عاد إلى غرفة النوم



الصخر الجلود أو المعدن الصلب ، ولكن هذه المدة وإن بدت طويلة في عمر الانسان لا تذكر بجانب عمر الانسانية ، ولا تترك فيها شيئاً وأخيراً بعد عشرين عاماً عاد بارنت إلى موطنه الأول الذي لا يحول عنه ولا يتحول . فرأى وجوهاً غريبة ومعالماً جديدة ، ومضى يسأل عن شريكه القديم السيد « واتكنز » . فصادف ابنه فسأله عن والده فقال له الابن : « لقد مات أبى من مدة » — آه يؤسفنى أن أسمع هذا — لقد تركت هذه البلدة من زمن بعيد

— ولكن هل الشركة قائمة الآن ؟  
— أجل إنها لا تزال قائمة ، ولكن أسقط منها اسم بارنت . ذلك الاسم الخيالى الذى لا أعتقد أن صاحبه قد عاش بيننا وساهم في هذه الشركة — ألا يزال « أندروجون » يعمل مهندساً للشركة ؟

— أوه ! لقد مات يا سيدى  
— وكيف حال قسيس كنيسة القديسة ماري مستر « مدروز » ؟

— لقد توفاه الله منذ سنوات عديدة  
فصمت بارنت برهة وقال : « كيف حال مستر « دون » المحامى ألا يزال يعمل في المحاماة »  
— لا يا سيدى ، لقد مات منذ سبع سنوات  
فصمت بارنت ثانية ، وشعر بقشعريرة تسرى في بدنه ثم قال : « وهل مسز دون لا تزال على قيد الحياة ؟ » قال هذا وهو يكاد يقضم شفتيه بأسنانه

— نعم إنها لا تزال حية وتقيم في المنزل القديم  
— مع أطفالها طبعاً

ولم يكن أحد قد سمع بموت زوجته ، ولم يرد أن يخبر صديقه « دون » في ساعة زواجه ، فقام بأعداد كل شيء بنفسه ، ولما انتهى من ذلك أسرع إلى الكنيسة فرأى « دون » و « لوسى » ساجدين أمام الهيكل وحولهما بعض الناس ، فتقدم إلى « دون » وهناك ، ثم التفت إلى « لوسى » وهو يتوقع أن يرى في عينيها بريق الائم والندم ، ولكنه وجدها مأخوذة بالموقف الجديد ، فهناها وانصرف ، فقال له « دون » :

— انتظر حتى تصحبنا إلى المنزل  
فأجابه بارنت : « لا . لا . لست مستعداً لهذا . سأقف في الخارج مع الواقفين حتى تركبا العربى الى المنزل — ثم أراقب ذلك الشعور الذى يغمرنى عندئذ . فضحك الزوجان ثم ابتسم بارنت وخرج فلما انتهت الحفلة وركب الزوجان وانصرف المدعوون مضى بارنت في خطى متعثرة وفكر شارد الى مدافن البلدة وهناك انحنى على قبر زوجته يرفه عن نفسه بالبكاء ثم عاد الى منزله وقد غزم على أمر عظيم

فلما استقر به المكان أرسل جملة رسائل إلى شركائه ثم دعا أحد المحامين وهو صديق قديم لوالده وطلب إليه أن يبيع له جميع أملاكه وأن يرسل اليه ثمنها وفي اليوم التالى كان بارنت في طريقه الى حيث تقوده قدمه

لكنه قبل أن يغادر البلدة أرسل إلى صديقه « دون » بنبيه بموت زوجته في الساعة التى وافاه فيها خطابه الذى يعلمه فيه بزواجه من « لوسى »

\*\*\*

إن عشرين عاماً لا تمضى دون أن تترك أثراً في

— لا — ليس لها أطفال — إلا بنات زوجها  
« دون » من زوجها الأولى ، وقد تزوجن كلهن  
فهي تمشي الآن وحيدة

— وحيدة ؟

— نعم يا سيدي وحيدة

فشكره الرجل وانصرف ، ومضى إلى الفندق  
فتناول غداءه ثم ارتدى ملابسه وحلق ذقنه وخرج  
إلى بيت لوسي كما كان يفعل قبل ذلك بعشرين عاماً  
فلما وصل إلى الدار وجد نوراً ضئيلاً ينبعث  
من إحدى الغرف ، والسكون يخيم على المنزل فدنا  
من الباب وقرعه فأسرع الخادم وفتح له وقال :  
« ما اسمك يا سيدي ؟ »

— صديق قديم

فرضى الخادم وأخبر سيده بذلك . فقالت له :  
« ماذا يشمه ؟ »

فأجابها الخادم . « إنه رجل قد وخط الشيب  
فوديه »

فنهضت المرأة التي كانت يوماً ما الفتاة « لوسي »  
وقد ذبلت الوردتان اللتان كانتا على خديها وعرف  
الشيب طريقه إلى شعرها . ولكن عينيها لم تفقدا  
سحرهما وقوتهما ولم تستطع العشرات عاماً أن  
تذهب بكل ذلك الجمال وذلك السحر

— ألا تعرفيني يا لوسي ؟

— لقد عرفتك منذ رأيتك — إني لا أعرف  
لماذا كنت أفكر دائماً في عودتك — لقد قالوا  
إنك مت ، ولكن لم أصدق قولهم

— آه لقد مضى زمن طويل على لقائنا الأخير

— نعم . ماذا رأيت في طوافك بجانب  
ما رأيت في هذا المكان المنعزل . إنك تعرف أن

زوجي قد مات منذ أمد بعيد وأني أعيش وحيدة  
الآن اللهم إلا بعض زيارات من بنات زوجي مستر  
« دون »

— وقد أصبحت أنا شيخاً وحيداً

— أين قضيت هذه المدة الطويلة ؟ ولماذا  
اختفيت عنا فجأة ؟

— حسن يا لوسي ، لقد أقيمت مدة في أمريكا  
وزمناً في استراليا . وسنوات في الهند ، وفترة في  
جنوب إفريقيا ، وهكذا فلم أمكث في مكان واحد  
كما ترين

أما لماذا اختفيت فجأة فأنت تعرفين السبب .  
ألم تفكري مرة ؟

— لا — لم أفكر — ولا أي واحد آخر قد  
فكر في هذا

— حسن . فكري الآن . ثم انظري إلى  
وأخبريني إن كنت لا تعرفين

فنظرت إليه لوسي في ابتسامة رقيقة وقالت :  
« أظن أنه ليس من أجلي »

فهمز الرجل رأسه وابتسم ابتسامة حزينة فقالت :  
— ألا تترجعت « دون » ؟

— نعم ، وفي اليوم الذي أصبحت فيه حراً  
لأن أطلب يدك . إذ ماتت زوجي قبل ذهابك مع  
« دون » إلى الكنيسة بعشر ساعات ، ولقد ذهبت  
إليها عقب فراغي من الدفن

فألقت عليه لوسي نظرة كلها حب وعطف  
وقالت : « لم أفكر في هذا ، ولكنني أعرف أنك  
أظهرت لي بعض الشموع الطيب مرة ؛ ثم إني لم أتزوج  
إلا وأنا أعتقد أن زوجك لا تزال حية . أظنك في  
حاجة إلى الشاي . لقد اعتدت أن أشرب الشاي



بدلاً من الفشاء منذ وفاة زوجي فهل تسمح وتتناوله  
معي ؟

فأظهر الرجل رغبته في الشاي وسرعان ما أعد  
لها . فجلسا يشربان ويتحدثان ثم أخذ بارنت يسرح  
بصره في الغرفة وأخيراً قال :

— أرى تغيراً في نظام الغرفة . ففي مكان  
« البيان » الآن كان يقوم بعض أوراق الحائط وبها  
بعض البطاقات والرسائل ، وفي ذلك الركن قرأت  
ذلك الخطاب الذي أرسله إلى دون منذ عشرين  
عاماً يعلمني فيه بزواجه منك . فتركت المنزل ولم  
أعد إليه إلا الآن

— آه لقد فهمت كل شيء

ثم أوقد المدفأة واستأنفا الحديث ، وأخيراً  
قال بارنت : « لوسي ! إن بعض الشيء أفضل من  
لا شيء ، فان كان الوقت قد فات فان ما بقي فيه  
خير من عدمه . هل تزوجين مني الآن ؟ »

فتراجعت المرأة مندهشة . ولكنها لم تكن  
تجهل الموقف تماماً ثم قالت :

— ماذا ؟ إني لا أتزوجك ولو وهبتي هذه  
الدنيا كلها

— حتى بعد هذا ؟

— لو أني كنت أفكر في الزواج لفضلتك  
على سواك ولكني لا أفكر فيه الآن ولا بعد الآن  
— ولكن ألا تغيرين من رأيك هذا ؟

-- إنك لا تدري ماذا تقول . إني لا أستطيع  
أن أقول إنه كلام مضحك لأنني أراك تتكلم جداً  
ولا أستطيع أن أصغى الجد بالمزاح

— أجل إني جاد . فقد فكرت في هذا منذ  
شهرين وأنا في مدينة « الرأس » لكنني أجد منك

إغفاء وصداً . إني أتكلم جداً

— وإني أعارض في أية فكرة في الزواج

— حسن فلأنصرف ، مادام الأمر كذلك .

ثم نهض يتأهب للخروج ، فأعانتها على لبس معطفه  
وودعته حتى الباب

فقال لها : أسعدت مساء . أرجو ألا أكون  
قد أسأت إليك

— لا ، لا ، بل إني أرجو منك هذا

فابتسم قليلاً وقال : « سأقلب أوجه الرأي  
وأرى فيما بعد . أسعدت مساء »

ثم رافقته حتى اختفى في الطريق فعادت إلى  
غرفتها وأوصدت الباب دونها ثم استلقت على  
فراشها وأخذت تستعيد صور ما حدث منذ لحظة .  
وكيف تلقى صاحبها ذلك الرفض في ثبات وهدوء  
كأنه كان يعتقد أنه لا يستحق إلا هذا . لقد كان  
رجلاً في هذا الموقف . بل كان أكثر من رجل .  
ثم نهضت إلى المرأة وأخذت تتطلع فيها فرأت أنها  
لا تزال تحتفظ بكثير من جمالها القديم . ثم بدا لها  
رأى جديد

أخذت ترقب عودته يوماً بعد يوم ولكن  
كبرياءه أثبت عليه أن يعود إليها . وقد أخبرها أنه يقيم  
بالفندق . فلما طال الانتظار ذهبت إليه تسأل عنه  
فقيل لها إنه غادر المدينة في الصباح ولم يحتفظ بفرقة  
— ألم يترك عنوانه ؟

— لا

فعادت إلى منزلها ساهمة مهمومة موطنه المزم  
على الانتظار

فانتظرته الأيام والسنين ولكنه لم يعد

نظمى منيل

ورجعت إلى البيت ، فدعوت لاريف ووصفت له السكن المحاط بالحديقة الصغيرة عند مدخل القرية واستفسرت منه عن سكانه ، فقال : إن من يقطنه سيدتان إحداهما عجوز مشهورة بالتقوى والأخرى تدعى مدام بيارسون وهي السيدة التي رأيتها . ولما استعلمت عنها وعما إذا كانت زارت والدي من قبل قال : إنها تعيش منعزلة وإنه قليلا ما رآها عند والدي ولم استرده إيصاحا ، بل عدت إلى ممشي الزيفون وجلست على مقعده ، فاقترب الجدى مني بلاطفي فشمرت بحزن عميق يستولي على ، ونهضت أرسل بصرى على الطريق التي كانت مدام بيارسون قد اتجهت إليها ، ثم اندفعت بخطاها وأنا ذاهل حتى توغلت في الجبل

وكانت الساعة الحادية عشرة مساء ، عندما خطر لي أن أعود أدراجي ولكنني رأيت منزعة قريبة مني فتوجهت إليها لأتناول فيها قذح لبن وقطعة خبز ، وكنت من جهة أخرى شمرت بنقط كبيرة تتساقط من الغمام منذرة بعاصفة شديدة ، فقصدت بيت الزرعة وطرقت بابه ، فاجابني أحد بالرغم من وجود نور فيه ، فتقدمت إلى النافذة ، وتطلعت فاذا في الباحة نار مشبوية والزارع الذي كنت أعرفه جالس قرب فراشه . وضربت على زجاج النافذة لأناديه فاذا بالباب يفتح فجأة ومام بيارسون قتل منه سائلة : من الطارق ؟

وما كنت لأتوقع أن أرى هذه السيدة فاخفي عليها اندهاشي

دخلت الغرفة ملتصقا بالتيجاء من الطار وإذا كنت أتساءل عن سبب وجود هذه السيدة في هذا المكان في مثل هذه الساعة المتأخرة ، سمعت أنينا ، فأدبرت وجهي نحو مصدره فاذا امرأة الزارع



استأفان في الغصن

للأفندي موسى  
بقلم الأستاذ فليكن فنارس

الجزء الثالث

الفصل الثالث

وكنت أتمشي ذات مساء عند مدخل القرية تحت ظلال الزيفون فرأيت سيدة فتيمة تخرج من أحد المساكن المنفردة وكانت مقنعة ومرتدية أثوابا على غاية من البساطة ، غير أن قامتها الهيفاء ، وخطراتها الرشيقية استوقفتني فاتبعتها بنظري . وعندما وصلت إلى المرج كان هنالك جدى أبيض يرتدى منفردا فلما رآها قفز للملاقاة ، فأمرت يدها على رأسه ، وتلفتت يميناً وشمالاً كأنهما تفتش عن أوراق خضراء تقتطفها له ، وكان قربى شجرة من التوت البري فقطعت منها غصناً ، وتقدمت به نحو الجدى فتقدم هو أيضاً نحوي ولكن بخطوات متمهلة ، حتى إذا دنا من الغصن وقف وجلا ينظر إلى صاحبه كأنه يتوقع صدور أمرها ، فأشارت إليه لتشجعه على الاقدام ، غير أنه لبث خائفاً حتى جاءت ووضعته أمامها على الغصن فاخطفه الجدى من يدي . والتفتت المرأة المجهولة إلى مسلمة وسارت في طريقها



منظرحة على سريرها ، وقد رسم الموت طابعه على وجهها

وقعدت مدام بيارسون تجاه زوج العلية وقد انهدم في جزعه وحزنه ، وأشارت إلى بعدم الانيان بأقل حركة لأن المريضة كانت نائمة ، فأخذت مقعداً وجالست منتظراً مرور العاصفة

وكانت مدام بيارسون تنهض من آن لآخر لقرب فراش المريضة ثم تعود لتقول للزادع بعض كلمات بصوت خافت . وكان أحد أطفال البيت قد اقترب منى فأجلسته على ركبتى ، فقال لى : إن هذه السيدة تجيء كل مساء لعبادة أمه وأنها تمضى الليل عندهم بعض الأحيان لأنها كانت تعتنى بالمريضة لعدم وجود راهبات في هذه الأتحاء ، وأضاف الولد إلى هذه المعلومات قوله بصوت جد منخفض : — ليس من ممرضة سواها ولا طبيب عندنا إلا الطبيب الجاهل ... أما هي فتدعى بريجيت الوردية ، أفلا تعرفها ؟

فقلت : لا ولكن لماذا يلقبونها بالوردية ؟ فقال : لا أدري ولعلها احتفظت بهذا اللقب منذ كانت بائعة ورود

وكانت مدام بيارسون نزعت قناعها ، ولما نزل الولد عن ركبتى نظرت إليها ، فإذا هي واقفة أمام سرير المريضة تقدم لها كأساً لتشربها وقد انتهت هذه المريضة من نومها ، وكانت الممرضة شاحبة الوجه بمتقمة اللون ذات شعر أشقر يضرب إلى الرمادى ؛ وما أدري ما أقول عن جمالها غير أننى حين رأيتها تحديق بعينيها السوداوين بعيني المريضة ، والمريضة تملق أبصارها بها ، رأيت بين لحظات هذا الاحسان وهذا الامتنان نوعاً من الجمال يقصر

عن وصفه كل بيان

واشتد انهيار المطر وغرقت الحقول القفرة بالظلام تمزقه من حين إلى حين بروق خاطفة تتبعها قمعقة الرعود ، فكان زئير العاصفة وأزيز الريح وثورة العناصر خارج الكوخ يزيد رهبة ما في داخله من صمت خاشع ، فيبدو المشهد أسمى أشد روعة في قدسيته

وكنت أجيل الطرف فيما حولى على الجدران الحقيمة ، وزجاج النوافذ تقرعه الأمطار ، والضباب الكثيف تقذفه العاصفة كالدهان ، فأرى يأس الزارع في جزعه الجامد ، وزعر الأطفال ، وهذه المدفعة تحاصرهما كل هذه العناصر النائرة الصاخبة ، وأرى قربها على هذا المسرح الفجيع هذه المرأة المنتصبية بشحوبها ولطفها تذهب وتجيء كأنها تجس الأرض جسا وهي مستغرقة بما تهتم به ، فلا تبالى بالعاصفة ولا بأحد ممن ينظرون إليها حتى كأنها لا تبالى بجراتها وإقدامها . فكنت أشعر أن بهذا العمل البرور من الصفاء في رسالته ما هو أبهى من صفاء السماء ، وقد انقشعت عنا الغيوم فأنظر إلى هذه المرأة كأنها مخلوق أسنى من البشر لأنها وقد أحاطت بها كل هذه المفجعات لم يداخها الشك لحظة في وجود ربها ورحمته

من هي يا ترى هذه المرأة ؟ ومن أين أتت ؟ وهل هي منذ زمن بعيد إذ يذكر الناس أنها كانت بائعة ورود ؟ لماذا لم أسمع بها من قبل ؟ لقد جاءت وحدها إلى هذا الكوخ في مثل هذه الساعة فهي إذا لا تسارع إلا إلى حيث تدعوها المصائب والأخطار ، فتتجول تحت المواصف بين الغابات في الجبال مقنعة تحمل الحياة لمن يحتاجون إلى الحياة .

وبينما تحمل كأس الدواء للأعلاء لا تنسى أن  
تلاطف جديها الأبيض في طريقها

إن هذه المرأة تسير بخطواتها المتزنة الهادئة  
لكافة الموت ماشية بالخطوات نفسها إلى موتها  
هذا ما كانت تفعله هذه المرأة في هذا الوادي  
بينما كنت أنا أرتاد قاعات الدير وأمشي على  
سبيل الضلال . ولعلها ولدت في هذا الوادي  
وستدفن في مقبرته بالقرب من لحد أبي المحبوب .  
فتذهب من الدنيا دون أن يعرفها الناس وهي التي  
يسألك الأطفال وهم يذكرونها : — أفسا تعرف  
بريجيت الوردية ؟

ليصعب على بيان ما كنت أشعر به ، وقد  
وقفت في زاوية لا أبدى حراكا ولا أنفاس إلا  
مرتجفاً ، ولاح لي أنني إذا تقدمت لمساعدة هذه  
المرأة فأوفر عليها خطوة من خطواتها ، أرتكب  
خرقا وألمس بيدي الدنسة آنية مقدسة

ودامت العاصفة ساعتين حتى سكنت ، فأفاقت  
العائلة وجلست على فراشها وهي تقول إنها تشعر  
بالراحة ، فقد أفرج عنها بعد أن تناولت الدواء ؛  
فتراكد الأطفال إلى أمهم ينظرون إليها ، وقد  
تمازج في عيونهم الفرح والاضطراب وأمسكوا  
برداء مدام بيارسون

وقال الرجل وهو لا يتحزح من مكانه :  
كنت أتوقع هذا لأننا عهدنا إلى الكاهن بأن  
يصل ، وقد كافنا ذلك كثيراً من المال

وعندما سمعت هذه الكلمات الدالة على الخشونة  
والحق ، التفت إلى مدام بيارسون فرأيت من تعب  
جفوتها ومن التواء قامتها وامتقاع لونها أن التعب  
والشهر ذهابا بكل قواها . وسمعت العيلة تجاوب

زوجها قائلة : جزاك الله خيراً يا زوجي المسكين  
ونهضت من مكانها وقد نارت نأري لمسافة  
هؤلاء الناس الذين يمبرون عن امتنانهم للملك  
بتوجيه الثناء إلى بخل الكاهن . وكنت على وشك  
تقريبهم على عقهم ومعاملتهم بما يستحقون ،  
ولكنني رأيت مدام بيارسون ترفع بذراعها أحد  
الأطفال لتقدمه إلى أمه قائلة له : قبل أمك فقد  
زال عنها الخطر

وجئت إذ سمعت هذه الكلمات وتفرست في  
وجه هذه المرأة فرأيت عليه أوضح اعتباط تنم عنه  
روح محسنة كريمة ، وكانت آثار التعب قد زالت  
عن ملامحها فطفح وجهها بالبشر ورفعت شكرها  
لله هي أيضاً . إن كل ما كانت تطمح إليه هذه  
المرضة هو أن تتكلم المدفنة ، أما وهي تتكلم  
فلتقل ما تشاء ...

وبعد برهة طلبت مدام بيارسون من الأولاد  
أن ينهضوا خدام المزرعة من رقاده ليوصلوها إلى بيتها  
فتقدمت أطلب إليها أن أسير معها حارساً ما دمت  
ذاهباً في الطريق نفسها ، وأعلنت لها أنني أعد  
قبولها شرفاً لي ، فسألتني : أفأنت أوكتاف ؟  
فأجبته : أنا هو ، وسألتها ما إذا كانت تذكر  
والدي ، واستغربت ابتسامها عند ما أوردت هذا  
السؤال . ولكنها أخذت بساعدي وخرجنا بسرور  
إلى الطريق

## الفصل الرابع

وكنا نقطع الطريق صامتين ، وسكنت العاصفة  
فارتعشت الأشجار تنفض عن أغصانها قطرات  
الأمطار ، وكان لم يزل على الأفق البعيد ومضنا



يقسني لها أن تجتمع به هي ، لأن عمته كانت تلعب وإياه بالورق في السهرات ، وأخيراً دعيتني إلى زيارتها وعند ما وصلنا إلى منتصف الطريق أحست بالاعياء فجلست على مقعد كانت وقته الأغصان الغضة بلل الأمطار ، فوقفت أمامها أنظر إلى أشعة القمر الباهتة تنير جبينها ، وبعد دقائق نهضت وإذا رأيتني ذاهلاً قالت : فيماذا تفكر ؟ أفما آت لنا أن نستأنف السير ؟

— كنت أفكر في الغاية التي خلقتك الله لها فأدركت أنه أوجدك رحمة للعالمين  
— إنها لكلمة لا أحملها منك إلا على محمل الاطراء

— ولماذا ؟  
— لأنه يلوح لي أنك لم تزل في ريعان العمر  
— أفليس في العالم من بلغوا من العمر أكثر ما تدل سيماؤهم عليه ؟

— لقد يكون ذلك كما أنه يمكن للانسان أن يأتي بأقوال أنضج منه  
— أفما تمتعدين بالاختبار ؟

— إن ما أعرفه عنه هو أن أكثر الناس يطلقون اسمه على أحزانهم أو على أعمالهم الجنونية فما هو مبلغ المعرفة التي يتوصل إليها من كان في سنك ؟

— رب رجل في العشرين رأى من الدهر ما لم تراه امرأة في الثلاثين ، فان ما يتمتع به الرجال من الحرية يصل بهم إلى صميم الحياة بأسرع مما تصل النساء . فالرجال يتهافتون على ما يجتذبهم دون حائل فيختبرون كل الأمور . فاذا ما لاح لهم أمل مشوا إليه ، حتى إذا بلغوه ارتدوا عنه تاركين الأمل

لبقايا البروق وهبت من الأعشاب الرطبية عبقات نشرها الهواء وقد دبّت الحرارة فيه . وانقشعت السحب عن وجه المساء فغمر القمر بأنواره قمم الجبال

وذهب فكري يتلمس من الصدف أسرارها وقد عجبت لها تجمع في ساعات يدي وبين امرأة ما كنت لأظن أنها موجودة عند ما أشرقت الشمس ، وهأنذا أصبحها في طريقها المقفر في العراء تحت جناح الليل

لقد قبأت هذه المرأة أن ترافقني لوثوقها من شرف محمدي فهي الآن تستند إلى ذراعي وتسير معي مستسلمة مطمئنة

وكنت أرى في هذه الثقة كثيراً من الجراءة أو كثيراً من السذاجة ، وشعرت أن رفيقتي تجمع بين هذه وتلك لأنها بهذه القوة المزدوجة دفعت بقلبي إلى عاطفة الطهر والافتخار

وبدأ حديثنا يدور على المريضة التي تركنا في الكوخ ، ثم تحول إلى مشاهد الطريق وما خطر لأحدنا أن يوجه إلى الآخر ما يوجهه المتعارفان حديثاً . وتكلمت مدام بيارسون عن أبي باللهجة نفسها التي ذكرته بها للمرة الأولى أي باللهجة فيها شيء من السرور الرصين ، فبدأت أفهم كلما توغلت في الحديث معها سبب تكلمها بهذه اللهجة لا عن الموت فحسب بل أيضاً عن الحياة وما فيها من حوادث وآلام ، فأدركت أن ليس في الأرض من ألم تراه مبعثاً للشكوى من الله ، لذلك كان ابتسامها عبادة وتسليماً لإرادته

وحديثها عن حياة العزلة التي اخترتها فقالت إن عمته كانت تجتمع بوالدي أكثر مما كان

من ثياب يدل على التجديد في الزى والحياة أما هي فكانت تتمتع بكل ذلك وكانها منسلخة عما حولها . وقد استرعى انتباهي ما في ذوقها من التناقض الذي يندب عن كل مستغرب ، فلا تأنس إلا للجدة والحسن ؛ وكان حديثها يدل على علم مستكمل ، فما كانت تتناول موضوعا دون الاجادة فيه ، فكنت أحس بأن وراء هذه السذاجة غورا مليئا بالكنوز وأن ذكاء ظليقا وافرا يرف فوق قلبها الهادي في عزلتها ، فكان هذا الذكاء طير من أطيوار السواحل يتعالى إلى السحاب مرفرفا فوق طحلب الصخور حيث ابتنى عشه .

ودار حديثنا حول الأدب والموسيقى وكدنا نتناول السياسة ، وكانت قد ذهبت في الشتاء إلى باريس وما كانت تتصل بالمجتمع إلا في فترات متقطعة ، غير أن القليل الذي كانت تشاهده كان يكفيها لفتح مجال وسيع أمام تفكيرها .

وكان خير ما يجعلها سرور هادي لا يصل إلى المرح الذي يشب وثبا ، فكانها خلقت زهرة عبيرها السرور .

ويعجز بياني عن وصف ما كانت تفعل عيناها السوداء وان وهما تلتصمان على صفحة وجهها الشاحب . ومما كان يزيد في بهائها سكنات وحركات تأتي بها عفوا فتدل على أنها عركت الدهر وبات الحياة وما أدرى أية قوة كانت تعلن أن السرور المسكل لجبين هذه المرأة لم يأتها من هذا العالم ، بل أنزل عليها من السماء وأنها ستعود بهذا السرور كاملا إلى الله بالرغم عن الناس . فكانت هذه المرأة تتجلى لي في بعض اللحظات كحاملة قبس تنسم هبوب الريح لتقي النور المشع في يدها

مضيما على الطريق ، وقد خدعتهم السعادة بما منهم من مواعيد

و كنت أسير في كلامي على هذا النمط حتى بلغنا أكمة ينحدر الطريق منها إلى الوادي ، وكان الانحدار استهوى رفيقتي فبدأت تقفز برشاقة فجاريتهما وسرنا ركضا وساعدانا مشتبكان والعشب المبطل تحت أرجلنا يزيد في انزلاقنا ، وهكذا انحدرنا كطيرين أصابهما الدوار حتى بلغنا قاعدة الأكمة وقالت : لقد كنت متعبة فزال تعب الآن ، فهلا عالج اختبارا لك بما أعالج به تعبي . . . . لقد سرنا بسرعة فسنناول الطعام بشهية

## الفصل الخامس

و ذهبت لزيارتها في اليوم التالي فوجدتها جالسة إلى البيانو ، ورأيت العمة الشيخة قرب النافذة منهمكة في الحياة ، وكانت الغرفة الصغيرة مليئة بالأزهار وشعاع الشمس يغمر العرائش المحيطة بها حيث نصب قفص كبير تتطير فيه العصافير

و كنت أتوقع أن أرى زاهدة عابدة أو على الأقل امرأة قروية لا علم لها بشيء مما يجري وراء منطقة ضاحتها ولا تحيد عن عادات محيطها . وقد كنت أنظر إلى من يعيشون بمنزلة كائنهم يختفون عن الناس هنا وهناك في المدن بشيء من الحذر كأنني أرى فيهم بثرا آسنة فسد فيها الهواء ؛ فان في كل ما يتلفع بالنسيان على الأرض شيئا من الموت . غير أنني رأيت على مكتب مدام بيارسون جرائد ومجلات حديثة كانت ترصد لها ما يتبقى لديها من الوقت ، وقد كان كل ما حولها من الرياش وما تلبسه



في القرية وهو من خريجي سان سولبيس ومن  
أنساب الكاهن خادم الرعية

وكان هذا الرجل سمينا صاحب اللون وما كنت  
حياتي إلا مستقبحا هذا النوع من الصحة العلية ؛  
وكان هذا الرجل فضلا عن هذا التناقض في شخصه  
يتكلم بلهجة تدل على الادعاء ، فكان يورد ألفاظه  
متوثبة متمهلة ، وكان في مشيته شيء من التصنع المتثاقل  
زاد في نفوري منه ؛ أما نظراته فلا يسمي أن  
أقول عنها إنها نظرات لأنها ما كانت لتعني شيئا  
ذلك كان حكى على هذا الرجل من ملاحظه ،  
وما كذبت الأيام فراستي فيه ، وأأسفاه ...

جلس هذا الرجل على مقعد وبدأ بالتحدث  
عن باريس ، وكان يدعوها بابل المعصر ، فقال إنه  
جاء منها وهو يعرف جميع من فيها ، وأنه كان يتردد  
على مدام ب وهي ملاك كريم ، فيقوم بالوعظ  
والارشاد في قاعاتها الكبرى حيث كان الناس  
يأتون زرافات ليصفوا إلى أقواله وهم ساجدون .  
(وما كان الذي يقوله هذا الرجل كذبا ويا للأسف)

وذهب في حديثه فقال إن من عرفه إلى هذا  
البيت الكريم إنما كان أحد زملائه ؛ غير أن هذا  
الزميل كان قد أغوى فتاة ، فطرد من المدرسة لهذا  
الجرم الشنيع

ثم انقلب هذا المحدث يكيل الثناء لمدام بيارسون  
لما تتصف به من حب الخير وما تأتيه من أعمال البر  
بالاعناء بالرضى والسهر عليهم بنفسها قائلًا : إنها  
لأعمال جلييلة لن أغفل عن ذكرها في سان سولبيس  
فكأنه كان يقول إنه لن يغفل ذكر هذه  
الأعمال عند أقدام عرش الله

وما أمضيت ساعة في الغرفة الصغيرة حتى  
اندفعت أحدث صاحبها عن كل سرائري ذا كرا  
حياتي الماضية وما تركت لي من أصحاب وما تحملت  
منها من الأحزان ؛ وكنت أتمشى في الغرفة ، فتارة  
أنحني على الأزهار أنشق عبيرها وتارة أرفع رأسي  
إلى السماء محدقا بالشمس ، ثم تقدمت إلى مدام  
بيارسون أخيرا ورجوتها أن تسمعي إنشادها ،  
فما ترددت وبدأت تنشد ، فذهبت إلى النافذة  
لأنطلع إلى الطيور بينما أتنصت إلى الانشاد .  
وخطرت على بالي كلمة لموبتان وهي : ( لا أحب  
الحزن ولا أحترمه بالرغم من إجماع الناس على تمجيده ،  
فما الحزن إلا كلمة حمقاء جعلها الناس حلية  
للحكمة والفضيلة )

وسمعت صوتي يتعالى بالرغم مني قائلا : يا للسعادة  
ويا للراحة والمسرة والسلوان !

فرفعت العمة رأسها ونظرت إلى نظرة استغراب  
وتوقفت مدام بيارسون فجأة عن الانشاد ، فملا  
احمرار الحجل جبيني إذ شعرت بما أتيت من جنون ،  
فارتيمت على المقعد صامتة

ثم نزلت وإياها إلى الحديقة ، فرأيت هنالك  
الجدى الأبيض راقدًا على العشب ؛ ولما رأته هب  
نحوها ومشى ليتبعنا ، وما قطعنا أول ممشي في الحديقة  
حتى لاح لنا قرب المدخل شاب طويل القامة  
شاحب الوجه ملتف برداء أسود ، فاجتاز الحاجز  
دون أن يقرع الجرس وتقدم إلى مدام بيارسون  
مسلمًا ، ولحظت أن غمامة سوداء صرت على ملامح  
هذا الرجل عند ما رأيته ، وقد تشاءمت أنا المرآة ؛  
وكان القدام كاهنًا يدعى مركاتسون ، كنت شاهدة

فقلت لها : لقد تذرعت باسم والدي لدخول  
هذه الملكة فاسمحي لي باسمه أيضاً أن أعود لأومن  
بالسمادة وأنا كد أنها لم تدفع بي إلى زاوية النسيان  
مدت يدها إلى فمستها دون أن أجسر على  
رفعها إلى شفتي ، وأمسى الساء فعدت إلى مسكني ؛  
وعند ما أوصدت بابي واستلقيت على فراشي لاح  
البيت الأبيض الصغير أمام عيني ، فكنت أراني  
أخترق القرية متجهاً إلى الحاجز لأقرع بابه .  
وهتفت قائلاً : تبارك الله ، يا قلبي ، فانك لم تزل  
فتيا ويمكنك أن تحيا ويمكنك أن تحب بعد .  
( يتبع ) فليكس فارس

## واجب !

ما الذي يمنعك من أن توفر لنفسك  
القوميسيون ومصاريف الحل و... الخ إذا  
وجدت أمامك مورد مصري يستورد لك الصنف  
من أشهر فبارك ألمانيا ويسلمها لك رأساً بتكاليفها  
فقط

مريب

قلم حبر الكتابة سفنكس القلم الأنيق  
ذو الريشة الذهب المضمونة عيار ١٤ مثله في  
السوق يباع بثمانين قرشا . أرسل فقط ٤٠ قرشا  
إلى حسين حسنين شارع الطيران نمرة ٣١ مصر  
الجديدة وللخارج زيادة خمسة قروش يرسل  
إليك الطلب في الحال  
مطلوب وكلاء في الشرق والأقاليم للقلم  
ولأصناف أخرى مما نستورده من الخارج

و كنت تعبت من سماع هذا الخطاب فاستلقيت  
على العشب وبدأت أداعب الجدى الأبيض ، فأنزل  
مركانسون نظره المنطقي على قائلاً : لقد كان  
فارينو الشهير يحب أن ينطرح على العشب  
ويداعب الحيوانات

فقلت : هذا نوع من الهوس الطاهر يا حضرة  
القس ؛ ولو أن هوس الناس كله من هذا النوع  
لكانت الأمور تجري مجراها ولا تحتاج لتدخل  
أحد فيها

وما أعجبه جوابي فقطب جبينه وغير الحديث  
قائلاً إنه موفد من قبل كاهن القرية ليحدث مدام  
بيارسون عن رجل فقير لا يملك ما يقتات به ، وبعد  
أن دل على مسكن الرجل قال إنه يؤمل أن تهتم  
السيدة الفاضلة بأمره

و كنت أتوقع أن تتكلم هي ليزيل صوتها أثر  
صوت الكاهن الأبح من أذني ، فما أبدت جواباً  
بل انحنت مسلمة ، فنهض الكاهن وذهب  
في سبيله

وما تواري حتى عاودنا الحبور ، فدعني للذهاب  
معهما إلى حجرة النبات في طرف الحديقة ، وكانت  
هذه السيدة تعنى بأزهارها عنايتها بالأطيار  
والفلاحين ، لأنها كانت تود أن ترى كل شيء  
حولها متممًا بالصحة فلا يحرم أحد أو شيء قطرة  
الماء وشمع الشمس ، فما كانت تشعر بالسعادة  
إلا إذا بلغت ما يريده الملاك الكامن فيها

و كانت حجرة أزهارها على غاية من الجمال ،  
وبعد أن مررنا بها قالت : هذه هي مملكتي الصغيرة  
وقد رأيت كل ما فيها لأن هنا آخر حدودها



## أوديسيوس يروي قصته

- أ - مايولوس وجعبة الرياح الأربع  
ب - في جزيرة الجبابرة  
ج - غرام سيسرس



## الأولاد الذين

لهم ميراث

بقلم الأستاذ دريني خشبة

## فهرسة الفصل السابع

« شرع أوديسيوس يروي قصته للملك ألكينوس ، فذكر كيف أفلتت سفائنه بعد إذ وضعت حرب طروادة أوزارها ، وكيف أرسلت في مياه إزهاروس ، وذكر ما كان من غزوته لهذه المدينة ونهبها ، وكيف كر أهلها عليهم فأوقعوا بهم ... وما كان من إبحاره ، ورسوه عند جزيرة اللوتوفاجي ، أكلة اللوتس ، وما كان من مشاركة بعض رجاله أهل الجزيرة في أكل هذا اللوتس العجيب ونسيانهم بذلك أوطانهم ، وتفضيلهم الإقامة بين اللوتوفاجي ، حتى اضطر أن يذهب إليهم بنفسه ، ويرغمهم على العودة إلى الأسطول مكبلين في الأصفاة ... ثم روى ما حدث له بعد هذا في أرض المردة - وكيف حبسهم السيكلوب في كهفه ، وكيف كان يقتذى ويتعشى باثنين اثنين من رجاله ، وما دبروا له من قلع عينه بجذع الزيتون المحمى في النار ، وما كان من هربهم معلقين بيطون الكباش مفلتين من أذى السيكلوب ، وما كان من إغاية أوديسيوس له وهو واقف يتشقى منه في سفينته في عرض البحر ... وهو هنا يتم قصته ... »

« وبلغنا جزيرة الأيوليين حيث يحكم الملك مايولوس بن هيوتاس ، حبيب الآلهة . وهي جزيرة تلوح طافية فوق العباب بسورها النحاسي الهائل ، وأواذيتها التي يتكسر فوقها الموج . ولقد زوج الملك أبناء الستة من بناته الست ، وهو يقيم معهم في قصره المنيف ، في في وارف من حب الملكة ، في بلهنية ورغد ، وعيش واسع مخفّرج ، ونعمى طائلة ، ولذا نذشتي ... يقضون وقتهم في لهو برى ومرح ، وبأوون إذا أجنهم الليل إلى سرد موضوعة ، وزرابي مبثوثة ... وأرائك من حرير ولقد لقينا الملك بالبشر والايثاس ، وأقمنا في كنفه شهراً كاملاً ، ناعمين طاعمين ؛ ثم سألتني فقصصت عليه قصة (اليوم) وكيف سقطت في أيدينا ، وما كان من إبحار أسطول الأخيين بعد ذلك ، وما تم من رحلتنا في ذاك العباب ، عاشين ، ضارين على غير هدى ... ثم إنى ضرعت إليه أن يعيدني في خفارتة إلى بلادي ، فأجاب سُؤلي ، وأمدني بكل ما ييسر رحلتي ، ثم تفضل فمشى معي إلى البحر ، حيث قدم إلى جعبة مصنوعة من جلد عجل كبير جسد ، خيّل إلى أنه ذبح في سن التاسعة ، وهي جعبة من صنع جوف سيد الأولب ، حبس فيها عظيم الآلهة رياح العالم أجمع ، وأحكم رباطها بسلك فضي متين ، حتى لا يفلت منها نفس واحد إلا باذن ... وانطلق الملك بعد أن أمر زفيروس - رب النسيم الحلو - فملا شراعنا ،

وهب رخاء بين أيدينا ... وأسفاه ! لقد كانت  
هباته اللطيفة الرخية عبثاً ، وضاعت في غفلة  
رجالي ، سدى ! ... فلقد جرت بنا الفلك آمنة  
مطمئنة طوال تسعة أيام بلياليها ، ثم بدت لنا  
شيطان إثنا كما تخفقت قلوبنا فرحاً ، واستطعت أنا  
نفسى أن ألمح مواطني الأعزاء يوقدون النار في  
شماع الجبال ... بيد أنى كنت منهو كما موهوناً  
من كثرة العمل ووعناء السفر ، وطول السهر  
والمراقبة ، فداعيت عيني سينة من الكرى ،  
لأنى كنت أسهر على القيادة بنفسى طيلة الرحلة ،  
ولم أكن آمن أحداً من رجالي على الاضطلاع بها  
خشية الونى ، ومخافة التأخير ... وبينما كنت  
نائماً ، لمب الوسواس في صدور رجالي ، زاعمين  
أنى أحمل أذخاراً من الذهب والفضة أسبغها على  
إيولوس الملك ... قال قائلهم : « يا للآلهة ! ! أبدأ  
ما وطئت قدما أودسيوس بلاد قوم حتى تهالكوا  
عليه فرحين معجبين مكبرين ! وهو اليوم يعود  
من طروادة ومعه من طسكرها وسليها الجم  
الكثير ... أما نحن فوا أسفاه علينا ! لقد  
شاركناه تلك الرحلة المشؤمة ، وهانحن نرضى  
من الغنيمة بالأياب ، ونعود منها أصفار الأيدي ،  
لا أمامنا ولا وراءنا ! وها هو أيضاً قد فاز دوننا  
برقد ملك الزباج ، إيولوس العظيم ؛ هلموا يرافقوا  
البدار إلى هذه الجمعة ننظر ما احتوت من أصفر  
وأبيض ، وأعطيات وهبات ... ولهى ! » ، وأقبل  
بعضهم على بعض ، وامتدت أيديهم إلى الجمعة  
فخلوا رباطها ... واحسرتاه ! لقد انطلقت الرياح  
الجبيسة ، وزجرت العواصف الهوج من كل  
صوب ، وطفقت تكسحنا في شدة وعنف ...  
بسيداً ... من إثنا كما ! ! ولقد قفزت من غفوتي

خائفاً مذعوراً ... حتى أخبيل لي أن طوقانا قد  
غمرنا ! ... وظللت برهة في ذهول ودهش ،  
وطفت الأحزان على قلبي ، ورائت الموم على  
نفسى ، وقت اليأس في عضدى ... ولكننى لم  
أجد من الصبر بداً ؛ فتحملت الكازنة في هدوء  
وصمت ، وعصبت رأسى بثوب شف ، وانبطحت  
في قمرتى ... وراحت العواصف تدفع الأسطول  
في غير هودة ، حتى بلغ شيطان الأيولين مرة  
أخرى ... وهناك بكى صبحى ... ولات حين  
بكاء ! ! وهبطنا الشاطئ ، وكان ههنا أن نرتشف  
من ماء إيوليا العذب رشقات ، ثم جلسنا نمد  
أكلة عجلى ونلتهمها ؛ وتوجهت أنا وصديق  
إلى قصر الملك ثانية ... وقد كان يجلس لوليمة  
كبيرة هو والملكة الحسناء المصون ، وأبناءؤه الغر  
الميامين ... ولشد ما بدهه أن يرانا بعد طول النأى  
فوجدنا وقال : « ويك أودسيوس فيم عدت  
أدراجك ؟ وأى سلطان مشؤم لوى عنانك بعد  
إذ أرسلناك مزوداً بخير زاد لتصل إلى بلادك ،  
وتلقى آلاك ؟ أو أى آل آخرين ؟ » ، وكان  
فؤادى ينخلع حين قلت أجيبه : « تبارك الملك !  
لقد خاننى رجالي اللؤماء ، وخاننى معهم طائف من  
الكرى ! فإذا شاء الملك فليجبر ما انصدع منا ،  
وهو ما يزال صاحب الحول والطول ! » ...  
وهكذا شادت المقادير أن أقف ضارعاً إلى هذا الملك  
مرة أخرى ... وقد تلبثت أبناءؤه صامتين  
لا ينبسون ... واكفهر وجه الملك وقال :  
« أيها الرجل انطلق ... إغرب عن جزيرتنا  
هذه يا أتعس الناس ! انطلق فوالله إنى لأستغفر  
الآلهة أن أكرمت مثوى رجل مثلك عدو  
نفسه ، ممقوت من الأرباب ، مغضوب عليه من



مدخل المدينة فتاة عذراء تملأ جرتها من عين ماء هنالك ؛ فما كادوا يسألونها حتى علموا أنها ابنة الملك أنتياس ملك هذه البلدة . . . . . ومشت بين أيديهم حتى كانوا في قصر الملك ، وهناك أقيمتهم امرأة هولة عظيمة الجسم ، كأنها هضبة ، فلم يجسروا أن يمدوا إليها أبصارهم مما غشيم من الفزع وكانت هذه هي الملكة ، التي صاحت عند ما لحق رجالى ، بزوجها ، فأقبل يهتز وتزلزل الأرض من تحته ، وما كاد يلح هؤلاء الغرباء حتى أمسك بواحد منهم وخبط به الأرض فخطمه . . . . . كأنما أقبل ليخوض مغممة . . . . . وانطلق الآخرون لا يوليوان على شيء ؛ حتى بلغا سفائننا . . . . . ثم زجر الملك بصوت قاصف كالرعد يدعو إليه رعاياه ، فأقبلوا إليه من كل حذب ، مردة جبارين كالأغوال ، لا عدد لهم ، ولا تقع العين على أبشع منهم . . . . . ثم تهاووا إلى الشاطئ حيث أرسى سففننا ، فجعلوا يقذفونها بحجارة من سجيل ، جعلت رجالنا كمصف مأكول وجعلت مراكبنا حطاما كان يهوى إلى الأعماق ؛ بينما هؤلاء الجبابرة ينشلون قتلانا بحراهم ليعودوا بها إلى بيوتهم فرائس سائفة يملأون بها بطونهم . . . . . وهكذا استمرت هذه الذبحة الدامية . . . . . وكنت واقفاً في مركبي ، وجرازي إلى جانبي ، فأسرعت إلى حبال الرساة فقطعتها به ، وبادر رجالى إلى مجاذيقهم فأعملوا فيها أيديهم . . . . . وبذلك نجونا من هذا الروع برغم الحجارة الهائلة التي كانت تتطاير فوق رؤوسنا وتهاوى عن شمائلنا وعن أيماننا ، فتشيع في فرائصنا خطر الموت . . . . . وظللنا نكافح الموج ونصارعه ، فرحين بنجاتنا ؛ ومع ذلك ، فقد كانت تمتلج قلوبنا هماً وأسى على إخواننا . . . . . ثم رسونا آخر الأمر عند جزيرة إيايا ،

السما : « . وهكذا طردني الملك ثم طردة ، فغضيت على وجهي ، ولقيت أصحابي ، وأبحرنا نذرع اليم المصبخب بمجاذيقنا ، ونسكب في هذه الأعماق المضطربة قوانا ، لا أمل لنا في الوصول إلى بلادنا ، ولا رجاء في الخلاص من هذه البؤوس ؛ ووصلنا مدينة ليستريجونيا بعد نصب ستة أيام بلياليها . . . . . تلك المدينة الوحشة التي بناها منالاموس العظيم . . . . . والتي ( تغزو الحشرات مروجها نهاراً ، فيخرج الرعاة بقطعان الغنم ذات الفراء السكنة التي تحمي الحيوانات من ذبابة الماشية وتدفع عنها فائلتها ، فاذا جن الليل عادوا بأغنامهم إلى حظائرهم ، وذهبوا بالنعم لترعى في هدأة الليل ، ولتكون بمأمن من غوائل الذباب الذي يكون قد غلبه النعاس )<sup>(١)</sup> . . . . . وصلنا إلى هذه المدينة فألقيناها محصنة بصور عظيم من الحجر الصلد ، ينحدر قليلاً قليلاً إلى الميناء ، بمضيق صغير لا تملو فيه موجة ، لا يتحرك فيه الماء . . . . . وقد أدخل رجالى سفائنهم في هذا البوغاز ، وآثرت أنا أن أظل بسفينتي عند فمه مما يلي البحر ، فألقيت مراسي ، وثبتها في حجر كبير ، ثم وثبت إلى الشاطئ ، وتسمنت ربوة عالية ، وأخذت أجيل ناظري في الجزيرة . . . . . ولم أقف لأنس أو حيوان على أثر ، وبدت الأرض جرداء بلقما ؛ بيد أن دخاناً كثيفاً كان يصاعد من وسطها ؛ فرأيت أن أبعث باثنين من رجالى جعلت عليهم ثالثاً رئيساً ، ليعلموا لنا من أنباء الجزيرة ، وليتجسسوا أخبار أهلها . . . . . وقد قص هؤلاء آثار العربات التي يستعملها السكان في نقل الأخشاب من الغابة إلى مدينتهم ؛ ولقوا عند

(١) كلام هو مرهنا غامض شديد الغموض ولذلك اتمكنا في إيايته على شرح مترجيه —

نقط في سبات هادي . . . وذرت أورورا ابنة  
الفجر الوردية فهتفت برجالى ، فهبوا ، ثم جلسنا  
ساعة نتشاور ، وأنا أقول لهم : « أيها الرفاق !  
يا إخوان الشدائد ! ها نحن قد لصقنا بهذه الأرض  
ولسنا ندري أيان نذهب ؟ هل نشرق ، أم نغرب  
أم نظل هنا أبد الدهر ؟ ! ولكن هلموا ننظر  
لأنفسنا مخلصاً مما نحن فيه . . . فاني حينما تسنعت  
ذروة هذا الجبل أجت الطرف في أرجاء هذه الأرض  
فعرفت أنها جزيرة تتراى الى مدى البصر ؛ ثم  
إني آنست دخاناً يملو في الجو من وسطها ، ينبثق  
من سروات طوال فيها ، فرَوَّا لأنفسكم أثابكم  
الله ! » — وكأنا سقط في أيديهم ، وكأنا حانت  
بهم ذكريات آنتيپاتاس وقومه اللستريجون ؛ وما  
لغوا من هول البسكالِب أكلة اللحم البشري ،  
فبكوا ساعة من الزمان ، ثم استرجعوا حيث  
لا يجدى البكاء . . ثم إني قسمتهم فريقين ، جعلت  
على أحدهما يوربلاخوس ، رُقْن الآلهة ، وجعلت  
نفسى على الفريق الآخر ، وجلسنا نقترع ، من  
يذهب لارتياذ الجزيرة ، فوضعنا الرقاع في خوذتي ،  
ثم كانت القرعة على يوربلاخوس ، فضى ، ونجت  
إمرته اثنان وعشرون من رفاقنا ، كانوا جميعاً  
يذرفون الدمع خوفاً وفزعاً مما وجهوا اليه ، وكنا  
نحن نبادلهم دمعاً بدمع وبكاءً بكاء . . ووجدوا  
قصر سيرس في بطيحة<sup>(١)</sup> منخفضة ، فاذا رأوا  
قصر منيف مُمرِّد تحديق به تماثيل حية من  
سباع وذوئان سحرتها سيرس بمقايرها ذات  
القوى الخارقة الخفية . . ولم تؤذهم تلك الوحوش ،  
بل كانت تثب على أرجلها الخلفية في دل وتلطف ،  
ثم تبصص بأذنانها كأنها كلاب السادة العظام

حيث تقيم سيرس ، ربة الغناء والسحر ، ذات  
الشعر الكهرماني ، أخت إيتيس الحكيم من أبيها  
الشمس ، وأما برس ابنة أوشيانوس<sup>(١)</sup> . وكأنا  
مشيت عناية السماء بين أيدينا فرسوناً في جون هادي  
ساكن في غير جلابة ولا خبيج ، ثم هبطنا الى  
الساحل فتلبثنا فيه يومين كاملين نستجم ونستروح  
مما بنا من أين وجهد ، وكلنا فرائس لما في أضالعنا من  
شجوة وهم وشجن . ثم إني تسلحت برمحى وسيفى  
وحدثت خطاى في أسناد الجبل حتى كنت في ذراه  
الشاهقة ، ووقفت ثمة أنظر وأمحس ، فلمحت في  
البعد دخاناً يصاعد بين الدوح والزهر من قصر  
سيرس . وبدالى أن أتوجه إليه من فورى عسى  
أن أجد عنده خيراً . ولقد ترددت بعد ذلك كثيراً  
وكدت أعود أدراجى الى السفينة لأرسل نفرا من  
رجالى يكشفون لى الطريق الى القصر ؛ وما كدت  
أخطو خطوات حتى ساق الى أحد الآلهة بطبي  
غير يرشد من المرج المشب الخلو ليستقى مما ألح به من  
ظلم فأرسلت إليه رمحى فقصم ظهره ، وسقط يتخبط  
في دمه ؛ وقطعت شيئاً من عساليج الصفصاف  
وجدلت منها حبالا ، وأوثقت الغزال من أياطله  
واحتملته على ظهري ، ومضيت قدماً الى رفاق  
متوكئاً في كل خطوة على رمحى إذ لم تعد شيخوختى  
تستقيم لمثل هذا الحمل الكبير ، وهتفت برجالى في  
مرح وظرف : « هلموا يارفاق فان تقضى قبل أن  
تحين آجالنا ! ! هلموا الى طبي فنيق وخمر عتيق ،  
واطرحوا ما بكم من هم وضيق . . » وأقبلوا فرحين  
وشمروا عن سواعدهم وهم يستهلون من جذل هذا  
القنص الغريص ، وظللنا يومنا هذا نطعم ونشرب  
حتى إذا أرخى الليل سدوله انكفأنا على الشاطئ<sup>(١)</sup>  
(١) لم يتعرض شراح هومر لهذه الفقرة ولذا أثبتناها  
كما هي

(١) الأرض المنخفضة



حينما تتملقهم في وليمة من أجل لقيات ... وصعدوا  
أول الأمر؛ ثم انطلقوا حتى كانوا تلقاء باب الربة  
صاحبة المكان ... وتسمعوا ، فإذا سيرس تنغى  
بصوتها المعجب المطرب وهي تعمل على نولها ،  
مشغولة بنسج ساري عبقرى عجيب ، ليس بقدر  
على مثله إلا الآلهة . وكان في رجال الفريق أمير  
عظيم هو عندي أربطهم جاشاً فقال : « أسمعون  
أيها الأصدقاء إلى هذا الغناء الحلو تردده جنابات  
القصر ؟ إنه لا شك غناء ربة الدار التي تعمل على  
نولها ، ولست أدري أربة خالدة هي ، أم من بنات  
حواء .. وعلى كل هلموا نهتف بها . » وتنادوا ،  
وأقبلت سيرس فهشت لهم ويشت ، وأذنت لهم  
أن يدخلوا .. فدخلوا ، وآسفاه ، إلا يوريلوخوس  
فقد خشى أن تكون ثمة مكيدة أو أحبولة . ولقد  
قادتهم إلى بهو كبير صفت فيه عروش نخمة من  
ذهب ، ما كادوا يستقرون عليها حتى أقبل الساق  
بخمر وعسل ثم جرى بجبن وطعام آخر ، مخلوط  
بمقاير سحرية تذهب وعى آكلها ، وتنسيهم  
ماسلف من أمورهم ، بل تسلبهم ذكريات أوطانهم  
ثم ضربت كلا بمصاها السحرية بعد إذ أكلوا  
وروا ، واستاقهم إلى حظائرهما حيث مسخوا  
فكانوا خنازير ، وإن أبقى السحر على ألسانهم .  
أما طعامهم بعد هذا ، فقد كانوا يتناولونه من يدها  
مباشرة ، فكانت تطعمهم جوز البلوط والشاهبلوط  
والكريز<sup>(١)</sup> الكلابي . وما إلى هذا وذلك من  
أكل الخنازير الخسيسة السائبة

وأقبل يوريلوخوس ينتفض من الدهر ،  
ويستعد لسأله فسأله بكاد يبين ، ثم هدأ روعه قليلاً  
(١) الكريز : وجمه الكراز بالضم الأقط ، والمراد  
هنا فاكهة الكريز

وانطلقت لأوى على شيء ، ولكني قبل أن  
أبلغ البطيخة التي بها القصر ، لقيني هرمز الحبيب  
إله العصا السحرية . وكانت مخايل الصبا وبدوات  
الشباب تتدفق في بردتيه ، وجمرة الورد تلتهب في  
خدي ، لقيني فصاخني متلطفاً وقال : « أيها التمس أيان  
تضطرب وحدك في هذه الأرض وقد حبست سيرس  
من أرسلت من رجالك في حظائرهما بعد إذ صحرتهما  
إلى خنازير شقية ؟ هل أقبلت لتنجيهم ؟ أم جئت  
لتحتجزك معهم إلى الأبد ؟ ولكن اصغ إلى : إني

عليه ، وذهبت هي فزجت لي كأساً من الخمر يشيء  
من عقارها ، وقدمته لي فاحتسيتها ، بيد أنني لم أغير  
ولم أنحول عن صورتي ، فضربتني بمصاها السحرية  
وهي تقول : « هلم إلى الخطيرة حث تفر مع رفاقك »  
ولم تكذب تصمت حتى وثبت من مقمدي وامتشقت  
سيفي ، وهجمت عليها ، وفي عيني جحيان من نار  
الغضب ؛ فروعت ربة السحر ، وزلزلت زلزالاً  
عظيماً ، وجرت نحوي ، وركعت عند قدمي ،  
وتعلقت بساقي ، وأخذت تصرخ إلى وتقول في  
بيان رائع وكلمات باكية : « عمرك الله من أنت  
ومن أين قدمت وما ديارك ؟ تكلم ! أنت يا من  
لم تسحرك جرعتي الهائلة التي لم يذوقها أحد وظل  
في صورته لحظة واحدة ! ولكنك تحمل قلباً  
لا تجوز عليه نفثات السحر ... ولكن هلم ...  
تعال ... إلى ... إلى أعرفك أحسن المعرفة ... إنك  
أنت أوديسيوس الصناع ذو الذكرك ، ولقد وصات  
إلي هنا من اليوم بدورك فلم يشأ هرم ذو المصا  
الذهبية أن يخبرني بمجيئك ! ولكن اغمد سيفك ،  
وهلم نغم بالعناق فوق فراشي الوثير كزوجين ،  
وايفرخ روعك وليهدأ بالك .. اطمئن يا أوديسيوس  
هلم ! » وصمت لحظة ثم انطلقت أجيبها في  
« سيرس ! كيف تتصورين أن يفرخ روعي ويهدأ  
بالي وقد حبست في رحابك رفاقي وشركاء رحلي  
يعد إذ سحرتهم إلى خنازير أيتها الربة ؛ ثم تخشين  
إفلاقي فتخادعينني وتبهرجين علي بطلاسم الحب ،  
داعية إياي إلى فراشك لتشوين صفاء فضيلتي برجس  
رذيلتك ... لا ... لا ، إني إن أقاسمك هذا الفراش  
حتى تقاسميني أغلظ الأقسام ألا تلحقني بي أذى ،  
وَألا تحاولي الاضرار بي » وراحت تحلف وتؤكد  
الحلف ، وتقسم وتغلظ في القسم ، ثم إني انطرح

ساحبط ما فعلت ، وسأحميك وأحفظك . خذ  
هذا العقار<sup>(١)</sup> ولا يهملك بعد أن تدخل قصر سيرس  
فانه ينقذك من كل خطر ... وهلم أعلمك ما عندها  
من السحر ، إنها ستمزج لك كأساً من الشراب  
بما عندها من رجس ، وستضع لك منه في طعام  
تقدمه لك فكل وارو ولا تبال ، فهذه البقلة  
العجيبة التي أعطيتك ستحبط كل ما تحيك لك فلا  
تقدر على مسخرك كمن مسخت من رفاقك ...  
فاذا عاجلتك بمصاها السحرية فاهجم عليها بسيفك  
غير هياب ، وأرسل إليها شرر الغضب من عينيك  
فإنها حينذاك تنقاد لك ، وتقودك إلى فراشها ،  
وتحتال عليك بصنعة الحب وتلطفات الهوى ،  
فإياك أن تنصاع لها حتى تعطيك موثقها أن تبطل  
ما أنزلت برفاقك من سحر وأن تترفق بك فلا  
تمسك بأذى ، واحذر يا صاح أن تدنس فضل خيرك  
بما ركب في طبعها من شر . » وانحنى رسول  
الآلهة فالتقط عشباً من الأرض ثم وضعها في يدي  
وأخذ يكشف لي أسرارها ويقفني على قواها الخارقة .  
وذكر لي أن اسمها ( مولي ) ، وبه يدعوها في السماء  
وأن الآلهة وخدمهم يعرفون كيف يشفون بها رُقي  
السحر ... وكانت جذورها سوداً حالكة السواد  
أما زهرتها فكانت بيضاء ناصعة البياض كاللبن ...  
وودعني هرم ، ثم رف ورف ، وعرج في السماء .  
وانطلقت أنا أخبط في ظلمات من هواجسي حتى  
كنت لدى باب ربة السحر التي وجدتها تعمل  
كما ذكر لي صاحبي على نولها ... وصحت صيحة  
عالية ، فأقبلت تنهادي نحوي وفتحت مصاريع  
أبوابها ، ودعتني ، فدلفت وراءها ، حتى كنا عند  
غرش عظيم بمرد فضي ، ذي درج ، فاستويت

(١) واحد العقاقير



في سريرها الفخم الديباجي . وأقبلت أربع من عرائس البحر ، خطرن من اليم وأقبلن من العميون والخرج المجاور لينهضن بخدمتنا ؛ أما الأولى فقد أصابحت من سريرنا وطرحت عليه مطارف الخبز ؛ وأما الثانية فقد صفت الموائد ورتبت الكرامى ، وجاءت الثالثة بزق عظيم من خمر طيبة ملأت بها الكؤوس الذهبية المنضدة فوق الموائد — أما الرابعة فقد أعدت لي حماماً ساخناً وضمتني بأحسن الروائح والطيوب ، حتى انتعش جسمي الخائر ، وتأرجحت روعي الفاترة ... ثم ألبستني ثوبين خاليين من أنذر الديباج ، ومشت بين يدي إلى عرش عظيم مزدان بأحسن التصاوير ، ومطعم بالذهب والفضة ، فاستويت عليه ، واضعاً قدمي على درج من لباد ناعم .... وأقبلت بعد ذلك عروس أخرى فصبت الماء على يدي من إبريق من ذهب ، في طست من فضة ، وجاءت بمائدة جافلة بأشهى الآكال فوضعتها قدامى ، لكنني ما مددت إلى شيء من ذلك يدي ، لما كان يساورني من الهم ، وما يشغل بالي من الانتقام ؛ فلما لحظت ذلك سيرس أقبلت تيمس ، وأخذت تلاطفني وتقول : « مالك تجلس ساكناً هكذا يا أوديسيوس كالذي غشى عليه ما تكاد تمتد يدك إلى شيء ، كأن ألف وسوساوس يخامرك ؟ أما تزال تخشى مكيدة فتخاف أن تتردى فيها ؟ ألا ما أكبر لفلتك يا صاح ، إطمئن ، فلقد أعطيتك موثقي وحلفت لك بأغظ الإيمان ! » وأجبتها قائلاً : « كيف تمتد يدي إلى طعام أو شراب ورفاقي ما يزالون في إسار سحورك ؟ أبدأ لن أذوق شيئاً حتى تردهم إلى صورهم ، ثم ألتقي بهم » ونهضت لحمل عصاها السحرية ، وذهبت من فورها إلى الحظائر حيث أطلقت رفاقي ، وكانوا ما يزالون في صور الخنازير ، ثم جاءت بترياق فمسحتهم به ،

فعادوا إلى صورهم البشرية ، وبدوا في أنضر شباب وأصباه ، ثم أقبلوا نحوي يلثمون يدي ، ودموع الفرح تبلال مآقيهم ، وطفقوا يصيحون ويصخبون وتردد أصداؤهم جنبات القصر ، حتى تأثرت سيرس نفسها بما رأت ، وراحت تقول : « يا ابن ليرتيس الصناع ، هلم إلى مركبك فاشدها فوق البر لتكون بآمن من غوائل البحر ، ثم خبيء كنوزك وأذخارك في غيران هذه الجبال ، وعد إلى في جميع رفاقك » وطربت لهذه الفكرة فهزلت إلى الشاطئ حيث لقيت رفاقي الآخرين يندبوننا ويذرفون دموعهم علينا . وما إن رأوني حتى أهرعوا نحوي يرقصون ويطربون ويحيون كهذه البهائم التي تعود في المساء إلى حظائرهما فتلقاها صغارها بالثغاء والرقاء والضوضاء . وهكذا تلقاني أولئك الرفاق ، وبدلت دموع أحزانهم بمبرات المسرة ، وخيل لهم أنهم رأوا في وطنهم النائي المحبوب إيثاكا ، حيث ولدوا وحيث نشأوا وترعرعوا ... قال قائلهم : « تالله لكاننا رأينا فيك أوطاننا يا أوديسيوس ، وتالله لقد طفرت قلوبنا حين عدت إلينا فعدت أرواحنا إلى أبدانها . حدثنا أيها العزيز كيف هلك إخواننا في هذا التيه » . وقلت لهم : « هلموا أولاً لنجبر مركبنا على هذا السيف الهادي الطمئن ولنخبيء أذخارنا وسلاحنا في غيران هذه الجبال ، ولننطلق جميعاً إلى سيرس حيث ترون جميع رفاقكم في أماننة وعز وطعام وشراب ، ونعيم مقيم » . وصدعوا بما أمرتهم إلا يوريلوخوس ، فقد سمر مكانه ، وكأنه لم يحفل بما أخبرته به ، ثم حرك شفتيه فقال : « ويح لنا نحن الأشقياء البائسين ! فيم ذهابنا نحن الآخرين إلى قصر سيرس ، وقد تمسخنا جميعاً إلى سباع أو ذؤبان أو خنازير ، ونظل إلى الأبد نحرس عرينها مرغمين ؟ لقد ذهب كثيرون منا ضحية هوس

في أرغد عيش وأحسن حال ، متقلبين في أرفه  
نعيم ؛ ثم استدار الزمان ، وهتف بنا قانون الأزل ،  
فدعاني رجالى إلى جلسة خارج القصر فقالوا لى :  
« تذكر يا مولانا وطننا الأول ، فأننا نحن إليه ،  
ونتمنى لو ساقطنا المقادير إلى شطئانه » ، وكأنما  
نبهوا منى غافلاً ، فتلبثنا يومنا هذا على مائدة ربة  
السحر فى بلهنية وعيش مخفرج وخر ، وأقبل  
الليل فأوى كل إلى فراشه ، وأويت أنا إلى سيرس  
فدأبتنا ولاطفها ، ثم قلت لها فى رجاء وظرف :  
« سيرس ياربة ! حبذا لو وفيت بمهدك فأرسلتنا  
فوق هذا البحر رحمة بنا ، لنقضى حاجات الوطن ،  
ولتنقطع شكاوى صحابى التى مزقت نياط قلبى » .  
وقالت سيرس : « أوديسوس العزيز ، المعروف  
بإصالة الرأى ورجاحة الفكر ، إني لن أقرك على  
البقاء هنا ، لا أنت ، ولا أحداً من رفاقك ،  
ولكنك قبل أن تفكر فى شد رحالك إلى بلادك  
ينبى أن تذهب فى رحلة شاقة بعيدة المدى ...  
إلى هيدز <sup>(١)</sup> ... دار بولوتو <sup>(٢)</sup> وبرسقونية ...  
حيث تلقى النبي الصديق الصالح تيرزياس ، الذى  
احتفظ وحده فى عالم الموتى بكل أسرار وقواه الغيبية  
الخارقة ، والذى يشوى فى رحاب مليكة الفناء  
يتنبأ لها وتستوحيه وتستشيريه فيعرف <sup>(٣)</sup> لك غما  
يهمك ويقفك على ما ينطوى لك من صحف  
الغيب » وما كادت تنتهى حتى أحولت الدنيا  
فى عيني وتدفقت الهوم فى نفسى ، وأجهشت  
وأجهشت ، ثم استخرطت فى بكاء طويل .  
وما كدت أصحو من هذه النوبة حتى قلت لها :  
« أنى لى ياربة أن أذهب إلى هيدز ؟ ومنذا الذى

أوديسوس وقلة بصره ، يوم حبسنا للمسيكوب  
من أجل أطاع رئيسنا الطياش <sup>(١)</sup> » وأوشكت  
أضرب رأسه بجرازي ، فيخر إلى الأرض برغم  
ما يربطنى به من آصرة الوطن ووشيجة الغربة ،  
لولا أن هب رجالى الآخرون يصرخون ويقولون :  
« أوديسوس الكريم ! لنتركه هنا ليحرس  
فلكننا ، أما نحن فراحلون معك إلى قصر سيرس ،  
ولو كان ميلته الفزع الأكبر » وتدفعوا من  
السفينة على الشاطئ ، وانخرط يوريلوخوس بينهم  
منصاعاً لنظراتى المتأججة ... أما ما كان من  
سيرس حينذاك ، فإنها أدخلت رفاقى إلى حمامها  
ثم ضمختهم بأحسن الطيوب ، وخلعت عليهم أنحر  
الملابس ؛ ولما وصلنا وجدناهم بطعمون ، فما إن  
رأونا حتى هبوا يمانقون صحابهم ويبيكون ، ثم  
جلسوا يستمعون إلى قصة ما حل بأخوانهم ، وهم  
يصمدون زفرات الحزن ، ترددوا قباب القصر .  
ونهضت سيرس فوجهت إلى الخطاب إذ تقول :  
« ابن ليرتيس العزيز هون عليك ، وليرفه رجالك  
عن أنفسهم ، ولا يستسلموا هكذا لنوبة الحزن ،  
ولترقا دموعهم جميعاً ... إني لا أجهل ما تجشموا  
من أهوال فى ذاك البحر المضطرب ، وما لقوا من  
فواح فى كل أرض ، بما كتب لهم فى لوح  
القضاء ... ولكن ، تمالوا جميعاً ... أنمشوا  
نفوسكم الخالدة بكؤوس الراح ، ولتستشعروا بأسكم  
الذى كنتم تستشعرونه يوم غادرتم شطئان إيثاكا  
العزيزة ... إنكم إن لم تتناسوا آلامكم فإنها تفت فى  
عضدكم وتوهى من قوتكم وتكون أبداً حلفاً لكم  
والبا علىكم ، ولا تعودون تشعرون معها بلذة العيش  
وبهجة الحياة » ، ووقعت كلماتها فى قلوبنا فأقبلنا  
على الطعام والدمام ؛ ثم إننا أقمتا عندها عاماً بأ كلمة

(١) النار الآخرة

(٢) إله الموتى وزوجه

(٣) يشكهن - من العرافة بالكسر



يحدوني إليها ، ولم يسبقني إليها أحد من أحياء البشر ؟ » فقالت بحبيبي : يا سليل ليرتيس العظيم ليفرخ روعك ، ولا يحزنك ألا يكون لك الى هيدز من دليل . بل هلم الى سفينتك فأصلح قلاعها ونشر شراعها وستهب الصبا سحسجاً فتد هديكم رويدا ، فاذا جزتم هذا البحر المحيط ، وبلغتم الشاطئ<sup>(١)</sup> الذي تنمو فوقه أشجار الحور والصفصاف الباسقة ، ثمة باسم پرسفونيه ، فادفعوا إليه بسفينتكم ثم تهاووا الى مثنوى پلوتو السحيق الذي يبتدىء عند الصخرة الهائلة التي تنكسر فوق أواذها أمواه أشيرون وستيكس وكوكيتوس فازكوا بسفينتكم ثمة ، واحفروا عندها حفرة ذراعا في ذراع ، ثم صبوا في جهتها الأولى قربانا من لبن وعسل ، وفي الثانية خمرًا معتقة من أحسن ما تمصرون ، وفي الثالثة ماء قراحا ، فاذا كانت الرابعة فاثروا الدقيق فوق الجميع ، واصنعوا ذلك باسم الموتى جميعا ، ثم انذروا لهم أن تذبخوا - يوم تمودون الى إيثاكا سالمين - عجلاً جسدا من أحسن قطمانكم : وانذروا كذلك لتيرزياس كبشا سموريا ليس في أغنامكم أسمن منه ولا أقوى جلادا فاذا فرغتم من صلاتكم ونذوركم وأدعيتكم لجميع الموتى من كل الأمم ، فاذبحوا في الحال كبشا ونعجة سمورية ، على أن تكون رأسا الضحيتين تلقاء إربوس وعلى أن تشيخوا بوجوهكم تلقاء الشاطئ فاذا صنعتم كل هذا فسرعان ما ترون أرواح الموتى تقبل نحوكم من كل فج ، فسارعوا الى ذبائحكم فاسلخواها وألقوا بلحومها في النار مصلين ملبين داعين كما تبدأ نفسا پلوتو وزوجته پرسفونيه ، ولا نسمحوا لأرواح الموتى أن تقرب أضيائكم ، وذودوهم عنها بأسيا فكم حتى تلمحوا تيرزياس قادما

فليقاكم ويحدثكم ويوضح لكم ما غم عليكم من سبيلكم في هذا البحر الرجراج المتلاطم بالأمواج » وسكنت ، وانبلج الصبح ، فنهضت تصلح من أثوابها وتضفي عليها من شفوفها البيض كالندف ، وتثر فوق رأسها تلك الغلالة الرقيقة كالشاج . أما أنا فنهضت كذلك ، واكتسيت صداري ودناري ثم توجهت الى رفاقي فأيقظتهم وحثتهم على الابحار من تونا كما رسمت سيرس . وقد هبوا جميعا إلا فتى يافعا لم يكن له يدان في هذه الشدائد ، بل كان كل همه في كأس من خمر ينطرح بعدها وهو لا يبي شيئا . وكان اسمه البنور ، وكان قد غرق في سبات عميق فوق سطح القصر وقد أفزعته ماسم من جملجلة أسلحتنا فهب من نومه مخمورا متخاذلاً وساقته قدماه الى حافة السطح فزلت قدماه ، وسقط إلى الأرض ، ودق عنقه ، فسبقت روحه الى هيدز . وقالت لأصحابي لسا اكنمل جمعهم : أنظنون أنا مبحرون الى أوطاننا ؟ كلا يا رفاق فأمامنا رحلة طويلة شاقة الى هيدز ، حيث ينبغي أن تلقى تيرزياس النبي الصالح ليُعرف لنا ويقفنا على صفحة مما يطوى لنا الغيب ، بهذا رسمت سيرس ، وإنا لنصيحتها لسامعون ! ، وخفقت قلوب إخواني ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم جلسوا يشدون شعورهم من الحسرة ، ولسكنهم صدعوا أخيراً ، بعد إذ أيقنوا أن لا شيء غير هذا ينفعهم . وانقلبنا إلى البحر ، وكانوا مايزالون يذرفون دموعهم ويصعدون حسراتهم . . . وفيما نحن ذاهبون ، كانت سيرس تسوق إلى السفينة كبشاً عظيماً ونعجة سمورية . . . وإن كنا لم نرها قط ، ومنذا الذي تستطيع عيناه أن تيارب كريمة رائحة أو جالية إن لم تشأ هي أن تكشف نفسها ؟ »

درييني غشيب

( يتبع )

(١) الذي ينز الماء مصدر استعمل صفة oozy





FIN

DU

DOCUMENT

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية  
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب  
على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأفكار من روح النهضة المصرية  
الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية  
الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للأمة العربية  
الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية  
الرسالة : تنجي في النشر أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق  
الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشا ، والخارجي ما يساوي جنيتها مصريا ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسي رقم ٩ بالقاهرة





# المروية

مجلة أسبوعية للفقه والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

1937  
Volume 1